

جَدِّ الْأَوْثَارِ

الْجَامِعَةُ لِلدِّعْرِ الْخَبِيرِ الْأَمَّةِ لِطَهْرٍ

تَأْلِيفُ

الْعَلَمِ الْعَالَمَةِ الْمُجْتَمِعَةِ الْأَمَّةِ لِلْمَوْلَى

الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بَاقِرٍ الْمَجْلِسِيِّ

الْكِتَابُ الثَّامِنُ

الْفِتْنَةُ وَفِيهِ مَا جَرَى بَعْدَ النَّبِيِّ مِنْ غَضَبِ الْخُلَافَةِ وَغَزَوَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

الْقِسْمُ الثَّانِي

طَبْعَةٌ بِصَحْفَةٍ وَرَمَتْهُ عَلَى مَسْبَرِ تَلْبِ الْخَطِّ

مَجَامِرُ الْأَوَّارِ

الْجَامِعَةُ لِلدِّمَاءِ الْخَبِيرِ الْأَمَةِ لِطَهْرٍ

تَأَلَّفَتْ

لِلْعَلَمِ الْعَالَمَةِ الْمُحْتَفِ الْأَمَةِ الْمُؤَلِّفِ

الْشَيْخِ مُحَمَّدٍ بَاقِرٍ الْمُجَلِّسِيِّ

الْكَتَابُ الثَّامِنُ

الْفَتْنُ وَفِيهِ مَا جَرَى بَعْدَ النَّبِيِّ مِنْ غَضَبِ الْخِلَافَةِ وَغَزَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

الْقِسْمُ الثَّانِي

طَبْعَةُ مَجْمُوعَةٍ دُرِّيَّةٍ عَلَى مَسْبَرِ رَبِّيبِ الصَّنَفِ



أبواب ما جرى بعد قتل عثمان من الفتن والوقائع والحروب وغيرها

باب ١ بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وما جرى بعدها من نكث الناكثين إلى غزوة الجمل

٥
٣٣ ١- أقول: قال ابن أبي الحديد في شرح النهج، [نهج البلاغة] قال علي عليه السلام للزبير يوم بايعه إني لخائف أن تغدر بي فتنتك بيعتي قال لا تخافن فإن ذلك لا يكون مني أبدا فقال علي عليه السلام فلي الله عليك بذلك راع وكفيل قال نعم الله لك علي بذلك راع وكفيل ^(١).

ولما بويع عليه السلام كتب إلى معاوية:

أما بعد فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع فإذا أتاك كتابي فبايع لي وأوفد إلي في أشرف أهل الشام قبلك.

فلما قدم رسوله على معاوية قرأ كتابه بعث رجلا من بني عيس وكتب معه كتابا إلى الزبير بن العوام وفيه:

٦
٣٣ بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك أما بعد فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوثقوا الحلف فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقنك لها ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصريين وقد بايعت طلحة بن عبيد الله من بعدك فأظهدا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك وليكن منكما الجدد والتشهير أظهركما الله وخذل مناوئكما.

فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سر به وأعلم به طلحة وأقرأه إياه فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف علي.

قال وجاء الزبير وطلحة إلى علي عليه السلام بعد البيعة له بأيام فقالا له يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها وعلمت أن رأي عثمان كان في بني أمية وقد ولاك الله الخلافة من بعده فولنا بعض أعمالك فقال لهما ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي واعلما أنني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي ومن قد عرفت دخيله.

فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس فاستأذناه في العمرة.

وروي أنهم طلبا منه أن يوليهم المصريين البصرة والكوفة فقال حتى أنظر ثم لم يولهما فأتياه فاستأذناه للعمرة فقال ما العمرة تريدان فحلقا له بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعته يريدان وما رأيهما غير العمرة قال لهما فأعيذا البيعة لي ثانيا فأعادها بأشد ما يكون من الأيمان والمواثيق فأذن لهما.

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٨) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٢٣٠ ط ١ مصر، وفي ط الحديث ببغروت ص ١٩٠.

فلما خرجا من عنده قال لمن كان حاضرا والله لا ترونها إلا في فئة يقتلن فيها قالوا يا أمير المؤمنين فمر بردهما عليك قال يَفْضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَقْعُودًا.

فلما خرجا إلى مكة لم يلقيا أحدا إلا وقالوا له ليس لعلني في أعناقنا بيعة وإنما بايعناه مكرهين فبلغ عليا قولهما فقال أبعدهما الله وأغرب دارهما أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم والله ما العمرة يريدان ولقد أتاني بوجهي فاجرين ورجعا بوجهي غادرين ناكثين والله لا يلقاني بعد اليوم إلا في كتيبة خشنة يقتلن فيها أنفسهما فبعدا لهما وسحقا.

٧٣٢

٢- وقال ابن الأثير في الكامل لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير فاتوا عليا فقالوا له لا بد للناس من إمام قال لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا ما نختار غيرك وترددوا إليه مرارا وقالوا له في آخر ذلك إنا لا نعلم أحدا أحق به منك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله فقال لا تفعلوا فإني أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا فقالوا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففني المسجد فإن بيعتي لا يكون خفيا ولا تكون إلا في المسجد وكان في بيته وقيل في حائط لبني عمرو بن مبدول فخرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق قميص وعمامة خز ونعلاء في يده متوكئا على قوسه فبايعه الناس^(١).

وكان أول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال إنا لله وإنا إليه راجعون أول من بدأ بالبيعة من الناس يد شلاء لا يتم هذا الأمر فبايعه الزبير وقال لهما علي إن أحببنا أن نبايعا لي وإن أحببنا نبايعتكما فقالا بل نبايعك وقال بعد ذلك إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا وعرفنا أنه لا يبايعنا وهربا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر.

وبايعه الناس بعد ما بايعه طلحة والزبير.

٧٣٣

وجاءوا بسعد بن أبي وقاص فقال علي بايع قال لا حتى يبايع الناس والله ما عليك مني بأس فقال خلوا سبيله وجاءوا بابن عمر فقالوا بايع فقال لا حتى يبايع الناس قال اتنتي بكفيل قال لا أرى كفيلا قال الأشتر دعني أضرب عنقه قال دعوه أنا كفيله إنك ما علمت لسيئ الخلق صغيرا وكبيراً.

وبايعت الأنصار إلا نفرا يسيرا منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت وكعب بن مالك ورافع بن خديج وفصالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكانوا عشمانية.

فأما النعمان بن بشير فإنه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قطعت وقميص عثمان الذي قتل فيه وهرب به فلحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع فإذا رأوا ذلك أهل الشام ازدادوا غيظا وجدوا في أمرهم.

وروي أنهم لما أتوا عليا ليبايعوه قال دعوني والتسوا غيري فإنما مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول^(٢) فقالوا ننشدك الله ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى الإسلام ألا ترى الفتنة ألا تخاف الله فقال قد أجيبتكم واعلموا أي إن أجيبتكم أركب بكم ما أعلم فإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم إلا أي من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه.

ثم اختلفوا على ذلك واتعدوا الغد.

فلما أصبحوا يوم البيعة وهو يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء علي عليه السلام فصعد المنبر وقال أيها الناس عن ملائكة الله إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم وقد اختلفنا بالأمس على أمر وكنت كارها لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم ألا وإنه ليس لي دونكم إلا مفاتيح ما لكم معي وليس لي أن أخذ درهما دونكم فإن شئتم قعدت لكم وإلا فلا أخذ على أحد فقالوا نحن على ما فارقناك عليه بالأمس فقال اللهم اشهد.

(١) ومثله ذكره الطبري مسنداً مع خصوصيات أخر في عنوان: «خلافة أمير المؤمنين... وذكر الخبر عن بيعة من بايعه...» في حوادث سنة: (٣٥) من تاريخه: ج ٤ ص ٤٢٧ ط بيروت.

وقريباً منه ذكره أيضاً بأسانيد البلاذري في عنوان: «بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام» من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٠٥.

(٢) وقريباً منه رواه السيد الرضي في المختار: (٩٠) من خطب نهج البلاغة.

وبويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة وأول خطبة خطبها علي عليه السلام حين استخلف حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن الله أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض أودها إلى الله تؤدكم إلى الجنة. إن الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق ولا يحل أذى امرئ مسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإنما خلقكم الساعة تحذوكم تخفوها تلحقوا فإنما ينتظر الناس بأحرمكم اتقوا الله عباد الله في عبادته وبإلادته إنكم مسئولون حتى عن البقاع والهائم وأطيعوا الله ولا تعصوه فإذا رأيتم الخير فخذوه وإذا رأيتم الشر فدعوه^(١).

٣-شا: [الإرشاد] روت الخاصة والعامة عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وذكر ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره ممن لا يتهمه خصوم الشيعة في روايته أن أمير المؤمنين قال في أول خطبة خطبها بعد بيعة الناس له على الأمر وذلك بعد قتل عثمان بن عفان^(٢):

أما بعد فلا يرعين مرع إلا على نفسه شغل من الجنة والنار أمامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ثلاثة واثنا ملك طار بجناحيه ونبي أخذ الله بيديه لا سادس هلك من ادعى وردي من اقتحم.

اليمن والشمال مضلة والوسطى الجادة منهج عليه باقي الكتاب والسنة وآثار النبوة إن الله تعالى داوى هذه الأمة بدواءين السوط والسيف لا هودة عند الإمام فيهما فاستروا ببيوتكم وأصلحوا فيما بينكم والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته للحق هلك.

قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها معذورين أما إنني لو أشاء أن أقول لقلت عفا الله عما سلف. سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همت بطنه ويله ويحه لو قص جناحه وقطع رأسه كان خيرا له. انظروا فإن أنكرتم فأنكروا وإن عرفتم فبادروا فأزروا حق وباطل ولكل أهل ولئن أمر الباطل فلقدima فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل وقل ما أدبر شيء فأقبل ولئن رجعت إليكم أموركم نفوسكم إنكم لسعداء وإنني لأخشى أن تكونوا في فترة وما علي إلا الاجتهاد.

ألا وإن أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغارا وأعلم الناس كبارا. ألا وإن أهل بيت من علم الله علمنا ويحكم الله حكمنا ويقول صادق أخذنا من قول صادق سمعنا فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا.

معناراية الحق من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن وبنا تخلع ربة الذل من أعناقكم وبنا فتح الله لا بكم وبنا يختم لا بكم.

٤-أقول: وفي النهج هكذا شغل من الجنة والنار أمامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هو اليمن والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة وإليها مصير العقابية هلك من ادعى وخاب من أقرئ من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سنخ أصل ولا يظما عليها زرع حرث قوم^(٣).

فاستروا ببيوتكم وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم فلا يحمد حامد إلا ربه ولا يلم لائم إلا نفسه. ٥- روى ابن أبي الحديد عن الجاحظ من كتاب البيان والتبيين عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال أول خطبة خطبها أمير المؤمنين علي عليه السلام في خلافته حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال ألا لا يرعين^(٤).

(١) ومثله رواه الطبري عن السري عن شعيب. عن سيف. عن سليمان بن أبي المغيرة. عن علي بن الحسين.

(٢) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (١٣) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد ص ٣٦.

(٣) رواه السيد الرضي بزيادات كثيرة في المختار (١٦) من خطب نهج البلاغة.

(٤) رواه الجاحظ في المجلد الثالث من كتاب البيان والتبيين ص ٤٤ ط مصر. وروياه عنه حرقيا في المختار: (٥٦) من كتاب نهج السعادة ج ١ ص ١٩١ ط ٢ وله مصادر كثيرة أشرت إليها في ذيل المختار. انشمار إليه.

وساق الخطبة كما مر إلى قوله وما علينا إلا الاجتهاد ثم قال قال الجاحظ وقال أبو عبيدة وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام ألا إن أبرار عترتي.

إلى قوله وبنا يختم لا بكم.

قال ابن أبي الحديد قوله لا يرعين أي لا يقيين يقال أرعيت عليه أي أبقيت يقول من أبقي على الناس فإنما أبقي على نفسه والهواة الرفق والصلح وأصله اللين والسهولة والتهويد المشي رويدا وآزرت زيدا أعنته والثرة الوتر والربقة الحبل يجعل في عنق الشاة وردي هلك من الردي كقولك عمي من العمى وشجي من الشجا.

وقوله شغل من الجنة والنار أمامه يريد به أن من كانت هاتان الداران أمامه لفي شغل عن أمور الدنيا إن كان رشيدا. (١)

وقوله ساع مجتهد إلى قوله لا سادس كلام تقديره المكلفون على خمسة أقسام ساع مجتهد وطالب راج ومقصر هالك ثم قال ثلاثة أي فهو ثلاثة أقسام وهذا ينظر إلى قوله تعالى «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ».

ثم ذكر القسمين الرابع والخامس فقال هما ملك طار بجناحيه ونبي أخذ الله بيده يريد عصمة هذين النوعين من القبيح ثم قال لا سادس أي لم يبق في المكلفين قسم سادس.

وقوله هلك من ادعى يريد هلك من ادعى وكذب لا بد من تقدير ذلك لأن الدعوى يعم الصدق والكذب وكأنه يقول هلك من ادعى الإمامة وردي من اقترحها ولولجها من غير استحقاق لأن كلامه في هذه الخطبة كله كنايات عن الإمامة لا عن غيرها.

وقوله اليمين والشمال مضلة مثال لأن السالك الطريق المنهج اللاحب ناج والعاذل عنها يميننا وشمالا معرض للخطر.

وقوله عليه السلام كالغراب يعني في الحرص والجشع والغراب يقع على الجيفة ويقع على التمرة وعلى الحبة وفي المثل أشجع من غراب وأحرص من غراب.

وقوله ويحه لو قص يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيرا له من أن يعيش ويدخل فيها.

ثم قال لهم افكروا فيما قد قلت فإن كان منكرا فأنكروه وإن كان حقا فأعينوا عليه.

وقوله استتروا في بيوتكم نهى لهم عن العصية والاجتماع والتحزب فقد كان قوم بعد قتل عثمان تكلّموا في قتله من شيعة بني أمية بالمدينة.

وأما قوله قد كانت أمور فمراده أمر عثمان وتقديره في الخلافة عليه.

ومن الناس من يحمل ذلك على خلافة الشيخين أيضا ويبعد عندي أن يكون أرادته لأن المدة قد كانت طالت ولم يبق من يعاتبه (٢) ولسنا نمنع من أن يكون في كلامه الكثير من التوجد والتألم لصرف الخلافة بعد وفاة رسول الله عليه السلام عنه وإنما كلامنا الآن في هذه اللفظات التي في هذه الخطبة على أن قوله سبق الرجلان والاقتصار على ذلك فيه كفاية في انحراف عنهما.

وأما قوله حق وباطل إلى آخر الفصل فمعناه كل أمر إما حق وإما باطل ولكل واحد من هذين أهل وما زال أهل الباطل أكثر من أهل الحق ولئن كان الحق قليلا فربما كثر ولعله ينتصر أهله ثم قال على سبيل التضجر بنفسه وقل ما أدر شيء فأقبل استبعد عليه السلام أن تعود دولة قوم بعد زوالها عنهم.

ثم قال ولئن رجعت إليكم أموركم أي إن ساعدني الوقت وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالى ورسوله

ورواه أيضاً عنه حريفاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٦٦) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٢٢٤ ط بيروت.

(١) ٣ - رواه الشيخ المفيد في الفصل: (١٣) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد ص ١٣٦.

٤ - رواه السيد الرضي بزيادات كثيرة في المختار (١٦٦) من خطب نهج البلاغة.

رواه الجاحظ في المجلد الثالث من كتاب البيان والتبيين ص ٤٤ ط مصر، ورويناه عنه حريفاً في المختار: (٥٦) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ١٩١، ط ٢ وله مصادر كثيرة أشرنا إليها في ذيل المختار المشار إليه.

وراه أيضاً عنه حريفاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٦٦) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٢٢٤ ط بيروت.

(٢) بل أكثر من مال - مع المائلين - إلى الشيخين وبايعهما كانوا باقين بعد قتل عثمان، فقول هذا القائل هو القريب لا غير.

وعادت إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله ﷺ وسيرة مماثلة لسيرته في أصحابه إنكم لسعداء ثم قال وإني لأخشى أن تكونوا في فترة الفترة هي الأزمنة التي بين الأنبياء إذا انقطعت الرسل فيها فيقول إني لأخشى أن لا أتمكن من الحكم بكتاب الله تعالى فيكم فتكونوا كالأمم الذين في أزمنة الفترة لا يرجعون إلى نبي يشافهم بالشرائع والأحكام وكأنه ﷺ قد كان يعلم أن الأمر سيضطرب عليه^(١).

ثم قال وما علينا إلا الاجتهاد يقول أنا أعلم بما يجب علي من الاجتهاد في القيام بالسرعة وعزل ولاة السوء عن المسلمين فإن تم ما أريده فذاك وإلا كنت قد أعذرت.

وأما التهمة المروية عن جعفر بن محمد ﷺ فواضحة الألفاظ وقوله في آخرها وبنا يختم لا بكم إشارة إلى المهدي ﷺ الذي يظهر في آخر الزمان من ولد فاطمة ﷺ.

٦- أقول: روى ابن ميثم رحمه الله تمام الخطبة هكذا^(٢):

الحمد لله أحق محمود بالحمد وأولاه بالمجد إلهنا واحدا صمدا أقام أركان العرش فأشرق بضوئه شعاع الشمس خلق فأتقن وأقام فذلت له وطأة المستمكن.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله أرسله بالنور الساطع والضياء المنير أكرم خلق الله حسبا وأشرفهم نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة بل كان يظلم.

فأما بعد فإن أول من بغى على الأرض عناق ابنة آدم وكان مجلسها من الأرض جريبا وكان لها عشرون إصبعا وكان لها ظفران كالمنجلين فسلط الله عليها أسدا كالغيل وذئبا كالبعير ونسرا كالحمار وكان ذلك في الخلق الأول فقتلها وقد قتل الله الجبابة على أحسن أحوالهم وإن الله أهلك فرعون وهامان وقتل قارون بذنوبهم.

ألا وإن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم ﷺ والذي بعثه بالحق لتبليبل بليلة ولتغربل غربة حتى يعود أسفلكم أعلاك وأعلاك أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا اليوم وهذا المقام.

ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتحممت بهم في النار فهم فيها كالحون.

ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها فسارت بهم تأودا حتى إذا جاءوا ظلا ظليلا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَابْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ.

ألا وقد سبقني إلى هذا الأمر من لم أشركه فيه ومن ليست له منه توبة إلا بنبي مبعوث ولا نبي بعد محمد ﷺ أشفى منه على شفا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

أيها الناس كتاب الله وستة نبيه ﷺ لا يرضى من عصى إلا على نفسه شغل من الجنة والنار أمامه.

ساع نجا وطالب يرجو ومقصر في النار ولكل أهل.

ولئن أمر الباطل فقيما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما أدبر شيء فأقبل ولئن رد أمركم عليكم إنكم لسعداء وما علينا إلا الجهد.

قد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم عندي فيها غير محمودي الرأي ولو أشاء أن أقول لقلت عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفَ.

سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همه بطنه ويله لو قص جناحه وقطع رأسه كان خيرا له شغل من الجنة والنار أمامه.

ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ثلاثة واثنا خمسة ليس فيهم سادس وملك طار بجناحيه ونبي أخذ الله بضييعه هلك من ادعى وخاب من افترى.

اليمين والشمال مضلة ووسط الطريق المنهج عليه باقي الكتاب وآثار النبوة.

(١) علمه ﷺ بما يعامل الناس معه وما يؤول إليه أمره هو المستفاد من محكمات الأخيار.

(٢) رواه رفع الله مقامه في شرح المختار (١٦) من خطب نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٩٧ ط ٣.

ألا وإن الله قد جعل أدب هذه الأمة بالسوط والسيف ليس عند إمام فيهما هوادة فاستروا ببيوتكم وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته للحق هلك.

ألا وإن كل قطعة أقطعها عثمان أو مال أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج به النساء ورفق في البلدان فإنه من لم يسعه الحق فالباطل أضيح عليه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

٧- وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج نقلا عن أبي جعفر الإسكافي قال لما اجتمعت الصحابة بعد قتل عثمان في مسجد رسول الله ﷺ في أمر الإمامة أشار أبو الهيثم بن التيهان ورفاعة بن رافع ومالك بن العجلان وأبو أيوب الأنصاري وعمار بن ياسر بعلي عليه السلام وذكروا فضله وسابته وجهاده وقرابته فأجابهم الناس إليه فقام كل واحد منهم خطيبا يذكر فضل علي عليه السلام فمنهم من فضله على أهل عصره خاصة ومنهم من فضله على المسلمين كلهم كافة^(١).

ثم بويح وصعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة فحمد الله وأثنى عليه وذكر محمدا فصلى عليه ثم ذكر نعمة الله على أهل الإسلام ثم ذكر الدنيا فزهدهم فيها وذكر الآخرة فرغبهم إليها ثم قال:

أما بعد فإنه لما قبض رسول الله ﷺ استخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر فعمل بطريقه ثم جعلها شورى بين ستة فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أنكرتم وعرفتم ثم حصر و قتل ثم جثمتوني فطلبتم إلي وإنا أنا رجل منكم لي ما لكم وعلي ما عليكم وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة فأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ولا يحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر وإني حاملكم على منهج نبيكم ﷺ ومنفذ فيكم ما أمرت به إن استقمتم لي والله المستعان.

ألا إن موضعي من رسول الله ﷺ بعد وفاته كموضعي منه أيام حياته فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر حتى نبينه لكم فإن لنا عن كل أمر منكر تنكرونه عذرا.

ألا وإن الله عالم من فوق سمائه وعرشه إني كنت كارها للولاية على أمة محمد ﷺ حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول أيما وال ولي الأمر من بعدي أقيم على حد الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلا أنجاه الله بعدله وإن كان جائرا انتقض به الصراط حتى تتزايد مفاصله ثم يهوي إلى النار فيكون أول ما يتقيها به أنفه و حر وجهه ولكني لما اجتمع رأيكم لما يسعني ترككم.

ثم التفت ﷺ يميناً وشمالاً فقال ألا لا يقول رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارشة واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عارا وشارا إذا ما منعتمهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون حرمانا ابن أبي طالب حقوقنا.

ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرى أن الفضل له على من سواء لصحبته فإن له الفضل النير غدا عند الله وثوابه وأجره على الله.

وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده.

فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا جزاء ولا ثوابا وما عند الله خير للآئزاري.

وإذا كان غدا إن شاء الله فاغدوا علينا فإن عندنا مالا نقسمه فيكم ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إلا حضر إذا كان مسلما حرا أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

ثم نزل.

قال أبو جعفر وكان هذا أول ما أنكروه من كلامه ﷺ وأورثهم الضغن عليه وكرهوا عطاءه وقسمه بالسوية. فلما كان من الغد غدا وغدا الناس لقبض المال فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه ابدأ بالمهاجرين فنادهم وأعط

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٩١) من خطب نهج البلاغة: ج ٧ ص ٣٨ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت: ج ٢ ص ٥٩٩. ورواه أيضاً باختصار محمد بن عبد الله الإسكافي المتوفى سنة: (٢٤٠) من كتاب المعيار والموازنة ص ٥١ ط ١.

كل رجل ممن حضر ثلاثة دنائير ثم ثل بالأنصار فاقبل معهم مثل ذلك و من يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس و قد أعنته اليوم فقال نعطيه كما نعطيك فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنائير و لم يفضل أحدا على أحد.

و تخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة و الزبير و عبد الله بن عمر و سعيد بن العاص و مروان بن الحكم و رجال من قریش و غيرها.

قال و سمع عبيد الله بن أبي رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه و طلحة و مروان و سعيدا ما خفي علينا أمس من كلام علي ما يريد فقال سعيد بن العاص و التفت إلي زيد بن ثابت إياك أعني و اسمعي يا جارة فقال ابن أبي رافع لسعيد و ابن الزبير إن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

ثم إن ابن أبي رافع أخبر علياً بذلك فقال و الله إن بقيت و سلمت لهم لأقيمنهم على المحجة البيضاء و الطريق الواضح قاتل الله ابن العاص لقد عرف من كلامي و نظري إليه أمس أنني أريده و أصحابه ممن هلك فيمن هلك.

قال فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير و طلحة فجلسا ناحية عن علي ثم طلع مروان و سعيد و عبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما ثم جاء قوم من قریش فانضموا إليهم فتحدثوا نجيا ساعة ثم قام الوليد بن عقبة فجاء إلى علي فقال يا أبا الحسن إنك قد وترتنا جميعا أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبرا و خذلت أخي يوم الدار بالأمس و أما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب و كان ثور قریش و أما مروان ففسخت أباه عند عثمان إذا ضمه إليه و نحن إخوتك و نظراؤك من بني عبد مناف و نحن نبائعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان و إن تقتل قتلته و إننا إن خفناك تركتنا و التحقنا بالمشام.

فقال أما ما ذكرت من وتري إياكم فالحق و تركم.

و أما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم و لا عن غيركم.

و أما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم علي إن ختموني أن أؤمنكم وإن خفتكم أن أسيركم.

فقام الوليد إلى أصحابه فحدثهم و افترقوا على إظهار العداوة و إشاعة الخلاف.

فلما ظهر ذلك من أمرهم قال عمار بن ياسر لأصحابه قوموا بنا إلى هؤلاء نفر من إخوانكم فإنه قد بلغنا عنهم و رأينا منهم ما نكره من الخلاف و الطعن على إمامهم و قد دخل أهل الجفاء بينهم و بين الزبير و الأعسر العاق يعني طلحة.

فقام أبو الهيثم و عمار و أبو أيوب و سهل بن حنيف و جماعة معهم فدخلوا على علي فقالوا يا أمير المؤمنين انظر في أمرك و عاتب قومك هذا الحي من قریش فإنهم قد نقضوا عهدك و أخلفوا وعدك و قد دعونا في السر إلى رفضك هداك الله لرشدك و ذاك لأنهم كرهوا الأسوة و فقدوا الأثرة و لما أسيت بينهم و بين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوك و عظموه و أظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة و تألفا لأهل الضلالة فرأيكم.

فخرج علي فدخل المسجد و صعد المنبر مرتديا بطق مؤتزرا ببرد قطري متقلدا سيفا متوكئا على قوس فقال: أما بعد فإننا نحمد الله ربنا و إلهنا و ولينا و ولي النعم علينا الذي أصبحت نعمة علينا ظاهرة و باطنة امتنانا منه بغير حول منا و لا قوة ليلونا أنشكر أم نكفر فمن شكر زاده و من كفر عذبه فأفضل الناس عند الله منزلة و أقربهم من الله وسيلة أطوعهم لأمره و أعلمهم بطاعته و أتبعهم لسنة رسوله و أحياهم لكتابه ليس لأحد عندنا فضل إلا بطاعة الله و طاعة الرسول.

هذا كتاب الله بين أظهرنا و عهد رسول الله ﷺ و سيرته فينا لا يجهل ذلك إلا جاهل عاند عن الحق منكر قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾.

ثم صاح بأعلى صوته أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فإن توليتهم فإن الله لا يحب الكافرين.

ثم قال يا معشر المهاجرين والأنصار أمتنوا على الله ورسوله بإسلامكم بِلِ اللَّهِ يَسُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَاكُمْ لِلْبَيَانِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

ثم قال أنا أبو الحسن وكان يقولها إذا غضب ثم قال:

ألا إن هذه الدنيا التي أصبحتم تمنونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم
الذي خلقتكم له فلا تغرنكم فقد حذرتموها واستموا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله والذل لحكمه
جل ثناؤه.

فأما هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أثرة فقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون و
هذا كتاب الله به أقرنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتول كيف شاء فإن العامل بطاعة الله و
الحاكم بحكم الله لا وحشة عليه.

ثم نزل عن المنبر فصلى ركعتين ثم بعث بعمار بن ياسر وعبد الرحمن بن حنبل القرشي^(١) إلى طلحة والزبير و
هما في ناحية المسجد فأتياهما فدعواهما فقاما حتى جلسا إليه^(٢) فقال لهما:

نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتاني إليها وأنا كاره لها قالا نعم فقال غير مجبرين ولا
مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماي عهدكما قالا نعم قال فما دعاكما بعد إلي ما أرى قالا أعطيناك بيعتنا
على أن لا تقضي في الأمور ولا تقطعها دوننا وأن تستشيرنا في كل أمر ولا تستبد بذلك علينا ولنا من الفضل على
غيرنا ما قد عملت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا!!

فقال لقد نعمتما سيرا وأرجأتما كثيرا فاستغفرا الله يغفر لكما ألا تخبراني أدفعتكما عن حق وجب لكما فظلمتكما
إياه قالا معاذ الله قال فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء قالا معاذ الله قال أفوقع حكم أو حق لأحد من
المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه قالا معاذ الله قال فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي قالا خلافك عمر
بن الخطاب في القسم إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما آاء الله تعالى بأسيا فانا
ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسرا وقهرا ممن لا يرى الإسلام إلا كرها.

فقال^(٣) أما ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فو الله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتوني إليها
وجعلتموني عليها فخفت أن أردكم فتختلف الأمة فلما أفضت إلي نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأضيت ما
دلاني عليه واتبعته ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في
السنة برهانه واحتجج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه.

وأما القسم والأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء قد وجدت أنا وأنتما رسول الله^(٤) يحكم بذلك و
كتاب الله ناطق به وهو الكتاب الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأما قولكما جعلت فيتنا وما آاءته سيوفنا وراحنا سواء بيننا وبين غيرنا فقدما سبق إلى الإسلام قوم و
نصره بسببهم وراحهم فلم يفضلهم رسول الله^(٥) في القسم ولا آأهم بالسبق والله سبحانه موف السابق
والمجاهد يوم القيامة أعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا هذا أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق و
ألهما وإياكم الصبر.

ثم قال رحم الله امرأ رأى حقا فأعان عليه ورأى جورا فرده وكان عوناً للحق على من خالفه^(٦).

قال ابن أبي الحديد فإن قلت فإن أبا بكر قسم بالسواء ولم ينكروا ذلك كما أنكروه أيام أمير المؤمنين^(٧) قلت إن
أبا بكر قسم محتذيا لقسم رسول الله^(٨) فلما ولي عمر الخلافة ونفل قوما على قوم أفروا ذلك^(٩) ونسوا تلك
القسم الأولى وطالت أيام عمر وأشربت قلوبهم حب المال وكثرة العطاء وأما الذين اهتضموا فقتلوا ومرنوا على

(١) كذا في طبع الحديث ببيروت من شرح ابن أبي الحديد، وفي أصلي من البحار: (عبد الله بن خل...).

(٢) هذا هو الظاهر المذكور في شرح ابن أبي الحديد وفي ط الكماني من البحار: «فلا فضلهم الله [خ] رسول الله».

(٣) وقريبا جداً جده الباحث في المختار: (٦١ - ٦٢) من نهج السعادة: ج ١، ص ٢١٢، ط ٢، وفي المعيار والموازنة ص ١٠٩، ط ١.

(٤) كذا في أصلي، وفي ط الحديث من شرح ابن أبي الحديد: «وفضل قوما».

القناعة فلما ولي عثمان الأمر على ما كان عمر يجريه فازداد وثوق العوام بذلك و من ألف أمرا شق عليه فراقه فلما ولي أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يرد الأمر إلى ما كان في أيام رسول الله ﷺ وقد نسي ذلك و رفض و تخلل بين الزمانين اثنان و عشرون سنة فشق ذلك عليهم و أنكروه و أكبروه حتى حدث ما حدث و لله أمر هو بالغه.

بيان: قوله ﷺ كنت كارها أي طبعاً و إن أحبها شرعاً أو كنت كارها قبل دعوتكم لعدم تحقق الشرائط و المراد بالوالي الوالي بغير الاستحقاق و العامل بغير أمر الله فيها فعلى الوجه الأول التعليل للكره طبعاً لمسر العمل بأمر الله فيها و على الوجه الثاني التعليل لعدم التعرض قبل تحقق الشرائط لأنها تكون حينئذ ولاية جور أيضاً.

و قال الجوهري راقتي الشيء أعجيتني و منه قولهم غلمان روقة و جوار روقة أي حسان.

و لعل مفعول القول محذوف أو هو حرماً و قوله يقولون تأكيد للقول أولاً.

و قال الجوهري الطاق ضرب من الثياب و قال القطر ضرب من البرود يقال لها القطرية.

٨- و روى ابن أبي الحديد أيضاً عن الطبري و غيره أن الناس غشوه و تكاثروا عليه يطلبون مبايعته و هو يأبى ذلك و يقول دعوني و التمسوا غيري فإنما مستقبولون أمراً له و جوه و ألوان لا تثبت عليه القول و لا تقوم له القلوب^(١).

قالوا له نشدك الله ألا ترى الفتنة ألا ترى إلى ما حدث في الاسلام ألا تخاف الله فقال قد أجبتكم لما أرى منكم واعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم و إن تركتموني فإنما أنا كأحدكم بل أنا أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم فقالوا ما نحن بمفارقيك حتى نباعك قال إن كان لا بد من ذلك ففي المسجد إن بيعتي لا تكون خفياً و لا تكون إلا عن رضا المسلمين و في ملا و جماعة.

فقام و الناس حوله فدخل المسجد و انثال عليه المسلمون فبايعوه و فيهم طلحة و الزبير.

قال و روى أبو عثمان الجاحظ^(٢) قال أرسل طلحة و الزبير إلى علي عليه السلام قبل خروجهما إلى مكة مع محمد بن طلحة و قال لا تفل له يا أمير المؤمنين و قل له يا أبا الحسن لقد قال فيك رأينا و خاب ظننا أصلحنا لك الأمر و وطدنا لك الإمرة و أجلسنا على عثمان حتى قتل فلما طلبك الناس لأمرهم جئناك و أسرعنا إليك و بايعناك و قدنا إليك أعناق العرب و وطني المهاجرون و الأنصار أعقابنا في بيعتك حتى إذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنا و رفضتنا رفض التريكة و ملكت أمرك الأشر و حكيم بن جبلة و غيرها من الأعراب و نزاع الأمصار فكنا فيما رجوانه منك كما قال الأول:

فكنت كمهريق الذي في سقائه لرقراق آل فوق رابية صلد

فلما جاءه محمد بن طلحة و أبلغه ذلك قال ﷺ اذهب إليهما فقل لهما فما الذي يرضيكما فذهب و جاء و قال إنهما يقولان ول أحدنا البصرة و الآخر الكوفة فقال و الله إني لا آمنهما و هما عندي بالمدينة فكيف آمنهما و قد وليتهما العرايين اذهب إليهما فقل أيها الشيطان احذرا من الله و نبيه علي أمته و لا تبغيا المسلمين غائلة وكيدا و قد سمعتمنا قول الله ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فقام محمد بن طلحة فاتهما و لم يعد إليه و تأخرا عنه أياماً ثم جاءه فاستأذنه في الخروج إلى مكة للعمرة فأذن لهما بعد أن أحلفهما أن لا يتقضا بيعته و لا يقدرا به و لا يشقا عصا المسلمين و لا يوقعا الفرقة بينهم و أن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة فحلفا على ذلك كله ثم خرجا ففعلا ما فعلا.

قال و لما خرجا قال علي لأصحابه و الله ما يريدان العمرة و إنما يريدان الغدرة فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْتَكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَذِنَ لَنَا غَايَةً عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً^(٣).

(١) رواه الطبري في أوائل حوادث سنة: (٣٥) من تاريخه: ج ١، ص ٣٠٧٦. وفي ط الحديث ببيروت: ج ٤ ص ٤٣٤.

ورواه عنه أبي الحديد في شرح المختار: (١٩٨) من نهج البلاغة: ج ٣ ص ٥٧٢ ط الحديث ببيروت.

(٢) رواه عنه ابن أبي الحديد في أواسط شرح المختار: (١٩٨) من نهج البلاغة: ج ٣ ص ٥٧٦ ط بيروت.

(٣) اقتباس من الآية العاشرة من سورة الحج: (٤٨).

و روي عن الطبري^(١) أنه لما بايع الناس علياً أتى الزبير فاستأذن عليه قال أبو حبيبة^(٢) مولى الزبير فأعلمته به فسل سيفاً ووضع تحت فراشه وقال أئذن له فدخل فسلم وهو واقف ثم خرج فقال الزبير لقد دخل لأمر ما قد به مقامه وانظر هل ترى من السيف شيئاً فقممت في مقامه فرأيت ذباب السيف فأخبرته فقال ذاك.

٩. ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت عن أحمد بن محمد بن عقدة قال حدثنا الحسن بن صالح من كتابه في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأحمد بن يحيى عن محمد بن عمرو عن عبد الكريم عن أناس بن أحمد عن أبي الصلت الهروي^(٣).

قال ابن عقدة وحدثناه القاسم بن الحسن الحسيني عن أبي الصلت عن علي بن عبد الله بن النعجة عن أبي سهيل بن مالك.

ع، مالك بن أوس بن الحدثان قال لما ولي علي بن أبي طالب عليه السلام أسرع الناس إلى بيعته المهاجرون والأنصار وجاءه الناس لم يتخلف عنه من أهل الفضل إلا نفر يسير خذلوا وبايع الناس.

وكان عثمان قد عود قريشا والصحابة كلهم وصبت عليهم الدنيا صبا وآثر بعضهم على بعض وخص أهل بيته من بني أمية وجعل لهم البلاد وخولهم العباد فأظهروا في الأرض فسادا وحمل أهل الجاهلية والمؤلفة قلوبهم على رقاب الناس حتى غلبوه على أمره فأكثر الناس ما رأوا من ذلك فعاتبوه فلم يعتبههم وراجعوه فلم يسمع منهم وحملهم على رقاب الناس حتى انتهى إلى أن ضرب بعضا ونفى بعضا وحرّم بعضا فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدفعوه وقالوا إنما بايعناه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والعمل بهما فحيث لم يفعل ذلك لم تكن له عليهم طاعة. فافترق الناس في أمره على خاذل وقاتل فأما من قاتل فرأى أنه حيث خالف الكتاب والسنة واستأثر بالفيء واستعمل من لا يستأهل رأوا أن جهاده جهاد.

وأما من خذله فإنه رأى أنه يستحق الخذلان ولم يستوجب النصرة بترك أمر الله حتى قتل واجتمعوا على علي بن أبي طالب فبايعوه فقام وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي وآله ثم قال:

أمر بعد فإني قد كنت كارها لهذه الولاية يعلم الله في سمواته وفوق عرشه على أمة محمد صلى الله عليه وآله حتى اجتمعتم على ذلك فدخلت فيه وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أيما وال ولي أمر أمتي من بعدي أقيم يوم القيامة على حد الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن نجا فبعده وإن جار انتقض به الصراط انتقاضة تزيل ما بين مفاصله حتى يكون بين كل عضو وعضو من أعضائه مسيرة مائة عام يخرق به الصراط فأول ما يلقي به النار أنفه وحر وجهه ولكني لما اجتمعتم علي نظرت فلم يسعني ردكم حيث اجتمعتم أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم. فقام إليه الناس فبايعوه فأول من قام فبايعه طلحة والزبير ثم قام المهاجرون والأنصار وسائر الناس حتى بايعه الناس وكان الذي يأخذ عليهم البيعة عمار بن ياسر وأبو الهيثم بن التيهان وهما يقولان نبايعكم على طاعة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وإن لم نف لكم فلا طاعة لنا عليكم ولا بيعه في أعناقكم والقرآن إمامنا وإمامكم.

ثم التفت علي عليه السلام عن يمينه وعن شماله وهو على المنبر وهو يقول ألا يقول رجال منكم غدا قد غرهم الدنيا فاتخذوا العفار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارغة واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عارا وشنارا لم يغفر لهم الغفار إذا منعوا ما كانوا فيه وصيروا إلى حقوقهم التي يعلمون يقولون حرمانا ابن أبي طالب وظلمنا حقوقنا ونستعين بالله ونستغفره.

وأما من كان له فضل وسابقة منكم فإنما أجره فيه على الله فمن استجاب لله ولرسوله ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم أيها الناس عباد الله المسلمون والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية وليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى وللمتقين عند الله خير الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاء وما عند الله خير للآبِرِينَ.

(١) رواه الطبري مسنداً في أوائل حوادث سنة: (٣٥) من تاريخه: ج ١، ص ٣٠٧٣ ط ١، وفي ط بيروت: ج ٤ ص ٤٢٢.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٩٨) من نهج البلاغة: ج ٣ ط الحديث ببيروت ص ٥٧٧.

(٢) ومثله في شرح ابن أبي الحديد، وفي تاريخ الطبري «لقد دخل المرؤ ما أقصاه».

(٣) رواه الشيخ الطوسي في الحديث الأخير من المجلس: (٢٦) من المجلد الثاني من أماليه ص ٧٣٥ ط بيروت.

وإذا كان غدا فاعذوا فإن عندنا مالا اجتمع فلا يتخلفن أحد كان في عطاء أو لم يكن إذا كان مسلما حرا احضروا رحمكم الله.

فاجتمعوا من الغد و لم يتخلف عنه أحد قسم بينهم ثلاثة دنائير لكل إنسان الشريف والوضيع والأحمر والأسود ولم يفضل أحدا و لم يتخلف عنه أحد إلا هؤلاء الرهط طلحة والزبير و عبد الله بن عمر و سعيد بن العاص و مروان بن حكم و ناس معهم.

فسمع عبيد الله بن أبي رافع و هو كاتب علي بن أبي طالب عبد الله بن الزبير و هو يقول للزبير وطلحة و سعيد بن العاص لقد التفت إلى زيد بن ثابت فقلت له إياك أغني و اسمعي يا جارة فقال له عبيد الله يا سعيد بن العاص و عبد الله بن الزبير إن الله يقول في كتابه **وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** قال عبيد الله فأخبرت عليا فقال لئن سلمت لأحملنهم على الطريق قاتل الله ابن العاص لقد علم في كلامي أنني أريده و أصحابه بكلامي و الله المستعان.

قال مالك بن أوس و كان علي بن أبي طالب **ﷺ** أكثر ما يسكن القناة فبينما نحن في المسجد بعد الصبح ^١ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن علي **ﷺ** ثم طلع مروان و سعيد و عبد الله بن الزبير و المسور بن مخرمة ^٢ سوا. وكان علي **ﷺ** جعل عمار بن ياسر على الخيل فقال لأبي الهيثم بن التيهان و لخالد بن زيد أبي أيوب و لأبي حية و لرفاعة بن رافع في رجال من أصحاب رسول الله **ﷺ** قوموا إلى هؤلاء القوم فإنه بلغنا عنهم ما نكره من خلاف أمير المؤمنين إمامهم و الطعن عليه و قد دخل معهم قوم من أهل الجفاء و العداوة فإنهم سيحملونهم على ما ليس من رأيهم فقال فقاموا و قننا معهم حتى جلسوا إليهم فتكلم أبو الهيثم بن التيهان فقال إن لكم قدما في الإسلام و سابقة و قرابة من أمير المؤمنين **ﷺ** و قد بلغنا عنكم طعن و سخط لأمر المؤمنين فإن يكن أمر لكم خاصة فعاتبا ابن عمكما و إمامكما و إن كان نصيحة للمسلمين فلا تؤخره عنه و نحن عون لكما فقد علمتما أن بني أمية لن يتصحمكا أبدا و قد عرفتما و قال أحمد عرفتم عداوتهم لكما و قد شركتما في دم عثمان و مالأتما.

فسكت الزبير و تكلم طلحة فقال افرغوا جميعا مما تقولون فإني قد عرفت أن في كل واحد منكم خطبة.

فتكلم عمار بن ياسر رحمه الله فحمد الله و أنثى عليه و صلى على النبي **ﷺ** و قال أنتما صاحبا رسول الله **ﷺ** و قد أعطيتما إمامكما للطاعة و المناصة و العهد و الميثاق على العمل بطاعة الله و طاعة رسوله و أن يجعل كتاب الله قال أحمد و جعل كتاب الله إماما فقيم السخط و الغضب على علي بن أبي طالب **ﷺ** فغضب الرجال للحق انصرا نصركما الله.

فتكلم عبد الله بن الزبير فقال لقد تهذرت يا أبا اليقظان فقال له عمار ما لك تتعلق في مثل هذا يا أعبس ثم أمر به فأخرج فقام الزبير فقال عجبت يا أبا اليقظان على ابن أخيك رحمك الله فقال عمار يا أبا عبد الله أتشدك الله أن تسمع قول من رأيت فإنكم معشر المهاجرين لم يهلك من هلك منكم حتى استدخل في أمره المؤلفة قلوبهم فقال الزبير معاذ الله أن نسمع منهم فقال عمار و الله يا أبا عبد الله لو لم يبق أحد إلا خالف علي بن أبي طالب **ﷺ** لما خالفته و لا زالت يدي مع يده و ذلك لأن عليا لم يزل مع الحق منذ بعث الله نبيه **ﷺ** فإني أشهد أنه لا ينبغي لأحد أن يفضل عليه أحدا فاجتمع عمار بن ياسر و أبو الهيثم و رفاع و أبو أيوب و سهل بن حنيف فتشاوروا أن يركبوا إلى علي **ﷺ** بالقناة فيخبروه بخبر القوم فركبوا إليه فأخبروه باجتماع القوم و ما هم فيه من إظهار الشكوى و التعظيم لقتل عثمان و قال له أبو الهيثم يا أمير المؤمنين انظر في هذا الأمر فركب بيلة رسول الله **ﷺ** و دخل المدينة و صعد المنبر فحمد الله و أنثى عليه و اجتمع أهل الخير و الفضل من الصحابة و المهاجرين فقالوا لعلي **ﷺ** إنهم قد كرهوا الأسوة و طلبوا الأثرة و سخطوا لذلك.

فقال علي **ﷺ** ليس لأحد فضل في هذا المال هذا كتاب الله بيننا و بينكم و نبيكم محمد **ﷺ** و سيرته ثم صاح بأعلى صوته يا معشر الأنصار أتمنون علي بإسلامكم بل لله و رسوله السن عليكم إن كنتم صادقين و قال أحمد تمنون على الله بإسلامكم ^(١) أنا أبو الحسن القرم.

(١) من قوله: «بل لله ورسوله المن» - إلى قوله - بإسلامكم» قد سقط عن الطبعة الكمباني من هذا الكتاب وأخذناه من أمالي الطوسي.

ونزل عن المنبر وجلس ناحية المسجد وبعث إلى طلحة والزبير فدعاهما ثم قال لهما ألم تأتياي وتبايعاني طائعين غير مكرهين فما أنكرتم أجور في حكم أو استيثار في شيء قالوا لا قال أو في أمر دعوتاني إليه من أمر المسلمين فقضت عنه قالوا معاذ الله قال فما الذي كرهتما مني حتى رأيتما خلافي قالوا خلافاً لك عمر بن الخطاب في القسم وانتقاصنا حقنا من الشيء جعلت حظنا في الإسلام كحظ غيرنا فيما أفاء الله علينا بسيوفنا ممن هو لنا فيء فسويت بيننا وبينهم.

فقال علي رضي الله أكبر اللهم إني أشهدك وأشهد من حضر عليهما أما ما ذكرتما من الاستيثار^(١) فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولا لي فيها محبة ولكنكم دعوتوني إليها وحملتوني عليها فكرهت خلافتكم فلما أنقضت إلي نظرت إلى كتاب الله وما وضع وأمر فيه بالحكم وقسم وسن رسول الله ﷺ فأمضيته ولم أحتج فيه إلى رأيكما ودخولكما معي ولا غيركما ولم يقع أمر جهلته فأتقوى فيه برأيكما ومشورتكما ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما إذا لم يكن في كتاب الله ولا في سنة نبينا ﷺ فأما ما كان فلا يحتاج فيه إلى أحد.

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه وجدت أنا وأنتما قد جاء به محمد ﷺ من كتاب الله فلم أحتج فيه إليكما قد فرغ من قسمه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وأما قولكما جعلتنا فيه كمن ضربناه بأسيفنا وأفاء الله علينا وقد سبق رجال رجالاً فلم يضرهم ولم يستأثرهم عليهم من سبقهم لم يضرهم حين استجابوا لربهم والله ما لكم ولا لغيركم إلا ذلك ألهمنا الله وإياكم الصبر عليه. فذهب عبد الله بن الزبير يتكلم فأمر به فوجئت عنقه وأخرج من المسجد فخرج وهو يصيح ويقول اردد إليه بيعته. فقال علي رضي الله عنه لست مخرجكما من أمر دخلتما فيه ولا مدخلكما في أمر خرجتما منه فقاما عنه وقالوا إنه ليس عندنا أمر إلا الوفاء قال فقال رضي الله عنه رأيت حقاً فأعان عليه أو رأي جوراً فردده وكان عوناً للحق على من خالفه^(٢).

بيان: يخرق به الصراط أي من الأعوام التي يخرق بها الصراط أي يقطع بها.

وفي النهاية قناتة واد من أودية المدينة عليه حرث ومال وزرع وقال في حديث علي رضي الله عنه أنا أبو حسن القرم أي المقدم في الرأي والقرم فحل الإبل.

أي أنا فيهم بمنزلة الفحل في الإبل. قال الخطابي وأكثر الروايات القوم بالوأو ولا معنى له وإنما هو بالراء أي المقدم في المعرفة وتجارب الأمور.

١٠- الكافية لإبطال توبة الخاطئة^(٣)، عن الحسين بن عيسى عن زيد عن أبيه قال حدثنا أبو ميمونة عن أبي بشير العائذي قال كنت بالمدينة حين قتل عثمان فاجتمع المهاجرون فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً رضي الله عنه فقالوا يا أبا الحسن هلم نبايعك قال لا حاجة لي في أمركم أنا بمن اخترتم راض قالوا ما نختار غيرك واختلقوا إليه بعد قتل عثمان مراراً.

١١- وعن إسحاق بن راشد عن عبد الحميد بن عبد الرحمن القرشي عن أبي أروى قال لا أحدنك إلا بما رأيته عيناى وسمعتة أذناى لما برز الناس للبيعة عند بيت المال قال علي رضي الله عنه لطلحة أبسط يدك للبيعة فقال له طلحة أنت أحق بذلك مني وقد استجمع لك الناس ولم يجتمعوا لي فقال علي رضي الله عنه لطلحة والله ما أخشى غيرك فقال طلحة لا تخشى فوالله لا تؤتى من قبلي أبداً فبايعه وبايع الناس.

١٢- وعن يحيى بن سلمة عن أبيه قال قال ابن عباس والذي لا إله إلا هو إن أول خلق الله عز وجل ضرب على يد علي بالبيعة طلحة بن عبيد الله.

١٣- وعن محمد بن عيسى النهدي عن أبيه عن الصلت بن دينار عن الحسن قال بايع طلحة والزبير علياً رضي الله عنه طائعين غير مكرهين.

(١) هذا الكلام يدل بالصراحة على أنهما ذكرا في جملة معاذيرهما قولهما: «إنا أعطيناك البيعة على أن تستشرنا ولا تستبدت بأمر دوننا» أو نحوه كما مر في رواية أبي جعفر الإسكافي، وقد سقطت هذه الفقرة هنا من هذا الكتاب ومن كتاب الأمالي أيضاً.

(٢) رواه الشيخ الطوسي في الحديث الأخير من المجلس: (٢٦) من المجلد الثاني من أماليه ص ٧٣٥.

(٣) هذا الكتاب من تأليف معلم الأئمة الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، ومع الفحص الأكيد عنه لم نظهر بعد به.

١٤- وعن عبيد الله بن حكيم بن جبير عن أبيه عن علي بن الحسين عليه السلام قال إن طلحة والزبير بايعا عليا.

١٥- وعن الحسن بن مبارك عن بكر بن عيسى قال إن طلحة والزبير أتيا عليا عليه السلام بعد ما بايعاه بأيام فقللا يا أمير المؤمنين قد عرفت شدة مثونة المدينة وكثرة عيالنا وأن عطاءنا لا يسعنا قال فما تريدان نفعل قالنا تعطينا من هذه المال ما يسعنا فقال اطلبوا إلى الناس فإن اجتمعوا على أن يعطوكما شيئا من حقوقهم فعلت قال لا لم تكن لتطلب ذلك إلى الناس ولم يكونوا يفعلوا لو طلبنا إليهم قال فأنا والله أخرى أن لا أفعل فانصرفا عنه.

١٦- وعن عمرو بن شمر عن جابر عن محمد بن علي عليه السلام أن طلحة والزبير أتيا عليا عليه السلام فاستأذناه في العمرة فقال لهما لعلكما تريدان الشام والبصرة فقالا اللهم غفرا ما ننوي إلا العمرة.

١٧- وعن الحسين بن مبارك عن بكر بن عيسى أن عليا أخذ عليهما عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ على أحد من خلقه أن لا يخالفا ولا ينكثا ولا يتوجها وجها غير العمرة حتى يرجعا إليها فأعطياه ذلك من أنفسهما ثم أذن لهما فخرجا.

١٨- وعن أم راشد مولاة أم هانئ أن طلحة والزبير دخلا على علي عليه السلام فاستأذناه في العمرة فأذن لهما فلما وليا و نزلا من عنده سمعتهما يقولان لا والله ما بايعناه بقلوبنا إنما بايعناه بأيدينا قالت فأخبرت عليا عليه السلام بمقالتهما فقال إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوِّغٌ لَهُ أَجْرًا عَظِيمًا^(١).

١٩- شا: [الإرشاد] من كلامه صلوات الله عليه حين تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر و سعد بن أبي وقاص و محمد بن مسلمة و حسان بن ثابت و أسامة بن زيد ما رواه الشعبي قال لما اعتزل سعد و من سمعناه أمير المؤمنين عليه السلام و توقفوا عن بيعته حمد الله و أثني عليه ثم قال^(٢):

أيها الناس إنكم بايعتموني على ما بويح عليه من كان قبلي و إنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم و إن علي الإمام الاستقامة و على الرعية التسليم و هذه بيعة عامة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام و اتبع غير سبيل أهله و لم تكن بيعتكم إياي فلتة و ليس أمري و أمركم واحدا و إني أريدكم لله و أنتم تريدونني لأنفسكم و إيم الله لأتصحن للخصم و لأتصفن للمظلوم و قد بلغني عن سعد و ابن مسلمة و أسامة و عبد الله و حسان بن ثابت أمور كرهتها و الحق بيني و بينهم.

بيان و إنما الخيار أي بزعمكم و على ما تدعون من ابتناء الأمر على البيعة لم تكن بيعتكم إياي فلتة تعريض ببيعة أبي بكر.

٢٠- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] في جمل أنساب الأشراف أنه قال الشعبي في خبر لما قتل عثمان أقبل الناس لعلي عليه السلام ليبايعوه و قالوا إليه فمدوا يده فكفها و بسطوها قبضها حتى يابعوها^{(٣)(٤)}.

٢١- و في سائر التواريخ أن أول من بايعه طلحة بن عبيد الله و كانت إصبعه أصيبت يوم أحد فشلت فبصرها أعرابي حين بايع فقال ابتداء هذا الأمر يد شلاء لا يتم ثم بايعه الناس في المسجد.

ويروى أن الرجل كان عبيد بن ذؤيب فقال يد شلاء و بيعة لا تتم و هذا عن البرقي في بيته:

ولقد تيقن من تيقن غدرهم
إذ مد أولهم يدا شلاء

٢٢- جلة بن سحيم عن أبيه أنه قال لما بويح علي عليه السلام جاء إليه المغيرة بن شعبة فقال إن معاوية من قد علمت قد ولاه الشام من كان قبلك فوله أنت كيما تنسق عرى الإسلام ثم اعزله إن بدا لك فقال أمير المؤمنين عليه السلام أئضمن لي

(١) اقتباس من الآية العاشرة من سورة الفتح: (٤٨).

١٩- رواه الشيخ المفيد في الفصل: (١٦) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٣٠. وللكتاب مصادر أخر يجدها الباحث في ذيل المختار: (٥٩) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٢٠٨ ط ٢.

(٢) ولذيل الكلام مصادر، وقد ذكره البلاذري بسندين في الحديث (٢٨٥) وما بعده من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٠٩-٢١٠.

٢٠- رواه ابن شهر آشوب إلى آخر الآيات المذكورة هنا في آخر قضايا الحكمين والخوارج من كتاب مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٧٥ ط الغري.

عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعته قال لا قال لا يسألني الله عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً و ما كنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَداً الخبر.

ولما بويع علي رضي الله عنه أنشأ خزيمة بن ثابت يقول:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا
وجدناه أولى الناس بالناس إنه
وإن قریشاً لا تشق غباره
ففيه الذي فيهم من الخير كله
وصي رسول الله من دون أهله
وأول من صلى من الناس كلهم
وصاحب كيش القوم في كل وقعة
فذاك الذي تشنى الخناصر باسمه
وقال أبو العباس أحمد بن عطية:

رأيت علياً خيراً من وطني الحضا
وصي رسول المرتضى وابن عمه
تخيره الرحمن من خير أسرة
إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا
وأكرم خلق الله من بعد أحمد
وفارسه المشهور في كل مشهد
لأظهر مولود وأطيب مولد
بسيبته بعد النبي محمد

بيان: أطب قریش أي أعلمهم ورجل طب بالفتح أي عالم تكون لها أي لشدة الواقعة نفس الشجاع وروحه للخوف منها عند الذن أي مشرقة على مفارقة البدن.

أقول: سيأتي في أعمال يوم النيروز عن المعلی بن خنيس عن أبي عبد الله رضي الله عنه أن اليوم الذي بويع فيه أمير المؤمنين ثانية كان يوم النيروز.

٢٣- نهج: [تهج البلاغة] ومن كلام له رضي الله عنه لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان دعوني و التمسوا غيري فإنما مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا يقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت والحجة قد تنكرت واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم و لم أصغ إلى قول القاتل و عتب العاتب و إن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً^(١).

تبيين:

المخاطبون بهذا الخطاب هم الطالبون للبيعة بعد قتل عثمان و لما كان الناس نسوا سيرة النبي و اعتادوا بما عمل فيهم خلفاء الجور من تفضيل الرؤساء و الأشراف لانتظام أمورهم و أكثرهم إنما تقموا على عثمان استبداده بالأموال كانوا يطمعون منه رضي الله عنه أن يفضلهم أيضاً في العطاء و التشريف و لذا نكث طلحة و الزبير في اليوم الثاني من بيعته و تقموا عليه التسوية في العطاء و قالوا آسيت بيننا و بين الأعاجم و كذلك عبد الله بن عمر و سعيد بن العاص و مروان و أضرابهم و لم يقبلوا ما قسم لهم فهؤلاء القوم لما طلبوا البيعة بعد قتل عثمان قال رضي الله عنه دعوني و التمسوا غيري إتماماً للحجة عليهم و أعلمهم باستقبال أمور لها وجوه و ألوان لا يصبرون عليها و أنه بعد البيعة لا يجيبهم إلى ما طمعوا فيه و لا يصغي إلى قول القاتل و عتب العاتب بل يقيمهم على المحجة البيضاء و يسير فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه و آله.

قوله: و إن الآفاق قد أغامت أي أظلمت بغيمة سنن أرباب البدع و خفاء شمس الحق تحت سحب شبه أهل الباطل و المحجة جادة الطريق و تنكرها تغييرها و خفاؤها قوله رضي الله عنه ركبت بكم أي جعلتكم راكبين و تركهم إياه عدم طاعتهم

له واختيار غيره للبيعة حتى لا تتم شرائط الخلافة لعدم الناصر كقوله عليه السلام في الشقشقية لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لأتيت حبلها على غاربها وليس الغرض ردعهم عن البيعة الواجبة بل إتمام للحجة وإبطال لما علم من ادعائهم الإكراه على البيعة كما فعل طلحة والزبير بعد النكت مع أن المرء حريص على ما منع والطبع نافر عما سورع إلى إجابته والوزير من يحمل عن الملك ثقل التدبير.

وقال ابن أبي الحديد ^(١) كما هو دأبه أن يأتي بالحق ثم عنه يحيد هذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره ويقولون إنه عليه السلام لم يكن منصوفا عليه بالإممة وإن كان أولى الناس بها لأنه لو كان منصوفا عليه لما جاز أن يقول دعوني والتمسوا غيري.

ثم ذكر تأويل الإمامية منه أن يسير فيهم بسيرة الخلفاء ويفضل بعضهم على بعض في العطاء أو بأن الكلام خرج مخرج التضجر والتسخط لأفعال الذين عدلوا عنه عليه السلام قبل ذلك للأغراض الدنيوية أو بأنه خرج مخرج التهكم كقوله تعالى **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** أي بزعمك ثم قال:

واعلم أن ما ذكره ليس بعيد لو دل عليه دليل فأما إذا لم يدل عليه دليل فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره. ولا يخفى على اللبيب أنه بعد الإغماض عن الأدلة القاهرة والنصوص المتواترة لا فرق بين المذهبين في وجوب التأويل ولا يستقيم الحمل على ظاهره إلا على القول بأن إمامته عليه السلام كانت مرجوحة وأن كونه وزيرا أولى من كونه أميراً وهو ينافي القول بالتفضيل الذي قال به فإنه عليه السلام إذا كان أحق الإمامة وبطل تفضيل المفصول على ما هو الحق واختاره أيضاً كيف يجوز للناس أن يعدلوا عنه إلى غيره وكيف يجوز لم عليه السلام أن يأمر الناس بتركه والعدول عنه إلى غيره مع عدم ضرورة تدعو إلى ترك الإمامة ومع وجود الضرورة كما جاز ترك الإمامة الواجبة بالدليل جاز ترك الإمامة المنصوص عليها فالتأويل واجب على التقديرين ولا نعلم أحداً قال بتفضيل غيره عليه ورجحان العدول إلى أحد سواه في ذلك الزمان.

على أن الظاهر للمتأمل في أجزاء الكلام حيث علل الأمر بالتناس الغير باستقبال أمر لا تقوم له القلوب وتنكر المحجة وأنه إن أجابهم حملهم على الحق هو أن السبب في ذلك المانع دون عدم النص وأنه لم يكن متعينا للإمامة أو لم يكن أحق وأولى به ونحو ذلك ولعل الوجه في قوله عليه السلام لعلي أسمعكم وأطوعمكم هو أنه إذا تولي الغير أمر الإمامة ولم تتم الشرائط في خلافته عليه السلام لم يكن ليعدل عن مقتضى التقية بخلاف سائر الناس حيث يجوز الخطأ عليهم.

وأما قوله فأنا لكم وزيرا خير لكم مني أميراً ففعل المراد بالخيرية فيه موافقة الغرض أو سهولة الحال في الدنيا فإنه عليه السلام على تقدير الإمامة وبسط اليد لا يجب عليه العمل بمحض الحق وهو يصعب على النفوس ولا يحصل به آمال الطامعين بخلاف ما إذا كان وزيرا فإن الوزير يشير بالرأي مع تجويز التأثير في الأمير وعدم الخوف ونحوه من شرائط الأمر بالمعروف ولعل الأمير الذي يولونه الأمر يرى في كثير من الأمور ما يطابق آمال القوم ويوافق أطماعهم ولا يعمل بما يشير به الوزير فيكون وزارته أوفق لمقصود القوم فالحاصل أن ما قصدتموه من بيعتي لا يتم لكم ووزارتي أوفق لغرضكم والغرض إتمام الحجة كما عرفت.

٢٤- ما: [الإمامي للشيخ الطوسي] الحسين بن عبد الله عن أحمد بن جعفر البرزقري عن حميد بن زياد عن العباس بن عبيد الله الدهقان عن إبراهيم بن صالح الأنماطي رفعه قال ^(٢):

لما أصبح أمير المؤمنين عليه السلام بعد البيعة دخل بيت المال ودعي بمال كان قد اجتمع فقسمة ثلاثة دنائير بين من حضر من الناس كلهم قدام سهل بن حنيف فقال يا أمير المؤمنين قد أعثقت هذا الغلام فأعطاه ثلاثة دنائير مثل ما أعطى سهل بن حنيف.

٢٥- نهج: [نهج البلاغة] ومن خطبة له عليه السلام قد طلع طالع ولع لامع ولاح لائح واعتدل مائل واستبدل الله يقوم قوماً ويوم يوماً وانتظرونا الغير انتظار المجدب المطر وإنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده ولا

(١) ذكره في شرح المختار: (٩١) من خطب نهج البلاغة من شرحه: ج ٢ ص ٥٩٧ طبع الحديث ببيروت.
(٢) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث الأخير من المجلس (٢٠) من المجلد الثاني من أماليه ص ٦٩٧.

يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه^(١).

وإن الله تعالى خصكم بالإسلام و استخلصكم له و ذلك لأنه اسم سلامة و جماع كرامة اصطفى الله تعالى منهجه و بين حججه من ظاهر علم و باطن حكم لا تغنى غرائبه و لا تنقصي عجائبه فيه مزايع النعم و مصابيح الظلم لا تفتح الخيرات إلا بمفاتحيه و لا تكشف الظلمات إلا بمصابيحهم قد أحصى حماه و أرعى مرعاه فيه شفاء المشتفي و كفاية المكتفي.

توضيح:

قيل هذه خطبة خطب بها ﷺ بعد قتل عثمان و انتقال الخلافة إليه و يمكن أن يكون المراد بطلوع الطالع ظهور إمرته و خلافته ﷺ و أن يشير بلموع اللامع إلى ظهورها من حيث هي حق له و سطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه و بلوح اللامع إلى الحروب و الفتن الواقعة بعد انتقال الأمر إليه.

و قيل المراد بالجميع واحد فيحتمل أن يكون المراد طلع ما كان طالعا فإن الخلافة كانت له ﷺ حقيقة أي طلع ظاهرا ما كان طالعا حقيقة كقوله ﷺ و اعتدل مائل أي الخلافة التي كانت مائلة عن مركزها أو أركان الدين القويم. و لعل انتظار الغير كناية عن العلم بوقوعه أو الرضى بما قضى الله من ذلك و المراد بالغير ما جرى قبل ذلك من قتل عثمان و انتقال الأمر إليه ﷺ أو ما سيأتي من الحروب و الوقائع و الأول أنسب.

قوله ﷺ قوام الله أي يقومون بمصالحهم و قيم المنزل هو المدير له و العرفاء جمع عريف و هو القيم بأمر القبيلة و الجماعة يلي أمورهم و يتعرف الأمير منه أحوالهم فيعمل بمعنى فاعل إلا من عرفهم أي بالإمامة و عرفوه أي بالتشيع و الولاية و منكرهم من لم يعرفهم و لم يقر بما أتوا به من ضروريات الدين فهو منكر لهم.

قوله ﷺ لأنه اسم سلامة أي الإسلام مشتق من السلامة و قال الجوهري جماع الشيء بالكسر جمعه يقال الخمر جماع الإثم و المزابيع الأمطار التي تجيء في أول الربيع فيكون سببا لظهور الكلأ و يقال أحميت المكان أي جعلته حمى. قال ابن أبي الحديد أحماه أي جعله عرضة لأن يحمى أي عرض الله سبحانه حماه و محارمه لأن يجتنب و أرعى مرعاه لأن يرعى أي مكن من الانتفاع بمواظله لأنه خاطبنا بلسان عربي مبين. و يمكن أن يقال المعنى جعل له حرمت و نهى عن انتهاكها أو ارتكاب نواهيه و تعدي حدوده و رخصا أباح للناس التمتع بها.

أو المراد بقوله ﷺ قد أحصى حماه منع المغيرين من تغيير قواعده و بقوله أرعى مرعاه مكن المطيعين من طاعته التي هي الأغذية الروحانية للصالحين كما أن النبات غذاء للبهائم.

٢٦- نهج: [نهج البلاغة] و من خطبة له ﷺ في أول خلافته أن الله تعالى أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير و الشر فخذوا نهج الخير تهتدوا و اصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرائض الفرائض أدوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة إن الله تعالى حرم حراما غير مجهول و أحل حلالا غير مدخول و فضل حرمة المسلم على الحرمة كلها و شد بالإخلاص و التوحيد حقوق المسلمين في معاقدها فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده إلا بالحق و لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب^(٢).

بادروا أمر العامة و خاصة أحدكم و هو الموت فإن الناس أمامكم و إن الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم اتقوا الله في عبادته و ببلاده فإنكم مسئولون حتى عن البقاع و البهائم. أطيعوا الله و لا تعصوه و إذا رأيتم الخير فخذوا به و إذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه.

بيان: و اصدفوا أي أعرضوا عن طريقه و القصد العدل و نصب الفرائض على الإغراء.

قوله ﷺ و شد بالإخلاص أي ربط الحقوق بها فأوجب على المخلصين الموحدون المحافظة على حقوق المسلمين.

(١) رواه الشريف الرضي في المختار: (١٥٠) من باب خطب نهج البلاغة.

(٢) ذكره السيد الرضي في المختار: (١٦٥) من باب خطب نهج البلاغة. و قريباً منه رواه أيضاً الطبري في أوائل حوادث سنة: (٣٥) من تاريخه.

قوله وخاصة أحدكم قال ابن أبي الحديد الموت وإن كان عاما لكل حيوان إلا أن له مع كل حيوان خصوصية وكيفية مخالفة مع غيره فإن الناس أمامكم أي سبقوكم إلى الموت وفي بعض النسخ البأس بالباء الموحدة مع الهزعة أي الفتنة تحدوكم أي تسوقكم والحداء سوق الإبل والغناء لها تخففوا أي بالفتنة من الدنيا باليسير وترك الحرص عليها وارتكاب المأثم فإن المسافر الخفيف أخرى بلحوق أصحابه وبالنجاة إنما ينتظر أي للبعث والنشور.

٢٧-فس: [تفسير القمي] أبي عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبد الله قال خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعد ما بويح له بخمسة أيام خطبة فقال واعلموا أن لكل حق طالبا ولكل دم ثائرا والطالب كقيام الثائر بدمائنا والحاكم في حق نفسه هو العدل الذي لا يحيف الحاكم الذي لا يجوز وهو الله الواحد القهار^(١).

واعلموا أن على كل شارع بدعة وزره ووزر كل مقتد به من بعده إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيئا وسينتقم الله من الظلمة مأكلا بمأكلا ومشرب بمشرب من لقم العلقم ومشارب الصبر الأدهم فليشربوا الصلب من الراح السم المذاف وليلبسوا دثار الخوف دهرًا طويلا ولهم بكل ما أتوا وعملوا من أفاريق الصبر الأدهم فوق ما أتوا وعملوا أما إنه لم يبق إلا الزمهرير من شتائهم وما لهم من الصيف إلا رقدة ويحبسهم وما توازروا وجمعوا على ظهورهم من الآثام.

فيا مطايا الخطايا ويا زور الزور وأوزار الآثام مع الذين ظلموا اسمعوا وعقلوا وتوبوا وابكوا على أنفسكم فسيغفر الله الذين ظلموا أي متقلب يتقلبون.

فأقسم ثم أقسم لتحملنها بنو أمية من بعدي وليعرفنها في دار غيرهم عما قليل فلا يبعد الله إلا من ظلم وعلى البادي يعني الأول ما سهل لهم من سبيل الخطايا مثل أوزارهم وأوزار كل من عمل بوزرهم إلى يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا شاء ما يوزون.

إيضاح: والطالب كقيام الثائر أي طلب الطالب للحق كقيام الطالب بدمائنا والثأر بالهزم الدم والطلب به وقاتل حميمك والثائر من لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره ذكره الفيروزآبادي والحاكم في حق نفسه ولعل المعنى أن في قتلنا حقا لنا وحقا لله تعالى حيث قتلوا حجته ووليّه والقائم بطلب حقا والله العادل يحكم في حق نفسه أن على كل شارع بدعة وزره شرع لهم كمنع سن وقوله وزره اسم إن وخبره الظرف المقدم أي يلزم مبدع البدعة ومحدثها وزر نفسه ووزر كل من اتدنى به من لقم العلقم اللقم جمع اللقمة والعلقم الحنظل وكل شيء مر والأديم الأسود فليشربوا الصلب أي الشديد الغليظ فإن شربه أعسر أو هو تصحيف الصلب بالهزعة يقال صبب من الشراب كفرح إذا روي وامتلا والصبب بالباء محركة بمعنى المصبوب والراح الخمر أطلق هنا تهكما والدوف الخلط والبل بماء ونحوه وقال الفيروزآبادي الفقرة السقاء الممتلئ لا يستطيع بمحض حتى يفرق والطائفة من الناس والجمع فرق وجمع الجمع أفاريق إلا الزمهرير من شتائهم أي لم يبق من شدائد الدنيا إلا ما أصابهم من تلك الشدة وليس لهم في ذلك أجر إلا رقدة بالهاء أي الإلانة وفي بعض النسخ بالفاء مع الضمير والرفد بالكسر العطاء والكسر والفتح القدر الضخم والحاصل أنه لم يبق لهم من راحة الدنيا إلا راحة قليلة ذهبت عنهم ويحبسهم ما توازروا أي يحبسهم يوم القيامة أوزارهم وفي بعض النسخ وما توازروا أي يحبسهم الله ويا زور الزور قال في القاموس الزورة الناقة التي تنظر بمؤخر عينها لشدها ولعل في بعض الفقرات تصحيقات.

٢٨-شا: [الإرشاد] مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه^(٢):

أما بعد فإن الله: لم يقصم جباري دهر قط إلا من بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر كسر عظم أحد من الأمم إلا من بعد

(١) رواه علي بن إبراهيم رفته الله مقامه في تفسير الآية: (٢٥) من سورة النحل من تفسيره: ج ١، ص ٣٨٤، ولقنات الكلام شواهد ومصادر ذكر بعضها في ذيل المختار: (٦٨) من باب خطب نهج السعادة: ج ١، ص ٢٣٥ ط ٢.

(٢) رواه الشيخ المفيد في الفضل: (٥٢) مما اختار من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد: ص ١٥٥.

أزل و بلاء أيها الناس و في دون ما استقبلتم من خطب و استدبرتم من عتب معتبر و ما كل ذي قلب بلييب و لا كل ذي سم سمسميع و لا كل ذي ناظر عين بصير.

ألا فأحسنوا النظر عباد الله فيما يعينكم ثم انظروا إلى عرصات من قد أباده الله بعلمه كانوا على سنة من آل فرعون أهل جثاتٍ و عُيُونٍ و زُرُوعٍ و مقام كَرِيمٍ فما هي عرصة المتوسمين و إِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مُقِيمٌ تنذر من يأتيها من الثبور بعد النضرة و السرور و مقيل من الأمن و الحبور و لمن صبر منكم العاقبة و لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ.

فواها لأهل العقول كيف أقاموا بمدرجة السيول و استضافوا غير مأمون.

ويسا لهذه الأمة الجائرة في قصدها الراغبة عن رشدِها لا يقتفون أثر نبي و لا يقتدون بعمل وصي و لا يؤمنون بغيب و لا يراعون من عيب كيف و مفزعهم في المبهمات إلى قلوبهم و كل امرئ منهم إمام نفسه أخذ منها فيما يرى برى ثقات لا يألون قصدا و لن يزدادوا إلا بعدا لشدة أنس بعضهم ببعضهم و تصديق بعضهم بعضا حيادا كل ذلك عما ورت الرسول و نغورا عما أدى إليه من فاطر السماوات و الأرضين العليم الخبير فهم أهل عشوات و كهوف شبهات قادة حيرة و ريبة ممن وكل إلى نفسه فاغروق في الأضاليل هذا.

و قد ضمن الله قصد السبيل ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُخْيِيَ مَنْ خَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ فيا ما أشبهها من أمة صدرت عن ولائها و رغيت عن رعائها.

و يا أسفا أسفا يكلم القلب و يمدن الكرب من فعلات شيعتنا بعد مهلكي على قرب مودتها و تأشب ألقتها كيف يقتل بعضها بعضا. و تحول ألقتها بغضا.

فله الأسرة المتزحزحة غدا عن الأصل المخيمة بالفرع المؤلمة الفتح من غير جهته المتوكفة الروح من غير مطلعها كل حزب منهم معتصم بغضن آخذ به أينما مال الفصن مال معه.

مع أن الله و له الحمد سيجمعهم كقرع الخريف و يؤلف بينهم و يجعلهم ركاما كركام السحاب يفتح الله لهم أبوابا يسيلون من مستشارهم إليها كسيل العرم حيث لم تسلم عليه قارة و لم تمنع منه أكمة و لم يرد ركن طود سننه يغرسهم الله في بطون أودية يسلكهم يتابع في الأرض ينفي بهم عن حرمان قوم و يمكن لهم في ديار قوم لكي لا يغتصبوا ما غصبوا يضعضع الله بهم ركتنا و ينقص بهم على الجنادل من إرم و يملأ منهم بطنان الزيتون.

الخيرة بل لله الخيرة و الأمر جميعا^(١).

بيان: قوله ﷺ إلى عرصات من قد أباده الله أي انظروا إلى ديار من قد أهلكه الله بعمله كالخلفاء الثلاثة خصوصا عثمان فما هي أي عرصات هؤلاء عرصة المتوسمين و المتفكرين في الدنيا و عواقبها المعترين بها و إِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مُقِيمٌ أي عرصاتهم و منازلهم على سبيلكم تنظرون إليها صباحاً و مساء تنذر تلك العرصة من بأنها معتبرا بلسان الحال بالويل و الثبور بعد ما كان أصحابها في النضرة و السرور و الحبور كالسرور لفظا و معنى.

و استضافوا أي طلبوا الضيافة أو قبلوها ممن لا يؤمن من الغدر و هو الدنيا.

ويسا لهذه الأمة قال الفيروزآبادي في القاموس و يس كلمة تستعمل في موضع رافة و استملاح للوصي و الويس الفقر.

و في بعض النسخ و يا لهذه الأمة أي يا قوم أعجبوا لهم لا يألون قصدا أي لا يقصرون في قصد الخيرات أو في طلب قصد السبيل و وسطه بزعمهم لكن لقصور علمهم لا يزيدون إلا بعدا.

و في بعض النسخ لا يأتون و هو أصوب و قد ضمن الله إشارة إلى قوله تعالى وَ عَلَى اللَّهِ قَسْدُ السَّبِيلِ فيا ما أشبهها^(٢) أي يا قوم ما أشبه هذه الأمة بأمة كذا تعريضا لهم و إعراضا عن التصريح بصور هذه الأعمال منهم.

(١) رواه الشيخ المفيد رحمه الله في الفصل: (٥٢) مما اختار من كلام أمير المؤمنين رحمه الله في كتاب الإرشاد ص ١٥٥.

(٢) وكان في أصلي مكتوب فوق هذه الجملة بين الأسطر: «قيام أشبهها».

والأظهر ما في الكافي فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها وفي الصباح تأشب القوم اختلطوا وانتشوا أيضا يقال جاء فلان فيمن تأشب إليه أي انضم إليه وقال تزرخ تتجى وقال خيم بالمكان أي أقام والتوكف الترقب والانتظار والحاصل أنهم تفرقوا عن أئمة الحق ولم ينصروهم وتعلقوا بالأغصان والفروع التي لا ينفع التعلق بها كمختار وأبي مسلم وزيد ويحيى وإبراهيم وأمثالهم^(١).

قوله عليه السلام سيجمعهم إشارة إلى اجتماعهم على أبي مسلم لدفع بني أمية والآت كضم النون الأسرب. قوله عليه السلام ولعل الله يجمع شيعتي إشارة إلى ظهور القائم عليه السلام وقد مر وسيأتي مزيد توضيح للخطبة عند إيرادها بسند آخر.

٢٩- ني: (الغيبة للنعماني) الكليني عن علي عن أبيه عن ابن محبوب عن يعقوب السراج وعلي بن رثاب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لما بويج أمير المؤمنين عليه السلام^(٢).

بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب خطبة ذكرها يقول فيها ألا إن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم والذي بعثه بالحق لتبليبلن بليلة ولتغرلن غربة حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سباقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم.

٣٠- نهج: [نهج البلاغة] دمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلثات حجره التقوى عن تقم الشبهات^(٣).

ألا وإن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه له ولتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم.

ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار.

ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمعتها فأوردتهم الجنة.

حق وباطل ولكل أهل فلتن أمر الباطل لتقدما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما أدبر شيء فأقبل.

بيان: الزعيم الكفيل أن من صرحت أي كشفت والمثلثات العقوبات وقم في الأمر وتقحه رمى بنفسه فيه والشبهات ما اشتبه حقيقته وحليته.

وقيل أراد بالشبهات ما يتوهم كونه حقا ثابتا باقيا من الأمور الزائلة الفانية وقد مر تفسير باقي الكلام في باب شكايتي عليه السلام.

٣١- نهج: [نهج البلاغة] وقال عليه السلام وقد قال له طلحة والزبير نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر فقال عليه السلام لا ولنكنكما شريكان في القوة والاستعانة وعونان على العجز والأود^(٤).

بيان: قال ابن أبي الحديد أي إذا قوى أمر الإسلام بي قويتما أنتما أيضا والاستعانة هنا الفوز والظفر وعونان على العجز والأود أي العوج.

وقال ابن ميثم رحمه الله أي على رفع ما يعرض منهما أو حال وجودهما إذ كلمة على تفيد الحال.

(١) ذكر المثال في القضية بالمختار وأبي مسلم ليس بصواب إذ كل ما قيل في حق المختار من جهات الضعف والإنحراف فهو من مفتريات شيعه بني أمية، وأما أبو مسلم فهو من شيعه بني العباس لا غير.

(٢) رواه النعماني في الحديث: (١٣٢) في باب: «ما يلحق الشيعة من التحصيل...» وهو الباب (١٢) من كتاب الغيبة ص ١٣٥ ط بيروت.

(٣) ذكره السيد الرضي في المختار: (١٦) من باب الخطب من نهج البلاغة ثم قال السيد إن في هذا الكلام الأدني من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان وإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقم بها لسان ولا يطلع فيها إنسان ولا يعرف ما أقوله إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها إلا العالمون.

(٤) ذكره السيد الرضي في المختار: (٢٠٢) من قصار نهج البلاغة.

وما ذكره المصنف عن ابن أبي الحديد، ذكره في شرح الكلام في ج ٥ ص ٤٨٨ ط الحديث ببيروت.

وروى ابن أبي الحديد أنه قال في جوابهما أما المشاركة في الخلافة فكيف يكون ذلك وهل يصح أن يدبر أمر الرعية إمامان و هل يجمع السيفان ويحك في غمد.

٣٢- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ لما عوتب على التسوية في العطاء أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه و الله لا أطور به ما سمر سمير و ما أم نجم في السماء نجما لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال لهم فكيف و إنما المال مال الله ثم قال ﷺ (١):

ألا و إن إعطاء المال في غير حقه تبذير و إسراف و هو يرفع صاحبه في الدنيا و يضعه في الآخرة و يكرمه في الناس و يهينه عند الله و لم يضع امرؤ ماله في غير حقه و عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم و كان لغيره ودهم فإن زلت به النعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشر خدين و ألام خليل.

٤٩
٣٧

إيضاح: قوله ﷺ أناأمروني أصله تأمروني فأسكنت الأولى و أدمغت لا أطور به أي لا أقر به أبدا و لا أدور حوله و قال الفيروز آبادي في القاموس السمر محركة الليل و حديثه.

و ما أفعله ما سمر السمير أي ما اختلف الليل و النهار و ما أم نجم أي قصد أو تقدم لأن النجوم لا تزال تتبع بعضها بعضا فلا بد فيها من تقدم و تأخر و لا يزال يقصد بعضها بعضا فإن زلت به النعل أي إذا عثر و افتقر و الخدين الصديق.

٣٣- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ لم تكن بيعتكم إياي فلتة و ليس أمري و أمركم واحدا إني أريدكم لله و أنتم تريدونني لأنفسكم أيها الناس أعينوني على أنفسكم و ايم الله لا أنصف المظلوم و لأقودن الظالم بخزائمه حتى أوردته منهل الحق و إن كان كارها (٢).

إيضاح: الفتنة الأمر يقع من غير تدبر و لا روية و فيه تعريض ببيعة أبي بكر كما روت العامة عن عمر أنه قال كانت بيعة أبي بكر فلتة و قى الله المسلمين شرها و من عاد إلى مثلها فاقتلوه.

و قوله ﷺ إني أريدكم الخطاب لغير الخواص من أصحابه ﷺ و المعنى أي أريد إطاعتكم إياي لله و تريدون أن تطيعوني للمنافع الدنيوية.

و قال الجوهري خزمت البعير بالخزامة و هي حلقة من شعر تجعل في ورة أنفه ليشد فيها الزمام.

٣٤- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ كلم به طلحة و الزبير بعد بيعته للخلافة و قد عتبا من ترك مشورتها و الاستعانة في الأمور بهما (٣).

٥٠
٣٧

لقد نعمتما سيرا و أرجأتما كثيرا ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حق دفعتما عنه و أي قسم استأثرت عليكما به أم أي حق رفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته أم أخطأت بابه و الله ما كانت لي في الخلافة رغبة و لا في الولاية إربة و لكنكم دعوتوني إليها و حملتموني عليها فلما أفضت إلي نظرت إلى كتاب الله و ما وضع لنا و أمرنا بالحقم به فاتبعته و ما استسن النبي ﷺ فاقتديته فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما و لا رأي غيركما و لم يقع حكم جهلته فأستشيركما و إخواني من المسلمين و لو كان ذلك لم أرغب عنكما و لا عن غيركما.

و أما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي و لا وليته هوى مني بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول الله ﷺ قد فرغ منه فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه و أمضى فيه حكمه فليس لكما و الله عندي و لا لغيركما في هذا عتبي أخذ الله بقلوبكم و قلوبنا إلى الحق و ألهما و إياكم الصبر.

رحم الله رجلا رأى حقا فأعان عليه أو رأى جورا فرده و كان عوننا بالحق على صاحبه.

توضيح: قال ابن الأثير في النهاية نعم فلان إذا بلغت به الكراهة حد السخط.

(١) ذكره السيّد الرضّي في المختار: (١٢٥) من نهج البلاغة.

وله مصادر آخر يجدها الباحث في ذيل المختار: (٢٧٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٥٣.

(٢) ذكره السيّد الرضّي رفع الله مقامه في المختار: (١٣٤) من نهج البلاغة.

(٣) ذكره السيّد الرضّي قدس الله نفسه في المختار: (٢٠٤) من نهج البلاغة.

وقال ابن أبي الحديد أي نعمتاً من أحوالي اليسير وتركنا الكثير الذي ليس لكما ولا لغيركما فيه مطعن فلم تذكرهما فهلا اغتفرتما اليسير للكثير وليس هذا اعتزافاً بأن ما تقماه موضع الطعن والعيب ولكنه على جهة الاحتجاج.

وقال ابن ميثم أشار باليسير الذي تقماه إلى ترك مشورتها وتسويتها لغيرهما في العطاء فإنه وإن كان عندهما صعباً فهو لكونه غير حق في غاية السهولة والكثير الذي أرجأه ما أخره من حقه ولم يؤتياه إياه.

وقيل يحتمل أن يريد أن الذي أبدياه وتقماه بعض ما في أنفسهما وقد دل ذلك على أن في أنفسهما أشياء كثيرة لم يظهرها والاستيثار الانفراد بالشيء ودفع الحق عنهما أعم من أن يصير إليه ﷺ أو إلى غيره أو لم يصير إلى أحد بل بقي بحاله في بيت المال والاستيثار عليهما به هو أن يأخذ حقهما لنفسه وجهل الحكم أن يكون الله قد حكم بحرمة شيء فأحله الإمام وجهل الباب أن يصيب في الحكم ويخطئ في الاستدلال أو يكون جهل الحكم بمعنى التحير فيه وأن لا يعلم كيف يحكم والخطأ في الباب أن يحكم بخلاف الواقع والإربة بالكسر الحاجة والأسوة بالضم والكسر القدوة أي أسوتكما بغيركما في العطاء ويقال للأمر الذي لا يحتاج إلى تكميل مفروغ منه والعنتى الرجوع من الذنب والإساءة.

٣٥- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ في وصف بيعته بالخلافة و بسطتم يدي فكفتها ومددتموها فقبضتها ثم تداكمت علي تذاك الأبل الهميم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقطت الرداء وطئ الضعيف بلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكعاب^(١).

بيان تداكمت أي ازدحمت ازدحاماً شديداً يدك بعضكم بعضاً والدك الدق والهميم العطاش وقال الجوهرى الهدجان مشية الشيخ وهدج الظلم إذا مشى في ارتعاش وحسرت أي كشفت عن وجهها حرصاً على حضور البيعة والكعاب بالفتح المرأة حين تبدو ثديها للنهود وهي الكاعب وجمعها كواعب ذكره ابن الأثير في كتاب النهاية.

٣٦- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك يزعم أنه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد أقر بالبيعة وادعى الوليجة فليأت عليها بأمر يعرف وإلا فليدخل فيما خرج منه^(٢).

بيان: الوليجة البطانة والأمر يسر ويكنم قال ابن أبي الحديد كان الزبير يقول بايعت بيدي لا بقلبي وكان يدعي تارة أنه أكره عليها وتارة يدعي أنه ورى في البيعة تورية فقال ﷺ بعد الإقرار لا يسمع دعوى بلاينة ولا برهان.

٣٧- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ وقد أرعدوا وأبرقوا ومع هذين الأمرين الفشل ولنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر^(٣).

بيان: يقال أرعد الرجل وأبرق إذا تودع وتهدد قوله ﷺ حتى نوقع لعل المعنى لسا نهدد حتى نعلم أننا سنوقع قوله ﷺ حتى نمطر أي إذا أوقعنا بخصمنا أوعدنا حينئذ بالإيقاع غيره من خصومنا.

٣٨- نهج: [نهج البلاغة] ومن خطبة له ﷺ ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وإن معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وإيم الله لأقرن لهم حوضاً أنا ماته لا يصدرون عنه ولا يعودون إليه.

(١) ذكره السيّد قدّس سرّه في المختار: (٢٢٧) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) للكلام شواهد كثيرة بعضها مذكور في الحديث: (٢٥٢) من ترجمة علي من أنساب الأشراف.

(٣) رواها السيّد الرضّي في المختار: (٨ - ١٠) من الباب الأول من نهج البلاغة.

(٤) رواها السيّد الرضّي في المختار: (٨ - ١٠) من الباب الأول من نهج البلاغة.

بيان قال ابن ميثم هذا الفصل ملتقط وملفق من خطبة له ﷺ لما بلغه أن طلحة والزبير خلعا بيعته و هو غير منتظم والرجل جمع راجل.

وقال ابن أبي الحديد في قوله لأفرطن لهم من رواها بفتح الهمة فأصله فرط ثلاثي يقال فرط القوم سبقهم ورجل فرط يسبق القوم إلى البئر فيهيئ لهم الأرضية والدلاء ومنه قوله أنا فرطكم على الحوض ويكون التقدير لأفرطن لهم إلى حوض فحذف الجار وعدي الفعل بنفسه كقوله تعالى ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ ويكون اللام في لهم إما للتقوية كقوله يؤمن للمؤمنين أي يؤمن المؤمنون أو يكون اللام للتعليل أي لأجلهم.

ومن رواها لأفرطن بضم الهمة فهو من قولهم أفرط المزادة مألهاً والماتح بالياء المستقي من قولهم متح يمتح بالفتح والماتح بالياء الذي ينزل إلى البئر فيملأ الدلو وقال معنى قوله أنا ماتحه أي أنا خير به كما يقول من يدعي معرفة الدار أنا باني هذه الدار وحاصل المعنى لأملأن لهم حياض حرب هي من دريتي وعادتي أو لأسبقنهم إلى حياض حرب أنا متدرب بها مجرب لها إذا وردوها لا يصدرن عنها يعني قتلهم وإزهاق أنفسهم ومن فر منها لا يعود إليها.

٣٩- نهج: إنهج البلاغة ومن خطبة له ﷺ ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه واستجلب جلبه ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل في نصابه^(١).

والله ما أنكروا علي منكروا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه فلتن كنت شريكهم فيه فإن لهم نصيبهم منه.

ولئن كانوا ولوه دوني فما التبعة إلا عندهم وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم يرتضعون أما قد قطعت ويحيون بدعة قد أميتت يا خيبة الداعي من دعا وإلى ما أجيب وإني لراض بحجة الله تعالى عليهم^(٢) وعلمه فيهم فإن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من الباطل وناصرا للحق.

ومن العجب بعثهم إلي أن أبرز للطعان وأن أصبر للجلاذ هبلتهم الهول لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب وإني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني.

بيان: قوله ﷺ قد ذمر يروى بالتخفيف والتشديد وأصله الحث والترغيب والجلب الجماعة من الناس وغيرهم يجمع ويؤلف.

قوله ﷺ ليعود الجور إلى أوطانه يروى ليعود الجور إلى قطابه والقطاب مزاج الخمر بالماء أي ليعود الجور متمتزا بالعدل كما كان ويجوز أن يعني بالقطاب قطاب الجيب وهو مدخل الرأس فيه أي ليعود الجور إلى لباسه وثوبه والنصاب الأصل والذي أنكروه قتل عثمان والنصف بالكسر الاسم من الإنباف.

قوله ﷺ يرتضعون أما أي يطلبون الشيء بعد فواته لأن الأم إذا قطعت ولدها فقد انقضى رضاعها ولعل المراد به أن طلبهم لدم عثمان لغو لا فائدة فيه.

وقال ابن ميثم استعار لفظة الأم للخلافة فيبث المال لبنها والمسلمون أولادها المرتضعون وكنى بارتضاعهم لها عن طلبهم منه ﷺ من الصلاة والتفضيلات مثل ما كان عثمان يصلهم وكونها قد قطعت عن منعه ﷺ وقوله يحيون بدعة قد أميتت إشارة إلى ذلك التفضيل فيكون بمنزلة التأكيد للقرينة السابقة.

ويحتمل أن يكون المراد بالأم التي قد قطعت ما كان عاداتهم في الجاهلية من الحماية والغضب وإثارة الفتن وبفطامها اندراسها بالإسلام فيكون ما بعده كالتفسير له.

(١) رواه السيّد الرضی فی المختار: (٢٢) من الباب الأول من نهج البلاغة، وللکلام مصادر وشواهد أخر يجدها الباحث فی المختار: (٧٩) -

(٩٣) من کتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٢٥٨ و ٣٠٢ و ط ٢.

(٢) کذا فی أصلي وفي غير واحد مما عندي من نسخ نهج البلاغة: «بحجة الله عليهم...».

و البدء في قوله يا خيبة الداعي كالنداء في قوله تعالى ﴿يَا حَشْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ أي يا خيبة احضري فهذا أوانك والداعي هو أحد الثلاثة طلحة والزبير وعائشة ثم قال على سبيل الاستحغار لهم من دعا وإلى ما أجيب أي أحقر يقوم دعاهم هذا الداعي وأقبح بالأمر الذي أجابوه إليه فما أفحشه وأرذله.

وقال الجوهرى هبلته أمه بكسر الباء أي ثكلته والهول من النساء الثكول.

قوله ﷺ لقد كنت قال ابن أبي الحديد أي ما زلت لا أهدد بالحرب والواو زائدة وهذه كلمة فصيحة كثيرا ما يستعملها العرب وقد ورد في القرآن العزيز كان بمعنى ما زال في قوله وَكَانَ اللَّهُ غَلِيظًا حَكِيمًا.

٤٠- أقول: قال ابن ميثم رحمه الله بعد إيراد تلك الفقرات أكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا أنه ﷺ خطبها حين بلغه أن طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه زيادة ونقصان ونحن نوردتها بتمامها وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله (١).

أيها الناس إن الله افترض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره والله ما صلحت دين ولا دنيا إلا به وقد جمع الشيطان حزبه واستجلب خيله ومن أطاعه ليعود له دينه وسنته وخدعه وقد رأيت أمورا قد تمخضت.

والله ما أنكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وإنهم ليطالبون حقا تركوه ودما سفكوه فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم لنصيبهم منه وإن كانوا لولوه دوني فما الطلبة إلا قبيلهم وإن أول عدلهم لعلى أنفسهم ولا أعذر مما فعلت ولا أتبرأ مما صنعت وإن معي لصيرتي ما لبست ولا ليس علي وإنها للفتنة الباغية فيها الحم والحمة طالت جلبيتها وانكفت جونتها ليعودن الباطل إلى نصابه.

يا خيبة الداعي لو قيل ما أنكر من ذلك وما إمامه وفيمن سنته وفيما سنته والله إذا لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه وما أظن الطريق له فيه واضح حيث نهج.

والله ما تاب من قتلوه قبل موته ولا اتصل عن خطيئته وما اعتذر إليهم فعذروه ولا دعا فنصروه.

وإيم الله لأفرطن لهم حوزا أنا ماته لا يصدرون عنه بري ولا يعيون حسوة أبدا وإنها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم وإني داعيهم لمعذر إليهم فإن تابوا وقبلوا وأجابوا وأتابوا فالتوبة مبدولة والحق مقبول وليس علي كفيل وإن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به شاقيا من باطل وناصر لمؤمن ومع كل صحيفة شاهداه وكتابتها.

والله إن الزبير وطلحة وعائشة ليعلمون أنني على الحق وهم مبطلون.

وقال رحمه الله تمخضت تحركت والتبعة ما يلحق الإنسان من درك والحم يفتح وتشديد الميم بقية الآية التي أذيت وأخذ دهنها والحمة السواد وهما استعارتان لأراذل الناس وعوامهم لمشابهتهم حم الآية وما أسود منها في قلة المنفعة والخير والجلبة الأصوات وجونتها بالضم سوادها وانكفت واستكفت أي استدارت وزاح وانزاح تنحى وتنصل من الذنب تبرأ منه والعب الشرب من غير مص والحسوة بضم الحاء قدر ما يحسى مرة واحدة والجلاد المضاربة بالسيف والهول الثكلي والهبل الثكل.

واعلم أنه ﷺ به أولا على فضل الجهاد لأن غرضه استفادهم لقتال أهل البصرة وقوله وقد رأيت أمورا إشارة إلى تعيين ما يستغفرونهم إليه وهو ما يحس به من مخالفة القوم وأهبتهم لقتاله وقوله والله ما أنكروا إشارة إلى بطلان ما ادعوه منكرا ونسبوه إليه من قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه فأنكر أولا إنكارهم عليه تخلفه عن عثمان الذي زعموا أنه منكر ولما لم يكن منكرا كان ذلك الإنكار عليه هو المنكر.

وقوله وإنهم ليطالبون إشارة إلى طلبهم لدم عثمان مع كونهم شركاء فيه.

روى الطبري في تاريخه (٢) أن عليا كان في ماله بخير لما أراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة والناس

(١) رواه كمال الدين ابن ميثم رفع الله مقامه في شرح المختار: (٢٢) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٣٣ ط بيروت.

(٢) ذكره الطبري في الحديث: (٩) من عنوان: «خلافة أمير المؤمنين علي...» في حوادث سنة (٣٥) من تاريخه: ج ٤ ص ٤٣٠.

مجتمعون على طلحة في داره فبعث عثمان إليه يشكو أمر طلحة فقال أنا أكفيكه فانطلق إلى دار طلحة و هي مملوءة بالناس فقال له يا طلحة ما هذا الأمر الذي صنعت بعثمان فقال طلحة يا أبا الحسن أبعد أن مس الحزام الطيبين.

فانصرف علي^{عليه السلام} إلى بيت المال فأمر بفتحته فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب و فرق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده فسر عثمان بذلك و جاء طلحة إلى عثمان فقال له يا أمير المؤمنين إني أردت أمراً فحال الله بيني و بينه و قد جئتكم ثانيا فقال و الله ما جئت ثانيا و لكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة.

وروى الطبري أيضا أنه كان لعثمان على طلحة خمسون ألفا فقال له طلحة يوما قد تهيأ مالك فاقضه فقال هو لك معونة على مروتك فلما حصر عثمان قال علي^{عليه السلام} لطلحة أنشدك الله إلا كفت عن عثمان فقال لا و الله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسهم فكان علي بعد ذلك يقول لحا الله ابن الصعبة أعطاء عثمان مثل ما أعطاء و فعل به ما فعل.

وروي أن الزبير لما برز لعلي^{عليه السلام} يوم الجمل قال له ما حملك يا أباعبدالله على ما صنعت قال أطلب بدم عثمان فقال له أنت وطلحة ولبنما و إنما توبتكم من ذلك أن تقدم نفسك وتسلمها إلى ورثته. وبالجمله فدخلوهم في قتل عثمان ظاهر.

قوله^{عليه السلام} وإن أول عدلهم أي إن العدل الذي يزعمون أنهم يقيمونه في الدم المطلوب ينبغي أن يصنعوه أولا على أنفسهم.

قوله و لا أعتذر أي الاعتذار الذي فعلته في وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير في الذي يوجب الاعتذار والتبرؤ منه.

وقوله^{عليه السلام} طالت جلبتها كناية عما ظهر من القوم من تهديدهم و توعدهم بالقتال و انكفت جونتها أي استدار سوادها و اجتمع كناية عن تجمع جماعتهم لما يقصدون.

وقوله^{عليه السلام} ليعودن توعد لهم يعود ما كانوا عليه من الباطل في الجاهلية و استنقار إلى القتال.

وقوله^{عليه السلام} يا خيبة الداعي خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاء إلى قتاله و من دعا و إلى ما أوجب استفهام على سبيل الاستحقار للمدعويين لقتاله و المناصرين إذ كانوا عوام الناس و رعايهم و للمدعو إليه و هو الباطل الذي دعوا لنصرته.

وقوله لو قيل إلى قوله و انقطع لسانه متصله معناه و لو سأل سائل مجادلا لهؤلاء الدعاة إلى الباطل عما أنكروه من أمري و عن إمامهم الذي به يقتدون و فيمن سنتهم التي إليها يرجعون لشهد لسان حالهم بأنني أنا إمامهم و في سنتهم فانزاح باطلهم الذي أتوا به و انقطع لسانه على الاستعارة أو بحذف المضاف أي لسان صاحبه.

و قوله و ما أظن عطف على قوله و انقطع لسانه و واضح مبتدأ و فيه خبره و الجملة في محل النصب مفعول ثان لأظن أي ما أظن لو سأل السائل عن ذاك أن الطريق الذي يرتكبه المجيب له فيه مجال بين و مسلک واضح حيث سلك بل كيف توجه في الجواب انقطع و قوله و الله ما تاب إلى قوله فنصروه إشارة إلى عثمان و ذم لهم من جهة طلبهم بدم من اعتذر إليهم قبل موته فلم يعذروه و دعاهم إلى نصرته في حصاره فلم ينصروه مع تمكنهم من ذلك.

وقوله و لا يعبون حسوة كناية عن عدم تمكنه لهم من هذا الأمر أو شيء منه.

وقوله و إنها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم نفسي منصوب بدلا من الضمير المتصل بأن أو بإضمار فعل تفسير له و حجة الله إشارة إلى الأوامر الصادرة بقتل الفئة الباغية كقوله تعالى ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نِيٍّ﴾ أي إني راض بقيام حجة الله عليهم و علمه بما يصنعون.

وقوله و ليس علي كليل أي لا أحتاج فيما أبذله لهم من الصنع والأمان على تقدير إنابتهم إلى ضامن و شافيا ناصرنا منصوبان على التميز.

وقوله ومع كل صحيفة الواو للحال أي إنهم إن لم يرجعوا أعطيتهم حد السيف والملائكة الكرام الكاتبون يكتب كل منهم أعمال من وكل به في صحيفته ويشهد بها في محفل القيامة انتهى.

قوله أي ابن ميثم رحمه الله من اعتذر إليهم الظاهر أنه حمل الكلام على الاستفهام الإنكاري ويحتمل وجه آخر بأن يكون المراد نفي توبته وتصله واعتذاره ودعوته فيستحق النصرة لكن ما ذكره أوفق بالأخبار والضمير في أنها يحتمل أن يكون للقصّة.

٤١- أقول: قال ابن أبي الحديد^(١) روى أبو مخنف عن مسافر بن غفيل بن أبي الأخنس قال لما رجعت رسل علي عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذونه بالحرب قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال: أيها الناس إنني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرجعوا أو يرجعوا ويختهم بنكتهم وعرفتهم بغيبهم فلم يستجيبوا وقد بعثوا إلي أن أبرز للطعان وأصبر للجلاذ إنما تمنيت نفسك أمني الباطل وتعذ الغرور.

ألا هيلتهم الهول لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب ولقد أنصف القارة من رامها فليعدوا وليبرقوا فقد رأوني قديما وعرفوا نكايتي فقد رأوني أنا أبو الحسن الذي فللت حد المشركين وفرقت جماعتهم وبذلك القلب ألقى عدوي اليوم وإني لعلى ما وعدني ربي من النصر والتأييد وعلى يقين من أمري وفي غير شبهة من ديني. أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيد ولا محيص من لم يقتل مات وإن أفضل الموت القتل والذي نفس علي بيده لآلف ضربة بالسيف أهون من موة واحدة على الفراش.

اللهم إن طلحة نكت بيعتي وألب على عثمان حتى قتله ثم عضهني به ورماني اللهم فلا تمهله.

اللهم إن الزبير قطع رحمي ونكت بيعتي وظاهر علي عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت.

٤٢- قال وروى أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن جنادة قال قدمت من الحجاز أريد العراق في أول إمارة علي فمررت بمكة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس وخرج علي عليه السلام متقلدا سيقه فخصت الأبصار نحوه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال: أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأوليائه دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطعم في حقنا طامع إذا تنزى لنا قوما ففصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقا يطعم فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل فيبكت الأعين منا لذلك وخشت الصدور وجزت النفوس.

وأيما الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه فولى الأمر ولهم لا يألو الناس خيرا ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شئنا مني لأمركم وفراصة تصدقني عما في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع تعلمون ذلك وقد نكتنا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم.

اللهم فخذهما بما عملا أخذة رابية ولا تنعش لهما صرعة ولا تقلهما عثرة ولا تمهلما فوفا فإنهما يطلبان حقا تركاه ودماء سفكاه.

اللهم إني اقتضيتك وعدك فإنك قلت وقولك الحق لمن بغى عليه لينصرته الله اللهم فأنجز لي موعدتي ولا تكلني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير ثم نزل.

٤٣- وروى الكلبي قال لما أراد علي عليه السلام المسير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله:

إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثو عهد بالإسلام والدين يمحض مخض الوطى يفسده أدنى وهن ويعكسه أقل خلق.

(١) رواه ابن أبي الحديد مع الخطبة التالية في شرح المختار: (٢٢) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ط الحديث ببيروت.

فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهدا ثم انتقلوا إلى دار الجزاء والله ولي تمحيص سيناتهم والعفو عن هفواتهم فما بال طلحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل لم يصبرا علي حولا ولا شهرا حتى وثبا ومقا و نازعاني أمرا لم يجعل الله لهما إليه سبيلا بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أما قد قطعت و يحييان بدعة قد أُميت آدم عثمان زعما يطالبان والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم وأنا راض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم فإن فاء و أنابا فحفظهما أحرزا وأنفسهما غنما وأعظم بها غنيمة وإن أبيا أعطيتهما حد السيف وكفى به ناصرا لحق وشافيا من باطل.

ثم نزل.

٤٤- وروى أبو مخنف عن زيد بن صوحان قال شهدت عليا عليه السلام بذي قار وهو معتم بعمامة سوداء ملتف بساج يخطف فقال في خطبته:

الحمد لله على كل أمر وحال في الغدو والآصال وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ابتعثه رحمة للعباد وحياء للبلاد حين امتلأت الأرض فتنة واضطرب حبيلها وعبد الشيطان في أكنافها واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفاها الله به نيرانها وأحمد به شرارها ونزع به أوتادها وأقام به ميلها أمام الهدى والنبي المصطفى صلى الله عليه وآله فلقد صدع بما أمره به وبلغ رسالات ربه فأصلح الله به ذات البين وآمن به السبل وحقق به الدماء وألف به بين ذوي الضغائن الواغرة في الصدور حتى آتاه اليقين ثم قبضه الله إليه حميدا.

ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده ثم استخلف الناس عثمان فتنازل منكم ولتم منه حتى إذا كان من أمره ما كان أتيتوني لتبايعوني فقلت لا حاجة في ذلك ودخلت منزلي فاستخرجتوني فقبضت يدي فبسطتموها وتداكمت علي حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعض فبايعتوني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل وقد علم الله سبحانه أنني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد صلى الله عليه وآله ولقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول ما من وال يلي شيئا من أمر أمتي إلا أتني به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه على رءوس الخلائق ثم ينشر كتابه فإن كان عادلا نجا وإن كان جائرا هوى حتى اجتمع علي ملاؤكم وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في أوجههما والتكث في أعينهما ثم استأذنانني في العمرة فأعلمتهما أن ليسا العمرة يريدان فسارا إلى مكة واستخفا عائشة وخدعاها وشخص معهما أبناء الطلقاء قدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر. ويا عجبا لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما علي وهما يعلمان أنني لست دون أحدهما ولو شئت أن أقول لقلت. ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عني وخرجا يوهمان الطغام والأعراب أنهما يطلبان بدم عثمان.

والله ما أنكرنا علي منكرا ولا جعلنا بيني وبينهم نصفا وإن دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب منهما. يا خيبة الداعي إلى م دعا وبما ذا أجيب والله إنهما لعلى ضلالة صماء وجهالة عمياء وإن الشيطان قد ذمر لهما حربه واستجلب منهما خيله ورجله ليعيد الجور إلى أوطانه ويرد الباطل إلى نصابه.

ثم رفع يديه فقال اللهم إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني وأبا علي ونكتا بيعتي فاحلل ما عقدا وانكث ما أبرما ولا تغفر لهما أبدا وأرهما المساءة فيما عملا وأملا.

قال أبو مخنف فقام إليه الأشتر فقال الحمد لله الذي من علينا فأفضل وأحسن إلينا فأجمل قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين ولقد أصبت ووقت وأنت ابن عم نبينا وصهره وصيه وأول مصدق به ومصل معه شهدت مشاهدة كلها فكان لك الفضل فيها على جميع الأمة فمن اتبعك أصاب حظها واستبشر بفلقها ومن عصاك ورغب عنك فإلى أمه الهاوية لعمري يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثت ولا جور صنعت فإن زعما أنهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما فإنهما أول من ألب عليه وأغرى الناس بدمه وأشهد الله لئن لم يَدْخِلَا فيما خرجا منه لالتحقتهم بعثمان فإن سيوفنا في عواتقنا وقلوبنا في صدورنا ونحن اليوم كما كنا أمس ثم قعد.

توضيح: ارعوى عن القبيح أي كف وقال الجوهري القارة قبيلة سمو قارة لاجتماعهم والتفافهم لما أراد ابن السداح أن يفرقهم في بني كنانة وهم رماه وفي المثل أنصف القارة من رامها وقال الجوهري نكيت في العدو نكاية إذا قتلت فيهم وجرحت وقال عضه عضها رماه بالهتان وقال التنزي التوثب والتسرع وفي بعض النسخ إذا تبرى أي اعترض وهو أصوب والسوقة خلاف الملك قوله ﷺ لم يألو الناس خيرا فيه تقية ومصلحة قال الجوهري ألا يألو من باب دعا أي قصر وفلان لا يألوك نصحا أي لا يقصر في نصحك.

وقال قال الفراء في قوله تعالى ﴿أَخَذَ زَابِيَهُ﴾ أي زائدة كقولك أربيت إذا أخذت أكثر مما أعطيت وقال الفواق ما بين الحلبتين من الوقت لأنهما تحلب ثم تترك سوية يرضعها الفصيل لتند ثم تحلب يقال ما أقام عنده إلا فوفا قوله ﷺ لمن بغى عليه أي قال في حق من بغى عليه والمقول لينصره الله والآية هكذا ﴿وَمَنْ غَاقَبَ بِمِثْلِ مَا غَوَّيْتُمْ بِمِثْلِ غَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ والوطب بالفتح الرق الذي يكون فيه السمن واللبن. والمراد بالخلق إما قدم اللبن.

ومضي زمان عليه أو خلق الرق فإنه يفسد اللبن وأعظم بها للتعجب أي ما أعظمها والجذل بالتحريك الفرخ لمعصوب بهما أي مشدود عليهما.

٤٥- نهج: إنهج البلاغة | ومن كتاب له ﷺ إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة وقد بلغه تشبيطه الناس عن الخروج إليه لما نذبهم لحرب أصحاب الجمل^(١)؛

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك فإذا قدم عليك رسولي فارفع ذلك واشدد مثرك وأخرج من جحرك واندب من معك فإن حققت فانفذ وإن تفشلت فأبعد وإيم الله لتؤتين حيث أنت ولا تترك حتى تخطئ زيدك بخاترك وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من أمامك كحذر من خلفك وما هي بالهويث التي ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جعلها ويذل صعبها ويسهل جبلها فاعقل عقلك وأملك أمرك وخذ نصيبك وحظك فإن كرهت ففتح إلى غير رحب ولا في نجاة فيالبحري لتكفين وأنت نائم حتى لا يقال أين فلان والله إنه لحق مع محق وما يبالي ما صنع الملحدون والسلام.

بيان: هو لك وعليك قال ابن أبي الحديد فإن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة إن عليا إمام هدى وبيعتة صحيحة إلا أنه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة انتهى.

وأقول كون هذا الكلام له وعليه لاشتماله على الحق والباطل والحق ينفعه والباطل يضره أو ظاهر الكلام له تستحسنه العوام وباطنه حجة عليه إذ بعد الإقرار بصحة البيعة لا مجال للأمر بالمخالفة أو ظن أن هذا الكلام ينفعه وفي الواقع يضره أو ينفعه في الدنيا ويضره في القبي.

والأمر برفع الذيل وشد المثز كناية عن الاهتمام في الأمر والخروج من الجحر استهانة به حيث جعله ثعلبا أو ضعا والجحر بالضم كل شيء تحفره السباع والهوام لأنفسها قوله ﷺ فإن حققت أي أمرك مبني على الشك فإن حققت لزوم طاعتي فانفذ أي فسر حتى تقدم علي وإن أقممت على الشك فاعتزل العمل أو إن أنكرت الطاعة فآظهر إنكارك واعمل بمقتضاه.

والخاتر اللبن الغليظ والزبد خلاصة اللبن وصفوته يقال للرجل إذا ضرب حتى أثخن ضرب حتى خلط زبده بخاتره وذائبه بجامده كأنه خلط ما رق ولطف من أخلاطه بما كثف وغلظ منها وهذا مثل ومعناه ليفسد حالك وليضطربن ما هو الآن منتظم من أمرك والقعدة بالكسر هيئة القعود كالحلية والركبة.

قوله وتحذر من أمامك قيل كناية عن غاية الخوف وإنما جعل ﷺ خوفا وقيل حتى تخاف من الدنيا كما تخاف من الآخرة ويحتمل أن يكون المعنى حتى تحذر من هذا الأمر الذي أقبلت إليه و

(١) وهذا هو المختار: (٦٣) من الباب الثاني - وهو باب الكتب - من نهج البلاغة. وما ذكره المصنف بعد عن ابن أبي الحديد ذكره في أول شرحه على هذا الكتاب.

أفدمت عليه وهو تثبيط الناس عن الجهاد كما تحذر مما خلفته وراء ظهره ولم تقدم عليه وهو الجهاد.

وقال ابن أبي الحديد أي بأنكم أهل البصرة مع طلحة وأنكم بأهل المدينة والحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم ومن خلفكم.

وقال في قوله ﷺ وما بالهون أي ليست هذه الداهية بالشيء الهين الذي ترجو اندفاعه بسهولة فإن قصد الجيوش الكوفة من كلا الجانبين أمر صعب المرام فإنه ليركبن أهل الحجاز وأهل البصرة هذا الأمر المستصعب لأننا نحن نطلب أن نملك الكوفة وأهل البصرة كذلك فيجتمع عليها الفريقان.

وقال ابن الأثير في النهاية الهون الرفق واللين والتثبت والهون تصغير الهوني تأنيث الأهون.

وقوله فاعقل عقلك يحتمل المصدر وقيل هو مفعول به وخذ نصيبك وحظك أي من طاعة الإمام و ثواب الله وقيل أي لا تتجاوز إلى ما ليس لك فإن كرهت فتنح أي عن العمل فإني قد عزلتك إلى غير رحب أي سعة بل يضيق عليك الأمر بعده وقال في النهاية بالحري أن يكون كذا أي جدير.

وقال ابن أبي الحديد أي جدير. أن تكفي هذه المئونة التي دعيت إليها وأنت نائم أي لست معدودا عندنا وعند الناس من الرجال الذين يفتقر الحرب والتدبيرات إليهم فيسغيي الله عنك ولا يقال أين فلان.

٤٦- نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى بعض أمراء جيشه^(١):

فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانهذ بمن أطاعك إلى من عصاك واستغن بمن اتقاد معك عمن تقاعس عنك فإن المتكاهر مقبیه خير من شهوده وقعوده أغنى من نهوضه.

توضيح: قال ابن ميثم روي أن الأمير الذي كتب إليه عثمان بن حنيف عامله على البصرة وذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليها وعزموا على الحرب فكتب عثمان إليه يخبره بحالهم فكتب ﷺ إليه كتابا فيه الفصل المذكور. وإن توافت الأمور أي تابعت بهم المقادير وأسباب الشقاق والعصيان إليهما ويقال نهذ القوم إلى عدوهم إذا صمدوا له وشرعوا في قتالهم وتقاعس أبطأ وتأخر والمتكاهر من يظهر الكراهة ولا يطيع بقلبه والنهوض القيام.

٤٧- نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة^(٢):

أما بعد فإني خرجت من حيي هذا إما ظالما وإما مظلوما وإما باغيا وإما مبيغا عليه وأنا أذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر إلي فإن كنت محسنا أعانني وإن كنت مسيئا استعنتني.

بيان: لما نفر بالتشديد بمعنى إلا أي أذكره في كل وقت وإلا وقت النفور كقولهم سألتكم لما فعلت.

وفي بعض النسخ بالتخفيف فكلمة ما زائدة كما قيل في قوله تعالى ﴿لَمَّا عَلَيْنَهَا حِافَظٌ﴾ فإنه قرئ بالتخفيف والتشديد معا والاستعانة بطلب العتبي وهو الرجوع.

٤٨- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] أحمد بن محمد بن الصلت عن ابن عقدة عن جعفر بن عبد الله العلوي عن عمه القاسم بن جعفر عن عبد الله بن محمد العلوي عن أبيه عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قال سماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن قال لما بلغ عليا مسير طلحة والزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال^(٣):

أما بعد فقد بلغني مسير هذين الرجلين واستخفافهما حبيس رسول الله ﷺ واستفزازهما أبناء الطلقاء وتلبسهما على الناس بدم عثمان وهما ألبا عليه وفلا به الأفاعيل وخرجا ليضربا الناس بعضهم ببعض اللهم فاكف المسلمين مؤنتهما واجزهما الجوازي.

(١) وهذا هو المختار الرابع من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٢) وهذا هو المختار: (٥٧) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

وله مصادر آخر يجد الباحث بعضها في ذيل المختار: (٢٦) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٤ ص ٦٦٢ ط ١.

(٣) رواء الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث الثاني من المجلس: (٢٥) من الجزء الثاني من أماليه ص ٨٧ ط ١.

وحض الناس على الخروج في طلبهما فقام إليه أبو مسعود عقبة بن عمرو فقال يا أمير المؤمنين إن الذي يفوتك من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ ومجلسك فيما بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من الشام والعراق فإن كنت إنما تسير لحرب فقد أقام عمر وكفاه سعد زحف القادسية وكفاه حذيفة بن اليمان زحف نهاوند وكفاه أبو موسى زحف تستر وكفاه خالد بن الوليد زحف الشام فإن كنت سائرا فخلف عندنا شقة منك نرعاه فيك ونذكرك به ثم قال أبو مسعود:

بكت الأرض والسما على الشا
يا وزير النبي قد عظم الخطب
وإذا القوم خاصموك فقوم
لا يقولون إذ تقول وإن
فعيون الحجار تذرف بالدمع
فعليك السلام ما ذرت به الشمس
خص منا يريد أهل العراق
وطعم الفراق مر المذاق
ناكسو الطرف خاضعوا الأعناق
قلت فقول المبرز السباق
وتلك القلوب عند التراقي
ولاح السرراب بالرقراق

فقال قيس بن سعد: يا أمير المؤمنين ما على الأرض أحد أحب إلينا أن يقيم فينا منك لأنك نجما الذي نهدي به و مفزعنا الذي نصير إليه وإن فقدناك لتظلم أرضنا وسماؤنا ولكن والله لو خليت معاوية للمكر ليرومن مصر و ليفسدن اليمن وليطمعن في العراق ومعهم قوم يمانيون قد أشرىوا قتل عثمان و قد اكتفوا بالظن عن العلم والشك عن اليقين وبالهنى عن الخير فسر بأهل الحجاز وأهل العراق ثم أرمه بأمر يضيق فيه خناقه و يقصر له من نفسه فقال أحسنت والله يا قيس وأجملت.

وكتبت أم الفضل بنت الحارث إلى علي عليه السلام تخبره بمسير عائشة و طلحة و الزبير فأزعم المسير قبله سعد وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة فقال سعد لا أشهر سيفاً حتى يعرف المؤمن من الكافر.

وقال أسامة لا أقاتل رجلاً يقول لا إله إلا الله و لو كنت في زبية الأسد لدخلت فيه معك^(١).

وقال محمد بن مسلمة أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً و قال إذا اختلف المسلمون فاضرب به عرض أحد و الزم بيتك. وت خلف عنه عبد الله بن عمر.

فقال عمار بن ياسر دع القوم أما عبد الله ضعيف و أما سعد فحسود و أما محمد بن مسلمة فذنبك إليه أنك قتلت بأخيه مرحباً.

ثم قال عمار لمحمد بن مسلمة أما تقاتل المحاربين فو الله لو مال علي جانباً لملت مع علي.

و قال كعب بن مالك يا أمير المؤمنين إنه بلغك عنا معشر الأنصار ما لو كان غيرنا لم يقم معك و الله ما كل ما رأينا حلالاً حلال و لا كل ما رأينا حراماً حرام و في الناس من هو أعلم بعذر عثمان ممن قتله و أنت أعلم بحالنا منا فإن كان قتل ظالماً قبلنا قولك و إن كان قتل مظلوماً فاقبل قولنا فإن وكلتنا فيه إلى شبهة فعجب ليقيننا و شكك و قد قلت لنا عندي نقض ما اجتمعوا عليه و فصل ما اختلفوا فيه و قال:

كان أولى أهل المدينة بالنصر
للذي في يديه من حرم الله
علي وال عبد مناف
و قرب الولاء بعد التصافي

وكان كعب بن مالك من شيعة عثمان و قام الأشر إلى علي عليه السلام فكلمه بكلام يحضه على أهل الوقوف فكره ذلك علي عليه السلام حتى شكاه و كان من رأى علي عليه السلام أن لا يذكرهم بشيء فقال الأشر يا أمير المؤمنين إنا و إن لم تكن من المهاجرين و الأنصار فإنا فيهم و هذه بيعة عامة و الخارج منها عاص و المبطن عنها مقصر و إن أدبهم اليوم باللسان و غدا بالسيف و ما من ثقل عنك كمن خف معك و إنما أرادك القوم لأنفسهم فأردهم لنفسك فقال علي عليه السلام يا مالك دعني. وأقبل علي عليه السلام فقال أرايتم لو أن من بايع أبا بكر أو عمر أو عثمان ثم نكث بيعته أكنتم تستحلون قتالهم

(١) كذا في ط الكمباني من البحار، وفي ط بيروت من كتاب الأمالي ص ٧٢٥: «ولو كنت في فم الأسد...».

قالوا نعم قال وكيف تخرجون من القتال معي وقد بايعتموني قالوا إنا لا نزعم أنك مخطئ وأنه لا يحل لك قتال من بايعك ثم نكت بيعتك ولكن نشك في قتال أهل الصلاة.

فقال الأشتر دعني يا أمير المؤمنين أوقع بهؤلاء الذين يتخلفون عنك فقال له كف عني فانصرف الأشتر وهو مغضب. ثم إن قيس بن سعد لقي مالكا الأشتر في نفر من المهاجرين والأنصار فقال قيس للأشتر يا مالك كلما ضاق صدرك بشيء أخرجه و كلما استبطأت أمرا استعجلته إن أدب الصبر التسليم وأدب العجلة الأناة وإن شر القول ما ضاهى العيب و شر الرأي ما ضاهى التهمة فإذا ابتليت فاسأل وإذا أمرت فأطع ولا تسأل قبل البلاء ولا تكلف قبل أن ينزل الأمر فإن في أنفسنا ما في نفسك فلا تشق على صاحبك فغضب الأشتر ثم إن الأنصار مشوا إلى الأشتر في ذلك فرضوه من غضبه فرضي.

فلما هم علي بالشخص قام أبو أيوب خالد بن زيد صاحب منزل رسول الله ﷺ فقال يا أمير المؤمنين إن أقمّت بهذه البلدة فإنها مهاجر رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان قبلك وإن وكلت إلى المسير فقد أعدرت.

وأجابهم بعذرة في المسير ثم خرج لما سمع توجه طلحة والزبير إلى البصرة وتمكث حتى عظم جيشه وأغذ السير في طلبهم فجعلوا لا يرتحلون من منزل إلا نزل^(١) حتى نزل بذي قار فقال والله إنه ليحزنني أن أدخل على هؤلاء في قلة من معي فأرسل إلى الكوفة الحسن بن علي وعمار بن ياسر و قيس بن سعد وكتب إليهم كتابا. فقدموا الكوفة فخطب الناس الحسن بن علي فحمد الله وأثنى عليه وذكر عليا وسابقته في الإسلام وبيعة الناس له وخلاف من خالفه ثم أمر بكتاب علي ﷺ فقرأ عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه عيانه إن الناس طعنوا عليه و كنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عيبه وكان هذان الرجلان أهون سيرهما فيه الوجيف وقد كان من أمر عائشة فلتة على غضب فأتيت له قوم فقتلوه.

ثم إن الناس بايعوني غير مستكرهين وكان هذان الرجلان أول من فعل علي ما بويع عليه من كان قبلي. ثم إنهما استأذناني في العمرة وليسا يريدانها فنقضا العهد وأذانا بحرب وأخرجا عائشة من بيتها ليتخذانها فنة وقد سارا إلى البصرة اختيارا لها وقد سرت إليكم اختيارا لكم ولعمري ما إياي تجيبون ما تجيبون إلا الله ورسوله ولن أقاتلهم وفي نفسي منهم حاجة.

وقد بعثت إليكم بالحسن بن علي وعمار بن ياسر و قيس بن سعد مستغفرين فكونوا عند ظني بكم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما فرأى الكتاب على الناس قام خطباء الكوفة شريح بن هاني وغيره فقالوا والله لقد أردنا أن نركب إلى المدينة حتى تعلم علم عثمان فقد أنبأنا الله به في بيوتنا ثم بذلوا السمع والطاعة وقالوا رضينا بأمر المؤمنين ونطيع أمره ولا نتخلف عن دعوته والله لو لم يستصرننا لنصرناه سمعا وطاعة.

فلما سمع الحسن بن علي ذلك قام خطيبا فقال أيها الناس إنه قد كان من أمير المؤمنين علي ما تكفيكم جملته وقد أتيناكم مستغفرين لكم لأنكم جبهة الأمصار ورؤساء العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بيعتهما وخروجهما بعائشة ما قد بلغكم وهو ضعف النساء وضعف رأيهن وقد قال الله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ وإيم الله لو لم ينصره أحد لرجوت أن يكون له فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار ومن يبعث الله له من نجباء الناس كفاية فانصروا الله ينصركم.

ثم جلس وقام عمار بن ياسر فقال يا أهل الكوفة إن كانت غابت عنكم أبداننا فقد انتهت إليكم أمورنا إن قاتلي عثمان لا يعتذرون إلى الناس وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محابيهم أميا من أميا وقتل من قتل وإن طلحة والزبير أول من طعن وآخر من أمر ثم بايعا أول من بايع فلما أخطأها ما أملا نكتا بيعتهما على غير حدث كان وهذا ابن الرسول يستنفركم في المهاجرين والأنصار فانصروا ينصركم الله.

(١) في اللفظ تسامح، والمستفاد من كتب التاريخ أن البعد بينهما في الارتحال والإقامة كان أكثر من منزل ورحيل.

وقام قيس بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن هذا الأمر لو استقبلنا به الشورى لكان علي أحق الناس به في سابقته وهجرته وعلمه وكان قتال من أبي ذلك حلالا وكيف والحجة قامت على طلحة والزبير وقد بايعاه وخلعاه حسدا.

فقام خطباؤهم فأسرعوا الرد بالإجابة فقال النجاشي في ذلك:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا
وقلنا له أهلا وسهلا ومرحبا
فرمنا بما ترضى نجيبك إلى الرضا
وتسويد من سودت غير مدافع
فإن نلت ما تهوى فذاك نريده
وقال قيس بن سعد حين أجاب أهل الكوفة:
جزى الله أهل الكوفة اليوم نصرة
وقالوا: علي خير حاف و ناعل
هما أبرزا زوج النبي تعمد

عسلي وأبناء النبي محمد
نقبل يديه من هوى وتودد
بصم العوالي والصفيع المهند
وإن كان من سودت غير مسود
وإن تسخط ما تهوى فغير تعمد

أجابوا ولم يأتوا بخذلان من خذل
رضينا به من ناقض العهد من بدل
يسوق بها الحادي المنيع على جمل

فما هكذا كانت وصاة نبيكم و ما هكذا الإنصاف أعظم بهذا المثل فهل بعد هذا من مقال لقاتل إلا قبح الله الأمانى والعلم فلما فرغ الخطباء وأجاب الناس قام أبو موسى فخطب الناس وأمرهم بوضع السلاح والكف عن القتال ثم قال أما بعد فإن الله حرم علينا دماءنا وأموالنا فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ وقال ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ يا أهل الكوفة. هذا تمام الحديث.

بيان: شقة الثوب والعصا بالكسر ما شق منه مستطيلا ولعلها كناية استعيرت هنا للأولاد وترقق تحرك والشيء لمع والشمس صارت كأنها تدور.

قوله ﷺ في نفسي منهم حاجة أي لا أعلمهم مسلمين ولا أنتظر رجوعهم وعالية الرمح ما دخل في السنان إلى ثلثه والصفحة السيف العريض والمهند السيف المطبوع من حديد الهند.

٤٩- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ قال لعبد الله بن العباس لما أنفذه إلى الزبير يستغيثه إلى طاعته قبل حرب الجمل^(١).

لا تلقين طلحة فإنك إن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فإنه أئين عريكة فقل له يقول لك ابن خالك عرفتي بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا.

قال السيد رضي الله عنه هو ﷺ أول من سمعت منه هذه الكلمة أعني فما عدا مما بدا.

بيان يستغيثه أي يسترجعه إن تلقه تجده وفي رواية إن تلقه تلفه بالفاء أي تجده عاقصا أي عاطفا قد التوى قرناه على أذنيه يقال عقص شعره أي ضفره وقتله والأعقص من الثيوس وغيرها ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه عاقصا إما مفعول ثان لتجده أو حال عن الثور يركب الصعب أي يستهين المستصعب من الأمور والعريكة الطبيعة.

والتعبير بابن الخال كقول هارون لموسى يا ابن أم للاستمالاة بالإذكار بالنسب والرحم.

قوله ﷺ فما عدا مما بدا قال ابن أبي الحديد معنى الكلام فما صرفك فما بدا منك أي ظهر أي ما الذي صدك عن طاعتي بعد إظهارك لها ومن هاهنا بمعنى عن وقد جاءت في كثير من كلامهم وحذف ضمير المفعول كثير جدا.

(١) ذكره السيد الرضى في المختار: (٣١) من كتاب نهج البلاغة.

وللكلام مصادر وأسانيد ذكر بعضها في المختار: (٩٤) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٣٠٦ ط ٢.

وقال الراوندي له معنيان أحدهما ما الذي منعك مما كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة الثاني ما الذي عاقك من البدء الذي يبدو للإنسان و يكون المفعول الأول لعدا محذوفا يدل عليه الكلام أي ما عداك يريد ما منعك عما كان بدا لك من نصرتي.

وقال ابن ميثم أقول هذه الوجوه وإن احتملت أن تكون تفسير إلا أن في كل منها عدولا عن الظاهر والحق أن يقال إن عدا بمعنى جاوز ومن لبيان الجنس والمراد ما الذي جاوز لك عن بيعتي مما بدا لك بعدها من الأمور التي ظهرت لك وتبقى الألفاظ على أوضاعها الأصلية مع استقامة المعنى وحسنه.

و روي عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام قال سألت ابن عباس عن تلك الرسالة فقال بعثني فأتيت الزبير فقلت له فقال إني أريد ما تريد كأنه يقول الملك و لم يزدني على ذلك فرجعت إلى أمير المؤمنين فأخبرته.

٥٠- نهج: [نهج البلاغة] و من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة قال عبد الله بن العباس دخلت على أمير المؤمنين بذى قار و هو يخصف نعله فقال لي ما قيمة هذه النعل فقلت لا قيمة لها قال و الله لهي أحب إلي من إمرتك إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا ثم خرج فخطب الناس فقال^(١):

إن الله سبحانه بعث محمدا عليه السلام و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا و لا يدعي نبوة فساق الناس حتى بوأهم محلتهم و بلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم و اطمانت صفاتهم.

أما و الله إن كنت لفي ساقنتها حتى تولت بهذا فيروسها ما عجزت و لا جنت و إن مسيري هذا لمثلها فلأتقين الباطل حتى يخرج الحق من جنيته.

ما لي و لقريش و الله لقد قاتلتهم كافرين و لأقاتلنهم مفتونين و إني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم.

بيان ذو قار موضع قريب من البصرة حتى بوأهم أي أسكنهم محلتهم أي ضرب الناس بسيفه على الإسلام حتى أوصلهم إليه.

و قال ابن ميثم المراد بالقناة القوة و الغلبة و الدولة التي حصلت لهم مجازا من باب إطلاق السبب على المسبب فإن الرمح أو الظاهر سبب للقوة و الغلبة و الصفة الحجارة الملساء أي كانوا قبل الإسلام متزلزلين في أحوالهم بالنهب و الفارة و أمثالها.

إن كنت لفي ساقنتها هي جمع سائق كحائك و حاككة ثم استعملت للأخير لأن السائق إنما يكون في آخر الركب و الجيش و شبه أمر الجاهلية إما بعجاجة ثائرة أو بكنيية مقبلة للحرب فقال إني طردتها فقلت بين يدي أطردوها حتى لم يبق منها شيء لمثلها أي لمثل تلك الحالة التي كنت عليها معهم في زمن الرسول عليه السلام فلأتقين و في بعض النسخ لأقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته شبه عليه السلام الباطل بحيوان ابتلع جوهرًا ثمينا أعن منه فاحتيج إلى شق بطنه في استخلاص ما ابتلع.

و في نسخة ابن أبي الحديد بعد قوله صاحبهم اليوم:

و الله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا كما قال الأول:

أدمت لعمرى شربك المحض صابحا
و نحن وهبناك العلاء و لم تكن
و أكسلك بالزبد المقشرة البجرا
عليا و حطنا حولك الجرد و السرا

أقول: المقشرة التمرة التي أخرج منها نواتها و البحر بالضم الأمر العظيم و العجب و لعله هنا كناية عن الكثرة أو الحسن أو اللطافة و يحتمل أن يكون مكان المفعول المطلق يقال بجر كفرح فهو بجر امتلا بطنه من اللبن و الماء و لم يرو و تبجر التبيذ ألح في شربه و كثير بجير إتياع و الجرد بالضم جمع الأجرد و هو الفرس الذي رقت شعرته و قصرت و هو مدح و السمر جمع الأسمر و هو الرمح.

٥١- نهج: [تهج البلاغة] ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير والله ما أنكروا علي منكروا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وإنهم ليطالبون حقا تركوه ودما سفكوه فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم نصيبهم منه وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلا قبلهم وإن أول عدلهم للحكم على أنفسهم^(١).

وإن معي لبصيرتي والله ما لبست ولا لبس علي وإنها للغة الباغية فيها الحماة والحمة والشبهة المغدفة وإن الأمر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه.

وإيم الله لأقرظن لهم حوضا أنا ماته لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي.

ومنها فأقبلتم إلى إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم إنهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألبا الناس علي فاحل ما عقدا ولا تحكم لهما ما أبرما وأرهما المساء فيما أملا وعملا ولقد استبتهما قبل القتال واستأيت بهما أمام الواقع فعمطا النعمة ورذا العافية^(٢).

تبيين النصف بالكسر والتحريك الإنصاف والعدل أي إنصافا أو حكما ذا إنصاف ويقال ولي أمرا أي قام به والطلبة بكسر اللام ما طلبته من شيء وقال في النهاية لبست الأمر بالفتح إذا خلطت بعضه ببعض وربما شدد للتكثير.

وقال ابن أبي الحديد الحماة الطين الأسود وحمة العقرب سمها أي في هذه الفئة الضلال والفساد يروى الحمى بألف مقصورة وهو كناية عن الزبير لأن كل من كان نسيب الرجل فهم الأحماة واحدهم حمى مثل قفا وأقفاء وما كان نسيب المرأة فهم الأختان فأما الأصهار فيجمع الجهتين وكان الزبير ابن عمته رسول الله ﷺ وقد كان النبي ﷺ أعلم عليا بأن فته تبغي عليه في أيام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه فكنى عليه السلام عن الزوجة بالحمة وهي سم للعقرب والحماة يضرب مثلا لغير الطيب الغير الصافي.

وقال ابن ميثم المغدفة الخفية وأصله المرأة تغدو وجهها أي تستره وروي المغدفة بكسر الذال من أغدف أي أظلم وهي إشارة إلى شبهتهم في الطلب بدم عثمان وقد زاح الباطل أي بعد وذهب عن نصابه أي مركزه ومقره والشغب بالتسكين تهيج الشر وقد يحرك واللعب الشرب بلا مص والحسي ماء كامن في رمل يحفر عنه فيستخرج ويكون باردا عذبا^(٣) وهذه كناية عن الحرب والهيجاء وتهديد بهما وما يتعقبا من القتل والهلاك.

وقال الجوهري العوذ حديثات النتائج من الظباء والخيل والإبل واحدها عائد مثل حائل وحول وذلك إذا ولدت عشرة أيام أو خمسة عشر يوما ثم هي مظل.

وفي القاموس المطفل كمحسن ذات الطفل من الأنس والوحش والجمع مطافيل.

وقيل إن في الجمع بين الوصفين تجوز وعلى ما في القاموس لا يحتاج إلى ذلك وألبا بتشديد اللام من التأليب وهو التحريض قوله واستبتهما استفعال من ثاب يشوب إذا رجع أي طلبت منهما أن يرجعا وروي بالثاء المثناة من التوبة واستأيت أي انتظرت من الإناء فعمطا بالكسر أي حقرا.

٥٢- نهج: [تهج البلاغة] ومن خطبة له عليه السلام في ذكر أهل البصرة^(٤) (٥):

كل واحد منهما يرجو الأمر له ويطغفه عليه دون صاحبه لا يمتان بجبل ولا يمدان إليه بسبب كل واحد منهما صاحب حامل ضب لصاحبه وعم قليل يكشف قناعه به.

والله لئن أصابوا الذي يريدون ليتزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا.

(١) أوردته السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (١٣٥) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) الواقع على زنة القتال لفظا ومعنى.

(٣) قال ابن ميثم: «والجسي» بكسر الجاء وسكون السين: الماء الذي يشربه الرمل. فينتهي إلى أرض صلبة تحفظه ثم يحفر عنه فيستخرج.

(٤) كذا في طبع الكمباني من البحار. والمذكور فيها لدي من نسخ المطبوعة من نهج البلاغة: «ومن كلام له عليه السلام...».

(٥) رواه السيد الرضي قدس الله نفسه في المختار: (١٤٦) من كتاب نهج البلاغة.

قد قامت الفئة الباغية فأين المحتسبون وقد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل ضلة علة ولكل ناكث شبهة والله لا أكون كمستمع اللدم يسمع الناعي ويحضر الباكي ثم لا يعتبر.

إيضاح: قوله ﷺ كل واحد منهما أي طلحة والزبير لا يمتان قال في النهاية المت التوصل والتوصل بحرمة أو قرابة أو غير ذلك وقال السبب في الأصل الجبل الذي يتوصل به إلى ماء ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء كقوله تعالى وَوَقَطَعْتَ بِهِمُ الْأَشْيَابُ أي الوصل والمودات وقال الضب الغضب والحقد والظاهر أن الضمير المجرور في قناعه راجع إلى كل واحد منهما والباء في به للسببية والضمير للضب يكشف قناعه الذي استتر به ويظهر حاله بسبب حقدده وبغضه فأين المحتسبون أي العاملون لله والطالبون للأجر ويقال أيضا احتسب عليه أي أنكر وتقديم الخبر هو إخبار النبي ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وضمير في قوله لهم في الموضعين للمحتسبين أو للفئة الباغية وعلة ضلّتهم هي البغي والحسد وشبهتهم في نكث البيعة الطلب بدم عثمان كما قيل أو المعنى أن لكل ضلالة غالبا علة ولكل ناكث شبهة بخلاف هؤلاء فإنهم يعدلون عن الحق مع وضوحه بغير عذر وشبهة.

ومستمع اللدم الضيع والدم هو صوت الحجر يضرب به الأرض أو حيلة يفعلها الصائد عند باب جحرها فتنام ولا تتحرك حتى يجعل الحبل في عرقوبها فيخرجها والمعنى لا أغتر ولا أغفل عن كيد الأعداء فاستمع الناعي بقتل طائفة من المسلمين ويحضر الباكي على قتلهم فلا أحاربهم حتى يحيطوا بي.

وقيل لا أكون كمن يسمع الضرب والبكاء ثم لا يصدق حتى يجيء لمشاهدة الحال.

وقال الجوهري اللدم ضرب المرأة صدرها وعضديها في النياحة.

٥٣- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة^(١):

إن الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وأمر قائم لا يهلك عنه إلا هالك وإن المبتدعات المشبهات هن من المهلكات إلا ما حفظ الله منها كذا وإن في سلطان الله عصمة لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبدا حتى يأرّز الأمر إلى غيركم.

إن هؤلاء قد تمالثوا على سخطه إمارتي وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم فإنهم إن تمموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين وإنما طلبوا هذه الدنيا حسدا لمن أفاءها الله عليه فأرادوا رد الأمور على أدبارها.

ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله ﷺ والقيام بحقه والنهش لسنته.

بيان وأمر قائم أي باق وحكمه غير منسوخ وقيل أي مستقيم ليس بذی عوج لا يهلك عنه أي معرضا عادلا عنه إلا هالك أي من بلغ الغاية في الهلاك والمشبهات بالفتح أي التي أشبهت السنن وليست منها أو بالكسر أي التي تشبه الأمر على الناس.

وقوله ﷺ إلا ما حفظ الله استثناء من بعض متعلقات المهلكات أي أنها مهلكة في جميع الأحوال إلا حال حفظ الله بالعصمة عن ارتكابها أو كل أحد إلا من حفظه الله فما بمعنى من.

قوله ﷺ وإن في سلطان الله أو دين الله أو حجة الله أو الإمام أي في طاعته.

قوله ﷺ غير ملومة أي مخلصين غير ملوم صاحبها بأن ينسب إلى النفاق والرياء.

وفي بعض النسخ على التفعيل للمبالغة ويروى غير ملوية أي غير معوجة من لويت العود إذا عطفته. قوله حتى يأرّز أي يتقيض ويتضمر ويجتمع.

إن هؤلاء أي طلحة والزبير وعائشة قد تمالثوا أي تساعدوا واجتمعوا أو تعاونوا والفيالة الضعف أي إن بقوا على ضعف رأيهم قطعوا نظام المسلمين والفيء الرجوع.

قوله فأرادوا رد الأمور أي أرادوا انتزاع الأمر منه ﷺ كما انتزع أولا والنهش الرفع والضميران في حقه وسنته راجعان إلى الرسول.

٥٤- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلامه ﷺ في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه ﷺ فقدموا على عمالي و خزان بيت مال المسلمين الذي في يدي و على أهل مصر كلهم في طاعتي و على بيعتي فشتوا كلمتهم و أفسدوا على جماعتهم و وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدرا و طائفة عضوا على أسيافهم فضاربوا حتى لقوا الله صادقين^(١).
توضيح: شتته فرقه و قال ابن الأثير في النهاية أصل العض اللزوم يقال عض عليه عضاً و عضياً إذا لزمه انتهى أي طائفة من الشيعة لزموا سيوفهم و يروى طائفة بالنصب أي و قتلوا طائفة شأنهم ذلك.

٥٥- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ كلم به بعض العرب و قد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب ﷺ منها يعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم فيبين له ﷺ من أمره معهم ما علم به أنه على الحق ثم قال له بايع فقال إني رسول قوم و لا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم فقال ﷺ أرأيت لو أن الذين وراءك يعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت إليهم و أخبرتهم عن الكلا و الماء فخالفوك إلى المعاش و المجادب ما كنت صانعا قال كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلا و الماء فقال له ﷺ فامد إذا يدك فقال الرجل فو الله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة علي فبايعته ﷺ^{(٢)(٣)}.
والرجل يعرف بكليب الجرمي.

بيان: المجادب: محال الجذب

٥٦- نهج: [نهج البلاغة] من كتاب له ﷺ إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة^(٤):
من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار و سنام العرب أما بعد فإني أخبركم في أمر عثمان حتى يكون سمعه كميانه إن الناس طعنوا عليه فكتكت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه و أقل عتابه و كان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف و أرقف حدثهما العنيف و كان من عائشة فيه فلتة غضب فأتيت له قوم قتلوه و بايعني الناس غير مستكرهين و لا مجبرين بل طائعين مخيرين و اعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها و قلعوا بها و جاشت جيش المرجل و قامت الفتنة على القطب فأسرعوا إلى أميركم و بادروا جهاد عدوكم إن شاء الله.
٥٧- و من كتاب له ﷺ إليهم بعد فتح البصرة^(٥):
و جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته و الشاكرين لنعمته فقد سمعتم و أظتم و دعيتم فأجبتهم.

بيان: أكثر استعتابه أي أكثر طلب العتبي منه و الرجوع إلى ما يرضى به القوم منه و أقل عتابه أي لانتهمته على وجه الإذلال و المواجهة إما لعدم النفع أو للمصلحة و الوجيف السير السريع قوله ﷺ فلتة غضب أي فجاءة غضب و الحاصل أن هؤلاء الثلاثة كانوا أشد الناس عليه فأتيت له أي قدر و هيئ و جاشت غلت و المرجل القدر من النحاس و دار الهجرة المدنية و الغرض إعلامهم باضطراب حال المدينة و أهلها حين علموا بمسير القوم إلى البصرة للفتنة.
أقول: قال ابن ميثم رحمه الله كتب ﷺ كتاب الأول حين نزل بماء العذيب متوجهاً إلى البصرة و بعثه مع الحسن ﷺ و عمار بن ياسر.

٥٨- و قال ابن أبي الحديد في الشرح روى محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار القرشي قال لما نزل علي ﷺ الريدة متوجهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمد بن جعفر بن أبي طالب و محمد بن أبي بكر و كتب إليهم هذا الكتاب يعني الكتاب الأول^(٦).

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (٢١٦) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) كذا في غير واحد من مطبوعة نهج البلاغة و في ط الكياني من البحار: «فبايعه».

(٣) أوردّه السيّد الرضی في المختار: (١٦٨) من كتاب نهج البلاغة.

(٤) وهذا هو المختار الأول من الباب الثاني - وهو باب الكتب - من نهج البلاغة.

(٥) وهذا هو المختار الثاني من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٦) رواه في شرحه على المختار الأول من باب الكتب من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٢٩٠ طبع الحديث ببغروت.

و زاد في آخره فحسبي بكم إخوانا و للدين أنصارا ف انفروا خِفَافاً وَ ثِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لعلكم تفلحون.

٥٩- و روى أبو مخنف قال حدثني الصقعب قال سمعت عبد الله بن جنادة يحدث أن علياً عليه السلام لما نزل الربذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري و هو الأمير يومئذ على الكوفة لينفر إليه الناس و كتب إليه معه: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد فأني بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إلي من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي و قتلوا شيعتي و أحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم فأشخص بالناس إلي معه حين يقدم عليك فأني لم أولك المصر الذي أنت به و لم أفرك عليه إلا تكون من أعواني على الحق و أنصاري على هذا الأمر و السلام.

٦٠- و روى محمد بن إسحاق أنه لما قدم محمد بن جعفر و محمد بن أبي بكر الكوفة استنقروا الناس فمنعهم أبو موسى فلقها بعلي عليه السلام فأخبرها بالخبر.

٦١- و روى أبو مخنف أن هاشم بن عتبة لما قدم الكوفة دعا أبا موسى فقال اتبع ما كتب به إليك فأبى ذلك فبعث إلى هاشم يتوعده فكتب إلى علي بامتناعه و أنه شاق بعيد الود ظاهر الغل و الشنآن و أنه هدده بالسجن و القتل فلما ورد كتابه على أمير المؤمنين عليه السلام و قد أتاه به المحل بن خليفة فسلم عليه ثم قال الحمد لله الذي أدى الحق إلى أهله و وضع موضعه فكره ذلك قوم و قد و الله كرهوا نبوة محمد ﷺ ثم بارزوه و جاهدوه فرد الله كيدهم في نحورهم و جعل دائرة السوء عليهم و الله يا أمير المؤمنين لنجاهدنيهم معك في كل موطن حفظاً لرسول الله ﷺ في أهل بيته إذ صاروا أعداء لهم بعده.

فرحب به علي عليه السلام و قال له خيراً ثم أجلسه إلى جانبه و قرأ كتاب هاشم و سأله عن الناس و عن أبي موسى فقال يا أمير المؤمنين ما أتق به و لا أمتنه على خلافك إن وجد من يساعده على ذلك.

فقال علي عليه السلام و الله ما كان عندي بمؤمن و لا ناصح و لقد أردت عزله فأتاني الأشر فسألني أن أقره و ذكر أن أهل الكوفة به راضون فأقرته.

و روى أبو مخنف قال و بعث علي عليه السلام من الربذة بعد وصول المحل بن خليفة عبد الله بن عباس و محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى و كتب معهم.

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد يا ابن الحائك يا عاض أير أبيه فو الله إن كنت لأرى أن بعدك^(١) من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً و لا جعل لك فيه نصيباً سيمنعك من رد أمري و الاقتراء علي و قد بعثت إليك ابن عباس و ابن أبي بكر فخلهما و المصر و أهله و اعتزل عملنا مذهباً مدحوراً فإن فعلت و إلا فأني قد أمرتهما أن ينابذاك على سواء إن الله لا يهدي الكافرين فإذا ظهرا عليك قطعاك إرباً إرباً و السلام على من شكر النعمة و وفى بالبيعة و عمل برجاء العافية.

قال أبو مخنف فلما أبطأ ابن عباس و ابن أبي بكر عن علي عليه السلام و لم يدر ما صنعوا رحل عن الربذة إلى ذي قار فنزلها قال فلما نزل ذا قار بعث إلى الكوفة الحسن ابنه عليه السلام و عمار بن ياسر و زيد بن صوحان و قيس بن سعد بن عبادة و معهم كتاب إلى أهل الكوفة فأقبلوا حتى كانوا بالقادسية فتلقاهم الناس فلما دخلوا الكوفة قرءوا كتاب علي عليه السلام و هو:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلي من بالكوفة من المسلمين أما بعد فأني خرجت مخرجي هذا إما ظالماً و إما مظلوماً و إما باغياً و إما مبغياً علي فأنشد الله رجلاً بلغه كتابي هذا إن لا فز إلي فإن كنت مظلوماً أعانني و إن كنت ظالماً استعطيني و السلام.

قال فلما دخل الحسن عليه السلام و عمار الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستقر فاستنصر الناس فحمد الله و صلى على رسوله ثم قال:

وما ذكره المصنف هنا هو موزع ما رواه ابن أبي الحديد. ولم يذكر المصنف كلامه حرفياً.

(١) هذا هو الظاهر. وفي أصلي: «فوالله إن كنت لا أرى إلا بعدك...»

وفي شرح ابن أبي الحديد: «فوالله إني كنت لأرى أن بعدك من هذا الأمر...»

أيها الناس إنا جئناكم ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله وإلى أفقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون وأوفى من تبايعون من لم يعيه القرآن ولم تجهله السنة ولم تقعد به السابقة إلى من قرب الله إلى رسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون ففرب منه وهم متباعدون وصلى معه وهم مشركون وقاتل معه وهم منهزمون وبارز معه وهم مجروحون وصدقهم وهم مكذبون إلى من لم ترد له راية ولا تكافئ له سابقة وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحق ويسألكم بالمسير إليه لتوازروه وتتصروه على قوم نكثوا بيعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومثلوا بعمله وانتهبوا بيت ماله فأشخصوا إليه رحمكم الله فمروا بالعرف وانها عن المنكر واحضروا بما يحضر به من الصالحون.

قال أبو مخنف وحدثني جابر بن يزيد عن تميم بن حذيم قال قدم علينا الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر يستغفران الناس إلى علي عليه السلام ومعهما كتابه فلما فرغا من كتابه قام الحسن وهو قتي حدث والله إني لأرثي له من حدائث سنة وصعوبة مقامه فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون اللهم سدد منطق ابن بنت نبينا فوضع يده على عمود يتساند إليه وكان عليلاً من شكوى به فقال:

الحمد لله العزيز الجبار الواحد القهار الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أحمدته على حسن البلاء وتظاهر النعماء وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله امتن علينا بنبوته واختصه برسالته وأنزل عليه وحيه واصطفاه على جميع خلقه وأرسله إلى الإنس والجن حين عبدت الأوثان وأطيع الشيطان وجحد الرحمن فضلى الله عليه وآله وجزاء أفضل ما جرى المرسلين.

أما بعد فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرشد الله أمره وأعز نصره بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب وإلى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون فإن في أجله ما تحبون إن شاء الله.

وقد علمتم أن علياً صلى مع رسول الله ﷺ وحده وأنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه ثم شهد مع رسول الله جميع مشاهدته وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ولم يزل رسول الله ﷺ راضياً عنه حتى غمضه بيده وغسله وحده والملائكة أعوانه والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ثم أدخله حفرته وأوصاه بقضاء دينه وعادته وغير ذلك من من الله عليه ثم والله ما دعاهم إلى نفسه ولقد تذاك الناس عليه تذاك الإبل الهيم عند ورودها فبايعوه طائعين ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ولا خلاف أتاه حسداً له وبغياً عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله والجد والصبر والاستعانة بالله والخوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين.

عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته وأهلنا وإياكم تقواه وأعانتا وإياكم على جهاد أعدائه وأسفغر الله العظيم لي ولكم.

ثم مضى إلى الرحبة فهياً منزلاً لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

قال جابر فقلت لتميم كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه فقال وما سقط عني من قوله أكثر ولقد حفظت بعض ما سمعت.

قال أبو مخنف ولما فرغ الحسن من خطبته قام عمار وخطب الناس واستغفرهم فلما سمع أبو موسى خطبتهما سعد المنبر وقال الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد فجمعنا بعد الفرقة وجعلنا إخواناً متحابين بعد العداوة وحرم علينا دماءنا وأموالنا قال الله سبحانه لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَدِّاً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ فاتقوا الله عباد الله وضعوا أسلحتكم وكفوا عن قتال إخوانكم.

إلى آخر خطبته الملعونة التي تركها أولى من ذكرها وتنادي بكفر صاحبها ونفاقه.

قال فلما أنت الأخبار علياً باختلاف الناس بالكوفة بعث الأشتر إليها فأخرجها منها صاغراً.

قال أبو مخنف ولما نزل علي عليه السلام ذا قار كتبت عائشة إلى حفصة أما بعد فإني أخبرك أن علياً قد نزل ذا قار وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا فهو بمنزلة الأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر نحر.

فدعت حفصة جوارى لها يتغنين و يضربن بالدفوف فأمرتهن أن يقلن في غنائهن ما الخير ما الخير علي في السفر
كالفرس الأشقر إن تقدم عقر و إن تأخر نحر^(١).

و جعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة و يجتمعن لسماع ذلك الغناء.

فبلغ أم كلثوم بنت علي عليه السلام ذلك فلبست جلابيبها و دخلت عليهن في نسوة متنكرات ثم أسفرت عن وجهها فلما
عرفتها حفصة خلجت و استرجعت فقالت أم كلثوم لئن تظاهرتا عليه اليوم لقد تظاهرتا على أخيه من قبل فأنزل الله
فيكما ما أنزل^(٢) فقالت حفصة كفى رحمك الله و أمرت بالكتاب فمزق و استغفرت الله.

فقال سهل بن حنيف في ذلك:

عذرنا الرجال بحرب الرجال فما للنساء وما للسباب
أما حسبنا ما أتينا به لك الخير من هتك ذاك الحجاب
ومخرجها اليوم من بيتها يعرفها الذنب نبح الكلاب
إلى أن أتاهها كتاب لها مشوم فيا قبح ذاك الكتاب

أقول: الأير الذكر و قال ابن الأثير في النهاية و فيه من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه و لا
تكنوا أي فقولوا له اعضض بأير أبيك و لا تكنوا بالأير عن الهن تنكيرا له و تأديبا.

و أيضا قال في مادة أير في حديث علي عليه السلام من يطل أير أبيه ينطق به هذا مثل ضربه أي من كثرت
إخوته اشتد ظهره بهم انتهى.

و لعل المعنى هنا أخذه بسنة أبيه الكافر و لزومه بجهله و عصييته و معاييه أو قلة أعوانه و أنصاره و
دنائه.

٦٢- و ذكر المفيد قدس سره في كتاب الكافية قصة حفصة بسنتين آخرين نحو ما مر.

٦٣- الكافية في إبطال توبة الخاطئة، روى أنه عليه السلام لما بلغه و هو بالريذة خبر طلحة و الزبير و قتلها حكيم بن
جبله و رجلا من الشيعة و ضربهما عثمان بن حنيف و قتلها السبابة قام على الغرائر فقال إنه أتاني خبر متقطع و
نبا جليل أن طلحة و الزبير وردا البصرة فوثبا على عاملي فضرباه ضربا مبرحا و ترك لا يدرى أحي هو أم ميت و قتل
العبد الصالح حكيم بن جبله في عدة من رجال المسلمين الصالحين لقوا الله موفون ببيعتهم ماضين على حقهم و قتل
السبابة خزان بيت المال الذي للمسلمين قتلوه طائفة منهم صبرا و قتلوا طائفة منهم غدارا.

فبكى الناس بكاء شديدا و رفع أمير المؤمنين عليه السلام يديه يدعو و يقول اللهم اجز طلحة و الزبير جزاء الظالم الفاجر
و الخفور الغادر.

٦٤- نهج: [نهج البلاغة] و من خطبة له عليه السلام في ذكر أصحاب الجمل^(٣):

فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجر الأمة عند شرائها متوجهين بها البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما
و أبرأ حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما و لغيرهما في جيش ما منهم رجل إلا و قد أعطاني الطاعة و سمح لي بالبيعة
طائعا غير مكره فقدموا على عاملي بها و خزان بيت مال المسلمين و غيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبرا و طائفة
غدارا فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جره لحل لي قتل ذلك الجيش كله إذ
حضره فلم ينكروه و لم يدفعوا بلسان و لا بيد دعو ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم.

(١) و الحديث رواه أيضاً يوسف بن حاتم الشامي في قصّة حرب الجمل من كتاب الدرر النظيم الورق ١١٤.
ولكن وأسفاه من بقاء هذا الكتاب وأمثاله غير منشورة مع حاجة المجتمع إليها، وإلى الله المشتكى من غفلة العلماء وكسلة الفضلاء وسفلة
الزملاء وبخله التجار والأغنياء!!!.

(٢) إشارة إلى ما أجمرت هي وزميلتها على رسول الله حتى نزلت في تهديدها وعظم جرحها الآية الأولى إلى الآية الرابعة من سورة
التحریم: (٦٦) وهذا نصّ الآية الرابعة: «إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمْ، وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ».

(٣) رواه السيّد الرضیّ في ذیل المختار: (١٧٠) من كتاب نهج البلاغة.

بيان: الحرمة ما يحرم انتهاكه والمراد بها هنا الزوجة كالحبيس والضمير في حيسا راجع إلى طلحة والزبير وقوله عليه السلام صبرا أي بعد الأسر وغدرا أي بعد الأمان وقوله عليه السلام جره أي جذبه أو من الجريرة قال في القاموس الجر الجذب والجريرة الذنب جر على نفسه وغيره جريرة يجرها بالضم والفتح جراً.

قال ابن ميثم^(١) فإن قلت المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله عليه السلام لذلك الجيش بعدم إنكارهم للمنكر فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر؟

قلت أجاب ابن أبي الحديد عنه فقال يجوز قتلهم لأنهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا كمن يعتقد إباحتها الزنا وشرب الخمر.

وأجاب الراوندي رحمه الله بأن جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ الآية وهؤلاء قد حاربوا رسول الله عليه السلام لقله عليه السلام يا علي حرك حربي وسعوا في الأرض بالفساد.

واعترض المجيب الأول عليه فقال الإشكال إنما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر والتعليل بعموم الآية لا ينفعه. وأقول الجواب الثاني أسد والجواب الأول ضعيف لأن القتل وإن وجب على من اعتقد إباحتها ما علم من الدين ضرورة لكن هؤلاء كان جميع ما فعلوه من القتل والخروج بالتأويل وإن كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حل الخمر والزنا وبين اعتقاد هؤلاء إباحتها ما فعلوه.

وأما الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف أيضاً لأن له أن يقول إن قتل المسلم إذا صدر عن بعض الجيش ولم ينكر الباقيون مع تمكنهم وحضورهم كان ذلك قرينة على الرضا من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصاً إذا كان معروفاً بصحته والاتحاد به لاتحاد بعض الجيش ببعض وكان خروج ذلك الجيش على الإمام محاربة لله ورسوله عليه السلام وسعيًا في الأرض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية انتهى ملخص كلامه.

ويمكن أن يجاب عن اعتراضه على الجواب بأن هؤلاء كانوا مدعين لشبهة لم تكن شبهة محتملة لأنهم خرجوا على الإمام بعد البيعة طائعين غير مكرهين كما ذكرهم أن الاحتمال كاف له فتأمل.

ويمكن الجواب عن أصل السؤال بأن التعليل ليس بعدم إنكار المنكر مطلقاً بل بعدم إنكار هؤلاء لهذا المنكر الخاص أي قتل واحد من المسلمين المعاونين للإمام عليه السلام بالخروج عليه وربما يشعر بذلك قوله عليه السلام لحل لي قتل ذلك الجيش. ويمكن حمل كلام الراوندي على ذلك وأما ما ذكره أخيراً من جواز قتل الراضي بالقتل فإن أراد الحكم كلياً فلا يخفى إشكاله وإن أراد في هذه المادة الخاصة فصحيح.

ويرد على جواب ابن أبي الحديد مثل ما أورده هو على الراوندي رحمه الله بأن الإشكال إنما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر لا في استحلال القتل ولو قدر في كلامه عليه السلام كان يقول المراد إذ حضروه مستحلين فلم ينكروا لأمكن للراوندي أن يقول إذ حضروه محاربين.

ولو أجاب بأن الحضور مع عدم الإنكار هو الاستحلال فبطلانه ظاهر مع أن للراوندي رحمه الله أن يقول الحضور في جيش قد قتل بعضهم أحداً من أتباع الإمام من حيث إنه من شيعته مع عدم الإنكار والدفع محاربة لله ورسوله عليه السلام ولا ريب أنه كذلك.

٦٥- نهج: (نهج البلاغة) ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله^(٢):

قد كنت وما أهدد بالحرب ولا أهرّب بالضرب وأنا على ما وعدني ربي من النصر والله ما أستعجل متجرداً لطلب يدم عثمان إلا خوفاً من أن يطالب يدمه لأنه كان مظنته ولم يكن في القوم أحرص عليه منه فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر ويقع الشك.

(١) ذكره ابن ميثم في شرح المختار المتقدم وهو (١٧٠) من نهج البلاغة من شرحه ج ٣ ص ٣٢٧.

(٢) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (١٧٢) من كتاب نهج البلاغة.

ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث لئن كان ابن عفان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له أن يؤازر قاتليه أو ينادب ناصريه.

ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهين عنه والمعذرين فيه.
ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانبا ويدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلاث وجاء بأمر لم يعرف بابيه ولم يسلم معاذيره.

بيان: قوله ﷺ قد كنت قال ابن أبي الحديد كان هاهنا تامة والواو للحال أي خلقت ووجدت بهذه الصفة ويجوز أن يكون الواو زائدة وكان ناقصة وخبرها ما أهدد وتجرد في الأرض أي جد فيه ذكره الجوهري.

وقال ابن الأثير في مادة جلب من كتاب النهاية وفي حديث علي ﷺ أراد أن يغالط بما أجلب فيه يقال أجلبوا عليه إذا تجمعوا وألبوا وأجلبه أي أعانوه وأجلب عليه إذا صاحبه واستحثه.

وقال الجوهري لبست عليه الأمر ألبس خلطت وقال أعذر أي صار ذاعذر وفي النهاية فما نههها شيء دون العرش أي ما منعها وكفها عن الوصول إليه والركود السكون والنبات.

٦٦- نهج: [نهج البلاغة] وقال ﷺ لأُس بن مالك و قد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكرهما شيئا مما سمعه من رسول الله في معناهما فلو عن ذلك فرجع إليه فقال إني أنسيت ذلك الأمر فقال ﷺ له إن كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة لا توارىها العمامة يعني البرص^(١).

فأصاب أنسا هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى إلا متبرقا.

٦٧- ج: [الإحتجاج] احتجاجه ﷺ على الناكثين في خطبة خطبها حين نكثوها فقال^(٢):

إن الله ذو الجلال والإكرام لما خلق الخلق واختار خيرة من خلقه واصطفى صفوة من عباده وأرسل رسولا منهم وأنزل عليه كتابه وشرع له دينه وفرض فرائضه فكانت الجملة قول الله جل ذكره حيث أمر فقال «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» فهو لنا أهل البيت خاصة دون غيرنا فانقلبتم على أعقابكم و ارتددتم و نقضتم الأمر و نكثتم العهد و لم تضروا الله شيئا و قد أمركم الله أن تردوا الأمر إلى الله و إلى رسوله و إلى أولي الأمر منكم المستنبطين للعلم فأقررتم ثم جحدتم و قد قال الله لكم «أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَ إِنِّي فَازِهِونَ».

إن أهل الكتاب والحكمة والإيمان و آل إبراهيم بينه الله لهم فحسدوه وأنزل الله جل ذكره أمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا فنحن آل إبراهيم قد حسدنا كما حسد آباؤنا.

وأول من حسد آدم الذي خلقه الله عز وجل بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه الأسماء واصطفاه على العالمين فحسده الشيطان فكان من الغاوين.

ثم حسد قابيل هابيل فقتله فكان من الخاسرين.

ونوح ﷺ حسده قومه فقالوا ما هذا إِنْ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ.

ولله الخيرة يختار من يشاء و يختص برحمته مَنْ يشاء يوتي الحكمة والعلم من يشاء.

ثم حسدوا نبينا ﷺ ألا ونحن أهل البيت الذين أذهب الله عنا الرجس ونحن المحسودون كما حسد آباؤنا قال الله عز وجل إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ قَالَ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

فنحن أولى الناس بإبراهيم ونحن ورثناه ونحن أولو الأرحام الذين ورثنا الكعبة ونحن آل إبراهيم أقرعوبون عن ملة إبراهيم و قد قال الله تعالى «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي».

(١) ذكره السيّد الرضوي في المختار: (٣١١) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) رواه الطبرسي في كتاب الإحتجاج: ج ١، ص ٢٣٠، وفي ط بيروت ص ١٦٠.

يا قوم أدعوكم إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه وإلى ولي أمره وإلى وصيه وإلى وارثه من بعده فاستجيبوا لنا واتبعوا آل إبراهيم واقتدوا بنا فإن ذلك لنا آل إبراهيم فرضا واجبا والأفئدة من الناس تهوي إلينا وذلك دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ فَهَلْ نَقَمْتُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فَتَضَلُّوا وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَ قَدْ أَنْذَرْتُكُمْ وَ دَعَوْتُكُمْ وَ أُرْشَدْتُكُمْ ثُمَّ أَنْتُمْ وَ مَا تَخْتَارُونَ.

٦٨-ج: [الإحتجاج] روي عن ابن عباس رحمة الله عليه أنه قال كنت قاعدا عند علي عليه السلام حين دخل عليه طلحة و الزبير فاستأذناه في العمرة فأبى أن يأذن لهما و قد قال اعترمتما فأعادا عليه الكلام فأذن لهما ثم التفت إلي فقال و الله ما يريدان العمرة قلت فلا تأذن لهما فردهما ثم قال و الله ما تريدان العمرة و ما تريدان إلا نكتا ليعتكما و إلا فرقة لأمتكما فحلقتا له فأذن لهما ثم التفت إلي فقال و الله ما يريدان العمرة قلت فلم أذنت لهما قال حلقتا لي بالله قال فخرجا إلى مكة فدخلتا على عائشة فلم يزالا بها حتى أخرجهما^(١).

٦٩-شاج: [الإرشاد و الإحتجاج] و روي عنه عليه السلام أنه قال عند توجههما إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه بعد أن حمد الله تعالى و أثنى عليه^(٢).

أما بعد فإن الله عز و جل بعث محمدا صلى الله عليه و آله للناس كافة و جعله رحمة للعالمين فصعد بما أمر به و بلغ رسالة ربه فلم به الصدد و رتق به الفتق و آمن به السبل و حقن به الدماء و ألف به بين ذوي الإحن و العداوة و الوغر في الصدور و الضغائن الراسخة في القلوب.

ثم قبضه الله إليه حميدا لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة و لأبلغ شيئا كان في التقصير عنه القصد و كان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة فتولى أبو بكر و بعده عمر ثم تولى عثمان فلما كان من أمره ما كان أتيتوني فقلت ما بينكما فقلت لا أفعل قلت بل يلقى فقلت لا و قبضت يدي فبسطتموها و نازعتكم فجذبتموها و حتى تداكمت علي كتدائك الإبل الهميم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي و أن بعضكم قاتل بعض و بسطت يدي فبايعتوني مختارين و بايعني في أولكم طلحة و الزبير طائعين غير مكرهين ثم لم يلبثا أن استأذنا في العمرة و الله يعلم أنهما أرادا الغدرة فجددت عليهما العهد في الطاعة و أن لا يبيعا الأمة الغوائل فعهادني ثم لم يفيا لي و نكتا بيعتي و نقضا عهدي.

فعبجا لهما من انتيادهما لأبي بكر و عمر و خلافهما لي و لست بدون أحد الرجلين و لو شئت أن أقول لقلت اللهم اغضب عليهما بما صنعا و أظفرتني بهما.

بيان: اللهم الإصلاح و الجمع و الإحن كعنب جمع إحنة بالكسر و هي الحقد و يقال في صدره علي و غر بالنسكين أي ضغن و عداوة و توقد من الغيظ و المصدر بالتحريك قوله صلى الله عليه و آله و سلم لو شئت أن أقول لقلت كناية أبلغ من الصريح في ذم الرجلين و كفرهما.

٧٠-ج: [الإحتجاج] و قال صلى الله عليه و آله في أثناء كلام آخر و هذا طلحة و الزبير ليسا من أهل بيت النبوة و لا من ذرية الرسول حين رآيا أن الله قد رد علينا حقنا بعد أعصر فلم يصبرا حولا كاملا و لا شهرا كاملا حتى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذبحا بحقي و يفرقا جماعة المسلمين عني ثم دعا عليهما^(٣).

٧١-ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقيفي عن عبيد الله بن إسحاق الضبي عن حمزة بن نصر عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي قال لما رجعت رسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من عند طلحة و الزبير و عائشة يؤذنتونه بالحرب قام فحمد الله و أثنى عليه و صلى على محمد صلى الله عليه و آله ثم قال^(٤):

يا أيها الناس إني قد راقبت هؤلاء القوم كيما يروعوا و يرجعوا و قد وبختهم بنكتهم و عرفتهم بغيمهم فليسوا يستجيبون ألا و قد بعثوا إلي أن أبرز للطعان و اصبر للجلاذ فإنما منتك نفسك من أنباء الأباطيل.

(١) رواه الطبرسي في كتاب الإحتجاج: ج ١، ص ٢٣٠، وفي ط بيروت ص ١٦١.

(٢) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (١٧) مما اختار من كلام أمير المؤمنين في كتاب الإرشاد ص ١٣٠.

ورواه الطبرسي في كتاب الإحتجاج: ج ١، ص ٢٣٥ ط الغري وفي ط بيروت ص ١٦١.

(٣) ذكره الطبرسي في كتاب الإحتجاج: ج ١ ص ١٦٢ ط بيروت.

(٤) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٣٦) من الجزء السادس من كتاب الأمالي: ج ١، ص ١٠٦، وفي ط بيروت ص ١٧١.

وللحديث مصادر و أسانيد يجد الباحث بعضها في المختار: (٩٥) من نهج السعادة: ج ١ ص ٣٠٩ ط ٢.

هبلتهم الهول قد كنت و ما أهدد بالحرب و لا أرهب بالضرب و أنا على ما وعدني ربي من النصر و التأييد و الظفر و إني لعلّى يقين من ربي و في غير شبهة من أمري.

أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم و لا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيص من لم يقتل يموت^(١) إن أفضل الموت القتل و الذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة السيف لأهون علي من موت على فراش. يا عجباً لطلحة ألب على ابن عفان حتى إذا قتل أعطاني صفقة يمينه طائعاً ثم نكث بيعتي و طفق ينعي ابن عفان ظالماً و جاء يطلبني يزعم بدمه.

و الله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث لئن كان ابن عفان ظالماً كما كان يزعم حين حصره و ألب عليه إنه كان لينبغي أن يوازر قاتليه و أن يناهز ناصريه و إن كان في تلك الحال مظلوماً إنه لينبغي أن يكون معه و إن كان في شك من الخصم لئن كان ينبغي أن يعتزله و يلزم بيته و يدع الناس جانباً فما فعل من هذه الخصال واحدة و ها هو ذا قد أعطاني صفقة يمينه غير مرة ثم نكث بيعته اللهم فخذ و لا تهله.

ألا وإن الزبير قطع رحمي وقرابتي و نكث بيعتي و نصب لي الحرب وهو يعلم أنه ظالم لي اللهم فاكفنيه بم شئت. ٢٢- جا: [المجالس للمفيد] ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفني عن إسماعيل بن أبان عن عمرو بن شمر قال سمعت جابر بن يزيد الجعفي يقول سمعت أبا جعفر محمد بن علي^(٢) يقول حدثني أبي عن جدي قال^(٣):

١٠١
٣٢

لما توجه أمير المؤمنين^(٤) من المدينة إلى الناكثين بالبصرة نزل الربرة فلما ارتحل منها لقيه عبد الله بن خليفة الطائي و قد نزل بمنزل يقال له قائد^(٥) فقربه أمير المؤمنين^(٦) فقال له عبد الله الحمد لله الذي رد الحق إلى أهله و وضعه في موضعه كره ذلك قوم أم سروا به فقد و الله كرهوا محمداً^(٧) و نابذوه و قاتلوه فرد الله كيدهم في نحورهم و جعل دائرة السوء عليهم و الله لنجاهدن معك في كل موطن حفظاً لرسول الله^(٨) فرحب به أمير المؤمنين و أجلسه إلى جنبه و كان له حبيباً و ولياً و أخذ يسأله عن الناس إلى أن سأله عن أبي موسى الأشعري فقال و الله ما أنا و اتق به و ما آمن عليك خلافة إن وجد مساعداً على ذلك.

فقال أمير المؤمنين و الله ما كان عندي مؤتمناً و لا ناصحاً و لقد كان الذين تقدموني استولوا على مودته و ولوه و سلطوه بالإمرة على الناس و لقد أردت عزله فسألني الأشر في و أن أقره فأقرته على كره مني له و عملت على صرفه من بعد.

١٠٢
٣٣

قال فهو مع عبد الله في هذا و نحوه إذ أقبل سواد كثير من قبل جبال طيء فقال أمير المؤمنين^(٩) انتظروا ما هذا السواد و قد ذهب الخيل تركض فلم تلبث أن رجعت فقبل هذه طيء قد جاءتك تسوق الغنم و الإبل و الخيل فمتهم من جاءك بهداياه و كرامته و منهم من يريد النفوذ معك إلى عدوك فقال أمير المؤمنين^(١٠) جزى الله طياً خيراً و فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً فلما انتهوا إليه سلموا عليه.

قال عبد الله بن خليفة فسرتني و الله ما رأيت من جماعتهم و حسن هيئتهم و تكلموا فأقروا و الله لعيني ما رأيت خطيباً أبلغ من خطيبهم.

و قام عدي بن حاتم الطائي فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإني كنت أسلمت على عهد رسول الله^(١١) و أدبت الزكاة على عهده و قاتلت أهل ردة من بعده أردت بذلك ما عند الله و على الله ثواب من أحسن و أتقى و قد بلغنا أن رجلاً من أهل مكة نكثوا بيعتك و خالفوا عليك ظالمين فأنتناك لننصرك بالحق ففتح بين يديك فمرنا بما أحببت ثم أنشأ يقول:

وَأنتَ بِسحقِ جِئْتَنَا فسننصر
وَأنتَ بهِ من سائرِ الناسِ أجدر

فنحن نصرنا الله من قبل ذاكرم
سنكفيك دون الناس طراً بنصرنا

(١) هذا هو الصواب. وفي أصلي: «من لم يموت يقتل...».

(٢) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث: (٦) من كتاب الأمالي ص ١٧١.

ورواه عنه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٢) من الجزء الثالث من أماليه: ج ١، ص ٦٧.

(٣) كذا في ط الكهباني من بحار الآثار. و أمالي الطوسي. وفي أمالي الشيخ المفيد: «قديم».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام جزاكم الله من حي عن الإسلام وأهله خيرا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ونوئتم نصر المسلمين.

وقام سعيد بن عبيد البخري من بني بختر فقال يا أمير المؤمنين إن من الناس من يقدر أن يعبر بلسانه عما في قلبه ومنهم من لا يقدر أن يبين ما يجده في نفسه بلسانه فإن تكلف ذلك شق عليه وإن سكت عما في قلبه برح به الهم والبرم وإنني والله ما كل ما في نفسي أقدر أن أوديه إليك بلساني ولكن والله لأجهدن على أن أبين لك والله ولي التوفيق أما أنا فإني ناصح لك في السر والعلانية ومقاتل معك الأعداء في كل موطن وأرى لك من الحق ما لم أكن أراه لمن كان قبلك ولا لأحد اليوم من أهل زمانك لفضيلتك في الإسلام وقربتك من الرسول ولن أفارق أبدا حتى تظفر أو أموت بين يديك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام يرحمك الله فقد أدى لسانك ما يجد ضميرك لنا^(١) ونسأل الله أن يرزقك العافية ويشيك الجنة.

وتكلم نفر منهم فما حفظت غير كلام هذين الرجلين.

ثم ارتحل أمير المؤمنين واتبعه منهم ستمائة رجل حتى نزل ذا قار فنزلها في ألف و ثلاثمائة رجل.

٧٣- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقيفي عن الفضل بن دكين عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال^(٢):

لما نزل علي بالريذة سألت عن قدومه إلينا فقبل خالف عليه طلحة والزبير وعائشة وصاروا إلى البصرة فخرج يريدهم فصرت إليه فجلست حتى صلى الظهر والعصر فلما فرغ من صلاته قام إليه ابنه الحسن بن علي عليه السلام فجلس بين يديه ثم بكى وقال يا أمير المؤمنين إني لا أستطيع أن أكلمك وبكى فقال له أمير المؤمنين لا تبك يا بني وتكلم ولا تحن حين الجارية.

فقال يا أمير المؤمنين إن القوم حصروا عثمان يطلبونه بما يطلبونه إما ظالمون أو مظلومون فسألتك أن تعتزل الناس وتلحق بمكة حتى تؤب العرب وتعود إليها أحلامها وتأتيك وفودها فوالله لو كنت في جحر ضب لضربت إليك العرب آباط الإبل حتى تستخرجك منه.

ثم خالفك طلحة والزبير فسألتك أن لا تتبعهما وتدعهما فإن اجتمعت الأمة فذاك وإن اختلفت رضيت بما قسم الله وأنا اليوم أسألك أن لا تقدم العراق وأذكرك بالله أن لا تقتل بمضيعة!!!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام أما قولك إن عثمان حصر فما ذاك وما علي منه وقد كنت بمعزل عن حصره.

وأما قولك أنت مكة فوالله ما كنت لأكون الرجل الذي يستحل به مكة.

وأما قولك اعتزل العراق ودع طلحة والزبير فوالله ما كنت لأكون كالضبع تنتظر حتى يدخل عليها طالبها فيضع الحبل في رجلها حتى يقطع عرقوبها ثم يخرجها فيمزقها إربا إربا ولكن أباك يا بني يضرب بالمقبيل إلى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المخالف أبدا حتى يأتي علي يومي فوالله ما زال أبوك مدفوعا عن حقه مستأثرا عليه منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يوم الناس هذا.

فكان طارق بن شهاب أي وقت حدث بهذا الحديث بكى.

٧٤- جا: [المجالس للمفيد] ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الجعابي عن ابن عقدة عن أبي عوانة موسى بن يوسف عن عبد السلام بن عاصم عن إسحاق بن إسماعيل عن عمرو بن أبي قيس عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو قال أخبرني رجل من بني تميم قال^(٣):

(١) كذا في النسخة المطبوعة من أمالي الشيخ المفيد وطبع الكلباني من بحار الأنوار. وفي المطبوع من أمالي الطوسي: «ما يكن ضميرك لنا».

(٢) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٣٧) من الجزء الثاني من أماليه ص ٣٢ ط ١. ولحديث مصادر آخر يجد الباحث بعضها في المختار: (٨٢) وما بعده من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٨٢ ط ٢. (٣) رواه الشيخ المفيد في الحديث: (٥) من المجلس: (٣٩) من أماليه ص ٢٠٥.

كنا مع علي بن أبي طالب عليه السلام بذي قار و نحن نرى أنا سنخطف في يومنا فسمعته يقول و الله لنظهرن على هذه الفرقة و لنقتلن هذين الرجلين يعني طلحة و الزبير و لنستبيحن عسكرهما.

قال التميمي فأتيت إلى عبد الله بن العباس فقلت أما ترى إلى ابن عمك و ما يقول فقال لا تعجل حتى تنظر ما يكون قال فلما كان من أمر البصرة ما كان أتيته فقلت لا أرى ابن عمك إلا قد صدق فقال ويحك إنا كنا نتحدث أصحاب محمد أن النبي صلى الله عليه وآله عهد إليه ثمانين عهدا لم يعهد شيئا منها إلى أحد غيره فلعل هذا مما عهد إليه.

٧٥- ل: [الخصال] فيما أجاب أمير المؤمنين عليه السلام اليهودي السائل عما فيه من خصال الأوصياء قال علي عليه السلام و أما الخامسة يا أخا اليهود فإن المتابعين لي لما لم يطعموا في تلك مني وثبوا بالمرأة علي و أنا ولي أمرها و الوصي عليها فحملوها على الجمل و شدوها على الرجال و أقبلوا بها تخبط القيافي و تقطع البراري و تنبج عليها كلاب الحوآب و تظهر لهم علامات الندم في كل ساعة و عند كل حال في عصبه قد بايعوني ثانية بعد بيعتهم الأولى في حياة النبي صلى الله عليه وآله حتى أتت أهل بلدة قصيرة أيديهم طويلة لآحام قليلة عقولهم غازبة آراؤهم و هم جيران بدو و وراد بحر فأخرجتهم يخطون بسيفهم من غير علم و يرمون بسهامهم بغير فهم فوقفت من أمرهم على اثنتين كلتاها في محنة المكروه ممن إن كفت لم يرجع و لم يقل لم يرجعوا و لم يقلعوا و إن أقمت كنت قد صرت إلى التي كرهت فقدمت الحجة بالإعذار و الإنذار و دعوة المرأة إلى الرجوع إلى بيتها و القوم الذين حملوها على الوفاء ببيعتهم لي و الترك لنقضهم عهد الله عز و جل في و أعطيتهم من نفسي كل الذي قدرت عليه و ناظرت بعضهم فرجع و ذكرت فذكر ثم أقبلت على الناس بمثل ذلك فلم يزدادوا إلا جهلا و تماديا و غيا فلما أبوا إلا هي ركبتهما منهم فكانت عليهما الدبرة و بهم الهزيمة و لهم الحسرة و فيهم الفناء و القتل و حملت نفسي على التي لم أجد منها بدا و لم يسعني إذ فعلت ذلك و أظهرته آخر ما مثل الذي وسعني منه أولا من الإغضاء و الإمساك و رأيته إن أمسكت كنت معينا لهم علي بامساكي علي ما صاروا إليه و طمعوا فيه من تناول الأطراف و سفك الدماء و قتل الرعية و تحكيم النساء النواقص العقول و الحظوظ على كل حال كعادة بني الأصفر و من مضى من ملوك سبأ و الأمم الخالية فأصير إلى ما كرهت أولا و آخر و قد أهملت المرأة و جندها يفعلون ما وصفت بين الفريقين من الناس و لم أهتم على الأمر إلا بعد ما قدمت و أخرت و تأنيت و راجعت و أرسلت و سافرت و شافهت أعذرت و أنذرت و أعطيت القوم كل شيء التمسوه بعد أن عرضت عليهم كل شيء لم يلبسوه فلما أبوا إلا تلك أقدمت عليها فبلغ الله بي و بهم ما أراد و كان لي عليهم بما كان مني إليهم شهيدا^(١).

٧٦- فس: [تفسير القمي] أبي عن فضالة عن أبان بن عثمان عن ضريس عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ قال نزلت في طلحة و الزبير و الجمل جملهم^(٢).

٧٧- فس: [تفسير القمي] قال علي بن إبراهيم في قوله وَحَضِرَ اللَّهُ مَثَلًا ثم ضرب الله فيهما مثلا فقال وَحَضِرَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا ضَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا قال والله ما عتا بقوله^(٣).

بيان المراد بفلان طلحة و هذا إن كان رواية فهي شاذة مخالفة لبعض الأصول و إن كان قد يبدو من طلحة ما يدل على أنه كان في ضميره الخبيث مثل ذلك لكن وقوع أمثال ذلك بعيد عقلا و نقلا و عرفا و عادة و ترك التعرض لأمثاله أولى.

٧٨- فس: [تفسير القمي] قال أمير المؤمنين في كتابه الذي كتبه إلى شيعة و يذكر فيه خروج عائشة إلى البصرة و عظم خطأ طلحة و الزبير فقال^(٤).

ورواه عنه الشيخ الطوسي في الحديث: (٢٧) من الجزء الرابع من أماليه ١١٢.
وللحديث مصادر أخر ذكر بعضها في ذيل المختار: (٨٩) من نهج السعادة: ج ١، ص ٢٨٤ ط ٢.
(١) رواه الشيخ الصدوق في الحديث: (٥٨) في عنوان: «إمتحان الله... أوصياء الأنبياء...» في باب السبعة في الجزء الثاني من الخصال: ج ٢ ص ٣٧٧.
(٢) رواه علي بن إبراهيم في تفسير الآية: (٤٠) من سورة الأعراف من تفسيره.
(٣) الحديث من الأخبار الأحاد التي تراكت الشواهد على عدم صدقه.
(٤) رواه علي بن إبراهيم في تفسير الآية: (٣٥) من سورة فاطر من تفسيره.

وأي خطيئة أعظم مما أتيا أخرجا زوجة رسول الله ﷺ من بيتها وكشفا عنها حجابا ستره الله عليها وصانا حلالهما في بيوتهما ما أنصفا لله ولا لرسوله من أنفسهما ثلاث خصال مرجعها على الناس في كتاب الله البغي والمكر والنكث قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَيَّعْتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ وقال ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وقال ﴿وَلَا يَجِئُكَ مِنَ الثَّكْرِ شَيْءٌ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وقد بغيا علينا ونكثا بيعتي ومكرابي.

٧٩-فس: [تفسير القمي] لما أنزل الله ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ وحرم الله نساء النبي على المسلمين غضب طلحة فقال يحرم محمد علينا نساءه ويتزوج هو بنسائنا لئن أمات الله محمدا لمركض بين خلايل نساؤه كما ركض بين خلايل نساينا فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا آيَاتِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ إلى قوله ﴿إِنْ تُبَدُّوا سُيُنَا أَوْ تُخَفُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١).
٨٠-ل: [الخصال] سمعت شيخنا محمد بن الحسن رضي الله عنه يروي أن الصادق عليه السلام قال ما زال الزبير منا أهل البيت حتى أدرك فرخه فنفاه عن رأيه^(٢).

٨١-يو: [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد والحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عن محمد بن سنان رفعه قال إن عائشة قالت التمسوا لي رجلا شديدا العداوة لهذا الرجل حتى أبعثه إليه قال فأتيت به فمثل بين يديها فرفعت إليه رأسها فقالت له ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل قال فقال لها كثيرا ما أتمنى على ربي أنه وأصحابه في وسطي فضربت ضربة بالسيف يسبق السيف الدم قالت فأتت له فاذهب بكتابي هذا فادفعه إليه طاعنا رأيته أو مقبلا أما إنك إن رأيته طاعنا رأيته راكبا على بغلة رسول الله ﷺ متكبكا قوسه معلقا كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا وإن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولن منه شيئا فإن فيه السحر قال فاستقبلته راكبا فناولته الكتاب ففرض خاتمه ثم قرأه فقال تبلغ إلى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ونكتب جواب كتابك فقال هذا والله ما لا يكون قال فساء خلقه فأدق به أصحابه ثم قال له أسألك قال نعم قال وتجيئني قال نعم قال فنشدتك الله هل قالت التمسوا لي رجلا شديدا عداوته لهذا الرجل فأتوها بك فقالت لك ما بلغ من عداوتك هذا الرجل فقلت كثيرا ما أتمنى على ربي أنه وأصحابه في وسطي وأني ضربت ضربة بالسيف يسبق السيف الدم قال اللهم نعم قال فنشدتك الله أأقلت لك اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه طاعنا كان أو مقبلا أما إنك إن رأيته طاعنا رأيته راكبا على بغلة رسول الله ﷺ متكبكا قوسه معلقا كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف فقال اللهم نعم قال فنشدتك بالله هل قالت لك إن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولن منه شيئا فإن فيه السحر قال اللهم نعم قال فمبلغ أنت عني قال اللهم نعم فإني قد أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إلي منك وأنا الساعة ما في الأرض أحب إلي منك فمرني بما شئت قال ارجع إليها بكتابي هذا وقل لها ما أطعت الله ولا رسوله حيث أمرك الله بلزوم بيتك فخرجت ترددني في العساكر وقل لها ما أطعنا الله ولا رسوله حيث خلفتم حلالكم في بيوتكم وأخرجتم حليلة رسول الله ﷺ^(٣).

قال ففجأ بكتابه حتى طرحه إليها وأبلغها مقالته ثم رجع إليه فأصيب بصفين فقالت عائشة ما نبعت إليه بأحد إلا أفسده علينا.

٨٢-يج: [الخرايع والجرائح] علي بن النعمان ومحمد بن سنان مثله^(٤).

ورواه عنه البحراني في تفسير الآية من تفسير البرهان: ج ٣ ص ٣٦٦ ط ٣.
وتقدم برواية المصنف في أول الباب (١٦) من القسم الأول من هذا المجلد ص ١٨٤.
(١) رواه علي بن إبراهيم في تفسير الآية: (٣٥) من سورة الأحزاب ٣٣ من تفسيره ورواه عنه البحراني في تفسير الآية من تفسير البرهان: ج ٣ ص ٣٣٣.
(٢) رواه الشيخ الصدوق قدس الله نفسه في عنوان: «السفرجل فيه ثلاث خصال» في باب الثلاثة في ذيل الحديث: (١٩٩) من كتاب الخصال: ج ١ ص ١٥٧.
وقريبا منه رواه السيد الرضي في المختار: (٤٥٣) من الباب الثالث من نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام.
ورواه أيضا البلاذري في الحديث: (٣١٩) من ترجمة علي عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٥٥.
(٣) رواه الصفار في الباب: الخامس من كتاب بصائر الدرجات ص ٦٧.
(٤) رواه الرواندي في كتاب الخرايع.

بيان: قوله فضربت على بناء المجهول و حاصله أنه تمنى أن يكونوا مشدودين على وسطه
فضرب ضربة على وسطه يكون فيها هلاكهم و هلاكه و سبق السيف الدم كناية عن سرعة نفوذها
و قوتها.

١١٠
٣٢ ٨٤-يج: [الخراج و الجرائح] روي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر^(٢) قال مر رسول الله يوماً على علي و الزبير
قائم معه يكلمه فقال رسول الله^(٣) ما تقول له فو الله لتكون أول العرب تنكث بيعته^(٤).

٨٥-يج: [الخراج و الجرائح] روي عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن جده عن علي^(٥) قال لما رجع
الأمر إليه أمر أبا الهيثم بن التيهان و عمار بن ياسر و عبيد الله بن أبي رافع فقال اجمعوا الناس ثم انظروا ما في بيت
مالهم و اقسما بينهم بالسوية فوجدوا نصيب كل واحد منهم ثلاثة دنانير فأمرهم يقعدون للناس و يعطونهم^(٦).
قال و أخذ مكلته و مسحاته ثم انطلق إلى بئر الملك يعمل فيها فأخذ الناس ذلك القسم حتى بلغوا الزبير و طلحة و
عبد الله بن عمر أمسكوا بأيديهم و قالوا هذا منكم أو من صاحبكم قالوا بل هذا أمره لا نعمل إلا بأمره قالوا فاستأذنوا
لنا عليه قالوا ما عليه إذن هو ذا يبشر الملك يعمل فركبوا دوابهم حتى جاءوا إليه فوجدوه في الشمس و معه أجير له
يعينه فقالوا له إن الشمس حارة فارتفع معنا إلى الظل فارتفع معهم إليه فقالوا له لنا قرابة من نبي الله و سابقة و جهاد
إنك أعطيتنا بالسوية و لم يكن عمر و لا عثمان يعطونا بالسوية كانوا يفضلونا على غيرنا فقال علي أيهما عندكم
أفضل عمر أو أبو بكر قالوا أبو بكر قال فهذا قسم أبي بكر و إلا فدعوا أبا بكر و غيره و هذا كتاب الله فانظروا ما لكم
من حق فخذوه قالوا فسايقنا قال أنتما أسبق مني بسايقتي قالوا لا قالوا قرابتنا بالنبي^(٧) قال أي أقرب من قرابتي
قالوا لا قالوا فجهادنا قال أعظم من جهادي قالوا لا قال فو الله ما أنا في هذا المال و أجيري هذا إلا بمنزلة سواء
قالا فتأذن لنا في العمرة قال ما العمرة تريدان و إني لأعلم أمركم و شأنكم فاذهبا حيث شئتما فلما وليا قال فَمَنْ نَكُثَ
فَأَنَا نَكُثْتُ عَلَى نَفْسِي.

١١١
٣٢ ٨٦-شا: [الإرشاد] من كلام أمير المؤمنين^(٨) قال بعد حمد الله و الثناء عليه^(٩).

أما بعد فإن الله تعالى لما قبض نبيه^(١٠) قلنا نحن أهل بيته و عصبته و ورثته و أولياؤه و أحق الخلق به لا تنازع
حقه و سلطانه فيبيننا نحن كذلك إذ نفر المنافقون و انتزعوا سلطان نبينا منا و لوه غيرنا فبكت و الله لذلك العيون و
القلوب منا جميعا معا و خشنت له الصدور و جزعت النفوس منا جزعا أرغم.

وإيم الله لو لا مخافتي الفرقه بين المسلمين وأن يعود أكثرهم إلى الكفر ويعوز الدين^(١١) لكانا قد غيرنا ذلك ما استطعنا.

١١٢
٣٢ وقد بايعتموني الآن و بايعني هذان الرجلان طلحة و الزبير على الطوع منهما و منكم و الإيثار ثم نهضوا يريدان
البصرة ليفرقا جماعتكم و يلقيا بأسكم بينكم اللهم فخذهما لغشهما لهذه الأمة و سوء نظرهما للعامة.

ثم قال انفروا رحمكم الله في طلب هذين الناكثين القاسطين الباغيين قبل أن يفوت تدارك ما جنياه.

أقول: قد أوردناه بسند متصل مع زيادة في باب شكايته^(١٢) نقلا عن كتاب جا.

(١) رواه ابن شهر آشوب في عنوان: «مقاماته مع الأنبياء والأوصياء» من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٦ ط النجف.

(٢) رواه الراوندي في كتاب الخراج.

(٣) رواه الراوندي في كتاب الخراج.

وقريبا منه رواه ابن شهر آشوب في أواخر عنوان: «السابقة بالعدل والأمانة» من مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣١٥، وفي ط النجف ص ٣٧٨.

ورويها بلفظ أجود مما هنا عن مصدر آخر في المختار: (٧١) من نهج السعادة: ج ١ ص ٢٤٠ ط ٢.

(٤) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (١٨) مما اختار من كلام علي^(١٣) في كتاب الإرشاد ص ١٣١، ط النجف.

وقريبا منه رواه أيضاً في آخر الكتاب الجمل ص ٢٣٣ ط ١.

وتقدم الحديث تحت الرقم: (١٥) من الباب (١٥) وهو باب شكايته^(١٤) من القسم الأول من هذا المجلد، ص ١٧٣ ط الكمباني.

وقد ذكرنا هناك أنَّ الشيخ المفيد رواه في الحديث: (٦) من المجلس: (١٩) من أماليه ص ٩٩.

(٥) لعله من قولهم: «عُوز الشيء عُوزاً» - على زنة علم - : عَزَّ فلم يوجد مع الحاجة إليه. والأمر: اشتدَّ.

والأظهر أنه من باب الإفعال من قولهم: «أعوز الشيء إعوزاً: عذَّر. أو من قولهم إعُوز إعوزاً: اختلَّت حاله.

وفي غير واحد من المصادر والطرق: «ويور الدين» يقال: بار السوق أو العمل: كسدت. بطل. وبار فلان: هلك. وبار الطعام: فسد.

٨٧- ورواه أيضا المفيد في كتاب الكافية عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عليه السلام قال كتبت أم الفضل بنت الحارث مع عطاء مولى ابن عباس إلى أمير المؤمنين عليه السلام بنغير طلحة والزبير وعائشة من مكة فيمن نفر معهم من الناس فلما وقف أمير المؤمنين على الكتاب قال محمد بن أبي بكر ما للذين أوردوا ثم أصدروا غداة الحساب من نجاة ولا عذر^(١).

ثم نودي من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الصلاة جامعة فخرج الناس وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أما بعد فإن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله.

إلى آخر ما مر مما رواه في كتاب شا.

٨٨- شا: [الإرشاد] لما اتصل بأمر المؤمنين صلوات الله عليه مسير عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة حمد الله وأثنى عليه ثم قال^(٢):

قد سارت عائشة وطلحة والزبير كل منهما يدعي الخلافة دون صاحبه ولا يدعي طلحة الخلافة إلا أنه ابن عم عائشة ولا يدعيها الزبير إلا أنه صهر أبيها والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربن الزبير عنق طلحة وليضربن طلحة عنق الزبير ينازع هذا على الملك هذا ولقد علمت والله أن الراكبة الجمل لا تحل عقدة ولا تسير عقبة ولا تنزل منزلة إلا إلى معصية الله حتى تورد نفسها ومن معها موردا يقتل ثلثهم.

و يهرب ثلثهم ويرجع ثلثهم والله إن طلحة والزبير ليعلمان أنهما مخطئان وما يجهلان ولرب عالم قتله جهله و علمه معه لا ينفعه.

والله لتنبحنها كلاب الحوآب فهل يعتبر معتبر ويتفكر متفكر لقد قامت الفتنة الباغية فأين المحسنون.

٨٩- أقول ورواه أيضا مرسلًا في الكافية وزاد في آخره^(٣):

ما لي وقريش أما والله لأقتلنهم كافرين ولأقتلنهم مفتونين وإني لصاحبهم بالأمس وما لنا إليهما من ذنب غير أنا خيرنا عليهما فأدخلناهم في خيرنا.

أما والله لا يترك الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته إن شاء الله فلنضج مني قريش ضجيجا.

٩٠- شا: [الإرشاد] لما توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة نزل الريزة فلقبه بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه قال ابن عباس رضي الله عنه فأتيته فوجدته يخصف نعلًا فقلت له نحن إلى أن تصلح أمرنا أخرج منا إلى ما تصنع فلم يكلمني حتى فرغ من نعله ثم ضمها إلى صاحبها وقال لي قومها فقلت ليس لهما قيمة قال على ذلك قلت كسر درهم قال والله لهما أحب إلي من أمركم هذا إلا أن أقيم حقًا أو أدفع باطلا قلت إن الحاج اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي أن أتكلم فإن كان حسنا كان منك وإن كان غير ذلك كان مني قال لا أنا أتكلم ثم وضع يده على صدره وكان شثن الكفين فآلمني ثم قام فأخذت بثوبه وقلت نشدتك الله والرحم قال لا تشدني ثم خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال^(٤):

أما بعد فإن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وآله وليس في العرب أحد يقرأ كتابًا ولا يدعي نبوة فساق الناس إلى منجاتهم أم والله ما زلت في ساقتهما ما غيرت ولا بدلت ولا خنت حتى تولت بهذا فيرها.

ما لي وقريش أم والله لقد قاتلنهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين وإن مسيري هذا عن عهد إلي فيه.

أم والله لأبقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في خيرنا في أنشد:

أدمت لعمرى شريك المحض خالصا وأكسك بالزبد المسقشرة الثمرا
ونسحن وهبناك العلاء ولم تكن عليا وحطنا حولك الجرد والسمرا

(١) الكافية الورق.

(٢) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (١٩) ما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٣٢.

(٣) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (١٩) ما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٣١، ط النجف. ورواه أيضا في الكافية.

(٤) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٢٠) ما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٣٣.

٩١- شا: [الإرشاد] ولما نزل ﷺ بذي قار أخذ البيعة على من حضره ثم تكلم فأكثر من الحمد لله والثناء عليه و الصلاة على رسول الله ﷺ ثم قال (١):

قد جرت أمور صبرنا عليها وفي أعيننا القذى تسليما لأمر الله فيما امتحنتنا به رجاء الثواب على ذلك وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرق المسلمون ويسفك دماؤهم.

١١٥
٣٣ نحن أهل البيت وعرة الرسول وأحق الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة التي ابتدأ الله بها هذه الأمة وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوة ولا من ذرية الرسول حين رآيا أن الله قد رد علينا حقنا بعد أعصر لم يصبرا حولا واحدا ولا شهرا كاملا حتى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقي ويفرقا جماعة المسلمين عني. ثم دعا ﷺ عليهما.

بيان: قوله ﷺ على ذاك أي قومهما على ذاك التحقير الذي تظهره قوله نشدتك الله لعله نشده على أن يدع الكلام إليه إذ كان يظن أن المصلحة في ذلك.

وقال الجوهري المحض اللبن الخالص وهو الذي لم يخالطه الماء حلوا كان أو حامضا وقال الجرد فضاء لا نبات فيه وقال السمره بضم الميم شجر الطلع والجمع سمر وسمرات وأسمر.

٩٢- شا: [الإرشاد] روى عبد الحميد بن عمران العجلي عن سلمة بن كهيل قال لما التقى أهل الكوفة أمير المؤمنين صلوات الله عليه بذي قار حيوا به ثم قالوا الحمد لله الذي خصنا بجوارك وأكرمنا بتصرتك (٢).

فقام أمير المؤمنين ﷺ فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين وأقصدهم تقويما وأعدلهم سنة وأفضلهم سهما في الإسلام وأجودهم في العرب مركبا ونصابتا أنتم أشد العرب ودا للنبي ﷺ وأهل بيته وإنما جئتم ثقة بعد الله بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلفهما خلعهما طاعتي وإقبالهما بعائشة للفتنة وإخراجهما إياها من بيتها حتى أقدامها البصرة فاستغفروا طعامها وغوغاءها مع أنه قد بلغني أن أهل الفضل منهم وخيارهم في الدين قد اعتزلوا وكروها ما صنع طلحة والزبير ثم سكت ﷺ.

١١٦
٣٣ فقال أهل الكوفة نحن أنصارك وأعوانك على عدوك ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوانه فدعا لهم أمير المؤمنين وأثنى عليهم ثم قال:

لقد علمتم معاشر المسلمين أن طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين راغبين ثم استأذنانني في العمرة فأذنت لهما فسارا إلى البصرة فقتلا المسلمين وفعلا المنكر اللهم إنهما قطعاني وظلماني وجنيتاني ونكثا بيعتي وألبا الناس فاحلل ما عقدا ولا تحكم ما أبرما وأرهما المساءة فيما عملا.

بيان: الطعام بالفتح أوغاد الناس الواحد والجمع فيه سواء والغواء الجراد بعد الدباء وبه سمي الغوغاء والغاغة من الناس وهم الكثر المختلطون ذكره الجوهري.

٩٣- شا: [الإرشاد] من كلامه ﷺ وقد نفر من ذي قار متوجها إلى البصرة بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ (٣):

أما بعد فإن الله تعالى فرض الجهاد وعظمه وجعله نصرة له والله ما صلحت دنيا قط ولا دين إلا به وإن الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله وشبه في ذلك وخدع وقد بانث الأمور وتمحضت. والله ما أنكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وإنهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه ولئن كنت شركتهم فيه إن لهم نصيبهم منه ولئن كانوا ولوه دوني فما تبعته إلا قبلهم وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم وإني لعلى بصيرتي ما التبست علي وإنها للفتنة الباغية فيها اللحم واللحمة قد طالت هيبتها وأمكننت درتها يرضعون أما فظمت ويحيون بيعة تركت ليعود الضلال إلى نصابه ما أعتذر مما فعلت ولا أنبرأ مما صنعت.

(١) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٢١) منا اختار من كلم أمير المؤمنين ﷺ في كتابه الإرشاد، ص ١٢٣، ط النجف.

(٢) رواه محمد بن محمد بن النعمان في الفصل: (٢٢) من مختار كلام أمير المؤمنين ﷺ في الإرشاد، ص ١٣٣.

(٣) رواه محمد بن محمد بن محمد في الفصل: (٢٣) من مختار كلام علي ﷺ في الإرشاد ١٣٤.

فيا خيبة للداعي ومن دعا لو قيل له إلى من دعوتك وإلى من أجبته ومن إمامك وما سنته إذا لزاح الباطل عن مقامه و لصمت لسانه فما نطق.

وأيما الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه ولا يصدرون عنه ولا يلقون بعده رياً أبداً وإني لراض بحجة الله عليهم وعذره فيهم إذ أنا داعيهم فمعذر إليهم فإن تابوا وأقبلوا فاتوبة مبدولة والحق مقبول وليس على الله كفران وإن أبوا أعطيتهم حد السيف فكفى به شافياً من باطل و ناصراً لمؤمن.

بيان: قوله ﷺ فيها اللحم واللحمة لحم كل شيء ليه واللحمة بالضم القرابة أي فيها من يظن الناس أنهم لب الصحابة وفيهم من يدعي قرابة الرسول كالزبير وفي بعض النسخ الحمأ والحمأة كما مر قد طالت هينتها الهينة والرفق والسكون شبه ﷺ تلك الفتنة وفتنتها بناقاة طال سكونها وأمكن من حلها كناية عن استمرار الفتنة وتمكنها في أهل الجهل وفي بعض النسخ هلبتها قال الجوهري الهلبة ما غلظت من شعر الذنب وهلبة الزمان شدته.

٩٤-ق: [المناقب لابن شهر آشوب] بلغ عائشة قتل عثمان وبيعة علي بسرف فانصرفت إلى مكة تنتظر الأمر فتوجه طلحة والزبير وعبد الله بن عامر بن كريز فعمزوا على قتال علي واختاروا عبد الله بن عمر للإمامة فقال تلقونني بين مخالبي علي وأنيابه ثم أدركهم يعلى بن منه قادمًا من اليمن وأقرضهم ستين ألف دينار والتمست عائشة من أم سلمة الخروج فأبته وسألت حفصة فأجابته ثم خرجت عائشة في أول نفر^(١).

فكتب الوليد بن عتبة:

ولا تهيهو لا تحل مواهبه

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم

وأيضاً أنشأ الوليد لما ظفر علي أمير المؤمنين ﷺ:

بأن الزبير أخاكم غدر

ألا أيها الناس عندي الخبر

ويعلى بن منه فيمن نفر

وطلحة أيضاً حذاً فعله

فأنشأ أمير المؤمنين ﷺ أبياتا منها:

تسقى أواخرها بكأس الأول

فتن تحل بهم وهن شوارع

أذنت بعدل بينهم مستفل

فتن إذا نزلت بساحة أمه

فقدمت عائشة إلى الحوآب وهو ماء نسب إلى الحوآب بنت كليب بن وبرة فصاحت كلابها فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون ردوني.

وذكر الأعمش في الفتوح والماوردي في أعلام النبوة وشيرويه في الفردوس وأبو يعلى في المسند وابن مردويه في فضائل أمير المؤمنين والوفيق في الأربعين وشعبة والشعبي وسالم بن أبي الجعد في أحاديثهم والبلاذري والطبري في تاريخهما أن عائشة لما سمعت نباح الكلاب قالت أي ماء هذا فقالوا الحوآب. قالت إنا لله وإنا إليه راجعون إني ليهيه قد سمعت رسول الله وعنده نساؤه يقول ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحوآب.

وفي رواية الماوردي أيتكن صاحبة الجمل الأدب تخرج فتنبجها كلاب الحوآب يقتل من يمينها ويسارها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت تقتل.

فلما نزلت الخريبة قصدهم عثمان بن حنيف و حاربههم فتداعوا إلى الصلح فكتبوا بينهم كتاباً أن لعثمان دار الإمارة وبيت المال والمسجد إلى أن يصل إليهم علي فقال طلحة لأصحابه في السر والله لئن قدم علي البصرة لنؤخذن بأعتاقنا فأتوا على عثمان بياتا في ليلة ظلماء وهو يصلي بالناس العشاء الآخرة وقتلوا خمسين رجلاً واستأسروه و تنفوا شعره وحلقوا رأسه وجسوه.

فبلغ ذلك سهل بن حنيف فكتب إليهما أعطي الله عهدا لئن لم تخلوا سبيله لأبلغن من أقرب الناس إليكما فأطلقوه.

(١) رواه في عنوان: «ما ظهر منه ﷺ في حرب الجمل» من مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٣٣٥ طبع النجف.

ثم بعثا عبد الله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال فقتل أبا سالمة الزطي في خمسين رجلا وبعث عائشة إلى أحنف تدعوه فأبى واعتزل بالجلحاء من البصرة في فرسخين و هو في ستة آلاف.

فأمر علي سهل بن حنيف على المدينة وقسم بن العباس على مكة و خرج في ستة آلاف إلى الريزة ومنها إلى ذي قار و أرسل الحسن و عمارا إلى الكوفة و كتب إليهم.

من عبد الله و وليه علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار و سنام العرب.

ثم ذكر فيه قتل عثمان و فعل طلحة و الزبير و عائشة ثم قال:

إن دار الهجرة قد قلعت بأهلها و قلعوا بها و جاشت جيش المرجل و قامت الفتنة على القطب فأسرعوا إلى أميركم و بادروا عدوكم.

فلما بلغا الكوفة قال أبو موسى الأشعري يا أهل الكوفة اتقوا الله و لا تقتلوا أنفسكم إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا و مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدًّا الْآيَةَ.

فسكنه عمار فقال أبو موسى هذا كتاب عائشة تأمرني أن تكف أهل الكوفة فلا تكونن لنا و لا علينا ليصل إليهم صلاحهم.

فقال عمار إن الله تعالى أمرها بالجلوس فقامت و أمرنا بالقيام لتدفع الفتنة فنجلس؟

فقام زيد بن صوحان و مالك الأشتر في أصحابهما و تهددوه فلما أصبحوا قام زيد بن صوحان و قرأ ألم أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ الْآيَاتِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ سِيرُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ انْفِرُوا إِلَيْهِ أَجْمَعِينَ تَصِيبُوا الْحَقَّ رَاشِدِينَ.

ثم قال عمار هذا ابن عم رسول الله يستنفركم فأطيعوه في كلام له.

و قال الحسن بن علي عليه السلام أجيبوا دعوتنا و أعينونا على ما بلينا به في كلام له.

فخرج قعقاع بن عمرو و هند بن عمرو و هيثم بن شهاب و زيد بن صوحان و المسيب بن نجبة و يزيد بن قيس و حجر بن عدي و ابن مخدوج و الأشتر يوم الثالث في تسعة آلاف فاستقبلهم علي على فرسخ و قال مرحبا بكم أهل الكوفة و فئة الإسلام و مركز الدين.

في كلام له.

و خرج إلى علي من شيعته من أهل البصرة من ربيعته ثلاثة آلاف رجل و بعث الأحنف إليه إن شئت آتيتك في مائتي فارس فكنت معك و إن شئت اعتزلت ببني سعد فكففت عنك ستة آلاف سيف فاختار عليه السلام اعتزاله.

الأعثم في الفتوح أنه كتب أمير المؤمنين إليهما:

أما بعد فإني لم أرد الناس حتى أراذوني و لم أبايعهم حتى أكرهوني و أنتما ممن أراد بيعتي.

ثم قال عليه السلام بعد كلام و دفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما.

البلاذري لما بلغ عليا قولهما ما باعنا إلا مكريهين تحت السيف قال أبدهما الله أقصى دار و أحر نار^(١).

الأعثم و كتب إلى عائشة أما بعد فإنك خرجت من بيتك عاصية لله عز و جل و لرسوله محمد تطليين أمرا كان عنك موضوعا ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء و قود العساكر و الإصلاح بين الناس و طلبت كما زعمت بدم عثمان و عثمان رجل من بني أمية و أنت امرأة من بني تيم بن مرة.

ولعمري إن الذي عرضك للبلاء و حملك على العصبية لأعظم إليك ذنبا من قتلة عثمان و ما غضبت حتى أغضبت ولا هجت حتى هيجت فاتقي الله يا عائشة و ارجعي إلى منزلك و أسبلي عليك سترك^(٢).

(١) رواه البلاذري في الحديث: (٢٨٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من أنساب الأشراف: ج ١ / الورق ١٧٢ / وفي ط: ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) الحديث مذكور في وقعة الجمل من تاريخ الفتوح للأعثم: ج ص... وفي ترجمته ص ١٧٤، ط ١. وللکلام مصادر بعضها مذكور في ذيل المختار: (٢٨) من باب الكتب من نهج السعادة ج ٥ ص ٦٦ ط ١.

وقالت عائشة قد جل الأمر عن الخطاب احكم كما تريد فلن ندخل في طاعتك!!!

فأنشأ حبيب بن يساف الأنصاري:

أباحسن أيقظت من كان نائما وإن رجلا بايعوك وخالفوا
وطلحة فيها والزبير قرينه وذكرهم قتل ابن عفان خدعة
وما كان من يدعي^(١) إلى الحق يتبع هواك وأجروا في الضلال وضيعوا
وليس لما لا يدفع الله مدفع هم قتلوه والمخادع يخدع

وسأل ابن الكواء وقيس بن عباد أمير المؤمنين عن قتال طلحة والزبير فقال إنهما بايعاني بالحجاز وخلصاني بالعراق فاستحللت قتالهما لنكثهما بيعتي.

تاريخي الطبري والبلاذري أنه ذكر مجيء طلحة والزبير إلى البصرة قبل الحسن^(٢) فقال يا سبحان الله أما كان للقوم عقول أن يقولوا والله ما قتله غيركم!!

تاريخ الطبري قال يونس النحوي فكرت في أمر علي وطلحة والزبير إن كانا صادقين أن عليا قتل عثمان فعثمان هالك وإن كذبا عليه فهما هالكان!!

تاريخ الطبري قال رجل من بني سعد:

صنتم حلاتكم و قدتم أمكم أمرت بجر ذيولها في بيتها
عرضا يقاتل دونها أبنائها هذا لعمرى قلة الإنصاف
فهوت تشق البيد بالإيجاب
بائيل والخطي والأسياف

وأنفذ أمير المؤمنين زيد بن صوحان وعبد الله بن عباس فوعظاها وخوفاها.

وفي كتاب رامش أفزاي أنها قالت لا طاقة لي بحجج علي فقال ابن عباس لا طاقة لك بحجج المخلوق فكيف طاعتك بحجج الخالق.

٩٥- شي: [تفسير العياشي] عن جعفر بن مروان قال إن الزبير اختلط سيفه يوم قبض النبي ﷺ وقال لا أغمدته حتى أباع لعلي ثم اختلط سيفه فضارب عليا ﷺ وكان ممن أعير الإيمان فمضى في ضوء نوره ثم سلبه الله إياه^(٣).

٩٦- شي: [تفسير العياشي] عن سعيد بن أبي الأصبح قال سمعت أبا عبد الله ﷺ وهو يسأل عن مستقر ومستودع قال مستقر في الرحم ومستودع في الصلب وقد يكون مستودع الإيمان ثم ينزع منه ولقد مشى الزبير في ضوء الإيمان ونوره حتى قبض رسول الله ﷺ حتى مشى بالسيف وهو يقول لا تباع إلا عليا^(٤).

٩٧- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] عمار وابن عباس أنه لما صعد علي ﷺ المنبر قال لنا قوموا فتخللوا الصفوف و نادوا هل من كاره فتصارع الناس من كل جانب اللهم قد رضينا وسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمه^(٥).

فقال يا عمار قم إلى بيت المال فأعط الناس ثلاثة دنانير لكل إنسان و ارفع لي ثلاثة دنانير فمضى عمار وأبو الهيثم مع جماعة من المسلمين إلى بيت المال ومضى أمير المؤمنين إلى مسجد قباء يصلي فيه فوجدوا فيه ثلاث مائة ألف دينار ووجدوا الناس مائة ألف فقال عمار جاء والله الحق من ربكم والله ما علم بالمال ولا بالناس وإن هذه لآية وجبت عليكم بها طاعة هذا الرجل.

فأبى طلحة والزبير وعقيل أن يقبلوها القصة.

(١) هذا هو الظاهر، وفي الأصل المطبوع من بحار الأنوار: «ومن كان يدعي إلى الحق يتبع».

(٢) هذا هو الصواب والمراد منه هو الحسن البصري، وفي طبع الكمباني من البحار: «قبل الجيش».

(٣) رواها العياشي في تفسير الآية: (٩٨) من سورة الأنعام من تفسيره: ج ١.

ورواه عنه السيّد البحراني في تفسير الآية الكريمة في تفسير البرهان: ج ١، ص ٥٤٤.

(٤) رواها العياشي في تفسير الآية: (٩٨) من سورة الأنعام من تفسيره: ج ١.

ورواه عنه السيّد البحراني في تفسير الآية الكريمة في تفسير البرهان: ج ١، ص ٥٤٤.

(٥) رواه ابن شهر آشوب في عنوان: «مقامات علي مع الأنبياء والأوصياء» من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٥ ط النجف.

٩٨- شي: تفسير العياشي عن زرارة عن أحدهما عليه السلام قال قلت للزبير شهد بدرًا قال نعم و لكنه فر يوم الجمل فإن كان قاتل المؤمنين فقد هلك بقتاله إياهم و إن كان قاتل كفارًا فقد باء بغضب من الله حين ولاهم دبره^(١).
 ٩٩- شي: تفسير العياشي عن إسماعيل بن السري عن قوله «وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» قال أخبرتهم أنهم أصحاب الجمل^(٢).

١٠٠- جا: [المجالس للمفيد] علي بن خالد المراغي عن الحسن بن علي الكوفي عن جعفر بن محمد بن مروان عن إسحاق بن يزيد عن سليمان بن قرق عن أبي الجحاف عن عمار الدهني^(٣):

عن أبي عثمان مؤذن بني أفضى^(٤) قال سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام حين خرج طلحة والزبير لقتاله يقول عذيري من طلحة والزبير يا بني طائعين غير مكرهين ثم نكتا بيعتي من غير حدث ثم تلا هذه الآية «وَأِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنَا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا إِنَّهُ الْكُفْرُ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ».

١٠١- جا: [المجالس للمفيد] محمد بن داود الحتمي عن عبد الله بن سليمان بن الأشعث عن أحمد بن محمد بن عبد الله عبدان عن إبراهيم الخولي عن سعيد بن داود بن الزبير عن مالك بن أنس^(٥):

عن أبي سهل بن مالك عن أبيه قال إني لواقف مع المغيرة بن شعبة عند نهوض علي بن أبي طالب عليه السلام من المدينة إلى البصرة إذ أقبل عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال له هل لك في الله عز وجل يا مغيرة فقال وأين هو يا عمار قال تدخل في هذه الدعوة فتلحق بمن سبقك وتسود من خلفك.

فقال له المغيرة أو خير من ذلك يا أبا اليقظان قال عمار وما هو قال ندخل بيوتنا ونغلق علينا أبوابنا حتى يضيء لنا الأمر فنخرج ونحن مبصرون ولا نكون كقاطع السلسلة فر من الضلع فوقق في الغمر^(٦).

فقال له عمار هيهات هيهات أجهل بعد علم وعمى بعد استبصار ولكن اسمع لقولي فوالله لن تراني إلا في الرعي الأول.

قال فطلع عليها أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أبا اليقظان ما يقول لك الأعور فإنه والله دائما يلبس الحق بالباطل و يموه فيه و لن يتعلق من الدين إلا بما يوافق الدنيا ويحك يا مغيرة إنها دعوة تسوق من يدخل فيها إلى الجنة.

فقال له المغيرة صدقت يا أمير المؤمنين إن لم أكن معك فلن أكون عليك.

١٠٢- كش: [رجال الكشي] روي أن عائشة كتبت من البصرة إلى زيد بن صوحان إلى الكوفة من عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله إلى ابنها زيد بن صوحان الخالص أما بعد إذا أتاك كتابي هذا فاجلس في بيتك وخذ الناس عن علي بن أبي طالب حتى يأتيك أمري^(٧).

فلما قرأ زيد كتابها قال أمرت بأمر وأمرنا بغيره فركبت ما أمرنا به وأمرتنا أن نركب ما أمرت هي به أمرت أن تقر في بيتها وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة والسلام.

١٠٣- كشف: [كشف الغمة] من غزواته صلوات الله عليه وقعة الجمل والمجتمعون لها لما رفضوا عليها ونقضوا

(١) رواه العياشي في تفسير الآية: (١٦) من سورة الأنفال: ٨ من تفسيره: ج ١ ورواه عنه البحراني في تفسير الآية من تفسير البرهان: ج ٢ ص ٦٩.

(٢) رواه العياشي في تفسير الآية: (٢٥) من سورة الأنفال: ٨ من تفسيره: ج ١ ورواه عنه السيد هاشم البحراني في تفسير الآية الكريمة في تفسير البرهان: ج ٢ ص ٧٢ وفيه: «عن الصَّيْقَلِ [قال] سئل أبو عبد الله عليه السلام ...

(٣) رواه الشيخ المفيد في أواخر المجلس (٨) من أماليه ص ٥٣ ط النجف. وقرئ منه رواه عنه الشيخ الطوسي في الحديث: (٢٠) من الجزء الخامس من أماليه ج ١ ص ١٣١ ط بيروت.

(٤) ورواه عنها البحراني في تفسير الآية: (١٢) من سورة التوبة من تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠٧ ط ٣.

(٥) هذا هو الصواب الموافق لما في أمالي المفيد والطوسي وترجمة عثمان مؤذن بني أفضى من كتاب لسان الميزان ج ٤ ص ١٥٨. وفي ط الكمباني من أصلي: «أبي عثمان مؤذن بني أفضى».

(٦) رواه الشيخ المفيد في الحديث: (٤) من المجلس: (٢٥) من أماليه ص ١٣٥. ورويناه بسند آخر عن مصدر آخر في المختار: (٧٨) من نهج السعادة: ج ١.

(٧) هذا هو الصواب الموافق للمختار: (٧٨) من نهج السعادة: ج ١ ص ٢٥٦. وفي ط الكمباني من البحار: «كقاطع السلسلة أراد الضحك فوقق في الغم».

(٨) رواه الكشي في ترجمة زيد بن صوحان العبد تحت الرقم: (١٨) من تلخيص رجاله ص ٦٣.

بيعته و نكثوا عهده و غدروا به و خرجوا عليه و جمعوا الناس لقتاله مستخفين بعقد بيعته التي لزمهم فرض حكمها مسفين إلى إثارة فتنة عامة بأهوا بأنهم لم ير إلا مقاتلتهم على مسارعهم إلى نكث بيعته و مقاتلتهم عن الخروج عن حكم الله و لزوم طاعته و كان من الداخلين في البيعة أولا و الملتزمين لها ثم من المحرضين ثانيا على نكثها و نقضها طلحة و الزبير فأخرجوا عائشة و جمعا من استجاب لهما و خرجوا إلى البصرة و نصبوا عليا عليه السلام حائلا الغوائل و ألبوا عليه مطيعهم من الرامح و النابيل مظهرين المطالبة بدم عثمان مع علمهم في الباطن أن عليا عليه السلام ليس بالأمر ولا القاتل^(١).
ومن العجب أن عائشة حرضت الناس على قتل عثمان بالمدينة و قالت اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا فلقد أبلى سنة رسول الله و هذه ثيابه لم تبل و خرجت إلى مكة و قتل عثمان و عادت إلى بعض الطريق فسمعت بقتله و أنهم بايعوا عليا فورم أنفها و عادت و قالت لأطالبين بدمه.

ف قيل لها يا أم المؤمنين أنت أمرت بقتله و تقولين هذا قالت لم يقتلوه حيث قلت و تركوه حتى تاب و عاد كالسيكة من الفضة و قتلوه.
وخرج طلحة و الزبير من المدينة على خفية و وصلا إليها بمكة و أخرجها إلى البصرة.
ورحل علي عليه السلام من المدينة يطلبهم فلما قرب من البصرة كتب إلى طلحة و الزبير:
أما بعد فقد علمتما أنني لم أرد الناس حتى أرادوني و لم أبايعهم حتى أكرهوني و أنتما ممن أرادوا بيعتي و بايعوا و لم تابعا لسلطان غالب و لا تعرض غرض حاضر فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله عز و جل عما أنتما عليه و إن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما السبيل عليكما بإظهاركما الطاعة و إسراركما المعصية.
و أنت يا زبير فارس قریش و أنت يا طلحة شيخ المهاجرين و دفعكما هذا الأمر قبل أن تدخل في فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما به.

و أما قولكما إني قتلت عثمان بن عفان فبيني و بينكما من تخلف عني و عنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل.
و هؤلاء بنو عثمان إن قتل مظلوما كما تقولان أولياؤه و أنتما رجلا من المهاجرين و قد بايعتاني و نقضتما بيعتي و أخرجتما أمكما من بيتها الذي أمر الله أن تقر فيه و الله حسيكما و السلام.
و كتب إلى عائشة:

أما بعد فإنك خرجت من بيتك عاصية لله تعالى و لرسوله تطليبين أمرا كان عنك موضوعا ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين الناس فخيريني ما للنساء و قود العساكر؟
و زعمت أنك طالبة بدم عثمان و عثمان رجل من بني أمية و أنت امرأة من بني تيم بن مرة و لعمرى إن الذي عرضك للبلاد و حملك على المعصية لأعظم إليك ذنبا من قتلة عثمان و ما غضبت حتى أغضبت و لا هجت حتى هيجت فاتقي الله يا عائشة و ارجعي إلى منزلك و أسلمي عليك سترك و السلام.

فجاء الجواب إليه يا ابن أبي طالب جل الأمر عن العتاب ولن تدخل في طاعتك أبدا فأفص ما أنت قاضٍ و السلام.
١٠٤هـ - فور: [تفسير فرات بن إبراهيم] الحسن بن محمد معنعا عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول علم المحفوظون من أصحاب محمد عليه السلام و عائشة بنت أبي بكر أن أصحاب الجمل و أصحاب النهروان ملعونون على لسان النبي صلى الله عليه و آله و لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط^(٢).
١٠٥هـ - كا: [الكافي] علي بن أبيه عن ابن محبوب عن سلام بن عبد الله^(٣).

و محمد بن الحسن و علي بن محمد عن سهل بن زياد.
و أبو علي الأشعري عن محمد بن حسان جميعا عن محمد بن علي عن علي بن أسباط عن سلام بن عبد الله الهاشمي قال محمد بن علي و قد سمعته عنه عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(١) رواه الإربلي في ورقة الجمل من كتاب كشف الفتنة: ج ١، ص ٢٣٨.

(٢) رواه الفرات بن إبراهيم في الحديث الأول من تفسير الآية: (٤٠) من سورة الأعراف من تفسيره ص ٤٥.

(٣) رواه ثقة الإسلام الكليني في باب: «ما يفصل بين دعوى الحق والمبطل» من كتاب الحجّة من أصول الكافي: ج ١، ص ٤٤٣.

بعث طلحة والزبير رجلا من عبد القيس يقال له خداش إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه و قال له إنا نبعثك إلى رجل طال ما كنا نعرفه و أهل بيته بالسحر و الكهانة و أنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا من أن تمتنع من ذلك منه و أن تحتاجه لنا حتى تتقه تقفه على أمر معلوم و اعلم أنه أعظم الناس دعوى فلا يكسرناك ذلك عنه و من الأبواب التي يخدع الناس بها الطعام و الشراب و العسل و الدهن و أن يخالي الرجل فلا تأكل له طعاما و لا تشرب له شرابا و لا تمس له عسلا و لا دهنا و لا تخل معه و احذر هذا كله منه و انطلق على بركة الله فإذا رأيته فارقاً آية السخرة و تعوذ بالله من كيده و كيد الشيطان فإذا جلست إليه فلا تمكثه من بصرك كله و لا تستأنس به ثم قل له إن أخوك في الدين و ابني عمك يناشدانك القطيعة و يقولان لك أما تعلم أنا تركنا الناس لك و خالفنا عشائركا فبك منذ قبض الله عز و جل محمد ﷺ فلما نلت أدنى مثال ضيعت حرمتنا و قطعت رجاءنا ثم قد رأيت أفعالنا فيك و قدرتنا على التأني عنك و سعة البلاد دونك و أن من كان يصرفك عنا و عن صلتنا كان أقل لك نفعاً و أضعف عنك دفعا منا و قد وضع الصبح لذي عينين^(١) و قد بلغنا عنك انتهاك لنا و دعاء علينا فما الذي يحملك على ذلك فقد كنا نرى أنك أشجع فرسان العرب أنتخذ اللعن لنا ديناً و ترى أن ذلك يكسرنا عنك.

فلما أتى خداش أمير المؤمنين صلوات الله عليه صنع ما أمراه فلما نظر إليه علي ﷺ و هو يناجي نفسه ضحك و قال هاهنا يا أبا عبد قيس و أشار له إلى مجلس قريب منه فقال ما أوسع المكان أريد أن أودي إليك رسالة قال بل تطعم و تشرب و تخلي ثيابك و تدهن ثم تؤدي رسالتك قم يا قنبر فأنزله قال ما بي إلى شيء مما ذكرت حاجة قال فأخو بك قال كل سر لي علانية قال فأنشدك الله الذي هو أقرب إليك من نفسك الحائل بينك و بين قلبك الذي يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور أتقدم لك الزبير بما عرضت عليك قال اللهم نعم قال لو كتمت بعد ما سألتك ما ارتد إليك طرفك فأنشدك الله هل علمك كلاما تقوله إذا أتيتني قال اللهم نعم قال علي ﷺ آية السخرة قال نعم قال فارقها فقرأها و جعل علي ﷺ يكررها عليه و يرددها و يفتح عليه إذا أخطأ حتى إذا قرأها سبعين مرة قال الرجل ما يرى أمير المؤمنين ﷺ أمره بتردها سبعين مرة قال له أتجد قلبك مطمأن قال إي و الذي نفسي بيده قال فما قال لك فأخبره فقال قل لهما كفى بمنطقكما حجة عليكما و لكن الله لا يهدي القوم الظالمين زعمتما أنكما أخوأي في الدين و ابنا عمي في النسب أما النسب فلا أنكره و إن كان النسب مقطوعاً إلا ما وصله الله بالإسلام.

و أما قولكما إنكما أخوأي فإن كنتما صادقين فقد فارقتما كتاب الله عز و جل و عصيتما أمره بأفعالكما في أخيكما في الدين. و إلا فقد كذبتما و افتريتما بادعائكما أنكما أخوأي في الدين.

و أما مفارقتكما الناس منذ قبض الله محمداً فإن كنتما فارقتماهم بحق فقد نقضتما ذلك الحق بفراقكما إياي أخيراً و إن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلك الباطل عليكما مع الحدث الذي أحدثتما مع أن صفقتكما بمفارقتهما الناس لم يكن إلا لطمع الدنيا زعمتما و ذلك قولكما قطعت رجاءنا لا تعييناً بحمد الله علي من ديني شيئاً.

و أما الذي صرفني عن صلتكما فالذي صرفكما عن الحق و حملكما على خلعه من رقابكما كما يخلع الحرون لجامه و هو الله ربي لا أشرك به شيئاً فلا تقولوا هو أقل نفعاً و أضعف دفعا فتستحقا اسم الشرك مع النفاق.

و أما قولكما إني أشجع فرسان العرب و هربكما من لعني و دعائي فإن لكل موقف عملاً إذا اختلفت الأسماء و ما جت لبود الخيل و ملأ سحركما أجوافكما فثم يكفيني الله بكمال القلب.

و أما إذا أبيتما بأنني أدعو الله فلا تجزعا من أن يدعو عليكما رجل ساحر من قوم سحره زعمتما. ثم قال اللهم أقعص الزبير شر قتلة و اسفك دمه على ضلالة و عرف طلحة المذلة و ادخر لهما في الآخرة شراً من ذلك إن كانا ظلماني و افتريا علي و كنما شهادتهما و عصياني و عصيا رسولك في قل آمين.

قال خداش آمين ثم قال خداش لنفسه و الله ما رأيت لحية قط أبين خطأ منك حامل حجة ينقض بعضها بعضاً لم يجعل الله لها سماكاً أنا أبرأ إلى الله منهما.

ثم قال علي ﷺ أرجع إليهما و أعلمهما ما قلت قال لا و الله حتى تسأل الله أن يردني إليك عاجلاً و أن يوفقني لرضاه فيك ففعل فلم يلبث أن انصرف و قتل معه يوم الجمل رحمه الله.

(١) وقد أشار المصنف في متن الأصلي من ط الكمباني أن في بعض نسخ كتاب الكافي: «وقد وضع الحق لذي عيني».

توضيح: خدش بكسر الخاء وتخفيف الدال وقول من أنفسنا بيان لمن أي من الذين هم منا وفي بعض النسخ في أنفسنا وهو أظهر وقوله من أن تمتنع متعلق بقوله أوثق ومن تعليلية وأن تحتاجه معطوف على أن تمتنع حتى تنفقه أي تنفقه بحذف إحدى التاءين وتضمن معنى الاطلاع والأظهر تنفقه من وقفته بمعنى أطلعته وأن يخالي الرجل أي يخلو به فلا تمكنه من بصرك أي لا تنظر إليه كثيرا وإنما نهيها عن ذلك لئلا يرى محاسن أخلاقه وآدابه فيميل إلى الحق وابتني عملك إنما قال ذلك لكونهما من قريش ينشدانك القطيعة أي يقسمان عليك أن لا تقطع الرحم فلما نلت أدنى مثال أي أصبت أدنى مقدرة وجاء أنتخذ اللعن لنا دينا غرضهما أن اللعن دأب العاجزين وكنا نظن أنك أشجع الفرسان وتخلي ثيابك أي من القمل والأدناس وفي بعض النسخ وتحل ولعل أظهر الحائل بينك وبين قلبك أي يعلم من قلبك ما تغفل عنه أو هو أملك لقلبك منك وخائنة الأعين نظرها إلى ما لا ينبغي ومسارقة النظر وتحريك الجفون للغمز ونحوه ما ارتد إليك طرفك كتابة عن الموت قال الرجل أي في نفسه متعجبا من أمره بتكريره الآية وكان ذلك لرفع سحرهما وشبههما عن قلبه وتوير قلبه بالإيمان مع الحدث الذي أحدثتما أي من إبراز زوجة النبي ﷺ من بيتها وإحداث الفتنة بين المسلمين.

أو المعنى أنكم تعلمون أي على الحق وأن ما أردتم بي باطل فلزمكم الإثم من جهتين متناقضتين. أو المراد نصرتهما له مع علمهما بكونه على الباطل ولعل الأول أظهر. زعمتما أي أنكما تصيبانها.

وقال الجوهري فرس حرون لا ينفاد وإذا اشتد به الجري وقف. وهو الله ربي أي الذي صرفني عن صلتكما هو الله تعالى فلا تقولوا هو أقل نفعا وأضعف دفعا فتكفرا. أو صارفهما عن الحق أيضا هو الله مجازا لسلب توفيقه عنهما. أو المراد أن صارفي عن الصلة هو سوء عقيدتكم وسريرتكم الذي حملكم على تقض البيعة و الصارف عن الصلة حقيقة هو الله تعالى لأنه نهى عن صلة الكافرين. وقيل الضمير للشأن ولا يخفى ما فيه وهربكما في بعض النسخ وهزكما وهو أظهر والسبود جمع البلد وهو الشعر المتراكم بين كتفي الفرس. والسحر بالضم والتحريك الرثة ويقال للجبان قد انتفخ سحره ذكره الجوهري وقال ضربه فأقصه أي قتله مكانه ما رأيت لحية أي ذالحية أو المراد بقوله منك من لحيك.

١٠٦-أ: [الكافي] علي عن أبيه عن بعض أصحابه عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال ^(١):

لما خرج أمير المؤمنين عليه السلام يريد البصرة نزل بالريذة فأثاه رجل من محارب فقال يا أمير المؤمنين إني تحملت في قومي حمالة وإني سألت في طوائف منهم الموااة والمعونة فسبقت إلى السنثهم بالنكد فرهم يا أمير المؤمنين بمعونتي وحشم على مواساتي.

فقال أين هم فقال هؤلاء فريق منهم حيث ترى قال فنص راحلته فأدلفت كأنها ظليم فأدلف بعض أصحابه في طلبها فلأيا بلأي ما لحقت فانتهى إلى القوم فسلم عليهم وسألهم ما يمنعم من موااة صاحبهم فضكوه وشكاهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام وصل امرؤ عشيرته فإنهم أولى بيره وذات يده وصلت العشيرة أخاها إن عثر به دهر وأدبرت عنه دنيا فإن المتواصلين المتبازلين مأجورون وإن المتقاطعين المتدابرين موزورون. قال ثم بعث راحلته وقال حل خل.

بيان: الريذة قرية معروفة قرب المدينة ومحارب اسم قبيلة والحاملة بالفتح ما يتحملة الإنسان من غيره من دية أو غرامة والتكد الشدة والعسر ونص راحلته استخرج أقصى ما عندها من السير ذكره الجوهري وقال الدلف المشي الرويد يقال دلف الشيء إذا مشى وقارب الخطو ودلفت الكتبية في الحرب إذا تقدمت.

وقال الفيروز آبادي في القاموس اندلف علي انصب و تدلف إليه تمشي و دنا انتهى.

والمراد هنا الركض و التقدم و الظلم ذكر النعمة و الضمير في طلبها راجع إلى الرحلة.

وقال الجوهري يقال فعل كذا بعد لأي أي بعد شدة و إبطاء و لأى لأي أي أبطأ.

وقال في النهاية في حديث أم أيمن فيلأى ما استغفر لهم أي بعد مشقة و جهد و إبطاء انتهى.

وما زائدة للإيهام و المبالغة أي فلو حقت راحلة بعض الأصحاب راحلته ﷺ بعد إبطاء مع إبطاء و شدة فلأى إما حال أو مفعول مطلق من غير اللفظ و يمكن أن يقرأ ألحقت على بناء المفعول وصل امرؤ أمر في صورة الخبر و النكرة للعموم كقولهم أنجز حر ما وعد و ذات يده أي ما في يده من الأموال و قال حل بالحاء المهملة و تخفيف اللام و هو زجر الناقة كما ذكره الجوهري و في بعض النسخ بالخاء المعجمة و تشديد اللام فكان الرجل كان أخذاً بزمام الناقة أو بغرزها فلما فرغ أمير المؤمنين من وعظهم قال للرجل خل سبيل الناقة.

١٠٧- كا: [الكافي] العدة عن سهل عن ابن يزيد عن محمد بن جعفر العقبي رفعه قال خطب أمير المؤمنين فحمد الله و أثنى عليه ثم قال (١):

١٣٤
٣٢ أيها الناس إن آدم لم يلد عبداً و لا أمة و إن الناس كلهم أحرار و لكن الله خول بعضكم بعضاً فمن كان له بلاء فصبر في الخير فلا يمن به على الله جل و عز ألا و قد حضر شيء و نحن مسوون فيه بين الأسود و الأحمر. فقال مروان لطلحة و الزبير ما أراد بهذا غيركما قال فأعطى كل واحد ثلاثة دنائير و أعطى رجلاً من الأنصار ثلاثة دنائير و جاء بعده غلام أسود فأعطاه ثلاثة دنائير فقال الأنصاري يا أمير المؤمنين هذا غلام أعتقته بالأمس تجعلني و إياه سواء فقال إني نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلاً.

١٠٨- مد: [العدة] بإسناده إلى مسند عبد الله بن أحمد بن حنبل عنه عن أبيه عن وكيع عن سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين ﷺ قال حدثني ابن عباس قال أرسلني علي إلى طلحة و الزبير يوم الجمل قال فقلت لهما إن أحاكما يقرنكما السلام و يقول لكما هل وجدتما علي حيفاً في حكم أو في استئثار في شيء أو في كذا قال فقال الزبير لا و لا في واحدة منهما و لكن مع الخوف شدة المطامع (٢).

١٠٩- مد: [العدة] من الجمع بين الصحاح الستة لرزين البغدادي من موطن مالك بإسناده عن أبي وائل قال دخل أبو وائل و ابن مسعود على عمار حين بعثه علي مع الحسن ابنه إلى الكوفة يستنفرهم فقال له ما رأيك أتيت أمراً أكره عندنا من إسرارك في هذا الأمر منذ أسلمت فقال لهما عمار ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر (٣).

و كساهما ابن مسعود حلة حلة.

١١٠- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة و الزبير و لا يرصد يصدر لهما القتال (٤):

و الله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها و يختلها راصدها و لكن أضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه و بالسامع المطيع العاصي المريب أبداً حتى يأتي علي يومي فو الله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض الله نبيه ﷺ حتى يوم الناس هذا.

(١) رواه ثقة الإسلام الكيني رفع الله مقامه في الحديث: (٢٦) من كتاب الروضة من الكافي: ج ٨ ص ٦٩.

(٢) رواه العلامة يحيى بن الحسن المعروف بابن البطريق في الحديث الأول من الفصل: (٣٦) من كتاب العدة ص ١٦١ وهذا هو الحديث (١٣٧) من فضائل أمير المؤمنين من كتاب الفضائل - تأليف أحمد بن حنبل - ص ٩١ ط ١، وكان في نسختي من البحار، وكتاب العدة تصحيقات صححناها عليه.

وللحديث مصادر أخر يجد الباحث بعضها في تعليق المختار: (٩٨) من نهج السعادة: ج ١ ص ٣١٧ ط ٢، و تعليق الحديث: (١٣٧) من فضائل علي ﷺ من كتاب الفضائل ص ٩١ ط ١.

(٣) رواه يحيى بن الحسن في أواخر الفصل الأخير من كتاب العدة ص ٢٤٤.

(٤) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٦) من نهج البلاغة.

بيان: اللدم على زنة اللطم والشم صوت الحجر أو العصا أو غيرهما يضرب بها الأرض ضربا ليس بشديد يحكى أن الضبع يستغل في جحرها بمثل ذلك فيسكن حتى يصاد ويضرب بها المثل في الحق.

١١١- نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات ^(١):

أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما إني لم أرد الناس حتى أردوني ولم أبايعهم حتى بايعوني وأنا ممن أرداني وبايعني وإن العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا حرص حاضر فإن كتمتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب وإن كتمتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكم السبيل بإظهاركم الطاعة وإسراكم المعصية ولعمري ما كتمتما بأحق المهاجرين بالتيق والكنان وإن دفعكما هذا الأمر قبل تدخل فيه كان أوسع عليكم من خروجكما منه بعد إقراركما به.

وقد زعمتما أنني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل. فارجعا أيها الشيطان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام.

بيان: قوله عليه السلام من قبل متعلق بقوله فارجعا.

١١٢- أقول: قال ابن أبي الحديد في شرح النهج قال كل من صف من أهل السير والأخبار إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى أنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنصبت في منزلها وكانت تقول للدخيلين إليها هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبل وعثمان قد أبلى سنته ^(٢).

وقالوا أول من سمى عثمان نعتلا عائشة والنعل الكثير شعر اللحية والجسد وكانت تقول اقتلوا نعتلا قتل الله نعتلا.

وروى المدائني في كتاب الجمل قال لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة وبلغ قتله إليها وهي بشراف فلم تشك في أن طلحة صاحب الأمر قالت بعدا لنعل وسحقا إيه ذا الإصبع إيه أبا شبل إيه يا ابن عم لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له حنوها لا بل ودعوه ^(٣).

قال وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال وأخذ تجائب كانت لعثمان في داره ثم فسد أمره فدفعها إلى علي عليه السلام.

وقال أبو مخنف في كتابه إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة أقبلت مسرعة وهي تقول إيه ذا الإصبع لله أبوك أما إنهم وجدوا طلحة والزبير لها كفوا فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة فقالت له ما عندك قال قتل عثمان قالت ثم ما ذا قال ثم جارت بهم الأمور إلى خير مجار بايعوا عليا فقالت لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا انظر ما تقول قال هو ما قلت لك يا أم المؤمنين فولت فقال لها ما شأني يا أم المؤمنين والله ما أعرف بين لابتها أحدا أولى بها منه ولا أحق ولا أرى له نظيرا في جميع حالاته فلما ذا تكرهين ولايته قال فما ردت جوابا.

وفي رواية قيس بن أبي حازم ثم ردت ركبته إلى مكة فرأيتها في مسيرها تخاطب نفسها تقولوا ابن عفان مظلوما فقلت لها يا أم المؤمنين ألم أسمعك أنفا تقولين أبعده الله وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه وأقبحهم فيه قولا فقالت لقد كان ذلك ولكني نظرت في أمره فرأيتهم استباوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائما محرما في شهر حرام فقتلوه.

قال وكتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتابا أن خذلي الناس عن بيعة علي وأظهرى الطلب بدم عثمان. وحمل الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان.

(١) رواه السيد الرضي في المختار: (٥٢) من باب الكتب من نهج البلاغة.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٧٩) وهو كلامه عليه السلام في ذم النساء من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٤٠٧ ط الحديث ببيروت. ولقد لخص المصنف رواية ابن أبي الحديد.

(٣) كذا في المطبوع من البحار. وفي شرح النهج: ج ٢ ص ٤٠٨ ط بيروت: «حنوها لإبل ودعوه». وسيأتي تفسيره من المصنف في آخر الحديث ص ٤٢٢.

قال ولما عذمت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيرا أيدا يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية منية^(١) ببعير يسمى عسكرا وكان عظيم الخلق شديدا فلما رآته أعجبها وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته ويقول في أثناء كلامه عسكرا فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت ردوه لا حاجة لي فيه وذكرت حيث سئلت أن رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فقير لها بجلال غير جلاله وقيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقا وأشد منه قوة وأتيت به فرضيت.

قال أبو مخنف وأرسلت إلى حفصة تسألها الخروج والمسير معها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فأتى أخته فعزم عليها فأقامت وحطت الرحال بعد ما همت.

وكتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكة أما بعد فإنك ظعينة رسول الله ﷺ وقد أمرك أن تقري في بيتك فإن فعلت فهو خير لك وإن أبيت إلا أن تأخذي منسأك وتلقي جلبابك وتبدي للناس شعيراتك قاتلتك حتى أردك إلى بيتك والموضع الذي يرضاه لك ربك.

فكتبت إليه في الجواب أما بعد فإنك أول العرب شب الفتنة ودعا إلى الفرقة وخالف الأئمة وسعى في قتل الخليفة وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم وقد جاءني كتابك و فهمت ما فيه وسنكفيك وكل من أصبح مماثلا لك في غيك وضلالك إن شاء الله.

قال أبو مخنف لما انتهت عائشة في مسيرها إلى الحوآب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة ناحتها الكلاب حتى نفرت صعاب إبلها فقال قاتل من أصحابها ألا ترون ما أكثر كلاب الحوآب وما أشد نباحها فأمسكت زمام بعيرها وقالت وإنها للكلاب الحوآب ردوني ردوني فإني سمعت رسول الله يقول وذكرت الخبر.

فقال لها قاتل مهلا يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوآب فقالت فهل من شاهد فلفقوا لها خمسين أعرابيا جعلوا لهم جعلا فحللوا لها أن هذا ليس بماء الحوآب فسارت لوجهها.

ولما انتهوا إلى حفر أبي موسى قريبا من البصرة أرسل عثمان بن حنيف وهو يومئذ عامل علي عليه السلام على البصرة إلى القوم أبا الأسود الدؤلي يعلم له علمهم فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت أطلب بدم عثمان قال إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد قالت صدقت ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم فقال لها ما أنت من السوط والسيف إنما أنت حبيس رسول الله أمرك أن تقري في بيتك وتلقي كتاب ربك ليس على النساء قتال ولا لهن الطلب بالدماء وإن عليا لأولى بعثمان منك وأمس رحما فإنهما ابنا عبد مناف فقالت لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت له أفتظن يا أبا الأسود أن أحدا يقدم على قتالي فقال أما والله لتقاتلن قتالا أهونه الشديد.

ثم قام فأتى الزبير فقال يا أبا عبد الله عهد الناس بك وأنت يوم بويح أبو بكر أخذ بقاتم سيفك تقول لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك فذكر له دم عثمان قال أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغناه قال فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول فذهب إلى طلحة فوجده مصرا على الحرب والفتنة فرجع إلى عثمان بن حنيف فقال إنها الحرب فتأهب لها.

قال ولما نزل علي عليه السلام البصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبد من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فأقم في بيتك وخذل عن علي وليلبني عنك ما أحب فإنك أوثق أهلي عندي والسلام.

فكتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر أما بعد فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر أمرك أن تقري في بيتك وأمرنا أن نجاهد وقد أثناني كتابك فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به و صنعت ما أمرني الله به فأمرك عندي غير مطاع وكتابك غير مجاب والسلام.

(١) منية اسم أمه وأمّية أبوه وهو - علي ما في مناقب يعلى من كتاب المستدرک: ج ٣ ص ٤٢٣ نقلًا عن مصعب الزبيري - أمّية بن أبي عبيد بن مثنى بن الحارث بن بكر.

بيان حنوها أي جعلوا إصبعه منحنية للبيعة لابل وذعدوها أي كسروها وبددوها لهجومهم على البيعة والظنية الامرة في الهودج والمنسأة العصا تهمز ولا تهمز.

١١٣- الكافية في إبطال توبة الخاطئة عن نوح بن دراج عن إسحاق قال دعا عثمان بن حنيف عمران بن الحصين الخزاعي وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فبعثه وبعث معه أبا الأسود الدؤلي إلى طلحة والزبير وعائشة فقال انطلقا فأعلما ما أقدم علينا هؤلاء القوم وما يريدون؟^(١)

قال أبو الأسود فدخلنا على عائشة فقال لها عمران بن الحصين يا أم المؤمنين ما أقدمك بلدنا ولم تترك بيت رسول الله الذي فارقك فيه وقد أمرك أن تقر في بيتك وقد علمت أنك إنما أصبت الفضيلة والكرامة والشرف سميت أم المؤمنين وضرب عليك الحجاب ببني هاشم فهم أعظم الناس عليك منة وأحسنهم عندك يدا ولست من اختلاف الناس في شيء لو لا لك من الأمر شيء وعلي أولى بدم عثمان فاتقي الله واحفظي قرابته وسابقتها فقد علمت أن الناس يابغوا أباك فما أظهر عليه خلافا وباع أبوك عمر وجعل الأمر له دونه ففسر وسلم ولم يزل بهما برا ثم كان من أمرك وأمر الناس وعثمان ما قد علمت ثم بايعتم عليا رضي الله عنه فغبننا عنكم فأتاننا رسلكم بالبيعة فبايعنا وسلمنا. فلما قضى كلامه قالت عائشة يا أبا عبد الله أئقيت أخاك أبا محمد يعني طلحة فقال لها ما لقيته بعد وما كنت لآتي أحدا ولا أبدا به قبلك قالت فأتته فانظر ما ذا يقول.

قال فأتيناه فكلمة عمران فلم يجد عنده شيئا مما يحب فخرنا من عنده فأتينا الزبير وهو متكئ وقد بلغه كلام عمران وما قال لعائشة فلما رآنا قعد وقال أياحسب ابن أبي طالب أنه حين ملك ليس لأحد معه أمر فلما رأى ذلك عمران لم يكلمه فأتى عمران عثمان فأخبره.

١١٤- وعن أسوس أشرس العبيدي عن عبد الجليل بن إبراهيم إن الأحنف بن قيس أقبل حين نزلت عائشة أول مرحلة من البصرة فدخل عليها فقال يا أم المؤمنين وما الذي أقدمك وما أشخصك وما تريد بن قالت يا أنحف قتلوا عثمان فقال يا أم المؤمنين مررت بك عام أول بالمدينة وأنا أريد مكة وقد أجمع الناس على قتل عثمان ورمي بالجحارة وحيل بينه وبين الماء فقلت لك يا أم المؤمنين اعلمي أن هذا الرجل مقتول ولو شئت لتردين عنه وقلت فإن قتل فإلى من فقلت إلى علي بن أبي طالب قالت يا أنحف صفوه حتى إذا جعلوه مثل الزجاجة قتله فقال لها أقبل قولك في الرضا ولا أقبل قولك في الغضب.

ثم أتى طلحة فقال يا أبا محمد ما الذي أقدمك وما الذي أشخصك وما تريد فقال قتلوا عثمان قال مررت بك عاما أول بالمدينة وأنا أريد العمرة وقد أجمع الناس على قتل عثمان ورمي بالجحارة وحيل بينه وبين الماء فقلت لكم إنكم أصحاب محمد ﷺ لو تشاءون أن تردوا عنه فعلتم فقلت دبر فأدبر فقلت لك فإن قتل فإلى من فقلت إلى علي بن أبي طالب فقال ما كنا نرى أن أمير المؤمنين ﷺ يرى أن يأكل الأمر وحده.

١١٥- وعن حريز بن حازم عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن رجل من ضبيعة قال لما قدم طلحة والزبير ونزلا طاحية ركبت فرسي فأتيتهما فقلت لهما إنكما رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ وأنا أصدقكما وأنت بكما خبراني عن مسيركما هذا شيء عهدته إليكما رسول الله ﷺ أما طلحة فنكس رأسه وأما الزبير فقال حدثنا أن هاتنا دراهم كثيرة فجبنا لناخذ منها.

وعن أشعث عن ابن سيرين عن أبي الجليل وكان من خيار المسلمين قال دخلنا على طلحة والزبير حين قدما البصرة فقلنا أرايتما مقدمكما هذا شيء عهد إليكما رسول الله ﷺ أم رأي رأيتما فقالا لا ولكننا أردنا أن نصيب من دنياكم.

١١٦- أقول وروى أحمد بن أئتم الكوفي أنه لما قضت عائشة حجها وتوجهت إلى المدينة استقبلها عبيد بن سلمة الليثي وكان يسمى ابن أم كلاب فسأته عائشة عن المدينة وأهلها فقال قتل عثمان قالت فما فعلوا قال يابغوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت ليت السماء سقطت على الأرض ولم أسمع ذلك منك والله لقد قتل عثمان مظلوما ولأطلبن بثأره والله إن يوما من عمر عثمان أفضل من حياة علي^(٢).

(١) قد بخل وتولى أصحاب الثروة والمكة عن السعي وراء تكثير نسخة هذا الكتاب ونشره وما ظفرت به بعد.

(٢) رواه أحمد بن أئتم الكوفي المتوفى نحو سنة (٣١٤) في كتاب الجمل من كتاب الفتح.

فقال عبيد أما كنت تثنين على علي عليه السلام و تقولين ما على وجه الأرض أحد أكرم على الله من علي بن أبي طالب عليه السلام فما بدا لك إذ لم ترضي بإمامته و أما كنت تحرضين الناس على قتل عثمان و تقولين اقتلوا نعتلا فقد كفر فقالت عائشة قد كنت قتلته و لكنني علمته خيرا فرجعت عن قولي و قد استأبوه قتال و غفر له. فرجعت عائشة إلى مكة و كان من أمرها ما ستر.

١١٧- و روى ابن الأثير في الكامل أنه لما أخبرها عبيد بن سلمة بقتل عثمان و اجتماع الناس على بيعة أمير المؤمنين قالت أيتم الأمر لصاحبك ردوني ردوني فانصرفت إلى مكة و هي تقول قتل و الله عثمان مظلوما و الله لأطلبن بدمه فقال لها لقد كنت تقولين اقتلوا نعتلا فقد كفر فقالت إنهم استأبوه ثم قتلوه و قد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول فقال لها ابن أم الكلاب ^(١):

فمنك البداة ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا إنه قد كفر
فهنا أطعنك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم ينكشف شمسا والقمر
وقد بايع الناس ذا بدرة	يزيل الشبا ويقيم الصخر ^(٢)
وتلبس للحرب أثوابها	وما من وفي مثل من قد غدر

فانصرفت عائشة إلى مكة فقصدت الحجر فاجتمع الناس إليها فقالت أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار و أهل المياه و عبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالأمس و تقموا عليه استعمال من حدث سنه و قد استعمل أمثالهم من قبله و مواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم و نزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة و لا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام و استحلوا البلد الحرام و الشهر الحرام و أخذوا المال الحرام و الله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم و و الله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه و الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء.

فقال عبد الله بن عامر الحضرمي و كان عامل عثمان على مكة ها أنا أول طالب بدمه فكان أول مجيب و تبعه بنو أمية و كانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة فرفعوا رءوسهم و كان أول ما تكلموا بالحجاز و تبعهم سعيد بن العاص و الوليد بن عتبة و سائر بني أمية.

و قدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير و يعلى بن منية من اليمن و معه ست مائة بعير و ستة آلاف دينار فأنأخ بالأطبخ.

و قدم طلحة و الزبير من المدينة و لقيا عائشة فقالت ما وراءكما قالوا إنا تحملنا هرابا من المدينة من غوغاء و أغراب و فارقنا قوما حيارى لا يعرفون حقا و لا ينكرون باطلا و لا يمتنعون أنفسهم.

فقالت انهضوا إلى هذه الغوغاء فقالوا نأتي الشام فقال ابن عامر كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة فاستقام الرأي على البصرة.

و كانت أزواج النبي عليه السلام معها على قصد المدينة فلما تغير رأيها إلى البصرة تركن ذلك و أجابتهن حفصة إلى المسير معهم فسنعها أخوها عبد الله.

و جهزم يعلى بن منية بستمائة بعير و ستمائة ألف درهم و جهزم بن عامر بمال كثير و نادى مناديهما إن أم المؤمنين و طلحة و الزبير شاخصون إلى البصرة فمن أراد إعزاز الإسلام و قتال المستحلين و الطلب بثأر عثمان وليس له مركب فليأت فحملوا على ستمائة بعير و ساروا في ألف.

(١) ذكر ابن الأثير في حوادث سنة: (٣٦) في عنوان: «ذكر ابتداء وقعة الجمل من كتاب الكامل: ج ٣ ص ١٠٥ ط دار الكتاب العربي ببيروت. ورواه أيضا في حوادث تلك السنة مسنداً الطبري في تاريخ الأمم والملوك: ج ١ ص ٣١١ ط ١، وفي ط ج ٤ ص ٤٥٨ وما بعدها.

(٢) كذا في تاريخ الكامل و تاريخ الطبري، وفي أصلي من البحار:

يسزيد السماء ويسعم الصخر

وقد بايع الناس ذا بدرة
وذو الثدرا؛ والثدرة: ذو العزة والمنفعة.

(٤) رواه الكشي في أواسط ترجمة سلمان الفارسي رفع الله مقامه تحت الرقم الأول من رجاله ص ١٨.

١٢٢- وبهذا الإسناد عن ابن مهران عن البطائني عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال اشتروا عسكرا بسبعمائة درهما وكان شيطانا.

١٢٣- نهج: [تهج البلاغة] و من خطبة له عليه السلام خطبها بذى قار و هو متوجه إلى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل فصعد بما أمر به و بلغ رسالة ربه فلم الله به الصدع و رتق به الفتق و ألف به بين ذوي الأرحام بعد العداوة الواغرة في الصدور و الضغائن الفادحة في القلوب ^(١).

باب ٢ باب احتجاج أم سلمة رضي الله عنها على عائشة و منعها عن الخروج

١٢٤- ج: [الاحتجاج] روى الشعبي عن عبد الرحمن بن مسعود العدي قال كنت بمكة مع عبد الله بن الزبير وطلحة والزبير فأرسلا إلى عبد الله بن الزبير فأتاها وأنا معه فقالا له إن عثمان قتل مظلوما وإننا نخاف أن ينقض أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله فإن رأيت عائشة أن تخرج معنا لعل الله أن يرتق بها فتقا و يشعب بها صدعا قال فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبد الله بن الزبير معها في سترها فجلست على الباب فأبلغها ما أرسلها به فقالت سبحان الله و الله ما أمرت بالخروج و ما يحضرني من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة فإن خرجت خرجت معها فرجع إليهما فبلغهما ذلك فقالا ارجع إليها فلتأتها فهي أثقل عليها منا فرجع إليها فبلغها فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة ^(٢).

فقالت لها أم سلمة. مرحبا بعائشة والله ما كنت لي بزواره فما بدا لك قالت قدم طلحة والزبير فخبرا أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما قال فصرخت أم سلمة صرخة أسمعت من في الدار فقالت يا عائشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر و هو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوما فما تريدان قالت تخرجين معنا فلعن الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله قالت يا عائشة أخرجين و قد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله ما سمعنا نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت أذكرين يوما يومك من رسول الله فصنعت حريرة في بيتي فأتيتها بها و هو عليه و آله السلام يقول و الله لا تذهب الليالي و الأيام حتى تتناجب كلاب ماء بالعراق يقال له الحوآب امرأة من نسائي في فئة باغية فسقط الإناء من يدي فرفع رأسه إلي و قال ما لك يا أم سلمة فقلت يا رسول الله ألا يسقط الإناء من يدي و أنت تقول ما تقول ما يؤمنني أن يكون أنا هي فضحكت أنت فالتفت إليك فقال بما تضحكين يا حمراء الساقين إني أحسبك هي

و نشدتك بالله يا عائشة أذكرين ليلة أسري بنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من مكان كذا و كذا و هو بيني و بين علي بن أبي طالب عليه السلام يحدثنا فادخلت جملك فحال بينه و بين علي بن أبي طالب فرفع مرقعة كانت عنده يضرب بها وجه جملك و قال أما و الله ما يومه منك بواحد و لا بليته منك بواحدة أما إنه لا يبيغض إلا منافق كذاب.

و أنشدك بالله أذكرين مرض رسول الله الذي قبض فيه فاتاه أبوك يعود و معه عمر و قد كان علي بن أبي طالب عليه السلام يتعاهد ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله و نعله و خفه و يصلح ما وهى منها فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله و هي حضرية و هو يخصفها خلف البيت فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا يا رسول الله كيف أصبحت فقال أصبحت أحمد الله قال ما بد من الموت قال أجل لا بد منه قال يا رسول الله فهل استخلفت أحدا قال ما خليفتي فيكم إلا خاف النعل فخرجا فمرا على علي بن أبي طالب و هو يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله و كل ذلك تعرفته يا عائشة و تشهدين عليه.

ثم قالت أم سلمة يا عائشة أنا أخرج علي عليه السلام بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

فرجعت عائشة إلى منزلها و قالت يا ابن الزبير أبلغها أنني لست بخارجة بعد الذي سمعته من أم سلمة فرجع فبلغها قال فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبلها ترحل فارتحلت معها.

بيان: نباح الكلب صباحه قاله الجوهري و يقال وهي السقاء يهي وهيا إذا تخرق وانشق والغواء صوت الإبل.

١٢٥- أقول: روى السيد المرتضى رضي الله عنه هذه الرواية في شرح قصيدة السيد الحميري رحمه الله عن أبي عبد الرحمن السعدي عن السري بن إسماعيل عن الشعبي إلى آخرها^(١).

ثم قال قدس سره ومن العجائب أن يكون مثل هذا الخبر المتضمن للنص بالخلافة وكل فضيلة غريبة موجودا في كتب المخالفين وفيما يصححونه من رواياتهم ويضعفونه من سيرهم لكن القوم رووا وسمعوا وأودعوا كتبهم ما حفظوا ونقلوا ولم يتخيروا ليشبوا ما وافق مذاهبهم دون ما خالفها وهكذا يفعل المسترسل المستسلم للحق انتهى كلامه رفع الله مقامه.

١٢٦- ج: [الاحتجاج] روي عن الصادق عليه السلام أنه قال دخلت أم سلمة بنت أمية على عائشة لما أزمعت الخروج إلى البصرة فحمدت الله وصلت على نبيه صلى الله عليه وآله ثم قالت يا هذه أنت سدة بين رسول الله وبين أمته وحجابه عليك مضروب وعلى حرمة وقد جمع القرآن ذلك فلا تتدحيه وضم ضفرك فلا تنشربه واسكني عقيرتك فلا تصحرها إن الله من وراء هذه الأمة قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك فعل بك فقد نهاك عن القرطة في البلاد إن عمود الدين لن يثأب بالنساء إن مال ولا يرأب بهن إن انصدع حمادى النساء غض الأطراف وضم الذيول والأعطاف وما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله عارضك في بعض هذه الفلوات وأنت ناصية قعودا من منهل إلى منهل ومنزل إلى منزل ولغير الله مهواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله ترددين وقد هتكت عنك سجاظه وتكثت عهده وبالله أحلف لو أن سرت مسيرك ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت من رسول الله أن ألقاه هاتكة حجابا ضربه علي فأتني الله واجعليه حصنا وقاعة الستر منزلا حتى تلقينه أطوع ما تكونين لربك ما قصرت عنه وأنصح ما تكونين لله ما لزمته وأنصر ما تكونين للدين ما قدعت عنه وبالله أحلف لو حدثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله لنهشتني نهش الرقشاء المطرقة^(٢).

فقال لها عائشة ما أعرفني بموعظتك وأقبلني لنصيحتك ليس مسيري على ما تظنين ما أنا بالمفترعة ولنعم المطلع تطلعت فيه فرقت بين فتيين متشاجرين فإن أقعد ففي غير حرج وإن أخرج ففي ما لا غناء عنه من الازدياد به في الأجر.

قال الصادق عليه السلام فلما كان من ندمها أخذت أم سلمة تقول:

لو كان معتصما من زلة أحد	كانت لعائشة الرتبة على الناس
من زوجة لرسول الله فاضلة	وذكر آي من القرآن مدراس
وحكمة لم تكن إلا لهاجسها	في الصدر يذهب عنها كل وسواس
يستنزع الله من قوم عقولهم	حتى يمر الذي يقضي على الرأس
ويرحم الله أم المؤمنين لقد	تبدلت لي إحاشا بإيناس

فقال لها عائشة شمتيني يا أخت فقلت لها أم سلمة لا ولكن الفتنة إذا أقبلت غطت عين البصير وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل.

بيان: قولها وضم ضفرك بالصاد قال الجوهري الضفر نسج الشعر وغيره عريضا والصفيرة العقيقة يقال صفرت المرأة شعرها ولها ضفيران وضران أيضا أي عقيصتان انتهى.

والعطاف بالكسر الرداء وعطفا كل شيء جانباه وقال الجوهري في الصحاح القعود من الإبل هو البكر حين يركب أي يمكن ظهره من الركوب وقال أبو عبيد القعود من البعير الذي يتعده الراعي في كل حاجة والسجاف ككتاب الستر ما قصرت عنه الظاهر أن كلمة ما بمعنى ما دام فالضمير في عنه راجع إلى الأمر الذي أرادته أو إلى الرب أو إلى ترك الخروج فيكون عن بمعنى علي والضمير في لزمته إما راجع إلى الله أي طاعته أو إلى ترك الخروج ولزوم البيت والضمير في قولها ما

(١) لم أظفر بعد بشرح قصيدة السيد الحميري للسيد المرتضى رفع الله مقامه.

(٢) نقله الطبرسي رفع الله مقامه في كتاب الاحتجاج ج ١ ص ١٦٧ ط بيروت.

قعدت عنه راجع إلى الدين أي نصره بالجهاد أو إلى النصر أو إلى الأمر الذي أرادت بين فئتين متشاجرتين أي متنازعتين وفي بعض النسخ متنازعتين وفي بعضها متنازعتين والمناجزة في الحرب المبارزة والتناحر التقابل.

وقال ابن أبي الحديد^(١) فتنان متنازعتان أي يسرع كل منهما إلى نفوس الأخرى ومن رواه متناحرتان أراد الحرب وطعن النحور بالأسنة رشقها بالسهم والرتبة فعلی من الرتبة بمعنى الدرجة والمنزلة.

وفي بعض الروايات العتبي وهو الرجوع عن الإساءة وبعد ذلك في سائر الروايات:

كم سنة لرسول الله دراسة وتلو أي من القرآن مدراس

يقال درس الرسم يدرس دروساً أي عفا ودرسته الريح يتعدى ولا يتعدى ودرست الكتاب درساً ودراسة والتلو كأنه مصدر بمعنى التلاوة. والهاجس الخاطر يقال هجس في صدري شيء يهجس أي حدث.

١٢٧- مع: [معاني الأخبار] ماجيلويه عن عمه عن محمد بن علي الكوفي عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن عقبة الأزدي عن أبي الأحنس الأرجي قال^(٢):

لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة كتبت إليها أم سلمة رحمة الله عليها زوجة النبي ﷺ أما بعد فإنك سدة بين رسول الله وبين أمته وحجابه المضروب على حرمة وقد جمع القرآن ذلك فلا تتدحيه وسكن عقيرك فلا تصرحها. الله من وراء هذه الأمة وقد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك لفعل وقد عهد فاحفظي ما عهد ولا تخالفي فيخالف بك.

وإذكري قوله في نباح كلاب الحوآب وقوله ما للنساء والغزو وقوله انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت علت^(٣) بل قد نهك عن الفرطة في البلاد.

إن عمود الإسلام لن يثأب بالنساء إن مال ولن يرأب بهن إن صدع حمادات النساء غص الأبصار وخفر الأعراض وقصر الوهازة.

ما كنت قائلة لو أن رسول الله عارضك ببعض القلوات ناصة قلوفا من منهل إلى آخر إن بعين الله مهوأك وعلى رسوله ترددين وقد وجهت سداقته وتركته عبيداً.

لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى رسول الله هاتكة حجاباً قد ضربه علي فاتقي الله واجعلي حصنك بيتك ورياسة الستر قبرك حتى تلقيه وأنت على تلك الحال أطوع ما تكونين لله ما لزمته وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه لو ذكرت بك بقول تعرفينه لنهشت نهش الرقشاء المطرق.

فقال عائشة ما أقبلني لوعظك وما أعرفني بنصحك وليس الأمر على ما تظنين ولنعم المسير مسيراً فزعت إلي فيه فتنان متشاجرتان إن أقعد ففي غير حرج وإن أنهض فإلى ما لا بد من الازدياد منه. فقالت أم سلمة:

لو كان معصما من زلة أحد	كانت لعائشة العتبي على الناس
كم سنة لرسول الله دراسة	وتلو أي من القرآن مدراس
قد ينزع الله من قوم عقولهم	حتى يكون الذي يقضي على الرأس

ثم قال رحمه الله تفسيره قولها رحمة الله عليها إنك سدة بين رسول الله ﷺ أي إنك باب بينه وبين أمته فتفتي أصيب ذلك الباب بشيء فقد دخل على رسول الله ﷺ في حريمه وحوزته فاستبيح ما حماء فلا تكوني أنت سبب ذلك بالخروج الذي لا يجب عليك فتحوجي الناس إلى أن يفعلوا مثل ذلك.

(١) ذكره عند شرحه للحديث في شرح المختار: (٧٩) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٢ ص ٤١٤ طبع الحديث ببغروت.

(٢) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في «باب معنى ما كتبه أم سلمة إلى عائشة». وفي آخر كتاب معاني الأخبار، ص ٣٥٦ طه النجف.

(٣) كذا ها هنا ومثله يأتي قريباً عند نقل المصنف تفسير الحديث عن الصدوق. وفي طبع بيروت من كتاب معاني الأخبار ها هنا، وفيما يأتي عند تفسير الحديث: «علت علت».

وقولها فلا تندحبه أي لا تفتحيه فتوسعيه بالحركة والخروج يقال ندحت الشيء إذا أوسعته ومنه يقال أنا في مندوحة عن كذا أي في سعة.

وتريد بقولها قد جمع القرآن ذلك قول الله عزوجل «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى».

وقولها وسكن عقيرك من عقر الدار وهو أصلها وأهل الحجاز يسمون العين وأهل نجد يفتحونها فكانت عقيرا اسم مبني من ذاك على التصغير ومثله مما جاء مصغرا الثريا والحميا وهي سورة الشراب ولم يسمع بعقيرا إلا في هذا الحديث. وقولها فلا تصحرها أي لا تبرزيها وتباعديها وتجعلها بالصحراء يقال أصحرتها إذا أتينا الصحراء كما يقال أتجننا إذا أتينا نجدا. وقولها علت أي ملت إلى غير الحق والعول الميل عن الشيء والجور قال الله عز وجل ذلك أدنى أن لا تعولوا يقال عال يعول إذا جار. وقولها بل قد نهك عن الفرطة في البلاد أي عن التقدم والسبق في البلاد لأن الفرطة اسم في الخروج والتقدم مثل غرفة وغرفة يقال في فلان فرطة أي تقدم وسبق يقال فرطته في الماء أي سبقت. وقولها إن عمود الإسلام لن يثأب بالنساء إن مال أي لا يرد بهن إلى استوائه يقال ثبت إلى كذا أي عدت إليه. وقولها لن يرأب بهن إن صدع أي لا يسد بهن يقال رأبت الصدع لأمته فاضم.

١٥٦
٣٢

وقولها حماديات النساء هي جمع حمادى يقال قصارك أن تفعل ذلك وحمادك كأنها تقول جهدك وغايتك وقولها غرض الأبصار معروف.

وقولها وخفر الأعراض الأعراض جماعة العرض وهو الجسد. والخفر الحياء أرادت أن محمدا النساء في غرض الأبصار وفي السر للخطر الذي هو الحياء وقصر الواهزة وهو الخطو تعني بها أن تقل خطوهن. وقولها ناصة قلوفا من منهل إلى آخر أي رافعة لها في السير والنص سير مرفوع ومنه يقال نصصت الحديث إلى فلان إذا رفعه إليه ومنه الحديث كان رسول الله يسير العنق فإذا وجد فجوة نص يعني زاد في السير. وقولها إن بعين الله مهواك يعني مرادك لا يخفى على الله.

وقولها وعلى رسول الله ترددين أي لا تفعلني فتخجلني من فعلك وقد وجهت سدافته أي هتكت السر لآن السدافة الحجاب والستر وهو اسم مبني من أسدف الليل إذا ستر بظلمته ويجوز أن يكون أرادت من قولها وجهت سدافته يعني أزلتها من مكانها الذي أمرت أن تلزمه وجعلتها أمامك.

١٥٧
٣٢

وقولها وتركت عهده تعني بالعهد الذي تعاهده ويعاهده^(١) ويدل على ذلك قولها لو قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هاككة حجابا قد ضربه علي وقولها اجعلي حصنك بيتك ورياسة السر قبرك فالربع المنزل ورياسة السر ما وراء السر تعني اجعلي ما وراء السر من المنزل قبرك وهذا معنى ما يروى وقاعة السر قبرك هكذا رواه القتيبي وذكر أن معناه وقاعة السر موقعه من الأرض إذا أرسلت وفي رواية القتيبي لو ذكرت قولاً تعريفه نهستني نهس الرقشاء المطرق فذكر أن الرقشاء سميت بذلك لرقش في ظهرها وهي النقطة. وقال غير القتيبي الرقشاء من الأفاعي التي في لونها سواد وكدورة قال والمطرق المسترخي جفون العين.

توضيح:

كلامها رضي الله عنها مع عائشة متواتر المعنى رواه الخاصة والعامة بأسانيد جمّة وفسروا ألفاظه في كتب اللغة ورواه ابن أبي الحديد في شرح المختار من النهج وشرحه وقال ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث. ورواه أحمد بن أبي طاهر في كتاب بلاغات النساء بأدنى تغيير وقال بعد حكاية كلام أم سلمة قالت عائشة يا أم سلمة ما أقبلني لموعظتك وأعرفني بنصحك ليس الأمر كما تقولين ما أنا بمغتمة بعد التغريد ولنعم المطلع مطلع أصلحت فيه بين فتنين متناجرتين والله المستعان.

(١) هذا هو الظاهر. وفي ط بيروت من كتاب معاني الأخبار: «تعني بالعهد التي...» وأما أصلي من طبع الكماني من البحار فقد جمع فيه بين اللفظتين ولكن وضع فيه لفظة «الذي» فوق «التي».

وقال ابن قتيبة قولها: «وتركت عهداً» لفظة مصغرة مأخوذة من العهد مشابهة لما سلف من قولها: «عقيرك» و«حماديات النساء».

و رواه الزمخشري في الفائق و قال بعد قولها سدافته و روي سجافته و بعد قولها فثتان متناجزتان أو متناحرتان ثم قال السدة الباب تريد أنك من رسول الله بمنزلة سدة الدار من أهلها فإن نايك أحد بناتبة أو نال منك نائل فقد ناب رسول الله و نال منه و ترك ما يجب فلا تعرضي بخروجك أهل الإسلام لهتك حرمة رسول الله و ترك ما يجب عليهم من تعزيته و توقيره.

و ندح الشيء فتحه و وسعه و بدحه نحوه من البdach و هو المتسع من الأرض و العقيرى كأنها تصغير العقري فعلى من عقر إذا بقي مكانه لا يتقدم و لا يتأخر فرعا أو أسفا أو خجلا و أصله من عقرت به إذا أطلت حسبه كأنك عقرت راحلته فبقي لا يقدر على الراح أرادت نفسها أي سكتي نفسك التي صفتها أو حقها أن تلزم مكانها أو لا تبرح بيتها و اعلمي بقوله تعالى وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ.

و أصحر أي خرج إلى الصحراء و أصحر به غيره و قد جاء هاهنا متعديا على حذف الجار و إيصال الفعل. و قال ابن الأثير في مادة عال في النهاية في حديث أم سلمة قالت لعائشة لو أراد رسول الله ﷺ أن يعهد إليك علت أي عدلت عن الطريق و ملت.

قال و قال القتيبي و سمعت من يرويه بكسر العين فإن كان محفوظا فهو من عال في البلاد يعيل إذا ذهب و يجوز أن يكون من عاله يعوله إذا غلبه أي غلبت على رأيك و منه قولهم عيل صبرك.

و قيل جواب لو محذوف أي لو أراد فعل فتركته لدلالة الكلام عليه و يكون قولها علت كلاما مستأنفا. و قال في مادة فرط من كتاب النهاية في قولها إن رسول الله ﷺ سلم نهاك عن الفرطة في الدين يعني السبق و التقدم و مجاوزة الحد الفرطة بالضم اسم للخروج و التقدم و بالفتح المرة الواحدة.

و أيضا قال في مادة راب يقال راب الصدع إذا شعبه و راب الشيء إذا جمعه و شده برفق و منه حديث أم سلمة لا يرأب بهن إن صدع قال القتيبي الرواية صدع فإن كان محفوظا فإنه يقال صدعت الزجاجة فصدمت كما يقال جبرت العظم فجبر و إلا فإنه صدع أو انصدع.

و قال في مادة حمد و في حديث أم سلمة حماديات النساء أي غاياتهن و منتهى ما يحمد منهن يقال حماداك أن تفعل أي جهدك و غايتك.

و قال في الفائق في غرض الأطراف أوردته القتيبي هكذا و فسر الأطراف بجمع طرف و هو العين ويدفع ذلك أمران: أحدهما أن الأطراف في جمع طرف لم يرد به سماع بل ورد برده و هو قول الخليل إن الطرف لا يشنى و لا يجمع و ذلك لأنه مصدر طرف إذا حرك جفونه في النظر.

و الثاني أنه غير مطابق لقولها خفر الأعراض و لا أكاد أشك أنه تصحيف و الصواب غرض الإطراق و خفر الإعراض و المعنى أن يغضض من أبصارهن مطرقات أي راميات بأبصارهن إلى الأرض و يتخفرون من سوء معروضات عنه. و قال في مادة طرف من النهاية و في حديث أم سلمة قالت لعائشة حماديات النساء غرض الأطراف أرادت قبض اليد و الرجل عن الحركة والسعي تعني تسكين الأطراف وهي الأعضاء ثم ذكر كلام القتيبي و الزمخشري و قال في خفر الإعراض أي الحياء من كل ما يكره لهن أن ينظرن إليه فأضافت الخفر إلى الإعراض أي الذي تستعمل لأجل الإعراض. و يروى الأعراض بالفتح جمع العرض أي إنهن يستحيين و يتسترن لأجل أعراضهن و صونها انتهى.

أقول: و العرض و إن ورد بمعنى الجسد لكن في هذا المقام بعيد قال الفيروز آبادي العرض بالكسر الجسد و كل موضع يعرق منه و رائحته رائحة طيبة كانت أو خبيثة و النفس و جانب الرجل الذي يصونه من نفسه و حسبه أن ينتفض و يثلب.

و قال في الفائق الوهازة الخطو يقال هو يتوهز و يتوهس إذا وطئ و طنا ثقيلًا.

و قال ابن الأعرابي الوهازة مشية الخفريات و الأوهز الرجل الحسن المشية.

و قال ابن الأثير في النهاية النص التحريك حتى يستخرج أقصى سير الناقة و أصل النص أقصى الشيء و غايته ثم سمي به ضرب من السير سريع و منه حديث أم سلمة ناصة قلوفا أي دافعة لها في السير و قال القלוص الناقة

والفجوة ما اتسع من الأرض وقال الزمخشري في الفائق السدافة والسجافة الستارة وتوجيهها هتكها وأخذ وجهها كقولك لأخذ قذى العين تغذيته أو تغييرها وجعلها لها وجهاً غير الوجه الأول.

وفي النهاية العهيدى بالتشديد والقصر فعيلي من العهد كالجهدى من الجهد والعجلى من العجلة.

وأما ما ذكره الصدوق رحمه الله فكأنه قرأ على فعيل مخففاً قال الجوهري عهيدك الذي يعاهدك وتعهده وأراد أنه مأخوذ من العهد بهذا المعنى.

وفي الفائق وقاعة الستر وموقعه موقعه على الأرض إذا أرسلت ويروى وقاحة الستر أي وساحة الستر وموضعه.

قوله وفي رواية القتيبي إلى قولها نهستني نهس الرقشاء لعل الاختلاف بين الروایتين في السين المهملة والمعجمة وهما متقاربان معنى إذ بالمهملة معناه أخذ اللحم بأطراف الأسنان وبالمعجمة لسح الحية والأخير أنسب وفي بعض النسخ نهست ففيه اختلاف آخر.

وقال في النهاية في حديث أم سلمة قالت لعائشة لو ذكرتك قولاً تعرفينه نهشته نهش الرقشاء المطرق الرقشاء الأنفى سميت به لترقيش في ظهرها وهي خطوط ونقط وإنما قالت المطرق لأن الحية تقع على الذكر والأنثى انتهى ولعله كناية عن سمنها وكثرة سمنها أو استغلالها وأخذها دفعة.

وفي رواية أحمد بن أبي طاهر وقد سكن القرآن ذلك فلا تبديحه وهذا من عقيرتك فلا تصلحها.

وفي مادة بدح من كتاب النهاية وفي حديث أم سلمة قالت لعائشة قد جمع القرآن ذلك فلا تبديحه أي لا توسيعه بالحركة والخروج والبدح العلانية وبدح بالأمر بإحاطة به ويروى بالنون انتهى.

وهذا على التفعيل أي سكن والعقيرة على فعيلة الصوت أو صوت المغني والباكي والقاري.

وقال في النهاية الصلح بالحريك كالبحه ومنه فإذا أنا بهاتف يهتف بصوت صحل ومنه أنه كان يرفع صوته بالتبليبة حتى يصلح أي يبع.

ثم في تلك الرواية الله من وراء هذه الأمة لو أراد أن يعهد فيك بـله أن قد نهاك عن الفرطة في البلاد قال الجوهري بـله كلمة مبنية على الفتح مثل كيف ومعناها دع ويقال معناها سوى.

وقال الفيروز آبادي بـله ككيف اسم له كدع ومصدر بمعنى الترك واسم مرادف لكيف وما بعدها منصوب على الأول مخفوض على الثاني مرفوع على الثالث وفتحها بناء على الأول والثالث إعراب على الثاني والفرطة بالضمة أيضاً بمعنى التقدم.

ثم فيها ما كنت قائلة لو أن كان رسول الله ﷺ عارضك بأطراف القلوات ناصية قعوداً من منهل إلى منهل إن بعين الله متواك وعلى رسول الله تعرضين ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكة حجاباً جعله الله علي فاجعليه سترك وقاعة البيت قبرك حتى تلقينه وهو عنك راض.

قوله وما أنا بمغمرة بعد التغريد لعل المعنى أنني بعد ما أعلنت العداوة وعلم الناس بخروجي لا أرجع إلى إخفاء الأمر والإشارة بالعين والحاجب.

ويمكن أن يقرأ بمغمرة على بناء المفعول أي لا يطعن على أحد بعد تغريدي ورفعي الصوت بأمرى قال الجوهري فعلت شيئاً فاغتمزه فلان أي طعن علي وجد بذلك مغمراً.

وقال الفرد بالحريك التطريب في الصوت والفناء والتغريد مثله.

١٢٨- ختن: (الإختصاص) محمد بن علي بن شاذان عن أحمد بن يحيى النحوي أبي العباس ثعلب عن أحمد بن سهل عن يحيى بن محمد بن إسحاق بن موسى عن أحمد بن قتيبة عن عبد الحكم القتيبي عن أبي كبسة ويزيد بن رومان قالاً^(١).

لما اجتمعت عائشة على الخروج إلى البصرة أتت أم سلمة رضي الله عنها وكانت بمكة فقالت يا ابنة أبي أمية كنت كبيرة أمهات المؤمنين وكان رسول الله ﷺ يقمأ في بيتك وكان يقسم لنا في بيتك وكان ينزل الوحي في بيتك.

قالت لها يا بنت أبي بكر لقد زرتيني و ما كنت زوارة و لأمر ما تقولين هذه المقالة قالت إن ابني و ابن أخي أخبراني أن الرجل قتل مظلوما و أن بالبصرة مائة ألف سيف يطاعون فهل لك أن أخرج أنا و أنت لعل الله أن يصلح بين فئتين متشاجرتين.

فقالت يا بنت أبي بكر أبدم عثمان تطلبين فلقد كنت أشد الناس عليه و إن كنت لتدعيته بالتبري أم أمر ابن أبي طالب بتقصين فقد بايعه المهاجرون و الأنصار إنك سدة بين رسول الله ﷺ و بين أمته و حجابيه مضروبة على حرمه وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبذخيه و سكتي عقيراك فلا تضحي فلا تضحي بها الله من وراء هذه الأمة قد علم رسول الله ﷺ مكانك و لو أراد أن يعهد إليك فعل قد نهاك رسول الله ﷺ عن الفراطه في البلاد إن عمود الإسلام لا ترأبه النساء إن انثلم و لا يشعب بهن إن انصدع حماديات النساء غض بالأطراف و قصر الوهاده و ما كنت قائلة لو أن رسول الله ﷺ عرض لك بيعض الفلوات و أنت ناصة قلوفا من منهل إلى آخر إن بعين الله مهوك و على رسول الله ﷺ ترددين و قد وجهت سدافته و تركت عهدهاء أقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمدا ص هاتكة حجابا قد ضربه علي اجعلي حصنك بيتك و قاعة الستر قبرك حتى تلقيه و أنت على ذلك أطوع ما تكونين لله ما لزمته و أنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه.

١٦٣
٣٧

ثم قالت لو ذكرتك من رسول الله ﷺ خمسا في علي ﷺ لنهشتني نهش الحية الرقشاء بالمطرقه ذات الخبب تذكرين إذ كان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفرا فأقرع بينهن فخرج سهمي و سهمك فيينا نحن معه و هو هابط من قديد و معه علي ﷺ و يحدثه فذهبت لتهمي عليه فقلت لك رسول الله ﷺ معه ابن عمه و لعل له إليه حاجة فعصيتي و رجعت باكية فأسألك فقلت بأنك هجمت عليهما فقلت يا علي إنما لي من رسول الله ﷺ يوم من تسعة أيام و قد شغلته عني فأخبرتيني أنه قال لك أتبغضينه فما يبغضه أحد من أهلي و لا من أمتي إلا خرج من الإيمان أتذكرين هذا يا عائشة قالت نعم.

و يوم أراد رسول الله ﷺ سفرا و أنا أجش له جيشيا فقال ليت شعري أتيتكن صاحبة الجمل الأدب تنحبها كلاب الحوالب فرفعت يدي من الجشيش و قلت أعوذ بالله أن أكونه فقال و الله لا بد لإحدكما أن تكونه اتقي الله يا حميراء أن تكونيه أتذكرين هذا يا عائشة قالت نعم.

و يوم تبدلنا لرسول الله ﷺ فلبست ثيابي و لبست ثيابك فجاء رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبك فقال اتظنين يا حميراء أنني لا أعرفك أما إن لأمتي منك يوما مرا أو يوما أحمر أتذكرين هذا يا عائشة قالت نعم.

١٦٤
٣٧

و يوم كنت أنا و أنت مع رسول الله ﷺ فجاء أبوك و صاحبه يستأذنان فدخلنا الخدر فقالا يا رسول الله إنا لا ندري قدر مقامك فينا فلو جعلت لنا إنسانا تأتيه بعدك قال أما إني أعرف مكانه و أعلم موضعه و لو أخبرتكم به لتفرقت عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن عيسى ابن مريم فلما خرجا خرجت إليه أنا و أنت و كنت جريئة عليه فقلت من كنت جاعلا لهم فقال خاصف النعل و كان علي بن أبي طالب يصلح نعل رسول الله ﷺ إذا تخرقت و يغسل ثوبه إذا اتسخ فقلت ما أرى إلا عليا فقال هو ذاك أتذكرين هذا يا عائشة قالت نعم.

قالت و يوم جمعنا رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فقال يا نسائي اتقين الله و لا يسفر بكن أحد أتذكرين هذا يا عائشة قالت نعم ما أقبلني لوعظك و أسمعني لقولك فإن أخرج ففي غير حرج و إن أقعد ففي غير بأس.

فخرجت من عندها فخرج رسولها فنأدى في الناس من أراد أن يخرج فليخرج فإن أم المؤمنين غير خارجة فدخل عليها عبد الله بن الزبير فنفت في أذنها و قلبها في الذروة فخرج رسولها تنادي من أراد أن يسير فليسر فإن أم المؤمنين خارجة.

فلما كان من ندمها بعد انتضاء حرب الجمل ما كان أنشأت أم سلمة تقول:

لو أن مستعصما من زلة أحد	كانت لعائشة الرتبي على الناس
كس سنة من رسول الله تاركة	و تلو آي من القرآن مدراس
قد ينزع الله من ناس عقولهم	حتى يكون الذي يقضي على الناس
فيرحم الله أم المؤمنين لقد	كانت تبدل إسحاشا بإيناس

قال أبو العباس ثعلب قوله يقماً في بيتك يعني يأكل ويشرب وقد جمع القرآن ذلك فلا تبذخه البذخ النفخ والريا والكبر سكني عقيرك مقامك وبذلك سمي العقار لأنه أصل ثابت وعقر الدار أصلها وعقر المرأة ثمن بضعها فلا تضحي بها قال الله عز وجل **لَا تَقْطُوعُوا فِيهَا** وَلَا تَضْحَكُوا فِيهَا لَا تَبْرُزَ لِلشَّمْسِ وقال النبي ﷺ لرجل محرم اضح لمن أحرمت له أي أخرج إلى البراز والموضع الظاهر المنكشف من الأغطية والستور القراطة في البلاد السعي والذهاب لا ترأبه النساء لا تضمه النساء وحمادى النساء ما يحمد منهن غرض بالأطراف أي لا يسيطن أطرافهن في الكلام قصر الوهدة هي جمع وهذ وهاد والوهاد الموضع المنخفض ناصة قلوفا النص السوق بالعنف ومن ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا وجد فجوة نص أي أسرع ومن ذلك نص الحديث أي رفعه إلى أصله بسرعة من منهل إلى آخر المنهل الذي يشرب منه الماء ومهواك الموضع الذي تهوين وتستقرين فيه قال الله عز وجل **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ** أي نزل سدافته من السدفة وهي شدة الظلمة قاعة الستر وقاعة الدار صحنها والسدة الباب.

إيضاح قال في النهاية فيه أنه ﷺ كان يقماً إلى منزل عائشة كثيراً أي يدخل وقمات بالمكان قمأ دخلته وأقمت به كذا فسر في الحديث قال الزمخشري ومنه اقمت الشيء إذا جمعه. وفي القاموس قمأت الإبل بالمكان أقامت لخصبه فسمنت وتقماً المكان وافقه فأقام به كقما. وبذخ من باب تعب طال أو تكبر ولم أر في كتب اللغة مجيء بذخ بمعنى النفخ ولعله قرئ على بناء الإفعال واستعمل في هذا المعنى تجوزاً أو كان هذا هو الأصل واستعمل في الكبر تجوزاً ثم صار حقيقة فيه.

والخبب محرقة ضرب من العدو والقديد كزير اسم واد وموضع قوله أجش له جشيش بالجميم والشين المعجمة قال الفيروز آبادي جشه دقه وكسره والجشيش السويق وحطه تطحن جليلًا فتجعل في قدر و يلقى فيه لحم أو تمر فيبطخ والتبذل ترك التزين ولبس ثياب المهنة والابتذال ضد الصيانة ولعل المراد هنا جعلهما نفسيهما عرضة للطفه كأنهما خلقتا وابتذلنا كما ورد في خبر آخر في كيفية معاشره الزوجين ولم تبذل له تبذل الرجل وكان لفظ المصدر المأخوذ منه يحتمل الدال الهملة أيضاً فالمراد الزينة وتغيير الثياب.

أو يوماً أحمر أي يوماً صعباً شديداً ويعبر عن الشدة بالحمرة يقال أحمر البأس أي اشتد إما لحمرة النار أو لحمرة الدم.

قوله **وَلَا يَسْفِرُ بَكُمْ** أحد قال الجوهري سفرت المرأة كشفت عن وجهها فهي سافرة ويقال سفرت أسفراً سفوراً خرجت إلى السفر فأنا سافرة انتهى.

والظاهر في الخبر المعنى الأخير وإن كان المعنى الأول أيضاً محتملاً.

قوله في الذروة أي كان هذا النفث حال كونه في ذروتها وراكبا على سنامها كناية عن التسلط عليها ولعل فيه سقطاً.

قال في النهاية في حديث الزبير سأل عائشة الخروج إلى البصرة فأبت عليه فما زال يفتل في الذروة والغارب حتى أجاخته جعل قتل وير ذروة البعير وغاربه مثلاً لإزالتها عن رأيها كما يفعل بالجمال النور إذا أريد تأنيسه وإزالة نقاره انتهى.

ولا يخفى تصحيف الوهدة بعدما ذكره ثعلب في السدافة وإن وردت في اللغة بهذا المعنى. وقال ابن أبي الحديد ^(١) قولها الله من وراء هذه الأمة أي محيط بهم وحافظ لهم وعالم بأحوالهم كقوله تعالى **وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ**.

وقال ابن بعين الله مهواك أي إن الله يرى سيرك وحركتك والهوى الانحدار في السير من النجد إلى الغور وعلى رسول الله تردين أي تقدمين في القيامة وقال وجهت سدافته أي نظمها بالخرز والوجهية خرزة معروفة وعادة العرب أن تنظم على المحمل خرزات إذا كان للنساء.

وقال و تركت عهيداه لفظة مصغرة مأخوذة من العهد مشابهة لقولها عقيرك.

قولها وأنت على تلك أي على تلك الحال.

قولها أطوع ما تكونين أطوع مبتدأ وإذا لزمته خبر المبتدأ والضمير في لزمته راجع إلى العهد والأمر الذي أمرت به.

قولها نهشت به نهش الرقشاء المطرقة أي لعضك ونهشك ما أذكره لك وأذكرك به كما ينهشك أنعى رقشاء والرقش في ظهرها هو النقط والأنعى يوصف بالإطراق وكذلك الأسد والنمر والرجل الشجاع وكان معاوية يقول في علي الشجاع المطرق.

١٢٩- أقول وروى أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه أن عائشة أتت أم سلمة فقالت لها أنت أقرب منزلة من رسول الله ﷺ في نسائه وأول من هاجر معه وكان رسول الله يبعث إلى بيتك ما يتحف له ثم يقسمه بيننا وأنت تعلمين ما نال عثمان من هذه الأمة من الظلم والعدوان ولا أنكر عليهم إلا أنهم استتابوه فلما تاب ورجع قتلوه وقد أخبرني عبد الله بن عامر وكان عامل عثمان على البصرة^(١) أنه قد اجتمع بالبصرة مائة ألف من الرجال يطلبون بشأره وأخاف الحرب بين المسلمين وسفك الدماء بغير حل فعزمت على الخروج لأصلح بينهم فلو خرجت معنا لرجونا أن يصلح الله بنا أمر هذه الأمة.

فقالت أم سلمة يا بنت أبي بكر أما كنت تحرضين الناس على قتله وتقولين اقتلوا نعتلا فقد كفر وما أنت والطلب بشأره وهو رجل من بني عبد مناف وأنت امرأة من تيم بن مرة ما بينك وبينه قرابة وما أنت والخروج على علي بن أبي طالب أخي رسول الله ﷺ وقد اتفق المهاجرون والأنصار على إمامته.

ثم ذكرت طرفا من مناقبه وعدت نبذة من فضائله وقد كان عبد الله بن الزبير واقفا على الباب يسمع كلامها فنادها يا أم سلمة قد علمنا بغضك لآل الزبير وما كنت محبة لنا ولا تحبيننا أبدا.

فقالت أم سلمة أتريد أن نخرج على خليفة رسول الله ومن علم المهاجرون والأنصار أن رسول الله ﷺ ولاه أمر هذه الأمة.

فقال ما سمعنا ذلك من رسول الله فقالت إن كنت لم تسمع فقد سمعته خالتك هذه فأسألها تحدثك وقد سمعت رسول الله يقول لعلي بن أبي طالب أنت خليفتي في حياتي وبعد موتي من عصاك فقد عصاني أهكذا يا عائشة فقالت نعم سمعته من رسول الله ﷺ وأشهد بها فقالت أم سلمة فاتقي الله يا عائشة واحذري ما سمعت من رسول الله وقد قال لك لا تكوني صاحبة كلاب الحوالب ولا يغرنك الزبير وطلحة فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئا فقامت عائشة مغضبة فخرجت من بيتها.

١٣٠- وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج روى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل أن أم سلمة كتبت إلى علي ﷺ من مكة^(٢):

أما بعد فإن طلحة والزبير وأشياهم أشياح الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز ويذكرون أن عثمان قتل مظلوما وأنهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوته ولو لا ما نهانا الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك ولكني باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا.

قال فلما قدم عمر على علي ﷺ أكرمه ولم يزل مقبلا معه حتى شهد مشاهد كلها ووجهه على ﷺ أميرا على البحرين وقال لابن عم له بلغني أن عمر يقول الشعر فابعث إلي شيئا من شعره فبعث إليه بأبيات له أولاها:

جزتك أمير المؤمنين قرابة رفعت بها ذكري جزاء موفرا

فجذب علي ﷺ من شعره واستحسنه.

قال وقال أبو مخنف جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله ﷺ وأنت كبيرة أمهات المؤمنين وكان رسول الله ﷺ يقسم لنا من

(١) هذا هو الصواب. وفي الأصل الحاكي: «وكان عامل عثمان على مكة...».

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٧٠) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٢ ص ٤١٠ ط الحديث ببيروت.

بيتك و كان جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك.

فقال أم سلمة لأمر ما قلت هذه المقالة فقالت عائشة إن عبد الله أخبرني أن القوم استأبوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما في شهر حرام و قد عزمت الخروج إلى البصرة و معي الزبير و طلحة فاخرجي معنا لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا و بنا فقالت أم سلمة إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقولين فيه أخبث القول و ما كان اسمه عندك إلا نعتا و إنك لتعريفين منزلة علي بن أبي طالب من رسول الله ﷺ أفأذكرك قالت نعم.

قالت أتذكرين يوم أقبل النبي ﷺ و نحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلي يناجيه فأطال فأردت أن تهجمي عليهما فهتيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية فقلت ما شأنك فقلت إني هجمت عليهما و هما تتناجيان فقلت لعلي ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام فما تدعني يا ابن أبي طالب و يومي فأقبل رسول الله ﷺ علي و هو غضبان محمر الوجه فقال أرجعي وراءك و الله لا يبغضه أحد من أهل بيتي و لا من غيرهم من الناس إلا و هو خارج من الإيمان فرجعت نادمة ساقطة فقالت عائشة نعم أذكر ذلك.

قالت و أذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع رسول الله ﷺ و أنت تغسلين رأسه و أنا أحبس له حيسا و كان الحيس يعجبه فرفع رأسه و قال ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبها كلاب الحوأب فتكون ناكبة عن الصراط فرفعت يدي من الحيس فقلت أعوذ بالله و رسوله من ذلك ثم ضرب على ظهره و قال إياك أن تكونيها ثم قال يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها ثم قال يا حميرة أما إني فقد أنذرتك قالت عائشة نعم أذكر هذا.

قالت و أذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع رسول الله ﷺ في سفر له و كان علي يتعاهد نعلي رسول الله فيخصفهما و يتعاهد أثوابه فيغسلها فتبقت له نعل فأخذها يومئذ يخصفها في ظل سمرة و جاء أبوك و معه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب و دخلا فحدثاه فيما أرادا ثم قال يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من تستخلف علينا لكون لنا بذك مفرعا فقال لهما أما إني قد أرى مكانه و لو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران فسكتا ثم خرجا فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلت له و كنت أجرا عليه منا من كنت يا رسول الله مستخلفا عليهم فقال خاصف الثعل فنظرتا فلم نر أحدا إلا عليا فقلت يا رسول الله ما أرى إلا عليا فقال هو ذاك فقالت عائشة نعم أذكر ذلك فقالت فأي خروج تخرجين بعد هذا فقالت إنما أخرج للإصلاح بين الناس و أرجو فيه الأجر إن شاء الله تعالى فقالت أنت و رأيك فانصرفت عائشة عنها و كتبت أم سلمة بما قالت و قيل لها إلى علي ﷺ.

باب ٣ باب ورود البصرة و وقعة الجمل و ما وقع فيها من الاحتجاج

١٧١
٣٣ (١٣-شأ: [الإرشاد] من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه حين دخل البصرة و جمع أصحابه فحرضهم على الجهاد و كان مما قال^(١):

عباد الله انهذوا إلى هؤلاء القوم منشحة صدوركم بقتالهم فإنهم نكثوا بيعتي و أخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح و العقوبة الشديدة و قتلوا السابجة و مثلوا بحكيم بن جبلة العبد و قتلوا رجلا صالحين ثم تبعوا منهم من نجا يأخذونهم في كل حائط و تحت كل رابية ثم يأتون بهم فيضربون رقابهم صبرا ما لهم قاتلهم الله إني يؤفكون. انهذوا إليهم و كونوا أشداء عليهم و القوم صابرين محتسبين تعلمون أنكم منازلهم و مقاتلوهم و لقد وطئتم أنفسكم على الطعن الدعسي^(٢) و الضرب الطلحفي و مبارزة الأقران.

(١) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٢٤) مما اختار من كلام أمير المؤمنين ﷺ في كتاب الإرشاد، ص ١٣٤، ط النجف، وفيه: «ومن كلامه ﷺ حين دخل البصرة.. فكان مما قال».

(٢) هذا هو الصواب المذكور في طبع النجف من كتاب الإرشاد، وفي ط الكمباني من البحار: «على القتل الدعسي»...

وأي امرئ أحسن من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلا فليذب عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله.

بيان: نهذ إلى العدو ينهد بالفتح أي نهض ذكره الجوهري وقال برح به الأمر تبريحاً أي جهده و ضربه ضرباً مبرحاً وقال السباجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن والدعسي يفتح الدال والياء المشددة قال في القاموس الدعس شدة الوطء والطعن والطعان والمداعسة المطاعنة والطلحف بكسر الطاء وفتح اللام وسكون الحاء الشديد وسيأتي شرح بعض الفقرات.

١٣٢- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] جمل أنساب الأشراف أنه زحف علي عليه السلام بالناس غداة يوم الجمعة لعشر ليل خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين على ميمنته الأشتر وسعيد بن قيس وعلى ميسرته عمار وشريح بن هانئ وعلى القلب محمد بن أبي بكر وعدي بن حاتم وعلى الجناح زياد بن كعب وحجر بن عدي وعلى الكمين عمرو بن الحقم وجندب بن زهير وعلى الرجلة أبو قتادة الأنصاري^(١).

وأعطى رايته محمد بن الحنفية ثم أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم ويقول لعائشة إن الله أمرك أن تقرى في بيتك فاتقي الله وارجعي ويقول لطلحة والزبير خباثاً نساء كما وأبرزتما زوجة رسول الله ﷺ واستفزتماها فيقولان إنما جئنا للطلب بدم عثمان وأن يرد الأمر شورى.

وألبيت عائشة درعا وضربت على هودجها صفائح الحديد وألبس الهودج درعا وكان الهودج لواء أهل البصرة وهو على جمل يدعى عسكراً^(٢).

روى ابن مردويه في كتاب الفضائل من ثمانية طرق أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للزبير أما تذكر يوماً كنت مقبلاً بالمدينة تحدثنني إذ خرج رسول الله ﷺ فآركم معي وأنت تتبسم إلي فقال لك يا زبير أحب علياً فقلت وكيف لا أحبه وبني وبينه من النسب والمودة في الله ما ليس لغيره فقال إنك ستقاتله وأنت ظالم له فقلت أعوذ بالله من ذلك. وقد تظاهرت الروايات أنه قال ﷺ إن النبي ﷺ قال لك يا زبير تقاتله ظلماً وضرب كنتكف قال اللهم نعم قال فجئت تقاتلني فقال أعوذ بالله من ذلك.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام دع هذا يا بعثني طائعا ثم جئت محارباً فما عدا مما بدا فقال لا جرم والله لا قاتلتك. حلية الأولياء قال عبد الرحمن بن أبي ليلى فلقية عبد الله ابنه فقال جئنا جئنا فقال يا بني قد علم الناس إنني لست بجبان ولكن ذكرني علي شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فحلفت أن لا أقاتله فقال دونك غلامك فلان اعتقه كفارة ليمينك. نزهة الأبصار عن ابن مهدي أنه قال همام الثقفي:

أيسعق مكحولاً ويعصي نسيه لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق^(٣)
لشتان ما بين الضلالة والهدى وشتان من يعصي الإله ويعتق

وفي رواية قالت عائشة لا والله بل خفت سيف ابن أبي طالب أما إنها طوال حداد تحملها سواعد أتجاد ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبل.

فرجع إلى القتال قليل لأمر المؤمنين عليه السلام إنه قد رجع فقال دعوه فإن الشيخ محمول عليه ثم قال: أيها الناس غضوا أبصاركم وعضوا على نواجذكم وأكثروا من ذكر ربكم وإياكم وكثرة الكلام فإنه فشل. ونظرت عائشة إليه وهو يجول بين الصفيين فقالت انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله ﷺ يوم بدر أما والله لا ينتظر بك إلا زوال الشمس.

(١) رواه محمد بن علي بن شه آشوب في عنوان «ما ظهر منه ﷺ في حرب الجمل» من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٣٣٩ ط النجف.

(٢) من أول الحديث إلى قوله: «وألبس الهودج درعاً» ذكره البلاذري في الحديث: (٢٦٩) من ترجمة أمير المؤمنين من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٣٩.

(٣) كذا في هامش البحار، وكتب بعده: «خ ل». وفي متن البحار «ثم عوق».

فقال علي عليه السلام يا عائشة عما قليل لتصبحن نادمين.

فجد الناس في القتال فنهاهم أمير المؤمنين وقال اللهم إني أعذرت وأندرت فكن لي عليهم من الشاهدين.
ثم أخذ المصحف وطلب من يقرؤه عليهم وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما الآية فقال مسلم
المجاشعي ها أنا ذا خوفه بقطع يمينه وشماله وقله فقال لا عليك يا أمير المؤمنين فهذا قليل في ذات الله فأخذه و
دعاهم إلى الله فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فقطعت فأخذه بأسنانه فقتل فقالت أمه:

يا رب إن مسلما أتاهم
بمحكم التنزيل إذ دعاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فرملوه رملت لحاهم

فقال علي عليه السلام الآن طاب الضراب.

وقال لمحمد بن الحنفية والراية في يده يا بني تزول الجبال ولا تزال عض على ناجذك أعر الله جمجمتك تد في
الأرض قدميك ارم ببصرك أقصى القوم و غض بصرك واعلم أن النصر من الله.

ثم صبر سبعة فصح الناس من كل جانب من وقع النبال فقال علي عليه السلام:

تقدم يا بني فتقدم و طعن طعنا منكرا وقال:

اطعن بها طعن أبيك تحمد
بالمشرقي والقنا المسدد
فأمر الأشر أن يحمل فحمل و قتل هلال بن وكيع صاحب ميمنة الجمل.
و كان زيد يرتجز ويقول:

ديني ديني و بيعي و بيعي.
و جعل مخنف بن سليم يقول:

قد عشت يا نفس و قد غنيت
و بعد ذا لا شك قد فنيت
دهرا و قبل اليوم ما عييت

أ ما مللت طول ما حييت

فخرج عبد الله بن اليثربي قائلا

يا رب إني طالب أبا الحسن

فبرز إليه علي عليه السلام قائلا

إن كنت تبغي أن ترى أبا الحسن

و ضربه ضربة مجزئة مجرفة

فخرج بنو ضبة و جعل يقول بعضهم

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل

ردوا علينا شيخنا بمرتحل

وقال آخر

نحن بنو ضبة أعداء علي

وكان عمرو بن اليثربي يقول:

إن تكروني فأنا ابن اليثربي

ثم ابن صوحان على دين علي

فبرز إليه عمار قائلا

لا تبرح العرصة يا ابن اليثربي

أثبت أقاتلك على دين علي

فقطعه و أرداه عن فرسه و جر برجله إلى علي فقتله بيده.
فخرج أخوه قاتلا:

أضربكم ولو أرى عليا
وأسمرا عنطنطا خطيا
فخرج إليه علي عليه السلام متكررا و هو يقول:
يا طالبا في حربه عليا
أثبت ستلقاه بها مليا
فضربه فرمى نصف رأسه.

فناداه عبد الله بن خلف الخزاعي صاحب منزل عائشة بالبصرة أتبارزني فقال علي عليه السلام ما أكره ذلك و لكن ويحك
يا ابن خلف ما راحتك في القتل و قد علمت من أنا فقال ذرني من بدخك يا ابن أبي طالب ثم قال:
إن تدن مني يا علي فترا
بصارم يسقيك كأسا مرا
فبرز علي عليه السلام قاتلا:

١٧٧
٣٢

يا ذا الذي يطلب مني الوترا
حقا وتصلى بعد ذاك جمرا
إن كنت تبغي أن تزور القبرا
فادن تجدني أسدا هزبرا
أصعطك اليوم زعاقا صبرا

فضربه فطير جمجمته.

فخرج مازن الضبي قاتلا:

لا تطمعوا في جمعنا المكلل
فبرز إليه عبد الله بن نهشل قاتلا:
إن تنكروني فأنا بن نهشل
فارس هيجا وخطيب فيصل
فقتله.

وكان طلحة يحث الناس ويقول عباد الله الصبر الصبر في كلام له البلاذري^(١) قال إن مروان بن الحكم قال والله
ما أطلب ثاري بعثان بعد اليوم أبدا فرمى طلحة بسهم فأصاب ركبته والتفت إلى أبان بن عثمان وقال لقد كفيتم أحد
قتلة أبيك.

معارف القتيبي إن مروان قتل طلحة يوم الجمل بسهم فأصاب ساقه.

وقال السيد الحميري:

١٧٨
٣٢

واختل من طلحة المزهو جنته
في كف مروان مروان اللعين أرى
سهم بكف قديم الكفر غدار
رھط الملوک ملوک غیر أخیار
وله:

واغتر طلحة عند مختلف القنا
فاختل حبة قلبه بمدلق
عبل الذراع شديد أصل المنكب
ريان من دم جوفه المتصب
باب الهدى وحيا الربيع المخصب
في مارقين من الجماعة فارقوا

(١) رواه البلاذري في الحديث: (٣٠٤) وما حوله في عنوان: «مقتل طلحة» من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٤٦ ط

وحمل أمير المؤمنين على بني ضبة فما رأيتهم إلا كَرَمًا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ غَاصِبٍ.
فانصرف الزبير فقتبه عمرو بن جرموز و جز رأسه و أتى به إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه القصة.
قال السيد إسماعيل الحميري^(١):

أما الزبير فحاص حين بدت له
حتى إذا أمن الحتوف و تحته
أثوى ابن جرموز عمير شلوه
و قال غيره.

طار الزبير على إحصار ذي خضل
حتى أتى واديا لاقى الحمام به
فقالوا يا عائشة قتل طلحة والزبير و جرح عبد الله بن عامر كذا من يدي علي فصالحى عليا.

فقاتل كبر عمرو عن الطوق و جل أمر عن العتاب ثم تقدمت.
فحزن علي رضي الله عنه و قال إِنَّا لِلَّهِ و إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فجعل يخرج واحد بعد واحد و يأخذ الزمام حتى قتل قطع ثمان و تسعون رجلا.

ثم تقدمهم كعب بن سور الأزدي و هو يقول:
يا معشر الناس عليكم أمكم
و الحرمة العظمى التي تعكم
فقتله الأشتر

فخرج ابن جفير الأزدي يقول:
قد وقع الأمر بما لم يحذر
و أمتا في خدرها المشمر

فبرز إليه الأشتر قائلا
اسمع و لا تعجل جواب الأشتر
و اقرب تلاق كأس موت أحمر
ينسيك ذكر الجمل المشمر

فقتله ثم قتل عمر الغنوي و عبد الله بن عتاب بن أسيد ثم جال في الميدان جولا و هو يقول:
نحن بنو الموت به غدينا

فخرج إليه عبد الله بن الزبير فطعنه الأشتر و أرداه و جلس على صدره ليقتله فصاح عبد الله اقتلوني و مالكا و اقتلوا مالكا معي فقصد إليه من كل جانب فخلاه و ركب فرسه فلما رآه راكبا تفرقوا عنه.
و شد رجل من الأزد على محمد بن الحنفية و هو يقول يا معشر الأزد كروا فضر به ابن الحنفية فقطع يده فقال يا معشر الأزد فروا!!!

فخرج الأسود بن البخري السلمي قائلا
ارحم إلهي الكل من سليم
فقتله عمرو بن الحقم.

فخرج جابر الأزدي قائلا:
يا ليت أهلي من عمار حاضري
من سادة الأزد و كانوا ناصري

(١) من قوله: «قال الحميري - إلى قوله - فقالوا: يا عائشة قتل طلحة» مأخوذ من كتاب المناقب وقد سقط عن طبع الكلباني من بحار الأنوار.

فقتله محمد بن أبي بكر.

و خرج عوف القيني قائلا:

يا أم يا أم خلا مني الوطن
لا أبغني القبر و لا أبغي الكفن
فقتله محمد بن الحنفية.

فخرج بشر الضبي قائلا:

ضبة أبادى للعراق عممة
و أضرمي الحرب العوان المضرمة
فقتله عمار.

و كانت عائشة تنادي بأرفع صوت أيها الناس عليكم بالصبر فإنما يصبر الأحرار.
فأجابها كوفي:

يا أم يا أم عقت فاعلموا
و الأم تغذوا ولدها و ترحم
أ ما ترى كم من شجاع يكلم
و تجتلي هامته و المعصم
و قال آخر

قلت لها و هي على مهوات
إن لنا سواك أمهات
في مسجد الرسول ثاويات

فقال الحجاج بن عمر الأنصاري

يا معشر الأنصار قد جاء الأجل
إني أرى الموت عيانا قد نزل
فبادروه نحو أصحاب الجمل
ما كان في الأنصار جبن و فشل
فكل شيء ما خلا الله جلل

و قال خزيمة بن ثابت:

لم يَغضَبوا لله إلا للجنم
و الموت أخرى من فرار و فشل
و قال شريح بن هانئ:

لا عيش إلا ضرب أصحاب الجمل
و قال هانئ بن عروة المذحجي

يا لك حربا جنتها جمالها
قائدة ينقصها ضلالها
هذا علي حوله أقيالها

و قال سعيد بن قيس الهمداني

قل للوصي اجتمعت قحطانها
إن يك حرب أضمرت نيرانها
و قال عمار

إنسي لعمار و شيخي ياسر
طصلحة فيها و الزبير غادر
و قال الأشتر

هذا علي في الدجى مصباح
نحن بذنا في فضله فصاح
و قال عدي بن حاتم
أنا عدي و نماني حاتم
هذا علي بالكتاب عالم

لم يعصه في الناس إلا ظالم

وقال عمرو بن الحق:

هذا علي قائد يرضى به
أخو رسول الله في أصحابه
من عوده النامي ومن نصابه

وقال رفاعة بن شداد البجلي:

إن الذين قسطوا الوسيلة
و نازعوا على علي الفضيلة

في حربه كالنعجة الأكلة

وشكت السهام الهودج حتى كأنه جناح نسر أو شوك قنفذ.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج اعقروا الجمل.

وفي رواية أخرى عرقوه فإنه شيطان.

وقال لمحمد بن أبي بكر انظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها.

فعرقب رجل منه فدخل تحته رجل ضبي ثم عرقب رجل أخرى منه عبدالرحمن فوقع على جنبه قطع عمار نسعه.

فأتاه علي ودق رمحه على الهودج وقال يا عائشة أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تفعلني فقالت يا أبا الحسن ظفرت فأحسن و ملكت فأسجح.

فقال علي لمحمد بن أبي بكر شأنك وأختك فلا يدنو أحد منها سواك.

فقال محمد فقلت لها ما فعلت بنفسك عصيت ربك و هتكت سترك ثم أبحت حرمتك و تعرضت للقتل فذهب بها

إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي فقالت أقسمت عليك أن تطلب عبد الله بن الزبير جريحا كان أو قتيلًا.

فقال إنه كان هدفا للأشتر فانصرف محمد إلى العسكر فوجده فقال اجلس يا ميشوم أهل بيته فأتاها به فصاحت وبكت ثم قالت يا أخي استأمن له من علي فأتى محمد أمير المؤمنين عليه السلام فاستأمن له منه فقال صلى الله عليه وآله أمنت و أمنت جميع الناس.

وكانت وقعة الجمل بالخرية ووقع القتال بعد الظهر وانقضى عند المساء فكان مع أمير المؤمنين عليه السلام عشرون ألف

رجل منهم البديون ثمانون رجلا ومن بايع تحت الشجرة مائتان وخمسون ومن الصحابة ألف وخمسمائة رجل.

وكانت عائشة في ثلاثين ألف أو يزيدون منها المكيون ست مائة رجل.

قال قتادة قتل يوم الجمل عشرون ألفًا.

وقال الكلبي قتل من أصحاب علي عليه السلام ألف راجل و سبعون فارسا منهم زيد بن صوحان و هند الجملي و أبو عبد

الله العبدي و عبد الله بن رقية.

وقال أبو مخنف و الكلبي قتل من أصحاب الجمل من الأزد خاصة أربعة آلاف رجل و من بني عدي و مواليهم

تسعون رجلا و من بني بكر بن وائل ثمانمائة رجل و من بني حنظلة تسعمائة رجل و من بني ناجية أربعمائة رجل و

الباقى من أخطأ الناس إلى تمام تسعة آلاف إلا تسعين رجلا القرشيون منهم طلحة و الزبير و عبد الله بن عتاب بن

أسيد و عبد الله بن حكيم بن حزام و عبد الله بن شافع بن طلحة و محمد بن طلحة و عبد الله بن أبي بن خلف

الجمحي و عبد الرحمن بن معد و عبد الله بن معد.

وعرقب الجمل أولا أمير المؤمنين و يقال المسلم بن عدنان و يقال رجل من الأنصار و يقال رجل ذهلي.

وقيل لعبد الرحمن بن صرد التنوخي لم عرقبت الجمل فقال:

علي ولكني رأيت السهالكا

عقرت ولم أعقر بها لهوانها

إلى قوله:

فيا ليتني عرقبته قبل ذلك^(١)

شهدت الحروب فشيبتني فلم أر يوماً كيوم الجمل
أشد على مؤمن فتنة وأقتل منهم لحرق بطل
فليت الظعينة في بيتها ويسا ليت عسكر لم يرتحل

بيان: رحله بالدم أي لطمه و المشرفية سيوف نسب إلى مشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف ذكره الجوهري وقال المهند سيف المطبوع من حديد الهند.

وقال الفيروز آبادي جرفه جرفاً و جرفة ذهبت به كله و النذل الخسيس من الناس و الأسمر الرمح و العنطظ الطويل و الخط موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به و الملى بالهمز و قد يخفف الثقة و بغير همز طائفة من الزمان و السميع بالفتح السيد الموطوء الأكتاف و الكمي الشجاع المتكفي في سلاحه لأنه كمي نفسه أي سترها بالدرع و البيضة و البذخ الكبر و الفتر بالكسر ما بين طرف السبابة و الإبهام إذا فتحتهما و الصارم السيف القاطع و الوتر بالفتح و الكسر الحقد و طلب الدم و الهزير الأسد و سعطه الدواء كمنعه و نصره و أسعطه أدخله في أنفه و أسعطه الرمح طعنه به في أنفه و السعيط دردي الخمر و صعطه و أصعطه سعطه و اختله بسهم أي انتظمه و رجل عبل الذراعين أي ضخمهما و دلق السيف من غمده أخرجه و الحيا بالقصر الخصب و المطر.

وله أكبر عمرو عن الطوق أي لم يبق للصالح مجال.

قال الزمخشري في المستقصى هو عمرو بن عدي بن أخت جذيمة قد طوق صغيراً ثم استهوته الجن مدة فلما عاد همت أمه بإعادة الطوق إليه فقال جذيمة ذلك.

وقيل إنها نظفته و طوقته و أمرته بزيارة خاله فلما رأى لحيته و الطوق قال ذلك انتهى و المعام الجماعات المتفرقة و العوان من الحرب التي قوتل فيها مرة.

والجلل بالتحريك العظيم و الهين و هو من الأضداد و شكه بالرمح انتظمه.

١٣٣- شبي: [تفسير العياشي] عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول دخل علي أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة و الزبير فقلت لهم كانا إمامين من أئمة الكفر إن علياً يوم البصرة لما صف الخيول قال لأصحابه لا تعجلوا علي القوم حتى أعذر فيما بيني و بين الله و بينهم فقام إليهم فقال يا أهل البصرة هل تجدون علي جوراً في حكم قالوا لا قال فحيفاً في قسم قالوا لا قال فرغبه في دنيا أصبتها لي و لأهل بيتي دونكم فتعتم علي فنكتهم علي بيعتي قالوا لا قال فأقمت فيكم الحدود و عطلتها عن غيركم قالوا لا قال فما بال بيعتي تنكت و بيعة غيري لا تنكت إنني ضربت الأمر أنفه و عينيه و لم أجد إلا الكفر أو السيف^(١).

ثم نثني إلى أصحابه فقال إن الله يقول في كتابه وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ يَنْتَهُونَ فقال أمير المؤمنين و الذي فلق الحبة و برئ النسمة و اصطفى محمداً بالنبوة إنهم لأصحاب هذه الآية و ما قوتلوا منذ نزلت.

١٣٤- ب: [قرب الإسناد] محمد بن عبد الحميد و عبد الصمد بن محمد جميعاً عن حنان بن سدير قال سمعت أبا عبد الله و ذكر مثله^(٢).

بنوها بها حتى هوى القود باركاً
فأخز صريعاً كالثنية مالكا
فيا لبيتني عريقته قبل ذالكا

وما زالت الحرب العوان تحثها
فأضجته بعد البروك لجنه
فكانت شراراً إذ أطيفت بوقعه

(١) رواها العياشي مع أحاديث آخر في معناها في تفسير الآية: (١١) من سورة الأنفال من تفسيره.

ورواها عنه السيد هاشم البحراني في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠٧.

(٢) رواها العياشي مع أحاديث آخر في معناها في تفسير الآية: (١١) من سورة الأنفال من تفسيره.

١٣٥- شي: [تفسير العياشي] عن أبي الطفيل قال سمعت علياً عليه السلام يوم الجمل وهو يحرض الناس على قتالهم ويقول والله ما رمي أهل هذه الآية بكنانة قبل اليوم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون فقلت لأبي الطفيل ما الكنانة قال السهم موضع الحديد فيه عظم يسميه بعض العرب الكنانة^(١).

بيان: الكنانة بهذا المعنى غير معروف فيما عندنا من كتب اللغة.

١٣٦- جا: [المجالس للمفيد] المراءغي عن الحسن بن علي عن جعفر بن محمد بن مروان عن أبيه عن إسحاق بن يزيد عن خالد بن مختار عن الأعمش عن حبة العرنى قال سمعت حذيفة اليماني قبل أن يقتل عثمان بن عفان بسنة وهو يقول كأنني بأكم الحميراء قد سارت يساق بها على جمل وأنتم أخذون بالشوى والذنب معها الأزد أدخلهم الله النار وأنصارها بني ضبة جد الله أقدامهم^(٢).

قال فلما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادي أمير المؤمنين عليه السلام لا يبدأن أحد منكم بقتال حتى آمركم قال فرموا فينا فقلنا يا أمير المؤمنين قد رمينا فقال كفوا ثم رمونا فقتلوا منا قلنا يا أمير المؤمنين قد قتلونا فقال احملا على بركة الله قال فحملنا عليهم فأنشب بعضنا في بعض الرماح حتى لو مشى ماش لمشى عليها ثم نادى منادي علي عليه السلام عليكم بالسيف فجعلنا نضرب بها البيض فقتبوا لنا قال فنادى منادي أمير المؤمنين عليكم بالأقدام قال فما رأينا يوما كان أكثر قطع أقدام منه قال فذكرت حديث حذيفة أنصارها بني ضبة جد الله أقدامهم فعلمت أنها دعوة مستجابة ثم نادى منادي أمير المؤمنين عليكم بالبعير فإنه شيطان قال فقهره رجل برمحه وقطع إحدى يديه رجل آخر فبرك ورجا وصاحت عائشة صيحة شديدة فولى الناس منهزمين.

فنادى منادي أمير المؤمنين عليه السلام لا تجيزوا على جريح ولا تبتغوا مدبرا ومن أغلق بابه فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن.

بيان: الشوى يفتح الشين البدان والرجلان والرأس من الآدميين وشوى الفرس قوائمه ذكره الجوهري وقال جددت الشيء أجده جدا قطعته وقال نبا السيف إذا لم يعمل في الضريبة وقال قال الأصمعي أجهزت على الجريح إذا أسرعت قتله وتمت عليه ولا تقل أجزت على الجريح انتهى.

و الرواية مع ضبط النسخ تدل على كونه فصيحا بهذا المعنى.

١٣٧- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] دعا أمير المؤمنين محمد بن الحنفية يوم الجمل فأعطاه رمحه وقال له اقصد بهذا الرمح قصد الجمل فذهب فتمنعه بنو ضبة فلما رجع إلى والده انتزع الحسن رمحه من يده وقصد قصد الجمل وطعنه برمحه ورجع إلى والده وعلى رمحه أثر الدم فتمغر وجه محمد من ذلك فقال أمير المؤمنين لا تأنف فإنه ابن النبي وأنت ابن علي^(٣).

١٣٨- كش: [رجال الكشي] جبرئيل بن أحمد عن موسى بن معاوية بن وهب عن علي بن معبد عن عبيد الله بن عبد الله الواسطي عن واصل بن سليمان عن عبد الله بن سنان^(٤).

عن أبي عبد الله قال لما صرع زيد بن صوحان حبة الله عليه يوم الجمل جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتى جلس عند رأسه فقال رحمك الله يا زيد قد كنت حفيف الثؤنة عظيم المعونة قال فرفع زيد رأسه إليه ثم قال وأنت فجزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فولله ما علمتك إلا بالله ع لعلنا وفي أم الكتاب عليا حكيما وإن الله في صدرك لعظيم وإله ما قتلت معك على جهالة ولكني سمعت أم سلمة زوج النبي تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله.

ورواها عنه السيد هاشم الجرائي في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠٧.

(١) رواه الحميري في الحديث: (٣١١) من كتاب قرب الإسناد، ص ٤٦. ورواه عنه الجرائي في تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠٦.

(٢) رواه الشيخ المفيد في المجلس: (٧) من أماليه ص ٥٩.

(٣) رواه ابن شهر آشوب في عنوان: «سيادة الحسن عليه السلام» في ترجمته من مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٨٥.

(٤) رواه الكشي في ترجمه زيد بن صوحان تحت الرقم: (١٨) من رجاله ص ٦٣.

١٣٩-ختص: الإختصاص| جعفر بن الحسين و جماعة من مشايخنا عن محمد الحميري عن أبيه عن موسى بن جعفر البغدادي عن علي بن معبد عن عبيد الله بن الدهقان عن واصل مثله^(١).

١٤٠-كشفي: [كشف الغمة] لما تراءى الجمعان و تقاربا و رأى علي تصميم عزمهم على قتاله فجمع أصحابه و خطبهم خطبة بليغة قال فيها و اعلمو أيها الناس إني قد تأتيت هؤلاء القوم و راقبتهم و ناشدتهم كيما يرجعوا و يرتدعوا فلم يفعلوا و لم يستجيبوا و قد بعثوا إلي أن أبرز إلي الطعان و اثبت للجلاد و قد كنت و ما أهدد بالحرب و لا أدعي إليها و قد أنصف القارة من راماهما منها^(٢) فأنا أبو الحسن الذي فلتت حدهم و فرقت جماعتهم فبذلك القلب ألقى عدوي و أنا على بينة من ربي لما وعدني من النصر و الظفر و إني لعلى غير شبهة من أمري^(٣).
١٨٩
٣٢
ألا وإن الموت لا يفوته المقيم و لا يعجزه الهارب و من لم يقتل يمت فإن أفضل الموت القتل و الذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على الفراش.

ثم رفع يده إلى السماء و قال اللهم إن طلحة بن عبيد الله أعطاني صفقة يمينه طائعا ثم نكت بيعتي اللهم فاجله و لا تمهله و إن الزبير بن العوام قطع قرابتي و نكت عهدي و ظاهر عدوي و نصب الحرب لي و هو يعلم أنه ظالم لي اللهم فاكفنيه كيف شئت و أتى شئت.

ثم تقاربوا و تعبوا لابسى سلاحهم و دروعهم متأهبين للحرب كل ذلك و علي^{عليه السلام} بين الصفيين عليه قميص و رداء و على رأسه عمامة سوداء و هو راكب على بغلة.

فلما رأى أنه لم يبق إلا مصافحة الصفاح و المطاعنة بالرماح صاح بأعلى صوته أين الزبير بن العوام فليخرج إلي فقال الناس يا أمير المؤمنين أخرج إلى الزبير و أنت حاسر و هو مدجج في الحديد فقال^{عليه السلام} ليس علي منه بأس.

ثم نادى ثانية فخرج إليه الزبير و دنا منه حتى واقفه فقال له علي يا أبا عبد الله ما حملك على ما صنعت فقال الطلب بدم عثمان فقال أنت و أصحابك تقتلتموه فيجب عليك أن تقيد من نفسك و لكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد^{صلى الله عليه وآله} أما تذكر يوما قال لك رسول الله^{صلى الله عليه وآله} يا زبير أتحب عليا فقلت و ما يمنعني من حبه و هو ابن خالي فقال لك أما أنت فستخرج عليه يوما و أنت له ظالم فقال الزبير اللهم بلى فقد كان ذلك.

فقال علي^{عليه السلام} فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد^{صلى الله عليه وآله} أما تذكر يوما جاء رسول الله^{صلى الله عليه وآله} من عند ابن عوف و أنت معه و هو أخذ بيدك فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي فضحكت أنا إليه فقلت أنت لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبدا فقال لك النبي^{صلى الله عليه وآله} مهلا يا زبير فليس به زهو و لتخرجن عليه يوما و أنت ظالم له فقال الزبير اللهم بلى و لكن أنسيت فأما إذا ذكرتني ذلك فلا تصرفن عنك و لو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

ثم رجع إلى عائشة فقالت ما وراءك يا أبا عبد الله فقال الزبير و الله ورائي إني ما وقفت موقفا في شرك و لا إسلام إلا و لي فيه بصيرة و أنا اليوم على شك من أمري و ما أكاد أبصر موضع قدمي.

ثم شق الصفوف و خرج من بينهم و نزل على قوم من بني تميم.

فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي فقتله حين نام و كان في ضيافته فنفذت دعوة أمير المؤمنين^{عليه السلام} فيه.

و أما طلحة فجاهدهم و هو قائم للقتال فقتله ثم التحم القتال.

و قال علي^{عليه السلام} يوم الجمل ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتَيْتُمُ الْكُفْرَ إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يُتَّقُونَ﴾ ثم حلف حين قرأها أنه ما قاتل عليها منذ نزلت حتى اليوم و اتصل الحرب و كثر القتل و الجروح.

ثم تقدم رجل من أصحاب الجمل يقال له عبد الله فحال بين الصفوف و قال أين أبو الحسن فخرج إليه علي و شد عليه و ضربه بالسيف فأسقط عاتقه و وقع قتيلًا فوقف عليه و قال لقد رأيت أبا الحسن فكيف وجدته و لم يزل القتل يؤجج ناره و الجمل يفني أنصاره حتى خرج رجل مدجج يظهر بأسا و يعرض بعلي بذكر علي حتى قال:

(١) رواه الشيخ المفيد في الحديث: (١٣٤) في أوائل كتاب الاختصاص ص ٧٤ ط النجف.

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لما رواه عن مصادر في المختار: (٩٥) و تأليه من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٣٠٩-٣١٦. وفي كشف الغمة و طبع الكميات من البحار: «من راماهما منها». فكلمة «منها» لا مورد لها.

(٣) رواه الإربلي في وقعة الجمل من كشف الغمة: ج ١، ص ٢٤٠.

أضربكم و لو أرى عليا

عمته أبيض مشرقيا

فخرج إليه علي متكررا و ضربه علي وجهه فرمى بنصف حشف رأسه ثم انصرف فسمع صائحا من ورائه فالتفت فرأى ابن أبي خلف الخزاعي من أصحاب الجمل فقال هل لك يا علي في المبارزة فقال علي ما أكره ذلك و لكن ويحك يا ابن أبي خلف ما راحتك في القتل و قد علمت من أنا فقال ذرني يا ابن أبي طالب من بذخك بنفسك و ادن مني لترى أينما يقتل صاحبه فنتى علي عنان فرسه إليه فبدره ابن خلف بضربة فأخذها علي في جفحته ثم عطف عليه بضربة أطار بها يمينه ثم نثى بأخرى أطار بها حشف رأسه و استعر الحرب حتى عقر الجمل فسقط و قد احمرت البيداء بالدماء و خذل الجمل و حزبه و قامت النواذب بالبصرة على القتل.

وكان عدة من قتل من جند الجمل ستة عشر ألفا و سبعمائة و تسعين إنسانا و كانوا ثلاثين ألفا فأتى القتل على أكثر من نصفهم و قتل من أصحاب علي ﷺ ألف و سبعون رجلا و كانوا عشرين ألفا.

وكان محمد بن طلحة المعروف بالسجاد قد خرج مع أبيه و أوصى علي ﷺ أن لا يقتله من عساه أن يظفر به و كان شعار أصحاب علي ﷺ حم فلقبه شريح بن أوفى العبيسي من أصحاب علي ﷺ فطعنه فقال حم و قد سبق كما قيل السيف العذل فأتى علي نفسه و قال شريح هذا:

و أشعث قوام بآيات ربه
شككت بصدر الرمح حبيب قميصه
على غير شيء غير أن ليس تابعا
يذكرني حم و الرمح شاجر
وجاء علي حتى وقف عليه و قال هذا رجل قتله بره بأبيه.

وكان مالك الأشتر قد لقي عبد الله بن الزبير في المعركة ووقع عبد الله إلى الأرض والأشتر فوقه فكان ينادي اقتلوني و مالكا فلم ينتبه أحد من أصحاب الجمل لذلك ولو علموا أنه الأشتر لقتلوه ثم أفلت عبد الله من يده و هرب.

فلما وضعت الحرب أوزارها و دخلت عائشة إلى البصرة دخل عليها عمار بن ياسر و معه الأشتر فقالت من معك يا أبا اليقظان فقال مالك الأشتر فقالت أنت فعلت بعبد الله ما فعلت فقال نعم و لو لا كوني شيخا كبيرا و طاويا لقتلته وأرحت المسلمين منه قالت أو ما سمعت قول النبي ﷺ إن المسلم لا يقتل إلا عن كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو قتل النفس التي حرم الله قتلها فقال يا أم المؤمنين على أحد الثلاثة قاتلناه ثم أتشد:

أعائش لو لا أنني كنت طاويا
عشية يدعو و الرجال تجوزوه
فلم يعرفوه إذ دعاهم و عمه
فنجاه مني أكله و شبابه
ثلاثا لأتقيت ابن أختك هالكا
بأضعف صوت اقتلوني و مالكا
خدب عليه في العجاجة باركا
و إني شيخ لم أكن متماسكا

بيان: الحاسر الذي لا مغفر عليه و لا درع ذكره الجوهري و قال رجل مدح و مدح أي شاك في السلاح تقول متنه مدح في شكته أي دخل في سلاحه و قال الزهو الكبير و الفخر قوله و قد سبق كما قيل قوله كما قيل معترضة بين المثل و أصل المثل سبق السيف العذل و العذل بالتحريك العلامة.

قال الميداني قاله ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر لما لاهم الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم و ذكر لذلك قصة طويلة.

و قال الزمخشري يضرب في الأمر الذي لا يقدر على رده قال جريرة:

تكلفني رد الفرائب بعد ما
سبقن كسبق السيف ما قال عاذله.

و شجره بالرمح طعنه قوله قتله بره أي لم يكن يرى الخروج جائزا لكن خرج لطاعة أبيه فقتل مع أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قوله و عمه يعني نفسه و رجل خدب بكسر الخاء و فتح الدال و تشديد الباء أي ضخم.

١٤١- فو: [تفسير فرات بن إبراهيم] جعفر بن محمد الفزاري منعنا عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال أخبر جبرئيل النبي ﷺ أن أمتك سيختلفون من بعدك فأوحى الله إلى النبي ﷺ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قال أصحاب الجمل قال فقال النبي ﷺ فأنزل الله عليه وَإِنَّا عَلَى أَنْ تَرْيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ قال فلما نزلت هذه الآية جعل النبي ﷺ لا يشك أنه سيرى ذلك (١).

قال جابر بينما أنا جالس إلى جنب النبي ﷺ وهو بمنى يخطب الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أليس قد بلغتكم قالوا بلى فقال ألا لا أفينكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض أما لئن فعلتم ذلك لتعفرنني في كتيبة أضرب وجوهكم فيها بالسيف فكأنه غمز من خلفه فالتفت ثم أقبل علينا محمد فقال أو علي بن أبي طالب فأنزل الله تعالى فَإِمَّا تَذْهَبُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ تُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ وهي واقعة الجمل.

١٤٢- كا: [الكافي] علي عن أبيه عن ابن محبوب رفعه أن أمير المؤمنين ﷺ خطب يوم الجمل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (٢):

أيها الناس إني أتيت هؤلاء القوم ودعوتهم واحتججت عليهم فدعوني إلى أن أصبر للجلاء وأبزر للطعان فلأهمهم الهل ولقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب أنصف القارة من رامها فلغيري فليبرقوا وليرعدوا فأنا أبو الحسن الذي فلتت حدهم و فرقت جماعتهم وبذلك القلب ألقى عدوي وأنا على ما وعدني ربي من النصر والتأييد والظفر وإني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من أمري.

أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيص ومن لم يقتل يمت (٣) وإن أفضل الموت القتل والذي نفسي بيده أُلّف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على فراشي.

وا عجا لطلحة ألب الناس على ابن عفان حتى إذا قتل أعطاني صفقته يمينه طائعا ثم نكت بيعتي اللهم خذه ولا تمهله وإن الزبير نكت بيعتي وقطع رحمي و ظاهر علي عدوي فاكتفيه اليوم بما شئت.

١٤٣- مد: [العمدة] صحيح البخاري بإسناده إلى الحسن بن أبي بكرة قال لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل لما بلغ النبي ﷺ أن فارسا ملكوا ابنة كسرى فقال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة (٤).

وبإسناده أيضا عن عبد الله بن زياد الأسدي قال لما سار طلحة والزبير وعائشة بعث علي ﷺ إلى عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدمنا علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عمارا يقول إن عائشة سارت إلى البصرة والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ولكن الله عز وجل ابتلاكُم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي.

وبإسناده عن حذيفة اليمان رضي الله عنه قال إن المناققين اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ وكانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون (٥).

١٤٤- نهج: [نهج البلاغة] من كلامه ﷺ لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناضك أمر الله جمجمتك تد في الأرض قدمك أرم ببصرك أقصى القوم وغض بصرك واعلم أن النصر من عند الله سبحانه (٦).

(١) رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في الحديث: (٣٥٣) في آخر تفسير سورة الحج من تفسيره ص ١٠١، ط النجف.

ورواه عنه الحسكاني مع أحاديث أخر في معناه - في تفسير الآية: (٩٣) من سورة «المؤمنون» في الحديث: (٥٦٢) من شواهد التنزيل ج ١، ص ٤٠ ط ١.

(٢) رواه ثقة الإسلام الكليني في الحديث (٤) من الباب: (٢٥) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٥٣، وله مصادر أخر.

(٣) هذا هو الصواب، وفي أصلي: «ومن لا يمت يقتل...».

(٤) رواه يحيى بن الحسن بن البطريق في الحديث: (٩٠٠) وما بعده قيل آخر كتاب العمدة - بقليل - ص أو الورق ٢٣٦/أ.

ورواه أيضا أبي أبي الحديد من دون ذكر مصدر للحديث في شرح المختار: (٧٩) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٤١٦ الحديث ببيروت. ورواه أيضا الحاكم النيسابوري بسند آخر في أواسط كتاب الفتن والملاحم من كتاب المستدرک: ج ٤ ص ٥٢٤.

والحديث رواه البخاري في كتاب الفتن من صحيحه: ج ٩ ص ٧٠.

(٥) والحديث رواه أيضا الحاكم. (٦) رواه السيد الرضي في المختار: (١٠٠) من نهج البلاغة.

بيان: قوله ﷺ تزول الجبال خبر فيه معنى الشرط فالمعنى إن زالت الجبال فلا تزول والنواجد أقضى الأضراس وقيل الأضراس كلها. والعرض على الناجذ يستلزم أمرين.

أحدهما رفع الرعدة والاضطراب في حال الخوف كما يشاهد ذلك في حال البرد.

وثانيهما أن الضرب في الرأس لا يؤثر مع ذلك كما ذكر ﷺ في موضع آخر وقال وعضوا على النواجد فإنه أنبى للسيف عن الهام فيحتمل أن يراد به شدة الحق والغيظ.

قوله أعر الله أمر من الإغارة أي إبدلها في طاعة الله والجمجمة عظم الرأس المشتمل على الدماغ. قيل وفي ذلك إشعار بأنه لا يقتل في ذلك الحرب لأن العارية مردودة بخلاف ما لو قال بع الله جمجمتك.

وهذا الوجه وإن كان لطيفا لكن الظاهر أن إطلاق الإغارة باعتبار الحياة عند ربهم وفي جنة النعيم.

قوله ﷺ تدي أي أثبتها في الأرض كالوئد قوله ﷺ أرم بصرك أي اجعل سطح نظرك أقصى القوم ولا تقصر نظرك على الأدنى واحمل عليهم فإذا حملت وعزمت فلا تنظر إلى شوكتهم وسلاحهم ولا تبال ما أمامك.

قوله ﷺ وغض بصرك أي عن بريق السيوف ولعانها لئلا يحصل خوف بسببها.

١٤٥- ما: الأماي للشيخ الطوسي ابن الصلت عن ابن عقدة عن محمد بن جبارة عن سعاد بن سلمان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال شهد مع علي ﷺ يوم الجمل ثمانون من أهل بدر وألف وخمسائة من أصحاب رسول الله ﷺ^(١).

١٤٦- الكافية لإبطال توبة الخاطئة عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ أن أمير المؤمنين وأقف طلحة والزبير في يوم الجمل وخاطبهما فقال في كلامه لهما لقد علم المستحفظون من آل محمد وفي حديث آخر من أصحاب عائشة ابنة أبي بكر وها هي ذه فأسألوها أن أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي ﷺ وقد خاب من افترى^(٢).

١٩٧- فقال له طلحة سبحان الله تزعم أنا ملعونون وقد قال رسول الله ﷺ عشرة من أصحابي في الجنة فقال أمير المؤمنين ﷺ هذا حديث سعيد بن زيد بن نغيل في ولاية عثمان سموا إلى العشرة قال فسماوا تسعة وأمسكوا عن واحد فقال لهم فمن العاشر قالوا أنت قال الله أكبر أما أنتم فقد شهدتم لي أنني من أهل الجنة وأنا بما قتلنا من الكافرين والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لعهد النبي الأمي ﷺ إلي أن في جهنم جبا فيه ستة من الأولين وستة من الآخرين على رأس ذلك الجب صخرة إذا أراد الله تعالى أن يسعر جهنم على أهلها أمر بتلك الصخرة فرفعت إن فيهم أو معهم لنفرا ممن ذكروا وإلا فأظفركم الله بي وإلا فأظفرتي الله بكما وقتلكما بمن قتلتما من شيعتي.

١٤٧- ج: [الإحتجاج] عن سليم بن قيس الهلالي قال لما التقى أمير المؤمنين أهل البصرة يوم الجمل نادى الزبير يا أبا عبد الله اخرج إلي فخرج الزبير معه طلحة فقال والله إنكما لتعلمان وأولو العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر أن أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد ﷺ وقد خاب من افترى^(٣).

١٩٨- قال الزبير كيف تكون ملعونين ونحن أهل الجنة فقال علي ﷺ لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم فقال له الزبير أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نغيل وهو يروي أنه سمع رسول الله يقول عشرة من قريش في الجنة قال علي ﷺ سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته فقال الزبير أفترأه يكذب على رسول الله ﷺ فقال علي ﷺ لست أخبرك بشيء حتى تسميهم قال الزبير أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن عمرو بن نغيل فقال له علي ﷺ عدت تسعة فمن العاشر قال

(١) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في المجلس: (٢٦) من المجلد الثاني من أماليه ص ٩٠ ط ١. وللکلام شواهد ذكرناه في تعليق المختار:

(٢) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٩١ ط ١.

(٣) رواه الطبرسي في كتاب الإحتجاج: ج ١ ص ١٦٦.

أنت قال له عليؑ قد أقررت لي بالجنة وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين.

قال الزبير أقره كذب على رسول الله ﷺ قال ما أراه كذب ولكنه والله اليقين و والله إن بعض من ذكرت لفي تابوت في شعب في جب في أسفل درك من جهنم على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم رفع تلك الصخرة سمعت ذلك من رسول الله ﷺ وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي على يدك وإلا أظفرك الله عليك وعلى أصحابك وعجل أرواحكم إلى النار فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي.

١٤٨-ج: [الإحتجاج] روى نصر بن مزاحم أن أمير المؤمنينؑ حين وقع القتال وقتل طلحة تقدم على بغلة رسول الله الشهاب بين الصفين فدعا الزبير فدنا إليه حتى اختلف أعناق دابتيهما فقال يا زبير أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول إنك ستقاتل علياً وأنت له ظالم قال اللهم نعم قال فلم جئت قال جئت لأصلح بين الناس فأدبر الزبير وهو يقول:

ترك الأمور التي تخشى عواقبها	لله أجمل في الدنيا وفي الدين
نادى علي بأمر لست أذكره	إذ كان عمر أبيك الخير مذ حين
فقلت حسبك من عذل أبا حسن	فبعض ما قتلته ذا اليوم يكفيني
فاخترت عاراً على نار مؤججة	ما إن يقوم لها خلق من الطين
أخاك طلحة وسط القوم منجدلاً	ركن الضعيف ومأوى كل مسكين
قد كنت أنصر أحياناً وينصروني	في النائبات ويرمي من يرأسني
حتى ابتليتني بأمر ضاق مصدره	فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

قال فأقبل الزبير على عائشة فقال يا أمة والله ما لي في هذا بصيرة وأنا منصرف قالت عائشة أبا عبد الله أقررت من سيف ابن أبي طالب فقال إنها والله طوال حداد تحملها فتية أتجاد.

ثم خرج الزبير راجعاً فمر بوادي السباع وفيه الأحنف بن قيس قد اعتزل في بني تميم فأخبر الأحنف بانصرافه فقال ما أصنع به إن كان الزبير لف بين غارين^(١) من المسلمين وقتل أحدهما بالآخر ثم هو يريد اللحاق بأهله فسمعه ابن جرموز فخرج هو ورجلان معه وقد كان لحق بالزبير رجل من كلب ومعه غلامه فلما أشرف ابن جرموز وأصحابه على الزبير حرك الرجلان رواحلهما وخلفا الزبير وحده فقال لهما الزبير ما لكما هم ثلاثة ونحن ثلاثة.

فلما أقبل ابن جرموز قال له الزبير إليك عني فقال ابن جرموز يا أبا عبد الله إنني جئتك أسألك عن أمور الناس قال تركت الناس على الركب يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف قال ابن جرموز يا أبا عبد الله أخبرني عن أشياء أسألك عنها قال هات قال أخبرني عن خذلك عثمان وعن بيعتك علياً وعن نقضك بيعته وعن إخراجك أم المؤمنين وعن صلاتك خلف ابنك وعن هذه الحرب الذي جنتها وعن لحوقك بأهلك.

قال أما خذلي عثمان فأمر قدم الله فيه الخطيئة وأخر فيه التوبة.

وأما بيعتي علياً فلم أجد منها بدا إذ بايعه المهاجرون والأنصار.

وأما نقضي بيعته فإنما بايعته بيدي دون قلبي.

وأما إخراجي أم المؤمنين فأردنا أمراً وأراد الله غيره.

وأما صلاتي خلف ابني فإن خالته قدمته.

فتنحى ابن جرموز وقال قتلني الله إن لم أقتلك.

توضيح: قال ابن الأثير في مادة غور من كتاب النهاية في حديث عليؑ يوم الجمل ما ظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين أي الجيشين والغار الجماعة هكذا أخرجه أبو موسى في الغين والواو وذكره الهروي في الغين والياء وقال ومنه حديث الأحنف قال في الزبير منصرفاً من الجمل ما أصنع به إن كان جمع بين غارين ثم تركهم.

والجوهري ذكره في الواو والواو والياء متقاربان في الانقلاب.

١٤٩- ج: [الإحتجاج] روي أنه جيء إلى أمير المؤمنين برأس الزبير وسيفه فتناول سيفه وقال طال ما جلي به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ولكن الحين ومصارع السوء^(١).

بيان: الحين بالفتح الهلاك أي الهلاك المعنوي أو أجل الموت.

١٥٠- ج: [الإحتجاج] روي أنه ﷺ لما مر على طلحة بين القتلى قال أقعدوه فأقعد فقال إنه كانت لك سابقة لكن الشيطان دخل منخريك فأوردك النار^(٢).

١٥١- ج: [الإحتجاج] روي أنه مر عليه فقال هذا الناكث بيعتي والمنشئ للمقتنة في الأمة والمجلب علي والداعي إلى قتلي وقتل عترتي أجلسوا طلحة فأجلس فقال أمير المؤمنين ﷺ يا طلحة بن عبيد الله لقد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ثم قال أضعجوا طلحة و سار^(٣).
فقال بعض من كان معه يا أمير المؤمنين أتكلم طلحة بعد قتله فقال أما والله لقد سمع كلامي كما سمع أهل القلب كلام رسول الله ﷺ يوم بدر.

وهكذا فعل بكعب بن سور لما مر به قتيلاً وقال هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر أمه يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ثم استفتح وخاب كل جبار غيبيد أما إنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله.
١٥٢- الكافية في إبطال توبة الخاطئة روى خالد بن مخلد عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عن آبائه ﷺ قال مر أمير المؤمنين على طلحة وهو صريع فقال أجلسوه فأجلس فقال أم والله لقد كانت لك صحبة ولقد شهدت وسمعت ورأيت ولكن الشيطان أزاغك وأمالك فأوردك جهنم^(٤).

أقول: وأورد الأخبار السابقة بأسانيد عن الباقر ﷺ وغيره تركناها حذراً عن الإطناب.

١٥٣- ج: [الإحتجاج] روي أن مروان بن الحكم هو الذي قتل طلحة بسهم رماه به^(٥).
وروي أيضاً أن مروان يوم الجمل كان يرمي بسهامه في العسكرين معا ويقول من أصبت منها فهو فتح لقلته دينه وتهمة للجميع وقيل إن اسم الجمل الذي ركبته يوم الجمل عائشة عسكر ورئي منه ذلك اليوم كل عجب لأنه كلما أبين منه قائمة من قوائمه ثبت على أخرى حتى نادى أمير المؤمنين اقتلوا الجمل فإنه شيطان.
وتولى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر رحمة الله عليهما عقره بعد طول دعائه.

١٥٤- ج: [الإحتجاج] روي عن الباقر ﷺ أنه قال لما كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل قال علي ﷺ والله ما أراني إلا مطلقها فأنشد الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يقول يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي لما قام فشهد^(٦).
فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدریان فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي.
قال فيبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءه فقال علي ﷺ لقد أنبأني رسول الله ﷺ نبياً وقال يا علي إن الله يمدك بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.

بيان: رشقه رماه بالسهم والنبل السهام العربية ولا واحد لها من لفظها فلا يقال نبلة ذكرهما في النهاية.

١٥٥- ج: [الإحتجاج] عن الأصمغ بن نباتة قال كنت واقفاً مع أمير المؤمنين ﷺ يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه فقال يا أمير المؤمنين كبر القوم وكبرنا و هلل القوم و هللنا و صلى القوم و صلينا فعلى ما نقاتلهم فقال أمير

(١) رواه الطبرسي في عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين على الزبير.. وطلحة» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٢، ط بيروت.

(٢) رواه الطبرسي في عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين على الزبير.. وطلحة» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٢، ط بيروت.

(٣) رواه الطبرسي في عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين على الزبير.. وطلحة» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٢، ط بيروت.

(٤) رواه الشيخ المفيد في كتاب الكافية.

(٥) رواه الطبرسي في عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على الزبير.. وطلحة» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٤.

(٦) رواها الطبرسي في كتاب الاحتجاج في عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين على الزبير.. واحتجاجه بعد دخوله البصرة» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٤ و ١٧٠.

المؤمنين على ما أنزل الله عز وجل في كتابه فقال يا أمير المؤمنين ليس كلما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلمنيه فقال ما أنزل الله في سورة البقرة فقال يا أمير المؤمنين ليس كلما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه فعلمنيه فقال ﷺ هذه الآية ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْيَسَنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فتحن الذي آمنوا وهم الذين كفروا فقال الرجل كفر القوم ورب الكعبة ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله^(١).

١٥٦- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن علي بن خالد عن الحسن بن علي الكوفي عن القاسم بن محمد الدلال عن يحيى بن إسماعيل المزني عن جعفر بن علي عن علي بن هاشم عن بكير بن عبيد الله الطويل وعمار بن أبي معاوية قالا حدثنا أبو عثمان البجلي مؤذن بني قصي قال بكير أذن لنا أربعين سنة قال سمعت علياً ﷺ يقول يوم الجمل وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم فلعنهم ينتهون ثم حلف حين قرأها أنه ما قوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم^(٢).

قال بكير فسألت عنها أبا جعفر ﷺ فقال صدق الشيخ هكذا قال علي ﷺ هكذا كان.

١٥٧- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الحسن بن عبد الله المرزباني عن أبي دريد عن إسحاق بن عبد الله الطلحي قال^(٣):

قال الأصمعي ولى عمر بن الخطاب كعب بن سور قضاء البصرة وكان سبب ذلك أنه حضر مجلس عمر فجاءت امرأة فقالت يا أمير المؤمنين إن زوجي صوام قوام فقال عمر إن هذا الرجل صالح ليتني كنت كذا فردت عليه القول فقال عمر كما قال.

فقال كعب بن سور الأزدي يا أمير المؤمنين إنها تشكو زوجها بخير ولكن تقول إنها لا حظ لها منه فقال علي بزوجها فأتي به فقال ما بالها تشكوك وما رأيت أكرم شكوى منها قال له أمير المؤمنين إني امرؤ أفزعني ما قد نزل في الحجر والنحل وفي السبع الطوال.

فقال له كعب إن لها عليك حقا يا بعل فأوفها الحق وصم وصل فقال عمر لكعب اقض بينهما قال نعم أحل الله للرجال أربعة فأوجب لكل واحدة ليلة فلها من كل أربع ليال ليلة ويصنع بنفسه في الثلاث ما شاء فآلزمه ذلك.

وقال عمر لكعب اخرج قاضيا على البصرة فلم يزل عليها حتى قتل عثمان فلما كان يوم الجمل خرج مع أهل البصرة وفي عنقه مصحف فقتل هو يومئذ وثلاثة إخوة له أو أربعة فجاءتهم فوجدهم في القتلى فحملتهم وجعلت تقول:

أيا عين أبكي بدمع سرب
على فتية من خيار العرب
فما ضرهم غير حين النفوس
وأي امرئ لقريش غلب

١٥٨- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن علي بن محمد الكاتب عن الحسن بن علي الزعفراني عن الثقيفي عن إبراهيم بن عمر قال حدثني أبي عن أخيه عن بكر بن عيسى قال^(٤):

لما اصطفيت الناس للحرب بالبصرة خرج طلحة والزبير في صف أصحابهما فنادى أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) رواها الطبرسي في كتاب الاحتجاج في عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين علي الزبير.. واحتجابه بعد دخوله البصرة. من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٤ و ١٧٠.

والحديث: (١٣٦) رواه أيضاً الطوسي في الحديث (٤٠) من الجزء السابع من أماليه ص ٢٠٠.

(٢) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٩ - ٢٠ و ٢٦) من الجزء (٥) من أماليه ص ١٣٠، و ١٤٧ و ١٣٧.

والأول رواه عنه وعن الشيخ المفيد السيد البحراني في تفسير الآية: (١٢) من سورة التوبة من تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠٧، ط ٣.

(٣) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٩ - ٢٠ و ٢٦) من الجزء (٥) من أماليه ص ١٣٠، و ١٤٧ و ١٣٧.

والأول رواه عنه وعن الشيخ المفيد السيد البحراني في تفسير الآية: (١٢) من سورة التوبة من تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠٧، ط ٣.

(٤) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٩ - ٢٠ و ٢٦) من الجزء (٥) من أماليه ص ١٣٠، و ١٤٧ و ١٣٧.

والأول رواه عنه وعن الشيخ المفيد السيد البحراني في تفسير الآية: (١٢) من سورة التوبة من تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠٧، ط ٣.

طالب الزبير بن العوام فقال له يا أبا عبد الله ادن مني لأقضي إليك بسر عندي فدنا منه حتى اختلفت أعناق فرسيهما فقال أمير المؤمنين نشدتك الله إن ذكرتك شيئا فذكرته أما تعترف به فقال له نعم فقال أما تذكر يوما كنت مقبلا علي بالمدينة تحدثني إذ خرج رسول الله ﷺ فأراك معي وأنت تيسم إلي فقال لك يا زبير أتحب عليا فقلت وكيف لا أحبه و بيني وبينه من النسب والمودة في الله ما ليس لغيره فقال إنك ستقاتله وأنت له ظالم فقلت أعوذ بالله من ذلك فنكس الزبير رأسه ثم قال إني أنسيت هذا المقام فقال له أمير المؤمنين دع هذا أفلسيت بايعتني طاعنا قال بلى قال أفوجدت مني حدثا يوجب مفارقتي فسكت ثم قال لا جرم والله لا قاتلتك و رجعت متوجها نحو البصرة فقال له طلحة ما لك يا زبير ما لك تتصرف عنا سحر ك ابن أبي طالب فقال لا ولكن ذكرني ما كان أنسانيه الدهر واحتج علي ببيعتي له فقال له طلحة لا ولكن جئت وانتفع سحر ك!!!

فقال الزبير لم أجبن ولكن اذكرت فذكرت فقال له عبد الله يا أبة جئت بهذين العسكرين العظيمين حتى إذا اصطفاه للحرب قلت أتركهما وانصرف فما تقول قريش غدا بالمدينة الله الله يا أبت لا تشمت الأعداء ولا تشن نفسك بالهزيمة قبل القتال.

قال يا بني ما أصنع وقد حلفت له بالله أن لا أقاتله قال له فكفر عن يمينك ولا تفسد أمرنا فقال الزبير عيدي مكحول حر لوجه الله كفارة ليمينتي ثم عاد معهم للقتال!!

فقال همام الثقفي في فعل الزبير و ما فعل و عتقه عبده في قتال علي عليه السلام (١).

أيعتق مكحولاً و يعصي نبيه	لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق
أينوي بهذا الصدق و البر و التقى	سيعلم يوماً من يبر و يصدق
لشنان ما بين الضلال و الهدى	و شتان من يعصي النبي و يعتق
و من هو في ذات الإله مشمر	يكبر برا ربه و يصدق
أ في الحق أن يعصي النبي سفاهة	و يعتق من عصيانه و يطلق
كدافق ماء للسراب يؤمه	إلا في ضلال ما يصب و يدفق

١٥٩- ما: (الأمالى للشيخ الطوسي) المفيد عن عمر بن محمد الصيرفي عن محمد بن القاسم عن جعفر بن عبد الله المحمدي عن يحيى بن الحسن بن فرات عن المسعودي عن الحارث بن حصيرة عن أبي محمد العنزي قال حدثني ابن عمي أبو عبد الله العنزي قال (٢).

أنا لجلوس مع علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل إذ جاءه الناس يهتفون به يا أمير المؤمنين لقد نالنا النبل و الشواب فسكت ثم جاء آخرون فذكروا مثل ذلك فقالوا قد جرحنا فقال علي عليه السلام يا قوم من يعذرني من قوم يأمروني بالقتال و لم ينزل بعد الملائكة.

فقال العنزي أنا لجلوس و ما نرى ريحا و لا نحسها إذ هبت ريح طيبة من خلفنا و الله لوجدت بردها بين كتفي من تحت الدرع و الثياب قال فلما هبت صب أمير المؤمنين درعه ثم قام إلى القوم فما رأيت فتحا كان أسرع منه.

١٦٠- ييج: (الخرائج و الجرائح) عن أبي عبد الله الغنوي مثله (٣).

١٦١- ما: (الأمالى للشيخ الطوسي) جماعة عن أبي الفضل عن علي بن محمد بن مخلص عن عباد بن سعيد الجعفي عن محمد بن عثمان بن أبي الهول عن صالح بن أبي الأسود عن هاشم بن البريد عن أبي سعيد التيمي (٤):

عن ثابت مولى أبي ذر رحمه الله قال شهدت مع علي يوم الجمل فلما رأيت عائشة واقفة دخلني من الشك بعض ما يدخل الناس فلما زالت الشمس كشف الله ذلك عني فقاتلت مع أمير المؤمنين ثم أتيت بعد ذلك أم سلمة زوج

(١) كذا في ط الكمباني من البحار. و جملة «حيث يقول» غير موجودة في أمالي الشيخ.
(٢) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (١٠) من الجزء الثامن من أماليه: ج ١، ص ٢١٣.
(٣) رواه القطب الراوندي في الحديث من كتاب الخرائج.
(٤) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (٣٧) من الجزء (١٦) من أماليه: ج ١، ص ٤٧٤.

النبي ﷺ ورحمها الله فقصص عليها قصتي فقالت كيف صنعت حين طارت القلوب مطايرها قال قلت إلى أحسن ذلك والحمد لله كشف الله عز وجل عني ذلك عند زوال الشمس فقالت مع أمير المؤمنين قتالا شديدا فقالت أحسنت سمعت رسول الله ﷺ يقول علي مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا علي الحوض.

١٦٢- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن محمد بن جرير الطبري عن محمد بن عمار الأسدي عن عمرو بن حماد بن طلحة عن علي بن هاشم بن البريد عن أبيه عن أبي سعيد عن ثابت مثله^(١).

بيان: قوله إلى أحسن ذلك أي آل أمري ورجع إلى أحسن الأمور والأحوال.

أقول قد سبق ذكر اليهودي الذي سأل أمير المؤمنين عما فيه من خصال الأنبياء.

١٦٣- [شاه: الإرشاد] من كلام أمير المؤمنين ﷺ عند تطوافه على القتلى^(٢).

هذه قريش جددت أنفي وشفيت نفسي فقد تقدمت إليكم أحذركم عض السيف وكنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون ولكنة الحين وسوء المصراع وأعوذ بالله من سوء المصراع.

ثم مر على معبد بن المقداد فقال رحم الله أبا هذا أما إنه لو كان حيا لكان رأيته أحسن من رأي هذا.

فقال عمار بن ياسر الحمد لله الذي أوقعه وجعل خذه الأسفل أنا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي من عند عن الحق من والد وولد.

فقال أمير المؤمنين ﷺ رحمك الله وجزاك عن الحق خيرا.

قال ومر بعبد الله بن ربيعة بن دراج وهو في القتلى وقال هذا البائس ما كان أخرجه أدين أخرجه أم نصر لعثمان والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن.

ثم مر بمعبد بن زهير بن أبي أمية فقال لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام والله ما كان فيها بذى نخيرة ولقد أخبرني من أدركه وإنه ليلول فرقا من السيف.

ثم مر بمسلم بن قرظة فقال البر أخرج هذا والله لقد كلمني أن أكلم له عثمان في شيء كان يدعيه قبله بمكة فأعطاه عثمان وقال لو لا أنت ما أعطيته إن هذا ما علمت بشئ آخر العشرة ثم جاء المشوم للحين ينصر عثمان.

ثم مر بعبد الله بن حميد بن زهير فقال هذا أيضا ممن أوضع في قتالنا زعم يطلب الله بذلك ولقد كتب إلي كتباً يؤذي عثمان فيها فأعطاه شيئا فرضي عنه ثم مر بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال هذا خالف أباه في الخروج وأبوه حين لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا وإن كان قد كف وجلس حين شك في القتال ما ألوم اليوم من كف عنا وعن غيرنا ولكن المليم الذي يقاتلنا.

ثم مر بعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق فقال أما هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار فخرج مغضبا لقتل أبيه وهو غلام حدث جبن لقتله.

ثم مر بعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق فقال أما هذا فكانني أنظر إليه وقد أخذت القوم السيوف هاربا يعدو من الصف فنهت عنه فلم يسمع من نهته حتى قتله وكان هذا مما خفي على فتیان قريش أغمار لا علم لهم بالحرب خدعوا واستزلوا فلما وقفوا لحجوا فقتلوا.

ثم مشى قليلا فمر بكعب بن سور فقال هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر أمة يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ثم استفتح فخاب كل جبار عنيد أما إنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله أجلسوا كعب بن سور فأجلس فقال له أمير المؤمنين ﷺ يا كعب لقد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال أضجعوا كعبا.

و مر على طلحة بن عبيد الله فقال هذا الناكث بيعتي والمنشئ الفتنة في الأمة والمجلب علي والداعي إلى قتلي

(١) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٥) من الجزء (١٨) من أماليه ص ٥١٨.

(٢) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٢٦) مما اختار من كلام أمير المؤمنين ﷺ في كتاب الإرشاد، ص ١٣٥، ط النجف ورواه أيضاً في كتاب البمل ص ٢٠٩ ط النجف.

وقتل عترتي أجلسوا طلحة بن عبيد الله فأجلس فقال له أمير المؤمنين يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال أضجعوا طلحة و سار.
فقال له بعض من كان معه يا أمير المؤمنين أتكلم كعبا و طلحة بعد قتلها فقال أم و الله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله ﷺ يوم بدر.

إيضاح: جددت أنفي أي لم أكن أحب قتل هؤلاء و هم من قبيلتي و عشيرتي و لكن اضطرت إلى ذلك.

فوله بذي نخيرة النخير صوت بالأنف أي كان يقيم الفتنة لكن لم يكن له بعد قيامها صوت و حركة بل كان يخاف و يولول يقال ولولت المرأة إذا عولت و ما علمت أي فيما علمت و في علمي ممن أوضع على بناء المعلوم أي ركض دابته و أسرع أو على بناء المجهول قال الجوهري يقال وضع الرجل في تجارته و أوضع على ما لم يسم فاعله فيها أي خسر فنهنت عنه أي كفت و زجرت. و كان هذا مما خفي علي أي لم أعلم بوقت قتله.

فتبان قريبش مبتدأ و الأغمار خبره و هو جمع الغمر بالضم و بضميتين و هو الذي لم يجرب الأمور ذكره الجوهري و قال لحج السيف و غيره بالكسر يلحج لحجا أي نشب في الغمد فلا يخرج و مكان لحج أي ضيق.

ثم استفتح إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي سألوهم من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم و بين أعدائهم من الفتاحة.

١٦٤- كا: [الكافي] الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمد عن الوشاء عن أبان بن عثمان عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لعلي بن الحسين عليه السلام إن عليا عليه السلام سار في أهل القبلة بخلاف سيرة رسول الله ﷺ في أهل الشرك قال فغضب ثم جلس ثم قال سار فيهم و الله بسيرة رسول الله ﷺ يوم الفتح إن عليا كتب إلى مالك و هو على مقدمته يوم البصرة بأن لا يطعن في غير مقبل و لا يقتل مدبرا و لا يجهز على جريح و من أغلق بابه فهو آمن^(١).
فأخذ الكتاب فوضعه بين يديه على القربوس من قبل أن يقرأه ثم قال اقتلوا فقتلهم حتى أدخلهم سكك البصرة ثم فتح الكتاب فقرأه ثم أمر مناديا فنادى بما في الكتاب.

١٦٥- ني: [الغيبة للنعمان] محمد بن همام عن أحمد بن مابندار عن أحمد بن هليل عن ابن أبي عمير عن أبي المغراء عن أبي بصير قال قال أبو عبد الله عليه السلام لما التقى أمير المؤمنين عليه السلام و أهل البصرة نشر الراية راية رسول الله ﷺ فتزلزلت أقدامهم فما اصفرت الشمس حتى قالوا آمنا يا ابن أبي طالب فعند ذلك قال لا تقتلوا الأسراء ولا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا موليا و من ألقى سلاحه فهو آمن و من أغلق بابه فهو آمن^(٢).

ولما كان يوم صفين سأله نشر الراية فأبى عليهم فتحملوا عليه بالحسن و الحسين و عمار بن ياسر فقال للحسن يا بني إن اللوم مدة يبلغونها وإن هذه راية لا ينشرها بعدي إلا القاتم^(٣).

١٦٦- د: [العدد القوية] في تاريخ المفيد في النصف من جمادى الأول سنة ست و ثلاثين من الهجرة كان فتح البصرة و نزول النصر من الله تعالى على أمير المؤمنين عليه السلام^(٣).

وفي كتاب التذكرة في هذه السنة أظهر معاوية الخلافة و فيها بايع جارية بن قدامة السعدي لعلي بالبصرة و هرب منها عبد الله بن عامر.

وفيها لحق الزبير بمكة وكانت عائشة معتمرة فأشار عليهم ابن عامر بقصد البصرة و جهزم بألف ألف درهم و مائة بعير و قدم يعلى بن منية من البصرة فأعانهم بمائة ألف درهم و بعث إلى عائشة بالجمل الذي اشتراه بمائتي دينار.

(١) رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في الحديث: (٥) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٣٣.

(٢) رواه النعماني في أول الباب: (١٩) من كتاب الغيبة ص ٢٠٨ ط ٣.

(٣) رواه علي بن سديد الدين يوسف بن علي بن مطهر الحلبي في كتاب العدد القوية. و لا يزال الكتاب غير منشور.

وسار علي عليه السلام إليهم وكان معه سبعمائة من الصحابة وفيهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار منهم سبعون بدرية وكانت وقعة الجمل بالخرابية يوم الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة قتل فيها طلحة و قتل فيها محمد بن طلحة وكعب بن سور.

وأوقف على الزبير ما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وهو أنك تحاربه وأنت ظالم فقال أذكرتني ما أنسانيه الدهر وانصرف راجعا فلحقه عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو قائم يصلي فقطعه فقتله وهو ابن خمس وسبعين سنة. وقيل إن عدة من قتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفا ومن أصحاب علي أربعة آلاف أو خمسة آلاف. وسار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة واستخلف على البصرة عبد الله بن عباس وسير عائشة إلى المدينة. وفي هذه السنة صالح معاوية الروم على مال حمله إليهم لشغله بحرب علي عليه السلام.

٢١٢
٣٧

١٦٧- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له عليه السلام لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل: لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريبا أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب أدركت وترى من بني عبد مناف وأفلتني أعيان بني جمع لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه^(١).

بيان: عبد الرحمن من التابعين وأبوه كان أمير مكة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله والوتر الجنابة التي يجنبها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي.

وأعيان بني جمع في بعض النسخ بالراي أي ساداتهم أو جمع غير بمعنى الحمار وهو ذم لجماعة من بني جمع حضروا الجمل وهربوا ولم يقتل منهم إلا اثنان وأتلعوا أعناقهم أي رفعوها والوقص كسر العنق يقال واقتص الرجل فهو موقوص.

١٦٨- وقال ابن أبي الحديد ركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكرا في هودج قد ألبس الرفوف ثم ألبس جلود النمر ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد^(٢).

وروى الشعبي عن مسلم بن أبي بكره عن أبيه قال لما قدم طلحة والزبير البصرة تقلدت سيفي وأنا أريد نصرهما فدخلت على عائشة وإذا هي تأمر وتنهاي وإذا الأمر أمرها فذكرت حديثا كنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله لن يفلح قوم يدير أمرهم امرأة فانصرفت واعتزلتهم.

٢١٣
٣٦

وقد روي هذا الخبر على صورة أخرى إن قوما يخرجون بعدي في فئة رأسها امرأة لا يفلحون أبدا وكان الجمل لواء عسكر البصرة لم يكن لواء غيره فلما توافقت الجمعان قال علي عليه السلام لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجة وكفكم عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح فإذا هزتموهم فلا تبغوا مديرا ولا تكشفوا عورة ولا تمشلوا بقتيل وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترها ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمت أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعفاء القوى والأنفس والعقول ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيغير بها وعقبه من بعده.

قال وقيل بنو ضبة حول الجمل فلم يبق فيهم إلا من لا نفع عنده وأخذت الأزد بخطامه فقالت عائشة من أنتم قالوا الأزد قالت صبرا فإنما يصبر الأحرار ورمي الجمل بالنبل حتى صارت القبة عليه كهينة القنفذ فقال علي عليه السلام لما فني الناس على خطام الجمل وقطعت الأيدي وسالت النفوس ادعوا لي الأشر وعمارا فجاء فقال اذهبوا فاعقروا هذا الجمل فإنهم قد اتخذوه قبلة فذهبوا ومعهما قتيان من مراد يعرف أحدهما بعمر بن عبد الله فما زالوا يضربان الناس حتى خلا إلى فضربه المرادي على عرقبيه فأقعى وله رغاء ثم وقع لجنبه وفر الناس من حوله فنادى علي أقطعوا أنساع اليهود ثم قال لمحمد بن أبي بكر اكفني أختك فحملها محمد حتى أنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي.

١٦٩- كا: [الكافي] علي عن أبيه والقاساني جميعا عن الأصبهاني عن المنقري عن فضيل بن عياض عن أبي

٢١٤
٣٧

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (٢١٧) من نهج البلاغة.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في آخر شرحه على المختار: (٧٩) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٤١٦ ط الحديث ببيروت.

عبدالله قال قال أمير المؤمنين يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرية ولا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبرا ولا تغلق بابا وألقى سلاحه فهو آمن^(١).

١٧٠- أقول قال السيد بن طاوس في كتاب سعد السعود نقلا من كتاب ما نزل من القرآن في علي برواية أبي بكر محمد بن عبد الله الشافعي قال^(٢):

حدثنا عبد الله بن محمد بن ياسين عن محمد بن الكند عن عبيد الله بن موسى عن أسباط بن عروة: عن سعيد بن كرز قال كنت مع مولاي يوم الجمل مع اللواء فأقبل فارس فقال يا أم المؤمنين قالت عائشة سلوه من هو قيل له من أنت قال أنا عمار بن ياسر قالت قولوا له ما تريد قال أنشدك بالله الذي أخرج الكتاب على نبيه ﷺ في بيتك أتعلمين أن رسول الله جعل عليا وصيه على أهله قالت اللهم نعم.

١٧١- كا: [الكافي] العدة عن سهل و محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد و علي عن أبيه جميعا عن ابن محبوب عن حماد بن عيسى عن سوار^(٣):

عن الحسن قال إن عليا ﷺ لما هزم طلحة و الزبير أقبل الناس منهزمين فمروا بأمرأة حامل على ظهر الطريق ففزعت منهم فطرحت ما في بطنها حيا فاضطرب حتى مات ثم ماتت أمه من بعده فمر بها علي ﷺ وأصحابه و هي مطروحة و ولدها على الطريق فسألهم عن أمرها فقالوا له إنها كانت حلي ففزعت حين رأت القتال و الهزيمة قال فسألهم أيهما مات قبل صاحبه فقيل إن ابنها مات قبلها قال فدعا بزوجه أبي الغلام الميت فورثه من ابنه ثلثي الدية و ورث أمه ثلث الدية ثم ورث الزوج أيضا من المرأة نصف ثلث الدية الذي ورثته من ابنها و ورث قرابة المرأة الميتة الباقي ثم ورث الزوج أيضا من دية امرأته الميتة نصف الدية و هو ألفان و خمسمائة درهم و ورث قرابة المرأة الميتة نصف الدية و هو ألفان و خمسمائة درهم و ذلك أنه لم يكن لها ولد غير الذي رمت به حين فزعت قال و أدى ذلك كله من بيت مال البصرة.

أقول: شرح الخبر لا يناسب هذا المقام و قد شرحناه في موضعه.

وجدت في كتاب سليم بن قيس قال أبان سمعت سليما يقول شهدت يوم الجمل عليا ﷺ و كنا اثني عشر ألفا وكان أصحاب الجمل زيادة على عشرين و مائة ألف و كان مع علي ﷺ من المهاجرين و الأنصار نحو من أربعة آلاف ممن شهد مع رسول الله بدرا و الحديبية و مشاهد و سائر الناس من أهل الكوفة إلا من تبعه من أهل البصرة و الحجاز ليست له هجرة ممن أسلم بعد الفتح و جل الأربعة آلاف من الأنصار و لم يكره أحدا على البيعة و لا على القتال إنما نديهم فانتدبوا من أهل بدر سبعون و مائة رجل و جلهم من الأنصار ممن شاهد أهدأ و الحديبية و لم يتخلف عنه أحد و ليس أحد من المهاجرين و الأنصار إلا و هو مع يتولونه و يدعون له بالظفر و النصر و يحبون ظهوره على من ناواه و لم يخرجهم و لا يضيق عليهم و قد بايعوه و ليس كل أناس يقاتل في سبيل الله و الطاعن عليه و المتبرئ منه قليل مستتر عنه مظهر له الطاعة غير ثلاثة رهط بايعوه ثم شكوا في القتال معه و قعدوا في بيوتهم و هم محمد بن مسلمة و سعد بن أبي وقاص و ابن عمر و أما أساتر بن زيد فقد سلم بعد ذلك و رضي و دعا لعلي ﷺ و استغفر له و بري من عدوه و شهد أنه على الحق و من خالفه ملعون حلال الدم.

قال أبان قال سليم لما التقى أمير المؤمنين ﷺ و أهل البصرة يوم الجمل نادى علي ﷺ الزبير يا أبا عبد الله أخرج إلي فقال له أصحابي يا أمير المؤمنين تخرج إلي الزبير التاكث بيعته و هو على فرس شاك في السلاح و أنت على بغلة بلا سلاح فقال علي ﷺ إن علي جنة و آقية لن يستطيع أحد فرارا من أجله و إني لا أموت و لا أقتل إلا على يدي أشقاها كما عقر ناقة الله أشقى ثمود.

(١) رواه ثقة الإسلام الكليني في آخر الحديث الثاني من «باب وجوه الجهاد» و هو الباب (٣) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ١٢.

(٢) وليلاحظ الحديث: من كتاب سعد السعود، ص ٢٣٦.

(٣) رواه ثقة الإسلام الكليني في «باب المقتول لا يدرى من قتله» من كتاب الديات من الكافي: ج ٧ ص ٣٥٤.

ورواه أيضاً الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في الباب: (١٥٣) و هو باب ميراث الجنين و المتقوس و المنسقط من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص.

ورواه عنه ابن شهر آشوب في فصل قضايا علي بعد بيعة العامة له من مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٩٤.

فخرج إليه الزبير فقال أين طلحة ليخرج فخرج طلحة فقال نشدتكما الله أتعلمان وأولو العلم من آل محمد و عائشة بنت أبي بكر أن أصحاب الجمل وأهل النهر ملعونون على لسان محمد وقد خاب من افترى فقال الزبير كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجنة قال عليؓ لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحلت قتالكم فقال الزبير أما سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم أحد أوجب طلحة الجنة ومن أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض حيا فلي نظر إلى طلحة أو ما سمعت رسول الله ﷺ يقول عشرة من قرش في الجنة فقال عليؓ فسمهم فقال فلان و فلان و فلان حتى عد تسعة فيهم أبو عبيدة بن الجراح و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال عليؓ عددت تسعة فمن العاشر قال الزبير أنت فقال أما أنت فقد أقررت أنني من أهل الجنة وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأني به لمن الجاحدين والله إن بعض من سميت لقي تابوت في جب في أسفل درك من جهنم على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسرع جهنم رفع تلك الصخرة فأسرع جهنم سمعت ذلك من رسول الله ﷺ وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي بيدك وإلا فأظفرك الله بك وأصحابك فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي.

ثم أقبل على طلحة فقال يا طلحة معكما نسائكما قال لا قال عمدت إلى امرأة موضعها في كتاب الله القعود في بيتي فأبرزت ماها وصنتما حلالتكما في الغيام والحجال ما أنصتتما رسول الله ﷺ قد أمر الله أن لا يكلمن إلا من وراء حجاب أخبرني من صلاة ابن الزبير بكما أما يرضى أحدكما بصاحبه أخبرني عن دعائكما الأعراب إلى قتالي ما يحلمكما على ذلك.

فقال طلحة يا هذا كنا في الشورى ستة مات منا واحد وقتل آخر فنحن اليوم أربعة كلنا لك كاره فقال له عليؓ ليس ذاك علي قد كنا في الشورى والأمر في يد غيرنا وهو اليوم في يدي أرايت لو أردت بعد ما بايعت عثمان أن أرد هذا الأمر شورى أكان ذلك لي قال لا قال ولم قال لأنك بايعت طائعا فقال عليؓ وكيف ذلك والأنصار معهم السيوف مخترطة يقولون لأن فرغتم وبايعتم واحدا منكم وإلا ضربنا أعناقكم أجمعين فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئا من هذا وقت ما بايعتmani وحجتي في الاستكراه في البيعة أوضح من حجتك وقد بايعتني أنت وأصحابك طائعين غير مكرهين وكنتم أول من فعل ذلك ولم يقل أحد لتبايعان أو لتقتلما.

فانصرف طلحة ونشب القتال فقتل طلحة وانهزم الزبير.

بيان: قوله أكان ذلك بي أي بحسب معتقدكم أو هل كانوا يسمعون مني ذلك.

واعلم أن الدلائل على بطلان ما ادعوا من ورود الحديث ببشارة العشرة أنهم من أهل الجنة كثيرة قد مر بعضها وكفى بإنكاره ﷺ ورده في بطلانه ومقابلة بعضهم معه ﷺ أدل دليل على بطلانه للأخبار المتواترة بين الفريقين عن النبي ﷺ كقوله ﷺ لا يغضك إلا منافق وقوله حركي حربي وغير ذلك مما مر وسيأتي في المجلد التاسع والعشرة بزعمهم أمير المؤمنين ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح على التسعة اللعنة.

تذنيب:

قال أبو الصلاح رحمه الله في تقريب المعارف^(١) تناصر الخبر من طريقي الشيعة وأصحاب الحديث بأن عثمان وطلحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن من جملة أصحاب العقبة الذين نفروا برسول الله ﷺ وأن عثمان وطلحة القاتلان أينكح محمد نساءنا ولا تنكح نساءه والله لو قد مات لأجلنا على نسائه بالسهم.

وقول طلحة لأتزوجن أم سلمة^(٢) فأنزل الله سبحانه ﴿وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَأَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾.

(١) لا عهد لي بهذا الكتاب ولعله لا يزال غير منشور.

(٢) كذا في ط الكباني من أصلي، ولعللأصواب: «عائشة» كما رواه من طريق القوم العلامة الحلي في أواسط المطلب الخامس في الإمامة في مطاعن عثمان من كتاب كشف الحق ونهج الصدق ص ٣٠٤ - ٣٠٧ ط بيروت.

و قول عثمان لطلحة و قد تنازعا و الله إنك أول أصحاب محمد تزوج يهودية فقال طلحة و أنت و الله لقد قلت ما يحبسنا هاهنا إلا نلحق بقومنا.

و قد روي من طريق موثق به ما يصحح قول عثمان لطلحة فروي أن طلحة عشق يهودية فخطبها ليتزوجها فأبت إلا أن يتهود ففعل و قدحوا في نسبه بأن أباه عبيد الله كان عبدا راعيا بالبقاء فلقح بمكة فادعاه عثمان بن عمرو بن كعب التيمي فنكح الصعبة بنت دزهمر الفارسي و كان بعث به كسرى إلى اليمن فكان بحضرموت خرازا. و أما الزبير فكان أبوه ملاحا بجدة و كان جميلا فادعاه خويلد و زوجه عبد المطلب صفية.

و قال العلامة قدس الله روحه في كشف الحق و مؤلف كتاب إلزام النواصب و صاحب كتاب تحفة الطالب ذكر أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي من علماء الجمهور^(١) أن من جملة البغايا و ذوات الرايات صعبة بنت الحضرمي كانت لها راية بمكة و استبضعت بأبي سفيان فوقع عليها أبو سفيان و تزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجاءت بطلحة بن عبيد الله لسته أشهر فاختصم أبو سفيان و عبيد الله في طلحة فجعلأ أمرها إلى صعبة فألحقته بعبيد الله فقيل لها كيف تركت أبا سفيان فقالت يد عبيد الله طلبة و يد أبي سفيان نكرة. و قال العلامة في كشف الحق أيضا و ممن كان يلعب به و يتخنت عبيد الله أبو طلحة فهل يحل لعائل المخاصمة مع هؤلاء لعلي^{عليه السلام} انتهى.

و قال مؤلف كتاب إلزام النواصب و صاحب تحفة الطالب قد ورد أن العوام كان عبدا لخويلد ثم أعتقه و تبناه و لم يكن من قريش و ذلك أن العرب في الجاهلية كان إذا كان لأحدهم عبد و أراد أن ينسب إلى نفسه و يلحق به نسبه أعتقه و زوجه كريمة من العرب فيلحق بنسبه و كان هذا من سنن العرب.

و يصدق ذلك شعر عدي بن حاتم في عبد الله بن الزبير بحضرة معاوية و عنده جماعة قريش و فيهم عبد الله بن الزبير فقال عبد الله لمعاوية يا أمير المؤمنين ذرنا نكلم عديا فقد زعم أن عنده جوابا فقال إني أحذركموه فقال لا عليك دعنا و إياه فرضي معاوية فقال يا أبا طريف متى فقتت عينك فقال يوم فر أبوك و قتل شر قتلة و ضريك الأشرر على استك فوقعت هاربا من الزحف و أنشد يقول:

أما و أبي يا ابن الزبير لو أنسي
وكان أبي في طيء و أبو أبي
لقتيك يوم الزحف رمت مدى شحطا
صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا
قال معاوية قد حذرتكموه فأبيتهم.

و قوله صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا تعريض بابن الزبير بأن أباه و أبا أبيه ليسا بصحيحين النسب و أنهما من القبط و لم يستطع ابن الزبير إنكار ذلك في مجلس معاوية. أقول و روى صاحب كتاب تحفة الطالب الأبيات هكذا:

أما و أبي يا ابن الزبير لو أنسي
و لو رمت شقي عند عدل قضاؤه
لقتيك يوم الزحف ما رمت لي سخطا
لرمت به يا ابن الزبير مدى شحطا

باب ٤ احتجاجه^{عليه السلام} على أهل البصرة و غيرهم بعد انقضاء الحرب و خطبه^{عليه السلام} عند ذلك

١٧٣-ج: [الإحتجاج] روى يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه عبد الله بن الحسن قال كان أمير المؤمنين^{عليه السلام} يخطب بالبصرة بعد دخولها بأيام فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة و من أهل الفرقة و من

أهل البدعة و من أهل السنة فقال أمير المؤمنين عليه السلام ويحك أما إذا سألتني فافهم عني و لا عليك أن لا تسأل عنها أحدا بعدي أما أهل الجماعة فأنأ و من اتبعني و إن قلوا و ذلك الحق عن أمر الله و عن أمر رسوله ^(١).

وأما أهل الفرقة فالمخالفون لي و لمن اتبعني و إن كثروا.

وأما أهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله لهم و رسوله و إن قلوا.

وأما أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله تعالى و كتابه و لرسوله و العاملين برأيهم و أهوائهم و إن كثروا و قد مضى منهم الفوج الأول و بقيت أفواج و على الله فضها و استيصالها عن جدد الأرض.

فقام إليه عمار فقال يا أمير المؤمنين إن الناس يذكرون الفيء و يزعمون أن من قاتلنا فهو و ماله و ولده فيء لنا. فقام رجل من بكر بن وائل يدعى عباد بن قيس و كان ذا عارضة و لسان شديد فقال يا أمير المؤمنين و الله ما قسمت بالسوية و لا عدلت بالرية فقال و لم ويحك قال لأنك قسمت ما في العسكر و تركت النساء و الأموال و الذرية.

فقال عليه السلام أيها الناس من كانت به جراحة فليداها بالسمن فقال عباد جئنا نطلب غنائما فجاءنا بالترهات فقال له أمير المؤمنين عليه السلام إن كنت كاذبا فلا أمانك الله حتى يدركك غلام ثقيف ثقيل و من غلام ثقيف فقال رجل لا يدع لله حرمة إلا انتهكها فقيل أقيموت أو يقتل فقال يقصمه قاصم الجبارين يموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه!! يا أخا بكر أنت امرؤ ضعيف الرأي أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير و أن الأموال كانت لهم قبل الفرقة و تزوجوا على رشدة و ولدوا على فطرة و إنما لكم ما حوى عسكرهم و أما ما كان في دورهم فهو ميراث لذريتهم فإن عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه و إن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة قسمس ما حوى العسكر و لم يتعرض لما سوى ذلك و إنما اتبعت أثره حذو النعل بالنعل.

يا أخا بكر أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها و أن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق فهللا مهلا رحمكم الله فإن لم تصدقوني و أكثرتم علي و ذلك أنه تكلم في هذا غير واحد فأيكم يأخذ عائشة بسهمه.

فقالوا يا أمير المؤمنين أصبت و أخطأنا و علمت و جهلنا فنحن نستغفر الله تعالى و نادى الناس من كل جانب أصبت يا أمير المؤمنين أصاب الله بك الرشاد و السداد.

فقام عمار فقال أيها الناس و الله إن اتبعتموه و أطعتموه لن يضل عن منهل نبيكم صلى الله عليه وآله حتى قيس شعره و كيف لا يكون ذلك و قد استودعه رسول الله صلى الله عليه وآله علم النايأ و الوصايأ و فصل الخطاب على منجه هارون عليه السلام و قال له أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فضلا خصه الله به و إكراما منه لنبيه صلى الله عليه وآله حيث أعطاه ما لم يعطه أحدا من خلقه.

ثم قال أمير المؤمنين انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له فإن العالم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخس فإنني حاملكم إن شاء الله إن أطمعوني على سبيل النجاة و إن كانت فيه مشقة شديدة و مرارة عتيدة و الدنيا حلوة الحلاوة لمن اغتر بها من الشقوة و الندامة عما قليل.

ثم إنني أخبركم أن جيلا من بني إسرائيل أمرهم نبيهم أن لا يشربوا من النهر فلجوا في ترك أمره فشرخوا منه إلا قليلا منهم فكونوا رحمكم الله من أولئك الذين أطاعوا نبيهم و لم يعصوا ربهم.

وأما عائشة فأدركها رأي النساء ولها بعد ذلك حرمتها الأولى و الحساب على الله يعفو عن من يشاء و يعذب من يشاء.

بيان: فلان ذو عارضة أي ذو جلد و صرامة و قدرة على الكلام ذكره الجوهري و قال قال الأصمعي الترهات الطرق الضغار غير الجادة تشعب عنها الواحدة ترهته فارسي مرعب ثم استعير في الباطل و قال يقال بينهما قيس رمح و قاس رمح أي قدر رمح و العتيد الحاضر المهيأ.

(١) رواه الطبرسي رفع الله مقامه في عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بعد دخوله البصرة...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٨، ط بيروت.

ورواه السيوطي بصورة مطولة في الحديث: (١٧٨١) من مسند علي عليه السلام من كتاب جمع الجوامع: ج ٢، ص ١٢٩.

ورواه أيضا المتقي الهندي نقلاً عن وكيع في الحديث: (٣٥٢٩) من كتاب كنز العمال: ج ٨، ص ٢١٥ ط ١.

وقد رواه أيضاً في كتاب المواعظ من منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص ٣١٥ ط ١.

وقد رويناه حرفياً - وذكرنا لكثير من فقراته شواهد ومصادر - في المختار: (١٧٢) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٣٧٢ ط ٢.

١٧٤-ج: [الإحتجاج] عن المبارك بن فضالة عن رجل ذكره قال أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام بعد الجمل فقال له يا أمير المؤمنين رأيت في هذه الواقعة أمراً هائلي من روح قد بانت وجثة قد زالت ونفس قد فانت لا أعرف فيهم مشركاً بالله تعالى قاله الله فما يحلطني من هذا فإن يك شراً فهذا يتلقى بالتوبة وإن يك خيراً ازدادنا أخبرني عن أمرك هذا الذي أنت عليه أقتتة عرضت لك فأنت تنفع الناس بسيفك أم شيء خصك به رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

فقال له علي عليه السلام إذا أخبرك إذا أنبتك إذا أهدتك إن ناساً من المشركين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلموا ثم قالوا لأبي بكر استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نأتي قومنا فنأخذ أموالنا ثم نرجع فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذن لهم فقال عمر يا رسول الله أيرجع من الإسلام إلى الكفر قال وما علمك يا عمر أن ينظلقوا فيأتوا بمثلهم معهم من قومهم ثم إنهم أتوا أبا بكر في العام المقبل فسأله أن يستأذن لهم على النبي صلى الله عليه وآله فاستأذن لهم وعنده عمر فقال مثل قوله فغضب النبي صلى الله عليه وآله ثم قال والله ما أراكم تنتهون حتى يبعث الله عليكم رجالاً من قريش يدعوكم إلى الله فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرد فقال له أبو بكر فذاك أبي وأمي يا رسول الله أنا هو فقال لا فقال عمر فانا هو يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لا قال عمر فمن هو يا رسول الله فأومى إلي وأنا أخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هو خافض النعل عندكما ابن عمي وأخي وصاحبي وميرئ ذمتي والمؤدي عني ديني وعدتي والمبلغ عني رسالتي ومعلم الناس من بعدي ويبين لهم من تأويل القرآن ما لا يعلمون فقال الرجل أكتفي منك بهذا يا أمير المؤمنين ما بقيت. فكان ذلك الرجل أشد أصحاب علي عليه السلام فيما بعد على من خالفه.

بيان: قال الجوهرى فغحه بالسيف تناوله من بعيد وفي بعض النسخ تصحح بالصاد المهملة والأول أظهر قوله عليه السلام غنم الشرد من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة وفي بعض النسخ الغنم بالتعريف وهو أظهر والشرد إما بالتحريك جمع شارد كخدم وخدام أو بضمين جمع شروذ كزبور وزبر من شرد البعير إذا نفر.

١٧٥-ج: [الإحتجاج] عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل البصرة وضع قتيبا على قتب ثم صعد عليه فخطب فحمد الله وأثنى عليه فقال ^(٢):

يا أهل البصرة يا أهل الموتفة يا أهل الداء العضال يا أتباع البهيمة يا جند المرأة رغا فأجبتهم وعقر فهيرتهم ماؤكم زعاق ودينكم نفاق وأحلامكم دفاق ثم نزل يمشي بعد فراغه من خطبته فمشينا معه فمر بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال يا حسن أسبغ الوضوء فقال يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناسا يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله يصلون الخمس ويسبغون الوضوء فقال له أمير المؤمنين عليه السلام قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا فقال والله لأصدقنك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت وتحنطت وصيبت علي سلاحي وأنا لا أشك في أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة نادى مناد يا حسن أرجع فإن القاتل والمقتول في النار فرجعت ذعرا وجلست في بيتي فلما كان اليوم الثاني لم أشك أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر فتحنطت وصيبت علي سلاحي وخرجت أريد القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فناداني مناد من خلفي يا حسن إلى أين مرة بعد أخرى فإن القاتل والمقتول في النار قال علي صدقت أفتدري من ذلك المنادي قال لا قال ذلك أخوك إبليس وصدقك أن القاتل والمقتول منهم في النار فقال الحسن البصري الآن عرفت يا أمير المؤمنين أن القوم هلكي

بيان: قال الفيروز آبادي الخريبة كجهيئة موضع بالبصرة تسمى البصرة الصغرى

١٧٦-فسن: [تفسير القمي] والموتفة أهوى قال الموتفة بالبصرة والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه ^(٣).

(١) رواها الطبرسي في عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بعد دخوله البصرة...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٢) رواها الطبرسي في عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بعد دخوله البصرة...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٣) رواه علي بن إبراهيم في تفسير الآية: (٥٣) من سورة: «والنجم» من تفسيره: ج ٢، ص ٣٣٩ ط ٢.

ورواه عنه السيد هاشم البحراني رفع الله مقامه في تفسير الآية الكريمة من سورة «النجم» من تفسير البرهان: ج ٤، ص ٢٥٦.

يا أهل البصرة ويا أهل المؤتفكة يا جند المرأة وأتباع البهيمة رغا فأجبتهم وعقر فهربتهم ماؤكم زعاق وأحلامكم دقاق وفيكم ختم النفاق ولتعمت على لسان سبعين نبيا إن رسول الله أخبرني أن جبرئيل أخبره أنه طوى له الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء وأبعدها من السماء وفيها تسعة أعشار الشر والداء العضال المقيم فيها مذنب والخارج منها برحمة وقد انتفكت بأهلها مرتين وعلى الله تمام الثالثة وتمام الثالثة في الرجعة.

بيان: قال البيضاوي المؤتفكة القرى التي انتفكت بأهلها أي انقلبت وقال في النهاية في حديث أنس البصرة إحدى المؤتفكات يعني أنها غرقت مرتين فشبّه غرقها بانقلابها وقال الجوهري داء عضال أي شديد أعيا الأطباء.

١٧٧-فسن: [تفسير القمي] وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ الْمُؤْتَفِكَاتُ الْبَصْرَةُ وَالْخَاطِئَةُ فَلَانَةُ^(١).

بيان: قال البيضاوي بالخاطئة أي بالخطأ أو بالفعل أو بالأفعال ذات الخطأ.

وأما التأويل الذي ذكره علي بن إبراهيم فقد رواه مؤلف تأويل الآيات الباهرة عن محمد البرقي عن سيف بن عميرة عن أخيه عن منصور بن حازم عن حمران قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقرأ وجاء فِرْعَوْنُ يعني الثالث وَمَنْ قَبْلَهُ يعني الأولين وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ أهل البصرة بِالْخَاطِئَةِ الحميراء فالمراد بمجيء الأولين والثالث بعائشة أنهم أسسوا لها بما فعلوا من الجور على أهل البيت عليهم السلام أساسا به تيسر لها الخروج والاعتداء على أمير المؤمنين عليه السلام ولو لا ما فعلوا لم تكن تجترئ على ما فعلت والمراد بالمؤتفكات أهل المؤتفكات والجمع باعتبار البقاع والقرى والمحلات.

١٧٨-ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفى عن أبي الوليد الضبي عن أبي بكر الهذلي قال دخل الحارث بن حوط الليثي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ما أرى طلحة والزبير وعائشة أضحو إلا على حق فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ^(٢):

يا حار إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك جزت عن الحق إن الحق والباطل لا يعرفان بالناس ولكن اعرف الحق باتباع من اتبعه والباطل باجتئاب من اجتنبه.

قال فهلا أكون تبعا لعبد الله بن عمر وسعد بن مالك فقال أمير المؤمنين إن عبد الله بن عمر وسعدا خذلا الحق ولم ينصرا الباطل متى كانا إمامين في الخير فيتبعان.

بيان: إنك نظرت تحتك لعله كناية عن الغفلة عن معالي الأمور أو أنه اقتصر على النظر إلى أمثاله ومن هو أدون منه ولم ينتع من يجب اتباعه ممن هو فوقه.

١٧٩-ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] بالإسناد المتقدم عن الهذلي عن محمد بن سيرين قال سمعت غير واحد من مشيخة أهل البصرة يقولون لما فرغ علي بن أبي طالب عليه السلام من حرب الجمل عرض له مرض وحضرت الجمعة فتأخر عنها وقال لابنه الحسن انطلق يا بني فاجمع بالناس فأقبل الحسن إلى المسجد فلما استقل على المنبر حمد الله وأثنى عليه وتشهد وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ^(٣):

أيها الناس إن الله اختارنا لنبوته واصطفانا على خلقه وأنزل علينا كتابه ووجه وإيم الله لا ينتقصنا أحد من حقنا شيئا إلا ينقصه الله في عاجل دنياه وأجل آخرته ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ جِئِنِ.

ثم جمع بالناس وبلغ أباه كلامه فلما انصرف إلى أبيه عليه السلام نظر إليه فما ملك عبرته أن سألت على خديه ثم استدناه إليه فقبل بين عينيه وقال بأبي أنت وأمي دُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

(١) رواه علي بن إبراهيم رضي الله عنه في تفسير الآية: (٩) من سورة الحاقة من تفسيره: ج ٢ ص...

ورواه السيد البحراني عنه وعن شرف الدين النجفي في كتاب تأويل الآيات الباهرة في تفسير الآية الكريمة من سورة الحاقة من تفسير البرهان:

ج ٤ ص ٣٧٥ ط ٣.

(٢) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (٢٩) من الجزء الخامس من أماليه ص ١٣٤.

وقريبا منه جداً رواه السيد الرضي في المختار: (٢٦٢) من باب قصار نهج البلاغة.

(٣) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (٣٠) من الجزء (٣) من أماليه ج ١ ص ٨٠.

١٨٠- مع: [معاني الأخبار] ماجيلويه عن عمه عن الكوفي عن سفيان الحريري عن علي بن الحزور عن ابن نباتة قال لما أقبل أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة تلقاه أشرف الناس فهنوه وقالوا إنا نرجو أن يكون هذا الأمر فيكم ولا ينازعكم فيه أحد أبداً فقال هيهات في كلام له أني ذلك ولما ترمون بالصلعاء قالوا يا أمير المؤمنين وما الصلعاء قال يؤخذ أموالكم قهراً فلا تمنعون فلا تمتنعون^(١).

بيان: قال في النهاية الصلعاء الأرض التي لا تنبت وفي حديث عائشة أنها قالت لمعاوية حين ادعى زياداً ركبت الصليعاء أي الداهية والأمر الشديد أو السوء الشنيعة البارزة المكشوفة.

١٨١- يج: [الخرايج والجرائح] روي عن أبي الصيرفي عن رجل من مراد قال كنت واقفاً على رأس أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال إن لي إليك حاجة فقال عليه السلام ما أعرفني بالحاجة التي جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم قال نعم أريد أن تؤمنه قال آمنته ولكن اذهب إليه وجئني به ولا تجئني به إلا ردفاً فإنه أذل له فجاه به ابن عباس ردفاً خلفه فكانه قد فقل له أمير المؤمنين أنبأني قال نعم وفي النفس ما فيها قال الله أعلم بما في القلوب فلما بسط يده ليبياعه أخذ كفه عن كف مروان فترها فقال لا حاجة لي فيها إنها كف يهودية لو باعني بيده عشرين مرة لنكت باسته ثم قال هيه يا ابن الحكم خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأمة خسفاً ويسقونه كأساً مصرية^(٢).

بيان: قوله فترها كذا في أكثر النسخ بالناء والراء المهملة قال الفيروز آبادي في القاموس تر العظم يتر ويتر على زنة يمد ويفر ترا وتروا بان وانقطع وقطع كأتز وتر عن بلده تباعد والتتر الترزل والتقلقل وتتروا السكران حركوه وزعزعه واستنكهوه حتى يوجد منه الريح.

وفي بعض النسخ فنترها بالنون والثاء المثلثة أي نفضها وفي بعضها بالنون والثاء المشناة من التتر وهو الجذب بقوة وقال في القاموس يقال لشيء يطرده هيه بالكسر وهي كلمة استزادة أيضاً وفي النهاية المعامع شدة الموت والجدي في القتال والمعمعة في الأصل صوت الحريق والمعمعان شدة الحر.

١٨٢- شا: [الإرشاد] ومن كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالبصرة حين ظهر على القوم بعد حمد الله تعالى والثناء عليه^(٣).

أما بعد فإن الله ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة وعفو جم وعقاب أليم قضى أن رحمته ومغفرته وعفو لأهل طاعته من خلقه وبرحمته اهتدى المهتدون وقضى أن نقمته وخطواته وعقابه على أهل معصيته من خلقه وبعد الهدى والبنات ما ضل الضالون فما ظنكم يا أهل البصرة وقد نكتمت بيعتي وظاهرتهم على عدوي؟! فقام إليه رجل فقال نظن خيراً وراك قد ظهرت و قدرت فإن عاقبت فقد اجترأنا ذلك وإن عفوت فالفو أحب إلى الله تعالى.

فقال قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة فإنكم أول الرعية نكت البيعة وشق عصا هذه الأمة.

قال ثم جلس للناس بإيعاه ثم كتب عليه السلام بالفتح إلى أهل الكوفة.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإن الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً قلنا مَرَدُّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ.

أخبركم عنا وعن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن تأشب إليهم من قریش وغيرهم مع طلحة والزبير و

(١) رواه الشيخ الصدوق في: «باب معنى الرمي بالصلعاء» وهو الباب من كتاب معاني الأخبار، ص ١٦٣.

(٢) رواه قطب الدين الراوندي في كتاب الخرائج.

(٣) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الفصل: (٢٧) و (٢٨) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد ص ١٣٧.

والقسم الأول - أعني خطبته عليه السلام - رواه أيضاً الشيخ المفيد في كتاب الجمل ص ٢١٤ ط التجف.

نكتهم صفقة أيمانهم فنهضت من المدينة حين انتهى إلي خبر من سار إليها وجماعتهم و ما فعلوا بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار فبعثت الحسن بن علي و عمار بن ياسر و قيس بن سعد فاستنفرتكم بحق الله و حق رسوله و حتي فأقبل إلي إخوانكم سراعاً حتى قدموا علي فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء و قمت بالحجة و أقلت العثرة و الزلة من أهل الردة من قریش و غيرهم و استبنتهم من نكتهم بيعتي و عهد الله عليهم فأبوا إلا قتالي و قتل من معي و التمادي في النفي فناهضتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثاً و ولي من ولي إلي مصرهم و قتل طلحة و الزبير علي نكتهم و شاقتهما.

وكانت المرأة عليهم أشأم من ناقة الحجر فخذلوا و أدبروا و تقطعت بهم الأسباب فلما رأوا ما حل بهم سألوني العفو عنهم فقبلت منهم و غمدت السيف عنهم و أجريت الحق و السنة فيهم و استعملت عبد الله بن العباس علي البصرة و أنا سائر إلي الكوفة إن شاء الله تعالى.

و قد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفي لتسانلوه فيخبركم عنا و عنهم و ردهم الحق علينا و رد الله لهم و هم كارهون و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

توضيح: كلمة ما في قوله ﷺ ما ضل زائدة أو مصدرية و الأول أظهر و شق العصا مثل يضرب لتفريق الجماعة و أصله من أن الأعرابيين إذا اجتمعوا كانت لهما عصا واحدة فإذا تفرقا شقا العصا و أخذ كل منهما شقاً منها.

و قال الجوهري تأشب القوم اختلطوا و انتشبا أيضاً يقال جاء فلان فيمن تأشب إليه أي انضم إليه و قال ناهضته أي قاومته و تناهض القوم في الحرب إذا نهض كل فريق إلي صاحبه و قال فولي عنه أي أعرض و ولي هارباً أي أدبر و الحجر بالكسر منازل ثمود قال تعالى ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

١٨٣- شي: [تفسير العياشي] عن الحسن البصري قال خطبنا علي بن أبي طالب ﷺ علي هذا المنبر و ذلك بعد ما فرغ من أمر طلحة و الزبير و عائشة صعد المنبر فحمد الله و أنشئ عليه و صلى علي رسوله ﷺ ثم قال (١):
أيها الناس و الله ما قاتلت هؤلاء بالأمس إلا بآية تركتها في كتاب الله إن الله يقول ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا إِنَّهُمُ الْكَافِرُ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ أما و الله لقد عهد إلي رسول الله ﷺ و قال لي يا علي لتقاتلن الفئة الباغية و الفئة الناكثة و الفئة المارقة.

١٨٤- شي: [تفسير العياشي] عن الشعبي قال قرأ عبد الله ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ إلي آخر الآية ثم قال ما قوتل أهلها بعد.

فلما كان يوم الجمل قرأها علي ﷺ ثم قال ما قوتل أهلها منذ يوم نزلت حتى كان اليوم.
١٨٥- شي: [تفسير العياشي] عن أبي عثمان مولى بني أقيس قال سمعت علياً ﷺ يقول عذرني الله من طلحة و الزبير بايعاني طائعين غير مكروهين ثم نكثا بيعتي من غير حدث أحدثته و الله ما قوتل أهل هذه الآية مذ نزلت حتى قاتلتهم ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الآية.

١٨٦- كا: [الكافي] محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن محمد بن نعمان أبو جعفر الأحول عن سلام بن المستثير عن أبي جعفر ﷺ قال إن أمير المؤمنين ﷺ لما انقضت القصة فيما بينه و بين طلحة و الزبير و عائشة بالبصرة صعد المنبر فحمد الله و أنشئ عليه و صلى علي رسول الله ﷺ ثم قال (٢):

أيها الناس إن الدنيا حلوة خضرة فتغن الناس بالشهوات و تزين لهم بعاجلها و ايم الله إنها تنغر من أملها و تخلف من رجاها و ستورث غدا أقواما الندامة و الحسرة بإقبالهم عليها و تنافسهم فيها و حسدهم و بغيهم علي أهل الدين و الفضل فيها ظلماً و عدواناً و بغياً و أشراً و بطراً.

(١) رواه العياشي مع الحديثين التاليين في تفسير الآية: (١٢) من سورة التوبة من تفسيره.

ورواه الجرائي مع أحاديث أخر عنه وعن غيره في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠٧، ط ٣.

(٢) رواه ثقة الإسلام الكليني في الحديث: (٣٦٨) من كتاب الروضة من الكافي: ج ٨ ص ٢٥٦.

وبالله إنه ما عاش قوم قط في غضارة من كرامة نعم الله في معاش دنيا ولا دائم تقوى في طاعة الله والشكر لنعمه فزال ذلك عنهم إلا من بعد تغيير من أنفسهم وتحويل عن طاعة الله والحادث من ذنوبهم وقلة محافظة وترك مراقبة الله عز وجل وتهادن بشكر نعم الله لأن الله عز وجل يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ».

ولو أن أهل المعاصي وكسبة الذنوب إذا هم حذروا زوال نعم الله وحلول نعمته وتحويل عافيته أيقنوا أن ذلك من الله جل ذكره بما كسبت أيديهم فأقلعوا وتابوا وفزعوا إلى الله جل ذكره بصدق من نياتهم وإقرار منهم بذنوبهم وإساءة لهم عن كل ذنب وإذ لأقالهم كل عثرة ولرد عليهم كل كرامة نعمه ثم أعاد لهم من صالح أمرهم وما كان أنعم به عليهم كلما زال عنهم وأفسد عليهم.

فاتقوا الله أيها الناس حق تقاته واستشعروا خوف الله عز ذكره وأخلصوا النفس وتوبوا إليه من قبيح ما استنفركم الشيطان من قتال ولي الأمر وأهل العلم بعد رسول الله ﷺ وما تعاونتم عليه من تفريق الجماعة وتشتت الأمر وفساد صلاح ذات البين إن الله عز وجل يقلل التوبة وَيَغْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ.

١٨٧- نهج: إنهج البلاغة ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة^(١).

قالوا أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع بالحسن والحسين إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلما فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك يا أمير المؤمنين فقال: أو لم يبايعني بعد قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية لو يبايعني بيده لغدر بسبته أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوم أحمر.

إيضاح: الحكم بن أبي العاص أبو مروان هو الذي طرده رسول الله ﷺ وأواه عثمان كما مرو الضمير في أنها يعود إلى الكف المفهوم من البيعة لجريان العادة بأن يضع المبايع كفه في كف المبتاع والنسبة إلى اليهود لشيوع الغدر فيهم والسبة بالفتح الاست أي لو يبايع في الظاهر لغدر في الباطن وذكر السبة إهانة له والإمرة بالكسر مصدر كالإمارة وقيل اسم ولقعه كسمعه لحسه والغرض قصر مدة إمارته وكانت تسعة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل أربعة أشهر وعشرة أيام.

والأكبش بالفتح الحمل إذا خرجت رباعيته وكبش القوم رئيسهم وفسر الأكثر الكبش ببني عبد الملك الوليد وسليمان ويزيد وهشام ولم يل الخلافة من بني أمية ولا من غيرهم أربعة إخوة إلا هؤلاء وقيل به بنو مروان لصلبه عبد الملك الذي ولي الخلافة وعبد العزيز الذي ولي مصر وبشر الذي ولي العراق ومحمد الذي ولي الجزيرة ولكل منهم آثار مشهورة.

والولد بالتحريك مفرد وجمع واليوم الأحمر الشديد وفي بعض النسخ موتا أحمر وهو كناية عن القتل.

١٨٨- ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] بإسناده قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة فقال يا جند المرأة ويا أصحاب الهيمة رغاً فأجيتم وعقر فانهزمت الله أمركم بجهادي أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ^(٢)؟

ثم قال يا بصرة أي يوم لك لو تعلمين وأي قوم لك لو تعلمين أن لك من الماء يوماً عظيماً بلاؤه وذكر كلاماً كثيراً.

١٨٩- نهج: إنهج البلاغة ومن كلام له عليه السلام أنتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين والجنن يوم البأس والطبانة دون الناس بكم أضرب المدير وأرجو طاعة المقبل فأعينوني بمناصحة خلية من الفش سليمة من الريب فو الله إني لأولى الناس بالناس^(٣).

بيان: قال ابن أبي الحديد قاله للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما^(٤).

وبطانة الرجل خاصته وأصحاب سره والمدير من أدبر وأعرض عن الحق قوله ﷺ وأرجو أي من أقبل إلي إذا رأى أخلاقكم الحميدة أطاعني بصميم قلبه ويمكن أن يراد بالمقبل من كان من شأنه الإقبال والطاعة.

(١) رواه السيد الرضوي رضي الله عنه في المختار: (٧١) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه الشيخ الطوسي قدس الله نفسه في الحديث (٦١) من المجلس: (٢٢) من أماليه: ج ٢، ص ٧٨ ط ١.

(٣) رواه السيد الرضوي في المختار: (١١٦) من نهج البلاغة، وما ذكره المصنف في ذيل الكلام عن ابن أبي الحديد، ذكره ابن أبي الحديد في

ذيل هذا الكلام من شرحه: ج ٢ ص ٧٧٩. (٤) كتب في هامش الأصل الطبوع بأن ها هنا كان في النسخة بإضاحاً.

١٩٠- شا: [الإرشاد] من كلامه ﷺ حين قتل طلحة و أنفض جمع أهل البصرة^(١):

بنا تسنمت الشرف و بنا انفجرت عن السرار و بنا اهتديتم في الظلماء.

وقر سمع لم يفقه الواعية و كيف يراعي النبأ من أصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان.

و ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر و أتوسمكم بحلية المفترين سترني عنكم جلباب الدين و بصرنكم صدق النية أقمت لكم الحق حيث تعرفون و لا دليل و تحفرون و لا تميّهون.

اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان عذب فهم امرئ تخلف عني ما شككت في الحق منذ رأيته.

كان بنو يعقوب على المحجة العظمى حتى عقوا أباهم و باعوا أخاهم و بعد الإقرار كان توبتهم و باستغفار أبيهم و أخيهام غفر لهم.

بيان: هذا الكلام رواه السيد الرضي في النهج بأدنى تغيير و أوله.

بنا اهتديتم في الظلماء و تسنمت العلياء و بنا انفجرت عن السرار و قر سمع.

إلى قوله أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة حيث تلتقون و لا دليل إلى قوله ما شككت في الحق مذ أريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه أشفق من غلبة الجهال و دول الضلال.

اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل من وثق بما لم يظلم^(٢) قوله و تسنمت العلياء أي ركبتم سنامها و سنام كل شيء أعلاه أي بتلك الهداية على قدركم و بنا انفجرت و روي أفجرت.

قال ابن أبي الحديد هو نحو أغد البعير أي صرتم ذوي فجر و عن المجاوزة أي متقلين عن السرار و السرار الليلية و الليلتان يستتر فيهما القمر في آخر الشهر.

أقول و على الرواية الأخرى لعل المعنى انفجرت انفجار العين من الأرض أو الصبح من الليل و قر سمع دعاء على السمع الذي لم يفقه كلام الداعي إلى الله بالتلق و الصمم كيف يراعي النبأ أي من أصمته الصيحة القوية فإنه لم يسمع الصوت الضعيف و المعنى من لم ينتفع بالمواعظ الجليلة كيف ينتفع بالعبر الضعيفة و لعله كناية عن ضعف دعائه بالنسبة إلى دعاء الله و رسوله ﷺ.

ربط جنان دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله و الإشفاق من عذابه بالسكينة و الثبات والاطمئنان و التقدير ربط جنان نفسه و من روى بضم الراء فالعنى ربط الله جنانا كانت كذلك و هو أظهر.

والخفقان بالتحريك التحرك والاضطراب ما زلت أنتظر بكم الخطاب لبقية أصحاب الجمل أو مع المقتولين أو الأخير فقط.

وإضافة عواقب الغدر بيانية أو لامية و التوسم التفرس أي كنت أتفرس منكم أنكم ستغترون بالشبه الباطلة. سترني عنكم جلباب الدين أي الدين حال بيني و بينكم فلم تعرفوا ما أقوى عليه من الغلظة عليكم و قتلكم و سترني من عين قلوبكم ما وقفني عليه الدين من الرفق و الشفقة و سحب ذيل العفو على الجرائم. ويحتمل أن يكون المعنى إظهاركم شعار الإسلام عصمكم مني مع علمي بنفاقكم فأجريتكم مجرى المخلصين وهذا أنسب بما رواه بعضهم سترك عني و بصرنكم صدق النية أي جعلني بصيرا بكم إخلاصي لله تعالى و به صارت مرآة نفسي صافية كما قال النبي ﷺ المؤمن ينظر بنور الله ذكره ابن ميثم و الراوندي.

ويحتمل أن يكون المراد بصدق النية العلم الصادق الحاصل له ﷺ بنفاقهم من العلامات كما قال تعالى ﴿فَلَعَزَّوْهُم بِسَيِّئَاتِهِمْ وَلِتَعْرِفُهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي أنزلكم منزلة المخلصين لظاهر إسلامكم مع علمي واقعا بنفاقكم. وقال الراوندي رحمه الله و يحتمل وجهاً آخر و هو أن يكون المعنى إنما أخفى رتبتي و منزلتي عليكم ما أنا متباطئة من التخلي بأخلاق الديانة و هو أنه لا يعرفهم نفسهم بمفاخرها و مآثرها فيكون من باب قوله إن هاهنا علما جملا لو أصبت له حملة و على هذا يكون معناه أنكم إن صدقت نياتكم و نظرتم بعين صحيحة و أنصفتوني أبصرتم منزلتي.

(١) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٢٥) مما اختار من كلام أمير المؤمنين ﷺ من كتاب الإرشاد، ص ١٣٥.

(٢) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار الرابع من نهج البلاغة.

أُقيمت لكم على سنن الحق أي قمت لكم على جادة طريق الحق حيث يضل من تنكب عنه ولا دليل غيره و حيث تحفرون الآبار لتحصيل الماء ولا تميّهون أي لا تجدون ماء.

اليوم أنطق لكم العجماء كنى بالعجماء ذات البيان عن العبر الواضحة و ما حل يقوم فسقوا عن أمر ربهم و عما هو واضح من كمال فضله ﷺ و عن حال الدين و مقتضى أوامر الله تعالى فإن هذه الأمور عجماء لا نطق لها مقالا ذات البيات حالا و لما بينها ﷺ و عرفهم ما يقوله لسان جالها فكانه ﷺ أنطقها لهم.

و قيل العجماء صفة لمحذوف أي الكلمات العجماء و المراد بها ما في هذه الخطبة من الرموز التي لا نطق لها مع أنها ذات بيان عند أولي الألباب.

عزب أي بعد و يحتمل الإخبار و الدعاء و أوجس في نفسه خيفة أضمر.

اليوم توافقنا أي أنا واقف على سبيل الحق و أنتم على الباطل و من وثق بماء لعل المراد من كان على الحق و أيقن ذلك و اعتمد على ربه لا يبالي بما وقع عليه كما أن من وثق بماء لم يفرغه عطشه.

و قال الشارحون أي إن سكتكم إلى قولي و وثقتكم به كنتم أبعد عن الضلال و أقرب إلى اليقين.

و قال القطب الراوندي رحمه الله في شرحه على هذه الخطبة من نهج البلاغة أخبرنا بهذه الخطبة جماعة عن جعفر الدورستاني عن أبيه محمد بن العباس عن محمد بن علي بن موسى عن محمد بن علي الأسترآبادي عن علي بن محمد بن سيار عن أبيه عن الحسن العسكري عن أبياته عن أمير المؤمنين.

١٩١- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم (١).

فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله فليفعل فإن أطمعوني فإني حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنة و إن كان ذا مشقة شديدة عظيمة و مذاقة مريرة.

و أما فلانة فأدركها رأي النساء و ضغن غلا في صدرها كمرجل القين و لو دعيت لتنال من غيري ما أنت إلي لم تفعل و لها بعد حرمتها الأولى و الحساب على الله.

و منه:

سبيل أبلغ المنهاج أنور السراج فبالإيمان يستدل على الصالحات و بالصالحات يستدل على الإيمان و بالإيمان يعمر العلم و بالعلم يهرب الموت و بالموت تختم الدنيا و بالدنيا تحرز الآخرة.

وإن الخلق لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين في مضارها إلى الغاية القصوى.

و منه:

قد شخصوا من مستقر الأجداث و صاروا إلى مصائر الغايات لكل دار أهلها لا يستبدلون بها و لا ينقلون عنها. و إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لخلقان من خلق الله سبحانه و أنهما لا يقربان من أجل و لا ينقصان من رزق.

وعليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين و التور المبين و الشفاء النافع و الري النافع و العصمة للمتمسك و النجاة للمتعلق لا يعوج فيقام و لا يزيف فيستعقب و لا تخلقه كثرة الرد و ولوج السمع من قال به صدق و من عمل به سبق.

و قام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة و هل سألت عنها رسول الله ﷺ فقال ﷺ لما أنزل الله سبحانه قوله ألم ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ علمت أن الفتنة لا تنزل بنا و رسول الله ﷺ بين أظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها فقال يا علي إن أمتي سيفتنون من بعدي

فقلت يا رسول الله أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين و حيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي أبشر فإن الشهادة من ورائك فقال لي إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذا فقلت يا رسول الله ليس

هذا من مواطن الصبر و لكن من مواطن البشري و الشكر!

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (١٥٤) من نهج البلاغة.

ورويها بزيادات كثيرة و شواهد جمّة في المختار: (١٧٢) من نهج السعادة: ج ١، ص ٣٧٢ ط ٢.

وقال يا علي إن القوم سيفتقن بأموالهم و يعنون بدينهم على ربهم و يتمنون رحمته و يأمنون سطوته و يستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة و الأهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ و السحت بالهدية و الربا بالبيع فقلت يا رسول الله فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك أم بمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة فقال بمنزلة فتنة.

بيان قوله ﷺ أن يعتقل أي يحبس نفسه على طاعة الله وفلافة كناية عن عائشة ولعله من السيد رضي الله عنه نفية.

قوله ﷺ و ضغن أي حقد و كان من أسباب حقدها لأمر المؤمنين ﷺ سد النبي ﷺ باب أيها من المسجد و فتح بابه و بعثه ﷺ بسورة براءة بعد أخذها من أبي بكر و إكرام رسول الله ﷺ لفاطمة ﷺ و حسدها عليها إلى غير ذلك من الأسباب المعلومه.

و المرجل كمنبر القدر و القين الحداد أي كغليان قدر من حديد قوله ﷺ من غيري يعني به عمر كما قيل أو الأعم وهو أظهر أي لو كان عمر أو أحد من أضرابه و لي الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتل عليه و نسب إليه أنه كان يحرض الناس على قتله و دعيت إلى أن تخرج عليه في عصابة تثير فتنة و تنقض البيعة لم تفعل و هذا بيان لحقدها له ﷺ.

والبولج الإضاءة قوله ﷺ لا مقصر أي لا محبس و لا غاية لهم دونه مرفلين أي مسرعين قد شخصوا أي خرجوا الأجداث القبور و الخلق بالضم و بضمين السجبة و الطمع و المروءة و الدين و الرجل إذا روي من الماء فتغير لونه يقال له تقع قوله ﷺ لا يزغ فيستعجب أي لا يعمل فيطلب منه الرجوع.

والتبى الرجوع و المراد بكثرة الرد التردد في الألسنة.

قوله ﷺ لا تنزل بنا قال ابن أبي الحديد لقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ و حيزت عني أي منعت و الأهواء الساهية أي الغافلة قوله ﷺ بمنزلة فتنة أي لا يجري عليهم في الظاهر أحكام الكفر و إن كانوا باطناً ما أخبت الكفار.

أقول: قال ابن ميثم و ابن أبي الحديد^(١) هذا الخبر رواه كثير من المحدثين عن علي ﷺ قال إن رسول الله ﷺ قال لي إن الله كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال قوم يشهدون أن لا إله إلا الله و أنني رسول الله و هم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام أقاتلهم و هم يشهدون كما أشهد قال على الأحداث في الدين و مخالفة الأمر فقلت يا رسول الله أنت كنت وعدتني الشهادة فأسأل الله أن يجعلها لي بين يديك قال فمن يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين أما إني قد وعدتك الشهادة و ستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذا فقلت يا رسول الله ليس هذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال أجل أصبت فأعد للخصومة فإنك تخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلاً فقال إن أمتي ستفتن من بعدي فتأول القرآن و تعمل بالرأي و تستحل الخمر بالنبيذ و السحت بالهدية و الربا بالبيع و تحرف الكتاب عن مواضعه و تغلب كلمة الضلال فكن حلس^(٢) بيتك حتى تقلدها فإذا قلدها جاشت عليك الصدور و قلبت لك الأمور فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيهه فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى فقلت يا رسول الله فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين أم بمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة أم بمنزلة فتنة يعملون فيها إلى أن يدركهم العدل فقلت يا رسول الله أيدركهم العدل منا أم من غيرنا قال بل منا فبنا فتح الله و بنا يختم و بنا ألف بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله.

بيان كن حلس أي ملازماً له غير مفارق بالخروج للقتال و دفع أهل الضلال و الضمير في تقلدها و قلدها على المجحول فيها راجع إلى الخلافة و الإمارة و التقليد مأخوذ من عقد القلادة على الاستعارة و تقليدهم إطاعتهم و تركهم العناد و جاش القد بالهمزة و غيره غلا و قلبت لك الأمور أي دبروا أنواع المكاييد و الحيل لدفعك.

١٩٢- نهج: [نهج البلاغة] قيل إن الحارث بن حوط أتاها ﷺ فقال أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة

(١) رواه ابن ميثم في آخر شرحه على المختار: (١٥٦) - و هو المختار المتقدم الذكر - من نهج البلاغة: ج ٣ ص ٢٦٥ ط ٣.

وأما ابن أبي الحديد فهو أيضاً رواه في شرح المختار المذكور: ج ٣ ص ٢٧٧ ط بيروت و في ط مصر: ج ٩ ص ٢٠٦.

(٢) أي كن ملازماً لبيتك كملزمة المجلس لظهر البعير. والحلس: الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب.

فقال يا حار إنك نظرت تحتك و لم تنظر فوقك فحرت إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله و لم تعرف الباطل فتعرف من أتاه فقال الحارث فإني أعتزل مع سعد بن مالك و عبد الله بن عمر فقال إن سعدا و عبد الله بن عمر لم ينصرا الحق و لم يخذلا الباطل^(١).

بيان: نظرت تحتك أي نظرت في أعمال الناكثين بظاهر الإسلام الذين هم دونك في الرتبة لبعيهم على إمام الحق فاغررت بشبهتهم و اقتديت بهم و لم تنظر إلى من هو فوقك و هو إمامك الواجب الطاعة و من تبعه من المهاجرين و الأنصار و لا سمعت حكمهم يكون خصومهم على الباطل فكان ذلك سبب حيرتك.

و يحتمل أن يكون معنى نظره تحته كناية عن نظره إلى باطل هؤلاء و شبههم المكتسبة عن محبة الدنيا و نظره فوقه كناية عن نظره إلى الحق و تلقيه من الله.

أو المعنى نظرت إلى هذا الأمر الذي يستولي عليه فكرك و هو خطر قتال أهل القبلة و لم تنظر إلى الأمر العالي الذي هو فوق نظرك من وجوب قتالهم لبعيهم و فسادهم و خروجهم على الإمام العادل.

١٩٣- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ لما أظفرو الله بأصحاب الجمل و قد قال له بعض أصحابه وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصره الله به على أعدائك فقال ﷺ أقوى أخيك معنا قال نعم قال فقد شهدنا و لقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال و أرحام النساء سيرعف بهم الزمان و يقوى بهم الإيمان^(٢).

بيان: سيرعف بهم الزمان الرعاف الدم الخارج من أنف الإنسان و المعنى سيخرجهم الزمان من العدم إلى الوجود و هذا من قبيل الإسناد إلى الظرف أو الشرط.

١٩٤- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ في ذم البصرة و أهلها^(٣):

كنتم جند المرأة و أتباع البهيمة رغا فأجبتهم و عقر فهزمت أخلأكم رقاق و عهدكم شقاق و دينكم نفاق و ماؤكم زعاق المقيم بين أظهرهم مرتين بذنبه و الشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه.

كأنى بمسجدكم كجؤجو سفينه قد بعث الله عليها العذاب من فوقها و من تحتها و غرق من في ضمنها.

و في رواية أخرى و ايم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأنني أنظر إلى مسجدها كجؤجو سفينه أو نعامه جائمة.

و في رواية أخرى كجؤجو طير في لجة بحر.

أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم و سفهت حلومكم أحلامكم فأنتم غرض لنا بل و أكلة لكل و فريسة لصائد لصال.

بيان: إنما قال ﷺ و أتباع البهيمة لأن جمل عائشة كان راية عسكر البصرة و الرغا صوت الإبل قوله ﷺ أخلأكم دقاق قال ابن أبي الحديد الدق من كل شيء حقيقه و صغيره و صفهم باللؤم و في الحديث أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب أن أنكح فلانة إلا أن في أخلاق أهلها دقة فقال له إياك و خضراء الدمن.

و الشقاق الخلاف و الافتراق و الزعاق المالح و سبب ملوحة مائهم قريهم من البحر و امتزاج مائه بمائهم.

قبل ذكرها في معرض ذمهم لعله من سوء اختيارهم هذا الموضوع أو كونها سببا لسوء المزاج و البلادة و غير ذلك كما تقوله الأطباء.

(١) رواه السيد الرضائي في المختار: (٢٦٢) من قصار نهج البلاغة، وقد رويناه عن مصادر في المختار: (٩٦) من نهج السعادة: ج ١، ص ٣١٢ ط ٢.

(٢) رواه السيد في المختار: (١٢) من نهج البلاغة. وفي شرح ابن أبي الحديد زيادة عن رواه المصنف ها هنا، ولعلها سقط عن نسخة المصنف عند الطباعة وإليك نص الزيادة: وفي رواية أخرى:

بلادكم أنتم بلاد الله تربة، [و] أقربها من الماء، وأبعدها من السماء وبها تسعة أعشار الشرّ المحتشّ فيها بذنبه، والخارج بعفو الله. كأنني أنظر إلى قريبتكم هذه قد طيبتها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجو طير في لجة بحر.

قوله ﷺ بين أظهركم أي بينكم على وجه الاستظهار والاستناد إليكم وأما كونه مرتتها بذنبه فلأن المقيم بينهم لا بد وأن ينخرط في سلوكهم ويكتسب من رذائل أخلاقهم فيكون موثقا بذنوبه أو أن كونه بينهم يجري مجرى العقوبة بذنبه والخارج من بينهم لحقه رحمة الله فوفقه لذلك.

و جَوْزُ السفينة صدرها ويقال جثم الطائر جثوما وهو بمنزلة البرك للإبل.

وقال ابن ميثم أما وقوع المخبر عنه فالمثول أنها غرقت في أيام القادر بالله وفي أيام القائم بالله غرقت بأجمعها وغرق من في ضمنها وخربت دورها ولم يبق إلا مسجدها الجامع ثم.

قال ويمكن أن يكون المراد بقرئها من الماء وبعدها من السماء كون موضعها هابطا قريبا من البحر.

وقيل المراد ببعدها من السماء كونها بعيدة من دائرة معدل النهار فإن الإحصاء دلت على أن أبعد موضع في المعمورة عن معدل النهار الأتلة قصبة البصرة.

وقيل المراد من بعدها عن سماء الرحمة كونها مستعدة لنزول العذاب انتهى.

ولعل مراده أنها أبعد بلاد العرب عن المعدل وإلا فظاهر أن الأتلة ليست أبعد موضع في المعمورة والأتلة بضم الهزء والباء وتشديد اللام المفتوحة إحدى الجنات الأربع وهي الموضع الذي فيه الدور والأنبية الآن.

والسفه رذيلة مقابل الحلم والتأمل ذو النبل والأكلة المأكول والفريسة ما يفترسه السبع والصولة الحملة والوثبة.

١٩٥- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ في بيان بعض شئون النساء^(١).

معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحفظ نواقص العقول.

فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين منهن كشهادة الرجل الواحد.

و أما نقصان حظوظهن فمواربتهن على الأنصاف من مواربث الرجال فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا تطعن في المنكر.

توضيح: الغرض ذم عائشة وتوبيخ من تبعها وإرشاد الناس إلى ترك طاعة النساء.

ونقصان الإيمان بالقعود عن الصلاة والصيام لعله مبني على أن الأعمال أجزاء الإيمان وقعودهن وإن كان بأمر الله تعالى إلا أن سقوط التكليف لنوع من النقص فيهن وكذا الحال في الشهادة والميراث.

وترك طاعتهم في المعروف إما بالعدول إلى فرد آخر منه أو فعله على وجه يظهر أنه ليس لطاعتهم بل لكونه معروفا أو ترك بعض المستحبات فيكون الترك حينئذ مستحبا كما ورد تركها في بعض الأحوال كحال الملل.

١٩٦- نهج: [نهج البلاغة] ومن خطبة له ﷺ تفتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية تأتيكم مزمومة مرحولة يحفظها قائدها ويجهدها راكبها أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدكم في الله قوم أذلة عند المتكبرين في الأرض مجهولون وفي السماء معروفون فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نعم الله لا رجع له ولا حس وسيتلي أهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر^(٢).

إيضاح: قطع الليل جمع قطع بالكسر وهو الظلمة قال تعالى ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ كذا ذكره ابن أبي الحديد ولعله سهو منه والظاهر أنه جمع قطعة.

(١) رواه السيّد الرضّي في المختار: (٨٠) - أو قبله - من نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضّي في ذيل المختار: (١٠٠/أو ١٠٢) من نهج البلاغة.

لا تقوم لها قائمة أي لا تنهض لحربها فئة ناهضة أو قائمة من قوائم الخيل أو قلعة أو بنية قائمة بل تنهدم يعني لا سبيل إلى قتال أهلها^(١).

ولا ترد لها راية أي لا تنهزم راية من رايات تلك الفتنة بل تكون غالبية دائما أو لا ترجع لحربها راية من الرايات التي هربت عنها مزمومة مرحولة عليها زمام ورحل أي تامة الأدوات يدفعها قائدها و الحفر السوق الشديد و يجدها أي يحمل عليها في السير فوق طاقتها قليل سلبهم أي ما سلبوه من الخصم أي همتهم القتل لا السلب.

وقيل إن هذه إشارة إلى صاحب الزنج و جيشه.

و فيه أن الذين جاهدوهم لم يكونوا على الأوصاف المذكورة إلا أن يقال لشقاوة الطرف الآخر أمدّم الله بالملائكة و هو بعيد.

وقيل إشارة إلى ملحمة أخرى في آخر الزمان لم تأت بعد و هو قريب و الرجح الغبار.

قال ابن أبي الحديد كنى بهذا الجيش عن طاعون يصيبهم حتى يبيدهم.

وقال ابن ميثم إشارة إلى فتنة الزنج و ظاهر أنه لم يكن لهم غبار و لا أصوات إذ لم يكونوا أهل خيل و لا قفقة لجم فإذن لا رجع لهم و لا حس.

وقال ابن أبي الحديد الموت الأحمر كناية عن الوباء و الجوع الأغبر كناية عن المحل^(٢) و الحمرة كناية عن الشدة و وصف الجوع بالأغبر لأن الجائع يرى الآفاق كأن عليها غبرة و ظلاما.

وقيل الموت الأحمر إشارة إلى قتلهم بالسيف.

وقال ابن ميثم أقول قد فسر هـ بـ يهلكهم من قبل الفرق كما سيأتي.

١٩٧- نهج: [نهج البلاغة] و من كلامه عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة^(٣).

يا أنحف كاني به و قد سار بالجيوش الذي لا يكون له غبار و لا لجم و لا قفقة لجم و لا حممة خيل يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام.

قال الرضي رحمه الله يومي بذلك إلى صاحب الزنج.

ثم قال عليه السلام:

ويل لسكككم العامرة و الدور المزخرقة التي لها أجنحة كأجنحة النسور و خراطيم كخراطيم القبلة سن أولئك الذين لا يندب قتلهم و لا يفقد غائبهم!!

أنا كاب الدنيا لوجهها و قادرها بقدرها و ناظرها بعينها.

و منه يومي عليه السلام به إلى وصف الأتراك:

كأنني أراهم قوما كأن وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق و الديباج و يعتقبون الخيل العتاق و يكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول و يكون المفلت أقل من الأسور.

فقال له بعض أصحابه لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه و قال للرجل و كان كليبيا.

يا أبا كلب ليس هو بعلم غيب و إنما هو تعلم من ذي علم و إنما علم الغيب علم الساعة و ما عدده الله سبحانه بقوله إِنْ أَلَّهْ عَنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ فَيَعْلَمُ سَبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ قَبِيحٌ أَوْ جَمِيلٌ وَ سَخِيٌّ أَوْ بَخِيلٌ وَ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ وَ مَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا أَوْ فِي الْجَنَّةِ لَنْبِيْنٍ مُرَاقِقًا فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمُ عِلْمِهِ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَمْنِيهِ وَ دَعَا لِي بِأَنْ يَعْهِي صَدْرِي وَ تَضَظُّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.

(١) جملة: «يعني لا سبيل إلى قتال أهلها» كانت في أصلي قبل قوله: «أو قلعة أو بنية قائمة بل تنهدم».

(٢) هذا هو الظاهر الموجود في شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٦٥٠ ط بيروت.

وفي أصلي من البحار، طبع الكمياتي: «والجوع الأغبر عن الموت».

(٣) رواه السيد الرضي في المختار: (١٢٦/ أو ١٢٨) من نهج البلاغة.

بيان: الملحمة الواقعة العظيمة في الفتنة والقتال والجب الصوت. والقعدة حكاية صوت السلاح ونحوه والمحمة صوت الفرس دون الصهيل.

قوله يثيرون الأرض أي التراب لأن أقدامهم في الخشونة كحواضر الخيل كذا قيل.

وفيه أنه لا يلائم قوله ﷺ لا يكون له غبار ولعله كناية عن شدة وطئهم الأرض أو يقال مع ذلك ليس غبارهم كالغبار الذي يثار من الحواضر ولما كانت أقدام الزنج في الأغلب قصارا عراضا منتشرة الصدر مفرجات الأصابع أشبهت أقدام النعام في تلك الأوصاف والسكك جمع سكة بالكسر وهي الزقاق والطريق المستوي والطريقة المصطفة من النخل والمرخقة المزينة الموهبة بالزخرف وهو الذهب وأجنحة الدور التي شبهها بأجنحة النور رواشها وما يعمل من الأخشاب والبواري بارزة عن السقوف لوقاية الحيطان وغيرها عن الأمطار وشعاع الشمس وخراطمها يمازبها التي تطل بالقرار يكون نحوا من خمسة أذرع أو أزيد تدلى من السطوح حفظا للحيطان والفيلة كغينة جمع الفيل.

وأما قوله ﷺ لا يتذبذب قتلهم قيل إنه وصف لهم بشدة البأس والحرص على القتال وأنهم لا يبالون بالموت.

وقيل لأنهم كانوا عبيدا غرباء لم يكن لهم أهل وولد ممن عادتهم الندبة واقتاد الغائب.

وقيل لا يفقد غائبهم وصف لهم بالكرة وأنه إذا قتل منهم قتيل سد مسده غيره.

قوله أنا كآب الدنيا يقال كبيت فلانا على وجهه أي تركته ولم ألتفت إليه.

وقيل إنه كناية عن العلم ببواطنها وأسرارها كما يقال غلبت الأمر ظهرا لبطن.

وقوله ﷺ وقادرها بقدرها أي معامل لها بمقدارها وناظرها بعينها أي ناظر إليها بعين العبرة وانظر إليها نظرا يلقى بها فيكون كالتفسير لقوله ﷺ وقادرها بقدرها وحكي عن عيسى ﷺ أنه كان يقول أنا الذي كبيت الدنيا على وجهها ليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرب وسادتي الحجر وفراشي المدر وسراجي القمر.

أقول: سيأتي شرح باقي الخطبة مع سائر أخبار الآتية في بابه.

١٩٨- الكافية في إبطال توبة الخاطئة، عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن عبد الله بن عاصم عن محمد بن بشير الهمداني قال ورد كتاب أمير المؤمنين مع عمر بن سلمة الأرجي الأرجي إلى أهل الكوفة فكبر الناس تكبيرة سمعها عامة الناس واجتمعوا لها في المسجد ونودي الصلاة جمعا فلم يتخلف أحد وقرأ الكتاب فكان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلى قرظة بن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو^(١).

أما بعد فإننا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا والمفارقين لجماعتنا الباغين علينا في أمتنا فحججناهم فحاكمناهم إلى الله فأدالنا عليهم قتل طلحة والزبير وقد تقدمت إليهما بالمعذرة وأقبلت إليهما بالنصيحة واستشهدت عليهما صلحاء الأمة فما أطاعا المرشدين ولا أجابا الناصحين.

ولا ذ أهل البغي بعائشة فقتل حولها من أهل البصرة عالم جسيم وضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا فما كانت ناقة الحجر بأشأم عليهم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها ربها ونبيها واغترارها في تفريق المسلمين وسفك دماء المؤمنين بلا بينة ولا معذرة ولا حجة ظاهرة.

فلما هزمهم الله أمرت أن لا يتبع مدبر ولا يجاز ولا يجهز على جريح ولا يكشف عورة ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلا بإذن وآمنت الناس.

(١) وقد روى الشيخ المفيد أيضاً الكتاب بسند آخر في كتاب بسند آخر في كتاب الجمل ص ٢١٥.

وقد استشهد منا رجال صالحون ضاعف الله حسناتهم ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصادقين الصابرين. وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن جزاء العاملين بطاعته والشاركين لنعمة فقد سمعتم وأطعتم وأجبتهم إذا دعيتم فنعم الإخوان والأعوان على الحق أنتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كتب عبيد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست وثلاثين.

١٩٩- أقول روى كمال الدين بن ميثم البحراني مرسلًا أنه لما فرغ أمير المؤمنين من أمر الحرب لأهل الجمل أمر مناديا ينادي في أهل البصرة أن الصلاة الجامعة لثلاثة أيام من غد إن شاء الله ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلًا^(١).

فلما كان اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج ﷺ فصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي ﷺ واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال:

يا أهل البصرة يا أهل المؤتلفة وانتفكت بأهلها ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة وأعوان البهيمة رغا فأجبتهم وعقر فانهزمت أخطاكم دقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق بلادكم أنثن بلاد الله تربة وأبعدها من السماء بها تسعة أعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله.

كأنني أنظر إلى قريتك هذه وقد طبها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جوؤجؤ طير في لجة بحر!! فقام إليه الأحنف بن قيس فقال له يا أمير المؤمنين ومتى يكون ذلك قال يا أبا بحر إنك لن تدر ذلك الزمان وإن بينك وبينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دورا وآجامها قصورا فالهرب الهرب فإنه لا بصرة لكم يومئذ.

ثم التفت عن يمينه فقال كم بينكم وبين الأبله فقال له المنذر بن الجارود فذاك أبي وأمي أربعة فراسخ قال له صدقت فو الذي بعث محمدا ﷺ وأكرمه بالنبوة وخصه بالرسالة وعجل بروحه إلى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون متي أن قال لي يا علي هل علمت أن بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الأبله أربعة فراسخ وسيكون التي تسمى الأبله موضع أصحاب العشور ويقتل في ذلك الموضع من أمتي سبعون ألفا شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر.

فقال له المنذر يا أمير المؤمنين ومن يقتلهم فذاك أبي وأمي قال يقتلهم إخوان الجن وهم جيل كأنهم الشياطين سود ألوانهم منتنة أرواحهم شديدة كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أدلة عند المتكبرين من أهل زمان مجهولون في الأرض معروفون في السماء تبكي السماء عليهم وسكانها والأرض وسكانها.

ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال ويحك يا بصرة ويلك يا بصرة من جيش لا رجع له ولا حس.

فقال له المنذر يا أمير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الويل فقال هما بابان فالويل باب الرحمة والويل باب العذاب يا ابن الجارود نعم تارات عظيمة منها عصبية تقتل بعضها بعضا ومنها فتنة تكون بها إغراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال وقتل رجال وسباء نساء يذبحن ذبحا يا ويل أمرهن حديث عجيب.

منها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعور المسوخ العين اليمنى والأخرى كأنها مزوجة بالدم لكنأها في الحرمة علة ناتي الحدة كهينة حبة العنب الطافية على الماء فيتبعه من أهلها عدة من قتل بالأبله من الشهداء أناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب.

ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الأغبر ثم الموت الأحمر وهو الغرق.

يا منذر إن للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأول لا يعلمها إلا العلماء منها الخريبة ومنها تدمر ومنها المؤتلفة.

(١) روى ابن ميثم الحديث إلى قوله: «وآجامها قصورا» في أول شرح المختار: (١٢) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٨٩ ط ٢. ثم شرح مفردات الخطبة ثم ذكر قسماً آخراً منها في ص ٢٩٢ ج ١، ثم ذكر قسماً كبيراً في شرح المختار: (٩٩) من نهج البلاغة في ج ٣ ص ١٦، ط ٢، وقد جمعها المصنف العلامة وذكرها هنا بتامها.

يا منذر و الذي فلق الحبة و برأ النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصه عرصه متى تخرب و متى
تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة و إن عندي من ذلك علما جما و إن تسألوني تجدوني به عالما لا أخطئ منه علما و
لا دافعا^(١) و لقد استودعت علم القرون الأولى و ما هو كائن إلى يوم القيامة!!!

ثم قال يا أهل البصرة إن الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطة شرف و لا كرم إلا و قد جعل فيكم أفضل
ذلك و زادكم من فضله بمنه ما ليس لهم أنتم أقوم الناس قبلة قبلكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكة و قارئكم
أقرأ الناس و زاهدكم أزهدهم الناس و عابدهم أعبد الناس و تاجرهم أنجر الناس و أصدقهم في تجارته^(٢) و متصدقكم
أكرم الناس صدقة و غنيكم أشد الناس بذلا و تواضعا و شريفكم أحسن الناس خلقا و أنتم أكرم الناس جوارا و أقلهم
تكلفا لما لا يعنيه و أحرصهم على الصلاة في جماعة ثمرتكم أكثر الثمار و أموالكم أكثر الأموال و صغاركم أكيس
الأولاد و نسأوكم أفتح النساء و أحسنهن تبعا.

سخر لكم الماء يغدو عليكم و يروح صلاحا لمعاشكم و البحر سببا لكثرة أموالكم فلو صبرتم و استقمتم لكانت شجرة
طوبى لكم مقبلا و ظلا ظليلا و غير أن حكم الله فيكم ماض و قضاء نافذ لا معقب لحكمه و هو سريع الحساب يقول الله
﴿وَأَمِنْ قَوْمٍ آلَاءُ نَحْنُ مُهْلِكُوهُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

و أقسم لكم يا أهل البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ إلا تذكير و موعظة لما بعد لكسي لا تسرعوا إلى
الوثوب في مثل الذي وثبتم و قد قال الله لنبيه صلوات الله عليه و آله ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و لا
الذي ذكرت فيكم من المدح و التطرية بعد التذكير و الموعظة رهبة مني لكم و لا رغبة في شيء مما قبلكم فإني لا
أريد المقام بين أظهرهم إن شاء الله لأمر تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني و بين الله لا عذر لي في تركها و
لا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما أريد أن أخوضها مقبلا و مدبرا فمن أراد أن يأخذ بنصيبه منها فليقبل فلعمري
إنه للجهد الصافي صفاه لنا كتاب الله و لا الذي أردت به من ذكر بلادكم مودة مني عليكم لما شاققتوني غير أن
رسول الله ﷺ قال لي يوما و ليس معه غيره إن جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتى أراني
الأرض و من عليها و أعطاني أقاليدها و علمني ما فيها و ما قد كان على ظهرها و ما يكون إلى يوم القيامة و لم
يكبر ذلك علي كما لم يكبر على أبي آدم علمه الأسماء كلها و لم يعلمها الملائكة المقربون و إني رأيت بقعة على
شاطئ البحر تسمى البصرة فإذا هي أبعد الأرض من السماء و أقربها من الماء و إنها لأسرع الأرض خرابا و أخشنها
ترابا و أشدها عذابا و لقد خسف بها في القرون الخالية مرارا و ليأتين عليها زمان و إن لكم يا أهل البصرة و ما
حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه و إني لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ثم أمور قبل ذلك
تدهمكم أخفيت عنكم و علمناه فمن خرج منها عند دغ غرقها فبرحة من الله سبقت له و من بقي فيها غير رابط بها
فبذنبه و ما الله بظلام للعبيد.

فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة و من أهل الفرقة و من أهل البدعة و من أهل السنة؟
فقال إذا سألتني فافهم عني و لا عليك أن لا تسأل أحدا بعدي.

أما أهل الجماعة فآنا و من اتبعني و إن قلوا و ذلك الحق عن أمر الله و أمر رسوله ﷺ.

و أما أهل الفرقة فالمخالفون لي و لمن اتبعني و إن كثروا.

و أما أهل السنة فالمستسكون بما سنه الله لهم و رسوله و إن قلوا^(٣) و أما أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله
و لكتابه و رسوله العاملين برأيهم و أهوائهم و إن كثروا^(٤) و قد مضى الفوج الأول و بقيت أفواج و على الله قصصها
و استيصالها عن جدد الأرض و بالله التوفيق^(٥).

(١) كذا.

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لما في شرح المختار: (١٣) من نهج البلاغة من شرح البحراني، وفي ط الكمباني من البحار: «وأصدقكم...».

(٣) ما بين المعقوفين مأخوذ من كتاب الاحتجاج، وقد سقط عن شرح البحراني - على المختار: (٩٩) من نهج البلاغة - ص ١٦، ط ٣، وسقط
أيضاً عن طبعه الكمباني من كتاب البحار.

(٤) هذا هو الصواب الموافق لكتاب الاحتجاج والمختار: (١٢٢) من نهج السعادة: ج ١، ص ٣٧٣ ط ٢، وفي البحار وشرح البحراني: «لا
العاملون برأيهم...».

(٥) الظاهر أن جملة: «وبالله التوفيق» من كلام ابن ميثم، وليست من كلام أمير المؤمنين وجزءاً للخطبة كما يؤيد ذلك عدم وجودها في كتاب

أقول ذكر ابن ميثم رحمه الله هذه الخطبة متفرقة فجمعنا ما وجدنا منها في كتابه^(١) ونوضح بعض فقراتها قوله ﷺ لثلاثة أيام أي الصلاة التي يلزمكم حضورها بأمر المؤمنين بعد ثلاثة أيام من غد واللام للاختصاص. قال الشيخ رضي رضي الله عنه الاختصاص على ثلاثة أضرب إما أن يختص الفعل بالزمان لوقوعه فيه نحو كتبت لغرة كذا.

أو يختص به لوقوعه بعده نحو لليلة خلت.

أو يختص به لوقوعه قبله نحو لليلة بقيت وذلك بحسب القرينة انتهت.

والكلام إخبار في معنى الأمر أي احضروا جميعاً للصلاة يوم كذا والصلاة الموعودة هي غداة الرابع.

والمؤتفة المنقلبة إما حقيقة أو كناية عن الفرق كما مر وقد طبقها الماء أي غطاها وعمها.

والأحفن بالمهملة هو الذي كان معتزلاً عن الفريقين يوم الجمل ويكنى أبا بحر بالباء الموحدة والحاء المهملة

واسمه الضحاك بن قيس من تميم.

والأخصاص جمع خص بالضم بيت يعمل من الخشب والقصب.

والأهيلة بضم الهيمزة والباء وتشديد اللام الموضع الذي به اليوم مدينة البصرة وكان من قراها وبساتينها يومئذ

وكانوا يعدونه إحدى الجنات الأربع وفي الأهيلة اليوم موضع العشارين حسب ما أخبر به أمير المؤمنين ﷺ.

والجيل بالكسر الصنف من الناس وقيل كل قوم يختصون بلغة فهم جيل.

والأرواح جمع ربح أي الرائحة والكلب بالتحريك الشر والأذى وشبه جنون يعرض للإنسان من عض الكلب.

والسلب بالتحريك ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح و ثياب ودابة و

غيرها ينفر لجهادهم أي يخرج إلى قتالهم وهملت عينه كنعرت وضربت أي فاضت بالدمع.

والرهج بالتحريك الغبار والحس بالكسر وكذلك الحسيس الصوت الخفي وكأنه إشارة إلى خروج صاحب الزنج

وكان جيشه مشاة حفاة لم يكن لهم قفعة لجم ولا حممة خيل والتارات جمع تارة أي مرات والمعنى ترد عليهم

فتن عظيمة مرة بعد أخرى.

والعصبة إما بالضم بمعنى الجماعة أو ما بين العشرة إلى العشرين.

وإما بالتحريك بمعنى الأقرباء وعصبة الرجل بنوه وقربته لأبيه.

وانتهاك الأموال أخذها بما لا يحل وساء النساء بالكسر والمد أسرهن أن يستحل بها الدجال أي يتخذها مسكناً

وينزلها من حل بالمكان إذا نزل وصف الدجال بالأكبر يدل على تعدد من يدعي بالأباطيل كما روي في بعض

الأخبار والأعور الذي ذهب إحدى عينيه والعلة بالتحريك القطعة من الدم الغليظ والناتي المرتفع و طفا على

الماء يطفو إذا علا ولم يرسب والرجف بالفتح الزلزلة والاضطراب والقفذ الرمي بالحجارة ونحوها والخسف

الذهاب في الأرض وخسف المكان أن يغيب في الأرض. وهذا الخسف يحتمل أن يكون خسف جيش أو طائفة

بالبصرة أو خسف مدينتهم وبعض مساكنهم وأماكنهم.

ووصف الجوع بالأغبر إما لأن الجوع غالباً تكون في السنين المجدية وسنو الجذب تسمى غبرا لاغبرار آفاقها

من قلة الأمطار وأرضها لعدم النبات.

وإما لأن وجه الجائع يشبه الوجه المغبر.

والمراد بالجوع الأغبر الجوع الكامل الذي يظهر لكل أحد.

والموت الأحمر فسرهُ ﷺ بالفرق ويعبر عنه غالباً عن القتل بالسيف وإراقة الدماء والأبيض عن الطاعون

وسأتي التفسيران في الحديث عن الصادق ﷺ.

والزبر بضمّتين جمع الزبور بالفتح وهو الكتاب فعول بمعنى مفعول من الزبر بمعنى الكتابة و تدمر من الدمار بمعنى الهلاك والجم بالفتح الكثير والعلم بالتحريك الجبل والراية و دافنا الأمر داخله و ذكره في القاموس أي لا أخطئ منه ظاهرا و لا خفيا والخطة بالضم الأمر والقضية والكيس بالفتح خلاف الحق والتبعل مصاحبة الزوجية. ٢٦١
٣٣

وغدو الماء ورواحه إليه كناية عن الجزر والمد في الوقتين فإن نهر البصرة والأنهار المقارنة له يمد في كل يوم وليلة مرتين و يدور في اليوم و الليلة و لا يخض وقتا كطلوع الشمس و غروبها و ارتفاعها و انخفاضها و يسمى ذلك بالمد اليومي. و يكون المد عند زيادة نور القمر أشد و يسمى ذلك بالمد الشهري.

وأشار هذه الفقرة إلى فائدة المد و الجزر إذ لو كان الماء دائما على حد النقصان و لم يصل إلى حد المد لما سقي زرعهم و نخلهم و لو كان دائما على حد الزيادة لغرقت أراضيهم بأنهارهم و في نقص الأنهار بعد زيادتها فائدة غسل الأقدار و إزالة الخبائث عن شاطئها و فيها فوائد أخرى كحركة السفن و نحوها.

والمقيل موضع القائلة و الظل و الظليل القوي الكامل و من عادة العرب وصف الشيء بمثل لفظه للمبالغة. وقيل أي الظل الدائم الذي لا تنسخه الشمس كما في الدنيا.

وقيل أي الظل الذي لا حر فيه و لا يرد.

ولعل المعنى لو صبرتم و استعتمتم على منهاج الحق لكان ظل شجرة طوبى لكم مقبلا و ظلا ظليلا. والتعقيب رد الشيء بعد فصله و منه قولهم عقب العقاب على صيده إذا رد الكروور عليه بعد فصله منه و قيل المعقب الذي يعقب الشيء بالإبطال و غيره و منه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفو غريمه بالاقضاء.

و فسر الكتاب في الآية باللوح المحفوظ و المسطور المكتوب.

وفي إيراد الآية نوع استرضاء لهم و تسكين لقلوبهم فإن البلية إذا عمت طابت.

والتطرية المبالغة في المدح و الشائع فيه الإطراء و المقام مصدر بمعنى القيام.

و الخوض الدخول في الماء و خضت العمرة اقتحمتها و الخوض في تلك الأمور مقبلا و مدبرا مبالغة في نفى الاستنكاف عنها و توطين النفس على القيام بها.

وصفاه لنا كتاب الله أي جعله خالصا من الشكوك والشوائب والآثام. والموجدة بكسر الجيم الغضبة والمشاقة والشقاق الخلاف والعداوة. والأقاليذ جمع إقليد بالكسر و هو المفتاح. ٢٦٢
٣٣

قوله ﷺ و لم يكبر ذلك علي أي قويت عليه أو لم أستعظمها من فعل ربي و الأول أظهر.

و التنوين في زمان للتفخيم أي يأتي عليها زمان شديد قظيع و الظاهر أن القرية المشار إليها هي الأبله السابقة ذكرها و تدهمكم أي تفجأكم و تغشاكم و المرابطة الإحصاء لحفظ الثغر و القصم كسر الشيء و إبانته و الاستئصال قلع الشيء و إزالته من أصله و جد الأرض بالتحريك الأرض الصلبة المستوية و لا يبعد أن يكون المراد هنا وجهها و المراد بالفوج الأول إما أصحاب الجمل أو الأعمم منهم و من الخلفاء و أتباعهم.

٢٠٠- ما: [الإمامي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن محمد بن الحسين بن حفص عن عباد بن يعقوب عن علي بن هاشم بن البريد عن أبيه عن عبد الله بن مخارق^(١):

عن هاشم بن مساحق عن أبيه أنه شهد يوم الجمل و أن الناس لما انهزموا اجتمع هو و نفر من قريش فيهم مروان فقال بعضهم لبعض و الله لقد ظلمنا هذا الرجل و نكتنا بيعته على غير حدث كان منه ثم لقد ظهر علينا فما رأينا رجلا قط كان أكرم سيرة و لا أحسن عفوا بعد رسول الله ﷺ منه فتعالوا فلندخل عليه و لنعتذر مما صنعنا قال فدخلنا عليه فلما ذهب متكلما يتكلم قال أنصتوا أكفكم إنما أنا رجل منكم فإن قلت حقا فصدقوني و إن قلت غير ذلك فردوه علي. ثم قال:

(١) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (١٦) من الجزء (١٨) من أماليه ص ٣٢٣ ط ١، وفي ط بيروت ص ٥١٨. وسند الحديث ضعيف فلا يعتبر منه إلا خصوص ما دلت القرائن الخارجية على صدقه وكونه على طبق الواقع. والحديث رواه الشيخ المفيد بلفظ أجود مما هنا في كتاب الجمل ص ٢٢٢ ط النجف الأشرف.

أَشَدُّكُمْ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبِضَ وَأَنَا أَوَّلُ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ وَبِالنَّاسِ قَالُوا اللَّهُ نَعَمْ قَالَ فَبَايَعْتُمْ أَبَا بَكْرٍ وَعَدَلْتُمْ عَنِّي فَبَايَعْتَ أَبَا بَكْرٍ كَمَا بَايَعْتُمُوهُ وَكَرِهْتَ أَنْ أَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَفْرُقَ بَيْنَ جَمَاعَتِهِمْ. ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَعَلَهَا لِعَمْرٍ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوَّلُ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِالنَّاسِ مِنْ بَعْدِهِ فَبَايَعْتَ عَمْرًا كَمَا بَايَعْتُمُوهُ فَوَفَيْتَ لَهُ بَيْعَتَهُ وَأَرَدْتَهُ عَلَى الْمَاءِ^(١) حَتَّى لَمَّا قَتَلَ جَعَلَنِي سَادِسَ سِتَّةٍ دَخَلْتُ فِيمَا أَدْخَلَنِي وَكَرِهْتَ أَنْ أَفْرُقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَأَشُقَّ عَصَاهُمْ فَبَايَعْتُمْ عُمَانَ فَبَايَعْتَهُ ثُمَّ طَعَنْتُمْ عَلَى عُثْمَانَ فَقَتَلْتُمُوهُ وَأَنَا جَالِسٌ فِي بَيْتِي ثُمَّ أَتَيْتُمُونِي غَيْرَ دَاعٍ لَكُمْ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ فَبَايَعْتُمُونِي كَمَا بَايَعْتُمْ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرًا وَعُمَانَ فَمَا جَعَلَكُمْ أَحَقَّ أَنْ تَفُؤُوا لِأَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ وَعُمَانَ بِبَيْعَتِهِمْ مِنْكُمْ بِبَيْعَتِي.

قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنْ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ لَا تَتَرَيَّبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَقَالَ عَلِيٌّ كَذَلِكَ أَقُولُ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ مَعَ أَنْ فِيكُمْ رَجُلًا لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَنَكُثَ بَاسْتِهِ يَعْنِي مِرْوَانَ.

باب ٥ أحوال عائشة بعد الجمل

٢٦٥
٣٣ ٢٠١- مع: [معاني الأخبار] أحمد بن الحسين بن علي عن أبي عبد الله البخاري عن سهل بن المتروك عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة قال قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم الجمل لعائشة كيف رأيت صنع الله بك يا حميراء فقالت له ملكتك فأسجج تعني تكرم^(٢).

تأييد قال في النهاية الأسجج السهل ومنه حديث عائشة قالت لعلي^(٣) يوم الجمل حين ظهر ملكتك فأسجج أي قدرت فسهل وأحسن العفو وهو مثل سائر.

٢٦٦
٣٣ ٢٠٢- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقيفي عن محمد بن عثمان عن أبي عبد الله الأسلمي عن موسى بن عبد الله الأسدي قال^(٤):

لَمَّا نَهَزْهُمْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَمَرَ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ أَنْ تَنْزِلَ عَائِشَةُ قَصْرَ ابْنِ أَبِي خَلْفٍ فَلَمَّا نَزَلَتْ جَاءَهَا عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ يَا أُمَّةُ كَيْفَ رَأَيْتَ ضَرْبَ بَنِيكَ دُونَ دِينِهِمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَتْ اسْتَبَصَّرْتُ يَا عَمَارُ مِنْ أَنَّكَ غَلَبْتَ فَقَالَ أَنَا أَشَدُّ اسْتَبْصَارًا مِنْ ذَلِكَ أَمْ وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبْتُمُونَا حَتَّى تَبْلُغُونَا سَعْفَاتِ هَجْرٍ لَعَلَّمْنَا أَنَا عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ عَلَى الْبَاطِلِ.

فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ هَكَذَا يَخِيلُ إِلَيْكَ اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمَارُ فَإِنَّ سَنَكَ قَدْ كَبُرَتْ وَدَقَّ عَظْمُكَ وَفَنِيَ أَجْلُكَ وَأَذْهَبَ دِينُكَ لِابْنِ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ عَمَارُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنِّي وَاللَّهِ اخْتَرْتُ لِنَفْسِي فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ فَرَأَيْتُ عَلِيًّا أَقْرَبَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا وَعَلِمُهُمْ بِتَأْوِيلِهِ وَأَشَدَّهُمْ تَعْظِيمًا لِحُرْمَتِهِ وَأَعْرَفَهُمْ بِالسَّنَةِ مَعَ قَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَظَمَ عُنَانَهُ وَبَلَانَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَسَكَنْتُ.

٢٠٣- ج: [الاحتجاج] رَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ عَمَارَ بْنَ يَاسِرٍ لَمَّا دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ قَالَ كَيْفَ رَأَيْتَ^(٥). وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهَا يَا عَمَارُ اتَّقِ اللَّهَ أَذْهَبَ دِينُكَ لِابْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ.

بَيَانٌ: قَالَ فِي مَادَّةِ سَعْفٍ مِنَ النِّهَايَةِ فِي حَدِيثِ عَمَارٍ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بَنَاءَ سَعْفَاتِ هَجْرٍ السَّعْفَاتُ جَمْعُ سَعْفَةٍ بِالتَّحْرِيكِ وَهِيَ أَغْصَانُ النَّخِيلِ وَقِيلَ إِذَا بَيَّسَتْ سَعْفَةٌ وَإِذَا كَانَتْ رَطْبَةً فَهِيَ شَطْبَةٌ وَإِنَّمَا خَصَّ هَجْرَ لِلْمَبَاعَدَةِ فِي الْمَسَافَةِ وَلَآئِهَا مَوْصُوفَةٌ بِكَثْرَةِ النَّخْلِ.

(١) جملة: «وَأَرَدْتَهُ عَلَى الْمَاءِ» غير موجودة في النسخة البيروتية من الأمالي.

(٢) رواه الشيخ الصدوق في «باب معنى الإِسْجَاجِ» من كتاب معاني الأخبار، ص ٣٠٤، ط بيروت.

(٣) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٤٥) من الجزء (٥) من أماليه ج ١، ص ١٤٢، ط بيروت.

(٤) رواه الطبرسي في آخر عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على الزبير وطلحة...» من كتاب الاحتجاج، ج ١، ص ١٦٤.

و قال الفيروز آبادي في القاموس هجر محرقة بلدة باليمن واسم لجميع أرض البحرين.

٢٠٤- ج: [الاحتجاج] روى أن ابن عباس قال لأمر المؤمنين ﷺ حين أبت عائشة من الرجوع دعها في البصرة ولا ترحلها فقال علي ﷺ إنها لا تألوا شرا ولكن أردنا إلى بيتها^(١).

بيان: لا تألوا شرا أي لا تقصر فيه.

٢٠٥- ج: [الاحتجاج] روى محمد بن إسحاق أن عائشة لما وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم تزل تحرض الناس على أمير المؤمنين وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البخري تحرضهم عليه ﷺ^(٢).

بيان قال الجوهري التحريض على القتال الحث والإحماء عليه انتهى وفي بعض النسخ ضبط لفظة تحرض بالمهملة في الموضعين.

٢٠٦- ج: [الاحتجاج] روى أن عمرو بن العاص قال لعائشة لوددت أنك قتلت يوم الجمل فقالت و لم لا أبأ لك قال كنت تومتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشيع على علي^(٣).

٢٠٧- ج: [الاحتجاج] في رواية سعد بن عبد الله الأشعري عن القائم ﷺ قال قلت له يا مولانا وابن مولانا روي لنا أن رسول الله ﷺ جعل طلاق نسائه إلى أمير المؤمنين علي حتى إنه بعث يوم الجمل رسولا إلى عائشة و قال إنك أدخلتي الهلاك على الإسلام وأهله بالفش الذي حصل منك وأوردتي أولادك في موضع الهلاك للجهالة فإن امتنعت وإلا فطلقت فأخبرنا يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فوض حكمه رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال ﷺ إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي فخصهن بشرف الأمهات فقال رسول الله يا أبأ الحسن إن هذا شرف باق ما دمن لله على طاعة^(٤) فأبتهن عصت الله بعدي في الأزواج بالخروج عليك فطلقها وأسقطها من شرف أمهات المؤمنين^(٥)^(٦).

٢٠٨- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] ابن الصلت عن ابن عقدة عن يعقوب بن يوسف عن عبيد الله بن موسى عن جعفر الأحمر عن الشيباني^(٧).

عن جميع بن عمير قال قالت عمتي لعائشة وأنا أسمع أنت مسيرك إلى علي ﷺ ما كان قالت دعينا منك إنه ما كان من الرجال أحب إلى رسول الله من علي ولا من النساء أحب إليه من فاطمة ﷺ.

٢٠٩- ج: [المجالس للمفيد] الجعابي عن ابن عقدة عن عبد الله بن أحمد بن مستورد عن محمد بن منير عن إسحاق بن وزير عن محمد بن الفضيل بن عطاء مولى مزينة عن جعفر بن محمد عن أبيه ﷺ^(٨).

عن محمد بن علي بن الحنفية قال كان اللواء معي يوم الجمل وكان أكثر القتلى في بني ضبة فلما انهزم الناس أقبل أمير المؤمنين ﷺ ومعه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهما فانتبه إلى اليهودج وكأنه شوك القنفذ مما فيه من النبل فضربه بعضا ثم قال هيه يا حميراء أردت أن تقتليني كما قتلت ابن عفان أبهذا أمرك الله أو

(١) رواه الطبرسي في آخر عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على الزبير وطلحة...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٤.

(٢) رواه الطبرسي في آخر عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على الزبير وطلحة...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٤.

(٣) رواه الطبرسي في آخر عنوان: «احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على الزبير وطلحة...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٦٤.

(٤) كذا في أصلي من البحار، طبعة الكمباني، وفي الاحتجاج: «فأبتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها من الأزواج وأسقطها من شرف أمية المؤمنين!!!»

(٥) كذا في أصلي من البحار، طبعة الكمباني، وفي الاحتجاج: «فأبتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها من الأزواج وأسقطها من شرف أمية المؤمنين!!!»

(٦) رواه الطبرسي رفع الله مقامه في أوائل احتجاجات إمام العصر عجل الله فرجه من كتاب الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٦٢ ط بيروت.

(٧) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث (٣) من الجزء (١٢) من أماليه ص ٣٤١.

وقريبا منه رواه أيضاً في الحديث: (٣٠) من الجزء (٩) من الأمالي ص ٢٥٤.

وقد رواه علي وجه آخر في الحديث: (٨٠) من الجزء (١٣) ص ٣٩١.

وللحديث أسانيد كثيرة ومصادر جمّة يجد الباحثون أكثرها في الحديث (١١١) وما بعده وتعليقاتها من كتاب خصائص أمير المؤمنين ﷺ للنسائي.

ورواه أيضاً الحافظ الحكساني بأسانيد في تفسير آية التطهير تحت الرقم: (٦٨٢) وما بعده من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٧.

(٨) رواه الشيخ في أواخر المجلس: (٣) من أماليه ص ٢٢ ط النجف.

عهد إليك به رسول الله ﷺ قالت ملككت فأصبح فقال لمحمد بن أبي بكر انظر هل نالها شيء من السلاح فوجدها قد سلمت لم يصل إليها إلا سهم خرق في ثوبها خرقا و خدشها خدشا ليس بشيء فقال ابن أبي بكر يا أمير المؤمنين قد سلمت من السلاح إلا سهما خلص إلى ثوبها فخدش منه شيئا فقال علي ﷺ احتملها فأنزلها دار ابن أبي خلف الخزاعي. ثم أمر مناديه ينادي لا يدقف على جريح ولا يتبع مدبر ومن أغلق بابَه فهو آمن.

بيان: قال الفيروزآبادي في القاموس أدفنته أجهزت عليه كدفتته ومنه داف ابن مسعود أبا جهل يوم بدر.

٢١٠- كَش: [رجال الكشي] جعفر بن معروف عن الحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عن معاذ بن مضر عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال حدثني بعض أشياخي قال (١): لما هزم علي بن أبي طالب ﷺ أصحاب الجمل بعث أمير المؤمنين ﷺ عبد الله بن عباس رحمة الله عليهما إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل و قلة العرجة.

قال ابن عباس فأتيتها وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة قال فطلبت الإذن عليها فلم تأذن فدخلت عليها من غير إذنها فإذا بيت قفار لم يعد لي فيه مجلس فإذا هي من وراء ستيرين قال فضربت ببصري فإذا في جانب البيت رحل عليه طنفسة قال فمددت الطنفسة فجلست عليها فقالت من وراء الستري يا ابن عباس أخطأت السنة دخلت بيتنا بغير إذنتنا و جلست على متاعنا بغير إذنتنا فقال لها ابن عباس رحمة الله عليه نحن أولى بالسنة منك و نحن علمناك السنة و إنما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله ﷺ فخرجت منه ظالمة لنفسك غاشة لدينك عاتية على ربك عاصية لرسول الله ﷺ فإذا رجعت إلى بيتك لم تدخله إلا بإذتك و لم تجلس على متاعك إلا بأمرك إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة و قلة العرجة فقالت رحم الله أمير المؤمنين ذلك عمر بن الخطاب فقال ابن عباس هذا والله أمير المؤمنين و إن تريدت فيه وجه و رغمت فيه معاطس أما والله لهو أمير المؤمنين و أمس برسول الله رحما و أقرب قرابة و أقدم سبقا و أكثر علما و أعلى منارا و أكثر آثارا من أبيك و من عمر فقالت أبيت ذلك فقال أما والله إن كان إياؤك فيه لقصير المدة عظيم التبعة ظاهر الشوم بين النكد و ما كان إياؤك فيه إلا حلب شاة حتى صرت ما تأمرين و لا تنهين و لا ترفعين و لا تضعين و ما كان مثلك إلا كمثل الحضرمي بن نجمان أخي بني أسد حيث يقول:

ما زال إهداء القصائد بيننا
حتى تسكرتهم كأن قلوبهم

قال فأراقت دمعها و أبدت عويلها و تبدأ نشيجها ثم قالت أخرج و الله عنكم فما في الأرض بلد أبغض إلي من بلد تكونون فيه!!

فقال ابن عباس رحمه الله فلم والله ما ذا بلاءنا عندك و لا بصنيعنا إليك إنا جعلناك للمؤمنين أما و أنت بنت أم رومان و جعلنا أبأك صديقا و هو ابن أبي قحافة حامل قصاع الدوك لابن جذعان إلى أضيافه فقالت يا ابن عباس تمنون علي برسول الله فقال و لم لا يمن عليك بمن لو كان منك قلامة منه منتنتا به و نحن لحمه و دمه و منه و إليه و ما أنت إلا حشيتة من تسع حشايا خلفهن بعده لست بأبيضهن لونا و لا بأحسنهن وجها و لا بأرشنهن عرقا و لا بأنضرهن ورقا و لا بأطراهن أصلا فصرت تأمرين فتطاعين و تدعين فتجابين و ما مثلك إلا كما قال أخو بني فهر:

مننت على قومي فأبدوا عداوة
ففيه رضا من مثلكم لصديقه

قال ابن عباس ثم نهضت و أتيت أمير المؤمنين فأخبرته بمقاتلتها و ما رددت عليها فقال أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك.

بيان: رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج و رواه الشيخ المفيد رحمه الله في الكافية بسندين أحدهما من طريق العامة و الآخر من طريق الخاصة باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وقال الجوهرى التعريج على الشيء الإقامة عليه يقال عرج فلان على المنزل إذا حبس مطيته عليه وأقام وكذلك التعرج ويقال ما لي عليه عرجة ولا تعريج ولا تعرج وأيضاً قال الجوهرى القفر مفازة لا نبات فيها ولا ماء والجمع قفار يقال أرض قفر ومفازة قفر وقفرة أيضاً والقفار بالفتح الخبز بلا دم يقال أخذ خبزة قفارا.

وقال الفيروز آبادي الطنفسة مثلثة الطاء والفاء وبكسر الطاء وفتح الفاء وبالعكس واحدة الطنافس يقال للسلط والنياب والحصير من سعف عرضه ذراع.

وقال الجوهرى تريد وجه فلان أي تغير من الغضب وقال المعطس مثال المجلس الأنف وربما جاء بفتح الطاء وقال نكد عيشهم بالكسر ينكد نكدا إذا اشتد ورجل نكد أي عسر والعويل رفع الصوت بالبكاء ونسج الباكى ينسج نشيجا إذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب ونسج بصوته نشيجا رده في صدره.

قوله ما ذا بلأنا عندك كلمة ما نافية أي ليس هذا جزء نعمتنا عندك قوله منتنتا أي منتت علينا على الحذف والإيصال وفي بعض النسخ منتيتنا من النية بمعنى الموت أي قتلنا والحشية كمنية الفراش المحشو والجمع حشايأ كنى عن النساء والتعبير عنهن بالفراش شائع.

قوله ولا بأرشنهن بالشين المعجمة والحاء المهملة من الرشح وهو نضح الماء وفي بعض النسخ بالسين المهملة والحاء المعجمة من الرسوخ بمعنى الثبات.

قوله ولا بأطراهن من الطراوة. وقوله وأحج بكم أي هو ألزم لحجتكم وفي بعض النسخ أحجى وهو أصوب أي أولى وأقرب إلى العقل والحجى.

٢١١- كشف: [كشف الغمة] من ربيع الأبرار للزمخشري قال قال جميع بن عمير دخلت على عائشة فقلت من كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ فقالت فاطمة ﷺ قلت إنما أسألك عن الرجال قالت زوجها وما يمنعه فوالله إن كان لصواما قواما ولقد سألت نفس رسول الله ﷺ في يده فردها إلى فيه فقلت فما حملك على ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضي علي^(١).

و روي أنه قيل لها موتها أندفنك عند رسول الله ﷺ فقالت لا إني أحدثت بعده.

٢١٢- فر: [تفسير فرات بن إبراهيم] عبيد بن كثير معنعنا عن أصعب بن نباتة قال لما هزمتنا أهل البصرة جاء علي بن أبي طالب حتى استند إلى حائط من حيطان البصرة فاجتمعنا حوله وأمير المؤمنين ركب والناس نزول فيدعو الرجل باسمه فيأتيه ثم يدعو الرجل باسمه فيأتيه ثم يدعو الرجل باسمه فيأتيه حتى وافاه منا ستون شيخا كلهم قد صغروا اللحي وعقصوها وأكثرهم يومئذ من همدان فأخذ أمير المؤمنين ﷺ طريقا من طرق البصرة ونحن معه وعلينا الدرع والمغافر متقلدي السيوف متتبعي الأثرسة حتى انتهى إلى دار قوراء فدخلنا فإذا فيها نسوة يبكين فلما رأيته صحن صيحة واحدة وقلن هذا قاتل الأخبة^(٢).

فأمسك عنهن أمير المؤمنين ثم قال أين منزل عائشة فأومأ إلى حجرة في الدار فحملنا عليها عن دابته فأنزلناه فدخل عليها فلم أسمع من قول علي شيئا إلا أن عائشة كانت امرأة عالية الصوت فسمعن قولها كهنية المعاذير إني لم أفعل ثم خرج علينا أمير المؤمنين فحملناه على دابته فعارضته امرأة من قبل الدار فقال أين صفية قالت لبيك يا أمير المؤمنين قال ألا تكفين عني هؤلاء الكلبات التي يزعمن أنني قاتل الأخبة لو قتلت الأخبة لقتلت من في تلك الدار وأومى بيده إلى ثلاث حجر في الدار قال فضرينا بأيدينا على قوائم السيوف وضربنا بأبصارنا إلى الحجر التي أومى إليها فوالله ما بقيت في الدار باكية إلا سكنت ولا قائمة إلا جلست.

(١) رواه الأريلي في آخر عنوان: «وقعة الجمل» من كتاب كشف الغمة: ج ١، ص ٢٤٤.

وانظر الحديث: (٦٥٧) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٢، ص ١٦٧.

(٢) رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في الحديث: (٨٤) من تفسيره ص ٢٩ ط النجف، ولكن من فقراته شواهد ذكرنا بعضها في ذيل المختار:

(١١٤) من نهج السعادة: ج ١، ص ٣٤٨ ط ١.



قلت يا أبا القاسم فمن كان في تلك الثلاث حجر قال أما واحدة فكان فيها مروان بن الحكم جريحا و معه شباب قريش جرحى.

وأما الثانية فكان فيها عبد الله بن الزبير و معه آل الزبير جرحى.

وأما الثالثة فكان فيها رئيس أهل البصرة يدور مع عائشة أين ما دارت.

قلت يا أبا القاسم هؤلاء أصحاب القرحة فهلا ملتم عليهم بهذه السيوف قال يا ابن أخي أمير المؤمنين كان أعلم منك وسعهم أمانه إنا لما هزمنا القوم نادى مناديه لا يدفع على جريح و لا يتبع مدبر و من ألقى سلاحه فهو آمن سنة يستن بها بعد يومكم هذا.

ثم مضى و مضينا معه حتى انتهينا إلى المعسكر فقام إليه ناس من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو أيوب الأنصاري و قيس بن سعد و عمار بن ياسر و زيد بن حارثة و أبو ليلى فقال ألا أخبركم بسبعة هم من أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى قال أبو أيوب بلى و الله فأخبرنا يا أمير المؤمنين فأنك كنت تشهد و نغيب قال فإن أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى سبعة من بني عبد المطلب لا ينكر فضلهم إلا كافر و لا يجحد إلا جاحد.

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه ما اسمهم يا أمير المؤمنين فلنعرّفهم قال إن أفضل الناس يوم يجمع الله الخلق و الرسل محمد و إن من أفضل الرسل محمدا عليهم الصلاة و السلام ثم إن أفضل كل أمة بعد نبيها وصي نبيها حتى يدركه نبي و إن أفضل الأوصياء وصي محمد عليهما الصلاة و السلام.

ثم إن أفضل الناس بعد الأوصياء الشهداء و إن أفضل الشهداء حمزة و جعفر بن أبي طالب ذا جناحين يطير بهما مع الملائكة لم يحل بحليته أحد من الآدميين في الجنة شيء شرفه الله به و السبطان الحسنان سيدا شباب أهل الجنة و المهدي يجعله الله من أحب منا أهل البيت.

ثم قال أبشروا بِلَاثَا مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا

بيان: عقص الشعر ضفره و ليه على الرأس ذكره الجوهري و قال تنكب القوس أي ألقاها على منكبيه و قال دار قوراء واسعة.

٢١٣- الكافية في إبطال توبة الخاطئة، عن إبراهيم بن عروة عن ثابت عن أبيه عن حبة العرني أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعث إلى عائشة محمدا أخاها رحمة الله عليه و عمار بن ياسر رضوان الله عليه و أن ارتحلي و ألحقي بيتك الذي تركك فيه رسول الله فقالت و الله لا أرى^(١) عن هذا البلد أبدا فرجعا إلى أمير المؤمنين ﷺ و أخبراه بقولها فغضب ثم ردها إليها و بعث معها الأشتر فقال و الله لتخرجن أو لتحملن احتمالا^(٢).

ثم قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه يا معشر عبد القيس اندبوا إلى الحرية الخيرة من نسائكم فإن هذه المرأة من نسائكم فإنها قد آتت أن تخرج لتحملوها احتمالا فلما علمت بذلك قالت لهم قولوا فليجهزني فأتوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فذكروا له ذلك فجهازها و بعث معها بالنساء.

٢١٤- و عن الحسن بن ربيع قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن محصن بن زياد الضبي قال سمعت الأحنف بن قيس يقول بعث علي إلى عائشة أن أرجعي إلى الحجاز فقالت لا أفعل فقال لها لئن لم تفعلي لأرسلن إليك نسوة من بكر بن وائل بسفار حداد يأخذنك بها قال فخرجت حينئذ.

٢١٥- و عن إسحاق بن إبراهيم عن أنس العدي عن عبد الجليل أن أمير المؤمنين بعث عمار بن ياسر رحمه الله إلى عائشة أن ارتحلي فأبت عليه فبعث إليها بامرأتين و امرأة من ربيعة معهن الإبل فلما رأتهم ارتحلت.

٢١٦- و عن محمد بن علي بن نصر عن عمر بن سعد الأسدي أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه دخل على عائشة لما آتت الخروج فقال لها يا شعيرا ارتحلي و إلا تكلمت بما تعلمينه فقالت نعم أرتحل فجهزها و أرسلها و معها أربعين امرأة من عبد القيس الحديث بطوله.

(١) أي لا أنقل ولا أزال عن هذا البلد. والفعل من باب باع و على زنته.

(٢) الكتاب لا يزال في سلسلة الكتب التي لا تعرف أين استقر بها النوا.

٢١٧- وعن الحسين بن حماد قال حدثنا أبو الجارود عن الأصمغ بن نباتة أن أمير المؤمنين قال لعائشة ارجعي إلى بيتك الذي تركك رسول الله ﷺ وأبوك فيه فأبت فقال لها ارجعي وإلا تكلمت بكلمة تبرءن إلى الله تعالى ورسوله فارتحلت.

٢١٨- وعن مطلب بن زياد عن كثير النواء قال قال ابن عباس رضي الله عنه لعائشة السلام عليك يا أمة ألسنا ولاية بعلك أو ليس قد ضرب الله الحجاب عليك أو ليس قد أوتيت أجرك مرتين قالت بلى قال فما أخرجك علينا مع منافقي قریش قالت كان قدرا يا ابن عباس.

قال وكانت أمنا تؤمن بالقدر.

٢١٩- وعن أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد قال قال رجل لعائشة يا أم المؤمنين لم خرجت على علي قالت له أبوك لم تزوج بأهلك قدرا لله عز وجل^(١).

٢٢٠- وعن فضيل بن مرزوق^(٢) عن أبي إسحاق قال كانت عائشة إذا سئلت عن خروجها على أمير المؤمنين قالت كان شيء قدره الله علي!!!

٢٢١- البرسي في كتاب مشارق الأنوار قال لما قدم الحسن بن علي^(٣) من الكوفة جاءت النسوة يعزيه بأمر المؤمنين^(٤) ودخلت عليه أزواج النبي^(٥) فقالت عائشة يا أبا محمد ما فقد جديك إلا يوم فقد أبوك فقال لها الحسن^(٦) نسيت نبشك في بيتك ليلا بغير قبس بحديدة حتى ضربت الحديد ككف فصار جرحا إلى الآن تبغين جرارا خضرا فيها ما جمعت من خيانة حتى أخذت منها أربعين دينارا عددا لا تعلمين لها وزنا تفرقها في مبعضي علي من تيم وعدي قد تشفيت بقتله فقالت قد كان ذلك^(٧).

باب ٦ باب نهى الله تعالى ورسوله ﷺ عائشة عن مقاتلة علي^(٨) وإخبار النبي ﷺ إياها بذلك

٢٢٢- فس: [تفسير القمي] محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله بن غالب عن ابن أبي نجران عن حماد عن حريز قال سألت أبا عبد الله عن قول الله ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ قال الفاحشة الخروج بالسيف^(٩).

أقول: قد مضى بعض الأخبار في باب ذم عائشة وحفصة.

٢٢٣- ج: [الإحتجاج] عن الصادق^(١٠) عن آبائه^(١١) في خبر الطير أنه جاء علي^(١٢) مرتين فردته عائشة فلما دخل في الثالثة وأخبر النبي^(١٣) به قال النبي^(١٤) أبيت إلا أن يكون الأمر هكذا يا حميرة ما حملك على هذا قالت يا رسول الله اشتبهت أن يكون أبي أن يأكل من الطير فقال لها ما هو أول ضغن بينك وبين علي وقد وقفت على ما في قلبك لعلي إن شاء الله تعالى لتقاتليني فقالت يا رسول الله وتكون النساء يقاتلن الرجال فقال لها يا عائشة إنك لتقاتليني عليا ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي فيحملونك عليه وليكون في قتالك أمر

(١) وقريباً منه جداً رواه ابن حجر في ترجمة محمد بن أبي الخصيب الأنطاكي من كتاب لسان الميزان: ج ٥ ص ١٥٤.

وقد علقناه على الحديث: (٦٥٧) من ترجمة أمير المؤمنين^(١٥) من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ١٦٧، ط ٢.

(٢) الظاهر أن هذا هو الصواب، وفي ط الكمياني من كتاب البحار: «فضيل بن مروان».

(٣) إلى الآن لم أطلع على هذا الحديث في غير هذا المصدر، وهو مرسل، والمصنف قدس الله نفسه أيضاً صرح بعدم اعتبار متفرقات الشيخ البرسي.

(٤) رواه علي بن إبراهيم في تفسير الآية الكريمة وهي الآية: (٣١) من سورة الأحزاب: ٣٣ - من تفسيره.

(٥) ورواه عنه السيد البحراني كما روى قريباً منه بسند آخر عن محمد بن العباس بن الماهيار - في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج ٣ ص

يتحدث به الأولون والآخرون و علامة ذلك إنك تركبين شيطانا تبتلين به قبل أن تبغلي إلى الموضوع الذي يقصد بك إليه فتنبج عليك كلاب الحوآب فتسألين الرجوع فيشهد عندك قسامة أربعين رجلا ما هي كلاب الحوآب فتصيرين إلى بلد أهله أنصارك وهو أبعد بلاد في الأرض من السماء وأقربها إلى الماء وترجعن وأنت صاغرة غير بالغة ما تريدن ويكون هذا الذي يردك مع من يثق به من أصحابه وإنه لك خير منك له ولينذرنا ما يكون به الفراق بيني وبينك في الآخرة وكل من فرق علي بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز^(١).

فقلت له يا رسول الله ليتني مت قبل أن يكون ما تعدني؟

قال فقال لها هيهات هيهات والذي نفسي بيده ليكون ما قلت حتى كأني أراه.

٢٢٤- مع: [معاني الأخبار] أحمد بن الحسين بن علي عن محمد بن العباس عن إبراهيم بن إسحاق عن إبراهيم بن سعيد عن أبي نعيم عن عصام بن قدامة عن عكرمة^(٢):

عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال لنساء ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذيب التي تنبجها كلاب الحوآب فيقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ثم تنجو بعد ما كادت.

قال الصدوق رحمه الله الحوآب ماء لبني عامر والجمل الأذيب يقال إن الذئبة داء تأخذ الدواب يقال برذون مذعوب وأظن الجمل الأذيب مأخوذ من ذلك وقوله تنجو بعد ما كادت أي تنجو بعد ما كادت تهلك.

٢٢٥- الكافية: عن عصام مثله ثم قال ورواه أبو بكر بن عياش عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس^(٣).

وروى المسعودي في حديثه قال قال رسول الله ﷺ يا علي إذا أدرتك فاضربها واضرب أصحابها.

٢٢٦- [السرائر] قال محمد بن إدريس وجدت في الغريبين للهروي هذا الحديث وهو بالدال غير المعجمة مع الباء النقطة تحتها نقطة واحدة قال أبو عبيد وفي الحديث ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذيب تنبجها كلاب الحوآب قيل أراد الأدب فأظهر التضعيف والأدب الكثير الوبر يقال جمل أدب إذا كان كثير الدبب والدبب كثرة شعر الوجه ودببه أنشدني أبو بكر بن الأنباري^(٤):

يمشقن كل غصن معلوش
يمشقن يقطعن كل غصن كثير الورق كما تنفق النساء الشعر من وجه العروس

يمشقن يقطعن كل غصن كثير الورق كما تنفق النساء الشعر من وجه العروس.

قال محمد بن إدريس وجدت أيضا في كتاب مجمل اللغة لابن فارس ما ذكره أبو عبيد صاحب الغريبين قد أورد الحديث على ما ذكره وفسره على ما فسرهم وضعه في باب الدال غير المعجمة مع الباء والاعتماد على أهل اللغة في ذلك فإنهم أقوم به وأظن أن شيخنا ابن بابويه تجاوز نظره في الحرف وزل فيه فأورده بالدال المعجمة والباء على ما في كتابه واعتقد أن الجمل الأذيب مشتق من المذبذبة ففسره على ما فسرهم وهذا تصحيف منه.

أقول: قال ابن الأثير في النهاية^(٥) بعد إيراد الرواية أراد الأدب فأظهر الإدغام لأجل الحوآب والأدب الكثير وبر الوجه.

وقال السيوطي في بعض تصانيفه إنه قد يفك ما استحق الإدغام لاتباع كلمة أخرى كحديث أيتكن صاحبة الجمل الأذيب تنبجها كلاب الحوآب فك الأدب وقياسه الأدب اتباعا للحوآب.

٢٢٧- ل: [الخصال] علي بن أحمد الدقاق عن حمزة بن القاسم عن علي بن الجنيد الرازي عن أبي عوانة عن الحسين بن علي عن عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف^(٦):

(١) رواه الطبرسي متصلاً بعنوان: «احتجاجة علي فيما يتعلق بتوحيد الله...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٩٨.

(٢) رواه الشيخ الصدوق في «باب معنى الحوآب والجمل الأذيب» وهو الباب (٣٤٢) من كتاب معاني الأخبار، ص ٢٩٠ ط النجف، وفي ط ص ٣٠٥.

(٣) ذكره محمد بن إدريس الحلبي في كتاب السرائر.

(٤) والحديث من أثبت الأقوال الصادرة عن رسول الله وقلماً يوجد معجم لغوي - أو موسوعة حديثة أو كتاب تاريخ يتعرض لوقعة الجمل - لم يتعرض لذكر هذا الخبر الغريب وقد ذكره ابن الأثير نقلاً عن الهروي في مادة «دب» من كتاب النهاية، وذكر أيضاً في مادة «حوب» وليراجع هاتين المادتين من كتاب الصحاح والقاموس وتاج العروس ولسان العرب وغيرها.

(٥) قاله في حرف الدال في مادة: «دب».

(٦) رواه الشيخ الصدوق في الباب الأول - أو أواخر المقدمة - من كتاب إكمال الدين ص ٢٧ طبع النجف.

عن عبد الله بن مسعود قال قلت للنبي ﷺ يا رسول الله من يغسلك إذا مت فقال يغسل كل نبي وصيه قلت فمن وصيك يا رسول الله قال علي بن أبي طالب فقلت كم يعيش بعدك يا رسول الله قال ثلاثين سنة فإن يوشع بن نون وصي موسى عاش من بعده ثلاثين سنة وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوج موسى فقالت أنا أحق بالأمر منك فقاتلها فقتل مقاتلتها وأسرها فأحسن أسرها وإن ابنة أبي بكر ستخرج علي علي في كذا وكذا ألفاً من أمتي فيقاتلها فيقتل مقاتلتها ويأسرها فيحسن أسرها وفيها أنزل الله ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ يعني صفراء بنت شعيب.

٢٢٨-يج: [الخرائج والجرائح] روي أن النبي ﷺ قال ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب فتنبهها كلاب الحوآب^(١).

و روي أنه لما أقبلت عائشة مياها بني عامر ليلا نهبها كلاب الحوآب فقالت ما هذا الماء قالوا الحوآب قالت ما أظنني إلا راجعة ردوني إن رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم كيف بإحداكن إذا نبح عليها كلاب الحوآب.

٢٢٩-شف: [كشف اليقين] من كتاب المعرفة لإبراهيم بن محمد الثقفى عن عثمان بن سعد عن محمد بن كثير عن إسماعيل بن زياد عن أبي إدريس^(٢):

عن نافع مولى عائشة قال كنت خادماً لعائشة وأنا غلام أعاطيهم إذا كان رسول الله ﷺ عندها فبينما رسول الله عند عائشة إذ جاء جاء فدق الباب فخرجت إليه فإذا جارية معها إناء مغطى فرجعت إلى عائشة فأخبرتها فقالت أدخلها فدخلت فوضعت بين يدي عائشة فوضعت عائشة بين يدي رسول الله ﷺ فمد يده يأكل ثم قال ليت أمير المؤمنين و سيد المسلمين كان حاضراً كي يأكل معي قالت عائشة و من أمير المؤمنين فسكت ثم أعادت فسألت فسكت ثم جاء جاء فدق الباب فخرجت إليه فإذا علي بن أبي طالب فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال أدخله ففتحت له الباب فدخل فقال مرحباً وأهلاً لقد تمنيتك حتى لو أبطأت علي لسألت الله أن يجيء بك اجلس فكل فجلس فأكل فقال رسول الله ﷺ قاتل الله من يقاتلك و من يعاديك فسكت ثم أعادها فقالت عائشة من يقاتله و من يعاديه قال أنت و من معك أنت و من معك.

٢٣٠-شف: [كشف اليقين] محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان عن محمد بن أحمد بن عيسى العلوي عن محمد بن أحمد المكتب عن حميد بن مهران عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن محمد بن علي عن محمد بن كثير عن إسماعيل بن زياد عن أبي إدريس عن نافع مولى عائشة مثله^(٣).

٢٣١-كافية: المفيد عن محمد بن علي بن مهران عن محمد بن علي بن خلف عن محمد بن كثير عن إسماعيل بن الزيات البراز عن أبي إدريس عن نافع مولى عائشة مثله^(٤).

٢٣٢-قب: [المناقب لابن شهر آشوب] قال السدي نزل قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ في أهل بدر خاصة فأصابهم يوم الجمل فاقتلوا^(٥).

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال ما قوتل أهل هذه يعني البصرة إلا بهذه الآية^(٦) وقرأ أمير المؤمنين يوم البصرة ﴿وَإِنْ نَكُنْوا إِيمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنَا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا إِنَّتُمْ الْكَافِرُ إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ ثم قال لقد عهد إلي رسول الله ﷺ و قال يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة و الفئة الباغية و الفرقة المارقة إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون.

(١) رواه قطب الدين الرواندي في كتاب الخرائج.

(٢) رواه العلامة في كتاب كشف اليقين.

ورواه الأربلي مرسلًا نقلًا عن مناقب ابن مردويه في عنوان: «مخاطبة عليّ بأمير المؤمنين في حياة النبي» من كتاب كشف الفتنة: ج ١، ص ٣٤٢

ط بيروت. (٣) رواه العلامة في كتاب كشف اليقين.

(٤) رواه الشيخ المفيد في كتاب الكافية ولكن لم نعلم أين مستقرها ومستودعها.

(٥) رواه ابن شهر آشوب في عنوان: «ما ظهر منه ﷺ في حرب الجمل» من مناقب أبي طالب: ج ٢ ص ٣٣٤.

(٦) ما بين المقوفين غير موجود في الأصل الحاكي والمحكى عنه، وإنما هو زيادة ظنيّة متأ.

الأعمش عن شقيق وزر بن حبيش عن حذيفة وذكر السمعاني في الفضائل والديلمي في الفردوس عن جابر الأنصاري وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام واللفظ لهما في قوله فَإِنَّمَا تَذَهَبُ بِكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّا رَادُوكَ مِنْهَا وَنَمْتَمُونَ مِنْهُمْ بِعَلِيٍّ.

و في تفسير الكلبي يعني في حرب الجمل
و عن عمار وحذيفة وابن عباس والباقر والصادق عليهم السلام أنه نزلت في علي عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ الآية.

و روي عن علي عليه السلام أنه قال يوم البصرة والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلا هذه الآية.

ابن عباس قال لما علم الله أنه سيجري حرب الجمل قال لأزواج النبي عليه السلام ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ وقال تعالى يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ فِي حَرْبِهَا مع علي عليه السلام.

شعبة والشعبي والأعمش وابن مردويه وخطيب خوارزم في كتبهم بالأسانيد عن ابن عباس وابن مسعود وحذيفة وقادة وقيس بن أبي حازم وأم سلمة وميمونة وسالم بن أبي الجعد واللفظ له أنه ذكر النبي عليه السلام خروج بعض نسائه فضحكت عائشة فقال انظري يا حميرة لا تكونين هي ثم التفت إلى علي فقال يا أبا الحسن إن وليت من أمرها شيئا فافرق بها.

٢٣٣- قب: [المنابع لابن شهر آشوب] حذيفة قال لو أحدثكم بما سمعت من رسول الله عليه السلام لوجتموني قالوا سبحان الله نحن نفعل قال لو أحدثكم أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها شديد بأسها تقاتلكم صدقتم قالوا سبحان الله ومن يصدق بهذا قال تأتيكم أمكم الحميرة في كتيبة يسوق بها أعلاجها من حيث يسوؤكم وجوهكم ^(١).

ابن عباس قال قال النبي عليه السلام أيتكن صاحبة الجمل الأدب يقتل حولها قتلى كثير بعد أن كادت.

بيان: لوجتموني يقال وجم الشيء أي كرهه ووجم فلانا لكزه وكانت النسخة تحتل الرأيا أيضا ^(٢) والأعلاج جمع العلاج بالكسر وهو الرجل من كفار العجم وغيرهم.

٢٣٤- الكافية: عن الحسن بن حماد عن زياد بن المنذر عن الأصعب بن نباتة قال لما عقر الجمل وقف علي عليه السلام على عائشة فقال ما حملك على ما صنعت قالت زيت وذيت فقال أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد ملأت أذنك من رسول الله وهو يلعن أصحاب الجمل وأصحاب النهروان أما أحياءهم فيقتلون في الفتنة وأما أمواتهم ففي النار على ملة اليهود ^(٣).

٢٣٥- وعن أبي داود الطهري عن عبد الله بن شريك العامري عن عبد الله بن عامر أن عبد الله بن محمد بن بديل الخزاعي قال لعائشة أنشدك بالله ألم نسمعك تقولين سمعت رسول الله عليه السلام يقول علي على الحق والحق معه لن يزيلا حتى يردا علي الحوض قالت بلى قال فما بدا لك قالت دعوني والله لوددت أنهم تفانوا.

٢٣٦- وعن يحيى بن مساور عن إسماعيل بن أبي زياد عن أبي سعيد المهري قال كان عبد الملك بن أبي رافع نازلا في بيعة كدي يتحدث إليه فقال أبو رافع سأحدثكم بحديث سمعته أذناي لا أحدثكم عن غيري سمعت رسول الله عليه السلام يقول لعلي عليه السلام قاتل الله من قاتلك وعادى الله من عاداك فقالت عائشة يا رسول الله من يقاتله ويعاديه قال أنت ومن معك أنت ومن معك.

(١) رواه محدث بن علي بن شهر آشوب في عنوان: «فيما ظهر من معجزات النبي بعد وفاته» من سيرة رسول الله أو شرح حاله من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ١٢٢، ط النجف.

ورواه أيضا الحاكم وضعه هو والذهبي في أواسط كتاب الفتن والملاحم من المستدرج: ج ٤، ص ٤٧١، ورواه أيضا مختصرا مع خصوصيات أخرى في ص ٤٦٩.

(٢) وكون اللفظة بالراء وهو الراجح وهكذا ذكره الحاكم في المستدرج: ج ٤، ص ٤٧١.

(٣) رواه الشيخ المفيد في كتاب الكافية.

٢٢٧- وعن علي بن مسهر من رجال الصحاح الست عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ إني رأيته في المنام مرتين أرى جملاً يحملك في سداقة من حرير فقال هذه امرأتك فاكشفها فإذا هي أنت. بيان في القاموس ذبت وذيت مثلثة الآخر أي كبت وكيت وكدي جبل قريب من مكة والسداقة كتابة الحجاب.

٢٣٨- شي: [تفسير العياشي] عن عبد الرحمن بن سالم الأشمل عن الصادق عليه السلام قال كَأَلَيْتِي تَقَضَّتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا عائشة هي نكثت أيمانها^(١).

٢٣٩- كنز: [كنز جامع الفوائد] وتأويل الآيات الظاهرة [محمد البرقي عن الحسين بن سيف عن أخيه عن أبيه عن سالم بن مكرم عن أبيه قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْغَنَكَبِوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا قَالَ هي الحميراء^(٢).

قال مؤلف الكتاب إنما كني عنها بالغنكبت لأنه حيوان ضعيف اتخذت بيتاً ضعيفاً أو هن البيوت وكذلك الحميراء حيوان ضعيف لقلته حفظها وعقلها ودينها اتخذت من رأيها الضعيف وعقلها السخيف في مخالفتها وعداوتها لمولائها بيتاً مثل بيت الغنكبت في الوهن والضعف.

٢٤٠- وروى محمد بن العباس عن الحسين بن أحمد عن محمد بن عيسى عن يونس بن كرام عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أتدري ما الفاحشة المبينة قلت لا قال قتال أمير المؤمنين عليه السلام يعني أهل الجمل.

٢٤١- مد: [العمدة] من صحيح البخاري بإسناده عن نافع عن عبد الله قال قام النبي ﷺ خطيباً وأشار نحو مسكن عائشة فقال هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان^(٣).

باب ٧ باب أمر الله ورسوله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وكل من قاتل علياً صلوات الله عليه وفي بيان عقاب الناكثين

الآيات البقرة: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا لَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُفَعِّلُ مَا يُرِيدُ﴾. الزخرف: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرَبِّتْكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾.

(١) رواه العياشي في تفسير الآية الكريمة - وهي الآية: (٩٢) من سورة النحل: ١٦ - من تفسيره.

ورواه عنه السيد هاشم البحراني في تفسير الآية من تفسير البرهان: ج ٢ ص ٣٨٣ ط ٣.

(٢) رواها العلامة الكراجكي في الرسالة من كنز الفوائد.

(٣) رواه يحيى بن الحسن ابن البطريق في الحديث: (٨٤١) في الفصل الأخير من كتاب العدة ص ٢٣٧.

ورواه البخاري في عنوان: «ما جاء في بيوت أزواج النبي وما نسب من البيوت إليهن...» من باب فرض الجهاد من كتاب الوصايا قبيل كتاب بدء الخلق من صحيحه: ج ٤ ص ١٠٠ ط دار إحياء التراث العربي.

وفي معناه ما رواه أيضاً البخاري في آخر كتاب الحج قبيل كتاب الصوم في «باب أطام المدينة من صحيحه: ج ٣ ص ٢٧ قال: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا ابن شهاب، قال: أخبرني عروة [قال: سمعت أسامة رضي الله عنه قال: أشرف النبي ﷺ على أطام من أطام المدينة فقال: هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر.

ثم قال البخاري: تابعه معمر وسليمان بن كثير عن الزهري.

ورواه أيضاً بسندين آخرين في «باب قول النبي: ويل للعرب من شرّ قد اقترب» من كتاب الفتن: ج ٩ ص ٦٠.

ورواه أيضاً مسلم في الحديث: (٩١) من باب نزول الفتن من كتاب الفتن تحت الرقم: (٢٨٨٥) من صحيحه: ج ٤ ص ٢٢١١.

ورواه أيضاً الحاكم النيسابوري وصحّحه على شرط البخاري ومسلم - وأقرّه الذهبي - في أواسط كتاب الفتن والملاحم من كتاب المستدرک: ج ٤ ص ٥٠٨.

الحجرات: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْقَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

تفسير: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ الطبرسي في تفسير جامع الجوامع أي مشيئة الجاء وقسر مِنْ بَغْوِهِمْ أي من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضاً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ لالتزامه دين الأنبياء وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ لإعراضه عنه وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا كرهه للتاكيد.

فَإِمَّا تَدْعِيَنَّ بِكَ أَيْ تَتَوَفَّنِكَ فَإِمَّا مِنْهُمْ أَيْ مِنْ أَمَتِكَ مُنْتَقِمُونَ أَوْ تُرَبِّكَ فِي حَيَاتِكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فَإِمَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ أَيْ قَادِرُونَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ وَعَقوبَتِهِمْ فِي حَيَاتِكَ وَبَعْدَ وَفَاتِكَ.

قال الطبرسي في تفسير المجمع قال الحسن وقادة إن الله أكرم نبيه ﷺ بأن لم يره تلك النعمة ولم ير في أمته إلا ما قرت به عينه وقد كان بعده نعمة شديدة.

وقد روي أنه أرى ما يلقى أمته بعده فما زال متقبضا ولم ينسبط ضاحكا حتى لقي الله تعالى.

٢٤٢- روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال إني لأدناهم من رسول الله في حجة الوداع بمعنى فسمعتة قال في خطبته لا أفينكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وإيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم^(١) قال ثم التفت إلى خلفه ثم قال أو علي أو علي ثلاث مرات قال جابر فرأينا أن جبرئيل غمزه فأنزل الله على أثر ذلك ﴿فَإِمَّا تَدْعِيَنَّ بِكَ فَإِمَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعلي بن أبي طالب.

وقيل إن النبي ﷺ أرى الانتقام منهم وهو ما كان من نعمة الله يوم بدر.

والبغي الاستطالة والظلم والقيء الرجوع وأقسطوا أي اعدلوا.

أقول: قد مر خبر أبي رافع وأخبار حذيفة بن اليمان في باب أحوال الصحابة وقد مضى في باب أنه باب مدينة العلم وباب جوامع المناقب وغيرها أنه أخبر النبي ﷺ عليا أنه قاتل الفجرة.

٢٤٣- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] بإسناد أخى دعبل عن الرضا عن أبياته ﷺ قال قال رسول الله ﷺ لأم سلمة اشهدي على أن عليا يقاتل التاكسين والقاسطين والمارقين^(٢).

٢٤٤- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] بهذا الإسناد عن الباقر ﷺ عن جابر الأنصاري قال إني لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمعنى فقال لا عرفتمكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وإيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم^(٣).

ثم التفت إلى خلفه ثم قال أو علي أو علي أو علي قال جابر فرأينا أن جبرئيل غمزه وأنزل الله عز وجل ﴿فَإِمَّا تَدْعِيَنَّ بِكَ فَإِمَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعلي أو تُرَبِّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِمَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ^(٤).

ثم نزلت ﴿قُلْ رَبِّ إِنِّي نَرَىٰ مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرَبِّكَ مَا يَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ أَدْفَعُ بِأَلْيِّ هَيْ أَحْسَنُ^(٥).

ثم نزلت ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من أمر علي بن أبي طالب ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وإن عليا لعلم للساعة لك ولقومك ولسوف تسألون عن محبة علي بن أبي طالب.

٢٤٥- مد: [العمدة] بإسناده إلى مناقب أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن المغازلي قال^(٦):

أخبرنا الحسن بن أحمد بن موسى عن هلال بن محمد عن إسماعيل بن علي عن أبيه عن علي بن موسى الرضا

(١) رواه الطبرسي في تفسير الآية: (٤٢) من سورة الزخرف من تفسير مجمع البيان. ولحديث مصاد وأسانيذ كثيرة يجد الباحث كثيرا منها في تفسير الآية الكريمة من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٥١.

(٢) رواه الشيخ الطوسي.

(٣) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٠) من الجزء (١٣) من أماليه ج ١ ص ٣٧٣ في بيروت.

(٤) وهذا هو الحديث: (٣٢١) من مناقب أمير المؤمنين ﷺ لابن المغازلي ص ٢٧٤ ط ١، ورواه أيضا باختصار في الحديث: (٣٦٦). والحديث الأول رواه عنه يحيى بن الحسن بن البطريق في أواسط الفصل: (٣٦) في الحديث: (٥٨٠) من كتاب العمدة ص ١٨٥.

عن أبيه عن محمد بن علي الباقر صلوات الله عليهم عن جابر رضي الله عنه مثله.

٢٤٦- كنز: [كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات الظاهرة] محمد بن العباس عن علي بن العباس عن الحسن بن محمد عن العباس بن أبان العامري عن عبد الغفار بإسناد يرفعه إلى عبد الله بن العباس و عن جابر بن عبد الله مثله (١).

بيان: وإن عليا لعلم للساعة هكذا جاء في نسخ جميع الكتب و في القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ و بعده بورق في الآية ٦١- من السورة عند ذكر عيسى ﷺ ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ و قد ورد في الأخبار أنها أيضا نزلت في أمير المؤمنين ﷺ فيمكن أن يكون في قراءتهم ﷺ هكذا وأنه أشار هنا إلى نزول تلك الآية أيضا فيه و الظاهر أنه سقط من الخبر شيء أو جرى فيه تصحيف.

٢٤٧- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن محمد بن الحسين بن حفص عن إسماعيل بن إسحاق عن حسين بن أنس عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قال النبي ﷺ لأجاهدن العالقة يعني الكفار والمنافقين فأثاه جبرئيل وقال أنت أو علي (٢).

٢٤٨- كا: [الكافي] علي عن أبيه و القاساني جميعا عن الأصفهاني عن المنقري عن الفضيل بن عياض عن أبي عبد الله عن أبيه ﷺ قال قال (٣).

٢٩٣
٣٣ بعث الله محمدا ﷺ بخمسة - أسياف ثلاثة منها شاهرة و سيف منا مكفوف و سيف منها مغمود سله إلى غيرنا و حكمه إلينا (٤).

ثم قال و أما السيف المكفوف فسيف على أهل البغي و التأويل قال الله تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ إن منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل.

فستل النبي ﷺ من هو فقال خاصف النعل يعني أمير المؤمنين.

فقال عمار بن ياسر قاتلت بهذه الراية مع النبي ﷺ ثلاثا و هذه الرابعة و الله لو ضربونا حتى بلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنا على الحق و أنهم على الباطل الخبر.

٢٤٩- ن: [عيون أخبار الرضا] بإسناد التميمي عن الرضا عن آبائه ﷺ قال قال علي ﷺ أمرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين (٥).

٢٥٠- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن محمد بن القاسم بن زكريا عن عباد بن يعقوب عن نوح بن دراج عن محمد بن السائب عن أبي صالح (٦)؛

٢٩٤
٣٣ عن جابر بن عبد الله قال قام رسول الله ﷺ يوم الفتح خطيبا فقال أيها الناس لا أعرفكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض و لئن فعلتم ذلك لتعرفنني في كتيبة أضربكم بالسيف.

ثم التفت عن يمينه فقال الناس لفته جبرئيل شيئا النبي ﷺ فقال هذا جبرئيل يقول أو علي.

٢٥١- ختص: [الإختصاص] سعد عن ابن عيسى عن ابن معروف عن عبد الرحمن بن سالم عن نوح بن دراج مثله (٧).

٢٥٢- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن محمد بن جرير الطبري و محمد بن علي بن الحسين معا عن أحمد بن يحيى بن زكريا عن حسن بن حسن عن يحيى بن يعلى عن عبيد الله بن موسى عن أبي الزبير (٨)؛

(١) رواه العلامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد.

(٢) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٧) من الجزء (١٨) من أماليه ص ٥١٤، وبعده أيضاً حديثان آخران بمعناه يأتيان هنا تحت الرقم ٢٩.

(٣) رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في «باب وجوه الجهاد» وهو الباب (٣) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ١٠، ط الأخويندي.

(٤) كذا في ط الحديث من الكافي وكلمة: «مغمود» أيضاً مأخوذة منه، وفي أصلي من البحار: «وحكمه إليه».

(٥) رواه الشيخ الصدوق في أواخر الباب: (٣١) تحت الرقم: (١٤١) منه في أواسط المجلد الثاني من كتاب عيون أخبار الرضا. ص ٦١.

(٦) الحديث رواه الشيخ الطوسي قدس سره في الحديث: (٦) من الجزء (١٨) من أماليه: ج ١، ص ٥١٤ ط بيروت.

(٧) رواه الشيخ المفيد في الحديث من كتاب الاختصاص.

(٨) الأحاديث رواها الشيخ الطوسي قدس سره في الحديث: (٨ و ٩) من الجزء (١٨) من أماليه: ج ١، ص ٥١٤ - ٥١٥ ط بيروت.

عن جابر الأنصاري قال سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع وركبتي تمس ركبته يقول لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض أما إن فعلتم ذلك لتعرفنني في ناحية الصف.

قال وأشار إليه جبريل ﷺ فالتفت إليه فقال قل إن شاء الله أو علي قال إن شاء الله أو علي.

٢٥٣- ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] بالإسناد عن الطبري عن محمد بن العلاء عن عبد الرحمن بن أبي حاتم عن عبد الله بن عبد الكريم عن عمرو بن حماد بن طلحة عن أسباط بن نصر عن سماك بن حرب عن عكرمة^(١).

عن ابن عباس رحمه الله قال إن علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ إن الله عز وجل يقول ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَلْغَائِبِكُمْ﴾ والله لا تنقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله والله لئن مات أو قتل لأقاتن على ما قاتل عليه حتى أموت والله إني لأخوه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني.

٢٥٤- ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن أحمد الهمداني عن محمد بن أحمد القطواني عن منذر العبدى^(٢).

عن علي بن أبي فاطمة قال كنت عند أبي بردة بن أبي موسى وعنده العيزار بن جرول التميمي قال أبو بردة إن أهل الكوفة كانوا يدعون الله عز وجل أن ينصر المظلوم فنصر رسول الله ﷺ فقال له العيزار بن جرول ألا أحدثك بحديث سمعته من ابن عباس قال أبو بردة بلى قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول كيف أنتم يا معشر قريش إذا كفرتم وضرب بعضكم وجه بعض بالسيف ثم تعرفوني أضربكم في كتيبة من الملائكة وأناه جبريل فقال أنت إن شاء الله أو علي.

فقال أبو بردة سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله ﷺ قال نعم.

٢٥٥- فر: [تفسير فرائد بن إبراهيم] الحسين بن الحكم معنعنا عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ وهو في بقيع الغرقد فقال والذي نفسي بيده إن فيكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله وهم في ذلك يشهدون أن لا إله إلا الله وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون فيكبر قتلهم على الناس حتى يطعنوا على ولي الله ويسخطوا عمله كما سخط موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام (٣) السفينة و قتل الغلام وإقامة الجدار وكان خرق السفينة و قتل الغلام وإقامة الجدار لله رضا وسخط ذلك موسى^(٤).

بيان: قال الجوهري الغرقد شجر و بقيع الغرقد مقبرة بالمدينة.

٢٥٦- ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] أبو عمر عن ابن عقدة عن يعقوب بن يوسف عن أحمد بن حماد عن فطر بن خليفة و بريد بن معاوية العجلي عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه^(٥).

عن أبي سعيد الخدري قال خرج إلينا رسول الله ﷺ وقد انقطع شسع نعله فدفعها إلى علي ﷺ يصلحها ثم جلس وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير فقال إن منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت الناس على تنزيله. فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله قال لا فقال عمر أنا يا رسول الله فقال لا ولكنه خاضف النعل.

قال أبو سعيد فأتينا علياً ﷺ نيشره بذلك فكانه لم يرفع به رأساً فكانه قد سمعته قبل.

قال إسماعيل بن رجاء فحدثني أبي عن جدي أبي أمي خزام بن زهير أنه كان عند علي في الرحبة فقام إليه رجل فقل له يا أمير المؤمنين هل كان في النعل حديث فقال اللهم إني أعلم أنه كان مما كان يسره إلي رسول الله ﷺ وأشار بيديه ورفعها.

٢٥٧- ج: [المجالس للمفيد ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] المفيد عن علي بن بلال عن أحمد بن الحسن البغدادي عن الحسين بن عمر عن علي بن الأزهر عن علي بن صالح المكي عن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده قال^(٥).

(١) الأحاديث رواها الشيخ الطوسي قدس سره في الحديث: (٨) و (٩) من الجزء (١٨) من أماليه: ج ١، ص ٥١٤ - ٥١٥ ط بيروت.

(٢) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٣٤) من الجزء (١٦) من أماليه ج ١، ص ٤٧٢ ط بيروت.

(٣) رواه فرائد بن إبراهيم الكوفي في آخر تفسير سورة يوسف من تفسيره ص ٧١ ط ١.

(٤) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٤٨) من الجزء (٩) من أماليه: ج ١، ص ٢٦٠. ومثله رواه بسنده عن أبي عمر - ابن عسافر في الحديث:

(١١٨٥) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ١٦٩، ط ٢. وقريباً منه جداً رواه عبد الله بن أحمد في الحديث: (٢٠٥) من فضائل

أمير المؤمنين ﷺ من كتاب الفضائل ص ١٣٩، ط ١. وللحديث مصادر وأسانيد كثيرة فراجع تعليق الكنايين.

(٥) رواه الشيخ المفيد في المجلس: (٤٣) من أماليه ص ١٧٧.

لما نزلت على النبي ﷺ إذا جاء نصرُ اللهَ و الفَتْحُ قال لي يا علي لقد جاء نصر الله و الفتح فإذا رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

يا علي إن الله قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم جهاد المشركين معي فقلت يا رسول الله و ما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد قال فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلا الله و أني رسول الله و هم مخالفون لسنتي و طاعونون في ديني فقلت فعلام نقاتلهم يا رسول الله و هم يشهدون أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله فقال علي إحداثهم في دينهم و فراقهم لأمري و استحلالهم دماء عترتي قال فقلت يا رسول الله إنك كنت وعدتني الشهادة فأسأل الله تعجيلها إلي فقال أجل قد كنت وعدتك الشهادة فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذا و أومى إلى رأسي و لحيتي فقلت يا رسول الله أما إذا ثبت لي ما ثبت فليس ذلك بموطن صبر لكنه موطن بشري و شكر فقال أجل فقال فأعد للخصومة فإنك مخاصم أمتي.

فقلت يا رسول الله أرشدني إلى الفلج قال إذا رأيت قومك قد عدلوا عن الهدى إلى الضلال فخاصمهم فإن الهدى من الله و الضلال من الشيطان.

يا علي إن الهدى هو اتباع أمر الله دون الهوى و الرأي و كأنك بقوم قد تأولوا القرآن و أخذوا بالشبهات و استحلوا الخمر بالنبيذ و البخس بالزكاة و السحت بالهدية قلت يا رسول الله فما هم إذا فعلوا ذلك أهم أهل فتنة أم أهل ردة فقال هم أهل فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل فقلت يا رسول الله العدل منا أم من غيرنا فقال بل منا بنا فتح الله و بنا يختم الله و بنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك و بنا يؤلف الله بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله.

بيان: و البخس بالزكاة لعل المراد به أنهم يبخسون المكيال و الميزان و أموال الناس ثم يتداركون ذلك بالزكوات و الصدقات من المال الحرام و قوله و السحت بالهدية أي يأخذون الرشوة بالحكم و يسمونها الهدية.

٢٥٨- مع: [معاني الأخبار] ابن الوليد عن محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي الصيرفي عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال قال أبو عبد الله في حديث طويل يقول في آخره إن رسول الله ﷺ قال لأم سلمة رضي الله عنها يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا و أخي في الآخرة^(١).

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا و وزيري في الآخرة.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا و حامل لواء الحمد غدا في القيامة.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب وصي و خليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين و إمام المتقين و قائد الفر المحجلين و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين.

قلت يا رسول الله من الناكثون قال الذين يبايعونه بالمدينة و ينكثونه بالبصرة قلت من القاسطون قال معاوية و أصحابه من أهل الشام ثم قلت من المارقون قال أصحاب النهروان.

٢٥٩- ير: [بصائر الدرجات] محمد بن الحسين عن النضر بن شعيب عن خالد بن زياد القلانسي عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال^(٢):

جاء رجل إلى علي عليه السلام و هو على منبره فقال يا أمير المؤمنين ائذن لي أتتكلم بما سمعت من عمار بن ياسر يرويه عن رسول الله قال اتقوا الله و لا تكذبوا على عمار.

فلما قال الرجل ذلك ثلاث مرات قال له علي عليه السلام تكلم قال سمعت عمارا يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول أنا

ورواه عنه الشيخ الطوسي في الحديث: (٥) من الجزء الثالث من أماليه ج ١، ص ٦٢، وفي الحديث سقط وتامه في المختار: (١٢٢) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٣٩٧ ط ٢.

(١) رواه الشيخ الصدوق في باب: «باب معنى الناكثين والقاسطين والمارقين» وهو الباب: (١٨٨) من كتاب معاني الأخبار، ص ١٩٥.

(٢) رواه الصغار قدس سره في الباب من كتاب بصائر الدرجات.

أقاتل على التنزيل و علي يقاتل على التأويل قال صدق و رب الكعبة إن هذه عندي في الألف الكلمة التي تتبع كل كلمة ألف كلمة.

٣٦٠- شأ: [الإرشاد] روى إسماعيل بن علي العمى عن نائل بن نجيع عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عليه السلام قال ^(١):

انقطع شمع نعل النبي صلى الله عليه وآله فدفعها إلى علي عليه السلام يصلحها ثم مشى في نعل واحدة غلوة أو نحوها و أقبل على أصحابه و قال إن منكم من يقاتل على التأويل كما قاتل معي على التنزيل.

فقال أبو بكر أنا ذاك يا رسول الله فقال لا فقال عمر أنا ذاك يا رسول الله قال لا فأمسك القوم و نظر بعضهم إلى بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و لكنه خاف النعل و أوما بيده إلى علي عليه السلام و إنه يقاتل على التأويل إذا تركت سنتي و نبذت و حرف كتاب الله و تكلم في الدين من ليس له في ذلك فيقاتلهم علي على إحياء دين الله تعالى.

٢٦١- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري مثله إلى قوله خاف النعل ^(٢).

٢٦٢- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] صحيح الترمذي أن النبي قال يوم الحديبية لسهيل بن عمرو و قد سأله رد جماعة فروي أن النبي صلى الله عليه وآله قال يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعن الله عليكم من يضر رقابكم على الدين امتحن الله قلبه بالإيمان قالوا من هو يا رسول الله قال هو خاف النعل و كان أعطى علياً عليه السلام نعله يخصفها ^(٣).

٢٦٣- يف: [الطرائف] من مسند أحمد لتنتهن معشر قريش أو ليبعن الله عليكم ^(٤).

و ذكر مثله.

ثم قال و روه في الجمع بين الصحاح الستة في الجزء الثالث من سنن أبي داود و صحيح الترمذي.

٢٦٤- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] الخطيب في التاريخ و السمعاني في الفضائل أن النبي صلى الله عليه وآله قال لا تنتهن يا معشر قريش حتى يبعث الله رجلاً امتحن الله قلبه بالإيمان الحديث سواء ^(٥).

و روى ابن بطة في الإبانة حديث خاف النعل بسبعة طرق منها ما رواه أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله قال لا قال عمر أنا هو يا رسول الله قال لا و لكنه خاف النعل قال أبو سعيد ابتدنا ننظر فإذا هو علي عليه السلام يخصف نعل رسول الله.

٢٦٥- كشف: [كشف الغمة] عن البغوي في شرح السنة عن أبي سعيد مثله ^(٦).

٢٦٦- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] و كاتبني الخطيب في الأربعين بإسناده الخدري ما رواه بأسانيد عن جابر بن يزيد عن الباقر عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله انقطع شمع نعله فدفعها إلى علي عليه السلام ليصلحها فقال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها القوم فقال أبو بكر أنا هو قال لا قال عمر أنا هو قال لا و لكن هو

(١) رواه الشيخ المفيد قدس الله نفسه في الفصل الذي عقده لما ظهر في الحديبية لعلي في غزوات رسول الله من كتاب الإرشاد، ص ٦٥.

(٢) رواه أحمد في الحديث: (٣٢٦) و (٨٢٠ و ٨٢١) من مسند أبي سعيد الخدري من كتاب المسند: ج ٣ ص ٣١ و ٣٣ و ٨٢ ط ١، ورواه أيضاً في الحديث: (١٩٣) و (٢٠٥) من فضائل علي عليه السلام من كتاب الفضائل ص ١٣٠، ١٤٠، ط ١.

(٣) رواه ابن شهر آشوب - مع ما قبله وما بعده - في عنوان: «خاف النعل» من مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٢٤٤ ط النجف.

و الحديث رواه الترمذي في باب مناقب علي عليه السلام من كتاب الفضائل تحت الرقم: (٣٧١٥) من سننه: ج ٥ ص ٣٤٤.

وقد رواه أيضاً النسائي في الحديث: (٣١١) من خصائص أمير المؤمنين ص ٨٥ ط بيروت وقد علقنا عليه عن مصادر منها حديث الترمذي.

(٤) و الظاهر أن الحديث هو ما رواه عبد الله بن أحمد في الحديث: (٢٢٧) من باب فضائل علي عليه السلام من كتاب الفضائل ص ١٥٨، ط ١.

(٥) رواه ابن شهر آشوب في عنوان: «خاف النعل» من مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٢٤٤ ط النجف.

و رواه الخطيب البغدادي في الحديث الأول من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام و بسند آخر في ترجمة ربعي بن حراش من تاريخ بغداد: ج ١ ص ٣٣، ج ١ ص ٤٣٣.

و رواه عنه وعن غيره بأسانيد الحافظ ابن عسكار في الحديث: (٨٧٣) من ترجمة علي عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٣٦٦ ط ٢.

(٦) و رواه الإربلي في أواسط عنوان: «فضل مناقبه وما أعدّه الله لمحبيه» ثم أعاده في بيانه ما ظهر لأمير المؤمنين في غزوة الحديبية من غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله تلاً عن المفيد و الترمذي، ثم ذكر في عنوان: «خاف النعل» تلاً عن كتاب الجمع بين الصحاح لرزيق و عن مسند أحمد - من كتاب كشف الغمة: ج ١ ص ١٢٣، و ٢١١، و ٣٣٥ ط بيروت.

خاصف النعل يعني عليا قال أبو سعيد فخرت قبشرتة بما قال رسول الله ﷺ فلم يكثر به فرحا كأنه سمعه^(١). ذكره أحمد في الفضائل و البخاري و مسلم^(٢) و لفظه لمسلم عن الخدري قال قال رسول الله ﷺ تفرق أمتي فرقتان فيخرج من بينهما فرقة ثالثة يلي قتلهم أولاهم بالحق.

٢٦٧-قب: [المناب لابن شهر آشوب] أبو يعلى الموصلي و الخطيب التاريخي و أبو بكر بن مردويه بطرق كثيرة عن علي عليه السلام أنه قال أمرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين^(٣).

عبدوس بن عبد الله الهمداني و أبو بكر بن فورك الأصفهاني و شيرويه الديلمي و الموفق الخوارزمي و أبو بكر بن مردويه في كتبهم عن الخدري في خبر قال فقال علي يا رسول الله علي ما أقاتل القوم قال علي الإحداث في الدين. و في رواية أنه قال فأين الحق يومئذ قال يا علي الحق معك و أنت معه قال إذا لا أبالي ما أصابني. شيرويه في الفردوس عن وهب بن صيفي و روى غيره عن زيد بن أرقم قال قال النبي ﷺ أنا أقاتل على التنزيل و علي يقاتل على التأويل.

٢٦٨-جا: [المجالس للمفيد] أحمد بن الوليد عن أبيه عن الصفار عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن أبي جميلة عن ابن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال^(٤):

بلغ رسول الله عن قوم من قريش أنهم قالوا يرى محمد أنه قد أحكم الأمر في أهل بيته و لئن مات لتعزلنا عنهم و لتعزلنا في سواهم فخرج رسول الله ﷺ حتى قام في جمعهم ثم قال يا معشر قريش كيف بكم و قد كفرتم بعدي ثم رأيتوني في كتبية من أصحابي أضرب وجوهكم و رقابكم بالسيف؟ فنزل عليه جبرئيل عليه السلام في الحال فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام و يقول لك قل إن شاء الله أو علي بن أبي طالب فقال رسول الله ﷺ إن شاء الله أو علي بن أبي طالب يتولى ذلك منكم.

٢٦٩-كشف: [كشف الغمة] قال ابن طلحة قال البغوي في شرح السنة عن ابن مسعود قال خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أم سلمة فجاهه علي عليه السلام فقال رسول الله ﷺ يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين من بعدي^(٥). و عن زر أنه سمع علي عليه السلام يقول أنا فقأت عين الفتنة و لو لا أنا ما قتل أهل النهروان و أهل الجمل و لو لا أنني أخشى أن تتروكا العمل لأنبأتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم ﷺ لمن قاتلهم مستبصرا ضلالهم عارفا للهدى الذي نحن عليه.

٢٧٠-جش: [الفهرست للنجاشي] محمد بن جعفر عن أحمد بن محمد بن سعيد عن أحمد بن يوسف عن علي بن الحسين بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عن إسماعيل بن الحكم عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه^(٦).

(١) ذكره ابن شهر آشوب في عنوان: «خاصف النعل» من مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٢٤٤. و مراده من الخطيب هو موفق بن أحمد الخوارزمي و الحديث موجود في الفصل الرابع من الفصل: (١٦) من مناقب الخوارزمي - وهو المقصود للمصنف من أربعين الخطيب - ص ١٨٣ ط ٣.

و الحديث رواه الخوارزمي بسنده عن الحاكم، و الحاكم رواه في باب فضائل علي عليه السلام من كتاب المستدرک: ج ٣ ص ١٢٢، و ما وضعناه بين المعقوفين مأخوذة منها.

(٢) انظر الباب ٤٨ و ما حوله من كتاب الزكاة من صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٤٨ و ما حوله. و الحديث: (٣٢٣ و ٣٤١) و ما بعده من فضائل علي عليه السلام من كتاب الفضائل.

(٣) رواه ابن شهر آشوب في عنوان: «فصل في ظالميه و مقاتليه» من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٨، ط النجف. و للحديث أسانيد كثيرة و مصادر يجد الباحث كبراً منها تحت الرقم: (١٢٠٦) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٢٠٠ ط ٢.

و أيضاً رواه الحاكم النيسابوري بأسانيد كثيرة في كتاب الأربعين كما رواها عنه الحموي في الباب: (٥٣) من السمط الأول من فرائد السمطين: ج ١ ص ٢٧٨ ط بيروت. و رواها أيضاً السيوطي عن أربعين الحاكم في فضائل علي عليه السلام من كتاب اللاكء المصنوعة: ج ١ ص ٢١٣.

و أيضاً رواها عن الحاكم ابن كثير في ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣٠٥ كما رواها عنه المتقي في كنز العمال: ج ٦ ص ٧٢ ط ١.

و رواها أيضاً العلامة الأميني عن مصادر في ردّ مخاريق ابن تيمية و حكم قتال الجمل و صفين من كتاب الغدير: ج ٣ ص ١٧٤.

(٤) رواه الشيخ المفيد في المجلس: (٣) من أماليه ص ٧٣.

(٥) رواه الإربلي قبيل العنوان: «وأمّا تفصيل العلوم فمته ابتدؤها» من كتاب كشف الغمة: ج ١ ص ١٢٩، ط بيروت.

(٦) رواه النجاشي رفع الله مقامه في ترجمة أبي إفرهيم مولى رسول الله ﷺ من رجاله ص ٣.

عن أبي رافع قال دخلت على رسول الله ﷺ وهو نائم أو يوحى إليه وإذا حية في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فأوقظته فاضطجعت بينه وبين الحية حتى إن كان منها سوء يكون لي دونه فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ زَاكِيُونَ» ثم قال الحمد لله الذي أكمل لعلي منته و هنيئا لعلي بتفضيل الله إياه ثم التفت فرآني إلى جانبه فقال ما أضجعتك هاهنا يا أبا رافع فأخبرته خبر الحية فقال قم إليها فاقتلها فقتلتها.

ثم أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون عليا وهو على الحق وهم على الباطل يكون في حق الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم فبقبله فمن لم يستطع فليس وراء ذلك شيء^(١). فقلت يا رسول الله ادع لي إن أدركتهم أن يعينني الله ويقويني على قتالهم فقال اللهم إن أدركهم فقهه وأعنه ثم خرج إلى الناس فقال يا أيها الناس من أحب أن ينظر إلى أميني على نفسي وأهلي فهذا أبو رافع أميني على نفسي. قال عون بن عبيد الله بن أبي رافع فلما بويع علي ﷺ وخالفه معاوية بالشام وسار طلحة والزبير إلى البصرة قال أبو رافع هذا قول رسول الله ﷺ سيقاتل عليا قوم يكون حقا في الله جهادهم فباع أرضه بخيبر وداره خرج مع علي ﷺ وهو شيخ كبير له خمس وثمانون سنة وقال الحمد لله لقد أصبحت ولا أحد بمنزلي لقد بايعت البيعتين بيعة العقبة وبيعة الرضوان وصليت القبلتين وهاجرت الهجر الثلاث قلت وما الهجر الثلاث قال هاجرت مع جعفر بن أبي طالب رحمة الله عليه إلى أرض الحبشة وهاجرت مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وهذه الهجرة مع علي بن أبي طالب ﷺ إلى الكوفة.

فلم يزل مع علي حتى استشهد علي فرجع أبو رافع إلى المدينة مع الحسن ﷺ ولا دار له بها ولا أرض فقسم له الحسن دار علي بنصيف وأعطاه سنخ أرض أقطعها إياها فباعها عبيد الله بن أبي رافع من معاوية بمائة ألف وسبعين ألفا. ٢٧١-ك: [إكمال الدين] أبي عن العميري عن هارون عن ابن زياد عن جعفر عن آبائه ﷺ قال قال علي إن في النار لمدينة يقال لها الحصينة أفلا تسألوني ما فيها قليل وما فيها يا أمير المؤمنين فقال فيها أيدي الناكثين^(٢) ٢٧٢-كافية: المفيد عن إبراهيم بن عمر عن أبيه عن الأجلع عن عمران قال قال حذيفة من أراد منكم أن يقاتل شيعة الدجال فليقاتل أهل الناكثين وأهل النهروان^(٣).

٢٧٣-أقول قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة روى إبراهيم بن ديزيل الهمداني في كتاب صفين عن يحيى بن سليمان عن يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية عن أبيه عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه ومحمد بن الفضيل عن الأعشى عن إسماعيل بن رجاء.

عن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال كنا مع رسول الله ﷺ فانتقطع شمع نعله فألقاها إلى علي ﷺ يصلحها ثم قال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله قال لا فقال عمر بن الخطاب أنا هو يا رسول الله قال لا ولكنه ذاكم خاصف النعل. قال وكان يد علي ﷺ على نعل النبي ﷺ يصلحها^(٤).

قال أبو سعيد فأتيت عليا فبشرته بذلك فلم يحفل به كأنه شيء قد كان علمه من قبل وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب أيضا عن يحيى بن سليمان عن ابن فضيل عن إبراهيم بن الهجري عن أبي صادق قال. قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق فأدعت له الأزد جزرا فبعثوها معي فدخلت إليه فسلمت عليه وقلت له يا أبا أيوب قد كرمك الله بصحبة نبيه ﷺ ونزوله عليك فما لي أراك تستقبل الناس بسيفك فتقاتلهم هؤلاء مرة وهؤلاء مرة؟ قال إن رسول الله عهد إلينا أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم وعهد إلينا أن نقاتل معه الفاسطين فهذا وجهنا إليهم يعني معاوية وأصحابه وعهد إلينا أن نقاتل مع علي المارقين ولم أرهم بعد.

وانظر: الحديث: (٥) وتعليقه من كتاب التور المشتعل ص ٦٠ ط ١.

(١) كذا في طيبة الكمباني من كتاب البحار هذا.

(٢) الحديثان رواهما ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٨) - من نهج البلاغة - ج ١ ط بيروت ص ٦٤٣٠. وفي ط الحديث بمصر: ج ٣

ص ٢٠٦.

(٤) ما بين المعرفين الآخرين مأخوذ من شرح ابن أبي الحديد، وأما المعقوفات الأول فزيادة توضيحية منها.

٢٧٤- وأيضاً قال ابن أبي الحديد روى كثير من المحدثين عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال له إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد قال على الأحداث في الدين ومخالفة الأمر فقلت يا رسول الله إنك كنت وعدتني الشهادة فأسأل الله أن يجعلها لي بين يديك قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين أما إني وعدتك بالشهادة وتستشهد بضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذا فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال أجل أصبت فأعد للخصومة فإنك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلاً فقال إن أمتي ستقتن من بعدي فتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالبيز والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتقلب كلمة الضلال فكأن جلس بيتك حتى تقلدها فإذا قلدها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الأمور تقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى فقلت يا رسول الله فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك أيمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدرکہم العدل فقلت يا رسول الله أيدرکہم العدل منا أم من غيرنا فقال بل منا بنا فتح الله وبنا يختم وبنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله^(١).

وقال عند قوله ﷺ في الخطبة الشقشقية فلما نهضت بالأمر نكتت طائفة ومرت أخرى وفسقت آخرون ما هذا لفظه فأما الطائفة الناكثة فهم أصحاب الجمل وأما الطائفة القاسطة فأصحاب صفين وسامهم رسول الله ﷺ والقاسطين وأما الطائفة المارقة فأصحاب النهروان.

وأشرنا نحن بقولنا ساهم رسول الله القاسطين إلى قوله ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين وهذا الخبر من دلائل نبوته صلوات الله عليه لأنه إخبار صريح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس كما تحتمل الأخبار المجملة.

و صدق قوله ﷺ والمارقين^(٢) قوله أولاً في الخوارج يعرقون من الدين كما يعرق السهم من الرمية.

و صدق قوله الناكثين كونهم نكثوا البيعة بادئ بدء وقد كان يتلو وقت مبايعتهم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وأما أصحاب الصفين فإنهم عند أصحابنا مخلصون في النار لفسقتهم فصح فيهم قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا أُولَئِكَ حَطَّابًا﴾.

٢٧٥- كنز الكراجكي، عن القاضي أسد بن إبراهيم السلمي وكان من المخالفين المعاندين عن محمد بن أحمد الحنظلي عن عبد الله بن أحمد بن عامر عن محمد بن يونس عن أحمد بن مضا عن محمد بن يعقوب ومعاذ بن حكيم عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عوف بن مالك المازني^(٣).

عن ابن عباس قال رأيت أبا ذر الغفاري متعلقاً بحلقة بيت الله الحرام وهو يقول أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته باسمي أنا جندب الربذي أبو ذر الغفاري إني رأيت رسول الله في العام الماضي وهو أخذ بهذه الحلقة وهو يقول أيها الناس لو صمت حتى تكونوا كالأوتار و صليت حتى تكونوا كالحنايا ودعوتكم حتى تقطعوا إربا إرباً ثم أبغضتم علي بن أبي طالب أكبكم الله في النار.

ثم قال قم يا أبا الحسن فضع خمسك في خسي يعني كفك في كفي فإن الله اختارني وإياك من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها فمن قطع فرعها أكبه الله على وجهه في النار.

ثم قال:

علي سيد المرسلين وإمام المتقين يقتل الناكثين والمارقين والجاحدين.

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٥٧) من نهج البلاغة: ج ٣ ط الحديث ببيروت ص ٢٧٧.

وليلامح المختار: (١٢٢) وتعليقاته من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٣٩٧ ط ٢.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة: ج ١ ص ١٧٠، ط الحديث ببيروت، وفي ط الكفائي من البحار: «و صدق لقوله:

«والمارقين» قوله أولاً في الخوارج يعرقون من الدين كما يعرق السهم من الرمية.

(٣) رواه العلامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد.

٢٧٦- ينف: [الطرائف] روى محمود الخوارزمي في كتاب الفائق في الأصول في باب قال وقال يعني النبي ﷺ في ذكر بيان معجزاته يعني معجزات النبي ﷺ قال وقال يعني النبي ﷺ لعلي ﷺ سقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(١). ثم قال محمود الخوارزمي فقاتل علي طلحة والزبير بعد ما نكثا بيعته وقاتل معاوية وقومه وهم القاسطون أي الظالمون وقاتل الخوارج وهم المارقون.

هذا لفظ الخوارزمي.

ومن ذلك ما رواه الخوارزمي محمود في كتاب الفائق المذكور في باب ذكر سائر معجزاته ﷺ من قصة ذي الثدية الذي قتل مع الخوارج وقد رواه الحميدي في الحديث الرابع من المتفق عليه من مسند أبي سعيد الخدري في حديث ذي الثدية وأصحابه الذين قتلهم علي بن أبي طالب بالنهروان قال قال رسول الله ﷺ تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق.

وفي رواية الأوزاعي في صفة ذي الثدية أن إحدى ثديه مثل البيضة تدورت يخرجون على خير فرقة من المسلمين^(٢).

قال أبو سعيد الخدري فأشهد أنني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب ﷺ قاتلهم وأنا معه وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت.

قال صاحب الطرائف هذا لفظ ما رواه الحميدي في حديثه.

ومن ذلك ما رواه الخوارزمي في كتاب الفائق أيضا في باب ذكر سائر معجزاته ﷺ قال وقال يعني النبي ﷺ لعلي ﷺ ألا أخبرك بأشقى الناس رجلاً أحمر ثمود ومن يضربك يا علي هذا وضع يده على قرنه فيبتل منه هذه وأخذ بلمحيته فكان كما أخبر

هذا لفظ الخوارزمي وأحمر ثمود عاقر ناقة صالح وقاتل علي ﷺ هو عبد الرحمن بن ملجم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

٢٧٧- كنز: [كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة] محمد بن العباس عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن يحيى بن حسن بن فرات عن مصعب بن الهلقام العجلي عن أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبیش عن حذيفة قال في قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا نَذَرْنِيَّ بِكَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مُتَّقِمُونَ﴾ يعني بعلي بن أبي طالب ﷺ^(٣).

٢٧٨- كنز: [كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة] محمد بن العباس عن أحمد بن محمد بن موسى النوفلي عن عيسى بن مهران عن يحيى بن حسن بن فرات بإسناده إلى حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن عمه أنه قال إن النبي ﷺ لما نزل عليه قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا نَذَرْنِيَّ بِكَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مُتَّقِمُونَ﴾ قال أي بعلي كذلك حدثني جبرئيل^(٤).

٢٧٩- كنز: [كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة] محمد بن العباس عن عبد العزيز بن يحيى عن المغيرة بن محمد عن عبد الغفار بن محمد عن منصور بن أبي الأسود عن زياد بن المنذر^(٥).

عن عدي بن ثابت قال سمعت ابن عباس يقول ما حسدت قريش علياً ﷺ بشيء مما سبق له أشد مما وجدت عليه يوما ونحن عند رسول الله ﷺ فقال كيف أنتم معشر قريش لو قد كفرتم من بعدي فأريتموني في كنيئة أضرب وجوهكم بالسيف فهبط عليه جبرئيل فقال قل إن شاء الله أو علي فقال إن شاء الله أو علي

٢٨٠- كنز: [كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة] محمد بن العباس عن الحسين بن أحمد عن محمد بن عيسى عن يونس عن عبد الرحمن بن سالم^(٦).

(١) رواه السيد بن طاووس في الحديث: (١٥٤) من كتاب الطرائف ١٠٤.

(٢) كذا.

(٣) رواه العلامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد، وأكثرها رواها الحسكاني في الحديث: (٨٥١) من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٢.

(٤) رواه العلامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد، وأكثرها رواها الحسكاني في الحديث: (٨٥١) من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٢.

(٥) رواه العلامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد، وأكثرها رواها الحسكاني في الحديث: (٨٥١) من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٢.

(٦) رواه العلامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد، وأكثرها رواها الحسكاني في الحديث: (٨٥١) من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٢.

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ وقال الله انتقم بعلي عليه السلام يوم البصرة وهو الذي وعد الله رسوله

٢٨١- كنز: [كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة] محمد بن العباس عن علي بن عبد الله عن إبراهيم بن محمد عن علي بن هلال عن محمد بن الربيع قال قرأت على يوسف الأزرق حتى انتهيت في الزخرف إلى قوله ﴿فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ فقال يا محمد أمسك فأمسكت فقال يوسف قرأت على الأعمش فلما انتهيت إلى هذه الآية قال يا يوسف أتدري فيمن نزلت قلت الله أعلم قال نزلت في علي بن أبي طالب فإذا نذهبن بك فإذا منهم بعلي منتقمون محيت والله من القرآن واختلست والله من القرآن^(١).

٢٨٢- كنز: [كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة] محمد بن العباس عن ابن عقدة عن محمد بن أحمد عن المنذر بن جعفر بن الحكم عن أبيه عن منصور بن المعتمر^(٢).

٣١٤
٣٣ عن ربعي بن حراش قال خطبنا علي في الرحبة ثم قال إنه لما كان في زمان الحديبية خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أناس من قريش من أشرف أهل مكة فيهم سهيل بن عمرو فقالوا يا محمد أنت جارنا وحليفنا وابن عمنا ولقد لحق بك أناس من آبائنا وإخواننا وأقاربنا ليس بهم التفقه في الدين ولا رغبة فيما عندك ولكن إنما خرجوا فرارا من ضياعنا وأعمالنا وأموالنا فارددهم علينا.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر فقال له انظر فيما يقولون فقال صدقوا يا رسول الله وأنت جارهم فارددهم عليهم قال ثم دعا عمر فقال مثل قول أبي بكر فقال رسول الله عند ذلك لا تنتهون يا معشر قريش حتى يبيع الله عليكم رجلا امتحن الله قلبه للثقوى يضرب رقابكم على الدين.

فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله قال لا فقام عمر فقال أنا هو يا رسول الله قال لا ولكنه خاضف النعل وأنا كنت أخضف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله قال ثم التفت إلينا علي عليه السلام فقال سمعت رسول الله يقول من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار

٢٨٣- أقول روى في المستدرک من کتاب فضائل الصحابة للسمعاني بإسناده إلى ربعي مثله^(٣).

٣١٥
٣٢ ٢٨٤- مد: [العمدة] بإسناده إلى أحمد بن حنبل من مسنده بإسناده إلى ابن عباس أن عليا كان يقول في حيات رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله عز وجل قال أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَاللَّهِ لَا تَنْقَلِبُنَا عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا لِلَّهِ لَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَا قَاتِلَ عَلَيَّ مَا قَاتِلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَمُوتَ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخُوهُ وَلِيهِ وَابْنُ عَمِّهِ وَوَارِثُهُ وَمَنْ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي^(٤).

٢٨٥- مد: [العمدة] من الجزء الثاني من كتاب الشريعة تصنيف الشيخ أبي بكر محمد بن الحسين تلميذ أبي بكر ولد أبي داود السجستاني عن عبد الله بن محمد بن ناجية عن أحمد بن يحيى الصوفي عن حسين بن حسن الأشقر عن سابع عن علي بن الحكم العيدي عن الأعمش عن إبراهيم^(٥).

عن علقمة بن قيس والأسود بن يزيد قال أتينأبا أيوب الأنصاري فقلنا إن الله تبارك وتعالى أكرمك بمحمد إذ أوحى إلى راحلته فبرك على بابك فكان رسول الله صلى الله عليه وآله ضيفك فضلك الله عز وجل بها ثم خرجت تقاتل مع علي بن أبي طالب عليه السلام!

٣١٦
٣٢ فقال أبو أيوب مرحبا بكما وأهلا إنني أقسم لكما بالله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام جلس عن يمينه وأنا

(١) رواه العلامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد، وأكثرها رواها الحسناني في الحديث: (٨٥١) من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٢.

(٢) رواه العلامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد، وأكثرها رواها الحسناني في الحديث: (٨٥١) من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٢.

(٣) لم يصل إلني كتاب المستدرک، ولكن الحديث الذي رواه عن السمعي له مصادر كثيرة تقدم ذكر بعضها.

(٤) رواه يحيى بن الحسن بن البطريق رفع الله مقامه في الفصل: (١٩) من كتاب العمدة ص ٨٤ والحديث مذكور تحت الرقم: (٢٣٢) من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الفضائل - تأليف أحمد بن حنبل وابنه - ص ١٦٦، ط ١.

وقد ذكرناه في المختار: (٣) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٢٧ ط ٢ عن مصادر كثيرة.

(٥) رواه ابن البطريق في أواخر الفصل: (٣٦) في أواخر كتاب العمدة ص ٢٣٥. وقرئاً منه رواه أيضاً في أواسط الفصل: (٣٦) ص ١٧٨، نقلاً عن رزين العيدي في كتاب الجمع بين الصحاح الستة عن موطأ مالك بن أنس الأصبغي.



قام بين يديه إذ حرك الباب فقال رسول الله ﷺ يا أنس انظر من بالباب فخرج ونظر ورجع وقال هذا عمار بن ياسر قال قال أبو أيوب فسمعت رسول الله ﷺ يقول يا أنس افتح لعمار الطيب المطيب ففتح أنس الباب فدخل عمار فسلم على رسول الله ﷺ فرد عليه ورحب به وقال يا عمار إنه سيكون في أمتي بعد هنات واختلاف حتى يختلف السيف بينهم حتى يقتل بعضهم بعضاً وتبترأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني يعني علياً فإن سلك الناس كلهم وادياً وعلي وادياً فاسلك وادي علي واخل الناس طراً يا عمار إنه لا يزيلك عن هدى.

يا عمار إن طاعة علي لمن طاعتي وطاعة الله عز وجل

٢٨٦- أقول وروى في المستدرک، من کتاب حلیۃ الأولیاء بإسناده عن المنهال بن عمرو عن زر أنه سمع علياً يقول أنا فقات عین الفتنة ولو لا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل ولو لا أنني أخشى أن تتركوا العمل لأنبيائكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم ﷺ لمن قاتلهم بمصر بضلالتهم عارفاً بالهدى الذي نحن عليه^(١).

٢٨٧- وبإسناده عن ربعي بن حراش قال خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام بالمدينة فقال جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله فقال اردد علينا أبناءنا وأرقاونا فإنما خرجوا نعوذوا بالإسلام فقال النبي ﷺ لا تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان يضرب رقابكم على الدين^(٢).

٢٨٨- ومن كتاب فضائل الصحابة للسمعاني بإسناده عن أبي الزبير عن جابر قال لما أنزلت على النبي ﷺ قَائِماً نَذِيبٌ بِكَ قَائِماً مِنْهُمْ مُنْتَبِهُونَ قال بعلي بن أبي طالب^(٣).
أقول: قد مر بعض الأخبار في باب شكايته عليه السلام.

باب ٨ باب حكم من حارب علياً أمير المؤمنين صلوات الله عليه

٢٨٩- ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] الحسين بن أحمد البيهقي عن محمد بن يحيى الصولي عن عون بن محمد عن سهل بن القاسم قال سمع الرضا عليه السلام بعض أصحابه يقول لعن الله من حارب أمير المؤمنين عليه السلام فقال له قل إلا من تاب وأصلح ثم قال له ذنب من تخلف عنه ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثم تاب^(٤).

٢٩٠- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المغيرة عن علي بن بلال عن محمد بن الحسين بن حميد اللحمي عن سليمان بن الربيع عن نصر بن مزاحم^(٥).

قال علي بن بلال وحدثني علي بن عبد الله بن أسد الأصفهاني عن الثقيفي عن محمد بن علي عن نصر بن مزاحم عن يحيى بن يعلى الأسلمي عن علي بن الحزور.

(١) تقدّم الحديث عن مصدر آخر تحت الرقم: (٢٤٨) في الباب: (٧) ص ٤٥٦ من طبعة الكماني.

والحديث رواه أبو نعيم في ترجمة زر بن جُبَيْش الأسدي من كتاب حلية الأولياء: ج ١، ص ١٨٦.

ورواه أيضاً النسائي المتوفى سنة: (٣٠٣) في الحديث: (١٨٨) من كتاب خصائص أمير المؤمنين ص ٣٢٤ وقد ذكرناه في تعليقه عن مصادر كثيرة.

وقد ذكرناه أيضاً عن مصادر في المختار: (٢٧٦) وما قبله من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٣٥ - ٤٤٧ ط ١.

(٢) للحديث أسانيد كثيرة ومصادر جمة يجد الباحث كثيراً منها تحت الرقم: (٨٧٣) وما بعده وتعليقاته من ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٣٦٦ - ٣٧٥ ط ٢.

(٣) للحديث أسانيد كثيرة ومصادر يجد الطالب كثيراً منها في الحديث: (٨٥١) وما بعده وتعليقاته من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٣ ط ١.

١. وفي الفصل (١١) من كتاب خصائص الوحي المبين ص ٩٧ ط ١.

(٤) رواه الشيخ الصدوق في آخر الباب: (٢٢) من كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام - ج ٢ ص ٨٦ طبع النجف.

(٥) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في المجلس: (١٢) من أماليه ص ٦٧.

ورواه عنه الشيخ الطوسي في الحديث: (٣٩) من الجزء (٧) من أماليه: ج ١، ص ٢٠٠.

وقد تقدم عن المصنف نقل الحديث عن كتاب الاحتجاج في الحديث: (١٣٦) في الباب: (٣) ص ٤٣٦.

ورواه أيضاً ابن شهر آشوب في عنوان: «فصل في ظالميه ومقاتلته» من مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٩، ط النجف.

عن الأصمعي بن نباتة قال جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد فبم نسميهم قال بما سماهم الله تعالى في كتابه فقال ما كل ما في كتاب الله أعلمه فقال أما سمعت الله تعالى يقول في كتابه «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ فَلَمَّا وَقَعَ الْاِخْتِلَافُ كُنَّا نَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ عِزًّا وَ بَدِينَةً وَ بِالنَّبِيِّ وَ بِالْكِتَابِ وَ بِالْحَقِّ فَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ شَاءَ اللَّهُ مِمَّا قَاتَلَهُمْ فَقَاتَلْنَاهُمْ بِمَشِيئَةٍ وَ إِرَادَةٍ

٢٩١- جا: [المجالس للمفيد] علي بن بلال مثله^(١).

٢٩٢- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] اختلفوا في محاربة علي عليه السلام فقالت الزيدية و من المعتزلة النظام و بشر بن المعتمر و من المرجئة أبو حنيفة و أبو يوسف و بشر المريسي و من قال بقولهم إنه كان مصيبا في حروبه بعد النبي صلى الله عليه وآله و إن من قاتله كان على خط^(٢).

و قال أبو بكر الباقلاني و ابن إدريس من نازع عليا عليه السلام في خلافته فهو باغ.

و في تلخيص الشافعي أنه قالت الإمامية من حارب أمير المؤمنين كان كافرا يدل عليه إجماع الفرقة و إن من حاربه كان منكرا لإمامته و دافعا لها و دفع الإمامة كفر كما أن دفع النبوة كفر لأن الجهل بهما على حد واحد و قوله عليه السلام من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية و ميتة الجاهلية لا تكون إلا على كفر. و قوله اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و لا تجب عداوة أحد بالإطلاق دون الفساق.

و من حاربه كان يستحل دمه و يتقرب إلى الله بذلك و استحلال دم المؤمن كفر بالإجماع و هو أعظم من استحلال جرة من الخمر الذي هو كفر بالاتفاق فكيف استحلال دم الإمام و روى عنه المخالف و المؤلف يا علي حرك حربي و سلمك سلمي و معلوم أنه عليه السلام إنما أراد أن أحكام حرك تماثل أحكام حربي و لم يرد أن أحد الحريين هو الآخر لأن المعلوم خلاف ذلك و إذا كان حرب النبي كفرا و جب مثل ذلك في حربه و روى أبو عيسى في جامعه و السمعاني في كتابه و ابن ماجة في سننه و أحمد في المسند و الفضائل و ابن بطة في الإبانة و شيرويه في الفردوس و السدي في التفسير و القاضي المحاملي كلهم عن زيد بن أرقم.

و روى الثعلبي في تفسيره عن أبي هريرة و أبو الجحاف عن مسلم بن صبيح كلهم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه نظر إلى علي وفاطمة و الحسن و الحسين فقال أنا حرب لمن حاربكم و سلم لمن سالمكم تاريخ الطبري و أربعين ابن المؤذن قالا روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي و فاطمة و الحسن و الحسين أنا حرب لمن حاربكم و سلم لمن سالمكم ابن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وآله له عادية من عاداك و سالت من سالمك^(٣). الخركوشي في اللوامع قال قال النبي صلى الله عليه وآله من قاتلني في الأولى و قاتل أهل بيتي في الثانية فأولئك شيعة الدجال.

٢٩٣- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] عن أبي جعفر عليه السلام أنه ذكر الذين حاربهم علي عليه السلام فقال أما إنهم أعظم جرما ممن حارب رسول الله صلى الله عليه وآله قيل له و كيف ذلك يا ابن رسول الله قال أولئك كانوا أهل جاهلية و هؤلاء قراء القرآن و عرفوا أهل أفضل فأتوا ما أتوا بعد البصرة^(٤).

٢٩٤- فر: [تفسير فرات بن إبراهيم] الحسن بن علي بن بزيع معننا عن أبي جعفر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام يا

(١) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في المجلس: (١٢) من أماليه ص ٦٧.

ورواه عنه الشيخ الطوسي في الحديث: (٣٩) من الجزء (٧) من أماليه: ج ١، ص ٢٠٠.

وقد تقدم عن المصنف نقل الحديث عن كتاب الاحتجاج في الحديث: (١٣٦) في الباب: (٣) ص ٤٣٦.

ورواه أيضاً ابن شهر آشوب في عنوان: «فصل في ظالميه ومقاتليه» من مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٩، ط النجف.

(٢) رواه ابن شهر آشوب في عنوان: «فصل في ظالميه ومقاتليه» من مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٧.

(٣) كذا في طبع الكلباني من البحار. وفي طبع النجف من مناقب آل أبي طالب: «ابن مسعود قال [قال النبي] [عليه السلام]: عادية من عاداك وسالت من سالمك.

(٤) أيضاً رواه ابن شهر آشوب في العنوان المتقدم الذكر من مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٨، ط النجف.

معشر المسلمين فَقَاتِلُوا أَتَيْتُهُ الْكُفْرَ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَنَبَّهُونَ ثُمَّ قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ هُمْ وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ يَعْنِي أَهْلَ صَفِينَ وَ الْبَصْرَةَ وَ الْخَوَارِجَ^(١).

٢٩٥- فر: [تفسير فرات بن إبراهيم] الحسين بن سعيد معنا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال تلا رسول الله هذه الآية لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ثُمَّ قَالَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ مِنْ أَطَاعَنِي وَ سَلِمَ لِعَلِي الْوَلَايَةَ بَعْدِي وَأَصْحَابُ النَّارِ مِنْ نَبَضَ الْبَيْعَةَ وَ الْعَهْدَ وَ قَاتَلَ عَلِيًا بَعْدِي أَلَا إِنَّ عَلِيًا بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ حَارَبَهُ فَقَدْ حَارَبَنِي^(٢).

ثم دعا علياً فقال يا علي حرك حربي و سلمك سلمي و أنت العلم فيما بيني و بين أمتي
٢٩٦- كا: [الكافي] محمد بن يحيى عن ابن عيسى عن محمد بن خالد و الحسين بن سعيد معا عن النضر عن يحيى الحلبي عن ابن مسكان^(٣).

عن ضريس قال تمارى الناس عند أبي جعفر^(٤) فقال بعضهم حرب علي شر من حرب رسول الله^(٥) و قال بعضهم حرب رسول الله^(٦) شر من حرب علي^(٧) قال فسمعهم أبو جعفر^(٨) فقال ما تقولون فقالوا أصلحك الله تمارينا في حرب رسول الله^(٩) و في حرب علي^(١٠) فقال بعضنا حرب علي شر من حرب رسول الله^(١١) و قال بعضنا حرب رسول الله^(١٢) شر من حرب علي^(١٣) فقال أبو جعفر^(١٤) لا بل حرب علي أشد من حرب رسول الله^(١٥) فقلت جعلت فداك أحرب علي شر من حرب رسول الله قال نعم و سأخبرك عن ذلك إن حرب رسول الله^(١٦) لم يقرؤا بالإسلام و إن حرب علي^(١٧) أقرؤوا بالإسلام ثم جحدوه

٢٩٧- ب: [قرب الإسناد] ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه أن علياً^(١٨) كان يقول لأهل حربه إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم و لم نقاتلهم على التكفير لنا و لكننا رأينا أنا على حق و رأوا أنهم على حق^(١٩).

٢٩٨- ب: [قرب الإسناد] بالإسناد قال إن علياً لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك و لا إلى النفاق و لكنه كان يقول هم إخواننا بغوا علينا^(٢٠).

٢٩٩- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن أبي عبد الله المرزباني قال وجدت بخط محمد بن القاسم بن مهران قال حدثني الحمدوني الشاعر قال سمعت الرياشي ينشد للسيد بن محمد الحميري^(٢١).

أنا امرأاً خصمه أبو حسن
لا يقبل الله منه معذرة
لعازب الرأي داحض الحجج
ولا يسلقته حجة الفلج

٣٠٠- كا: [الكافي] بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر^(٢٢) قال إن الله عز و جل نصب علياً^(٢٣) علماً بينه و بين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً و من أنكره كان كافراً و من جهله كان ضالاً و من نصب معه شيئاً كان مشركاً و من جاء بولايته دخل الجنة^(٢٤).

٣٠١- و عن أبي حمزة قال سمعت أبا جعفر^(٢٥) يقول إن علياً^(٢٦) باب فتحه الله فمن دخله كان مؤمناً و من خرج منه كان كافراً و من لم يدخل فيه و لم يخرج منه كان في الطبقة الذين قال الله تبارك و تعالى لي فيهم المشية^(٢٧).

٣٠٢- و عن أبي سلمة عن أبي عبد الله^(٢٨) قال سمعته يقول نحن الذين فرض الله طاعتنا لا يسع الناس إلا

(١) رواه فرات بن إبراهيم في أواسط تفسير سورة التوبة في تفسير الآية (١٢) منها من تفسيره ص ٥٧ ط ١.

(٢) رواه فرات بن إبراهيم الكليني في تفسير الآية: (٢٠) من سورة العنبر من تفسيره ص ١٨١ ط ١.

ورواه الشيخ الطوسي بسند آخر في الحديث: (١٢) من الجزء (١٣) من أماليه: ج ١، ص ٣٧٣ ط بيروت.

(٣) رواه ثقة الإسلام الكليني.

(٤) رواه الحميري في الحديث: «٢٩٧ و ٣٠٢» من كتاب قرب الإسناد، ص ٤٥ ط ١.

(٥) رواه الحميري في الحديث: «٢٩٧ و ٣٠٢» من كتاب قرب الإسناد، ص ٤٥ ط ١.

(٦) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: «٥٦ من الجزء (٨) من أماليه: ج ١، ص ٢٣٤.

(٧) رواها ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في «باب فرض طاعة الأئمة» وفي باب: «تف وجامع من الراوية في الولاية» من كتاب

الحجة من أصول الكافي: ج ١، ص ١٨٧ و ٤٣٧ ط الآخوند.

(٨) رواها ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في «باب فرض طاعة الأئمة» وفي باب: «تف وجامع من الراوية في الولاية» من كتاب

الحجة من أصول الكافي: ج ١، ص ١٨٧ و ٤٣٧ ط الآخوند.

معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا من عرفنا كان مؤمنا ومن أنكرنا كان كافرا ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالا حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة فإن يمت على ضلالتة يفعل الله به ما يشاء^(١).

٣٠٣- وعن محمد بن الفضيل عن أبي جعفر^(٢) قال جئنا إيمان وبغضنا كفر^(٣).

٣٠٤- وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج روى نصر بن مزاحم عن أبي عبد الرحمن السعدي عن يوسف بن الأرقم عن عوف بن عبد الله عن عمرو بن هند عن أبيه قال لما نظر علي^(٤) إلى أصحاب معاوية وأهل الشام قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا عليه أعوانا رجعوا إلى عداوتهم لنا إلا أنهم لم يتركوا الصلاة^(٥).

٣٠٥- وعن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال لما كان قتال صفين قال رجل لعمار يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله^(٦) قاتلوا الناس حتى يسلموا فإذا أسلموا عصموا مني دماءهم وأموالهم قال بلى ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا^(٧).

٣٠٦- وعن حبيب عن منذر الثوري قال قال محمد بن الحنفية لما أتاهم رسول الله^(٨) من أعلى الوادي ومن أسفله وملا الأودية كتاب يعني يوم فتح مكة استسلموا حتى وجدوا أعوانا^(٩).

٣٠٧- كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي بإسناده عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله^(١٠) من فارقتي فقد فارق الله ومن فارق عليا فقد فارقتي^(١١).

٣٠٨- الكافية في إبطال توبة الخاطئة، عن صالح بن أبي الأسود عن كثير النواء قال سألت أبا جعفر عن محاربي أمير المؤمنين صلوات الله عليه أقتلهم وهم مؤمنون قال إذا كان يكون والله أضل من بغلي هذا^(١٢).

٣٠٩- وعن محمد بن يحيى عن أبي الجارود عن جعفر بن محمد عن أبيه^(١٣) قال الشاك في حرب علي^(١٤) كالشاك في حرب رسول الله^(١٥).

٣١٠- وعن صالح بن أبي الأسود عن أخيه أسيد بن أبي الأسود قال سألت عبد الله بن الحسن عن محاربي أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال ضلال قتل ضلال مؤمنون قال لا ولا كرامة إنما هذا قول المرجئة الخبيثة

٣١١- وعن يوسف بن كليب السعدي قال حدثنا أبو مالك عن عبد الله بن عطاء عن أبي جعفر محمد بن علي^(١٦) قال قال علي صلوات الله عليه لعن أهل الجمل فقال رجل يا أمير المؤمنين إلا من كان منهم مؤمنا فقال^(١٧) عليك ما كان فيهم مؤمن.

٣١٢- وعن زياد بن المنذر عن عطية عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال الشاك في حرب علي كالشاك في حرب رسول الله^(١٨).

(١) رواها ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في «باب فرض طاعة الأئمة» وفي باب: «تنف وجوامع من الراوية في الولاية» من كتاب الحجة من أصول الكافي: ج ١، ص ١٨٧، و ٤٣٧ ط الآخوند.

(٢) رواها ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في «باب فرض طاعة الأئمة» وفي باب: «تنف وجوامع من الراوية في الولاية» من كتاب الحجة من أصول الكافي: ج ١، ص ١٨٧، و ٤٣٧ ط الآخوند.

(٣) رواها ابن أبي الحديد في آخر شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٧٦٠ ط بيروت، وفي ط الحديث بمصر: ج ٤ ص ٣١. وقد رواها نصر بن مزاحم في الرقعة الثالثة من القتال بصفتين وهي مقاتلة عشار بن ياسر وأصحابه مع عمرو بن العاص وأصحابه في أول الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ ط مصر، وفي ط ص ٢٤١.

(٤) رواها ابن أبي الحديد في آخر شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٧٦٠ ط بيروت، وفي ط الحديث بمصر: ج ٤ ص ٣١. وقد رواها نصر بن مزاحم في الرقعة الثالثة من القتال بصفتين وهي مقاتلة عشار بن ياسر وأصحابه مع عمرو بن العاص وأصحابه في أول الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ ط مصر، وفي ط ص ٢٤١.

(٥) رواها ابن أبي الحديد في آخر شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٧٦٠ ط بيروت، وفي ط الحديث بمصر: ج ٤ ص ٣١. وقد رواها نصر بن مزاحم في الرقعة الثالثة من القتال بصفتين وهي مقاتلة عشار بن ياسر وأصحابه مع عمرو بن العاص وأصحابه في أول الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ ط مصر، وفي ط ص ٢٤١.

(٦) وهذا هو الحديث: (١٩٥) من تلخيص كتاب الفاراة: ج ٢ ص ٥٢١ ط ١.

(٧) الكافية غير موجودة عندنا.

- ٣١٣- وعن يونس بن أرقم عن الحسين بن دينار عن الحسن البصري قال حدثني من سمع طلحة يوم الجمل حيث أصابه السهم ورأى الناس قد انهزموا أقبل على رجل فقال ما أَرَأَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا إِلَّا كَفَّارًا.
- ٣١٤- وعن إبراهيم بن عمر قال حدثني أبي عن بكر بن عيسى قال قال الزبير يوم الجمل لمولى له ما أَرَأَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا إِلَّا كَفَّارًا.
- ٣١٥- وعن مصعب بن سلام عن موسى بن مطير عن أبيه عن أم حكيم بنت عبد الرحمن بن أبي بكر قال لما نزل بعائشة الموت قلت لها يا أمتاه ندفنك في البيت مع رسول الله ﷺ وقد كان فيه موضع قبر تدخره لنفسها قالت لا تعلمون حيث سرت ادفنوني مع صواحي فلست خيرهن.
- ٣١٦- وعن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عائشة أنها قالت ادفنوني مع أزواج النبي ﷺ فإني قد أحدثت بعده حدثًا.

تذييل

اعلم أنه اختلف في أحكام البغاة في مقامين:
 الأول في كفرهم فذهب أصحابنا إلى كفرهم قال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد محاربو علي كفرة و مخالفوه فسقة.

أقول ولعل مراده أن مخالفيه في الحرب والذين لم ينصروه فسقة كما يومي إليه بعض كلماته فيما بعد.

وذهب الشافعي إلى أن الباغي ليس باسم ذم بل هو اسم من اجتهد فأخطأ بمنزلة من خالف الفقهاء في بعض المسائل.

وقال شارح المقاصد والمخالفون لعلي ﷺ بغاة لخروجهم على إمام الحق بشبهة من ترك القصاص من قتلة عثمان.

ولقوله ﷺ لعمار تقتلك الفئة الباغية وقد قتل يوم صفين على يد أهل الشام.

ولقول علي ﷺ إخواننا بغوا علينا.

وليسوا كفارا ولا فسقة وظلمة لما لهم من التأويل وإن كان باطلا فغاية الأمر أنهم أخطأوا في الاجتهاد وذلك لا يوجب التفسير فضلا عن التكفير.

٣٢٨
٣٢٢

وذهبت المعتزلة إلى أنه اسم ذم و يسمونهم فساقا.

أقول: والدلائل على ما ذهب إليه أصحابنا أكثر من أن تحصى وقد مضت الأخبار الدالة عليه وسيأتي في أبواب حب أمير المؤمنين ﷺ وبغضه وأبواب مناقبه وإيرادها هنا يوجب التكرار فبعضها صريح في كفر مبغض أهل البيت ﷺ ولا ريب في أن الباغي مبغض.

وبعضها يدل على كفر من أنكر إمامة أمير المؤمنين ﷺ وأبغضه.

وبعضها يدل على أن الجاحد له ﷺ من أهل النار ولو عبد الله منذ خلق السماوات والأرضين في أشرف الأماكن وظاهر أن المؤمن مع تلك العباد لا يكون من أهل النار.

وبعضها يدل على كفر من لم يعرف إمام زمانه وذلك مما اتفقت عليه كلمة الفريقين والباغي لا يجامع في الغالب معرفة الإمام ولو فرض باغ على الإمام لأمر دينوي من غير بغض له ولا إنكار لإمامته فهو كافر أيضا لعدم القاتل بالفرق.

ثم إن الظاهر أن قوله تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَجَانَبُوهَا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتًا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ لا يتعلق بقتال البغاة بالمعنى المعروف لما عرفت من كفرهم وإطلاق المؤمن عليهم باعتبار ما كانوا عليه بعيد.

وظاهر الآية الآتية وهي قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بقاء المذكورين في الآية السابقة على الإيمان ولعله السر في خلو أكثر الأخبار عن الاحتجاج بهذه الآية في هذا المقام

٣٢٩
٣٢٢

فتكون الآية مسوقة لبيان حكم طائفتين من المؤمنين تعدى و بغت إحداهما على الأخرى لأمر ديني أو غيرها ما لا يؤدي إلى الكفر.

المقام الثاني فيما اغتنمه المسلمون من أموال البغاة فذهب بعض الأصحاب إلى أنه لا يقسم أموالهم مطلقا. و ذهب بعضهم إلى قسمة ما حواه العسكر دون غيره من أموالهم و تمسك الفريقان بسيرته ﷺ في أهل البصرة. قال الأولون لو جاز الاغتنام لم يرد ﷺ عليهم أموالهم و قد روي أنه ﷺ نادى من وجد ماله فله أخذه فكان الرجل منهم يمر بمسلم يطبخ في قدره فيسأله أن يصبر حتى ينضج فلا يصبر فيكفأها و يأخذها و إنه كان يعطي من القوم من له بيعة و من لم يكن له بيعة فيحلفه و يعطيه.

و قال الآخرون لو لا جوازه لما قسم ﷺ أموالهم أولا بين المقاتلة و قد كان ردها عليهم بعد ذلك على سبيل المن لا الاستحقاق كما من النبي ﷺ على كثير من المشركين و قد رووا عنه ﷺ أنه قال مننت على أهل البصرة كما من النبي ﷺ على أهل مكة و لذا ذهب بعض أصحابنا إلى جواز استرقاقهم كما جاز للرسول ﷺ في أهل مكة و المشهور بين علمائنا عدمه.

والذي نفهم من الأخبار أنهم واقعا في حكم المشركين وغنائمهم وسيبهم في حكم غنائم المشركين وسيبهم والقائم ﷺ يجري تلك الأحكام عليهم ولما علم أمير المؤمنين ﷺ استيلاء المخالفين على شيعته لم يجر هذه الأحكام عليهم لئلا يجروها على شيعته وكذا الحكم بطهارتهم وجواز مناعتهم وحل ذبيحتهم لاضطرار معايشة الشيعة معهم في دولة المخالفين.

٣١٧- ويدل عليه ما رواه الكليني بإسناده عن أبي بكر الحضرمي قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول لسيرة علي ﷺ يوم البصرة كانت خيرا لشيعته مما طلعت عليه الشمس أنه علم أن للقوم دولة فلو سباهم لسيبت شيعته. قلت فأخبرني عن القائم ﷺ أسير بسيرته قال لا إن عليا ﷺ سار فيهم بالمن للعلم من دولتهم وإن القائم ﷺ يسير فيهم بخلاف تلك السيرة لأنه لا دولة لهم و أما ما لم يحوها العسكر من أموالهم فنقلوا الإجماع على عدم جواز تملكها وكذلك ما حواه العسكر إذا رجعوا إلى طاعة الإمام وإنما الخلاف فيها حواه العسكر مع إصرارهم. وأما مدبرهم و جريحهم و أسيرهم فذو الفقة منهم يتبع و يجهز عليه و يقتل بخلاف غيره. و قد مضت الأخبار في ذلك و سيأتي في باب سيره ﷺ في حروبه.

تكملة

٣٣١- قال الشيخ قدس الله روحه في تلخيص الشافي^(١) عندنا أن من حارب أمير المؤمنين ﷺ وضرب وجهه ووجه أصحابه بالسيف كافر و الدليل المعتقد في ذلك إجماع الفرقة المحقة الإمامية على ذلك فإنهم لا يختلفون في هذه المسألة على حال من الأحوال و قد دللنا على أن إجماعهم حجة فيها تقدم. وأيضا فنحن نعلم أن من حاربه كان منكرا لإمامته ودافعا لها ودفع الإمامة كفر كما أن دفع النبوة كفر لأن الجهل بهما على حد واحد و قد روي عن النبي ﷺ أنه قال من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وميتة الجاهلية لا تكون إلا على كفر.

وأيضا روي عنه ﷺ أنه قال حربي يا علي حربي وسلمك يا علي سلمي ومعلوم أنه إنما أراد أحكام حربيك تماثل أحكام حربي ولم يرد أن أحد الحريين هي الأخرى لأن المعلوم ضرورة خلاف ذلك فإن كان حرب النبي ﷺ كفرا وجب مثل ذلك في حرب أمير المؤمنين ﷺ لأنه جعله مثل حربه.

ويدل على ذلك أيضا قوله اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و نحن نعلم أنه لا يجب عداوة أحد بالإطلاق إلا عداوة الكفار.

(١) ذكره في تلخيص الشافي: ج ٣ ص ١٣٥، ط النجف الأشرف.

وأيضاً فنحن نعلم أن من كان يقاتله يستحل دمه و يقترب إلى الله بذلك و استحلال دم امرئ مسلم مؤمن كفر بالإجماع و هو أعظم من استحلال جرة من الخمر الذي هو كفر بالاتفاق.

فإن قيل لو كانوا كفاراً لوجب أن يسير فيهم بسيرة الكفار فيتبع مولاهم و يجهز على جريحهم و يسبي ذراريهم فلما لم يفعل ذلك دل على أنهم لم يكونوا كفاراً.

قلنا لا يجب بالتساوي في الكفر التساوي في جميع أحكامه لأن أحكام الكفر مختلفة فحكم الحربي خلاف حكم الذمي و حكم أهل الكتاب خلاف حكم من لا كتاب له من عباد الأصنام فإن أهل الكتاب يؤخذ منهم الجزية و يقرون على أديانهم و لا يفعل ذلك بعباد الأصنام.

و عند من خالفنا من الفقهاء يجوز التزوج بأهل الذمة وإن لم يجز ذلك في غيرهم و حكم المرتد بخلاف حكم الجميع.

و إذا كان أحكام الكفر مختلفة مع الاتفاق في كونه كفراً لا يمتنع أن يكون من حاربه عليه السلام كافراً و إن سار فيهم بخلاف أحكام الكفار.

و أما المعتزلة وكثير من المنصفين من غيرهم فيقولون بفسق من حاربه عليه السلام و نكث بيعته و مرق عن طاعته ولكنهم إنما يدعون أنهم تابوا بعد ذلك و يرجعون في ادعاء توبتهم إلى أمور غير مقطوع بها و لا معلومة من أخبار الآحاد. و المعصية منهم معلومة مقطوع عليها و ليس يجوز الرجوع عن المعلوم إلا بمعلوم مثله.

٣١٨- و قد روى الواقدي ^(١) بإسناده أن أمير المؤمنين عليه السلام لما فتح البصرة كتب إلى أهل الكوفة بالفتح. بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حكم عدل لا يغير ما يقوّم حتى يغيروا ما بأنفسهم و إذا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ.

وإني أخبركم عنا و عن سرنا إليه من جموع أهل البصرة و من تأشب إليهم ^(٢) من قريش و غيرهم مع طلحة و الزبير و نكثهم صفقة أيمانهم و تنكبهم عن الحق فنهضت من المدينة حين انتهى إلي خبرهم حين ساروا إليها في جماعتهم و ما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار فبعثت الحسن بن علي و عمار بن ياسر و قيس بن سعد فاستفرتكم بحق الله و حق رسوله فأقبل إلي إخوانكم سراعاً حتى قدموا علي فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء و قدمت بالحجة و أقلت العثرة و الزلة و استبتهت من نكثهم بيعتي و عهد الله عليهم فأبوا إلا قتالي و قتال من معي و التمادي في الغي فناهضتهم بالجهاد في سبيل الله فقتل الله من قتل منهم ناكثاً و ولي من ولي إلى مصرهم فسألوني ما دعوتهم إليه قبل القتال فقبلت منهم و أغمدت السيف عنهم و أخذت بالغفو عنهم و أجريت الحق و السنة بينهم و استعملت عبد الله بن عباس على البصرة و أنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

و قد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفي لتسأوه و ليخبركم عني و عنهم و ردهم الحق علينا فردهم الله و هم كارهون و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

و كتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى سنة ست و ثلاثين.

فكيف يكون طلحة و الزبير تائبين و قد صرح أمير المؤمنين عليه السلام بأنهما تماديا في الغي حتى قتلنا ناكثين. و قد روى أبو مخنف لوط بن يحيى هذا الكتاب بخلاف هذه الألفاظ.

٣١٩- و روي في جملة بعد حمد الله و الثناء عليه و ذكر بقي القوم و نكثهم: و حاكمناهم إلى الله فأدانا عليهم فقتل طلحة و الزبير و قد تقدمت إليهما بالمعذرة و أبلغت إليهما في النصيحة و استشهدت عليهما صلحاء الأمة فما أطاع المرشدين و لا أجابا الناصحين.

(١) و قد روى مثله الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الفصل: (٢٨) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإرشاد. ص ١٣٧، ط النجف. (٢) ما بين المعرفين مأخوذ من رواية الشيخ المفيد في كتاب الجمل ص ٢١٣، و قد ذكرناها في المختار: (٣٤) من باب الكتب من كتاب نهج السعادة: ج ٤ ص ٧٣ ط ١. و يقال: إن القوم أشبوا و تأشبوا و انتشروا أي اتفوا و خلط بعضهم ببعض.

و لا ذ أهل البغي يعاشة فقتل حولها عالم جم و ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا فما كانت ناقة الحجر بأشأم عليهم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت من الحوب الكبير في معصية ربها و نبياها و اغترارها في تفريق المسلمين و سفك دماء المسلمين بلا بينة و لا معذرة و لا حجة ظاهرة.

فلما هزمهم الله أمرت أن لا يتبع مدبر و لا يجهز على جريح و لا تكشف عورة و لا يهتك ستر و لا يدخل دار إلا بإذن و أمنت الناس.

وقد استشهد منا رجال صالحون ضاعف الله حسناتهم ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصادقين الصالحين الصابرين. ولتعمق المنصفون في هذا البيان ليتجلى لهم أنه ليست هذه أوصاف من تاب و قبض على الطهارة و الإلتابة.

وفي تفريقه ﷺ في الخبر بين قتلاه و قتلهم و وصف من قتل من عسكره بالشهادة دون من قتل منهم ثم في دعائه لقتلى عسكره دون طلحة و الزبير دلالة على ما قلناه و لو كانا مضيا تائبين لكانا أحق الناس بالوصف بالشهادة والرحم و الدعاء.

وأيا قد روى الواقدي أيضا كتاب أمير المؤمنين ﷺ إلى أهل المدينة و هو أيضا يتضمن مثل معاني كتابه إلى أهل الكوفة و قريبا من ألفاظه و وصفهم بأنهم قتلوا على النكث و البغي و لو لا الإطالة لذكرناه بعينه^(١).

٣٢٠- وأيا روى الواقدي أن ابن جرموز لما قتل الزبير نزل فاجتز رأسه و أخذ سيفه ثم أقبل حتى وقف على باب أمير المؤمنين ﷺ و قال أنا رسول الأحنف فتلا عليه هذه الآية «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ» فقال هذا رأس الزبير وسيفه و أنا قتله فتناول أمير المؤمنين ﷺ سيفه و قال طال ما جلا به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ و لكن الحين ومصارع السوء و لو كان تائبا ما كان مصرعه مصرع سوء لا سيما و قد قتله غادرا به و هذه شهادة لو كان تائبا مقلعا عما كان عليه.

٣٢١- وقد روى الشعبي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال ألا إن أئمة الكفر في الإسلام خمسة طلحة و الزبير و معاوية و عمرو بن العاص و أبو موسى الأشعري!! و أيضا قد روي مثل ذلك عن عبد الله بن مسعود.

٣٢٢- وقد روى نوح بن دراج عن محمد بن مسلم عن حبة العرني قال سمعت عليا ﷺ حين برز أهل الجمل و هو يقول والله لقد علمت صاحبة الهودج أن أهل الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي ﷺ و قد خاب من افترى و قد روي هذا المعنى بهذا اللفظ أو بقریب منه من طرق مختلفة.

٣٢٣- وقد روى البلاذري في تاريخه^(٢) بإسناده عن جويرية بن أسماء أنه قال بلغني أن الزبير حين ولي و لم يكن بسط يده بسيف اعترضه عمار بن ياسر بالرمح و قال أين يا أبا عبد الله و الله ما كنت بجبان و لكني أحسبك شككت قال هو ذاك و مضى حتى نزل بوادي السباع فقتله ابن جرموز واعترافه بالشك يدل على خلاف التوبة لأنه لو كان تائبا لقاتل له في الجواب ما شككت بل تحققت أنك و صاحبك على الحق و أنا على الباطل و قد ندمت على ما كان مني و أي توبة لشاك غير متحقق.

فهذه الأخبار و ما شاكلها تعارض أخبارهم لو كان لها ظاهر يشهد بالتوبة و إذا تعارضت الأخبار في التوبة و الإصرار سقط الجميع و تمسكتا بما كنا عليه من أحكام فسقمهم و عظيم ذنبهم.

و ليس لهم أن يقولوا إن كل ما رويتموه من طريق الآحاد و ذلك أن جميع أخبارهم بهذه المثابة و كثير مما رويناه أظهر مما روه و أفشى فإن كان من طريق الآحاد فالأمران سيان.

و أما توبة طلحة فالأمر فيها أضيق على المخالف من الكلام في توبة الزبير لأن طلحة قتل بين الصفيين و هو مباشر للحرب مجتهد فيها و لم يرجع عنها حتى أصابه السهم فأتى على نفسه.

و ادعاء توبة مثل هذا مكابرة.

(١) وقد ذكرناه حرفياً - أخذاً من كتاب الجمل ص ٢١١ - في المختار: (٣١) من باب كتب أمير المؤمنين من نهج السعادة: ج ٤ ص ٦٩.

(٢) رواه في أواسط عنوان: «مقتل الزبير» في الحديث: (٣٢٤) من ترجمة أمير المؤمنين ﷺ من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٥٩ ط بيروت.

فإن قيل أليس قد روي أن أمير المؤمنين لما جاءه ابن جرموز برأس الزبير قال بشر قاتل ابن صفية بالنار فلو لم يكن تائباً لما استحق النار بقتله.

قيل لهم إن ابن جرموز غدر بالزبير و قتله بعد أن أعطاه الأمان و كان قتله على وجه الغيلة و المكر و هذه منه معصية لا شبهة فيها و قد تظاهر الخبر بما ذكرناه حتى روي أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل و كانت تحت عبد الله بن أبي بكر فخلف عليها عمر ثم الزبير قالت في ذلك

غدر ابن جرموز بفارس بهمة
يسأ عمرو لو نهبته لوجدته
يوم اللقاء و كان غير معرد
لا طائشا رعى اللسان و لا اليد

فإنما استحق ابن جرموز النار بقتله إياه غدرًا لا لأن المقتول في الجنة.

وهذا الجواب يتضمن الكلام على قولهم إن بشارته بالنار مع الإضافة إلى قتل الزبير يدل على أنه إنما استحق النار بقتله لأننا قد بينا في الحوَاب أنه من حيث قتله غدرًا استحق النار.

وقد قيل في هذا الخبر إن ابن جرموز كان من جملة الخوارج الخارجين على أمير المؤمنين عليه السلام في النهروان و إن النبي صلى الله عليه وآله قد كان أخبره بحالهم و دله على جماعة منهم بأعيانهم و أوصافهم فلما جاء برأس الزبير أشفق أمير المؤمنين من أن يظن به لعظيم ما فعله الخير و يقطع له على سلامة العاقبة و يكون قتله الزبير شبهة فيما يصير إليه من الخارجية قطع عليه بالنار لتزول الشبهة في أمره و ليعلم أن هذا الفعل الذي فعله لا يساوي شيئاً مع ما يرتكبه في المستقبل.

و جرى ذلك مجرى شهادة النبي صلى الله عليه وآله رجل من الأنصار يقال له قزمان أبلي في يوم أحد بلاء شديداً و قتل بيده جماعة فبشره النبي صلى الله عليه وآله بالنار فعجب من ذلك السامعون حتى كشفوا عن أمره فوجدوا أنه لما حمل جريحاً إلى منزله و وجد ألم الجراح قتل نفسه بمشقص.

وإنما شهد النبي صلى الله عليه وآله بالنار عليه عقيب بلائه الوجه الذي ذكرناه.

والذي يدل على أن بشارته بالنار لم تكن لكون الزبير تائباً مقلعاً بل لبعض ما ذكرناه هو أنه لو كان الأمر كما ادعوه لأفاده أمير المؤمنين عليه السلام به و لما ظل دمه و في عدوله عليه السلام من ذلك دلالة على ما ذكرناه.

فأما طلحة فقد بينا أنه تضيق إقامة العذر له لأنه قتل في المعركة في حال التوبة فيها بعيدة و ظاهر الحال الإصرار.

وليس لأحد أن يقول إنه روي عنه أنه قال بعد ما أصابه السهم.

ندمت ندامة الكسعي لما
رأت عيناه ما صنعت يدها.

لأن هذا بعيد من الصواب و البيت المروي بأن يدل على خلاف التوبة أولى لأنه جعل ندامته مثل ندامة الكسعي و خبر الكسعي معروف لأنه ندم بحيث لا ينفعه الندم و حيث فاته الأمر و خرج عن يده و لو كان ندم طلحة واقعا على وجه التوبة الصحيحة لم يكن مثل ندامة الكسعي بل كان شبيهاً لندامة من تلافى ما فرط فيه على وجه ينتفع به

٣٢٤ - و روى حسين الأشقر عن يوسف البزاز عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال مر أمير المؤمنين بطلحة و هو صريع فقال أقعدوه فأقعدوه فقال لقد كانت لك سابقة لكن دخل الشيطان في منخريك فأدخلك النار

ثم روي عن معاوية بن هشام عن صباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن إبراهيم مولى قريش أن علياً عليه السلام مر بطلحة قتيلاً يوم الجمل.

و ساق الحديث في التكلم معه و مع كعب بن سور مثل ما مر.

ثم قال رحمه الله بعد إيراد أسئلة و أجوبة تركناها حذراً من الإطناب - :

فإن قيل قول النبي صلى الله عليه وآله عشرة من أصحابي في الجنة يدل على أنهما تابا لأنهما من جملتهم بلا شك.

قيل لهم قد بينا فيما تقدم الكلام على بطلان هذا الخبر حيث تعلقوا به في فضائل أبي بكر و قلنا إنه لا يجوز أن

يعلم الله مكلفا ليس بمعصوم من الذنوب بأن عاقبته الجنة لأن ذلك يغيره بالقبيح و ليس يمكن أحدا ادعاء عصمة التسعة و لو لم يكن إلا ما وقع من طلحة و الزبير من الكبيرة لكفى.

وقد ذكرنا أن هذا الخبر لو كان صحيحا لاحتج به أبو بكر لنفسه و احتج له به في يوم السقيفة و غيرها و كذلك عمر و عثمان.

ومما يبين أيضا بطلانه إمساك طلحة و الزبير عن الاحتجاج به لما دعوا الناس إلى نصرتهما واستنفاهم إلى الحرب معهما وأي فضيلة أعظم وأفخم من الشهادة لهما بالجنة وكيف يعدلان مع العلم والحاجة عن ذكره إلا لأنه باطل. و يمكن أن يسلم مسلم هذا الخبر و يحمله على الاستحقاق في الحال لا العاقبة فكانه أراد أنهم يدخلون الجنة إن وافوا بما هم عليه الآن و يكون الفائدة في الخبر إعلاما بأنهم يستحقون الثواب في الحال. وأما الكلام في توبة عائشة فما بيناه من الطرق الثلاث في توبة طلحة و الزبير هي معتمدة فيما يدعونه من توبة عائشة.

أولها أن جميع ما يروونه من الأخبار لا يمكن ادعاء العلم فيها و لا القطع على صحتها و أحسن الأحوال فيها أن يوجب الظن و قد بينا أن المعلوم لا يرجع عنه بالمظنون. والثاني أنها معارضة بأخبار تزيد على ما روه في القوة أو تساويه.

فمن ذلك ما رواه الواقدي بإسناده عن شعبة عن ابن عباس قال أرسلني علي عليه السلام إلى عائشة بعد الهزيمة و هي في دار الخزاعيين فأمرها أن ترجع إلى بلادها.

و ساق الحديث نحوه مما مر برواية الكشي^(١) إلى قوله فبكت مرة أخرى أشد من بكائها الأول ثم قالت و الله لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن.

ثم ساق الحديث إلى آخره ثم قال:

فإن قيل ففي هذا الخبر دليل على التوبة و هي قولها عقيب بكائها لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن.

قلنا قد كشف الأمر ما عقيبت هذا الكلام به من اعترافها بغضب أمير المؤمنين عليه السلام و بغض أصحابه المؤمنين و قد أوجب الله عليها محبتهم و تعظيمهم و هذا دليل على الإصرار و أن بكانها إنما كان للخبية لا للتوبة و ما كان في قولها لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن من دليل التوبة و قد يقول المصير مثل ذلك إذا كان عارفا بخطائه فيما ارتكبه و ليس كل من ارتكب ذنبا يعتقد أنه حسن حتى لا يكون خائفا من العقاب عليه و أكثر مرتكبي الذنوب يخافون العقاب مع الإصرار و يظهر منهم مثل ما حكى عن عائشة و لا يكون توبة.

و روى الواقدي بإسناده أن عمارا رحمة الله عليه استأذن على عائشة بالبصرة بعد الفتح فأذنت له فدخل فقال يا أمة كيف رأيت صنع الله حين جمع بين الحق و الباطل ألم يظهر الله الحق على الباطل و يزهق الباطل فقالت إن الحروب دول و سجال و قد أديل على رسول الله صلى الله عليه وسلم و لكن انظر يا عمار كيف تكون في عاقبة أمرك.

و روى الطبري في تاريخه أنه لما انتهى إلى عائشة قتل أمير المؤمنين عليه السلام قالت:

فألقت عصاها و استقرت بها النوى كما قر عينا بالآباب المسافر

فمن قتله قليل رجل من مراد فقالت

فإن يك نائيا فلقد نعاها نعي ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أبي سلمة ألعلي تقولين هذا فقالت إني أنسى فإذا نسيت فذكروني

و هذه سخريه منها بزينب و تمويه خوفا من شناعتها و معلوم أن الناسي و الساهي لا يتمثل بالشعر في الأغراض المطابقة و لم يكن ذلك منها إلا عن قصد و معرفة.

٣٢٥- و روي عن ابن عباس أنه لما أبت عائشة الرجوع إلى المدينة أرى أن تدعها يا أمير

(١) قد مرّت رواية الكشي في الباب: (٥) تحت الرقم: (١٩١) ص ٤٥٠ ط الكمباني.



المؤمنين بالبصرة و لا ترجلها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام إنها لا تألوا شرا و لكني أردتها إلى بيتها الذي تركها فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فإن الله بالغ أمره.

٣٢٦- و روى محمد بن إسحاق عن جنادة أن عائشة لما وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم تزل تحرض الناس على أمير المؤمنين عليه السلام و كتبت إلى معاوية و أهل الشام مع الأسود بن أبي البخترى تحرضهم عليه صلوات الله عليه.

وروي عن مسروق أنه قال دخلت على عائشة فجلست إليها فحدثني و استدعت غلاما لها أسود يقال لها عبدالرحمن فجاء حتى وقف فقالت يا مسروق أتدري لم سميت عبد الرحمن فقلت لا فقالت حبا مني لعبد الرحمن بن ملجم.

فأما قصتها في دفن الحسن عليه السلام فمشهورة حتى قال لها عبد الله بن عباس يوما على بغل و يوما على جمل فقالت و ما نسيتم يوم الجمل يا ابن عباس إنكم لذو أحقاد.

و لو ذهبنا إلى قصي ما روي عنها من الكلام الغليظ الشديد الدال على بقاء العداوة و استمرار الحقد و الضغينة لأططنا و أكثرنا.

و أما ما روي عنها من التللف و التحسر على ما صدر عنها فلا يدل على التوبة إذ يجوز أن يكون ذلك من حيث خابت عن طلبتها و لم تظفر ببغيثها مع الذل الذي لحقها و ألحقها العار في الدنيا و الإثم في الآخرة.

بيان قال الجوهرى عرد الرجل تعريدا فر.

و قال كسع حي من اليمن و منه قولهم ندامة الكسعي و هو رجل ربي نبعة حتى أخذ منه قوسا فرمى الوحش عنها ليلا فأصاب و ظن أنه أخطأ فكسر القوس فلما أصبح رأى ما أصمى من الصيد ^(١) فندم قال الشاعر:

رأت عيناه ما صنعت يدها

ندمت ندامة الكسعي لما

باب احتجاجات الأئمة عليهم السلام و أصحابهم على الذين أنكروا على أمير المؤمنين صلوات الله عليه حروبه

باب ٩

٣٢٧- ج: [الإحتجاج] جاء رجل من أهل البصرة إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال يا علي بن الحسين إن جدك علي بن أبي طالب قتل المؤمنين ^(٢).

فهملت عين علي بن الحسين دموعا حتى امتلأت كفه منها ثم ضرب بها على الحصى ثم قال يا أخا أهل البصرة لا والله ما قتل علي مؤمنا و لا قتل مسلما و ما أسلم القوم و لكن استسلموا و كتمو الكفر و أظهروا الإسلام فلما وجدوا على الكفر أعوانا أظهروه.

و قد علمت صاحبة الجمل و المستحفظون من آل محمد أن أصحاب الجمل و أصحاب صفين و أصحاب النهروان لعنوا على لسان النبي الأُمي صلى الله عليه وآله و قد خاب من أقرئ.

فقال شيخ من أهل الكوفة يا علي بن الحسين إن جدك كان يقول إخواننا بغوا علينا فقال علي بن الحسين أما تقرأ كتاب الله ﴿وإلى عاد أخاهم هود﴾ فهم مثلهم أنجى الله عز و جل هودا و الذين معه و أهلك عادا بالريح العقيم.

٣٢٨- ج: [الإحتجاج] روي أن سالما دخل على أبي جعفر عليه السلام فقال جئت أكلّمك في أمر هذا الرجل قال أيما رجل

(١) أصمى فلان الصيد: رماه فقتله مكانه. وأصله من السرعة والخفة. وصمى الصيد: مات وأنت تراه.

(٢) ذكره الطبرسي في الحديث (٢) من باب احتجاج الإمام علي بن الحسين عليهما السلام من كتاب الإحتجاج ج ٢ ص ٣١٠.

قال علي بن أبي طالب قال في أي أموره قال في أحداثه قال أبو جعفر عليه السلام انظر ما استقر عندك مما جاءت به الرواة عن آبائهم قال ثم نسبهم ثم قال يا سالم أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سعد بن معاذ براية الأنصار إلى خيبر فرجع منهزمًا ثم بعث عمر بن الخطاب براية المهاجرين فأتي بسعد جريحًا وجاء عمر يجيب أصحابه و يجنبونه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا تفعل المهاجرون والأنصار حتى قالها ثلاثًا ثم قال لأعطين الراية رجلاً ليس بفرار يحبه الله و رسوله و يحب الله و رسوله قال نعم و قال القوم جميعاً أيضاً^(١).

فقال أبو جعفر يا سالم إن قلت إن الله أحبه و هو لا يعلم ما هو صانع فقد كفرت و إن قلت إن الله عز و جل أحبه و هو يعلم ما هو صانع فأني حدث ترى فقال فأعد علي فأعاد عليه فقال يا سالم عبتك الله على ضلالة سبعين سنة بيان: قوله فقال يا سالم أي فقال سالم مخاطباً لنفسه أو قال الإمام مخاطباً له و الأول أظهر و يؤيده أن في بعض النسخ فقال سالم

٣٢٩- شبي: [تفسير العياشي] عن يحيى بن المساور الهمداني عن أبيه قال جاء رجل من أهل الشام إلى علي بن الحسين فقال أنت علي بن الحسين قال نعم قال أبوك الذي قتل المؤمنين فبكي علي بن الحسين ثم مسح عينيه فقال وملك كيف قطعت علي أبي أنه قتل المؤمنين قال لقوله إخواننا قد بغوا علينا فقاتلناهم على بغيرهم فقال وملك أما تقرأ القرآن قال بلى قال فقد قال الله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾^(٢) ﴿وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾^(٣) أفكانوا إخوانهم في دينهم أو في عشيرتهم قال له الرجل لا بل في عشيرتهم قال عليه السلام فهؤلاء إخوانهم في عشيرتهم و ليسوا إخوانهم في دينهم قال فرجت عني فرج الله عنك^(٤).

٣٣٠- ع: [علل الشرائع] ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن الحسين بن علوان عن الأعشم عن عباية الأسدي قال^(٥):

كان عبد الله بن العباس جالساً على شفير زمزم يحدث الناس فلما فرغ من حديثه أتاه رجل فسلم عليه ثم قال يا عبد الله إني رجل من أهل الشام فقال أعوان كل ظالم إلا من عصم الله منكم سل عما بدا لك فقال يا عبد الله بن عباس إني جئتكم أسألك عن قتل علي بن أبي طالب من أهل لا إله إلا الله لم يكفروا بصلاة و لا بجم و لا بصوم شهر رمضان و لا بزكاة فقال له عبد الله كلتكم أمك سل عما يعينك و دع ما لا يعينك فقال ما جئتكم لأضرب إليكم من حمص للحج و لا للعمرة و لكني أتيتكم لتشرح لي أمر علي بن أبي طالب و فعاله فقال له وملك إن علم العالم صعب لا تحمله و لا تقر به قلوب الصدية!!!

أخبرك أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان مثله في هذه الأمة كمثل موسى و العالم عليه السلام و ذلك أن الله تبارك و تعالى قال في كتابه يا موسى ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَ بَكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ و كان موسى يرى أن جميع الأشياء قد أثبتت له كما ترون أنتم أن علماءكم قد أثبتوا جميع الأشياء فلما انتهى موسى إلى ساحل البحر فلقى العالم فاستنطق بموسى ليصل علمه و لم يحسده كما حسدتم أنتم علي بن أبي طالب و أنكرتم فضله فقال له موسى ﴿هَلْ أَتَيْتَ عَلِيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَهُ﴾ فلم العالم أن موسى لا يطيق بصحبته و لا يصبر على علمه فقال له ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَ كَيْفَ تُصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ فقال له موسى سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ضَايِرًا وَ لَا أَغْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فلم العالم أن موسى لا يصبر على علمه فقال فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْتَلِئَنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَخَذْتُ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا قال فركبا في السفينة فخرقها العالم فكان خرقتها لله عز و جل رضى و سخطاً لموسى و لقي الغلام قتلته فكان قتله لله عز و جل رضا و سخط ذلك موسى و أقام الجدار فكان إقامته لله عز و جل رضى و سخط موسى ذلك.

(١) رواء الطبرسي في أواسط باب احتجاج أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام من كتاب الاحتجاج ج ٢ ص ٣٢٨.

(٢) هذه الجملة وردت في ثلاث موارد من القرآن الكريم في الآية: (٨٥) من سورة الأعراف: ٧، وفي الآية: (٨٤) من سورة هود: ١١، وفي الآية: (٣٦) من سورة العنكبوت: (٢٩).

(٣) هذه الجملة مذكورة في الآية: (٧٣) من سورة الأعراف: (٧)، وفي الآية: (٦١) من سورة هود: ١١.

(٤) رواء العياشي في تفسير الآية: (٨٥) من سورة الأعراف: (٧) من تفسيره.

ورواء عنه السيّد البحراني في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج ٢ ص ٢٥.

(٥) رواء الصدوق رفع الله مقامه في الحديث: (٣) من الباب: (٥٤) من كتاب علل الشرائع، ج ١، ص ٦٤.

كذلك كان علي بن أبي طالب عليه السلام لم يقتل إلا من كان قتله لله عز وجل رضى ولأهل الجهالة من الناس سخطا
اجلس حتى أخبرك.

٣٤١
٣٣ أن رسول الله ﷺ تزوج زينب بنت جحش فأولم فكانت وليمة الحيس وكان يدعو عشرة فكانوا إذا أصابوا
طعام رسول الله ﷺ استأنسوا إلى حديثه واستغنوا النظر إلى وجهه وكان رسول الله ﷺ يشتهي أن يخفوا عنه
فيخلوا له المنزل لأنه حديث عهد بعرس وكان يكره أذى المؤمنين فأنزل الله عز وجل فيه قرآنا أدبا للمؤمنين و
ذلك قوله عز وجل «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرٍ إِنَاءُ وَ لَكِنْ إِذَا
دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا
يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ» فلما نزلت هذه الآية كان الناس إذا أصابوا طعام نبهم ﷺ لم يلبثوا أن يخرجوا.

قال فلبث رسول الله ﷺ سبعة أيام وليليهن عند زينب بنت جحش ثم تحول إلى بيت أم سلمة بنت أبي أمية و
كان ليلتها وصبيحة يومها من رسول الله ﷺ قال فلما تعالى النهار انتهى علي عليه السلام إلى الباب فدفقه دقا خفيفا له
عرف رسول الله دقه وأنكرته أم سلمة فقال يا أم سلمة قومي فافتحي له الباب فقالت يا رسول الله من هذا الذي
يبلغ من خطره أن أقوم له فأفتح له الباب وقد نزل فينا بالأمس ما قد نزل من قول الله عز وجل وَإِذَا سَأَلْتَهُنَّ
مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ زَوَاجِبٍ فمن هذا الذي بلغ من خطره أن أستقبله بمعاسني ومعاصمي قال فقال لها رسول
الله ﷺ كهينة المغضب مَنْ يُطِيعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ قومي فافتحي له الباب فإن بالباب رجلا ليس بالخرق ولا
بالنرق ولا بالعجول في أمره يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وليس بقاتح الباب حتى يتوارى عنه الوطء.
فقامت أم سلمة وهي لا تدري من بالباب غير أنها قد حفظت النعت والمدح فمشت نحو الباب وهي تقول يخ بخ
لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ففتحت له.

٣٤٨
٣٣ قال فأمسك علي بعضادتي الباب ولم يزل قائما حتى خفي عنه الوطء ودخلت أم سلمة خدرها ففتح الباب و
دخل فسلم على رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله يا أم سلمة أتعرفينه قالت نعم وها هنا هذا علي بن أبي طالب.
فقال صدقت يا أم سلمة هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من
موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين وهو عيبة علمي وبابي الذي
أوتي منه وهو الوصي بعدي على الأموات من أهل بيتي والخليفة على الأحياء من أمتي وأخي في الدنيا والآخرة
وهو معي في السنام الأعلى.

اشهدي يا أم سلمة واحفظي أنه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.
فقال الشامي فرجت عني يا عبد الله وأشهد أن علي بن أبي طالب مولاي ومولى كل مسلم ^(١).

٣٣١-شف: [كشف اليقين] من كتاب أحمد بن محمد الطبري عن أحمد بن هشام عن محمد بن نسيم القرشي عن
الحسن بن الحسين عن يحيى بن يعلى عن الأعمش ^(٢).

٣٤٩
٣٣ قال وحدثني جعفر بن محمد الكوفي عن عبد الله بن داهر الرازي عن أبيه داهر بن يحيى عن الأعمش عن عباية
عن ابن عباس مثله.

٣٣٢-شف: [كشف اليقين] المظفر بن جعفر عن محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني عن محمد بن جرير
الطبري عن محمد بن حميد الرازي عن داهر عن الأعمش عن عباية عن ابن عباس مثله ^(٣).

(١) ولقطة أم سلمة مصادر وأسانيد جمّة يجد الباحث كثيراً منها في الحديث: (١٢١٤) وتواليه من ترجمة عليّ من تاريخ دمشق: ج ٣ ص
٢٠٥ ط ٢.

ورواه أيضاً ابن خالويه في كتاب الآل كما رواها عنه في عنوان: «معيّة الرسول وتحريضه على محبته» من كتاب كشف الغمّة: ج ١ ص ٩١.
(٢) رواه العلامة في كتاب كشف اليقين.
(٣) رواه العلامة في كتاب كشف اليقين.

بيان: قال ابن الأثير في مادة صَدَأ من كتاب النهاية فيه إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد هو أن يركبها الرين بمباشرة المعاصي والآثام فيذهب بجلاته كما يعلو الصدأ وجه المرأة والسيوف ونحوهما.

قوله فاستنطق بموسى أي أنطقه الله بسبب موسى ليضل علم موسى في جنب علمه و يقر موسى بالجهل فلم يحسده موسى.

والحيس تمر يخلط بسمن وأقط.

قوله وكان ليلتها أي كان زمان التحول الليلة والصبيحة التي كانت نوبتها منه وَبَيِّنَتْ.

قوله دقا خفيفا له أي دقا خفيفا كان مختصا به وَبَيِّنَتْ عرف بذلك أنه هو الداق.

والخرق ترك الرفق في الأمر والنزق الخفة والطيش والخدر بالكسر ستر يمد للجارية في ناحية البيت وسنام كل شيء أعلاه

٣٣٣- جا: [المجالس للمفيد] ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] المفيد عن المراءغي عن زيد بن الحسن الكوفي عن جعفر بن نجيع عن جندل بن والقي عن محمد بن محمد بن عمر عن زيد الأنصاري عن سعيد بن بشير عن قتادة^(١): عن سعيد بن المسيب قال سمعت رجلا يسأل ابن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له ابن عباس إن علي بن أبي طالب صلى القيلتين و بايع البيعتين و لم يعبد صنما ولا وثنا و لم يضرب على رأسه بزلم ولا قدح ولد على الفطرة و لم يشرك بالله طرفة عين.

فقال الرجل إنني لم أسألك عن هذا إنما أسألك عن حملة سيفه على عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفا ثم سار إلى الشام فلقي حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم ثم أتى النهروان و هم مسلمون فقتلهم عن آخرهم.

فقال له ابن عباس أعلي أعلم عندك أم أنا فقال لو كان علي أعلم عندي منك ما سألتك قال فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه ثم قال ثكلتك أمك علي علمني و كان علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و رسول الله علمه الله من فوق عرشه فعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من علم الله و علم علي من علم النبي و علمي من علم علي و علم أصحاب محمد كلهم في علم علي كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر.

باب ١٠ باب خروجه صلوات الله عليه من البصرة و قدومه الكوفة إلى خروجه إلى الشام

٣٣٤- شا: [الإرشاد] من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حين قدم الكوفة من البصرة بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد فالحمد لله الذي نصر وليه و خذل عدوه و أعز الصادق المحق و أذل الكاذب المبطل عليكم يا أهل هذا المصر بتقوى الله و طاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم من المتحليين المدعين القائلين إلينا^(٢) يتفضلون بفضلنا و يجاحدونا أمرنا و ينازعونا حقنا و يدفعونا عنه و قد ذاقوا وبال ما اجترحوا فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا^(٣) (٤).

(١) رواه الشيخ المفيد في المجلس: (٢٧) من أماليه ص ١٤٦.

ورواه عنه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٤) من الجزء الأول من أماليه ص ١٠.

(٢) كذا في طبعة الكمباني من البحار. وفي طبع النجف من كتاب الإرشاد: «القائلين إلينا...».

(٣) كذا في أصلي من طبع الكمباني من البحار. واجتروا: اكتسبوا أو ارتكبوا كما في الآية: ٢١ - من سورة الجاثية: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا...».

وفي طبع النجف من كتاب الإرشاد: «وقد ذاقوا وبال ما اجترحوا...».

قد قعد عن نصرتي منكم رجال وأنا عليهم عاتب زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبونا ونرى منهم ما تحب.

بيان: قال الجوهرى زريت عليه بالفتح إذا عتبت عليه وقال أعتبني فلان إذا عاد إلى مسرتي راجعا عن الإساءة

٣٣٥- جا: [المجالس للمفيد] المرزباني عن محمد بن موسى عن محمد بن سهل عن هشام بن محمد بن السائب عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن العارث بن حصيرة^(١):

عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود قال قدم أمير المؤمنين عن البصرة إلى الكوفة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب فأقبل حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فالحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه وأعز الصادق المحق وأذل الكاذب المبطل عليكم يا أهل هذا المصر يتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المتحليين المدعين الغالين الذين يتفصلون بفصلنا ويجاحدوناه وينازعوننا حقنا ويدفعونا عنه وقد ذاقوا وبال ما اجترموا فُسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا.

إنه قد قعد عن نصري رجال منكم فأنا عليهم عاتب زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا أو نرى منهم ما نرضى.

قال فقام إليه مالك بن حبيب التميمي ثم اليربوعي وكان صاحب شرفته فقال والله إني لأرى الهجر وإسماع المكره لهم قليلا والله لئن أمرتنا لقتلنهم.

فقال له أمير المؤمنين يا مال جزت المدى ودوت الحق وأغرقت في النزع فقال يا أمير المؤمنين لبعض الغشم أبلغ في أمور تنوبك من مهادة الأعادي.

فقال أمير المؤمنين ليس هكذا قضاء الله يا مال قال الله تعالى «الْفَسَّ بِالْفَسِّ» فما بال بعض الغشم وقال سبحانه «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا».

فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي وكان عثمانيا تخلف عنه يوم الجمل وحضر معه صفين على ضعف نية في نصرته فقال يا أمير المؤمنين أرايت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير بم قتلوا؟

فقال أمير المؤمنين قتلوا بما قتلوا شيعتي وعمالي و يقتلهم أخا ربعية العيدي رحمه الله في عصابة من المسلمين قالوا لا ننتك البيعة كما نكتنم ولا نغدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم ظلما وعدوانا فسألتهم أن يدفعوا إلي قتل إخواني منهم لقتلتهم بهم ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم فأبوا علي وقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء نحو ألف من شيعتي فقتلتهم بذلك أفي شك أنت من ذلك فقال قد كنت في شك فأما الآن فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم وأنت أنت المهتدي المصيب.

ثم إن عليا تهيأ لينزل فقام رجال ليتكلموا فلما رأوه قد نزل جلسوا ولم يتكلموا.

قال أبو الكنود: كان أبو بردة مع حضوره صفين ينافق أمير المؤمنين^(٢) ويكاتب معاوية سرا فلما ظهر معاوية أقطع قطعة بالفلوجة وكان عليه كريما.

٣٣٦- الكافية في إبطال توبة الخائنة، عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر^(٣) أن أمير المؤمنين لما دنا إلى الكوفة مقبلا من البصرة خرج الناس مع قرظة بن كعب يتلقونه فلقوه دون نهر النضر بن زياد فدنا منه يهنتونه بالفتح وإنه ليمسح العرق عن جبهته فقال له قرظة بن كعب الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أعز وليك وأذل عدوك و نصرك على القوم الباغين الظالمين.

فقال له عبد الله بن وهب الراسي إي والله إنهم الباغون الظالمون الكافرون المشركون.

(٤) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه، في الفصل: (٢٩) مما اختار من كلام أمير المؤمنين في كتاب الإرشاد، ص ١٣٨.

(١) رواه الشيخ المفيد قدس الله نفسه في الحديث: (٥) من المجلس: (١٥) من أماليه ص ٨٢.

فقال له أمير المؤمنين ثكلتك أمك ما أقواك بالباطل وأجراك على أن تقول ما لم تعلم أبطلت يا ابن السوداء ليس القوم كما تقول لو كانوا مشركين سبينا وغنمنا أموالهم وما ناكلناهم ولا وارثناهم.

٣٣٧- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين دخل أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد رجوعه من البصرة ومعه أشراف من أهل البصرة وغيرهم فاستقبلهم أهل الكوفة فيهم قراؤهم وأشرافهم فدعوا له وقالوا يا أمير المؤمنين أين تنزل أنتزل القصر قال لا ولكن أنزل الرحبة فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال:

أما بعد يا أهل الكوفة فإن لكم في الإسلام فضلا ما لم تبدلوا أو تغيروا ودعوتكم إلى الحق فأجبتكم وبدأنتم بالمنكر فغيرتم إلا أن فضلكم فيما بينكم وبين الله فأما في الأحكام والقسم فأنتم أسوة غيركم ممن أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه.

٣٥٥
٣٣٧- إلا أن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة.

ألا إن الدنيا قد ترحلت مذبذبة وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

الحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه وأعز الصادق المحق وأذل الناكث المبطل.

عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المستحلين المدعين القائلين لنا يتفضلون بفضلنا ويحاذوننا أمرنا وينازعوننا حقنا ويباعدوننا عنه فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسئف يلقون عذابا.

ألا إنه قد قعد عن نصرتي رجال منكم وأنا عليهم عاتب زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة.

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي وكان صاحب شرطته فقال والله إني لأرى الهجر وإسماع المكره لهم قليلا. إلى آخر ما مر برواية المفيد رحمه الله ثم قال:

قال نصر ولما قدم علي عليه السلام الكوفة نزل على باب المسجد فدخل فصلى ثم تحول فجلس إليه الناس فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة فقال قائل استأثر الله به فقال إن الله تعالى لا يستأثر بأحد من خلقه إنما أراد الله جل ذكره بالموت إعزاز نفسه وإذلال خلقه وقرأ «وَكُنْتُمْ أَشْوَاثًا فَأَخْيَاكُمُ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ».

٣٥٦
٣٣٧- قال نصر فلما لحقه ثقله عليه السلام قالوا له أنتزل القصر قال قصر الخبال لا تنزلوني قال وأنب عليه السلام جماعة ممن أبطثوا عنه ولم يحضروا القتال وقال ما بطأ بكم عني وأنتم أشراف قومكم والله إن كان من ضعف النية وتقصير البصيرة فإنكم لبور وإن كان من شك في فضلي ومظاهرة علي أنكم لعدو فقالوا حاش لله يا أمير المؤمنين نحن سلمك وحرب عدوك ثم اعتذر القوم.

قال نصر وأتم علي عليه السلام صلاته يوم دخل الكوفة فلما كانت الجمعة خطب الناس فقال:

الحمد لله أحمدوه وأستعينه وأستهديه وأعوذ بالله من الضلالة من يهدي الله فلا مضل له من يضلل الله فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله انتجبه لأمره واختصه بنبوته أكرم خلقه عليه وأحبهم إليه فبلغ رسالة ربه ونصح لأمته وأدى الذي عليه.

أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خير ما توصي به عباد الله وأقربه إلى رضوان الله وخيره في عواقب الأمور عند الله وبتقوى الله أمرتم وللإحسان والطاعة خلقتم فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه فإنه حذر بأسا شديدا واخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له ومن عمل لله مخلصا تولى الله ثوابا.

واشفقوا من عذاب الله فإنه لم يخلقكم عبثا ولم يترك شيئا من أمركم سدى قد سمى آثاركم و علم أعمالكم وكتب أجالكم فلا تغفروا بالدنيا فإنها غرارة لأهلها مغرور من اغتر بها وإلى فناء ما هي وإن الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون.

أسأل الله منازل الشهداء و مرافقة الأنبياء و معيشة السعداء فإنما نحن به و له (١).

قال نصر ثم استعمل علي عليه السلام العمال و فرقهم في البلاد و كتب مع جرير بن عبد الله البجلي كتابا إلى معاوية يدعوه إلى البيعة.

بيان: قال في النهاية و في حديث ابن مسعود إن قوما بنوا مسجدا بظهر الكوفة فقال جنت لأفسد مسجد الخبال أي الفساد.

أقول: أورده نصر في كتابه على وجه البسط ثم قال:

وبعث يزيد بن قيس الأرجبي على المدائن و مخنف بن سليم على أصبهان و همدان و قرظة بن كعب على البهبهات (٢) و قدامة بن مظعون على كسكر و عدي بن حاتم على مدينة بهرسير و آستانها و أبا حسان البكري على آستان العالي و سعد بن مسعود الثقفي على آستان الزوابي و ربعي بن كاس على سجستان و كاس أمه يعرف بها و خلود إلى خراسان فسار خلود حتى إذا دنا من نيسابور بلغه أن أهل خراسان قد كفروا و نزعوا يدهم من الطاعة و قدم عليهم عمال كسرى من كابل فقاتل أهل نيسابور فهزمهم و حصر أهلها و بعث إلى علي عليه السلام بالفتح و السبي. ثم صمد لبنات كسرى فنزلن على أمان فبعث بهن إلى علي عليه السلام فلما قدمن عليه قال أزوجكن قلن لا إلا أن تزوجنا ابنك فإنا لا نرى لنا كفوا غيرهما فقال علي عليه السلام اذهبا حيث شئتما.

فقام نرسا فقال مر لي بهن فإنها منك كرامة و بيني وبينهن قرابة ففعل فأنزلهن نرسا معه و جعل يطمعنهم و يسقيهن في الذهب و الفضة و يكسوهن كسوة الملوك و يبسط لهن الديباج.

و بعث الأشتر على الموصل و نصيبين و دارا و سنجار و آمد و هيت و عانات و ما غلب عليه من تلك الأرضين من أرض الجزيرة.

و بعث معاوية بن أبي سفيان الضحاك بن قيس على ما في سلطانه من أرض الجزيرة و كان في يديه حران و الرقة و الرا و قريسا و كان من كان بالكوفة و بالبصرة من العثمانية قد هربوا فنزلوا الجزيرة في سلطان معاوية.

فخرج الأشتر و هو يريد الضحاك بجران فلما بلغ ذلك الضحاك بعث إلى أهل الرقة فأمدوه و كان جل أهلها عثمانيه فجاءوا و عليهم سماك بن مخزومة و أقبل الضحاك يستقبل الأشتر فالتقى الضحاك و سماك بين حران و الرقة و رحل الأشتر حتى نزل عليهم فاقتلوا قتالا شديدا حتى كان عند المساء فرجع الضحاك بمن معه فسار ليلته كلها حتى أصبح بجران فدخلها و أصبح الأشتر فرأى ما صنعوا فقتلهم حتى نزل عليهم بجران فحصرهم و أتى الخبر معاوية فبعث إليهم عبد الرحمن بن خالد في خيل يغثهم.

فلما بلغ ذلك الأشتر كتب كتابه و عبا جنوده و خيله ثم ناداهم الأشتر ألا إن الحي عزيز ألا إن الذمار منيع ألا تنزلون أيها الثعالب الرواغة احتجرتم احتجار الضباب فتادوا يا عباد الله أقيموا قليلا علمتم و الله أن قد آتيتم.

فمضى الأشتر حتى مر على أهل الرقة فتحزروا منه ثم مضى حتى مر على أهل قريسا فتحزروا منه و بلغ عبد الرحمن بن خالد انصراف الأشتر فانصرف.

٣٣٨- و روى نصر أيضا عن عبد الله بن كردم بن مرثد قال لما قدم علي عليه السلام حشر إليه أهل السواد فما اجتمعوا أذن لهم فلما رأى كثرتهم قال إني لا أطيق كلامكم و لا أثق عنكم فأسندوا أمركم إلى أرضاكم في أنفسكم و أمعه نصيحة لكم.

(١) هذا هو الظاهر المذكور في شرح ابن أبي الحديد: ج ١، ص ٥٧٧ ط الحديث ببيروت. وفي كتاب صفين: «فإنما نحن له وبه» وفي أصلي من البحار: «فإنما نحن به أولى».

(٢) «البهقيات ذات» بالياء الموحدة ثم الهاء ثم القاف ثم الألف بعده ياء مثناة تحتانية.

ثم ذال معجمة ثم ألف ثم تاء في آخرها رستاق من رساتيق المداين مملكة كسرى دفن فيها سلمان الفارسي رضي الله عنه. كذا أفاده في مجمع البحرين عليم ما في هامش ط الكمباني من كتاب البحار هذا.

قالوا نرسا ما رضي فقد رضيناه و ما سخط سخطناه فقدم نرسا فجلس إليه فقال يا نرسا أخبرني عن ملوك فارس كم كانوا قال كانت ملوكهم في هذه المملكة الآخرة اثنين و ثلاثين ملكا قال فكيف كانت سيرتهم قال ما زالت سيرتهم في عظم أمرهم واحدة حتى ملكنا كسرى بن هرمز فاستأثر بالمال والأعمال و خالف أولينا و أخرب الذي للناس و عمر الذي له و استخف بالناس و أوغر نفوس فارس حتى ثاروا إليه فقتلوه فأرملت نسائه و يتم أولاده^(١). فقال يا نرسا إن الله عز و جل خلق الخلق بالحق و لا يرضى من أحد إلا بالحق و في سلطان الله تذكرا مما خول الله و إنها لا تقوم مملكة إلا بتدبير و لا بد من إمرة و لا يزال أمرنا متماسكا ما لم يشتم آخرنا أولنا فإذا خالف آخرنا أولنا و أفسدوا هلكوا و أهلكوا.

ثم أمر عليهم أمرا أهم.

ثم إن عليا بعث إلى العمال في الآفاق و كان أهم الوجوه إليه الشام.

٣٣٩- و روي عن محمد بن عبيد الله القرشي عن الجرجاني قال لما بويع علي عليه السلام و كتب إلى العمال في الآفاق كتب إلى جرير بن عبد الله البجلي و كان عاملا لعثمان على ثغر همدان مع زحر بن قيس الجعفي.

أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له و ما لهم من ذنوبهم من وال. وإني أخبرك عن سرنا إليه من جموع طلحة و الزبير عند نكثهم بيعتهم و ما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف إني هبطت من المدينة بالمهاجرين و الأنصار حتى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفة بالحسن بن علي و عبد الله بن العباس و عمار بن ياسر و قيس بن سعد بن عباد فاستنفروهم فأجابوا فسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فأعذرت في الدعاء و أقلت العثرة و ناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا إلا قتالي فاستعنت بالله عليهم فقتل من قتل و ولوا مدبرين إلى مصرهم فسالوني ما كنت دعوتهم إليه قبل اللقاء فقبلت العافية و رفعت عنهم السيف و استعملت عليهم عبد الله بن عباس و سرت إلى الكوفة و قد بعثت إليكم زحر بن قيس فاسأل عما بدا لك.

فلما قرأ جرير الكتاب قام فقال يا أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و هو المأمون على الدين و الدنيا و قد كان من أمره و أمر عدوه ما نحمد الله عليه و قد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان و لو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها.

ألا و إن البقاء في الجماعة و الفناء في الفرقة و علي حاكمكم على الحق ما استقمتم فإن ملتم أقام ميلكم.

فقال الناس سمعا و طاعة رضيينا رضينا فأجاب جرير و كتب جواب كتابه بالطاعة.

ثم قام زحر بن قيس خطيبا فكان مما حفظ من كلامه أن قال الحمد لله الذي اختار الحمد لنفسه و توله دون خلقه لا شريك له في الحمد و لا نظير له في المجد و لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائم الدائم إله السماء و الأرض و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالحق الواضح و الكتاب الناطق داعيا إلى الخير و قائدا إلى الهدى.

ثم قال أيها الناس إن عليا كتب إليكم كتابا لا يقال بعده إلا ربيع من القول و لكن لا بد من رد الكلام أن الناس بايعوا عليا بالمدينة غير محابة ببيعته^(٢) لعلمه بكتاب الله و سنن الحق و إن طلحة و الزبير نقضا بيعته على غير حدث و ألبا عليه الناس ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب و أخرجوا أم المؤمنين فلقبيها فأعذر في الدعاء و أحسن في البقية و حمل الناس على ما يعرفون هذا عيان ما غاب عنكم و إن سألتهم الزيادة فزدناكم و لا قوة إلا بالله.

ثم ذكر أبياتا من جرير و غيره تركناها روما للاختصار.

قال ثم أقبل جرير سائرا من ثغر همدان حتى ورد على علي عليه السلام بالكوفة فبايعه و دخل فيما دخل فيه الناس من طاعة علي و اللزوم لأمره.

و قال نصر أخبرنا محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال لما بويع علي عليه السلام و كتب إلى العمال كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمداني و الأشعث على آذربيجان عامل لعثمان و قد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك فكتب إليه علي عليه السلام:

(١) كذا في كتاب صفين، وفي ط الكمباني من بحار الأنوار: «فأتمت نسائه» ولعله كان في الأصل: «فأويمت نسائه» فصحف.

(٢) كذا في أصلي من طبعة الكمباني من البحار، وفي ط مصر من كتاب صفين: «من غير محابات لبيعته...».

أما بعد فلو لا هنات كن فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس و لعل أمرك يحمل بعضه بعضا إن اتقيت الله. ثم إنه كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك و كان طلحة و الزبير ممن بايعاني ثم نقضا بيعتي على غير حدث و أخرجا أم المؤمنين و صارا إلى البصرة فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدعاء و أحسنت في البقية.

و إن عملك ليس لك بطعمه و لكنه أمانة و في يدك مال من مال الله و أنت من خزان الله عليه حتى تسلمه إلي و لعلي أن لا أكون شر و لا تك لك إن استقتت و لا قوة إلا بالله.

فلما قرأ الكتاب قام زيد بن مرحب فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إنه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير إن أمر عثمان لا ينفع فيه العيان و لا يشفي منه الخبر غير أن من سمع به ليس كمن عاينه إن الناس بايعوا عليا راضين به و إن طلحة و الزبير نقضا بيعته على غير حدث ثم أذنا بحرب فأخرجنا أم المؤمنين فسار إليهما فلم يقاتلهم و في نفسه منهم حاجة فأورثه الله الأرض و جعل له عاقبة المؤمنين.

ثم قام الأشعث فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إن أمير المؤمنين عثمان ولاني آذريبيان فهلك و هي في يدي و قد بايع الناس عليا و طاعتنا له كطاعة من كان قبله^(١) و قد كان من أمره و أمر طلحة و الزبير ما قد بلغكم على المؤمنون علي ما قد غاب عنا و عنكم من ذلك الأمر.

قال فلما أتى منزله دعا أصحابه و قال إن كتاب علي قد أوحشني و هو آخذ بمال آذريبيان^(٢) و أنا لاحق بمعاوية فقال القوم الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك و جماعة قومك و تكون ذنبا لأهل الشام؟

فاستحيا الأشعث فسار حتى قدم على علي^(٣).

قال و إنه قدم على علي^(٤) بعد قدومه الكوفة الأحنف بن قيس و جارية بن قدامة و حارث بن زيد و زيد بن جبلة و أعين بن ضبيعة و عظم الناس بنو تميم و كان فيهم أشرف و لم يقدم هؤلاء على عشيرة من أهل الكوفة.

فقام الأحنف بن قيس و جارية بن قدامة و حارثة بن بدر فتكلم الأحنف فقال يا أمير المؤمنين إنه إن يك بنو سعد لم تنصرك يوم الجمل فإنهم لم تنصروك عليك و قد عجباؤا أمس ممن نصرك و عجباؤا اليوم ممن خذلك لأنهم شكوا في طلحة و الزبير و لم يشكوا في معاوية و عشيرتنا في البصرة فلو بعثنا إليهم فقدموا إلينا فقاتلنا بهم العدو و انتصفنا بهم و أدركوا اليوم ما فاتهم أمس.

فقال علي لجارية بن قدامة و كان رجل تميم بعد الأحنف ما تقول يا جارية فأجاب بما يدل على كراهته من إشخاص قومه عن البصرة.

ثم خاطب علي^(٥) حارثة فوافق الأحنف في رأيه^(٦).

فقال^(٧) للأحنف اكتب إلى قومك فكتب إليهم يحثهم على الخروج و المسير إليه.

وكتب معاوية بن صعصعة و هو ابن أخي الأشعث إليهم أبياتا في ذلك فلما انتهى كتاب الأحنف و شعر معاوية إلى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة فعزت بالكوفة و كثرت ثم قدمت عليهم ربيعة و لهم حديث.

بيان: قال في القاموس الأستان بالضم أربع كور ببغداد عالي و أعلى و أوسط و أسفل انتهى.

و بهر سير ربما يقرأ بالياء الموحدة المفتوحة و السين المهملة المفتوحة المعد للتنزه.

وربما يقرأ بالنون و الشين المعجمة أي نهر اللب الذي أجراه فرهاد لشيرين.

قوله^(٨) و في سلطان الله لعل المعنى أن في سلطنة الله على عباده و لطفه بهم و شفقتة عليهم و عفوه عنهم و عدم معاجلتهم بالمعاصي مع غناه عنهم و كمال حاجتهم إليه ما ينتذكر من خوله الله سلطنته فينتج سنة الله فيهم و الرجيع الروث.

(١) ما بين المعوقين مأخوذ من كتاب صفين و قد سقط من أصلي من طبعة الكمباني من البحار.

(٢) كذا في أصلي و مثله في كتاب صفين ط مصر.

وفي كتاب الإمامة و السياسة: «هو آخذي بمال آذريبيان» وهو الظاهر.

(٣) وهذا نقل بالمعنى و تلخيص مخل. و تفصيل الكلام في الجزء الأول من كتاب صفين ص ٢٥.

باب بغى معاوية و امتناع أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن تأميره و توجهه إلى الشام للقائه إلى ابتداء غزوات صفين

٣٦٥
٣٢ ٣٤٠- نهج: [إنه] من كتاب له عليه السلام إلى معاوية من المدينة في أول ما بويع له بالخلافة ذكره الواقدي في كتاب الجمل^(١).

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فقد علمت إغذاري فيكم و إغراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه و لا دفع له و الحديث طويل و الكلام كثير و قد أدبر ما أدبر و أقبل ما أقبل فبايع من قبلك و أقبل إلي في وفد من أصحابك و السلام.

بيان: قوله إغذاري فيكم يحتمل أن يكون الخطاب لبني أمية أو لجميع الأمة و اختار ابن أبي الحديد الأول و قال أي مع كوني ذا عذر لو ذممتكم و أسأت إليكم فلم أفعله بل أعرضت عن إسائة تكلم إلي و ضربت عنكم صفحا حتى كان ما لا بد منه يعني عثمان.

وقال ابن ميثم يعني إغذاره إلى الله فيهم و إظهار عذره باجتهاده في نصيحة عثمان أولا و نصرة بني أمية بالذب عنه ثانيا و إغراضه عنهم بعد إياسه عنهم من قبول عثمان نصيحته و من نصرته و الدفع عنه حتى كان ما لا بد منه و لا دفع له من قبله انتهى.

قيل و يحتمل أن يكون المراد بإغذاره عليه السلام استنكافه عن البيعة أولا و هو إغراضه عنهم و ما لا بد منه و لا دفع له هو خلافته عليه السلام و قد مر مثله في مخاطبة طلحة و الزبير فالخطاب لجميع الأمة.

قوله عليه السلام و قد أدبر ما أدبر أي أدبر ذلك الزمان و أقبل زمان آخر.

و في بعض النسخ من أدبر أي بعض الناس أقبلوا إلي و بعضهم أدبر كطلحة و الزبير و أشباههما.

و قال الجوهري وفد فلان على الأمير أي ورد رسولا فهو وافر و الجمع وفد مثل صاحب و صاحب.

٣٦٦
٣٢ ٣٤١- كتاب الصفيين: لنصر بن مزاحم عن عمر بن سعد الأسدي عن نعيم بن ولة عن عامر الشعبي أن عليا عليه السلام حين قدم من البصرة نزع جريرا عن همدان فجاء حتى نزل الكوفة فأراد علي أن يبعث إلى معاوية رسولا فقال له جرير ابعتني إليه فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر ويكون أميرا من أمرائك و أدعو أهل الشام إلى طاعتك و جلهم قومي و أهل بلادي و قد رجوت أن لا يعصوني^(٢).

فقال له الأشر لا تبعته و دعه و لا تصدقه فو الله إنني لأظن هواه هواهم و نيته نيتهم فقال له علي عليه السلام دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا.

فبعثه علي عليه السلام و قال له حين أراد أن يبعثه إن حولي من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الدين و الرأي من قد رأيت و قد اخترتك عليهم لقول رسول الله ﷺ فيك من خير ذي يمن أنت معاوية بكتابي فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون و إلا فانيذ إليه و أعلمه أنني لا أرضى به أميرا و أن العامة لا ترضى به خليفة.

فانطلق جرير حتى أتى الشام و نزل بمعاوية فدخل عليه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين و أهل المصرين و أهل الحجاز و أهل اليمن و أهل مصر و

(١) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٧٥) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٢) رواه نصر بن مزاحم في الجزء الأول من كتاب صفين ص ٢٧ ط مصر ٢. وما هنا تلخيص ما في كتاب صفين.

ورواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٣) من نهج البلاغة: ج ١ ص ٥٥٤ ط الحديث ببغروت.

أهل العروض والعروض عمان^(١) وأهل البحرين واليمامة فلم يبق إلا أهل هذه الحصون التي أنت فيها و لو سأل عليها سيل من أوديته غرقها و قد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك و يهديك إلى مبايعة هذا الرجل و دفع إليه كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن بيعتي لزمتك بالمدينة و أنت بالشام^(٢) لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان علي ما يوعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار و لا للغائب أن يرد و إنما الشورى للمهاجرين و الأنصار إذا اجتمعوا على رجل قسموه إماما كان ذلك لله رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين و ولاه الله ما تولى و يصله جهنم و ساءت مصيرا.

و إن طلحة و الزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق و ظهر أمر الله و هم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إلي فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك و استعنت بالله عليك.

و قد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس و حاكم القوم إلي أحملك و إياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدتها فهي خدعة الصبي عن اللبن.

و لعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان و اعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة و لا تعرض فيهم الشورى.

و قد أرسلت إليك و إلى من قبلك جرير بن عبد الله و هو من أهل الإيمان و الهجرة فبايع و لا قوة إلا بالله.

فلما قرأ الكتاب قام جرير فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إن أمر عثمان قد أعيا من شاهده فما ظنكم بمن غاب عنه و إن الناس بايعوا عليا غير وائر و لا مuttur و كان طلحة و الزبير ممن بايعه ثم نكثا بيعته على غير حدث.

ألا و إن هذا الدين لا يحتمل الفتن ألا و إن العرب لا تحتمل السيف و قد كانت بالبصرة أمس ملحمة إن تشفع البلاء بمثلها فلا نبأ للناس^(٣) و قد بايعت.

العامة عليا و لو ملكنا والله أمورنا لم نختر لها غيره و من خالف هذا استعجب فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس.

فإن قلت استعملني عثمان ثم لم يعزلني فإن هذا أمر لو جاز لم يبق لله دين و كان لكل امرئ ما في يده و لكن الله لم يجعل للأخر من الولاة حق الأول و جعل تلك أمورا موطأة و حقوقا ينسخ بعضها بعضا^(٤).

فقال معاوية انظر و تنظر و أستطلع رأي أهل الشام.

فلما فرغ جرير من خطبته أمر معاوية مناديا فنادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر و قال بعد كلام طويل^(٥).

أيها الناس قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و أنني خليفة عثمان بن عفان عليكم و أنني لم أقم رجلا منكم على خزية قط و أنني ولي عثمان و قد قتل مظلوما و الله يقول و مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا و أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان.

فقام أهل الشام بأجمعهم و أجابوا إلى الطلب بدم عثمان و بايعوه على ذلك و أوتقوا له على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم أو يدركوا ثاره أو يفتي الله أرواحهم^(٦). قال فلما أمسى معاوية اغتم بما هو فيه.

(١) كذا في طبعة الكمباني من كتاب البحار. ومثله في شرح المختار: (٤٣) من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. وفي طبع مصر من كتاب صفين: «وأهل مصر. وأهل العروض وعمان...».

(٢) ومثله في الطبعة القديمة من كتاب صفين وفي شرح المختار: (٤٣) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: «أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام...».

(٣) كذا في أصلي وفي ط مصر من كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد: «فلا بقاء للناس...».

(٤) كذا في الأصل. ومثله في ط مصر من كتاب صفين. وفي شرح ابن أبي الحديد: «ولكن الله جعل للأخر من الولايات حق الأول...» وهذا هو الظاهر.

(٥) ذكر نصر بن مزاحم ح كلام معاوية حرفتي في الجزء الأول من كتاب صفين ص ٣١ ط ٢ بمصر. ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٣) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٥٥٤ ط. الحديث ببيروت.

(٦) وفي كتاب صفين: «لو يدركوا بثأره...» وفي شرح ابن أبي الحديد: «حتى يدركوا بثأره أو تلتحق أرواحهم بالله».

٣٤٢- قال نصر وحدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال واستحثه جرير بالببيعة فقال يا جرير إنها ليست بخلسة وإنه أمر له ما بعده فأبلغني ريتي حتى أنظر.

و دعا قاتله وشاورهم في الأمر فقال له عتبة بن أبي سفيان استعن على هذا الأمر بعمر بن العاص وأمن له بدينه فإنه من قد عرفت وقد اعتزل أمر عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالاً إلا أن يرى فرصة.

٣٤٣- فروى نصر عن عمر بن سعد ومحمد بن عبيد الله قالا كتب معاوية إلى عمرو:

أما بعد فإنه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله فيبيعة علي وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني أقبل أذكرك أمراً.

قال فلما قرئ الكتاب على عمرو استشار ابنه عبد الله ومحمداً فقال ما تريان؟

فقال عبد الله أرى أن نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفان من بعده وقتل عثمان وأنت عنه غائب فقر في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشك أن تهلك فتشقى فيها^(١).

وقال محمد أرى أنك شيخ قریش وصاحب أمرها ولن يصرم هذا الأمر وأنت فيه خامل يتصاغر أمرك فالحق بجامعة أهل الشام فكن يداً من أيديها واطلب بدم عثمان فإنك قد استسلمت فيه إلى بني أمية^(٢).

فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وأنا ناظر فيه.

فلما جنة الليل رفع صوته ينشد أبياتاً في ذلك يرددها^(٣) فقال عبد الله ترحل الشيخ.

قال ودعا عمرو غلاماً له يقال له وردان وكان داهياً مارداً فقال ارحل يا وردان ثم قال حظ يا وردان فقال له وردان خلطت أبا عبد الله أما إنك إن شئت أنبأتك بما في نفسك قال هات ويحك قال اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت علي مع الآخرة في غير دنيا وفي الآخرة عوض من الدنيا ومعاوية مع الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض من الآخرة فأنت واقف بينهما.

قال عمرو فإنك والله ما أخطأت فما ترى يا وردان قال أرى أن تقيم في بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك قال الآن لما شهدت العرب مسيري إلى معاوية^(٤).

فارتحل وسار حتى قدم على معاوية وعرف ذلك معاوية فباعده وكاد كل واحد منهما صاحبه فلما دخل عليه قال أبا عبد الله طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر.

قال عمرو وما ذاك قال ذاك إن محمد بن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدين. ومنها أن يقصر زحف بجامعة الروم إلي ليغلب على الشام.

ومنها أن علياً نزل الكوفة مهتئلاً للمسير إليها.

قال عمرو ليس كل ما ذكرت عظيماً^(٥).

أما أمر ابن أبي حذيفة فما يعظمكم من رجل خرج في أشباهه أن تخرج إليه الخيل حتى تقتله أو تأتيك به وإن فاتك لا يضرك^(٦).

(١) كذا في كتاب صفين ص ٣٤. وفي شرح المختار: (٢٦) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١، ص ٣١٨ ط الحديث ببيروت. «ولا تزيد علي أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أو شكناً أن تهلكا فتستوي في عقابها». وفي ط الكلباني من البحار: «على دنيا قليل أوشك أن تهلكا فتشقى ما فيها».

(٢) كذا في أصلي، وفي شرح ابن أبي الحديد: «فإنه سيقوم بذلك بنو أمية». وفي ط مصر من كتاب صفين: «فإنك قد استمنت فيه إلى بني أمية» وهو الظاهر، واستمنت: سكت.

(٣) والأبيات المذكورة في كتاب صفين وأنساب الأشراف وتاريخ الطبري وشرح ابن أبي الحديد، وللقصّة مصادر كثيرة يجد الباحث كثيراً من محتوياتها في صدر المختار: (١٧٦) من نهج السعادة وتعليقاته: ج ٢ ص ٥ ط ٢، وفي ط ١: ج ٢ ص ٥٧ - ٨٣.

(٤) ومثله في كتاب صفين، وفي شرح ابن أبي الحديد: «قال: الآن لما أشهرت العرب سيري إلى معاوية». وفي كتاب الإمامة والسياسة: «الآن حين شهرتني العرب بمسيري إلى معاوية».

(٥) هذا هو الظاهر الموافق لما في ط مصر من كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد، وفي ط الكلباني من البحار: «قال: كل هذا عظيم». (٦) هذا هو الظاهر الموافق لكتاب صفين غير أن فيه: «أن تبعث إليه خيلاً تقتله...».

وفي أصلي من البحار: «أن تخرج [إليه] الخيل تقتله ولا يضرك...».

و أما قيصر فاهد له من وصفاء الروم و وصفائها^(١) و آنية الذهب و الفضة و سله الموادة فإنه إليها سريع. و أما علي فلا و الله يا معاوية لا تسوي العرب بينك و بينه في شيء من الأشياء و إن له في الحرب لحظا ما هو لأحد من قريش و إنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه.

٣٤٤- و روى نصر عن عمر بن سعد بإسناده قال قال معاوية لعمر بن أبي عبد الله إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه و شق عصا المسلمين و قتل الخليفة و أظهر الفتنة و فرق الجماعة و قطع الرحم قال عمرو إلى من قال إلى جهاد علي قال فقال عمرو و الله يا معاوية ما أنت و علي بعكمي بعير ما لك هجرته و لا سابقته و لا صحبته و لا فقهه و لا علمه و و الله إن له مع ذلك جدا و جدودا و حظا و حظوة و بلاء من الله حسنا فما تجعل لي إن شايئتك علي ما تريد قال حكمك قال مصر طعمة قال فتلكتك عليه معاوية.

٣٤٥- قال نصر و في حديث غير عمر قال قال له معاوية يا أبا عبد الله إني أكره أن تحدث العرب أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض دنيا قال دعني منك قال معاوية إني لو شئت أن أمينك و أخدمك لفعلت قال عمرو لا لعمر الله ما مثلي يخدع و وأنا أكيس من ذلك قال له معاوية ادن مني برأسك أسارك قال فدنا منه عمرو كي يساره فعض معاوية أذنه و قال هذه خدعة هل ترى في البيت أحدا غيري و غيرك.

ثم رجع الكلام إلى حديث عمر^(٢) فقال معاوية يا أبا عبد الله ألم تعلم أن مصرا مثل العراق قال بلى و لكنها إنما تكون لي إذا كانت لك و إنما تكون لك إذا غلبت عليا على العراق.

قال فدخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال أما ترضى أن تشتري عمروا بمصر إن هي صفت لك فليتك لا تغلب علي الشام.

٣٤٦- فقال معاوية يا عتبة بت عندنا الليلة قال فلما جن على عتبة الليل رفع صوته لسمع معاوية بأبيات يحثه فيها على إرضاء عمرو فلما سمع معاوية ذلك أرسل إلى عمرو و أعطاه إياه.

قال فقال عمرو و لي الله عليك بذلك شاهد قال له معاوية نعم لك الله علي بذلك لئن فتح الله علينا الكوفة قال عمرو و الله على ما نقول و كبر.

قال فخرج عمرو من عنده فقال له ابنه ما صنعت قال أعطانا مصر فقالا و ما مصر في ملك العرب قال لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر.

قال فأعطاه إياه و كتب له كتابا و كتب معاوية على أن لا ينقض شرط طاعة^(٣) فكتب عمرو على أن لا تنقض طاعته شرطا.

و كابد كل منهما صاحبه.

٣٤٧- وكان مع عمرو ابن عم له فتى شاب وكان داهيا فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا عجب الفتى وقال ألا تخبرنا يا عمرو بأي رأي تعيش في قريش أعطيت دينك و منيت دنيا غيرك أترى أهل مصر و هم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية و علي حي و تراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب فقال عمرو يا ابن الأخ إن الأمر لله دون علي و معاوية فأنشد الفتى في ذلك شعرا فقال له عمرو يا ابن أخي لو كنت مع علي وسعني بيتي و لكني الآن مع معاوية فقال له الفتى إنك إن لم ترد معاوية لم يردك و لكنك تريد دنياه و يريد دينك.

و بلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب و لحق بعلي فحدثه بأمر عمرو و معاوية قال فسر ذلك عليا و قربه.

(١) هذا هو الصواب الموافق لكتاب صفين، وفي أصلي: «وصفائها»: الوصفاء: جمع الوصيف: الغلام دون المراهق. والمؤنث: وصيفة وجمعها: وصائف.

(٢) وفي كتاب صفين هكذا: ثم رجع [الكلام] إلى حديث عمر: قال: فأنشأ عمرو يقول:

مسعودي لا أعطيكَ ديني ولم أنل
بذلك دنيا فأنظرن كيف تصنع

وساق بقية الأبيات إلى أن قال: [إف] قال [معاوية]: يا أبا عبد الله ألم تعلم أن مصر مثل العراق؟...

(٣) وأشار في أصلي وكتب تحت هذه الجملة إشارة أن في بعض النسخ من كتاب صفين بدل هذه الجملة هكذا: «على أن لا ينقض شرطه طاعته».

قال و غضب مروان و قال ما بالي لا أشترى كما اشترى عمرو قال فقال له معاوية إنما نبتاع الرجال لك.

قال فلما بلغ عليا ما صنع معاوية و عمرو قال:

يا عجباً لقد سمعت منكراً

كذباً على الله يشيب الشعراء

إلى آخر ما سيأتي من الأبيات في آخر الأبواب.

٣٤٦- و روى نصر عن محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال لما بات عمرو عند معاوية و أصبح أعطاه مصر

طعمة و كتب له بها كتاباً و قال ما ترى قال امض الرأي الأول.

فبعث معاوية مالك بن هيرة في طلب ابن أبي حذيفة فأدركه فقتله و بعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه.

ثم قال معاوية لعمرو ما ترى في علي قال أرى فيه خيراً أذاك في هذه البيعة خير أهل العراق و من عند خير الناس في أنفس الناس و دعوتك أهل الشام إلى رد هذه البيعة خطر شديد و رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي و هو وعدو لجرير فأرسل إليه و وطئ له ثقاتك فليفشوا في الناس أن علياً قتل عثمان و ليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب و من تعلق بقلبه شيء لم يخرج به شيء أبداً.

فدعا معاوية يزيد بن ليبد و بسر بن أرطاة و عمرو بن سفيان و مخارق بن الحرث الزبيدي و حمزة بن مالك و حابس بن سعيد الطائي ثم كتب إلى شرحبيل أن جرير بن عبد الله قدم علينا من قبل علي بأمر فظيع فاقدم.

فاستشار شرحبيل أهل اليمن من أهل حمص فاختلفوا عليه فقام إليه عبد الرحمن بن غنم و هو صاحب معاذ و خنته و كان أقره أهل الشام فنهاه عن المسير إلى معاوية و وعظه و نهاه أيضاً عياض اليماني و كان ناسكاً.

فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية.

فلما قدم عليه تلقاه الناس فأعظموه و دخل على معاوية فقال له معاوية يا شرحبيل إن جرير بن عبد الله يدعونا إلى بيعة علي و علي خير الناس لو لا أنه قتل عثمان و حبست نفسي عليك و إنما أنا رجل من أهل الشام أَرْضَى ما رضوا و أكره ما كرهوا.

فقال شرحبيل اخرج فانظر فخرج فلقبه هؤلاء النفر الموطنون له كلهم يخبره بأن علياً قتل عثمان فرجع مغضباً إلى معاوية فقال يا معاوية أبى الناس إلا أن علياً قتل عثمان و الله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك قال معاوية ما كنت لأخالف عليكم ما أنا إلا رجل من أهل الشام قال فرد هذا الرجل إلى أصحابه إذن.

قال فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق و أن أهل الشام مع شرحبيل.

فخرج شرحبيل فأتى حصين بن نمير فقال ابعت إلى جرير فبعث إليه حصين أن زرنا فإن عندنا شرحبيل بن السمط فاجتمعاً عنده.

فتكلم شرحبيل فقال يا جرير أتيتنا بأمر مقلق لتلقينا في لهوات الأسد و أردت أن تخطل الشام بالعراق و أطريت علياً و هو قاتل عثمان و الله سائلك عما قلت يوم القيامة.

فأقبل عليه جرير و قال يا شرحبيل أما قولك إنني جئت بأمر ملفف فكيف يكون أمراً ملففاً و قد اجتمع عليه المهاجرون و الأنصار و قوتل على رده طلحة و الزبير.

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي أَلْتَيْتُكَ فِي لَهَوَاتِ الْأَسَدِ فِي لَهَوَاتِهَا أَلْتَيْتَ نَفْسَكَ.

وَأَمَّا خُلُطُ الْعِرَاقِ بِالشَّامِ فَخُلُطَهَا عَلَى حَقِّ خَيْرٍ مِنْ فِرْقَتِهَا عَلَى بَاطِلٍ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ فَوَاللَّهِ مَا فِي يَدَيْكَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْقَذْفُ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَ لَكِنَّكَ مَلْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَ شَيْءٌ كَانَ فِي نَفْسِكَ عَلَى زَمَنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ.

فبلغ معاوية قول الرجلين فبعث إلى جرير و زجره و كتب جرير إلى شرحبيل أبياتاً يعظه فيها فزعر شرحبيل و فكر فاستزله القوم و لقف له معاوية الرجال و لم ينفعه زجر قومه له و لا غيرهم حتى إنه بعثه معاوية إلى مدائن الشام يدعوه إلى الطلب بدم عثمان فبدأ بأهل حمص فأجابوه إلا نساك من أهل حمص فإنهم قاموا إليه فقالوا بيوتنا قبورنا و مساجدنا و أنت أعلم بما ترى.

٣٧ وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها لا يأتي على قوم إلا قبلوا ما أتاهم به.

فآيس جرير عند ذلك من معاوية ومن عوام الشام.

٣٤٧- قال نصر و كان معاوية قد أتى جريرا قبل ذلك في منزله فقال يا جرير إني قد رأيت رأيا قال هاته قال اكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عتقي وأسلم له هذا الأمر و أكتب إليه بالخلافة فقال جرير اكتب بما أردت و أكتب معك فكتب معاوية بذلك إلى علي.

أما بعد فإنما أراد معاوية أن لا يكون لي في عتقه بيعة و أن يختار من أمره ما أحب و أراد أن يرثك حتى يذوق أهل الشام و إن المغيرة بن شعبه قد كان أشار علي أن أستعمل معاوية على الشام و أنا بالمدينة فأبيت ذلك عليه. و لم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضدا فإن بايعك الرجل و إلا فأقبل. و فشا كتاب معاوية في العرب.

٣٤٨- و في حديث صالح بن صدقة قال أبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس و قال علي وقت لرسولي وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا و أبطأ على علي ﷺ حتى آيس منه.

٣٤٩- و في حديث محمد و صالح بن صدقة قالا و كتب علي ﷺ إلى جرير:

أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل ثم خيره و خذه بالجواب بين حرب مخزية أو سلم محظية فإن اختار الحرب فأنبذ له و إن اختار السلم فخذ به بيبعة^(١).

فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى به إلى معاوية فأقرأه الكتاب و قال يا معاوية إنه لا يطع على قلب إلا بذنب و لا ينشرح إلا بتوبة و لا أظن قلبك إلا مطبوعا أراك قد وقفت بين الحق و الباطل كأنك تنتظر شيئا في يدي غيرك فقال معاوية ألقاك بالفصل في أول مجلس إن شاء الله.

٣٥٠- فلما بايع معاوية أهل الشام و ذاقهم قال يا جرير الحق بصاحبك و كتب إليه بالحرب^(٢) فأجابه علي ﷺ. من علي إلى معاوية بن صخر أما بعد فقد أتاني كتاب امرئ ليس له بصر يهديه و لا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه و قاده الضلال فاتبعه^(٣).

٣٨٠ زعمت أنه إنما أفسد عليك بيعتي خطييتي في عثمان و لعمرى ما كنت إلا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا و أصدرت كما أصدروا و ما كان الله ليجمعهم على ضلالة و لا يضرهم بالعمى و ما أمرت فيلزميني خطيئة الأمر و لا تقلت فيجب علي قصاص.

و أما قولك إن أهل الشام هم الحكماء على أهل الحجاز فهات رجلا من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحل له الخلافة فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون و الأنصار و إلا أتيتك به من قريش الحجاز.

و أما قولك ادفع إلينا قتلة عثمان فما أنت و عثمان إنما أنت رجل من بني أمية و بنو عثمان أولى بذلك منك. فإن زعمت أنك أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي ثم حاكم القوم إلي أحملك و إياهم على المحجة. و أامتيزك بين الشام و البصرة و بينك و بين طلحة و الزبير فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا واحد لأنها بيعة عامة لا يشئ فيها النظر و لا يستأنف فيها الخيار.

و أما ولوعك بي في أمر عثمان فما قلت ذلك عن حق العيان و لا يقين بالخبر.

(١) كذا في أصلي، ومثله في شرح ابن أبي الحديد: ج ١، ص ٥٦٢ ط الحديث ببيروت.

وفي ط مصر من كتاب صفين: «فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل. و خذ به بالأمر الجرم، ثم خيره بين حرب مجلبة أو سلم محظية...».

(٢) ورسالة معاوية إلى الإمام أمير المؤمنين في إعلانه بالحرب ذكرها المبرّد في كتاب الكامل ص ١٤٨، ورواها عنه محقق كتاب صفين في هامش المقام منه ص ٥٦ ط ٢.

(٣) هذا هو الظاهر المذكور في شرح المختار: (٤٣) من شرح ابن أبي الحديد، والمختار: (٧) من الباب الثاني من نهج البلاغة غير أن فيه: «قد دعاه الهوى فأجابه...».

وفي كتاب صفين: «ليس له نظر يهديه ولا قائد يرشده...». وها هنا في ط الكمباني من البحار تقديم وتأخير.

وأما فضلي بالإسلام و قرابتي من النبي ﷺ و شرفي في قريش فلعمري لو استطعت دفع ذلك لدفعته^(١).

٣٥١- نصر عن صالح بن صدقة بإسناده قال لما رجع جرير إلى علي ﷺ كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية فاجتمع جرير و الأشتر عند علي ﷺ فقال الأشتر أما و الله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيرا لك من هذا الذي أُرُخى من خناقه و أقام عنده حتى لم يدع بابا يرجو روحه إلا فتحه أو يخاف غمه إلا سده.

فقال جرير و الله لو أتيتهم لقتلوك و خوفه بعمره و ذي الكلاع و حوشب و قد زعموا أنك من قتلة عثمان. فقال الأشتر لو أتيتهم و الله يا جرير لم يعينني جوابها و لم يشغل علي محملها و لحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر قال فأتهم إذا قال الآن و قد أسفدتهم و وقع بيننا الشر.

٣٥٢- و عن الشعبي قال اجتمع جرير و الأشتر عند علي ﷺ فقال الأشتر أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعت جريرا و أخبرتك بعداوتة و غشه و أقبل الأشتر يشتمه و يقول يا أبا بجيلة إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان و الله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حيا إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يدا بمسيرك إليهم ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم و أنت و الله منهم و لا أرى سعيك إلا لهم و لئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ﷺ ليحبسك و أشباهك في محبس لا تخرجون منه حتى تستبين من هذه الأمور و يهلك الله الظالمين.

قال فلما سمع جرير ذلك لحق بقرقيسا و لحق به أناس من قيس و لم يشهد صفين من قيس^(٢) غير تسعة عشر رجلا و لكن أحس^(٣) شهدا منها سبعمائة رجل.

٣٨٢
٣٧ و خرج علي ﷺ إلى دار جرير فشعث منها و حرق مجلسه و خرج أبو زرعة عمرو بن جرير و قال أصلحك الله إن فيها أيضا لغير جرير فخرج علي منها إلى دار ثوير بن عامر فحرقها و هدم منها و كان ثوير رجلا شريفا و كان قد لحق بجرير.

٣٥٣- و في حديث صالح بن صدقة قال لما أراد معاوية المسير إلى صفين كتب إلى أهل مكة و أهل المدينة كتابا يذكرهم فيه أمر عثمان^(٤) فكتب إليه عبد الله بن عمر مجيبا له و لابن العاص:

أما بعد فلقد أخطأنا موضع النصرة و تناولنا من مكان بعيد و ما زاد الله من شك في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً^(٥) و ما أنتما و المشورة و ما أنتما و الخلافة؟

و أما أنت يا معاوية فطليق و أما أنت يا عمرو فظنون ألا كفنا عنا أنفسكما فليس لكما ولي و لا نصير. و أجابه سعد بن أبي وقاص أما بعد فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحل له الخلافة من قريش فلم يكن أحد منا أحق من صاحبه إلا باجتماعنا عليه غير أن عليا قد كان فيه ما فينا و لم يك فينا ما فيه و هذا أمر قد كرهنأ أوله و كرهنأ آخره.

و أما طلحة و الزبير فلو لزمنا بيوتهما كان خيرا لهما و الله يغفر لأم المؤمنين ما أتت به.

٣٥٤- و كتب إليه محمد بن مسلمة أما بعد فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله ﷺ مثل الذي في يدي فقد أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن قبل أن يكون فلما كان كسرت سيفي و جلست في بيتي و انتهت الرأي على الدين إذا لم يصلح لي معروف أمر به و لا منكر أنهى عنه و لعمري ما طلبت إلا الدنيا و لا اتبعت إلا الهوى فإن تنصر عثمان ميتا فقد خذلت حيا فما أخرجني الله من نعمة و إلا صيرني إلى شك.

٣٥٥- قال و روى صالح بن صدقة عن إسماعيل بن زياد عن الشعبي أن عليا ﷺ قدم من البصرة مستهمل رجب و أقام بها سبعة عشر شهرا يجري الكتب فيما بينه و بين معاوية و عمرو بن العاص.

(١) و قريبا منه جداً رواها السيّد الرضّي في المختار: (٦ - ٧) من باب كتب أمير المؤمنين في نهج البلاغة.

(٢) هذا هو الصواب، و في أصلي في الموردين: «قيس». و قسر - بفتح القاف -: هم بنو بجيلة رهط جرير بن عبد الله الجلي.

(٣) بنو أحس هم من بطون بجيلة بن أنمار بن نزار. و كانت بجيلة في اليمن. كذا في هامش كتاب صفين عن كتاب المعارف ٢٩ ط ٤٦.

(٤) و نص كتاب مذكور في كتاب صفين ص ٦٣ ط مصر ٧.

(٥) كذا في الأصل، و في كتاب صفين: «وما زاد الله من شك في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً».

٣٥٦- وفي حديث محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال لما قدم عبيد الله بن عمر على معاوية بالشام أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فقال يا عمرو إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدم عبيد الله بن عمر وقد رأيت أن أقيمه خطيباً فيشهد على علي بقتل عثمان وينال منه فقال الرأي ما رأيته فبعث إليه فأثاء فقال له يا ابن أخ إن لك اسم أليك فانظر بملء عينيك و تكلم بكل فيك فأنت المأمون المصدق فاصعد المنبر فاشتم علياً و اشهد عليه أنه قتل عثمان.

فقال يا أمير المؤمنين أما شمتي له فإنه علي بن أبي طالب و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم فما عسى أن أقول في حسبه و أما بأسه فهو الشجاع المطرق و أما أيامه فما قد عرفت و لكني ملزمه دم عثمان فقال عمرو إذا و الله قد نكأت القرحة.

فلما خرج عبيد الله قال معاوية أما و الله لو لا قتله الهرمزان و مخافة علي على نفسه ما أتاننا أبداً ألم تر إلى تقيظه علياً.

فلما قام عبيد الله خطيباً تكلم بحاجته حتى إذا أتى إلى أمر علي أمسك فعاتبه معاوية فاعتذر بأنني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان و عرفت أن الناس محتملوها عني.

فهرجه معاوية و استخف بحقه حتى أنشد شعراً في مدح عثمان و تصويب طلحة و الزبير فأرضاه و قربه و قال حسبي هذا منك.

بيان قوله من خير ذي يمن إشارة إلى رواية وردت في مدحه قال ابن الأثير في مادة ذوي يمن كتاب النهاية في حديث المهدي قرشي يمان ليس من ذي و لا ذو أي ليس في نسبه نسب آذواء اليمن و هم ملوك حمير منهم ذو يزن و ذو رعين و قوله قرشي يمان أي و هو قرشي النسب يمانى المنشأ و منه حديث جرير يطلع عليكم رجل من ذي يمن على وجهه مسحة من ذي ملك و كذا أورده أبو عمر الزاهد و قال ذي هاهنا صلة أي زائدة انتهى.

و الحكم بالكسر العدل و عكمت المتاع شددته.

قوله علي أن لا يتنقض قال ابن أبي الحديد تفسيره أن معاوية قال للكاتب اكتب علي أن لا يتنقض شرط طاعة يريد أخذ إقرار عمرو له أنه قد بايعه على الطاعة ببيعة مطلقة غير مشروطة بشيء و هذه مكايده له لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع عن مصر و لم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته و يحتاج عليه برجوعه عن إعطائه مصر لأن مقتضى المشاركة المذكورة أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقاً سواء كان مصر مسلمة إليه أو لا.

فلما انتبه عمرو على هذه المكيدة منع الكاتب من أن يكتب ذلك و قال بل اكتب علي أن لا تنقض طاعة شرطاً يريد أخذ إقرار معاوية بأنه إذا أطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه و هذا أيضاً مكايده من عمرو لمعاوية.

و في النهاية و الصحاح نقضت المكان و استنفضته و تنفضته إذا نظرت جميع ما فيه و النفضة بفتح الفاء و سكنوها و النفیضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدواً أو خوفاً.

و قرقيساً بالكسر و يمد و يقصر بلد على الفرات و التفریط مدح الإنسان و هو حي بحق أو باطل.

٣٥٧- البرسي في مشارق الأنوار، عن محمد بن سنان قال بينا أمير المؤمنين عليه السلام يجهز أصحابه إلى قتال معاوية إذا اختصم إليه اثنان قلقي أحدهما في الكلام فقال له أخساً يا كلب فعوى الرجل لوقت و صار كلباً فبهت من حوله و جعل الرجل يشير بإصبعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام و يتضرع فنظر إليه و حرك شفتيه فإذا هو بشر سوي فقام إليه بعض أصحابه و قال له مالك تجهز السكر و لك مثل هذه القدرة فقال و الذي فلق الحبة و برأ النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة في هذه الفلوات حتى أضرب صدر معاوية فأقلبه عن سريره لنعلت و لكن عباداً مَكْرُومُونَ لَا يَسْقُوتُونَ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ^(١).

٣٥٨- ختص: [الإختصاص] محمد بن علي عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير (١).
عن أبان الأحمر قال قال الصادق عليه السلام يا أبان كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه لما قال لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره و لا ينكرون تناول آصف وصي سليمان عرش بلقيس و إتيان سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفه أليس نبينا أفضل الأنبياء و وصيه أفضل الأوصياء أفلا جعلوه كوصي سليمان حكم الله بيننا و بين من جحد حقنا و أنكروا فضلنا.

٣٥٩- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقيفي عن عبيد الله بن أبي هاشم عن عمر بن ثابت عن جبلة بن سحيم قال لما بوع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلغه أن معاوية قد توقف عن إظهار البيعة له و قال إن أقرني على الشام و أعمالي التي ولانيها عثمان بايعته.
فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له يا أمير المؤمنين إن معاوية من قد عرفت و قد ولاه الشام من كان قبلك فوله أنت كيما تتسق عرى الأمور ثم أعزله إن بدا لك.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه قال لا قال لا يسألني الله عز و جل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبدا و ما كنت متخذ الفضل عتداً لكن أبعت إليه و أدعوه إلى ما في يدي من الحق فإن أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم و عليه ما عليهم و إن أبى حاكمته إلى الله.
فولى المغيرة و هو يقول فحاكمه إذا فحاكمه إذا فأنشأ يقول:

نصحت عليا في ابن حرب نصيحة
و لم يقبل النصح الذي جئته به
و قالوا له ما أخلص النصح كله
فرد فما مني له الدهر ثانية
و كانت له تلك النصيحة كافية
فقلت له إن النصيحة غالية

فقام قيس بن سعد رحمه الله فقال يا أمير المؤمنين إن المغيرة أشار عليك بأمر لم يرد الله به فقدم فيه رجلا وأخر فيه أخرى فإن كان لك الغلبة تقرب إليك بالنصيحة و إن كانت لمعاوية تقرب إليه بالمشورة ثم أنشأ يقول:

يكاد و من أرسى شبيرا مكانه
و كنت بحمد الله فينا موقفا
فسبحان من علا السماء مكانها
و الأرض دحاها فاستقرت كما هيه
مغيرة أن يقوي عليك معاوية
و تلك التي أراكها غير كافية
و الأرض دحاها فاستقرت كما هيه

بيان: قوله الدهر منصوب على الظرفية أي ليس مني نصيحة ثانية ما بقي الدهر.

قوله و من أرسى الواو للقسمة أي بحق الذي أثبت جبل شبير المعروف بمنى.

٣٦٠- شا: [الإرشاد] من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لما عمد المسير إلى الشام لقتال معاوية بن أبي سفيان قال بعد حمد الله و الثناء عليه و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

اتقوا الله عباد الله و أطيعوه و أطيعوا إمامكم فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل ألا و إن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر و قد أصبح معاوية غاصبا لما في يديه من حقي ناكثا لبيعتي طاعنا في دين الله عز و جل.
و قد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس و جئتموني راغبين إلي في أمركم حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني فالتويت عليكم لأبلو ما عندكم فراودتموني القول مرارا و راودتكم و تكاثرت علي تكاثر الإبل الهيم على حياضها حرصا على بيعتي حتى خفت أن يقتل بعضكم بعضا.

فلما رأيت ذلك منكم رويت في أمري و أمركم و قلت إن أنا لم أجبهم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحدا يقوم فيهم مقامي و يعدل فيهم عدلي و قلت و الله لألينهم و هم يعرفون حقي و فضلي أحب إلي من أن يلوني و هم لا يعرفون حقي و فضلي فبسطت لكم يدي فبايعتموني يا معشر المسلمين و فيكم المهاجرون و الأنصار و التابعون بإحسان.
فأخذت عليكم عهد بيعتي و واجب صفقتي من عهد الله و ميثاقه و أشد ما أخذ على النبيين من عهد و ميثاق

ويمكن أن يجاب عنه بوجوه الأول القدرح في تلك الأمور فإنها مستندة إلى أقوال المؤرخين و المفسرين من المخالفين فيمكن أن يكون طالوت من سبط النبوة أو المملكة فيكون ادعاؤهم الأحقية من جهة المال فقط.

$$\frac{29}{22}$$

الثاني أن كونه من ولد يعقوب وإسحاق وإبراهيم كاف في ذلك.

الثالث أن يكون الاستدلال من جهة ما يفهم من الآية من كون النبوة في سبط مخصوص آبائهم أنبياء فالمراد بالخلافة رئاسة الدين وإن اجتمعت رئاسة الدين والدنيا في تلك الأمة فلا ينافي الاستدلال بالبسطة في العلم والجسم فإنه إذا اشترط في الرئاسة الدنيوية فقط البسطة في العلم والجسم فاشتراطهما في الرئاستين ثابت بطريق أولى.

٣٩١
٣٢

٣٦١-شا: [الإرشاد] ومن كلامه ﷺ وقد بلغه عن معاوية وأهل الشام ما يؤذيه من الكلام فقال^(١):

الحمد لله قديما وحديثا ما عاداني الفاسقون فعادهم الله ألم تعجبوا إن هذا لهر الخطب الجليل إن فساقا غير مرضيين وعن الإسلام وأهله منحرفين خدعوا بعض هذه الأمة وأشربوا قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان قد نصبوا لنا الحرب وهبوا في إطفاء نور الله والله مُمِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

اللهم إن ردوا الحق فاقض خدمتهم^(٢) وشتت كلمتهم وأسلهم بخطاياهم فإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت.

٣٦٢-نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ عند عزمه على المسير إلى الشام^(٣):

اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في النفس والأهل والمال.

اللهم أنت صاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل ولا يجمعهما غيرك لأن المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا.

قال السيد رضي الله عنه وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله ﷺ وقد فقهه أمير المؤمنين ﷺ بأبلغ كلام و تمه بأحسن تمام من قوله لا يجمعهما غيرك إلى آخر الفصل.

٣٩٢
٣٢

بيان قال ابن ميثم روي أنه ﷺ دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب متوجها إلى حرب معاوية والوعشاء المشقة والآية الحزن والمنقلب مصدر من قولهم انقلب متقلبا رجوع وسوء المنظر هو أن يرى في نفسه أو أهله أو ماله ما يكرهه.

٣٦٣-نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية^(٤):

أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم مخزية فإن اختار الحرب فانبذ إليه وإن اختار السلم فخذ بيعته والسلام.

تبيين:

قال ابن ميثم روي أن جريرا أقام عند معاوية حين أرسله ﷺ حتى اتهمه الناس فقال علي ﷺ قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا.

فأبطأ جرير حتى أيس منه فكتب إليه بعد ذلك هذا الكتاب فلما انتهى إليه أتى معاوية فأقرأه إياه وقال يا معاوية إنه لا يطبع على قلب إلا بذنب ولا يشرح إلا بتوبة ولا أظن قلبك إلا مطبوعا أراك قد وقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئا في يد غيرك.

فقال معاوية ألقاك بالفصل في أول مجلس إن شاء الله ثم أخذ في بيعة أهل الشام فلما انظم أمره لقي جريرا وقال له الحق بصاحبك وأعلمه بالحرب فقدم جرير إلى علي ﷺ.

قال والبجلي منسوب إلى بجيلة قبيلة والمجلية من الإجماع وهو الإخراج عن الوطن قهرا والمخزية المهينة

٣٩٣
٣٢

(١) رواه الشيخ المفيد قدس الله نفسه في الفصل: (٣١) مما اختار من كلام أمير المؤمنين ج في كتاب الإرشاد، ص ١٤٩.

(٢) كذا في أصلي، وفي طبعة النجف من كتاب الإرشاد: «فأفض خدمتهم...».

(٣) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٤٦) من نهج البلاغة، وقريباً منه رويناه في المختار: (١٨٤) من نهج السعادة ج ٢ ص ١٢٤ ط ١.

(٤) رواه السيد الرضي ح في المختار: (٨) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

والمذلة وروي مجزية بالجم أي كافية والحرب والسلام مؤنثان لكونهما في معنى المحاربة والمسالمة والنبد الإلقاء والرمي والمقصود أن يجهر له بذلك من غير مداينة كقوله تعالى وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ. ٣٦٤- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له عليه السلام و قد أشار إليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله إلى معاوية^(١):

أن استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه ولكن قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا والرأي عندي مع الأناة فأرودوا ولا أكره لكم الاستعداد لحرب أهل الشام. ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلبت ظهره ويطنه ولم أر لي إلا القتال أو الكفر بما أنزل على محمد ﷺ. إنه قد كان على الأمة وال أحدت أحداثا وأوجد الناس مقالا فقالوا ثم تقموا فغيروا.

بيان: جرير بن عبد الله البجلي كان عاملا لعثمان على ثغر همدان فلما صار الأمر إليه طلبه فأجاب بالسمع والطاعة وقدم إليه فأرسله إلى معاوية.

٣٦٥- وروي أنه عليه السلام لما أراد بعثه قال جرير والله يا أمير المؤمنين ما أذكرك من نصري شيئا وما أطمع لك في معاوية فقال قصدي حجة أقيمها ثم كتب معه فإن بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام إلى آخر ما مر برواية نصر بن مزاحم.

فأجابه معاوية أما بعد لعلمي لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ولكنك أغريت بعثمان وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان فإن فعلت كانت شوري بين المسلمين.

ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة و الزبير لأنهما بايعاك و لم أباعك و لا حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لأنهم أطاعوك و لم يطعك أهل الشام.

فأما شرفك في الإسلام و قرابتك من النبي ﷺ و موضعك من قريش فلست أدفعه. و كتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل:

أرى الشام يكره أهل العراق و أهل العراق لها كارهونا

٣٦٦- و يروي أن الكتاب الذي كتبه عليه السلام مع جرير كانت صورته إنني قد عزلتك ففوض الأمر إلى جرير و السلام^(٢). و قال لجرير صن نفسك عن خداعه فإن سلم إليك الأمر و توجه إلي فأقم أنت بالشام و إن تعلل بشيء فارجع. فلما عرض جرير الكتاب على معاوية تعلل بمشاورة أهل الشام و غير ذلك فرجع جرير و كتب معاوية في أثره في ظهر كتاب علي عليه السلام من و لاك حتى تعزلني و السلام.

و يقال أغلق الباب إذا جعله بحيث يعسر فتحه والمراد بالخير الطاعة و الأناة كالقناة اسم من الثاني وأرودوا على صيغة الإفعال أي أرفقوا والإعداد التهيئة كالاستعداد.

وربما يتوهم التنافي بين ذكر مفسدة الاستعداد أولا. و عدم كراهة الإعداد ثانيا.

ودفع بوجوه منها أنه كره استعداد نفسه بجمع العسكر و عرضهم و تحريضهم على القتال دون إعداد أصحابه بإصلاح كل منهم فرسه و أسلحته.

ومنها أن المكروه إظهار الإعداد دون الإعداد سرا و تركنا بعض الوجوه لو هنها.

وضرب الأنف و العين مثل للعرب يراد منه الاستقصاء في البحث و التأمل و قلب الظهر و البطن التأمل في ظاهر الأمر و باطنه.

وإطلاق الكفر هنا على المبالغة أو بالمعنى الذي يطلق على ترك الفرائض و فعل الكبائر كما سيأتي في أبواب الإيمان و الكفر.

(١) رواه السيد الرضوي ح في المختار: (٤٣) من نهج البلاغة.

ورويته عن مصادر في المختار: (١٧٤) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٨٩ ط ١.

(٢) إلى حين كتابة هذا التعليق وهو (٢٩) من جمادى الأولى عام (١٤٠٤) ما رأيت صورة هذا الكتاب في مصدر موثوق.

و يحتمل على بعد اختصاص ذلك بالإمام والمراد بالوالي عثمان و بالأحداث البدع و الأمور المنكرة و أوجد الناس مقالا أي أبدى لهم طريقا إليه بأحدثه و تفسير أوجدها هنا بأعضب كما قيل غريب و تقموا كضربوا أي عتبا و طعنوا عليه.

٣٦٧- نهج: [نهج البلاغة] و من وصية له ﷺ لمعلقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له اتق الله الذي لا بد لك من لقائه و لا منتهى لك دونه و لا تقتاتن إلا من قاتلك و سر البردين و غور الناس و رفه في السير و لا تسر أول الليل فإن الله جعله سكنا و قدره مقاما لا ظعنا فأرح فيه بدنك و روح ظهرك فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله^(١).

فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا و لا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري.

و لا يحملنكم شن أنهم على قتالهم قبل دعائهم و الإعذار إليهم

بيان: قال ابن ميثم روي أنه ﷺ بعثه من المدائن و قال له امض على الموصل حتى توافيني بالركة ثم أوصاه بذلك.

و البردان الغداة و العشي و قال الجوهري التغوير القيلولة يقال غوروا أي انزلوا للقائلة قال أبو عبيد يقال للقائلة الغائرة و الترفيه الإراحة و السكن ما يسكن إليه و الظعن الارتحال.

و قال ابن الأثير في النهاية الظهر الإبل الذي يحمل عليها و يركب.

قوله ﷺ فإذا وقفت قال ابن أبي الحديد أي إذا وقفت ثقلك و جملك لتسير فليكن ذلك حين ينبطح السحر أي حين يتسع و يمتد أي لا يكون السحر الأول بل ما بين السحر الأول و بين الفجر الأول و أصل الانبطاح السعة و منه الأبطح بمكة.

و قال الجوهري نشب الشيء في الشيء بالكسر نشوبا أي علق فيه و أنشبهت أنا فيه و يقال نشب الحرب بينهم ثارت و الشن أن البغض و في بعض النسخ شبابكم قبل دعائهم أي إلى الإسلام و يقال أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العذر.

٣٦٨- نهج: [نهج البلاغة] و قال ﷺ و قد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترجلوا له و اشتدوا بين يديه ما هذا الذي صنعتموه فقالوا خلق منا نعظم به أمراءنا فقال ﷺ و الله ما ينتفع بهذا أمراؤكم و إنكم لتشقون به على أنفسكم و تشقون به في آخرتكم و ما أخسر المشقة وراءها العقاب و أربح الدعة معها الأمان من النار^(٢).

بيان: الدهقان بكسر الدال و ضمها رئيس القرية و الشد العدو و اشتد عدا و تشقون به لعله لكون غرضهم تسلط على الناس و الجور عليهم للتقرب عند الإمام و إظهاره عند الناس أو يكون غرضه ﷺ تعليمهم و نههم عن فعل ذلك مع غيره ﷺ من أئمة الجور

٣٦٩- كتاب صفين: لنصر بن مزاحم روى عن عبد الرحمن بن عبيد الله قال لما أراد علي ﷺ المسير إلى الشام دعا من كان معه من المهاجرين و الأنصار فجمعهم ثم حمد الله و أثنى عليه و قال^(٣):

أما بعد فإنكم يماين الرأي مراجيح الحلم الحكم مباركو الأمر مقاويل بالحق و قد عزمنا على المسير إلى عدونا و عدوكم فأشيروا علينا برأيكم.

فقام هاشم بن عتبة و عمار بن ياسر و قيس بن سعد بن عبادة و سهل بن حنيف فصبوا رأيه و بذلوا إليه نصرتهم. أقول: و تركنا كلامهم مخالفة التطويل و الإسهاب.

(١) رواء السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (١٢) من باب الكتب من نهج البلاغة.

(٢) رواء السيد الرضي المختار: من الباب الثالث من نهج البلاغة، ورويناها أيضاً في المختار: (١٩٠) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤١.

(٣) رواء نصر - مع التوازي - في أوائل الجزء الثاني من كتاب صفين ص ٩٢ ط ٢ بمصر، ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار (٤٦) من نهج البلاغة: ج ٣ ص ١٧١.

٣٧٠- ثم روى نصر عن معبد قال قام علي عليه السلام على منبره خطيباً فكتبت تحت المنبر أسمع تحريضه الناس وأمره لهم بالمسير إلى صفين فسمعتة يقول سيروا إلى أعداء الله سيروا إلى أعداء القرآن والسنة سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار.

فعارضه رجل من بني فزارة ووطأه الناس بأرجلهم وضربوه بنعالهم حتى مات فوداه أمير المؤمنين من بيت المال. فقام الأشتر وقال يا أمير المؤمنين لا يهدنك ما رأيت ولا يؤيسنك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن إلى آخر ما قال:

رفع الله مقامه وبالغ في إظهاره الثبات على الحق وبذل النصرة:

فقال عليه السلام الطريق مشترك والناس في الحق سواء ومن اجتهد رأييه في نصيحة العامة فقد قضى ما عليه.

ثم نزل عليه عن المنبر فدخل منزله.

فدخل عليه عبد الله بن المعتمد العيسبي وحظلة بن الربيع التميمي والتسما منه عليه السلام أن يستأني بالأمر ويكتب معاوية ولا يعجل في القتال فتكلم أمير المؤمنين عليه السلام وقال بعد حمد الله والثناء عليه.

أما بعد فإن الله وارث العباد والبلاد ورب السماوات السبع والأرضين السبع وإليه ترجعون يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويدل من يشاء أما الدبرة فإنها على الضالين العاصين ظفروا أو ظفر بهم.

وأي الله إني لأسمع كلام قوم ما يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً.

فقال الحاضرون هما من أصحاب معاوية ويكاتبانه وكثر الكلام بين أصحابيه في ذلك.

٣٧١- وروى نصر عن عبد الله بن شريك قال خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة من أهل الشام فأرسل علي عليه السلام إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما فأتياه فقالا يا أمير المؤمنين ألسنا محقين قال بلى قال فلم منعنا من شتمهم قال كرهت لكم أن تكونوا لعائين شتامين تشتمون وتبرءون ولكن لو وصفت مساوئ أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن أعمالهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر ولو قلت مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم اللهم أمقن دماءهم ودماءنا وأصلح ذات بينهم وبيننا واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان منهم من لج به لكان أحب إلي وخيرا لكم.

فقالا يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك وتؤادب بأدبك

قال نصر وقال له عمرو بن الحمق يومئذ والله يا أمير المؤمنين إني ما أجبتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ولا إرادة مال تؤتيني ولا إرادة سلطان ترفع به ذكري ولكني أجبتك بخصال خمس أنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأول من آمن به وزوج سيدة نساء الأمة فاطمة بنت محمد وصيه وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله وأسبق الناس إلى الإسلام وأعظم المهاجرين سهما في الجهاد فلو أنني كلفت نقل الجبال الرواسي ونزع البحور الطوامي حتى يأتي علي يومي في أمر أقوى به وليك وأمين به عدوك ما رأيت أنني قد أدبت فيه كل الذي يحق علي من حقه.

فقال علي عليه السلام اللهم نور قلبه بالتقى واهد إلى صراطك المستقيم ليت أن في جندي مائة مثلك فقال حجر إذا والله يا أمير المؤمنين صح جندك وقل فيهم من يغشك.

قال وكتب علي عليه السلام إلى عماله حينئذ يستفهم فكتب إلى مخنف بن سليم.

٤٤٣ سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن جهاد من صدف عن الحق رغبة عنه وهب في نعاس العمى والضلال اختياراً له فريضة على العارفين إن الله يرضى عن أرضاه ويسخط على من عصاه وإننا قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله في كتاب الله بغير ما أنزل الله واستأثروا بالغيء وعطلوا الحدود وأماتوا الحق وأظهروا في الأرض الفساد واتخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين فإذا ولي الله أعظم أعدائهم أبغضوه وأقصوه وجرموا وإذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبوه وأدبوه وبروه فقد أصروا على الظلم وأجمعوا على الخلاف وقديما ما صدوا عن الحق وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين.

فإذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك وأقبل إلينا لعلك تلقى معنا هذا العدو

المحل فأنمر بالمعروف وتنتهى عن المنكر وتجامع المحق وتبين المبطل فإنه لا غناء بنا ولا بك عن أجر الجهاد وخشيتنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في سنة سبع وثلاثين.

قال فاستعمل مخنف على أصبهان الحارث بن أبي الحارث بن الربيع واستعمل على همدان سعيد بن وهب وأقبل حتى شهد مع علي صفين.

قال وكتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى علي يذكر له اختلاف أهل البصرة فكتب علي إليه:

أما بعد فقد قدم علي رسولك وقرأت كتابك تذكر فيه حال أهل البصرة واختلافهم بعد انصرافي عنهم وسأخبرك عن القوم هم بين مقيم لرغبة يرجوها أو خائف من عقوبة يخشاها فارغب راعبهم بالعدل عليه والإنصاف له والإحسان إليه وحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وانتة إلى أمري وأحسن إلى هذا الحي من ربيعة وكل من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت إن شاء الله.

قال نصر وكتب إلى الأسود بن قصبه:

أما بعد فإنه من لم ينتفع بما وعظ لم يحذر ما هو غابر ومن أعجبه الدنيا رضي بها وليست بثقة فاعتبر بما مضى تحذر ما بقي واطيع للمسلمين قبلك من الطلما يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه.

وأكثر لنا من لطف الجند واجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجند فإن للولدان علينا حقا وفي الذرية من يخاف دعاؤه وهو لهم صالح والسلام^(١).

وكتب إلى بعض ولاته:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر^(٢).

أما بعد فإن خير الناس عند الله عز وجل أقومهم لله بالطاعة فيما له وعليه وأقولهم بالحق ولو كان مرا فإن الحق به قامت السماوات والأرض وتكن سريرتك كعلائتك وليكن حكمك واحدا وطريقتك مستقيمة فإن البصرة مهبط الشيطان فلا تفتحن على يد أحد منهم بابا لا نطق سده نحن ولا أنت والسلام.

وكتب إلى عبد الله بن العباس:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس أما بعد فانظر ما اجتمع عندك من غلاة المسلمين وفيهم فاقسمه على من قبلك حتى تغنيهم وابعث إلينا بما فضل تقسمه فيمن قبلنا والسلام.

وأيضا كتب إلى عبد الله بن عباس:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس أما بعد فإن الإنسان قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه وإن جهد فليكن سرورك فيما قدمت من حكم أو منطق أو سيرة وليكن أسفك على ما فرطت لله من ذلك ودع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر به حزنا وما أصابك فيها فلا تبغ به سرورا وليكن همك فيما بعد الموت والسلام.

أقول: ثم ذكر كتابه إلى معاوية وجوابه كما سيأتي ثم قال:

وكتب إلى عمرو بن العاص:

أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها وصاحبها مقهور فيها لم يصب منها شيئا قط إلا فتحت له حرصا وأدخلت عليه مئونة تزيد رغبة فيها ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يبلغه ومن وراء ذلك فراق ما جمع والسعيد من وعظ بغيره فلا تحبط أجرك أبا عبد الله ولا تجارين معاوية في باطله فإن معاوية غمص الناس وسفه الحق.

(١) كذا في طبع الكلباني من كتاب البحار، وفي طبع مصر من كتاب صفين: «الأسود بن قطة».

والكتاب رواه السيد الرضي على نهج آخر في المختار: (٥٩) من باب كتب أمير المؤمنين ج من نهج البلاغة، وفيه: «الأسود بن قطة».

(٢) كذا في الأصل ومثله في كتاب صفين، وهذا سهو من الرواة أو الكتاب فإن عليا ج لم يول ابن عامر أنا من الزمان حتى يكتب إليه والصواب: «إلى عبد الله بن عباس...».

فكتب إليه عمرو بن العاص من عمرو بن العاص إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإن الذي فيه صلاحنا وألفة ذات بيننا أن تتيب إلى الحق وأن تجيب إلى ما تدعون إليه من شوري قصير الرجل منا نفسه على الحق وعذره الناس بالمحاجة والسلام.

فجاء الكتاب إلى علي عليه السلام قبل أن يرحل من النخيلة.

قال نصر روى عمر بن سعد عن أبي روق قال قال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بديل بن ورقاء إن يومنا و يومهم ليوم عصيب ما يصير عليه إلا كل قوي القلب صادق النية رابط الجأش وإيم الله ما أظن ذلك. اليوم يبقى منا ومنهم إلا رذالا قال عبد الله بن بديل وأنا والله أظن ذلك.

فقال علي عليه السلام: ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركم لا تظهروه ولا يسمعه منكم سامع^(١) إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين وكل آتية منيته كما كتب الله لكم فطوبى للمجاهدين في سبيل الله والمقتولين في طاعته.

فلما سمع هاشم بن عتبة مقاتلتهم حمد الله وأثنى عليه ثم قال سر بنا إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم و عملوا في عباد الله بغير رضا الله فأحلوا حرامه و حرّموا حلاله واستهواهم الشيطان^(٢) و وعدهم الأباطيل و مناهم الأماني حتى أزاغهم عن الهدى و قصد بهم قصد الردى و حيب إليهم الدنيا فهم يقاتلون على دينهم رغبة فيها كرجبتنا في الآخرة إنجازنا موعود ربنا و أنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله ﷺ رحماً و أفضل الناس سابقة و قدما و هم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذي علمنا و لكن كتب عليهم الشقاء و مالت بهم الأهواء و كانوا ظالمين فأيدينا مبسوطة لك بالسمع و الطاعة و قلوبنا منشحة لك ببذل النصيحة و أنفسنا بنورك جلدة على من خالفك و تولى الأمر دونك و الله ما أحب أن لي ما على الأرض مما أقلت و ما تحت السماء مما أظلت و إني واليت عدوا لك أو عادي و ليا لك.

فقال علي عليه السلام اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك و المراقبة لنبيك.

ثم إن علياً صعد المنبر فخطب الناس و دعاهم إلى الجهاد فبدأ بحمد الله و الثناء عليه ثم قال:

إن الله قد أكرمكم بدينه و خلقكم لعبادته فانصبوا أنفسكم في أداها و تنجزوا موعودة و اعلّموا أن الله جعل أراس الإسلام متينة و عراه وثيقة ثم جعل الطاعة حظ الأنفس و رضا الرب و غنيمة الأكياس عند تفريط العجزة و قد حملت أمر أسودها و أحمرها و لا قوة إلا بالله.

و نحن ساترون إن شاء الله إلى من سفه نفسه و تناول ما ليس له و ما لا يدركه معاوية و جنده الفتنة الطاغية الباغية بقودهم إبليس و يبرق لهم بيارق تسويفه و يديهم بقوروره.

و أنتم أعلم الناس بالحلال و الحرام فاستغنوا بما علمتم و احذروا ما حذركم الله من الشيطان و ارغبوا فيما هيأ لكم عنده من الأجر و الكرامة و اعلّموا أن المصلوب من سلب دينه و أمانته و المغرور من آثر الضلالة على الهدى فلا أعرفن أحدا منكم تقاعس عني و قال في غيري كفاية فإن الذود إلى الذود إبل من لا يزد عن حوضه يهدم.

ثم إني أمركم بالشدة في الأمر و الجهاد في سبيل الله و أن لا تقتابوا مسلماً و انتظروا النصر العاجل من الله إن شاء الله.

ثم قام ابنه الحسن عليه السلام فقال الحمد لله لا إله غيره وحده لا شريك له.

ثم إن مما عظم الله عليكم من حقه و أسبغ عليكم من نعمة ما لا يحصى ذكره و لا يؤدي شكره و لا يبلغه قول و لا صفة و نحن إنما غضبنا لله و لكم فإنه من علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاه و بلاءه و نعامه قول يصعد إلى الله فيه الرضا و تنتشر فيه عارفة الصدق يصدق الله فيه قولنا و نستوجب فيه المزيد من ربنا قولاً يزيد و لا يبيد فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم و استحكمت عقدهم.

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في كتاب صقّين ص ١١١، ط مصر، وفي ط الكمباني: «في صدوركم لا تظهروه ولا يسمعه منكم سامع...».

(٢) كذا في ط الكمباني من البحار و ط القديم من كتاب صقّين:

وفي شرح المختار: (٤٦) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ١ ص ٦٢٨: «واستهوى بهم الشيطان...».

فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية و جنوده فإنه قد حضر و لا تخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلوب و إن الإقدام على الأسنة نجدة و عصمة لأنه لم يتعنت قوم قط إلا دفع الله عنهم العلة و كفاهم جوائح الذلة و هداهم إلى معالم الملة.

ثم أنشد:

و الصلح تأخذ منه ما رضى به

ثم قام الحسين عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله و قال:

يا أهل الكوفة أنتم الأخبة الكرماء و الشعار دون الدثار فجدوا في إحياء ما دثر بينكم و تسهيل ما توعر عليكم. ألا إن الحرب شرها ذريع و طعمها فظيع و هي جرع مستحسنة فمن أخذ لها أهبتها و استعد لها عدتها و لم يألم كلومها عند حلولها فذاك صاحبها و من عاجلها قبل أوان فرصتها و استبصار سعيه فيها فذاك قمن أن لا ينفع قومه و أن يهلك نفسه نسأل الله بقرته أن يدعكم بالقفة^(١) ثم نزل.

قال نصر فأجاب عليا عليه السلام إلى المسير جل الناس إلا أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه و فيهم عبيدة السلماني و أصحابه فقالوا له إنا نخرج معكم و لا ننزل عسكركم و نعسكر علا حدة حتى ننظر في أمركم و أمر أهل الشام فمن رأيناه أراد ما لا يحل له أو بدا لنا منه بغي كنا عليه.

فقال لهم علي عليه السلام مرحبا و أهلا هذا هو الفقه في الدين و العلم بالسنة من لم يرض فهو خائن جائر. و أنه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود فيهم ربيع بن خثيم و هم يومئذ أربعمئة رجل فقالوا يا أمير المؤمنين إنا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك و لا غناء بنا و لا بك و لا بالمسلمين عمن يقاتل العدو فولنا بعض هذه الثغور نكون به نقاتل عن أهل.

فوجهه علي إلى ثغر الري فكان أول لواء عقده بالكوفة لواء ربيع بن خثيم.

٣٧٢- نصر عن عمر بن سعد عن ليث بن أبي سليم قال دعا علي عليه السلام باهلة فقال يا معشر باهلة أشهد الله أنكم تبغضوني و أبغضكم فخذوا عطاءكم و أخرجوا إلى الدليم و كانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه إلى صفين^(٢).

٣٧٣- و عن عبد الله بن عوف قال إن عليا عليه السلام لم يبرح النخيلة حتى قدم عليه ابن عباس بأهل البصرة قال و كان كتب علي عليه السلام إلى ابن عباس.

أما بعد فاشخص إلي بمن قبلك من المسلمين و المؤمنين و ذكرهم بلائي عندهم و عفوي عنهم و استبائني لهم و رغبتهم في الجهاد و أعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل و السلام.

قال فلما وصل كتابه إلى ابن عباس بالبصرة قام في الناس فقرأ عليهم الكتاب و حمد الله و أثنى عليه و قال: يا أيها الناس استعدوا للشخص إلى إمامكم و انفروا خفا و ثقالا و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فإنكم تقاتلون المحليين القاسطين الذين لا يقرءون القرآن و لا يعرفون حكم الكتاب و لا يدينون دين الحق مع أمير المؤمنين و ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر بالمعروف و الناهي عن المنكر و الصادع بالحق و القيم بالهدى و الحاكم بحكم الكتاب الذي لا يرتشي في الحكم و لا يدهن الفجار و لا تأخذه في الله لومة لائم.

فقام إليه الأحنف بن قيس فقال نعم و الله لنجيبنك و لنخرجن معك على العسر و اليسر و الرضا و الكره نحتسب في ذلك الخير و نأمل به من الله العظيم من الأجر.

و قام إليه خالد بن معمر السدوسي فقال سمعنا و أطعنا فمتى استفترتنا نفرنا و متى دعوتنا أجبنا.

و قام إليه عمرو بن مرحوم العبدي فقال وفق الله أمير المؤمنين و جمع له أمر المسلمين و لعن المحليين القاسطين الذين لا يقرءون القرآن نحن والله عليهم حنقون و لهم في الله مفارقون فمتى أردتنا صحبك خيلنا و رجلنا إن شاء الله.

(١) كذا في أصلي، وفي كتاب صفين: «نسأل الله بعونه أن يدعكم بالقفة».

(٢) ما بين المعرفين مأخوذ من كتاب صفين، وما نقله المصنف عنه في الباب: «...» الآتي في ص ٦٣ من طبعة الكمباني.

فأجاب الناس إلى المسير ونشطوا وخفوا واستعمل ابن عباس على البصرة أبا الأسود الدؤلي و خرج حتى قدم على علي عليه السلام بالنخيلة.

وأمر علي الأسديع من أهل الكوفة^(١) فأمر سعد بن مسعود الثقفي على قيس و عبد القيس و معقل بن قيس اليربوعي على تميم و ضبة و الرباب و قريش و كنانة و الأسد و مخنف بن سليم على الأزدي و بجيلة و خثعم و الأنصار و خزاعة و حجر بن عدي الكندي على كندة و حضرموت و قضاعة و مهرة و زياد بن النضر على مذحج و الأشعرين و سعيد بن قيس بن مرة على همدان و من معهم من حمير و عدي بن حاتم على طيء.

قال نصر و أمر علي عليه السلام الحارث الأعور أن ينادي في الناس أخرجوا إلى معسكركم بالنخيلة فنادى بذلك واستخلف عقبة بن عمرو الأنصاري على الكوفة ثم خرج و خرج الناس.

بيان: بقية الأحزاب أي أحزاب الشرك الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله و قوله عليه السلام الطريق مشترك أي طريق الحق مشترك بيني و بينكم يجب عليكم سلوكه كما يجب علي و الدبرة بالنحريك الهزيمة في القتال أي هم المنهزمون عن الحق و المدبرون عنه و إن ظفروا أو يلحقهم ضررها و عقابها.

و طما البحر ارتفع بأواجه و الهب الانتباه من النوم و نشاط كل سائر و سرعته و هب يفعل كذا طفق ذكرها الفيروز آبادي و قال رجل محل أي منتهك للحرام أو لا يرى للشهر الحرام حرمة. و أكثر لنا من لطف الجند أي ابث الطلاب إلينا كثيرا من جملة لطف الجند أي طعامهم قال في القاموس اللطف بالتحريك اليسير من الطعام و غيره و بهاء الهدية انتهى.

و يمكن أن يقرأ لنا من على الفعل من الأمن أي إذا علم الجند أن أرزاق أولادهم موفرة لا يخونوننا في لطفهم و عطفهم و هو لهم صالح أي الطلاب صالح للذرية و الأطفال.

غنص الناس أي احتقرهم و لم يهرم شيئا و سفه الحق أي جهله أو عده سفها و يوم عصيب و عصب شديد و فلان رابط الجأش شجاع و هو جذل بالذال أي فرح و بالرائي أي صاحب رأي جيد و شديد. و الأمراس الحبال إلى من سفه نفسه أي جعلها سفية استعمل استعمال المتعدي فهو في قوة سفه نفسا.

و ما لا يدركه أي الخلافة الواقعة و برقت السماء لمعت أو جاءت تبرق و البارق سحب ذو برق. و قال الجوهرى الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر و هي مؤنثة لا واحد لها من لفظها و الكثير أذواد و في المثل الذود إلى الذود إبل قولهم إلى بمعنى مع أي إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيرا. و قال الزمخشري في المستقصى من لا يزد عن حوضه يهدم من قول زهير:

و من لا يزد عن حوضه بسلاحه

يهدم و من لا يظلم الناس يظلم

يضرب مثلا في تهضم غير المدافع عن نفسه انتهى.

و قال أبو عبيد أي من لا يدفع الضيم عن نفسه يركب بالظلم.

أقول: روى ابن أبي الحديد أكثر ما رويناه^(٢) عن نصر فجمعنا بين الروايتين.

ثم قال نصر وابن أبي الحديد ودعا علي عليه السلام زياد بن النضر و شريح بن هانئ و كانا على مذحج و الأشعرين فقال:

يا زياد اتق الله في كل ممسى و مصبح و خف على نفسك الدنيا الغرور و لا تأمنها على حال من البلاء و اعلم أنك إن لم ترعها عن كثير مما تحب مخافة مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا وازعا من البغي و الظلم و العدوان فإني قد وليتك هذا الجند فلا تستطيعين عليهم إن خيركم عند الله أتقاكم و تعلم من عالمهم و علم جاهلهم و احلم عن سفيهم فإنك إنما تدرى الخير بالحلم و كف الأذى و الجهل.

فقال زياد أوصيت يا أمير المؤمنين حافظا لوصيتك مؤدبا بأدبك يرى الرشد في نفاذ أمرك و الغي في تضيع عهدك.

(١) كذا في كتاب صفين. وفي ط الكياني من البحار: «وأمر علي الأسديع من أهل الكوفة وسعد بن مسعود...».

(٢) روى ابن أبي الحديد ما مر وما يأتي عن نصر في كتاب صفين - في شرح المختار: (٤٦) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٣ ص ١٨٠ ط مصر. وفي طبع بيروت: ج ١ ص ٦١٧ - ٦٦٦.

فأمرهما أن يأخذا على طريق واحد ولا يختلفا وبعثهما في اثني عشر ألفا على مقدمته وكل منهما على جماعة من هذا الجيش.

فلما سارا اختلفا وكتب كل منهما إليه يشكو من صاحبه فكتب عليه السلام إليهما.

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر و شريح بن هانئ سلام عليكما فإنني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإنني وليت زياد بن النضر مقدمتي وأمرته عليها و شريح على طائفة منها أمير فإن جمعكما بأس فزياد على الناس كلهم وإن افرقتما فكل واحد منكما أمير على الطائفة التي وليته عليها.

واعلمنا أن مقدمة القوم عيونهم و عيون المقدمة طلائعهم وإذا أنتما خرجتما من بلادكما ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما من توجيه الطلائع و من نفخ الشعاب و الشجر و الخمر في كل جانب كيلا يعتريكما عدو أو يكون لهم كمين^(١). ولا تسيرن الكتابين من لدن الصباح إلى المساء إلا على تعبئة فإن دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة.

فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم عدو فليكن معسكركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم رداء و دونكم مردا و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين.

واجعلوا لكم رقاء في صياصي الجبال و مناكب الهضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن.

وإياكم و التفرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا و إذا رحلتهم فارحلوا جميعا.

وإذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح و الترسه و لتكن رماطكم من وراء ترستكم و رماحكم يلونهم و ما أقمت فكدلكم فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة و لا تلقى لكم غرة فما من قوم يخفون عسكرهم برماحهم و ترستهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم في حصون.

واحرسا عسكركما بأنفسكما و إياكما أن تدوقا نوما حتى تصبحا إلا غرارا أو مضمضة ثم ليكن ذلك شأنكما و رأيكما إلى أن تنتهيا إلى عدوكما و ليكن عندي كل يوم خبركما و رسول من قبلكما فإنني و لا شيء إلا ما شاء الله حيث السير في آثاركما.

و عليكما في حربكما بالتوأدة^(٢) و إياكما و العجلة إلا أن يمكنكما فرصة بعد الإغذار و الحجة.

و إياكما أن تقتالا حتى أقدم عليكما إلا أن تبدأ أو يأتيكما أمري إن شاء الله.

أقول: أورد ابن ميثم هذا المکتوب في شرحه و أورد السيد الرضي رضي الله عنه في النهج بعض هذا المکتوب على خلاف الترتيب و آخره.

و إذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة و لا تدوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة.

و قال ابن ميثم العين الجاسوس و طليعة الجيش الذي يبعث ليطلع على حال العدو و نفخ الشعاب استقراؤها. أقول: قال في النهاية فيه أنا أنفض لك ما حولك أي أحرسك و أطرف هل أرى طلبا يقال نفطت المكان واستنفضته و تنفضته إذا أظهرت نظرت جميع ما فيه و النفضة و النفيضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدوا أو خفا.

و قال ابن ميثم الخمر ما وارك من شجر أو جبل و نحوها و الكمين الواحد أو الجمع يستخفون في الحرب حيلة للإيقاع بالعدو و الكتيبة الجيش و تعبئته جمعه و إعداده.

و تكرير الاستثناء في عقيب النهي عن تسيير الكتابين للحصر أما الأولى فيفيد حصر التسيير في الوقت المشار إليه و أما الثانية فيفيد حصره في حال التعبئة.

(١) كذا في أصلي وهو أظهر مما في شرح المختار: (٤٦) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد و ط مصر من كتاب صفين ص ١٢٣: «كيلا يغتركما عدو فيكون لكم كمين...».

(٢) ومثله في ط مصر، من كتاب صفين ص ١٢٥، وفي طبع الحديث بيروت من شرح ابن رواه أبي الحديد: «وعليكما في جريكما بالتوأدة». والتوأدة - بضم التاء وسكون الواو، وفتح الهمزة والدال - والتوأد - كنزاة - التائي - الرزائة.

ودهمه الأمر كمنع و سمع غشيه و الدهم العدد الكثير و المعسكر بفتح الكاف موضع العسكر.

وقال الجوهري الأشراف الأماكن العالية و قال القبل و القبل تقيض الدبر و الدبر يقال انزل بقبل هذا الجبل أي بسفحه و لي قبل فلان حق أي عنده و سفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء و الثني من الروادي و الجبل منعطفه ذكره الجوهري و الردء العون في المقاتلة قوله ﷺ مردا أي حاجزا بينكم و بين العدو أي تكون تلك الأماكن حافظة لكم من ورائكم مانعة من العدو أن يأتيكم من تلك الجهة و بذلك كانت معينة لهم.

ثم وصاهم بأن يكون مقاتلتهم من وجه واحد فإن لم يكن فمن وجهين حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض و أما المقاتلة من وجه كثيرة فتستلزم التفرق و الضعف.

و الرقباء الحفظة و قال الفيروز آبادي في القاموس الرقيب الحافظ و المنتظر و الحارس و أصل الصياصي القرون ثم استعير للحصون لأنه يتمتع بها كما يتمتع ذو القرن بقرنه.

و قال ابن ميثم صياصي الجبال أعاليها و أطرافها و مناكب الهضاب أعاليها.

و قال الجوهري الهضبة الجبل المنبسط على وجه الأرض و الجمع هضب و هضاب.

قوله ﷺ كفة قال ابن أبي الحديد أي مستديرة حولكم و كل ما استدار فهو كفة بالكسر نحو كفة الميزان و كل ما استطال فهو كفة بالضم نحو كفة الثوب و هي حاشيته و كفة الرمل و هي ما كان منه كالجبل.

و قال في النهاية غرار النوم قتله و قال في مادة مضمض نقلا عن الهروي في حديث علي لا تذوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة لما جعل النوم ذوقا أمرهم أن لا ينالوا منه إلا بألسنتهم و لا يسيغوه لشبهه بالمضمضة بالماء و إلقائه من الفم من غير ابتلاع انتهى.

و الترسه جمع الترس و قوله ﷺ و لا شيء إلا ما شاء الله جملة معترضة بين اسم إن و خبره قوله ﷺ إلا أن تبدأ على بناء المجهول أي يبدؤكم العدو بالقتال.

٣٧٤- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى أميرين من أمراء جيشه (١)؛

و قد أمرت عليكما و على من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له و أطيعاه و اجعلاه درعا و مجنا فإنه ممن لا يخاف وهنه و لا سقطته و لا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم و لا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل.

بيان: قال ابن ميثم الأميران هما زياد بن النضر و شريح بن هانئ و ذلك أنه حين بعثهما مقدمة له في اثني عشر ألفا لقيأبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام فكتبنا إليه بعلامته بذلك فأرسل إلى الأشتر فقال له يا مالك إن زياد بن النضر و شريحا أرسلنا إلي بعلامتي أنهما لقيأبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين فالتجأ إلى أصحابك التجأ فإذا أتيتهم فانت عليهم و إياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدءوك حتى تلقاهم و تسمع منهم.

و لا يجرمنك شن أنهم على قتالهم قبل دعائهم و الإعداد إليهم مرة بعد مرة.

و اجعل على ميمنتك زيادا و على ميسرتك شريحا و قف من أصحابك وسطا و لا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم إليك فإني حثيث السير إليك إن شاء الله.

و كتب إليهما أما بعد فإني أمرت عليكما إلى آخر الكتاب.

و الحيز الناحية و السقطة الزلة و الأمثل الأفضل.

٣٧٥- و قال ابن أبي الحديد قال نصر بن مزاحم و كتب ﷺ إلى أمراء الأجناد و كان قد قسم عسكره أسباعا فجعل على كل سبع أميرا - (٢)؛

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (١٣) من باب كتب أمير المؤمنين من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في أواخر شرحه على المختار: (٤٨) من خطب نهج البلاغة: ج ١، ص ٤٦٨ ط الحديث ببغداد.

أما بعد فإني أيرأ إليكم من معرة الجنود فاعزلوا الناس عن الظلم والعدوان^(١) وخذوا على أيدي سفهائكم واحرسوا^(٢) أن تعملوا أفعالا لا يرضى الله بها عنا فيرد بها علينا وعليكم دعاءنا فإنه تعالى يقول مَا يَقْبَلُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ وَإِن اللَّه إِذَا أَمَقَّتْ قوما من السماء هلكوا في الأرض.

فلا تألوا أنفسكم خيرا ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وأبلوه في سبيله ما استوجب عليكم فإن الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما يجب علينا أن نشكره بجهدنا وأن نصره ما بلغت قوتنا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣٧٦- قال وكتب ﷺ إلى جنوده يخبرهم بالذي لهم وعليهم:

أما بعد فإن الله جعلكم في الحق جميعا سواء أسودكم وأحمركم وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الولد من الوالد والولد من الولد فجعل لكم عليه إنصافكم والتعديل بينكم والكف عن فينكم فإذا فعل معكم ذلك وجبت عليكم طاعته فيما وافق الحق ونصرته والدفع عن سلطان الله فإنكم وزعة الله في الأرض فكونوا له أعوانا ولدينه أنصارا ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها إن الله لا يحب المفسدين.

٣٧٧- قال نصر وروي عن ابن نباتة قال قال علي ﷺ ما يقول الناس في هذا القبر بالخيالة وبالخيالة قبر عظيم يذفن اليهود موتاهم حوله فقال الحسن بن علي ﷺ يقولون هذا قبر هود لما عصاه قومه جاء فمات هاهنا فقال كذبوا لأنأ أعلم به منهم هذا قبر يهود بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بكر يعقوب.

ثم قال أهاهنا أحد من مهرة فأتى شيخ فقال أين منزلك قال على شاطئ البحر قال أين أنت من الجبل الأحمر قال أنا قريب منه قال فما يقول قومك فيه قال يقولون إن فيه قبر ساحر قال كذبوا ذاك قبر هود النبي ﷺ وهذا قبر يهود بن يعقوب. بكرة.

ثم قال يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفا على غرة الشمس يدخلون الجنة بلا حساب.

٣٧٨- قال نصر فلما نزل على النخيلة متوجها إلى الشام وبلغ معاوية خبره وهو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مختضبا بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يكون حوله فخطبهم وحثهم على القتال فأعطوه الطاعة وانتقادوا له وجمع إليه أطرافه واستعد للقاء علي ﷺ.

بيان: وجدت الحديث في كتاب صفين مثله.

وقال في النهاية فيه اللهم إني أيرأ إليك من معرة الجيش هو أن ينزلوا بقوم فيأكلوا من زروعهم بغير علم.

وقيل هو قتال الجيش بدون إذن الأمير والمعرة الأمر القبيح المكروه والأذى انتهى.

والتعميم أولى أي إني أيرأ إليكم من كل ما فعلتموه وفعل جنودكم من الظلم والعدوان فإني أنهاكم عنه وأعلمكم آداب السير والتزول فلا تألوا أنفسكم خيرا أي لا تقصروا في كسب الخير لأنفسكم ولا في أمر الجند بحسن السيرة ولا في إعانة الرعية ولا في تقوية الدين وأبلوه أي أعطوه.

وفي النهاية فيه أيئد من وزعة الله الوزعة جمع وازع وهو الذي يكف الناس ويحبس أولهم على آخرهم أراد أيئد من الذين يكفون الناس عن الإقدام على الشر ومنه حديث الحسن لما ولي القضاء قال لا بد للناس من وزعة أي من يكف بعضهم عن بعض يعني السلطان وأصحابه

٣٧٩- وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج، [نهج البلاغة] قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين ووجدته في أصل كتابه أيضا قال لما وضع علي ﷺ رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين قال بسم الله فلما جلس على ظهرها قال شُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّبِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ.

الهمم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد ومن الحيرة بعد اليقين.

(١) كذا في أصلي ومثله في طبع مصر من كتاب صفين، وأرى قول: «فاعزلوا» محزماً عن لفظة «فاعذبوا» بالذال المعجمة أو بالراء المعجمة أي أبعدوا الناس عن الظلم أو امتنعوا واصرفوهم منه: أي من يريد أن يظلم الناس اصرفوه وامتنعوا وأبعدوه عن ظلم الناس.

(٢) كذا في أصلي المطبوع، وفي كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد: «واحرسوا».

اللهم أنت صاحب في السفر و أنت الخليفة في الأهل و لا يجمعهما غيرك لأن المستخلف لا يكون مستصحباً و المستصحب لا يكون مستخلفاً.

قال فخرج ﷺ حتى إذا جاز حد الكوفة صلى ركعتين.

٣٨٠- وروي عن زيد بن علي عن أبيه ﷺ أن علياً ﷺ خرج و هو يريد صفين حتى إذا قطع النهر أمر مناديه فنادى بالصلاة فتقدم فصلى ركعتين حتى إذا قضى الصلاة أقبل على الناس بوجهه فقال أيها الناس ألا من كان مشيعاً أو مقيماً فليتم الصلاة فإنما قوم سفر ألا و من صحبنا فلا يصوم من المفروض و الصلاة المفروضة ركعتان.

قال نصر ثم خرج حتى أتى دير أبي موسى و هو من الكوفة على فرسخين فلما انصرف من الصلاة قال سبحان الله ذي الطول و النعم سبحان الله ذي القدرة و الإفضال أسأله الرضا بقضائه و العمل بطاعته و الإنابة إلى أمره إنه سمع الدعاء.

ثم خرج ﷺ حتى نزل على شاطئ نرس بين مسجد حمام أبي بردة و حمام عمر فصلى بالناس المغرب فلما انصرف قال: الحمد لله الذي يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل و الحمد لله كلما و قب ليل و غسق و الحمد لله كلما لاح نجم و خفق.

ثم أقام حتى صلى الغداة ثم شخص حتى بلغ إلى بيعة إلى جانبها نخل طوال^(١) فلما رآها قال وَ التَّخْلُ بِأَسْفَافِهَا لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ فَتَزَلُّهَا وَ مَكَثَ بِهَا قَدْرَ الْغَدَاءِ.

٣٨١- قال نصر و روي عن محمد بن مخنف أنه قال إني لأتظر إلى أبي و هو يسائر علياً ﷺ و هو يقول إن بابل أرض قد خسف بها^(٢) فحرك الناس دوابهم في أثره فلما جاز جسر الصراة نزل فصلى بالناس العصر.

٣٨٢- قال و حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن عبد خير قال كنت مع علي ﷺ أسير في أرض بابل قال و حضرت الصلاة صلاة العصر قال فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأينا أفعى من الآخر قال حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا و قد كادت الشمس أن تغيب قال و نزل علي ﷺ و نزلت معه قال فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر قال فصلينا العصر ثم غابت الشمس.

ثم خرج حتى أتى دير كعب ثم خرج منه فبات بسباط فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزل و الطعام فقال لا ليس ذلك لنا عليكم فلما أصبح و هو بمظلم سباط قال أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ.

٣٨٣- قال نصر و حدثنا منصور بن سلام عن حيان التيمي عن أبي عبيدة عن هرثمة بن سليم قال غزونا مع علي ﷺ صفين فلما نزل بكرلاء صلى بنا فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها ثم قال واهأ لك يا تربة ليحشرن معك قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

قال فلما رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير و كانت من شيعة علي ﷺ حدثها هرثمة فيما حدث فقال لها ألا أعجبك أبي حسن قال لما نزلنا بكرلاء و قد أخذ حفنة من تربتها فشمها و قال واهأ لك أيتها التربة ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب و ما علمه بالغيث فقالت المرأة له دعنا منك أيها الرجل فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً.

قال فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين ﷺ كنت في الخيل التي بعث إليهم فلما انتهيت إلى الحسين و أصحابه عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي و البقعة التي رفع من تربتها و القول الذي قاله فكرهت مسيري فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين ﷺ فسلمت عليه و حدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل فقال الحسين ﷺ أمعنا أم علينا فقلت يا ابن رسول الله لا معك و لا عليك تركت ولدي و عيالي و أخاف عليهم من ابن زياد فقال ﷺ اذهب حتى لا ترى مقتلنا فوالذي نفس حسين بيده لا يرى اليوم أحد مقتلنا ثم لا يعيننا إلا دخل النار قال فأقبلت في الأرض اشتد هرباً حتى خفي علي مقتلهم.

(١) كذا في أصلي. وفي طبع مصر من كتاب صفين: «ثم شخص حتى بلغ قبة قتيين» [و فيها نخل طوال إلى جانب البيعة].

(٢) كذا في الأصلي المطبوع. وفي كتاب صفين: «إن بيابل أرضاً قد خسف بها فحرك دابكت لنا أن نعلي العصر خارجاً منها».

٣٨٤- و روي أيضا عن سعيد بن وهب قال بعثني مخنف بن سليم إلى علي عليه السلام عند توجهه إلى صفين فأتيته بكريلاء فوجدته يشير بيده ويقول ها هنا ها هنا فقال له رجل و ما ذاك يا أمير المؤمنين فقال ثقل لآل محمد ينزل ها هنا فويل لهم منكهم و ويل لكم منهم.

فقال له الرجل ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين قال. ويل لهم منكهم تقتلونهم و ويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم إلى النار.
قال نصر:

و قد روي هذا الكلام على وجه آخر قال فويل لكم منهم و ويل لكم عليهم.

فقال الرجل أما ويل لنا منهم فقد عرفناه فويل لنا عليهم ما معناه فقال ترونهم يقتلون و لا تستطيعون نصرتهم.
٣٨٥- قال نصر و حدثنا سعيد بن حكيم العيسى عن الحسن بن كثير عن أبيه أن عليا عليه السلام أتى كربلاء فوقف بها فقيل له يا أمير المؤمنين هذه كربلاء فقال نعم ذات كرب و بلاء ثم أومأ بيده إلى مكان آخر فقال ها هنا موضع رحالهم و بناخ ركابهم ثم أومأ بيده إلى مكان آخر ثم قال ها هنا مراق دمانهم!!
ثم مضى إلى ساباط حتى انتهى إلى مدينة بهر سير.

٣٨٦- نهج: [نهج البلاغة] من خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام:

الحمد لله كلما وقب ليل وغسق والحمد لله كلما لاح نجم وخفق والحمد لله غير مفقود الإنعام ولا مكافئ الإفضال.
أما بعد فقد بعثت مقدمتي و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم أمري و قد رأيت أن أقطع هذه النطفة إلى شزيمة منك موطنين أكتاف دجلة فانهمضهم معكم إلى عدوكم و أجعلكم من أمداد القوة لكم.

قال السيد رضي الله عنه يعني بالملطاط السميت الذي أمرهم بلزومه و هو شاطئ الفرات و يقال ذلك أيضا لشاطئ البحر و أصله ما استوى من الأرض و يعني بالنطفة ماء الفرات و هو من غريب العبارات و عجيبها.

بيان: قال ابن ميثم روي أنه عليه السلام خطب بها و هو بالنخيلة خارجا من الكوفة متوجها إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع و ثلاثين.

وقب الليل أي دخل و غسق أي أظلم و لاح أي ظهر و خفق النجم و أخفق إذا انحط في الغرب أو غاب و كافات مكافاة و كفاء أي جازيته و كل شيء ساوى شيئا فهو مكافئ له و الإفضال الإحسان و مقدمة الجيش بالكسر و قد يفتح أوله و متقدموه و النطفة بالضم الماء الصافي قل أو أكثر و الشزيمة بالكسر القليل من الناس و الجار متعلق بمحذوف أي متوجها إليهم و أوطن المكان و وطنه و استوطنه اتخذها وطنا و المراد قوم من أهل المدائن روي أنهم كانوا ثمانمائة رجل و الكنف بالتحريك الجانب و الناحية و نهض كمنع قام و أنهضه غيره أقامه و الأمداد جمع مدد بالتحريك و هو المعين و الناصر.

و قال ابن الحديد (١) و زاد أصحاب السير في هذه الخطبة و قد أمرت على المصر عقبة بن عمرو و لم ألكم و لا نفسي نصحا فأياكم و التخلف و التربص فإني قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي و أمرته أن لا يترك متخلفا إلا أحقه بكم عاجلا إن شاء الله.

و روي نصر بن مزاحم عوض قوله إلى عدوكم إلى عدو الله.

٣٨٧- أقول وجدت في كتاب صفين، زيادة و هي (٢):

الحمد لله غير مفقود النعم و لا مكافئ الإفضال و أشهد أن لا إله إلا الله و نحن على ذلك من الشاهدين و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أما بعد.

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرح الكلام المتقدم وهو المختار: (٤٨) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١ ص ٦٤٠ ط الحديث ببيروت.
ورواه مع كثير مما قبله مرسلأ أبو جعفر الإسكافي في كتاب المعيار والموازنة ص ١٣١، ط ١، وما وضعناه بين المعقوفين مأخوذة منه.
(٢) ذكرها في أول الجزء الثالث من كتاب صفين ص ١٣١، ط مصر.

وقال نصر فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال يا أمير المؤمنين والله ما يتخلف عنك إلا ظنين ولا يترصد بك إلا منافق فمر مالك بن حبيب فيضرب أعناق المتخلفين.

فقال قد أمرته بأمرى وليس بمقصر إن شاء الله

قال وقال مالك بن حبيب وهو أخذ بعنان دابته عليه السلام يا أمير المؤمنين أخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الرجال فقال له علي عليه السلام إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلا كنت شريكهم فيه وأنت هاهنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم قال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين.

قال نصر ثم سار عليه السلام حتى انتهى إلى مدينة بهرسير وإذا رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم ينظر إلى آثار كسرى (١) ويتمثل بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح على محل ديارهم

فكأنما كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام ألا قلت «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ رُزُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَ أَوْزَنَّاها قَوْماً آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ».

إن هؤلاء كانوا وارئين فأصبحوا موروثين إن هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إياكم وكفر النعم لا تحل بكم النعم.

ثم قال أنزلوا بهذه الفجوة (٢).

٣٨٨- قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن مسلم الأعور عن حبة العرني قال أمر علي عليه السلام الحارث الأعور فصاح في أهل المدائن من كان من المقاتلة فيواف أمير المؤمنين صلاة العصر فوافوه في الساعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني قد تعجبت من تخلفكم عن دعوتكم وانقطاعكم عن أهل مصركم في هذه المساكن الظالم الهالك أكثر ساكنيها لا معروف تأمرون به ولا منكر تنهون عنه.

قالوا يا أمير المؤمنين كنا نتنظر أمركم مرنا بما أحببت.

فسار وخلف عليهم عدي بن حاتم فأقام عليهم ثلاثاً ثم خرج في ثمانمائة رجل منهم وخلف ابنه زياد بعده فلاحقه في أربعمائة رجل منهم.

وجاء علي عليه السلام حتى مر بالأنبار فاستقبله بنو خشنوشك دهاقنتها قال نصر الكلمة فارسية أصلها خش أي الطيب ونوشك راض يعني بني الطيب الراضي بالفارسية (٣) قال فلما استقبلوه نزلوا عن خيولهم ثم جاءوا يشتدون معه وبين يديه ومعهم براذين قد أوقفوها في طريقه.

فقال ما هذه الدواب التي معكم وما أردتم بهذا الذي صنعتم قالوا أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء وأما هذه البراذين فهدية لك وقد صنعنا للمسلمين طعاماً و هيئنا لدوابكم علفاً كثيراً.

فقال عليه السلام أما هذا الذي زعمتم أنه فيكم خلق تعظمون به الأمراء فوالله ما ينفع ذلك الأمراء وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم فلا تعودوا له.

وأما دوابكم هذه فإن أحببت أن أخذها منكم وأحبها لكم من خراجكم أخذناها منكم.

وأما طعامكم الذي صنعتم لنا فإننا نكره أن نأكل من أموالكم إلا بضمن قالوا يا أمير المؤمنين نحن نقومه ثم نقبل ثمنه قال إذا لا تقومونه قيمته نحن نكفي بما هو دونه قالوا يا أمير المؤمنين فإن لنا من العرب موالٍ ومعارف تمنعنا أن نهدي لهم أو تمنعهم أن يقبلوا منا فقال كل العرب لكم موالٍ وليس لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم وإن غصبكم أحد فأعلمونا قالوا يا أمير المؤمنين إنا نحب أن تقبل هديتنا وكرامتنا قال ويحكم فنحن أغنى منكم. فتركهم وسار.

(١) كذا في ط الكلباني من كتاب البحار، ومثله في ترجمة الأسود بن يعفر من كتاب الأغاني: ج ١٣، ص ١٨، ط تراننا.

وفي شرح ابن أبي الحديد: حرّ بن سهم بن طريف بن من بني ربيعة بن مالك...

(٢) وللحديث مصادر آخر ذكر بعضها في ذيل المختار: (١٨٨) من كتاب نهج السعادة: ج ٢، ص ١٣٥، ط ١.

(٣) ما بين الموقوفات مأخوذ من كتاب صفين ص ١٤٤، وفيه: قال سليمان (أحد رؤات كتاب صفين): خُشّ، طيب. نوشك. راض. يعني بني الطيب الراضي بالفارسية.

٣٨٩- قال نصر و حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي سعيد التيمي المعروف بـ (١) قال كنا مع علي عليه السلام في مسيره إلى الشام حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد عطش الناس و احتاجوا إلى الماء فانطلق بنا علي عليه السلام حتى أتى إلى صخرة مضرس في الأرض كأنها ربضة عنز (٢) فأمرنا فاقبلناها فخرج لنا تحتها ماء فشرب الناس منه حتى ارتوتوا ثم أمرنا فأكفأناها عليه.

وسار الناس حتى إذا مضى قليلاً قال (٣) أمكنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه قالوا نعم يا أمير المؤمنين. قال فانطلقوا إليه فانطلق منا رجال ركبنا و مشاة فاقصصنا الطريق إليه حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه فطلبناه فلم ندر على شيء إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منا فسألناهم أين هذا الماء الذي عندكم قالوا ليس قربنا ماء فقلنا بلى إنا شربنا منه قالوا أنتم شربتم منه قلنا نعم فقال صاحب الدير و الله ما بني هذا الدير إلا بذلك الماء و ما استخرجه إلا نبي أو وصي نبي.

قال ثم مضى عليه السلام حتى نزل بأرض الجزيرة فاستقبله بنو تغلب و النمر بن قاسط بجزر (٤) فقال عليه السلام ليزيد بن قيس الأرحبي يا يزيد قال ليبيك يا أمير المؤمنين قال هؤلاء قومك من طعامهم فاطعم و من شرايهم فاشرب قال نعم. ثم سار حتى الرقة و جل أهلها عثمانية فروا من الكوفة إلى معاوية فأغلقوا أبوابها دونه فتحصنوا و كان رئيسهم سماك بن مخزومة الأسدي بالرقة في طاعة معاوية و قد كان فارق علياً في نحو من مائة رجل من بني أسد ثم كاتب معاوية و أقام بالرقة حتى لحق به منهم سبعائة رجل.

قال نصر فروى حبة أن علياً عليه السلام لما نزل على الرقة نزل على موضع يقال له البليخ على جانب الفرات فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلي عليه السلام إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم أعرضه عليك قال نعم فقرأ الراهب الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى و سطر فيما كتب (٥) أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب و الحكمة و يدلهم على سبيل الله لا قط و لا غليظ و لا صخاب في الأسواق و لا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو و يصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشر و في كل صعود و هبوط تدل ألسنتهم بالتكبير و التهليل و التسبيح و ينصره الله على من ناواه.

فإذا توفاه الله اختلفت أمته من بعده ثم اجتمعت فلبث ما شاء الله ثم اختلفت فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يقضي بالحق و لا يركس في الحكم (٦) الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح و الموت أهون عليه من شرب الماء على الظمان (٧).

يخاف الله في السر و ينصح له في العلانية و لا يخاف في الله لومة لائم ثم فمن أدرك ذلك النبي صلى الله عليه و آله من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانه و الجنة.

(١) رواية هذا الحديث مترجمون في كتاب تهذيب التهذيب.

والحديث رواه أيضاً إبراهيم بن دبريل بهذا السند كما رواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٨) من شرحه: ج ١ ص ٦٤٣. ورواه أبو جعفر الإسكافي المتوفى (٢٤٠) على وجه قريب في كتاب المعيار والموازنة ص ١٣٤. ورواه أيضاً الخوارزمي في الفصل الثالث من الفصل: (١٦) من مناقب علي ج ٣ ص ١٦٧.

(٢) كذا في أصلي المطبوع. وفي شرح ابن أبي الحديد: «حتى أتى بنا إلى صخرة ضرس في الأرض...»

وفي كتاب صفين: «فانطلق بنا علي حتى أتى بنا على صخرة ضرس من الأرض...»

(٣) كذا في ط الكمباني من البحار. وفي ط الحديث بيروت من شرح ابن أبي الحديد: «بجزر...»

وفي كتاب صفين ط مصر: «فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بالجزيرة...»

(٤) ومثله في شرح ابن أبي الحديد. وفي كتاب صفين ص ١٤٧: «وسطر فيما سطر...»

(٥) كذا في طبع الكمباني من البحار. ومثله في شرح المختار: (٤٨) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد. وفي طبع مصر من كتاب صفين.

ومثله في كتاب المعيار والموازنة ص ١٣٥: «ولا يرتشي في الحكم...»

والحديث رواه أيضاً من غير نقاش فيه ابن كثير بسنده عن ابن ديزيل في ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ البداية والنهاية: ج ٤ ص ٢٥٤ ط بيروت وفيه: «ولا ينكس الحكم...»

(٦) كذا في أصلي ومثله في شرح ابن أبي الحديد. وفي كتاب صفين: «على الظلماء...»

والظما - على زنة الفرس - والظماء والظماء - كسحاب وسحابة - العطش.

و من أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة.

ثم قال أنا مصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك.

فبكى علي عليه السلام ثم قال الحمد لله الذي لم أكن عنده منسيا الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.

ففضى الراهب معه فكان فيما ذكروا يتعدى مع أمير المؤمنين عليه السلام ويتعشى حتى أصيب يوم صفين فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليه السلام اطلبوه فلما وجدته صلى عليه ودفنه وقال هذا منا أهل البيت واستغفر له مرارا روى هذا الخبر نصر في أواسط الجزء الثالث من كتاب صفين عن عمر بن سعد عن مسلم الأعور عن حبة العرنى.

و رواه أيضا إبراهيم بن ديزيل الهمداني بهذا الإسناد عن حبة أيضا في كتاب صفين (١).

٣٩٠- قال نصر وحدثني عمر بن سعد الأسدي عن عمير بن وعلة عن أبي الوداك أن عليا عليه السلام بعث من المدائن معقل بن قيس الرياحي في ثلاثة آلاف و قال له خذ على الموصل ثم نصيبين ثم القني بالركة فإني موافيهما وسكن الناس و آمنهم ولا تقاتل إلا من قاتلك و سر البردين و غور بالناس أقم الليل و رقه في السير و لا تسر أول الليل فإن الله جعله سكنا أرح فيه نفسك و جندك و ظهره فإذا كان السحر أو حين ينطح الفجر فسر على بركة الله (٢).

فسار معقل حتى أتى الحديثة و هي إذ ذاك منزل الناس إنما بنى مدينة الموصل بعد ذلك محمد بن مروان فإذا بكشين ينتطحان و مع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة فأخذ يقول إيه إيه فقال معقل ما تقول فجاء رجلان نحو الكشين فأخذ كل واحد منهما كبشا فأنصرفا فقال الخثعمي لا تغلبون و لا تغلبون قال معقل من أين علمت قال أبصرت الكشين أحدهما مشرق و الآخر مغرب التقيا فاقتتلا و انتطحا فلم يزل كل واحد من صاحبه منتصفا حتى أتى كل واحد منهما صاحبه فانطلق به فقال معقل أو يكون خيرا مما تقول يا أخا خثعم.

ثم مضى معقل حتى وافى عليا عليه السلام بالركة.

قال نصر و قالت طائفة من أصحاب علي عليه السلام له يا أمير المؤمنين اكتب إلى معاوية و من قبله من قومك فإن الحجة لا تزداد عليهم بذلك إلا عظما فكتب عليه السلام إليهم.

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية و من قبله من قريش سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن لله عبادا آمنوا بالتنزيل و عرفوا التأويل و فقهوا في الدين و بين الله فضلهم في القرآن الحكيم و أنتم في ذلك الزمان أعداء للرسول ﷺ مكذبون بالكتاب مجمعون على حرب المسلمين من تنقمت منهم حسبتموه أو عذبتموه و قتلتموه حتى أراد الله تعالى إعزاز دينه و إظهار أمره فدخلت العرب في الدين أفواجا و أسلمت هذه الأمة طوعا و كرها.

فكنتم فيمن دخل هذا الدين إما رغبة و إما رهبة على حين فاز أهل السبق بسبقهم و فاز المهاجرون و الأنصار بفضلهم و لا ينبغي لمن ليست لهم مثل سوابقهم في الدين و لا فضائلهم في الإسلام أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله و أولى به فيحوب و يظلم (٣).

و لا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره و لا يعدو طوره و يشقى نفسه بالتماس ما ليس بأهله فإن أولى الناس بأمر هذا الأمة قديما و حديثا أقربها من الرسول و أعلمها بالكتاب و أفقهها في الدين أولهم إسلاما و أفضلهم جهادا و أشدهم بما تحمله الرعية من أمر الله اضطلاعا فاتقوا الله الذي إليه ترجعون و لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

و اعلموا أن خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون و أن شرارهم الجهال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم فإن للعالم بعلمه فضلا و إن الجاهل لا يزداد بمنزاعته العالم إلا جهلا.

(١) قد تقدم أنه رواه عن ابن ديزيل ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٨) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٦٤٣ ط الحديث ببيروت، ورواه أيضا ابن كثير - نقلاً عن ابن ديزيل - في البداية و النهاية: ج ٤ ص ٢٥٤.

(٢) وهذه الوصية رواها السيد الرضي بزيادة و الفاظ أجود مما هنا في المختار: (١٢) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٣) كذا في أصلي من البحار طبع الكلباني، وفي كتاب صفين: «فَيُجَوَّرُ وَيُظْلَمُ».

ألا وإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وحق دماء هذه الأمة فإن قبلتم أصبتم رشدكم واهتديتم لحظكم وإن أبيتم إلا الفرقة وشق عصا هذه الأمة لن تزدادوا من الله إلا بعدا ولن يزداد الرب عليكم إلا سخطا والسلام^(١). فكتب إليه معاوية جواب هذا الكتاب سطرا واحدا وهو أما بعد فإنه.

ليس بني وبني قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فقال علي عليه السلام لما أتاه هذا الجواب إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين.

٣٩١- قال نصر أخبرني عمر بن سعد عن الحجاج بن أرطاة عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث أن عليا عليه السلام قال لأهل الرقة جسروا لي جسرا أعبر عليه من هذا المكان إلى الشام فأبوا وقد كانوا ضمو السفن إليهم.

فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الأشتر فنادهم فقال يا أهل هذا الحصن إني أقسم بالله إن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدبنتكم حتى يعبر منها لأجردين فيكم السيف فلأقتلن مقاتلتكم ولأخربن أركضكم ولأخذن أموالكم.

فلقي بعضهم بعضا فقالوا إن الأشتر يفي بما يحلف عليه وإنما خلفه علي عندنا ليأتينا بشر فيبعثوا إليه إنا ناصبون لك جسرا فأقبلوا.

فأرسل الأشتر إلى علي عليه السلام فجاء ونصبوا له الجسر فعبروا الأفتال والرجال وأمر الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق من الناس أحد إلا عبر ثم عبر آخر الناس.

قال الحجاج وازدحمت الخيل حين عبرت فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي الحصين فنزل فأخذها فركب ثم سقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج فنزل فأخذها ثم ركب فقال لصاحبه

فإن يك ظن الزاجري الطير صادقا كما زعموا^(٢) أقتل وشيكا وتقتل

فقال عبد الله بن أبي الحصين ما شيء أحب إلي مما ذكرت فقتلا معا يوم صفين.

قال نصر فلما قطع على الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرجهما أمامه نحو معاوية في اثني عشر ألفا وقد كانا حين سرحهما من الكوفة مقدمة له أخذها على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات فبلغهما أخذ علي عليه السلام طريق الجزيرة وعلما أن معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله فقالا والله ما هذا برأي أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر وما لنا خير في أن نلقى جموع الشام في قلة من العدد منقطعين عن المدد فذهبوا ليعبروا من عانات فضعهم أهلها وحسوا عنهم السفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ولحقوا عليا عليه السلام بقرية دون قرقيسياء فلما لحقوا عليا عليه السلام عجب وقال مقدمتي يأتي من ورائي فأخبره زياد وشريح بالرأي الذي رأيا فقال قد أصبتما رشدكما.

فلما عبر الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية فلما انتهيا إلى معاوية لقيهما أبو الأعور السلمي في جنود من الشام وهو على مقدمة معاوية فدعاه إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام فأبى فبعثوا إلى علي عليه السلام أن قد لقينا أبا الأعور السلمي بسور الروم في جند من أهل الشام فدعوانه وأصحابه إلى الدخول في طاعتك فأبى علينا فمرنا بأمرك.

فأرسل علي عليه السلام إلى الأشتر فقال يا مالك إن زيادا وشريحا أرسلنا إلي.

إلى آخر ما مر برواية ابن ميثم.

قال وكتب علي عليه السلام إليهما وكان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي أما بعد فإني قد أمرت عليكما مالكا فاستمعا له وأطيعا أمره فإنه من لا يخاف رهنه ولا سقاطه^(٣) ولا بطؤه عما الإسراع عليه أحزم ولا إسرعه إلى ما البطء عنه أمثل وقد أمرته بمثل الذي أمرتكما أن لا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوهم ويعذر إليهم.

(١) وهذه الرسالة روينها عن مصدر آخر في المختار: (٧٨) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٤ ص ٢١٦ ط ١.
(٢) كذا في تاريخ الطبري وهو الظاهر، في ط الكلباني ساق الكلام بصورة النثر هكذا: إن يكن زاجر الطير صادقا كما تزعمون أقتل وشيكا وتقتل.
(٣) الرهن: حقة العقل. الجهل. الكذب. العريضة. والسقاط: ككتاب: العثرة والزلة.

فخرج الأشتر حتى قدم على القوم فاتبع ما أمره به علي عليه السلام وكف عن القتال و لم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور فثبوا له واضطربوا ساعة ثم إن أهل الشام انصرفوا. ثم خرج إليهم هاشم بن عتبة في خيل و رجال حسن عدتها و عددها فخرج إليهم أبو الأعور فاقتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل و الرجال على الرجال و صبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا.

وبكر عليهم الأشتر فقتل من أهل الشام عبد الله بن المنذر التنوخي قتله طبيان بن عمارة التميمي و ما هو يومئذ إلا فتى حديث السن و إن كان الشامي لفارس أهل الشام و أخذ الأشتر يقول و يحكم أروني أبا الأعور.

ثم إن أبا الأعور دعا الناس فرجعوا نحوه فوقف على تل من وراء المكان الذي كان فيه أول مرة و جاء الأشتر حتى صف أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور أول مرة فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعي انطلق إلى أبي الأعور فادعه إلى المبارزة فقال إلى مبارزتي أو مبارزتك فقال الأشتر أو لو أمرتك بمبارزته فعلت قال نعم و الذي لا إله إلا هو تعالى لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي فعلته حتى أضربه بالسيف فقال يا ابن أخي أطال الله بقاءك قد و الله ازددت فيك رغبة لا ما أمرتك بمبارزته إنما أمرتك أن تدعوه لمبارزتي فإنه لا يبارز إن كان ذلك من شأنه إلا ذوي الأسنان و الكفاءة و الشرف و أنت بحمد الله من هل الكفاءة و الشرف و لكنك حديث السن و ليس يبارز الأحداث فذهب فادعه إلى مبارزتي.

فأتاهم فقال أنا رسول فأمنوني فأمنوه فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور فقال له إن الأشتر يدعوك إلى المبارزة قال فسكت عني طويلا ثم قال إن خفة الأشتر و سوء رأيه هو الذي دعاه إلى إجلاء عمال عثمان و اقترائه عليه يقبح محاسنه و يجهل حقه و يظهر عداوته و من خفة الأشتر أنه سار إلى عثمان في داره و قراره فقتله فيمن قتله و أصبح متبعا بدمه ^(١) لا حاجة لي في مبارزته فقلت إنك قد تكلمت فاسمع حتى أجييبك فقال لا حاجة لي في جوابك و لا الاستماع منك اذهب عني و صاح بي أصحابه فانصرفت عنه و لو سمع لأسمعته عذر صاحبي و حجتة فرجعت إلى الأشتر فأخبرته أنه قد أبى المبارزة فقال لنفسه نظر.

قال فتواقفنا حتى حجز بيننا و بينهم الليل و بتنا متحارسين فلما أن أصبحنا نظرنا فإذا هم انصرفوا.

قال و صبحنا علي عليه السلام غدوة سائرا نحو معاوية فإذا أبو الأعور قد سبق إلى سهولة الأرض و سعة المنزل و شريعة الماء مكان أفبح و كان أبو الأعور على مقدمة معاوية و اسمه سفيان بن عمرو.

و كان وصول علي عليه السلام إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنة سبع و ثلاثين.

قال نصر فلما انصرف أبو الأعور عن الحرب راجعا سبق إلى الماء فغلب عليه في الموضع المعروف بقناصرين إلى جانب صفين ^(٢) و ساق الأشتر يتبعه فوجده غالبا على الماء و كان في أربعة آلاف من مستبصري أهل العراق فصدموا أبا الأعور و أزالوه عن الماء فأقبل معاوية في جميع الفيلق يقضه و قضضه فلما رآهم الأشتر انحاز إلى علي عليه السلام و غلب معاوية و أهل الشام على الماء و حالوا بين أهل العراق و بيته.

و أقبل علي عليه السلام في جموعه فطلب موضعا لعسكره و أمر الناس أن يضعوا أثقالهم و هم أكثر من مائة ألف فلما نزلوا تسرع فوارس من فوارس علي عليه السلام على خيولهم إلى جهة معاوية يطعنون و يرمون بالسهم و معاوية بعد لم ينزل فناوشهم أهل الشام القتال فاقتلوا هوي ^(٣).

٣٩٢- قال نصر فحدثني عمر بن سعد عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة قال فكتب معاوية إلى علي عليه السلام عافانا الله و إياك ما أحسن العدل و الإنصاف بمن عمل و أقبح الطيش ثم النفس في الرجل و كتب بعده.

أربط حمارك لا تسزع سويته
ليست ترى السيد زيدا في نفوسهم
إذا يرد و قيد العير مكروب
كما تسراه بنو كوز و مرهوب

(١) كذا بالعين المهملة. ولعل الصواب: «مبتغى» بالمعجمة أي مطلوباً بدمه.

(٢) انظر تاج العروس.

(٣) أي قطعة من الزمان. وهي بفتح الهاء وكسر الواو وشد الياء. ويأتي قريباً عن المصنف تفسيرها.

إن تسألوا الحق يعط الحق سائله

أو تسألون فإننا معشر أنصف

و الدرع محقبة و السيف مقروب

لا نطعم الضيم إن السم مشروب

فأمر علي عليه السلام أن يوزع الناس عن القتال حتى أخذ أهل الشام مصافهم ثم قال أيها الناس إن هذا موقف من نطف فيه نطف يوم القيامة و من فلج فيه فلج يوم القيامة.

ثم قال لما رأى نزل معاوية بصفين:

لقد أتاننا كاشرا عن نابه

يهمط الناس على اعتزابه

فليأتنا الدهر بما أتى به

قال نصر و كتب علي إلى معاوية جواب كتابه أما بعد:

فإن للحرب عراما شررا

إن عليها قائدا عشنزرا

ينصف من أحجر أو تنمرا

على نواحيها مزجا زمجرا

إذا و نين ساعة تغشمرأ

ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم

أجابوا وإن يقضب على القوم يقضوا

هم حفظوا غيبي كما كنت حافظا

لقومي أخرى مثلها إذ تغيبوا

بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم

و آبائهم آباء صدق فأنجبوا

قال فتراجع الناس كل من الفريقين إلى معسكره و ذهب شباب من الناس إلى الماء ليستقوا فمنعهم أهل الشام.

قال ابن أبي الحديد^(١) قلت في هذه الألفاظ ما ينبغي أن يشرح قوله فاقتتلوا هويا بفتح الهاء أي قطعة من الزمان و ذهب هوي من الليل أي هزيع منه و النفس كثرة الكلام و الدعاوي و أصله من نفس الصوف و السوية كساء محشو بشمام و نحوه كالبرزعة و كريت القيد إذا ضيقته على المقيد و قيد مكروب أي ضيق. يقول لا تنزع برزعة حمارك عنه و اربطه و قيده و إلا أعيد إليك و قيده ضيق.

و هذا مثل ضربه لعلي عليه السلام يأمره فيه بأن يردع جيشه عن التسرع و العجلة عند الحرب.

و زيد المذكور في الشعر هو زيد بن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن بني ضبة و هو المعروف يزيد الخيل و كان فارسهم.

و بنو السيد من ضبة أيضا و هم بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة إلى آخر النسب و بنو السيد بنو عم زيد الفوارس لأنه من بني ذهل بن مالك و هؤلاء بنو السيد بن مالك و بينهم عداوة النسب يقول إن بني السيد لا يرون زيدا في نفوسهم كما يراه أهله الآدون منه نسبا و هم بنو كوز و بنو مرهوب يقول نحن لا نعظم زيدا و لا نعتقد فيه من الفضيلة ما يعتقد أهله و بنو عمه الآدون.

و المثل لعلي عليه السلام أي نحن لا نرى في علي ما يراه أهل العراق من تعظيمه و تبجيله.

و الدرع محقبة أي بحالها في حقها و هو ما يشد به في غلافها و السيف بحاله في قرابه و هو جفنه يقال حقيب الدرع و قربت السيف كلاهما ثلاثيان يقول إن سألتهم الحق أعطيناكموه من غير حاجة إلى الحرب بل نجيبكم إليه و الدروع بحالها لم تلبس و السيوف في أجفانها لم تشهر.

و أما إثبات النون في تأتون فللشعر^(٢) يقول و إن أنفتم و أبيتتم إلا الحرب فإننا نأنف مثلكم أيضا لا

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥١) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٧١٨ ط الحديث ببيروت.

(٢) كذا في طبعة الكمباني من بحار الأنوار، وقال ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥١) من شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٧١٩ ط الحديث ببيروت:

و أما إثبات النون في «تأتون» فإن الأصوب حذفها لطف الكلمة على المجزوم قبلها ولكنه استأنف ولم يعطف كأنه قال: أو كنتم تأتون. يقول:

نظم الضيم ولا تقبله ثم قال إن السم مشروب أي إن السم قد نشره ولا نشرب الضيم أي نختر الموت على الذلة.

والشعر لعبد الله بن غنم الضبي^(١) من بني السيد.

فأما قوله ﷺ هذا موقف من نطف فيه نطف يوم القيامة أي من تلطخ فيه بعبث من فرار أو نكول عن العدو يقال نطف فلان بالكسر إذا تدنس بعبث ونطف أيضاً إذا أفسد يقول من فسدت حاله اليوم في هذا الجهاد فسدت حاله غدا عند الله.

قوله من فلح فيه بفتح اللام أي من ظهر و فاز يقال فلح على خصمه كنصر أي ظهرت حجتته عليه.

قوله ﷺ يهبط الناس أي يقهرهم ويخبطهم وأصله الأخذ بغير تقدير.

وقوله ﷺ على اعتزابه أي على بعده عن الإمارة والولاية على الناس.

والعرام بالضم الشراسة والهوج والعشز الشديد القوي ينصف من يظلم الناس وأحجر ظلم الناس حتى ألجأهم إلى أن دخلوا حجرهم أي بيوتهم وتنمر أي تنكر حتى صار كالنمر يقول هذا القائد الشديد القوي ينصف من يظلم الناس ويتنكر لهم أي ينصف منه فحذف حرف الجر كقوله تعالى وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ أَي من قومه.

والمرج بكسر الميم السريع النفوذ وأصله الرمح القصير كالمزراق ورجل زمجر أي مانع حوزته و الميم زائدة و من رواها زمخرا بالخاء عن به المرتفع العالي الشأن وجعل الميم زائدة أيضاً من زخر الوادي أي علا و ارتفع و غشمر السيل أقبل و الغشمة إتيان الأمر بغير تثبت يقول إذا أبطن ساقهن سوقا عنيفا.

والآيات البائية لربيع بن مسروم^(٢) الضبي.

و روى نصر عن عبد الله بن عوف قال لما قدما على معاوية وأهل الشام بصفين وجدناهم قد نزلوا منزلا اختاروه مستويا بساطا واحدا^(٣) و أخذوا الشريعة فهي أيديهم و قد صف أبو الأعور عليها الخيل والرجالة و قدم الرماية و معهم أصحاب الرماح و الدرق و على رءوسهم البيض و قد أجمعوا أن يمنعوا الماء ففزعنا إلى أمير المؤمنين ﷺ فأخبرناه بذلك.

فدعا صعصعة بن صوحان فقال انت معاوية قتل له إنا سرننا إليك مسيرنا هذا و أنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم و إنك قدمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك و بدأتنا بالحرب و نحن من رأينا الكف حتى ندعوك و نحتج عليك و هذه أخرى قد فعلتموها قد حلت بين الناس و بين الماء فخل بينهم و بينه حتى ننظر فيما بيننا و بينكم و فيما قدما له و قدتم له و إن كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له و ندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا. فلما مضى صعصعة برسائله إلى معاوية قال معاوية لأصحابه ما ترون فقال الوليد بن عقبة امنعهم الماء كما منعه ابن عفان حصروه أربعين يوما يمنعونه برد الماء و لين الطعام اقتلهم عطشا قتلهم الله.

و قال عمرو بن العاص خل بين القوم و بين الماء فإنهم لن يعطشوا و أنت ريان و لكن لغير الماء فانظر فيما بينك و بينهم فأعاد الوليد مقاتله.

و قال عبد الله بن سعيد بن أبي سرح^(٤) و كان أخا عثمان من الرضاة امنعهم الماء إلى الليل فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا و كان رجوعهم هزيمتهم امنعهم الماء منعه الله يوم القيامة.

فقال صعصعة إنما يمنع الماء يوم القيامة الفجرة الكفرة شربة الخمر ضربك و ضرب هذا الفاسق^(٥) يعني الوليد فتواثبوا إليه يشتمونه و يتهددونه فقال معاوية كفوا عن الرجل فإنما هو رسول.

وإن أنتم وأبيتم إلا الحرب فإننا نألف مثلكم أيضاً لا نظم الضيم ولا تقبله...

(١) كذا في أصلي المطبوع، وفي طبع الحديث ببيروت من شرح ابن أبي الحديد: «لعبد الله غنم الضبي من بني السيد».

(٢) كذا في ط الكلباني من البحار، وفي شرح نهج البلاغة ط الحديث ببيروت، «والآيات البائية لربيع بن مسروم الطائي».

(٣) كذا في أصلي، وفي كتاب صفين وشرح النهج: «بساطاً واسعاً».

(٤) له ترجمة في كتاب الإصابة: ج ٢ ص ٤٧٠.

(٥) الضرب بمعنى المثل والشبيه.

قال عبد الله بن عوف إن صصعة لما رجع إلينا حدثنا بما قال معاوية و ما كان منه و ما رده علينا و قال لما أردت الانصراف من عنده قلت ما ترد علي قال سيأتيكم رأيي قال فو الله ما راعنا إلا تسوية الرجال و الصفوف و الخيل فأرسل إلى أبي الأعور امنعهم الماء فإزدلفنا و الله إليهم فارتميّا و أطفنا بالرماح و اضطرب بنا بالسيوف فطال ذلك بيننا و بينهم حتى صار الماء في أيدينا فقلنا لا و الله لا نسقيهم فأرسل علي رضي الله عنه أن خذوا من الماء حاجتكم و ارجعوا معسكركم و خلوا بينهم و بين الماء فإن الله قد نصركم عليهم ببغيهم و ظلمهم.

و قال نصر قال عمرو بن العاص خل بينهم و بين الماء فإن عليا لم يكن ليظماً و أنت ريان و في يده أعة الخيل و هو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت و أنت تعلم أنه الشجاع المطرق و قد سمعته أنا مراراً و هو يقول لو أن معي أربعين رجلاً يوم فتش البيت يعني بيت فاطمة لو استمكنت من أربعين رجلاً يعني في الأمر الأول^(١).

قال و لما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة و قال معاوية يا أهل الشام هذا و الله أول الظفر لا سقاني الله و لا أبا سفيان إن شربوا منه أبداً حتى يقتلوا بأجمعهم عليه و يتأشروا أهل الشام.

فقام إلى معاوية رجل من أهل الشام همداني ناسك يقال له المعري بن الأقبيل فقال يا معاوية سبحانه الله الآن سبقتهم القوم إلى الفرات تمنعونهم الماء أما و الله لو سيقوكم إليه لسقوكم منه أليس أعظم ما تتألمون من القوم أن تمنعونهم ففرضه من الفرات فينزلون على ففرضه أخرى فيجازونكم بما صنعتم.

أما تعلمون أن فيهم العبد و الأمة و الأجير و الضعيف و من لا ذنب له هذا و الله أول الجهل فأغلظ له معاوية. قال نصر ثم سار الرجل الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلي رضي الله عنه و مكث أصحاب علي رضي الله عنه يغير ماء و اغتم بما فيه أهل العراق من العطش فأتى الأشعث علياً فقال يا أمير المؤمنين أبعثنا القوم ماء الفرات و أنت فينا و السيوف في أيدينا خل عنا و عن القوم فو الله لا نرجع حتى نرده أو نموت و مر الأشعث يعلو بخيله و يقف حيث تأمر فقال علي رضي الله عنه ذلك إليكم.

فنادى الأشعث في الناس من كان يريد الماء أو الموت فمبعاده موضع كذا فإني ناهض فأتاه اثنا عشر ألفاً من كندة و أفتاء قحطان واضعي سيوفهم على عواتقهم فشد عليه سلاحه و نهض بهم حتى كاد أن يخالط أهل الشام و جعل يلقي رمحه و يقول لأصحابه بأبي و أمي و أنتم تقدموا إليهم قاب رمحي^(٢) هذا فلم يزل ذلك دأبه حتى خالط القوم و حسر عن رأسه و نادى أنا الأشعث بن قيس خلوا عن الماء فنادى أبو الأعور أما و الله حتى لا تأخذنا و إياكم السيوف فلا فقال الأشعث قد و الله أظنها دنت منا و منكم.

و كان الأشعث قد تعالى بخيله حيث أمره علي رضي الله عنه فبعث إليه الأشعث أقحم الخيل فأقحمها حتى وضعت بسنابكها في الفرات و أخذت أهل الشام السيوف قولوا مدبرين.

٣٩٣- قال و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر و زيد بن الحسن قال فنادى الأشعث عمرو بن العاص فقال ويحك يا ابن العاص خل بيننا و بين الماء فو الله لئن لم تفعل لتأخذنا و إياكم السيوف فقال عمرو و الله لا نخلي عنه حتى تأخذنا السيوف و إياكم فيعلم ربنا سبحانه أينما أصبر اليوم.

فترجل الأشعث و الأشتر و ذوو البصائر من أصحاب علي رضي الله عنه و ترجل معهم اثنا عشر ألفاً فحملوا على عمرو و أبي الأعور و من معهم من أهل الشام فأزالوهم عن الماء حتى غمست خيل علي رضي الله عنه سنابكها في الماء.

قال نصر فروى لنا عمر بن سعد أن علياً رضي الله عنه قال ذلك اليوم هذا يوم نصرتم فيه بالحمية.

قال نصر فحدثنا عمرو عن جابر قال خطب علي رضي الله عنه يوم الماء فقال:

أما بعد فإن القوم قد بدءوكم بالظلم و فاتحوكم بالبغي و استقبلوكم بالعدوان و قد استطعموكم القتال حيث منعوكم

(١) كذا في طبع الكلباني من البحار، وفي شرح ابن أبي الحديد: ط الحديث ببيروت: «وقد سمعته أنا مراراً وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلاً يعني في الأمر الأول».

أقول: وليلاحظ «طبع» القديم من هذا الشرح أو مخطوطه إن تيسر.

وفي كتاب صقين: وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلاً - فذكر أمراً - يعني لو أن معي أربعين رجلاً يوم فتش البيت. يعني بيت فاطمة.

(٢) القاب: القدر.

الماء فأقروا على مذلة وتأخير محله أو رروا السيوف من الدماء ترووا من الماء فالعوت في حياتكم مقهورين والحية في موتكم قاهرين ألا وإن معاوية قاده من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعل نحورهم أغراض المنيعة^(١).

قال نصر ودعا الأشتر بالحارث بن همام النخعي فأعطاه لواءه ثم صاح الأشتر في أصحابه فذتكم نفسي شدوا شدة المحرج الراجي للفرج فإذا نالتكم الرماح التروا فيها فإذا عتتكم السيوف فليعض الرجل على ناجذه فإنه أشد لشنون الرأس ثم استقبلوا القوم بهامكم.

قال وكان الأشتر يومئذ على فرس له محذوف أدهم كأنه حلك الغراب وقتل بيده من أهل الشام من فرسانهم و صناديدهم سبعة صالح بن فيروز العكي ومالك بن أدهم السلماني ورياح بن عتيك الغساني والأجلع بن منصور الكندي وكان فارس أهل الشام وإبراهيم بن وضاح الجمحي وزامل بن عتيك الجذامي ومحمد بن روضة الجمحي وسمع أمير المؤمنين مربية بعض نساء القتلى فقال أما إنهم أضروا بنسائهم فتركوهن أيامي حزاني بانسات قاتل الله معاوية اللهم حمله أنثامهم وأوزاروا وأثقالا مع أثقاله اللهم لا تعف عنه.

وعن عصصة قال أقبل الأشتر يوم الماء ففرض بسيفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم عن الماء وحمل أبو الأعور وحمل الأشتر عليه فلم ينتصف أحدهما صاحبه.

قال وقال عمرو بن العاص لمعاوية لما ملك أهل العراق الماء ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك الماء كما منعتم أسس أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوء فقال له معاوية دع عنك ما مضى فما ظنك بعلي بن أبي طالب قال ظني أنه لا يستحل منك ما استحلتت منه وأن الذي جاء له غير الماء.

قال نصر فقال أصحاب علي عليه السلام لا تمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك فقال لا خلوا بينهم وبينه لا أفعل ما فعله الجاهلون فسنعرض عليهم كتاب الله وندعهم إلى الهدى فإن أجابوا وإلا ففي حد السيف ما يغني إن شاء الله قال فو الله ما أمسى الناس حتى رأوا سقاتهم وسقاه أهل الشام ورواياهم ورواي أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤذي إنسان إنسانا.

أقول رجعا إلى أصل كتاب نصر فوجدناه مطابقا لما رواه ابن أبي الحديد عنه^(٢).

توضيح: قال الفيروزآبادي منبج كمجلس موضع وقال زجر الطائر تفأل به والزجر العباقة والتكهون وقال الرهق محرقة السفه والنوك والخفة وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم وقال السقاط الوقعة الشديدة والعثرة وقال بحر أفيح واسع والفياض الواسعة من الدور وقال الفيلق كصيق الجيش وقال جاءوا قضهم بفتح الضاد وبضها وفتح القاف وكسرها بقضيضهم وجاءوا قضهم وقضيضهم أي جميعهم أو القضيض الصغار والقضيض الكبار أي جاءوا بالكبير والصغير أو القضيض بمعنى القاض والقضيض بمعنى المقضوض قوله لو استمكنت لو للتمني أو للجزاء محذوف والأمر الأول بيعة أبي بكر وقاب رمحي أي قدر رمحي قوله قد استلمعوكم.

أقول روى السيد في المختار من النهج من هذا الموضع إلى آخر الكلام أي طلبوا منكم القتال كأنهم اضطروكم إليه إذ لا طاقة لكم على العطش فجعلوه مرغوبا لكم كما يرغب الإنسان إلى الطعام الذي به قوام بدنه فأقروا على مذلة أي اعترفوا بها وإنه لا قدرة لكم على دفعهم واصرروا عليها أو اسكنوا أنفسكم في مكان الذل والمقهورية وتأخير المحلة دناءة المرتبة أو رروا السيوف أي اجعلوها ربا ضد عطشى وقاد الفرس ضد ساقه فالقود من أمام والسوق من خلف واللغة بالضم والتخفيف الجماعة وقيل المثل في السن والترب وعمس بالمهملتين وتشديد الميم أي أدهم وأخفى ويظهر من ابن الأثير أنه بالتخفيف.

(١) هذه الخطبة هو المختار: (٥١) من كتاب نهج البلاغة. والخطبة مع الكلام الآتي قبل قول المصنف: «توضيح» قد سقطنا عن المطبوع من كتاب صفين، وقد رواها عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥١) من شرحه على نهج البلاغة، ج ٣ ص ٣٢٥ ط الحديث بمصر، وفي ط الحديث ببيروت: ج ١ ص ٧٢٥ و ٧٢٩.

(٢) ابن أبي الحديد أورد ما في الكتاب صفين بإيجاز ويحذف بعض الخصوصيات في شرح المختار: (٥١) من نهج البلاغة من شرحه ج ٣ ص ٣٢٠ مصر، وفي ط الحديث ببيروت: ج ١، ص ٧١٧ - ٧٢٩.

ورواه نصر في: أواسط الجزء (٣) من كتاب صفين ص ١٥٧، وما حولها.

و يروى بالغين المعجمة و هو موجود في بعض نسخ النهج لكن بالتشديد و غمسه في الماء أي مقله و غمس النجم أي غاب و الغميس الليل المظلم و الظلمة و الشيء الذي لم يظهر للناس و لم يعرف بعد و في بعض النسخ و رسم عليهم بالتشديد و الرسم كتمان الخبر و المراد بالخبر خزي الدنيا أو عذاب الآخرة أو الأعم و الغرض الهدف الذي يرمى فيه و المنية الموت و قال الجوهري الحلك السواد يقال أسود مثل حلك الغراب و هو سواده.

باب ١٢

باب جمل ما وقع بصفين من المحاربات و الاحتجاجات إلى التحكيم

٣٩٤- قال ابن أبي الحديد موافقا لما وجدته في أصل كتاب صفين لنصر بن المزاحم^(١) لما ملك علي عليه السلام الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه و المساهمة استمالة لقلوبهم مكث أياما لا يرسل إلى معاوية أحدا و لا يأتيه من عند معاوية أحد و استبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال و قالوا يا أمير المؤمنين خلطنا ذرارينا و نساءنا بالكوفة ائذن لنا في قتال القوم فإن الناس قد قالوا قال علي عليه السلام ما قالوا فقال منهم قائل إنهم يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت و منهم من يظن أنك في شك في قتال أهل الشام.

فقال عليه السلام ومتى كنت كارها للحرب قط إن من العجب حبي لها غلاما و يفعأ و كراهيتي لها شيخا بعد نفاذ العمر و قرب الوقت و أما شكى في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة فو الله لقد ضربت هذا الأمر ظهرا و بطنا فما وجدت يسعني إلا القتال أو أن أعصي الله و رسوله و لكني أستاذني بالقوم عسى أن يهتدوا أو يهتدي فيهم طائفة فإن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لي يوم الخيبر لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس^(٢).

قال نصر بن مزاحم فبعث علي عليه السلام إلى معاوية بشر بن عمرو و سعيد بن قيس و شبث بن ربعي فقال اتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة و الجماعة و إلى اتباع أمر الله سبحانه.

فقال شبث يا أمير المؤمنين ألا نطمعه في سلطان توليه إياه و منزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك قال انتوه الآن و القوه و احتجوا عليه و انظروا ما رأيه في هذا.

فدخلوا عليه فابتدأ بشر بن عمرو بن محسن فحمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد يا معاوية فإن الدنيا عنك زائلة و إنك راجع إلى الآخرة و إن الله مجازيك بعملك و محاسبك بما قدمت يدك و إنني أشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة و أن تسفك دماها بينها.

فقطع معاوية عليه السلام الكلام فقال فهلا أوصيت صاحبك فقال سبحان الله إن صاحبي لا يوصي إن صاحبي ليس مثلك صاحبي أحق الناس بهذا الأمر في الفضل و الدين و السابقة في الإسلام و القرابة من الرسول قال معاوية فتقول ما ذا قال أدعوك إلى تقوى ربك و إجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دينك و خير لك في عاقبة أمرك قال و يطل دم عثمان لا و الرحمن لا أفعل ذلك أبدا.

فذهب سعيد بن قيس ليتكلم فبدره شبث بن ربعي فحمد الله و أثنى عليه ثم قال يا معاوية قد فهمت ما رددت على ابن محسن أنه لا يخفى علينا ما تتطلب إنك لا تجد شيئا تستغوي به الناس و تستميل به أهواءهم إلا أن قلت لهم قتل إمامكم مظلوما فلهما نطلب بدمه فاستجاب لك سفلة طعام و ذال و قد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر و أحببت له

(١) رواه نصر في أواخر الجزء الثالث من كتاب صفين ص ١٨٧، ط مصر.

ورواه عنه ابن أبي الحديد باختصار بسيط في بعض مواضعه في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٧٤٩ ط الحديث ببيروت.

والمصنف اختصر روايات ابن أبي الحديد وأسقط أسانيد الأحاديث أكثرياً.

(٢) وقريباً منه جداً رواه السيد الرضي في المختار: (٥٤) من نهج البلاغة.

القتل لهذه المنزل التي تطلب و رب مبتغي أمرا و طائب له يحول الله دونه و ربما أوتي المتعني أمنيته و ربما لم يؤتها و الله ما لك في واحدة منهما خير و الله إن أخطأك ما ترجو إنك لشر العرب حالا و لئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق صلى النار فاتك الله يا معاوية و دع ما أنت عليه و لا تنازع الأمر أهله.

فحمد معاوية الله و أثنى عليه و قال أما بعد فإن أول^(١) ما عرفت به سفكه و خفة حلمك قطعك على هذا الحبيب الشريف سيد قومه منطق ثم عفت بعد فيما لا علم لك به و لقد كذبت و لومت أيها الأعرابي الجلف الجافي^(٢) في كل ما وصفت انصرفوا من عندي فإنه ليس بيني و بينكم إلا السيف و غضب.

فخرج القوم و شئت يقول أعلينا تهول بالسيف أما و الله لنعجلنه إليك.

قال نصر و خرج قراء أهل العراق و قراء أهل الشام ففسكروا في ناحية صفين في ثلاثين ألفا.

قال و عسكر علي^{عليه السلام} على الماء و عسكر معاوية فوقه على الماء أيضا و مشيت القراء بين علي^{عليه السلام} و معاوية منهم عبيدة السلماني و علقمة بن قيس النخعي و عبد الله بن عتبة و عمار بن عبد القيس فدخلوا على معاوية فقالوا يا معاوية ما الذي تطلب.

قال أطلب بدم عثمان قالوا ممن تطلب بدم عثمان قال أطلبه من علي قالوا أو علي قتله قال نعم هو قتله و آوى قتله. فانصرفوا من عنده فدخلوا على علي^{عليه السلام} و قالوا إن معاوية زعم أنك قتلت عثمان قال اللهم لكذب علي لم أقتله فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال إن لم يكن قتله بيده فقد أمر و مالا.

فرجعوا إليه^{عليه السلام} و قالوا يزعم أنك إن لم تكن قتلت بيدك فقد أمرت و مالات على قتل عثمان فقال اللهم لكذب فيما قال: فرجعوا إلى معاوية فقالوا إن عليا يزعم أنه لم يفعل فقال معاوية إن كان صادقا فليقتلنا من قتلة عثمان فإنهم في عسكره و جنده و أصحابه و عضده فرجعوا إلى علي^{عليه السلام} فقالوا إن معاوية يقول لك إن كنت صادقا فادفع إلينا قتلة عثمان أو مكنا منهم فقال لهم إن القوم تأولوا عليه القرآن و وقعت الفرقة و قتلوه في سلطانه و ليس على ضربهم قود فخصم علي معاوية^(٣).

فقال لهم معاوية إن كان الأمر كما تزعمون فلم ابتز الأمر دوننا على غير مشورة منا و لا ممن هاهنا معنا فقال علي^{عليه السلام} إن الناس تبع المهاجرين و الانتصار و هم شهود للمسلمين في البلاد على ولائهم و أمراء دينهم فرضوا بي و بايعوني و لست أستحل أن أدع ضرب معاوية يحكم على هذه الأمة و يركبهم و يشق عصاهم.

فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك فقال ليس كما يقول فما بال من هاهنا من المهاجرين و الانتصار لم يدخلوا في هذا الأمر؟

فانصرفوا إليه^{عليه السلام} فأخبروه بقوله فقال ويحكم هذا للبريين دون الصحابة و ليس في الأرض بدري إلا و قد بايعني و هو معي أو قد أقام و رضي فلا يغرتكم معاوية من أنفسكم و دينكم.

قال نصر فتراسلوا بذلك ثلاثة أشهر ربيع الآخر و جماديين و هم مع ذلك يفزعون الفرقة فيما بينها و يزحف بعضهم إلى بعض و يحجز القراء بينهم قال ففزعوا في ثلاثة أشهر خمسا و ثلاثين فرقة يزحف بعضهم إلى بعض و يحجز القراء بينهم.

قال نصر و خرج أبو أمامة الباهلي و أبو الدرداء فدخلوا على معاوية فقالا يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل فوالله لهو أقدم منك سلما و أحق منك بهذا الأمر و أقرب من رسول الله^ﷺ فعلام تقاتله قال أقاتله على دم عثمان فإنه آوى قتله فقالوا له فليقتلنا من قتله و أنا أول من بايعه من أهل الشام فانطلقوا إلى علي^{عليه السلام} فأخبروه فقال إنما يطلب الذين ترون فخرج عشرون ألفا و أكثر متسربلين في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق فقالوا كلنا قتله فإن شاءوا فليروا ذلك منا.

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في طبعه مصر من كتاب صفين و طبعة بيروت من شرح نهج البلاغة. وفي أصلي: أما بعد إنه أول....

(٢) كذا في طبع الكلباني من البحار. والتلويح: اللامعة، والتشديد للمبالغة. وفي شرح ابن أبي الحديد: «ولموت....».

(٣) أي غلبة في الخصومة، وهو على زنة ضرب. والقرد: القصاص.

فرجع أبو أمامة و أبو الدرداء فلم يشهدا شيئا من القتال.

حتى إذا كان في رجب وخشي معاوية أن يبايع القراء علياً^(١) جد في المكر و كتب في سهم من عبد الله الناصح أني أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيفرقكم فخذوا حذركم ثم رمى السهم في عسكر علي^(٢).

٤٥٢
٣٢

فوقع السهم في يد رجل فقرأه ثم أقرأ صاحبه فلما قرأه من أقبل وأدبر قالوا هذا أخ لنا ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية فلم يزل السهم يقرأ و يرتفع حتى رفع إلى علي^(٣) و بعث معاوية فأتى رجال من العملة إلى عاقول من النهر بأيديهم المرور و الزبل يحفرون^(٤) فيها بحيال عسكر علي^(٥) فقال^(٦) ويحكم إن الذي يعالج معاوية لا يستقيم له و لا يقوى عليه إنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فانتهوا عن ذلك و دعوه.

فقالوا له هم و الله يحفرون و الله لنرتحلن و إن شئت فأقم فارتحلوا و صعدوا بعسكرهم مليا و ارتحل علي^(٧) في أخريات الناس و هو يقول:

إلى ركن اليمامة أو شمام^(٨)

فلو أني أطعت عصبت قومي

منيت بخلف آراء الطغام

ولكنني متى أبرمت أمرا

قال فارتحل معاوية حتى نزل بعسكر علي^(٩) الذي كان فيه.

فدعا علي^(١٠) الأشتر فقال ألم تغلبنني على رأيي أنت و الأشعث برأيكما فقال الأشعث أنا أكفيك يا أمير المؤمنين سأداوي ما أفسدت اليوم من ذلك فجمع كندة فقال لهم يا معشر كندة لا تفضحوني اليوم و لا تخزوني فإنما أنا أقارع بكم أهل الشام فخرجوا معه رجاله يمشون و بيده رمح له يلقيه على الأرض و يقول امشوا قيس رمحي هذا فيمشون فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه و يمشون معه حتى أتى معاوية وسط بني سليم واقفا على الماء و قد جاءه أداني عسكره فاقتلوا قتالا شديدا على الماء ساعة و انتهى أوائل أهل العراق فنزلوا و أقبل الأشتر في جند من أهل العراق فحمل على معاوية و الأشعث يحارب في ناحية أخرى فانحاز معاوية في بني سليم فردوا وجهه إليه قدر ثلاثة فراسخ ثم نزل و وضع أهل الشام أثقالهم و الأشعث يهدر و يقول أرضيتك يا أمير المؤمنين و قال الأشتر يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء.

٤٥٣
٣٢

قال نصر و كان كل واحد من علي و معاوية يخرج الرجل الشريف في جماعة و يقاتل مثله و كانوا يكرهون أن يزاخفوا بجميع الفيلق مخافة الاستيصال و الهلاك فاقتل الناس ذا الحجة كله فلما انقضى تداعوا إلى أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقضي المحرم لعل الله أن يجري صلحا أو اجتماعا فكف الناس في المحرم بعضهم عن بعض.

قال نصر حدثنا عمر بن سعد عن أبي المجاهد^(١١) عن المحل بن خليفة قال لما توادعوا في المحرم اختلف الرسل فيما بين الرجلين رجاء الصلح فأرسل علي^(١٢) إلى معاوية عدي بن حاتم و شيب بن ربعي و يزيد بن قيس و زياد بن خصفة فلما دخلوا عليه حمد الله تعالى عدي بن حاتم و أثنى عليه و قال:

أما بعد فقد أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا و أمتنا و يحقن دماء المسلمين ندعوك إلى أفضل الناس سابقة و أحسنهم في الإسلام آثارا و قد اجتمع له الناس و قد أرشدهم الله بالذي رأوا و أتوا فلم يبق أحد غيرك و غير من معك فأنته يا معاوية من قبل أن يصيبك الله و أصحابك بمثل يوم الجمل.

فقال له معاوية كأنك إنما جئت متهددا و لم تأت مصلحا هيئات يا عدي إني لابن حرب ما يتقنع لي بالشنان^(١٣) أما و الله إنك من المجلبين على عثمان و إنك لمن قتلته و إني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله.

فقال له شيب بن ربعي و زياد بن خصفة و تنازعا كلاما واحدا أتيناك فيما يصلحنا و إياك فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لا ينفع من القول و الفعل و أجبننا فيما يعننا و إياك نفعه.

(١) عاقول النهر و الوادي: ما أعرج منه. و المرور: جمع المر - بالفتح - وهو المسعاة. و الزبل: جمع زبل وهو الجراب و القفّة.

(٢) كذا في ط الحديث ببيروت من شرح ابن أبي الحديد، ومثله في ط مصر من كتاب صفين: قالوا: «وشمام» جبل لبني الباهلة. وفي نسخة من كتاب صفين ومثله في البحار. «والشام» قال المصنف في بيانه الأتي ص: ١٧: «الشام» على [زنة] فعال: الشامي كاليمان [يعني البماني].

(٣) قال في هامش كتاب صفين: هو سعد الطائي الكوفي وثقة وكيع وابن حبان. وقال ابن حجر: لا بأس به.

(٤) الشنان والأشنان - كسنان وأستان - : جمع الشن - بفتح أوله - : القرية الخلق كانوا يحركونها للإبل إذا أرادوا إيسار الإبل في السير كما ذكره الميداني.

فقال له شبت أيسرك يا معاوية إن أمكنت من عمار بن ياسر فقتلته قال وما يعنني من ذلك و الله لو أمكنتني صاحبكم من ابن سمية ما أقتله بعثمان و لكن كنت أقتله بنائل مولى عثمان فقال شبت و إله السماء ما عدلت معدلا ولا والدي لا إله إلا هو لا تصل إلى قتل ابن ياسر حتى تنذر الهام عن كواهل الرجال و تضيق الأرض الفضاء عليك برحبها فقال معاوية إذا كان ذلك كانت عليك أضيق ثم رجع القوم عن معاوية فبعث إلى زياد بن خصفة من بينهم فأدخل عليه فحمد معاوية الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد يا أخا ربعة فإن عليا قطع أرحامنا و قتل إمامنا و آوى قتلة صاحبنا و إنني أسألك النصره عليه بأسرتك و عشيرتك و لك على عهد الله و ميثاقه إذا ظهرت أن أوليك أي المصريين أحببت.

قال زياد فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت أما بعد فإني لعلی بينة من ربي وبما أنعم الله علي فلن أكون ظهيراً للمُجرمين ثم قمت.

فقال معاوية لعمر بن العاص وكان إلى جانبه ما لهم غضبهم الله ما قلب رجل واحد^(٢). قال نصر وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري إلى علي^{عليه السلام} وبعث معه شرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد فدخلوا عليه^{عليه السلام} فتكلم حبيب وحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله وينيب إلى أمر الله فاستغفرت حياته واستطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلة عثمان لنقتلهم به فإن قلت إنك لم تقتله فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شوري بينهم يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

فقال له علي عليه السلام ومن أنت لا أم لك والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر اسكت فانك لست هناك ولا بأهل لذاك فقام حبيب بن مسلمة وقال والله لتريني حيث تكره فقال له علي عليه السلام وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك اذهب فصوص وصعد ما بدا لك فلا أبقي الله عليك ان أبقيت.

فقال شرحبيل بن السمط إن كلمتك فلعمري ما كلامي لك إلا نحو كلام صاحبي فهل عندك جواب غير الذي أجبته قال نعم قال فقله فحمد الله على ﷻ وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ فأنقذ به من الضلالة ونعش به من الهلكة وجمع به بعد الفارقة ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه فاستخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر فأحسن السيرة وعادى الأمة وقد وجدنا عليهم أن تولوا الأمر دوننا ونحن آل الرسول وأحق بالأمر ففقدنا ذلك لهم.

ثم ولي أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فسار إليه ناس قتلوه ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمرهم فقالوا لي بايع فأبيت عليهم فقالوا لي بايع فإن الأمة لن ترضى إلا بك وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس

(١) كذا في ط الكسائي من البحار، وكتب بدل هذه الجملة في هامشه هكذا: «فَبِئْسَ لَا تَرَاهَا [خ ل]». أقول: وذكرها في كتاب صَفَيْنَ وشرح ابن أبي الحديد بمثل ما في هامش البحار بعنوان البديلة.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد، وفي ط مصر من كتاب صفين: «ليس يكلم رجل مئاً رجلاً منهم بكلمة فيجيب بخير!! مالهم غضبهم الله ما قلوبهم إلا قلب رجل واحد».

وفي ط الكياني من بحار الأنوار: «فقال معاوية... ما لهم غضبهم الله ما في قلوبهم ما قلوبهم [كذا] إلا لأن رجل واحد». والغضب: والقطع، قال صاحب لسان العرب: وتدعو العرب على الرجل فتقول: «ما له غضبٌ الله يدعون عليه يقطع يده ورجله. والحديث التالي مع كثير مما يأتي رواه الطبري بسنده عن أبي مخنف في حوادث سنة: (٣٧) ما تاريخ الأمم والملوك.

فبايعتهم فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية إياي الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام طليق ابن طليق وحزب من الأحزاب لم يزل لله ولرسوله عدوا هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين مكرهين فيا عجباً لكم ولا نقياذكم له وتدعون آل نبيكم الذي لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم أحدا من الناس إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيكم ﷺ وإمارة الباطل وإحياة معالم الدين أقول قولي هذا وأستغفر الله لنا ولكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة.

فقال له شرحبيل ومع بن يزيد أتشهد أن عثمان قتل مظلوما فقال لهما إني لا أقول ذلك قالا فمن لا يشهد أن عثمان قتل مظلوما فنحن برآء منه ثم قاما فانصرفا.

فقال علي عليه السلام: «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمُؤْتَى وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ».

ثم أقبل على أصحابه فقال لا يكن هؤلاء في ضلالتهم بأولي بالجد منكم في حقكم وطاعة إمامكم ثم مكث الناس متوادعين إلى انسلخ المحرم.

فلما انسلخ شهر المحرم واستقبل الناس صفر من سنة سبع وثلاثين من هجرة النبي بعث علي عليه السلام نفرا من أصحابه حتى إذا كانوا من عسكر معاوية حيث يسمعونهم الصوت قام يزيد بن الحارث فنادى عند غروب الشمس يا أهل الشام إن أمير المؤمنين علي عليه السلام وأصحاب رسول الله ﷺ يقولون لكم إنا والله لم نكف عنكم شكاً في أمركم ولا بقيا عليكم^(١) وإنما كففتنا عنكم لخروج المحرم وقد انسلخ وإنا قد نبذنا إليكم على سواء فإن الله لا يحب الخائنين. قال ففسر الناس إلى رؤسائهم وأمرانهم.

٣٩٥- قال نصر وأما رواية عمرو بن شمر عن جابر عن أبي الزبير أن نداء ابن مرثد الخثعمي كانت صورته يا أهل الشام ألا إن أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول لكم إني قد استأنيت بكم لتراجعوا الحق وتنبؤوا إليه واحتجبت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه فلم تتناهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى حق فإنني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين^(٢).

قال ففسر الناس إلى رؤسائهم وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتائب ويعيثان العساكر وأوقدوا النيران وجاءوا بالشموع وبات علي عليه السلام ليلته تلك كلها يعبى الناس ويكتب الكتائب ويدور في الناس ويحرضهم. قال نصر فخرجوا أول يوم من صفر سنة سبع وثلاثين وهو يوم الأربعاء فاقتتلوا قتالا شديداً جل النهار ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدتها فخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم انصرفوا وقد صبر القوم بعضهم لبعض.

وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشد قتال كان وجعل عمار يقول يا أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله واجدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتى إلى النبي ﷺ فأسلم وهو والله فيما يرى راهب غير راغب ثم قبض الله رسوله وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة المجرم ألا وإنه معاوية فقاتلوه والعنوة فإنه

م : يظفي نور الله ويظاهر أعداء الله.

قال وكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل في الخيل فحمل فصبروا له وشد عمار في الرحالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه ورجع الناس يومهم ذلك.

٣٩٦- قال نصر وحدثني أبو عبد الرحمن السعدي عن يونس بن الأرقم عن حدثه من شيوخ بكر بن وائل قال

(١) أي إبقاء عليكم ورحمة لكم وإشفاقاً بكم.

(٢) وهذا وكثيراً مما قبله رواه أيضاً الطبري في حوادث سنة: (٣٧) من تاريخه: ج ٤ ص ٦ ط مصر، ورواه أيضاً السعدي في مروج الذهب:

ج ١ ص ٣٧٨.

وقد أسقط المصنف ها هنا كثيراً ممّا في كتاب صفين ص ٢٠٣ ط مصر، ومما في شرح ابن أبي الحديد على المختار: (٥١) من شرحه: ج ١ ص

٧٥٧ ط بيروت.

(١) رواه نصر في أواسط الجزء (٤) من كتاب صفين ص ٢٣.
ورواه ابن أبي الحديد عن نصر في شرح المختار: (٦٥) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٠٨ ط بيروت.

٤٠٠- وعن عمر بن سعد عن سلام بن سويد عن علي رضي الله عنه في قوله وَالزَّمَّهِمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قال هي لا إله إلا الله و في قوله الله أكبر قال هي آية النصر

قال نصر هذه كانت شعاره يقولها في الحرب ثم يحمل فيورد و الله من اتبعه و من حاده حياض الموت^(١)
٤٠١- قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال لما كان غداة الخميس لسبع خلون من شهر صفر سنة سبع و ثلاثين صلى علي رضي الله عنه الغداة فغلس ما رأيت عليا غلس بالغداة أشد من تغليسه يومئذ و خرج بالناس إلى أهل الشام فزحف نحوهم و كان هو يديهم فيسير إليهم فإذا رأوه قد زحف استقبلوه بزحوفهم.
٤٠٢- و عن عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب قال لما خرج علي رضي الله عنه إليهم غداة ذلك اليوم فاستقبلوه رفع يديه إلى السماء فقال.

اللهم رب هذا السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته مغیضا لليل و النهار و جعلت فيه مجرى للشمس و القمر و منازل الكواكب و النجوم و جعلت مكانه سيطا من الملائكة لا يسأمون العبادة و رب هذه الأرض التي جعلتها قرارا للأنام و الهوام و الأنعام و ما لا يحصى مما يرى و مما لا يرى من خلقك العظيم و رب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس و رب السحاب المسخر بين السماء و الأرض و رب البحر المسجور و المحيط بالعالمين و رب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا و للخلق متاعا إن أظهرتنا على عدونا فجنينا البغي و سدنا للحق و إن أظهرتهم علينا فارتقنا الشهادة و اعصم بقية أصحابي من الفتنة
قال فلما رأوه قد أقبل تقدموا إليه بزحوفهم.

و كان علي ميمنته يومئذ عبد الله بن بدیل و الناس على راياتهم و مراكزهم و علي في القلب في أهل المدينة جمهورهم الأنصار و معه من خزاعة و كنانة عدد حسن
قال نصر و رفع معاوية قبة عظيمة و ألقى عليها الكرايس و جلس تحتها و قد كان لهم قبل هذا اليوم ثلاثة أيام و هو اليوم الرابع من صفر.

و خرج في هذا اليوم محمد بن الحنفية في جمع من أهل العراق فخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمع من أهل الشام فاقبلوا فطلب عبيد الله محمدا إلى المبارزة فلما خرج إليه دعاه علي رضي الله عنه و خرج بنفسه راجلا بيده سيفه و قال أنا أبارك فلهم فقال عبيد الله لا حاجة بي إلى مبارزتك فرجع إلى صفه.
قال نصر و أما اليوم الخامس فإنه خرج عبد الله بن العباس فخرج إليه الوليد بن عقبة و أكثر من سب بني عبد المطلب فأرسل إليه ابن عباس أبرز إلي فأبى أن يفعل و قاتل ابن عباس ذلك اليوم قتالا شديدا ثم انصرفوا و كل غير غالب.
و خرج ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري^(٢) فلحق بعلي رضي الله عنه في ناس من قراء أهل الشام فقتل ذلك في عضد معاوية و عمرو بن العاص.

و قال عمرو يا معاوية إنك تريد أن تقتل بأهل الشام رجلا له من محمد ﷺ قرابة قريبة و رحم ماسة و قدم في الإسلام ليس لأحد مثله قد سار إليك بأصحاب محمد المعدادين و فرسانهم و أشرافهم و مهما نسيت فلا تنس أنك على باطل و عليا على الحق فبادر الأمر قبل اضطرابه عليك فقام معاوية في أهل الشام خطيبا و حثهم على القتال. فخطب علي رضي الله عنه أصحابه قال أبو سنان الأسلمي^(٣) كأنني أنظر إليه مكتئا على قوسه و قد جمع أصحاب رسول الله ﷺ و هم يلونه كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه فقال:
أيها الناس اسمعوا مقالتي و عوا كلامي فإن الخيلاء من التجير و إن النخوة من التكبر و إن الشيطان عدو حاضر يعدكم الباطل.

(١) كذا في طبع الكيمايني من البحار هذا، وفي شرح ابن أبي الحديد: «قال سلام: [هذه] كانت شعاره يقولها في الحرب ثم يحمل فيورده...»
(٢) هذا هو الظاهر المذكور في كتاب صفين ص ٢٢٢. وفي طبع الكيمايني من البحار: «سمره بن أبرهة».
(٣) هذا هو الصواب المذكور في أواسط الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢٢٢. ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه على المختار: (٦٥) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢١٢ ط الحديث ببيروت، وللحديث مصادر أخر ذكرناه في ذيل المختار: (٢٠٠) من نهج السعادة: ج ٢ ص ١٧٣.
وفي طبع الكيمايني من البحار: «قال ابن سنان الأسلمي» وقد حذف المصنف ها هنا السند، ومطابق كما هو عادته في أكثر ما يروي عن كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد.

ألا إن المسلم أخو المسلم فلا تناذبوا ولا تجادلوا.

ألا إن شرائع الدين واحدة وسيله قاصدة من أخذ بها لحق ومن فارقها محق ومن تركها مرق.

ليس المسلم بالخائن إذا اتمن ولا بالمخلف إذا وعد ولا الكاذب إذا نطق.

نحن أهل بيت الرحمة وقلنا الصدق و فعلنا القصد و منا خاتم النبيين و فينا قادة الإسلام و فينا حملة الكتاب إلا أنا ندعوكم إلى الله و إلى رسوله و إلى جهاد عدوه و الشدة في أمره و ابتغاء مرضاته و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حج البيت و صيام شهر رمضان و توفير النقي على أهله.

ألا و إن من أعجب العجائب أن معاوية بن أبي سفيان الأموي و عمرو بن العاص السهمي أصبحا يحرضان على طلب الدين بزعمهما و لقد علمت أنني لم أخالف رسول الله ﷺ قط و لم أعصه في أمر قط أقي به نفسي في المواطن التي تنكس فيها الأبطال و ترد فيها الفرائص نجدة أكرمني الله سبحانه بها و له الحمد.

و لقد قبض رسول الله ﷺ و إن رأسه لفي حجرى و لقد وليت غسله بيدي وحدي ثقله الملائكة المقربون معي و ايم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله

قال فقال أبو سنان الأسدي فسمعت عمار بن ياسر يقول أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أن الأمة لم تستقم عليه أولا و أنها لن تستقيم عليه آخرأ ثم تفرق الناس و قد نفذت بصائرهم

٤٠٣- و عن زيد بن وهب أن علياً قال في هذه الليلة حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا فقام في الناس عشية الثلاثاء بعد العصر فقال:

الحمد لله الذي لا يبرم ما تنقض و لا ينقض ما أبرم و لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة و لا من خلقه و لا تنازع البشر في شيء من أمره و لا جحد المفضول ذا الفضل فضله و قد ساقتنا و هؤلاء القوم الأقدار حتى لفت بيننا في هذا الموضع و نحن من ربنا برأى و مسمع و لو شاء لعجل النعمة و لكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم و يعلم الحق أين مصيره و لكنه جعل الدنيا دار الأعمال و جعل الآخرة دار الجزاء و القرار ليتخزي الذين أساءوا بنا عَمِلُوا وَ يَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى أَلَا إِنَّكُمْ لاقوا العدو غدا إن شاء الله فأطيلوا الليلة القيام و أكثروا تلاوة القرآن و اسألوا الله الصبر و النصر و القوهم بالجد و الحزم و كونوا صادقين

قال فوثب الناس إلى رماحهم و سيوفهم و نبالهم ليصلحونها و خرج ﷺ و عبأ الناس ليلته تلك كلها حتى أصبح و عقد الأتوية و أمر الأمراء و بعث إلى أهل الشام مناديا ينادي فيهم اغدوا على مصافكم.

فضح أهل الشام في معسكرهم و اجتمعوا إلى معاوية فعبا خيله و عقد ألويته و أمر أمراءه و كتب كتائبه و كان أهل الشام أكثر من أهل العراق بالضعف و نصب لمعاوية منبر فقعده إليه في قبة ضربها عظمة ألقي عليها الثياب و الدرناك.

ثم تناهض القوم يوم الأربعاء سادس صفر و اقتتلوا إلى آخر نهارهم و انصرفوا عند المساء و كل غير غالب.

فأما اليوم السابع فكان القتال فيه شديدا و الخطب عظيما و كان عبد الله بن بديل الخزاعي على ميمنة العراق فزحف نحو حبيب بن مسلمة و هو على مسيرة أهل الشام حتى اضطرهم إلى قبة معاوية و وقت الظهر

٤٠٤- قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن عبد الرحمن بن أبي عمرو عن أبيه أن علياً خطب هذا اليوم فقال معاشر المسلمين استشعروا الخشية إلى آخر ما سيأتي بطوله.

و بالإسناد أن عليا خطب ذلك اليوم فقال أيها الناس إن الله تعالى ذكره قد دلکم علی تجارۃ تنجیکم من عذاب أليم إيمان بالله و رسوله و جهاد في سبيله^(١).

إلى آخر ما سيأتي برواية المفيد رحمه الله ثم قام قيس بن سعد و خطب خطبة بليغة حث الناس فيها على الجهاد.

(١) وقد رواه الطبري بسند آخر بمغايرة في بعض الألفاظ في حوادث سنة: (٣٧) من تاريخ الأمم والملوك: ج ٥ ص ١٧، ط الحديث، وفي ط: ج ١، ص ٣٢٩١، وفي ط: ج ٤ ص ١٢.

ثم قام الأشتر رضي الله عنه بمثل ذلك وكذا يزيد بن قيس الأرحبي وغيرهم^(١).

٤٠٥- وروي عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام وزيد بن الحسن قالا طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوي صفوف أهل الشام فقال لهم عمرو يا معشر أهل الشام سواوا صفوفكم قص الشارب وأعبروا جماجمكم ساعة فإنه قد بلغ الحق مقطعه فلم يبق إلا ظالم أو مظلوم.

٤٦٧
٣٢

وأقبل أبو الهيثم بن التيهان وكان من أصحاب محمد عليه السلام بدريا عقبا يسوي صفوف أهل العراق وهو يقول يا معشر أهل العراق إنه ليس بينكم وبين الفتح العاجل أو الجنة في الآجل إلا ساعة من النهار فارسوا أقدامكم وسواوا صفوفكم وأعبروا ربكم جماجمكم واستعينوا بالله ربكم واضربوا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

٤٠٦- وروي عن عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي أن أول فارسين التقيا في هذا اليوم وهو اليوم السابع وكان من الأيام العظيمة حجر بن عدي من أصحاب علي عليه السلام وابن عم حجر من أصحاب معاوية كلاهما من كندة فاطعنا برمحيهما وخرج خزيمة الأسدي من عسكر معاوية فضرب حجر بن عدي ضربة برمحه فحمل أصحاب علي عليه السلام فقتلوا خزيمة ونجا ابن عم حجر فخرج رفاعة الحميري من صف العراق وقتل قرن بن عدي.

ثم إن عليا دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان في يده إلى أهل الشام فقال من يذهب إليهم فيدعهم إلى ما في هذا المصحف فسكت الناس وأقبل فتى اسمه سعيد فقال أنا صاحبه قال ثانيا ولم يجب إلا الفتى فقبضه بيده ثم أتاهم فنأشدهم ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه.

٤٦٨
٣٢

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن بديل أحمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة وعليه يومئذ سيفان ودرعان فجعل يضرب بسيفه قدما ويرتجز فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية والذين بايعوه على الموت فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجمع من أصحابه واختلط الناس واصطدم الصفان ميمنة أهل العراق وميسرة أهل الشام وأقبل ابن بديل يضرب الناس بسيفه قدما حتى أزال معاوية عن موقفه وتراجع معاوية عن مكانه القهقري كثيرا وأشفق على نفسه وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة إنسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم ولحق ابن بديل في الناس وصمم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه حتى انتهى إليه فنادى معاوية في الناس ويلكم الصخرة والحجارة إذا عجزتم عن السلاح أثخنوه فرضخه الناس بالحجارة حتى أثخنوه فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه.

وجاء معاوية وعبد الله بن عامر حتى وقفا عليه فآلقى عبد الله عمامته على وجهه وترحم عليه وكان له أخا وصديقا من قبل فقال معاوية اكشف عن وجهه فقال لا والله لا يمثل به وفي روح فقال له معاوية قد وهبنا لك فكشف عن وجهه فقال معاوية هذا كبير القوم ورب الكعبة اللهم ظفري بالأشتر النخعي والأشعث الكندي قال فاستعلى أهل الشام عند قتل ابن بديل على أهل العراق يومئذ وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة وأجفلوا إجمالا شديدا.

٤٦٩
٣٢

فأمر علي عليه السلام سهل بن حنيف فاستقدم ممن كان معه ليريد الميمنة بعددها^(٢) فاستقبلهم جموع أهل الشام في خيل عظيمة فحملت عليهم فأحلقتهم بالميمنة وكانت ميمنة أهل العراق متصلة بموقف علي عليه السلام في القلب في أهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمة إلى علي عليه السلام فانصرف يمشي نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة فلم يبق مع علي عليه السلام من أهل العراق إلا ربيعة وحدها في الميسرة

٤٠٧- وروي عن زيد بن وهب قال لقد مر علي يومئذ ومع بنوه نحو المسيرة ومع ربيعة وحدها وإني لأرى النبل يمر من بين عاتقه ومنكبه وما من بنيه إلا يقيه بنفسه فيكره على ذلك فيتقدم عليه ويحول بينه وبين أهل الشام ويأخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقيه من ورائه.

(١) وخطبهما حرقية مذكورة في كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد، وتاريخ الطبري.

(٢) كذا في طبع الكبائي من البحار، وفي ط بيروت من شرح ابن أبي الحديد: «فأمر علي ج سهل بن حنيف فاستقدم من كان معه ليريد الميمنة ويقتضدها فاستقبلهم جموع أهل الشام في خيل عظيمة».

وفي تاريخ الطبري: فأمر علي سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة فاستقبلهم جموع لأهل الشام عظيمة...

وفي كتاب صفين: «فأمر علي سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان مع علي من أهل المدينة...».

و بصر به أحمر مولى بني أمية وكان شجاعا فقال علي و رب الكعبة قتلتني الله إن لم أقتلك فأقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى علي عليه السلام فاختلعا ضربتين فقتله أحمر و خالط عليا عليه السلام ليضربه بالسيف فمد على يده إلى جيب درعه فجدبه عن فرسه و حمله على عاتقه و الله لكأنني أنظر إلى رجلي أحمر يختلفان على عنق علي ثم ضرب به الأرض فكسر منكبيه و عضديه.

و شد أبناء علي حسين و محمد فضرباه بأسياقهما حتى برد فكأنني أنظر إلى علي عليه السلام قائما و شبلاه يضربان الرجل حتى إذا أتيا عليه أقبلتا على أبيهما.

ثم إن أهل الشام دنوا عنه يريدونه و الله ما يزيده قربهم منه و دنوهم سرعة في مشيه فقال له الحسن ما ضرك لو أسرعت حتى تنتهي إلى الذين صبروا بعدك من أصحابك قال يعني ربعة الميسرة فقال علي عليه السلام يا بني إن لأبيك يوما لا يبطئ به عنه السعي و لا يقربه إليه الوقوف إن أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه^(١).

٤٧٠
٣٢
٤٠٨- قال نصر و روى عمرو بن شمر عن جابر عن أبي إسحاق قال خرج علي عليه السلام يوما من أيام صفين و في يده عزة فمر على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يقتالك أحد و أنت قرب عدوك؟ فقال علي عليه السلام إنه ليس من أحد إلا و عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردى في قليب أو يخرب عليه حائط أو تمسيه أفة فإذا جاء القدر خلوا بينه و بينه^(٢).

٤٠٩- و عن عمرو عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر^(٣) قال لما انتهزت ميمنة العراق يومئذ أقبل على نحو الميسرة يركض ليستتيب الناس و يستوقفهم^(٤) و يأمرهم بالرجوع نحو الفزع فمر بالأشتر فقال يا مالك قال ليبيك يا أمير المؤمنين قال أنت هؤلاء القوم قتل لهم أين فراركم عن الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم؟ فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم الكلمات فتأدهم أيها الناس أنا مالك بن الحارث فلم يلتفت أحد منهم إليه فقال أيها الناس أنا الأشتر فأقبلت إليه طائفة و ذهبت عنه طائفة فقال عضضتم بهن أبيكم و ما أقبح ما قاتلتم اليوم أيها الناس غصوا الأبصار و عضوا على النواجذ فاستقبلوا الناس بهامكم و شدوا عليهم شدة قوم موتورين بأبائهم و آبائهم و إخوانهم حنقا على عدوهم قد وطنوا على الموت أنفسهم كيلا يسبقوا بشار إن هؤلاء القوم و الله لن يقاتلوكم إلا عن دينكم لطفنوا السنة و يحيوا البدعة و يدخلوكم في دين قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة فطيّبوا عباد الله نفسا بدمائكم دون دينكم فإن الفرار فيه سلب العز و الغلبة على الفئ و ذل المحيا و الممات و عار الدنيا و الآخرة و سخط الله و أليم عقابه.

ثم قال أيها الناس أخلصوا إلي مذبجا فاجتمعوا إليه فقال عضضتم بصم الجندل و الله ما أرضيتم اليوم ربكم و لا نصحتكم له في عدوه و كيف ذلك و أنتم أبناء الحرب و أصحاب الغارات و فرسان الطرار و حثوف الأقران و مدحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بئارهم و لم تظل دماؤهم و لم يعرفوا في موطن من المواطن بخسف و أنتم سادة مصركم^(٥) و أعز حي في قومكم و ما تفعلوا في هذا اليوم مأثور بعد اليوم فاتقوا مأثور الحديث في غد و اصدقوا عدوكم اللقاء فإن الله مع الصابرين و الذي نفسي بيده ما من هؤلاء و أشار بيده إلى أهل الشام رجل في مثل جناح البعوضة من دين الله الله ما أحسنتم اليوم القراع أجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي و عليكم بهذا السواد الأعظم فإن الله لو قد فضه تبعه من بجانبيه كما يتبع السيل مقدمه.

(١) ورواه أيضاً الطبري بسنده عن أبي مخنف في حوادث سنة: (٣٧) من تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٣٢٩٣ وفي ط: ج ٤ ص ١٣، وفي ط: ج ٥ ص ١٩.

(٢) وقد رويته عن مصدر آخر، بسندين آخرين في المختار: (٢٠١) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ١٧٤، ط ١.

(٣) كذا في الأصل المطبوع، ومثله في كتاب صفين وتاريخ الطبري، ولا يوجد في ط بيروت من شرح ابن أبي الحديد قول: «عن مولى الأشتر».

(٤) هذا هو الصواب الموافق لما في ط مصر من كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد، وفي أصلي المطبوع هنا تصحيف. ويستتيب الناس: يسترجعهم.

(٥) هذا هو الصواب الموافق لما في شرح ابن أبي الحديد، وكتاب صفين وتاريخ الطبري غير أن في كتاب صفين: «أحد أهل مصركم». وفي ط الكمباني من بحار الآثار: «بجبن، وسادة من حزمكم...» قوله: «ولم تظل دماؤهم» أي لم يهزأ. والخسف: الذل.

فقالوا خذ بنا حيث أحببت فصمد بهم نحو عظيمهم واستقبله سنام من همدان^(١) و هم نحو ثمان مائة مقاتل قد انهزموا آخر الناس و كانوا قد صبروا في ميمنة علي حتى قتل منهم مائة و ثمانون رجلا و أصيب منهم أحد عشر رئيسا كلما قتل منهم رئيسا أخذ الراية آخر فانصرفوا و هم يقولون ليت لنا عديدا من العرب يحالفوننا ثم نستقدم نحن و هم فلا تنصرف حتى تقتل أو تظهر^(٢) فقال لهم الأشر إنني أحالفكم و أعاقدكم على أن لا نرجع أبدا حتى نظفر أو نهلك فوقفوا معه على هذه النية و العزيمة و زحف نحو الميمنة و ثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر و الوفاء و الحياء فأخذ لا يصمد لكيتية إلا كشفها و لا يجمع إلا جازه و رده

٤١٠- فروي عن مولى للأشتر قال لما اجتمع إلى الأشتر من كان انهزم من الميمنة حمل على صفوف أهل الشام حتى كشفهم فألحقهم بمضارب معاوية و ذلك بين العصر و المغرب

٤١١- و عن زيد بن وهب أن عليا عليه السلام لما رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها و مصافها و كشفت من بازائها أقبل حتى انتهى إليهم فقال قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفافة الطعام أعراب أهل الشام و أنتم لهاميم العرب و السنام الأعظم و عمار الليل بتلاوة القرآن و أهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون فلو لا قتالكم بعد إدباركم و كركم بعد انحيازكم و جب عليكم ما و جب على المولي يوم الزحف و كنتم فيما أرى من الهالكين.

ولقد هون علي بعض وجدي و شفى بعض لاعج نفسي إن رأيتمكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم فأزلتموهم عن مصافهم كما أزلوكم تحسونهم بالسيف يركب أولهم آخرهم كالإبل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة و ثبتكم اليقين.

و ليعلم المنهزم أنه مسخط ربه و موبق نفسه و في الفرار موجدة الله عليه و الذل لازم عليه^(٣) و مفسدة العيش عليه و أن الفار لا يزيد القرار في عمره و لا يرضى ربه لموت الرجل محقا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها و الإصرار عليها.

قال نصر فحمل أبو كعب الخثعمي رأس خثعم العراق على خثعم الشام و اقتتلوا أشد قتال فجعل أبو كعب يقول لأصحابه يا معشر خثعم خذوا أي اضربوا الخذمة و هي الخلخال يعني اضربوهم في سوقهم.

فحمل شمر بن عبد الله على أبي كعب فظعنه فقتله ثم انصرف يبكي و يقول رحمك الله أبا كعب لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمس إلي رحما و أحب إلي منهم نفسا و لكني و الله لا أدري ما أقول و لا أرى الشيطان إلا قد فتننا و لا أرى قريشا إلا قد لعبت بنا^(٤).

فوثب كعب بن أبي كعب إلى راية أبيه فأخذها ففقت عينه و صرع ثم أخذها شريح بن مالك فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رأيهم نحو ثمانين رجلا و أصيب من خثعم الشام مثل ذلك ثم ردها شريح إلى كعب بن أبي كعب.

٤١٢- و قال نصر و حدثنا عمرو قال حدثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر إن راية بجيلة في صفين مع أهل العراق كانت في أحسن مع أبي شداد فقاتلت له بجيلة خذ رايتنا قال غيري خير لكم مني قالوا لا نريد غيرك قال فو الله لئن أعطيته لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب الذي هو قائم على رأس معاوية يستره من الشمس فقالوا اصنع ما شئت فأخذها ثم زحف بها و هم حوله يضربون الناس بأسيا فهاهم حتى انتهى إلى صاحب الترس المذهب و هو في خيل عظيمة من أصحاب معاوية فاقتل الناس هناك قتالا شديدا و شد أبو شداد بسيفه نحو صاحب الترس فتعرض له رومي ف ضرب قدم أبي شداد فقطعها و ضرب أبو شداد ذلك الرومي فقتله فأشرفت إليه الأسنة فقتل.

فأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحمسي و قاتل حتى قتل فأخذها أخوه عبد الرحمن فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن أبياس فلم يزل بيده حتى تحاجز الناس فحمل غطفان العراق على غطفان الشام و قتل منهما كثير و كذا أزد العراق على أزد الشام و كذا كل قبيلة على من بازائهم.

(١) كذا في أصلي ومثله في ط القديم من كتاب صفين، فإن صحَّ بالكلام خرج مخرج الكناية والاستعارة.

(٢) وفي شرح ابن أبي الحديد: «و استقبله أشباههم من همدان».

(٣) وفي تاريخ الطبري: «يستقبله شباب من همدان...».

(٤) كذا في ط الكمباني من بحار الأنوار. وفي شرح ابن أبي الحديد: «وفي الفرار مؤجدة الله عليه، والذل اللازم له وفساد العيش...».

(٤) ورواه أيضاً الإسكافي في كتاب المعيار والموازنة ص ١٥٦، ط ١.

٤١٣- قال نصر و روى عمر بن سعد عن الحارث بن حصيرة عن أشياخ النمر أن عتبة بن جوية^(١) قال يوم صفين أن مرعى الدنيا قد أصبح هشيمًا وأصبح شجرها حصيدا وجديدها سملا و حلوها مر المذاق.

٤٧٥
٣٢ ألا وإني أنبئكم نيا امرئ صادق إني شمتت الدنيا وعزفت نفسي عنها وقد كنت آتمني الشهادة وأعرض لها في كل حين فأبى الله إلا أن يبلغني هذا اليوم ألا وإني متعرض ساعتى هذه لها وقد طمعت أن لا أحرماها.

فما تنتظرون عباد الله من جهاد أعداء الله أخوف الموت القادم عليكم الذاهب بأنفسكم لا محالة أو من ضربة كف أو حس بالسيف تستبدلون الدنيا بالنظر إلى وجه الله عز وجل و مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار القرار ما هذا بالرأي السديد.

ثم قال يا إخواني قد بعث هذه الدار بالدار التي أمامها وهذا وجهي إليه لا يبرح الله وجوهكم ولا يقطع الله أرحامكم.

فتبعه أخواه عبيد الله و عوف و قالوا لا نطلب رزق الدنيا بعدك قبح الله العيش بعدك اللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك فاستقدموا فقاتلوا حتى قتلوا.

قال فاقبل الناس قتالا شديدا يوم الأربعاء فقال رجل من أصحاب علي^{عليه السلام} والله لأحملن على معاوية حتى أقتله فأخذ فرسا فركبه ثم ضربه حتى إذا قام على سنايكة دفعه فلم ينهه شيء عن الوقوف على رأس معاوية ودخل معاوية خباء فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه فخرج معاوية من الخباء و طلع الرجل في أثره فخرج معاوية فأحاط به الناس و قال ويحكم إن السيوف لم يؤذن لها في هذا و لو لا ذلك لم يصل إليكم بالحجارة فرفضوه بالحجارة حتى همد الرجل ثم عاد معاوية إلى مجلسه

قال نصر فلما انقضى هذا اليوم بما فيه أصبحوا في اليوم الثاني والفيلقان متقابلان فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزة فخرج إليه رجل من أهل العراق فاقبلا قتالا شديدا ثم إن العراقي اعتنقه فوقعا جميعا و عاد الفرسان ثم إن العراقي قهره فجلس على صدره و كشف المغفر عنه يريد أن يذبحه فإذا هو أخوه لأبيه فصاح به أصحاب علي^{عليه السلام} ويحك أجهز عليه قال إنه أخي قالوا فاتركه قال لا والله حتى يأذن أمير المؤمنين فأخبر علي^{عليه السلام} بذلك فأرسل إليه أن دعه فتركه و عاد إلى صف معاوية.

٤١٤- و عن الجرجاني قال كان معاوية يعد لكل عظيم حريثا مولاه و كان يلبس سلاح معاوية متشبهها به فإذا قاتل قال الناس ذاك معاوية و إن معاوية دعاه و قال يا حريث اتق عليا و ضع رمحك حيث شئت.

٤٧٦
٣٢ فأتاه عمرو بن العاص و قال يا حريث إنك والله لو كنت قرشيا لأحب لك معاوية أن تقتل عليا و لكن كره أن يكون لك حظها فإن رأيت فرصة فاقتم و خرج علي^{عليه السلام} في هذا اليوم و كان أمام الخيل فحمل عليه حريث و في رواية عمرو بن شمر عن جابر^(٢) قال برز حريث مولى معاوية هذا اليوم و كان شديدا ذا بأس لا يرام فصاح يا علي هل لك في المبارزة فأقدم أبا حسن إن شئت فأقبل علي و هو يقول

أنا علي و ابن عبد المطلب نحن لعمر الله أولى بالكتب
منا النبي المصطفى غير كذب أهل اللواء و المقام و الحجب

نحن نصرناه على كل العرب

ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة فقطعه نصفين فجزع معاوية عليه جزعا شديدا و عاب عمرا في إغرائه بعلي.

فلما قتل حريث برز عمرو بن الحصين السكسكي فنادى أبا حسن هلم إلى المبارزة فأومى علي إلى سعيد بن قيس الهمداني فبارزه فضربه بالسيف فقتله.

(١) كذا في ط الكلباني من البحار، وفي ط مصر من كتاب صفين: «عتبة بن جوية» وفي أواسط شرح المختار: (٦٥)، من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٤٣٠. قال نصر: وحدثنا عمرو، عن الحارث بن حصين، عن أشياخ الحي أن عتبة بن جوية قال يوم صفين: وفي قصة حرب صفين من تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٧ ط بيروت: قال: قال أبو محنف: وحدثني الحارث بن حصيرة، عن أشياخ الثغر أن عتبة بن حديد النعري قال يوم صفين...

والحديث رواه أيضا أبو جعفر الإسكافي في كتاب المعيار والموازنة ص ١٥٩.

(٢) كذا في أصلي، وفي كتاب صفين ص ٢٧٣: «عن جابر عن تميم قال...». إنهم ليعلمون...

قال نصر و كان لهمدان بلاء عظيم في نصره علي^{عليه السلام} في صفين و من الشعر الذي لا يشك أن قائله علي لكثرة الرواية له:

دعوت فلباني من القوم عصبه	فوارس من همدان غير لئام
بكل رديني و غضب تخاله	إذا اختلف الأقوام شعل ضرام
لهمدان أخلاق كرام يزينهم	و بأس إذا لاقوا و جد خصام
وجد و صدق في الحروب و نجدة	و قول إذا قالوا بغير أنام
متى تأتهم في دارهم تستضيفهم	تبت ناعما في خدمة و طعام
جزى الله همدان الجنان فإنها	سمام العدى في كل يوم زحام
فلو كنت بوابا على باب جنة	لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

٤١٥- قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر قال ثم قام علي بين الصفين و نادى يا معاوية يكررها فقال معاوية سلوه ما شأنه قال أحب أن يظهر لي فأكلمه بكلمة واحدة فبرز معاوية و معه عمرو بن العاص فلما قارباه لم يلتفت إلى عمرو و قال لمعاوية ويحك علام تقتل الناس بيني و بينك و يقتل بعضهم بعضا ابرز إلي فأينا قتل فالأمر إلى صاحبه فالتفت معاوية إلى عمرو فقال ما ترى يا أبا عبد الله قال قد أنصفك الرجل فالعلم أنك إن نكلت عنه لم تزل سبة عليك و على عقبك ما بقي على ظهر الأرض عربي فقال معاوية يا ابن العاص ليس مثلي يخدع عن نفسه و الله ما بارز ابن أبي طالب شجاع قط إلا و سقي الأرض بدمه ثم انصرف معاوية راجعا حتى انتهى إلى آخر الصفوف و عمرو معه فلما رأى علي^{عليه السلام} ذلك ضحك و عاد إلى موقفه قال و حقدوا معاوية على عمرو باطنا^(١).

قال نصر ثم التقى الناس و اقتتلوا قتالا شديدا و حاربت طي مع أمير المؤمنين^{عليه السلام} حروبا عظيمة و قتل منها أبطال كثيرون و قاتلت النخع أيضا معه ذلك اليوم قتالا شديدا و قطعت رجل علقمة بن قيس التخعي و قتل أخوه أبي بن قيس فكان علقمة يقول بعد ما أحب أن رجلي أصح ما كان لما أرجو بها الثواب و قال رأيت أخي في نومي فقلت له ما الذي قد متم عليه قال التقينا نحن و أهل الشام بين يدي الله سبحانه فاحتججنا عنده فحججنا ففسرت بذلك

٤١٦- و روي عن الحضير بن المنذر أنه لما تصاف الناس ذلك اليوم و حمل بعضهم على بعض و ضعفت ميمنة أهل العراق فجاءنا علي^{عليه السلام} و معه بنوه فنأدى بصوت جهر لمن هذه الرايات فقلنا رايات ربيعة فقال بل هي رايات عصم الله أهلها و صبرها و ثبت أقدامها ثم قال لي و أنا حامل راية ربيعة يا فتى ألا تدني رايتك هذه ذراعا فقلت بلى و الله عشرة أذرع ثم ملت بها هكذا فأدنيتهما^(٢) فقال لي حسبك.

و روي أنهم أعطوا الراية الحضير بن المنذر الرقاشي و هو يومئذ غلام و هو يزحف براية ربيعة و كانت حمراء فأعجب عليا زحفه و ثباته فقال.

لمن راية حمراء يخفق ظلها	إذا قيل قدمها حضين تقدما
ويدنو بها في الصف حتى يديرها	حمام المنايا تقطر الموت والدماء
جزى الله قوما صابروا في لقائهم	لدى البأس حرا ما أعز وأكرما
وأحزم صبورا يدعى إلى الوغى	إذا كان أصوات الكماة تغمغما
ربيعه أعني أنهم أهل نجدة وبأس	إذا لاقوا خميسا عرمرما
وقد صبرت عك ولخم وحمير	لمذحج حتى لم تفارق دم دما
ونادت جذام يا لمذحج ويحكم	جزى الله شرا أينما كان أظلما

(١) وهذا إيجاز من المصنف. وفي القصة تفصيل وأبيات حذفها المصنف كما صنع فيما تقدم وفيما يأتي أيضا.

(٢) هذا هو الظاهر المذكور في كتاب صفين: «تاريخ الطبري» ج ٥ ص ٢٣ وشرح ابن أبي الحديد، وما بين المعقوفين أيضا مأخوذ منها. وفي ط الكمباني من البحار: «يا فتى ألا تبدي هذه ذراعا؟ فأدنيتهما فقال لي: حسبك.



وما قرب الرحمن منها وعظما
بأسيافا حتى تولي وأحجما
ونادى كلاعا والكريب وأنعما
وحوشب والغاوي سريحا وأظلما
وصباحا العيسي يدعو وأسلما^(١)

أما تتقون الله في حرما تكم
أدقنا ابن حرب طعنا وضرابنا
ومر ينادي الزبرقان مراطم^(٢)
وعمرنا وسفيانا وجهما ومالكا
وكرز بن نبهان وعمرو بن جحدر

قال نصر وأقبل ذو الكلاع في الحميم ومن لف لفها ومعهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من قراء أهل الشام فحملوا على ربيعة وهم ميسرة أهل العراق وفيهم عبد الله بن العباس حملة شديدة فضعفت رايات ربيعة ثم إن أهل الشام انصرفوا فلم يلبثوا إلا قليلا حتى كروا ثانية وعبيد الله بن عمر في أولهم يقول يا أهل الشام هذا الحي من العراق قتلة عثمان وأنصار علي فإن هزمتهم هذه القبيلة أدركتم ثارك في عثمان فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت لهم ربيعة وصبرت صبرا حسنا إلا قليلا من الضعفاء واشتد القتال بين ربيعة وحمير وعبيد الله بن عمر وكثرت القتل.

ثم خرج نحو خمس مائة فارس أو أكثر من أصحاب علي^{عليه السلام} على رءوسهم البيض وهم غائصون في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق وخرج إليهم من أهل الشام نوحهم في العدة فاقتتلوا بين الصفيين والناس وقوف تحت راياتهم فلم يرجع من هؤلاء مخبر^(٣) لا عراقي ولا شامي قتلوا جميعا بين الصفيين.

وكان بصفيين تل يلقى عليه الجماجم من الرجال فكان يدعى تل الجماجم.

قال نصر ثم ذهب هذا اليوم بما فيه فأصبحوا من اليوم التاسع من صفر وقد خطب معاوية أهل الشام وحرصهم فحمل عبيد الله وقراء أهل الشام معه ذو الكلاع في حمير على ربيعة في ميسرة علي^{عليه السلام} فقاتلوا قتالا شديدا.

أتى زياد بن خصفة إلى عبد القيس فقال لا يكونن وائل بعد اليوم إن ذا الكلاع وعبيد الله بن عمر قد أبادا ربيعة فانهضوا لهم وإلا هلكت فركبت عبد القيس وجاءت كأنها غمامة سوداء فشدت أزر الميسرة وعظم القتال فقتل ذو الكلاع قتله رجل من بكر بن وائل اسمه خندف وتضعفت أركان حمير وثبت بعد ذي الكلاع تحارب مع عبيد الله بن عمر.

فأرسل عبيد الله إلى الحسن بن علي^{عليه السلام} إن لي إليك حاجة فألقي فلقية الحسن^{عليه السلام} فقال له عبيد الله إن أباك قد وتر قريشا أولا وآخرا وقد شننه الناس فهل لك في خلعه وأن تتولي أنت هذا الأمر فقال كلا والله.

ثم قال يا ابن الخطاب والله. لكأني أنظر إليك مقتولا في يومك أو في غدك أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مغلطا بالخلق ترى نساء أهل الشام موقفك وسيصرعك الله ويطحك لوجهك قتيل^(٤).

قال فو الله ما كان إلا بياض النهار حتى قتل عبيد الله وهو في كتيبة رقطاع وكانت تدعى الخضريه كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب مخضر فمر الحسن فإذا رجل متوسد رجل قتيل وقد ركز رمحه في عينه وربط فرسه برجله فقال الحسن لمن معه انظروا إلى هذا وإذا رجل من همدان وإذا القتيل عبيد الله بن عمر قد قتله الهمداني في أول الليل وبات عليه حتى أصبح.

قال نصر وقد اختلفت الرواة في قاتله فقالت همدان نحن قتلناه قتله هانئ بن الخطاب وقالت حضرموت نحن قتلناه قتله مالك بن عمرو وقال بكر بن وائل قتله منا محرز بن الصصحح وروي أن قاتله حريث بن جابر بن الجعفي.

(١) كذا في أصلي. وفي كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد: «وفز ينادي الزبرقان وظالما».

(٢) كذا في أصلي. وفي كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد: «القيني».

ثم قال ابن أبي الحديد: هكذا روى نصر بن مزاحم. وسائر الرواة رويوا له ج الأبيات الستة الأولى. ورووا باقي الأبيات من قوله:

«وقد صبرت عك» للحصين بن المنذر صاحب الرواية.

أقول: وقد روى الطبري ستة منها في تاريخه: ج ٥ ص ٣٧ ط بيروت.

(٣) هذا هو الصواب. وفي أصلي: «يخبر إلا عراقي...».

(٤) هذا ذكره نصر في أواسط الجزء (٥) من كتاب صفين ص ٢٩٧ ط مصر. وهذا خبر غيبي أخذه ريحانة رسول الله إماما عن جده أو عن أبيه أو أمه.

٤١٧- قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال لما حمل ذو الكلاع ذلك اليوم بالفيالق العظيم من حمير على صفوف العراق ناداهم أبو شجاع الحميري تبت أيديكم أترون معاوية خيرا من علي أسد الله أضل الله سعيكم ثم أنت يا ذا الكلاع قد كنا نرى أن لك نية في الدين فقال ذو الكلاع إياها يا أبا شجاع والله ما معاوية بأفضل من علي ولكني أقاتل عن دم عثمان قال فأصيب ذو الكلاع حينئذ قتله خندف البكري في المعركة
قال نصر و قال معاوية لما قتل ذو الكلاع لأنا أشد فرحا بقتل ذي الكلاع مني بفتح مصر لو فتحها قال لأن ذا الكلاع كان يحجر على معاوية في أشياء كان يأمر بها.
قال نصر فلما قتل ذو الكلاع اشتدت الحرب و شد عك و لخم و جذام و الأشعرين من أهل الشام على مذبح من أهل العراق.

٤١٨- و قال نصر و حدثني عمرو بن الزبير قال لقد سمعت الحصين بن المنذر يقول أعطاني على ذلك اليوم راية ربيعة و مضر و قال بسم الله سر يا حصين و اعلم أنه لا تخفق على رأسك براءة مثلها أبدا هذه راية رسول الله.
قال فجاء أبو عرفاء جبلة بن عطية الذهلي إلى الحصين فقال هل لك أن تعطيني الارية أحملها فيكون لك ذكرها و يكون لي أجراها فقال الحصين و ما غناني يا عم عن أجراها مع ذكرها فقال إنه لا غناء بك عن ذلك و لكن أعرها عك ساعة فما أسرع ما ترجع إليك قال حصين فعلت أنه قد استقتل^(١) و أنه يريد أن يموت مجاهدا قال فقلت له خذها فأخذها ثم قال لأصحابه إن عمل الجنة كره كله و ثقيل و إن عمل النار خف كله و حبيب إن الجنة لا يدخلها إلا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله و أمره و ليس شيء مما افترض الله على العباد أشد من الجهاد هو أفضل الأعمال ثوابا عند الله فإذا رأيتموني قد شددت فشدوا و يحكم أما تشتاقون إلى الجنة^(٢) أما تحبون أن يغفر الله لكم فشدو و شدوا معه و قاتلوا قتالا شديدا فقتل أبو عرفاء و شدت ربيعة بعدها شدة عظيمة على صفوف أهل الشام.

و قال نصر فاضطرب الناس ذلك اليوم بالسيوف حتى قطعت و تكسرت و صارت كالمناجل و تطاعنوا بالرماح حتى تناثرت أسننتها^(٣) ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب ثم تعانقوا و تكادمو بالآفواه ثم تراموا بالصخرة و الحجارة ثم تحاجزوا فكان الرجل من أهل العراق يمر على أهل الشام فيقول كيف أصير إلى رايات بني فلان فيقول هاهنا لا ههنا ذلك الله و يمر الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول كيف أمضي إلى رايات بني فلان فيقولون هاهنا لا حفظك الله.

فلما أصبحوا في اليوم العاشر أصبحوا و ربيعة محدقة بعلي^(٤) إحدائق بياض العين بسوادها.
قال نصر و حدثني عمرو أنه لما وقف^(٥) تحت رايات ربيعة قال عتاب بن لقيط يا معشر ربيعة حاموا عن علي منذ اليوم فإن أصيب فيكم افتضحتم ألا ترونه قائما تحت راياتكم.
فقال لهم شقيق بن ثور يا معشر ربيعة ليس لكم عذر عند العرب إن أصيب علي و فيكم رجل حي فامنعوه اليوم و اصدقوا عدوكم اللقاء.

٤٨٣
٣٧ فتعاقدت ربيعة و تحالفت بالإيمان العظيمة و تابع منهم سبعة آلاف على أن لا ينظر رجل خلفه حتى يردوا سراق معاوية فقاتلوا ذلك اليوم قتالا شديدا لم يكن قبله مثله و أقبلوا نحو سراق معاوية فلما نظر إليهم قد أقبلوا قال:
إذا قلت قد ولت ربيعة أقبلت
كتاب منها كالجبال تجالذ

ثم قال لعمرى يا عمرو ما ترى قال أرى أن لا تحث أخوالي اليوم فقام معاوية و خلا لهم سراقه و رحله و خرج فارا عنه لا نذا ببعض مضارب العسكر في أخريات الناس و انتهت ربيعة سراقه و رحله و بعث إلى خالد بن المعمر أنك قد ظفرت و لك إمرة خراسان إن لم تتم فقطع خالد القتال و لم يتمه و قال لربيعة قد برت أيمانكم فحسبكم.

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٤٩. وفي كتاب صفين ص ٣٠٥: «فعلم أنه يريد أن يستقتل...» وفي ط الكمباني من البحار: «فعلمت أنه قد استقبل...».

(٢) هذا هو الصواب الموافق لكتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد. وكان مذكورا في هامش طبع الكمباني من كتاب البحار بعنوان: «خ. ل» وكان في متنه: «أما تشتان إلى الموت...».

(٣) كذا في أصلي - غير أنه كان فيه: «حتى قطعت و تكسرت» - وصوبه تحق كتاب صفين: «تعطقت» أي تلوث و نثت. وفيه أيضا: «وتطاعنوا بالرماح حتى تكسرت». وفي شرح ابن أبي الحديد: «وتطاعنوا بالرماح حتى نقصت و تناثرت أسننتها...».

فلما كان عام الجماعة و بايع الناس معاوية أمره معاوية على خراسان و بعثه إليها فمات قبل أن يبلغها

٤١٩- قال نصر و في حديث عمر بن سعد أن علياً صلى الله عليه وسلم صلى بهم هذا اليوم صلاة الغداة ثم زحف بهم فلما أبصروه استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالا شديدا ثم إن خيل الشام حملت على خيل العراق فاقتطعوا من أصحاب علي ألف رجل أو أكثر فأحاطوا بهم و حالوا بينهم و بين أصحابهم فلم يروهم.

فنادى علي رضي الله عنه رجل يشري نفسه لله و يبيع دنياه بأخرته فأتاه رجل من جعفر يقال له عبد العزيز بن الحارث على فرس أدهم كأنه غراب مقنعا في الحديد فقال يا أمير المؤمنين مرني بأمرك فقال علي رضي الله عنه

سمحت بأمر لا يطاق حفيظة
و صدقا و إخوان الحفاظ قليل
جزاك إله الناس خيرا فقد وفت
يداك بفضل ما هناك جزيل

فقال رضي الله عنه يا أبا الحارث شد الله ركنك احمل على أهل الشام حتى تأتي أصحابك فتقول لهم إن أمير المؤمنين رضي الله عنه يقرأ عليكم السلام و يقول لكم هلموا و كبروا من ناحيتكم و نهمل و نكبر من ناحيتنا و احملا و نحمل عليهم فضرب الجعفي فرسه و قاتلهم حتى خلص إلى أصحابه فلما رأوه استبشروا به و فرحوا و قالوا ما فعل أمير المؤمنين قال صالح يقرنكم السلام و يقول هلموا و كبروا و احملا حملة رجل واحد و نحمل من جانبنا ففعلوا ما أمرهم به و هلموا و كبروا و همل علي و كبر هو و أصحابه و حمل على أهل الشام و حملوهم من وسط أهل الشام فانفرج القوم عنهم و خرجوا و ما أصيب منهم رجل واحد و لقد قتل من فرسان الشام يومئذ زهاء سيمائة نفر و كان علي رضي الله عنه من أعظم الناس اليوم غنا.

قال و كان علي لا يعدل بربعية أحدا من الناس فشق ذلك على مضر و أظهرها لهم القبيح و أبدوا ذات أنفسهم. فقام أبو الطفيل عامر بن وائلة و عمير بن عطار و قبيصة بن جابر و عبد الله بن الطفيل في وجوه قباثلهم فأتوا علياً رضي الله عنه فتكلم أبو الطفيل فقال إنا و الله يا أمير المؤمنين ما تحسد قوما خصهم الله منك بخير و إن هذا الحي من ربعية قد ظنوا أنهم أولى بك منا فاعفهم عن القتال أيا ما و اجعل لكل امرئ منا يوما نقاتل فيه فإننا إذا اجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا فقال رضي الله عنه نعم أعطيتكم ما طلبتم و أمر ربعية أن تكف عن القتال و كانت بإزاء اليمن من صفوف الشام. فغدا أبو الطفيل في قومه من كنانة و هم جماعة عظيمة فتقدم أمام الخيل و اقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرف إلى علي رضي الله عنه و أثنى عليه خيرا.

ثم غدا في اليوم الثاني عمير بن عطار بجماعة من بني تميم وهو يومئذ سيد مضر كوفة فقاتل أصحابه قتالا شديدا. ثم غدا في اليوم الثالث قبيصة في بني أسد فقاتل القوم إلى أن دخل الليل.

ثم غدا في اليوم الرابع عبد الله بن الطفيل في جماعة هوازن فحاربهم حتى الليل فانصرفوا

قال نصر و كتب عقبة بن مسعود عامل علي رضي الله عنه على الكوفة إلى سليمان بن صرد الخزاعي و هو مع علي رضي الله عنه أما بعد ف إنهم إن يظهروا عليكم يَزْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُغْلِبُوا إِذَا أَبْدَأَ (١) فعليك بالجهاد و الصبر مع أمير المؤمنين عليه السلام و السلام.

٤٢٠- قال نصر و حدثنا عمر بن سعد و عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر رضي الله عنه قال قام علي رضي الله عنه فخطب الناس بصفين فقال:

الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البر و الفاجر و على حججه البالغة على خلقه من أطاعه منهم و من عصاه أن يرحم بفضله و منه و إن عذب فيما كسبت أيديهم (٢) وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ.

أحمدته على حسن البلاء و تظاهر النعماء و أستعينه على ما نابا من أمر الدنيا و الآخرة و أتوكل عليه وَ كَفَى بِاللَّهِ

(١) اقتباس من الآية: (٢٠) من سورة الكهف.

(٢) كذا في ط الكلباني من البحار. ومثله في شرح ابن أبي الحديد. وفي ط مصر من كتاب صفين: «إن رحم بفضله ومنه. وإن عذب فيما كسبت أيديهم...»

وفي رواية الصدوق ح: «إن يعف بفضله منه. وإن يعذب فيما قدمت أيديهم وما الله بظلام للعبيد...»

وَكَيْلًا ثُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ارتضاء لذلك وكان أهله واصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته وجعله رحمة منه على خلقه وكان كعلمه فيه رءوفا رحيمًا أكرم خلق الله حسبا وأجمله منظرا وأسأخه نفسا وأبره بوالد وأوصله لرحم وأفضله علما وأثقله حملا وأوفاه بعهد وأمنه على عقد لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط بل كان يظلم فيغفر و يقدر فيصغح فيعفو حتى مضى ﷺ مطيعا لله صابرا على ما أصابه مجاهدا في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ﷺ فكان ذهابه أعظم المصيبة على جميع أهل الأرض البر والفاجر.

ثم إنه ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله وينهاكم عن معصيته^(١) وقد عهد إلي رسول الله عهدا فلست أheid عنه وقد حضرتم عدوكم وعلمتهم أن رئيسهم منافق بن منافق يدعوهم إلى النار وابن عم نبيكم معكم وبين أظهركم يدعوكم إلى الجنة وإلى طاعة ربكم والعمل بسنة نبيكم.

ولا سواء من صلى قبل كل ذكر لم يسبقني بالصلاة مع رسول الله ﷺ أحد^(٢) وأنا من أهل بدر ومعاوية طليق بن طليق والله أنا على الحق وإنهم على الباطل ولا يجتمعن عليه وتفرقوا عن حاكم^(٣) حتى يغلب باطلهم حاكم فأتولهم يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا لِيَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ^(٤).

فقام أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين ﷺ انهض بنا إلى عدونا وعدوك إذا شئت فوالله ما نريد بك بدلا بل نموت معك ونحيا معك.

فقال لهم والذي نفسي بيده لنظر إلي النبي ﷺ وأضرب بين يديه بسيفي هذا فقال لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فقال لي يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وموتك وحياتك يا علي معي والله ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي ولا نسيت ما عهد إلي وإني على بينة من ربي وعلى الطريق الواضح ألقطه لقطا^(٥).

ثم نهض إلى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق الأحمر وما كانت صلاة القوم في ذلك اليوم إلا تكبيرا.

٤٢١- قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان قال برز في أيام صفين رجل اشتهر بالبأس والنجدة اسمه كريب بن الوضاح فنأدى من يبارز فخرج إليه المرتفع بن الوضاح فقتله ثم نادى من يبارز فخرج إليه الحارث بن الجلاح فقتله ثم نادى من يبارز؟

فخرج إليه عائد بن مسروق الهمداني فقتله ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ونادى من يبارز فخرج إليه علي ﷺ وناداه ويحك يا كريب إني أحذرك الله وبأسه ونقمته وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله ويحك لا يدخلنك معاوية النار فكان جوابه أن قال ما أكثر ما قد سمعت منك هذه المقالة ولا حاجة لنا فيها أقدم إذا شئت من يشتري سيفي وهذا أثره فقال علي ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خر منها قتيلًا يتشطح في دمه.

ثم نادى من يبارز فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتل الحارث ثم نادى من يبارز فبرز إليه المطاع بن المطلب القيني فقتل مطاعا ثم نادى من يبرز فلم يبرز إليه أحد فنأدى «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ

(١) كذا في أصلي ومثله في شرح ابن أبي الحديد، غير أن ما بين المعقوفين غير موجود في أصولي وإنما هي زيادة تجميلية مآ. وفي كتاب صفين: «ثم ترك كتاب الله فيكم يأمر بطاعة الله وينهى عن معصيته».

(٢) كذا في ط الكياني من البحار، وفي ط مصر من كتاب صفين: «لم يسبقني بصلاحي. مع رسول الله أحد...» وفي شرح ابن أبي الحديد: «لم يسبقني بصلاة مع رسول الله أحد...»

(٣) كذا في الأصل المطبوع، وفي كتاب صفين: «فلا يكون القوم علي باطلهم اجتماعا وتفرقوا عن حاكم حتى يغلب باطلهم حاكم...» وفي شرح ابن أبي الحديد: «فلا يجتمعن علي باطلهم وتفرقوا عن حاكم...»

(٤) كذا في أصلي، وما بين القوسين مقتبس من الآية: «١٤» من سورة التوبة. وفي كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد: «فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم».

(٥) هذا هو الصواب الموافق لما في أمالي الصدوق رفع الله مقامه، ومعنى ألقطه لقطا: كنت أخذت منه أخذًا كآخذ الفرح من أمه. أي علمنيه بحنان وعناية وحرص وأخذت منه برغبة وولع وحرص. وها هنا في أصلي وكتاب صفين ط مصر، وشرح ابن أبي الحديد ط بيروت تصحيف.

قِصَاصُ فَعَنٍ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ هَلُم إِلَى فِارِزْنِي وَلَا يَاقُتْلُنَ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَنَا.

فقال عمرو بن العاص اغتتمه منتها قد قتل ثلاثة من أبطال العرب و إني أطعم أن يظفرك الله به فقال معاوية والله لن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدي اذهب إليك فليس مثلى يخدع.

قال نصر و خطب عبد الله بن العباس في هذا اليوم و قال بعد الحمد و الثناء و الشهادة بالتوحيد و الرسالة: و قد ساقنا قدر الله إلى ما ترون حتى كان مما اضطرب من جبل هذه الأمة و انتشر من أمرها أن معاوية بن أبي سفيان و جد من طعام الناس أعوانا على ابن عم رسول الله ﷺ و صهره و أول ذكر صلى معه بدري قد شهد مع رسول الله ﷺ كل مشاهد التي منها الفضل و معاوية مشرك يعبد الأصنام و الذي ملك الملك وحده و بان به و كان أهله لقد قاتل علي بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ و هو يقول صدق الله و رسوله و معاوية يقول كذب الله و رسوله.

٤٨٩
٣٢

فعليكم بتقوى الله و الجد و الحزم و الصبر و الله إنكم لعلى حق و إن القوم لعلى باطل فلا يكونن أولى بالجد على باطلهم منكم في حَقِّكم و إنا لنعلم أن سيَعِدُّهم الله بأيديكم أو بأيدي غيركم.

اللهم أعنا ولا تخذلنا و انصرنا على عدونا ولا تخل عنا و افتح بيننا و بين قَوْمًا بِالْحَقِّ و أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ٤٢٢- قال نصر و حدثنا عمرو عن عبد الرحمن بن جندب بن عبد الله قال قام عمار يوم صفين فقال انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطيلون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الأمرون بالإحسان فقالوا هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم تقتلوه قتلنا لأعدائهم فقالوا إنه لم يحدث شيئا و ذلك لأنه مكتمهم من الدنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يبالون لو انهزمت الجبال و الله ما أظنهم يطيلون بدم إنهم ليعلمون إنه لظالم و لكن القوم دانوا للدنيا فاستحبوها و استمروها و علموا أن صاحب الحق لو وليهم لحال بينهم و بين ما يأكلون و يرعون منها.

إن القوم لم تكن لهم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة والولاية فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوما ليكونوا بذلك جبابرة وملوكا تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولولاها ما يابعهم من الناس رجلا.

اللهم إن تنصرتنا فطال ما نصرت و إن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أخذوا لعبادك العذاب الأليم.

الاسلام عوجا.

و في كتاب نصر ثم نادى عمار عبيد الله بن عمر و ذلك قبل مقتله فقال يا ابن عمر صرعتك الله بعث دينك بالذنبا من عدو الله و عدو الإسلام قال كلا و لكنني أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم قال كلا أشهد على علمي فيك أنك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله و أنك إن لم تقتل اليوم فتموت غدا فانظر إذا أعطى الله العباد على نياتهم ما نبتك^(١).

ثم قال اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أؤذنب بنفسي في هذا البحر لفلعت.
اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظلة سيفي في بطني ثم أنحي عليه حتى يخرج من ظهري لفلعت.
اللهم إني أعلم مما علمتني إني لا أعمل عملاً اليوم هذا هو أرضي لك من جهاد هؤلاء القاسطين و لو أعلم اليوم
عملاً هو أرضي لك منه لفلعت^(٧).

٤٩١
٣٢

٤٢٣- و روی ابن دیزیل فی کتاب صفین عن سیف الضبی عن الصعب بن حکیم بن شریک بن نملة المحاربی

(١) رواه نصر في أواسط الجزء (٥) قبيل قضية ليلة المهرير من كتاب صفين ص ٣٢٠ ط مصر.

ورواه أيضاً الطبري بسندين عن أبي مخنف في عنوان: «مقتل عشار بن ياسر» من تاريخه: ج ٥ ص ٣٩ ط بيروت.

وها هنا في طبروت من شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٥٧ ما ينبغي أن يثبت فيه فإن أمره دائر بين أن يكون محرف هذا الحديث، أو أنه حديث آخر سقط عن كتاب صفين. والجار؟!

(٢) وهذا رواه أيضاً الإسكافي المتوفى عام: (٢٤٠) في كتاب المعيار والموازنة ص ١٠٦، ط ١، والطبري في أول عنوان: «مقتل عتار بن ياسر» من تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٣٣١٧، وفي ط الحديث بسوت: ج ٥، ص ٣٨.

عن أبيه عن جده شريك قال كان الناس من أهل العراق وأهل الشام يقتتلون أيام صفين و يتزايلون فلا يستطيع الرجل أن يرجع إلى مكانه حتى يسفر الغبار عنه فاقتتلوا يوما وأسفر الغبار فإذا علي عليه السلام تحت رايتنا يعني بني محارب فقال هل من ماء فأتيته بإدواة فخنثتها له ليشرب فقال لا إنا نهينا أن نشرب من أفواه الأسقية ثم علق سيفه وإنه لمخضب بالدم من ظبته إلى قائمه فصببت له على يديه فغسلهما حتى أنقاها ثم شرب بيديه حتى إذا روي رفع رأسه ثم قال أين مضر فقلت أنت فيهم يا أمير المؤمنين فقال من أنتم بارك الله فيكم فقلنا نحن بنو محارب فعرف موقفه ثم رجع إلى موضعه.

قال ابن أبي الحديد^(١) خنثت الإدواة إذا ثنيت فاهها إلى خارج وإنما نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية لأن رجلا اختنث سقاء فشرب فدخل إلى جوفه حية كانت في السقاء.

٤٢٤- قال وروى نصر بن مزاحم عن يحيى بن يعلى عن صباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن زيد بن أبي رجاء عن أسماء بن حكيم القزاري قال كنا بصفين مع علي تحت راية عمار بن ياسر ارتفاع الضحي و قد استظلنا برداء أحمر^(٢) إذ أقبل رجل فقال أيكم عمار بن ياسر فقال أنا عمار قال أبو اليقظان قال نعم قال إن لي إليك حاجة فأنطق بها سرا أو علانية قال اختر لنفسك أيهما شئت قال لا بل علانية قال فانطق قال إني خرجت من أهلي مستبصرا في الحق الذي نحن الذي عليه لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل فلم أزل على ذلك مستبصرا حتى ليأتي هذه فإني رأيت في مقامي هذا تقدم منادينا فقام وأذن وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ و نادى بالصلاة والفلاح و نادى مناديهم بمثل ذلك ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة و تلونا كتابا واحدا و دعونا دعوة واحدة و رسولنا واحد فأدركني الشك في ليأتي هذه فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت فأتي أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال هل لقيت عمار بن ياسر قلت لا قال فآله فأنظر ما يقول لك فاتبعه فجتكت لذلك فقال عمار تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي و أوما إلى راية عمرو بن العاص فالتفت مع رسول الله ﷺ مرات و هذه الرابعة فما هي بخيرهن و لا أبرهن بل هي شرهن و أفجرهن أشهدن بدرا واحدا و يوم حنين أو شهدا أب لك فيخيرها لك قال لا قال فإن مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدر و يوم أحد و يوم حنين و إن مراكز هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب فهل ترى هذا العسكر و من فيه و الله لوددت أن جميع من أقبل فيه مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقا للذي نحن عليه كانوا خلقا واحدا فقطعت و ذبحت و الله لدمأؤهم جميعا أحل من دم عصفور أترى دم عصفور حراما قال لا بل حلال قال فإنهم حلال كذلك أتراني بينت قال قد بينت قال فاختر أي ذلك أحببت.

فانصرف الرجل فدعاه عمار ثم قال سيضربونكم بأسيا فيهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولوا لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا و الله ما هم من الحق على ما يقضي عين ذباب و الله لو ضربونا بأسيا فيهم حتى يبلغونا سفات هجر لعلنا أنا على حق و أنهم على باطل.

٤٢٥- قال نصر و حدثنا يحيى بن يعلى عن الأصعب بن نباتة قال جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين تقاتلهم الدعوة واحدة و الرسول واحد و الصلاة واحدة و الحج واحد فماذا أسميهم قال سمهم بما سماهم الله في كتابه قال ما كل ما في الكتاب أعلمه قال أما سمعت الله يقول ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إلى قوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ فلما وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله و بالكتاب و بالنبي و بالحق فنحن الذين آمنوا و هم الذين كفروا و شاء الله قتالهم فقتلنا هذا بمشيئته الله و إرادته^(٣).

(١) ذكره ابن أبي الحديد - مع روايات أخر عن كتاب صفين لابن ديزيل - في آخر شرح المختار: (٦٥) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٢ ص ٢٥٨ ط الحديث ببيروت.

(٢) كذا في ط الكسباني من أصلي، ومثله في شرح ابن أبي الحديد، وفي أواسط الجزء (٥) من كتاب صفين ص ٣٢١ ط مصر: «ببرد أحمر إذا أقبل رج يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟...».

ثم إن الحديث في كتاب صفين ذيلًا غير مذكور في كتاب البحار وشرح ابن أبي الحديد.

(٣) كذا في أصلي، ولعل الصواب: «فأقام وأذن». وللفظة «فقام» غير موجودة في كتاب صفين ص ٣٢١ ط - مصر، واللفظة لا توجد أيضاً في

توضيح: الأدهم الأسود والحممة صوت الفرس إذا طلب العلف والصهيل صوته المعروف وما كنا له مقرنين أي مطيقين وأفضت القلوب أي دنت وقربت ووصلت أو أفضت بسرهما أو سرها فحذف المفعول وأظهرت لك بما فيها من عيوبها وأسرارها أو خرجت إلى فضاء رحمتك وساحة مغفرتك. قال الجوهري أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء وأفضيت إلى فلان سري وقال الخليل في العين أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه وأصله أنه سار في فضاء.

وقال الجوهري شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف والمناح اسم جبل وأريد هنا ما يتمتع به ويلجأ إليه.

وسياتي أكثر الأدعية والخطب برواية أخرى مع شرحها.

وقال الفيروزآبادي الفت الدق والكسر بالأصابع وفت في ساعده أضعفه.

وقال الجوهري نابذه الحرب كاشفه.

قوله قص الشارب قص الشعر قطعه أي كما يسوي القاص شعرات الشارب وقال ابن الأثير في مادة لحج من كتاب النهاية لحج في الأمر يلحج إذا دخل فيه ونشب قوله عضضتم بهن أي بيكم العض اللزوم وهن كناية عن الشيء القبيح أي لزمتم عادات السوء التي كانت لا بآنكم والشدة بالفتح الحملة والموتور الذي قتل له قتيلا فلم يدرك بدمه والثأر بالهمزة وقد يخفف طلب الدم وقاتل الحميم إلا عن دينكم أي بسببه أو يزيلوكم عنه عضضتم بضم الجندل أي الحجارة الصلبة ولعله دعاء عليهم بالخيبة أو إخبار بأنهم خيبروا أنفسهم والحتوف جمع الحتف وهو الموت لم تطل أي لم تبطل فهو مأثور أي مذكور وقال الجوهري الصدق بالفتح الصلب من الرماح ويقال المستوي ويقال أيضاً رجل صدق اللقاء ويقال للرجل الشجاع إنه ل ذو مصدق بالفتح أي صادق الحملة كأنه ذو صدق فيما يعدك من ذلك واستقبله سنام أي طائفة عظيمة على المجاز قوله قد رأيت جولتكم

٤٢٦- أقول روى الكليني عن مالك بن أعين أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام حين مر براءة لأهل الشام أصحابها لا يزالون عن مواضعهم إنهم لن يزالوا عن مواقعهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط منه المعاصم والأكف وحتى تصدع جباههم بعمد الحديد وتنتشر حواجيبهم على الصدور والأذقان أين أهل الصبر وطلاب الأجر^(١).

وصارت إليه عصابة من المسلمين فعادت ميمته إلى موقفها ومصافها وكشفت من بإزائها فأقبل حتى انتهى إليهم وقال عليه السلام إني رأيت جولتكم.

وساق الحديث نحو ما مر إلى قوله فازلتموهم من مصافهم كما أزالوكم وأنتم تضربونهم بالسيوف حتى ركب أولهم آخرهم كالإبل المطرودة الهيم الآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين وليعلم المنهزم بأنه مسخط ربه وموبق نفسه إن في القرار مودة الله والذل اللازم والعار الباقي وإن الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه ولا يرضى ربه ولموت الرجل محقق قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها والإقرار عليها.

٤٢٧- وفي النهج، [نهج البلاغة] وأنتم لهاميم العرب وآفخ الشرف والأنف المقدم والسنام الأعظم ولقد شفا وحاح صدي أن رأيتمكم بأخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقعهم كما أزالوكم حسا بالنصال وشجرا بالرماح تركب أولاهم آخرهم كالإبل الهيم المطرودة ترمي عن حياضها وتزاد عن موارد^(٢).

٤٢٨- وقد روى المفيد في الإرشاد الكلام الأول إلى قوله أين أهل النصر أين طلاب الأجر وسيأتي شرحه عند

شرح ابن أبي الحديد.

(١) وقريباً منه جداً رواه الشيخ المفيد - كما يشير المصنف إليه قريباً - في الفصل: (٣٤) مما اختار من كلام أمير المؤمنين في كتاب الإرشاد، ص ١٤٢.

(٢) رواه السيد الرضوي في المختار: (١٠٥) من نهج البلاغة.

وقريباً منه مع زيادات رواه الطبري بسند عن أبي مخنف، عن مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب كما في تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٣٣٠. وفي طبع الحديث ببيروت: ج ٥ ص ٢٥.

إبراد ما رواه رضي الله عنه و يقال جال جولة أي طاف و انحاز عنه أي عدل و انحاز القوم أي تركوا مراكزهم و الجفأة هم الذين بعدوا عن الآداب الحسنة و الطعام الأراذل و في الكافي الطغاة و اللهايم جمع لهموم وهو الجواد من الناس و الخيل. والى آفئخ جمع يافوخ و هو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل و لوجه الضرب أي ألمه و أحرق جلده و يقال هوى لاعج لحرقه الفؤاد من الحب.

و الوحوة صوت معه بحج يصدر عن المتألم و في الكافي وشفى بعض حاج صدري و الحاج بالتخفيف جمع الحاجة و ضرب من الشوك و يقال ما قد صدري حواء و لا لواء أي لا مربة و لا شك بأخرة بالتحريك أي أخيرا و الحوز الجمع و السوق اللين و الشديد و حسناها حسا أي استأصلناها قتلا و النصال جمع نصل السهم أو السيف و غيرها و في بعض النسخ النضال بالمعجمة و هو مصدر ناضلته إذا رميته و شجرت زيدا بالرمح طعنته و الهيم بالكسر العطاش و الذود الصد و المنع و مواردها المواضع التي ترددها للشرب و العار الباقي أي في الأعقاب أوله بين الناس و يومه أجله المقدّر لموته و في القاموس الخذمة محرّكة السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشد في رسغ البعير و يشد إليها سرائح نعلها و الخلخال و الساق و الهشيم من النبات اليابس المتكسر و الهمود الموت و طفؤ النار.

قوله ﷺ منا النبي ﷺ.

أقول: في الديوان هكذا و بالنبي المصطفى غير الكذب.

وفيه رجز آخر مخاطبا لحريث:

أنا القلام العربي المنتسب	من غير عود و مصاص المطلب
يا أيها العبد اللئيم المنتدب	إن كنت للموت محبا فاقرب
وأثبت رويدا أيها الكلب الكلب	أو لا قول هاربا ثم انقلب

و العود بالفتح القديم من السؤدد و فلان مصاص قومه بالضم إذا كان أخلصهم نسبا و ندبه لأمر أي دعاه و حته له فانتدب أي أجاب و رجل كلب بكسر اللام شديد الحرص و كلب كلب أي مجنون يكلب بلحوم الناس.

قوله ﷺ أو لا أي أو لا تثبت و قيل أو بمعنى بل.

و يروى أنه لما قتل حريث قال معاوية.

حريث ألم تعلم و علمك ضائر	بأن عليا للفراس قاهر
وأن عليا لا يبارز فارسا	من الناس إلا أقصده الأظافر
أمرتك أمرا حازما فقصيتني	فجدك إذ لم تقبل النصع عائر
فدلاك عمرو و الحوادث جمّة	غرورا و ما جرت عليك المقادر
وظن حريث أن عمرا نصيحة	و قد يهلك الإنسان إذ لا يحاذر
أركب عمرو رأسه خوف نفسه	و يصلي حريثا إنه لهماكر ^(١)

وروي في الديوان أبياته ﷺ في مدح همدان هكذا:

ولما رأيت الخيل تقرق بالقتنا	فوارسها حمر العيون دوامي
وأقبل رهج في السماء كأنه	غمامة جن ملبس بقتام
ونادى ابن هند ذا الكلاع و يحصبا	و كندة في لخم و حي جذام
تيممت همدان الذين هم	إذا ناب أمر جنتي و سهامي
وناديت فيهم دعوة فأجابني	فوارس من همدان غير لثام
فوارس من همدان ليسوا بعزل	غداة الوغى من يشكر و شبام
ومن أرحب الشم المطاعين بالقتنا	و رهم و أحياء السبيع و سام

(١) كذا في أصلي، وفي كتاب صفين ط مصر، ص ٢٧٣: «إنه لفرافر». والفرافر: الأحق.

و من كل حي قد أتتني فوارس
بكل رديني و عصب تخاله
يقودهم حامي الحقيقة منهم
فخاضوا لظاهها و اصطلوا بشرارها
جزى الله همدان الجنان فإنهم
لهمدان أخلاق و دين يزنيهم
متى تأتئهم في دارهم لضيافة
ألا إن همدان الكرام أعزة
أناس يحبون النبي و رهطه
إذا كنت بوابا على باب جنة

ذو نجدات في اللقاء كرام
إذا اختلف الأقوام شعل ضرام
سعيد بن قيس و الكريم يحامي
و كانوا لدى الهيجاء كشرب مدام
سمام العدى في كل يوم خصام
و لين إذا لاقوا و حسن كلام
تبت عندهم في غبطة و طعام
كما عن ركن البيت عند مقام
سراع إلى الهيجاء غير كهام
أقول لهمدان ادخلوا بسلام

٤٢٩- قال الشارح و روى ابن أعثم أن عمرو بن حصين أتى علياً عليه السلام من عقبه ليقتاله بسنان رمحه فقتله سعيد بن قيس و قال:

ألا أببلغ معاوية بن صخر
بأننا لا نزال لكم عدوا
ألم تر أن والدنا علي
وإننا لا نريد به سواه
ورجم الغيب يكشفه الظنون
طوال الدهر ما سمع الحنين
أبو حسن ونحن له بنون
وذاك الرشد والحظ السمين

فلما سمعه معاوية بعث ذا الكلاع مع كثير من القبائل و قال اخرج و اقصد بحريك همدان خاصة فلما رآهم علي قال يا لهمدان عليكم بهذه الخيل فإن معاوية قد قصدكم بها خاصة دون غيركم فأقبل عليهم ابن قيس مع همدان فهزمهم فقال علي عليه السلام لهم أئتم درعي و رمحي و سناني و جنتي و الله لو كانت الجنة في يدي لأدخلكنم إياها خاصة يا معشر همدان ثم أنشأ هذه الأبيات

و الدامي الملطخ بالدم و الريح الغبار و الدجن البأس الغيم السماء و القتام الغبار الأسود و يحصب بكسر الصاد حي من يمن و كذا اللحم و الجذام قبيلتان من يمن و تيممت أي قصدت و الأغزل الذي لا سلاح معه و العزل بالتشديد جمعه.

و يشكر بضم الكاف و شبام بكسر الشين و أرحب بالحاء المهملة و رهم بضم المهملة و سبيع بفتح السين و بام بالمشة التحتانية قبائل همدان و الشم جمع الأشم و هو السيد ذو الأنفة و المطاعين جمع الطعان و هو كثير الطعن.

و قال الجوهري القنأة الردينية و الرمح الرديني زعموا أنه منسوب إلى امرأة السهري تسمى ردينة و كانا يقومان القنا بخط هجر و العضب السيف القاطع و الشرب بالفتح جمع شارب و المدام الخمر و السمام بالكسر جمع سم و فرس كهام أي بطيء.

قوله عليه السلام لمن راية حمراء أقول: في الديوان هكذا

لنا الراية السوداء يخفق ظلها
فيوردها في الصف حتى يزيروها
تراه إذا ما كان يوم كريمة
وأجمل صبرا حين يدعى إلى الوغى
وقد صبرت عك ولخم وحمير
ونسأى جذام يا لمذبح ويحكم
إذا قيل قدمها حضين تقدما
حياض النايا يقط الموت و الدماء
أبى فيه إلا عزة و تكراما
إذا كان أصوات الرجال تغفما
لمذبح حتى أورتها تندما
جزى الله شرا أينما كان أظلمما

وما قرب الرحمن منا وعظما
لدى الموت قدما ما أعز و أكرما
وبأس إذا لاقوا خميسا عرمرما
بأسيانا حتى تولى وأحجما
وذا كلع يدعو كريبا وأنسعا
وحوشب والداعي معاد وأظلما
وحراثا وقينيا عبيدا وسلما

أما تتقون الله في حرماننا
جزى الله قوما قاتلوا في لقائهم
ربيعة أعنى أنهم أهل نجدة
أدقنا ابن هند طعننا وضربنا
وولي ينادي زبرقان بن ظالم
وعمرنا ونعمنا ويسرا ومالكا
وكرز بن نبهان وابني محرق

وحقت الريبة تخفق وتخفق على زنة تضرب وتضر اضطربت حتى يزيرها أي يذهب بها إلى
الزيارة والكماة جمع الكمي وهو الشجاع المتكفي في سلاحه لأنه كمي نفسه أي سترها بالدرع
والبيضة والغمعة أصوات الأبطال عند القتال والكلام الذي لا يبين كالتغمغم والعك والعك
بالحاء المعجمة وحمير كمنبر ومذبح بالذال المعجمة كمسجد وجذام بضم الجيم وإعجام الذال
قيائل من اليمن واللام في قوله يا لمذبح للاستغاثة والخميس الجيش والعرمم الجيش الكثير
والزبرقان بكسر الزاي والراء ابن بدر الفراري. و ذو كلع بفتح الكاف واللام وكريب مصغر كرب
بن صباح الحميري وعمر بن العاص و نعمان بن بشير القيسي وبسر ابن أوطاة ومالك بن مسهر
القضاعي وحوشب المكبي ذا الظليم وكرز بضم الكاف وتقديم المهملته ونهان بالنون ثم الباء
الموحدة ابنا محرق بالحاء المهملته والراء المشددة وحرث بالثاء المثناة ابن وداع الحميري و
القيني مطاع بن مطلب و عبيد الله بن عمر بن الخطاب وسلم أبو الأعور السلمي كلهم أشقياء من
أصحاب معاوية عليهم اللعنة وأنعم أي أجاب ومعاو مرخم معاوية للشعر وأظلم أي أتى بالظلم أو
كان أشد ظلما أو كان مظلما ذا سواد وشقاوة.

وقتل ذو الكلاع بصفين و قتل كريب بيد أمير المؤمنين بعد أن قتل مترق بن وضاح الخولاني و
شرحبيل بن طارق و حرب بن الجلاج و عباد بن مسروق مبارزة و قتل مالك بسيف حجر بن
عدي و حوشب بسيف سليمان بن صرد الخزاعي و حرث و مطاع بسيفه عليه السلام و عبيد الله بسيف عبد
الله بن سوار أو حرث بن خالد أو هانئ بن خطاب أو هانئ بن عمر أو محرز بن صحصح.

وقال الجوهري وقولهم جاءوا ومن لف لفهم أي ومن عد فيهم وتأشب إليهم.

٤٣٠- أقول ثم قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين^(١)، بعد ما ذكر قتل عمار و هاشم بن عتبة رضي الله عنهما
كما سيأتي في الباب الآتي.

و بعث علي عليه السلام خيلا ليحسوا عن معاوية مادته فيعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل
فأزالوها وجاءت عيون علي عليه السلام فأخبرته بما قد كان فقال عليه السلام لأصحابه فما ترون فيما هاننا فاختلفوا فقال عليه السلام فاغدوا
إلى القتال فأمرهم غدوة بالقتال فانهزم أهل الشام و انهزم عتبة بن أبي سفيان حتى أتى الشام.

٤٣١- و عن عمر بن سعد عن سليمان الأعمش عن إبراهيم الهجري عن القعقاع بن الأبرد قال و الله إني لواقف
قريبا من علي عليه السلام بصفين يوم وقعة الخميس و قد التقت مذحج و كانوا في ميمنة علي و عك و جذام و لحم و
الأشعريون و كانوا مستبصرين في قتال علي عليه السلام فلقد سمعت من قتالهم صوتا ليست أصوات هذ الجبال و لا
الصواعق بأعظم هولا في الصدور من ذلك الصوت و علي عليه السلام يقول لا حول و لا قوة إلا بالله المستعان الله ثم نهض
حين قام قائم الظهيرة و هو يقول ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين فلا و الله ما حجز بيننا و
بينهم إلا الله رب العالمين في قريب من ثلث الليل و قتلت يومئذ أعلام العرب و كان في رأس علي عليه السلام ثلث ضربات
و في وجهه ضربتان^(٢).

(١) هذا تلخيص ما ذكره نصر في أوائل الجزء (٦) من كتاب صفين ص ٣٦ ط مصر، ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٢٤) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٨٢ ط الحديث ببيروت.

(٢) وبعده في كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد هكذا: وقد قيل: إن علياً لم يجرح قط.

قال وكتب معاوية كتابين أحدهما إلى أبي أيوب الأنصاري وكتب فيه لا تنسى شيئا أبأ عذرتها ولا قاتل بكرها فلم يدر أبو أيوب ما هو فأتى به علياً^(١) وقال يا أمير المؤمنين^(٢) إن معاوية كتب إلي بكتاب لا أدري ما هو فقال^(٣) هذا مثل ضربه لك يقول ما أنسى الذي لا تنسى الشياء هي لا تنسى أبأ عذرتها الشياء المرأة البكر ليلة اقتضاها لا تنسى بعلمها الذي افترعها أبداً ولا تنسى قاتل بكرها وهو أول ولدها كذلك لا أنسى أنا قتلة عثمان^(٤). وكتب الآخر إلى زياد ابن سمية وكان عاملاً لعلي على بعض فارس فكتب إليه يتهدده ويوعده فقال زياد ويلى على ابن أكلة الأكباد وكهف المنافقين وبقية الأحزاب يتهددني ويوعدي وبيني وبينه ابن عم محمد^(٥) معه سبعون ألف طوانع سيوفهم عند أذقاتهم ولا يلتفت أحد منهم وراءه حتى يموت أما والله لو خلاص الأمر إلي ليجدني أحمر ضراباً بالسيف.

والأحمر يعني أنه مولى فلما ادعاه معاوية صار عربياً منافياً^(٦). وكتب معاوية في أسفل كتاب أبي أيوب أبياتا.

فأجابه أبو أيوب بأبيات ردّها عليه وكان نص كتابه في جواب معاوية أما بعد فإنك كتبت إلي لا تنسى الشياء ثكل ولدها ولا أبأ عذرتها فضربتها مثلاً يقتل عثمان وما نحن و قتل عثمان إن الذي تربص بعثمان وثبط يزيد بن أسد وأهل الشام في نصرته لأنت وإن الذين قتلوه لغير الأنصار^(٧).

فلما أتى معاوية بكتاب أبي أيوب كسره

٤٣٢- وعن عمر بن سعد عن مجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال شهدت مع علي^(٨) بصفين فاقتلنا ثلاثة أيام وثلاثة ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صارت إلى المسابقة^(٩) فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا في أهل الشام في اليوم الثالث وعائق بعضنا بعضاً ولقد قاتلنا جميع السلاح فلم يبق شيء من السلاح إلا قاتلنا به حتى تحاثنا بالتراب وتكاد منا حتى صرنا قياماً ينظر بعضنا إلى بعض ما يستطيع واحد من الفريقين ينهض إلى صاحبه ولا يقاتل فلما كان نصف الليل انحاز معاوية وخيله من الصف من الليلة الثالثة وغلب علي^(١٠) على القتل تلك الليلة وأقبل علي^(١١) على أصحاب محمد فدفنهم وقتل شمر بن أبرهة وقتل جماعة كثيرة من أصحاب علي^(١٢) يومئذ.

٤٣٣- وعن ابن أبي شقيق أن عبد الله بن جعفر ذا الجناحين كان يحمل على الخيل بصفين إذ جاء رجل من خزمية فقال هل من فرس قال نعم خذ أي الخيل شئت فلما ولي قال ابن جعفر إن يصيب أفضل الخيل يقتل قال فما عثم أن أخذ أفضل الخيل فركبه وحمل على الذي دعاه إلى البراز فقتله الشامي^(١٣) وحمل غلاماً من الأنصار جميعاً أخوان حتى انتهيا إلى سراق معاوية فقتلا عنده وأقبلت الكناشب بعضها نحو بعض فاقتتل قياماً على الركب لا يسمع السامعون إلا وقع السيوف على البيض والدروع.

قال وجاء عدي بن حاتم يلتبس علياً ما يطأ إلا على إنسان ميت أو قدم أو ساعد فوجده تحت رايات بكر بن وائل فقال يا أمير المؤمنين ألا تقوم حتى نموت فقال علي^(١٤) ادنه فدنا حتى وضع أذنه عند أنفه فقال ويحك إن عامة من معي يعصيني وإن معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه.

وهذا مع التوالي رواه نصر بن مزاحم في أواسط الجزء (٦) من كتاب صفين ص ٣٦٢ ط ٢ بمصر.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٢٤) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٨٢١ ط الحديث ببيروت.

(١) هذا هو الظاهر المذكور في كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد. وفي ط الكمباني من البحار: «قتلة عثمان».

(٢) كذا في أصلي المطبوع. ومثله في كتاب صفين ص ٣٦٧ ط مصر. غير أن فيه: «لو خلاص الأمر إلي...».

وفي شرح ابن أبي الحديد: «أما والله لو ظفر ثم خلاص إلي ليجدني...» وما بين المعقوفين أيضاً مأخوذ منه.

(٣) كذا في كتاب صفين ط مصر. غير أن ما بين المعقوفين الأولين زيادة منا لترميم عبارة المتن فإنه من جهة كونه نقلاً بالمعنى وقع فيه اختلال.

وكان فيه: «فأجابه أبو أيوب بأبيات ردّها عليه وكتب «لا ينسى الشياء ثكل ولدها ولا أبأ عذرتها» ضربتها مثلاً في عثمان. وما أنا و قتل عثمان...».

(٤) هذا هو الظاهر المذكور في كتاب صفين ط مصر. وشرح ابن أبي الحديد. ط بيروت. وفي أصلي من طبع الكمباني: «وخضدت السهام ثم صارت...».

(٥) ما بين المعقوفين مأخوذ من كتاب صفين ص ٣٧٣ ط مصر. وشرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٨٢٦ ط بيروت. وقوله: «فما عثم أن أخذ...» ما

كث عثم ماضي فيه من انتقاء أفضل الخيل حتى انتقاء وأخذه من قولهم: «عتم عن الأمر عثماً وعتم عنه تعميماً» على وزن ضرب وفعل: كَفَّ عنه

بعد المضي فيه.

قال وكتب إلى معاوية أما بعد فإنك قد ذقت ضراء الحرب وأذقتها وإني عارض عليكم ما عرض المخارق على بني فالح^(١):

أيا راكبا إما عرضت فبلغا
هلموا إلينا لا تكونوا كأنكم
سليم بن منصور أناس بحرة
بني فالح حيث استقر قرارها
بلاقع أرض طار عنها غبارها
وأرضهم أرض كثير وبارها

فأجابه معاوية من معاوية إلى علي أما بعد عافانا الله وإياك فإني إنما قاتلت على دم عثمان وكرهت التدهين في أمره وإسلام حقه فإن أدرك به فيها وإلا فإن الموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم ثم تمثل ببعض الأبيات. قال وأرسل علي^{عليه السلام} إلى معاوية أن ابرز لي واغفر الفريقين من القتال فأينا قتل صاحبه كان الأمر له قال عمرو لقد أنصفك الرجل فقال معاوية إني لأكره أن أبارز الأهلج الشجاع لكك طمعت فيها يا عمرو وقال علي^{عليه السلام} وا نفساه يطاع معاوية وأعصى ما قاتلت أمة قط أهل بيت نبيا وهي مقر بنبيها إلا هذه الأمة.

ثم إن عليا^{عليه السلام} أمر الناس أن يحملوا على أهل الشام فحملت خيل علي^{عليه السلام} على صفوف أهل الشام فقوضت صفوفهم فقال عمرو يومئذ على من هذا الرهج فقيل على ابنك عبد الله ومحمد فقال عمرو يا وردان قدم لواءك فتقدم فأرسل إليه معاوية أنه ليس على ابنك بأس فلا تنقض الصف والزم موقفك فقال عمرو هيها

الليث يحمي شبلي
ثم قال إنك لم تلدهما إني أنا ولدتهما.

فأرسل علي^{عليه السلام} إلى أهل الكوفة وأهل البصرة أن احموا فحمل الناس من كل جانب فاقتتلوا قتالا شديدا فخرج رجل من أهل الشام فقال من يبارز فخرج إليه رجل من أصحاب علي^{عليه السلام} فاقتلا ساعة ثم إن العراقي ضرب رجل الشامي فقطعها فقاتل ساعة ثم ضرب يده فقطعها فرمى الشامي بسيفه بيده اليسرى إلى أهل الشام ثم قال يا أهل الشام دونكم سيفي هذا فاستعينوا به على عدوكم فأخذ معاوية ذلك السيف من أولياء المقتول بعشرة آلاف ٤٣٤- قال نصر وحدثني رجل عن مالك الجهني^(٢) عن زيد بن وهب أن عليا^{عليه السلام} مر على جماعة من أهل الشام فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه فأخبروه بذلك فوقف في ناس من أصحابه فقال انهضوا إليهم وعليكم بالسكينة وسماء الصالحين وقار الإسلام والله لأقرب قوم من الجهل بالله عز وجل قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة وأبو الأعور السلمي وابن أبي معيط شارب الحرام والمجلود حدا في الإسلام وهم أولى يقومون فيقصبوني ويشتموني^(٣) وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني وأنا إذ ذاك أدعوه إلى الإسلام وهم يدعوني إلى عبادة الأصنام فالحمد لله ولا إله إلا الله وقديما ما عاداني الفاسقون.

إن هذا هو الخطب الجليل أن فساقا كانوا عندنا غير مرضيين وعلى الإسلام وأهله متخوفين أصبحوا وقد خدعوا شطر^(٤) هذه الأمة فأشربوا قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان وقد نصبوا لنا الحرب وجدوا في إطفاء نور الله والله ميثم نوره^(٥) وكثرة الكافرون.

اللهم فإنهم قدردوا الحق فافضض جمعهم وشتت كلمتهم وأسلهم بخطاياهم فإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت.

(١) كذا صححه محقق كتاب صفين أخذاً عن كتاب الحيوان: ج ٦ ص ٣٦٩ وفي كتاب صفين ص ٣٨٥ ط مصر، والبحار ط الكمباني فيه وما بعده «بني فاتح». والحدث السابق أي تفقد عدي بن حاتم علياً ج وما قال له وما أجابه ج ذكره نصر في كتاب صفين ص ٣٩٧ ط مصر، ورواه عنه ابن أبي الحديد في أواسط شرح المختار: (١٢٤) من شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٨٤٤ ط الحديث ببيروت.

والحدث التالي أيضاً رواه ابن أبي الحديد عن نصر، في شرح المختار: (١٢٤) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٨٢٩ ط بيروت. (٢) هذا هو الصواب المذكور في أواسط الجزء (٦) من كتاب صفين ص ٣٩١ ط مصر، وشرح المختار: (١٢٤) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٨٣٠.

ورواه أيضاً الطبري في تاريخه: ج ٥ ص ٤٥، عن أبي مخنف قال: حدثني مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب... وفي ط الكمباني من البحار «عن رجل عن منازل الجهني عن زيد بن وهب...».

(٣) كذا في كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد، وفي ط الكمباني من البحار ها هنا تصحيف، وفيه أيضاً: «فيقصبوني ويشتموني...».

(٤) هذا هو الظاهر الموافق لما رواه ابن أبي الحديد عن كتاب صفين، وفي البحار: «حتى خدعوا شطر هذه الأمة...».

٤٣٥- وعن نمير بن وعلة عن عامر الشعبي أن علي بن أبي طالب عليه السلام مر بأهل راية فرأهم لا يزولون عن موقفهم فحرض الناس على قتالهم وذكر أنهم غسان فقال.

إن هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط منه المعاصم والأكف حتى تصدع جباههم وتنتشر حواجبهم على الصدور والأذقان أين أهل الصبر وطلاب الخير أين من يشري وجهه لله عز وجل؟

فثابت إليه عصابة من المسلمين فدعا ابنه محمدا فقال له امش نحو هذه الراية مشيا رويدا على هينتك ^(١) حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح فأمسك يدك حتى يأتيك أمري وأري ففعل وأعد على مثلهم فلما دنا منهم محمد وأشرع الرماح في صدورهم أمر على الذين أعد فشدوا عليهم ونهض محمد في وجوهم فزالوا عن مواقفهم وأصابوا منهم رجلا واقتل الناس بعد المغرب قتالا شديدا فما صلى كثير من الناس إلا إيماء.

٤٣٦- وعن شيخ من حضرموت قال كان منا رجل يدعى هاني بن نمر فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة فلم يخرج إليه أحد فقال سبحان الله ما يمنعكم أن يخرج منكم إلى هذا قلو لا أني موعوك وإني أجد لذلك ضعفا لخرجت إليه فما رد عليه رجل من أصحابه شيئا فوثب فقال أصحابه سبحان الله تخرج إليه وأنت موعوك قال والله لأخرجن إليه ولو قتلني فلما رآه عرفه وإذا الرجل من قومه يقال له معمر بن أسيد الحضرمي وبينهما قرابة من قبل النساء فقال له يا هاني ارجع إنه إن يخرج إلي غيرك أحب إلي إنني لست أريد قتلك قال له هاني ما خرجت إلا وأنا موطن نفسي على القتل ما أبالي أنت قتلتي أو غيرك ثم مشى نحوه فقال اللهم في سبيلك وسييل رسولك ونصرا لابن عم نبيك ثم اختلفا ضربتين فقتل هاني صاحبه وشد أصحابه نحوه وشد أصحاب هاني نحوه ثم اقتتلوا وانفجروا عن اثنين وثلاثين قتيلًا.

ثم إن عليا عليه السلام أرسل إلى الناس أن يحملوا فحمل الناس على راياتهم كل قوم بحياهم فتجالدوا بالسيوف وعمد الحديد لا يسمع إلا أصوات الحديد ومرت الصلوات كلها ولم يصلوا إلا تكبيرا عند مواقيت الصلوات حتى تفانوا ورق الناس.

فخرج رجل بين الصفيين فقال أخرج فيكم المحلقون قلنا لا قال إنهم سيخرجون أئسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر لهم حمة حكمة الحيات ثم غاب الرجل فلم يعلم من هو ^(٢).

٤٣٧- وعن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي يحيى عن عبد الرحمن بن حاطب قال خرجت ألتمس أخي في القتل بصفيين سويدا فإذا رجل قد أخذ بثوبي صريع في القتل فالتفت فإذا بعبد الرحمن بن كعدة فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون هل لك في الماء قال لا حاجة لي في الماء قد أنفذ في السلاح وخرقتي ولست أقدر على الشرب هل أنت مبلغ عني أمير المؤمنين عليه السلام رسالة قلت نعم قال إذا رأيته فأقرئه مني السلام وقل يا أمير المؤمنين احمل جراحك إلى عسكريك حتى تجعلهم من وراء القتل فإن الغلبة لمن فعل ذلك ثم لم أبرح حتى مات فخرجت حتى أتيت عليا عليه السلام فقلت له إن عبد الرحمن بن كعدة يقرأ عليك السلام قال وعليه أين هو قلت قد والله يا أمير المؤمنين أنفذه السلاح وخرقه فلم أبرح حتى توفي فاسترجع قلت قد أرسلني إليك برسالة قال فما هي فلما أبلغته الرسالة قال صدق والذي نفسي بيده فتأدى منادي العسكر أن يحملوا جراحكم إلى عسكريكم ففعلوا.

فلما أصبح نظر أهل الشام وقد ملوا من الحرب وأصبح علي قد رحل الناس وهو يريد أن ينزل على أهل الشام في عسكريهم فقال معاوية فأخذت معرفة فرسي وضعت رجلي في الركاب حتى ذكرت أبيات ابن الأخطابة
أبت لي عفتي وأبى بلاني وأخذني الحمد بالثمن الربيع

(١) أي على رسلك يعني بسكينة ووقار. ويقال: مشوا مشياً رويداً أي برفق وتؤدة.

والحديث رواه نصر في أواسط الجزء (٦) من كتاب صفين ص ٣٩٢. وقد اختصره المصنف كما هو الحال في أكثر ما يرويه عن كتاب صفين. ورواه أيضاً الطبري في وقعة صفين من تاريخه: ج ٥ ص ٤٥ عن أبي مخنف. قال: حدثني نمير بن وعلة عن الشعبي...

(٢) رواه نصر في أواسط الجزء (٦) من كتاب صفين ص ٣٩٤. ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٢٤) من النهج من شرحه: ج ٢ ص ٨٣١.

إلى آخر الآيات فعدت إلى مقعدي فأصبت خير الدنيا.

وكان عليؓ إذا أراد القتال هلل وكبر ثم قال:

من أي يومي من الموت أفر

يوم لم يسقدر أم يوم قدر

وأقبل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية الأعظم مرتجزا فاستقبله جارية بن قدامة وأطعنا مليا ومضى عبد الرحمن وانصرف جارية وعبد الرحمن لا يأتي على شيء إلا أهدمه فغم ذلك علياؓ.

وأقبل عمرو بن العاص في خيل من بعده فقال أقحم يا ابن سيف الله فإنه الظفر.

وأقبل الناس على الأشر فقالوا يوم من أيامك الأول وقد بلغ لواء معاوية حيث ترى فأخذ الأشر لواءه ثم حمل فضارب القوم حتى ردهم على أعقابهم فرجعت خيل عمرو.

وذكروا أنه لما رد لواء معاوية ورجعت خيل عمرو انتدب لعليؓ همام بن قبيصة وكان من أشتم الناس لعليؓ وكان معه لواء هوازن قصد المذحج فقال عدي بن حاتم لصاحب لوائه ادن مني فأخذه فحمل وطعن ساعة ثم رجع ثم حمل جندب بن زهير مرتجزا.

فلما رأى ابن العاص الشر استقبل فقال له معاوية انت ببني أبيك فقاتل بهم فأتى جماعة أهل اليمن فقال أنتم اليوم الناس وغدا لكم الشأن هذا يوم له ما بعده من الأمر احملا معي على هذا الجمع قالوا نعم فحملوا وحمل عمرو.

فقال عمرو بن الحمق دعوني والرجل فإن القوم قومي فقال له ابن بديل دع القوم يلقى بعضهم بعضا فأبى عليه وحمل ثم طعنه في صدره فقتله ولت الخيل وأزال القوم عن مراكزهم.

ثم إن حوشبا ذا ظليم أقبل في جمعه وصاحب لوائه يرتجز فحمل عليه سليمان بن صرد الخزاعي فطعنه فقتله واستدار القوم وقتل حوشب وابن بديل^(١) وصبر بعضهم لبعض وفرح أهل الشام بقتل هاشم واختلط أمرهم حتى ترك أهل الرابات مراكزهم وأقحم أهل الشام من آخر النهار وتفرق الناس عن عليؓ فأتى ربيعة وكان فيهم وتعاطم الأمر.

وأقبل عدي بن حاتم يطلب علياؓ في موضعه الذي تركه فيه فلم يجده فأصابه في مصاف ربيعة فقال يا أمير المؤمنين أما إذا كنت حيا فالأمر أمم ما مشيت إليك إلا على قتيل وما أبقت هذه الواقعة لنا ولهم عميدا فقاتل حتى يفتح الله عليك فإن في الناس بقية بعد.

وأقبل الأشعث يلهث جزعا فلما رأى علياؓ هلل وكبر وقال يا أمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل إلى ساعتنا هذه فعد إلى مقامك الذي كنت فيه فإن الناس يظنونك حيث تركوك.

وأرسل سعيد بن قيس إلى أمير المؤمنينؓ إنا مشتغلون بأمرنا مع القوم وقينا فضل فإن أردت أن نمد أحدا أمددناه. وأقبل عليؓ على ربيعة فقال أنتم درعي ورمحي فقال عدي بن حاتم إن قوما أنست بهم وكنت فيهم في هذه الجولة لعظيم حقهم علينا والله إنهم لصبر عند الموت أشداء عند القتال.

وركب على فرسه الذي كان لرسول الله ﷺ وكان يقال له المرتجز ثم قدم على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله ﷺ السوداء ثم نادى أيها الناس من يشري نفسه لله يريح هذه يوم له ما بعده إن عدوكم قد قرح كما قرحتم.

فانتدب له من بين العشرة آلاف إلى اثني عشر ألفا وضعوا سيوفهم على عواتقهم وتقدمهم عليؓ على بغلة رسول الله ﷺ وهو يقول:

وأصبحوا بحريكم ويسيتوا

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا

أو لا فإنني طال ما عصيت

حتى تناولوا الثأر أو تموتوا

ليس لكم ما شئتم وشئتم

قد قتلتم لو جئتنا فجئتم

بل ما يريد المحيي المميت

وتبعه ابن عدي بن حاتم مرتجزا وتقدم الأشتر مرتجزا وحمل الناس حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتفض وأهدوا ما أتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية وعلي عليه السلام يضربهم بسيفه ويقول: أضربهم ولا أرى معاوية
أخزر العين العظيم الحاوية
هوت به في النار أم هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فوضع رجله في الركاب ثم ندم وتمثل بأبيات وقال:

يا ابن العاص اليوم صبر و غدا فخر فقال عمرو صدقت وانصرفوا وقد غلبوا وقهروا وكل قد كره صاحبه ثم إن معاوية لما أسرع أهل العراق في أهل الشام قال إن هذا يوم تمحيص إن القوم قد أسرع فيهم ما أسرع فيكم اصبروا يومكم هذا وخلاكم ذم.

وحض علي عليه السلام أصحابه فقام إليه الأصمغ بن نباتة فقال يا أمير المؤمنين إنك جعلتني على شرطة الخميس وقد متني في الثقة دون الناس وإنك اليوم لا تتقد لي صبرا ولا نصرا أما أهل الشام فقد هدهم ما أصبنا منهم وأما نحن ففينا بعض البقية فاطلب بنا أمرك وأذن لي في التقدم فقال له علي عليه السلام تقدم بسم الله.

وأقبل الأحنف بن قيس السعدي فقال يا أهل العراق والله لا تصيبون هذا الأمر أذل عنقا منه اليوم قد كشف القوم عنكم قناع الحياة وما يقاتلون على دين وما يصيرون إلا حياء فتقدموا فقالوا إنا إن تقدمنا اليوم فقد تقدمنا أمس فما تقول يا أمير المؤمنين قال تقدموا في موضع التقدم وتأخروا في موضع التأخر تقدموا من قبل أن يتقدموا إليكم. وحمل أهل العراق وتلقاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص معلما مرتجزا فاعترضه علي عليه السلام وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل
وإني ينصل السيف خنثليل
والخصر والأنامل الطفول
أحمي وأرمي أول الرعيل

بصارم ليس بذئ فلول

ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله فبذت عورته فصرف علي وجهه عنه وارتث فقال القوم أفلت الرجل يا أمير المؤمنين قال وهل تدرون من هو إنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي عنه.

فلما رجع عمرو إلى صفه قال له معاوية أحمد الله وعورتك.

ثم ذكر نصر سعي معاوية في افتتان الأشعث بن قيس وعبد الله بن العباس والمراسلة والمكاتبة إليهما وإجابتها بما لم يرض به وندم.

ثم قال ولما تعاضمت الأمور على معاوية دعا عمروا وبسرا وعبيد الله بن عمر عبد الرحمن بن خالد فقال لهم قد غمني رجال من أصحاب علي منهم سعيد بن قيس في همدان والأشتر في قومه والمرقال وعدي بن حاتم و قيس بن سعد في الأنصار وقد وكتمكم بما نيتكم بأنفسها أياما كثيرة حتى لقد استحييت لكم وأنتم عدتكم من قريش وقد عبأت لكل رجل منهم رجلا منكم فاجعلوا ذلك إلي فقالوا ذلك إليك قال فأنأ أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غدا وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة المرقال وأنت يا بسر لقيس بن سعد وأنت يا عبيد الله للأشتر وأنت يا عبد الرحمن لعدي بن حاتم ثم ليرد كل رجل منكم من حماة الخيل فجعلها نواب في خمسة أيام لكل رجل منهم يوما.

فأصبح معاوية في غده فلم يدع فارسا إلا دعاه ثم قصد لهمدان بنفسه وتقدم الخيل فطعن في أعراض الخيل مليا ثم إن همدان نادى بشعارها وأقم سعيد بن قيس على فرسه على معاوية واشتد القتال وحجز بينهم الليل وذكرت همدان أن معاوية فاتته ركضا فانصرف معاوية ولم يعمل شيئا.

وإن عمرو بن العاص غدا في اليوم الثاني في حماة الخيل فلقى قيس بن سعد في كماء الأنصار كأنه فنيق مرقم فطعن في خيل الناس وكان عمرو من فرسان قريش فتقدم وارتجز وطعن في أعراض الخيل مزيدا فحمل هاشم مرتجزا وطعن عمروا حتى رجع واشتد القتال وانصرف الفريقان ولم يسر معاوية ذلك.

وإن بسرا غدا في اليوم الثالث في حماة الخيل فلقى قيس بن سعد في كماء الأنصار كأنه فنيق مرقم فطعن في خيل

بسر وبرز له بسر بعد ملأ وطعن بسر قيسا فضربه قيس بالسيف فرده على عقبه ورجع القوم جميعا وقيس الفضل.

وإن عبيد الله بن عمر تقدم في اليوم الرابع ولم يترك شيئا وجمع من استطاع فقال له معاوية إنك تلقى أفاعي أهل العراق فارفق واتد فلقية الأشرأ أمام الخيل مزبدا وكان الأشرأ إذا أراد القتال أزيد فرد الخيل فاستحيا عبيد الله فبرز أمام الخيل وكان فارسا فحمل عليه الأشرأ فطعنه واشتد الأمر وانصرف القوم وللأشرأ الفضل فغم ذلك معاوية.

وإن عبد الرحمن غدا في اليوم الخامس وكان أرجأهم عند معاوية فقواء بالخيل والسلاح وكان يعده ولدا فلقية عدي بن حاتم في حماة مذبح وقضاعة فبرز عبد الرحمن أمام الخيل ثم حمل فطعن الناس وقصده عدي بن حاتم وحمل في حماة الناس حتى تواروا في العجاج وفضح القوم ورجع عبد الرحمن إلى معاوية وانكسر معاوية^(١) وإن القرشيين استحيوا مما صنعوا وشمئت بهم اليمانية وغيرهم معاوية وأنبهم فانقطوا عنه أياما ثم اعتذر إليهم معاوية في أبيات فاتوه واعتذروا إليه واستقاموا له على ما يحب ثم إن معاوية ضاعف الفرائض والعطايا لعل والأشعرين وهم بذلوا جهدهم في القتال وفي لهم بذلك فلم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلا طمع في معاوية وشخص بصره إليه حتى فشا ذلك في الناس.

وبلغ عليا^(٢) فساءه ذلك فقال المنذر بن أبي حمصة وكان فارس همدان وشاعره يا أمير المؤمنين إن عكا والأشعرين طلبوا إلى معاوية الفرائض والعطاء فأعطاهم^(٣) فباعوا الدين بالدنيا وأنا قد رضينا بالآخرة من الدنيا والعراق من الشام وبك من معاوية والله لآخرتنا خير من دنياهم ولعراقنا خير من شامهم وإمامنا أهدى من إمامهم فامتحننا بالصبر واحملنا على الموت.

فقال علي^(٤) حسبك رحمك الله وأثنى عليه وعلى قومه خيرا.

ولما أصبح الناس غدوا على مصافهم ونادى معاوية في أحياء اليمن فقال علي^(٥) يا آل همدان فأجابه سعيد بن قيس فقال له احمل فحمل حتى خلط الخيل بالخيل واشتد القتال وحطمتهم همدان حتى ألحقوهم بمعاوية وأسرع في فرسان أهل الشام القتل وأثنى علي^(٦) علي همدان وقال أنتم درعي ورمحي يا همدان ما نصرتم إلا الله ولا أجبتم غيره فقال سعيد أجبنا الله وإياك ونصرنا نبي الله^(٧) في قبره وقاتلنا معك من ليس مثلك فارم بنا حيث أحببت فدعا معاوية مروان وأمره أن يخرج فأبى ثم دعا عمرو بن العاص وأمره بالخروج فلما خرج لقيه الأشرأ أمام الخيل فلما غشيه الأشرأ بالرمح راوغه عمرو فطعنه الأشرأ في وجهه فلم يصنع شيئا ولوى عمرو عنان فرسه وجعل يده على وجهه ورجع إلى العسكر.

فجاء ذو الكلاع إلى معاوية وقال تولى علينا من لا يقاتل معنا ولرجلا منا وإلا فلا حاجة لنا بك فقال لهم معاوية لا أولي عليكم بعد يومي هذا إلا رجلا منكم.

قال وحرض علي^(٨) أصحابه فقام إليه الأصبح بن نباتة فقال يا أمير المؤمنين قدمني في البقية من الناس فإنك لا تفقد لي اليوم صبرا ولا نصرا قال^(٩) تقدم باسم الله والبركة فتقدم وأخذ رايته فمضى بالراية مرتجزا فرجع وقد خضب سيفه ورمحه دما وكان شيخا ناسكا عابدا وكان إذا لقي القوم لا يغمد سيفه وكان من ذخائر علي^(١٠) ممن قد بايعه على الموت وكان من فرسان أهل العراق وكانوا قد ثقلوا عن البراز حين عضتهم الحرب.

فقال الأشرأ يا أهل العراق أما من رجل يشري نفسه لله فخرج آتال بن حجل فنادى بين العسكرين هل من مبارز فدعى معاوية حجلا فقال دونك الرجل وكانا مستبصرين في رأيهما فبرز كل منهما إلى صاحبه فبدره الشيخ بطعنه فطعنه الغلام فانتسبا فإذا هو ابنه فنزلا واعتنق كل منهما صاحبه وبكى فقال له الأب أي آتال هلم إلى الدنيا فقال له الغلام يا أباه هلم إلى الآخرة والله يا أبت لو كان من رأيي الانصراف إلى أهل الشام لكان من رأيك لي أن تنهاني وأسواته فما يقول لي علي كن علي ما أنت عليه وأنا أكون على ما أنا عليه وانصرف كل منهما إلى أصحابهما.

ثم إن معاوية دعا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد فقال يا هذان ما لقيت من الأوس والخزرج صاروا واضعي

(١) كذا في ط الكيماني من البحار الانوار. والقصة رواها نصر في أوائل الجزء (٧) من كتاب صفين ص ٤٢٦ - ٤٣١ وفيه: «فلما كاد أن يخاطبه بالرمح توارى عبد الرحمن في العجاج واستر بأستة أصحابه واختلط القوم ورجع عبد الرحمن إلى معاوية مقهورا وانكسر معاوية».

(٢) هذا هو الظاهر. وفي الأصل: «الفرائض والمغار...».

سيفهمهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتى والله جنبوا أصحابي الشجاع منهم والجبان حتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا قتلته الأنصار أما والله لا عين لكل فارس منهم فارسا ينشب في حلقة ثم لأقنينهم بأعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل^(١) يقولون نحن الأنصار قد والله آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم.

فغضب النعمان وقال يا معاوية لا تلومن الأنصار بسرعتهم في الحرب فإنهم كذلك كانوا في الجاهلية. وأما دعاؤهم إلى النزال فقد رأيته مع رسول الله ﷺ.

وأما لقائك إياهم في أعدادهم من قريش فإن لها وفاء به.

وأما التمر والطفيشل فإن التمر كان لنا فلما أن ذقتوه شاركتمونا فيه.

وأما الطفيشل فكان لليهود فلما أكلناهم غلبناهم عليه كما غلبت قريش على السخينة^(٢).

ثم تكلم مسلمة بنحو من ذلك ولم يكن مع معاوية غير هذين الرجلين من الأنصار.

وانتهى الكلام إلى الأنصار.

فجمع قيس بن سعد الأنصار وقام خطيبا فيهم وقال إن معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحبكم فلمعري لئن غلظت معاوية اليوم لقد غلظتموه أمس وإن وترتموه في الإسلام لقد وترتموه في الشرك وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الذي أنتم عليه فجدا اليوم جدا تتسونه ما كان أمس وجدا غدا تقتسونه ما كان اليوم وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب. وأما التمر فإنما لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه.

وأما الطفيشل فلو كان طعامنا سميناه اسما كما سميت قريش السخينة^(٣).

و تحركت الخيل غدوة فظن قيس أن فيها معاوية فحمل على رجل يشبهه فقتله بالسيف فإذا غير معاوية وحمل الثانية على آخر يشبهه أيضا فضره ثم انصرف.

ثم إن النعمان خرج حتى وقف بين الصفيين فقال يا قيس أنا النعمان بن بشير قال قيس ما حاجتك قال يا قيس إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه أستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم المدينة و قتلتم أنصاره يوم الجمل وإقامكم على خيولكم أهل الشام بصفين فلو كنتم إذ خذلت عثمان خذلتكم عليا ولكنكم خذلتهم حقا ونصرتهم باطلا ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم في الحرب ودعوتهم إلى البراز ثم لم ينزل بعلي أمر قط إلا وهنتم عليه المصيبة وعدتموه الظفر وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم فاتقوا الله في البقية. قال فضحك قيس ثم قال ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالة إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه وأنت والله الغاش الضال المضل^(٤).

وأما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها مني واحدة قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك.

وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكت.

وأما معاوية فوالله لئن اجتمعت عليه العرب لقاتلته الأنصار.

وأما قولك إنا لسنا كالناس فنحن في هذه الحروب كما كنا مع رسول الله ﷺ نتقي السيوف بوجهونا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقا أو أعرابيا أو يمانيا مستدرجا بغرور انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

(١) الطفيشل - كسميدع وغضنفر - نوع من المرق. وقيل: هو كل طعام يعمل من الحبوب.

(٢) السخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن أو من دقيق وتمر. أغلظ من الحساء وأرق من المصيدة، وكانت قريش تكثر من أكلها فغرت بها حتى سترا سخينة.

(٣) كذا في ط الكياني من البحار، وفي كتاب صفين: «فلو كان طعامنا لسطينا به إسما...».

(٤) هذا هو الصواب المذكور في كتاب صفين ص ٤٤٩ وفي ط الكياني من البحار: «إنما المصنف المحق من نصحه نفسه وغش أخاه، وأنت والله الغاش المبطل».

ثم انظر هل ترى مع معاوية أنصاريا غيرك وغير صويحك ولستما والله ببدرين ولا عقيبين ولا أحدين ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك

٤٣٨- وذكروا أنه كان فارس أهل كوفة الذي لا ينزع رجلا يقال له العكير بن جدير الأسدي وكان فارس أهل الشام الذي لا ينزع عوف بن مجزأة المرادي وكان العكير له عبارة ولسان لا يطاق فلما خرج الناس إلى مصافهم خرج المرادي نادرا من الناس وكذلك كان يصنع وقد كان قتل قبل ذلك نفرا من أهل العراق مبارزة فنادى يا أهل العراق هل من رجل عصاه سيفه يبارزني ولا أغركم من نفسي فأنا عوف بن مجزأة فارس زوف فصاح الناس بالعكير فخرج إليه منقطعاً من أصحابه والناس وقوف وقف المرادي مرتجزاً فبرز إليه العكير وارتجز فاطعنا فصرعه العكير فقتله ومعاوية على التل في أناس من قريش وأناس من الناس قليل فوجه العكير فرسه فملاً فروجه ركضاً ويضربه بالسوط مسرعاً نحو التل فنظر إليه معاوية فقال إن هذا الرجل مغلوب على عقله أو مستأمن فأسأله فاتاه رجل فناده فلم يجبه فمضى حتى انتهى إلى معاوية وجعل يطعن في أعراض الخيل ورجا العكير أن يفردوا له معاوية فقتل رجلاً وقام القوم دون معاوية بالسيوف والرماح فلما لم يصل إلى معاوية نادى أولى لك يا ابن هند أنا الغلام الأسدي ورجع إلى علي عليه السلام فقال له علي ما ذا دعاك إلى ما صنعت يا عكير لا تلق نفسك إلى الهلكة قال أردت غرة ابن هند فحيل بيني وبينه.

وانكسر أهل الشام لقتل المرادي ونذر معاوية^(١) دم العكير فقال العكير يد الله فوق يد معاوية فأين دفاع الله عن المؤمنين.

ثم إن علياً دعا قيس بن سعد فأثنى عليه خيراً وسوده على الأنصار وكان طلائع أهل الشام وأهل العراق يلتقون فيما بين ذلك ويتشادون الأشعار ويفخر بعضهم على بعض ويحدث بعضهم بعضاً على أمان.

٤٣٩- قال نصر وروى عمر بن سعد عن عبد الرحمن بن عبد الله أن عبد الله بن كعب قتل يوم صفين فمر به الأسود بن قيس وهو بأخر رمق فقال عز علي والله مصرعك أما والله لو شهدتك لآسيكت ولدافعت عنك ولو أعرف الذي أشعرك لأحببت أن لا يرايطني حتى أقتله أو يلحقني بك ثم نزل إليه فقال والله إن كان جارك ليأمن بوائقك وإن كنت من الذاكرين الله كثيراً أوصني رحمك الله قال أوصيك بتقوى الله وأن تناصح أمير المؤمنين وأن تقاتل معه المحلين حتى يظهر الحق أو تلحق بالله وأبلغه عني السلام وقل له قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فإنه من أصعب والمعركة خلف ظهره كان الغالب ثم لم يلبث أن مات.

فأقبل الأسود إلى علي عليه السلام فأخبره فقال يرحمه الله جاهد معنا عدونا في الحياة ونصح لنا في الوفاة^(٢).

ثم إن علياً غلس بالناس بصلاة الفجر ثم زحف بهم فخرج الناس على راياتهم وأعلامهم وزحف إليهم أهل الشام.

٤٤٠- قال نصر وحدثني عمرو بن شمر عن جابر عن عامر عن صعصعة بن صوحان والحارث بن أدهم أن أبرهة بن الصباح قام فقال ويلكم يا معشر أهل اليمن والله إني لأظن الله آذن بفنائكم ويحكم خلوا بين هذين الرجلين فليقتلا فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً وكان أبرهة من أصحاب معاوية فبلغ ذلك علياً فقال صدق أبرهة بن الصباح والله ما سمعت بخبطة منذ وردت الشام أنا بها أشد سروراً مني بهذه.

وبلغ معاوية كلام أبرهة فتأخر آخر الصفوف وقال لمن حوله^(٣) والله إني لأظنه مصاباً في عقله فارتج أهل الشام يقولون والله إن أبرهة لأفضلنا ديناً ورأياً وبأساً ولكن معاوية كره مبارزة علي عليه السلام.

وبرز يومئذ عروة بن داود الدمشقي فقال إن كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلم إلي فتقدم إليه علي وحمل عليه وقتله ثم قال يا عروة اذهب فأخبر قومك أما والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد عاينت النار وأصبحت من النادمين.

(١) كذا في ط الكمباني من البحار، وفي كتاب صفين: «وهدر».

(٢) والحديث رواه أيضاً أبو جعفر الإسكافي المتوفى: (٢٤٠) في كتاب المعيار والموازنة ص ١٥٦، ط ١.

ورواه أيضاً الطبري في وقعة صفين من تاريخ الأمم والملوك: ج ٤ ص ٣٢ وفي ط الحديث ببغوت: ج ٥ ص ٤٦.

(٣) كذا في كتاب صفين ص ٤٥٧، وفي ط الكمباني من البحار: «قال معاوية نحو هذا في آخر الصفوف: والله إني لأظنه مصاباً في عقله».

فنظر إليه معاوية و كان واقفا على التل فقال و الله لقد دعاني علي إلى البراز حتى لقد استحييت من قريش و إنما أراد بذلك أن يبرز إليه بسر بن أرطاة فقبل بسر أن يبارزه ﷺ ثم ندم و استحي من الاستعفاء فعدا علي ﷺ منقطعاً من خيله و معه الأشر و هو يريد التل فاستقبله بسر قريباً من التل فطعنه و هو لا يعرفه فاتقاه بسر برجله فانكشف عورته فانصرف علي ﷺ عنه و ناداه الأشر يا أمير المؤمنين إنه بسر قال دعه عليه لعنة الله.

و حمل ابن عم لبسر على علي ﷺ فطعنه الأشر فكسر صلبه و قام بسر من طعنة علي و ولت خيله فقال له معاوية قد أوال الله عمروا منك فكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها علي ﷺ تتحى ناحية و تحامي فرسان أهل الشام علياً ﷺ.

٤٤١- و عن عمر بن سعد بإسناده قال كان من أهل الشام بصفين رجل يقال له الأصيص بن ضرار و كان يكون طليعة و مسلحة لمعاوية فندب علي ﷺ له الأشر فأخذه أسيراً من غير أن يقاتل و كان علي ينهى عن قتل الأسير الكاف فجاء به ليلاً و شد وثاقه و أقامه مع أضيافه ينتظر به الصباح فأنشد فيها أشعار أثرت في الأشر فعدا به الأشر على علي ﷺ فقال يا أمير المؤمنين هذا رجل من المسلحة لقيته بالأمس فو الله لو علمت أن قتله الحق تقتله و قد بات عندنا الليلة و حركنا شعره فإن كان فيه القتل فاقته و إن غضبنا فيه و إن كنت فيه بالخيار فبه لنا قال هو لك يا مالك فإذا أصبت أسيراً فلا تقتله فإن أسير أهل القبل لا يفادى و لا يقتل فرجع به الأشر إلى منزله و قال لك ما أخذنا منك ليس لك عندنا غيره.

و ذكروا أن علياً ﷺ أظهر أنه مصيب معاوية و مناجزه فبلغ ذلك معاوية ففرع أهل الشام لذلك و انكسروا لقوله فكذب معاوية إليه ﷺ.

أما بعد فإني أظنك أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت.

إلى آخر ما سيأتي برواية سليم الهلالي و ما جرى بين معاوية و بين عمرو في ذلك.

قال ثم إن علياً ﷺ غلس بالناس صلاة الغداة ثم زحف إليهم فخرج الناس على راياتهم و أعلامهم و زحف إليهم أهل الشام إلى آخر ما سيأتي.

توضيح قوله لا تنسى شيئا هذا مثل لمن وقع به من رجل سوء شديد و ضرر عظيم فإنه لا ينساها و يظهر من المثل أن مضرها امرأة تزوجت رجلاً فلما كان ليلة الزفاف غلب على زوجها رجل فقتله و أخذها قهراً فإنها لا تنسى تلك الواقعة أبداً فمثل ذلك قتل عثمان و أخذ الخلافة لأمر المؤمنين ﷺ.

قال الجوهري باتت فلاتة بليلة شيئا بالإضافة إذا اقتضت و باتت بليلة حرة إذا لم تفتن.

و قال الفيروز آبادي باتت بليلة شيئا بالإضافة و بليلة الشياء إذا غلبت على نفسها ليلة هذانها و قال العذرة البكارة و مفتضها أبو عذرها.

و في بعض الكتب يقال فلان أبو عذرة هذا الكلام أي هو الذي اخترعه و لم يسبقه إليه أحد و هو مستعار من قولهم أبو عذرتها أي هو الذي اقتض بكارتها و يقال إن المرأة لا تنسى أبا عذرتها.

و قال الميداني في مجمع الأمثال لا تنسى المرأة أبا عذرها و قاتل بكرها أي أول من ولدها يضرب في المحافظة على الحقوق انتهى و أظهر هنا ما ذكرنا.

و قال ابن الأثير في مادة حمر من كتاب النهاية في حديث علي ﷺ قيل له غلبتنا عليك هذه الحمراء يعنون العجم و الروم و العرب تسمى الموالي الحمراء و في حديث عبد الملك أراك أحمر قرفا قال الحسن أحمر يعني أن الحسن في الحمرة و منه قول الشاعر.

و إذا ظهرت تقنعي بالحر أن الحسن أحمر

و قيل كني بالأحمر عن المشقة و الشدة أي من أراد الحسن صبر على أشياء يكرها انتهى.

قوله و خضدت السهام الخضد الكسر و القطع و في بعض النسخ بالمهملتين على الاستعارة.

و قال الجوهري العتم الإبطاء و يقال ما عتم أن فعل كذا بالتشديد أي ما لبث و ما أبطأ.

و قال في النهاية الأهوج المتسرع إلى الأمور كما يتفق و قيل الأحمق القليل الهداية انتهى.

والتقويض الهدم والرهج بالتحريك الغبار ويقال قصبه يقصبه أي عابه وأبسلت فلانا أسلمته للهلكة.
وقال في النهاية في حديث الحسن لا يزال أمر هذه الأمة أمما ما ثبتت الجيوش في أماكنها الأمم
القرب واليسير.

وقال الجوهري قال ابن السكيت الأمم بين القريب والبعيد وهو من المقاربة والأمم الشيء اليسير
ويقال أخذت ذلك من أم أي من قرب وداري أم داره أي مقابلتها والقرن الذؤابة والخصلة من
الشعر وبالتحريك السيف والنبل والأول أنسب والحضر بالحاء المهملة محركة ضيق الصدر و
العي في المنطق وبالحاء المعجمة وسط الإنسان وكشخ مخصر دقيق.

وقال الجوهري الطفل بالفتح الناعم يقال جارية طفلة وبنان طفل انتهى أي يعرف النساء
المخدرات النواعم ذلك فكيف الرجال والخنثيل الماضي والرعل القطعة من الخيل ومقدمتها و
يقال ارتث فلان على ما لم يسم فاعله أي حمل من المعركة رثيثا أي جريحا وبه رمق والفنيق
الفحل المكرم والمقرم البعير لا يحمل عليه ولا يذلل.

وقال في القاموس راغ الرجل والثعلب روعا وروغانا مال وحاد عن الشيء والمرأغة
المصارعة وأن يطلب بعض القوم بعضا وقال الطيفيل كسميدع نوع من المرق.

وفي النهاية في حديث فاطمة أنها جاءت النبي ﷺ ببرمة فيها سخينة أي طعام حار وقيل طعام
يتخذ من دقيق وسمن وقيل دقيق وتمر أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة وكانت قريش تكثر
من أكلها فغيرت بها حتى سما سخينة انتهى.

والشغب تهيج الشر واطعنا على بناء الافتعال أي طعن كل منهما صاحبه.

وفي النهاية وفي حديث أبي جعفر الأنصاري فملأت ما بين فروجي جمع فرج وهو ما بين رجلين
يقال للفرس ملاً فروجه وفرجه إذا عدا وأسرع وبه سمي فرج الرجل والمرأة لأنهما بين الرجلين
وقال إشعار البدن هو أن يشق أحد جانبي السنام حتى يسيل دمها ويعجل ذلك علامة يعرف بها أنها
هدي ومنه حديث مكحول لا سلب إلا لمن أشعر علقا أو قتل أي طعنه حتى يدخل السنان جوفه.

٤٤٢- أقول ثم قال ابن أبي الحديد^(١) قال نصر بن مزاحم في الجزء من كتاب صفين وهو ثقة ثبت صحيح النقل

غير منسوب إلى هوى ولا إدغال وهو من رجال أصحاب الحديث حدثنا عمرو بن شمر عن أبي ضرار عن عمار بن
ربيعة قال غلس علي ﷺ صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وقيل عاشر صفر ثم
زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق والناس على راياتهم وأعلامهم وزحف إليهم أهل الشام وقد كانت الحرب
أكلت الفريقين ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعا قد ملوا الحرب وكرهوا القتال وتضعضت أركانهم.
قال فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميث ذنوب عليه السلاح لا يرى منه إلا عيناه وبيده الرمح فجعل
يضرب رءوس أهل العراق بالقناة ويقول سوا صفوفكم رحمكم الله حتى إذا عدل الصفوف والرايات استقبلهم
بوجهه وولى أهل الشام ظهره ثم حمد الله وأثنى عليه وقال:

الحمد لله الذي جعل فينا ابن عم نبيه أقدمهم هجرة وأولهم إسلاما سيف من سيوف الله صبه الله على أعدائه
فانظروا إذا حمي الوطيس وثار القتام وتكسر المران وجالت الخيل بالأبطال فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة
فاتبعوني وكونوا في أثري قال ثم حمل على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع فإذا هو الأشتر.

قال وخرج رجل من أهل الشام ونادي بين الصنفين يا أبا الحسن يا علي إبرز إلي فخرج إليه علي ﷺ حتى اختلفت
أعناق دابتيهما بين الصنفين فقال إن لك يا علي لقدما في الإسلام والهجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه
حقن هذه الدماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى رأيك قال وما هو قال ترجع إلى عراقك فنخلي بينك وبين العراق
ونرجع نحن إلى شامنا فتخلي بيننا وبين الشام.

فقال علي ﷺ قد عرفت ما عرضت إن هذه النصيحة وشفقة ولقد أهمني هذا الأمر وأسهرني وضربت أنفه وعينه

(١) رواه في شرحه على المختار: (٣٥) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٩ ط الحديث ببيروت.

ورواه نصر بن مزاحم في الجزء: (٧) من كتاب صفين ٤٧٣ ط مصر. ولدى مصادر آخر يجد الباحث بعضها في ذيل المختار: (٢١٤) من كتاب
نهج السعادة ص ٢٢٥ ط ١.

فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ إن الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر فوجدت القتال أهون علي من معالجة الأغلال في جهنم. قال فرجع الرجل وهو يسترجع وزحف الناس بعضهم إلى بعض فارتما بالنبل والحجارة حتى فئيت ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت واندقت ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيوف وعمد الحديد فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بضربه على بعض لهر أشد هولاً في صدور الرجال من الصواعق ومن جبال تهامة يدك بعضها بعضاً وانكسفت الشمس بالتقيع وثار القطام والقسطل فضلت الأولوية والرايات^(١) وأخذ الأشر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالإقدام على التي تليها فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة من اليوم المذكور إلى نصف الليل لم يصلوا لله صلاة فلم يزل الأشر يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة خلف ظهره وافترقوا على سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة وهي ليلة الهرير المشهورة وكان الأشر في ميمنة الناس علياً في القلب والناس يقتتلون ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع الضحى والأشر يقول لأصحابه وهو يزحف بهم نحو أهل الشام ازحفوا قيد رمحي هذا ويلي رمحه فإذا فعلوا ذلك قال ازحفوا قاب هذه القوس^(٢) فإذا فعلوا ذلك سألهم مثل ذلك حتى مل أكثر الناس من الإقدام فلما رأى ذلك قال أعيذك بالله أن تعرضوا الغنم سائر اليوم. ثم دعا بفرسه وركز رايته وكانت مع حيان بن هوزة النخعي وسار بين الكتائب وهو يقول ألا من يشري نفسه لله و يقاتل مع الأشر حتى يظهر أمر الله أو يلحق بالله فلا يزال الرجل من الناس يخرج إليه فيقاتل معه.

٤٤٣هـ قال نصر وحدثني عمر بن سعد عن أبي ضرار عن عمار بن ربيعة قال مر بي الأشر فأقبلت معه حتى رجع إلى المكان الذي كان به فقام في أصحابه فقال شدوا فداء لكم عمي وخالي شدة ترضون بها الله وتعزون بها الدين إذا أنا حملت فاحملوا ثم نزل يضرب وجه دابته وقال لصاحب رايته أقدم فتقدم بها ثم شد على القوم وشد معه أصحابه فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى معسكرهم فقاتلوا عند المعسكر قتالاً شديداً وقتل صاحب رايته وأخذ علياً لما رأى الظفر قد جاء من قبله يمهده بالرجال.

٤٤٤هـ وروى نصر عن رجاله قال لما بلغ القوم إلى ما بلغوا إليه قام علياً خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس قد بلغ بكم الأمر وبعوكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم إلا آخر نفس وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله قال فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص وقال يا عمرو إنما هي الليلة حتى يغدو علينا بالفضل فما ترى قال إن رجالاً لا يقومون لرجاله ولست مثله وهو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم ولكن ألق إلى القوم أمراً إن قبلوه اختلفوا وإن ردوه اختلفوا ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم فإنك بالغ به حاجتك في القوم وإني لم أزل أدخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه ففرغ معاوية ذلك وقال له صدقت

٤٤٥هـ قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر بن عمير الأنصاري قال والله لكانني أسمع علياً يوم الهرير وذلك بعد ما طحنت رحي مذحج فيما بينها وبين عك ولخم و جذام والأشعرين بأمر عظيم تشيب منه النواصي حتى استقلت الشمس وقام قائم الظهيرة وعلياً يقول لأصحابه حتى متى نخلي بين هذين الحيين قد فنيا فئيتاً وأنتم وقوف تنظرون أما تخافون مقت الله ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله عز وجل ثم نادى: يا الله يا رحمان يا واحد يا صمد يا الله يا إله محمد إليك اللهم نقلت الأقدام وأفضت القلوب ورفعت الأيدي ومدت الأعناق وشخصت الأبصار وطلبت الحوائج.

اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت أهواننا رَئِبًا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ. سيروا على بركة الله ثم نادى لا إله إلا الله والله أكبر كلمة التقوى.

(١) هذا هو الصواب. وفي أصلي المطبوع: «سار... فظلمت الأولوية...» والتمام كالقسطل: الغبار.
(٢) القيد والتيد والقاد والقاب: القُدْر.

قال فلا والذي بعث محمدا بالحق نبيا ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب يده في يوم واحد ما أصاب إبه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنيا فيقول معذرة إلى الله وإليك من هذا لقد هممت مرات أن أفلقه^(١) ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله ﷺ يقول كثيرا لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي وأنا أقاتل به دونه.

قال فكنا نأخذه ونقومه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به عرض الصف فلا والله ما ليث بأشد نكاية منه في عدوه^(٢).
٤٤٦هـ - وعن عمرو بن شمر عن جابر عن تميم بن حذيم^(٣) قال لما أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام أهل الشام في وسط الفيلق حيال موقف علي عليه السلام ومعاوية فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت في أطراف الرماح وهي عظام مصاحف العسكر وقد شدوا ثلاثة رماح جميعا وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يسمكه عشرة رهط.

٤٤٧هـ - قال نصر وقال أبو جعفر وأبو الطفيل استقبلوا عليا بمائة مصحف وضوا في كل مجنبه مائتي مصحف وكان جميعها خمسمائة مصحف.

قال أبو جعفر عليه السلام ثم قام الطفيل بن أدهم حيال علي عليه السلام وقام أبو شريح حيال الميمنة وورقاء بن المعتمر حيال الميسرة ثم نادوا يا معشر العرب الله الله في النساء والبنات والأبناء من الروم والأتراك وأهل فارس غدا إذا فنيتم الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال علي عليه السلام اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين.
فاختلف أصحاب علي عليه السلام في الرأي فطائفة قالت القتال وطائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب فعند ذلك بطلت الحرب وضعت أوزارها

٤٤٨هـ - قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال لما كان اليوم الأعظم قال أصحاب معاوية والله لا نبرح اليوم العرصة حتى نموت أو يفتح لنا وقال أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام مثل ذلك فباكروا القتال غدوة في يوم من أيام الشعري طويل شديد الحر فتراهما حتى فنيت البنات وتطاعنا حتى تقصفت الرماح ثم نزل القوم عن خيولهم ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى تكسرت جفونها وقام الفرسان في الركب ثم اضطربوا بالسيوف وعمد الحديد فلم يسمع السامعون إلا تغمغم القوم و صليل الحديد في الهام وتكادم الأنفاه وكسفت الشمس وثار القتام وضلت الألوية والرايات ومرت مواقيت أربع صلوات ما يسجد فيهن لله إلا تكبيرا نادى المشيخة في تلك الغمرات يا معشر العرب الله الله في الحرمات من النساء والبنات.

٥٣١هـ - قال جابر فيبكي أبو جعفر عليه السلام وهو يحدثنا بهذا الحديث قال وأقبل الأشتر على فرس كميح محذوف قد وضع مغفره على قربوس السرج وهو يقول اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمى الوطيس ورجعت الشمس من الكسوف واشتد القتال وأخذت السباع بعضها بعضا.

فقال رجل في تلك الحال أي رجل هذا لو كانت له نية فقال له صاحبه وأي نية أعظم من هذه ثكلتك أمك وهبلك أن رجلا فيما قد ترى قد سبغ في الدماء وما أضجرت الحرب وقد غلت هام الكأمة من الحر وبلغت القلوب الحناجر وهو كما تراه جذعا^(٤) يقول هذه المقالة اللهم لا تبتن بعد هذا.

(١) هكذا صُوِّبه محقق كتاب صفين نقلاً عن ترجمة الرجل من كتاب الإصابة: ج ١، ص ١٠٣٠، وفي ط: ج ١، ص ٢١٥. وذكره أيضاً أبو عمر في كتاب الاستيعاب بهامش الإصابة: ج ١، ص ٢٢٣. وفي الطبعة القديمة من كتاب صفين: «عن جابر بن نعيم...».

وفي ط الكمباني من كتاب البحار: «عن جابر. عن تميم الأنصاري...».

(٢) كذا في جميع ما رأيناه من المصادر الأصلية، وصُوِّبه بعضهم «أصقله» قال: إنما أراد أن يصقله ليزيل عنه ما بين من الفقار وهي الخفر الضفار.

(٣) وتقدّم قريب منه في آخر الصفحة ٤٨٧ ط الكمباني. وقريب منه يجي أيضاً في ص ٦٢٧.

وقريباً منه رواه أيضاً الجلودي في كتاب صفين من تأليفه كما رواه عنه المصنف في القسم الثاني من المجلد (١٩) من بحار الأنوار ص ٣٣٥ وفي ج ١٨، ص ٣٧٩.

(٤) هذا هو الظاهر المذكور في طبعة مصر من كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد أي هو تَشَيُّطٌ ومَجْدٌ في حربه وجهاده مع النافقين والباغين كمنشأ الشاب الحدث السن في بداية عمله وابتداء شغله. وأصل الجذع - على زنة سبب - الأخذ في الشيء حديثاً.

٤٤٩- قال نصر و روى الشعبي عن صعصعة أنه بدر من الأشعث بن قيس ليلة الهرير قول نقله الناقلون إلى معاوية فاعتنمه و بنا عليه تدبيره و ذلك أنه خطب أصحابه من كندة تلك الليلة و قال في خطبته قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي و قد فني فيه من العرب فو الله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيتم مثل هذا اليوم قط ألا فليبلغ الشاهد الغائب و إنا إن نحن توافقنا غدا إنه لغناء العرب و ضيعة الحرمات. أو قال نحو ذلك مما يخذلهم عن القتال.

فلما بلغ ذلك معاوية قال أصاب و رب الكعبة فدبر تلك الليلة ما دبر من رفع المصاحف على الرماح فأقبلوا بالمصاحف ينادون كتاب الله بيننا و بينكم.

قال فجاء عدي بن حاتم فقال يا أمير المؤمنين إنه لم تصب منا عصابة إلا و قد أصيب منهم مثلها و كل مقروح و لكننا أمثل بقية منهم و قد جزع القوم و ليس بعد الجزع إلا ما تحب فناجزهم.

و قام الأشعث فقال يا أمير المؤمنين إن معاوية لا خلف له من رجاله و لك بحمد الله الخلف و لو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك و لا نصرك فاقرع الحديد بالحديد و استعن بالله المجيد.

وقال عمرو بن الحمق يا أمير المؤمنين إنا والله ما أجنأك ولا نصرناك على الباطل ولا أجنأنا إلا الله ولا طلبنا إلا الحق ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه لاستشرى فيه اللجاج و طال فيه التجوى و قد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأي.

فقام الأشعث مغضبا فقال يا أمير المؤمنين إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس و ليس آخر أمرنا كأوله و ما من القوم أحد أثنى على أهل العراق و لا أوتر لأهل الشام مني فأجب القوم إلى كتاب الله عز و جل فإنك أحق به منهم و قد أحب الناس البقاء و كرهوا القتال.

فقال علي رضي الله عنه هذا أمر ينظر فيه و نادى الناس من كل جانب الموادة الموادة.

و في حديث عمر بن سعد قال لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح قال علي رضي الله عنه.

أيها الناس إني أحق من أجاب إلى كتاب الله و لكن معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبي معيط و ابن أبي سرح و ابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن إني أعرف بهم منكم صحتهم صغارا و رجالا فكانوا شر صغار و شر رجال و يحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل إنهم ما رفعوها و إنهم يعرفونها و لا يعملون بها و لكنها الخديعة و الوهن و المكيذة أغيروني سواعدمك و جماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه و لم يبق إلا أن يقطع دابر الظالمين.

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفا مقتنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم و قد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن ذكوي و زيد بن حصين و عصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد فناده باسمه لا بإمرة المؤمنين قالوا يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه و إلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فو الله لنفعلنها إن لم تجبههم.

فقال لهم علي رضي الله عنه و يحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله و أول من أجاب إليه و ليس يحل لي و لا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم و نقضوا عهده و نبذوا كتابه و لكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم و أنهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

فانوا فابعث إلى الأشتر ليأتيك و قد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله.

٤٥٠- قال نصر فحدثني فضيل بن خديج قال سأل مصعب بن الزبير إبراهيم بن الأشتر عن الحال كيف كانت فقال كنت عند علي رضي الله عنه حين بعث إلى الأشتر ليأتيه و قد كان الأشتر أشرف على عسكر معاوية ليدخله فأرسل إليه علي رضي الله عنه يزيد بن هاشم أن اتنني فاتاه فأبلغه فقال له الأشتر آتية فقل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقعي إني قد رجوت الفتح فلا تعجلني فرجع يزيد إليه رضي الله عنه فأخبره فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الريح و علت الأصوات من قبل الأشتر و ظهرت دلائل الفتح و النصر لأهل العراق و دلائل الخذلان و الإدبار على أهل الشام فقال

القوم لعلي ما نراك أمرته إلا بالقتال قال أرايتموني ساررت رسولي إليه أليس إلا كلمته على رؤوسكم^(١) علانية وأنتم تسمعون قالوا فابعت إليه فليأتك وإلا والله اعترلناك فقال ويحك يا يزيد قل له أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت فأتاه فأخبره فقال الأشتر أبرقع هذه المصاحف^(٢) قال نعم قال أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافا و فرقة إنها مشورة ابن النابغة ثم قال ليزيد بن هانئ ويحك ألا ترى إلى الفتح ألا ترى إلى ما يلقون ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا أنيغني أن ندع هذا ونصرف عنه فقال له يزيد أنتحب أنك ظفرت هاهنا وأن أمير المؤمنين ﷺ بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه و يسلم إلى عدوه فقال سبحان الله لا والله لا أحب ذلك قال فإنه قد قالوا له وحلفوا عليه لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك.

فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح يا أهل الذل والوهن أحيين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وتركوا سنة من أنزلت عليه فلا تجيبوهم أمهلوني فوفا فإني قد أحسست بالفتح قالوا لا نملكه قال فأمهلوني عدوة الفرس فإني قد طمعت في النصر قالوا إذا ندخل معك في خطيتك قال فحدثوني عنكم وقد قتل أمثالكم وبقي أرادكم متى كنتم محقين أحيين كنتم تقتلون أهل الشام فأنتم الآن حين أمسكنم عن قتالهم ميطلون أم أنتم الآن في إمساكم عن القتال محقون قتلاكم إذن الذين لا تتكرون فضلهم وأنهم خير منكم في النار قالوا دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله و ندع قتالهم في الله إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا فقال خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ألا فقبها يا أشباه النبي الجلالة ما أنتم براءين بعدها عزا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسيوه و سبهم و ضربوا بسياطهم وجه دابته و ضرب بسوطه وجوه دوابهم و صاح بهم علي ﷺ فكفوا.

و قال الأشتر يا أمير المؤمنين أحمل الصف على الصف تصرع القوم فتصايحوا أن أمير المؤمنين قد قبل الحكومة و رضي بحكم القرآن فقال الأشتر إن كان أمير المؤمنين قد قبل و رضي فقد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين فأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين ﷺ قد قبل أمير المؤمنين ﷺ و هو ساكت لا يفيض بكلمة مطرق إلى الأرض^(٣) ثم قام فسكت الناس كلهم فقال:

أيها الناس إن أمري لم يزل معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب و قد والله أخذت منكم و تركت و أخذت من عدوكم فلم تترك و إنها فيهم أنكى و أنهك ألا و إني كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا و كنت ناهيا فأصبحت مناهيا و قد أحببتكم البقاء و ليس لي أن أحملكم على ما تكرهون.

ثم قعد ثم تكلم رؤساء القبائل فكل قال ما يراه و يهواه إما من الحرب أو من السلم.

٤٥١- قال ابن أبي الحديد^(٤) و ذكر ابن ديزيل في كتاب صفين قال خرج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و معه لواء معاوية فارتجز فخرج إليه جارية بن قدامة ثم أطعنا فلم يصنعنا شيئا و انصرف كل واحد منهما عن صاحبه فقال عمرو بن العاص لعبد الرحمن أقحم يا ابن سيف الله فتقدم عبد الرحمن بلوائه و تقدم أصحابه فأقبل علي ﷺ على الأشتر فقال له قد بلغ لواء معاوية حيث ترى فدونك القوم فأخذ الأشتر لواء علي ﷺ و ارتجز و ضارب القوم حتى ردهم فانتدب له همام بن قبيصة و كان مع معاوية فشد عليه في مذبح فانتصر عدي بن حاتم للأشتر فحمل عليه في طي فاشتد القتال جدا.

فدعا علي ﷺ ببغلة رسول الله ﷺ فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله ﷺ و نادى أيها الناس من يشري نفسه لله إن هذا يوم له ما بعده فانتدب معه ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفا فتقدم علي ﷺ و قال دبوا دبيب النمل لا تفوتوا دبوا و أصيحوا في أمركم و بيتوا

(١) كذا في أصلي من طبعة الكلباني. وفي كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد: «أليس إنما كلمته».

(٢) كذا في أصلي ومثله في شرح ابن أبي الحديد. وفي تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٠ وكتاب صفين ص ٤٩٠: «ألزفع...».

(٣) كذا في ط الكلباني من البحار. ومثله في الطبعة القديمة من كتاب صفين على ما حكى عنها وفي شرح ابن أبي الحديد: لا يفيض.

(٤) رواه في أواسط شرح المختار: (٣٥) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٤٢٩ ط الحديث ببيروت.

حتى تناولوا الثأر أو تموتوا

و حمل الناس كلهم حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه حتى أقضوا إلى معاوية فدعا معاوية بفرسه ليبر عليه فكان معاوية بعد ذلك يحدث ويقول لما وضعت رجلي في الركاب ذكرت قول عمرو بن الأظفانية:

أبت لي عفتي وأبى بلاتي
و إقدامي على المكروه نفسي
و قولي كلما جشأت و جاشت
و أخذني الحمد بالثمن الربيع
و ضربني هامة البطل المشيح
مكانك تحمدي أو تستريحي

فأخرجت رجلي من الركاب و أقمت و نظرت إلى عمرو فقلت له اليوم صبر و غدا فخر فقال صدقت فكان ذلك يوم الهرير و رفعت المصاحف بعده.

و روى إبراهيم بن ديزيل عن ابن لهيعة^(١) عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط قال شهدنا صفين فمطرت السماء علينا. دما عبيطا.

قال و في حديث الليث بن سعد إن كانوا ليأخذونه بالصحاف و الآتية.

و في حديث ابن لهيعة حتى إن الصحاف و الآتية لتمتلئ و نهريقها و ذلك في يوم الهرير و فرغ أهل الشام و هوأ أن يتفرقوا فقام عمرو بن العاص فيهم فقال أيها الناس إنما هذه آية من آيات الله فأصلح امرؤ ما بينه و بين الله ثم لا عليه أن ينتطح هذا الجبلان فأخذوا في القتال.

و عن ابن عباس قال حدثني معاوية أنه كان يومئذ قد قرب إليه فرس له أنشئ بعيدة البطن من الأرض ليهرب عليها حتى أتاه آت من أهل العراق فقال له إني قد تركت أصحاب علي^{عليه السلام} في مثل ليلة الصدر من منى فأقمت.

قال نصر و إبراهيم أيضا و كتب معاوية إلى علي^{عليه السلام} أما بعد إن هذا الأمر قد طال بيننا و بينك و كل منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه و لن يعطي واحد منا الطاعة للآخر و قد قتل فيما بيننا بشر كثير و أنا أتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى و إنا سوف نسأل عن هذه المواطن و لا يحاسب به غيري و غيرك و قد دعوتك إلى أمر لنا و لك فيه حياة و عذر و براءة و صلاح للأمة و حق الدماء و ذهاب للضغائن و الفتن و أن تحكم بيني و بينك حكيمين مرضيين أحدهما من أصحابي و الآخر من أصحابك فيحكمان بيننا بما أنزل الله فهو خير لي و لك و أقطع لهد الفتن فاتت الله فيما دعيت إليه و ارض بحكم القرآن إن كنت من أهله و السلام فكتب إليه علي^{عليه السلام}:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن أفضل ما شغل به المرء المسلم نفسه اتباع ما حسن به فعله و استوجب فضله و سلم من عيبه و إن البغي و الزور يزيран بالمرء في دينه و دنياه و يبدیان من خلله عند من يغنيه ما استرعاه الله ما لا يغني عنه تدبيره.

فاحذر الدنيا فإنه لا فرح في شيء و وصلت إليه منها و لقد علمت أنك غير مدرك ما قضى فواته و قد رام قوم أمرا بغير الحق و تأولوه على الله جل و عز فأكدبهم و متعمهم قليلا ثم اضطهرهم إلى عذاب غليظ.

فاحذر يوما يفتبط فيه من أحمد عاقبة عمله و يندم فيه من أمكن الشيطان من قياده و لم يحاده و غرته الدنيا و اطمان إليها.

ثم إنك قد دعوتني إلى حكم القرآن و قد علمت أنك لست من أهل القرآن و لا حكمه تريد و المستعان الله فقد أجبنا القرآن إلى حكمه و لسنا إياك أجبنا نعم فيبيننا و بينك حكم القرآن^(٢) و من لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا.

٥٣٧
٣٢

٥٣٨
٣٢

(١) هذا هو الظاهر المذكور في شرح ابن أبي الحديد، ط بيروت، وفي ط الكيماني من البحار: «وروى عن إبراهيم، عن أبي لهيعة...».

(٢) كذا في ط الكيماني من البحار، وجملة: «نعم فيبيننا وبينك حكم القرآن» غير موجودة في شرح ابن أبي الحديد طبع الحديث ببيروت ج ١، ص ٤٣٢، وفيه: «والله المستعان فقد أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا إياك أجبنا». ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا». ورواه نصر في آخر الجزء (٧) من كتاب صفين من ٤٩٣ ط مصر، وفيه: «ولسنت حكمه تريد، والله المستعان، وقد أجبنا القرآن إلى حكمه...».

فكتب معاوية إلى أمير المؤمنين أما بعد عافانا الله وإياك فقد آن لك أن تجيب إلى ما فيه صلاحنا وألفه ما بيننا وقد فعلت الذي فعلت وأنا أعرف حقي ولكني اشتريت بالعفو صلاح الأمة ولم أكثر فرحا بشيء جاء ولا ذهب وإنما أدخلني في هذا الأمر القيام بالحق فيما بين الباغي والمبغى عليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوت إلى كتاب الله فيما بيننا وبينك فإنه لا يجمعنا وإياكم إلا هو نحيي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن والسلام.

قال نصر فكتب عليه السلام إلى عمرو بن العاص يعظه ويرشده:

أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها ولن يصب صاحبها منها شيئا إلا فتحت له حرصا يزيده فيها رغبة ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يبلغ ومن وراء ذلك فراق ما جمع والسعيد من وعظ بغيره فلا تحبط أبا عبد الله أجرك ولا تجار معاوية في باطله والسلام فكتب إليه عمرو بن العاص الجواب أما بعد فالذي فيه صلاحنا وألفتنا الإنابة إلى الحق وقد جعلنا القرآن بيننا حكما وأجبنا إليه فصبر الرجل منا نفسه على ما حكم عليه القرآن وعذره الناس بعد المحاجة والسلام.

فكتب إليه عليه السلام أما بعد فإن الذي أعجبك من الدنيا مما نازعتك إليه نفسك وثقت به منها لمقلب عنك ومفارق لك فلا تطمئن إلى الدنيا فإنها غرارة ولو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقي وانتفعت منها بما وعظت به والسلام فأجابه عمرو أما بعد فقد أنصف من جعل القرآن إماما ودعا الناس إلى أحكامه فاصبر أبا حسن فإننا غير منيليك إلا ما أنالك القرآن والسلام قال نصر وجاء الأشعث إلى عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ما أرى الناس إلا وقد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوههم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألت ما يريد ونظرت ما الذي يسأل قال إن شئت فأتاه فسأله يا معاوية لأي شيء رفعتهم هذه المصاحف قال لرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به فيها فابعثوا رجلا منكم ترضون به ونبعث منا رجلا وتأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله ولا يعذنه ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال الأشعث هذا هو الحق وانصرف إلى عليه السلام فأخبره فبعث عليه السلام قراء من أهل العراق وبعث معاوية قراء من أهل الشام فاجتمعوا بين الصفيين ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوه واجتمعوا على أن يحيا ما أحيا القرآن ويميتوا ما أمات القرآن ورجع كل فريق إلى صاحبه فقال أهل الشام إنا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص وقال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد وقد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم عليه السلام فإني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسرور بن فدكي في عصابة إنا لا نرضى إلا به فإنه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه فقال عليه السلام فإنه ليس لي برضا وقد فارقني وخذل الناس عني وهرب مني حتى أمنت بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك قالوا والله ما نبالي أكننت أنت أو ابن عباس ولا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ليس إلى واحد منكما أدنى من الآخر فقال عليه السلام فإني أجعل الأشعث فقال الأشعث وهل سعر الأرض علينا إلا الأثر وهل نحن إلا في حكم الأشعث قال عليه السلام وما حكمه قال حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيف حتى يكون ما أردت وما أراد.

٤٥٢- قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر محمد بن عليه السلام قال لما أراد الناس عليا أن يضع الحكمين قال لهم إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وإنه لا يصلح للقرشي إلا القرشي فعليكم بعبد الله بن العباس فارموه به فإن عمروا لا يعقد عقدة إلا حلها عبد الله ولا يحل عقدة إلا عقدها ولا يبرم أمرا إلا نقضه ولا ينقض أمرا إلا أبرمه.

فقال الأشعث لا والله لا يحكم فينا مضرين حتى تقوم الساعة ولكن نجعل رجلا من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا من أهل مضر فقال عليه السلام إني أخاف أن يخدع يمينكم فإن عمروا ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى فقال الأشعث والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضرين.

قال وذكر الشعبي أيضا مثل ذلك.

قال نصر وفي حديث عمرو فقال عليه السلام قد أبيتتم إلا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما شئتم.

فبعثوا إلى أبي موسى وهو بأرض من أرض الشام يقال لها عرض^(١) قد اعتزل القتال فأتاه مولى له فقال إن الناس قد اصطَلَحُوا قال الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قال وقد جعلوك حكما فقال إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر علي^(٢).

٥٤١
٣٢

وجاء الأشتر عليا فقال يا أمير المؤمنين الزني بعمر بن العاص^(٣) فوالله الذي لا إله غيره لئن ملئت عيني منه لأقتلنه. وجاء الأحنف بن قيس عليا فقال يا أمير المؤمنين إنك قد رميت بحجر الأرض ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام وإنني قد عجمت هذا الرجل يعني أبا موسى وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر كليل المدينة وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم فإن شئت أن تجعلني حكما فاجعلني وإن شئت أن تجعلني ثانيا أو ثالثا فإن عمرو لا يعقد عقدة إلا عقدت لك أشد منها. فعرض علي^(٤) ذلك على الناس فأبوه وقالوا لا يكون إلا أبو موسى.

فبعث أيم بن خريم الأسدي^(٥) وكان معتزلا لمعاوية بأبيات تدل على أن صلاحهم في اختيار ابن عباس وترك أبي موسى فطارت أهواء قوم من أولياء علي^(٦) وشيعته إلى ابن عباس وأبت القراء إلا أبا موسى. قال نصر فلما رضي أهل الشام بعمر وأهل العراق بأبي موسى أخذوا في سطر كتاب المودعة وكانت صورته: هذا ما تقاضى عليه على أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان.

فقال معاوية بنس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته وقال عمرو لا بل نكتب اسمه واسم أبيه إنما هو أميركم فأما أميرنا فلا فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه فقال الأحنف لا تصح اسم إمرة المؤمنين عنك فإني أتخوف أن محوتها أن لا ترجع إليك أبدا فلا تمحها.

٥٤٢
٣٢

فقال علي^(٧) إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتبت الكتاب عن رسول الله ﷺ هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو فقال سهيل لو أعلم إنك لرسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك إني لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله وأنت رسوله ولكن اكتب من محمد بن عبد الله.

فقال لي رسول الله ﷺ يا علي إني لرسول الله وأنا محمد بن عبد الله. ولن يحموا عني الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبد الله فكتبها فامح ما أراد محوه أما إن لك مثلها تستعطيها وأنت مضطهد

٤٥٣- قال نصر وروي أن عمرو عاد بالكتاب إليه ﷺ وطلب أن يمحو اسمه من إمرة المؤمنين فقصص علي عليه وعلى من حضر قصة صلح الحديبية وقال إن ذلك الكتاب أنا كتبت بيننا وبين المشركين واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله ﷺ كتبه إلى أبنائهم شيئا ومثلا فقال عمرو سبحان الله أتشبهنا بالكفار ونحن مسلمون فقال علي ﷺ يا ابن النابتة ومتى لم تكن للكافرين ولنا وللمسلمين عدوا فقام عمرو وقال والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم فقال علي ﷺ أما والله إني لأرجو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك^(٨).

وجاءت عصاة قد وضعت سيوفها على عواتقها فقالوا يا أمير المؤمنين مرنا بما شئت فقال لهم سهل بن حنيف أياها الناس اتهموا رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا^(٩).

٥٤٣
٣٢

٤٥٤- وروى أبو إسحاق الشيباني أنه قيل لعلي ﷺ حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام أقرر أنهم مؤمنون مسلمون فقال علي ﷺ ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما شاء ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه.

فكتبوا هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضي معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من

(١) قيل: إنه بلد بين تدمر ورسافة الشام.

(٢) كذا في كتاب صفين ٥٠٣ وشرح ابن أبي الحديد، وفي ط الكمباني من كتاب البحار: «أيم بن جرير الأسدي...».

(٣) كذا في أصلي ومثله في كتاب صفين، والصلاب هو ما ورد في نفس القصة من تاريخ الطبري: «إني لأرجو أن يظهر مجلسي منك...».

(٤) وهذه القطعة من كلام سهل بن حنيف وجدتها في صحيح البخاري.

ورواها أيضا الطبراني

(٥) أي ألقني به وأزمني إياه.

شيئته من المؤمنين والمسلمين أنا نزل عند حكم الله و كتابه^(١) ولا يجمع بيننا إلا إياه وأن كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيا ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن فإن وجد الحكماء أن ذلك في كتاب الله اتبعناه وإن لم يجدها أخذوا بالسنة العادلة غير المفارقة والحكماء عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص.

وقد أخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجندين أنهما أمانان على أنفسهما وأموالهما وأهلها والأمة لهما أنصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله أن يعملوا بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وأن الأمن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم.

وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكم بين الأمة بالحق لا بالهوى.

وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحب الحكماء أن يعجلوا الحكم عجلوا وإن توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار معه رجلا لا يألو الحق والعدل وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرتضون أمره ويحذون طريقه اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيها إلحادا أو ظلما.

٤٥٥ قال نصر هذه رواية محمد بن علي بن الحسين عليه السلام والشعبي وروى جابر عن زيد بن الحسن بن زياد على هذه النسخة.

أقول: وذكر تلك الرواية وساقها إلى أن قال وشهد فيه من أصحاب علي عليه السلام عشرة ومن أصحاب معاوية عشرة وتاريخ كتابته لليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين^(٢).

قال ولما كتبت الصحيفة دعي لها الأشتر ليشهد مع الشهود عليه فقال لا صحبتني يعني ولا نفعتني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم علي صلح أو موادعة أو لست على بينة من أمري ويقين من ضلال عدوي أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور؟!

وجرى بينه وبين الأشعث كلام ثم قال ولكني قد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين ودخلت فيما دخل فيه وخرجت مما خرج منه فإنه لا يدخل إلا في الهدى والصواب.

قال فلما تم الكتاب خرج الأشعث ومعه ناس بنسخة الكتاب يقرأها على الناس ويعرضها عليهم فمر به على صفوف من أهل الشام وهم على راياتهم فأسمعهم إياه فرفضوا به ثم مر على صفوف من أهل العراق وهم على راياتهم فأسمعهم إياه فرفضوا به حتى مر برايات عزة وكان معه عليه السلام منهم أربعة آلاف فقال فتيان منهم لا حكم إلا لله ثم حملا على أهل الشام بسبوقهما حتى قتلا ثم مر به على مراد فقال صالح بن شقيق وكان من رءوسهم لا حكم إلا لله ولو كره المشركون.

ثم مر على رايات بني راسب فقرأ عليهم فقالوا لا حكم إلا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال في دين الله ثم مر على رايات تميم فقرأهم عليهم فقال رجل منهم لا حكم إلا لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين يشد عليه رجل بسيفه فرجع إلى علي عليه السلام فأخبره بما جرى فقال عليه السلام هل هي غير راية أو رأيين أو نيز من الناس قال لا قال فدعهم فظن عليه السلام أنهم قليلون فما راعه إلا نداء الناس من كل ناحية لا حكم إلا لله الحكم لله يا علي لا لك لا نرضى بأن نحكم الرجال في دين الله إن الله قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا تحت حكمنا عليهم وقد كنا زلنا حين رضينا بالحكمين وقد بان لنا زلنا وخطونا فرجعنا إلى الله وتبنا فارجع أنت يا علي كما رجعنا وتب إلى الله كما تبنا وإلا برأنا منك.

فقال عليه السلام ويحكم أبعد الرضا والميثاق والعهد ترجع أليس الله تعالى قد قال «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» المائدة وقال «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا» النحل فأبى أن يرجع وأبت الخوارج إلا تذليل التحكيم والظعن فيه فبرءوا من علي وبرئ منهم علي.

(١) هذا هو الظاهر المذكور في كتاب صفين ص ٥١٠ مصر. وفي شرح ابن أبي الحديد: «إننا نزل عند حكم الله تعالى...» وفي ط الكمباني من البحار: «إنما ينزل...».

(٢) كذا في كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد طبع الحديث ببغروت.

وفي طبع الكمباني من البحار: «من صفر سنة تسع [سبع] «ل» وثلاثين».

٤٥٦- وعن عمر بن سعد بإسناده قال أتى سليمان بن صرد علياً أمير المؤمنين عليه السلام بعد كتاب الصحيفة وجهه مضروب بالسيف فلما نظر إليه علي عليه السلام قال «مِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بُدَيْلاً» و أنت ممن ينتظر ومن لم يبدل فقال يا أمير المؤمنين أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة أبداً أما والله لقد مشيت في الناس ليعودوا إلى أمرهم الأول فما وجدت أحداً عنده خيراً إلا قليلاً.

وقام محرز بن حويش^(١) فقال يا أمير المؤمنين عليه السلام أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل فوالله إني لأخاف أن يورث ذلاً فقال عليه السلام أبعد أن كتبناه ننقذه إن هذا لا يحل.

٤٥٧- قال نصر وحدثني عمرو بن نمر عن أبي الرواك قال لما كتبت صحيفة الصلح والتحكيم قال علي عليه السلام إنما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم من الخور والفشل عن الحرب فجاءت إليه همدان كأنها ركن حصير^(٢) فيهم سعيد بن قيس وابنه عبد الرحمن فقال سعيد ما أنا ذا وقومي لا نرد أمرك قل ما شئت نعمله فقال أما لو كان هذا قبل سطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي ولكن انصرفوا راشدين فلعمري ما كنت لأعرض قبيلة واحدة للناس

٤٥٨- قال نصر وروى الشعبي أن علياً عليه السلام قال يوم صفين حين أقر الناس بالصلح:

إن هؤلاء القوم لم يكونوا لينبيوا إلى الحق ولا ليحيوا إلى كلمة سواء حتى يرموا بالناسر تتبعها العساكر وحتى يرحموا بالكتائب تفقوها الجلائب وحتى تجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحي أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم^(٣) وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج وحتى تتلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتالهم وموتاهم في سبيل الله إلا جداً في طاعة الله وحرصاً على لقاء الله.

ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقتل آباءنا وأبنائنا وأخوانا وأعمامنا لا يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على أمض الأمل^(٤) وجداً على جهاد العدو والاستقلال بمبارزة الأقران ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين ويتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما رآنا الله صدقاً صبراً أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر ولعمري لو كنا تأتينا مثل هذا الذي أتيتم ما قام الدين ولا عز الإسلام وإيم الله لتحلبنا دماً فاحفظوا ما أقول لكم يعني الخوارج^(٥).

٤٥٩- وروى نصر عن عمرو بن شمر عن فضيل بن خديج قال قيل لعلي عليه السلام لما كتب الصحيفة إن الأشتر لم يرض بما في الصحيفة ولا يرى إلا قتال القوم فقال علي عليه السلام بلى إن الأشتر ليرضى إذا رضيت ورضيتم ولا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلا أن يعصى الله ويتعدى ما في كتابه.

وأما الذي ذكرت من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك ولا أعرفه على ذلك ولبت فيكم مثله اثنان بل لبت فيكم مثله واحد يرى في عدوي مثل رأيي إذا لخت مؤنتكم علي ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم.

وأما القضية فقد استوثقنا لكم فيها وقد طمعت أن لا تضلوا إن شاء الله رب العالمين.

وكان الكتاب في صفر والأجل في شهر رمضان لثمانية أشهر يلتقي الحكمان.

ثم إن الناس أقبلوا على قتالهم يدفنونهم^(٦).

(١) كذا في ط الكياني من كتاب البحار. وفي كتاب صفين ص ٥١٩ مصر: «محرز بن جريش».

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد: ص ٤٤٠، والظاهر أنه هو الصواب. و«خصير» قيل: هو جسر باليمن من أبنية ملوكهم القدماء.

وقيل: هو جبل باليمن. وليلاحظ مادة «حصير» من كتاب معجم البلدان.

وفي الطبع القديمة من كتاب صفين طبع الكياني من البحار: «كأنها ركن حصين...».

(٣) كذا في متن طبع الكياني من كتاب البحار. وكتب فوقه بين السطور نقلاً عن بعض النسخ، و«حتى تدعوا الخيول في نواحي أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم».

(٤) كذا في متن طبع الكياني من البحار وفي هامشه نقلاً عن نسخة من كتاب صفين: «على مضض».

(٥) وقريباً منه رواه الإسكافي المتوفى عام: (٢٤٠) في كتاب المعيار والموازنة ص ١٨٤، ط ١.

ورواه أيضاً الشيخ المفيد في الفصل: (٣٥) مما اختار من كلام أمير المؤمنين في كتاب الإرشاد، ص ١٤٢.

ورواه أيضاً السيد الرضي في المختار: (٣٥) من كتاب نهج البلاغة.

(٦) ورواه أيضاً الطبري عن أبي مخنف، عن فضيل بن خديج الكندي كما في تاريخه ج ٤ ص ٤١٠ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت: ج ٥ ص ٥٩، وفي الطبع الأول القديم.

٤٦٠- رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الفصل: (٣٥) مما اختار من كلام أمير المؤمنين ج في كتاب الإرشاد ص ١٤٢، ط النجف.

إيضاح: الوطيس شبه التنور أو الضراب في الحرب أو حجارة مدورة حيث لم يقدر أحد بطونها غير به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق وقد مر مرارا والقتام الغبار والمران كعثمان رماح القنا والغمضة أصوات الأبطال عند القتال والكلام الذي لا يبين والتقع والقسطل الغبار والمجنبة بفتح النون المقدمة والمجنبتان بالكسر الميمنة والميسرة.

وقال الجوهري صل المسمار وغيره يصل صليلا أي صوت وقال الكدم العض بأدنى الفم كما يكدم الحمار وأصخرته الشمس الممت دماغه.

وفي القاموس لزه لزا ولززا شدة وأصقه كأزده واللز الطعن ولزوم الشيء بالشيء وإلزامه به. وقال في النهاية فيه وعجمتك الأمور أي جربتكم من العجم العض يقال عجمت العود إذا عضضته لتنتظر أصلب هو أم رخو.

وقال وفي حديث الأخف إني قد عجمت الرجل وحلبت أشطره الأشطر جمع شطر وهو خلف الناقة وقيل للناقة أربعة أخلاف كل خلفين منها شطر وجعل الأشطر موضع الشطرين كما تجعل الحواجب موضع الحاجبين يقال حلب فلان الدهر أشطره أي اختبر ضروبه من خيره وشره تشبها بحلب جميع أخلاف الناقة ما كان منها حفلا وغير حفل ودارا وغير دار والمدينة السكن.

وقال وفي حديث الحديبية لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي هي صفحة العتق ومجمعها هما سالفتان من جانبيه وكنى بانفرادها عن الموت لأنها لا تنفرد عن ما يليها إلا بالموت وقيل أراد حتى يفرق بين رأسي وجسدي.

٤٦٠- شأ: [الإرشاد] ومن كلامه ﷺ أن هؤلاء القوم لم يكونوا لينبيوا إلى الحق إلى آخر ما مر برواية ابن أبي الحديد وزاد في آخره وإيم الله لتحليلها دما عبيطا فاحفظوا ما أقول

بيان: السواء العدل والوسط والمعنى إلى كلمة حق نساوي نحن وهم فيه كما قال تعالى ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ والمنسر قطعة من الجيش يكون أمام الجيش الأعظم والكتيبة طائفة من الجيش وأجلبوا إذا جاءوا من كل أوب للنصرة والأعناق النواحي وأبناء الوادي جمع حنو بالكسر وهو منعطفه والمسارب المراعى والمسرح أيضا المريع والفرق بينهما أن السروح إنما يكون في أول النهار وليس ذلك بشرط في السروب

٤٦١- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمالنا ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الألم وجدا في جهاد العدو ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا^(١).

فلما رأى الله صدقنا أنزل يعدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقيا جرائه ومتبوا أوطانه و لعمرى لو كنا نأتي ما آتيت ما قام للدين عمود ولا أخضر للإيمان عود وإيم الله لتحليلها دما ولتبعيها ندما.

توضيح: اللقم منهج الطريق والمضض حرقة الألم يتصاولان أي يحمل كل من القرين على صاحبه والتخالس التسالب أنفسهما أي كل منهما يختلس نفس صاحبه أو نفسه من يد صاحبه الأول أظهر والمنون الموت والكبت الإذلال والصرف والجرا ن مقدم عتق البعير من منجره إلى مذبحة وإلقائه كناية عن استقراره في قلوب عباد الله كالبعير الذي أخذ مكانه واستقر فيه وتبوا وطنه سكن فيه ولعله شبه الإسلام بالرجل الخائف المتزلزل الذي استقر في وطنه بعد خوفه

(١) رواه السيّد الرضی قدس الله نفسه في المختار: (٥٥) من كتاب نهج البلاغة. ومن قوله: «والآخر من عدونا» إلى قوله: «ومرّة لعدونا متا» كان المصنف ح أسقطه اكتفاء بما سبق في رواية نصر في كتاب صفین. وقال بعد قوله: «لقد كان الرجل متا» إلى قوله ج: «فلما رأى الله صدقنا...». ولأجل أن ذكر ما أسقطه المصنف كان أحسن من إسقاطه أثبتناه ووضعناه بين المعرفين دلالة على عدم وجوده في أصلي.

لتحتلبها الضمير المؤنث منهم يرجع في المعنى إلى أفعالهم وكذا في قوله لتتبعها شبهها بالناقة التي أضيف ضرعها بأفة من تفرط صاحبها فيها والمقصود عدم انتفاعهم بتلك الأفعال عاجلا و آجلا.

٤٦٢- كتاب الصفيين: قال نصر حدثني عمر بن سعد عن عبد الرحمن بن جندب قال لما أقبل علي عليه السلام من صفين أقبلنا معه فقال علي عليه السلام آتيون عائدون لربنا حامدون اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر و كآبة المنقلب و سوء المنظر في المال و الأهل^(١).

قال ثم أخذ بنا طريق البر على شاطئ الفرات حتى انتهينا إلى هيت و أخذنا على صندوق^(٢) فخرج الأماريون بنو سعد بن حزيم و استقبلوا علينا فعرضوا عليه النزول فلم يقبل فبات بها^(٣) ثم غدا و أقبلنا معه حتى جازنا النخيلة و رأينا بيوت الكوفة فإذا نحن بشيخ جالس في ظل بيت على وجهه أثر المرض فأقبل إليه علي عليه السلام و نحن معه حتى سلم و سلمنا عليه قال فرد ردا حسنا ظننا أن قد عرفه فقال له على ما لي أرى وجهك منكفئا آمن مرض^(٤) قال نعم قال فلعلك كرهته فقال ما أحب أنه يغيري قال أليس احتسابا للخير فيما أصابك منه^(٥) قال بلى أبشر برحمة ربك و غفران ذنبك فمن أنت يا عبد الله قال أنا صالح بن سليم قال أنت ممن قال أما الأصل فمن سلمان بن طيء و أما الجوار و الدعوة فمن بني سليم بن منصور قال سبحان الله ما أحسن اسمك و اسم أبيك و اسم أديعائك و اسم من اعتزيت إليه^(٦) هل شهدت معنا غزائنا هذه قال لا و الله ما شهدتها و لقد أردتها و لكن ما ترى في من لجب الحمى خذني عنها قال علي عليه السلام لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَ لَا عَلَى الْمَرْضَى وَ لَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُغْشِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ أخبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا و بين أهل الشام قال منهم المسرور فيما كان بينك و بينهم و أولئك أغشاء الناس و منهم المكبوت الأسف^(٧) لما كان من ذلك و أولئك نصحاء الناس لك فذهب لينصرف صدقت فقال جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فإن المرض لا أجر فيه و لكن لا يدع للبعد ذنبا إلا حطه إنما الأجر في القول باللسان و العمل باليد و الرجل و إن الله عز و جل يدخل بصدق النية و السريرة الصالحة عالما جما^(٨) من عباده الجنة.

ثم مضى غير بعيد فلقية عبد الله بن ودعية الأنصاري فدنا منه و سأله فقال له ما سمعت الناس يقولون في أمرنا هذا قال منهم المعجب به و منهم المكاره له و الناس كما قال الله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُ الْمُتَخَلِّفِينَ﴾ فقال له فما يقول ذوو الرأي قال يقولون إن عليا كان له جمع عظيم ففرقه و حصن حصين فهمه فحتى متى يبني مثل ما هدم و حتى متى يجمع مثل ما قد فرق فلو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك إذا كان ذلك هو الحزم فقال علي عليه السلام أنا هدمت أم هم هدموا أم أنا فرقت أم هم تفرقوا و أما قولهم لو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذا كان ذلك هو الحزم فو الله ما غبي عني ذلك الرأي و إن كنت لسخيا

(١) رواه نصر بن مزاحم في أواسط الجزء الثامن - وهو الجزء الأخير - من كتاب صفين ص ٥٢٨ ط مصر.

ورواه أبو جعفر المنصور في المتوفى عام: (٢٤٠) في كتاب المعيار والموازنة ص ١٨٢، ج ١.

ورواه أيضا الطبري في ختام أخبار صفين من تاريخه: ج ٥ ص ٦٠ ط بيروت، وفي ط: ج ٤ ص ٤٥.

ورواه أيضا ابن الأثير في كتاب صفين من تاريخ الكامل: ج ٣ ص ١٦٤.

وليعض فقرات الحديث مصادر آخر يجد الباحث ذكر بعضها في ذيل المختار: (٢٢٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٣٠٠ ط ١.

(٢) قال الباقون في كتاب معجم البلدان: هي بلدة في الطريق ما بين الشام والعراق.

(٣) هذا هو الظاهر المذكور في طبع مصر من كتاب صفين، وفي طبع الكياني من كتاب البحار: «بنو سعد بن حزيم... فعرضوا عليه النزول فبات بهم...».

وفي تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٠: «بنو سعد بن حرام فبات فيهم ثم غدا...».

(٤) مُنْكَتَبًا: منقراً. ومثله «مُنْكَتَبًا» بالثاء المشددة الفرقانية.

(٥) هذا هو الضواب الموافق لتاريخ الطبري، وفي طبع الكياني من كتاب البحار: «ما أحب أنه يعتريني. قال: أليس احتساب بالخير...».

(٦) هذا هو الظاهر المذكور في تاريخ الطبري، وفي أصلي: «وأسم أعدادك...» والأدعياء: الحلفاء.

(٧) هذا هو الظاهر المذكور في تاريخ الطبري، وفي أصلي: «أدعياء» ولعله مصحح عن «أدعياء».

(٨) ما بين المعرفين غير موجود في طبع الكياني من كتاب البحار، وإنما أخذناه من تاريخ الطبري. وقرئاً مما رواه الطبري رواه أيضاً قبله

أبو جعفر الإسكافي في كتاب المعيار والموازنة ص ١٩٣، ج ١.

وهذه القطعة من كلام أمير المؤمنين ج رواها السيد الرضي في المختار: (٤٢) الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة: وفيه: «وإن الله سبحانه يدخل

بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة».

بنفسي عن الدنيا^(١) طيب النفس بالموت ﷺ و لقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين قد استقدما في فعلت أن هذين إن هلكتا انقطع نسب محمد ﷺ من هذه الأمة فكرهت ذلك و أشققت على هذين أن يهلكا و لقد علمت أن لو لا مكاني لم يستقدا يعني بذلك ابنيه الحسن والحسين و أيم الله لئن لقيتهم بعد يومي لألقيهم و ليس هما معي في عسكر و لا دار.

٥٥٣
٣٢

قال ثم مضى حتى جزنا دور بني عوف فإذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية فقال أمير المؤمنين ﷺ ما هذه القبور فقال له قدامة بن العجلان الأزدي يا أمير المؤمنين إن خباب بن الأرت توفي بعد مخرجك فأوصى أن يدفن في الظهر و كان الناس يدفنون في دورهم و أفقيتهم فدفن الناس إلى جنبه فقال رحم الله خبابا فقد أسلم راعبا و هاجر طائعا و عاش مجاهدا و ابتلي في جسده أحوالا و لن يضع الله أجر من أحسن عملا.

فجاء حتى وقف عليهم ثم قال عليكم السلام يا أهل الديار الموحشة و المحال المقفرة من المؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات أنتم لنا سلف و فرط و نحن لكم تبع و بكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا و لهم و تجاوز عنا و عنهم ثم قال الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتا أحياء و أمواتا^(٢) الحمد لله الذي جعل منها خلقنا فيها يعيدنا و عليها يحشرنا طوبى لمن ذكر المعاد و عمل للحساب و قنع بالكفاف و رضي عن الله بذلك.

ثم أقبل حتى دخل سكة الثورين فقال خشوا بين هذه الأبيات^(٣).
و عن عمر بن سعد عن عبد الله بن العاصم الفاشي قال لما مر علي ﷺ بالثورين يعني ثور همدان سمع البكاء فقال ما هذه الأصوات قيل هذا البكاء على من قتل بصفين قال أما إني شهيد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهادة.

ثم مر بالفائشين فسمع الأصوات فقال ذلك.

٥٥٤
٣٣

ثم مر بالشاميين فسمع رنة شديدة و صوتا مرتفعا عاليا فخرج إليه حرب بن شريحيل الشامي فقال علي ﷺ تغلبكم نساؤكم ألا تنهون عن هذا الصياح و الرنين قال يا أمير المؤمنين لو كانت دارا أو دارين أو ثلاثة قدرنا على ذلك و لكن من هذا الحي ثمانون و مائة قتيل فليس من دار إلا و فيها بكاء أما نحن معاصر الرجال فإنا لا نبكي و لكن نفرح لهم بالشهادة فقال علي ﷺ رحم الله قتلاكم و موتاكم و أقبل يمشي معه و علي راكب فقال له علي ﷺ ارجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي و مذلة للمؤمن^(٤).

ثم مضى حتى مر بالناعطين فسمع رجلا منهم يقال له عبد الرحمن بن مرثد فقال ما صنع علي و الله شيئا ذهب ثم انصرف في غير شيء فلما نظر إلى أمير المؤمنين ﷺ أبلس^(٥) فقال ﷺ لأصحابه قوم فارقتهم أنفا خير من هؤلاء ثم قال:

أخوك الذي إن أجهضتك ملمة
و ليس أخوك بالذي إن تشعبت

ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة

بيان: قال في النهاية فيه أنه أنكفأ لونه عام الرمادة أي تغير عن حاله و منه حديث الأنصاري ما لي أرى لونك منكفئا قال من الجوع انتهى و الإجهاض الغلبة و لم يبرح أي لم يزل.
و الواجم الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام و التشعب التفرق.

(١) هذا هو الظاهر المذكور في تاريخ الطبري، وفي ط الكمباني من البحار: «فوالله ما غني عن ذلك رأيي وإن كنت سخي النفس بالدنيا...»
(٢) الكفات - بكسر الكاف - : الموضع الذي يودع ويضم فيه الشيء، وفي الآية: (٢٥) من سورة المرسلات: (٧٧): «ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا».

(٣) هذا هو الصواب المذكور في تاريخ الطبري وما بين المعرفين أيضاً مأخوذاً منه، وخشوا: أدخلوا. وكانت هذه اللفظة مذكورة في أصلي من البحار بالهاء المهملة «خشوا».

(٤) هذا هو الظاهر الموافق المختار: (٣٢٢) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة، وفي كتاب صفين الكمباني من البحار: «وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ». سكت كسكوت المنقطع عن الحق.

(٥) هذا هو الظاهر المذكور في كتاب صفين غير أن فيه: «إن أخرضتك» وهو من قولهم: أخرضه الحزنُ: أفسده وأسقطه بحيث ما بقي له قدرة على النهوض.

٤٦٣- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له عليه السلام فتدأوا علي تذاك الإبل الهيم يوم ورودها قد أرسلها راعيها و خلعت مثنائها حتى ظننت أنهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لدي و قد قلبت هذا الأمر بطنه و ظهره حتى منعني النوم فما وجدنتي يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد ﷺ فكانت معالجة القتال أهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا أهون علي من موتات الآخرة.

بيان: قال ابن ميثم هذا إشارة إلى صفة أصحابه بصفين لما طال منعه لهم من قتال أهل الشام كما هو الظاهر من آخر الكلام لكن كثير من الشواهد تدل على أنه لبيان حالة البيعة بعد هلاك عثمان كما سيأتي بعضها لا سيما ما كان في نسخة ابن أبي الحديد^(١) فإنه ذكر العنوان هكذا و من كلام له عليه السلام في ذكر البيعة.

قوله ﷺ تذاكوا أي دك بعضهم بعضا و الدك هو الدق و قيل أصله الكسر و الهيم العطاش و الورد بالكسر النصب من الماء و الإشراف عليه و في بعض النسخ ورودها و هو حضورها لشرب الماء و أرسلها أي أهلها و ألقها و المثنائي جمع مثناة بفتح الميم و كسرهما و هي جبل من صوف أو شعر أو غيره تشبيهاً و يعقل بها البعير و قاتلي على صيغة الجمع مضافة إلى باء المتكلم و جملة يسعني مفعول ثان و الضمير في قتالهم يعود إلى معاوية و أصحابه على الأول و إلى التاكثين على الثاني. و المعالجة المزاولة و موتات الدنيا شذائدها و أهوالها و متاعها بقرينة موتات الآخرة.

و يحتمل أن يراد بالأولى أنواع الموت و بالثانية الشدائد التي هي أشد من الموت.

٤٦٤- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له عليه السلام و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين^(٢):

أما قولكم كل ذلك كراهية الموت فو الله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إلي. و أما قولكم شكاً في أهل الشام فو الله ما دفعت الحرب يوماً إلا و أنا أطعم أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشوا إلى ضوئي و ذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء بآثامها. توضيح: استبطأ أي عده بطيئاً و زعم أن المصلحة في التعجيل.

روى ابن ميثم أنه ﷺ لما ملك الماء بصفين و سمح بأهل الشام في المشاركة كما سبق مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية أحداً و لا يأتيه من عنده أحد قال له أهل العراق يا أمير المؤمنين خلفنا نساءً و ذرارينا بالكوفة و جئنا إلى أطراف الشام لتتخذها وطناً فأذن لنا في القتال فإن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية الموت و منهم من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام فأجابهم ﷺ بذلك.

و كل مرفوع و كراهيته منصوب في أكثر النسخ و روي كل ذلك بالنصب و هو مفعول فعل مقدر أي تفعل كل ذلك و كراهية منصوب بأنه مفعول لأجله و من رواه بالرفع أجاز في كراهية الرفع و النصب أما الرفع فبالخبرية و أما النصب فلكونه مفعولاً له للخبر المحذوف.

و عشى النار و إليها عشوا و عشوا رآها ليلاً من بعيد بصر ضعيف فقصدها و يقال لكل قاصد عاش و فيه تعريض بضعف بصائر أهل الشام.

و تبوء بآثامها أي ترجع إلى ربها متلبسة بمعاصيها.

٤٦٥- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين^(٣):

(١) ذكره ابن أبي الحديد في بدء الشرح في شروع الخطبة: (٥٤) المتقدم الذكر من شرحه: ج ٨، ص ٧٤٤ ط بيروت. والذي ذكره ابن أبي الحديد هو الظاهر من صدر الكلام و لا يتأخيه ذيل الكلام فإنه ج ما كان يسمعه إلا قاتل التاكثين والقاسطين والمارقين جميعاً لأنه كان مأموراً بقتالهم بأمر من رسول الله أ.

و الكلام الذي ذكره المصنف عن ابن ميثم ح

ووضعه بين المسلمين ذكره ابن ميثم في بدء شرحه لكلام الإمام من شرحه على نهج البلاغة: ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٥٤) من كتاب نهج البلاغة.

(٣) رواه الشريف الرضي ح في المختار: (٦٤) من كتاب نهج البلاغة.

وقد رويها الكلام عن مصادر في المختار: (٢١٥) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٢٨ ط ١.

معاشر المسلمين استشعروا الخشية و تجلببوا السكينة و عضوا على النواجز فإنه أنبى للسيوف عن الهام و أكملوا اللأمة و قتلوا السيوف في أعماها قبل سلها و الحظوا الخزر و اطعنوا الشزر و نافحوا بالظبي و صلوا السيوف بالخطي و اعلموا أنكم بعين الله مع ابن عم رسول الله فاعدوا الكر و استحيوا من الفر فإنه عار في الأعقاب و نار يوم الحساب و طيبوا عن أنفسكم نفسا و امشوا إلى الموت مشيا سجحا و عليكم بهذا السواد الأعظم و الرواق المنطب فاضربوا ثبجه فإن الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا و أخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وَ أَنتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَزِيَكُمْ أَعْمَالُكُمْ.

إيضاح: قال بعض الشارحين هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين عليه. و في رواية نصر بن مزاحم أنه خطب به أول أيام الحرب بصفين و ذلك في صفر من سنة سبع و ثلاثين.

و المعشر الجماعة و استشعار الخشية أن يجعلوا الخوف من الله عز و جل ملازما لهم كالشعار و هو من اللباس ما يلي شعر الجسد و يحتمل على بعد أن يراد به إخفاء الخوف عن العدو إذا لم يمكن سلبه عن النفس و الجلباب بالكسر القميص أو ثوب واسع للمرأة دون السلاحفة أو الملحفة أو الخمار أو ثوب كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها و ظهرها و صدرها و تجلبب أي اتخذها جلبابا و السكينة الوقار و التأني في الحركة و السير و النواجز أقاصي الأضراس و هي أربعة بعد الأرحاء و قيل هي الضواحك التي تبدأ عند الضحك و قيل الأنياب و قيل التي تليها و قيل الأضراس كلها. و بنا السيف عن الضريبة إذا لم يعمل فيها و الهام جمع هامة و هي رأس كل شيء.

و الأمر إما محمول على الحقيقة لأن هذا العض يصلب الأعصاب و العضلات فيكون تأثير السيف في الرأس أقل أو كناية عن شدة الاهتمام بأمر الحرب أو الصبر و تسكين القلب و ترك الاضطراب فإنه أشد إبعادا لسيف العدو عن الرأس و أقرب إلى النصر.

و الضمير في قوله فإنه يعود إلى المصدر الذي دل عليه عضوا كقولك من أحسن كان خيرا له و اللأمة بفتح اللام و الهزمة الساكنة الدرع و قبل جميع آلات الحرب و السلاح و إكمال اللأمة على الأول أن يزداد البيضة و السواعد و نحوهما أو اتخاذها كاملة شاملة للجسد و القلقللة التحريك و الغمد بالكسر جفن السيف و سل السيف إخراجها من الغمد و قبل سلها أي قبل وقت الحاجة إلى سلها و اللحظ النظر بمؤخر العين. و الخزر بسكون الزاي النظر بلحظ العين و الشزر بالفتح الطعن عن اليمين و الشمال و قيل أكثر ما يستعمل في الطعن عن اليمين خاصة.

و قال ابن الأثير في النهاية في حديث علي الحظوا الشزر و اطعنوا اليسر و الشزر النظر بمؤخر العين و هو نظر الغضبان و اليسر بالفتح الطعن حذاء الوجه و الخزر و الشزر صفتان لمصدرين محذوفين أي الحظوا لحظا خزرًا و اطعنوا طعنا شزرا و اللام للعهد.

و فائدة الأمر الأول واضحة فإن النظر بمؤخر بالعين يهيج الحمية و الغضب و يدفع طمع العدو و يغلله عن التعرض و بملاء العين يورث الجبن و علامة له عند العدو و يصير سببا لتحرزه و أخذ أهنته و التوجه إلى القرن.

و أما الأمر الثاني فقليل إنه يوسع المجال على الطاعن و أكثر المناقشة للخصم في الحرب تكون عن يمينه و عن شماله و يمكن أن تكون الفائدة أن احتراز العدو عن الطعن حذاء الوجه أسهل و الغفلة عنه أقل هذا على ما في الأصل و ما في النهاية يخالفه.

و المناقشة المضاربة و المدافعة و الظبي جمع طبة بالضم فهما و هي طرف السيف و حده و يطلق على حد السيف و السنان قبل المعنى قاتلوا بالسيوف و أصله أن يقرب أحد المتقاتلين إلى الآخر بحيث يصل نفخ كل منهما أي ريحه و نفسه إلى صاحبه و قيل أي ضاربوا بأطراف السيوف و فائدته أن مخالطة العدو و القرب الكثير منه يشغل عن التمكن من حربه و أيضا لا يؤثر الضرب كما ينبغي مع القرب المفرط قوله ﷺ و صلوا السيوف بالخطي وصل الشيء بالشيء جملة متصلا به و الخطي جمع خبطة بالضم فهما و المعنى إذا قصرت السيوف عن الضريبة فتقدموا تلاحقوا و لا تصبروا حتى يلحقكم العدو و هذا التقدم يورث إلقاء الرعب في قلب العدو.

و روي أنه قيل له ﷺ في بعض الغزوات ما أقصر سيفك فقال أطوله بخطوة.

وفي رواية ابن الأثير صلوا السيوف بالخطي والرماح بالنبل أي إذا لم تلحقهم بالرماح فارمهم بالسهام.

والمراد يكونهم بمعن الله أنه سبحانه يراهم ويعلم أعمالهم والباء مثلها في قولك أنت برأى مني وسمع أي بحيث أراك وأسمع كلامك فيكون تنهيدا للنهي عن الفرار وأنه سبحانه يحفظهم وينصرهم لكونهم على الحق كما يناسب كونهم مع ابن عم الرسول ﷺ.

والكر الرجوع والحملة ومعادته عند التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة أو عند الفرار جبنا لو كان أو المراد لا تقصروا على حمله لليأس عن حصول الغرض بل عاودوا واحملوا كرة بعد أخرى.

والأعقاب جمع عقب بالضم وبضمين أي العاقبة والمعنى أن الفرار عار في عاقبة أمركم وما يتحدث به الناس في مستقبل الزمان على ما قيل أو جمع عقب ككف أو عقب بالفتح أي الولد ولد الولد والمعنى أن الفرار مما يعير به أولادكم.

وطاب نفسي بالشيء وطيب به نفسا إذا لم يكرهك عليه أحد والتعديع بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز ونفسا منصوب على التميز وإفراذه مع عدم اللبس أولى ولعل المعنى وطنوا أنفسكم على بذلها في سبيل الله وارضوا به للحياة الباقية واللذات الدائمة.

والسجح بضمين السهل وسواد الناس عامتهم والمراد معظم القوم المجتمعين على معاوية.

والرواق ككتاب القسطاط والقبة وقيل هو ما بين يدي البيت.

والمطنب المشدود بالأطناب والمراد مضرب معاوية وكان في قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام.

وثبح الشيء بالتحريك وسطه ومعظمه وكمن كنصر وسمع أي استخفى وكسر الخباء بالكسر الشقة السفلى يرفع أحيانا ويرخي أخرى والثوبة الطفرة ونكص كنصر وضرب أي رجع والشيطان هو إبليس لا معاوية كما قيل لأنه كان بارزا في الصدر لا كما في الكسر إلا أن يكون ذلك لبيان جنبته وتقديم اليد للثوبة وتأخير الرجل للنكوص لا ينافي إرادة إبليس فإنه كان من رقاء معاوية وأصحابه يشب بوثنهم ويرجع برجعهم.

ويمكن أن يراد بوثنه طمعه في غلبة أصحاب معاوية وتحريضهم على القتال والنكوص ما يقابله. ويحتمل أن يراد بالشيطان عمرو بن العاص والأول أظهر وحمله على القوة الوهمية كما قيل من الأوهام الفاسدة.

والصمد بالفتح القصد وناصبه محذوف والتأكيد للتحريض على قصد العدو والصبر على الجهاد أو التقرب إلى الله تعالى وإخلاص النية في الأعمال التي من جملتها الجهاد.

وانجلي الشيء وتجلي أي انكشف وظهر وعمود الحق لعله للتشبيه بالفجر الأول وفيه إشعار بعدم الظهور لأكثر القوم كما ينبغي وأنتم الأعلون الواو للحال أي الغالبون على الأعداء بالظفر أو بأنكم على الحق والله معكم أي بالنصر والحيطة أو لأنكم أنصاره ولن يترككم أي لا يتقصكم الله جزء أعمالكم بل يوفيكهم أجوركم وقيل أي لا يضيع أعمالكم من تزلزل الرجل إذا قتل له حميما ولعل حاصل المعنى اقتصدوا بركم بأعمالكم التي منها جهاد أعدائكم وأخلصوا نياتكم حتى ينجلي لكم أنكم على الحق كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ والجملة الحالية تفيد أنهم على الحق ومن أنصار الله وحزبه.

أو اقتصدوا أعداءكم بتصميم العزم حتى يظهر آية النصر وينجز آية الله لكم ما وعد من الظفر ووعدته الحق. ويمكن أن يراد بالحق الطريقة المستقيمة وأن يكون الظفر سببا لظهوره للقوم.

٤٦٦-نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ: وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين^(١):

إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر فقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدنا من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به.

(١) رواه السيد الرضي ح في المختار: (٢٠٦) من كتاب نهج البلاغة.

بيان: قوله ﷺ وأبلغ في العذر أي العذر في القتال معهم أو في إتمام الحجة عليهم وإبداء عذر الله تعالى في عقابهم.

وفي النهاية حققت له دمه إذا منعت من قتله وإراقتة أي جمعته له وحبسته عليه ويرعوي أي يرجع ويكف والهج بالشيء الولع به وقد لهج بالكسر أغرى به.

٤٦٧- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ في بعض أيام صفين^(١) وقد رأى الحسن يتسرع إلى الحرب أملكوا عني هذا الغلام لا يهدني فإني أنفس بهذين يعني الحسن والحسين ﷺ على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ. قال السيد رضي وقوله ﷺ أملكوا عني هذا الغلام من أعلى الكلام وأنصحه.

بيان: في أكثر النسخ أملكوا بفتح الهمزة وقال ابن أبي الحديد الألف في أملكوا ألف وصل لأن الماضي ثلاثي من ملكت الفرس والدار أملك بالكسر أي أحجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه وعن متعلقة بمحذوف وتقديره استولوا عليه وأعدوه عني ولما كان الملك سبب الحجر عبر بالسبب عن المسبب.

ووجه علو هذا الكلام وفصاحته أنه لما كان في أملكوا معنى البعد أعقبه بعن وذلك أنهم لا يملكونه دونه إلا وقد أعدوه عنه قوله لا يهدني أي لئلا يهدني وهذا البناء كسره ونفسته بالكسر أي بخلت به.

٤٦٨- كا: [الكافي] في حديث مالك بن أمين قال حرض أمير المؤمنين ﷺ الناس بصفين فقال إن الله عز وجل قد دلکم علی تجارۃ تنجیکم من عذاب الیم وتشفی بکم علی الخیر والإیمان بالله والجهاد فی سبیل الله وجعل ثوابه مغفرة للذنوب ومساکین طيبة فی جئات عدن وقال جل وعز ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ضَعُفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرْضُورًا﴾ الصف فسووا صفوفكم كالبنیان المرصوص قددموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على النواجذ فإنه أنبى للسيوف عن الهام والتواء على أطراف الرماح فإنه أمور للأسته وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوه ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم فإن المانع للذمار والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ ولا تمثلوا بقتيل^(٢).

وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترًا ولا تدخلوا دارًا ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمت أعراضكم وسببن أمراءكم وصلاحكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس والعقول وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيغير بها وعقبه من بعده.

واعلموا أن أهل الحفاظ هم الذين يحفون براياتكم ويكتنفونها ويصبرون حفايفها وراءها وأسامها ولا يضعونها لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها.

رحم الله امرأة واسبأه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكسب بذلك اللاتمة ويأتي بدناءة وكيف لا يكون كذلك وهو يقاتل الاثنين وهذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هاربا ينظر إليه وهذا فمن يفعله يمقته الله فلا تعرضوا لمقت الله عز وجل فإنما ممركم إلى الله وقد قال الله عز وجل ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذْ لَا تُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وإيم الله لئن فررت من سيف العاجلة لا تسلمون من سيوف الآجلة فاستعينوا بالصبر والصدق فإنما ينزل النصر بعد الصبر فجاهدوا في الله حق جهاد ولا قوة إلا بالله.

٤٦٩- وفي كلام آخر له قال ﷺ^(٣):

وإذا لقيتم هؤلاء القوم غدا فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فإذا بدءوا بكم فانهضوا إليهم وعليكم السكينة والوقار وعضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام وغضوا الأبصار ومدوا جباه الخيول ووجه الرجال وأقلوا الكلام فإنه أطرد للفشل وأذهب بالوهل ووطنوا أنفسكم على المبارزة والمنازلة والمجالة واثبتوا واذكروا الله عز وجل كثيرا

(١) كذا في جميع ما رأيت من نسخ نهج البلاغة. وفي طبع الكمباني من البحار: «قال ج وقد رأى الحسن...».

(٢) رواه ثقة الإسلام الكليني أعلى الله مقامه في الحديث: (٤) من الباب (١٥) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٣٩. والكلام في أكثر فقراته مرافق للمختار: (١٢٢) من كتاب نهج البلاغة.

(٣) رواه الكليني قدس الله نفسه في ذيل الحديث: (٤) من الباب: (١٥) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٤١.

فإن المانع للذمار عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحقون برأياتهم ويضربون حافتيها وأمامها وإذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد وعليكم بالتحامي فإن الحرب سجال لا يشتدن عليكم كرة بعد كرة^(١) ولا حملة بعد جولة ومن ألقى إليكم السلام فاقبلوا منه واستعينوا بالصبر فإن بعد الصبر النصر من الله عزوجل إنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

بيان: قال الجوهري رصصت الشيء رصا ألصقت بعضه ببعض ومنه بنبان مرصوص والدارع لابس الدرع والحاسر الذي لا مغفر عليه ولا درع.

قوله ﷺ والتوا على أطراف الرماح في القاموس تلوى انعطف كالتوى والمور التحرك والاضطراب أي إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فانعطفوا ليزلق و يتحرك فلا ينفذ. وحمله ابن ميثم على الاتواء عند إرسال الرمح و رميه إلى العدو بأن يميل صدره و يده فإن ذلك أنفذ وفيه بعد.

وقال الجوهري الجأش جأش القلب وهو رواعه إذا اضطرب عند الفزع يقال فلان رابط الجأش أي ربط نفسه عن الفرار لشجاعته.

ومثله في القاموس وزاد ونفس الإنسان وقد لا يهزم و جمعه جوش.

وإنما أمرهم ﷺ بغض الأبطال لئلا يروا ما يهولهم لئلا يرى العدو منهم جبنا وكذا قلة الكلام وترك رفع الأصوات علامة الشجاعة فإن الجبان يصيح ويرعد و يبرق.

وقال الجوهري قولهم فلان حامي الذمار أي إذا زمر و غضب و حمي و يقال الذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه لأنهم قالوا حامي الذمار كما قالوا حامي الحقيقة و سمي ذمارا لأنه يحق على أهله الدفع عنها.

فالأظهر أن الحقائق هنا جمع الحقيقة بمعنى ما يحق للرجل أن يحميه و المراد بنزول الحقائق نزولها به أو نزولها بها و ما يعرض للإنسان في الحرب هي حالة تحقق أن يحمي عنها. و يحتمل أن يكون جمع الحقيقة بمعنى الراية كما ذكره الجوهري والفيروزآبادي.

وقال ابن ميثم أي الشدائد الحققة المتينة وأما ما ذكره ابن أبي الحديد و تبعه غيره من أن الحقائق جمع حاقة وهي الأمر الصعب الشديد ففي كونه جمعا لها نظر والحفاظ بالكسر الذب عن المحارم وقوله ﷺ حفا فيها متعلق بقوله يكتنفونها أو بقوله يصبرون أيضا على التنازع والحفاظان اليمين واليسار.

وفي بعض النسخ وراءها بدون العطف فهما الأمام والوراء.

قوله ﷺ من سيوف الآجلة سمي عقاب الله على فرارهم و تخاذلهم سيفا على الاستعارة أو مجاز المشاكلة و في القاموس نهد الرجل نهض و لعدوه صمد لهم.

قوله و مدوا جباه الخيول و وجوه الرجال لعل المراد بهما تسوية الصفوف و إقامتها راكبين و راجلين أو كناية عن تحريكها و توجيهها إلى جانب العدو و الوهن الضعف و الفزع و في النهاية فيه و الحرب بيننا سجال أي مرة لنا و مرة علينا و أصله أن المتسقين بالسجل يكون لكل واحد منهم سجل و السجل الدلو المألى ماء.

و السلام الاستسلام و قد مر شرح بعض أجزاء الخبرين و سيأتي بعضها

٤٧٠- شا: [الإرشاد] من كلامه ﷺ في تحضيضه على القتال يوم صفين بعد حمد الله و الثناء عليه^(٢):

عباد الله اتقوا الله و غضوا الأبصار و اخفضوا الأصوات و أقلوا الكلام و وطنوا أنفسكم على المنازلة و المجادلة

(١) هذا هو الظاهر الموافق للمختار: (١٦٦) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة وفيه: «لا تشتدون عليكم فترة بعدها كرة، ولا جولة بعدها حملة...».

وفي طبع الكمباني من البحار: «لا يشتدون عليكم...».

(٢) رواها الشيخ المفيد ح في الفصل: (٣٢ - ٣٣) مما اختاره من كلم أمير المؤمنين ج في كتاب الإرشاد، ص ١٤١، ط النجف.

والحديث الأول رواه عن مصادر في المختار: (٤٥) من باب الوصايا من كتاب نهج السعادة: ج ٨ ص ٣٤٠ ط ١.

والمبارزة والمبالطة والمبالدة والمعانقة والمكادمة واثبتوا ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ اللهم ألهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر وأعظم لهم الأجر.

إيضاح: قال الفيروزآبادي في القاموس بالظ القوم تجادلوا بالسيف كتبوا. و بني فلان نازلهم بالأرض وقال المبالدة المبالطة بالسيف والعصي.

كدمه يكدمه و يكدمه كضرب و نصر غصه بأدنى فمه أو أثر فيه بحديدة و كعظم المعضض و اكدم الأسير بالضم استوثق منه و قال الريح الغلبة والقوة والرحمة والنصرة والدولة.

٤٧١- شأ: الإرشاد و من كلامه: أيضا في هذا المعنى:

معشر الناس إن الله قد دلکم على تجارة تُنجيکم من عذابٍ أليم و تشفي بکم على الخير العظيم الايمان بالله وبرسوله ﷺ و الجهاد في سبيله و جعل ثوابه مغفرة الذنوب و مساکين طيبة في جنات عدن ثم أخبرکم أنه ﴿حِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ قدموا الدارع و أخروا الحاسر و عضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيف عن الهام و التواء في أطراف الرماح فإنه أمور للأسنة و غصوا الأبصار فإنه أربط للجأش و أسکن للقلوب و أميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل و أولى بالوقار و رايتمک فلا تميولها و لا تخلوها و لا تجعلوها إلا في أيدي شجعانکم فإن المانعين للذمار الصابرين على نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحفون برأياتهم و يكتفونها. رحم الله امرأ منکم آسا أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجمع عليه قرنه و قرن أخيه فتكتسب بذلك لائمة و يأتي به دناءة فلا تعرضوا لمقت الله و لا تفروا من الموت فإن الله تعالى يقول ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ إِذْ لَمْ تَمْتنعُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ و ايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآجلة فاستعينوا بالصبر و الصلاة و الصدق في النية فإن الله تعالى بعد الصبر ينزل النصر

بيان: في رواية ابن أبي الحديد في جنات عدن و رضوان من الله أكثر ثم أخبرکم بالذي يجب فقال إن الله يجب و فيه إلا بأيدي شجعانکم المانعي الذمار و الصبر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفون برأيتمک و يكتفونها يضربون خلفها و أمامها و هلا أجزأكل امرئ منکم قرنه واسى أخاه^(١) إلى قوله و يأتي دناءة أنى هذا و كيف يكون هذا و هذا يقاتل اثنين و هذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هاربا منه أو قائما ينظر إليه من يفعل هذا بمقته الله فلا تعرضوا لمقت الله فإنما مردکم إلى الله قال الله تعالى لقوم عابهم ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ إِذْ لَمْ تَمْتنعُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلى قوله ﴿استعينوا بالصدق و الصبر فإنه بعد الصبر ينزل النصر﴾.

و سيأتي شرحه في رواية السيد رضي الله عنه

٤٧٢- قب: المناقب لابن شهر آشوب تفسير الحسن و السدي و وكيع و الثعلبي و مسند أحمد أنه قال الزبير في قوله ﴿وَأَتَوْا فَتَنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً لَقَدْ لَبِثْنَا أَرَمًا﴾ لا نرى أنا من أهلها فإذا نحن المعنيون^(٢).

قال السدي في قوله قلما عدوان إلا على الظالمين نزلت في حريين في يوم صفين و يوم الجمل فسمى الله أصحاب الجمل و صفين ظالمين ثم قال ﴿وَاغْلُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّيِّينَ﴾ بالنصر و الحق مع أمير المؤمنين و أصحابه بعض المفسرين في قوله قل للمُخَلِّينَ مِنَ الْأَغْرَابِ سُدْعُونَ أي فيما بعد إلى قومٍ أولي بأسٍ شديدٍ أنهم أهل

(١) كذا في طبع الكمباني من كتاب البحار، والكلام رواه نصر بن مزاحم في الجزء (٤) من كتاب صفين ص ٢٣٥ ط مصر، وفي ط بيروت: ج ٢ ص ٢١٦ ولا توجد فيها لفظة: «هبال».

(٢) رواه ابن شهر آشوب ح في عنوان: «حرب صفين» من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٣٤٨ ط النجف ولكن المصنف قد لخص بعض مطالبه كما أسقط أيضا بعضاً منها.

والحديث الأول رواه أحمد بن حنبل في الحديث: (١) من مسند الزبير من كتاب المسند: ج ١، ص ١٦٥ ط ١ و قريباً منه رواه أيضاً بسند آخر في الحديث الأخير من مسند الزبير من مسنده: ج ١، ص ١٦٧ ط ١.

وبالسند الأول رواه عنه الحافظ الحسكاني في تفسير الآية: (٢٥) من سورة الأنفال في الحديث: (٢٧٦) من كتاب شواهد التنزيل: ج ١، ص ٢٠٨ ط ١.

صفيين و ذلك أن النبي ﷺ قال للأعراب الذين تخلفوا عنه بالحببية و عزموا على خيبر قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ ﷺ
اللَّهُ مِنْ قَبْلُ.

أبو سعيد الخدري و عبد الله بن عمر قالا في قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ كنا نقول
ربنا واحد و نبينا واحد و ديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان حرب صفين و شد بعضنا على بعض بالسيف قلنا
نعم هو هذا.

قال الباقر ﷺ قال أمير المؤمنين ﷺ و هو يقاتل معاوية فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ الْآيَاتِ
هم هؤلاء و رب الكعبة.

ابن مسعود قال قال النبي ﷺ أُمَّةُ الْكُفْرِ معاوية و عمرو.

و لما فرغ أمير المؤمنين ﷺ من حرب الجمل نزل في الرحبة السادس من رجب و خطب فقال:

٥٦٩
٣٢

الحمد لله الذي نصر وليه و خذل عدوه و أعز الصادق المحق و أذل الناكث المبطل.

ثم إنه دعا الأشعث بن قيس من ثغر أذربيجان و الأنحف بن قيس من البصرة و جرير بن عبد الله البجلي من
همدان فأتوه إلى الكوفة فوجه جريرا إلى معاوية يدعوه إلى طاعته فلما بلغها توقفت معاوية في ذلك حتى قدم بطلب
منه شرحبيل الكندي ثم خطب فقال أيها الناس قد علمتم أنني خليفة عمر و خليفة عثمان و قد قتل عثمان مظلوما و أنا
وليه و ابن عمه و أولى الناس بطلب دمه فما ذا رأيكم فقالوا نحن طالبون بدمه.

فدعا عمرو بن العاص على أن يطعمه مصر فكان عمرو يأمر بالحمل و الحط مرارا فقال له غلامه وردان تفكر أن
الآخرة مع علي ﷺ و الدنيا مع معاوية فقال عمرو

لا قاتل الله وردانا و فطنته^(١)

أبدي لعمرى ما في الصدر وردان

فلما ارتحل قال ابن عمرو له:

و لا أنت الفداة إلى رشاد

ألا يا عمرو ما أحرزت نصرا

و أنت بذاك من شر العباد

أبعت الدين بالدنيا خسارا

فانصرف جرير فكتب معاوية إلى أهل المدينة أن عثمان قتل مظلوما و علي آوى قتله فإن دفعهم إلينا كففتنا عنه
وجعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين كما جعله عمر عند وفاته فانهضوا رحمكم الله معنا إلى حربه فأجابوه بكتاب فيه:

٥٧٠
٣٣

وليس كما ربصت أنت ولا عمرو

معاوي إن الحق أبلى واضح

كما نصب الشيخان إذ زخرف الأمر

نصبت لنا اليوم ابن عفان خدعة

وليس له في ذاك نهى ولا أمر

رميتم عليا بالذي لم يضره

أتوه من الأحياء تجمعهم مصر

وما ذنبه إن نال عثمان معشر

وهتمه التسبيح والحمد والذكر

وكان علي لازما قعر بيته

وذكركم الشورى وقد وضع الأمر

فما أنتم لا در در أبيكما

طليقا أسارى ما تبوح بها الخمر

فما أنتم والنصر منا وأنتم

وجاء أبو مسلم الخولاني بكتاب من عنده إلى أمير المؤمنين ﷺ يذكر فيه و كان أنصحهم لله خليفته ثم خليفة
خليفته ثم الخليفة الثالث المقتول ظلما فكلهم حسدت و على كلهم بغيت.

إلى آخر ما سيأتي.

فلما وصل الخولاني و قرأ على الناس كتاب معاوية قالوا كلنا له قاتلون و لأفعاله منكرون.

فكان جواب أمير المؤمنين:

وبعد فإني رأيت قد أكثرت في قتل عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون من بيعتي ثم حاكم القوم إلي أحملكم
على كتاب الله و سنة نبيه محمد ﷺ.

(١) هذه هو الظاهر المذكور في طبع النجف من كتاب المناقب، وفي ط الكمباني من البحار: «وأنه؟».

و أما الذي تريدها فإنها خدعة الصبي عن اللين و لعمرى لئن نظرت بعقلك لعلمت أني من أبر الناس من دم عثمان و قد علمت أنك من أبناء الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة.

و أجمع ﷺ على المسير و حض الناس على ذلك

قال ابن مردويه قال ابن حازم التميمي و أبو وائل قال أمير المؤمنين ﷺ انفروا إلى بقية الأحزاب أولياء الشيطان انفروا إلى من يقول كذب الله و رسوله.

٥٧١
٣٣ وجاء رجل من عيس إلى أمير المؤمنين ﷺ بكتاب من معاوية فسأل ما الخبر فقال إن في الشام يلعنون قاتلي عثمان و سيكون على قميصه فقال أمير المؤمنين ما قميص عثمان بقميص يوسف و لا بكأؤهم إلا بكاء أولاد يعقوب فلما فتح الكتاب وجده بياضا فحول^(١).

فقال قيس بن سعد:

ولست بناج من علي وصحيه وإن تك في جابلق لم تك ناجيا

وكتب معاوية إلى أمير المؤمنين ﷺ ليت القيامة قد قامت فترى المحق من المبطل!!

فقال أمير المؤمنين ﷺ في جوابه «يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا».

فقال لعبد الله بن أبي رافع اكتب:

إن بيعتي شملت الخاص و العام و إنما الشورى للمؤمنين من المهاجرين الأولين السابقين بالإحسان من البدرين و إنما أنت طليق ابن طليق لعين ابن لعين وثن ابن وثن ليست لك هجرة و لا سابقة و لا متقية و لا فضيلة و كان أبوك من الأحزاب الذين حاربوا الله و رسوله فنصر الله عبده و صدق وعده و هزم الأحزاب ثم وقع في آخر الكلام.

ألم تر قسومي إذ دعاهم أخوهم أجابوا وإن يغضب على القوم يغضب

وكتب معاوية اتق الله يا علي و ذر الحسد فظالما لم ينتفع به أهله إلى آخر كتابه للعين.

فأجابه ﷺ بعد كلام طويل عظمتي لا تتفع من حقت عليه كلمة العذاب و لم يخف العقاب و لا يرجو لله وقارا و لم يخف له حذارا فشأنك و ما أنت عليه من الضلالة و الحيرة و الجهالة تجد الله عز و جل في ذلك بالمرصاد.

٥٧٢
٣٣ ثم قال في آخره:

فأنا أبو الحسن قاتل جدك عتبة و عمك شيبة و أخيك حنظلة الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر و بذلك السيف معي و بذلك القلب ألقى عدوي.

فنهاه عمرو عن مكاتبتة و لم يكتب إلا بيتا

ليس ببني وبين قيس عتاب غير طعن الكلى و ضرب الرقاب

قال أمير المؤمنين ﷺ قاتلت الناكثين و هؤلاء القاسطين و سأقاتل المارقين ثم ركب فرس النبي ﷺ و قصده في تسعين ألفا.

قال سعيد بن جبير منها تسعة مائة رجل من الأنصار و ثمانمائة من المهاجرين.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى سبعون رجلا من أهل بدر و يقال مائة و ثلاثون رجلا^(٢).

وخرج معاوية في مائة و عشرين ألفا يتقدمهم مروان و قد تقلد بسيف عثمان فنزل صفين في المحرم على شريعة الفرات و قال:

أتاكم الكاشر عن أنبياه ليث العرين جاء في أصحابه

ومنعوا عليا ﷺ و أصحابه الماء.

(١) أي قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

(٢) وليلاحظ ما علقناه على المختار: (١٧٥) من كتاب نهج السعادة: ج ٢، ص ٩١ ط ١ وراجع أيضاً ما علقناه على المختار: (١٧٥) من كتاب

نهج السعادة: ج ٢ ص ٩١ ط ١.

وراجع أيضاً ما علقناه على الحديث: (٣٤٧) من ترجمة أمير المؤمنين ج من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٦٨ ط ١.

فأنفذ علي عليه السلام شيث بن ربعي الرياحي وصمصعة بن صوحان فقالا في ذلك لطفًا وعنفًا فقال أنتم قتلتم عثمان عطشا. فقال علي عليه السلام رروا السيوف من الدماء ترووا من الماء إلى آخر ما مر^(١). فرجز الأشتر والأشعث وحملوا في سبعة عشر ألفا رجل حملة رجل واحد فتفرق بعضهم وانهزم الباقون فأمر علي عليه السلام أن لا يمنعوهم الماء.

وكان نزوله عليه السلام بصفين لليالبي يقين من ذي الحجة سنة ست وثلاثين. وأنفذ سعيد بن قيس الهمداني وبشر بن عمرو الأنصاري إلى معاوية ليدعوه إلى الحق فانصرفا بعد ما احتجا عليه. ثم أنفذ شيث بن ربعي الرياحي وعدي بن حاتم الطائي ويزيد بن قيس الأرحبي وزباد بن حصص بمثل ذلك. فكان معاوية يقول سلموا إلي قتل عثمان لأقتلهم به ثم نعتزل الأمر حتى يكون شوري. فتقاتلوا في ذي الحجة وأمسكوا في المحرم فلما استهل صفر سنة سبع وثلاثين أمر علي عليه السلام فتودي في أهل الشام بالإعذار والإنذار ثم عبا عسكره فجعل على ميمنته الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل^(٢). وعلى ميسرته محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وهاشم بن عتبة المرقال. وعلى القلب عبد الله بن العباس وعباس بن ربيعة بن الحارث والأشتر والأشعث. وعلى الجناح سعيد بن قيس الهمداني وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ورفاعة بن شداد البجلي وعدي بن حاتم. وعلى الكمين عمار بن ياسر وعمرو بن الحنق وعمار بن وائلة الكنانى وقيصة بن جابر الأسدي. وجعل معاوية على ميمنته ذا الكلاع الحميري وحوشب ذا الظليم وعلى الميسرة عمرو بن العاص وحبیب بن مسلمة وعلى القلب الضحاك بن قيس الفهري وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعلى الساقة بسر بن أوطاة الفهري وعلى الجناح عبد الله بن مسعدة الفزاري وهام بن قبيصة النمرى وعلى الكمين أبى الأعور السلمي وحابس بن سعد الطائي.

فبعث علي عليه السلام إلى معاوية أن اخرج إلي أبارذك فلم يفعل.

وقد جرى بين العسكرين أربعون وقعة يغلبها أهل العراق أولها يوم الأربعة بين الأشتر وحبیب بن مسلمة والثاني بين المرقال وأبى الأعور السلمي والثالث بين عمار وعمرو بن العاص والرابع بين ابن الحنفية وعبيد الله بن عمر والخامس بين عبد الله بن العباس والوليد بن عقبة والسادس بين سعيد بن قيس وذي الكلاع إلى تمام الأربعين وقعة آخرها ليلة الهرير.

وخرج عوف بن عون الحارثي قائلا:

صاحبها ولست بالهيوب^(٣)

إنى أنا عوف أخو الحروب

فبارزه علقمة بن عمرو قائلا:

لم تبرز الدهر إلى علقمة

يا عوف لو كنت امرأ حازما

يأخذ بالأنفاس والفلسمة

لقيت ليثا أسدا باسلا

وخرج أحمر مولى عثمان قائلا:

تبكي فوارسها على عثمان

إن الكتيبة عند كل تصادم

فأجابه كيسان مولى علي عليه السلام:

فأثبت لحد مهند وسان

عثمان ويحك قد مضى لسبيله

(١) تقدم تحت الرقم: (٣٣٧) ص ٥٠٧ من طبع الكميات.

(٢) لم أجد هذه الكيفية في تبعة مواد العسكر في غير كتاب المناقب والعمدة.

(٣) كذا في طبع الكميات من أصلي من البحار. وفيه أيضاً في جميع الموارد المتقدمة: «عوف» ومثله في كتاب صفين ص ١٩٤. مع زيادة أبيات.

وفي طبعة النجف من مناقب آل أبي طالب: «صاحبها ولست بالهروب» وفيه أيضاً «عون» بدل «عوف».

فقتله الأحمر فقال: قتلني الله إن لم أقتلك وأخذ بجربان درعه و رفعه و ضربه على الأرض و جعل يجول في الميدان و يقول:

لهف نفسي وقليل ما أسر
لم أرد في الدهر يوما حربهم
فحث معاوية غلامه حريثاً أن يغتال علياً في قتله فطير أمير المؤمنين ﷺ قحفه في الهواء و جعل يجول و يقول:
ألا احذروا في حربكم أبا الحسن
فإنه يدقه دق الطحن
وخرج عمرو بن العاص مرتجذاً يقول:

لا عيش إن لم ألق يومي هاشما
ذاك الذي يشتم عرضي ظالما
فبرز هاشم مرتجذاً:

ذاك الذي نذرت فيه النذرا
ذاك الذي ما زال ينوي الغدرا
فضربه هاشم و خرج عبد الرحمن بن خالد بن وليد يقول:
قل لعلي هكذا الوعيد
وخالد تربية الوليد
فبرز الأشتر مرتجذاً يقول:

بالضرب أوفى ميتة مؤخرة
ولا تخيبي ثواب البررة
فضربه الأشتر فانصرف قائلاً أفنانا دم عثمان فقال معاوية هذه قاشرة الصباة في اللعب فاصبر فإن الله مع الصابرين.

و خرج معاوية يشير إلى همدان و هو يقول:

لا عيش إلا فلق قحف الهام
قوم هم أعداء أهل الشام
وكم قتيل وجريح دامى
فبرز سعيد بن قيس يرتجز و يقول:

لاهم رب الحل والحرام
فحمل و هو مشرع رمحه فولى معاوية هارباً و دخل في غمار القوم و جعل قيس يقول:
يا لهف نفسي فاتني معاوية
والراقصات لا يعود ثانية
وبرز أبو الطفيل الكناني قائلاً:

تحامت كنانة في حربها
وحامت هوازن من بعدها
طحنا الفوارس يوم العجاج
وجال علي ﷺ في الميدان قائلاً:

وحامت تميم وحامت أسد
فما حام منها ومنهم أحد
وسقنا الأراذل سوق النكد



ثم أبرزوا لي في الوغى وأبدروا
منا النسي الطاهر المظهر
وقاطم عرسي وفيها مفخر
مذبذب مطرد مؤخر

أنا علي فاسألوني تخبروا
سيفي حسام وسناني يزهر
وحزمة الخير ومنا جعفر
هذا لهذا وابن هند محجر

فاستخلفه عمرو بن الحصين بن السكوني على أن يطعنه فرآه سعيد بن قيس قطعته وأنشد:

و قد قرت بمصرعه العيون
وكل فتى ستدركه المنون
بمعضلة و ذا ما لا يكون

أقول: له وفي رمحي حناء
ألا يا عمرو عمرو بني حصين
أطعم أن تنال أبا حسين

وأنفذ معاوية ذا الكلاع إلى بني همدان فاشتبكت الحرب بينهم إلى الليل ثم انهزم أهل الشام ثم أنشأ أمير المؤمنين عليه السلام أبياتا منها:

غداة الوغى من شاكر وشيام
سعيد بن قيس والكريم محامي
سمام العدى في كل يوم حمام

فوارس من همدان ليسوا بغزل
يقودهم حامى الحقيقة ماجد
جزى الله همدان الجنان فانهم

وبرز أبو أيوب الأنصاري فتكلموا عنه فحاذى معاوية حتى دخل فسطاطه فترفع ابن منصور ^(١) فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

وسوف نعلم أيضا بيتنا

وعلمنا الحرب آباؤنا

وخرج رجل في براز رجل كوفي فصرعه الكوفي فإذا هو أخوه فقالوا خله فأبى أن يطلقه إلا بأمر علي فأذن له بذلك.

وبرز عبد الله بن خليفة الطائي في جماعة من طي وارتجز

ألا اتبثوا بالبيض والحوالي

يا طي طي السهل والأجبال

فقاتلوا أئمة الضلال

وخرج من العسكريين زهاء ألف رجل فاقتتلوا حتى لم يبق منهم أحد وفيهم يقول شيب بن ربيعي:

وقامت نساء حولنا بنحيب

وقاتلت الأبطال منا ومنهم

وخرج بسر بن أرطاة مرتجزا:

جاءوا يكونوا أولياء الرحمن

أكرم بسجد طيب الأردان

أن عليا نال من عثمان

إنسي أناني خبر شجاني

فبرز إليه سعيد بن قيس قائلا:

أسلمهم بسر إلى الهوان

بسؤا لجند ضائع الإيمان

إلى سيف لبني همدان

فانصرف بسر من طعنته مجروحا.

وخرج أدهم بن لام القضاعي مرتجزا:

فأنت لا شك أخو قتيل

أثبت لوقع الصارم الصقيل

فقتله حجر بن عدي فخرج الحكم بن الأزهر قائلا:

اثبت فإني ليس مثلي بعدي

يا حجر حجر بني عدي الكندي

فخرج إليه مالك بن مسهر القضاعي يقول:

(١) كذا في الأصل الحاكي والمحكي عنه.

أنا ابن مالك بن مسهر

أنا ابن عم الحكم بن الأزهر

فأجابه حجر:

إنني حجر وأنا ابن مسهر

أقدم إذا شئت ولا تؤخر

وبرز علقمة فأصيب في رجله.

وقتل من أهل العراق عمير بن عبيد المحاربي و بكر بن هوزة النخعي و ابنه حيان و سعيد بن نعيم و أبان بن قيس. فحمل علي^(١) فهزمهم فقال معاوية كنت أرجو اليوم ظفرا.

وبرز الأشتر و جعل يقتل واحدا بعد واحد فقال معاوية في ذلك فبرز عمرو بن العاص في أربعمائة فارس إليه و تبع الأشتر مائتا رجل من نفع و مذحج و حمل الأشتر عليه ف وقعت الطعنة في القربوس فانكسر و خر عمرو صريعا و سقطت ثناياه فاستأمنه.

وبرز الأصعب بن نباتة قائلا:

حتى متى ترجو البقا يا أصعب

إن الرجاء للسقوط يدمغ

و قاتل حتى حرك معاوية من مقامه.

٥٧٩
٣٢

وخرج عوف المرادي قائلا:

أنا المرادي واسمي عوف

هل من عراقي عصاه سيف

فبرز إليه كعب الأسدي^(٢) مرتجزا فقتله و رأى معاوية على تل فقصدته نحوه فلما قرب منه حمل عليه مرتجزا

ويسلي عليك يا بني هند

أنا الغلام الأسدي حمد

فأخذَه أهل الشام بالطعان و الضراب فانسل من بينهم قائلا

فلو نلتَه نلت الذي ليس بعدها

من الأمر شيئا غير مين مقال

و لو مت من نبلي له ألف مية

لقلت لما قد نلت ليس أبالي

و خرج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

فبرز إليه حارثة بن قدامة السعدي فقتله^(٣).

فخرج أبو الأعور السلمي فانصرف من طعنته زياد بن كعب الهمداني مجروحا و قتل بنو همدان خلقا كثيرا من أهل الشام فقال معاوية بنو همدان أعداء عثمان.

و برز عمير بن عطارد التميمي في قومه قائلا

قد صابرت في حربها تميم

لها حديث و لها قديم

دين قديم و هدى قديم

فقاتلوا إلى الليل.

٥٨٠
٣٢

و برز قيس بن سعد و قال:

أنا ابن سعد و أبي عبادة

و الخزرجيون رجال سادة

حتى متى أنشني إلى الوسادة

يا ذا الجلال لقني الشهادة

فخرج بسر بن أرطاة الفهري و ارتجز

أنا ابن أرطاة الجليل القدر

في أسرة من غالب و فهر

إن أرجع اليوم بغير وتر

فقد قضيت في ابن سعد نذري

فانصرف مجروحا من ضربة قيس.

(١) كذا في أصلي ومثله في مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٣٥٦ ط النجف.

وانظر ما تقدم عن المصنف في ص ٥٠١ الكلباني وفي هذه الطبعة نقلًا عن كتاب صفين ص ٤٥٠ ط مصر.

(٢) كذا في أصلي من طبع الكلباني ومثله في طبع النجف من مناقب آل أبي طالب، وهذا سهو من الراوي أو تصحيف من الكتاب، والصواب أن الذي برز بعد الرحمن هو جارية بن قدامة ح ولم يقتل أي واحد منهما الآخر وعاشا بعد وقعة صفين برهة من الزمان.

و خرج المخارق بن عبد الرحمن قتل المرادي و مسلم الأزدي و رجلين آخرين.

فبرز إليه علي عليه السلام متكررا فقتله و قتل سبعة بعده.

و خرج كريب بن الصباح قتل مبرقا الخولاني و شرحبيل البكري و الحارث الحكيمي و عبد الرحمن الهمداني فقتله أمير المؤمنين ثم قتل الحارث بن وداع و المطاع بن المطلب و عروة بن داود.

و خرج مولى لمعاوية مرتجزا:

إني أنا الحارث ما بي من خور مولى ابن صخر و به قد انتصر

فقتله قنبر.

وخرج يزيد الكلبي فقتله الأشتر و خرج مشجع الجذامي قطعنه عدي بن حاتم.

ونادى خالد بن معمر السدوسي من يبايعني على الموت فأجابه تسعة آلاف فقاتلوا حتى بلغوا فسطاط معاوية فهرب معاوية فنهبوا فسطاطه.

وأنفذ معاوية إليه فقال يا خالد لك عندي إمرة خراسان متى ظفرت فاقصر ويحك فعالك هذا فنكل عنها فتفل أصحابه في وجهه و حاربوا إلى الليل و فيه يقول النجاشي.

وفر ابن حرب غير الله وجهه وذاك قليل من عقوبة قادر

وخرج حمزة بن مالك الهمداني فقتله المرقال فهجموا على المرقال فقتلوه فأخذ سفيان بن الثور رأبته فقاتل حتى قتل ثم أخذها عتبة بن المرقال فقاتل حتى قتل فأخذها أبو الطفيل الكناني مرتجزا:

يا هاشم الخير دخلت الجنة قتلت في الله عدو السنة

فقاتل حتى جرح فرجع القهقري.

وأخذها عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي مرتجزا:

أضربكم ولا أرى معاوية الأبرح العين العظيم الحاوية

هوت به في النار أم هاوية جاوره فيها كلاب عاوية

فهجموا عليه و قتلوه فأخذها عمرو بن الحمق قائلا:

جزى الله فينا عصبة أي عصبة حسان وجوه صرعوا حول هاشم

و قاتل أشد قتال فخرج ذو الظليم قائلا:

أهل العراق ناسبوا و انتسبوا أنا اليماني و اسمي حوشب

من ذي الظليم أين أين المهرب

فبرز إليه سليمان بن صرد الخزاعي قائلا:

يا أيها الحي الذي تذبذبا لسنا نخاف ذا الظليم حوشبا

فحملت الأنصار حملة رجل واحد و قتلوا ذا الكلاع و ذا الظليم و ساروا إليهم و كاد يؤخذ معاوية فقال الأنصاري.

معاوي ما أفلت إلا بجرعة من الموت حتى تحسب الشمس كوكبا

فإن تفرحوا بابن البديل و هاشم فلنا قتلنا ذا الكلاع و حوشبا

وخرج عبيد الله بن عمر و دعا محمد بن الحنفية فنهض محمد فنهأ أبوه و برز هو عليه السلام إليه راجلا فتقهقر عبيد الله فقتله عبد الله بن سوار و يقال حريث بن خالد و يقال هاني بن عمرو و يقال محمد بن الصبيح.

فأمر معاوية بتقديم سبعين راية.

وبرز عمار في رايات قتل من أصحاب معاوية سبعائة رجل و من أصحاب علي مائتا رجل.

وخرج علي عليه السلام في مقاتلة همدان وقال بعضهم برك الجمل برك الجمل فبركوا وبركت أيضا همدان فقال أمير المؤمنين عليه السلام.

قد حمل القوم فبركا بركا لا يدخل القوم على ما شكا

وخرج عمرو بن العاص مرتجزا فقصده الأشتر مرتجزا

إني أنا الأشتر معروف السير

إني أنا الأفعى العراقي الذكر

فهزمهم و جرح عمرا.

وخرج الفراز بن الأدهم^(١) و دعا العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فقتله العباس فنهاه علي^{عليه السلام} عن المبارزة.

فقال معاوية من قتل العباس فله عندي ما يشاء فخرج رجلا لخميان فدعاه أحدهما فقال إن أذن لي سيدي أباركك و أتى علي^{عليه السلام} فبرز علي في سلاح العباس و فرسه متذكرا فقال الرجل أذاك سيدك فقال^{عليه السلام} أَذِنَ لِسَيِّدِي يَفْتَأُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا فقتله و تقدم الآخر فقتله.

و خرج قبيصة النميري و كان يشتم عليا و يرتجز

أقدم إقدام الهزبر العالي

في نصر عثمان و لا أبالي

فبرز عدي بن حاتم قائلا:

يا صاحب الصوت الرفيع العالي

نسفدي عليا ولدي و مالي

وخرج حجل بن أثال العيصي فطلب البراز فبرز إليه ابنه أثال فلما رآه قال انصرف إلى الشام فإن فيها أموالا جمة فقال ابنه يا أبت انصرف إلينا و جنة الخلد مع علي.

وعبأ معاوية أربعة صفوف فتقدم أبو الأعور السلمي يحرضهم و يقول يا أهل الشام إياكم و الفرار فإنها سبة و عار فدقوا على أهل العراق فإنهم أهل فتنة و نفاق.

فبرز سعيد بن قيس و عدي بن حاتم و الأشعث فقتلوا منهم ثلاثة آلاف و نيفا و انهزم الباقون.

وخرج كعب بن جعيل شاعر معاوية قائلا:

فلانني ليث لدى الهراش

ابرز إلي الآن يا نجاشي

لست أبيع الدين بالمعاش

ذاك علي بين الرياش

فأجابه النجاشي شاعر علي^{عليه السلام} و برز إليه

أربع قليلا فأنا النجاشي

أنصر خير راكب و ماش

و برز عبد الله بن جعفر في ألف رجل فقتل خلقا حتى استغاث عمرو بن العاص.

و أتى أويس القرني متقلدا بسيفين و يقال كان معه مراماة و مخلاة من الحصى فسلم على أمير المؤمنين^{عليه السلام} و ودعه و برز مع رجاله ربيعة فقتل من يومه فضلى عليه أمير المؤمنين^{عليه السلام} و دفنه.

ثم إن عمارا جعل يقاتل و يقول:

ضربا يزيل الهام عن مقيله

أو يرجع الحق إلى سبيله

نحن ضربناكم على تنزيله

و يذهل الخليل عن خليله

فلم يزل يقاتل حتى قتل.

و برز أمير المؤمنين^{عليه السلام} و دعا معاوية و قال أسألك أن تحقن الدماء و تبرز إلي و أبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب فبهت معاوية و لم ينطق بحرف.

فحمل أمير المؤمنين^{عليه السلام} على الميمنة فأزالها ثم حمل على الميسرة فطعنها ثم حمل على القلب و قتل منهم جماعة و أُنشد:

لعل الله يمكن من قفاكا

و لو بارزته تربت يداكا

فهل لك في أبي حسن علي

دعاك إلى البراز فعكت عنه

فانصرف أمير المؤمنين^{عليه السلام} ثم برز متذكرا فخرج عمرو بن العاص مرتجزا:

(١) كذا في أصلي، وفي طبع النجف من كتاب مناقب آل أبي طالب: «المراد بن الأدهم».

يا قادة الكوفة من أهل الفتن
كفى بهذا حزنا من الحزن
فتناكل عنه علي^{عليه السلام} حتى تبعه عمرو ثم ارتجز:

يا قاتلي عثمان ذاك المؤمن
أضربكم و لا أرى أبا الحسن

أنا الغلام القرشي المؤمن
يرضى به السادة من أهل اليمن

الماجد الأبيض ليث كالشطن
أبو الحسين قاعلمن أبو الحسن

فولى عمرو هاربا فظعنه أمير المؤمنين فوقعت في ذيل درعه فاستلقى على قفاه وأبدى عورته فصصح عنه استحياء و تكروما.

فقال معاوية أحمد الله الذي عافاك و أحمد استك الذي وقاك.
قال أبو نواس

كما ردها يوما بسوءته عمرو

فلا خير في دفع الردى بمذلة

و قال حصيص

سوءة عمرو ثنت سنان علي

قبيح مخازيك هازم شرفي

و برز علي^{عليه السلام} و دعا معاوية فنكل عنه و خرج بسر بن أرطاة يطعم في علي^{عليه السلام} فصصره أمير المؤمنين^{عليه السلام} فاستلقى على قفاه و كشف عن عورته فانصرف عنه علي^{عليه السلام} فقال ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون من معاملة المخائث لقد علمكم رأس المخائث عمرو و لقد روي عن هذه السيرة عن أبيه عن جده في كشف الأستاذه وسط عرصة الحروب^(١).
فخرج غلامه لاحق ثم قال:

وكل آب من عليه قادره

أرديت بسرا و الغلام ثائره

فظعنه الأشتر قائلا:

و عورة وسط العجاج ظاهرة

في كل يوم رجل شيخ بارزة

عمرو و بسر رهبا بالقاهرة

أبرزها طعنة كف فاترة

فلما رأى معاوية كثرة براز أمير المؤمنين^{عليه السلام} أخذ في الخديعة فأنفذ عمرو إلى ربيعة خالاته فوقعوا فيه فقال اكتب إلى ابن عباس و غره فكان فيما كتب:

بعد الإله سوى رفق ابن عباس

طال البلاء فما ندري له آسى

فكان جواب ابن عباس:

فاذهب فما لك في ترك الهدى آسى

يا عمرو حسبك من خدع و وسواس

تشجى النفوس له في النقع إفلاس

إلا بواد طعن في نحرورك

في الأرض أو سلما في الأفق يا قاسي

إن عادت الحرب عدنا و التمس هربا

ثم كتب معاوية إليه يذكر فيه إنما بقي من قريش ستة أنا و عمرو بالشام ناصبان و سعد و ابن عمر بالحجاز و علي و أنت بالعراق على خطب عظيم و لو بويح لك بعد عثمان لأسرعنا فيه.
فأجابه ابن عباس:

و ليس لها حتى تموت بخادع

دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة

وأمر معاوية لابن خديج الكندي أن يكتب الأشعث و النعمان بن بشير أن يكتب قيس بن سعد في الصلح.

ثم أنفذ عمرا و عتبة و حبيب بن مسلمة و الضحاک بن قيس إلى أمير المؤمنين^{عليه السلام} فلما كلموه قال أدعوكم إلى

(١) كذا في أصلي، وفي طبع النجف من كتاب المناقب: ج ٢ ص ٣٦٠: «لقد روى هذه السيرة عن أبيه عن جده في كشف أستاذه وسط عرصة الحروب».

كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن تجيبوا إلى ذلك فللرشد أصبتم وللخير وقتتم وإن تابوا لم تزدادوا من الله إلا بعدا فقالوا قد رأينا أن نتصرف عنا فنخلي بينكم وبين عراقكم وتخلون بيننا وبين شامنا فنحن نحقق دماء المسلمين فقال ﷺ لم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ.

ثم برز الأشتر وقال سوا صفوفكم وقال أمير المؤمنين أيها الناس من بيع يريح في هذا اليوم في كلام له ألا إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير في عواقب الأمور ألا إنها أحن بدرية وضغائن أودية وأحقاد جاهلية وقرأ «فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ» فتقدم وهو يرتجز.

دبوا دبیب النمل لا تفوتوا
وأصبحوا في حريمكم وبيتوا
کیما تسالوا الدین أو تموتوا
أو لا فإني طال ما عصيت

قد قلتم لو جئتنا فجئت

وحمل في سبعة عشر ألف رجل فكسروا الصفوف فقال معاوية لعمره اليوم صبر و غدا فخر فقال عمرو صدقت يا معاوية ولكن الموت حق والحياة باطل ولو حمل علي في أصحابه حملة أخرى فهو البوار.

فقال أمير المؤمنين ﷺ فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنة.

فبرز أبو الهيثم بن التيهان قائلاً

أحمد ربي فهو الحميد
ذاك الذي يفعل ما يريد
دين قويم وهو الرشيد

فقاتل حتى قتل.

وبرز خزيمة بن ثابت قائلاً:

كم ذا يرجى أن يعيش الماكت
والناس موروث وفيهم وارث
هذا علي من عصاه ناكث

فقاتل حتى قتل.

وبرز عدي بن حاتم قائلاً:

أبعد عمار وبعد هاشم
و ابن بديل صاحب الملاحم
ترجو البقاء من بعد يا ابن حاتم

فما زال يقاتل حتى فُتق عينه.

وبرز الأشتر مرتجياً:

سيروا إلى الله ولا تعرجوا
دين قويم وسبيل منهج

وقتل جندب بن زهير فلم يزالوا يقاتلون حتى دخل وقعة الخميس وهي ليلة الهرير وكان أصحاب علي ﷺ يضربون الطبول من أربع جوانب عسكر معاوية ويقولون علي المنصور وهو يرفع رأسه إلى السماء ساعة بعد ساعة ويقول:

اللهم إليك نقلت الأقدام وإليك أفضت القلوب و رفعت الأيدي و مدت الأعناق و طلبت الحوائج و شخصت الأبصار اللهم افتح بيننا وبين قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ.

وكان ينشد:

الليل داج والكباش تنتطح
أسد عرين في اللقاء قد مرح
نطاح أسد ما أراها تصطلع
منها قيام وفريق منبطع

فمن نجا برأسه فقد ربح

وكان يحمل عليهم مرة بعد مرة ويدخل في غمارهم ويقول الله الله في البقية الله الله في الحرم والذرية فكانوا يقاتلون أصحابهم بالجهل.

فلما أصبح كان قتلى عسكره أربعة آلاف رجل و قتلى عسكر معاوية اثنين و ثلاثين ألف رجل فصاحوا يا معاوية هلكت العرب فاستغاث هو بعمرو فأمره برفع المصاحف.
قال قتادة القتلى يوم صفين ستون ألفا وقال ابن سيرين سبعون ألفا و هو المذكور في أنساب الأشراف وضعوا على كل قتيل قصبة ثم عدوا القصب.

بيان: سَدَعُونَ إِلَى قَوْمٍ قال الطبرسي رحمه الله قتل هم هوازن وخيبر و قتل هم هوازن وثقيف و قتل هم بنو حنيفة مع مسلمة و قتل أهل فارس و قتل الروم و قتل هم أهل صفين أصحاب معاوية انتهى.
و استدلل على كونهم أصحاب معاوية بأن الله تعالى أخبر عن المتخلفين بأنهم لن يتبعوا الرسول أبدا فلا بد أن يكون بعده عليه السلام و بعده أصحاب معاوية أظهر من غيرهم أو الغرض محض نفي قول من قال إنها فيما وقع في حياته عليه السلام.

وقال الفيروز آبادي ربص بفلان ربصا انتظر به خيرا أو شرا يحل به كتر بص و يقال ربصني أمر وأنا مربوط.

و المراد بالشيخين طلحة و الزبير.

و في القاموس الدر النفس و اللبن و كثرته و لله دره أي عمله و لا در دره لا زكا عمله و در العرق سال قوله ما تبوح بها الخمر باح بسره أظهره و الضمير راجع إلى الخمر أي ما دام الخمر تظهر نفسها و لا يمكن كتمانها و الباسل البطل كشجاع و العلقمة المرارة و جريان القميص بضم الجيم و الرأ و تشديد الباء معرب جريان شعر بكسر الشين و الميم و تشديد الرأ أي شديد.

قوله عليه السلام من و من أي من هو و من هو و في الديوان و شر من وهن و بعده و قد غذي بالباس في وقت اللبن و الغبن بالتسكين في البيع و بالتحريك في الرأي و الطحن بالكسر الدقيق و لعل التحريك من ضرورة الشعر و الوهن بالفتح و قد يحرك الضعف في العمل و جشمته الأمر تجشما كلمته و فرس طمر بكسر الطاء و الميم و تشديد الرأ هو المستقر للوثب و العدو قوله كالعقاب هاوية أي كالعقاب في وقت هويها فإنها أسرع و نكد عيشهم اشتد و رجل نكد أي عسر.

قوله عليه السلام و منها جعفر في الديوان و تربى جعفر و الترب بالكسر من ولد معك هذا لهذا أي هذا الفخر لهذا اليوم و لعله عذر للمفاخرة و تقول أجزرته إذا لجأته إلى أن دخل حجره و التذبذب التحرك و المذبذب المتردد بين أمرين أكرم بجند أي ما أكرمهم و الأردن جمع الرذن بالضم أصل الكم و طهارتها كناية عن كرم الأخلاق و الأمانة و شجاني أي أحزنني و الميم الكذب.

قوله الأبرح العين أقول نسب في الديوان هذا الرجز إليه عليه السلام و فيه الأخر العين أي الضيق العين و الحاوية البطن كله أو المعاء و الهاوية الهواة و المرأة التاكلة و لطفها هنا ظاهر.

قوله عليه السلام أنا الغلام القرشي في الديوان أنا الإمام القرشي و فيه كالشطن و زاد بعد قوله من أهل اليمن.

من ساكني نجد و من أهل عدن أبو حسين فاعلمن و أبو حسن

و الأبلح المشرق الوجه أو منفصل الحاجبين و القطن بالتحريك جبل لبني أسد و الشطن بالتحريك الحبل الطويل قوله يا فاسي من الفسوة و يحتمل القاف.

قوله عليه السلام أولا أي لا لا تقبلون قولي فإني كثيرا ما عصيت و ما كافة أو مصدرية.

قوله عليه السلام لو جئنا لو للتمني و زاد في الديوان في آخره:

ليس لكم ما شئتم و شئت بل ما يريد المحيي المميت

و في الديوان في الرجز الآخر بعد قوله عليه السلام تصطليح:

أسد عرين في اللقاء قد مرح.

و العرين مأوى الأسد و العدول في مرح من الجمع إلى المفرد لضرورة الشعر و للإشعار بأنها لاجتماعها كأسد واحد كما قيل في قوله تعالى ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ و يقال بطحه أي ألقاه على وجهه فانبطح قوله عليه السلام الله الله أي اتقوه و اذكروه.

٤٧٣- شي: [تفسير العياشي] عن أبي الأغر التميمي قال إني لواقف يوم صفين إذ مر بي العباس بن ربيعة بن

الحارث بن عبد المطلب شاك في السلاح على رأسه مغفر و بيده صفيحة يمانية يقلبها و هو على فرس له أدهم و كأن عينيه عينا أفعى فيبنا هو يروض فرسه و يلين في عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم يا عباس هلم إلى البراز قال فالنزل إذا فإنه إياس من القبول قال فنزل الشامي و وجد و هو يقول^(١):

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا
أو تسزلون فأنا معشر نزل

قال وثني عباس رجله وهو يقول:

و يصد عنك مخيلة الرجل
بحسام سيفك أو لسانك
العريض موضحة عن العظم
والكلم الأصيل كأربع الكلم

ثم عصب فضلات درعه في حجزته و دفع فرسه إلى غلام يقال له أسلم كأنني أنظر إلى قلائل شعره و دلف كل واحد منهما إلى صاحبه قال فذكرت قول أبي ذؤيب

فتنازلا و تواقفت خيلاهما
و كلاهما بطل اللقاء مخدع

قال ثم تكافحا بسيفهما مليا من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأمته إلى أن لحظ العباس وهيا (وهنا خ ل) في درع الشامي فأهوى إليه بيده فهتكه إلى ثنوته ثم عاود لمحاولته و قد أصحره له مفتق الدرع فضربه العباس ضربة بالسيف فانظمت به جوانح صدره و خر الشامي صريعا بخده و سما العباس في الناس و كبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض فسمعت قائلا يقول من ورائي ﴿فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يَخْزِيهِمْ وَ يُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَ يُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يُتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ فالتفت فإذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال يا أبا الأغر من المبارز لعدونا قلت هذا ابن شيخكم العباس بن ربيعة قال علي عليه السلام يا عباس قال لبيك قال ألم أنهك و حسنا و حسينا و عبد الله بن جعفر أن تخلوا بمرکز أو تباشروا حدثا قال إن ذلك لكذلك قال فما عدا مما بدا قال فأدعى إلى البراز يا أمير المؤمنين فلا أجيب جعلت فداك قال نعم طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوك و د معاوية إنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضمرة إلا طعن في نيظه إطفاء لنور الله ﴿وَ يَأْتِي اللَّهُ إِلَهُ الْأَنْبِيَاءِ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أما و الله ليهلكنهم منا رجال و رجال يسومونهم الخسف حتى يتكففوا بأيديهم و يحفروا الآبار ثم قال إن عادوا لك فعد لي.

قال و نمي الخبر إلى معاوية فقال الله دم عرار ألا رجل يطلب بدم عرار قال فانتدب له رجلا من لخم فقالا نحن له قال اذهبا فأيكما قتل العباس برازا فله كذا و كذا فأتياه فدعواه إلى البراز فقال إن لي سيدا أوامره.

قال فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره فقال ناقلني سلاحك بسلاحي فنقله قال و ركب أمير المؤمنين على فرس العباس و دفع فرسه و برز إلى الشاميين فلم يشكوا أنه العباس فقالا له أذن لك سيدك فتخرج أن يقول نعم فقال ﴿إِذْ لَ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بَأْنَهُمْ ظَلَمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ قال فبرز إليه أحدهما فكانما اختطفه ثم برز إليه الثاني فآلحقه بالأول و انصرف و هو يقول ﴿الشُّهْرُ الْحَرَامُ بِالشُّهْرِ الْحَرَامِ وَ الْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اغْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا غَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ثم قال يا عباس خذ سلاحك و هات سلاحي.

قال و نمي الخبر إلى معاوية فقال قبح الله اللجاج إنه لقعود ما ركبته قط إلا خذلت.

فقال عمرو بن العاص المخذول و الله اللخميان لا أنت قال اسكت أيها الشيخ فليس هذه من ساعاتك قال فإن لم يكن فرحم الله اللخمين و ما أراه يفعل قال ذلك و الله أضيق لحجرك و أخسر لصفتك قال أجل و لو لا مصر لقد كانت المنجاة منها فقال هي و الله أعمتك و لولاها لألقيت بصيرا.

بيان: و رواه ابن أبي الحديد عن ابن قتيبة من كتاب عيون الأخبار عن أبي الأغر بأدنى تغيير و زاد

(١) رواه العياشي في تفسير الآية: (١٤) من سورة التوبة من تفسيره: ج ٢ ص ٧٩.

ورواه عنه السيّد هاشم البحراني رفع الله مقامه في تفسير الآية الكريمة من تفسيره ج ٢ ص ١٠٨، ط ٢.

ورواه أيضا ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار: ج ١، ص ١٨٠، وفي ط ج ٢ ص ٧٤.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٦٥) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٣٦ ط بيروت.

ورواه أيضا أبو مخنف كما رواه عنه السعدي في سيرة معاوية من كتاب مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٧ ط مصر.

بعد قوله من إجابة عدوك ثم تغيظ واستطار حتى قلت الساعة الساعة ثم سكن وتطامن ورفع يديه مبتهلا وقال اللهم أشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه وساق الخبر إلى قوله فقال علي فوالله لود معاوية.

والمخيلة الظن والكبر والعريض كسكيت من يتعرض للناس بالشر أي يمنع عنك ظن المتعرض للشر وكبره وخيلاه ضربة أو شجة موضحة عن العظم أو كلام بلسانك فإن الكلام الأصيل في التأثير كآربع الكلم أي الجرح وفي بعض النسخ قارعة الكلم بالقاف أو الفاء أي تفوقه وتزيد عليه والأول أظهر والصعب الطي الشديد والقلاقل بالضم السريع التحرك ودلف مشي بتثاقل كمشي الشيخ ودلفت الكتيبة في الحرب تقدمت.

وقال الجوهري قال الأصمعي كافحهم إذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس وقال مضي ملي من النهار أي ساعة طويلة.

وقال الجوهري الألة الدرع الألة.

وقوله ﷺ فما عدا مما بدا أي ما صرفك عما ظهر لك وقد مر سابقا.

وقال الجوهري الضمة السعفة أو الشحة في طرفها نار يقال ما بها نافخ ضمة أي أحد.

وقال في النهاية في حديث علي ﷺ والله لود معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضمة إلا طعن في نيطة الضمة بالتحريك النار وهذا يقال عند المبالغة في الهلاك لأن النار ينفخها الصغير والكبير والذكر والأنثى أي ما بقي أحد منهم.

ويقال طعن في نيطة أي في جنازته ومن ابتدأ في شيء أو دخله فقد طعن فيه ويروى طعن على ما لم يسم فاعله والنيط نياط القلب وهو علاقته.

وقال في مادة نيظ يقال طعن في نيطة وجنازته إذا مات والقياس النوط لأنه من ناط ينوط إذا علق غير أن الواو تعاقب الباء في حروف كثيرة. وقيل النيظ نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق به.

وقال الجوهري سامه خسفا أي أولاه ذلا ويقال كلفه المشقة والذل وقال استكف وتكفف بمعنى وهو أن يمد كفه يسأل الناس يقال فلان يتكفف الناس وقال القعود من الإبل هو البكر حين يركب أي يمكن ظهره من الركوب.

قوله أضيق لجحرك أي إقرارك بطلان أمرنا يضيق الأمر عليك ويجعل صفقتك أي بيعتك لي خاسرة باثرة.

٤٧٤-ج: (المجالس للمفيد) التمار عن محمد بن الحسن عن أبي نعيم عن صالح بن عبد الله عن هشام عن أبي مخنف عن الأعمش عن أبي إسحاق السبيعي عن الأصعب بن نباتة قال إن أمير المؤمنين ﷺ خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال (١):

أيها الناس اسمعوا مقاتلي وعواكلامي إن الخيلاء من التجبر والنخوة من التكبر وإن الشيطان عدو حاضر يعدكم الباطل. ألا إن المسلم أخو المسلم فلا تنابزوا ولا تخاذلوا فإن شرائع الدين واحدة وسيله قاصدة من أخذ بها لحق ومن تركها مرق ومن فارقها محق.

ليس المسلم بالخائن إذا اتهم ولا بالمخلف إذا وعد ولا بالكاذب إذا نطق.

نحن أهل بيت الرحمة وقلنا الحق وفعلنا القسط ومنا خاتم النبيين وفينا قادة الإسلام وأمناء الكتاب ندعوكم إلى الله وإلى رسوله وإلى جهاد عدوه والشدة في أمره وابتغاء مرضاته وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفتي لأهله.

ألا وإن من أعجب العجب أن معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن العاص السهمي يحرضان الناس على طلب

(١) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث: (٢٥) من المجلس: (٢٧) من أماليه ص ١٤٥ ط النجف. ورواه عنه الشيخ الطوسي ح في الحديث: (١٣) من الجزء الأول من أماليه ص ٩ ط بيروت.

دم ابن عهما وقد علمتني أني والله لم أخالف رسول الله ﷺ قط و لم أعصه في أمره قط أقيه بنفسي في المواطن التي تنكس فيها الأبطال و ترد منها القراض بقوة أكرمني الله بها فله الحمد.

ولقد قبض النبي ﷺ وإن رأسه لفي حجره ولقد وليت غسله بيدي ثقله الملائكة المقربون معي و ايم الله ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر باطلها على حقها إلا ما شاء الله.

قال فقام عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أن الأمة لم يستقم عليه قال ففرق الناس و قد نفذت بصائرهم.

٤٧٥-كشفت: [كشف الغمة] خرج من عسكر معاوية المخراق بن عبد الرحمن و طلب البراز فخرج إليه من عسكر علي المومل بن عبيد الله المرادي فقتله الشامي فنزل فجز رأسه و حك وجهه بالأرض و كبه على وجهه فخرج إليه فتى من الأزد اسمه مسلم بن عبد ربه فقتله الشامي و فعل به كما فعل فلما رأى علي ﷺ ذلك تنكر و الشامي واقف يطلب البراز فخرج إليه و هو لا يعرفه فطلبه فبدره علي ﷺ بضربة على عاتقه فرمى بشقة فنزل فاجتز رأسه و قلب وجهه إلى السماء و ركب و نادى هل من مبارز فخرج إليه فارس فقتله و فعل به كما فعل و ركب و نادى هل من مبارز فخرج إليه فارس فقتله و فعل كما فعل كذا إلى أن قتل سبعة فأحجم عنه الناس و لم يعرفوه^(١).

و كان لمعاوية عبد يسمى حربا و كان شجاعا فقال له معاوية و يلك يا حرب اخرج إلى هذا الفارس فاكفني أمره فقد قتل من أصحابي ما قد رأيت فقال له حرب إني و الله أرى مقام فارس لو نزل إليه أهل عسكرك لأنفاهم عن آخرهم فإن شئت برزت إليه و اعلم أنه قاتلي و إن شئت فاستبقي لغيره فقال معاوية لا و الله ما أحب أن تقتل فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك.

وجعل علي ﷺ يناديهم و لا يخرج إليه أحد فرفع المغفر عن رأسه و رجع إلى عسكره.

فخرج رجل من أبطال الشام اسمه كريب بن الصباح فطلب البراز فخرج إليه المرقع الخولاني فقتله الشامي وخرج إليه آخر فقتله أيضا فرأى علي ﷺ فارسا بطلا فخرج إليه علي ﷺ بنفسه فوقف قبالة و قال له من أنت قال أنا كريب بن الصباح الحميري فقال له علي ﷺ ويحك يا كريب إني أحذرك الله في نفسك و أدعوك إلى كتابه و سنة نبيه فقال كريب من أنت فقال أنا علي بن أبي طالب فالله الله في نفسك فإني أراك فارسا بطلا فيكون لك ما لنا و عليك ما علينا و تصون نفسك من عذاب الله و لا يدخلنك معاوية نار جهنم فقال كريب ادن مني إن شئت و جعل يلوح بسيفه فمشى إليه علي ﷺ و التقيا بضربتين و فبدره علي ﷺ فقتله فخرج إليه الحرث بن الحميري فقتله و آخر فقتله حتى قتل أربعة و هو يقول:

«الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» ثم صاح علي ﷺ يا معاوية هلم إلى مبارزتي و لا تقتن العرب بيننا.

فقال معاوية لا حاجة لي في ذلك فقد قتلت أربعة من سباع العرب فحسبك.

فصاح شخص من أصحاب معاوية اسمه عروة بن داود يا علي إن كان معاوية قد كره مبارزتك فهلم إلى مبارزتي فذهب علي ﷺ نحوه فبدره عروة بضربة فلم يعمل شيئا و ضربه علي فأسقطه قتلا ثم قال انطلق إلى النار و كبر على أهل الشام قتل عروة و جاء الليل.

و خرج علي ﷺ في يوم آخر متنكرا فطلب البراز فخرج إليه عمرو بن العاص و هو لا يعرف أنه علي و عرفه علي ﷺ فاطرد بين يديه ليعده عن عسكره فتبعه عمرو مرتجلا.

أضربكم و لا أرى أبا الحسن

يا قادة الكوفة يا أهل الفتنة

فرجع إليه علي ﷺ و هو يقول:

جاءك يقتاد العنان والرسن

أبو الحسين فاعلمن والحسن

فعره عمرو فولى ركضا ولحقه علي فطعنه طعنة وقع الرمح في فضول درعه فسقط إلى الأرض وخشي أن يقتله فرغ رجليه فبذت سواته فصرف علي ﷺ وجهه وانصرف إلى عسكره.

وجاء عمرو و معاوية يضحك منه فقال مم تضحك والله لو بدا لعلني من صفحتك ما بدا له من صفحتي إذا لأوجع قذالك وأبتم عيالك وأبهم مالك فقال معاوية لو كنت تحتل مزاحا لمازحتك فقال عمرو وما أحملني للمزاح ولكن إذا لقي الرجل رجلا فصد عنه ولم يقتله أنقسط السماء دما فقال معاوية لا ولكنها تعقب فضيحة الأبد حيناً وحيناً أما والله لو عرفته لما أقدمت عليه.

وكان في أصحاب معاوية فارس مشهور بالشجاعة اسمه بسر بن أرطاة فلما سمع بسر بن أرطاة يدعو معاوية إلى البراز ومعاوية يستمع قال قد عزمتم على مبارزة علي فعلي أقتله فأذهب بشهرته في العرب و شاور غلاما يقال له لاحق فقال إن كنت واثقا من نفسك وإلا فلا تبارز إليه فإنه والله الشجاع المطرق وأنشد

فأنت له يا بسر إن كنت مثله

وإلا فإن الليث للضيع أكل

وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

مضى تلقه فالموت في رأس رمحه

فقال ويحك هل هي إلا الموت ولا بد من لقاء الله على كل حال إما بموت أو قتل^(١).

ثم خرج بسر إلى علي ﷺ وهو ساكت بحيث لا يعرفه علي ﷺ لحالة كانت صدرت منه فلما نظر إليه علي ﷺ حمل عليه فسقط بسر عن فرسه على قفاه ورفع رجليه وانكشفت سواته فصرف علي ﷺ وجهه عنه ووثب بسر قائما وسقط المغفر عن رأسه فصاح أصحاب علي ﷺ يا أمير المؤمنين إنه بسر بن أرطاة فقال علي ﷺ ذروه عليه لعنة الله فضحك معاوية من بسر وقال لا عليك فقد نزل بعمرو مثلها!!!

وصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون لقد علمكم ابن عاص كشف الأستاه في الحروب وأنشد:

له عورة وسط العجاجة بادية

ويضحك منه في الغلاء معاوية

سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية

هما كانتا والله للنفس واقية

وتلك بما فيها من العود ثانية

أفي كل يوم فارس ذو كرية

يكف بها عنه على سنانة

فقلوا لعمرو وابن أرطاة أبصرا

فلا تحمدا إلا الحياء وخصاكما

فلولاهما لم تنجوا من سنانة

وكان بسر يضحك من عمرو فعاد عمرو يضحك منه!!

وتحامي أهل الشام عليا فخافوه خوفا شديدا.

وكان لعثمان مولى اسمه أحمر فخرج يطلب البراز فخرج إليه كيسان مولى علي ﷺ فحمل عليه فقتله فقال علي ﷺ قتلني الله إن لم أقتلك ثم حمل عليه فاستقبله بالسيف فاتقى علي ﷺ ضربته بالحجفة ثم قبض ثوبه وأقتلعه من سرجه و ضرب به الأرض فكسر منكبويه وعضديه ودنا منه أهل الشام فما زاده قهرهم إسراعا فقال له ابنه الحسن ﷺ ما ضرك لو سعت حتى تنتهي إلى أصحابك فقال يا بني إن لأبيك يوما لم يعدهو ولا به تبطن عنه السعي ولا يعجل به إليه المشي وإن أباك والله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه^(٢) وكان لمعاوية عبد اسمه حريث وكان فارسا بطلا فحزبه معاوية من التعرض لعلني فخرج وتنكر له فقال عمرو بن العاص لحريث لا يفوتك هذا الفارس و عرف عمرو أنه علي ﷺ فحمل حريث فداخله علي و ضربه ضربة أطار بها حقه رأسه فسقط قتلا و اغتم معاوية عليه غما شديدا و قال لعمرو أنت قتلت حريثا و غررته.

وخرج العباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي فأبلى.

وخرج إليه فارس من أصحاب معاوية فتنازلا وتضاربا ونظر العباس إلى وهن في درع الشامي فضربه العباس على ذلك الوهن فقدمه باثنتين فكبر جيش علي ﷺ وركب العباس فرسه فقال معاوية من خرج إلى هذا فقتله فله كذا وكذا.

(١) لو صبح أن هذا الكلام صدر من هذا المغرير المارد لا ينبغي لعاقل أن يفخر بما قال فإن هذا شأن أكثر المتمردين في جميع الأعصار فإنهم يبرأ ويستمع من الناس يتفوهون بأشكال هذه الكلم لتبرير عثوم وطغيانهم وتشجيع مردتهم وهيج الدعاء على أتباعهم وتشجيعهم!!!
(٢) قد تقدم هذا نقلاً عن كتاب صفين، ورواه أيضاً الطبري في تاريخه: ج ٤، وفي ط بيروت: ج ٥ ص ١٩، وما فيها أوضح مما هنا.

فوثب رجلان من لخم من اليمن فقالا نحن نخرج إليه فقال اخرجنا فأيكما سبق إلى قتله فله من المال ما ذكرت و
للآخر مثل ذلك فخرجا إلى مقر المبارزة وصاحا بالعباس ودعاه إلى القتال فقال استأذن صاحبي وأعد إليكما و
جاء إلى علي عليه السلام ليستأذنه فقال له أعطني ثيابك وسلاحك وفرسك ولبسها وركب الفرس وخرج إليهما فظنا أنه
على العباس فقالا استأذنت صاحبك فتخرج من الكذب فقرأ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ﴾ فتقدم إليه أحد الرجلين فالتقيا ضربتين ضربة علي عليه السلام على مرقا بطنه قطعه باثنتين فظن أنه أخطأ فلما تحرك
الفرس سقط قطعيتين و غار فرسه و صار إلى عسكر علي عليه السلام و تقدم الآخر فضربه علي عليه السلام فالحقه بصاحبه ثم جال
عليهم جولة و رجع إلى موضعه.

و علم معاوية أنه علي فقال قبح الله اللجاج إنه ليعود ما ركبته إلا خذلت فقال عمرو بن العاص المخذول والله
للخميان لا أنت فقال له معاوية أسكت أيها الإنسان ليس هذه الساعة من ساعتك فقال عمرو فإن لم تكن من ساعاتي
فرحم الله اللخمين و لا أظنه يفعل.

و قال في وصف ليلة الهرير فما لقي عليه السلام شجاعا إلا أراق دمه و لا بطلا إلا زلزل قدمه و لا مريدا إلا أعدمه و لا
قاسطا إلا قصر عمره و أطال ندمه و لا جمع نفاق إلا فرقه و لا بناء ضلال إلا هدمه و كان كلما قتل فارسا أعلن
بالتكبير فأحصيت تكبيراته ليلة الهرير فكانت خمسماية و ثلاثا و عشرين تكبيرة بخمسماية و ثلاثة و عشرين قتيلا
من أصحاب السعير.

و قيل إنه في تلك الليلة فتق نيفق درعه لثقل ما كان يسيل من الدم على ذراعه و قيل إن قتلاه عرفوا في النهار
فإن ضرباته كانت على وتيرة واحدة إن ضرب طولا قد أو عرضا قط و كانت كأنها مكواة بالنار.

ببيان: قال الجوهري القذال جماع مؤخر الرأس و في القاموس نيفق السراويل بالفتح الموضع
المتسع منه.

٤٧٦-بشا: [بشارة المصطفى] إبراهيم بن الحسين البصري عن محمد بن الحسين بن عتبة عن محمد بن أحمد بن
مخلد عن أبي الفضل الشيباني عن محمد بن محمد بن معقل عن محمد بن أبي الصهبان عن البرنظي عن أبان بن
عثمان عن أبان بن تغلب عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال عقم النساء
أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما كشفت النساء ذيوهن عن مثله لا والله ما رأيت فارسا محدثا
يوزن به لرأيته يوما و نحن معه بصفين و على رأسه عمامة سوداء و كان عينيه سراجا سليلط يتوقدان من تحتها يقف
على شزيمة شزيمة يحضهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم و طلعت خيل لمعاوية تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف
دارع على عشرة آلاف أشهب فاقشعر الناس لها لما رأوها و انحاز بعضهم إلى بعض فقال أمير المؤمنين عليه السلام فيم النخع
و الخنع يا أهل العراق هل هي إلا أشخاص مائلة فيها قلوب طائرة لو مسها سيوف قلوب أهل الحق لرأيتوها كجراد
بقية سفته الريح في يوم عاصف^(١).

٦٠٢-ألا فاستشعروا الخشية و تجلببوا السكينة و ادرعوا الصبر و غضوا الأصوات و قلقوا الأسياف في الأغمد قبل
السلة و انظروا الشرر و اطعنوا الوجر و كافحوا بالطبي و صلوا السيوف بالخطي و النبال بالرماح و عاودوا الكر و
استحيوا من الفر فإنه عار في الأعقاب و نار يوم الحساب و طبيوا عن أنفسكم نفسا و امشوا إلى الموت مشية سجحا
فإنكم بعين الله عز و جل و مع أخي رسول الله ﷺ.

و عليكم بهذا السراق الأدم و الرواق المظلم فاضربوا بوجه فإن الشيطان راقد في كسره فافج حاضنيه مفترش
ذراعيه قد قدم للوثية يدا و أخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق و أنتم الأعلون و الله
معكم و لن يزيكم أعنانكم ها أنا شاد فشدوا بسم الله حم لا ينصرون.

ثم حمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام و على ذريته حملته و تبعه خويلة لم يبلغ المائة فارس فأجالهم فيها جولان

(١) رواه الطبري في أواخر الجزء الرابع من كتاب بشارة المصطفى ص ١٧٢ ط النجف.

و للخطبة أسانيد ومصادر أخر يجد الباحث بعضها في المختار: (٢١٥) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٢٨ ط ١.

الرحى المسرحة بثقالها فارفعت عجاجة منعني النظر ثم انجلت فأثبت النظر فلم تر إلا رأسا نادرا ويدا طائحة فما كان بأسرع أن ولوا مدبرين كأنهم حُرٌّ مُسْتَنْفَرَةٌ قَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قد أقبل و سيفه ينطف و وجهه كشفة القمر و هو يقول قَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِيَّاهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ

قال عكرمة و كان ابن عباس رضي الله عنه يحدث قال أمر رسول الله ﷺ عليا بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين و قال يا علي إنك لمقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله

بيان: قال في القاموس نخع لي بحقي كمنع أقر و الذبيحة جاوز منتهى الذبح فأصاب نخاعها و فلان الود و النصيحة أخلصهما له و أنزع الأسماء أذلها و أقرها و نخع المود كفرح جرى فيه الماء و قال الخانع العريب الفاجر و قد خنع كمنع و الخنعة الفجرة و الريبة و كصبور الغادر الذي يحيد عنك و بالضم الخضوع و الذل و الخنع التجشيس و اللين.

قوله ﷺ ماثلة أي قائمة أو متمثلة مشبهة بالإنسان و قال الفيروز آبادي في القاموس مثل قام منتصبا كمثل بالضم و لطا بالأرض ضد زال عن موضعه و فلان فلانا صار مثله و في بعض النسخ ماثلة من الميل أي عادلة عن الحق فيها قلوب طائفة أي من الخوف و القبيعة بالكسر الأرض المستوي أو جمع القاع و اطعنوا الوجع بالجم و الرء المهيمة قال في القاموس أوجره بالرمح طعنه به في فيه و في النهاية في حديث عبد الله بن أنيس فوجرته بالسيف وجرا أي طعنته و المعروف في الطعن أوجرته بالرمح و لعله لغة فيه.

أو بالحاء المهيمة و هو الحقد و الغيظ أو بالخاء و الراي و هو الطعن بالرمح وغيره لا يكون نافذا و لا يناسب إلا يتكلف أو بالجم و الزاي و هو السريع الحركة و قد مر على وجه آخر.

و المكافحة المضاربة و المدافعة لبقاء الوجه كالمنافحة و يروى بهما و النبال بالرمح أي ارموهم بالنبال فإذا قربتم فاستعملوا الرماح و العكس أظهر كما سيأتي أي إذا لم تصل الرماح فاستعملوا النبال كأنكم وصلتموها بها فيكون أنسب بالفقرة السابقة و كذا في النهاية أيضا و قد مر و الأدلم الأسود صورة أو معنى كالمظلم.

قوله ﷺ نافخ حضنيه الحزن بالكسر ما دون الإبط إلى الكشح أو الصدر أو العضدين أو ما بينهما و نفخت الشيء أي رفعته و عظمته قال في النهاية كني به عن التعظم و التكبر و الخيلاء و في بعض النسخ نافش بالشين و لا يناسب المقام و قال في مادة بيت من النهاية في حديث الجهاد إذا بيتم فقولوا حم لا ينصرون قبل معناه اللهم لا ينصرون و يريد به الخبر لا الدعاء و إنه لو كان دعاء لقال لا ينصروا مجزوما فكأنه قال و الله لا ينصرون و قيل إن السور التي أولها حم سور لها شأن فبني أن ذكرها لشرف منزلتها مما يستظهر به على استئزال النصر من الله و قوله لا ينصرون كلام مستأنف كأنه حين قال قولوا حم قبل ما ذا يكون إذا قلناها فقال لا ينصرون و الخويلة كأنه تصغير الخيل و إن لم يساعده القياس أو تصغير الخول بمعنى الخدم و الحشم.

و قال في النهاية في حديث علي عليه السلام تدفهم الفتن دق الرحي بثقالها الثقال بالكسر جلدة تسبسط تحت رحي اليد ليقع عليها الدقيق و يسمى الحجر الأسفل ثقالا بها و المعنى أنها تدفهم دق الرحي للحب إذا كانت مثقلة و لا تثقل إلا عند الطحن انتهى.

و العجاجة بالفتح الغبار و ندر بالشيء سقط و طاح يطوح و يطيح هلك و أشرف على الهلاك و ذهب و سقط و طوحته الطوايح قذفته القواذف. و القسورة الأسد و سيفه ينطف أي يقطر و في النهاية نطف الماء ينطف و ينطف إذا قطر قليلا قليلا و منه صفة المسيح ينطف رأسه ماء و الشقة بالكسر القطعة المشقوقة و نصف الشيء إذا شق.

قوله ﷺ على تأويل القرآن أي ليقبلوا منك تأويل القرآن أو إن آيات قتال المشركين و الكافرين طأهرها قتال من قاتلهم رسول الله ﷺ و باطنها يشتمل قتال من قاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام.

و أما آية و إِنْ طَائِفَتَانِ فليست بنازلة فيهم لعدم إيمان هؤلاء و إن كان ﷺ قرأها في بعض المواطن إلزاما عليهم مع أنه يحتاج إجراؤها في ابتداء قتالهم إلى استدلال و نظر و قد مر شرح سائر أجزاء الخبر في رواية النهج.

٤٧٧-ك: [الكافي] علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة و فضيل و محمد بن مسلم عن أبي جعفر^(١) قال في صلاة الخوف عند المطاردة و المناوشة يصلي كل إنسان منهم بالإيماء حيث كان وجهه و إن كانت المسابقة و المعانقة و تلاحم القتال فإن أمير المؤمنين^(٢) صلى ليلة صفين و هي ليلة الهرير لم تكن صلواتهم الظهر و العصر و المغرب و العشاء عند كل وقت صلاة إلا التكبير و التهليل و التسبيح و التحميد و الدعاء فكانت تلك صلواتهم لم يأمرهم بإعادة الصلاة^(٣).

٤٧٨-فر: [تفسير فرات بن إبراهيم] إبراهيم بن بنان الخنعمي عن جعفر بن أحمد بن يحيى عن علي بن أحمد بن القاسم الباهلي عن ضرار بن الأزور أن رجلا من الخوارج سأل ابن عباس رضي الله عنه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٤) فأعرض عنه ثم سأله فقال و الله لقد كان أمير المؤمنين يشبه القمر الزاهر و الأسد الخادر و الفرات الزاخر و الربيع الباكر فأشبهه من القمر ضوءه و بهأوه و من الأسد شجاعته و مضأوه و من الفرات جوده و سخاؤه و من الربيع خصبه و حيأوه عقلت النساء أن يأتين بمثل علي بعد النبي و الله ما سمعت و لا رأيت إنسانا محاربا مثله و قد رأيته يوم صفين و عليه عمامة بيضاء و كان عينيه سراجان و هو يتوقف على شزيمة شرذمة يحضهم و يحثهم إلى أن انتهت إلي و أنا في كنف من المسلمين فقال:

٦٠٦
٣٢ معاشر الناس استشعروا الخشية و أميتوا الأصوات و تجلببوا بالسكينة و أكملوا اللأمة و قلقلوا السيوف في الغمد قبل السلة و الحظوا الشذر و اطعنوا الخزر و نافجوا بالطبي و صلوا السيوف بالخطي و الرماح بالنبال فإنكم بين الله و مع ابن عم نبيكم و عاودوا الكر و استحيوا من الفر فإنه عار باق في الأعقاب و نار يوم الحساب فطيقوا عن أنفسكم أنفسا و اطووا عن الحياة كشحا^(٥) و امشوا إلى الموت مشيا و عليكم بهذا السواد الأعظم و الرواق المطنب فاضربوا ثبجه فإن الشيطان عليه اللعنة راكد في كسره نافج حضنيه و مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يدا و آخر للنكوص رجلا فقصدا حتى ينجلي لكم عمود الحق و أنتم العلون و الله معكم و لن يترككم أعمالكم.

قال و أقبل معاوية في الكتيبة الشهباء و هي زهاء عشرة آلاف بجيش شاكين في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق تحت المغافر فقال^(٦):

ما لكم تنظرون بما تعجبون إنما هم جثث ماثلة فيها قلوب طائرة مزخرفة بتمويه الخاسرين و رجل جراد زفت به ريح صبا و ليف سده و لحمته الضلالة و صرخ بهم ناعق البدع و فيهم خور الباطل و ضحضة المكائر فلو قد مسها سيوف أهل الحق لتهاقت تهاقت القراش في النار ألا فسوا بين الركب و عضوا على النواجذ و اضربوا القواضب بالصوaram و أشرعوا الرماح في الجوانح و شدوا فإني شاد حم لا ينصرون.

فحملوا حملة ذي لبد فازالوهم عن مصافهم و دفعوهم عن أماكنهم و رفعوهم عن مراكزهم و ارتفع الريح و خمدت الأصوات فلا يسمع إلا صلصلة الحديد و غمغمة الأبطال و لا يرى إلا رأس نادر و يد طائحة و أنا كذلك إذ أقبل أمير المؤمنين^(٧) من موضع يريد أن ينجلي من الغبار و ينفذ العلق من ذراعيه سيفه يقطر الدماء و قد انحنى كقوس النازع و هو يتلو هذه الآية «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا يَتَنَاهَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلَا الَّتِي تَبَغَتْ حَتَّىٰ تَبْغِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ» فما رأيت قتالا أشد من ذلك اليوم.

٦٠٧
٣٢ يا بني إني أرى الموت لا يقلع و من مضى لا يرجع و من بقي فإليه ينزع إني أوصيك بوصية فاحفظها و اتق الله و ليكون أولى الأمر بك الشكر لله في السر و العلانية فإن الشكر خير زاد:

بيان: قال في القاموس الخدر أجمة الأسد و منه أسد الخادر و الربيع الباكر أي أول ما دخل فإنه أكثر مطرا و أظهر آثارا و كل من بادر إلى شيء فقد أبكر إليه و بكر أي وقت كان و الباكورة أول الفاكهة ذكره الجوهري و قال مضى الأمر مضاء نفذ و قال الحياء مقصور الخصب و المطر و أنا في كنف أي في ناحية و جانب و في بعض النسخ في كتيبة و هو أظهر و الرجل الجماعة الكثيرة من الجراد خاصة و الخور الضعف و ضحضة المكائر هي التوهيم و التهديد الذي يأتي به المكائر و

(١) رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه.

(٢) كذا في متن طبع الكمباني من البحار، وفي هامشه نقلاً عن بعض النسخ: «واطوا».

بديعه ولا أصل له قال في القاموس ضحضح السراب تفرق و الضحضضة جري السراب. و
اضربوا القواص أي الأعناق و الصدور تشبيها بقناصة الطير أو الفرق التي يريدون اصطيادكم من
قنصه أي صاده و يحتمل القواص بالباء و الضاد المعجمة أي الأيدي القابضة و الصارم السيف
القاطع و أشرعت الرمح قبله أي سددت و كذا شرعت و الجوانح الأضلاع التي تلي الصدر و الشدة
بافتح الحملة في الحرب و الريح بالتحريك الغبار و الغمغة أصوات الأبطال في القتال و في
القاموس اللدة بالكسر شعر زبرة الأسد و كنيته ذو ليدة

٤٧٩- نهج: [نهج البلاغة] و من كلامه ﷺ لما عزم على لقاء القوم بصفين (١):

اللهم رب السقف المرفوع و الجو المكثوف الذي جعلته مغيضا لليل و النهار و مجرى للشمس و القمر و مختلفا
للنجوم السيارة و جعلت سكانه سبيطا من ملائكتك لا يسأمون عن عبادتك و رب هذه الأرض التي جعلتها قرارا
للأنام و مدرجا للهوام و الأنعام و ما لا يحصى مما يرى و ما لا يرى و رب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض
أوتادا و للخلق اعتمادا إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي و سددنا للحق و إن أظهرتهم علينا فارقنا الشهادة
واعصمنا من الفتنة.

٦٠٩
٣٣

أين المانع للذمار و الغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ العار وراكم و الجنة أمامكم

بيان: الجو ما بين السماء و الأرض و الهواء و غاض الماء غيضا نضب و قل و المراد هنا بالسقف
المرفوع السماء أيضا من كفه أي جمعه و ضم بعضه إلى بعض أو الهواء لكونه مضموما بالسماء
محفوظا عن الانتشار كما ورد في الدعاء و سد الهواء بالسماء لكن يأتي عنه وصفه بكونه مجرى
للشمس و القمر و مختلفا للنجوم السيارة و كونه مغيضا لليل و النهار لأن الفلك يحرركه المستلزمة
لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سببا لغيوبة الليل و النهار لأن الفلك يحرركه المستلزمة
كالغيض لهما و قيل المغيض الغيضة و هي في الأصل الأجمة يجتمع إليها الماء فيسمى غيضة
ومغيضا و يثبت فيها الشجر و كذلك الليل و النهار يتولدان من جريان الفلك فكان كالغيضة لهما
و الاختلاف التردد قوله ﷺ سبيطا أي قبيلة قوله ﷺ قرارا أي موضع استقرارهم و مدرجا أي موضع
سيرها و حركاتها و الهوام الحشرات قوله ﷺ و للخلق اعتمادا لأنهم يجعلونها مساكن لهم
و يستغنون عن بناء جدار مثلا و لأنها من أمهات العيون و منابع المياه و فيها المعادن و الأشجار
و الثمار و الأعشاب فهي معتمد للخلق في مراققتهم و منافعهم و دمار الرجل كل شيء يلزمه الدفع
عنه و إن ضيعه لزمه الذم أي اللوم و الحقائق الأمور الشديدة العار وراكم أي يسوقكم إلى الحرب
و يمنعكم من الهرب و في بعض النسخ النار بهذا الوجه أو لأن الهارب مصيره إليها.

٤٨٠- نهج: [نهج البلاغة] روى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه و كان ممن
خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث أنه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد إني سمعت عليا ﷺ رفع الله درجته
في الصالحين و أثابه ثواب الشهداء و الصديقين يقوم يول لقينا أهل الشام (٢):

٦٠٩
٣٣

أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به و منكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و برأ و من أنكره بلسانه فقد
أجر و هو أفضل من صاحبه و من أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا و كلمة الظالمين السفلى فذلك الذي
أصاب سبيل الهدى و قام على الطريق و نور في قلبه اليقين.

بيان: قوله ﷺ فقد سلم و برأ أي من العذاب المترتب على فعل المنكر و الرضا به لأنه خرج بمجرد
ذلك عن العهدة.

و قال ابن ميثم إنما خصصه بالسلامة و البراءة من العذاب لأنه لم يحمل إثما و إنما لم يذكر له أجرا
و إن كان كل واجب يثاب عليه لأن غاية إنكار المنكر دفعه و الإنكار بالقلب ليس له في الظاهر

(١) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (١٦٩) من نهج البلاغة. وللکلام مصادر أخر يقف الباحث على بعضها في المختار: (٢٠٦)
من نهج البعاده: ج ٢ ص ١٩٧، ط ١.

(٢) رواه السيد الرضي في المختار: (٣٧٣) من قصار نهج البلاغة. ورواه الطبري في أوّل أحداث سنة (٨٣) من تاريخ الأمم و الملوك: ج ٢
ص ١٠٨٦، ط ١. وفي ط الحديث ببيروت ج ٦ ص ٣٥٧ نقلًا عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، عن أبي الزبير الهمداني عن عبد الرحمن بن
أبي ليلى الفقيه عن علي ج.

تأثير في دفع المنكر فكانه لم يفعل ما يستحق به أجرا انتهى وفيه ما فيه.

٤٨١- كتاب سليم بن قيس، عن أبان بن أبي عياش عنه قال سألت عبد الله بن عباس هل شهدت صفين قال نعم قلت هل شهدت يوم الهرير قال نعم قلت كم كان أتى عليك من السن قال أربعون سنة قلت فحدثني رحمك الله قال نعم مهما نسيت من شيء من الأشياء فلا أنسى هذا الحديث ثم بكى وقال (١)؛

٧١٠
٣٢ صفوا و صفنا فخرج مالك الأشتر على فرس أدهم و سلاحه معلق على فرسه و بيده الرمح و هو يقرع به رءوسنا و يقول أقيموا صفوفكم فلما كتب الكتاب و أقام الصفوف أقبل على فرسه حتى قام بين الصفين فولى أهل الشام ظهره و أقبل علينا بوجهه فحمد الله و أثني عليه و صلى على النبي ﷺ ثم قال أما بعد فإنه كان من قضاء الله و قدره اجتماعنا في هذه البقعة من الأرض قد اقتربت و أمور تصرمت يسوسنا فيها سيد المسلمين و أمير المؤمنين و خير الوصيين و ابن عم نبينا و أخوه و وارثه و سيف من سيوف الله و رئيسهم ابن أكلة الأكباد و كهف النفاق و بقية الأحزاب يسوقهم إلى الشقاء و النار و نحن نرجو بقتالهم من الله الثواب و هم ينتظرون العقاب فإذا حمى الوطيس و ثار القتام و جالت الخيل يقتلانا و قتلهم رجونا بقتالهم النصر من الله فلا أسعمن إلا غمغمة أو ههمة.

أيها الناس غضوا الأبصار و عضوا على النواجز من الأضراس فإنها أشد لصرر الرأس و استقبلوا القوم بوجهكم و خذوا قوائم سيوفكم بأيامكم فاضربوا الهام و اطعنوا بالرماح مما يلي الشرسوف فإنه مقتل و شدوا شدة قوم موتورين بأبائهم و بدماء إخوانهم حنقين على عدوهم قد وطئوا أنفسهم على الموت لكيلا تذلوا و لا يلزمكم في الدنيا عار.

ثم التقى القوم فكان بينهم أمر عظيم فتفرقوا عن سبعين ألف قتيل من جحاجة العرب و كانت الوقعة يوم الخميس من حيث استقلت الشمس حتى ذهب ثلث الليل الأول ما سجد لله في ذنك العسكرين سجدة حتى مرت مواقيت الصلوات الأربع الظهر و العصر و المغرب و العشاء

قال سليم ثم إن علياً ﷺ قام خطيباً فقال أيها الناس إنه قد بلغ بكم ما قد رأيتم بعدوكم فلم يبق منهم إلا آخر نفس و إن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها و قد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا فيكم ما قد بلغوا و أنا غاد عليهم بالغداة إن شاء الله و محاكمهم إلى الله (٢).

٧١١
٣٢ فبلغ ذلك معاوية ففرع فزعا شديداً و انكسر هو و جميع أصحابه و أهل الشام كذلك فدعا عمرو بن العاص فقال يا عمرو إنما هو الليلة حتى يغدو علينا فما ترى قال أرى الرجال قد قتلوا و ما بقي فلا يقومون لرجالهم و لست مثله و إنما يقاتلك على أمر و أنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء و ليس يخاف أهل الشام علياً إن ظفر بهم ما يخاف أهل العراق إن ظفرت بهم و لكن ألق إليهم أمراً فإن ردوه اختلفوا و إن قبلوه اختلفوا ادهمهم إلى كتاب الله و ارفع المصاحف على رءوس الرماح فإنك بالغ حاجتك فإني لم أزل أدخرها لك.

فعرها معاوية و قال صدقت و لكن قد رأيت رأياً أخدع به علياً طلبني إليه الشام على المواعدة و هو الشيء الأول الذي ردني عنه.

فضحك عمرو و قال أين أنت يا معاوية من خديعة علي و إن شئت أن تكتب فكتب قال فكتب.

معاوية إلى علي ﷺ كتاباً مع رجل من أهل السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة أما بعد فإنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت و علمنا نحن لم يجنهما بعضنا على بعض وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي منها ما يزم به ما بقي و قد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك علي فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجوه ولا تخاف من الفناء إلا ما أخاف و قد والله رقت الأكباد و ذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستدل به عزيز ولا يسترق به ذليل والسلام.

قال سليم فلما قرأ علي ﷺ كتابه ضحك و قال العجب من معاوية و خديعته لي فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال له اكتب.

(١) رواه سليم بن قيس الهلالي ح في كتابه ص ١٩٩، ط النجف.

(٢) وتقدم هذا الكلام برواية نصر بن مزاحم، ورواه أيضاً الدينوري في كتاب الأخبار الطوال ص ١٨٨.

أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنك لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ بنا و بك إلى ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض و أنا و إياك يا معاوية على غاية منها لم نبلغها بعد.
و أما طلبك إلي الشام فإني لم أعطك اليوم ما منعتك أمس.
و أما استؤذاننا في الخوف و الرجاء فإنك قلت لست بأَمْضَى على الشك مني على اليقين و ليس أهل الشام أحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

و أما قولك إنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض فكذلك نحن و لكن ليس أُمّية كهاشم و لا حرب كعبد المطلب و لا أبو سفيان كأبي طالب و لا الطليق كالمهاجر و لا المناق كالمؤمن و لا المحق كالمبطل و في أيدينا فضل النبوة التي ملكتنا بها العرب و استبعدنا بها العجم و السلام^(١).

فلما انتهى كتاب علي إلى معاوية كتبه عمرا ثم دعاه فأقرأه فشمّت به عمرو و قد كان نهاء و لم يكن أحد من قريش أشدّ تعظيماً لعلي عليه السلام من عمرو بعد اليوم الذي صرعه عن دابته فقال عمرو

ألا لله درك يا ابن هند	و در المردى الحال المسود
أنطمع لا أبأ لك في علي	و قد قرع الحديد على الحديد
و تبرجوا أن تخادعه بشك	و ترجوا أن يهايك بالوعيد
و قد كشف القناع و جر حربا	يشيب لهولها رأس الوليد
له جأؤاه مظلمة طحون	فوارسها تلهب كالأسود
يقول لها إذا رجعت إليه	بقتل بالطعان اليوم عودي
فإن وردت فأولها ورودا	وإن صدرت فليس بذى ورود
وما هي من أبي حسن بنكر	وما هي من مساتك بالبعيد
و قلت له مقالة مستكين	ضعيف القلب منقطع الوريد
طلبت الشام حبسك يا ابن هند	من السوءة والرأي الزهيد
ولو أعطاكها ما ازددت عزا	وما لك في استزادك من مزيد
فلم تكسر بهذا الرأي عودا	سوى ما كان لا بل رق عود ^(٢)

فقال معاوية و الله لقد علمت ما أردت بهذا قال عمرو و ما أردت به قال عبيك رأيي في خلافك و معصيتك و العجب لك تفيل رأيي و تعظم عليا و قد فضحك فقال أما تفيل رأيك فقد كان و أما إعظامي عليا فإنك بإعظامه أشد معرفة مني و لكنك تطويه و أنشره و أما فضيحتي فلن يفتضح رجل بارز عليا فإن شئت أن تبلوها أنت منه فافعل فسكت معاوية و فشا أمرهما في أهل الشام.

قال أبان قال سليم و مر علي عليه السلام بجماعة من أهل الشام فيهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط و هم يشتمونه فأخبر بذلك فوقف فيمن يليهم من أصحابه و قال لهم:

انهضوا إليهم و عليكم السكينة و سيماء الصالحين و وقار الإسلام أقرنا من الجهل بالله^(٣) و الجراءة عليه و الاغترار بقوم رئيسهم معاوية و ابن النابغة و أبو الأعور السلمي و ابن أبي معيط شارب الخمر و المجلود الجد في الإسلام و الطريد مروان و هم هؤلاء يقربون و يشتمون و قبل اليوم ما قاتلوني و شتموني و أنا إذ ذاك أدعوه إلى الإسلام و هم يدعونني إلى عبادة الأوثان فأحمد لله على ما عاداني الفاسقون إن هذا الخطب جليل إن فساقا منافقين

(١) و للكلام مصادر كثيرة يجد الباحث كثيراً منها في ذيل المختار: (١٠١) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٤ ص ٢٧٢ ط ١.
(٢) كذا في أصلي. و الأبيات رواها نصر بن مزاحم في أواسط الجزء (٧) من كتاب صفين ص ٤٧٢ ط مصر. و رواها عنه ابن أبي الحديد باختلاف في بعض الكلمات في شرح المختار: (١٧) من الباب الثاني من نهج البلاغة: ج ٣ ص ٤٢٤ ط القديم و في ط الحديث ببغروت: ج ٤ ص ٥٥٦ وفيها: «و در الأمرين لك الشهود».
(٣) كذا في الأصل. و في كتاب صفين و تاريخ الطبري: «فوالله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ وجلّ قوم قائدهم ومؤدّبهم معاوية وابن النابغة...».

كانوا عندنا غير مؤتمنين و على الإسلام منحرفين متخوفين خدعوا شطر هذه الأمة و أشربوا قلوبهم حب الفتنة و استمالوا أهوائهم إلى الباطل فقد نصبوا لنا الحرب و جدوا في إطفاء نور الله و الله مِمُّ نوره و لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^(١). ثم حرض عليهم و قال:

إن هؤلاء لا يزولون عن موقفهم هذا دون طعن دراك تطير منه القلوب و ضرب تفلق الهام و تطيح منه الأنوف و العظام و يسقط منه المعاصم و حتى تفرق جباههم بعمد الحديد و تنتشر حواجبهم على صدورهم و الأذقان و النحور. أين أهل الدين و طلاب الأجر قال فثارت عليه عصابة نحو أربعة آلاف فدعا محمد بن الحنفية و قال يا بني امش نحو هذه الرابية مشياً ونيذا على هينتك حتى إذا أشرعت في صدورهم الأسنة فأمسك حتى يأتيك رأيي ففعل. أعد على مثلهم فلما دنا محمد و أشرع الرماح في صدورهم أمر على الذين كان أعدهم أن يحملوا معه فشدوا عليهم و نهض محمد و من معه في وجوهم فأزالوهم عن مواقفهم و قتلوا عامتهم^(٢).

بيان: لصرر الرأس كأنه جمع صرة على الاستعارة فشبه خرائط الدماغ و أوعية الرأس بالصرة التي تجعل فيها الدراهم.

و قال الجوهري الشراسيف مقاط الأضلاع و هي أطرافها التي تشرف على البطن و يقال الشرسوف غضروف معلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف و قال الموتور الذي قتل له قتيلا فلم يدرك بدمه و قال الجحجاح السيد و الجمع الجحاجح و جمع الجحاجح جحاجحة.

قوله و در المردي الحال كذا.

أقول: روى ابن أبي الحديد^(٣) عن نصر بن مزاحم كتاب معاوية و جوابه^(٤) و ما جرى بين معاوية و بين عمرو في ذلك وفي الأبيات اختلاف وفيها ودر الأمرين لك الشهود والمسود الرعية لسيد يقال ساد قومه يسودهم وفيها:

و تـرجـو أن تحيره بشك
و الوليد الطفيل.

وقال الجوهري كتيبة جأوا بيته الجأى و هي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع و فيها أيضا:
يقول لها إذا رجعت إليه
و الضمير في لها راجع إلى الجأواء.

وبدل قوله و إن صدرت في الرواية و إن صدت فليس بذي صدور.
وفيها أيضا:

ولو أعطاكها ما ازددت عزا
فلم تكسر بذاك الرأي عودا
و لا لك لو أجابك من مزيد
لركسته و لا ما دون عود

و الدق بالكسر الدقيق و الركة الرقة و الضعف و قال الجوهري فيل رأيه ضعفه و قال مشى مشياً ونيذا أي على تودة و قال يقال امش على هينتك أي على رسلك و قد مر شرح سائر أجزاء الخبر و لم أبال بالتكرار للاختلاف الكثير بين الرويات.

أقول و روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين^(٥) هذه المراسلة مع ما جرى فيه بين معاوية و عمرو و الأبيات باختلاف و قد أشرنا إلى بعضه.

(١) و قريب منه و من التالي تقدم برواية نصر بن مزاحم، ورواه أيضاً مع التالي بسندين الطبري في تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٣٣٢٥. وفي ط الحديث ببيروت: ج ٥ ص ٤٥.

(٢) وهذا رواه أيضاً السعدي في قصة صفين من كتاب مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩٨ ط مصر.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٧) من باب الكتب من نهج البلاغة: ج ٣ ص ٤٢٤ ط القديم، وفي ط الحديث ببيروت: ج ٤ ص ٥٥٦.

(٤) رواه نصر بن مزاحم في أواسط الجزء (٧) من كتاب صفين ص ٤٧٢ ط مصر.

٤٨٢- لي: [الأمالي للصدوق] الحافظ عن أحمد بن عبد العزيز بن الجعد عن عبد الرحمن بن صالح عن شعيب بن راشد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قام علي عليه السلام يخطب الناس بصفين يوم الجمعة وذلك قبل ليلة الهرير بخمسة أيام فقال (١).

الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع خلقه البر والفاجر وعلى حججه البالغة على خلقه من عصاه أو أطاعه إن يعف فيفضل منه وإن يعذب فيما قدمت أيديهم وما الله بظلام للعبيد.

أحمد على حسن البلاء وتظاهر النعماء وأستعينه على ما نابنا من أمر ديننا وأومن به وأتوكل عليه وكفى بالله وكيلاً. ثم إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودينه الذي ارتضاه وكان أهله واصطفاه على جميع العباد بتبليغ رسالته وحججه على خلقه وكان كعلمه فيه رءوفاً رحيماً أكرم خلق الله حسباً وأجلهم منزلاً وأشجعهم نفساً وأبرهم بوالد وأمنهم على عقد لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط بل كان يظلم فيغفر ويقدر فيصنع ويعفو حتى مضى مطيعاً لله صابراً على ما أصابه مجاهداً في الله حق جهاده عابداً لله حتى أتاه اليقين فكان ذهابه أعظم المصيبة على جميع أهل الأرض البر والفاجر.

ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله وينهاكم عن معصيته وقد عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهداً لن أخرج عنه وقد حضركم عدوكم وقد عرفتم من رئيسهم يدعوهم إلى باطل وابن عم نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهركم يدعوكم إلى طاعة ربكم والعمل بسنة نبيكم ولا سواء من صلى قبل كل ذكر لم يسبقني بالصلاة غير نبي الله وأنا والله من أهل بدر والله إنكم لعلى الحق وإن القوم لعلى الباطل فلا يصبر القوم على باطلهم ويطعنوا عليه وتفرقوا عن حاكم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فإن لم تفعلوا ليعذبهم الله بأيدي غيركم.

فأجابه أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين انتهض بنا إلى القوم إذا شئت فوالله ما نبغي بك بدلاً نموت معك ونحيا معك فقال لهم مجيباً لهم:

والذي نفسي بيده لنظر إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أضرب قدماه بسيفي فقال لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ثم قال لي يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي وحياتك يا علي وموتك معي فوالله ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي ولا نسيت ما عهد إلي إني إذا نسيء وإني لعلى بينة من ربي بيننا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فينها لي وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً.

ثم نهض إلى القوم يوم الخميس فاقتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق ما كانت صلاة القوم يومئذ إلا تكبيراً عند مواقيت الصلاة فقتل علي عليه السلام يومئذ بيده خمس مائة وستة نفر من جماعة القوم فأصبح أهل الشام ينادون يا علي اتق الله في البقية ورفعوا المصاحف على أطراف القنا.

بيان: وموتك معي أي بعد الموت معي وأنا حاضر عندك ونصري وتأبيدي معك في حياتك وبعد موتك أو حياتك كحياتي وموتك كموتي.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم ألقطه لقطاً أي أقول هذا الكلام جهراً ولا أباي أن أئبئه للناس وقال الجوهري القنا جمع قناة وهي الرمح ويجمع على قنات وقنى على فعمل وقناء.

٤٨٣- فس: [تفسير القمي] هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة قال حدثني رجل من ولد عدي بن حاتم عن أبيه عن جده عدي بن حاتم وكان مع علي صلوات الله عليه في حروبه أن علياً عليه السلام قال ليلة الهرير بصفين حين التقى مع معاوية رافعا صوته يسمع أصحابه لأتقتل معاوية وأصحابه ثم قال في آخر قوله إن شاء الله يخفض به صوته وكنت منه قريباً فقلت يا أمير المؤمنين إنك حلفت على ما قلت ثم استثنيت فما أردت بذلك فقال إن الحرب خدعة وأنا عند أصحابي صدوق فأردت أن أطعم أصحابي في قولي كي لا يفشلوا ولا يفروا فافهم فإنك تنتفع بها بعد إن شاء الله تعالى (٢).

٤٨٤- ختن: [الإختصاص] أحمد بن هارون القامي عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن محمد البرقي عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام من

(١) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في الحديث: (١٠) من المجلس: (٦٣) من كتاب الأمالي ص ٣٢٢.

(٢) رواه علي بن إبراهيم قدس الله نفسه.

التابعين ثلاثة نفر بصفين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة و لم يرههم أويس القرني و زيد بن صوحان العبدي و جندب الخير الأزدي رحمة الله عليهم^(١).

بيان: قال الشيخ في رجاله جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي و يقال جندب الخير و جندب الفارق و يظهر من ابن عبد البر أن الفارق و هو جندب بن كعب الأزدي الذي قتل الساحر بين يدي الوليد بن عقبة كما مر في مطاعن عثمان و لذا لقب بالفارق لأنه فرق بضربة بين الحق و الباطل و ذكر أنه شهد مع علي رضي الله عنه بصفين و لعله المذكور في الخبر

٤٨٥-مد: [العمدة] بإسناده إلى صحيح مسلم بإسناده إلى شقيق قال سمعت سهل بن حنيف يقول بصفين اتهموا رأيكم على دينكم و الله لقد رأيته يوم أبي جندل و لو أني أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته و الله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر قط إلا سهل بنا إلى أمر نعرفه إلا أمركم هذا^(٢).

بيان: أسهل بنا كناية عن انتهاء الأمر و رفع الحرب من قولهم أسهل إذا صار إلى السهل من الأرض ضد الحزن و قصة أبي جندل و اشتباه الأمر فيها على الصحابة قد مر في باب الحديث و غرضه أن هذا الأمر شبيه بذلك فلا تتكرره.

٤٨٦-مد: [العمدة] من تفسير الثعلبي قال روى خلف بن أبي خليفة عن أبي هاشم عن أبي سعيد الخدري قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشدد بعضنا على بعض بالسيف قلنا نعم هو هذا^(٣).

٤٨٧-نهج: [نهج البلاغة] روي أنه رضي الله عنه لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشاميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين و خرج إليه حرب بن شريحيل الشامي و كان من وجوه قومه فقال له أبلغكم نساؤكم على ما أسمع ألا تنهونهن عن هذا الأتئين الرنين و أقبل يمشي معه و هو رضي الله عنه راكب فقال له ارجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي و مذلة للمؤمن^(٤).

٤٨٨-نهج: [نهج البلاغة] قال رضي الله عنه و قد رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة يا أهل الديار الموحشة و المحال المقفرة و القبور المظلمة يا أهل التربة يا أهل القرية يا أهل الوحدة يا أهل الوحشة أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق أما الدور فقد سكنت و أما الأزواج فقد نكحت و أما الأموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندهم^(٥)؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى.

باب ١٣ باب شهادة عمار رضي الله عنه و ظهور بغى الفتنة الباغية بعد ما كان أبين من الشمس الضاحية و شهادة غيره من أتباع الأئمة الهادية

٣٦٤-ج: [الإحتجاج] روي عن الصادق رضي الله عنه أنه لما قتل عمار بن ياسر رحمة الله عليه ارتعدت فرائض خلق كثير و قالوا قد قال رسول الله ﷺ عمار تقتله الفتنة الباغية فدخل عمرو بن العاص على معاوية فقال يا أمير المؤمنين قد هاج الناس و اضطربوا قال لما ذا قال قتل عمار قال فما ذا قال أليس قال رسول الله ﷺ تقتله الفتنة الباغية فقال له

(١) ما وجدته في نسختي الناقصة من كتاب الاختصاص.
(٢) رواها يحيى بن البطريق ح في الحديث: (٧) و تاليه من الفضل: (٣٥) من كتاب العمدة ص ١٦٢، نقل الأول عن الجزء الثالث من صحيح مسلم و الثاني عن الثعلبي في تفسير الآية: (٣١) من سورة الزمر «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون».
(٣) رواها يحيى بن البطريق ح في الحديث: (٧) و تاليه من الفضل: (٣٥) من كتاب العمدة ص ١٦٢، نقل الأول عن الجزء الثالث من صحيح مسلم و الثاني عن الثعلبي في تفسير الآية: (٣١) من سورة الزمر «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون».
(٤) رواها السيد الرضى رفع الله مقامه في المختار: (٣٢٢) و (١٣٠) من قصار نهج البلاغة، و لهما مصادر أخر ذكر بعضها في المختار: (٢٣٨) و تعليقه من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٩٢ و ما بعدها من ط ١.
(٥) رواها السيد الرضى رفع الله مقامه في المختار: (٣٢٢) و (١٣٠) من قصار نهج البلاغة، و لهما مصادر أخر ذكر بعضها في المختار: (٢٣٨) و تعليقه من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٩٢ و ما بعدها من ط ١.

معاوية دحضت في قولك أنحن قتلناه إنما قتله علي بن أبي طالب بين رماحنا فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي قتل حمزة وأقاه بين رماح المشركين^(١).

٣٦٥- لي: [الأمالي للصدوق] ابن موسى عن الأسدي عن النخعي عن إبراهيم بن الحكم عن محمد بن الفضيل عن مسعود الملائي عن حبة العرنبي قال أبصر عبد الله بن عمرو رجلين يختصمان في رأس عمار رضي الله عنه يقول هذا أنا قتله ويقول هذا أنا قتله فقال ابن عمرو يختصمان أيهما يدخل النار أولاً ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قتاله وسأله في النار^(٢).

فبلغ ذلك معاوية فقال ما نحن قتلناه وإنما قتله ما جاء به.

قال الصدوق رحمه الله يلزمه على هذا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاتل حمزة رضي الله عنه وقاتل الشهداء معه لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بهم.

٣٦٦- لي: [الأمالي للصدوق] وبهذا الإسناد عن إبراهيم بن الحكم عن عبيد الله بن موسى عن سعد بن أوس عن بلال بن يحيى العباسي قال لما قتل عثمان أتوا حذيفة فقالوا يا أبا عبد الله قتل هذا الرجل وقد اختلف الناس فما تقول قال أما إذا أتيتم فأجلسوني قال فأسندوه إلى صدر رجل منهم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو اليقظان على الفطرة ثلاث مرات لن يدعها حتى يموت^(٣).

٣٦٧- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن محمد بن الحسن المقرئ عن الحسن بن علي بن عبد الله عن عيسى بن مهران عن الفضل بن دكين عن موسى بن قيس عن الحسين بن أسباط قال سمعت عمار بن ياسر رحمه الله يقول عند توجهه إلى صفين اللهم لو أعلم أنه أرضى لك أن أرمي بنفسي من فوق هذا الجبل لرميت بها ولو أعلم أنه أرضى لك أن أوقد نفسي ناراً فأوقع فيها لفعلت وإني لا أقاتل الشام إلا وأنا أريد بذلك وجهك وأنا أرجو أن لا تخيبني وأنا أريد وجهك الكريم^(٤).

٣٦٨- ص: [قصص الأنبياء] الصدوق عن أحمد بن محمد الشحام عن عبد الرحمن بن أبي حاتم عن عمر الأودي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البخري قال قال عمار رضي الله عنه يوم صفين اتتوني بشربة لبن فأتني فشرب ثم قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن^(٥).

ثم تقدم فقتل فلما قتل أخذ خزيمة بن ثابت بسيفه فقاتل وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل عمارا الفئة الباغية وقاتله في النار فقال معاوية ما نحن قتلناه إنما قتله ما جاء به

٣٦٩- يج: [الغرائج والجرائح] روي عن أم سلمة قالت كان عمار ينقل اللبن بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يمسح التراب عن صدره ويقول تقتلك الفئة الباغية^(٦).

٣٧٠- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] كثر أصحاب الحديث على شريك وطلابوه بأنه يحدتهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية فغضب وقال أتدرون أن لا فخر لعلي أن يقتل معه عمارا إنما الفخر لعمار أن يقتل مع علي^(٧).

٣٧١- كش: [رجال الكشي] ابن قتيبة عن الفضل عن محمد بن سنان عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت ما تقول في عمار قال رحم الله عمارا كره هذا ثلاثاً قاتل مع أمير المؤمنين عليه السلام وقتل شهيداً قال قلت في نفسي ما تكون

(١) رواه الطبرسي رضي الله في آخر عنوان: «احتجاجة أي أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٨١.

(٢) رواها الشيخ الصدوق قدس الله نفسه في الحديث: (١ و ٨) من المجلس: (٦٣) من أماليه ص ٣٣٠.

(٣) رواها الشيخ الصدوق قدس الله نفسه في الحديث: (١ و ٨) من المجلس: (٦٣) من أماليه ص ٣٣٠.

(٤) رواه الشيخ الطائفة في الحديث: (٤٨) من الجزء (٦) من أماليه ص ١٨٠.

ورواه أيضاً أبو مخنف قال: حدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي أن عمار بن ياسر خرج إلى الناس فقال: اللهم إني أعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إني أعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضغ طبة سيفي في صدري ثم أنحنى عليه حتى تخرج من ظهري لفعلت. وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين. ولو أعلم أن عملاً من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته. هكذا رواه عنه الطبري في عنوان: «مقتل عمار...» من تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٣٣١٧. وفي ط: ج ٤ ص ٢٦ وفي ط: ج ٥ ص ٣٨.

ورواه أيضاً محدث بن عبد الله الأسكافى المعتزلي المتوفى (٢٤٠) في كتاب المعيار والموازنة ص ١٣٦.

(٥) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في كتاب قصص الأنبياء، ولكن الكتاب لم يصل إلينا بعد.

(٦) رواه القطب الراوندي ح في كتاب الغرائج.

(٧) رواه ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب.

منزلة أعظم من هذه المنزلة فالتفت إلي فقال لعلك تقول مثل الثلاثة هيهات هيهات قال قلت و ما علمه أنه يقتل في ذلك اليوم قال إنه لما رأى الحرب لا يزداد إلا شدة والقتل لا يزداد إلا كثرة ترك الصف وجاء إلى أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين هو هو قال ارجع إلى صفك فقال له ذلك ثلاث مرات كل ذلك يقول له ارجع إلى صفك فلما أن كان في الثالثة قال له نعم فرجع إلى صفه وهو يقول^(١).

محمدًا و حزبه

اليوم ألقى الأحبة

بيان: الثلاثة سلمان وأبوذر ومقداد رضي الله عنهم قوله هو هو أي هذا وقت الوعد الذي وعدت من الشهادة

٣٧٢- كشي: [رجال الكشي] خلف بن محمد بن عن عبيد بن محمود عن هاشم بن القاسم عن شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد قال سمعت قيس بن أبي حازم قال قال عمار بن ياسر ادفنوني في ثيابي فأني مخاصم.

توضيح: أي إني أريد أن أخاصم قاتلي عند الله فلا تسلبوني ثيابي لتكون لي شاهدا أو هو كناية عن الشهادة بالحق فإنه يلزمه المخاصمة أي إني شهيد حقيقة وحكمه أن يدفن بشيابه

٣٧٣- كشي: [رجال الكشي] خلف بن عبيد بن حميد عن أبي نعيم عن سفيان عن حبيب عن أبي الليخري قال أتي عمار يومئذ بلبن فضحك ثم قال قال لي رسول الله ﷺ آخر شراب تشربه من الدنيا مذقة من لبن حتى تموت.

في خبر آخر أنه قال آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن

توضيح المذقة بالفتح والضم اللبن الممدوق أي المخلوط بالماء قال في النهاية المذق المزج والخلط يقال مذقت اللبن فهو مذيقي إذا خلطته بالماء والمذقة الشربة من اللبن الممدوق والضياع بالفتح أيضا اللبن الرقيق الممزوج بالماء.

٣٧٤- كشي: [رجال الكشي] خلف عن الفتح بن عمرو الوراق عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن أسود بن مسعدة عن حنظلة بن خويلد قال إني لجالس عند معاوية إذ أتاه رجلان يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما أنا قتله فقال عبد الله بن عمرو ليطلب به أحدهم نفسا لصاحبه فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتله الفئة الباغية^(٢).

فقال معاوية لا تغني عنا بجنتك يا ابن عمرو فما بالك معنا قال إني معكم و لست أقاتل إن أبي شكاني إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ أطع أباك ما دام حيا و لا تعصه فأني معكم و لست أقاتل.

بيان: قال في النهاية يقال أغن عني شرك أي صفة وكفه.

٣٧٥- كشف: [كشف الغمة] في هذا الحرب قتل أبو اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه و قد تظاهرت الروايات أن النبي ﷺ قال عمار بن ياسر جلدة بين عيني تقتله الفئة الباغية^(٣).

وفي صحيح مسلم^(٤) عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار يقتلك الفئة الباغية

قال ابن الأثير و خرج عمار بن ياسر على الناس فقال اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلتك اللهم إنك تعلم لو أنني أعلم أن رضاك في أن أضع ظبية سيفي في بطني ثم أتحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت و إني لا أعلم اليوم عملا أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين و لو أعلم عملا هو أرضى لك منه لفعلت و الله إني لأرى قوما ليضربنكم ضربا يرتاب منه المبطون و الله لو ضربونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلنا أنا على الحق و أنهم على الباطل^(٥).

(١) رواه الكشي ح في ترجمة عمار تحت الرقم: (٣) من تلخيص رجاله ص ٣١.

(٢) نفس الهمش رقم ٣٧١.

(٣) رواه الإربلي ح في آخر ما ذكره في حرب صفين من كتاب كشف الغمة: ج ١، ص ٢٥٩ - ٢٦١ ط بيروت.

(٤) رواه مسلم بأسانيد في الباب (١٨) من كتاب الفتن وأشار الفتن تحت الرقم: (٢٩١٥) وما بعده من صحيحه: ج ٤ ص ٢٢٣٥.

ورواه أيضاً بأسانيد النسائي في الحديث: (١٥٧) وما بعده من كتاب خصائص أمير المؤمنين ﷺ وعلقنا عليه أيضاً عن مصادر كثيرة.

(٥) ورواه أيضاً محدث بن عبد الله الإسكافي المتوفى عام: (٢٤٠) في كتاب المعيار والموازنة ص ١٣٦، ١.

ثم قال من يبتغي رضوان ربه فلا يرجع إلى مال ولا ولد.

فأناه عصاية فقال اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون بدم عثمان والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحقبوها وعلّموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يترغون فيه منها ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم فخدعوا أتباعهم بأن قالوا إمامنا قتل مظلوما ليكونوا بذلك جبابرة وملوكا فيلقوا ما ترون ولولا هذه الشبهة ما تبعهم رجال من الناس اللهم إن تنصرتنا فطالما نصرت وأن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أعددنا في عبادك العذاب الأليم.

ثم مضى ومعه العصاية فكان لا يمر بواد من أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ. ثم جاء إلى هاشم بن عتبة بن أبيوقاص وهو المرقال وكان صاحب راية علي عليه السلام فقال يا هاشم أعورا وجنبا لا خير في أعور لا يفتشى الناس اركب يا هاشم فركب ومضى معه وهو يقول:

أعور يبغى أهله محلاً عالج الحياة حتى ملأ

وعمار يقول تقدم يا هاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت أطراف الأسل وقد فتحت أبواب السماء وزينت الحور العين اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه.

وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال يا عمرو بعث دينك بمصر تبا لك تبا لك فقال لا ولكن أطلب بدم عثمان قال له هيهات أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فلك وجه الله تعالى وإنك إن لم تقتل اليوم تمت غدا فانظر إذا أعطي الناس على قدر نياتهم ما نيتك لغد فإنك صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله ﷺ وهذه الرابعة ما هي بأمر ولا أتقى ثم قاتل عمار ولم يرجع وقتل.

قال حبة بن جوين العربي قلت لحذيفة بن اليمان حدثنا فإننا نخاف الفتن فقال عليكم بالفتنة التي فيها ابن سمية فإن رسول الله ﷺ قال يقتله الفتنة الباغية الناكبة عن الطريق وإن آخر رزقه ضياح من لبن.

قال حبة فشهدته يوم قتل يقول اتوني بآخر رزق لي من الدنيا فأتني بضياع من لبن في قدح أروح بحلقه حمراء فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة فقال:

اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه

وقال والله لو ضربونا حتى بلغونا سفغات هجر لعلمت أننا على الحق وأنهم على الباطل.

ثم قتل رضي الله عنه قيل قتله أبو العادية واجتز رأسه ابن جوي السكسكي وكان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر تقتلك الفتنة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن ونقلت من مناقب الخوارزمي قال شهد خزيمة بن ثابت الأنصاري الجمل وهو لا يسلس سيفاً و صفين وقال لا أصلي أبداً خلف إمام حتى يقتل عمار فانظر من يقتله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتله الفتنة الباغية.

قال فلما قتل عمار قال خزيمة قد حانت لي الصلاة ثم اقترب فقاتل حتى قتل.

وكان الذي قتل عماراً أبو عادية المري طعنه برمح فسقط وكان يومئذ يقاتل وهو ابن أربع وتسعين سنة فلما وقع أكب عليه رجل فاجتز رأسه فأقبلا يختصمان كلاهما يقول أنا قتلت.

فقال عمرو بن العاص والله إن يختصمان إلا في النار فسمعها معاوية فقال لعمر و ما رأيت مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما إنكما تختصمان في النار فقال عمرو هو والله ذلك وإنك لتعلمه ولوددت أنني مت قبل هذا بعشرين سنة.

وبالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال كنا نهمر المسجد وكنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي ﷺ فجعل ينفخ التراب عن رأس عمار ويقول يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال إني أريد الأجر من الله تعالى قال فجعل ينفخ التراب عنه ويقول ويحك تقتلك الفتنة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار وقال عمار أعوذ بالرحمن أظنه قال من الفتن.

قال أحمد بن الحسين البيهقي وهذا صحيح على شرط البخاري.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه عمرو حين قتل عمار أقتلتم عمارا و قد قال رسول الله ﷺ ما قال فقال عمرو لمعاوية أنسمع ما يقول عبد الله فقال إنما قتله من جاء به و سمعه أهل الشام فقالوا إنما قتله من جاء به فبلغت عليا فقال إذا يكون النبي ﷺ قاتل حمزة رضي الله عنه لأنه جاء به و نقلت عن مسند أحمد بن حنبل^(١) عن عبد الله بن الحارث قال إني لأسير مع معاوية في منصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص قال فقال عبد الله بن عمرو يا أبة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية قال فقال عمرو لمعاوية ألا تسمع ما يقول هذا فقال معاوية ما يزال يأتيها بهنة أنحن قتلناه إنما قتله الذين جاءوا به.

و من مسند أحمد أيضا عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال ما زال جدي كافأ سلاحه يوم الجمل حتى قتل عمار بصفين فسل سيفه فقاتل حتى قتل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يقتل عمارا الفئة الباغية.

و من المسند عن علي بن أبي حمزة أن عمارا استأذن على النبي ﷺ فقال الطيب المطيب ائذن له و من المناقب^(٢) عن علقمة و الأسود قالا أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنبيه ﷺ إذ أوحى إلى راحلته فبركت على بابك و كان رسول الله ﷺ ضيفا لك فضيلة فضلك الله بها أخبرنا عن مخرجك مع علي قال فإني أقسم لكما أنه كان رسول الله في هذا البيت الذي أنتما فيه و ليس في البيت غير رسول الله و علي جالس عن يمينه و أنا عن يساره و أنس قائم بين يديه إذ تحرك الباب فقال ﷺ انظر من بالباب فخرج أنس و قال هذا عمار بن ياسر فقال افتح لعمار الطيب المطيب ففتح أنس و دخل عمار فسلم على رسول الله ﷺ فرحب به و قال إنه ستكون بعدي في أمتي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم و حتى يقتل بعضهم بعضا و حتى يبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني علي بن أبي طالب ﷺ و إن سلك الناس كلهم واديا و سلك علي واديا فاسلك وادي علي و خل عن الناس إن عليا لا يردك عن هدى و لا يدلك على ردي يا عمار طاعة علي طاعتي و طاعتي طاعة الله.

توضيح: قوله ﷺ جلدة بين عيني و في بعض الروايات جلدة ما بين عيني و أنفي و علي التقديرين كناية عن غاية الاختصاص و شدة الاتصال.

و قال في النهاية في حديث عمار لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعات هجر السعات جمع سعة بالتحريك و هي أغصان النخيل و قيل إذا يبست سميت سعة فإذا كانت رطبة فهي شطبة و إنما خص هجر للمباعدة في المسافة و لأنها موصوفة بكثرة النخل و هجر اسم بلد معروف بالبحرين. و في القاموس احتقبه و استحقبه ادخره و في الصحاح احتقبه و استحقبه بمعنى أي احتمله و منه قيل احتقب فلان الائم كأنه جمعه و احتقبه من خلفه.

و في النهاية العوار بالفتح و قد يضم العيب و قيل إنهم يقولون للرديء من كل شيء من الأمور و الأخلاق أعور و كل عيب و خلل في شيء فهو عورة و الأسئل محركة الرماح قوله أظنه أي قال الخدري أظن أن عمارا قال أعوذ بالرحمن من الفتن.

و في النهاية فيه ستكون هنات و هنات أي شرور و فساد يقال في فلان هنات أي خصال شر و لا يقال في الخير و واحدها هنت و قد يجمع على هنوات و قيل واحدها هنة تأنيث هن و هو كناية عن كل اسم جنس.

٣٧٦- نص: [كفاية الأثر] أبو المفضل الشيباني عن محمد بن الحسين بن حفص عن عباد بن يعقوب عن علي بن هاشم عن محمد بن عبد الله عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه عن جده عمار قال كنت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته و قتل علي ﷺ أصحاب الألوية و فرق جمعهم و قتل عمرو بن عبد الله الجمحي و قتل شيبه بن نافع أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن عليا قد جاهد في الله حق جهاده فقال لأنه مني و أنا منه وارث علمي و قاضي ديني و منجز وعدي و الخليفة بعدي و لولاه لم يعرف المؤمن المحض بعدي حربيه و حربي و حربي حرب الله

(١) و انظر مسند خزيمة بن ثابت من مسند أحمد: ج ٥ ص ٢١٣، و باب مناقب عمار من المستدرک: ج ٣ ص ٣٨٥.

(٢) رواه الخوارزمي في ج ٩ من الفصل المتقدم الذكر من المناقب ص ١٢٤.

وسلمه سلمى وسلمى سلم الله ألا إنه أبو سبطي والأئمة بعدي من صلبه يخرج الله تعالى الأئمة الراشدين ومنهم مهدي هذه الأمة فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا المهدي قال يا عمار إن الله تبارك وتعالى عهد إلي أنه يخرج من صلب الحسين أئمة تسعة والتاسع من ولده يغيب عنهم وذلك قوله عز وجل قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْنَحَ مَاوُكُمْ غَوْرًا فَنُنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ مَعِينٍ يَكُونُ لَهُ غَنِيَّةٌ طَوِيلَةٌ يَرْجِعُ عَنْهَا قَوْمٌ وَيُثْبِتُ عَلَيْهَا آخَرُونَ فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَخْرُجُ فَيَمْلَأُ الدُّنْيَا قِسْطًا وَعَدْلًا وَيَقَاتِلُ عَلَى التَّوْبِيلِ كَمَا قَاتَلْتَ عَلَى التَّنْزِيلِ وَهُوَ سَمِيٌّ وَأَشْبَهُ النَّاسِ بِي.

يا عمار سيكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فاتبع عليا وحزبه فإنه مع الحق والحق معه.

يا عمار إنك ستقاتل بعدي مع علي صنفين الناكثين والقاسطين ثم يقتلك الفئة الباغية.

قلت يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله ورضاك قال نعم على رضا الله ورضاي ويكون آخر زادك شربة من لبن تشربه.

فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له يا أبا رسول الله أتأذن لي في القتال قال مهلا رحمك الله فلما كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله فأعاده ثالثا فيكي أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إليه عمار فقال يا أمير المؤمنين إنه اليوم الذي وصف لي رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن بغلته وعانق عمار ودعه ثم قال يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله وعن نبيك خيرا فتعم الأخ كنت ونعم الصاحب كنت ثم بكى عليه السلام وبكى عمار ثم قال والله يا أمير المؤمنين ما تبعتك إلا ببصرة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم حنين يا عمار ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فاتبع عليا وحزبه فإنه مع الحق والحق معه وستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين فيجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الإسلام أفضل الجزاء فلقد أديت وبلغت ونصحت ثم ركب وركب أمير المؤمنين عليه السلام ثم برز إلى القتال.

ثم دعا بشربة من ماء فقيل ما معنا ماء فقام إليه رجل من الأنصار فأسقاه شربة من لبن فشربه ثم قال هكذا عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة من اللبن.

ثم حمل على القوم فقتل ثمانية عشر نفسا فخرج إليه رجلان من أهل الشام فطعنا فقتل رحمه الله.

فلما كان الليل طاف أمير المؤمنين في القتلى فوجد عمارا ملقى ففعل رأسه على فخذه ثم بكى عليه السلام وأنشأ يقول.

أيا موت كم هذا التفرق عنوة

أراك بصيرا بالذين أحبههم

بيان الشعر في الديوان هكذا.

ألا أيها الصوت الذي ليس تاركي

أراك مضرا بالذين أحبههم

وروى الشارح عن ابن أعمش أن عمارا رضي الله عنه لما برز يوم صفين قال أيها الناس هل من رائج إلى الله تطلب الجنة تحت ظلال الأئمة اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه.

فطعنه ابن جون في صدره فرجع وقال اسقوني شربة من ماء فأتاه راشد مولاه بلبن فلما رآه كبر وقال هذا ما أخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله بأن آخر زادي من الدنيا ضياح من لبن فلما شرب خرج من مكان الجرح وسقط وتوفي رضي الله عنه فأتاه علي عليه السلام وقال إنا لله وإنا إليه راجعون إن امرأ لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو في الإسلام من شيء ثم صلى عليه وقرأ هاتين البيتين.

٣٧٧- ختص: [الإختصاص] عن محمد بن الحسن عن محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي عن نصر بن أحمد عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن محمد بن إسحاق عن صالح بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني شيخ من أسلم شهد صفين مع القوم قال^(١).

(١) رواه الشيخ المفيد في الحديث: (٢٦) من كتاب الاختصاص ص ١٠، ط النجف.

والله إن الناس على سكنتهم فما راعنا إلا صوت عمار بن ياسر حين اعتدلت الشمس أو كادت تعتدل وهو يقول أيها الناس من رائج إلى الجنة كالظمان يرى الماء ما الجنة إلا تحت أطراف العوالي اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه. يا معشر المسلمين أصدقوا الله فيهم فإنهم والله أبناء الأحزاب دخلوا في هذا الدين كارهين حين أذلتهم حد السيوف وخرجوا منه طائعين حتى أمكنتهم الفرصة.

وكان يومئذ ابن تسعين سنة قال فو الله ما كان إلا الإلجام والإسراج.

وقال عمار حين نظر إلى راية عمرو بن العاص إن هذه الراية قد قاتلتنا ثلاث عركات وما هي بأرشدن ثم حمل وهو يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله يا رب إنسي مؤمن بقيله

ثم استسقى عمار واشتد ظماؤه فأتته امرأة طويلة اليدين ما أدري أعس معها أم إداوة فيها ضياح من لبن فشربه وقال الجنة تحت الأسنة اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه.

والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سفغات هجر لعلنا أنا على الحق وأنهم على الباطل.

ثم حمل وحمل عليه ابن جوين السكسكي وأبو العادية الفزاري فأما أبو العادية فقطعته وأما ابن جوين اجتز رأسه لعنهما الله.

إيضاح: العالية أعلى الرمح والجمع العوالي وفي الصحاح لقيته عركة بالتسكين أي مرة ولقيته عركات أي مرات.

٣٧٨-مد: [العمدة] من صحيح مسلم بأسانيد عن أبي سعيد الخدري قال أخبرني من هو خير مني إن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول أبشر ابن سمية يقتلك فئة باغية^(١). وبأسانيد أيضا عن أم سلمة أن رسول الله قال لعمار تقتلك الفئة الباغية. ويسند آخر عنها قالت قال رسول الله ﷺ يقتل عمارا الفئة الباغية.

ومن الجمع بين الصحيحين للحميدي الحديث السادس عشر من أفراد البخاري من الصحيح عن عكرمة قال قال لي ابن عباس ولايته علي انطلقا إلى أبي سعيد الخدري واسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط له يصلحه فأخذ رداءه واحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار اثنتين اثنتين فرأه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار يدعهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار وكان يقول عمار أعوذ بالله من الفتن ثم ذكر الخبر بسند آخر عن عكرمة مثله.

ثم قال قال الحميدي وفي هذا الحديث زيادة مشهورة لم يذكرها البخاري أصلا في طريق هذا الحديث ولعلها لم تقع إليه أو وقعت فحذفها لغرض قصده^(٢).

وأخرجه أبو بكر البرقاني وأبو بكر الإسماعيلي قبله وفي هذا الحديث عندهما أن رسول الله ﷺ قال ويح عمار تقتله الفئة الباغية ويدعهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار.

(١) رواه يحيى بن الحسن بن البطريق في الحديث: (٥٤٠) وترواه في أواسط الفصل: (٣٦) من كتاب العمدة ص ١٦٨. وقد رواه مسلم بأسانيد كثيرة في الباب: (١٨) من كتاب الفتن وأشراف الساعة تحت الرقم: (٢٩١٥) وما بعده من صحيحه: ج ٤ ص ٢٢٣٥ من الطبعة المرقمة.

وقد رواه أيضا بأسانيد كثيرة الحافظ النسائي تحت الرقم: (١٥٧) وما بعده من كتاب خصائص أمير المؤمنين ﷺ ص ٢٨٩ بيروت. وقد رواه الحافظ ابن عسكار على وجه بدعي بأسانيد كثيرة في ترجمة عمار من كتاب تاريخ دمشق: ج ١١ / الورق... من مخطوطة المكتبة الظاهرية.

(٢) قصد البخاري على ما هو المستفاد من مواضع عديدة من كتبه هو إخفاء معالي أولياء الله وفضائح الفئة الباغية وإمامه معاوية!!! والحديث رواه مع بعض تلك الزيادة الحاكم النيسابوري وصححه والذهبي في كتاب قتال أهل البغي من المستدرک: ج ٢ ص ١٤.

قال أبو مسعود الدمشقي في كتابه لم يذكر البخاري هذه الزيادة و هي في حديث عبد الله بن المختار و خالد بن عبد الله الواسطي و يزيد بن زريع و محبوب بن الحسن و شعبة كلهم عن خالد الحذاء و روى إسحاق عن عبد الوهاب هكذا.

قال و أما حديث عبد الوهاب الذي أخرجه البخاري من دون تلك الزيادة فلم يقع إلينا من غير حديث البخاري. هذا آخر معنى ما قاله أبو مسعود.

أقول: قال ابن الأثير في مادة و يح ويس من كتاب النهاية فيه قال لعمار و يح ابن سمية تقتله الفئة الباغية و يح كلمة ترحم و توجع تقال لمن وقع فيهلكة لا يستحقها و قد يقال بمعنى المدح و التعجب و هي منصوبة على المصدر و قد ترفع و تضاف و لا تضاف يقال و يح زيد و يحاله و و يح له.

ثم قال و فيه قال لعمار ويس ابن سمية و في رواية يا ويس ابن سمية ويس كلمة تقال لمن يرحم و يرفق به مثل و يح و حكمها حكمها.

٣٧٩- كش: [رجال الكشي] جعفر بن معروف عن محمد بن الحسين عن جعفر بن بشير عن حسين بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن أقواما يزعمون أن عليا صلوات الله عليه لم يكن إماما حتى أشهر سيفه قال خاب إذن عمار و خزيمة بن ثابت و صاحبك أبو عمرة و قد خرج يومئذ صائما بين الفتنين بأسهم فرمى بها قربي يتقرب بها إلى الله حتى قتل يعني عماراً^(١).

بيان: لعل المعنى أنهم ما كانوا يعتقدون إمامته عليه السلام قبل أن يشهر سيفه فيكونوا من الخائنين بتلك العقيدة و لعل التخصيص لأنهم كانوا أعرف بهذا الوصف عند السائل من غيرهم و الظاهر أن الزاعمين هم الزيدية المشتربون في الإمامة الخروج بالسيف. قوله عليه السلام صائما يمكن أن يكون صائما ابتداء ثم اضطر إلى شرب اللبن أو شربه تصديقا لقول النبي ﷺ.

و قال السيد الداماد قدس سره صائما أي قائما واقفا ثابتا للقتال من الصوم بمعنى القيام و الوقوف يقال صام الفرس صوما أي قام على غير اعتلاف و صام النهار صوما إذا قام قائم الظهيرة و اعتدل و الصوم ركود الريح و مصام الفرس و مصامتة موقفه و الصوم أيضا الثبات و الدوام و السكون و ما صائم و دائم و قائم و ساكن بمعنى.

و الباء في بأسهم للملابسة و المصاحبة أو خرج بين الفتنين و كان صائما بالصيام الشرعي و الباء أيضا للملابسة أو من الصوم بمعنى البيعة أي خرج مبايعا على بذل المهجة في سبيل الله أو خرج بين صفي الفتنين داميا بأسهم من قولهم صام النعام أي رمى بذرقه و هو صومه فالباء للصلة أو الدعامة فقد جاء الصوم بهذه المعاني كلها في الصحاح و أساس البلاغة و المعرب و المغرب و القاموس و النهاية انتهى.

أقول: قد مضى كثير من أخبار هذا الباب في باب فضائل عمار و في باب مطاعن عثمان.

٣٨٠- كتاب صفين، لنصر بن مزاحم عن سفيان الثوري و قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ عن علي عليه السلام قال جاء عمار بن ياسر يستأذن على النبي ﷺ فقال أئذنا له مرحبا بالطيب المطيب^(٢).

و عن سفيان بن سعيد عن سلمة بن كهيل عن مجاهد عن النبي ﷺ حين رآهم يحملون الحجارة حجارة المسجد فقال ما لهم و لعمار يدعوهم إلى الجنة و يدعوهم إلى النار و ذاك دأب الأشقياء الفجار.

(١) الحديث رواه الكشي بزيادة في أوله غير مرتبطة بالمقام - في أواسط ترجمة عمار من رجاله ص ٣٥ ط النجف.

(٢) رواه نصر بن مزاحم في أواسط الجزء (٦) من كتاب صفين ص ٢٢٢ - ٣٥٩ ط مصر.

و الحديث الأول منه رواه ابن ماجة القزويني في باب فضل عمار تحت الرقم: (١٤٦) في مقدمة سننه ج ١، ص ٤٤، قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة و علي بن محمد: قالوا: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ...

ثم روى بسند آخر قريبا منه عن علي بن أبي حمزة أنه دخل عليه عمار فقال: مرحبا بالطيب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ملئ عمارا إيمانا إلى مشاشه.

وعن سفيان عن الأعمش عن أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال لقد ملئ عمار إيمانا إلى مشاشه.

وعن الحسن بن صالح عن أبي ربيعة الأيادي عن الحسن عن أنس عن النبي ﷺ قال إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة علي و عمار و سلمان وعن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال لما بني المسجد جعل عمار يحمل حجرين حجرين فقال له رسول الله ﷺ يا أبا اليقظان لا تشق على نفسك قال يا رسول الله إني أحب أن أعمل في هذا المسجد قال ثم مسح ظهره ثم قال إنك من أهل الجنة تقتلك الفئة الباغية.

وعن حفص بن عمران الأزرق البرجمي عن نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة قال قال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه لو لا أن رسول الله ﷺ أمر بطواعيتك ما سرت هذا المسير أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية.

٢٦
٣٣ و عن حفص بن عمران البرجمي عن عطاء بن السائب عن أبي البخري قال أصيب أويس القرني مع علي بصفين وعن عمر بن سعد عن مالك بن أعيان عن زيد بن وهب الجهني أن عمار بن ياسر نادى يومئذ أين من يبغي رضوان ربه و لا يؤب إلى مال و لا ولد قال فأثته عصابة من الناس فقال يا أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان و يزعمون أنه قتل مظلوما و الله إن كان إلا ظالما لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله.

و دفع علي الراية إلى هاشم بن عتبة و كان عليه درعان فقال له علي ﷺ كهنته المازح أيا هاشم أما تخشى على نفسك أن تكون أعور جبانا قال ستعلم يا أمير المؤمنين و الله لألفن بين جماجم القوم لف رجل ينوي الآخرة فأخذ رمحا فنهزه فانكسر ثم أخذ آخر فوجده جاسيا فألقاه ثم دعا برمح لين فشد به لواءه.

و لما دفع علي ﷺ الراية إلى هاشم قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم أقدم ما لك يا هاشم قد انتفخ سحر ك عورا و جبنا قال من هذا قالوا فلان قال أهلها و خير منها إذا رأيتني صرعت فخذها ثم قال لأصحابه شدوا شسوع نعالكم و شدوا أزركم فإذا رأيتموني قد هزرت الراية ثلاثا فاعلموا أن أحدا منكم لا يسبقني إليها ثم نظر هاشم إلى عسكر معاوية فرأى جمعا عظيما فقال من أولئك قالوا أصحاب ذي الكلاع ثم نظر فرأى جندا آخر فقال من أولئك قالوا جند أهل المدينة قريش قال قومي لا حاجة لي في قتالهم قال من عند هذه القبة البيضاء قيل معاوية و جنده فحمل حينئذ يركل إرقالا

و عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال لما كان قتال صفين و الراية مع هاشم بن عتبة جعل عمار بن ياسر يتناوله بالرمح و يقول أقدم يا أعور.

لا خير في أعور لا يأتي الفزع.

٢٧
٣٣ قال فجعل يستحيي من عمار و كان عالما بالحرب فيتقدم فيركز الراية إذا سامت إليه الصفوف قال عمار أقدم يا أعور لا خير في أعور لا يأتي الفزع.

فجعل عمرو بن العاص يقول إني لأرى لصاحب الراية السوداء عملا لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم فاقتلوا قتالا شديدا.

و جعل عمار يقول صبرا عباد الله الجنة في ظلال البيض.

قال و كانت علامة أهل العراق بصفين الصوف الأبيض قد جعلوه في رءوسهم و على أكتافهم و شعارهم يا الله يا أحد يا صمد يا رحيم.

و كانت علامة أهل الشام خرقا بيضا قد جعلوها على رءوسهم و أكتافهم و كان شعارهم نحن عباد الله حقا يا لثارات عثمان.

قال فاجتلدوا بالسيوف و عمد الحديد فما تهاجرتا حتى حجز بينا سواد الليل و ما يرى رجلا منا و لا منهم موليا فلما أصبحوا و ذلك اليوم الثلاثاء خرج الناس إلى مصافهم فقال أبو نوح فكنت في خيل علي ﷺ فإذا أنا برجل من أهل الشام يقول من يدلني على الحميري أبي نوح قال قلت فقد وجدته فمن أنت قال أنا ذو الكلاع سر إلي فقال أبو

نوح معاذ الله أن أسير إليك إلا في كتيبة قال ذو الكلاع سر فلك ذمة الله وذمة رسوله وذمة ذي الكلاع حتى ترجع إلى خيلك فإنما أريد بذلك أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه.

فسارا حتى التقي فقال ذو الكلاع إنما دعوتك أحدثك حديثا حدثنا عمرو بن العاص في إمارة عمر بن الخطاب قال أبو نوح وما هو قال حدثنا عمرو بن العاص إن رسول الله ﷺ قال يلتقي أهل الشام وأهل العراق وفي إحدى الكيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر قال أبو نوح لعمر والله إنه لفينا قال أجاد هو على قتالنا قال أبو نوح نعم ورب الكعبة لهو أشد على قتالكم مني.

فقال ذو الكلاع هل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشام فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره عن عمار وجده في قتالنا لعله يكون صلحا بين هذين الجندين فقال له أبو نوح إنك رجل غادر وأنت في قوم غدور وإن لم تكن تريد القدر أغدروك وإني أن أموت أحب إلي من أن أدخل مع معاوية وأدخل في دينه وأمره فقال ذو الكلاع أنا جار لك من ذلك أن لا تقتل ولا تسلب ولا تكره على بيعه ولا تحبس عن جندك وإنما هي كلمة تبلفها عمرا لعل الله أن يصلح بين هذين الجندين ويضع عنهم الحرب والسلاح.

فسار معه حتى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس وعبد الله بن عمرو يحرض الناس فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو يا أبا عبد الله هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمار بن ياسر ولا يكذبك قال عمرو من هذا معك قال هذا ابن عمي وهو من أهل الكوفة فقال له عمرو إني لأرى عليك سيما أبي تراب قال أبو نوح على سيما محمد وأصحابه وعليك سيما أبي جهل وسيما فرعون.

فقام أبو الأعور فسل سيفه ثم قال لا أرى هذا الكذاب يشاتمنا بين أظهرنا وعليه سيما أبي تراب فقال ذو الكلاع أقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف ابن عمي وجاري عقدت له ذمتي وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه.

فقال له عمرو أذكرك بالله يا أبا نوح إلا ما صدقت أفياكم عمار بن ياسر فقال له أبو نوح ما أنا بمخبرك عنه حتى تخبرني لم تسأل عنه فإن معنا من أصحاب رسول الله ﷺ غيره وكلهم جاد على قتالكم قال عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول إن عمارا تقتله الفئة الباغية وإنه ليس ينبغي لعمار أن يفارق الحق ولن تأكل النار منه شيئا.

فقال أبو نوح لا إله إلا الله والله أكبر والله إنه لفينا جاد على قتالكم فقال عمرو والله إنه لجاد على قتالنا قال نعم والله الذي لا إله إلا هو لقد حدثني يوم الجمل أنا سنظهر عليهم ولقد حدثني أمس أن لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعات هجر لعلنا أنا علي الحق وأنهم على باطل ولكانت قتالنا في الجنة وقتلهم في النار.

فقال له عمرو هل تستطيع أن تجمع بينه وبينه وبينه قال نعم فلما أراد أن يبلغه أصحابه ركب عمرو بن العاص وابناه وعتبة بن أبي سفيان وذو الكلاع وأبو الأعور السلمي وحشب والوليد بن أبي معيط فانطلقوا حتى أتوا خيولهم. وسار أبو نوح ومعه شرحبيل بن ذي الكلاع حتى انتهى إلى أصحابه فذهب أبو نوح إلى عمار فوجده قاعدا مع أصحابه مع ابني بديل وهاشم والأشتر وجارية بن المثنى وخالد بن المعمر وعبد الله بن حجل وعبد الله بن العباس فقال أبو نوح إنه دعاني ذو الكلاع وهو ذو رحم فذكر ما جرى بينه وبينهم وقال أخبرني عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول يقول عمار تقتله الفئة الباغية.

فقال عمار صدق وليضر به ما سمع ولا ينفعه فقال أبو نوح إنه يريد أن يلقاك فقال عمار لأصحابه اركبوا قال ونحن اثنا عشر رجلا بعمار^(١) فسرنا حتى لقيناهم ثم بعثنا إليهم فارسا من عبد القيس يسمى عوف بن بشر فذهب حتى كان قريبا من القوم ثم نادى أين عمرو بن العاص قالوا ها هنا فأخبره بمكان عمار وخيله فقال عمرو فليسر إلينا فقال عوف إني أخاف غدراتك ثم جرى بينهما كلمات تركتها إلى أن قال:

(١) كذا في ط الكمباني من أصلي وفيه اختلال. فيحتمل أن يكون من خطأ الكتاب أو المطبعة. أو من جهة تلخيص المصنف العلامة وإليك نص كتاب صقن ط مصر:

ثم قال أبو نوح لعمار - ونحن اثنا عشر رجلا - فإنه يريد أن يلقاك. فقال عمار لأصحابه: اركبوا. فركبوا وساروا ثم بعثنا إليهم فارساً من عبد القيس يسمى عوف بن بشر...

أقبل عمار مع أصحابه فتواقفا فقال عمرو يا أبا اليقظان أذكرك الله إلا كففت سلاح أهل هذا العسكر وحقنت دماءهم فعلام تقاتلنا أو لسنا نعبد إلها واحدا ونصلي قبيلتكم وندعو دعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن برسولكم قال الحمد لله الذي أخرجها من فيك إنها لي ولأصحابي القبلة والدين وعبادة الرحمن والنبى والكتاب من دونك ودون أصحابك وجعلك ضالا مضلا لا تعلم هاد أنت أم ضال وجعلك أعمى وسأخبرك على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك أمرني رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين ففعلت وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم. وأما المارقون فما أدري أدرهم أم لا.

أيها الأبرأ ألتست تعلم أن رسول الله ﷺ قال لعلي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنا مولى الله ورسوله وعلي بعده وليس لك مولى.

فقال له عمرو فما ترى في قتل عثمان قال فتح لكم باب كل سوء قال عمرو فعلي قتله قال عمار بل الله رب علي قتله وعلي معه قال عمرو أكنت فيمن قتله قال أنا مع من قتله وأنا اليوم أقاتل معه قال فلم تقتلتموه قال أراد أن يغير ديننا فقتلناه.

قال عمرو ألا تستمعون قد اعترف بقتل إمامكم قال عمار وقد قالها فرعون قبلك ألا تَسْتَمِعُونَ. فقام أهل الشام ولهم زجل فركبوا خيولهم ورجعوا فبلغ معاوية ما كان بينهم فقال له هلكت العرب إن أخذتهم خفة العبد الأسود يعني عمارا.

وخرج عمار إلى القتال وصفت الخيول بعضها لبعض وزحف الناس وعلي عمار درع وهو يقول أيها الناس الرواح إلى الجنة فاقتل الناس قتالا شديدا لم يسمع الناس بمثله وكثرت القتلى حتى أن كان الرجل ليشد طنب فسقاطه بيد الرجل أو برجله فقال الأشعث لقد رأيت أخبية صفين وأروقتهم وما منها خياء ولا رواق ولا بناء ولا فسقاط إلا مربوطا بيد رجل أو رجله.

وجعل أبو سماك الأسدي يأخذ إداوة من ماء وشفرة حديد فيطوف في القتلى فإذا رأى رجلا جريحا وبه رمق أقعده وسأله من أمير المؤمنين ﷺ فإن قال علي غسل عنه الدم وسقاه من الماء وإن سكت وجأه بسكين حتى يموت قال فكان يسمى المخضخض.

وعن عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي عن الأحنف بن قيس قال والله إني إلى جانب عمار فتقدمنا حتى إذا دوننا من هاشم بن عتبة قال له عمار أحمل فذاك أبي وأمي ونظر عمار إلى رقة في الميمنة فقال له هاشم رحمك الله يا عمار إنك رجل تأخذك خفة في الحرب وإني إنما أرحف باللواء زحفا وأرجو أن أنال بذلك حاجتي وإني إن خفت لم آمن الهلكة وقد قال معاوية لعمر وويحك يا عمرو إن اللواء مع هاشم كأنه يرقل به إرقالا وإن زحف به زحفا إنه لليوم أطول لأهل الشام^(١) فلم يزل به عمار حتى حمل فبصر به معاوية فوجه إليه جملة أصحابه ومن برز بالناس منهم في ناحيته وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو ومعه سيفان قد تقلد بواحد وهو يضرب بالآخر وأطافت به خيل علي فقال عمرو يا الله يا رحمان ابني ابني وكان يقول معاوية اصبر اصبر فإنه لا بأس عليه قال عمرو لو كان يزيد إذا لصبرت ولم يزل حماة أهل الشام يذبون عنه حتى نجا هاربا على فرسه ومن معه وأصيب هاشم في المعركة.

قال وقال عمار حين نظر إلى راية عمرو بن العاص والله إن هذه الراية قد قاتلتها ثلاث عراكات وما هذه بأرشدهن. وساق الحديث نحو رواية الإختصاص إلى قوله فأما أبو العادية فطعنه وأما ابن جوين فإنه اجتز رأسه فقال ذو الكلاع لعمر وويحك ما هذا قال عمرو إنه سيرجع إلينا وذلك قبل أن يصاب عمار فأصيب عمار مع علي وأصيب ذو الكلاع مع معاوية.

فقال عمرو والله يا معاوية ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحا والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامه قومه ولا فسد علينا جندنا.

(١) هذا هو الظاهر. وفي أصلي كان لفظ: «إن» في قوله: «إن زحف به» مشطوبا. وكان فيه أيضاً: «اليوم أطول لأهل الشام». وفي كتاب صفين ص ٣٤٠: «وقد كان قال معاوية لعمر وويحك إن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة وقد كان من قبل يرقل به...»

قال فكان لا يزال رجل يجيء فيقول أنا قتل عمارا فيقول له عمرو فما سمعتموه يقول فيخلطون حتى أقبل ابن جوين فقال أنا قتل عمارا فقال له عمرو فما كان آخر منطقه قال سمعته يقول اليوم ألقى الأخبة محمدا وحزبه. فقال له عمرو صدقت أنت صاحبه أما والله ما ظفرت بذلك ولكن أسخطت ربك^(١). وعن عمرو بن شمر عن إسماعيل السدي عن عبد خير الهمداني قال نظرت إلى عمار بن ياسر رمي رمية فأغمي عليه ولم يصل الظهر والعصر ولا المغرب ولا العشاء ولا الفجر ثم أفاق فقضاهن جميعا يبدأ بأول شيء فاته ثم التي تليها. وعن عمرو بن شمر عن السدي عن ابن حريث قال أقبل غلام لعمار بن ياسر اسمه راشد يحمل شربة من لبن فقال عمار أما إني سمعت خليلي رسول الله ﷺ قال إن آخر زادك من الدنيا شربة لبن وعن عمرو بن شمر عن السدي عن يعقوب بن الأوسط قال احتج رجلان بصفين في سلب عمار بن ياسر وفي قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما ويحكمنا أخرجنا عني فإن رسول الله ﷺ قال ولعت قريش بعمار ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة و يدعونه إلى النار قاتله وسأله في النار قال فيلغني أن معاوية قال إنما قتله من أخرجه يخدع بذلك طعام أهل الشام. وعن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي الزبير عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ إن ابن سمية لم يخير بين أمرين قط إلا اختار أشدهما^(٢).

وفي حديث عمر بن سعد قال حمل عمار بن ياسر وهو يقول:

كلا ورب البيت لا أبرح أجي
أنا مع الحق أقاتل مع علي
إلى آخر الأبيات.

قال فضربوا أهل الشام حتى اضطروهم إلى الفرات.

قال ومشي عبد الله بن سويد سيد جرش إلى ذي الكلاع فقال له لم جمعت بين الرجلين قال لحديث سمعته من عمرو ذكر أنه سمعه من رسول الله ﷺ وهو يقول لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية. فخرج عبد الله بن عمر العبيسي وكان من عباد أهل زمانه ليلا فأصبح في عسكر علي رضي الله عنه فحدث الناس بقول عمرو في عمار فلما سمع معاوية هذا القول بعث إلى عمرو فقال أسدست علي أهل الشام أكل ما سمعته من رسول الله ﷺ تقوله فقال عمرو قتلها ولست والله أعلم الغيب ولا أدري أن صفين تكون و عمار خصمنا وقد رويت أنت فيه مثل الذي رويت فيه فاسأل أهل الشام.

فغضب معاوية وتمر لعمرو ومنعه خيره فقال عمرو لا خير لي في جوار معاوية إن تجلت هذه الحرب عنا وكان عمرو حمي الأنف فقال في ذلك:

تعاتبني أن قلت شيئا سمعته
وما كان لي علم بصفين أنها
فلو كان لي بالغيب علم كمتها
إلى آخر الأبيات.

ثم أجابه معاوية بأبيات تشتمل على الاعتذار فأتاه عمرو وأعتبه وصار أمرهما واحدا.

ثم إن عليا رضي الله عنه دعا هاشم بن عتبة ومعه لواءه وكان أعور وقال حتى متى تأكل الخبز وتشرب الماء فقال هاشم لأجهنن لا أنرجع إليك أبدا^(٣) قال علي رضي الله عنه إن بزازك ذا الكلاع وعنده الموت الأحمر فتقدم هاشم وتعرض له صاحب لواء ذي الكلاع فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم فقتله وكثرت القتلى فحمل ذو الكلاع فاجتلد الناس فقتل جميعا. وأخذ ابن هاشم اللواء فأسر فأتى بمعاوية فلما دخل عليه وعنده عمرو بن العاص قال يا أمير المؤمنين هذا المختال بن المرقال فدونك الضب اللاحظ فإن العصا من العصية وإنما تلد الحية حية و جزاء السيئة سيئة. فقال له ابن هاشم ما أنا بأول رجل خذله قومه وأدركه يومه قال معاوية تلك صفات صفين و ما جنا عليك أبوك

(١) كذا في الأصل المطبوع. وفي كتاب صفين ط مصر. ص ٣٤٢. «أما والله ما ظفرت بذلك...».
(٢) هذا هو الظاهر المذكور في كتاب صفين. وفي ط الكمباني من كتاب البحار: «الآن اختار أشدهما».
(٣) كذا في أصلي. وفي كتاب صفين وشرح ابن أبي الحديد: «لا جهنن...» وهو أظهر.

فقال عمرو يا أمير المؤمنين أمكنني منه فأشخب أوداجه على أنباجه فقال له ابن هاشم أفلا كان هذا يا ابن العاص حين أدعوك إلى البراز و قد ابتلت أقدام الرجال من نقع الجريال^(١) إذ تضايقت بك المسالك وأشرفت فيها على المهالك و ايم الله لو لا مكانك منه لنسبت لك مني خافية أرميك من خلالها بأحد من وقع الأنثافي^(٢) فإنك لا تزال تكثر في دهشك و تخبط في مرسك تخبط العشواء في الليلة الحندس الظلماء قال فأعجب معاوية ما سمع من كلام ابن هاشم فأمر به إلى السجن و كف عن قتله.

و عن عمرو بن شمر عن السدي عن عبد خير قال لما صرع هاشم مر عليه رجل و هو صريع بين القتلى فقال له أقرئ أمير المؤمنين السلام و رحمة الله و قل له أنشدك الله إلا أصبحت و قد ربطت مقاوود خيلك بأرجل القتلى فإن الدبرة تصبح غدا لمن غلب على القتلى^(٣) فأخبر الرجل علياً بذلك فسار علي^{عليه السلام} في بعض الليل حتى جعل القتلى خلف ظهره و كانت الدبرة له عليهم.

و عن عمرو بن سعد عن رجل عن أبي سلمة أن هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء ألا من كان يريد الله و الدار الآخرة فليقبل إلي فأقبل إليه ناس فشد في عصابة من أصحابه على أهل الشام مرارا فليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له و قتل فيه قتالا شديداً فقال لأصحابه لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فو الله ما ترون منهم إلا حمية العرب و صبرها تحت راياتها و عند مراكزها و إنهم لعلى الضلال و إنكم لعلى الحق يا قوم اصبروا و صابروا و اجتمعوا و اصبروا و امشوا بنا إلى عدونا على تودة رويدا و اذكروا الله و لا يسلمن رجل أخاه و لا تكثروا الالتفات و اصمدوا صمدهم و جالدهم محتسبين حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

فقال أبو سلمة فمضى في عصابة من القراء فقاتل قتالا شديداً هو و أصحابه حتى رأى بعض ما يسرون به إذ خرج عليهم فتى شاب و شد يضرب بسيفه و يلعن و يشتم و يكثر الكلام فقال له هاشم إن هذا الكلام بعده الخصام و إن هذا القتال بعده الحساب فاتق الله فإنك راجع إلى ربك فسانلك عن هذا الموقف و ما أردت به قال فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي و أنكم لا تصلون و أقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا و أنتم وازرتموه على قتله فقال له هاشم و ما أنت و ابن عفان إنما قتله أصحاب محمد و قراء الناس حين أحدث أحداثا و خالف حكم الكتاب و أصحاب محمد هم أصحاب الدين و أولى بالنظر في أمور المسلمين و ما أظن أن أمر هذه الأمة و لا أمر هذا الدين عنك طرفة عين قط قال الفتى أجل و الله لا أكذب فإن الكذب يضر و لا ينفع و يشين و لا يزين فقال له هاشم إن هذا الأمر لا علم لك به فخله و أهل العلم به قال أظنك و الله قد نصحتني فقال له هاشم و أما قولك فإن صاحبتنا لا يصلي فهو أول من صلى لله مع رسوله ﷺ و أققه في دين الله و أولاه برسول الله و أما من ترى معه فكلهم قارئ الكتب لا ينالم الليل تهجدا فلا يغورك عن دينك الأشقياء المغرورون.

قال الفتى يا عبد الله إني لأظنك امرأ صالحا أخبرني هل تجد لي من توبة قال نعم تب إلى الله يتب عليك قال فذهب الفتى راجعا فقال رجل من أهل الشام خدعك العراقي قال لا و لكن نصحتني.

و قاتل هاشم هو و أصحابه قتالا شديداً حتى قتل تسعة نفر أو عشرة و حمل عليه الحارث بن المنذر فطعنه فسقط وبعث إليه علي^{عليه السلام} أن قدم لواءك فقال للرسول انظر إلى بطني فإذا هو قد انشق فأخذ الراية رجل من بكر بن وائل و رفع هاشم رأسه فإذا هو بعبيد الله بن عمر بن الخطاب قتيلا إلى جانبه فجثا حتى دنا منه ففض على ثديه حتى تبينت فيه أنباجه ثم مات هاشم و هو على صدر عبید الله و ضرب البكري فوقه فأبصر عبید الله. ففض على ثديه الآخر و مات أيضا فوجدا جميعا ماتا على صدر عبید الله.

(١) في كتاب صَيِّن: من نقع الجريال. وفي تاج العروس: «الجريال» بالكسر، صبغ أحمر وكما سيأتي عند بيان المصنّف.

(٢) كذا في أصلي و سيأتي قريباً عند بيان المصنّف تفسيره، وفي شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٨١٤ «الأنثافي» قيل: هي جمع «إشفي» وهو مخصف الأسكاف.

هذا هو الظاهر المذكور في شرح المختار: (٨٣) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٨. وفي ط الحديث ببيروت: ج ٢ ص ٨١٥.

(٣) كذا في أصلي، وفي كتاب صَيِّن ص ٣٥٣: «نصر، عن عمرو بن شمر، عن رجل عن أبي سلمة...».

وفي شرح المختار: (١٢٤) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٨١٧: «قال نصر: وحدّثنا عمر بن سعد عن الشعبي عن أبي سلمة...» والقصة ذكرها أيضاً الطبري في تاريخه: ج ٤ ص ٣٠ وفي ط بيروت: ج ٥ ص ٤٢ قال أبو مخنف: وحدّثني أبو سلمة أن هاشم بن عتبة...».

جزي الله خيرا عصابة أسلمية
يزيد و عبد الله بشر و معبد
و عروة لا يسعد ثناه و ذكره
ثم قام عبد الله بن هاشم و أخذ الراية.

ثم ساق الحديث إلى قوله فأمرهم علي بالعدو إلى القوم فغاداهم إلى القتال فانهزم أهل الشام و قد غلب أهل العراق على قتلى أهل حصص و غلب أهل الشام على قتلى أهل العالية و انهزم عتبة بن أبي سفيان حتى أتى الشام. ثم إن عليا أمر مناديه فنادى في الناس أن اخرجوا إلى مصافكم فخرج الناس إلى مصافهم و اقتتل الناس إلى قريب من ثلث الليل.

بيان: قال الجوهري الإرقال ضرب من الجنب و ناقة مرقل و مرقال إذا كانت كثيرة الإرقال و المرقال لقب هاشم بن عتبة الزهري لأن عليا دفع إليه الراية يوم صفين فكان يرقل بها إرقالا قوله سامت إليه الصفوف في أكثر النسخ بالسین المهملة من قولهم سامت الإبل و الريح إذا مرت و استمرت أو من قولهم سامت الطير على الشيء أي حامت و دامت و في بعضها بالمعجمة من شامتته أي قاربته قوله فدوتك الضب شبهه بالضب لبيان كثرة حقدده و شدة عداوته قال الجوهري في المثل أعق من ضب لأنه ربما أكل حسوله و الضب الحقد تقول أضب فلان على غل في قلبه أي أضمره و رجل خب ضب أي جريز مراوغ و قال في المثل العصا من العصية أي بعض الأمر من بعض و قال الزمخشري في المستقصى العصا من العصية هي فرس جزيمة و العصية أمها يضرب في مناسبة الشيء سنخه و كانتا كريمتين و يروى العصا من العصية و الأفعى بنت حية و المعنى أن العود الكبير ينشأ من الصغير الذي غرس أولا يضرب للشيء الجليل الذي يكون في بدنه حقيرا انتهى.

و التبع بالتحريك ما بين الكاهل إلى الظهر و قال الجوهري النقع محبس الماء و كذلك ما اجتمع في البئر منه و المنقع الموضع يستنقع فيه الماء و استنقع الماء في الغدير أي اجتمع و ثبت و استنقع الشيء في الماء على ما لم يسم فاعله و قال الجريال صبغ أحمر عن الأصمعي و جريال الذهب حمرة و الجريال الخمر و جريال الخمر لونها و هنا كناية عن الدم قوله بأحد من وقع الأثافي لعل المراد بالأثافي هنا السمّة التي تكوى بها قال الجوهري المثفأة سمّة كالأثافي و في الأثافي مثل آخر مشهور قال في المستقصى في الأمثال رماء الله بثالثة الأثافي يعتمد إلى قطعة من الجبل فيضم إليها حجران ثم ينصب عليها القدر و المراد بثالثتها تلك القطعة و هي مثل لأكبر الشر و أقطعه و قيل معناه أنه رماء بالأثافي أثفية بعد أثفية حتى رماء الله بثالثة فلم يبق غاية و المراد أنه رماء بالشر كله قوله تكثر في دهشك أي تكثر الكلام في تحريك و خوفك و في بعض النسخ بالسین المهملة و هو النبات لم يبق عليه لون الخضرة و المكان السهل ليس برمل و لا تراب و المرساة الجبل و الجمع مرس و في بعض الروايات تكثر في هوسك و تخط في دهسك و تنتشب في مرسك و الهوس شدة الأكل و السوق اللين و المشي الذي يعتمد فيه صاحبه على الأرض و الإفساد و الدوران أو بالتحريك طرف من الجنون.

باب ١٤ باب ما ظهر من إعجازه في بلاد صفين و سائر ما وقع فيها من النوادر

٣٨١-لي: [الأماي للصدوق] ماجيلويه عن علي عن أبيه عن أبي الصلت الهروي عن محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن الأزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن حبيب بن الجهم قال (١):

(١) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في الحديث: (١٤) من المجلس: (٣٤) من أماليه ص ١٥٥.

لما دخل بنا علي بن أبي طالب عليه السلام إلى بلاد صفين نزل بقرية يقال لها صندودا ثم أمرنا فعبرنا عنها ثم عرس بنا في أرض بلقع فقام إليه مالك بن الحارث الأشتر فقال يا أمير المؤمنين أنزل الناس على غير ماء فقال يا مالك إن الله عز وجل سيسقينا في هذا المكان ماء أعذب من الشهد وألين من الزبد الزلال وأبرد من الثلج وأصفى من الياقوت فتعجبنا ولا عجب من قول أمير المؤمنين عليه السلام ثم أقبل يجرد رداءه ويده سيفه حتى وقف على أرض بلقع فقال يا مالك احفر أنت وأصحابك فقال مالك فاحفروا فإذا نحن بصخرة سوداء عظيمة فيها حلقة تبرق كاللجين فقال لنا روموها فرمناها بأجمعنا ونحن مائة رجل فلم نستطع أن نزيلها عن موضعها فدنا أمير المؤمنين عليه السلام رافعا يده إلى السماء يدعو وهو يقول طاب طاب مرأى بما لم طبيونا بوته شتميا كوبا جاحا نونا تودينا بروحنا ^(١) آمين آمين رب العالمين رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ثم اجتذبتها فرماها عن العين أربعين ذراعا.

قال مالك بن الحارث الأشتر فظهر لنا ماء أعذب من الشهد وأبرد من الثلج وأصفى من الياقوت فشربنا وسقينا ثم رد الصخرة وأمرنا أن نحثو عليها التراب.

ثم ارتحل وسرنا فما سرنا إلا غير بعيد قال من منكم يعرف موضع العين فقلنا قلنا يا أمير المؤمنين فرجعنا فطلبنا العين فخفي مكانها علينا أشد خفاء فظننا أن أمير المؤمنين عليه السلام قد رقه العطش فأومأنا بأطرافنا فإذا نحن بصومعة راهب فدوتنا منها فإذا نحن براهب قد سقطت حاجباه على عينيه من الكبر فقلنا يا راهب أعندك ماء نسقي منه صاحبنا قال عندي ماء قد استعذبت منذ يومين فأنزل إلينا ماء مرا خشنا فقلنا هذا قد استعذبت منذ يومين فكيف ولو شربت من الماء الذي سقانا منه صاحبنا وحدثناه بالأمر فقال صاحبكم هذا نبي قلنا لا ولكنه وصي نبي فنزل إلينا بعد وحشته منا وقال انطلقوا بي إلى صاحبكم فانطلقنا به فلما بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال شمعون قال الراهب نعم شمعون هذا اسم سميتي به أمي ما أطلع عليه أحد إلا الله تبارك وتعالى ثم أنت فكيف عرفته فأتم حتى أتمه لك قال وما تشاء يا شمعون قال هذا العين واسمه قال هذا العين راحوما وهو من الجنة شرب منه ثلاثمائة وثلاثة عشر وصيا وأنا آخر الوصيين شرب منه قال الراهب هكذا وجدت في جميع كتب الإنجيل وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنت وصي محمد عليه السلام ثم رحل أمير المؤمنين عليه السلام والراهب يقدمه حتى نزل بصفين ونزل معه بعايدن والتقى الصفان فكان أول من أصابته الشهادة الراهب فنزل أمير المؤمنين عليه السلام وعيناه تهملان وهو يقول المرء مع من أحب الراهب معنا يوم القيامة رفيقي في الجنة.

بيان: البلقع والبلقعة الأرض القفر التي لا ماء بها.

٣٨٢- ييج: [الخرايج والجرائح] روي عن زاذان وجماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قالوا كنا معه بصفين فلما أن صاف معاوية أتاه رجل من ميمنته فقال يا أمير المؤمنين في ميمنتك خلل فقال ارجع إلى مقامك فرجع ثم أقبل ثانية فقال يا أمير المؤمنين في ميمنتك خلل فقال ارجع إلى مقامك فرجع ثم أتاه ثالثة كان الأرض لا تحمله فقال يا أمير المؤمنين في ميمنتك خلل فقال عليه السلام قف فوق فقال عليه السلام علي بمالك الأشتر فأقام مالك فقال عليه السلام يا مالك قال ليبيك يا أمير المؤمنين قال ترى ميسرة معاوية قال نعم قال ترى صاحب الفرس المعلم قال نعم قال الذي عليه القباء الأحمر قال نعم قال انطلق فأنتي برأسه فخرج مالك فدنا منه وضربه فسقط رأسه ثم تناوله فأقبل به إلى أمير المؤمنين فألقاه بين يديه فأقبل علي عليه السلام على الرجل فقال نشدتك الله هل كنت إذ نظرت إلى هذا فرأيت حليه وهو ملاك قلبك فأريت الخلل في أصحابك قال اللهم نعم فأقبل علي علينا ونحن حوله فقال أخبرني بهذا والله رسول الله فترونه بقي بعد هذا شيء ثم قال للرجل ارجع إلى مقامك ^(٢)

٣٨٣- ييج: [الخرايج والجرائح] روي عن أبي سعيد عقيصا قال خرجنا مع علي عليه السلام نريد صفين فمررنا بكريلاء فقال هذا موضع الحسين عليه السلام وأصحابه ثم سرنا حتى انتهينا إلى راهب في صومعته وتقطع الناس من العطش وشكوا إلى علي عليه السلام ذلك وأنه قد أخذ بهم طريقا لا ماء فيه من البر وترك طريق الفرات فدنا من الراهب فتهتف به وأشرف

(١) كذا.

(٢) ورواه الرازي في الخرايج ص ١٧٠. وربما يشير إلى هذا الحديث ما رواه الطبري قبل عنوان: «خبر هاشم بن عتبة...» من تاريخه: ج ٤ ص ٢٩، وفي ط: ج ٥ ص ٤٢.

إليه قال أقرب صومعتك ماء قال لا فنتى رأس بقلته فنزل في موضع فيه رمل وأمر الناس أن يحفروا الرمل فحفروا فأصابوا تحته صخرة بيضاء فاجتمع ثلاثمائة رجل فلم يحركوها فقال عليه السلام تتحوا فإني صاحبها ثم أدخل يده اليمنى تحت الصخرة فقلعها من موضعها حتى رآها الناس على كفه فوضعها ناحية فإذا تحتها عين ماء أرق من الزلال وأعذب من الفرات فشرب الناس واستقروا وتزودوا ثم رد الصخرة إلى موضعها وجعل الرمل كما كان وجاء الراهب فأسلم وقال إن أبي أخبرني عن جده وكان من حوارى عيسى أن تحت هذا الرمل عين ماء وأنه لا يستطيعها إلا نبي أو وصي نبي وقال لعلي عليه السلام أتأذن لي أن أصحبك في وجهك هذا قال عليه السلام الزمني ودعاه ففعل فلما كان ليلة الهرير قتل الراهب فدفنه بيده وقال عليه السلام لكأنني أنظر إليه وإلى منزله في الجنة ودرجته التي أكرمه الله بها^(١)

٣٨٤- بيج: [الخرايج والجرائع] روي أنه لما طال المقام بصفين شكوا إليه فغاد الزاد والعلف بحيث لم يجد أحد من أصحابه شيئا يؤكل فقال عليه السلام طيبوا نفسا فإن غدا يصل إليكم ما يكفيكم فلما أصبحوا وتقاضوه سعد عليه السلام على تل كان هناك ودعا بدعاء سأل الله أن يطعمهم ويعلف دوابهم ثم نزل ورجع إلى مكانه فما استقر إلا وقد أبلت العير بعد العير عليها اللحمان والتمر والدقيق والعير بحيث امتلأت بها البراري وفرغ أصحاب الجمال جميع الأحمال من الأطعمة وجميع ما معهم من علف الدواب وغيرها من الثياب وجلال الدواب وجميع ما يحتاجون إليه حتى الخيط والمخيطة ثم انصرفوا ولم يدر أحد من أي البقاع وردوا من الإنس أم من الجن وتعجب الناس من ذلك

٣٨٥- بيج: [الخرايج والجرائع] روى علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال خرج أمير المؤمنين يريد صفين فلما عبر الفرات وقرب من الجبل وحضر وقت صلاة العصر أمعن بعيدا ثم توضأ فأذن فلما فرغ من الأذان انطلق الجبل عن هامة بيضاء ولحية ووجه أبيض فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته مرحبا بوصي خاتم النبيين وقائد الفر المحجلين وسيد الوصيين فقال علي عليه السلام و عليك السلام يا أخي شمعون بن حمون الصفا وصي روح القدس عيسى ابن مريم كيف حالك قال بخير يرحمك الله أنا منتظر نزول روح القدس فاصبر يا أخي على ما أنت عليه من الأذى فاصبر يا أخي حتى تلقى الحبيب غدا فلم أعلم أحدا أحسن بلاء في الله منكم ولا أعظم ثوابا ولا أرفع مكانا وقد رأيت ما لقي أصحابك بالأمن من بني إسرائيل فإنهم نشروا بالمناشير وصلبوا على الخشب فلو تعلم تلك الوجوه المارقة المفارقة لك ما أعد الله لها من عذاب النار والسخط والنكال لا قصرت ولو تعلم هذه الوجوه المتمنية بك ما لها من الثواب في طاعتك لتمنت أن تقرض بالمقاريض و عليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال والتألم عليه الجبل وخرج علي عليه السلام إلى القتال.

فسأله عمار بن ياسر ومالك الأشتر وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وأبو أيوب الأنصاري وقيس بن سعد الأنصاري وعمرو بن الحمق الخزاعي وعبادة بن الصامت عن الرجل فأخبرهم أنه شمعون بن حمون الصفا وكانوا قد سمعوا كلامهما فازدادوا بصيرة في المجاهدة معه.

وقال عبادة بن الصامت وأبو أيوب بأماهاتنا وأبائنا نفديك يا أمير المؤمنين فوالله لننصرنك كما نصرنا أخاك رسول الله والله ما تأخر عنك من المهاجرين والأنصار إلا شقي فدعا لهما بالخير

٣٨٦- جأ: [المجالس للمفيد] علي بن بلال عن علي بن عبد الله الأصفهاني عن الثقفي عن إسماعيل يسار عن عبد الله بن ملح عن عبد الوهاب بن إبراهيم عن أبي صادق عن مزاحم بن عبد الوارث عن محمد بن زكريا عن شعيب بن واقد عن محمد بن سهل عن أبيه عن قيس مولى علي بن أبي طالب عليه السلام مثله^(٢).

٣٨٧- شي: [تفسير العياشي] عن عبد الرحمن بن جندب قال لما أقبل الناس مع أمير المؤمنين عليه السلام من صفين أقبلنا معه فأخذ طريقا غير طريقنا الذي أقبلنا فيه حتى إذا جزنا النخيلة ورأينا أبيات الكوفة إذا شيخ جالس في ظل بيت على وجهه أثر المرض فأقبل إليه أمير المؤمنين ونحن معه حتى سلم عليه وسلمنا معه فردا حسنا فظننا أنه

(١) ورواه الراوندي في الخرائج ص ١٩٩: أما التالين فغير موجودين فيه. وقريباً منه رواه نصر بن مزاحم «عن عبد العزيز بن سياه. عن حبيب بن أبي ثابت. عن أبي سعيد التيمي [دينار] المعروف بقيقصا...» كما في أوائل الجزء الثالث من كتاب صفين، ص ١٤٥، ط مصر. وقريباً منه رواه بسند آخر في ص ١٤٧. ورواه أيضاً الإسكافى المتوفى عام: (٢٤٠) في كتاب المغيار والموازنة، ص ١٣٤، ط ١. ورواه أيضاً الخوارزمي في الفصل: (٣) من الفصل (١٦) من مناقبه، ص ١٦٧، ط النجف.

(٢) رواه الشيخ المفيد قدس سره في المجلس: (١٢) من أماليه ص ١٠٥.

قد عرفه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ما لي أرى وجهك منكسرا مصفارا فعم ذاك أمن مرض فقال نعم فقال لعلك كرهته فقال ما أحب أنه يعتريني ولكن أحسب الخير فيما أصابني ^(١) قال فأبشر برحمة الله وغفران ذنبك فمن أنت يا عبد الله قال أنا صالح بن سليم قال ممن قال أما الأصل فمن سلامان بن طي وأما الجوار والدعوة فمن بني سليم بن منصور فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما أحسن اسمك واسم أبيك واسم أجدادك واسم من اعتريت إليه فهل شهدت معنا غزائنا هذه فقال لا ولقد أردتها ولكن ما ترى في من لجب الحمى خذلني عنها فقال أمير المؤمنين عليه السلام «لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ» إلى آخر الآية من سورة البراءة ثم قال فخيرني ما قول الناس فيما بيننا وبين أهل الشام قال منهم السرور والمجور فيما كان بينك وبينهم وهم أغش الناس لك فقال له صدقت قال ومنهم الكاسف الأسف ^(٢) لما كان من ذلك وأولئك نصحاء الناس لك فقال له صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فإن المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع على العبد ذنبا إلا حطة وإنما الأجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل وإن الله ليدخل بصدق النية والسريرة الصالحة عالما جما من عباده الجنة.

بيان: قال الجوهري حبرني هذا الأمر أي سرنى وقال رجل كاسف البال أي سبى الحال وكاسف الوجه أي عابس والجم الكثير.

٤٥
٣٣

٣٨٨- بل: [الفضائل لابن شاذان] فض: [كتاب الروضة] بالإستناد يرفعه إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه قال لما سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين وقف بالفرات وقال لأصحابه أين المخاض فقالوا أنت أعلم يا أمير المؤمنين فقال لبعض أصحابه امض إلى هذا التل و ناد يا جلند أين المخاض قال فصار حتى وصلت تل و نادى يا جلند فأجابه من تحت الأرض خلق كثير قال فبهت ولم يعلم ما يصنع فأتى الإمام و قال يا مولاي جاؤني خلق كثير فقال يا قنبر امض و قل يا جلند بن كركر أين المخاض قال فكلمه واحد و قال ويلكم من عرف اسمي واسم أبي و أنا في هذا المكان و قد بقي حقف رأسي عظم نخر رميم و لي ثلاث آلاف سنة ما يعلم المخاض هو و الله أعلم مني يا ويلكم ما أعمى قلوبكم و أضعف نفوسكم ويلكم امضوا إليه و اتبعوه فأين خاض خوضوا معه فإنه أشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ^(٣).

بيان مخاض الماء الموضع الذي يجوز الناس فيه مشاة و ركباناً

٤٦
٣٣

٣٨٩- بل: [الفضائل لابن شاذان] فض: [كتاب الروضة] بالإستناد يرفعه إلى ابن عباس قال أقبلنا مع علي بن أبي طالب عليه السلام من صفين فقطعش الجيش و لم يكن بتلك الأرض ماء فشكوا ذلك إلى و ارث علم النبوة فجعل يدور في تلك الأرض إلى أن استبطن البر فرأى صخرة عظيمة فوقف عليها و قال السلام عليك أيتها الصخرة فقالت السلام عليك يا و ارث علم النبوة فقال لها أين الماء قال تحتي يا وصي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال فأخبر الناس بما قالت الصخرة له قال فانكبوا إليها بمائة نفر فعجزوا أن يحركوها فعند ذلك قال إليكم عنها ثم إنه عليه السلام وقف عليها و حرك شفتيه و دفعها بيده فانقلبت كلعج البصر و إذا تحتها عين ماء أعلى من العسل و أبرد من الثلج فسقوا المسلمين و سقوا خيولهم و أكثروا من الماء ثم إنه عليه السلام أقبل إلى الصخرة و قال لها عودي إلى موضعك قال ابن عباس فجعلت تدور على وجه الأرض كالكرة في الميدان حتى أطبقت على العين ثم رجعوا و رحلوا عنها ^(٤).

٣٩٠- يج: [الخرائج و الجرائح] عن أبي هاشم الجعفري عن أبيه عن الصادق عليه السلام قال لما فرغ علي عليه السلام من صفين وقف على شاطئ الفرات و قال أيها الوادي من أنا فاضطرب و تشققت أمواجه و قد نظر الناس فسمعوا من الفرات صوتاً أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أن علياً أمير المؤمنين حجة الله على خلقه ^(٥).

٣٩١- يج: [الخرائج و الجرائح] عن عبد الله بن السكسكي عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام أن علياً عليه السلام لما قدم من

٤٧
٣٣

(١) كذا في أصلي، وفي تاريخ الطبري: «قال ما أحب أنه بغيري. قال: أليس احتساباً للخير فيما أصابك منه؟ قال: بلى. قال: فأبشر برحمة ربك...» وقرىبه منه رواه الإسكافي المتوفى عام: (٢٤٠) في كتاب المعيار ص ١٩٢، ط ١.
(٢) هذا هو الصواب المذكور في تفسير البرهان. وفي ط الكلباني من البحار: «العاصف...».
(٣) الفضائل لشاذان بن جبرائيل ط النجف ص ١٤، مع مغايرت غير سيرة في اللفظ. هذا ومؤلف مجهول الهوية.
(٤) لم أجد في الفضائل رواية بهذا النص إلا أنه في ص ١٠٧ ذكر ما يقرب منه.
(٥) رواه القطب الدين الرواندي ح في كتاب الخرائج.

صفين وقف على شاطئ الفرات ثم انتزع سهما من كنانته ثم أخرج منها قضيباً أصفر فضرب به الفرات وقال انفجري فانفجرت أثننا عشرة عينا كل عين كالطود والناس ينظرون إليه ثم تكلم بكلام لم يفهموه فأقبلت الحيتان رافعة رؤوسها بالتهليل والتكبير وقالت السلام عليك يا حجة الله على خلقه في أرضه ويا عين الله في عباده خذلك قومك بصفين كما خذل هارون بن عمران قومه فقال لهم أسعتم قالوا نعم قال فهذه آية لي عليكم وقد أشهدتكم عليه^(١).

٣٩٢- يـج: [الخراج والخراج] عن عبد الواحد بن زيد قال كنت حاجاً إلى بيت الله فبينما أنا في الطواف إذ رأيت جاريين عند الركن اليماني تقول إحداهما للأخرى لا وحق المنتجب للوصية والقاسم بالسوية والعاقل في القضية بل فاطمة الزكية الرضية المرضية ما كان كذا فقلت من هذا المنوع فقالت هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علم الأعلام و باب الأحكام قسيم الجنة والنار رباني الأمة قلت من أين تعرفينه قالت كيف لا أعرفه وقد قتل أبي بين يديه بصفين ولقد دخل على أمي لما رجع فقال يا أم الأيتام كيف أصبحت قالت بخير ثم أخرجتني وأختي هذه إليه وكان قد ركبتي من الجدري ما ذهب به بصري فلما نظرت^(٢) إلي تأوه وقال^(٣).

ما إن تأوّهت من شيء رزئت به
كما تأوّهت للأطفال في الصغر
قد مات والدهم من كان يكفلهم
في الثنايات وفي الأسفار والحضر

ثم أمر يده المباركة على وجهي فانفتحت عيني لوقتي وساعتي فوالله إني لأنظر إلى الجمل الشارد في الليلة المظلمة ببركته^(٤).

باب ١٥

باب ما جرى بين معاوية وعمر بن العاص في التحامل على علي عليه السلام

٣٩٣- لي: [الأمالي للصدوق] القطان عن ابن زكريا عن ابن حبيب عن علي بن زياد عن الهيثم بن عدي عن الأعشى عن يونس بن أبي إسحاق قال حدثنا أبو الصقر عن عدي بن أرطاة قال قال معاوية يوماً لعمر بن العاص يا أبا عبد الله أينما أدهي قال عمرو أنا للبيعة وأنت للروية قال معاوية قضيت لي على نفسك وأنا أدهي منك في البيعة قال عمرو فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف قال بها غلبتني يا أبا عبد الله أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه قال والله إن الكذب لبيع فأسأل عما بدا لك أصدقك فقال هل غششتني منذ نصحتني قال لا قال بلى والله لقد غششتني أما إني لا أقول في كل المواطن ولكن في موطن واحد قال وأي موطن قال يوم دعاني علي بن أبي طالب للمبارزة فاستتركت فقلت ما ترى يا أبا عبد الله فقلت كفوكريم فاشتريت علي بمبارزته وأنت تعلم من هو فعلت أنك غششتني قال يا أمير المؤمنين دعاك رجل إلى مبارزة عظيم الشرف جليل الخطر وكنت من مبارزته على إحدى الحسينين إما أن تقتله فتكون قد قتلت قتال الأقران وتزداد به شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك وإما أن تعجل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً قال معاوية هذه شر من الأولى والله إني لأعلم أني لو قتله دخلت النار ولو قتلتني دخلت النار قال له عمرو فما حملك على قتاله قال الملك عقيم ولن يسمعه مني أحد بعدك^(٣).

٣٩٤- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن محمد بن عمران عن محمد بن إسحاق عن الوليد بن محمد بن إسحاق عن أبيه قال^(٤).

(١) رواها قطب الدين الراوندي في كتاب الخراج.
ورواه مسنداً الشيخ منتخب الدين ح في الحكاية الأولى من خاتمة أربعينه ص ٧٥.
(٢) رواها قطب الدين الراوندي في كتاب الخراج.
ورواه مسنداً الشيخ منتخب الدين ح في الحكاية الأولى من خاتمة أربعينه ص ٧٥.
(٣) رواه الشيخ الصدوق ح في الحديث: (٥) من المجلس: (١٧) من أماليه ص ٦٩.
(٤) رواه الشيخ الطائفة في الحديث: (٣٠) من الجزء (٥) من أماليه: ج ١ ص ١٣٤.

استأذن عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان فلما دخل عليه استضحك معاوية فقال له عمرو ما أضحكك يا أمير المؤمنين أدام الله سرورك قال ذكرت ابن أبي طالب و قد غشيك بسيفه فاتقته و وليت فقال أتشمت بي يا معاوية فأعجب من هذا يوم دعاك إلى البراز فالتع لونك و أظت أضلاعك و انتفخ سحرك و الله لو بارزته لأوجع قذالك و أيتم عيالك و برك سلطانك و أنشأ عمرو يقول:

معاوي لا تشمت بفارس بهمة
معاوي لو أبصرت في الحرب مقبلا
و أيقنت أن الموت حق و أنه
دعاك فصمت دونه الأذن إذ دعا
أتشمت بي أن نالني حد رمح
فأي امرئ لاقاه لم يلق شلوه
أبسى الله إلا أنه ليث غابة
فإن كنت في شك فأرهب عجاجة

لقسي فارسا لا تعتليه الفوارس
أبا حسن تهوي عليك الوساس
لنفسك إن لم تمنع الركض خالس
و نفسك قد ضاقت عليها الأمالس
و عضضني ناب من الحرب ناهس
بسمعترك تسفي عليه الروامس
أبو أشبل تهدي إليه القرائس
و إلا فستلك الترهات البساس

فقال معاوية مهلا يا أبا عبد الله و لا كل هذا قال أنت استدعيت

بيان: استضحك لعله مبالغة في الضحك أو أراد أن يضحك عمروا و التمتع لونه ذهب و تغير و أظ الرجل و نحوه يبط أطيطا صوت و يقال للجبان انتفخ سحرك أي رثك و بزه سلبه.

و قال الجوهري البهمة بالضم الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى من شدة بأسه و يقال أيضا للجيش بهمة و منه قولهم فلان فارس بهمة و ليث غابة.

و في القاموس الإمليس و بهاء الفلاة ليس بها نبات و الجمع أماليس و أمالس شاذ و قال نهس اللحم كمنع و سمع أخذ بمقدم أسنانه و تنفه و قال الشلو بالكسر العضو و الجسد من كل شيء كالشلا و كل مسلوح أكل منه شيء و بقيت منه بقية و قال الروامس الرياح الدوافن للآبار و قال أرهب أثار الغبار و قال العجاج الغبار و قال الترهة قفيرة الباطل و قال الترهات البساس و بالإضافة الباطل

٣٩٥-كشف: [كشف الغمة] لما عزم معاوية على قتال علي عليه السلام شاور فيه ثقاته و أهل وده فقالوا هذا أمر عظيم لا يتم إلا بعمر بن العاص فإنه قريع زمانه في الدهاء و المكر و قلوب أهل الشام مائلة إليه و هو يخدع و لا يخدع فقال صدقت و لكنه يحب عليا فأخاف أن يمتنع فقالوا رغبة بالمال و أعطه مصر فكتب إليه من معاوية بن أبي سفيان خليفة عثمان بن عفان إمام المسلمين و خليفة رسول رب العالمين ذي النورين ختن المصطفى على ابنته و صاحب جيش العسرة و بثر رومة المعلوم الناصر الكثير الغاثل المحصور في منزله المقتول عطشا و ظلما في محرابه المعبذ بأسيايف الفسقة إلى عمرو بن العاص صاحب رسول الله ﷺ و ثقته و أمير عسكره بذات السلاسل المعظم رأيه المفخم تدبيره أما بعد قلن يخفى عليك احتراق قلوب المؤمنين و فجعتهم بقتل عثمان و ما ارتكبه جاره بغيا و حسدا و امتناعه عن نصرته و خذلانه إياه حتى قتل في محرابه فيا لها مصيبة عمت الناس و فرضت عليهم طلب دمه من قتلته و أنا أدعوك إلى الحظ الأجل من الثواب و النصيب الأوفر من حسن المآب بقتال من آوى قتلة عثمان^(١).

فكتب إليه عمرو بن العاص من عمرو بن العاص صاحب رسول الله ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فقد وصل كتابك فقرأته و فهمته فأما ما دعوتني إليه من قتال علي فقد دعوتني و الله إلى خلع ربة الإسلام من عنتي و التهور في الضلالة معك و إعانتني إياك على الباطل و اختراط السيف في وجه علي بن أبي طالب عليه السلام و هو أخو رسول الله ﷺ و وصيه و وارثه و قاضي دينه و منجز وعده و زوج ابنته سيدة نساء العالمين و أبو السبطين سيدي شباب أهل الجنة.



وأما قولك إنك خليفة عثمان صدقت ولكن تبين اليوم عزلك من خلافتك وقد بويع لغيره فزالت خلافتك.
وأما ما عظميتي به ونسبتني إليه من صحبة رسول الله ﷺ وإني صاحب جيشه فلا أغتر بالتركية ولا أميل بها
عن الملة.

وأما ما نسبت أبا الحسن أبا رسول الله ﷺ وصيه إلى البغي والحسد لعثمان وسميت الصحابة فسقة و
زعمت أنه أشلام على قتله فهذا كذب وغواية ويحك يا معاوية أما علمت أن أبا الحسن بذل نفسه بين يدي رسول
الله ﷺ وبات على فراشه وهو صاحب السبق إلى الإسلام والهجرة وقال فيه رسول الله ﷺ هو مني وأنا منه و
هو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

وقال فيه يوم الغدير من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.
وقال فيه يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

وقال فيه يوم الطير اللهم انتني بأحب خلقك إليك فلما دخل قال وإلي وإلي.

وقال فيه يوم النصير علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله.

وقال فيه علي وليكم بعدي وأكد القول علي وعليك وعلى جميع المسلمين وقال إني مخلف فيكم الثقلين كتاب
الله وعترتي.

وقال أنا مدينة العلم وعلي بابها.

وقد علمت يا معاوية ما أنزل الله من الآيات المتلوات في فضائله التي لا يشركه فيها أحد كقوله تعالى ﴿يُؤْفُونَ
بِالتَّذْرِبِ﴾ وكقوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وكقوله ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ وكقوله ﴿رَجُلٌ
صَدَقُوا مَا غَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وكقوله ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

وقال رسول الله ﷺ أما ترضى أن يكون سلمي وحربي وتكون أخي وولي في الدنيا والآخرة يا أبا
الحسن من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني ومن أحبك أدخله الله الجنة ومن أبغضك أدخله الله النار.

وكتابك يا معاوية الذي هذا جوابه ليس مما ينخدع به من له عقل ودين والسلام.

فكتب إليه معاوية يعرض عليه الأموال والولايات وكتب في آخر كتابه:

جهلت ولم تعلم محللك عندنا فأرسلت شيئا من خطاب وما تدري

فتق بالذي عندي لك اليوم أنفا من العز والإكرام والجاه والنصر

فاكتب عهدا ترتضيه مؤكدا واشفعه باليدل مني وبالبير

فكتب إليه عمرو بأبيات ليس بالشعر الجيد يطلب فيها مصر^(١) وأولها:

أبي القلب مني أن أخادع بالمكر يقتل ابن عفان أجز إلى الكفر

فكتب له معاوية بذلك وأنفذه إليه ففكر عمرو ولم يدر ما يصنع وذهب عنه النوم فقال:

تطاول ليلى بالهموم الطوارق وصافحت من دهري وجوه البوائق

أأخدعه والخدع مني سجية أم أعطيه من نفسي نصيحة وامق

أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحة لشيخ يخاف الموت في كل شارق

فلما أصبح دعا مولاة وردان وكان عاقلا فشاوره في ذلك فقال وردان إن مع علي آخرة ولا دنيا معه وهي التي تبقى

لك وتبقى فيها وإن مع معاوية دنيا ولا آخرة معه وهي التي لا تبقى على أحد فاختر ما شئت فتبسم عمرو وقال:

يا قاتل الله وردانا وفطنته لقد أصاب الذي في القلب وردان

لما تعرضت الدنيا عرضت لها بحرص نفسي وفي الأطياع أدهان

نفس تغف وأخرى الحرص يغلبها والمرء يأكل نكتا وهو غرثان

أما علي فدين ليس يشركه دنيا وذاك له دنيا وسطان

(١) هذا كان مؤخرًا في أصلي فقدمناه لكونه أوفق، والقصة ذكرها الخوارزمي حرقية في الفصل الثالث من الفصل (١٦) من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ص ٢٩٩.

فاخترت من طمعي دنيا على بصري
إنسي لأعرف ما فيها وأبصره
لكن نفسي تحب العيش في شرف

وما معي بالذي أختار برهان
وفسي أيضا لما أهواه ألوان
وليس يرضى بذل العيش إنسان

ثم إن عمرا رحل إلى معاوية فمنعه ابنه عبد الله ووردان فلم يمتنع فلما بلغ مفرق الطريقين الشام والعراق قال له وردان طريق العراق طريق الآخرة وطريق الشام طريق الدنيا فأيهما تسلك قال طريق الشام!!

٥٤
٣٣

توضيح: قال الجوهري القريع الفحل والسبد يقال فلان قريع دهره وقريع الذي يقارعه.
و قال في النهاية فيه ذكر بئر رومة هي بضم الراء اسم بئر بالمدينة اشتراها عثمان و سبلها و في القاموس أشلا دابته أراها المخلاة لتأنيبه و الناقة دعاها للحلب و الوامق المحب و الشارق الشمس و شرقت الشمس طلعت و الغرثان الجائع.

٣٩٦-نهج: [نهج البلاغة] و لم يبايع حتى شرط أن يؤتیه على البيعة ثمنا فلا ظفرت يد المبايع و خزيت أمانة المبتاع فخذوا للحرب أهبته و أعدوا لها عدتها فقد شب لظاها و علا سناها و استشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر^(١).

بيان: قوله عليه و لم يبايع قال الشارحون إشارة إلى ما اشتهر من أن أمير المؤمنين عليه لما نزل بالكوفة بعد فراغه من البصرة كتب إلى معاوية كتابا يدعو إلى البيعة فدعا قوما من أهل الشام إلى الطلب بدم عثمان فأجابوه و أشار إليه أخوه بالاستعانة بعمر و بن العاص فلما قدم عليه و عرف حاجته إليه تباعد عنه و جعل يمدح عليا عليه في وجهه حتى رضي معاوية أن يعطيه المصر فبايعه فذلك معنى قوله عليه أن يؤتیه على البيعة ثمنا ثم أرفد ذلك بالدعاء على البائع لدينه و هو عمرو بعدم الظفر في الحرب أو بالتمن أو بشيء مما يامله و ألحقه بالتوبيخ للمبتاع و هو معاوية بذكر هوان أمانته عليه و هي بلاد المسلمين و أموالهم.

و يحتمل أن يكون إسناد الخزى إلى الأمانة إسنادا مجازيا.

و ذهب بعض الشارحين إلى أن المراد بالبائع معاوية و بالمبتاع عمرو و هو ضعيف لأن الثمن إذا كان مصرا فالمبتاع هو معاوية كذا ذكره ابن ميثم.

وقال ابن أبي الحديد في أكثر النسخ فلا ظفرت يد المبايع بميم المفاعلة و الظاهر ما رويناه.

قوله عليه فقد شب لظاها أي أوقدت نارها و أثيرت و روي بالبناء للفاعل أي ارتفع لهما و السنا بالقصر الضوء.

٥٦
٣٣

أقول: قال ابن أبي الحديد روى ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار^(٢) قال رأى عمرو بن العاص معاوية يوما فضحك فقال مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهرك حين إبدائك سؤاتك يوم ابن أبي طالب عليه و الله لقد وجدته منانا و لو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو يا أمير المؤمنين أما و الله إني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عينك و انتفخ سحرك و بدا منك ما أكره ذكره فمن نفسك أضحك أو فدع.

باب كتبه عليه إلى معاوية و احتجاجاته عليه و مراسلاته إليه و إلى أصحابه

باب ١٦

٣٩٨-نهج: [نهج البلاغة] ج: [الإحتجاج] احتجاجه عليه على معاوية في جواب كتاب كتبه إليه و في غيره من المواضع و هو من أحسن الحجج و أصوبه^(٣).

٥٧
٣٣

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في ذیل المختار: (٢٦) من نهج البلاغة.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٦٨) من نهج البلاغة في عنوان: «أخبار الجبناء و نوادرهم» من شرحه: ج ٢ ص ٣٣٣. و الحديث ذكره ابن قتيبة في أواسط كتاب الحرب من كتاب عيون الأخبار: ج ١، ص ١٦٩، ط بيروت.

(٣) رواه السيّد الرضی ح في المختار: (٢٨) من باب الكتب من نهج البلاغة. و رواه الطبرسي رضي الله عنه في عنوان «احتجاجه على

أما بعد فقد بلغني^(١) كتابك تذكر اصطفاء الله تعالى محمدا ﷺ لدينه و تأييده إياه بمن أيدته من أصحابه فلقد خبا لنا الدهر منك عجباً إذ طفت تخبرنا بلاء الله عندنا و نعمته علينا في نبينا فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر أو داعي مسدده إلى النضال.

وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان و فلان فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله و إن نقص لم يلحقك ثلمه و ما أتت و الفاضل و المفضل و السائس و المسوس و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمييز بين المهاجرين الأولين و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها فطقت يحكم فيها من عليه الحكم لها.

ألا ترع أيها الإنسان على ظلك و تعرف قصور ذررك و تتأخر حيث أحرک القدر فما عليك غلبة المغلوب و لا لك ظفر الظافر و إنك لذهاب في التيه رواع عن القص.

ألا ترى غير مخبر لك و لكن بنعمة الله أحدث إن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين و لكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء و خصه رسول الله ﷺ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه.

ألا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله و لكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة و ذو الجناحين.

و لو لا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين و لا تمجها آذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فإننا صانع ربنا و الناس بعد صانع لنا لم يمنعا قديم عزنا و عادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنحننا و أنكحنا فعل الأكفاء و لستم هناك.

وأنى يكون ذلك كذلك و منا النبي و منكم المكذب و منا أسد الله و منكم أسد الأحلاف و منا سيدا شباب أهل الجنة و منكم صبية النار و منا خير نساء العالمين و منكم حمالة الحطب في كثير مما لنا و عليكم.

فإسلامنا ما قد سمع و جاهليتك ما لا تدفع^(٢) و كتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا و هو قوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ و قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِخْوَانِهِمُ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَ لِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن مرة أولى بالقرابة و تارة أولى بالطاعة.

و لما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ﷺ فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم و إن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم.

و زعمت أنى لكل الخلفاء حسدت و على كلهم بغيت فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك و تلك شكاة ظاهر عنك عارها

و قلت إني كنت أفاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع و لعمر الله لقد أردت أن تدم فمدحت و أن تفضح فافتضحت و ما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه و لا مرتاباً بيقينه و هذه حجتى إلى غيرك قصدها و لكننى أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها.

ثم ذكرت ما كان من أمري و أمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأينا كان أعدى له و أهدى إلى مقاتله أم بذل له نصرته فاستقده و استكنه أم من استنصره فترأخى عنه و بث المنون إليه حتى أتى قدره عليه كلا و الله لقد علم الله الْمُعَوِّظِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ النَّبِيَّ إِلَّا قَلِيلًا^(٣) و ما كنت لأعذر من أنى كنت أنقم عليه أهدانا فإن كان الذنب إليه إرشادي و هدايتي له فرب ملوم لا ذنب له و قد يستفيد الظنة المتصع و ما أردت إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ.

و ذكرت أنه ليس لي و لأصحابي عندك إلا السيف فلقد أضحكت بعد استيعار متى ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكليين و بالسيوف مخوفين فالبث قليلاً يلحق الهيجاء حمل فسيطلبك من تطلب و يقرب منك ما تستبعد و أنا

معاوية...» من كتاب الاحتجاج ص ١٧٦.

(١) كذا في طبع الكعبيات من البحار وبهامشه وفي النهج والاحتجاج: قد أناني. وفيها: تذكر فيه.

(٢) وفي النهج: وجاهليتنا. وفي النهج والاحتجاج: لا تدفع.

(٣) اقتباس من الآية (١٨) من سورة الأحزاب (٣٣). وفيها: «قد يعلم الله المعوقين». وما يأتي بعد سطرين اقتباس من الآية ٨٨/ هود.

مرقل نوحك في جحفل من المهاجرين وَ الْأَنْصَارِ وَ التابعين بإحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسريلين سرايل الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية و سيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك و خالك و جدك و أهلك وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ.

بيان:

قال ابن أبي الحديد^(١) بعد إيراد هذا الكتاب سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد قلت أرى هذا الجواب منطقاً على كتاب معاوية الذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى علي رضي الله عنه فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الذي ذكره أرباب السيرة و أوردته نصر بن مزاحم في كتاب صفين إذن غير صحيح و إن كان ذلك الجواب فهذا الجواب إذا غير صحيح و لا ثابت.

فقال لي بل كلاهما ثابت مروى و كلاهما كلام أمير المؤمنين رضي الله عنه و ألفاظه ثم أمرني أن أكتب ما يعليه علي فكتبته. قال رحمه الله.

كان معاوية يتسقط علياً رضي الله عنه و يبغى عليه ما عساه أن يذكره من حال أبي بكر و عمر و أنهما غصباه حقه و لا يزال يكيده بالكتاب يكتبه و الرسالة يبعثها يطلب غرته لينفذ بها في صدره من حال أبي بكر و عمر إما مكاتبة أو مراسلة فيجعل ذلك حجة عليه عند أهل الشام و يضيفه إلى ما قدره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم فكان غمسه عندهم بأنه قتل عثمان أو مالا على قتله و أنه قتل طلحة و الزبير و أسر عائشة و أراق دماء أهل البصرة و بقيت خصلة واحدة و هو أن ثبت عندهم أنه يبرأ من أبي بكر و عمر و ينسبهما إلى الظلم و مخالفة الرسول في أمر الخلافة و أنهما وثبا عليها غلبة و غصباه إياها فكانت هذه تكون الطامة الكبرى و ليست مقتصرة على إفساد أهل الشام عليه بل و أهل العراق الذين هم جنده و بطانته و أنصاره لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلا القليل الشاذ من خواص الشيعة.

فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب علياً و يخرجه و يحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر و أنه أفضل المسلمين إلى أن يرهن خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعنا في أبي بكر فكان الجواب مجمعا^(٢) غير بين ليس فيه تصريح بالتظلم لهما و لا التصريح ببراءتهما و تارة يترحم عليهما و تارة يقول أخذنا حقي و قد تركته لهما. فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأول ليستفزا فيه علياً رضي الله عنه و يستخفاه و يحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلقان به في تقييد حاله و تهجين مذهبه و قال له عمرو إن علياً رضي الله عنه رجل نزق تياه ما استطعتم^(٣) منه الكلام بمثل تقييد أبي بكر و عمر فكتب إليه ثانياً فكتب كتاباً أنفذه إليه مع أبي أمامة الباهلي و هو من الصحابة بعد أن عزم على بعثه مع أبي الدرداء و نسخة الكتاب.

من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإن الله تعالى جده اصطفى محمداً رضي الله عنه و رسالته و اختصه بوحيه و تأدية شريعته فأثقف به من العماية و هدى به من الغواية ثم قبضه إليه رشيداً حميداً قد بلغ الشرع و محق الشرك و أحمده نار الإلفك فأحسن الله جزاءه و ضاعف عليه نعمه و آلاه.

ثم إن الله سبحانه اختص محمداً رضي الله عنه بأصحاب أيدوه و آزره و نصره و كانوا كما قال الله سبحانه لهم «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» فكان أفضلهم مرتبة و أعلاهم عند الله و المسلمين منزلة الخليفة الأول الذي جمع الكلمة و لم الدعوة و قاتل أهل الردة ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح و مصر الأمصار و أذل رقاب المشركين ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة و طبق الآفاق بالكلمة الحنيفية.

فلما استوثق الإسلام و ضرب بجرانه عدوت عليه فيغيته الغوائل و نصبت له المكاييد و ضربت له بطن الأمر و

(١) ذكره ابن أبي الحديد شرح الكتاب وهو المختار: (٢٨) من باب الكتب من نهج البلاغة.

(٢) قال الفيروز آبادي: «الجمجمة» أن لا يبين كلامهم وإخفاء الشيء في الصدر. منه ح [و جمجم] عن الأمر: لم يقدم عليه.

(٣) النزق: الخفة في كل أمر. المجلة في جهل وحق. والتأيد: كثير التيه وهو الكبر.

وقال المجلسي علي ما في هامش بحار الأنوار ط الكميات: «الاستطعام» هنا استخراج الكلام. قال الجوهري: «استطعمه» سأله أن يطعمه، وفي الحديث: إن استطعتمكم الإمام فاطمعه. انتهى. وفي بعض النسخ بتقديم الميم على العين ولعله تصحيف.

ظهره و دسست عليه و أغريت به و قعدت حيث استنصرك عن نصرته و سألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته. و ما يوم المسلمين منك بواحد لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه و رمت إفساد أمره و قعدت في بيتك عنه و استغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته.

ثم كرهت خلافة عمر و حسدته و استطلت مدته و سررت بقتله و أظهرت الشماتة بمصابه حتى إنك حاولت قتل ولده لأنه قاتل أبيه.

ثم لم تكن أشد حسدا منك لابن عمك عثمان نشرت مقابحه و طويت محاسنه و طعنت في فقهه ثم في دينه ثم في سيرته ثم في عقله و أغريت به السفهاء من أصحابك و شيعتك حتى قتلوه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد.

وما من هؤلاء إلا من بغيت عليه و ت لكأت في بيعته حتى حملت إليه قهرا تساق بخزائن الاقتसार^(١) كما يساق الفحل المخشوش ثم نهضت الآن تطلب الخلافة و قتلة عثمان خصاصوك و سجراؤك^(٢) و المحدثون بك و تلك من أمانى النفوس و ضلالات الأهواء.

فدع اللجاج و العنت جانباً و ادفع إلينا قتلة عثمان و أعد الأمر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضا فلا بيعه لك في أعناقها و لا طاعة لك علينا و لا عتبى لك عندنا و ليس لك و لأصحابك عندي إلا السيف و الذي لا إله إلا هو لأطبلبن قتلة عثمان أين كانوا و حيث كانوا حتى أقتلهم أو تلحق روحي بالله.

فأما ما لا تزال تمت به من سابقك و جهادك^(٣) فإني وجدت الله سبحانه يقول ﴿يَتَوَنَّ عَلَيْنَا أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشد الأنفس امتناناً على الله بعملها وإذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد ويجعله كصفوان عليه ثراب فأصابته وإبل فتركه صلداً لا يقدرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِثَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.

قال النقيب أبو جعفر فلما وصل هذا الكتاب إلى علي عليه السلام مع أبي أمامة الباهلي كلم أبا أمامة بنحو مما كلم به أبا مسلم الخولاني و كتب معه هذا الجواب.

قال النقيب و في كتاب معاوية هذا ذكر لفظة الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم و ليس في ذلك هذه اللفظة و إنما فيه حسدت الخلفاء و بغيت عليهم عرفنا ذلك من نظرك الشر و قولك الهجر و تنفسك الصعداء و إبطاؤك عن الخلفاء قال و إنما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين و المشهور عندهم كتاب أبي مسلم فيجعلون هذه اللفظة فيه و الصحيح أنها في كتاب أبي أمامة ألا تراها عادت في الجواب و لو كانت في كتاب أبي مسلم لعادت في جوابه.

انتهى كلام النقيب أبي جعفر أقول إنما أوردت هذا الكتاب على كاتبه و ممليه أشد العذاب ليتضح الجواب و ليظهر لكل عاقل كفر هذا المناق المرتاب.

قوله عليه السلام فلقد خبأ لنا الدهر قال في النهاية خبأت الشيء خبئاً إذا أخفيته و الخبء كل شيء غائب مستور و لعل المعنى أن الدهر أخفى لنا من أحوالك شيئاً عجباً لم تكن تظن ذلك حتى ظهر منك.

و يحتمل أن يكون على سبيل التجريد أي أنت أعجب الأشياء في الدهر كنت مخفياً فظهرت من قبيل لقيني منه أسد.

قال ابن ميثم و وجه العجب أنه أخبر أهل بيت النبي بحاله و ما أنعم الله به عليه مع علمهم البالغ بحاله و كونهم أولى بالإخبار عنها و ضرب له في ذلك مثلين و أصل المثل الأول أن رجلاً قدم من هجر إلى البصرة بمال اشترى به شيئاً للريح فلم يجد فيها أكسد من التمر فاشترى بماله تمرًا و حمله إلى هجر و ادخره في البيوت ينتظر به السعر فلم

(١) و«الخزائن» جمع «الخزيمة» و خزمت البعير بالخزامة وهي حلقة من شعر تجعل في وتر أنفه يشد بها الزمام. و«الاقتसार» الإكراه على الأمر. منه ح.

(٢) و«السجيرة» و«الخليل» و«الصفى» ج: سجرا، ذكره الفيروزآبادي وفي بعض النسخ: «سجراؤك» جمع «السمير» وهو المحدث بالليل. منه ح.

(٣) قال الجوهري: «التمن» التمذ و التوشل بقرابة. و«المامنة» العزمة و الوسيلة. تقول: فلان يمت بالملك بقرابة. انتهى. وفي بعض النسخ: تمن بالنون. منه ح. أقول: وفي المطبوع من شرح النهج: «تمن» كما هو المتناسب مع الآية.

يزدد إلا رخصا حتى فسد جميعه و تلف ما له فضرِب مثلا لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به فيه و هجر معروفة بكثرة التمر حتى أنه ربما يبلغ سعر خمسين جلة بدينار و وزن الجلة مائة رطل فذلك خمسة آلاف رطل و لم يسمع ذلك في غيرها من البلاد.

والثاني أنه شبهه بداعي مسدده و أستاذة في الرمي إلى الرماة و مسدده أولى بأن يدعوه إلى ذلك.

قوله إن تم اعتزلك كله أي تباعد عنك و المعنى ذكرت أمرا إن تم لم ينفعك و إن نقص لم يضرك بل لا تعلق له بك أصلا و التلمة الخلل في الحائط و غيره و السياسة القيام على الشيء بما يصلحه و ليس في هذا الكلام شهادة منه ﷺ على فضل الخلفاء لما عرفت من المصلحة في هذا الإجمال.

و قال في النهاية أصل الحنين ترجيع الناقة صوتهما أثر ولدها و منه كتاب علي ﷺ إلى معاوية و أما قولك كيت و كيت فقد حن قرح ليس منها هو مثل يضرب لرجل يستعي إلى نسب ليس منه أو يدعي ما ليس منه في شيء و القرح بالكسر أحد سهام الميسر فإذا كان من غير جوهر أخواته ثم حركها المقيض بها خرج له صوت يخالف أصواتها يعرف به.

قال الزمخشري في المستقصى القداح التي يضرب بها تكون من نبع فربما ضاع منها قدح فنحيت على مثاله من غرب أو غيره آخر بالعجلة فإذا احتك معها صوت صوتا لا يشابه أصواتها فيقال ذلك ثم ضربه عمر لعقبة بن أبي معيط حين أمر النبي بضرب عنقه يوم بدر فقال أقتل من بين قريش أراد عمر إنك لست من قريش.

و قيل في بني الحنّان و هم بطن من بلحراث إن جدهم ألقى قدحا في قداح قوم يضربون بالمسير و كان يضرب لهم رجل أعمى فلما وقع قدحه في يده قال حن قدح ليس منها فلقب الحنّان لذلك يضرب لمنتحل نسباً أو فضلا انتهى.

قوله ﷺ يحكم فيها أي في هذه القصة أو القضية من كان الحكم لها عليه لا له.

و يجوز إرجاع الضمير إلى الطبقات.

و قال ابن ميثم يضرب لمن يحكم على قوم و فيهم و هو من أراد لهم و ليس للحكم بأهل بل هم أولى منه به.

و قال الجوهري يقال اربع على نفسك و اربع على ظلمك أي ارفق بنفسك و كف يقال ظلمت الأرض بأهلها أي ضاقت بهم من كثرتهم و يقال ارق على ظلمك أي اربع على نفسك و لا تحمل عليها أكثر مما تطيق.

و قال في النهاية فيه أنه لا يربع على ظلمك الظلع بالسكون العرج و المعنى لا يقيم عليك في حال ضعفك و ربع في المكان إذا أقام به.

و في الصحاح أصل الذراع هو بسط اليد و يقال ضقت بالأمر ذرعا إذا لم تطقه و لم تقو عليه.

و قال ابن ميثم قوله ﷺ حيث أخره القدر إشارة إلى مرتبته النازلة التي جرى القدر بها أن تكون نازلة عن مراتب السابقين و قد أمره بالتأخر فيها و الوقوف عندها.

قوله ﷺ في التيه أي في الضلال و التحير أو في التكبر.

قال في النهاية تاه بتيه تيتها إذا تحير و ضل و إذا تكبر و الرواغ الميال. و القصد المعتدل الذي لا يميل إلى طرف في الإفراط و التفريط.

قوله ﷺ غير مخبر أي أنكلم بكلامي هذا لا لإخباري إياك بل للتحدث بنعمته سبحانه إما لأن معاوية غير قابل للخطاب و الإخبار بهذا الكلام و المقام مقام تحقيره أو لأنه كان عالما به أو لأنه يتراءى من مثل هذا الكلام و إخبار الخصم به المفاخرة بذكر تلك الفضائل فدفع ذلك التوهم بقوله لكن بنعمة الله أحدث و ما بعد لكن بهذا الاحتمال أنسب و إن كان قوله ﷺ لك بالأول ألحق.

قوله ﷺ قبل سيد الشهداء قال ابن أبي الحديد أي في حياة النبي ﷺ لأن عليا عليه السلام مات شهيدا و لا خلاف في أنه أفضل من حمزة و جعفر و غيرهما بل هو سيد المسلمين^(١).

(١) هذا تلخيص كلام ابن أبي الحديد، وإليك نصّ كلامه حرفياً في شرح الكلام في ج ٤ ص ٦٠٨ الحديث ببيروت قال: المراد هـا هنا (من

قوله بسبعين تكبيرة قال ابن ميثم أي في أربع عشرة صلاة وذلك أنه كلما كبر عليه خمساً حضرت جماعة أخرى من الملائكة فضلى بهم عليه أيضاً وذلك من خصائص حمزة رضي الله عنه.

قوله ﷺ لذكر ذكر يعني نفسه وإنما نكره ولم يأت بالآلف واللام ولم ينسبه إلى نفسه لئلا يصرح بتزكية نفسه واستعار لفظ المح لكرامية النفس لبعض ما يكرر سماعه وإعراضها عنه فإنها تصير كالقاذف له من الأذن كما يقذف الماح الماء من فيه كذا قيل والظاهر أنه كناية عن أنها لوضوحها لا يمكن لأحد إنكارها فغير المؤمنين وإن ثقل عليهم سماعها فلا يمكنهم إنكارها.

قوله ﷺ فدع عنك إلخ الرمية الصيد يرمى يقال بئس الرمية الأرنب أي بئس الشيء مما يرمي الأرنب والمعنى دع ذكر من مال إلى الدنيا وأمأته إليها وأمأته عن الطريق المستقيم فإن شأن الصيد الخروج عن الطريق وهي إشارة إلى الخلفاء والكلام في بيان التفاضل سابقاً ولاحقاً.

وقال ابن أبي الحديد هذه إشارة إلى عثمان لا إلى أبي بكر وعمر وهذا مما لا يسمن ولا يغني من جوع مع أن المذكور في كتاب معاوية لم يكن عثمان وحده كما عرفت.

وقال ابن ميثم رحمه الله أي فدع عنك أصحاب الأغراض الفاسدة ولا تلتفت إلى ما يقولون في حقنا كعمرو بن العاص ويحتمل أن يكون الإشارة إلى نفسه على طريقة قولهم إياك أعني واسمعي يا جارة. واستعار لفظ الرمية وكنى بها عن الأمور التي تقصدها النفوس وترميها بقصودها انتهى.

ولا يخفى بعده وأبعد منه ما ذكره الكيدري حيث قال أراد أنه مطعون في نسبه وحسبه وأنه أزاله عن مقام التفاخر والتنافر مطاعن شهرت فيه انتهى.

وكانه حمل الرمية على السهام الرمية.

قوله ﷺ فإننا صنائع ربنا هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأنهم التي تعجز عنها العقول ولنتكلم على ما يمكننا إظهاره والخوض فيه فنقول:

صنيعة الملك من يصطنعه ويرفع قدره ومنه قوله تعالى ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُقَسِّيَ﴾ أي اخترتك وأخذتك صنيعتي لتصرف عن إرادتي ومحبي فالمرنى أنه ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى أنعم علينا فليس بيننا وبينه واسطة والناس بأسرهم صناعنا فنحن الوسائط بينهم وبين الله سبحانه.

ويحتمل أن يريد بالناس بعض الناس أي المختار من الناس نصطنعه ونرفع قدره.

وقال ابن أبي الحديد هذا مقام جليل ظاهره ما سمعت وباطنه أنهم عبيد الله والناس عبيدهم.

وقال ابن ميثم لفظ الصنائع في الموضعين مجاز من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل والحال على المحل يقال فلان صنيعة فلان إذا اختصه لموضع نعمته والنعمة الجزيلة التي اختصهم الله بها هي نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتى كان الناس عيالاً لهم فيها.

قوله ﷺ وعادي طولنا قال الجوهرى عاد قبيلة وهم قوم هود ﷺ وشيء عادي أي قديم كأنه منسوب إلى عاد.

وقال ابن أبي الحديد الطول الفضل وقال الأفعال الجميلة كما تكون عادة بطول المدة تكون عادة بكثرة المنائب والمآثر والمفاخر وإن كانت المدة قصيرة ولا يراد بالقديم قديم الزمان بل من قولهم لفلان قديم أثر أي سابقة حسنة وإنما جعلنا اللفظ مجازاً لأن بني هاشم وبني أمية لم يفترقا في الشرف إلا منذ نشأ هاشم بن عبد مناف ثم لم تكن المدة بين نشأ هاشم وإظهار محمد ﷺ الدعوة إلا نحو تسعين سنة انتهى.

وأقول قد ظهر لك مما سبق أن بني أمية لم يكن لهم نسب صحيح ليشاركوا في الحسب آباءه مع أن قديم عزمهم لم ينحصر في النسب بل أنوارهم ﷺ أول المخلوقات ومن بدء خلق أنوارهم إلى خلق أجسادهم وظهور آثارهم كانوا معروفين بالزور والشرف والكمالات في الأرضين والسموات يخبر بفضلهم كل سلف خلفاً ورفع الله ذكرهم في كل أمة عزاً وشرفاً.

قوله: [سيد الشهداء] حمزة رضي الله عنه. وينبغي أن يحمل قول النبي أفية: «إِنَّهُ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ» على أَنَّهُ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ [إلا عموم الشهداء] لِأَنَّ عَلِيًّا ﷺ مات شهيداً، ولا يجوز أن يقال: حمزة سيده، بل هو سيّد المسلمين كلّهم ولا خلاف بين أصحابنا أَنَّهُ أَفْضَلُ من حمزة وجعفر رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ فعل الأكفاء منصوب على المصدر بفعل المكذب أبو سفيان وقيل أبو جهل وأسد الله حمزة رضي الله عنه وأرضاه وأسد الأحلاف هو أسد بن عبد العزى وقال في القاموس الحلف بالكسر العهد بين القوم والصداقة والصدق يحلف لصاحبه أن لا يغير به والجمع أخلاف والأحلاف في قول زهير أسد و غطفان لأنهم تحالفوا على.

التناصر والأحلاف قوم من ثقيف وفي قريش ست قبائل عبد الدار وكعب وجمع وسهم ومخزوم وعدي لأنهم لما أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبد الدار من الحجابة والسقاية وأبت عبد الدار عقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا فأخرجت بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعنها لأحلافهم وهم أسد وزهرة وتيم عند الكعبة فغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفا آخر مؤكدا فسموا الأحلاف انتهى ونحوه قال في النهاية إلا أنه قال بعد قوله فغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا فسموا المطيبين.

وصيبة النار إشارة إلى الكلمة التي قالها النبي ﷺ لعقبة بن أبي معيط حين قتله صبيرا يوم بدر وقال كالمستعطف له ﷺ من للصيبة يا محمد قال النار.

وَحَمَّالَةُ الْخَطْبِ هي أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبي لهب. وقوله ﷺ في كثير متعلق بمحذوف أي هذا الذي ذكرنا داخل في كثير مما يتضمن ما ينفعنا ويضركم. قوله ﷺ وجاهليتنا أي شرفنا وفضلنا في الجاهلية لا يدفعه أحد وفي بعض النسخ وجاهليتك ولعله أظهر.

وجه الاستدلال بالآية الأولى ظاهر لأنه كان أولى الأرحام برسول الله ﷺ وأقربهم إليه وكذا الثانية لأنه كان أقرب الخلق إلى اتباع رسول الله ﷺ وأول من آمن به و صدقه.

وقال الجوهري الفلج الظفر والفوز وقد فلج الرجل على خصمه يفلج فلجا والاسم الفلج بالضم. قوله ﷺ وتلك شكاة قال الجوهري يقال هذا أمر ظاهر عنك عاره أي زائل قال الشاعر.

وعيرها الواشون إنني أحبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقال شكوت فلانا شكاة إذا أخبرت بسوء فعله.

وقال ابن ميثم البيت لأبي ذؤيب وهو مثل يضرب لمن ينكر أمرا ليس منه في شيء ولا يلزمه دفعه. والخشاش بالكسر الذي يدخل في عظم أنف البعير وخششت البعير إذا جعلت في أنفه الخشاش و الغضاضة بالفتح المذلة والمنقصية.

قوله ﷺ وهذه حجتي إلى غيرك لعل المعنى لست أنت المقصود بها لحقارتك كقوله ﷺ غير مخبر لك أو علمي بأنك لا تقبل حججي ولا تؤمن بها أو لأنك عالم بها ولا فائدة في إخبار العالم بل قصدي بذكرها إلى غيرك من السامعين لعله يؤمن بها من أنكرها ويطمئن بها قلب من آمن بها. وقال ابن ميثم أي لست أنت المقصود بها إذ لست من هذا الأمر في شيء بل القصد منها غيرك أي الذين ظلموا وإنما ذكرت منها بقدر ما دعت الحاجة إليه و سنع لي أن أذكره في جوابك. قوله ﷺ فلك أن تجاب أي هذه ليست مثل السابقة التي لم يكن لك السؤال فيها لأنك من بني أمية وبينك وبينه رحم.

وقوله ﷺ فأبنا ابتداء تقرير الجواب.

و الأعدى من العداوة أو من العدوان والأول أصوب وأهدى إلى مقاتله أي لوجوه قتله ومواضعه من الآراء والحيل أم من بذل أراد به نفسه المقدسة فإنه لما اشتد الحصار على عثمان بعث ﷺ إليه وعرض عليه نصرته فقال عثمان لا أحتاج إلى نصرتك ولكن أقعد وكف شرك وذلك لأن عثمان كان متهما لـ ﷺ بالدخول في أمره وأراد ﷺ بقوله من استنصره معاوية وذلك أنه بعث عثمان حال حصاره إلى الشام مستنصرًا بمعاوية فلم يزل يتراخى عنه ويؤخر الخروج إلى أن قتل طمعه في الأمر وذكر القدر ونسبة القتل إليه ها هنا مناسب لتبريه من دمه والبث النشر والمنون الدهر والمنية أي نشر إليه نواب الدهر وأسباب المنية وقوله ﷺ والله لقد علم الله اقتباس من قوله تعالى قَدْ

يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ، قال الطبرسي رحمه الله هم الذين كانوا يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ والتعويق التشبيط وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ يعني اليهود قالوا لإخوانهم المنافقين هَلُمَّ إِلَيْنَا أَيُّ تَمَالَوْا وَأَقْبِلُوا إِلَيْنَا ودعوا محمداً ﷺ وقيل القائلون هم المنافقون قالوا لإخوانهم من ضعة المسلمين لا تحاربوا واخلوا محمداً ﷺ فإننا نخاف عليكم الهلاك وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ أَيُّ لَا يحضرون القتال والبأس الحرب وأصله الشدة إِلَّا قَلِيلًا إِلَّا كَارِهِينَ يكون قلوبهم مع المشركين. ولعل الغرض من الاقتباس أنه سبحانه عاب المعوقين والقائلين فالمتراخي مقصر على تقدير وجوب الحضور كما زعمته.

ويحتمل أن يكون غرضه واقعا تعويقه عن نصره ﷺ وإن أوهم ظاهره نصر عثمان.

وقال الجوهري نمت على الرجل أنكم بالكسر إذا عتبت عليه.

وقال ابن ميثم في قوله ﷺ قرب ملوم لا ذنب له وأنا ذلك الملووم وهو مثل لأكرم بن صيفي يضرب لمن قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فيه وقوله وقد يستفيد الخ يضرب مثلاً لمن يبالغ في النصيحة حتى ينهم أنه غاش و صدر البيت.

وكم سقت في آثاركم من نصيحة

وقال في الصحاح والقاموس المتنصح من تشبه بالنصحاء وهذا المعنى وإن كان محتملاً في كلامه ﷺ على وجه بعيد لكن الظاهر أنه ليس غرضاً للشاعر والظاهر ما ذكره الخليل في العين حيث قال التنصح كثرة النصيحة قال أكرم بن صيفي إياكم وكثرة التنصح فإنه يورث التهمة انتهى والظنة التهمة.

قوله ﷺ فلقد أضحكت بعد استبعاد قال الجوهري عبرت عينه واستعبرت أي دمعت والعبران الباكي.

وقال ابن ميثم أي أتيت بشيء عجيب بالغ في الغرابة فإن الضحك بعد البكاء إنما يكون لتعجب بالغ وذلك كالمثل في معرض الاستهزاء به.

وقيل معناه لقد أضحكت من سمع منك هذا تعجباً بعد بكائه على الدين لتصرفك فيه وأفيت الشيء وجدته قوله ﷺ فالبث قليلاً قال ابن ميثم مثل يضرب للوعيد بالحرب وأصله أن حمل بن بدر رجل من قشير أغير على إبل له في الجاهلية في حرب داحس والغبراء فاستنقذها وقال

لبث قليلاً يلحق الهيجاء حمل ما أحسن الموت إذ الموت نزل

وقيل أصله أن مالك بن زهير توعده حمل بن بدر فقال حمل لبث قليلاً البيت فأرسل مثلاً ثم أتى و قتل مالكا فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيه حذيفة فقتلها وقال

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني

وقال الزمخشري في المستقصى تمام البيت ما أحسن الموت إذا حان الأجل.

وقال قالوا في حمل هو اسم رجل شجاع يستظهر به في الحرب ولا يبعد أن يراد به حمل بن بدر صاحب الغبراء يضربه من ناصره وراءه انتهى.

ثم اعلم أن حملاً في بعض النسخ بالحاء المهملة وفي بعضها بالجيم.

وقال الفيروز آبادي أرقل أسرع والإرقال ضرب من الخبب والجحفل بتقديم الجيم على الحاء الجيش والقمام الغبار وسطع الغبار والرائحة والصبح ارتفع والسريرال القميص وسرايل الموت إنما كناية عن الدروع والأحوال والهينات التي وطئوا نفوسهم على القتل فيها فكأنها أكفانهم.

وقوله ﷺ ذرية بدرية أي أولاد البدرين.

وقد مر أن أخاه أي معاوية حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة أبو أمه.

٣٩٨- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المعيد عن محمد بن عمران عن محمد بن موسى عن هشام عن أبي مخنف عن

عبد الله بن عاصم عن جبر بن نوف قال لما أراد أمير المؤمنين ﷺ إلى الشام اجتمع إليه وجوه أصحابه فقالوا لو كتبت

يا أمير المؤمنين إلى معاوية وأصحابه قبل مسيرنا إليهم كتاباً تدعوهم إلى الحق وتأمرهم بما لهم فيه من الحظ

كانت الحجة تزداد عليهم قوة فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه اكتب^(١):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان و من قبله من الناس سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن لله عبادا آمنوا بالتنزيل و عرفوا التأويل و فقهوا في الدين و بين الله فضلهم في القرآن الحكيم و أنت يا معاوية و أبوك و أهلك في ذلك الزمان أعداء الرسول مكذبون بالكتاب مجتمعون على حرب المسلمين من لقيتهم منهم حيسموا أو عذبتموه أو قتلتموه حتى إذا أراد الله تعالى إعزاز دينه و إظهار رسوله دخلت العرب في دينه أفواجا و أسلمت هذه الأمة طوعا و كرها فكنتم ممن دخل في هذا الدين إما رغبة و إما رهبة فليس ينبغي لكم أن تنازعوا أهل السبق و من فاز بالفضل فإنه من نازعه منكم فيحوب و ظلم فلا ينبغي لمن كان له قلب أن يجهل قدره و لا يعدو طوره و لا يشفي نفسه بالتماس ما ليس له.

إن أولى الناس بهذا الأمر قديما و حديثا أقربهم برسول الله صلى الله عليه و سلم و أعلمهم بالكتاب و أقدمهم في الدين و أفضلهم جهادا و أولهم إيمانا و أشدهم اطلاعا بما تجهله الرعية عن أمرها فاتقوا الله الذي إليه ترجعون و لا تلبسوا الحق بالباطل لتدحضوا به الحق و اعلموا أن خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون و أن شرهم الجهلاء الذين ينارعون بالجهل أهل العلم.

ألا و إني أدعوكم إلى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم و حق دماء هذه الأمة فإن قبلتم أصبتم رشدكم و هديتم لحظكم وإن أبيتم إلا الفرقة و شق عصا هذه الأمة لم تزدادوا من الله إلا بعدا و لم يزد عليكم إلا سخطا و السلام.

قال فكتب إليه معاوية أما بعد فإنه:

ليس بيني و بين عمرو عتاب غير طعن الكلى و حر الرقاب

فلما وقف أمير المؤمنين عليه السلام على جوابه بذلك قال إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

بيان: الحز بالحاء المهملة و بالجيم المعجمة القطع

٣٩٩- ما: (الأمالي للشيخ الطوسي) المفيد عن الكاتب عن الأجلح عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحماني قال كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان:

أما بعد فإن الله أنزل إلينا كتابه و لم يدعنا في شبهه و لا عذر لمن ركب ذنبا بجهالة و التوبة مسبوطة و لا تَزُرُ وَاِرَّةٌ وَرَزُرٌ أُخْرَى و أنت ممن شرع الخلاف متماديا في غمرة الأمل مختلف السر و العلانية رغبة في العاجل و تكذبا بعد في الآجل و كأنك قد تذكرت ما مضى منك فلم تجد إلى الرجوع سبيلا.

وكتب صلوات الله عليه إلى عمرو بن العاص:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص أما بعد فإن الذي أعجبك مما باريت من الدنيا و وثقت به منها منقلب عنك فلا تطمشن إلى الدنيا فإنها غرارة ولو اعتبرت بما مضى حذرت ما بقي و انتفعت منها بما وعظت به و لكنك تبعت هواك و أثرته و لو لا ذلك لم تؤثر على ما دعوناك إليه غيره لأننا أعظم رجاء و أولى بالحجة و السلام.

وكتب عليه السلام إلى أمراء الأجناد:

من عبد الله أمير المؤمنين علي إلى أصحاب المسالح أما بعد فإن حقا على الوالي أن لا يغيره عن رعيته فضل ناله و لا مرتبة اختص بها و أن يزيده ما قسم الله له دنوا من عباده و عطايا عليهم.

ألا و إن لكم عندي أن لا أحجبن دونكم سرا إلا في حرب و لا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم و لا أؤخر لكم حقا عن محله و أن تكونوا عندي في الحق سواء فإذا فعلت ذلك وجبت لي عليكم البيعة و لزمتكم الطاعة و أن لا تنكصوا عن دعوة و لا تفرطوا في صلاح و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق فإن أنتم لم تسمعوا لي على ذلك لم يكن

(١) رواها الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (١٠) و الحديث: (٣٧) من الجزء (٧) و (٨) من أماليه ص ١١٥، و ١٣٥. و الحديث الأول قد تقدم عن كتاب صفين في أواخر الباب: (١١) ص ٤٨١ ط الكمباني. و ليلاحظ المختار: (٧٨) و ما حوله من باب الكذب من كتاب نهج السعادة: ج ٤ ص ٢١٦ ط ١.

أحد أهون علي ممن خالفني فيه ثم أحل لكم فيه عقوبته ولا تجدوا عندي فيها رخصة فخذوا هذا من أمرائكم وأعطوا من أنفسكم هذا يصلح أمركم والسلام.

بيان: قال الجوهري فلان يباري فلانا أي يعارضه ويفعل مثل فعله وفلان يباري الريح سخاء أي يعارضها خيرا وبركة.

أقول وبيان الكتاب الأخير برواية النهج بتغيير ما.

٤٠٠- نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب الله ﷺ إلى معاوية أنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى (١).

ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان ولتعلمن أنني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنني فتجن ما بدا لك والسلام.

تنبيه لعل هذا منه ﷺ إلزام لمعاوية بالإجماع الذي أثبتوا به خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعدم تمسكه ﷺ بالنص لعدم التفاتهم إليه في أول العهد مع عدم تطاول الأيام فكيف مع بعد العهد وقوله ﷺ إنما الشورى إلخ أي الشورى الذي تعتقدونه وتحتجون به ولا حاجة إلى حمل الكلام على التيقية كما نقله ابن أبي الحديد من أصحابنا الإمامية قوله ﷺ كان ذلك لله رضا أي بزمهم والعزلة الاسم من الاعتزال والتجني أن يدعى عليك ذنب لم تفعله.

وقال ابن ميثم رحمه الله هذا الفصل من كتاب كتبه إلى معاوية مع جرير بن عبد الله الجبلي حين نزعه من همدان وصدره:

أما بعد فإن بيعتي يا معاوية لزمك وأنت بالشام لأنه بايعني القوم.

ثم يتلو قوله وولاه الله ما تولى تمام الآية.

ويتصل بها أن قال وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظَهَرُ أَمْرُ اللَّهِ وَهُم كَارِهُونَ فادخل يا معاوية فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إلي فيك العافية إلا أن تعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك.

وقد أكثر في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله.

وأما هاتيك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن.

ثم يتصل به قوله ولعمري إلى قوله ما بدا لك ثم يتصل به واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ونا قُوَّةَ إِلَّاهُ بِاللَّهِ.

وقال رحمه الله وكتب معاوية إلى أمير المؤمنين ﷺ من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فلو كنت على ما كان عليه أبو بكر وعمر إذن ما قاتلتك ولا استحللت ذلك ولكنه إنما أفسد عليك بيعتي خيبتك في عثمان بن عفان وإنما كان أهل الحجاز الحكام على الناس حين كان الحق فيهم فلما تركوه صار أهل الشام الحكام على أهل الحجاز وغيرهم من الناس ولعمري ما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لأن أهل البصرة قد كانوا بايعوك ولم يبايعك أهل الشام وإن طلحة والزبير بايعاك ولم يبايعك.

وأما فضلك في الإسلام وقربتك من رسول الله ﷺ وموضعك من بني هاشم فلست أدفعه والسلام.

فكتب ﷺ في جوابه من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر أما بعد فإنه أتاني كتابك كتاب امرئ ليس له بصير يهديه ولا قائد يرشده قد دعاه الهوى فأجابته وقاده الضلال فأنبهه فهجرا لا غطا وضل خابطا زعمت

(١) رواه السيد الرضي قدس الله نفسه في المختار: (٦) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

أنه إنما أفسد علي بيعتك خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجعلهم على ضلال ولا يضرهم بعني.

وأما ما زعمت أن أهل الشام الحكام على أهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى أو تحل لهما الخلافة فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأَنْصار وإلا فأنا أتيتك بهما من قريش الحجاز.

وأما ما ميزت بين أهل الشام وأهل البصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري ما الأمر في ذلك إلا واحد لأنها بيعة عامة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار والخارج منها طاعن والمروي فيها مدهان.

وأما فضلي في الإسلام وقرباتي من الرسول وشرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت والسلام.

فلما وصل هذا الكتاب إلى معاوية كتب إليه أما بعد فاتق الله يا علي ودع الحسد فإنه طال ما لم ينتفع به أهله ولا تفسد سابقة قديمك بشر من حديثك فإن الأعمال بخواتيمها ولا تلحدن باطل في حق من لا حق لك في حقه فإنك إن تفعل ذلك لا تضلل إلا نفسك ولا تحقق إلا عملك ولعمري إن ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة أن تردك وتردع عما اجترأت عليه من سفك الدماء وإجلاء أهل الحق عن الحل والحرام فاقراً سورة الفلق وتعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر نفسك الحاسد إذا حسد قفل الله بقلبك وأخذ بناصيتك وعجل توفيقك فإني أسعد الناس بذلك والسلام.

فكتب عليه السلام أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة ورسالة محبرة نعمتها بضلالك وأمضيها بسوء رأيك وكتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حق ولو لا علمي بك وما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك مما لا مرد له دون إنفاذه إذا لو عظتكم ولكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب ولم يخف العقاب ولا يرجو لله وقارا ولم يخف له حذاراً فشأنك وما أنت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعة وتمنيك الأباطيل وقد علمت ما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيك وفي أمك وأبيك والسلام^(١).

بيان أقول قد روى السيد رضي الله عنه في النهج بعض الكتابين الذين أوردتهما ابن ميثم وخلصهما^(٢).

قوله عليه السلام فهجري أي هذى واللفظ بالتحريك الصوت والجلية ذكره الجوهري وقال خبط البعير فهو خابط إذا مشى ضالاً فخطب بيديه كل ما يلقاه ولا يتوقى شيئاً وخطبه ضربه باليد ومنه قيل خبط عشواء أي الناقة التي في بصرها ضعف.

قوله عليه السلام طاعن قال ابن ميثم أي في صحتها فهو طاعن في دين الله فيجب قتاله حتى يرجع إليها ورويت في الأمر نظرت فيه وفكرت أي الشاك فيها مدهان والمداينة نوع من النفاق.

قوله عليه السلام موصلة قال ابن أبي الحديد أي مجموعة الألفاظ من هاهنا وهاهنا وذلك عيب في الكتابة والخطابة وقال حبرت الشيء تحبيراً حسنته وزينته أي المزينة الألفاظ يشير عليه السلام إلى أنه قد كان يظهر عليها أثر التكلف والتصنع.

وقال الجوهري نمق الكتاب ينمقه بالضم أي كتبه ونمقه تنميماً زينته بالكتابة.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج^(٣) كتب معاوية في أثناء حرب صفين إلى أمير المؤمنين عليه السلام من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإن الله تعالى يقول في محكم كتابه «وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» وإني أحذرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشق عصا هذه الأمة وتفريق جماعتها فاتق الله واذكر موقف القيامة واقلع عما أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبهم الله على مناخرهم في النار فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين بله ما طحنت رحي حربه

(١) رواه ابن ميثم في شرحه على المختار: (٧) من باب كتب أمير المؤمنين من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٣٥٦ ط الحديث بطهران.

وليلاحظ المختار: (٤٥ و ٩٩) من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب نهج السعادة: ج ٤ ص ٩٤ و ٢٦٦ ط ١.

(٢) قد روى السيد الرضي قريباً مما رواه عنه ابن ميثم ثانياً. في المختار: (٧) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٣) في شرح المختار (٧) من باب الكتب: ج ١٤، ص ٤٢، ط مصر. قال: وهذا الكتاب كتبه علي عليه السلام جواباً عن كتاب كتبه معاوية إليه في أثناء صفين بل في أواخرها.

من أهل القرآن وذوي العبادة والإيمان من شيخ كبير وشاب غرير كلهم بالله تعالى مؤمن وله مخلص وبرسوله مقرر عارف فإن كنت أبا حسن إنما تحارب على الإمرة والخلافة فلعمري لو صحت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين ولكنها لم تصح لك وأنت بصحتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا بها فخف الله وسطواته واتق بأس الله ونكاله وأغمد سيفك عن الناس فقد والله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلا كالمشد في قرارة الغدير وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

فكتب علي عليه السلام إليه جواباً عن كتابه:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فقد أمتني منك موعظة موصلة ورسالة محبرة نعمتها بضلالك وأمضيها بسوء رأيك وكتاب امرئ ليس له بصري يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابته وقاده الضلال فأتبعه فهجراً لا غطاء و ضل خاطباً.

فأما أمرك لي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها وأستعيز بالله من أن أكون من الذين إذا أمروا بها أخذتهم العزة بالآثم. وأما تحذيرك إياي أن يحبط عملي وسابقتي في الإسلام فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذرنني ذلك ولكنني وجدت الله تعالى يقول ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَفْيَةٍ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ فنظرنا إلى الفتنة الباغية فوجدناها الفتنة التي أنت فيها لأن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام وكما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر بالمدينة وهو أمير لأبي بكر على الشام.

وأما شق عصا هذه الأمة فأنأحق أن أنهأك عنه.

فأما تخويفك لي من قتل أهل البغي فإن رسول الله ﷺ أمرني بقتالهم وقتلهم وقال لأصحابه إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله وأشار إلي وأنا أولى من اتبع أمره^(١) وأما قولك إن بيعتي لم تصح لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها فإنما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب لا يستثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار والخارج منها طاعن والمروي فيها مذهب فاربغ على ظلمك وانزع سربال غيك و اترك ما لا جدوى له عليك فإنه ليس لك عندي إلا السيف حتى تقيء إلى أمر الله صاغراً وتدخل في البيعة راغماً والسلام

بيان قال الجوهري بـله كلمة مبنية على الفتح مثل كيف ومعناها دع ويقال معناها سوى وفي الحديث أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بـله ما اطلعهم عليه

٣٩٨- وقال ابن ميثم كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية^(٢):

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبي وتستقيح مواربتي وترعمني متجبراً وعن حق الله مقصراً فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيبة إني لم أشأغب إلا في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم أنجب إلا على باغ مارق أو ملحد منافق ولم آخذ في ذلك إلا بقول الله سبحانه ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

وأما التقصير في حق الله فمعاذ الله وإنا المقصر في حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة وركن إلى الأهواء المبتدعة وأخلد إلى الضلالة المحيرة.

ومن العجب أن تصف يا معاوية الإحسان وتخالف البرهان وتنكث الوثائق التي هي لله عز وجل طلبية وعلى عباده حجة مع نبذ الإسلام وتضييع الأحكام وطمس الأعلام والجري في الهوى والتهوس في الردي فاتق الله فيما لديك وانظر في حقه عليك وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته فإن للطاعة أعلاماً واضحة وسبلاً نيرة ومحجة نهجة وغاية مطلبة يردها الأكياس وتخالفها الأنكاس من نكب عنها جار عن الحق وخط في التيه وغير

(١) والحديث مترار معني أو مستفيض مقطوع الصدور وقد رواه جمع كثير من حفاظ أهل السنة منهم النسائي في الحديث ١٥٤ من كتاب خصائص علي عليه السلام بتحقيقنا وقد علقناه عليه عن مصادر كثيرة. ورواه ابن عساكر بأسانيد جمة تحت الرقم ١١٧٨ وتواليه من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ج ٣، ط ١٦٣، ط ٢ من تحقيقنا.

(٢) ذكره كمال الدين ابن ميثم ح في شرحه على المختار: (٣٠) من باب كتب نهج البلاغة: ج ٤، ص ٤٤٨ ط ٣.

الله نعمته وأحل به نعمته فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت بك أمورك فقد أجريت إلى غاية خسر ومحلة كفر وإن نفسك قد أولحتك شرا وأقحتك غيا وأوردتك المهالك وأوعرت عليه المسالك.

ومن ذلك الكتاب وإن للناس جماعة يد الله عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رسمك فإنك إلى الله راجع وإلى حشره مهبط وسيهطك كربه ويحل بك غمه في يوم لا يغني النادم ندمه ولا يقبل من المعتذر عذره **يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ.**

(٣٩٩- نهج: [نهج البلاغة] فاتق الله فيما لديك إلى قوله وأوعرت عليك المسالك^(١).)

توضيح: قال الفيروزآبادي الشغب تهيج الشر كالشغب وبهم وعليهم كمنع وفرح هيج الشر عليهم وشاغبه شاره وقال المواربة المداواة والمخالطة وفي أكثر النسخ موازرتي أي موازرتي عليك والعضية الإفك والبهتان وركن إليه كعلم مال وأخلدت إلى فلان أي ركنت إليه وأخذ بالمكان أقام والطمس إخفاء الأثر.

وقال الجوهري الهوس الطوفان بالليل والهوس شدة الأكل والهوس السوق اللين يقال هست الأبل فهاست أي ترعى وتسير والهوس بالتحريك طرف من الجنون.

قوله ﷺ فيما لديك أي من مال المسلمين وفيهم أو في نعمة عليك ومعرفة ما لا يعذر بجهالته معرفة الإمام وطاعته والأعلام الأئمة أو الأدلة والهج الطريق الواضح.

والمطلبة النسخ المصححة متفقة على تشديد الطاء قال الجوهري طلبت الشيء طلبا وكذا اطلبته على افتعلته والتطلب الطلب مرة بعد أخرى انتهى والمعنى غاية من شأنها أن تطلب وتطلبها العقلاء ويكشف عنه قوله ﷺ يردها الأكياس.

وقرأ ابن أبي الحديد بتخفيف الطاء وقال أي مساعفة لطلبها يقال طلب فلان مني كذا فاطلبته أي أسعفته به.

والأنكاس جمع نكس بالكسر وهو الرجل الضعيف ذكره الجوهري والجزري وقال ابن أبي الحديد وابن ميثم الدني من الرجال ونكب عن الطريق عدل والخطب المشي على غير استقامة قوله ﷺ تناهت بك يقال تناهى أي بلغ والباء للتعدي أي بين الله لك سبيلك وغابتك التي توصلك إليها أعمالك أو المعنى قف حيث تناهت بك أمورك كقولهم حيث أنت وقولهم مكانك فلا يكون معطوفا ولا متصلا بقوله فقد بين الله لك سبيلك.

قوله ﷺ فقد أجريت هو من إجراء الخيل للمسابقة وقال في الصحاح وحل الرجل وقع في الوحل وأوحله غيره والافتحام الدخول في الأمر بشدة ويقال جبل وعر ومطلب وعر أي صعب حزن و الرمس بالفتح القبر والمهطع المسرع وبهظ الأمر أنقله.

٤٠٠- وروى ابن أبي الحديد وابن ميثم أن أمير المؤمنين ﷺ كتب إلى معاوية بن أبي سفيان^(٢):

أما بعد فإن الدنيا دار تجارة ربحها أو خسرها الآخرة فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة ومن رأى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها وإنني لأعضع مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدوا الأمانة وأن ينصحو العوي والرشيد فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو لله وقارا ومن حقت عليه كلمة العذاب فإن الله بالمرصاد وإن دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فانتبه من الغي والضلال على كبر سنك وفناء عمرك فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر وقد أردت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك وألقيتهم في موج يحرك تغشاهم الظلمات وتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكسوا على أعقابهم وتولوا على أدبارهم وعولوا على أحسابهم إلا من فاء من أهل البصائر فإنهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا إلى الله من موازرتك إذ حلتهم على الصعب وعدلت بهم عن التصد فاتق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فإن الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريب منك والسلام.

(١) رواه السيّد الرضی ح في المختار: (٣٠) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٢) رواه ابن أبي الحديد وابن ميثم في شرحهما على المختار: (٣٢) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

٤٠١- قال ابن أبي الحديد قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني فكتب إليه معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فقد وقفت على كتابك وقد آيتت على الغي إلا تمادياً^(١) وإني لعالم أن الذي يدعوك إلى ذاك مصرعك الذي لا بد لك منه وإن كنت موثقاً فازدد غياً إلى غيك فطال ما خف عقلك ومنيت نفسك ما ليس لك والتويت على من هو خير منك ثم كانت العافية لغيرك واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك والسلام^(٢).

قال فكتب علي عليه السلام:

أما بعد فإن ما آتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك وقومك الذين حملهم الكفر وتمني الأباطيل على حسد محمد ﷺ حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا حريماً ولم يدفعوا عظيماً وأنا صاحبهم في تلك المواطن الصالحي بحرهم والقال لحدهم والقاتل لرؤسهم ورؤوس الضلالة والمتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم فبنسب خلف اتبع سلفاً ومحل محطه النار والسلام.

فكتب إليه معاوية أما بعد فقد طال في الغي ما استمررت إدراجك كما طال ما تمادى عن الحرب نكوصك وإبطاؤك تتوعد وعيد الأسد وتروغ روغان الثعلب فحتم تحيد عن اللقاء ومباشرة الليوث الضارية والأفاعي المقاتلة فلا تستبعدنها فكل ما هو آت قريب إن شاء الله والسلام.

قال فكتب إليه علي عليه السلام أما بعد فما أعجب ما يأتيني منك وما أعلمني بما أنت صائر إليه وليس إبطائي عنك إلا ترقباً لما أنت له مكذب وأنا له مصدق وكأني بك غدا تضح من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال وتستدعوني أنت وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بألستكم وتجدونه بقلوبكم والسلام.

قال فكتب إليه معاوية أما بعد فدعني من أساطيرك واكفف عني من أحاديثك واقصر عن تقولك على رسول الله وإفترائك من الكذب ما لم يقل وغرور من معك والخداع لهم فقد استغويتهم ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ويعلموا أن ما جئت به باطل مضحل والسلام.

قال فكتب إليه علي عليه السلام:

أما بعد فطال ما دعوت أنت وأوليائك أولياء الشيطان الرجيم الحق أساطير الأولين ونبتتموه وراء ظهوركم وجهتكم في إطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم والله مُمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

ولعمري ليتمن النور على كرهك ولينغذ العلم بصغارك ولتجازين بعملك فعت في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك فكأنك بأجلك قد انقضى وعملك قد هوى ثم تصير إلى لظى لم يظلمك الله شيئاً وما رُبَّكَ بِظُلَامٍ لُغْبِيْدٍ.

قال فكتب إليه معاوية أما بعد فما أعظم الرين على قلبك والغطاء على بصرك الشر من شيمتك.

إلى آخر ما مر برواية أخرى.

قال فكتب إليه علي عليه السلام:

أما بعد فإن مساويك مع علم الله فيك حالت بينك وبين أن يصلح أمرك أو أن يرعوي قلبك يا ابن الصخر اللعين زعمت أن وزن الجبال حلمك ويفصل بين أهل الشك وعلمك وأنت الجلف المناقف الأغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل فإن كنت صادقاً فيما تسطر ويعينك عليه أخو بني سهم فدع الناس جانباً وأبرز لما دعوتني إليه من الحرب والصبر على الضرب واغفر للفريقين من القتال لتعلم أننا المرين على قلبه المغطى على بصره فأنأ أبو الحسن قاتل جدك وأخيك وخالك وما أنت منهم ببعيد والسلام

إيضاح: أقول روى السيد رضي الله عنه في النهج الكتاب الأول من قوله ﷺ وأردبت جيلاً إلى آخر هذا الكتاب^(٣).

(١) هذا هو الظاهر من السياق وفي شرح نهج البلاغة ط مصر: علي الفتن. وفي ط الكماني: علي الفتن.

(٢) رواه ابن أبي الحديد - مع التوالي - في شرحه على المختار: (٣٢) من باب كتب نهج البلاغة: ج ١٦، ص ١٣٣، ط الحديث بمصر. وفي ط الحديث ببيروت: ج ٤ ص ٧٦٨.

(٣) أي الكتاب الأول الذي مرّ هنا تحت الرقم: (٤٠٠) الذي رواه المصنف عن ابن أبي الحديد وابن ميثم رواه الرضي تحت الرقم: (٣٢) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

قوله ﷺ ومن رأى عطف على من كانت أي السعيد من يرى الدنيا بعينها أي يعرفها بحقيقتها أو يراها بالعين التي بها تعرف وهي عين البصيرة و يعلم ما هي عليه من التغير والزوال وإنها خلقت لغيرها لا يقدرها بمقدارها و يجعلها في نظره لما خلقت له.

قوله ﷺ ممن لا يرجو لله وقارا أي لا يتوقع لله عظمة فيعبده و يطيعه و الوقار الاسم من التوقير و هو التعظيم.

وقيل الرجاء هاهنا بمعنى الخوف و المهيل المتداعي في التمزق و منه رمل مهيل أي ينهال و يسيل و أرديت أي أهلك و الجيل الصف و روي بالباء الموحدة و هو الخلق و تشاهم أي تأتهم و تحيط بهم و حاروا عدلوا و تحيروا و نكصوا أي رجعوا و عولوا على أحسابهم أي اعتمدوا على نخوة الجاهلية و تعصبهم و رجعوا عن الدين إلا من فاء أي رجع و الموازنة المعاونة و الصعب مقابله الذلول كناية عن الباطل لا تقتحماه بصاحبه في المهالك و القيادة بالكسر حيل يقاده به الدابة و وائل منه على فاعل طلب النجاة ذكره الجوهري و قال صليت اللحم و غيره أصليه صليا إذا شويته و يقال أيضا صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار و جعلته يصلاها و صلي فلان النار بالكسر احترق و صلي بالأمر قاسى حره و شدته و قال قللت الجيش هزمته و يقال فله فانفل أي كسره فانكسر.

قوله ﷺ و محله محطه الضمير الأول راجع إلى الخلف و الثاني إلى السلف و النار بدل أو عطف بيان لقوله محطه و لعل الأصوب محله و محطه فالضميران للسلف و درج الرجل مشى و أدرجت الكتاب طوبته و قولهم خل درج الضب أي طريقه و الجمع الأدراج و راغ مال قوله ﷺ لما أنت به مكذب أي ما أخبرني به النبي ﷺ من وقت الحرب و شرائطه أو إتمام الحجة و اتباع أمره تعالى في ذلك و نزول الملائكة للنصرة و بكل ذلك كان لعنه الله مكذبا قوله ﷺ فمت من عات يبعث إذا أفسد و في بعض النسخ فعش.

أقول: قال ابن أبي الحديد بعد إيراد تلك الكتب قلت و أعجب و أطرف ما جاء به الدهر و إن كانت عجائبه وبدائعه جمّة أن يفضي الأمر بعليّ إلى أن يصير معاوية ندا له و نظيرا مماثلا يستعارضان الكتاب و الجواب ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه و لا يقول له عليّ كلمة إلا قال له مثله و أخشن منها فليت محمدا ﷺ كان مشاهد ذلك ليرى عيانا لا خيرا أن الدعوة التي قام بها و قاسى أعظم المشاق في تحملها و كابد الأهوال في الذب عنها و ضرب بالسيف عليها لما مهد دولتها و شيد أركانها و ملأ الآفاق بها خلصت صفوا عفوا لأعدائه الذين كذبوه لما دعا إليها و أخرجه عن أوطانه لما حض عليها و أدموا وجهه و قتلوا عمه و أهله فكأنه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم كما قال أبو سفيان في أيام عثمان و قد مر بقبر حمزة فضر به برجله و قال يا أبا عماره إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا اليوم يتلعبون به ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية عليا كما يتفاخر الأكفاء والنظراء.

٤٠٢- و قال في موضع آخر ^(١) كتب معاوية إليه ﷺ من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإننا بني عبد مناف لم نزل ننزع من قليب واحد و تجري في حلبة واحدة و ليس لبعضنا على بعض فضل و لا لقائنا على قاعدنا فخر كلمتنا مؤتلفة و ألفتنا جامعة و دارنا واحدة و يجمعنا كرم العرق و يحونا شرف الفخار و يحنو قوينا على ضعيفنا و يواسي غنيانا فقيرنا قد خلصت قلوبنا من دغل الحسد و طهرت أنفسنا من خبث السجية فلم نزل كذلك حتى كان منك من الإدهان في أمر ابن عمك و الحسد له و تضريب الناس عليه حتى قتل بمشهد منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد فليتك أظهرت نصره حيث أشهرت ختره فكنت كالمترعلق بين الناس بعذر و إن ضعف و المتبرئ من دمه بدفع وإن وهن و لكنك جلست في دارك تدس إليه الدواهي و ترسل عليه الأقاعي حتى إذا قضيت وطرك منه أظهرت شماته و أبديت طلاقه و حسرت للأمر عن ساعدك و شمרת عن ساقك و دعوت إلى نفسك و أكرهت أعيان المسلمين على بيعتك.

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرح المختار (٦٤) من باب كتب نهج البلاغة: ج ٥ ص ١٧٨، ط الحديث ببيروت.

ثم كان منك بعد ما كان من قتلك شيخي المسلمين أبي محمد طلحة و أبي عبد الله الزبير و هما من الموعودين بالجنة و المبشر قاتل أحدهما بنار الآخرة هذا إلى تشريك بأمر المؤمنين عائشة و إحلالها محل الهوان مبتذلة بين أيدي الأعراب و فسقة أهل الكوفة فمن بين منتهر لها و بين شامت بها و بين ساخر منها.

أ ترى ابن عمك كان بهذا لو رآه راضيا أم كان يكون عليك ساخطا و لك عنه زاجرا أن تؤذي في أهله و تشرد بحيلته و تسفك دماء أهل ملته.

ثم ترك دار الهجرة التي قال رسول الله ﷺ عنها إن المدينة لتنفى خبيثها كما ينفي الكير خبث الحديد فلعمري لقد صح وعده و صدق قوله و لقد نفت خبيثها و طردت منها من ليس بأهل أن يستوطنها فأقمت بين المصريين و بعدت عن بركة الحرمين و رضيت بالكوفة بدلا من المدينة و بمجاورة الخورنق و الحيرة عوضا عن مجاورة قبر خاتم النبوة.

و من قبل ذلك ما عنيت خليفتي رسول الله ﷺ أيام حياتهما فقعدت عنهما و التويت عليهما و امتنعت من بيعتهما و رمت أمرا لم يرك الله تعالى له أهلا و رقيت سلما وعرا و حاولت مقاما دحضا و ادعيت ما لم تجد عليه ناصرا و لعمري لو وليتها حينئذ لما ازددت إلا فسادا و اضطرابا و لا أعقيت ولا يتكها إلا انتشارا و ارتدادا لأنك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه و يده و ها أنا السائر إليك في جمع من المهاجرين و الأنصار تحفهم سيوف شامية و رماح قحطانية حتى يحاكموك إلى الله فانظر لنفسك و المسلمين و ادفع إلي قتلة عثمان فإنهم خاصتك و خلاصاك و المحدثون بك فإن أبيت إلا سلوك سبيل اللجاج الإصرار على الغي و الضلال فاعلم أن هذه الآية نزلت فيك و في أهل العراق معك ضرب الله مثلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.

فأجاب علي عليه السلام كتابه بما رواه السيد رضي الله عنه في النهج و الطبرسي رحمه الله في الإحتجاج^(١) و اللفظ للسيد قال و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا عن كتاب منه:

أما بعد فإننا كنا نحن و أنتم على ما ذكرت من الألفة و الجماعة ففرق بيننا و بينكم أمس إنا آمنا و كفرتم و اليوم أنا استقمنا و فتنتم و ما أسلم مسلمكم إلا كرها و بعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول ﷺ حزبا.

و ذكرت أنني قتلت طلحة و الزبير و شردت بعائشة و نزلت بين المصريين و ذلك أمر غبت عنه فلا الجناية عليك و لا العذر فيه إليك.

و ذكرت أنك زائري في المهاجرين و الأنصار و قد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك فإن كان فيك عجل فاسترفه فإنني إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله إنما بعثني للثقة منك و إن تزرنني فكما قال أخو بني أسد.

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار و جلمود

وعندي السيف الذي أعضضته بجدك و خالك و أخيك في مقام واحد و إنك و الله ما علمت الأغلف القلب المقارب العقل و الأولى أن يقال لك إنك رقيت سلما أطلعك مطلع سوء عليك لا لك لأنك نشدت غير ضالتك و رعت غير سائمتك و طلبت أمرا لست من أهله و لا في معدنه فما أبعد قولك من فعلك و قريب ما أشبهت من أعمام و أخوال حملتهم الشقاوة و تمنى الباطل على الجحود بمحمد ﷺ فصرعوا مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغى و لم تماشاهم الهوينا.

وقد أكثرت في قتلة عثمان فداخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلي أحملك و إياهم على كتاب الله و أما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفضال و السلام لأهله.

تبیین: قوله ﷺ كنا نحن و أنتم أي قبل البعثة أنا استقمنا أي على منهاج الحق و بعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله ﷺ حزبا في أكثر النسخ بالراء بعد الحاء المهملة المكسورة و في بعضها بالراء المهملة بعد الحاء المفتوحة و كذلك كان في نسخة ابن أبي الحديد قال أي بعد أن كان أنف

(١) رواه السيد رفع الله مقامه في المختار: (٦٤) من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام من نهج البلاغة.

الإسلام محاربا لرسول الله ﷺ وأنف كل شيء أوله وكان أبو سفيان وأهله من بني عبد شمس من أشد الناس على رسول الله ﷺ في أول الهجرة إلى فتح مكة انتهى.

و الأظهر ما في أكثر النسخ كما كان في نسخة ابن ميثم قال أي بعد أن اشتد الإسلام وصار للرسول ﷺ حزب قوي من الأشراف واستعار لفظ الأنف لهم باعتبار كونهم أغزاه أهلته انتهى أو باعتبار أنهم مقدمون على غيرهم فإنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار فيكون هذا الكلام كالدليل على كون إسلامهم عن كره وإجبار فلا عليك في الاحتجاج فلا الجناية عليك وهو أظهر.

وقال ابن أبي الحديد أجمل ﷺ في الجواب والجواب المفصل أن طلحة والزبير قتلوا أنفسهم ما بيعتهما وكنتهما ولو استقاما على الطريقة لسلما ومن قتله الحق قدمه هدر.

وأما الوعد لهما بالجنة فمشرط بسلامة العاقبة والكلام في سلامتها.

وأما قوله بشر قاتل ابن ضيفه بالنار فقد اختلف فيه فقال قوم من علماء الحديث وأرباب السيرة هو كلام على غير مرفوع وقوم منهم جعلوه مرفوعا وعلى كل حال فهو حق لأن ابن جرموز قتله موليا خارجا من الصف وقاتل من هذه حاله فاسق مستحق للنار.

وأما عائشة فأَي ذنب لأُمير المؤمنين ﷺ في ذلك ولو أقامت في منزلها لم تبتذل بين الأعراب وأهل الكوفة.

على أن عليا ﷺ أكرمها وصانها وعظم من شأنها ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت به ثم ظفر بها لقتلها ومزقها إربا إربا ولكن عليا ﷺ كان حليما كريما.

وأما قوله لو عاش رسول الله ﷺ له عليه وآله إلى آخره فلعلي ﷺ أن يقلب الكلام عليه ويقول أفتراه لو عاش أكان رضي لحليته أن تؤذي أخاه ووصيه.

وأیضا أتراه لو عاش أكان رضي لك يا ابن أبي سفيان أن تنازع عليا الخلافة وتفرق جماعة هذه الأمة. وأيضا أتراه لو عاش أكان رضي لطلحة والزبير أن يبايعا ثم ينكثا لا بسبب بل قالوا جئنا نطلب الدراهم فقد قيل لنا إن بالبصرة ما لا كثيرا.

فأما قوله ثم ترك دار الهجرة فلا عيب عليه إذا انتقضت عليه أطراف الإسلام بالبغي والفساد أن يخرج من المدينة إليها ويهذب أهلها وليس كل من خرج من المدينة كان خبيثا فقد خرج عنها عمرو مرارا إلى الشام.

ثم لعلي ﷺ أن يقول وأنت يا معاوية قد نفتك المدينة أيضا فأنت إذا خبيث وكذلك طلحة والزبير وعائشة الذين تنعصب لهم وتحتج على الناس بهم.

وقد خرج عن المدينة الصالحون كابن مسعود وأبي ذر وغيرهما و ماتوا في بلاد نائية عنها.

و أما قوله بعدت عن بركة الحرمين فكلام إقناعي ضعيف والواجب على الإمام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالح الإسلام وتقديم قتال أهل البغي على المقام في الحرمين أولى.

وأما ما ذكره من خذلان عثمان وشماته به وإكراه الناس على البيعة فكله دعوى والأمر بخلافها.

وأما قوله التويت على أبي بكر وعمر وعدت عنهما وحاولت الخلافة فإن عليا ﷺ لم يكن يجحد ذلك ولا ينكره ولا ريب أنه كان يدعي الأمر بعد وفاة رسول الله ﷺ لنفسه على الجملة إما للنص كما تقولوه الشيعة أو لأمر آخر كما يقولوه أصحابنا.

فأما قوله لو وليتها حينئذ لفسد الأمر واضطرب الإسلام فهذا علم غيب لا يعلمه إلا الله ولعله لو وليها حينئذ لاستقام الأمر فإنه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لأن أمره هان عندهم بتأخره عن الخلافة وتقديم غيره عليه فصغر شأنه في النفوس وقرر من تقدمه في قلوب الناس أنه لا يصلح لها كل الصلوح ولو كان وليها ابتداء وهو على تلك الجلالة التي كان عليها أيام حياة رسول الله ﷺ وتلك المنزلة الرفيعة والاختصاص الذي كان له لكان الأمر غير الذي رأينا.

وأما قوله لأتلك الشامخ^(١) فقد أسرف في وصفه بما وصفه به ولا شك أنه ﷺ كان عنده زهو ولكن لا هكذا وكان ﷺ مع زهوه ألطف الناس خلقا انتهى كلامه.

وأقول على أصولنا لا يستحق الملعون الجواب بما قد ظهر من كفره ونفاقه من كل باب وهو عتية كان أعلم بما يأتي به من الحق والصواب ولا ريب أن الحق يؤب معه حيث آب.

قوله وقد انقطعت الهجرة قال ابن ميثم لما أوهم كلامه أنه من المهاجرين أكذبه بقوله وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أبوك أي حين الفتح وذلك أن معاوية وأباه وجماعة من أهله إنما أظهروا الإسلام بعد الفتح وقد قال عليه السلام لا هجرة بعد الفتح وسمي عليه السلام أخذ العباس لأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ غير مختار وعرضه على القتل أسرا.

وروي يوم أسر أخوك وقد كان أسر أخوه عمرو بن أبي سفيان يوم بدر فعلى هذه الرواية يكون الكلام في معرض التذكرة له بأن من شأنه شأن أهله أن يؤسروا ولا يسلموا فكيف يدعون مع ذلك الهجرة فإن الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم ولا يكون يوم أسر ظرفا لانقطاع الهجرة لأن الهجرة إنما انقطعت بعد الفتح انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلف والبعد.

وقال ابن أبي الحديد يوم أسر أخوك يعني يزيد بن أبي سفيان أسر يوم الفتح في باب الخدمة وكان خرج في نفر من قريش يحاربون و يمتعون من دخول مكة فقتل منهم قوم وأسرى يزيد بن أبي سفيان أسره خالد بن الوليد فخلصه أبو سفيان منه وأدخله داره فأمن لأن رسول الله ﷺ قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

قوله فاسترفه أي اطلب الرفاهية على نفسك في ذلك فإنك إنما تستعجل إلى ما يضرك أو لا ترهق نفسك بالعجل فإني أزورك إن لم ترزني فكما قال أخو بني أسد.

قال ابن أبي الحديد كنت أسمع قديما أن هذا البيت من شعر بشر بن أبي خازم الأسدي والآن فقد تصفحت شعره فلم أجده ولا وقفت بعد على قائله.

وريح حاصب تحمل الحصاء وهي صغار الحصى وإذا كانت بين أغوار وهي ما سفلى من الأرض وكانت مع ذاك ريح صيف كانت أعظم مشقة وأشد ضرا على من تلاقيه.

فأما قوله و جلمود يمكن أن يكون عطفًا على حاصب وأن يكون عطفًا على أغوار أي بين أغوار من الأرض و حرة وذلك أشد لأذاها لما تكتسبه الحرة من لفح السموم وهجها والوجه الأول أليق انتهى.

وقال الجوهري الجلمد والجلمود الصخر وقال أعضضته بسيفي أي ضربته به وعض الرجل بصاحبه بعض عضيضًا أي لزمه.

وقال ابن أبي الحديد أعضضته أي جعلته معضوضا برءوس أهلك به وأكثر ما يأتي أفعلت أن تجعله فاعلا وهنا من المقلوب أي عضضت رءوس أهلك به.

وقال ابن ميثم قوله عضضته يروى بالضاد المعجمة أي جعلته عاضا لهم وأزمنه بهم ويروى أغصضته بالغين المعجمة والصادين المهملتين تقول أغصضت السيف بفلان أي جعلته يغص به المضروب هو الذي يغص بالسيف أي لا يكاد يسيغه.

وقد مر مرارا أن مراده عليه السلام من قوله الجد جد معاوية عتبة بن ربيعة والخال الوليد والأخ حنظلة قتلهم ﷺ يوم بدر.

قوله ﷺ ما علمت كلمة ما موصولة وهي بصلتها خبر أن والأغلف بيان للموصول.

ويحتمل أن يكون المعنى ما دمت علمتك واطلعت عليك وجدتك كذلك.

وقيل ما مصدرية والأغلف القلب من لا بصيرة له كان قلبه في غلاف والمقارب العقل في أكثر النسخ بصيغة الفاعل وكذا صححه الشارحان.

وقال الجوهري شيء مقارب بكسر الراء بين الجيد والرديء ولا تقل مقارب بفتح الراء.

وفي بعض النسخ المصححة بالفتح فيحتمل أن يكون بالمعنى المذكور أيضا.

وقال في القاموس شيء مقارب بكسر الراء بين الجيد والرديء أو دين مقارب بالكسر ومتاع مقارب بالفتح انتهى.

أو أريد به العقل الذي قاربه الشيطان ومسه أي أنت الذي تخيطه الشيطان من المس قوله والأولى أن يقال لك جواب لقوله ورتبت سلما وفي القاموس طلع الجبل علاه كقطع بالكسر عليك لا لك أي هذا المطلع أو الارتقاء وبإل عليك غير نافع لك ما أبعد قولك أي دعوأك أنك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين من فعلك وهو الخروج باغيا على الإمام المفترض الطاعة وشق عصا المسلمين مع ما تركته من المنكرات والفسوق كلبس الحرير والمنسوج بالذهب وغير ذلك كما ذكره ابن أبي الحديد وقريب ما أشبهت ما مصدرية أي قريب شبيه بأعمامك وأخوالك من بني أمية الذين حاربوا رسول الله ﷺ بوقع سيوف متعلق بصرعوا وما خلا صفة لسيوف والوغى بالتحريك الجليلة والأصوات ومنه قيل للحرب وغى لما فيها من الصوت والجليلة ولم تماشها الهوبنا أي لم يلحق ضربنا وقعها هون ولا سهولة ولم يجر معها وروي ولم يتماشها بالسین المهملة أي لم يخالطها شيء من ذلك والهوبنا موصوفا محذوفة كالضربة والحالة ونحوها. وأما تلك التي تريد أي طلبك قتلة عثمان.

٤٠٣- وقال ابن ميثم وابن أبي الحديد كتب أمير المؤمنين ﷺ إلى معاوية (١):

أما بعد فإن الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب إليها أحد إلا وشغلته بزيتها عما هو أنفع له منها وبالأخرة أمرنا وعليها حثتنا فدع يا معاوية ما يفنى واعمل لما يبقى واحذر الموت الذي إليه مصيرك والحساب الذي إليه عاقبتك واعلم أن الله إذا أراد بعبد خيرا حال بينه وبين ما يكره ووقفه لطاعته وإذا أراد بعبد شرا أغراه بالدنيا وأنساه الآخرة وبسط له أمله وعاقه عما فيه صلاحه.

وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك وتشدد غير ضالتك وتخيط في عماية وتيه في ضلالة وتعصم بغير حجة وتلوذ بأضعف شبهة.

فأما سؤالك إلي المتاركة والإقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا ذلك اليوم لفعلته أمس.

وأما قولك إن عمر ولاكها فقد عزل عمر من كان ولاه صاحبه وعزل عثمان من كان عمر ولاه ولم ينصب للناس إمام إلا ليبري من صلاح الأمة ما قد كان ظهر لمن كان قبله أو خفي عنهم غيه والأمر يحدث بعد الأمر ولكل وال رأي واجتهاد.

فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضییع الحقائق وإطراح الوثائق التي هي لله طلبية وعلى عباده حجة.

فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له والسلام. ٤٠٤-ج: [الاحتجاج] من كتاب له ﷺ فسبحان الله إلى قوله والسلام (٢).

بيان: الحقائق هي ما يحق للرجل أن يحيمه كما يقال حامي الحقيقة وقيل هي الأمور التي ينبغي أن يعتقدوها من خلافته ﷺ وجوب طاعته ووثائق الله عهده المطلوبة له وهي على عباده حجة يوم القيامة.

وقال ابن أبي الحديد (٣) وأما قوله ﷺ إنما نصرت عثمان إلخ فقد روى البلاذري أنه لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده بعث يزيد بن أسد القسري جد خالد بن عبد الله أمير العراق وقال إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإني أنا الشاهد وأنت الغائب.

قال فأقام القسري بذي خشب حتى قتل عثمان فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه وإنما صنع ذلك معاوية ليقول عثمان فيدعو إلى نفسه.

وكتب معاوية إلى ابن عباس عند صلح الحسن ﷺ كتابا يدعو فيه إلى بيعته ويقول له فيه ولعمري لو قتلتك

(١) رويها في شرح المختار: (٣٧) من الباب الثاني من نهج البلاغة من شرحهما.

(٢) رواه الطبرسي ح في أواخر عنوان: «احتجاجه ﷺ على معاوية في جواب كتبه إليه...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٨٠. والظاهر أنه سقط من الكمباني من بजार الآثار لفظ «نهج» إذ من البعيد أنه خفي على المصنف كون الكلام مذكورا تحت الرقم: (٣٧) من باب الكتب من نهج البلاغة.

(٣) ذكره في شرح المختار: (٣٧) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٧٨٥ ط الحديث ببيروت.

بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا وأن يكون رأيا صوابا فإنك من الساعين عليه والخاذلين له والسافكين دمه وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني ولا بيدك أمان.

فكتب إليه ابن عباس جوابا طويلا يقول فيه وأما قولك إنني من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه فأقسم بالله لأنت المتربص بعثمان والمحب لهلاكه والهابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ فما حفلت حتى بعثت به معذرا بأخرة وأنت تعلم أنهم لن يدركوه حتى يقتل فقتل كما كنت أردت ثم علمت بعد ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تعني عثمان وتلزمنا دمه وتقول قتل عثمان مظلوما فإن يك قتل مظلوما فأنت أظلم الظالمين ثم لم تزل مصوبا ومصعدا وجامئا وراضا تستغوي الجاهل وتنازعنا حقنا بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت وإن أذري لعلهُ فتنهُ لكم ومَناعٌ إلى حين^(١).

بيان بعثت به أي بالجيش أو الصريح معذرا بالتشديد وهو المقصر ومن يدي عدرا وليس بمحق بأخرة أي بتأخير أو تسويف أو آخر حيث لا ينفع قال الجوهري بعته بأخرة بكسر الخاء وقصر الألف أي بنسنة وجاء فلان بأخرة بفتح الخاء أي أخيرا.

وفي النهاية فيه فصعد في النظر وصوبه أي نظر إلى أعلاي وأسفلي بتأملني انتهى.

وجسم الطائر تليد بالأرض وربوض الغنم والكلب مثل برك الإبل وجثوم الطير فتارة شبهه بالطيور الخاطفة وتارة بالكلاب الضارية الصائدة.

٤٠٥- وقال ابن أبي الحديد روى نصر بن مزاحم أنه كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية^(٢):

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام على من أتبع الهدى فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنك قد رأيت مرور الدنيا وانتقضاءها وتصرفها وتصرفها بأهلها فيما مضى منها وخير ما اكتسبت مما بقي من الدنيا ما أصاب العباد الصالحون فيما مضى منها من التقوى ومن يقس الدنيا بالأخرة يجد بينهما بونا بعيدا واعلم يا معاوية أنك قد ادعيت أمرا لست من أهله لا في القديم ولا في الحديث ولا في البقية ولا في الحديث ولا في البقية لست تقول فيه بأمرين يعرف له أثر ولا عليك منه شاهد ولست متعلقا بأية من كتاب الله ولا عهد من رسول الله فكيف أنت صانع إذا تشعنت عنك غيابة ما أنت فيه من دنيا قد فتننت بزيتها وركنت إلى لذتها وخلا بينك وبين عدوك فيها عدو كلب مضل جاهد مليح ملح مع ما قد ثبت في نفسك من جها دعتك فأجبته وقادتك فاتبعتها وأمرتك فأطعتها فأفقس عن هذا الأمر وخذ أمة الحساب فإنه يوشك أن يققك واقف على ما لا يجنك به مجن.

ومنى كنتم يا معاوية ساسة الرعية أو ولاة لأمر هذه الأمة بلا قدم حسن ولا شرف تليد على قومكم فاستيقظ من سنتك وارجع إلى خالك وشمر لما سينزل بك ولا تمكن عدوك الشيطان من بغيته فيك مع أنني أعرف أن الله ورسوله صادقان نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء وإن لا تفعل فإني أعلمك ما أغفلت من نفسك إنك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجري منك مجرى الدم في العروق ولست من أئمة هذه الأمة ولا من رعاتها.

واعلم أن هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونه ولامتوا علينا به ولكنه قضاء ممن منحناه واختصنا به على لسان نبيه الصادق المصدق لا أفلح من شك بعد العرفان والبينة.

رب احكم بيننا وبين عدونا بالحق وأنت خير الحاكمين.

قال نصر فكتب إليه معاوية بالجواب من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فدع الحسد فإنك طال ما لم تنتفع به.

إلى آخر ما مر برواية ابن ميثم رحمه الله.

(١) اقتباس من الآية: (١١١) من سورة الأنبياء.

(٢) رواه ابن أبي الحديد تأمناً - وابن ميثم ناقصاً - في شرح المختار: (١٠٠): من الباب الثاني من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٥٢٨ ط الحديث ببيروت. وفي شرح كمال الدين ابن ميثم: ج ٤ ص ٣٧١. ورواه نصر بن مزاحم في أواسط الجزء الثاني من كتاب صفين ص ١٠٨، ط مصر. ورويناه عنه وعن مصدر آخر تحت الرقم: (٩١ - ٩٢) من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب نهج السعادة: ج ٤ ص ٤٤٦.

أقول: وجدت في كتاب صفيين لنصر مثله (١).

و روى ابن ميثم رحمه الله كتابه ﷺ نحو ما مر (٢).

٤٠٦- وذكر السيد الرضي رضي الله عنه في النهج بعضه فلنذكره للاختلاف الكثير بينهما قال ومن كتاب له ﷺ إليه أيضا (٣).

و كيف أنت صانع إذا تكشف عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزيتها و خدعت ببلذتها دعتك فأجبتها و قادتك فاتبتها و أمرتك فأطعتها و إنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن.

فاقص عن هذا الأمر و خذ أوبة الحساب و شمر لما قد نزل بك و لا تمكن الغواية من سمعك و إن لا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك فإنك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه و بلغ فيك أمله و جرى منك مجرى الروح و الدم. و متى كنتم يا معاوية ساسة الرعية و ولاة أمر الأمة بغير قدم سابق و لا شرف باسق و نعوذ بالله من لوازم سابق الشقاء و أذكرك أن تكون متماديا في غرة الأمنية مختلف العالنية و السرية.

١٠٢
٣٣

و قد دعوت إلى الحرب فدرع الناس جانبا و أخرج إلي و اعف الفريقين عن القتال لتعلم أينا الميرين على قلبه و المغطى على بصره فأنا أبو الحسن قاتل جدك و خالك و أخيك شذخا يوم بدر و ذلك السيف معي و بذلك القلب ألقى عدوي ما استبدلت ديننا و لا استحدثت نبيا و إني لعلی المنهاج الذي تركتموه طائعين و دخلتم فيه مكرهين. و زعمت أنك جئت ثائرا بعثمان و لقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطليه من هناك إن كنت طالبا.

فكأنني قد رأيتك تضج من الحرب إذا عضتك ضجيج الجمال بالأنقال و كأنني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتابع و القضاء الواقع و مصارع بعد مصارع إلى كتاب الله و هي كافرة جاحدة أو مبايعة حائدة.

بيان: و إني أحمد إليك الله أي أحمد الله منهيًا إليك قال في النهاية في كتابه عليه الصلاة و السلام أما بعد فإني أحمد إليك الله أي أحمدك معك فأقام إلى مقام مع و قيل معناه أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إياها.

و قال الجوهرى قشعت الريح السحاب أي كشفته فاتقشع و تقشع و أقشع أيضا.

و في القاموس غيابة كل شيء سترك منه و منه غيابات الجب و غيبان الشجر. و الجلايب جمع جلباب و هي الملحفة في الأصل فاستعير لغيرها من الثياب.

قوله ﷺ قد تبهجت أي صار ذات بهجة و حسن أو تكلفت بهجة.

و قال الجوهرى الأح بسيفه لمع به و أحاه أهلكه.

قوله أن يقفك واقف وقف جاء لازما و متعديا و استعمل هنا متعديا و يقال أيضا وقفه على ذنبه أي أطلع عليه و الواقف هو الرب تعالى عند الحساب أو هو ﷺ في الدنيا أو عند مخاصمة القيامة و قبل أي الموت و المجن بكسر الميم و فتح الجيم الترس و التليد القديم و قعس عن الأمر تأخر عنه و الأهبة بالضم الاستعداد لما قد نزل بك أي الابتلاء بسوء العاقبة أو الحرب أو الموت أو القتل و ما بعده تنزيلا لما لا بد من وقوعه منزلة الواقع و تقول أغفلت الشيء إذا تركته على ذكر منك و تغافلت عنه و مفعول أغفلت ضمير ما و من نفسك بيان ذلك الضمير و تفسير له.

كذا ذكره ابن ميثم و قيل الظرف متعلق بالإغفال على تضمين معنى الصرف و الإبعاد.

و أظهر عندي أن من للتبعض و هو حال عن الضمير أي من صفات نفسك و أحوالها و أنرفته النعمة أطفته.

قوله ﷺ مأخذه أي تناولك تناوله الكامل المعروف أو أخذ منك الموضع الذي يمكنه و ينفعه أخذه و يروى بالجمع.

و قال الفيروز آبادي في مادة سوس من كتاب القاموس سست الرعية سياسة أمرتها و نهيتها.

١٠٣
٣٣

(١) تقدم أن نصر بن مزاحم ح رواه في أواسط الجزء الثاني من كتاب صفيين ص ١٠٨، ط مصر.

(٢) تقدم أن كمال الدين ابن ميثم رواه في شرح المختار: (١٠) من الباب الثاني من نهج البلاغة من شرح: ج ٤ ص ٣٧١.

(٣) رواه السيد ح في المختار: (١٠) من أبواب الثاني من نهج البلاغة.

وسابق الشقاء ما سبق في القضاء والتمادي تفاعل من المدى وهو الغاية والغرة الغفلة والأمنية طمع النفس.

وقال الجوهرى الرين الطبع والدنس يقال ران على قلبه ذنبه غلب والشدخ كسر الشيء الأجوف. قوله ﷺ ولقد علمت حيث وقع أي إن كنت تطلب ثارك عند من أجلب وحاصر فالذي فعل ذلك طلحة والزبير فاطلب ثارك من بني تيم وبني أسد بن عبد العزى وإن كنت تطلبه ممن خذل فاطلبه من نفسك فإنك خذلتك وكنت قادراً على أن تمدد بالرجال فخذلتك وقعدت عنه بعد أن استغاث بك. كذا ذكره ابن أبي الحديد والضجيج الصباح عند المكروه والمشقة والجزع أي كآني شاهد لجزعك من الحرب إذا غضبتك الحرب وأصل العض اللزوم ومنه العض بالأسنان أي إذا ألزمتك وأثرت فيك شدتها تضح كما يضح الجمل بثقل حملة ومصارع بعد مصارع أي من سقوط على الأرض بعد سقوط وهي كافرة أي جماعتك والكافرة الجاحدة أصحابه الذين لم يبايعوا والمبايعه الحادثة هم الذين يابعوهم ثم عدلوا إليه من قولهم حاد عن الشيء إذا عدل ومال وهذا من إخباره ﷺ بالغائبات وهو من المعجزات الباهرات.

٤٠٧- وقال ابن ميثم رحمه الله روي أن معاوية استشار بعمر بن العاص في أن يكتب إلى علي ﷺ كتاباً يسأله فيه لصالح فضحك عمرو وقال أين أنت يا معاوية من خدعة علي قال ألسنا بني عبد مناف قال بلى ولكن لهم النبوة دونك وإن شئت أن تكتب فاكذب فكتب معاوية إليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة أما بعد فإنني أظنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلما لم يجنهما بعضنا على بعض وإننا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ونصلح ما بقي وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعه فأبيت ذلك علي فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ولا أخاف من القتل إلا ما تخاف وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب إلا حشاشات أنفس بقيت وأنا في الحرب والرجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستبدل به عزيز ولا يسترق به حر والسلام^(١).

فلما قرأ علي ﷺ كتابه تعجب منه ومن كتابه ثم دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه وقال له اكتب إليه: أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلما أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنهما بعضنا على بعض وإننا وإياك في غاية لم نبلفها بعد وإني لو قتلت في ذات الله وحيث ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم أرجع عن الشدة في ذات الله والجهاد لأعداء الله.

وأما قولك إنه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى فإنني ما نقضت عقلي ولا ندمت على فعلي. وأما طلبك إلي الشام فإنني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس. وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشة أنفس بقيت ألا ومن أكله الحق قالى الجنة ومن أكله الباطل قالى النار. وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك مني على اليقين وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأما قولك إن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل فلعمري إننا بنو أب واحد ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كالصليق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبس الخلف خلف يتبع سلفا هو في نار جهنم وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذلنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجا وأسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها كنتم ممن دخل في الدين إما رغبة وإما رهبة على حين فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلا والسلام.

(١) رواه كمال الدين ابن ميثم وابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٧) من نهج البلاغة من شرحهما: ج ٤ ص ٣٨٩ و ٥٥٦ ط بيروت. وقد تقدم عن المصنف العلامة في أواخر الباب: (١٢) ص ٥٢٠ من طبع الكمباني نقل الكتاب عن مصدر آخر.

توضيح:

أقول: روى الكتاب والجواب ابن أبي الحديد وبعض الجواب السيد رضي الله عنه في النهج^(١) وأنا جمعت بين الروايات.

قال ابن أبي الحديد يقال طلب إلى فلان كذا والتقدير طلب كذا راغبا إلى فلان والحشاشات جمع حشاشة وهي بقية الروح في المريض.

قوله ﷺ فلست بأمضى قال ابن ميثم أي بل أنا أمضى لأنني على بصيرة و يقين و حينئذ تبطل المساواة التي ادعاها معاوية انتهى.

وأقول لعله لما كان غرضه لعنه الله تخويفه ﷺ ببقية الجنود والرجال لكي يرتدع ﷺ عن الحرب أجابه ﷺ بأنك إذا لم تنزع عن الحرب مع شكك في حصول ما تطلبه من الدنيا فكيف أترك أنا الحرب مع يقيني بما أطلبه من الآخرة. وفي النهج و أما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن و لكن ليس أمية كهاشم و قال ابن أبي الحديد الترتيب يقتضي أن يجعل هاشما بإزاء عبد شمس لأنه أخوه في قعد^(٢) و كلاهما ولد عبد مناف لصلبه و أن يكون أمية بإزاء عبد المطلب و أن يكون حرب بإزاء أبي طالب و أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين ﷺ و لما كان في صفين بإزاء معاوية جعل هاشما بإزاء أمية بن عبد شمس.

و لم يقل و لا أنا كانت لأنه قبيح أن يقال ذلك كما لا يقال السيف أمضى من العصا بل قبيح به أن يقولها مع أحد من المسلمين كافة نعم قد يقولها لا تصريحاً بل تعريضاً لأنه يرفع نفسه عن أن يقيسها بأحد و هاهنا قد عرض بذلك في قوله و لا المهاجر كالطليق لأن معاوية كان من الطلقاء لأن كل من دخل عليه رسول الله ﷺ في فتح مكة عتوة بالسيف فملكه ثم من عليه عن إسلام أو عن غير إسلام فهو من الطلقاء فمن لم يسلم كصفوان بن أمية و من أسلم ظاهراً كمعاوية بن أبي سفيان و كذلك كل من أسر في الحرب ثم أطلق بفداء أو بغير فداء فهو طليق.

وأما قوله و لا الصريح كاللصيق أي الصريح في الإسلام الذي أسلم اعتقاداً وإخلاصاً ليس كاللصيق الذي أسلم خوفاً من السيف أو رغبة في الدنيا انتهى ملخص كلامه.

و الظاهر أن قوله كاللصيق إشارة إلى ما هو المشهور في نسب معاوية كما سيأتي و قد بسط الكلام في ذلك في موضع آخر من هذا الشرح و تجاهل هنا حفظاً لناموس معاوية.

و قد ذكر بعض علمائنا في رسالة في الإمامة أن أمية لم يكن من صلب عبد شمس و إنما هو عبد من الروم فاستلحقه عبد شمس و نسبته إلى نفسه و كانت العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم عبد و أراد أن ينسبه إلى نفسه أعتقه و زوجه كريمة من العرب فيلحق بنسبه قال و بمثل ذلك نسب العوام أبو الزبير إلى خويلد فبنو أمية قاطبة ليسوا من قریش و إنما و لحقوا و لصقوا بهم قال و يصدق ذلك قول أمير المؤمنين ﷺ جواباً عن كتابه و ادعائه إنا بنو عبد مناف ليس المهاجر كالطليق و لا الصريح كاللصيق و لم يستطع معاوية إنكار ذلك انتهى.

وقال في النهاية المدغل أي المناق من أدغلت في هذا الأمر إذا أدخلت فيه ما يفسده و قال هوى يهوي هويًا إذا هبط و قال نعشه الله ينعشه نعشاً إذا رفعه.

قوله ﷺ على حين قال ابن أبي الحديد قال قوم من النحاة حين هنا مبني على الفتح و قال قوم منصوب لإضافته إلى الفعل.

قوله ﷺ لا تجعلن أي لا تستمر على تلك الحال و إلا فقد كان للشيطان فيك أوفر نصيب.

وقال ابن أبي الحديد ذكر نصر بن مزاحم في كتاب صفين^(٣) أن هذا الكتاب كتبه علي ﷺ إلى معاوية قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة ثم قال فلما أتى معاوية كتاب علي ﷺ كتمه عمرو بن

(١) رواه السيد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (١٧) من باب كتب أمير المؤمنين من نهج البلاغة. وقد تقدم عن المصنف العلامة نقل الكتابين عن كتاب صفين ص ٤٧١ ط مصر.

وقد ذكرناه عن مصادر في المختار: (١٠١) من باب كتب نهج السعادة: ج ٤ ص ٢٦٨ ط ١.

(٢) كذا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وفتر بقریب الآباء من الجد الأكبر وفي ط الكلباني من البحار: «في تعدده».

(٣) ذكره ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٧) من الباب الثاني من نهج البلاغة. وذكره نصر في أواخر الجزء (٧) من كتاب صفين ص ٤٧١.

العاص أياما ثم دعاه فأقرأه إياه فشمت به عمرو و لم يكن أحد من قريش أشد إعظاما لعلي من عمرو بن العاص منذ يوم لقيه و صفح عنه.

٤٠٨- و قال في موضع آخر روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين عن عمر بن سعد عن أبي روق قال (١):

جاء أبو مسلم الخولاني في ناس من قراء أهل الشام إلى معاوية قبل مسير أمير المؤمنين ﷺ إلى صفين فقالوا له يا معاوية علام تقاتل عليا ﷺ و ليس لك مثل صحبته و لا مثل هجرته و لا قرابته و لا سابقته فقال إني لا أدعي أن لي في الإسلام مثل صحبته و لا مثل هجرته و لا قرابته و لكن خبروني عنكم أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما قالوا بلى قال فليدفع إلينا قتله لنقتلهم به و لا قتال بيننا و بينه قالوا فاكذب إليه كتابا يأتيه به بعضنا.

فكتب معاوية مع أبي مسلم الخولاني من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإن الله اصطفى محمدا بعلمه و جعله الأمين على وحيه و الرسول إلى خلقه و اجتبي له من المسلمين أعوانا أبداه الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام فكان أفضلهم في الإسلام و أنصحهم الله و رسوله الخليفة من بعده ثم خليفة خليفته من بعد خليفته ثم الثالث الخليفة المظلوم عثمان فكلهم حسدت و على كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر و قولك الهجر في تنفسك الصعداء و في إبطائك عن الخلفاء تقاد إلى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتى تباع و أنت كاره.

ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسدا منك لابن عمك عثمان و كان أحقهم أن لا تفعل ذلك به في قرابته و صهره فقطعت رحمه و قبحت محاسنه و ألبت الناس عليه و بطنت و ظهرت حتى ضربت إليه آباط الإبل و قيدت إليه الخيل العراب و حمل عليه السلاح في حرم رسول الله ﷺ فقتل معك في المحلة و أنت تسمع في داره الهاتعة لا تردع الظن و التهمة عن نفسك فيه بقول و لا عمل و أقسم قسما صادقا لو قتت فيما كان من أمره مقاما واحدا تنهت الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحدا و لمحي ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان و البغي عليه. و أخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين إيوائك قتلة عثمان فهم عضدك و أنصارك و يدك و بطانتك و قد ذكر لي أنك تتصل من دمه فإن كنت صادقا أمكنا من قتله لنقتلهم به و نحن من أسرع الناس إليك و إلا فإنه ليس لك و لأصحابك إلا السيف و الذي لا إله إلا هو لنظبن قتلة عثمان في الجبال و الرمال و البر و البحر حتى يقتلهم الله أو لتحلن أرواحنا بالله و السلام.

قال نصر فلما قدم أبو مسلم على علي ﷺ بهذا الكتاب قام فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإنك قد قمت بأمر وليته و و الله ما أحب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك أن عثمان قتل مسلما محروما مظلوما فدافع إلينا قتله و أنت أميرنا فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصرة و ألسنتنا لك شاهدة و كنت ذا عذر و حجة.

فقال له علي ﷺ اغد علي غدا فخذ جواب كتابك فانصرف ثم رجع من غد ليأخذ كتابه فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه فليست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملئوا المسجد فتنادوا كلنا قتل عثمان و أكثروا من النداء بذلك و أذن لأبي مسلم فدخل فدفع إليه علي ﷺ جواب كتاب معاوية.

فقال أبو مسلم لقد رأيت قوما ما لك معهم أمر قال و ما ذاك قال بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجوا و اجتمعوا و لبسوا السلاح و زعموا أنهم كلهم قتلة عثمان فقال ﷺ و الله ما أردت أن أدفعهم.

إليكم طرفة عين قط لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينه فما رأيته ينبغي لي أن أدفعهم إليك و لا إلى غيرك فخرج أبو مسلم بالكتاب و هو يقول الآن طاب الضراب.

وكان جواب علي ﷺ.

(١) رواه نصر بن مزاحم بن بشر في آخر الجزء الثاني من أصل عبد الوهاب من كتاب صفين ص ٨٥ ط مصر.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٩) من الباب الثاني من نهج البلاغة من شرحه: ج ١٥، ص ٧٣ ط مصر. وفي ط بيروت ج ٤ ص ٥١٩.

وللكلام شواهد ومصادر يجد الباحث كثيراً منها في المختار: (٧٠) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من نهج السعادة: ج ٤ ص ١٧٠ ط ١.

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن أخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمداً ﷺ و ما أنعم الله به عليه من الهدى والوحي فالحمد لله الذي صدق الوعد وأيده بالنصر ومكن له في البلاد وأظهر على أهل العداوة والشنآن من قومه الذين وثبوا عليه وشفوا له وأظهروا تكذيبه وبارزوه بالعداوة وظاهروا على إخراجهم وعلى إخراج أصحابه وأهله وأبوا عليه العرب وجامعهم على حربه وجهدوا في أمره كل الجهد وقلبوا له الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهُم كَارِهُونَ فكان أشد الناس عليه تأليباً وتحريضاً أسرته والأدنى فالأدنى من قومه إلا من عصمه الله منهم.

يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً ولقد قدمت فأفحشت إذ طفتت تخبرنا عن بلاء الله تبارك وتعالى في نبيه محمد ﷺ و فينا فكنت في ذلك كجبال التمر إلى هجر أو كداعي مسدده إلى النضال.

و ذكرت أن الله تعالى اجتنبى له من المسلمين أعواناً أيداه الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام فكان فضلهم كما زعمت في الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق وخليفة الخليفة الفاروق ولعمري ذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله وإن نقص لم يلحقك ثلمه^(١) و ما أنت والصديق فالصديق من صدق بحقنا وأبطل باطل عدونا و ما أنت والفاروق فالفاروق من فرق بيننا وبين أعدائنا.

و ذكرت أن عثمان كان في الفضل تالياً فإن يكن عثمان محسناً فسيجزيه الله بإحسانه وإن يكن مسيئاً فسيلقى ربا غفوراً لا يتعاطمه ذنب أن يغفره.

ولعمري إني لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ولرسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر.

إن محمداً ﷺ لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له كنا أهل البيت أول من آمن به و صدقه فيما جاء به فلبينا أحوالاً كاملة مجرمة تامة و ما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا.

فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا وهما بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل ومنعونا الميرة وأمسكوا عنا العذب وأحلسونا الخوف وجعلوا علينا الإرصاد والعيون واضطرونا إلى جبل وعرو وأوقدوا لنا نار الحرب وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يؤاكلوننا ولا يشاربوننا ولا يناكحوننا ولا يبايعوننا ولا نأمن فيهم حتى ندفع إليهم محمداً ﷺ فيقتلوه ويمثلوا به فلم تكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم فعزم الله لنا على منعه والذب عن حوزته والرمياء من وراء جمرته^(٢) والقيام بأسياقنا دونه في ساعات الخوف بالليل والنهار فمؤمنا يرجو بذلك الثواب وكافرنا يحامي به عن الأصل.

و أما من أسلم من قريش بعد فإنهم ما نحن فيه أخلياء فمنهم الحليف الممنوع ومنهم ذو العشيرة التي تدافع عنه فلا يبغيه أحد مثل ما بغانا به قومنا من التلف فهم من القتل بمكان نجوة وأمن فكان ذلك ما شاء الله أن يكون.

ثم أمر الله تعالى رسوله بالهجرة وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين فكان إذا احمر البأس ودعيت نزال أقام أهل بيته فاستقدموا فوقياً أصحابه بهم حد الأسنة والسيوف فقتل عبيدة يوم بدر وحزمة يوم أحد وجعفر وزيد يوم مؤتة.

وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة مع النبي ﷺ غير مرة ألا إن آجالهم عجلت ومنيته أخرت والله ولي الإحسان إليهم والمنة عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات.

فما سمعت بأحد ولا رأيته هو أنصح لله في طاعة رسوله ولا أطوع لنبه في طاعة ربه ولا أصبر على اللأواء والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي ﷺ من هؤلاء النفر الذين سميت لك وفي المهاجرين خير كثير تعرفه جزاهم الله خيراً بأحسن أعمالهم.

و ذكرت حسدي الخلفاء وإبطائي عنهم وبغبي عليهم فأما البغي عليهم فمعاذ الله أن يكون وأما الإبطاء عنهم

(١) التلم: النقص والخلال.

(٢) كذا في أصلي، وفي كتاب صقن ط مصر، وشرح المختار (٩) من كتب نهج البلاغة لابن أبي الحديد: «والرمي من وراء حرمة...» ولكن قال عند الشرح: ويروى: والرمياء.

والكراهية لأمرهم فلست أعتذر إلى الناس من ذلك إن الله تعالى ذكره لما قبض نبيه ﷺ قالت قريش منا أمير و قالت الأنصار منا أمير فقالت قريش منا محمد فنحن أحق بالأمر فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولاية و السلطان. فإذا استحقها بمحمد دون الأنصار فإن أولى الناس بمحمد أحق به منهم و إلا فإن الأنصار أعظم العرب نصيبا فلا أدري أصحابي سلموا من أن يكونوا حقي أخذوا أو الأنصار ظلما بل عرفت أن حقي هو المأخوذ و قد تركته لهم تجاوز الله عنهم.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان و قطيعتي رحمه و تأليبي عليه فإن عثمان عمل ما قد بلغك فصنع الناس به ما رأيت و إنك لتعلم أنني قد كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنن فتجن ما يد لك. وأما ما ذكرت من أمر قتلة عثمان فإني نظرت في هذا الأمر و ضربت أنفه و عينه فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك. ولعمري لئن لم تنزع عن غيك و شقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك أن تطلبهم في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل.

وقد كان أبوك قد أتاني حين ولي الناس أب بكر فقال أنت أحق بمقام محمد و أولى الناس بهذا الأمر و أنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك ابسط يدك أبايك فلم أفعل و أنت تعلم أن أباك قد كان قال ذلك و أراده حتى كنت أنا الذي أبيت عليه لقرب عهد الناس بالكفر و مخافة الفرقة بين أهل الإسلام فأبوك كان أعرف بحقي منك فإن تعرف من حقي ما كان أبوك يعزف تصب رشدا و إن لم تفعل فسيغني الله عنك و السلام. توضيح: وجدت الكتاب و الجواب في أصل كتاب نصر^(١).

و قال في القاموس شزره و إليه يشزره نظر منه في أحد شقيه أو هو نظر فيه إعراض أو نظر الغضبان بمؤخر العين أو النظر عن يمين و شمال.

و قال في النهاية الخشاش عويد يجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع لانتقياده و منه حديث جابر فانقادت معه الشجرة كالبعير المخشوش هو الذي جعل في أنفه الخشاش انتهى. و ضرب أباط الأبل كناية عن ركوبها و السير عليها و إيجافها و الهائعة الصوت تفرع منه و تخافه من عدو و نهذه عن الأمر زجره و تنصل إليه من الجنابة خرج و تبرأ. و في النهاية شنفا له أي أبغضوه و قال الجوهري ألبت الجيش جمعته و تألبوا تجمعوا و التأليب التحريض و هو الحث على القتال و قال هجر اسم بلد و في المثل كمبضع التمر إلى هجر و قال في بضع أبضعت الشيء و استبضعته أي جعلته بضاعة و في المثل كمستبضع تمر إلى هجر و ذلك ان هجر معدن التمر.

قوله ﷺ أو كداعي مسدده أي كمن يدعو من يعلمه الرمي إلى المناضلة أي المراماة قال الجوهري التسييد التوفيق للسداد و هو الصواب و القصد من القول و العمل إلى أن قال و قد استند الشيء أي استقام و قال

أعلمه الرماية كل يوم فلما استند ساعده رماي

و قال حول مجرم و سنة مجرمة أي تامة انتهى و الاجتياح الاستيصال.

قوله ﷺ و منعونا الميرة و أمسكوا عنا العذب و في النهج و منعونا العذب و قال ابن أبي الحديد العذب هنا العيش العذب لا الماء العذب على أنه قد نقل أنهم منعوا أيام الحصار في شعب بني هاشم من الماء العذب.

قوله ﷺ و أحلسونا الخوف أي ألزموناه و الحلس كساء رقيق يكون تحت بردة البعير و أحلاس البيوت ما يبسط تحت حر الثياب و لما كان حلس البعير و حلس البيت ملازما لهما قال و أحلسونا الخوف.

قوله ﷺ إلى جبل وعر أي غليظ حزن يصعب الصعود إليه و هذا مثل ضربه لصعوبة مقامهم و يحتمل الحقيقة لأن الشعب الذي حصروا فيه مضيق بين جبلين.

(١) تقدم أنه رواه تيسير بن مزاحم في أواسط الجزء الثاني - أواخر الجزء الثاني من أصل عبد الوهاب - من كتاب صفين ص ٨٥ ط: ص ١١٢.

وفي النهج فعزم الله لنا عن الذب عن حوزته و الرمي من وراء حرمة مؤمننا يعني بذلك الأجر قوله ﷺ فعزم الله لنا أي وفقنا لذلك وجعلنا عازمين وقيل أراد لنا الإرادة اللازمة منه واختار لنا أن نذب عن حوزة الإسلام وحوزة الملك بيضته والذب المنع والدفع والحرمة ما لا يحل انتهاكها و الرمي من وراء الحرمة كناية عن المحافظة والمحافظة.

و الوراء إما بمعنى الأمام أو كناية عن الحماية الخفية أو لأن الوراء مظنة أن يؤتى منه غفلة والضميران في حوزته و حرمة راجعان إلى النبي ﷺ أو إلى الله تعالى فإن حرمة حرمة الله و رميا بكسر الراء والميم المشددة وتشديد الياء مبالغة في الرمي قال الجوهرى وكانت بينهم رميا ثم صاروا إلى حجيرى و قال الجمرة كل قبيل انضموا فصاروا بدا واحدة ولم يخالفوا غيرهم فهي جمرة قوله ﷺ يحامي عن الأصل أي يدافع عن محمد ﷺ حماية و محافظة على النسب.

وفي النهج بعد ذلك ومن أسلم من قريش خلوا مما نحن فيه بحلف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان آمن وكان رسول الله ﷺ إذا احمر البأس وأحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة فقتل عبيدة بن الحرث يوم بدر وقتل حمزة يوم أحد وقتل جعفر يوم مؤتة وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة ولكن آجالهم عجلت ومنيته أخرت.

وقال ابن ميثم الواو في قوله ومن أسلم للحال أي والحال أن من أسلم من قريش عدا بني هاشم وبني عبد المطلب خالين مما نحن فيه من البلاء آمئين من الخوف أو القتل فمنهم من كان له حلف وعهد مع المشركين يمنعه ومنهم من كان له عشيرة تحفظه.

قوله ﷺ إذا احمر البأس قال السيد الرضى^(١) في النهج هذا كناية عن اشتداد الأمر و قد قيل في ذلك أقوال أحسنها أنه شبه حمى الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحرمة بفعلها ولونها.

وما يؤيد ذلك قول النبي ﷺ الآن حمى الوطيس والوطيس مستوقد النار.

وأحجم الناس أي نكصوا وتأخروا وأراد بقوله من لو شئت ذكرت اسمه نفسه ﷺ.

أقول: ذكر الرضى رضي الله عنه هكذا المکتوب بإسقاط كثير وزاد في آخره بعض الفقرات من مکتوب آخر سيأتي في محله ورواه ابن ميثم أيضا نحو ما روي عن ابن أبي الحديد ووجدناه في مواضع أخر فجمعنا بين الروايات.

٤٠٩ نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى معاوية^(٢):

أما بعد فإن الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها و ابتلى فيها أهلها ليعلم أيهم أحسن عملا و لسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها أمرنا وإنما وضعنا فيها لنتبلى بها و قد ابتلاني بك و ابتلاك بي فجعل أحدنا حجة على الآخر فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن فطلبتني بما لم تجن يدي و لا لساني و عصيته أنت و أهل الشام بي و ألب عالمكم جاهلكم و قائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك و نازع الشيطان قيادك و اصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك و احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل و تقطع الدابر فإني أولى بالله إليه غير فاجرة لئن جمعني وإياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك حتى يخكم الله بيننا و هو خير الحاكمين.

توضيح: قوله ﷺ بالسعي فيها أي لها وفي تحصيلها وقيل أي ما أمرنا بالسعي فيها لها وقد ابتلاني بك أي بأن أمرني بنهيك عن المنكر والجهاد معك و ابتلاك بي بأن فرض عليك طاعتي فجعل أحدنا أي نفسه ﷺ وفي الإجمال أنواع البلاغة كما لا يخفى فعدوت على طلب الدنيا أي وثبت عليها واختلسنها وقيل على هاهنا متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام أي تعديت وظلمت مصرا على طلب الدنيا وتأويل القرآن ما كان يمويه به معاوية على أهل الشام ويقول لهم أنا ولي عثمان وقال تعالى ﴿مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا﴾ ثم بعدهم الظفر والدولة على أهل العراق بقوله تعالى ﴿فَلَا يُسْرَفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ و عصيته أي الزمته كما تلزم العصاة وقال الفيروز آبادي العصب الشد وألب عالمكم التاليب التحريض.

(١) ذكره المختار في ذيل المختار الأخير من غريب كلام أمير المؤمنين ﷺ قبل المختار: (٢٦١) من الباب الثالث من نهج البلاغة، وما نقله المصنف هنا معنى كلام السيد وليس بنص كلامه في جميع الفقرات.

(٢) رواه السيد الرضى رضي الله عنه في المختار: (٥٥) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

وقال ابن ميثم أي عالمكم بحالي وقائمكم بجهادي ومنازعتي^(١).
قوله ﷺ في نفسك أي في أمرها أو بينك وبين الله.
والقياد ما يقاد به الدابة ومنازعته جذبته وعدم الانقياد له.

واحذر أن يصيبك الله منه قال ابن أبي الحديد الضمير في منه راجع إلى الله تعالى ومن لا ابتداء الغاية.
وقال القطب الراوندي أي من البهتان الذي أتيت به ومن للتعليل أي من أجله وهو بعيد وقال
الفيروز آبادي القارعة الشديدة من شدائد الدهر. وهي الداهية يقال قرعتهم قوارع الدهر.
تمس الأصل قال ابن أبي الحديد أي تقطعه ومنه ماء ممسوس أي يقطع الغلة انتهى.

وفيه نظر إذ المس بمعنى القطع لم يذكره أحد من أهل اللغة وأما الماء الممسوس فهو الماء بين
العذب والمالح كما ذكره الجوهري أو الذي نالته الأيدي كما ذكره الخليل في العين و
الفيروز آبادي أو الماء الذي يمس الغلة فيشفيها وكل ما شفى الغليل والعذب الصافي كما ذكره هو.
والظاهر أنه من المس بالمعنى المعروف أي احذر داهية تصيب أصلك كما يقال أصابه داء أو بلاء
فيكون أصابه الأصل كناية عن الاستيصال كالفقرة التالية والداير العقب والنسل والتابع وآخر كل
شيء فإني أولى أي أحلف والاسم منه الآية جوامع الأقدار قال ابن أبي الحديد من إضافة الصفة
إلى الموصوف للتأكيد وقال باحة الدار وسطها حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا أي بالظفر والنصر.

٤١٠- نهج: [تهج البلاغة] ومن كتاب الله ﷻ إلى معاوية^(٢)؛

أما بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل
واقترحك غرور المين والأكاذيب وابتغالك ما قد علا عنك وابتزازك لما اخترت دونك فرارا من الحق وجوحودا لما
هو أژم لك من لحكم ودمك مما قد وعاه سمعك وملى به صدرك فَمَا ذَا يَبْذُ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ وبعد البيان إلا اللبس.
فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فإن الفتنة طال ما أمددت جلايبها وأغشت الأبصار ظلمتها.

وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السلم وأساطير لم يحكها منك علم ولا حلم أصبحت
منها كالخائض في الدهاس والخابط في الديماس وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام نازحة الأعلام يقصر دونها
الأثوق ويحاذي بها العيوق.

وحاش لئن أتني للمسلمين بعدي صدرا أو وردا أو أجري لك على أحد منهم عقدا أو عهدا فمن الآن فتدارك نفسك
وانظر لها فإنك إن فرطت حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور ومنعت أمرا هو منك اليوم مقبول والسلام.

بيان:

قال ابن أبي الحديد هذا الكتاب هو جواب كتاب وصل من معاوية إليه بعد قتل علي ﷺ الخوارج وفيه تلويح بما
كان يقوله من قبل أن رسول الله ﷺ وعدني بقتل طائفة أخرى غير أصحاب الجمل وصفين وإنه ساهم المارقين
فلما واقفهم في النهروان وقتلهم في يوم واحد وهم عشرة آلاف فارس أحب أن يذكر معاوية بما كان يقوله من قبل
ويعد به أصحابه وخواصه فقال له قد آن لك أي قرب و حان أن تنتفع بما عاينت وشاهدت معاينة من صدق القول
الذي كنت أقوله للناس ويبلغك وتستعزئ به وقال يقال قد رأيته لمحا باصرا أي نظرا بتحديد شديد ومخرجه
مخرج رجل لابن وتأمّر أي ذو لبين و تمر فمعنى باصر أي ذو بصر و عيان الأمور معاينتها أي قرب أن تنتفع بما
تعلمه يقينا من استحقاقي للخلافة وبراءتي من كل شبهة.

وقال ابن ميثم وصف للمح بالباصر مبالغة في الإبصار كقولهم ليل أليل والمدرج المسلك وقال ابن أبي الحديد
الأباطيل جمع باطل على غير القياس وإحقامك أي إقائك نفسك بلا روية في غرور المين وهو الكذب وابتغالك

(١) في الكلام اختلال. وفي شرح نهج البلاغة لابن ميثم ح: «وأراد ﷺ [ﷻ] ألّب عليكم عالمكم بحالي جاهلكم به. وقائمكم في حربي قاعدكم عنه».

(٢) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٦٥) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

أي ادعائك كذبا ما قد علا عنك أي لم تبلغه و لست أهلا له و ابتزازك أي استلابك لما اختزن دونك أي منعك الله منه من إمرة المسلمين و بيت مالهم من قولهم اختزن المال أي أحرزه فرارا أي فعلت ذلك كله فرارا من الحق لما هو ألزم لك يعني من فرض طاعتي عليك.

قال ابن ميثم لأنهما دائما في التغير و التبديل بخلاف و جوب الطاعة فإنه أمر لازم انتهى.

و يمكن أن يقال لأنك تفارقهما و لا تفارقه و الظاهر أن ذلك مجاز عن شدة اللزوم مما قد وعاه سمعك أي من النص و كلمة ما في ما ذا استفهامية أو نافية على لبستها في بعض النسخ بالضم و في بعضها بالكسر قال في النهاية اللبسة بالكسر الهيئة و الحالة و قال ابن أبي الحديد اللبسة بالضم يقال في الأمر لبسة أي اشتباه و ليس بواضح و يجوز أن يكون اشتمالها مصدرا مضافا إلى معاوية أي اشتمالك إياها على اللبسة أي ادراكك إياها و تمصك بها على ما فيها من الإيهام و الاشتباه و يجوز أن يكون مصدرا مضافا إلى ضمير الشبهة فقط أي احذر الشبهة و احتوانها على اللبسة التي فيها.

وقال أغدفت المرأة قناعها أي أرسلته على وجهها و أغشت الأبصار أي جعلتها غشاء و سترًا للأبصار و في بعض النسخ بالعين المهملة و هو سوء البصر بالليل أو العمى فالظلمة مرفوعة بالفاعلية.

ذو أفانين أي أساليب مختلفة لا يناسب بعضها بعضا.

ضعت قواها عن السلم قال ابن ميثم أي ليس لها قوة أن يوجب صلحا.

و قال ابن أبي الحديد أي عن الإسلام أي لم تصدر تلك الأفانين المختلفة عن مسلم و كان كتب إليه أن يفرده بالشام و أن يوليه العهد من بعده و أن لا يكلفه الحضور عنده و قرأ أبو عمرو «ادخلوا في السلم كافة» و قال ليس المعني بهذا الصلح بل الإسلام و الإيمان لا غير.

وقال الأساطير الأباطيل واحدها أسطورة و إسطارة بالكسر و حوك الكلام صنعته و نظمه و الحلم العقل أو الأناة.

وقال ابن ميثم لأن الكتاب كان فيه خشونة و تهور و ذلك ينافي الحلم و ينافي غرضه من الصلح.

وقال الجوهري الدهس و الدهاس مثل اللبث و اللبث المكان السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملا و ليس هو بتراب و لا طين و لونه الدهسة.

وقال الديماس السرب المظلم تحت الأرض و السرب البيت في الأرض تقول السرب الوحشي في سربه و الغرض عدم استقامة القول و المراقبة الموضع العالي أي دعوى الخلافة و المرام المقصد و بعده كناية عن الرفعة و نزوح الأعلام كناية عن صعوبة الوصول إليها و في الصحاح نزحت الدار نزوحا بعدت و قال الأنوق على فقول طائر و هو الرحمة و في المثل أغر من بيض الأنوق لأنها تحزره فلا تكاد يظفر بها لأن أوكارها في رؤوس الجبال و الأماكن البعيدة و هي تحمم مع ذلك انتهى.

قوله ﷺ و حاش لله أصله حاشا لله أي معاذ الله و هو فعل ماض على صيغة المفاعلة مأخوذ من الحشى أي الناحية و فاعله أن تلي و قال الزجاج حاش لله براءة لله.

و الصدر بالتحريك رجوع الشاربة عن الماء كالورد بالكسر الإشراف على الماء.

قوله ﷺ فتدارك نفسك أي تدبر آخر أمرك و قوله حتى أي ينهض قوله ﷺ أر تجت عليك أي أغلقت

٤١١- نهج: إنهج البلاغة و من كتابه (١)؛

أما بعد فأني على التردد في جوابك و الاستماع إلى كتابك لموهن رأيي و مخبطي فراستي وإنك إذ تحاولني الأمور و تراجعني السطور كالمتشتل النائم تكذبه أحلامه أو المتحير القائم بهظه مقامه (٢) لا يدري أله ما يأتي أم عليه و لست به غير أنه بك شبيهه.

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (٧٢) من باب كتب نهج البلاغة.

(٢) كذا في النسخة المطبوعة من ط الكمباني من البحار، وفيما عندي من النسخ المطبوعة من نهج البلاغة «بيبهظه».

وأقسم بالله إنه لو لا بعض الاستبقاء لوصلت إليك مني نوازع تفرغ العظم وتهلس اللحم و اعلم أن الشيطان قد
يُطعك عن أن تراجع أحسن أمورك و تأذن لمقال نصيحتك والسلام.

بيان: قوله ﷺ فإني على التردد قال ابن أبي الحديد ليس معناه التوقف بل التردد و التكرار أي أنا
لأن نفسي على أني أكرر تارة بعد تارة أجوبتك عما كتبت و أجعلك نظيرا لي أكتب و تجيبني و
تكتب و أجيبك و إنما كان ينبغي أن يكون جواب مثلك السكوت.

قوله ﷺ لموهن رأيي أي أعده واهنا ضعيفا و الغرض المبالغة في عدم استحقيقه للجواب و إلا فلم
يكن فعله ﷺ إلا حقا و صوابا.

قوله ﷺ و إنك إذ تحاولني الأمور الظاهر من كلام الشارحين أنهما حملا المحاولة على معنى
القصد و الإرادة و حينئذ يحتاج إلى تقدير حرف الجر.

و يحتمل أن يكون مفاعلة من حال بمعنى حيز و منع أي تمنعني الأمور و تراجعني السطور أي
بالسطور كالمستقل النائم قال ابن أبي الحديد أي كالتائم يرى أحلاما كاذبة أو كمن قام بين يدي
سلطان أو بين قوم عقاء ليعتذر عن أمر أو ليخطب لأمر في نفسه قد يهظه مقامه ذلك أي أنقله فهو
لا يدرى هل ينطق بكلامه له أم عليه فيحترق انتهى.

وفي قوله ﷺ إنه بك شبيه إيدان بأن معاوية أقوى في ذلك و يقال استبقيت من الشيء أي تركت
بعضه و استبقاه أي استحياه و يحتمل أن يكون من أبقيت عليه أي رحمته نوازع تفرغ العظم قال ابن
أبي الحديد روي نوازع جمع نازعة أي جاذبة قاطعة و يروي قوارع بالقاف و الراء و يروي تهلس
اللحم تهلس بتقديم اللام فأما تهلس بكسر اللام فالمعنى تذيبه حتى يصير كبदन به الهلاس و هو
السل و أما تهلس فهو بمعنى تلحس أبذلت الحاء هاء و هو من لحست كذا بلساني بالكسر الحسنة
أي تأتي على اللحم حتى تلحسه لحسا لأن الشيء إنما يلحس إذا ذهب و بقي أثره.

و يروي و تهلس بالنون و السين المهملة و التهس و التهش بالمهملة و المعجمة هو أخذ اللحم
بمقدم الأسنان.

و أما بعض الاستبقاء الذي أشار إليه فقال ابن ميثم لو لا بعض المصالح لوصلت إليك مني قوارع و
أراد شذائد الحرب.

و قال ابن أبي الحديد الإمامية تقول إن النبي ﷺ فوض إليه أمر نسائه بعد موته و جعل إليه أن
يقطع عصمة أبنته شاء إذا رأى ذلك و له من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك فقد كان قادرا على
أن يقطع عصمة أم حبيبة و يبيع نكاحها للرجال عقوبة لها و لمعاوية لأنها كانت تبغض عليا ﷺ كما
يبغضه أخوها و لو فعل ذلك لانتهس لحمه و قد رواوا عن رجالهم أنه تهدد عائشة بضرب من ذلك
قال و أما أصحابنا فيقولون قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من رسول الله ﷺ يلعن
معاوية بعد إسلامه و يقول إنه منافق كافر و إنه من أهل النار و الأخبار في ذلك مشهورة فلو شاء أن
يحمل إلى أهل الشام خطوطهم و شهاداتهم بذلك و أسمعهم قوله مشافهة لفعل و لكن رأى العدول
عن ذلك مصلحة لأمر يعلمه هو ﷺ.

و قال أبو زيد البصري إنما أبقى عليه لأنه خاف أن يفعل معاوية كفعله ﷺ فيقول لعمر و بن العاص و
حبيب بن مسلمة و بسر بن أرطاة و أمثالهم ارووا أنتم عن النبي ﷺ أنه كان يقول في علي ﷺ
أمثال ذلك انتهى. و قال الجوهري يبطه عن الأمر تشبها شغلته عنه و قال أذن له إذا استمع.

٤١٢- وروى ابن أبي الحديد من كتاب أبي العباس يعقوب بن أبي أحمد الصيمري أن معاوية كتب إلى أمير
المؤمنين ﷺ أما بعد فإنك المطبوع على قلبك المغطى على بصرك الشر من شيمتك والعو من خليفتك فشمّر للحرب
واصبر للضرب فوالله ليرجعن الأمر إلى ما علمت وَاَلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّيِّنِ هيهات هيهات أخطأك ما تمنى وهوى قلبك فيما
هوى فأربع على ظلمك وقس شبرك بفترك تعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشك علمه
والسلام^(١).

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٠) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٥٢٥ ط الحديث ببيروت.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

أما بعد يا ابن الصخر يا ابن اللعين يزن الجبال فيما زعمت حلمك ويفصل بين أهل الجهل علمك وأنت الجاهل القليل الفقه المتفاوت العقل الشارد عن الدين.

وقلت فشمس للحرب واصبر للضرب فإن كنت صادقا فيما تزعم ويعينك عليه ابن النابغة فدع الناس جانباً واعف الفريقين من القتال وابرز إلي تعلم أينا المرين على قلبه المغطى على بصره فأنا أبو الحسن حقا قاتل أخيك وخالك وجدك شدخا يوم بدر وذلك السيف بيدي وبذلك القلب ألقى عدوي.

ثم قال الشدخ كسر الشيء الأجوف يقال شدخت رأسه فانشدخ.

وهؤلاء الثلاثة حنظلة بن أبي سفيان والوليد بن عتبة وأبوه عتبة بن ربيعة فحنظلة أخوه والوليد خاله وعتبة جده وقد قتلوا في غزاة بدر.

١٢٥
٣٣ ٤١٣- أما بعد فما أعجب ما يأتيني منك وما أعلمني بمنزلتك التي أنت إليها صائر ونحوها سائر وليس إيطاني عنك إلا لوقت أنا به مصدق وأنت به مكذب فكأنني أراك وأنت تضج من الحرب وإخوانك يدعونني خوفاً من السيف إلى كتاب هم به كافرون وله جاحدون^(١).

ثم قال ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية.

٤١٤- قال وكتب أيضاً:

أما بعد فطال ما دعوت أنت وأولياؤك أُولياء الشيطان الحق أساطير ونبذتموه وراء ظهوركم وحاولتم إطفاءه بأفواهكم وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمَّ نُوْرُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^(٢).

ولعمري لينفذ العلم فيك ولتيمن النور بصغرك وقماتك ولتخسأن طريداً مدحوراً أو قتيلاً مثبوراً ولتجزين بعملك حيث لا ناصر لك ولا مصرح عندك.

وقد أسهبت في ذكر عثمان ولعمري ما قتله غيرك ولا خذله سواك ولقد تربصت به الدوائر وتمنيت له الأمان طمعاً فيما ظهر منك ودل عليه فعلك وإنني لأرجو أن ألحقك به على أعظم من ذنبه وأكبر من خطيئته فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف وإن قائمه لفي يدي وقد علمت من قتلت به من صناديد بني عبد شمس وفراغة بني سهم وجمع ومخزوم وأيمت أبناءهم وأيمت نساءهم وأذكرك ما لست له ناسياً يوم قتلت أخاك حنظلة وجرت برجله إلى القليب وأسرت أخاك عمراً فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً وطلبتك ففرت ولك حصاص فلو لا أنني لا أتبع فاراً لجعلتك ثالثهما وأنا أولى لك بالله إليه برة غير فاجرة لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لأتركنك مثلاً يتمثل به الناس أبداً ولأجمعن بك في مناخك حتى يحكم الله بيني وبينك وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

١٢٦
٣٣ ولئن أنسا الله في أجلي قليلاً لأغزينك سراة المسلمين ولأنهدين إليك في جحفل من المهاجرين والأنصار ثم لا أقبل لك معذرة ولا شفاعة ولا أجيئك إلى طلب وسؤال ولترجعن إلى تحيرك وترددك وتلدك فقد شاهدت وأبصرت ورأيت سحب الموت كيف هطلت عليك بصيها حتى اعتصمت بكتاب أنت وأبوك أول من كفر به وكذب بنزوله ولقد كنت تفرستها وأذنتك أنت فاعلها وقد مضى منها ما مضى وانقضى من كيدك فيها ما انقضى وأنا سائر نحوك على أثر هذا الكتاب فاختر لنفسك وانظر لها وتداركها فإنك إن فرطت واستمرت على غيك وغلوئك حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور ومنعت أمراً هو اليوم منك مقبول.

يا ابن حرب إن لجاحك في منازعة الأمر أهلهم من سقاء الرأي فلا يطمعنك أهل الضلال ولا يوبقنك سقاء رأي الجاهل فوالذي نفس علي بيده لئن برقت في وجهك بارقة من ذي الفقار لتصعقن صعقة لا تفيق منها حتى ينفخ في الصور النفخة التي يستنت منها كَمَا يَمَسُّ الْكَفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ.

(١) رواه أيضاً في شرح المختار المتقدم الذكر، قال: وقد رأيت له عليه السلام [ذكر هذا المعنى في كتاب غير هذا، وهو: «أما بعد فما أعجب ما يأتيني منك».

(٢) ذكره في شرح المختار السالف الذكر قال: ووقفت له عليه السلام على كتاب آخر إلى معاوية يذكر فيه هذا المعنى أوله: «أما بعد فطالما دعوت أنت وأولياؤك...».

توضيح: قال ابن الأثير في النهاية في حديث أبي هريرة إذا سمع الشيطان الأذان ولي وله حصاص الحصاص شدة العدو وحذته وقيل هو أن يمص بذنبه ويصر بأذنيه ويعدو وقيل هو الضراط وقال ججمع القوم إذا أناخوا بالجمعاج وهي الأرض الجمعاج أيضا الموضع الضيق الخشن ومنه كتاب عبيد الله بن زياد وجمع بحسين وأصحابه أي ضيق عليهم المكان.

وقال في القاموس الجمعاج الأرض عامة والحرب ومناخ سوء لا يقر فيه صاحبه والفحل الشديد الرغاء والجمعة صوت الرحي ونحر الجزور وأصوات الجمال إذا اجتمعت وبروك البعير وتبريكه والحبس والقعود على غير طمأنينة وتجمع ضرب بنفسه الأرض من وجع.

وفي النهاية السري النفيس الشريف وقيل السخي ذو المروءة والجمع سرا بالفتح على غير قياس وتضم السين.

وفي قوله لا أغربك كأنه على الحذف والإيصال وفي بعض النسخ بالزاي من أغراه إذا حملة على الغزو. وفي القاموس الجحفل كجعفر الجيش الكثير.

قوله ﷺ فقد شاهدت يدل على أنه كان الكتاب بعد الرجوع عن صفين عند إرادة العود إليه والغلواء بضم الغين وفتح اللام وقد تسكن الغلو وشرة الشباب وأوله.

وقال الجوهري أرتجت الباب أغلقته وأرتج على القارئ على ما لم يسم فاعله إذا لم يقدر على القراءة كأنه أطبق عليه كما يرتج الباب ولا تقل ارتج عليه بالتشديد.

٤١٥- كنز الفوائد للكراچكي: نسخة كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أما بعد فإن الهوى يضل من اتبعه والحرص يتعب الطالب المحروم وأحمد العاقبتين ما هدى إلى سبيل ومن العجب العجيب ذام ماحد أو زاهد راغب ومتوكل حريص كلما ضربته لك مثلا لتدبر حكمته بجمع الفهم ومباينة الهوى ومناصحة النفس فلمعري يا ابن أبي طالب لو لا الرحم التي عطفتني عليك والسابقة التي سلفت لك لقد كان اختطفك بعض عقبان أهل الشام فصعد بك في الهواء ثم قذفك على دكاك شوامخ الأبطال فألقت كسحيق الفهر على مسن الصلبة لا يجد الذر فيك مرتقى ولقد عزمت عزمة من لا تعطفه رقة أن لا تذر ولا تباين ما قربت به أملك وطال له طلبك لأوردنك موردا تستمر مذاقه إن فسخ لك في الحياة بل نطقك قبل ذلك من الهالكين وبس الرأي رأي يورد أهل المهالك ويمنيهم العطب إلى حين لات مناص وقد قذف بالباطل وظهر أمر الله وهُم كَارِهُونَ ولله الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ والمنة الظاهرة والسلام^(١).

جواب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه:

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فقد أتاني كتابك بتوثيق المقال وضرب الأمثال وانتحال الأعمال تصف الحكمة ولست من أهلها وتذكر التقوى وأنت على ضدها قد اتبعت هواك فعاد بك عن المحبة ولحج بك عن سواء السبيل فأنت تسحب أذيال لذات الفتن وتخطط في زهرة الدنيا كأنك لست توقظ بأوبة البعث ولا برجعة المنقلب قد عقدت التاج ولست الخز و افترشت الديباج سنة هرقلية وملكا فارسيا ثم لم يقتنع ذلك حتى يبلغني أنك تعقد الأمر من بعدك لغيرك فيملك دونك وتحاسب دونه.

ولمعري لئن فعلت ذلك فما ورثت الضلالة عن كلاله وإنك لابن من كان ينبغي على أهل الدين ويحسد المسلمين. وذكرت رحما عطفتك علي فأقسم بالله الأعز الأجل أن لو نازعك هذا الأمر في حياتك من أنت تمهده له بعد وفاتك لقطعت حبله ولبتت أسبابه.

وأما تهديدك لي بالمشارب الوبيئة والموارد المهلكة فأنا عبد الله علي بن أبي طالب ابرز إلي صفحتك كلا ورب

(١) رواه - وما بعده - العلامة الكراچكي ح في الفصل الثالث من الرسالة من الثالثة كتاب كنز الفوائد: ج ٢ ص ٢٠١ ط ١. ورويناه عنه في المختار: (١٥٧) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٥ ص ٢٩٠.

البيت ما أنت أبي عذر عند القتال ولا عند منافحة الأبطال وكأني بك لو شهدت الحرب وقد قامت على ساق وكشرت عن منظر كريمة والأرواح تختطف اختطاف البازي زغب القطا لصرت كالمولمة الحيرانة تضربها العبرة بالصدمة لا تعرف أعلى الوادي عن أسفله.

فدع عنك ما لست من أهله فإن وقع الحسام غير تشقيق الكلام فكم عسكر قد شهدته وقرن نازلته ورأيت اصطلاك قریش بين يدي رسول الله ﷺ إذا أنت وأبوك ومن هو أعلى منكما لي تبع وأنت اليوم تهددني.

فأقسم بالله أن لو تبدي الأيام عن صفحتك لنشب فيك مخلب ليث هصور لا يفوته فريسته بالمراوغة كيف وأنى لك بذلك وأنت قعيدة بنت البكر المخدرة يفزعها صوت الرعد وأنا علي بن أبي طالب الذي لا أهدد بالقتال ولا أخوف بالنزال فإن شئت يا معاوية فابرز والسلام.

فلما وصل هذا الجواب إلى معاوية بن أبي سفيان جمع جماعة من أصحابه وفيهم عمرو بن العاص فقرأ عليهم فقال له عمرو قد أنصفك الرجل كم رجل أحسن في الله قد قتل بينكما ابرز إليه فقال له أبا عبد الله أخطأت استك الحفرة أنا أبرز إليه مع علمي أنه ما يبرز إليه أحد إلا وقتله لا والله ولكني سأبرزك إليه.

٤١٦- نسخة كتاب آخر من معاوية بن أبي سفيان إلى أمير المؤمنين ﷺ أما بعد فإننا لو علمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجننها بعضنا على بعض وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نرم به ما مضى ونصلح ما بقي وقد كنت سألتك الشام على أن لا تلزمني لك طاعة فأبيت ذلك علي وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ولا تخاف من الفناء إلا ما أخاف وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال ونحن جميعاً بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض يستدل به عزيز ولا يسترق به حر^(١).

جواب أمير المؤمنين ﷺ من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فقد جاء في كتابك تذكر أنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجننها بعضنا على بعض وأنا وإياك نلتمس غاية منها لم تبلغها بعد.

وأما طليح إلي الشام فإنني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس.

وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك مني على اليقين ولا أهل الشام على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة.

وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا الطليح كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام.

توضيح: الدكادك جمع الدكداك وهو من الرمل ما التبد منه بالأرض ولم يرتفع والأبصار كأنه جمع البصر بالضم وهو الجانب وحرف كل شيء.

قوله كسحيق الفهر أي كالشيء الذي سحقه الفهر.

وفي القاموس الفهر بالكسر الحجر قد رما يدق به الجوز أو ما يملأ الكف وقال الصلاية مدق الطيب انتهى.

ولعل المراد بمسئها وسطها كمسان الطريق والمسن بالكسر حجر يحده عليه السكين.

وفي القاموس المنوق كمعظم المذلل من الجمال ومن النخل الملقح والنواق رائض الأمور ومصالحها والنوقة الحذاقة في كل شيء وتتوق في مطعمه وملبسه تجود وبالغ وقال لحج السيف كفرح نشب في الغمد ومكان لحج ككتف ضيق والملحج الملجأ ولحجه كمنعه ضربه وإليه لجأ. فما ورث الضلالة أي لم تأخذ هذه الضلالة من بعيد في النسب بل أخذت من أبيك.

(١) الكتابان رواهما العلامة الكراچي رفع الله مقامه في الفصل الثالث من الرسالة الثالثة من كتاب كنز الفوائد: ج ٢ ص ٢٠١ ط ١.

وقد تقدم عن المصنف نقل الكتابين عن مصدر آخر في أواخر الباب: (١٢) من هذا الكتاب ص ٥٢٠ ط ١. وأيضاً تقدم عن المصنف رواية الكتابين عن مصادر أخرى في أواسط هذا الباب ص ٥٤٦ ط الكلباني. وللكتابين مصادر أخرى كثيرة يجد الباحث كثيراً منها في ذيل المختار: (١٠١) من باب كتب أمير المؤمنين من نهج السعادة: ج ٤ ص ٢٧٢ ط ٢.

قال الجوهري الكلاله الذي لا ولد له و والد و العرب تقول لم يرته كلاله أي لم يرته عن عرض بل عن قرب و استحقاق قال الفرزدق:

ورثتم قتاة الملك غير كلاله
عن ابني مناف عبد شمس و هاشم

و الوبيثة فعليه من الوباء و هو الطاعون أو المرض العام يقال أرض وبيثة أي كثيرة الوباء و قد يخفف فيشدد ما أنت بأبي عذر أي لا ابتدائي بالقتال يقال فلان أبو عذرهما إذا كان هو الذي افترعها و افتضاها و قولهم ما أنت بذئ عذر هذا الكلام أي لست بأول من افتضه.

و لا يبعد أن يكون بالغين المعجمة و الدال المهملة قال الجوهري رجل ثبت الغدر أي ثابت في قتال و كلام و المناقحة المدافعة و المضاربة و قرب كل من القرنين إلى الآخر بحيث يصل إليه نفحه أي ريحه و نفسه.

و قال الجوهري كشر البعير عن نابه أي كشف عنه و الكشر التيسم و قال الزغب الشعيرات الصفر على ريش الفرح و الفراخ زغب و قال يقال شقق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج و الهصر بالكسر و الهصور الأسد و راغ الرجل و الثعلب روغا و روغانا مال و حاد عن الشيء و قعيذة الرجل امرأته و الخدر ستر يمد للجارية في ناحية البيت و بالفتح إلزام البنت الخدر كالإخدار و التخدير و هي مخدورة و مخدرة و مخدرة.

١٧- كنز الفوائد: كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام افتخاراً فقال عليه السلام أعلي يفترخ ابن آكلة الأكباد ثم قال لعبيد الله بن أبي رافع اكتب^(١):

محمد النبي أخى وصنوي	وحزمة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	مساط لحمها ^(٢) بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها	فأأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرا	غلاما ما بلغت أو أن حلمي
وأوجب لي الولاء معا عليكم	خليلي يوم دوح غدير خمي

أقول: ذكرها في الديوان مع زيادة و تغيير هكذا:

وأوجب لي ولايته عليكم	رسول الله يوم غدير خم
وأوصاني النبي على اختيار	لأمتي رضى منكم بحكمي
ألا من شاء فليؤمن بهذا	وإلا فليمت كمداء بغم
أنا البطل الذي لم تنكروه	ليوم كربة و ليوم سلمي

بيان: السكن بالتحريك كل ما سكنت إليه و العرس بالكسر امرأة الرجل و السوط خلط الشيء بعضه ببعض و سوطه أي خلطه و الدوح جمع الدوحة و هي الشجرة العظيمة و الكمد بالتحريك الحزن المكتوم.

٤١٨- ج: [الاحتجاج] روى أبو عبيدة قال كتب معاوية إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام إن لي فضائل كثيرة كان أبي سيداً في الجاهلية و صرت ملكاً في الإسلام و أنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله و خال المؤمنين و كاتب الوحي فقال أمير المؤمنين عليه السلام أبا الفضائل يبغى علي ابن آكلة الأكباد اكتب إليه يا غلام محمد النبي أخى و صهرى و ساق الأبيات إلى قوله^(٣).

(١) رواه العلامة الكراجكي ح في الفصل: (٣) من الرسالة (٣) من كتاب كنز الفوائد: ج ١، ص ١٢٣، وفي ج ٢ ص ٢٣٣.

(٢) وكتب في هامش ط الكلباني من البحار أن في نسخة من كنز الفوائد: «مسطو لحمها بدمي ولحمي».

(٣) رواه الطبرسي ح في أواخر عنوان: «احتجاجه عليه السلام على معاوية في جواب كتبه إليه» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ٢٦٥.

وللأبيات مصادر كثيرة يقف الباحث على عدة منها في كتاب الغدير: ج ٢ ص ٢٥ ط ٢. و قد رويناه أيضاً عن مصادر كثيرة في المختار: (٦٦).

من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام من نهج السعادة: ج ٤ ص ١٦٣، ط ١.

سبقتكم إلى الإسلام طرا

وصلت الصلاة وكنت طفلا

وساق الآيات إلى قوله:

١٣٣
٣٣

مقرا بالنبي في بطن أمي

صغيرا ما بلغت أوان حلمي

فويل ثم ويل ثم ويل

لمن يلقي الإله غدا بظلمي

فقال معاوية اخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب.

١٩م كتاب صفين لنصر بن مزاحم، قال كتب علي عليه السلام إلى معاوية (١).

أصبحت مني يا ابن حرب جاهلا

إن لم نمرام منكم الكواهلا

بالحق والحق يزيل الباطلا

هذا لك العام و عاما قابلا

٢٠م كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي، قال روي أن عليا عليه السلام كتب إلى معاوية (٢):

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية وبعد فإن الله تبارك وتعالى ذا الجلال والإكرام خلق الخلق واختار خيرة من خلقه واصطفى صفوة من عباده يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون (٣) فأمر الأمر وشرع الدين وقسم القسم على ذلك وهو فاعله وجاعله وهو الخالق وهو المصطفى وهو المشرع وهو القاسم وهو الفاعل لما يشاء له الخلق وله الأمر وله الخيرة والمشينة والإرادة القدرة والملك والسلطان.

١٣٤
٣٣

أرسل رسوله خيرته وصفوته بالهدى ودين الحق وأنزل عليه كتابه فيه تبيان كل شيء من شرائع دينه فينبه لقوم يعلمون وفيه فرض الفرائض وقسم فيه سهاماً أحل بعضها لبعض وحرم بعضها لبعض بينا يا معاوية إن كنت تعلم الحجة وضرب أمثالا لا يعلمها إلا العالمون فأنا سائلك عنها أو بعضها إن كنت تعلم واتخذ الحجة بأربعة أشياء على العالمين فما هي يا معاوية ولمن هي واعلم أنهم حجة لنا أهل البيت على من خالفنا ونازعنا وفارقنا وبغى علينا والمستعان الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون.

وكان جملة تبليغه رسالة ربه فيما أمره وشرع وفرض وقسم جملة الدين يقول الله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم هي لنا أهل البيت ليست لكم.

ثم نهى عن المنازعة والفرقة وأمر بالتسليم والجماعة فكنتم أنتم القوم الذين أقرتم لله ولرسوله فبدا لكم فأخبركم الله أن محمدا لم يك أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين (٤) وقال عز وجل أقان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فأنت وشركاؤك يا معاوية القوم الذين انقلبوا على أعقابهم وارتدوا ونقضوا الأمر والعهد فيما عاهدوا الله ونكثوا البيعة ولم يضروا الله شيئا.

ألم تعلم يا معاوية أن الأئمة منا ليست منكم وقد أخبركم الله أن أولي الأمر هم المستنبطوا العلم (٥) وأخبركم أن الأمر الذي تختلفون فيه يرد إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر المستنبطي العلم فمن أوفى بما عاهد الله عليه يجد الله موفيا بعده يقول الله «أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإني آفاهبون» وقال عز وجل «ألم يحسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» وقال للناس بعدهم «فمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ فَبُغُوا مَقْعَدَكُمْ مِنْ جَهَنَّمَ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا» ونحن آل إبراهيم المحسودون وأنت الحاسد لنا.

١٣٥
٣٣

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وعلمه الأسماء كلها واصطفاه على العالمين فحسده الشيطان فكان من الغاوين.

(١) رواه نصر في أوائل الجزء الثالث من كتاب صفين ص ١٣٧، ط ٢ بمصر.

(٢) الحديث وما بعده موجود تحت الرقم: (١٠٠) من تلخيص كتاب الغارات ص ١٩٥ - ٢٠٣ ط ١.

(٣) ما بين القوسين المزدوجين اقتباس من الآية: (٦٨) من سورة القصص: ٢٨.

(٤) هذا هو الظاهر، وفي ط الكلباني من البحار: «وبذلكم».

(٥) مقتبس من الآية: (٤٠) من سورة الأحزاب: ٣٣ «ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين...».

(٦) الظاهر أن هذا هو الصواب، وفي أصلي من ط الكلباني: «أن أولي الأمر المستنبطوا العلم».

ونوحا حسده قومه إذ قالوا ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ ذلك حسد منهم لنوح أن يقروا له بالفضل وهو بشر.

ومن بعده حسدوا هودا إذ يقول قومه ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ قالوا ذلك حسدا أن يفضل الله من يشاء ويختص برحمته من يشاء.

ومن قبل ذلك ابن آدم قابيل قتل هابيل حسدا فكان من الخاسرين.

وطائفة من بني إسرائيل ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ إِنَّهُ لَغُلٌّ عَلَيْنَا﴾^(١) وزعموا أنهم أحق بالملك منه كل ذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وعندنا تفسيره وعندنا تأويله وقد خاب من أفتى وتعرف فيكم شبهه وأمثاله ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالذُّرُّ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فكان نبينا ﷺ قلما جاءهم ما عرّفوا كفّروا به^(٢) حسدا من عند أنفسهم ﴿أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٣) حسدا من القوم على تفضيل بعضنا على بعض.

ألا ونحن أهل البيت آل إبراهيم المحسودون حسدا كما حسد آبائنا من قبلنا سنة ومثلا وقال الله وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ لُوطٍ وَآلِ عِزْرَانَ وَآلِ يَعْقُوبَ وَآلِ مُوسَى وَآلِ هَارُونَ.

وَآلِ دَاوُدَ^(٤) فنحن آل نبينا محمد ﷺ ألم تعلم يا معاوية ﴿إِنَّ أَوَّلَى الْثَأْسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي هَذَا النَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ونحن أولو الأرحام قال الله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

نحن أهل بيت اختارنا الله واصطفانا وجعل النبوة فينا والكتاب لنا والحكمة والعلم والإيمان وبيت الله ومسكن إسماعيل ومقام إبراهيم فالملك لنا وملك يا معاوية.

ونحن أولى بإبراهيم ونحن آل ه و آل عمران وأولى بعمران وآل لوط ونحن أولى بلوط وآل يعقوب ونحن أولى بـ يعقوب وآل موسى وآل هارون وآل داود وأولى بهم وآل محمد أولى به.

ونحن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا^(٥) ولكل نبي دعوة في خاصة نفسه وذريته وأهله ولكل نبي وصية في آل.

ألم تعلم أن إبراهيم أوصى بآبته يعقوب ويعقوب أوصى ببنه إذ حضره الموت وأن محمدا أوصى إلى آل ه و آل إبراهيم والنبين اقتداء بهم كما أمره الله ليس لك منهم ولا منه سنة في النبيين وفي هذه الذرية التي بعضها من بعض قال الله لإبراهيم وإسماعيل^(٦) وهما يرفعان القواعد من البيت ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ فنحن الأمة المسلمة وقالا ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾.

فنحن أهل هذه الدعوة ورسول الله منا ونحن منه بعضنا من بعض وبعضنا أولى ببعض في الولاية والميراث ﴿ذُرِّيَّتُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٧) وعلينا نزل الكتاب وفينا بعث الرسول وعلينا تليت الآيات ونحن المنتحلون للكتاب والشهداء عليه والدعاة إليه والقوام به ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^(٨) أفغير الله يا معاوية تبغي ربا أم غير كتابه كتابا أم غير الكعبة بيت الله ومسكن إسماعيل ومقام أبينا إبراهيم تبغي قبلة أم غير ملته تبغي ديننا أم غير الله تبغي ملكا فقد جعل الله ذلك فينا فقد أبديت عداوتك لنا وحسدا وبغضا ونقضك عهد الله وتحريفك

(١) اقتباس من الآية: (٢٤٦) من سورة البقرة.

(٢) اقتباس من الآية: (٩٠) من سورة البقرة، وأولها: ﴿بَشَرًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ...﴾.

والآية: (١٠٩) من سورة البقرة.

(٣) كذا في أصل المطبوع، والظاهر أن راوي الرسالة نقل لفظ الامام بالمعنى ولم يتحفظ على ألفاظه ﷺ، والكلام إشارة إلى آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى في الآية: (٣٣) من سورة آل عمران: ﴿إِنْ اصْطَفَى آدَمُ نَوْحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

(٤) قطعة من الآية (٣٣) من سورة الأحزاب، والأخبار من طريق أهل السنة متواترة على أن الآية الكريمة نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين وليلاحظ ما رواه الحافظ الحسكاني في تفسير الآية الكريمة من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٠ - ٩٣ ط ١.

(٥) كذا في أصلي فإن صح فالإمام في قوله: «إبراهيم» بمعنى «عن» أي قال الله تعالى حاكيا عن إبراهيم وإسماعيل...

(٦) اقتباس من الآية: (٣٩١) من سورة آل عمران: ٣.

(٧) اقتباس من الآية: (١٨٥) من سورة الأعراف: ٧.

آيات الله و تبديلك قول الله قال الله لإبراهيم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾ أفرغ عن ملته و قد اصطفاه الله في الدنيا و هو في الآخرة من الصالحين أم غير الحكم تبغي حكماً أم غير المستحفظ منا تبغي إماماً الإمامة لإبراهيم و ذريته و المؤمنون تبع لهم لا يرغبون عن ملته قال ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أَدْعُوكَ يَا معاوية إلى الله و رسوله و كتابه و ولي أمره الحكيم من آل إبراهيم و إلي الذي أقررت به زعمت إلى الله و الوفاء بعهدِهِ ﴿وَمِثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (١) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَصَّتْ عَنْ رُبِّهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾.

فنحن الأمة الأربى ف ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢) اتبعنا و اقتد بنا فإن ذلك لنا آل إبراهيم على العالمين مفترض فإن الأئمة من المؤمنين و المسلمين تهوي إلينا و ذلك دعوة المرء المسلم فهل تنقيم ميثاً إلّا أن آمناً بالله و ما أنزل إلينا (٣) و اقتدينا و اتبعنا ملة إبراهيم صلوات الله عليه و على محمد و آله.

فكتب إليه معاوية من أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب قد انتهى إلي كتابك فأكرت فيه ذكر إبراهيم و إسماعيل و آدم و نوح و النبيين و ذكر محمد و قرابتكم منه و منزلتكم و حقك و لم ترض بقرابتك من محمد حتى انتسبت إلى جميع النبيين ألا و إنما كان محمد رسولا من الرسل إلى الناس كافة فبلغ رسالات ربه لا يملك شيئا غيره ألا و إن الله ذكر قوما جعلوا بينه و بين الجنة نسباً و قد خفت عليك أن تضارهم ألا و إن الله أنزل في كتابه أنه لم يك يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لا ولي من الدّل فأخبرنا ما فضل قرابتك و ما فضل حقك و أين وجدت اسمك في كتاب الله و ملكك و إمامتك و فضلك ألا و إنما تقتدي بمن كان قبلنا من الأئمة و الخلفاء الذين اقتديت بهم فكنت كمن اختار و رضي و لسانا منكم قتل خليفتنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان و قال الله ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَانًا﴾ فنحن أولى بعثمان و ذريته و أنتم أخذتموه على رضى من أنفسكم جعلتموه خليفة و سمعتم له و أطعتم.

فأجابه علي عليه السلام.

أما الذي غيرتني به يا معاوية من كتابي و كثرة ذكر آبائي إبراهيم و إسماعيل و النبيين فإنه من أحب آباءه أكثر ذكرهم فذكرهم حب الله و رسوله و أنا أعيرك ببعضهم فإن بعضهم بغض الله و رسوله و أعيرك بحبك آباءك و كثرة ذكرهم فإن حبهم كفر.

و أما الذي أنكرت من نسبي من إبراهيم و إسماعيل و قرابتي من محمد ﷺ و فضلي و حقي و ملكي و إمامتي فإنك لم تزل منكراً لذلك لم يؤمن به قلبك إلا و إنا أهل البيت كذلك لا يحينا كافر و لا يغيثنا مؤمن.

و الذي أنكرت من قول الله عز و جل ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ فانكرت أن تكون فيما فقد قال الله ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَرْوَاجُهُمْ أَنهائهم و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ و نحن أولى به و الذي أنكرت من إمامة محمد ﷺ و زعمت أنه كان رسولا و لم يكن إماماً فإن إنكارك على جميع النبيين الأئمة و لكننا نشهد أنه كان رسولا نبيا إماماً ﷺ و لسانك دليل على ما في قلبك و قال الله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ وَ لَوْ نَشَاءُ لَأَرْبِنَا كُفْرَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَائِهِمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ألا و قد عرفناك قبل اليوم و عداوتك و حسدك و ما في قلبك من الرض الذي أخرجه الله و الذي أنكرت من قرابتي و حقي فإن سهما و حقنا في كتاب الله قسمة لنا مع نبينا فقال ﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ و قال ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ و ليس وجدت سهما مع سهم الله و رسوله و سهمك مع الأبعدين لا سهم لك إن فارقتهم فقد أثبت الله سهما و أسقط سهمك بفراقك.

و أنكرت إمامتي و ملكي فهل تجد في كتاب الله قوله لآل إبراهيم ﴿واصطفاهم على العالمين﴾ فهو فضلنا على

(١) اقتباس من الآية: (٧) من سورة المائدة: ٥.

(٢) اقتباس من الآية: (٢١) من سورة الأنفال: ٨، وفيها: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

(٣) اقتباس من الآية: (٥٩) من سورة المائدة: (٥) وهذا نصها: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ نَأْتِيَ بَشَاحَةً وَ مَا نَزَّلَ إِلَيْنَا وَ مَا نَزَّلَ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكْثَرَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

العالمين و تزعم أنك لست من العالمين أو تزعم أنا لستنا من آل إبراهيم فإن أنكرت ذلك لنا فقد أنكرت محمدا ﷺ فهو منا ونحن منه فإن استطعت أن تفرق بيننا وبين إبراهيم صلوات الله عليه وآله وإسماعيل ومحمد وآله في كتاب الله فافعل.

بيان: قوله ﷺ جملة الدين كان يحتمل الجيم والحاء المهملة فعلى الأول لعله بدل أو عطف بيان أو تأكيد لقوله جملة تبليغه وقوله يقول الله بتأويل المصدر خبر ويمكن أن يقرأ يقول الله بالباء الموحدة وعلى الثاني جملة الدين خبر.

قوله ﷺ إن أولى الأمر إشارة إلى قوله سبحانه «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَظِرُونَ مِنْهُمْ».

قوله ﷺ دعوه المرء المسلم لعل المراد به إبراهيم ﷺ حيث قال «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ».

وإنما عبر هكذا بالإشارة إلى أن قائله أحد الذين مر ذكرهما حيث قالوا «اجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ الْآيَةَ».

قوله ﷺ واصطفاهم إشارة إلى قوله سبحانه «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ».

٤٢١- كتاب سليم بن قيس: من عينه بالإسناد عن أبان عنه قال وحدثني أيضا عمر بن أبي سلمة و زعم أبو هريرة العبدى أنه سمعه عن عمر بن أبي سلمة قال إن معاوية دعا أبا الدرداء ونحن مع أمير المؤمنين ﷺ بصفين ودعا أبا هريرة فقال لهما انطلقا إلى علي ﷺ فأقرئاه مني السلام وقولا له والله إني لأعلم أنك أولى الناس بالخلافة وأحق بها مني لأنك من المهاجرين الأولين وأنا من الطلقاء وليس لي مثل سابقتك في الإسلام وقرابتك من رسول الله ﷺ وعلمك بكتاب الله وسنة نبيه عليه وآله السلام ولقد بايعك المهاجرون والأنصار بعد ما تشاوروا قبل ثلاثة أيام ثم أتوك فبايعوك طائعين غير مكرهين وكان أول من بايعك طلحة والزبير ثم نكنا ببيتك ظلما وطلبا ما ليس لهما^(١).

وبلغني أنك تعتذر من قتل عثمان وتبرأ من دمه وتزعم أنه قتل وأنت قاعد في بيتك وأنت قد قلت حين قتل اللهم لم أرض ولم أمألى وقلت له يوم الجمل حين نادوا يا ثارات عثمان قلت كبت قتلة عثمان ليوم لوجههم إلى النار أنحن قتلناه إنما قتله هما وصاحبتهما وأمروا بقتله وأنا قاعد في بيتي وأنا ابن عم عثمان والمطالب بدمه. فإن كان الأمر كما قلت فأمكننا من قتلة عثمان وادفعهم إلينا تقتلهم بائن عنا وبايعك وتسلم إليك الأمر هذه واحدة. وأما الثانية فقد أنبأتني عيوني وأتتني الكتب عن أولياء عثمان ممن هو معك يقاتل وتحسب أنه على رأيك وراض بأمرك وهواه معنا وقلبه عندنا وجسده معك وإنك تظهر ولاية أبي بكر وعمر وترحم عليهما وتكف عن عثمان ولا تذكره ولا ترحم عليه ولا تلعنه. وفي رواية أخرى ولا تسبه ولا تتبرأ منه.

وبلغني أنك إذا خلوت ببطانتك الخبيثة وشيعتك وخاصتك الضالة المغيرة الكاذبة تبرأت عندهم من أبي بكر وعمر وعثمان ولعنتمهم وادعيت أنك وصي رسول الله في أمته وخليفته فيهم وأن الله تعالى جل اسمه فرض على المؤمنين طاعتك وأمر بولايتك في كتابه وسنة نبيه ﷺ وأنه أمر محمدا أن يقوم بذلك في أمته وأنه أنزل عليه «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» فجمع قريشا والأنصار وبني أمية بغدير خم وفي رواية أخرى فجمع أمته بغدير خم فبلغ ما أمر به فيك عن الله وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب وأخبرهم أنك أولى بهم من أنفسهم وأنت منه بمنزلة هارون من موسى.

وبلغني أنك لا تخطب خطبة إلا قلت قبل أن تنزل عن منبرك والله إني لأولى بالناس وما زلت مظلوما منذ قبض رسول الله ﷺ والله لئن كان ما بلغني عنك حقا فلظلم أبي بكر وعمر إياك أعظم من ظلم عثمان لأنه بلغني أنك تقول لقد قبض رسول الله ونحن شهداء فانطلق عمر وبايع أبا بكر وما استأمرك ولا شاورك ولقد خاسم الرجلان

الأنصار بحقك و حجتك و قرابتك من رسول الله ﷺ و لو سلما لك الأمر و بايعاك كان عثمان أسرع الناس إلى ذلك لقرابتك منه و حَقَّ عليه لأنه ابن عمك و ابن عمتك.

ثم عمد أبو بكر فردها إلى عمر عند موته ما شاورك و لا استأمرَكَ حين استخلفه و بايع له.

ثم جعلك عمر في الشورى بين ستة منكم و أخرج منها جميع المهاجرين و الأنصار و غيرهم فوليت ابن عوف أمركم في اليوم الثالث حين رأيتم الناس قد اجتمعوا و اخترطوا سيوفهم و حلفوا بالله لئن غابت الشمس و لم تختاروا أحدكم لنضربن أعناقكم و لننفيذ فيكم أمر عمر و وصيته فوليتم أمركم ابن عوف فبايع عثمان و بايعتموه.

ثم حصر عثمان فاستصركم فلم تنصروه و دعاكم فلم تجيبوه و بيعته في أعناقكم و أنتم يا معشر المهاجرين و الأنصار حضور شهود فخليتم بينه و بين أهل مصر فخليتم حتى قتلوه و أعانهم طوائف منكم على قتله و خذله عامتكم فصرتم في أمره بين قاتل و آمر و خاذل ثم بايعك الناس و أنت أحق بها مني فأمكنني من قتل عثمان حتى أقتلهم و أسلم الأمر لك و أبايك أنا و جميع من قبلي من أهل الشام.

فلما قرأ علي رضي الله عنه كتاب معاوية و بلغه أبو الدرداء رسالته و مقالته قال علي رضي الله عنه لأبي الدرداء قد أسلفتاني ما أرسلكما به معاوية فاسمعا مني ثم أبلغاه عني و قولا له:

١٤٤
٣٣ إن عثمان بن عفان لا يعدو أن يكون أحد رجلين إما إمام هدى حرام الدم واجب النصرة لا تحل معصيته و لا يسع الأمة خذلانه أو إمام ضلالة حلال الدم لا تحل ولايته و لا نصرته فلا يخلو من إحدى الخصلتين الواجب في حكم الله و حكم الإسلام على المسلمين بعد ما يموت إمامهم أو يقتل ضالاً كان أو مهتدياً مظلوماً كان أو ظالماً حلال الدم أو حرام الدم أن لا يعملوا عملاً و لا يحدثوا حدثاً و لا يقدموا يداً و لا رجلاً و لا يبدعوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً يجمع أمرهم عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء و السنة يجمع أمرهم و يحكم بينهم و يأخذ للمظلوم من الظالم و يحفظ أطرافهم و يجبي فيهم و يقيم حجتهم و جمعتهم و يجبي صدقاتهم ثم يحتكمون إليه في إمامهم المقتول ظلماً ليحكم بينهم بالحق فإن كان إمامهم قتل مظلوماً حكم لأوليائه بدمه و إن كان قتل ظالماً انظر كيف كان الحكم في هذا.

و إن أول ما ينبغي للمسلمين أن يفعلوه أن يختاروا إماماً يجمع أمرهم إن كانت الخيرة لهم و يتابعوه و يطيعوه و إن كانت الخيرة إلى الله عز و جل و إلى رسوله فإن الله قد كفاهم النظر في ذلك و الاختيار و رسول الله ﷺ قد رضي لهم إماماً و أمرهم بطاعته و اتباعه.

و قد بايعني الناس بعد قتل عثمان و بايعني المهاجرون و الأنصار بعد ما تشاوروا بي ثلاثة أيام و هم الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان و عقدوا إمامتهم و لي بذلك أهل بدر و السابقة من المهاجرين و الأنصار غير أنهم بايعوهم قبل علي غير مشورة من العامة و إن بيعتي كانت بمشورة من العامة.

فإن كان الله جل اسمه جعل الاختيار إلى الأمة و هم الذين يختارون و ينظرون لأنفسهم و اختيارهم لأنفسهم و نظرهم لها خير لهم من اختيار الله و رسوله لهم و كان من اختاروه و بايعوه بيعته بيعة هدى و كان إماماً واجباً على الناس طاعته و نصرته فقد تشاوروا في و اختاروني بإجماع منهم.

و إن كان الله جل و عز هو الذي يختار و له الخيرة فقد اختراني للأمة و استخلفني عليهم و أمرهم بطاعتي و نصرتي في كتابه المنزل و سنة نبيه ﷺ فذلك أقوى بحجتي و أوجب بحقي.

١٤٥
٣٣ ولو أن عثمان قتل على عهد أبي بكر و عمر أكان لمعاوية قتالهما و الخروج عليهما للطلب قال أبو هريرة و أبو الدرداء لا قال علي رضي الله عنه فكذلك أنا فإن قال معاوية نعم فقولاً له إذن يجوز لكل من ظلم بمظلمة أو قتل له قتيلاً أن يشق عصا المسلمين و يفرق جماعتهم و يدعو إلى نفسه مع أن ولد عثمان أولى بطلب دم أبيهم من معاوية.

قال فسكت أبو الدرداء و أبو هريرة و قالاً قد أنصفت من نفسك قال علي رضي الله عنه و لعمرى لقد أنصفتي معاوية إن تم على قوله و صدق ما أعطاني فهو لأبني عثمان رجال قد أدركوا ليسوا بأطفال و لا مولى عليهم فليأتوا أجمع بينهم و بين قتل أبيهم فإن عجزوا عن حجتهم فليشهدوا لمعاوية بأنه وليهم و وكيلهم في خصومتهم و ليستعدوا هم

وخصاؤهم بين يدي مقعد الخصوم إلى الإمام والوالي الذين يقرون بحكمه وينفذون قضاءه فانظر في حجتهم وحجة خصامهم فإن كان أبوهم قتل ظالما وكان حلال الدم أبطلت دمه وفي رواية أخرى أهدرت دمه وإن كان أبوهم قتل مظلوما حرام الدم أقدمتهم من قاتل أبيهم فإن شاءوا قتلوا وإن شاءوا عفوا وإن شاءوا قبلوا الدية.

وهؤلاء قتلة عثمان في عسكري يقرون بقتله ويرضون بحكمي عليهم فليأتني ولد عثمان ومعاوية إن كان وليهم وكيلهم فليخاصموا قتله وليحاكمهم حتى أحكم بينهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإن كان معاوية إنما يتجنى ويطلب الأعاليل والأباطيل فليتجن ما بدا له فسوف يعين الله عليه.

قال أبو الدرداء وأبو هريرة قد والله أنصفت من نفسك وزدت على النصفة وأزحت علته وقطعت حجته وجئت بحجة قوية صادقة ما عليها لون.

ثم خرج أبو هريرة وأبو الدرداء فإذا نحو من عشرين ألف رجل مقعنين في الحديد فقالوا نحن قتلة عثمان مقرون راضون بحكم علي عليه السلام علينا ولنا فليأتنا أولياء عثمان فليحاكمونا إلى أمير المؤمنين عليه السلام في دم أبيهم وإن وجب علينا القود أو الدية اصطبنا لحكمه وسلمنا فقالا قد أنصفتم ولا يحل لعلي عليه السلام دفعكم ولا تقتلكم حتى يحاكمكم إليه فيحكم بينكم وبين أصحابكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وانطلق أبو الدرداء وأبو هريرة حتى قدما على معاوية فأخبراه بما قال علي عليه السلام وما قال قتلة عثمان وما قال أبو النعمان بن صمان^(١).

فقال معاوية فما رد عليكما في ترجمه علي أبي بكر وعمر وكفه عن الترحم على عثمان وبرأته منه في السر وما يدعي من استخلاف رسول الله ﷺ إياه وأنه لم يزل مظلوما منذ قبض رسول الله ﷺ قالوا بلى قد ترجم علي أبي بكر وعمر وعثمان عندنا ونحن نسمع ثم قال لنا فما يقول:

إن كان الله جعل الخيار إلى الأمة فكانوا هم الذين يختارون وينظرون لأنفسهم وكان اختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها خيرا لهم وأرشد من اختيار الله واختيار رسول الله ﷺ فقد اختاروني وبايعوني فبيعتي بيعة هدى وأنا إمام واجب على الناس نصرتي لأنهم قد تشاوروا في واختاروني وإن كان اختيار الله واختيار رسوله خيرا لهم وأرشد من اختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها فقد اختارني الله ورسوله للأمة واستخلفاني عليهم وأمرهم بنصرتي وطاعتي في كتاب الله المنزل على لسان نبيه المرسل وذلك أقوى بحجتي وأوجب لحقي.

ثم صعد المنبر في عسكره وجمع الناس ومن حضرته من النواحي والمهاجرين والأنصار ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

معاشر الناس إن مناقبي أكثر من أن تحصى وبعد ما أنزل الله في كتابه من ذلك وما قال رسول الله ﷺ إني سأنبئكم عن خصال سبعة قالها رسول الله ﷺ اكفني بها من جميع مناقبي وفضلي أعلمون أن الله فضل في كتابه الناطق السابق إلى الإسلام في غير آية من كتابه على المسبوق وأنه لم يسبقني إلى الله ورسوله أحد من الأمة قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أعلمون ما سئل رسول الله ﷺ عن قوله «الشَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» فقال رسول الله ﷺ أنزلها الله في الأنبياء وأوصيائهم وأنا أفضل أنبياء الله ورسله ووصي علي بن أبي طالب ﷺ أفضل الأوصياء.

فقام نحو من سبعين بدريا جلهم من الأنصار وبقيتهم من المهاجرين منهم أبو الهيثم بن التيهان وخالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري وفي المهاجرين عمار بن ياسر فقالوا نشهد أنها قد سمعنا رسول الله ﷺ قال ذلك.

قال فأنشدكم بالله في قول الله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» وقوله «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ زَاكِيُونَ» الآية^(٢) ثم قال وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً^(٣) فقال الناس يا رسول الله أخاص بعض المؤمنين أم عام لجميعهم فأمر

(١) كذا.

(٢) وهي الآية: (٥٥) من سورة المائدة، وليراجع ما رواه أبو نعيم الحافظ في شأن نزول الآية الكريمة من كتاب النور المشتعل ص ٦١ - ٨١ وما رواه الحافظ الحصكفي في كتاب شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٦١ - ١٨٤، ط ١.

(٣) وهي الآية: (١٦) من سورة التوبة وإليك تمام الآية: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَنْ يُفْعَلَ بِالَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا

الله عز وجل رسوله أن يعلمهم وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجهم فنصبتني للناس بغدير خم وقال إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذبني بها فأودعني لأبلغنها أو يعذبني قم يا علي ثم نادى بأعلى صوته بعد أن أمر بلالا أن ينادي بالصلاة جامعة فصلى بهم الظهر ثم قال أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فقام إليه سلمان الفارسي فقال يا رسول الله ولاؤه فيما ذا فقال ولاؤه كولايتي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه وأنزل الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

١٤٨
٣٣

فقال سلمان يا رسول الله أنزلت هذه الآيات في علي خاصة فقال فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة فقال سلمان يا رسول الله ﷺ بينهم لنا فقال علي ﷺ أخي وزيري وصيي وصنوي ووارثي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي وأحد عشر إماما من ولده الحسن ثم الحسين ﷺ ثم تسعة من ولد الحسين ﷺ واحد بعد واحد القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه حتى يردوا علي الحوض.

نقام اثنا عشر رجلا من البدرين فقالوا نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ كما قلت سواء لم تزد حرفا ولم تنقص حرفا وقال بقية السبعين قد سمعنا ذلك ولم نحفظه كله وهؤلاء الاثنا عشر خيارنا وأفضلنا فقال صدقتم ليس كل الناس يحفظ بعضهم أحفظ من بعض.

فقام من الاثني عشر أربعة أبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب وعمار وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقالوا نشهد أنا قد سمعنا قول رسول الله ﷺ وحفظنا أنه قال يومئذ هو قائم وعلي ﷺ قائم إلى جانبه أيها الناس إن الله أمرني أن أنصب لكم إماما يكون وصيي فيكم وخليفتي في أمتي وفي أهل بيتي من بعدي والذي فرض الله على المؤمنين في كتابه طاعته وأمرهم فيه بولايته فراجعت ربي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأودعني لأبلغها أو يعذبني.

١٤٩
٣٣

أيها الناس إن الله أمركم في كتابه بالصلاة وقد بينتها لكم وسنتها والزكاة والصوم والحج فبينتها وفسرتها لكم وأمركم في كتابه بالولاية وإني أشهدكم أيها الناس أنها خاصة لعلي بن أبي طالب ﷺ والأوصياء من ولدي وولد أخي وصيي علي أولهم ثم الحسن ثم الحسين ثم تسعة من ولد الحسين ﷺ لا يفارقون الكتاب حتى يردوا علي الحوض.

أيها الناس إني قد أعلمتكم مفزعكم وإمامكم بعدي ودليلكم وهاديكم وهو أخي علي بن أبي طالب ﷺ وهو فيكم بمنزلة قلده دينكم وأطيعوه في جميع أموركم فإن عنده جميع ما علمني الله عز وجل وأمرني الله أن أعلمه إياكم وأعلمكم أنه عنده فاسألوه وتعلموا منه ومن أوصيائه بعده ولا تعلموه ولا تتقدموه ولا تتخلفوا عنهم فإنهم مع الحق والحق معهم لا يزالونه ولا يزالهم.

ثم قال علي ﷺ لأبي الدرداء وأبي هريرة ومن حوله: يا أيها الناس أعلمون أن الله تبارك وتعالى أنزل في كتابه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فجمعني رسول ﷺ وفاطمة والحسن والحسين في كساء وقال اللهم هؤلاء أحبتي وعترتي وحماتي وأهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

فقلت أم سلمة وأنا فقال إنك إلى خير وإنما أنزلت في وفي أخي علي وابنتي فاطمة وابني الحسن والحسين صلوات الله عليهم خاصة ليس معنا غيرنا وفي تسعة من ولد الحسين من بعدي.

فقام كلهم فقالوا نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك فسانأنا عن ذلك رسول الله ﷺ فحدثنا به كما حدثتنا أم سلمة. ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن الله جل اسمه أنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فقال سلمان يا رسول الله أمة أم خاصة فقال أما المأمورون فعامة لأن جماعة المؤمنين أمروا بذلك وأما الصادقون فخاصة علي بن أبي طالب وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة وقلت لرسول الله ﷺ في غزوة تبوك يا رسول الله لم خلفني فقال إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة فإنه لا نبي بعدي.

فقام رجال ممن معه من المهاجرين والأنصار فقالوا نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. فقال أنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل في سورة الحج ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا مَا كُنتُمْ عَلَيْهِ إِذْ جَاءَكُمُ الرِّسَالُ فَمَا تَتْلَوْنَ فِيهَا إِلَّا مَوَازِينَ مُتَوَاتِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكُلٌّ فِيهَا خُبْرٌ﴾ إلى آخر السورة^(١) فقام سلمان فقال يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم الله وما جعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيهم إبراهيم قال عني بذلك ثلاثة عشر إنسانا أنا وأخي وأحد عشر من ولدي قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله قام خطيبا ولم يخطب بعدها وقال إني قد تركت فيكم أيها الناس أمرين لن تضلوا ما تمسكتن بهما كتاب الله وأهل بيتي فإنه قد عهد إلي اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فقالوا اللهم نعم قد شهدنا ذلك كله فقال حسبي الله.

فقام الاثنا عشر فقالوا نشهد أن رسول الله ﷺ حين خطب في اليوم الذي قبض فيه قام عمر بن الخطاب شبه المغضب فقال يا رسول الله أكل أهل بيتك فقال لا ولكن أوصيائي منهم علي وأخي وزيري ووارثي وخلفتي في أمي وولي كل مؤمن بعدي هذا أولهم وآخرهم ثم وصي ابني هذا وأشار إلى الحسن ثم وصيه هذا وأشار إلى الحسين ثم وصي ابني وسمي أخي ثم وصيه سمي ثم سبعة من ولده واحد بعد واحد حتى يردوا علي الحوض شهداء لله في أرضه وحججه على خلقه من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله.

فقام السبعون البديرون ونحوهم من الآخرين فقالوا أدركنا وما كنا نسينا نشهد أنا قد سمعنا ذلك من رسول الله فلم يدع شيئا إلا ناشدهم فيه حتى أتى على آخر مناقبه وما قال رسول الله ﷺ فيه كل ذلك يصدقونه ويشهدون أنه حق.

فلما حدث أبو الدرداء وأبو هريرة معاوية بكل ذلك وبما رد عليه الناس وجم من ذلك وقال يا أبا الدرداء يا أبا هريرة لئن كان ما تحدثاني عنه حقا لقد هلك المهاجرون والأنصار غيره وغير أهل بيته وشيعته.

ثم كتب معاوية إلى أمير المؤمنين ﷺ لئن كان ما قلت وادعيت واستشهدت عليه أصحابك حقا لقد هلك أبو بكر وعمر وعثمان وجميع المهاجرين والأنصار غيرك وغير أهل بيتك وشيعتك وقد بلغني ترحمك عليهم واستغفارك لهم وإنهم لعللى وجهين ما لها ثالث أما تيقية إن أنت تبرأت منهم خفت أن يفرق عنك أهل عسكرك الذين تقاتلني بهم وإن كان الذي ادعيت باطلا وكذبا فقد جاءني بعض من تتق به من خاصتك بأنك تقول لشيعةك وبطانتك بطانة السوء إني قد سميت ثلاثة من بني أبي بكر وعمر وعثمان فإذا سمعتموني أترحم على أحد من أئمة الضلالة فإنما أعني بذلك بني والدليل على ذلك وفي رواية أخرى على صدق ما أتوني به ورقوه إلي أن قد رأيناك بأعيننا فلا نحتاج أن نسأل عن ذلك غيرنا وإلا فلم حملت امرأتك فاطمة على حمار وأخذت بيد ابنك الحسن والحسين إذ بويح أبو بكر فلم تدع أحدا من أهل بدر والسابقة إلا وقد دعوتهم واستغفرتهم عليه فلم تجد منهم إنسانا غير أربعة سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير لعمرى لو كنت محقا لأجابوك وساعدوك ونصروك ولكن ادعيت باطلا وما لا يقرون به وسمعتك أذاني وأنت تقول لأبي سفيان حين قال لك غلبك عليه أذل أحياء قريش تيم وعدي ودعاك إلى أن ينصرك فقلت لو وجدت أعوانا أربعين رجلا من المهاجرين والأنصار من أهل السابقة لناهضت الرجل فإنا لم نجد غير أربعة رهط بايعت مكرها.

قال فكتب إليه أمير المؤمنين ﷺ.

أما بعد فقد قرأت كتابك فكثر ما يعجبني مما خطت فيه يدك وأظنبت فيه من كلامك ومن البلاء العظيم والخطب الجليل على هذه الأمة أن يكون مثلك يتكلم أو ينظر في عامة أمرهم أو خاصته وأنت من تعلم وابن من قد علمت وأنا من قد علمت وابن من تعلم وسأجيبك فيما قد كتبت بجواب لا أظنك تعقله أنت ولا وزيرك ابن النابغة عمرو المواقف لك كما وافق شن طبقة فإنه هو الذي أمرك بهذا الكتاب وزينه لك أو حضركما فيه إبليس ومردة أصحابه وفي رواية أخرى ومردة أبالسته وإن رسول الله ﷺ قد كان خبرني أنه رأى على منبره اثني عشر رجلا

أئمة ضلالة من قريش يصعدون على منبر رسول الله ﷺ وينزلون على صورة القروذ يردون أمته على أدبارهم عن الصراط المستقيم اللهم وقد خبرني بأسماهم رجلا رجلا وكم يملك كل واحد منهم واحد بعد واحد عشرة منهم من بني أمية ورجلين من حيين مختلفين من قريش عليهما مثل أوزار الأمة جميعا إلى يوم القيامة ومثل جميع عذابهم فليس دم يهراق في غير حقه ولا فرج يغشى ولا حكم يغير حق إلا كان عليهما وزره^(١).

وسمعه يقول إن بني أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلا جعلوا كتاب الله دخلا وعباد الله خولا ومال الله دولا^(٢) وقال رسول الله ﷺ يا أخي إنك لست كمثلني إن الله أمرني أن أصدع بالحق وأخبرني أنه يعصمني.

من الناس فأمرني أن أجاهد ولو بنفسي ﴿قَالَ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ﴾ وقال ﴿حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾^(٣) وقد مكثت بمكة ما مكثت لم أؤمر بقتال ثم أمرني بالقتال لأنه لا يعرف الدين إلا بي ولا الشرائع ولا السنن والأحكام والحدود والحلال والحرام وإن الناس يدعون بعدي ما أمرهم الله به وما أمرهم فيك من ولايتك وما أظهرت من محبتك متعمدين غير جاهلين مخالفة لما أنزل الله فيك فإن وجدت أعوانا عليهم فجاهدهم فإن لم تجد أعوانا فاكفف يدك واحقن دمك فإنك إن تابذتهم قتلوك وإن تابعوك وأطاعوك فاحملهم على الحق وإلا فادع الناس فإن استجابوا لك وازرؤك فتابذهم وجاهدهم وإن لم تجد أعوانا فاكفف يدك واحقن دمك واعلم أنك إن دعوتهم لم يستجيبوا لك فلا تدعن عن أن تجعل الحجة عليهم إنك يا أخي لست مثلي إني قد أمتت حجتك وأظهرت لهم ما أنزل الله فيك وإنه لم يعلم أنني رسول الله وأن حقي وطاعتي وإجابان حتى أظهرت ذلك وأما أنت فإني كنت قد أظهرت حجتك وقمت بأمرك فإن سكنت عنهم لم تأثم غير أنه أحب أن تدعوهم وإن لم يستجيبوا لك ولم يقبلوا منك وتظاهرت عليك ظلمة قريش فدعهم فإني أخاف عليك إن ناهضت القوم ونايذتهم وجاهدتهم من غير أن يكون معك فئة تقوى بهم أن يقتلوك والتقية من دين الله ولا دين لمن لا تقية له وإن الله قضى الاختلاف والفرقة على هذه الأمة ولو شاء لجمعهم على الهدى ولم يختلف اثنان منها ولا من خلقه ولم يتنازع في شيء من أمره ولم يجحد المفضول ذا الفضل فضله ولو شاء عجل منه النعمة وكان منه التغيير حين يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره والله جعل الدنيا دار الأعمال وجعل الآخرة دار الثواب والعقاب ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ فقلت شكرا لله على نعمائه وصبرا على بلائه وتسليما ورضى بقضائه.

ثم قال يا أخي أبشر فإن حياتك وموتك معي^(٤) وأنت أخي وأنت وصيبي وأنت وزيري وأنت وارثي وأنت تقاتل على سنتي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه أهله وتظاهروا عليه وكادوا يقتلونه فاصبر لظلم قريش وإياك وتظاهروا عليك فإنها ضغائن في صدور قوم لهم أحقاد بدر وتراث أحد وإن موسى أمر هارون حين استخلفه في قومه إن ضلوا فوجد أعوانا أن يجاهدهم بهم فإن لم يجد أعوانا أن يكف يده ويحقن دمه ولا يفرق بينهم فافعل أنت كذلك إن وجدت عليهم أعوانا فجاهدهم وإن لم تجد أعوانا فاكفف يدك واحقن دمك فإنك إن تابذتهم قتلوك واعلم أنك إن لم تكف يدك وتحقن دمك إذا لم تجد أعوانا تخوفت عليك أن يرجع الناس إلى عبادة الأصنام والوجود بأنني رسول الله فاستظهر بالحجة عليهم ودعم ليهلك الناصبون لك والباغون عليك ويسلم العامة والخاصة فإذا وجدت يوما أعوانا على إقامة كتاب الله والسنة قاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فإنما يهلك من الأمة من نصب لك أو لأحد من أوصيائك وعادى وجحد ودان بخلاف ما أئمت عليه.

(١) وهذا من فروع مسألة وقاعدة: «من سنَّ سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» والقاعدة متواترة عن رسول الله وقد رواها مسلم بأسانيد كثيرة من باب الحث على الصدقة وهو الباب: (٢٠) من كتاب الزكاة (١٢) تحت الرقم: (١٠٧) وفي باب: «من سنَّ سيئة حسنة أو سيئة...» وهو الباب (٦) من كتاب العلم: (٤٧) من صحيحه: ج ٢ ص ٧٠٤ وج ٤ ص ٢٠٥٩ ط دار الإحياء للتراث. ورواها أيضا الطبراني في ترجمة جبريل أو جابر من كتاب المعجم الكبير.

(٢) ولهذا القطعة من الكلام أيضا شواهد في كتب أهل السنة ولها مصادر. وقد رواها الحافظ ابن عساكر بأسانيد في ترجمة معاوية ومروان من تاريخ دمشق، وبعض طرقها ينتهي إلى معاوية نفسه. (٣) الآية: ٤٨ و ٦٥ / الأنفال. وكان في الأصل: جاهد في سبيل الله.

(٤) ولهذا القطعة من الحديث أسانيد ومصادر. وقد رواها أهل السنة بأسانيدهم التي تنتهي إلى الشهيد الفقيه المجاهد قتيب القلظة والطفاة والمنافقين جبر بن عدي الكندي رفع الله درجاته. وإيراجع الحديث: (٩٤٦) وما بعده وتعليقاتها من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ج ٢ ص ٤٣٤ - ٤٣٦ ط ٢.

ولعمري يا معاوية لو ترحمت عليك وعلى طلحة والزبير كان ترحمي عليكم واستغفاري لكم لعنة عليكم وعذابا وما أنت وطلحة والزبير بأعظم جرما ولا أصغر ذنبا ولا أهون بدعة وضلالة من الذين أسسا لك ولصاحبك الذي تطلب بدمه ووطنا لكما ظلمنا أهل البيت وحملاكم على رقابنا قال الله تبارك وتعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعِوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا أَلَمْ نَصِيبْكَ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَلَمْ يَخْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَفُتِنَ النَّاسَ وَنَحْنُ الْمَحْسُودُونَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَقَدْ أَتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فالملك العظيم أن جعل منهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله والكتاب والحكمة والنبوة فلم يقرنوا بذلك في آل إبراهيم وينكرونها في آل محمد ﷺ.

يا معاوية فإن تكفر بها أنت وصاحبك ومن قبلك من طعام أهل الشام واليمن والأعراب أعراب ربيعة ومضر جفاة الأمة فقد وكل الله بها قوماً يُنْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ^(١).

يا معاوية إن القرآن حق ونور وهدى وشفاء للمؤمنين وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى^(٢). يا معاوية إن الله لم يدع صفنا من أصناف الضلالة والدعاة إلى النار إلا وقد رد عليهم واحتج عليهم في القرآن ونهى عن اتباعهم وأزل فيهم قرآنا ناطقا علمه من علمه وجهله من جهله إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما من حرف إلا وله تأويل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. وفي رواية أخرى وما منه حرف إلا وله حد مطلع على ظهر القرآن وبطنه وتأويله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الراسخون في العلم نحن آل محمد وأمر الله سائر الأمة أن يقولوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ وَأَنْ يَسْلَمُوا إِلَيْنَا وَيُرَدُّوا الْأَمْرُ إِلَيْنَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَشِيرُونَ مِنْهُمْ﴾ هم الذين يسألون عنه ويطلبونه.

ولعمري لو أن الناس حين قبض رسول الله ﷺ سلموا لنا واتبعونا وقلدوا أمورهم لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ولما طعنت أنت يا معاوية فما فاتهم منا أكثر مما فاتنا منهم.

ولقد أنزل الله في وفيك آيات من سورة خاصة الأمة بأولونها على الظاهر ولا يعلمون ما الباطن وهي في سورة العاقبة فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُدْعَى بِكُلِّ إِمَامٍ ضَلَالَةٍ وَإِمَامٍ هُدًى وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ الَّذِينَ بَايعُوهُ فَيُدْعَى بِبَيْتِهِ وَبَيْتِكَ يَا معاوية وأنت صاحب السلسلة الذي يقول ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيَّةً وَلَمْ أَذَرْ مَا جَنَابِيَّةً﴾ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك وكذلك كل إمام ضلالة كان قبلك أو يكون بعدك له مثل ذلك من خزي الله وعذابه ونزل فيكم قول الله عز وجل ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾^(٣) وذلك أن رسول الله رأى اثني عشر إماما من أئمة الضلالة على منبره يردون الناس على أدبارهم القهقري رجلان من قریش وعشرة من بني أمية أول العشرة صاحبك الذي تطلب بدمه وأنت وابنك وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص أولهم مروان^(٤) وقد لعنه رسول الله ﷺ وطرده وما ولد حين أسمع نبينا رسول الله ﷺ.

إن أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولم يرض لنا الدنيا ثوابا وقد سمعت رسول الله أنت ووزيرك وصويحك يقول إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا كتاب الله دخلا وعباد الله خولا ومال الله دولا.

يا معاوية إن نبي الله زكريا نشر بالمنشار ويحيى ذبح وقته وهو يدعوهم إلى الله عز وجل وذلك لهوان

(١) اقتباس من الآية: (٨٩) من سورة الأنعام وهذا نصها: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.

(٢) إشارة إلى الآية: (٤٤) من سورة فصلت: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ. وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى...﴾.

(٣) وهي الآية: (٦٠) من سورة الإسراء: (١٧). وقد روى الحافظ الكبير ابن عساکر بأسانيد نزول الآية الكريمة في بني أبي العاص بن الربيع في ترجمة مروان من تاريخ دمشق.

ورواه أيضا العلامة الأميني ح عن مصادر كثيرة جداً في عنوان: «الحكم [بن أبي العاص] في القرآن» من كتاب الغدير: ج ٨ ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

(٤) في النسخ هنا تصحيف واشتباه فخلقا بني أمية على المشهور أربعة عشر عثمان ومعاوية ويزيد ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن وليد الناقص وإبراهيم بن الوليد ومروان بن محمد وعلى بعض النسخ لعله أسقط بعضهم قلعة ملكهم وعدم استقرار أمرهم كما يظهر من التواريخ من ح.

الدنيا على الله إن أولياء الشيطان قد حاربوا أولياء الرحمن قال الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ

بَغْيٍ حَتَّىٰ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

يا معاوية إن رسول الله قد أخبرني أن أمته سيخضبون لحيتي من دم رأسي و إني مستشهد و ستلي الأمة من بعدي و أنك ستقتل ابني الحسن غدرا بالسم و إن ابنك يزيد لعنه الله سيقتل ابني الحسين يلي ذلك منه ابن زانية و إن الأمة سيليهما من بعدك سبعة من ولد أبي العاص و ولد مروان بن الحكم و خمسة من ولده تكلمه اثنا عشر إماما قد رآهم رسول الله يتواثبون على منبره تواب القردة يردون أمته عن دين الله على أدبارهم القهقري و إنهم أشد الناس عذابا يوم القيامة و إن الله سيخرج الخلافة منهم برايات سود تقبل من المشرق يذلهم الله بهم و يقتلهم تحت كل حجر و إن رجلا من ولدك ميشوم و ملعون جلف جاف منكوس القلب فظ غليظ قاس قد نزع الله من قلبه الرأفة والرحمة أخواله من كلب كآني أنظر إليه و لو شئت لسميته و وصفته و ابن كم هو فيبعث جيشا إلى المدينة فيدخلونها فيسرفون فيها في القتل و الفواحش و يهرب منهم رجل من ولدي زكي تقي الذي يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا و إني لأعرف اسمه و ابن كم هو يومئذ و علامته و هو من ولد ابني الحسين ﷺ الذي يقتله ابنك يزيد و هو النائر بدم أبيه فيهرب إلى مكة و يقتل صاحب ذلك الجيش رجلا من ولدي زكيا بريئا عند أحجار الزيت ثم يصير ذلك الجيش إلى مكة و إني لأعلم اسم أميرهم و عدتهم و أسمائهم و سمات خيولهم فإذا دخلوا البيداء و استوت بهم الأرض خسف بهم قال الله عز و جل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا قَوْلًا قُوتَ وَ اخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال من تحت أقدامهم فلا يبقى من ذلك الجيش أحد غير رجل واحد يقلب الله وجهه من قبل قفاه و يبعث الله للمهدي أقواما يجمعون من أطراف الأرض قزح كقزح الخريف و الله إني لأعرف أسماءهم و اسم أميرهم و مناخ ركايبهم فيدخل المهدي الكعبة و يبكي و يتضرع قال جل و عز ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يُكَفِّ السُّوءَ وَ يُجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ هذا لنا خاصة أهل البيت.

١٥٨
٣٣

أما و الله يا معاوية لقد كتبت إليك هذا الكتاب و إني لأعلم أنك لا تنتفع به و أنك ستفرح إذا أخبرتك أنك ستلي الأمر و ابنك بعدك لأن الآخرة ليست من بالك و إنك بالآخرة لمن الكافرين و ستندم كما ندم من أسس هذا الأمر لك و حملك على رقابنا حين لم تنفعه الندامة.

و مما دعاني إلى الكتاب بما كتبت به إني أمرت كاتبي أن ينسخ ذلك لشيعتي وأصحابي لعل الله أن ينفعهم بذلك أو يقرأه واحد من قبلك فخرج الله به من الضلالة إلى الهدى ومن ظلمك وظلم أصحابك وفتنتكم وأحببت أن أحتج عليك. فكتب إليه معاوية هنيئا لك يا أبا الحسن تملك الآخرة و هنيئا لنا تملك الدنيا.

بيان: قال الجوهري مآلته على الأمر مملأة ساعدته عليه و شايعته و في الحديث ما قتل عثمان و لا مآلات على قتله و قال القود القصاص و أقدت القاتل بالقتيل أي قتلته به يقال أقاده السلطان من أخيه و استقدت الحاكم أي سألته أن يقيد القاتل بالقتيل و قال زاح الشيء بعد و ذهب ما عليها لون اللون الدقل و هو أردأ الثمر أي ما ذكرت في حجتك كلها قوية ليس فيها كلام ضعيف تشبيها بهذا النوع من الثمر و قال الجوهري قولهم وافق شن طبقة قال ابن السكيت هو شن بن أقصى بن عبد القيس و طبق حي من إباد و كانت شن لا يقام لها فواقعتها طبق فانتصفت منها فليل وافق شن طبقة^(١) وافقه فاعتنقه انتهى.

و سيأتي الكلام فيه و في أجزاء الخبر.

١٥٩
٣٣

٤٢٢- نبي: (الغيبة للنعمان) ابن عقدة و محمد بن همام و عبد العزيز و عبد الواحد ابنا عبد الله بن يونس عن رجالهم عن عبد الرزاق بن همام عن معمر بن راشد عن أبان بن أبي عياش^(٢).

وأخبرنا به من غير هذه الطرق هارون بن محمد عن أحمد بن عبيد الله بن جعفر بن المعلى الهمداني عن عمرو بن

(١) وشنَ حَيَّ بن عبد القيس وهو شن بن أقصى بن عبد القيس بن أقصى بن دعمه بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار منهم الأعور الشني وفي المثل وافق [شنَ طبقة]. كذا في هامش هذا المقام من البحار ط الكلباني.

(٢) رواه النعماني ح في الحديث: (٨) من الباب: ﷺ من كتاب الغيبة ص ٤٥ ط ٢.

جامع بن عمرو الكندي عن عبد الله بن المبارك شيخ لنا كوفي ثقة عن عبد الرزاق بن همام عن معمر عن أبي عياش عن سليم. و ذكر أبان أنه سمعه أيضا عن عمر بن أبي سلمة.

قال معمر و ذكر إبراهيم العبيدي أنه أيضا سمعه عن عمر بن أبي سلمة عن سليم إن معاوية لما دعا أبا الدرداء و أبا هريرة و نحن مع أمير المؤمنين صلوات الله عليه في صفين فحملهما الرسالة إلى أمير المؤمنين و أدياها إليه قال قد بلغتماني ما أرسلكم به معاوية فاستمعاني و أبلغاه عني كما بلغتماني قالوا نعم فأجابهم علي عليه السلام الجواب بطوله حتى انتهى إلى ذكر نصب رسول الله صلى الله عليه و آله إياه بقدير خم.

و ساق الحديث نحو ما رويناه من كتاب سليم إلى قوله فانطلق أبو الدرداء و أبو هريرة فحدثنا معاوية بكل ما قال علي عليه السلام و استشهد عليه و ما رد عليه الناس و شهدوا به.

باب ١٧

باب ما ورد في معاوية و عمرو بن العاص و أوليائهما و قد مضى بعضها في باب مثالب بني أمية

١٦١
٣٣ ٤٢٣-فس: [تفسير القمي] «وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ لَهُمْ عَلَى سَوَاءٍ» نزلت في معاوية لما خان أمير المؤمنين عليه السلام (١).

بيان: لعل المراد أن أمير المؤمنين عمل بهذا الحكم في معاوية قال البيضاوي و «وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ» معاهدين خيانة تقض عهد تلوح لك «فَأَنْذِرْ لَهُمْ» فاطرح إليهم عهدهم على سواء على عدل أو طريق قصد في العداوة و لا تتاجزهم الحرب فإنه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد

٤٢٤-قب: [الناقب لابن شهر آشوب] المحاضرات عن الراغب أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام لا يموت ابن هند حتى يعلق الصليب في عنقه و قد رواه الأحنف بن قيس و ابن شهاب الزهري و الأعمش الكوفي و أبو حيان التوحيدي و أبو النلاج في جماعة فكان كما قال عليه السلام (٢).

١٦٢
٣٣ ٤٢٥-فس: [تفسير القمي] «وَمَنْ يَغْصِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي وِلَايَةِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» «فَإِنْ لَهُ نَارٌ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» قال النبي صلى الله عليه و آله يا علي أنت قسيم النار تقول هذا لي و هذا لك قالوا فمتى يكون متى ما تعدنا يا محمد من أمر علي و النار فانزل الله تعالى «حَتَّى إِذَا زُرْنَا مَا يُوْعَدُونَ» يعني الموت و القيامة «فَسَيَعْلَمُونَ» يعني فلانا و فلانا و معاوية و عمرو بن العاص و أصحاب الضغائن من قريش «مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلُ عَدُوًّا» (٣) (٤).

٤٢٦-فس: [تفسير القمي] محمد بن جعفر عن محمد بن عيسى عن زياد عن الحسن بن علي بن فضال عن ابن بكير عن الحسن بن زياد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله «وَأَنَا لَا تَذَرِي أَشْرًا أُرِيدُ بِنَّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا» فقال لا بل و الله شر أريد بهم حين بايعوا معاوية و تركوا الحسن بن علي صلوات الله عليهم (٥).

(١) رواه علي بن إبراهيم في تفسير الآية: (٥٨) من سورة الأنفال: (٨). ورواه عنه البحراني في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج ٢ ص ٩٠، ط ٣.

(٢) الناقب لابن شهر آشوب، فصل «في إخباره بالغيب»، ج ٢، ص ٢٥٩، ط إيران.

(٣) هذا هو الظاهر، وفي أصلي: «فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً» يعني فلانا و معاوية و عمرو بن العاص و أصحاب الضغائن من قريش «من أضعف ناصراً وأقل عدداً».

(٤) رواه علي بن إبراهيم في تفسير الآية الكريمة وهي الآية: (٢٣) من سورة الجن: (٧٢) من تفسيره.

(٥) ورواه أيضاً عنه السيد هاشم البحراني ح في تفسير الآية الكريمة من سورة الجن من تفسير البرهان: ج ٤ ص ٣٩٣.

(٥) رواه علي بن إبراهيم ح في تفسير الآية: (١٠) من سورة الجن من تفسيره.

٤٢٧- ن: [عيون أخبار الرضا] بإسناد التميمي عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن أمير المؤمنين قال لقد علم المستحفظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أن أهل صفين قد لعنهم الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى^(١).

٤٢٨- فس: [تفسير القمي] «فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى» فإنه كان سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا إلى بيعة علي يوم غدیر خم فلما بلغ الناس وأخبرهم في علي ما أراد الله أن يخبرهم به رجعوا الناس فاتكأ معاوية على المغيرة بن شعبه وأبي موسى الأشعري ثم أقبل يتمطى نحو أهله ويقول والله ما نقر علي بالولاية أبدا ولا نصدق محمدا مقاتله فيه فأنزل الله جل ذكره «فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ» وعيدا للفاقد فقصده رسول الله المنبر وهو يريد البراءة منه فأنزل الله «لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَفْجَلَ بِهِ» فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمه^(٢).

بيان: فَلَا صَدَقَ من الصدق أو التصديق يَتَمَطَّى أي يتبخر افتخارا بذلك أُولَئِكَ ولعل لك

٤٢٩- فس: [تفسير القمي] دخل رسول الله المسجد وفيه عمرو بن العاص والحكم بن أبي العاص فقال عمرو يا أبا الأيتير وكان الرجل في الجاهلية إذا لم يكن له ولد يسمى أيتير ثم قال عمرو وإني لأشأن محمدا أي أبغضه فأنزل الله على رسوله «إِنَّ شَأْنَكُمْ» أي مبغضكم عمرو بن العاص «هُوَ الْأَيْتِيرُ» يعني لا دين له ولا نسب^(٣).

٤٣٠- يب: [تهذيب الأحكام] ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى أهل مكة أن يؤجروا دورهم وأن يغلقوا عليها أبوابا وقال سَوَاءُ الْغَاكُفِ فِيهِ وَالتَّيَّابِ قَالَ وفعل ذلك أبو بكر وعمر و عثمان وعلي عليهم السلام حتى كان في زمن معاوية^(٤).

٤٣١- مع: [معاني الأخبار] المكتب عن ابن زكريا عن ابن حبيب عن نصر بن عبيد عن نصر بن مزاحم عن عبد الغفار بن القاسم عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال أقبل أبو سفيان ومعاوية يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقيس قال ابن البراء لأبيه من الأقيس قال معاوية^(٥).

٤٣٢- كتاب صفين، مثله^(٦).

قال الصدوق رضي الله عنه الأقيس تصغير الأقس وهو الملتوي العنق والقعاس التواء يأخذ في العنق من ريح كأنما يكسرهم إلى ما وراءه والأقس العزيز الممتنع ويقال عز أقفس والقوعس:

الغليظ العنق الشديد الظهر من كل شيء والقوعس الشيخ الكبير والقفس نقيض الحذب والفعل قعس يقعس قعسا والجمع قعساوات وقعس والقعساء من النملة الرفاعة صدرها وذنبها والاقعساس شدة والتقعاس هو من تقاعس فلان إذا لم ينفذ ولم يمتص لما كلف ومقاعس حي من تميم.

٤٣٣- مع: [معاني الأخبار] ابن الوليد عن محمد العطار وأحمد بن إدريس معا عن الأشعري عن السيارى عن

(١) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في أواخر الباب: (٣١) تحت الرقم: (٢٧٥) منه من كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٦٣، وفي ط بيروت ص ٦٩.

(٢) رواه علي بن إبراهيم ح في تفسير الآية الكريمة من تفسيره: ج ٢، ص ٣٩٧، ط ٢. ورواه البحراني عنه وعن ابن شهر آشوب في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج ٤ ص ٤٠٦. ورواه بأسانيد فرائد عن إبراهيم الكوفي ح في تفسير السورة المباركة من تفسيره ص ١٩٥، ط ١. ورواه عنه الحافظ الحسكاني في الحديث: (١٠٤٠) من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٩٥، ط ١.

(٣) رواه علي بن إبراهيم ح في تفسير الآية الكريمة من تفسيره. ورواه عنه السيد هاشم البحراني ح في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج ٤ ص ٥١٥.

وكلمتا «عمرو بن» مقحنتان في الحديث، أو أن لفظة «أبو» سقطت من الحديث أي [وكان] فيه أبو عمرو بن العاص والحكم...

(٤) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في كتاب الحج من كتاب تهذيب الأحكام. وقريباً منه رواه الشيخ ح في الحديث: (١٠٤) من باب الزيادات من كتاب التهذيب: ج ٥ ص ٢٨٨ ط النجف. وقريباً منه رواه السيد الرضوي ح في ذيل المختار: (٦٧) من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام من نهج البلاغة.

وفي تفسير الآية: (٢٤) وما بعدها من سورة الحج في تفسير البرهان: ج ٣ ص ٨٣ - ٨٤ ط ٣ شواهد.

(٥) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في الباب: معنى الأقيس من كتاب معاني الأخبار: ج ٢ ص ٣٢٧ ط النجف.

(٦) رواه نصر بن مزاحم الضمري في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٦ ط مصر. ورواه العلامة الإميني مع أحاديث أخر في معناه على مصادر كثيرة في عنوان: «الغلات في معاوية» من كتاب الغدير: ج ١، ص ١٣٩ - ١٧٧. ولا حظ ما رواه أبي الهادي في آخر شرحه على المختار: (٥٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٧٦٠.

(٦) رواه نصر بن مزاحم المنقري ح في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٧ ط مصر.

بيان: قال الفيروز آبادي لد بالضم قرية بفلسطين يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند بابها

١٦٨
٣٣

٤٣٩- يو: [بصائر الدرجات] الحسن بن علي عن العباس بن عامر عن أبان عن بشير النبال عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال كنت خلف أبي وهو على بغلته فنفرت بغلته فإذا رجل شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه فقال يا علي بن الحسين اسقني اسقني فقال الرجل لا تسقه لا سقاء الله قال وكان الشيخ معاوية (١).

٤٤٠- ختن: [الإختصاص] أيوب بن نوح والحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن العباس مثله (٢).

٤٤١- يو: [بصائر الدرجات] محمد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن الحسين بن أبي العلاء عن هارون بن خارجة عن يحيى ابن أم الطويل قال صحبت علي بن الحسين عليه السلام في المدينة إلى مكة وهو على بغلته وأنا على راحلة فجزنا وادي ضحجان فإذا نحن برجل أسود في رقبته سلسلة قال وهو يقول يا علي بن الحسين اسقني سقاء الله قال فقال علي فوضع رأسه على صدره ثم حرك دابته قال فالتفت فإذا رجل يجذبه وهو يقول لا تسقه لا سقاء الله قال فحركت راحلتي فلحقت بعلي بن الحسين عليه السلام قال فقال لي أي شيء رأيت فأخبرته فقال ذاك معاوية (٣).

١٦٩
٣٣

٤٤٢- حة: [فرحة الغري] محمد بن محمد بن علي بن الذياب عن الحسن بن إسحاق بن موهوب عن محمد بن القاضي عبد الله عن المبارك بن عبد الجبار عن أحمد بن عبد الواحد عن علي بن محمد بن عقبة عن سليمان بن الربيع عن نصر بن مزاحم التميمي في كتاب صفين قال كان معاوية إذا قنت لعن علياً و ابن عباس و قيس بن سعد و الحسن و الحسين عليه السلام و لم ينكر ذلك عليه إما خوفاً من مؤمن أو اعتقاداً من جاهل و كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كريض بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن عممة بن حريز بن شق بن مصعب بن يشكر بن دهم بن أفرك بن بدير بن قسر القسري يقول على المنبر العنوا علي بن أبي طالب فإنه لص بن لص بضم اللام فقام إليه أعرابي فقال والله ما أعلم من أي شيء أعجب من سبك علي بن أبي طالب أم من معرفتك بالعربية (٤).

٤٤٣- كشف: [كشف الغمة] من كتاب الموقيات للزبير بن بكار الزبيري عن رجاله قال قال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع أبي المغيرة على معاوية وكان أبي يأتيه فيحدث معه ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب بما يرى منه إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيتة مغتما فانظرت ساعة وظننت أنه لشيء حدث فينا وفي عملنا فقلت ما لي أراك مغتما منذ الليلة فقال يا بني جئت من عند أخيت الناس قلت وما ذاك قال قلت له و خلوت به إنك قد بلغت سناً فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فو الله ما عندهم اليوم شيء تخافه (٥).

١٧٠
٣٣

فقال هيهات هيهات ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فو الله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر ثم ملك أخو بني عدي فاجتهد و شمر عشر سنين فو الله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر ثم ملك عثمان فهلك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه وفعل ما فعل وعمل به ما عمل فو الله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به وإن أخا بني هاشم يصاح به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله فأبي عمل يبقى بعد هذا لا أم لك لا والله إلا دفنا دفنا.

بيان: أي أقتلهم وأدفنهم دفناً أو أدفن وأخفي ذكرهم وفصلانهم وهو أظهر

٤٤٤- كنز: [كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة] عن الحسن بن محبوب عن محمد بن مسكان عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال نزلت سورة الحاقة في أمير المؤمنين عليه السلام وفي معاوية عليه من الله جزء ما عمله (٦).

(١) رواه الصغار في كتاب بصائر الدرجات في باب أن الأئمة يعرضون عليهم أعدائهم، ج ١، ص ٢٨٤، ط قم.

(٢) رواه الشيخ المفيد - مع أحاديث أخر بأسانيد أخر في معناه - في أواسط كتاب الاختصاص ص ٣٦٩ ط النجف.

(٣) رواه الصغار في كتاب بصائر الدرجات في باب أن الأئمة يعرضون عليهم أعدائهم، ص ٢٨٦.

(٤) رواه ابن طاووس ج في كتاب فرحة الغري ص ٢٤، ط النجف.

وقصة لعن معاوية علياً عليه السلام والسبطين وحواريه مذكورة في أواخر الجزء (٨) وهو الجزء الأخير من كتاب صفين ص ٥٥٣ ط مصر. ورواها أيضاً الطبري في ختام عنوان: «اجتماع الحكمين بدومة الجندل» من حوادث سنة: (٣٧) من تاريخه: ج ٥ ص ٧١ ط بيروت.

(٥) رواه علي بن عيسى الإربلي ح في أواخر عنوان: «في ذكر مناقب شتى...» وقيل عنوان: «ذكر قتله ومدة خلافته...» من كتاب كشف الغمة:

ج ٢ ص ٤٤ ط بيروت.

(٦) رواه العلامة الكراچكي ح في كتاب كنز الفوائد.

٤٤٥- و يؤيده ما رواه محمد بن عباس عن الحسن بن أحمد عن محمد بن عيسى عن رجل عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال قوله عز وجل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِتَمِينَةٍ﴾ إلى آخر الآيات فهو أمير المؤمنين ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالَةٍ﴾ فالشامي^(١).

٤٤٦- و روي عن أبي عبد الله أن معاوية صاحب السلسلة و هو فرعون هذه الأمة^(٢).

٤٤٧- كا: [الكافي] أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له ما العقل قال ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان قال قلت فالذي كان في معاوية فقال تلك التكرار تلك الشيطنة و هي شبيهة بالعقل^(٣).

٤٤٨- كا: [الكافي] العدة عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن الحسين بن أبي العلاء قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن معاوية أول من علق على باب مصرعين بمكة فمنع حاج بيت الله ما قال الله عز وجل ﴿سَوَاءٌ الْفَائِزُ فِيهِ وَالْبَايُ﴾ و كان الناس إذا قدموا مكة نزل البادي على الحاضر حتى يقضي حجه^(٤).

و كان معاوية صاحب السلسلة التي قال الله عز وجل ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ و كان فرعون هذه الأمة.

٤٤٩- كا: [الكافي] الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن أبان بن عثمان عن يحيى بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال لم يكن لدور مكة أبواب و كان أهل البلدان يأتون بقطرانهم فيدخلون فيضربون بها و كان أول من بوبها معاوية^(٥).

أقول: سيأتي أخبار كثيرة في كتاب الحج في أن أول من ابتدع ذلك معاوية

٤٥٠- يب: [تهذيب الأحكام] الحسين بن سعيد عن فضالة عن معاوية بن وهب قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن أول من خطب و هو جالس معاوية و استأذن الناس في ذلك من وجع كان في ركبته و كان يخطب خطبة و هو جالس و خطبة و هو قائم ثم يجلس بينهما^(٦).

٤٥١- د: [العدد القوية] كان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب عليه السلام عن ذلك فلما بلغه قتله قال ذهب الفقه و العلم بموت ابن أبي طالب فقال له أخوه عتبة لا يسمع هذا أهل الشام فقال دعني عنك

٤٥٢- ختص: [الإختصاص] هلك معاوية و هو ابن ثمانية و سبعين سنة و ولي الأمر عشرين سنة^(٧).

٤٥٣- ختص: [الإختصاص] ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن إبراهيم بن أبي البلاد عن علي بن أبي المغيرة قال نزل أبو جعفر عليه السلام بضجنان فقال ثلاث مرات لا غفر الله لك فلما قال ذلك قال أتدرون لمن قلت أو قال له بعض أصحابنا فقال مر بي معاوية بن أبي سفيان يجر سلسلة قد أدلع لسانه يسألني أن أستغفر له ثم قال إنه يقال إنه واد من أودية جهنم^(٨).

أقول: قد أوردنا مثله بأسانيد في باب أحوال البرزخ و باب معجزات الباقر عليه السلام.

٤٥٤- كا: [الكافي] محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن معاوية بن وهب قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لما كان سنة إحدى و أربعين أراد معاوية الحج فأرسل نجارا و أرسل بالاله و كتب إلى صاحب المدينة

(١) رواه العلامة الكراچكي ح في كتاب كنز الفوائد.

(٢) رواه ثقة الإسلام الكيني رفع الله مقامه في الحديث الثالث من كتاب العقل والجهل من الكافي: ج ١، ص ١١.

(٣) رواه ثقة الإسلام الكيني في باب قوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ الْفَائِزُ فِيهِ وَالْبَايُ﴾ من كتاب الحج من كتاب الكافي: ج ٢، ص ٢٤٢ ط الآخوندي. و رواه عنه السيد البحراني في تفسير الآية: (٢) من سورة الحج من تفسير البرهان: ج ٣، ص ٨٣ ط مصر. وفيهما بقطرانهم: وسيأتي في كتاب الحج باب فضل مكة بعض الروايات المرتبطة بالمقام.

(٤) رواه ثقة الإسلام الكيني في باب قوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ الْفَائِزُ فِيهِ وَالْبَايُ﴾ من كتاب الحج من كتاب الكافي: ج ٤، ص ٢٤٢ ط الآخوندي. و رواه عنه السيد البحراني في تفسير الآية: (٢) من سورة الحج من تفسير البرهان: ج ٣، ص ٨٣ ط مصر. وفيهما بقطرانهم: وسيأتي في كتاب الحج باب فضل مكة بعض الروايات المرتبطة بالمقام.

(٦) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (٧٤) من عنوان: «باب العمل في ليلة الجمعة ويومها» من كتاب الصلاة من كتاب التهذيب: ج ٣، ص ٢٠ ط النجف.

(٧) رواه الشيخ المفيد ح في كتاب الاختصاص ص ١٣١، ط طهران.

(٨) رواه الشيخ المفيد ح في أواسط كتاب الاختصاص ص ٣٧٠ ط النجف.

أن يقلع منبر رسول الله ﷺ ويجعلوه على قدر منبره بالشام فلما نهضوا ليقلعوه انكسفت الشمس وزلزلت الأرض فكتبوا وكتبوا بذلك إلى معاوية فكتب إليهم يعزم عليهم لما فعلوه ففعلوا فغضب رسول الله ﷺ المدخل الذي رأيته^(١).

٤٥٥- تقريب: قال ابن الأثير في الكامل أراد معاوية في سنة خمسين من الهجرة أن ينقل منبر رسول الله ﷺ من المدينة إلى الشام وقال لا تترك منبر النبي ﷺ وعصاه في المدينة وهم قتلته عثمان وطلب العصا وهي عند سعد القرظي فحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رأيت النجوم بادية فأعظم الناس ذلك فتركه.

وقيل أنه جابر وأبو هريرة فقالا لا يصلح أن يخرج منبر رسول الله من موضع وضعه فيه وتنقل عصاه إلى الشام فتركه وزاد فيه ست درجات واعتذر مما صنع أقول: يظهر من الخبر أن هذا اعتذار من القوم له.

٤٥٦- كتاب سليم بن قيس عن أبان عن سليم وعمر بن أبي سلمة قال قدم معاوية حاجا في خلافته المدينة بعد ما قتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه وصالح الحسن وفي رواية أخرى بعد ما مات الحسن ﷺ واستقبله أهل المدينة فنظر فإذا الذي استقبله من قريش أكثر من الأنصار فسأل عن ذلك فقيل إنهم يحتاجون ليست لهم دواب فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عباد فقال يا معشر الأنصار ما لكم لا تستقبلوني مع إخوانكم من قريش فقال قيس وكان سيد الأنصار وابن سيدهم أقعدنا يا أمير المؤمنين إن لم يكن لنا دواب قال معاوية فأين النواضع فقال قيس أفئتناها يوم بدر ويوم أحد وما بعدهما في مشاهد رسول الله حين ضربناك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون قال معاوية اللهم غفرا قال قيس أما إن رسول الله ﷺ قال سترون بعدي أثره^(٢).

ثم قال يا معاوية تعيرنا بنواضحا والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله وأن يكون كلمة الشيطان هي العليا ثم دخلت أنت وأبوك كرها في الإسلام الذي ضربناكم عليه فقال معاوية كأنك تمن علينا بنصرتكم إيانا فلله ولقريش بذلك المن والطول ألتسم تمنون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول الله وهو من قريش وهو ابن عمنا ومنا فلنا المن والطول إن جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا فهذاكم بنا.

فقال قيس إن الله بعث محمدا ﷺ رحمة للعالمين فيبعثه إلى الناس كافة وإلى الجن والإنس والأحمر والأسود والأبيض اختاره لنبوته واختصه برسالته فكان أول من صدقه وآمن به ابن عمه علي بن أبي طالب وأبو طالب يذب عنه ويمنعه ويحول بين كفار قريش وبين أن يردعوه ويؤذوه وأمر أن يبلغ رسالة ربه فلم يزل ممنوعا من الضيق والأذى حتى مات عمه أبو طالب وأمر ابنه بموازرتة فوازره ونصره وجعل نفسه دونه في كل شديدة وكل ضيق وكل خوف واختص الله بذلك عليا ﷺ من بين قريش وأكرمهم من بين جميع العرب والعجم فجمع رسول الله ﷺ جميع بني عبد المطلب فيهم أبو طالب وأبو لهب وهم يومئذ أربعون رجلا فدعاهم رسول الله ﷺ وخادمه علي ﷺ ورسول الله ﷺ في حجر عمه أبي طالب فقال أياكم ينتدب أن يكون أخي ووزيري وصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن من بعدي فأمسك القوم حتى أعادها ثلاثا فقال علي ﷺ أنا يا رسول الله فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه وقال اللهم املا جوفه علما وفهما وحكما ثم قال لأبي طالب يا أبا طالب اسمع الآن لابنك وأطع فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هارون من موسى وأخي ﷺ بين علي وبين نفسه.

فلم يدع قيس شيئا من مناقبه إلا ذكرها واحتج بها وقال منهم جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة بجناحين اختصه الله بذلك من بين الناس ومنهم حمزة سيد الشهداء ومنهم فاطمة سيدة نساء أهل الجنة فإذا وضعت من قريش رسول الله ﷺ وأهل بيته وعترته الطيبين فنحن والله خير منكم يا معشر قريش وأحب الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم.

لقد قبض رسول الله ﷺ فاجتمعت الأنصار إلى أبي ثم قالوا نبايع سعدا فجاءت قريش فخاصمونا بحقه وقربته

(١) رواه ثقة الإسلام الكليني رحمه الله مقامه في عنوان: «المنبر والروضة ومقام النبي» من أبواب الزيارات في آخر كتاب الحج من الكافي: ج ٤ ص ٥٥٤ ط الآخوند.

(٢) رواه سليم بن قيس الهلالي في كتابه، ص ١٩٩، ط بيروت. ورواه عنه السيد عليخان المدني والعلامة الأميني في ترجمة قيس بن عباد من كتاب الدرجات الرفيعة ص ٤٢٩ والغدير: ج ٢ ص ١٠٦، ط بيروت.

فما يعدو قريش أن يكونوا ظلّموا الأنصار أو ظلّموا آل محمد ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حق مع علي بن أبي طالب عليه السلام ولده من بعده.

فغضب معاوية وقال يا ابن سعد عن أخذت هذا وعن رويته وعن سمعته أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته فقال قيس سمعته وأخذته ممن هو خير من أبي وأعظم علي حقاً من أبي قال من قال علي بن أبي طالب عليه السلام عالم هذه الأمة وصديقها الذي أنزل الله فيه ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فلم يدع قيس آية نزلت في علي عليه السلام إلا ذكرها قال معاوية فإن صديقها أبو بكر وفارقها عمر والذي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ عبد الله بن سلام قال قيس أحق بهذه الأسماء وأولى بها الذي أنزل الله فيه ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ والذي نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم فقال من كنت مولاه أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه وقال في غزوة تبوك أنت متي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

وكان معاوية يومئذ بالمدينة فعند ذلك نادى مناديه وكتب بذلك نسخة إلى عماله ألا برئت الذمة ممن روى حديثاً في مناقب علي وأهل بيته وقامت الخطبة في كل مكان على المنابر بلعن علي بن أبي طالب عليه السلام والبراءة منه والوقعة في أهل بيته واللعة لهم بما ليس فيهم عليهم السلام.

ثم إن معاوية من حلقة من قريش فلما رأوه قاموا إليه غير عبد الله بن عباس فقال له يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا لموجدة علي يقتالي إياكم يوم صفين يا ابن عباس إن ابن عمي عثمان قتل مظلوماً قال ابن عباس فعمر بن الخطاب قد قتل أيضاً مظلوماً قال فتسلم الأمر إلى ولده وهذا ابنه قال إن عمر قتله مشرك قال ابن عباس فمن قتل عثمان قال قتله المسلمون قال فذلك أدهش لحجبتك وأهل لدمه إن كان المسلمون قتلوه وخذلوله فليس إلا بحق قال فإنا قد كتبنا في الآفاق تنهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته فكف لسنانك يا ابن عباس وأربع على نفسك قال فتنهانا عن قراءة القرآن قال لا قال فتنهانا عن تأويله قال نعم قال فنقرؤه ولا نسأل عن ما عنى الله به قال نعم قال فأيا ما أوجب علينا قراءته أو العمل به قال العمل به قال فكيف تعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا قال يسأل عن ذلك من يتأوله على غير ما تأوله أنت وأهل بيتك قال إنما أنزل القرآن على أهل بيتي فاسأل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط واليهود والنصارى والمحبوس قال فقد عدلتني بهؤلاء قال لعمري ما أعدلك بهم إلا إذا نهيت الأمة أن يعبدوا الله بالقرآن وبما فيه من أمر أو نهي أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عام أو خاص أو محكم أو متشابه وإن لم تسأل الأمة عن ذلك هلكوا واختلّفوا وتأهوا قال معاوية فافرقوا القرآن ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم ومما قال رسول الله وأروا ما سوى ذلك قال ابن عباس قال الله تعالى في القرآن ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْتِيَ اللَّهُ إِلَهُ أَنْ يُنِيرَ نَوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ قال معاوية يا ابن عباس اكفني نفسك وكف عني لسنانك وإن كنت لا بد فاعلاً فليكن سرا فلا تسمعه أحدًا علانية.

ثم رجع إلى منزله فبعث إليه بخمسين ألف درهم وفي رواية أخرى مائة ألف درهم ثم اشتد البلاء بالأمصار كلها على شيعة علي وأهل بيته وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة واستعمل عليها زياداً ضمها إليه مع البصرة وجمع له العراقيين وكان يتبع الشيعة وهو بهم عالم لأنه كان منهم قد عرفهم وسمع كلامهم أول شيء فقتلهم تحت كل كوكب وتحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل منهم وصلبهم على جذوع النخل وسمل أعينهم وطردهم وشردهم حتى انتزحوا عن العراق فلم يبق بها أحد منهم إلا مقتول أو مصلوب أو طريد أو هارب.

وكتب معاوية إلى عماله ولايته في جميع الأرضين والأمصار أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة وكتب إلى عماله انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته وأهل ولايته الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه فادنوا مجالسهم وأكرمهم وقرّبهم وشفروهم واكتبوا إلي بما يروي كل واحد منهم فيه باسمه واسم أبيه ومن هو ففعلوا ذلك حتى أكثروا في عثمان الحديث وبعث إليهم بالصلوات والكسب وأكثر لهم القطائع من العرب والموالي فكثروا في كل مصر وتنافسوا في المنازل والضياع واتسعت عليهم الدنيا فلم يكن أحد يأتي عامل مصر من الأمصار ولا قرية فيروى

في عثمان منقبة أو يذكر له فضيلة إلا كتب اسمه وقرب و شفع فمكتوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله أن الحديث قد كثر في عثمان و فشا في كل مصر و من كل ناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوه إلى الرواية في أبي بكر و عمر فإن فضلهما و سوابقهما أحب إلي و أقر لعيني و أدحض لحجة أهل هذا البيت و أشد عليهم من مناقب عثمان و فضله فقرأ كل قاض و أمير من ولاته كتابه على الناس و أخذ الناس في الروايات فيهم و في مناقبهم.

ثم كتب نسخة جمع فيها جميع ما روي فيهم من المناقب و الفضائل و أنفذهما إلى عماله و أمرهم بقراءتها على المنابر في كل كورة و في كل مسجد و أمرهم أن ينفذوا إلى معلمي الكتاتيب أن يعلموها صبيانهم حتى يرووها و يتعلموها كما يتعلمون القرآن حتى علموها بناتهم و نساءهم و خدمهم و حشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمال نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب عليا و أهل بيته فامحوه من الديوان و لا تجيزوا له شهادة.

ثم كتب كتابا آخر من اتهمته و لم تقم عليه بيعة فاقتلوه فقتلوه على التهم و الظن و الشبه تحت كل كوكب حتى لقد كان الرجل يسقط بالكلمة فيضرب عنقه و لم يكن ذلك البلاء في بلد أكبر و لا أشد منه بالعراق و لا سيما بالكوفة حتى أن الرجل من شيعة علي و ممن بقي من أصحابه بالمدينة و غيرها ليأتيه من يثق به فيدخل بيته ثم يلقي عليه ستر فيخاف من خادمه و مملوكه فلا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان المغلظة ليكتنن عليه.

و جعل الأمر لا يزداد إلا شدة و كثر عندهم عدوهم و أظهروا أحاديثهم الكاذبة في أصحابهم من الزور و البهتان فينشأ الناس على ذلك و لا يتعلمون إلا منهم و مضى على ذلك قضاتهم و ولاتهم و فقهاؤهم.

و كان أعظم الناس في ذلك بلاء و فتنة القراء المراءون المتصنعون الذين يظهرون لهم الحزن و الخشوع و النسك و يكذبون و يعلمون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم و يدنوا لذلك مجالسهم و يصيبوا بذلك الأموال و القطائع و المنازل حتى صارت أحاديثهم تلك و رواياتهم في أيدي من يحسب أنها حق و إنها صدق فرووها و قبلوها و تعلموها و علموها و أحبوا عليها و أبغضوا و صارت بأيدي الناس المتدينين الذين لا يستحلون الكذب و يبيعون عليه أهله فقبلوها و هم يرون أنها حق و لو علموا أنها باطل لم يرووها و لم يتدينوا بها.

فصار الحق في ذلك الزمان باطلا و الباطل حقا و الصدق كذبا و الكذب صدقا و قد قال رسول الله ﷺ لتشملنكم فتنة يربوا فيها الوليد و ينشأ فيها الكبير تجري الناس عليها و يتخذونها سنة فإذا غير منها شيء قالوا أتى الناس منكرا غيرت السنة.

فلما مات الحسن بن علي ﷺ لم يزل الفتنة و البلاء يعظمان و يشتدان فلم يبق ولي لله إلا خائفا على دمه. و في رواية أخرى إلا خائفا على دمه أنه مقتول و إلا طريدا و لم يبق عدو لله إلا مظهرا الحجة غير مستتر ببدعته و ضلالته.

فلما كان قبل موت معاوية بسنة حج الحسين بن علي صلوات الله عليه و عبد الله بن عباس و عبد الله بن جعفر فجمع الحسين ﷺ بني هاشم رجالهم و نساءهم و مواليتهم و من حج منهم و من الأنصار ممن يعرفه الحسين و أهل بيته ثم أرسل رسلا لا تدعوا أحدا ممن حج العام من أصحاب رسول الله ﷺ المعروفين بالصلاح و النسك إلا اجتمعوا لي فاجتمع إليه بنى أكثر من سبعمائة رجل و هم في سرادقه عامتهم من التابعين و نحو من مائتي رجل من أصحاب النبي ﷺ فقام فيهم خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإن هذا الطاغية قد فعل بنا و بشيعتنا ما قد رأيتم و علمتم و شهدتم و أني أريد أن أسألكم عن شيء فإن صدقت فصدقوني و إن كذبت فكذبوني و أسألكم بحق الله عليكم و حق رسوله ﷺ و قرابتي من نبيكم عليه و آله السلام لما سترتم مقامي هذا و وصفت مقالتي و دعوتهم أجمعين في أمصاركم من قبائلكم من أمتهم من الناس و في رواية أخرى بعد قوله فكذبوني اسمعوا مقالتي و اكتبوا قلبي ثم ارجعوا إلى أمصاركم و قبائلكم فمن أمتهم من الناس و وتقم به فادعوه إلى ما تعلمون من حقا فإني أتخوف أن يدرس هذا الأمر و يذهب الحق و يغلب «وَاللَّهُ مَعُ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».



و ما ترك شيئا مما أنزل الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسره و لا شيئا مما قاله رسول الله ﷺ في أبيه و أخيه و أمه و في نفسه و أهل بيته إلا رواه و كل ذلك يقول أصحابه اللهم نعم و قد سمعناه و شهدناه و يقول التابع اللهم قد حدثني به من أصدقه و أئمنه من الصحابة فقال أنشدكم الله إلا حدثتم به من تثقون به و يدينه.
قال سليم فكان فيما ناشدهم الحسين ﷺ و ذكرهم أن قال:
أنشدكم الله أتعلمون أن علي بن أبي طالب ﷺ كان أواخر رسول الله حين آخى بين أصحابه فأخى بينه و بين نفسه و قال أنت أخي و أنا أخوك في الدنيا و الآخرة قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ اشترى موضع مسجده و منازله فابتاه ثم ابتنى فيه عشرة منازل تسعة ل و جعل عاشرها في وسطها لأبي ثم سد كل باب شارع إلى المسجد غير بابه فتكلم في ذلك من تكلم فقال ما أنا سدود أبوابكم و فتحت بابه و لكن الله أمرني بسد أبوابكم و فتح بابه.
ثم نهى الناس أن يناموا في المسجد غيره و كان يجنب في المسجد و منزله في منزل رسول الله فولد لرسول الله ﷺ فيه أولاد قالوا اللهم نعم.

قال أفأعلمون أن عمر بن الخطاب حرص على كوة قدر عينه يدعها من منزله إلى المسجد فأبى عليه ثم خطب فقال إن الله أمرني أن أبني مسجدا طاهرا لا يسكنه غيري و غير أخي و ابنه قالوا اللهم نعم.
قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ نصبه يوم غدیر خم فنادى له بالولاية و قال ليبلغ الشاهد الغائب قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال له في غزوة تبوك أنت مني بمنزلة هارون من موسى و أنت ولي كل مؤمن بعدي قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلا به و بصاحبه و ابنه قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أنه دفع إليه اللواء يوم خيبر ثم قال لأدفعها إلى رجل يحبه الله و رسوله و يحب الله و رسوله كرا غير فرار يفتحها الله على يديه قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ بعثه ببراءة و قال لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ لم ينزل به شديدة قط إلا قدمه لها ثقة به و أنه لم يدعه باسمه قط إلا يقول يا أخي و ادعوا إلي أخي قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قضى بينه و بين جعفر و زيد فقال يا علي أنت مني و أنا منك و أنت ولي كل مؤمن بعدي قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أنه كانت له من رسول الله ﷺ كل يوم خلوة و كل ليلة دخلة إذا سأله أعطاه وإذا سكت ابتدأه قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ فضله على جعفر و حمزة حين قال لفاطمة زوجتك خير أهل بيتي أقدمهم سلما و أعظمهم حلما و أكبرهم علما قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال أنا سيد ولد آدم و أخي علي سيد العرب و فاطمة سيدة نساء أهل الجنة و الحسن و الحسين ابناي سيدا شباب أهل الجنة قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ أمره بغسله و أخبره أن جبرئيل ﷺ يعينه قالوا اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال في آخر خطبة خطبها إني قد تركت فيكم التقلين كتاب الله و أهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلوا قالوا اللهم نعم.

فلم يدع شيئا أنزله الله في علي بن أبي طالب ﷺ خاصة و في أهل بيته من القرآن و لا على لسان نبيه ﷺ إلا ناشدهم فيه فيقول الصحابة اللهم نعم. قد سمعنا و يقول التابع اللهم نعم. قد حدثني من أتق به فلان و فلان ثم قد ناشدهم أنهم قد سمعوه يقول من زعم أنه يحبني و يبغض عليا فقد كذب ليس يحبني و يبغض عليا فقال له قاتل يا

رسول الله وكيف ذلك قال لأنه مني وأنا منه من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله فقالوا اللهم نعم قد سمعنا و تفرقوا على ذلك.

بيان: قوله اللهم غفر أي اللهم اغفر لي غفراً أو اللهم افتتح للكلام والخطاب لقيس أي اغفر ما وقع مني أو استر معايبي.

وقال ابن الأثير في النهاية فيه قال للأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا الأثرة بفتح الهزة و الثاء الاسم من أثر يؤثر إشاراً إذا أعطى أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الشيء والاستيثار الانفراد بالشيء.

وقال الجوهري سمل العين فقأها يقال سملت عينه تسمل إذا فقأت بحديدة محماة وقال نزحت الدار بعدت و بلد نازح و قوم منازيح و قد نزح بفلان إذا بعد عن دياره غيبة بعيدة و تقول أنت بمنزح من كذا أي بعيد منه.

قوله ﷺ فولد لرسول الله ﷺ أي ولد له أولاد من فاطمة كانوا أولاداً لرسول الله ﷺ.

٤٥٧هـ - ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] ابن الصلت عن ابن عقدة عن أحمد بن القاسم عن عباد عن علي بن عباس عن حصين عن عبد الله بن معقل عن علي عليه السلام أنه قتل في الصبح فلعن معاوية و عمرو بن العاص و أبا موسى و أبا الأعرور و أصحابهم (١).

٤٥٨هـ - كتاب صفين، لنصر بن مزاحم عن أبي عبد الرحمن عن يونس بن الأرقم عن عوف عن عبد الله عن عمرو بن هند البجلي عن أبيه قال فلما نظر علي عليه السلام إلى رايات معاوية و أهل الشام قال و الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما أسلموا و لكن استسلموا و أسروا الكفر فلما وجدوا عليه أعوانا رجعوا إلى عداوتهم منا إلا أنهم لم يدعوا الصلاة (٢).

٤٥٩هـ - و عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال لما كان قتال صفين قال رجل لعمار يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله قاتلوا الناس حتى يسلموا فإذا أسلموا عصموا مني دماءهم و أموالهم قال بلى و لكن و الله ما أسلموا و لكن استسلموا و أسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا (٣).

٤٦٠هـ - و بالإسناد عن حبيب عن منذر الثوري قال قال محمد بن الحنفية لما أتاهم رسول الله ﷺ من أعلى الوادي و من أسفل و ملئوا الأودية كتائب يعني يوم فتح مكة استسلموا حتى وجدوا أعوانا (٤) (٥).

٤٦١هـ - و عن الحكم بن ظهير عن إسماعيل عن الحسن و أيضاً عن الحكم عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن

(١) رواه الشيخ الطوسي في الحديث الأخير من المجلس ٢٥ من أماليه، ج ٢، ص ٧٢٢، ط بيروت.

(٢) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت، ج ١، ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكلباني من البحار، وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر، والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخرى.

(٣) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت، ج ١، ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكلباني من البحار، وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر، والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخرى.

(٤) هذا هو الظاهر الموافق لما رواه عن نصر بن مزاحم ابن أبي الحديد في آخر شرحه على المختار: (٥٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٧٦٠. وفي ط الكلباني من البحار: «عن منذر العلوي قال: قال محمد بن الحنفية: لما أتاهم العدو من أعلى الوادي و من أسفل و ملئوا الأودية كتائب استسلموا حتى وجدوا أعواناً».

(٥) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت، ج ١، ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكلباني من البحار، وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر، والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخرى.

حيش عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه قال الحسن فما فعلوا ولا أفعلوا^(١).

٤٦٢- وعن عمرو بن ثابت عن إسماعيل عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه^(٢).

قال فحدثني بعضهم قال قال أبو سعيد الخدري فلم تفعل ولم تفعل^(٣) (٤).

٤٦٣- وعن يحيى بن يعلى عن الأعمش عن خزيمة قال قال عبد الله بن عمر إن معاوية في تابوت في الدرك الأثقل من الثار ولو لا كلمة فرعون أنا رُبُّكُمْ الْأَعْلَى ما كان أحد أسفل من معاوية^(٥).

٤٦٤- وعن جعفر الأحمر عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ يموت معاوية على غير ملة الإسلام^(٦).

٤٦٥- وعن جعفر عن ليث عن محارب بن زياد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ يموت معاوية على غير ملتي^(٧).

٤٦٦- وعن قيس بن الربيع و سليمان بن قرم عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد عن علي بن أبي طالب قال رأيت النبي ﷺ في النوم فشكوت إليه ما لقيت من أمته من الأود والدد فقال انظر فإذا عمرو بن العاص و معاوية معلقين منكبين تشدخ رءوسهما بالصخر^(٨) (٩).

(١) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمياتي من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٢) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمياتي من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٣) هذا هو الظاهر الموافق لما رواه ابن أبي الحديد عن نص في آخر شرحه على المختار: (٥٤) من نهج البلاغة ج ١ ص ٧٦٠ ط بيروت. وفيه أيضاً: «فقال الحسن: فوالله ما فعلوا ولا أفعلوا».

(٤) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمياتي من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٥) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمياتي من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٦) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمياتي من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٧) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمياتي من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٨) وقريباً منه جداً رواه ابن أبي الحديد بسندين في شرح المختار: (٥٦) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١ ص ٨١٤ ط بيروت.

(٩) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما

٤٦٧- وعن يحيى بن يعلى عن عبد الجبار بن عباس عن عمار الدهني عن أبي المثنى عن عبد الله بن عمر قال ما بين تابوت معاوية و تابوت فرعون إلا درجة و ما انخفضت تلك الدرجة إلا لأنه قال أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى^(١).

٤٦٨- وعن أبي عبد الرحمن عن العلاء بن يزيد القرشي^(٢) عن جعفر بن محمد^(٣) قال دخل زيد بن أرقم على معاوية فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما فقال له عمرو بن العاص أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين فقال زيد إن رسول الله ﷺ غزا غزوة و أنصا معه فأركم مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً ثم رآكما اليوم الثاني و اليوم الثالث كل ذلك يديم النظر إليكما فقال في اليوم الثالث إذا رأيتم معاوية و عمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير^(٤).

٤٦٩- وعن محمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال أخبرني أبو هلال أنه سمع أبا برزة الأسلمي أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ فسمعوا غناء فتشرفوا له فقام رجل فاستمع له و ذلك قبل أن تحرم الخمر فاتاهم ثم رجع فقال هما معاوية و عمرو بن العاص يجب أحدهما الآخر و هو يقول^(٥):

لا يزال حواري تلوح عظامه
زوى الحرب عنه أن يجن فيقبرا

فرفع رسول الله يديه فقال اللهم اركسهم في الفتنة ركسا اللهم دعمهم إلى النار دعا

٤٧٠- وعن محمد بن فضيل عن أبي حمزة الثمالي عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن عمر قال إن تابوت معاوية في النار فوق تابوت فرعون و ذلك بأن فرعون قال أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى^(٥).

٤٧١- وعن شريك عن ليث عن طائوس عن عبد الله بن عمر قال أتيت النبي ﷺ فسمعتة يقول يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت و هو على غير سنتي فشق ذلك علي و تركت أبي يلبس ثيابه ويحيى فطلع معاوية^(٦).

الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمباني من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانته من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(١) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمباني من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانته من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٢) كذا في ط مصر من كتاب صفين. وفي ط الكمباني من البحار: «عن العلاء بن يزيد القرشي...». وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الصادق عليه السلام.

وقريباً من هذا الحديث روي عن عباد بن الصامت الصحابي كما رواه عنه ابن عبد ربه في عنوان: «خبر عمرو بن العاص مع معاوية» من كتاب القند الفريد: ج ٣ ص ١١٤. ورواه أيضاً الباعوني في الباب: (٦٤) من كتاب جواهر المطالب الرق ٨٧ / .

وقد رويانه عن مصدر آخر، عن شاذان بن أوس في تعليق المختار: (١٧٢) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٨٥.

(٣) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمباني من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانته من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٤) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمباني من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانته من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٥) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر. وفي ط الحديث ببيروت. ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكمباني من البحار. وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانته من كتاب صفين ط مصر. والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٦) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما

٤٧٢- وعن تليد^(١) بن سليمان عن الأعمش عن علي بن الأقرم قال وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا لو مررنا برجل قد شهد رسول الله ﷺ وعينه فأتينا عبد الله بن عمر فقلنا يا صاحب رسول الله حدثنا ما شهدت رأيت قال إن هذا أرسل إلي يعني معاوية فقال لئن بلغني أنك تحدث لأضرب عنقك فجثت على ركبتي بين يديه ثم قلت وددت أن أحد سيف في جندك على عتقي^(٢) فقال والله ما كنت لأقاتلك ولا أقتلك وإيم الله ما يمنعني أن أحتكم ما سمعت رسول الله ﷺ قال فيه رأيت رسول الله أرسل إليه يدعوه وكان يكتب بين يديه فجاء الرسول فقال هو يأكل فأعاد عليه الرسول الثالثة^(٣) فقال هو يأكل فقال لا أشبع الله بطنه فهل ترونه يشبع؟^(٤)

٤٧٣- قال وخرج معاوية من فج قال فنظر إليه رسول الله ﷺ وإلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق فلما نظر إليهم رسول الله ﷺ قال اللهم العن القائد والسائق والراكب^(٥). قلنا أنت سمعت من رسول الله ﷺ قال نعم وإلا فصمتا أذناي كما عميتا عيني.

٤٧٤- وعن عبد العزيز بن الخطاب عن صالح بن أبي الأسود عن إسماعيل عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم معاوية على منبري يخطب فاقتلوه^(٦).

٤٧٥- أقول قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلغون عليا ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته.

وساق الخبر نحو ما مر إلى أن قال:

١٩٣ ٣٣ فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي^(٧) فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا خائف على دمه أو طريد في الأرض.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين^(٨) وولي عبد الملك بن مروان فاشتد الأمر على الشيعة وولي عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي^(٩) وموالاة أعدائه وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضا أعداؤه فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من النقص من علي^(١٠) وعيبه والظعن فيه والشن أن له حتى أن إنسانا وقف للحجاج وقال أنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب فصاح به أيها الأمير إن أهلي

الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضا عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر، وفي ط الحديث ببيروت، ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكلباني من البحار، وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر، والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(١) له ترجمة في التهذيب وغيره وفي الأصل: بليد.

(٢) هذا هو الظاهر. وفي ط الكلباني من البحار: «إِنْ أَحَدٌ سِيفٍ فِي جَنْدِكَ...».

(٣) كذا في أصلي غير أن ما بين المعقوفين قد سقط منه وأخذناه من كتاب صفين ص ٢٢٠ ط مصر.

(٤) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضا عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر، وفي ط الحديث ببيروت، ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكلباني من البحار، وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر، والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٥) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضا عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر، وفي ط الحديث ببيروت، ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكلباني من البحار، وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر، والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

(٦) هذه الأحاديث كلها - ما عدا الحديث الأول - موجودة في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٥ وما بعدها من ط مصر. وأما الحديث الأول فقد رواه ابن أبي الحديد أيضا عن كتاب صفين في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٤ ص ٣١ ط مصر، وفي ط الحديث ببيروت، ج ١ ص ٧٦٠. وما وضعناه بين المعقوفين قد سقط عن ط الكلباني من البحار، وأخذناه من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وهذا الحديث ما وجدته في مظانه من كتاب صفين ط مصر، والظاهر أنه قد سقط عنها كما سقط عنه أحاديث أخر.

عقوني و سموني عليا و إني فقير باتس و أنا إلى صلة الأمير محتاج فتضاحك له الحجاج و قال للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا.

١٩٤
٣٣

و قد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه و هو من أكابر المحدثين و أعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر و قال إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغبون به أنف بني هاشم.

٤٧٦-مد: [العمدة] من الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري من صحيح النسائي بإسناده عن زيد بن وهب قال مرتت على أبي ذر بالريذة قفلت ما أنزلك بهذه الأرض قال كنا بالشام فقرأت ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية قال معاوية ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب قفلت إنها فينا و فهم فكان بيني وبينهم في هذا الكلام فوصل ذلك إلى عثمان فكتب إلي إن شئت تنحيت عنه فذلك الذي أنزلني هنا.

١٩٥
٣٣

٤٧٧- و من الجمع بين الصحيحين للحميدي من إفراء مسلم بإسناده عن ابن عباس قال كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب فجاء فخطاني خطاة و قال اذهب فادع لي معاوية قال فجئت قفلت هو يأكل ثم قال اذهب فادع لي معاوية قال فجئت قفلت هو يأكل فقال لا أشبع الله بطنه

٤٧٨- أقول رواه في الاستيعاب، بإسناده عن ابن عباس^(١).

٤٧٩- و روى العلامة قدس سره في كشف الحق نقلا عن صحيح مسلم مثله ثم قال قال الحسن بن مثنى قلت ما معنى خطاني قال وقذني وقذة و أقول قال في مادة خطا من النهاية في حديث ابن عباس قال أخذ النبي ﷺ بقفاي فخطاني خطوة قال الهروي هكذا جاء به الراوي غير مهموز و قال قال ابن الأعرابي الخطو تحريك الشيء مزعزا و قال رواه شمر بالهمزة يقال خطاه يحطوه خطا إذا دفعه بكفه و قيل لا يكون الخطاة إلا ضربة بالكف بين الكتفين انتهى^(٢).

١٩٦
٣٣

٤٨٠- و روي في المستدرک من الفردوس بإسناده عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ أول من يختصم من هذه الأمة بين يدي الرب عز و جل علي ﷺ و معاوية

٤٨١- كتاب عباد العصفري عن حماد بن عيسى العيسى عن بلال بن يحيى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على المنبر فاضربوه بالسيف و إذا رأيتم الحكم بن أبي العاص و لو تحت أستار الكعبة فاقتلوه الخبر^(٣).

١٩٧
٣٣

٤٨٢- كتاب محمد بن المثنى عن جعفر بن محمد بن شريح عن ذريح المحاربي قال قال الحرث بن المغيرة النضري لأبي عبد الله ﷺ إن أبا معقل المزني حدثني عن أمير المؤمنين ﷺ أنه صلى بالناس المغرب فقنت في الركعة الثانية و لعن معاوية و عمرو بن العاص و أبا موسى الأشعري و أبا الأعور السلمي قال الشيخ ﷺ صدق فالعنهم^(٤).

٤٨٣- نهج: [تهج البلاغة] و من كلام له ﷺ و الله ما معاوية بأدهى مني و لكنه يغدر و يفجر و لو لا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس و لكن كل غدرة فجرة و كل فجرة كفرة و لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة و الله ما أستغفل بالمكيدة و لا أستعمر بالشديدة^(٥).

بيان: قوله بأدهى مني الدهاء بالفتح الفطنة و جودة الرأي و يقال رجل داهية و هو الذي لم يغلب عليه أحد في تدابير أمور الدنيا.

(١) رواه أبو عمر ابن عبد البر في ترجمة معاوية من كتاب الاستيعاب بهامش الإصابة: ج ٣ ص ٤٠١ قال:

وروى أبو داود الطيالسي قال: حدثنا هشيم وأبو عوانة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال: [إن رسول الله ﷺ بعث إلي معاوية يكتب له قبيل: إنه يأكل. ثم بعث إليه قبيل: إنه يأكل. فقال رسول الله ﷺ: لا أشبع الله بطنه.

وقد أشار إليه أيضا ابن حجر في ترجمة معاوية من كتاب الإصابة: ج ٣ ص ٤٣٤ ولكنه راوغ ولم يسرد الحديث حرفيا قال:

وفي مسند أحمد - وأصله في مسلم - عن ابن عباس قال: قال لي النبي ﷺ: ادع لي معاوية وكان كاتبه!!!

(٢) رواه العلامة ح في المطب الرابع من كتاب نهج الحق وكشف الصدق ص ٣٨٠ ب بيروت وانظر دلائل الصدق: ج ٣ ص ٢٢٠ ط ١.

(٣) لا يحضرني كتاب عباد العصفري.

(٤) لم أطلع بعد على كتاب محمد بن المثنى هذا، ولكن الحديث مؤيد بشواهد قطعية وقد ذكر العلامة الأميني قصة لعن أمير المؤمنين ﷺ معاوية وعناته عن مصادر جمة من كتب أهل السنة في ترجمة عمرو بن العاص من كتاب الغدير: ج ٢ ص ١٣٢، ط بيروت.

(٥) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (١٩٨ / أو ٢٠٠) من نهج البلاغة.

وقال ابن أبي الحديد الغدرة بضم الفاء وفتح العين الكثير الغدر والكفرة والفجرة الكثير الكفر والفجور وكل ما كان على هذا البناء فهو الفاعل فإن سكنت العين فهو المفعول تقول رجل ضحكة أي يضحك وضحكة أي يضحك منه ويروي غدرة وفجرة وكفرة على فعلة للمرة الواحدة.

وقال ابن ميثم قال بعض الشارحين وجه لزوم الكفر هنالك أن الغدر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما هو المشهور من حال ابن العاص ومعاوية في استباحة ما علم تحريمه ضرورة وجده هو الكفر ويحتمل أن يريد كفر نعم الله وسترها بإظهار معصيته كما هو المفهوم منه لغة.

أقول: إطلاق الكفر على ارتكاب الكبائر واجتناب الفرائض شائع في الأخبار.

قوله **عَلَيْهِ مَا أَسْتَغْفِلُ** أي لا يمكن للخصم أن يجعلني غافلاً بكيدة بل أعلم مقصوده لكنني قد أعرض عنه للمصلحة وأحكم بظاهر الأمر رعاية للشريعة أولاً لا تجوز المكيدة علي كما تجوز على ذوي الغفلة ولا أستغفر الغمز العصر باليد والكبس أي لا ألين بالخطب الشديد بل أصبر عليه ويروي بالراء المهملة أي لا أستجهل بشدائد المكاره.

٤٨٤- كشف الحق: للعلامة قدس الله روحه قال روى صاحب كتاب الهاوية أن معاوية قتل أربعين ألفاً من المهاجرين والأنصار وأولادهم^(١).

٤٨٥- أقول قال مؤلف إلزام النواصب والعلامة رحمه الله في كشف الحق، روى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب المثالب كان معاوية لعنارة بن الوليد المخزومي ولمسافر بن أبي عمرو ولأبي سفيان و لرجل آخر سماء وكانت هند أمه من المغلمات وكان أحب الرجال إليها السودان وكانت إذا ولدت أسود دفتته وكانت حمامة إحدى جدات معاوية لها راية في ذي المجاز^(٢).

قالا وذكر أبو سعيد إسماعيل بن علي السمعاني الحنفي من علماء أهل السنة في مثالب بني أمية والشيخ أبو الفتح جعفر بن محمد الهمداني من علمائهم في كتاب بهجة المستفيد أن مسافر بن عمرو بن أمية بن عبد شمس كان ذا جمال وسخاء فغشق هنداً وجامعها سفاحاً واشتهر ذلك في قريش فلما حملت وظهر السفاح هرب مسافر من أبيها إلى الحيرة وكان سلطان العرب عمرو بن هند وطلب أبوها عتبة أبا سفيان وعده بمال جزيل وزوجه هنداً فوضعت بعد ثلاثة أشهر معاوية ثم ورد أبو سفيان على عمرو بن هند فسأله مسافر عن حال هند فقال إني تزوجتها فمرض ومات.

٤٨٦- وقال العلامة رحمه الله في كشف الحق، ادعى معاوية أخوة زياد وكان له مدع يقال له أبو عبيدة عبد بني علاج من ثقيف فأقدم معاوية على تكذيب ذلك الرجل مع أن زياداً ولد على فراشه وادعى معاوية أن أبا سفيان زنى بوالدة زياد وهي عند زوجها المذكور وإن زياداً من أبي سفيان انتهى^(٣).

٤٨٧- وقال العلامة الشيرازي في نزهة القلوب، أولاد الزنا نجب لأن الرجل يزني بشهوته ونشاطه فيخرج الولد كاملاً وما يكون من الحلال فمن تصنع الرجل إلى المرأة ولهذا كان عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان من دهاة الناس^(٤).

ثم ساق الكلام في بيان نسبهما على ما سيأتي من كتاب ربيع الأبرار ثم زاد على ذلك وقال ومنهم زياد ابن أبيه وفيه يقول الشاعر:

ألا أبسلغ معاوية بن حرب مغلفة من الرجل اليماني
أنغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يكون أبوك زان

(١) رواه العلامة قدس سره في أواخر المطلب الرابع من كتاب كشف الحق ونهج الصدق ص ٣١٢، ط بيروت وانظر دلائل الصدق: ج ٣ ص ٢٣٥ ط ١.

(٢) رواه العلامة في آخر المطلب الرابع من كتاب كشف الحق ونهج الصدق، ص ٣٠٧، ط بيروت وليلاحظ كتاب دلائل الصدق: ج ٣ ص ٢٣٦ ط ١، أو إحقاق الحق.

(٣) ذكره العلامة رفع الله مقامه في أوائل المطلب الرابع من كتاب كشف الحق ونهج الصدق ص ٣٠٧ ط بيروت.

(٤) لم أظفر بكتاب نزهة القلوب بعد.

٤٨٨- كتاب الغارات، لإبراهيم بن محمد الثقفي عن يوسف بن كليب المسعودي عن الحسن بن حماد الطائي عن عبد الصمد البارقى قال قدم عقيل على علي عليه السلام و هو جالس في صحن مسجد الكوفة فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله قال و عليك السلام يا أبا يزيد ثم التفت إلى الحسن بن علي عليه السلام فقال قم و أنزل عمك فذهب به و أنزله و عاد إليه فقال له اشتر له قميصا جديدا و رداء جديدا و إزارا جديدا و نعلا جديدا ففدا علي عليه السلام في الثياب فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين قال و عليك السلام يا أبا يزيد قال يا أمير المؤمنين ما أراك أصبت من الدنيا شيئا إلا هذه الحصاة قال يا أبا يزيد يخرج عطائي فأعطيكاه^(١).

٢٠٠
٣٣

فارتحل عن علي عليه السلام إلى معاوية فلما سمع به معاوية نصب كراسيه و أجلس جلساءه فورد عليه فأمر له بمائة ألف درهم فقبضها فقال له معاوية أخبرني عن العسكرين قال مررت بعسكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإذا ليل كليل النبي صلى الله عليه وآله و نهار كنهار النبي إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم و مررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة فقال من هذا الذي عن يمينك يا معاوية قال هذا عمرو بن العاص قال هذا الذي اختصم فيه ستة نفر فغلب عليه جزاها فمن الآخر قال الضحاک بن قيس الفهري قال أما و الله لقد كان أبوه جيد الأخذ خسيس النفس فمن هذا الآخر قال أبو موسى الأشعري قال هذا ابن المراقبة.

فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه قال يا أبا يزيد ما تقول في قال دع عنك قال لتقولن قال أتعرف حمامة قال و من حمامة قال أخبرتك.

و مضى عقيل فأرسل معاوية إلى النسابة فقال أخبرني من حمامة قال أعطني الأمان على نفسي و أهلي فأعطاه قال حمامة جدتك و كانت بغية في الجاهلية لها راية تؤتى قال الشيخ قال أبو بكر بن زين^(٢) هي أم أم أبي سفيان.

٢٠١
٣٣

٤٨٩- و قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة معاوية هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف و أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف و أبو سفيان هو الذي قاد قريشا في حروبها إلى النبي صلى الله عليه وآله و كانت هند تذكر في مكة بفجور و عهر^(٣).

و قال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار، كان معاوية يعزى إلى أربعة إلى مسافر بن أبي عمرو و إلى عمارة بن الوليد بن المغيرة و إلى العباس بن عبد المطلب و إلى الصباح مغن كان لعمارة بن الوليد قال و كان أبو سفيان دميما قصيرا و كان الصباح عسيفا لأبي سفيان شابا وسيما فعدته هند إلى نفسها فغشيها و قالوا إن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضا و قالوا إنها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعت هناك و في هذا المعنى يقول حسان أيام المهاجرة بين المسلمين و المشركين في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله قبل عام الفتح

لمن الصبي بجانب البطحاء
في الترب ملقى غير ذي مهد
نجلت به بيضاء آنسه
من عبد شمس صلته الخد

قال ابن أبي الحديد و ولي معاوية اثنتان و أربعين سنة منها اثنتان و عشرون سنة و لي فيها إمارة الشام مذ مات أخوه يزيد بن أبي سفيان بعد خمس سنين من خلافة عمر إلى أن قتل أمير المؤمنين عليه السلام في سنة أربعين و منها عشرون سنة خليفة إلى أن مات في سنة ستين.

و كان أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله و اختلف في كتابته له كيف كانت فالذي عليه المحققون من أهل السيرة أن الوحي كان يكتبه علي عليه السلام و زيد بن ثابت و زيد بن أرقم و إن حنظلة بن الربيع و معاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك و إلى رؤساء القبائل و يكتبان حوائجه بين يديه و يكتبان ما يجيى من أموال الصدقات ما يقسم له في أربابها. و كان معاوية على أس الدهر مبعضا لعلي شديد الانحراف عنه و كيف لا يبعضه و قد قتل أخاه حنظلة يوم بدر و

٢٠٢
٣٣

(١) الحديث المذكور تحت الرقم: (٣٢) من تلخيص كتاب الغارات ص ٦٥ ط ١. ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٢٩) من نهج البلاغة: ج ١، ص ١٥٧.

(٢) كذا في الأصل و لعل الصواب: الزبير بن أبي بكر.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه على المختار: (٢٥) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٧٠ الحديث ببغوت.

وما رواه عن كتاب ربيع الأبرار موجود فيه في «باب القرباب و الأنساب» منه في ج ٣ ورواه عنه العلامة الأميني في الفدير: ج ١، ص ١٧٠.

خاله الوليد بن عتبة وشرك عمة حمزة في جده وهو عتبة أو في عمه وهو شيبه على اختلاف الرواية وقتل من بني عمه من بني عبد شمس نفرا كثيرا من أعيانهم وأماثلهم ثم جاءت الطامة الكبرى واقعة عثمان فنسبها كلها إليه بشبهة إمساكه عنه وانصواء كثير من قتلته إليه فتأكدت البغضة واثرت الأحقاد وتذكرت تلك التراث الأولى حتى أنفضى الأمر إلى ما أنفضى إليه.

وقد كان معاوية مع عظم قدر علي عليه السلام في النفوس واعتراف العرب بشجاعته وأنه البطل الذي لا يقام له يتهدده و عثمان بعد حي بالحرب والمناذبة ويراسله من الشام رسائل خشنة.

ثم قال ومعاوية مطعون في دينه عند شيوخنا يرمى بالزندقة وقد ذكرنا في نقض السفينية على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الإلحاد والتعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وما تظاهر به من الجبر والإرجاء ولو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربه الإمام ما يكفي في فساد حاله لا سيما على قواعد أصحابنا وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير إلى النار والخلود فيها إن لم يكفروا التوبة.

وقال في موضع آخر معاوية عند أصحابنا مطعون في دينه منسوب إلى الإلحاد قد طعن فيه شيخنا أبو عبد الله البصري في كتاب نقض السفينية على الجاحظ وروى عنه أخبارا تدل على ذلك

٤٩٠- روى ذلك أحمد بن أبي طاهر في كتاب أخبار الملوك أن معاوية سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله فقالها فقال أشهد أن محمدا رسول الله فقال لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمة ما رضيت لنفسك إلا أن تفرن اسمك باسم رب العالمين^(١).

٤٩١- قال وروى نصر بن مزاحم عن الحكم بن ظهير عن إسماعيل عن الحسن^(٢).

قال وحدثنا الحكم أيضا عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه.

فقال الحسن فوالله ما فعلوا ولا أفعلوا

٤٩٢- وروى أيضا في موضع آخر من تاريخ محمد بن جرير الطبري أنه قال في هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس فخوفه عبيد الله بن سليمان اضطراب العامة وأنه لا يأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت إليه فكان أول شيء بدأ به المعتضد من ذلك التقديم إلى العامة بلزوم أعمالهم وترك الاجتماع والعصية والشهادات عند السلطان إلا أن يسألوا^(٣) ومنع القصاص عن القعود على الطرقات.

وأثنى هذا الكتاب وعملت منه نسخ قرئت بالجانبين من مدينة السلام في الأرباع والمحال والأسواق في يوم الأربعاء لست بقين منها ومنع القصاص من القعود في الجانبين ومنع أهل الحلق في الفتيا أو غيرهم من القعود في المسجدين.

ونودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاص أو غيره ومنع القصاص وأهل الحلق من القعود. ونودي أن الذمة قد برئت ممن اجتمع من الناس في مناظرة وجدل.

وتقدم إلى الشراب الذين يسقون الماء في الجامعين أن لا يترحموا على معاوية ولا يذكره بخير وكانت عادتهم جارية بالترحم.

وتحدث الناس أن الكتاب الذي قد أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة لسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ.

وقيل إن عبيد الله بن سليمان صرفه عن قراءته وأنه أحضر يوسف بن يعقوب القاضي وأمره أن يعمل الحيلة في

(١) ما وصلني بعد خبر عن كتاب أخبار الملوك.

(٢) الحديث الموجود في أوائل الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢١٦ ط الحديث بمصر. وتقدم تحت الرقم: (٤٦١) ص ٥٦٥ ط ١، نقل المصنف الحديث مباشرة عن كتاب صفين.

(٣) ومثله في شرح ابن أبي الحديد: وفي تاريخ الطبري: «وترك الاجتماع والقضية والشهادات عند السلطان...» وما وضعه بين المعقوفين مأخوذ منه ومن شرح ابن أبي الحديد، غير أن ما ساقه المصنف هنا أكثرياً بحسب اللفظ أقرب إلى ما في شرح نهج البلاغة منه إلى ما في تاريخ الطبري.

إبطال ما عزم المعتضد عليه فمضى يوسف فكلّم المعتضد في ذلك و قال له إني أخاف أن تضطرب العامة و يكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة فقال إن تحركت العامة أو نطقت وضعت السيف فيها فقال يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين يخرجون في كل ناحية و يعيل إليهم خلق كثير لقرابتهم من رسول الله و ما في هذا الكتاب من اطرائهم أو كما قال و إذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل و كانوا هم أبسط السنة و أثبت حجة منهم اليوم فأمسك المعتضد فلم يرد عليه جوابا و لم يأمر بعد ذلك في الكتاب بشيء.

وكان من جملة الكتاب بعد أن قدم حمد الله و الثناء عليه و الصلاة على رسوله ﷺ أما بعد فقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم و فساد قد لحقهم في معتقدهم و عصبية قد غلبت عليها أهواؤهم و نطقت بها ألسنتهم على غير معرفة و لا روية قد قلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة و لا بصيرة و خالفوا السنن الإبتعية إلى الأهواء المبتدعة قال الله عز و جل ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ خروجا عن الجماعة و مسارعة إلى الفتنة و إثارة للفرقة و تشييتا للكلمة و إظهارا لموالاة من قطع الله عنه الموالاة و بتر منه العصمة و أخرجه من الملة و أوجب عليه اللعنة و تعظيما لمن صغر الله حقه و أوهن أمره و أضعف ركنه من بني أمية الشجرة الملعونة و مخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة و أسبغ عليهم به النعمة من أهل بيت البركة و الرحمة ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك و رأى ترك إنكاره حرجا عليه في الدين و فسادا لمن قلده الله أمره من المسلمين و إهمالا لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين و تبصير الجاهلين و إقامة الحجة على الشاكين و بسط اليد عن المعاندين.

و أمير المؤمنين يخبركم معاشر المسلمين أن الله عز و جل تناؤه لما ابتعث محمدا ﷺ بدينه و أمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله و عشيرته فدعاهم إلى ربه و أندرهم و بشرهم و نصح لهم و أرشدهم و كان من استجاب له و صدق قوله و اتبع أمره نفر يسير من بني أبيه^(١) من بين مؤمن بما أتى به من ربه و ناصر لكلمته و إن لم يتبع دينه إعزازا له و إشفاقا عليه فمؤمنهم مجاهد بصيرته و كافرهم مجاهد بنصرته و حميته يدفعون من نابذه و يقهرون من عابه و عانده و يتوثقون له ممن كانفه و عاضده و يباعدون له من سمح له بنصرته و يتجسسون أخبار أعدائه و يكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين حتى بلغ المدى و حان وقت الاهتداء فدخلوا في دين الله و طاعته و تصديق رسوله و الإيمان به بأثبت بصيرة و أحسن هدى و رغبة.

فجعلهم الله أهل بيت الرحمة أهل بيته الذين أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا معدن الحكمة و ورثة النبوة و موضع الخلافة أوجب الله لهم الفضيلة و ألزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممن عانده و كذبه و حاربه من عشيرته العدد الكثير و السواد الأعظم يتلقونه بالضرر و التثريب و يقصدونه بالأذى و التخويف و ينادونهم بالعداوة و ينصبون له المحاربة و يصدون عن قصده و يناولون بالتعذيب من اتبعه.

وكان أشدهم في ذلك عداوة و أعظمهم له مخالفة أولهم في كل حرب و مناصبة و رأسهم في كل إجلاب و فتنة لا ترفع عن الإسلام راية إلا كان صاحبها و قائدها و رئيسها أبا سفيان بن حرب صاحب أحد و الخندق و غيرها و أشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله ﷺ في مواطن عدة لسابق علم الله فيهم و ماضي حكمه في أمرهم و كفرهم و نفاقهم فلم يزل لعنه الله يحارب مجاهدا و يدافع مكابدا و يجلب منابذا حتى قهره السيف و علا أمر الله و هم كارهون فتعوز بالإسلام غير منطو عليه و أسر الكفر غير مقلع عنه قبله و قبل ولده على علم منه بحاله و حالهم ثم أنزل الله تعالى كتابا فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم و هو قوله ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَعْلُومَةُ فِي الْفُرَّانِ﴾ و لا خلاف بين أحد أنه تبارك و تعالى أراد بها بني أمية.

ومما ورد من ذلك في السنة و رواه ثقات الأمة قول رسول الله ﷺ فيه و قد رآه مقبلا على حمار و معاوية يقوده و يزيد يسوقه لعن الله الراكب و القائد و السائق.

(١) كذا في تاريخ الطبري طبع الحديث ببيرت، وفي ط الحديث ببيرت من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: «نُفِر يسير...» وفي ط الكلباني من البحار: «إمرء يسير...».

و منه ما روته الرواة عنه من قوله يوم بيعة عثمان تلقفوا يا بني عبد شمس تلقف الكرة فوالله ما من جنة ولا نار وهذا كفر صراح يلحقه اللعنة من الله كما لحقت «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ».

و منه ما يروي من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده هناك ديننا محمداً و قتلنا أصحابه^(١).
و منها الكلمة التي قالها للعباس قبل الفتح و قد عرضت عليه الجنود لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقال له العباس ويحك إنه ليس بملك إنها النبوة.

و منه قوله يوم الفتح و قد رأى بلالا على ظهر الكعبة يؤذن و يقول أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ لقد أسعد الله عبته بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد.

و منها الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ فوجم لها قالوا فما رني بعدها ضاحكاً رأى نفراً من بني أمية ينزون على منبره نزو القردة و منها طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لمحاكاته إياه في مشيته و ألحقه الله بدعوة رسول الله ﷺ آفة باقية حين التفت إليه فرآه يتخلج يحكيه فقال كن كما أنت فبقي على ذلك سائر عمره.

هذا إلى ما كان من مروان ابنه وافتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام و احتقابه كل دم حرام سفك فيها أو أريق بعدها^(٢).
و منها ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ «لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» قالوا ملك بني أمية^(٣).

و منها أن رسول الله ﷺ دعا معاوية ليكتب بين يديه فدافع بأمره و اعتل بطعامه فقال ﷺ لا أشبع الله بطنه فبقي لا يشبع و يقول و الله ما أترك الطعام شعباً و لكن إغياً.

و منها أن رسول الله ﷺ قال يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي فطلع معاوية.

و منها أن رسول الله ﷺ قال إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه و منها الحديث المشهور المرفوع أنه قال إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك من جهنم ينادي يا حنان يا منان فيقال له أَلَّا نَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَتْلَ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُنْصِفِينَ.

و منها انتزاعه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً و أقدمهم إليه سيقاً و أحسنهم فيه أثراً و ذكرنا على بن أبي طالب صلوات الله عليه ينازعه حقه بباطله و يجاهد أنصاره بضلالته و أعوانه و يحاول ما لم يزل هو و أبوه يحاولانه من إطفاء نور الله و جحود دينه «وَ يَأْتِي اللَّهُ الْإِنْسَانَ نُبُوءَ وَ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^(٤) يستهوي أهل الجهالة و يمهو لأهل الغباوة بمكره و بغيه الذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنهما فقال لعمار بن ياسر تقتلك الفتنة الباغية تدعوهم إلى الجنة و يدعونك إلى النار مؤثراً للعاجلة كافراً بالأجلّة خارجاً من طريقة الإسلام^(٥) مستحلاً للدم الحرام حتى سفك في فتنته و على سبيل غوايته و ضلالته دماء ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابيين عن دين الله و الناصرين لحقه مجاهداً في عداوة الله مجتهداً في أن يعصى الله فلا يطاع و تبطل أحكامه فلا تقام و يخالف دينه فلا يدان و أن تلعو كلمة الضلال و ترتفع دعوة الباطل وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَلْبَانِ و دينه المنصور و حكمه النافذ و أمره الغالب و كيد من عاداه و حاده المغلوب الداحض حتى احتمل أوزار تلك الحروب و ما أتبعها و تطوق تلك الدماء و ما سفك بعدها و سن سنن الفساد التي عليه إثمها و إثم من عمل بها و أباح المحارم لمن ارتكبها و منع الحقوق أهلها و غرت الآمال و استدرجه الإمهال.

و كان مما أوجب الله عليه به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة و التابعين و أهل الفضل و الدين مثل عمرو بن الحمق الخزاعي و حجر بن عدي الكندي فيمن قتل من أمثالهم على أن يكون له العزة و الملك و الغلبة.

(١) كذا في أصلي. وفي ط الحديث ببيروت من شرح ابن أبي الحديد: «ها هنا رمينا محمداً...» وفي ط بيروت من تاريخ الطبري: «ها هنا ذنبنا محمداً وأصحابه...».

(٢) هذا هو الصواب كما في تاريخ الطبري وشرح ابن أبي الحديد. والاحتساب: الإرتكاب. وفي ط الكماني من البحار: «احتقانه».

(٣) ومثله في شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة «وفي تاريخ الطبري»: «ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر: «ليلة القدر خير من ألف شهر» من ملك بني أمية».

(٤) هذا هو الصواب المذكور في شرح ابن أبي الحديد، وهي الآية: (٣٢) من سورة التوبة: (٩) وفي ط الكماني من البحار وتاريخ الطبري: «لوكره المشركون».

(٥) كذا في طبع الكماني من كتاب البحار. وفي تاريخ الطبري ابن أبي الحديد «خارجاً من ربة الإسلام...».

ثم ادعاه زياد ابن سمية أخا ونسبته إياه إلى أبيه والله تعالى يقول «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» ورسوله يقول ملعون من ادعى إلى غير أبيه أو اتحمي إلى غير مواليه.

وقال الولد للفراش وللعاهر الحجر فخالف حكم الله تعالى ورسوله جهارا وجعل الولد لغير الفراش والحجر لغير العاهر فأحل بهذه الدعوة من محارم الله ورسوله في أم حبيبة أم المؤمنين وفي غيرها من النساء من شعور وجوه قد حرّمها الله وأثبت بها من قربي قد أبعداها الله ما لم يدخل الدين خلل مثله ولم ينل الإسلام تبديلا يشبهه.

ومن ذلك إشارته لخلافة الله على عباده ابنه يزيد السكير الخمير صاحب الديكة والفهود والقردة وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعد والإخافة والتهديد والرهبة وهو يعلم سقهه ويطلع على رقهه وخبثه ويعاين سكراته وفعالاته وفجوره وكفره فلما تمكن قاتله الله فيما تمكن منه طلب بثارات المشركين وطوائهم عند المسلمين فأوقع بأهل المدينة في وقعة الحرة الواقعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش فشنى عند نفسه غليله وظن أنه قد انتقم من أولياء الله وبلغ الثأر لأعداء الله فقال مجاهرا بكفّره ومظها لشرکه:

ليت أشياخي بسدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل

قول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ولا يؤمن بالله وبما جاء من عنده ثم من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اجترم سفكه دم الحسين بن علي صلوات الله عليهما مع موقعه من رسول الله ﷺ ومكانه ومنزلته من الدين والفضل والشهادة له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة اجترأ على الله وكفرا بدينه وعداوة لرسوله ومجاهرة لعترته واستهانة لحرمة كآمنه يقتل لعنه الله قوما من كفرة الترك والديلم لا يخاف من الله نعمة ولا يراقب منه سطوة فيتر الله عمره واجتث أصله وفرعه وسلبه ما تحت يده وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته.

هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكام الله واتخاذ مال الله بينهم دولا وهدم بيت الله واستحلال حرامه ونصيبهم المجانيق عليه ورميهم بالنيران إليه لا يألون إحراقا وإخراجا ولما حرم الله منه استباحة وانتهاكا ومن لجأ إليه قتلا وتنكيلا ومن آمنه الله به أخافه وتشريدا حتى إذا حقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام وملثوا الأرض بالجور والعدوان وعموا عباد الله بالظلم والاعتسار وحلت عليهم السخط ونزلت بهم من الله السطوة أتاح الله لهم من عترة نبيه وأهل وراثته ومن استخلصه منهم لخلافته مثل ما أتاح من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائهم الكافرين فسفك الله دماءهم مرتدين كما سفك بآبائهم دماء آبائهم مشركين وقطع الله دابر الذين ظلموا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يا أيها الناس إن الله إنما أمر ليطاع ومثل ليمثل وحكم ليفعل قال سبحانه إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا وقال أولئك يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ النَّاسُ.

فالعنوا أيها الناس من لعنه الله ورسوله وقارقوا من لا تتالون القرية من الله إلا بمغارقته.

اللهم العن أبا سفيان بن أمية ومعاوية ابنه يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده وولد ولده.

اللهم العن أئمة الكفر وقادة الضلال وأعداء الدين ومجاهدي الرسول ومعطي الأحكام ومبدلي الكتاب ومنتهكي الدم الحرام.

اللهم إنا نبرأ إليك من موالاة أعدائك ومن الإغماض لأهل معصيتك كما قلت «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

أيها الناس اعرفوا الحق تعرفوا أهله وتأمّلوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها فقفوا عند ما وقفكم الله عليهم وأنفدوا لما أمركم الله به وأمير المؤمنين يستعصم بالله لكم ويسأله توفيقكم ويرغب إليه في هدايتكم والله حسبه وعليه توكله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال في موضع آخر أن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرها بسب علي صلوات الله عليه والبراءة منه وخطب بذلك على منابر الإسلام وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبد العزيز فأزاله.

وقال الجاحظ إن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة اللهم إن أبا تراب أئد في دينك و صد عن سبيلك
فالغنه لغنا وبيلا و عذبه عذابا أليما.

وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات ينادى بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز.
وذكر المبرد في الكامل أن خالد بن عبدالله القسري لما كان أميرالعراق في خلافة هشام كان يلعن عليا عليه السلام على المنبر.
وذكر الجاحظ أن قوما من بني أمية قالوا لمعاوية إنك قد بلغت ما أملت فلو كفت عن لعن هذا الرجل فقال لا والله
حتى يربو عليه الصغير و يهرم عليه الكبير و لا يذكر له ذاك فضلا.

وأراد زياد أن يعرض على أهل الكوفة البراءة من علي ولعنه وأن يقتل كل من امتنع من ذلك و يخرّب منزله
فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون فمات بعد ثلاثة أيام و ذلك في أيام معاوية.

قال وقال أبو جعفر الإسكافي و روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية
نزلت في علي عليه السلام «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا
تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ» و أن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم
و هي «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» فلم يقبل فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له
ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل أربعمائة فقبل

و روي ذلك و قال إن معاوية وضع قوما من الصحابة و قوما من التابعين على رواية أخبار قبيصة في علي عليه السلام
فاختلفوا ما أراضاه منهم أبو هريرة و عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبة و من التابعين عروة بن الزبير
قال و قد روي عن علي عليه السلام أنه قال أكذب الناس على رسول الله صلى الله عليه و آله أبو هريرة الدوسي

قال و قد روى الواقدي أن معاوية لما عاد من العراق إلى الشام خطب فقال أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال إنك
ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة فإن فيها الأبدال و قد اخترتكم فالعنوا أبا تراب فلعنوه.

قال وروى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال أتينا مسجد رسول
الله صلى الله عليه و آله و الناس يقولون نعوذ بالله من غضب الله و غضب رسوله فقلت ما هذا قالوا معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي
سفيان فخرجنا فقال رسول الله صلى الله عليه و آله لعن الله التابع و المتبوع رب يوم لأمتي من معاوية ذي الأستاذة قالوا يعني كبير العجز.
قال وروى العلاء بن جرير أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لمعاوية لتتخذن يا معاوية البدعة سنة و القبيح حسنا أكلك كثير
وظلمك عظيم.

قال وروى الحرث بن حصيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ قال قال علي عليه السلام نحن و آل أبي سفيان قوم تعادوا
في الله و الأمر يعود كما بدا.

قال وروى عن عمر بن مرة عن أبي عبد الله بن سلمة عن علي عليه السلام قال رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه و آله فشكوت إليه فقال
هذه جهنم فانظر من فيها فإذا معاوية و عمرو بن العاص معلقين بأرجلهم منكسين ترضخ رءوسهما بالحجارة أو قال تشدخ.
قال و روى صاحب كتاب الغارات عن الأعمش عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله يقول سيظهر على الناس
رجل من أمتي عظيم السرة واسع البلعوم يأكل و لا يشبع يحمل وزر الثقيل يطلب الإمارة يوما فإذا أدركتموه فاقبروا
بطنه قال و كان في يد رسول الله صلى الله عليه و آله قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية.

توضيح: الواجم الذي اشتد حزنه و أمسك عن الكلام و تخلج المفلوج في مشيته بالخاء المعجمة
ثم الجيم أي تفكك و تمايل و السالبة أبناء السبيل.

قوله صلى الله عليه و آله و يعود كما بدا أي يقع الحرب بيني و بينهم كما وقع بين النبي و بينهم أو يعودون إلى
الكفر أو إشارة إلى السفيناني و قال الجوهري السرم يعني بالضم مخرج الثفل و هو طرف المعى
المستقيم كلمة مولدة

٥٠٧هـ: ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن محمد بن هارون بن حميد عن جرير بن أشعث بن
إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة^(١) عن سعيد بن جبير:

(١) هذا هو الصواب، وفي ط الكمباني من البحار: «عن ابن أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المائرة».

عن ابن عباس قال كنت عند معاوية و قد نزل بذى طوى فجاءه سعد بن أبي وقاص فسلم عليه فقال معاوية يا أهل الشام هذا سعد و هو صديق لعلّي قال فطأطأ القوم رءوسهم و سبوا علياً ﷺ فبكى سعد فقال له معاوية ما الذي أبكاك قال و لم لا أبكي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ يسب عندك و لا أستطيع أن أغير و قد كان في علي خصال لأن تكون في واحدة منهم أحب إلي من الدنيا و ما فيها أحدها أن رجلاً كان باليمن فجاءه علي بن أبي طالب ﷺ فقال لأشكونك إلى رسول الله ﷺ فقدم على رسول الله ﷺ فسأله عن علي ﷺ فثنى عليه فقال أنشدك بالله الذي أنزل علي الكتاب و اختصني بالرسالة أعن سخط تقول ما تقول في علي ﷺ قال نعم يا رسول الله قال ألا تعلم أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال بلى قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه.

و الثانية أنه بعث يوم خيبر عمر بن الخطاب إلى القتال فهزم و أصحابه فقال ﷺ لأعطين الراية غداً إنساناً يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله فقدأ المسلمون و علي أرمده فدعاه فقال خذ الراية فقال يا رسول الله إن عني كما ترى فتفل فيها فقام فأخذ الراية ثم مضى بها حتى فتح الله عليه.

و الثالثة أنه خلفه في بعض مغازيه فقال علي ﷺ يا رسول الله خلفتني مع النساء و الصبيان فقال رسول الله ﷺ ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

و الرابعة سد الأبواب في المسجد إلا باب علي. ٢١٩
٣٣
و الخامسة نزلت هذه الآية «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فدعا النبي ﷺ علياً و حسناً و حسيناً فاطمة ﷺ فقال اللهم هؤلاء أهلي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

بيان: الثناء بتقديم المثلثة يطلق على المدح و الذم و في الأول أغلب و بتقديم النون بالعكس.

٥٠٨- كنز: [كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات الظاهرة] الكراجكي بلغ الحسين بن علي صلوات الله عليه كلام نافع بن جبیر في معاوية و قوله إنه كان يسكته الحلم و ينطقه العلم فقال ﷺ بل كان ينطقه البطر و يسكته الحصر^(١).

بيان: الحصر بالتحريك العي.

باب ١٨ باب ما جرى بينه ﷺ و بين عمرو بن العاص لعنه الله و بعض أحواله

٥٠٩- ج: [الإحتجاج] قال ﷺ في عمرو جواباً عما قال فيه^(٢):
عجبا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعاية و أنني امرؤ تلعبه أعراس و أمارس لقد قال باطلا و نطق آمناً أما و شر القول الكذب إنه يقول فيكذب و يعد فيخلف و يسأل فيلحف و يسأل فيبخل و يخون العهد و يقطع الآل فإذا كان عند الحرب فأني زاجر و أمر هو ما لم تأخذ السيوف مأخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم سبته. أم و الله إني ليمعني من اللعب ذكر الموت و إنه ليمتعه عن قول الحق نسيان الآخرة إنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتیه أتیة و یرضخ علی ترك الدين له رضية

٥١٠- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ في ذكر عمرو بن العاص عجبا لابن النابغة و ذكر نحوه^(٣).

بيان: نبغ الشيء أظهر قال بعض الشارحين سميت أم عمرو النابغة لشهرتها بالفجور و تظاهرها به و سيأتي وصف نسيه لعنه الله.

و الرجلان قبيان موقنان عند حفاظ أهل السنة، و ذكرهما ابن حجر و لكن ذكر الأول بعنوان التمييز، و الثاني بعنوان كونه من رجال الصحاح في كتاب تهذيب التهذيب: ج ١، ص ٣٥٠ و ج ٢ ص ١٠٨. (١) رواه العلامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد. (٢) رواه الطبرسي ح قبل عنوان: «وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية احتجاجاً عليه» من كتاب الإحتجاج: ج ١، ص ١٨٢. (٣) رواه السيد الرضوي رفع الله مقامه في المختار: (٨٢) من كتاب نهج البلاغة.

وزعم كنصر زعما مثثلة أي قال حقاً أو باطلاً وأكثر ما يستعمل في الباطل وما يشك فيه والدعابة بالضم المزاح والمراد هنا الدعابة الخارجة عن الاعتدال.

وروي أنه كان يقول لأهل الشام إنما أخرنا علياً لأن فيه هزلاً لا جد معه وتبع في ذلك أثر عمر حيث قال يوم الشورى لما أراد صرف الأمر عنه ﷺ لله أنت لو لأن فيك دعابة.

ورجل تلعب بالكرس أي كثير اللعب والمعافسة والعفاس بالكرس الملاعبة وفي بعض نسخ كتاب الاحتجاج أعاوس مكان أعافس ولعله من أعرس الرجل إذا دخل بامرأته عند بنائها وقد يطلق على الجماع والممارسة المزاولة قال ابن الأثير في مادة مرس من كتاب النهاية وقد يطلق على الملاعبة ومنه حديث علي زعم أنني كنت أعافس وأمارس أي ألعب النساء.

وأحف أي ألح وإل بالكرس العهد والقرابة والحلف والجار ذكره الفيروزآبادي في مادة أل من كتاب القاموس والمراد بقطع الآل هنا قطع الرحم أو تضييع الحليف والجار.

والمأخذ على لفظ الجمع وفي بعض النسخ على المفرد.

وكلمة كان الأولى تامة والإشارة إلى أخذ السيوف مأخذها وهو التحام الحرب ومخالطة السيوف وأكبر بالباء الموحدة وهو أظهر مما في بعض النسخ من المثثلة. والمكيدة المكر والحيلة ويمنع كيمع أي يعطي والسبة الاست أي العجز أو حلقة الدبر والمراد بإعطاء القوم سبته ما ذكره أرباب السير ويضرب به المثل من كشفه سواته شاغراً برجليه لما لقيه أمير المؤمنين ﷺ في بعض أيام صفين وقد اختلطت الصفوف واشتعل نار الحرب فحمل ﷺ عليه فألقى نفسه عن فرسه رافعا رجليه كاشفا عورته فانصرف عنه لافتنا وجهه وفي ذلك قال أبو فراس.

ولا خير في دفع الأذى بمذلة كما ردها يوماً بسواته عمرو

والآتية العطية والرضخ العطاء القليل والمراد بالآتية والرضيخة ولاية مصر ولعل التعبير عنها بالرضيخة لقلتها بالنسبة إلى ترك الدين.

٢٢٣
٣٣

٥١١- ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] المفيد عن محمد بن عمران عن الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن علي بن محمد قال كان عمرو بن العاص يقول إن في علي دعابة فبلغ ذلك أمير المؤمنين ﷺ فقال: (١) زعم ابن النابغة أنني تلعباً مزاحاً ذو دعابة أعافس وأمارس هيهات يمنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البيث والحساب ومن كان له قلب ففي هذا عن هذا له واعظ و زاجر.

أما و شر القول الكذب إنه ليحدث فيكذب ويعد فيخلف فإذا كان يوم البأس فأني زاجر وأمر هو (٢) ما لم يأخذ السيوف هام الرجال فإذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنع القوم استه.

٥١٢- كتاب: الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفى قال بلغ علياً ﷺ أن ابن العاص ينتقصه عند أهل الشام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا عجبا عجبا لا ينقصي لابن النابغة يزعم لأهل الشام إلى آخر الكلام و جمع بين الروايتين (٣).

٥١٣- كتاب: سليم بن قيس الهلالي عن أبيان بن أبي عياش عن سليم قال إن عمرو بن العاص خطب بالشام فقال بعثني رسول الله ﷺ على جيش فيه أبو بكر وعمر فظننت أنه إنما بعثني لكرامتي عليه فلما قدمت قلت يا رسول

٢٢٤
٣٣

(١) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (٢١) من الجزء الخامس من أماليه ص ١٣١، ط بيروت.

وللاحظ الحديث: (٣٦) من أمالي الشيخ المفيد ص ٨٢.

(٢) هذا هو الظاهر المذكور في المطبوع من أمالي الشيخ. وفي ط الكمباني من البحار: «فأني زاجر وأين هو؟...».

(٣) الحديث المذكور تحت الرقم: (١٨٨) من المطبوع من منتخب كتاب الغارات: ج ١، ص ٥١٣ ط ١.

وللحديث صور مختلفة ومصادر كثيرة جداً على وسع الباحث أن يفت على بعضها تحت الرقم: (٩٨) من ترجمة أمير المؤمنين ﷺ من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٢٧، ط ١، وفي المخطوطة: ج ١ / الورق ٢٢٥.

وذكره أيضاً عن مصادر وعلى صور العلامة الأميني في ترجمة عمرو بن العاص من كتاب القدير: ج ٢ ص ١٢٨، ط بيروت.

الله أي الناس أحب إليك فقال عائشة قفلت من الرجال قال أبوها أيها الناس وهذا علي يطعن على أبي بكر وعمر و عثمان و قد سمعت رسول الله يقول إن الله ضرب بالحق على لسان عمر و قلبه و قال في عثمان إن الملائكة تستحيين من عثمان و قد سمعت عليا و إلا فصمتا يعني أذنيه يروي على عهد عمر أن نبي الله نظر إلى أبي بكر و عمر مقبلين فقال يا علي هذان سيदा كهول أهل الجنة من الأولين و الآخرين ما خلا النبيين منهم و المرسلين و لا تحدثهما بذلك فيهلكا.

فقام علي عليه السلام فقال العجب لطفاة أهل الشام حيث يقبلون قول عمرو و يصدقونه و قد بلغ من حديثه و كذبه و قلة ورعه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد لعنه سبعين لعنة و لعن صاحبه الذي يدعو إليه في غير موطن و ذلك أنه هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة سبعين بيتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني لا أقول الشعر و لا أحله فالعنه أنت و ملائكتك بكل بيت لعنة ترى على عقبه إلى يوم القيامة.

ثم لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقال إن محمدا قد صار أبتر لا عقب له و إني لأشأت الناس له و أقولهم فيه سوءا فأنزله الله عز وجل «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» يعني أبتر من الإيمان و من كل خير.

ما لقيت من هذه الأمة من كذابينها و منافقيها لكأنني بالقراء الضعفة المتجهذين رروا حديثه و صدقوه فيه و احتجوا علينا أهل البيت بكذبه إنا نقول خير هذه الأمة أبو بكر و عمر و لو شئت لسميت الثالث!!

و الله ما أراد بقوله في عائشة و أبيها إلا رضا معاوية بسخط الله عز و جل و لقد استرضاه بسخط الله. و أما حديثه الذي يزعم أنه سمعه مني فلا والذي فلق الحبة و برأ النسمة إنه ليعلم أنه قد كذب علي يقينا و أن الله لم يسمعه مني سرا و لا جهارا اللهم العن عمروا و العن معاوية بصددهما عن سبيك و كذبهما على كتابك و استخفافهما بنبيك صلى الله عليه وسلم و كذبهما عليه و علي.

٥١٤- أقول: قال ابن ميثم رحمه الله كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمرو بن العاص من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأبر بن الأبر عمرو بن العاص شائئ محمد و آل محمد في الجاهلية و الإسلام سلام علي من اتبع الهدى أما بعد فإنك تركت مروتك لا مرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه و يسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما وافق شن طبقة فسليك دينك و أمانتك و دنياك و آخرتك و كان علم الله بالغا فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجا أو الصبح أتى ^(١) يلتمس فاضل سورة و حوايا فريسته و لكن لا نجاة من القدر و لو بالحق أخذت لأدركت ما رجوت و قد رشد من كان الحق قائده ^(٢).

فإن يمكن الله منك و من ابن أكلة الأكباد ألحقكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و إن تعجزا أو تبقيا بعدي فالله حسبكما و كفى بانتقامه انتقاما و بعقابها عقابا و السلام

و روى ابن أبي الحديد مثله عن نصر بن مزاحم من كتاب صفين ٥١٥- ج: [الإحتجاج] نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص ^(٣):

فإنك جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه و يسفه الحليم بخلطته فاتبعته أثره و طلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالبه و ينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته فأذهبت دنياك و آخرتك و لو بالحق أخذت أدركت ما طلبت فإن يمكن الله منك و من ابن أبي سفيان أجزكما بما قدما و إن تعجزا و تبقيا فما أمامكما شر لكما و السلام.

(١) هذا هو الظاهر من السياق و الاستفاد قطعاً مما يأتي في بيان المصنف، وفي ط الكمباني من البحار هنا: «أو الصبح إذا يلتمس...» وهذا السياق أحسن مما في أصلي من شرح ابن أبي الحديد: «أو أتى الصبح...».

(٢) رواه كمال الدين ابن ميثم البحراني ح في شرحه على المختار: (٣٩) من الباب الثاني من نهج البلاغة: ج ٥ ص ٨٥ ط بيروت، وفي ط ج ٥ ص ٥٨.

و رواه أيضاً ابن أبي الحديد - نقلاً عن كتاب صفين - في شرحه على المختار (٣٩) من الباب الثاني من نهج البلاغة: ج ١٦ ص ١٦٣، وفي ط الحديث ببغروت: ج ٤ ص ٧٩١.

(٣) رواه الطبرسي ح في آخر عنوان: «احتجاج علي عليه السلام على معاوية في جواب كتاب كتب إليه...» من كتاب الاحتجاج: ج ١ ص ١٨٢ ط بيروت.

و رواه السيد الرضي قدس الله نفسه في المختار: (٣٩) من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب نهج البلاغة.

بيان:

إلى الأثر إشارة إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ فإنه نزل فيه.

قال ابن أبي الحديد أما غي معاوية فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه.

وأما مهتوك ستره فإنه كان كثير الهزل والخلاعة صاحب جلساء وسمار ومعاوية لم يتوقر ولم يلزم قانون الرئاسة إلا منذ خرج على أمير المؤمنين واحتاج إلى التاموس والسكينة وإلا فقد كان في أيام عثمان شديد التهتك موسوما بكل قبيح وكان في أيام عمر يستر نفسه قليلا منه إلا أنه كان يلبس الحرير ويشرب في آنية الذهب والفضة ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها وعليها جلال الديباج والوشي وكان حينئذ شابا عنده نزق الصبا وأشر الشبيبة وسكر السلطان والإمرة ونقل الناس عنه في كتب السيرة أنه كان يشرب الخمر في أيام عثمان بالشام فأما بعد وفاة أمير المؤمنين ﷺ واستقرار الأمر له فقد اختلف فيه فقيل إنه شرب الخمر في سر وقيل لم يشرب ولا خلاف في أنه سمع الغناء وطرب عليه وأعطى وصل عليه أيضا.

وأما قوله يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فالأمر كذلك لأنه لم يكن في مجلسه إلا شتم بني هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الإسلام والطعن عليه وإن أظهر الانتماء إليه.

قوله ﷺ كما وافق شن طبقة قال في مجمع الأمثال قال الشرقي بن القطامي كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شن فقال والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجه فينما هو في بعض مسير إذا رافقه رجل في الطريق فسأله شن أين تريد فقال موضع كذا وكذا يريد القرية التي يقصدها شن فرافقه حتى إذا أخذ في مسيرها قال شن أنحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فكيف أحملك أم تحملي. فسكت عنه شن فساروا حتى إذا قربا من القرية إذا هما بزرع قد استحصد فقال أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له الرجل يا جاهل ترى نبتا مستحصدا فتقول أكل أم لا فسكت عنه شن حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة فقال شن أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا فقال الرجل ما رأيت أجهل منك جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حي فسكت عنه شن فأراد مفارقتها فأبى الرجل أن يتركه حتى يسير به إلى منزله فمضى معه.

وكان للرجل بنت يقال لها طبقة فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه وشكا إليها جهله وحدنها بحديثه فقالت يا أبت ما هذا بجاهل أما قوله أتحملي أم أحملك فأراد أتحدثني أم أحديثك حتى تقطع طريقنا. وأما قوله أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فإنما أراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا.

وأما قوله في الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا. فخرج الرجل فقعده مع شن فحدثه ساعة ثم قال أحب أن أفسر لك ما سألتني عنه قال نعم ففسره فقال شن ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه فقال ابنة لي فخطبها إليه فزوجه وحملها إلى أهله فلما رأوها قالوا وافق شن طبقة فذهبت مثلا يضرب للمتوافقين.

وقال الأصمعي هم قوم كان لهم وعاء آدم فتشتمن فجعلوا له طبقا فوافقه فقبل وافق شن طبقة. وهكذا رواه أبو عبيدة في كتابه وفسره.

وقال ابن الكلبي طبقة قبيلة من إباد كانت لا تطاق ف وقعت بها شن ابن أقصى بن عبد القيس فانتصفت منها و أصابت فيها فضربا شلا للمفتقين في الشدة وغيرها قال الشاعر

لقيت شن إساد باللقنا

فزاد المتأخرون فيه واقفه فاعتقه انتهى.

وقال الجوهري أنى يأتي أنيا وأنى وأنا أي حان وأنى تأتية أيضا أدرك. وفي بعض النسخ بالتاء.

والحوايا الأمعاء وهو جمع حوية.

قوله ﷺ أدركت أي من الدنيا بقدر كفايتك أو من الآخرة.

قوله ﷺ فإن يمكن الله المفعول محذوف أي يمكنني.

قوله ﷺ وإن تعجز أي غلبتنا علي فالمفعول محذوف أيضا.

و لنذكر هنا نسب هذا الأئير لعنه الله و صاحبه الأكر و بعض مثالبه و مثالب أبيه.

اعلم أن العاص بن وائل أباه كان من المستهزين برسول الله ﷺ و الكاشفين له بالعداوة و الأذى و فيه و في أصحابه نزل ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ و لقب في الإسلام بالأئير لقوله سيموت هذا الأئير غدا فينقطع ذكره يعني رسول الله ﷺ و كان يشتم رسول الله ﷺ و يضع في طريقه الحجارة ليعثر بها إذا خرج ليلا للطواف و هو أحد القوم الذين روعوا زينب ابنة رسول الله ﷺ في هودجها حتى أجهضت جنينا ميتا فلما بلغه ﷺ لعنهم.

و عمرو هجا رسول الله ﷺ هجاء كثيرا و كان يعلمه صبيان مكة فينشدونه و يصيحون برسول الله ﷺ إذا مر بهم رافعين أصواتهم بالهجاء في وجهه فقال رسول الله ﷺ و هو يصلي بالحجر اللهم إن عمرو بن العاص هجاني و لست بشاعر فalcنه بعدد ما هجاني.

رواه عبد الحميد بن أبي الحديد عن الواقدي و غيره من أهل الحديث (١).

٥١٦- قال و روى أهل الحديث أن النضر بن الحارث و عقبة بن أبي معيط و عمرو بن العاص عمدوا إلى سلي جمل (٢) فرفعوه بينهم و وضعوه على رأس رسول الله ﷺ و هو ساجد ببناء الكعبة فسال عليه فصر و لم يرفع رأسه و بكى في سجوده و دعا عليهم فجاءت ابنته فاطمة ؓ و هي باكية فرفعته عنه فألقته و قامت على رأسه و هي باكية فرفع رأسه و قال اللهم عليك بقريش قالها ثلاثا ثم قال رافعا صوته إني مظلوم فانتصر قالها ثلاثا ثم قام فدخل منزله و ذلك بعد وفاة عمه أبي طالب بشهرين.

قال و لشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله ﷺ أرسله أهل مكة إلى النجاشي ليطرد أصحاب رسول الله ﷺ عن بلاده مهاجرة حبشة و ليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مشهور في السير.

٢٣٠- وقال ابن أبي الحديد ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسببت فاشتراها عبد الله بن جذعان التيمي بمكة فكانت بغيا ثم أعقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب و أمية بن خلف الجمحي و هشام بن المغيرة المخزومي و أبو سفيان بن حرب و العاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت أمة فيه فقالت هو من العاص بن وائل و ذلك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا قالوا و كان أشبه بأبي سفيان.

قال و روى أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الأنساب أن عمرا اختصم فيه يوم ولادته رجلا أبو سفيان بن حرب و العاص بن وائل فقبل لتحكم أمة فقالت أمة إنه من العاص بن وائل فقال أبو سفيان أما إني لا أشك أني وضعته في رحم أمة فأبت إلا العاص فقبل لها أبو سفيان أشرف نسبا فقالت إن العاص بن وائل كثير النفقة علي و أبو سفيان شحيح.

ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمر بن العاص حيث هجاه مكافئا له عن هجاء رسول الله ﷺ

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت	لنا قيك منه بينات الدلائل
ففاخر به إما فخرت فلا تكن	تفاخر بالعاص الهجين بن وائل
و إن التي في ذاك يا عمرو حكمت	فقلت رجاء عند ذاك لنائل
من العاص عمرو تخبر الناس كلما	تجمعت الأقوام عند المحافل

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب (٣) عن ابن الكلبي في كتابه في أخبار صفين أن بسر بن أرطاة بارز عليا يوم صفين فطعنه علي ؓ فانكشف له فكف عنه كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص قال و لهم فيها أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب.

(١) رواه ما ما يليه في شرحه على المختار: (٨٢) من نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٥٦ ط الحديث ببيروت.

(٢) السلي على زنة بلي: غلاف الولد في بطن أمه.

(٣) الحديث موجود في آخر ترجمة بسر بن أرطاة من كتاب الاستيعاب بهامش الإصابة: ج ١ ص ١٦١. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٣١٦. وفيه الخيل المغيرة صعبة.

أنسي كل يوم فارس ليس ينتهي
يكف لها عنه علي سنانه
بدت أمس من عمرو فقتع رأسه
فقولاً لعمرو ثم بسر ألا انظرا
ولا تحمدا إلا الحياء وخصاكما
ولولاهما لم تنجوا من سنانه
متى تلقيا الخيل المشيخة صحيحة^(١)
وكونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا

و روي أن معاوية قال لبسر بعد ذلك وكان يضحك لا عليك يا بسر ارفع طرفك ولا تستحي فلك وعمرو أسوة و قد أراك الله منه وأراه منك.

فصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون لقد علمكم عمرو كشف الأستار ثم أنشد الأبيات و روي أنه قال معاوية لعمرو يوما بعد استقرار خلافته يا أبا عبد الله لا أراك إلا و يغليني الضحك قال بما ذا قال أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين فأزريت نفسك فرقا من شبا سنانه وكشفت سواتك له فقال عمرو أنا منك أشد ضحكا إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك و ربا لسانك في فمك و غصصت بريقك و ارتعدت فرائصك و بدا منك ما أكره فقال معاوية بعد ما جرى بينهما الجبن والقرار من علي لا عار على أحد فيهما. و كان بسر ممن يضحك من عمرو فلما علم أنه لا محيص حذا حذوه و صار مضحكة له أيضا.

وروي ابن أبي الحديد عن البلاذري في كتاب أنساب الأشراف قال قام عمرو بن العاص بالموسم فأطرى معاوية و بني أمية و تناول بني هاشم و ذكر مشاهدته بصفين و يوم أبي موسى فقام إليه ابن عباس فقال يا عمرو إنك بعث دينك من معاوية فأعطيت ما في يدك و منك ما في يد غيره فكان الذي أخذ منك فوق الذي أعطاك و كان الذي أخذت منه دون الذي أعطيت و كل راض بما أخذ و أعطى فلما صارت مصر في يدك تتبعك بالنقض عليك و التعقب لأمرك ثم بالعزل لك حتى لو أن نفسك في يدك لأرسلتها و ذكرت يومك مع أبي موسى فلا أراك فخرت إلا بالغدر و لا منتت إلا بالفجور و الفش و ذكرت مشاهدك بصفين فو الله ما ثقلت علينا وطأتك و لا تكأت فينا جرأتك و لقد كنت فيها طويل اللسان قصير البنان آخر الحرب إذا أقبلت و أولها إذا أدبرت لك يدان يد لا تقبضها عن شر و يد لا تبسطها إلى خير و وجهان وجه مونس و وجه موحش و لعمري من باع دينه بدنبا غيره لحري حزنه على ما باع و أما إن لك بيانا و لكن فيك خطل و إن لك لرأيا و لكن فيك فشل و إن أصغر عيب فيك لأعظم عيب في غيرك

باب ١٩

باب نادر

٥١٧-فس: [تفسير القمي] الحسين بن عبيد الله السكيني عن أبي سعيد البجلي عن عبد الملك بن هارون عن أبي عبد الله عن آبائه صلوات الله عليهم قال لما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أمر معاوية و إنه في مائة ألف قال من أي القوم قالوا من أهل الشام قال عليه السلام لا تقولوا من أهل الشام و لكن قولوا من أهل الشام و هم من أبناء مصر لعنوا على لسان داود ف جعل منهم القردة و الخنازير ثم كتب إلى معاوية لا تقتل الناس بيني و بينك و لكن هلم إلى المبارزة فإن أنا قتلتك فإلى النار أنت و يستريح الناس منك و من ضلالتك و إن قتلتني فإنا إلى الجنة و يغمد عنك السيف

الذي لا يسعني غمده حتى أرد مكرك و بدعتك و أنا الذي ذكر الله اسمه في التوراة والإنجيل بموازرة رسول الله ﷺ و أنا أول من بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة في قوله تعالى لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَايَعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فلما قرأ معاوية كتابه و عنده جلساؤه قالوا قد و الله لقد أنصفك فقال معاوية و الله ما أنصفني و الله لأرمينه بمائة ألف سيف من أهل الشام من قبل أن يصل إلي و و الله ما أنا من جاله و لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول و الله يا علي لو بارزك أهل الشرق و الغرب لقتلتهم أجمعين^(١).

فقال له رجل من القوم ما يحملك يا معاوية على قتال من تعلم و تخبر فيه عن رسول الله بما تخبر ما أنت و نحن في قتاله إلا على الضلالة فقال معاوية إنما هذا بلاغ من الله و ما استطعت و الله ما أستطيع أنا و أصحابي رد ذلك حتى يكون ما هو كائن.

قال و بلغ ذلك ملك الروم و أخبر أن رجلين قد خرجا يطلبان الملك فسأل من أين خرجا فقبل له رجل بالكوفة و رجل بالشام قال فأمر الملك وزراءه فقال تخلصوا هل تصيبون من تجار العرب من يصفهم لي فأتي برجلين من تجار الشام و رجلين من تجار مكة فسألهم عن صفتهما فوصفوهما له ثم قال لخزان بيوت خزانته أخرجوا إلي الأصنام فأخرجوها فنظر إليها فقال الشامي ضال و الكوفي هاد.

ثم كتب إلى معاوية أن ابعث إلي أعلم أهل بيتك و كتب إلى أمير المؤمنين ﷺ أن ابعث إلي أعلم أهل بيتك فأسمع منهما ثم أنظر في الإنجيل كتابنا ثم أخبركما من أحق بهذا الأمر و خشي على ملكه.

فبعث معاوية يزيد ابنه و بعث أمير المؤمنين الحسن ابنه ﷺ فلما دخل يزيد لعنه الله على الملك أخذ بيده و قبلها ثم قبل رأسه ثم دخل الحسن بن علي صلوات الله عليهما فقال الحمد لله الذي لم يجعلني يهوديا و لا نصرانيا و لا مجوسيا و لا عابدا للشمس و القمر و لا الصنم و البقر و جعلني حنيفا مسلما و لم يجعلني من المشركين تبارك الله رب العرش العظيم وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثم جلس لا يرفع بصره.

فلما نظر ملك الروم إلى الرجلين أخرجهما ثم فرق بينهما ثم بعث إلى يزيد فأحضره ثم أخرج من خزانته ثلاث مائة و ثلاثة عشر صندوقا فيها تماثيل الأنبياء و قد زينت بزينة كل نبي مرسل فأخرج صنما فعرضه على يزيد فلم يعرفه ثم عرض عليه صنم صنم فلا يعرف منها شيئا و لا يجيب منها بشيء ثم سأله عن أرزاق الخلائق و عن أرواح المؤمنين أين تجتمع و عن أرواح الكفار أين تكون إذا ماتوا فلم يعرف من ذلك شيئا.

ثم دعا الملك الحسن بن علي ﷺ فقال إنما بدأت بيزيد بن معاوية كي يعلم أنك تعلم ما لا يعلم و يعلم أبوك ما لا يعلم أبوه فقد وصف لي أبوك و أبوه و نظرت في الإنجيل فرأيت فيه محمدا رسول الله ﷺ و الوزير عليا ﷺ و نظرت في الأوصياء فرأيت فيها أباك وصي محمد رسول الله ﷺ.

فقال له الحسن سلني عما بدا لك فيما تجده في الإنجيل و عما في التوراة و عما في القرآن أخبرك به إن شاء الله. فدعا الملك بالأصنام فأول صنم عرض عليه في صفة القمر فقال له الحسن ﷺ فهذه صفة آدم أبي البشر ثم عرض عليه آخر في صفة الشمس فقال الحسن ﷺ هذه صفة حواء أم البشر ثم عرض عليه آخر في صفة حسنة فقال هذه صفة شيث بن آدم و كان أول من بعث و بلغ عمره في الدنيا ألف سنة و أربعين عاما ثم عرض عليه صنم آخر فقال هذه صفة نوح صاحب السفينة و كان عمره ألفا و أربعمائة سنة و لبث في قومه أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً ثم عرض عليه صنم آخر فقال هذه صفة إبراهيم ﷺ عريض الصدر طويل الجبهة ثم عرض عليه صنم فقال هذه صفة إسرائيل وهو يعقوب ثم أخرج إليه صنم آخر فقال هذه صفة إسماعيل ثم أخرج إليه صنم آخر فقال هذه صفة يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ثم عرض عليه صنم آخر فقال هذه صفة موسى بن عمران و كان عمره مائتين و أربعين سنة و كان بينه و بين إبراهيم خمسماية عام ثم أخرج إليه صنم آخر فقال هذه صفة داود صاحب الحرب ثم أخرج إليه صنم آخر فقال هذه صفة شعيب ثم زكريا ثم يحيى ثم عيسى ابن مريم روح الله و كلمته و كان عمره في الدنيا ثلاثا و ثلاثين سنة ثم رفعه الله إلى السماء و يهبط إلى الأرض بدمشق و هو الذي يقتل الدجال ثم عرض عليه صنم صنم

فيخبر باسم نبي نبي ثم عرض عليه الأوصياء والوزراء فكان يخبر باسم وصي وصي وزير وزير ثم عرض عليه أصنام بصفة الملوك فقال الحسن عليه السلام هذه أصنام لم نجد صفتها في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن فلعلها من صفة الملوك.

فقال الملك أشهد عليكم يا أهل بيت محمد أنكم قد أعطيت علم الأولين والآخرين وعلم التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وألواح موسى.

ثم عرض عليه صنم يلوح فلما نظر إليه بكى بكاء شديدا فقال له الملك ما يبكيك فقال هذه صفة جدي محمد عليه السلام كثر اللحية عريض الصدر طويل العنق عريض الجبهة أفنى الأنف أفلج الأسنان حسن الوجه قطط الشعر طيب الريح حسن الكلام فصيح اللسان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بلغ عمره ثلاثا وستين سنة ولم يخلف إلا بعده خاتم مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان يتختم في يمينه وخلف سيفه ذو الفقار وقضيه وجبة صوف وكساء صوف كان يتسرول به لم يقطعه ولم يخطه حتى لحق بالله.

فقال الملك إنا نجد في الإنجيل أنه يكون له ما يتصدق به على سبطيه فهل كان ذلك فقال له الحسن عليه السلام قد كان ذلك فقال الملك فبقي لكم ذلك فقال لا قال الملك لهذه أول فتنة من هذه الأمة غلبا أباكما ثم على ملك نبيكم واختيارهم على ذرية نبيهم منكم القائم بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ثم سألت الملك الحسن عليه السلام عن سبعة أشياء خلقها الله لم تركض في رحم فقال الحسن أول هذا آدم ثم حواء ثم كيش إبراهيم ثم ناقة الله ثم إبليس الملعون ثم الحية ثم الغراب الذي ذكره الله في القرآن.

قال ثم سأله عن أرزاق الخلائق فقال الحسن عليه السلام أرزاق الخلائق في السماء الرابعة تنزل بقدر وتبسط بقدر.

ثم سأله عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا قال تجتمع عند صخرة بيت المقدس في كل ليلة الجمعة وهو عرش الله الأدنى منها يبسط الله الأرض وإليها يطويها وإليه المحشر ومنها استوى ربنا إلى السماء والملائكة.

ثم سأله عن أرواح الكفار أين تجتمع قال تجتمع في وادي حضرموت وراء مدينة اليمن ثم يبعث الله نارا من المشرق ونارا من المغرب ويتبعها بريحين شديتين فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس فيحشر أهل الجنة عن يمين الصخرة ويتركض عن يسار الصخرة في تخوم الأرضين السابعة وفيها الفلق والسجين فيعرف الخلائق من عند الصخرة فمن وجبت له الجنة دخلها ومن وجبت له النار دخلها وذلك قوله ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

فلما أخبر الحسن صلوات الله عليه بصفة ما عرض عليه من الأصنام وتفسير ما سأله التفت الملك إلى يزيد بن معاوية لعنه الله وقال شعرت أن ذلك علم لا يعلمه إلا نبي مرسل أو وصي مواز قد أكرمهم الله بمواظرة نبيه عليه السلام أو عترة نبي مصطفى وغيره المعادي فقد طبع الله على قلبه وآثر دنياه على آخرته وهواه على دينه وهو من الظالمين.

قال فسكت يزيد وخمد.

قال فأحسن الملك جائزة الحسن وأكرمه وقال له ادع ربك حتى يرزقني دين نبيك فإن حلاوة الملك قد حالت ببني وبين ذلك وأظنه سما مرديا وعذابا أليما.

قال فرجع يزيد إلى معاوية وكتب إليه الملك أنه يقال من آتاه الله العلم بعد نبيكم وحكم بالتوراة وما فيها والإنجيل وما فيه والزبور وما فيه والفرقان وما فيه فالحق والخلافة له.

وكتب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أن الحق والخلافة لك وبيت النبوة وفي ولدك فقاتل من قاتلك يعذبه الله بيدك ثم يخلده في نار جهنم فإن من قاتلك نجده في الإنجيل أن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وعليه لعنة أهل السماوات والأرضين.

بيان: تخللوا أي ادخلوا في خلال الناس وتجسسوا قال الجوهري تخللت القوم إذا دخلت بين خللهم وخلالهم وقوله عليه السلام وكان أول من بعث أي من أولاد آدم.

قوله عليه السلام أول هذا أي بحسب الرتبة أو الأولوية إضافية.

وتم في بعضها أيضا للترتيب الزمني كإبليس.

ولعل المراد بالحية الحية التي أدخلت إبليس الجنة وذكر الغراب المخصوص وصفه بعدم الركض في الرحم لأنه لم يكن غراباً حقيقة وكان بصورته أو أطلق الرحم على ما يعم البيضة تغليبا قوله ﷺ منها يسيط الله الأرض أي عند خراب الدنيا منها يأخذ في خراب العمارات وتسيير الجبال وإليها ينتهي إفناء الأرض وإذهاها بعد الحشر أو هما بمعنى الماضي أي منها يسط الأرض في بدو الخلق وإليها رجع البسط فيكون إضافيا بالنسبة إلى ما سوى الكعبة أو أجاب ﷺ موافقا لما في كتبهم ويحتمل أن يكون الطي كناية عن حشر الناس إليها فيكون ما بعده تفسيراً له واستواء الرب كناية عن عروج الملائكة منها إلى تنظيم أمور السماء أو الأخذ بعد الفراغ منها في خلق السماء.

٢٣٩
٣٣

٥١٨- ف: [تحف العقول] بعث معاوية رجلاً متكرراً يسأل أمير المؤمنين ﷺ عن مسائل سألها عنها ملك الروم فلما دخل الكوفة وخطب أمير المؤمنين ﷺ أنكره فقررته فاعترف له بالحال فقال أمير المؤمنين ﷺ قاتل الله ابن أكلة الأكباد ما أضله وأضل من معه قاتله الله لقد اعتق جارية ما أحسن أن يتزوجها حكم الله بيني وبين هذه الأمة قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلي وأضاعوا أيامي بالحسن والحسين ومحمد فدعوا فقال يا أبا أهل الشام هذان ابنا رسول الله ﷺ وهذا ابني فأسأل أيهم أحببت فقال الشامي أسأل هذا يعني الحسن ثم قال كم بين الحق والباطل وكم بين السماء والأرض وكم بين المشرق والمغرب وعن هذا المحو الذي في القمر وعن قوس قزح وعن هذه المجرة وعن أول شيء انتضح على وجه الأرض وعن أول شيء اهتز عليها وعن العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين وعن العين التي تأوي إليها أرواح المشركين وعن الموت وعن عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فقال الحسن ﷺ يا أبا أهل الشام بين الحق والباطل أربع أصابع ما رأيت بعينيك فهو الحق وقد تسمع بأذنك باطلا كثيرا وبين السماء والأرض دعوه المظلوم ومد البصر فمن قال غير هذا فكذبه وبين المشرق والمغرب يوم مطرد للشمس تنظر إلى الشمس حين تطلع وتنظر إليها حين تغرب فمن قال غير هذا فكذبه^(١).

وأما هذه المجرة فهي أشراج السماء منها مهبط الماء المنهمر على قوم نوح.

وأما قوس قزح فلا تقل قزح فإن قزح شيطان ولكنها قوس الله وأمان من الغرق.

وأما المحو الذي في القمر فإن ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس فمحاها الله وقال في كتابه ﴿وَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

وأما أول شيء انتضح على وجه الأرض فهو وادي دلس.

وأما أول شيء اهتز على وجه الأرض فهي النخلة.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها سلمى.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح الكافرين فهي عين يقال لها برهوت.

وأما الموت فإنسان لا يدري امرأة أو أم رجل فينتظر به الحلم فإن كانت امرأة بان ثديها وإن كان رجلا خرجت لحيته وإلا قيل له يبول على الحائط فإن أصاب الحائط بوله فهو رجل وإن نكص كما ينكص بول البعير فهي امرأة.

٢٤٠
٣٣

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فأشد شيء خلق الله الحجر وأشد من الحجر الحديد وأشد من الحديد النار وأشد من النار الماء وأشد من الماء السحاب وأشد من السحاب الريح وأشد من الريح الملك وأشد من الملك ملك الموت وأشد من ملك الموت الموت وأشد من الموت أمر الله قال الشامي أشهد أنك ابن رسول الله ﷺ وأن علياً رضي الله عنه رضي محمد ثم كتب هذا الجواب ومضى به إلى معاوية وأنفذه معاوية إلى ابن الأصغر فلما أتاه قال أشهد أن هذا ليس من عند معاوية ولا هو إلا من عند معدن النبوة.

توضيح: قوله ﷺ فمن قال غير هذا أي برأيه وقال الجوهري اطرده الشيء تبع بعضه بعضا وجرى تقول اطرده الأمر إذا استقام. والأنهار تطرد أي تجري انتهى ولعل المراد يوم تام أو في أي وقت و



فصل كان. وفي القاموس الشرح محرقة العرى ومنفسح الوادي ومجرة السماء والشرح مسيل من الحرة إلى السهل والجمع شراج وأشد من الملك أي الملك الموكل بالرياح

باب نواذر الاحتجاج على معاوية

باب ٢٠

٥١٩- جا: [المجالس للمفيد] الحسين بن محمد التمار عن محمد بن القاسم الأنباري عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي عن حبيب بن بشار عن أبيه عن علي بن عاصم^(١):
عن الشعبي قال لما وفد شداد بن أوس^(٢) على معاوية بن أبي سفيان أكرمه وأحسن قبوله ولم يعتبه على شيء كان منه وعده ومنه ثم إنه حضر في يوم حفل فقال له يا شداد قم في الناس واذكر عليا وعبه لأعرف بذلك نيتك في مودتي فقال له شداد اغفني من ذلك فإن عليا قد لحق بربه وجوزي بعمله وكفيت ما كان يهكم منه وانتقادت لك الأمور على إيثارك فلا تلتصم من الناس ما لا يليق بحلمك فقال له معاوية لتقومن بما أمرتك به وإلا فالربيب فيك واقع. فقام شداد فقال الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عنده أهل التقوى أثر من رضا خلقه على ذاك مضى أولهم وعليه يمضي آخرهم.

أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر وإن الدنيا أجل حاضر يأكل منها البر والفاجر وإن السامع المطيع لله لا حجة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له وإن الله إذا أراد بالعباد خيرا عمل عليهم صلاحهم وقضى بينهم قضاؤهم وجعل المال في أسخياتهم وإذا أراد بهم شرا عمل عليهم سفاهتهم وقضى بينهم جهلاؤهم وجعل المال عند بخلانهم وإن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها ونصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل وقد نصحتك بما قدمت وما كنت أغشك بخلافه.

فقال له معاوية اجلس يا شداد فجلس فقال له إني قد أمرت لك بمال يغنيك ألتست من السحراء الذين جعل الله المال عندهم لصلاح خلقه فقال له شداد إن كان ما عندك من المال هو لك دون مال المسلمين فعدت جمعه مخافة تفرقه فأصبته حلالا وأنفقتة حلالا فتعمر وإن كان مما شاركك فيه المسلمون فاتحيتهم دونهم فأصبته اقترافا وأنفقتة إسرافا فإن الله جل اسمه يقول ﴿إِنَّ الْمُبْتَدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ فقال معاوية أظنك قد خولطت يا شداد أعطوه ما أطلبناه له ليخرج إلى أهله قبل أن يغلبه مرضه فنهض شداد وهو يقول المغلوب على عقله بهواه سواي وارتحل ولم يأخذ من معاوية شيئا.

بيان: في يوم حفل أي يوم اجتمع فيه الناس عنده يقال حفل القوم حفلا اجتمعوا والمجلس كثر أهله.

٥٢٠- كش: [رجال الكشي] نصر بن الصباح عن إسحاق بن محمد البصري عن أمير بن علي عن أبي الحسن الرضا^(٣) قال كان أمير المؤمنين يقول إن المحامدة تأتي أن يعصى الله عز وجل قلت ومن المحامدة قال محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أمير المؤمنين^(٤).

أما محمد بن أبي حذيفة هو ابن عتبة بن ربيعة وهو ابن خال معاوية وأخبرني بعض رواة العامة عن محمد بن إسحاق قال حدثني رجل من أهل الشام قال كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع علي بن أبي طالب^(٥) ومن أنصاره وأشباعه وكان ابن خال معاوية وكان رجلا من خيار المسلمين فلما توفي علي أخذ معاوية وأراد قتله فحبسه في السجن دهرًا ثم قال معاوية ذات يوم ألا نرسل إلى هذا السفيف محمد بن أبي حذيفة فنبيكه ونخبره

(١) رواه الشيخ المفيد في الحديث: (٧) من المجلس (١١) من أماليه.

(٢) والرجل من الصحابة ومن أصحاب الصحاح الثبت، مترجم في كتاب الإصابة وتهذيب التهذيب وغيرها.

(٣) رواه الكشي ح في ترجمة محمد بن أبي الحذيفة تحت الرقم: (٢٠) من منتخب رجاله ص ٦٦ ط التجف.



بضلاله و تأمره أن يقوم فيسب عليا قالوا نعم فبعث إليه معاوية فأخرجه من السجن فقال له معاوية يا محمد بن أبي حذيفة ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك علي بن أبي طالب الكذاب ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوما وأن عائشة و طلحة و الزبير خرجوا يطلبون بدمه و أن عليا هو الذي دس في قتله و نحن اليوم نطلب بدمه قال محمد بن أبي حذيفة إنك لتعلم أنني أمس القوم بك رحما و أعرفهم بك قال أجل قال فوالله الذي لا إله غيره ما أعلم أحدا شرك في دم عثمان و ألب الناس عليه غيرك لما استعملك و من كان مثلك فسأله المهاجرون و الأنصار أن يعزلك فأبى ففعلوا به ما بلغك و والله ما أحد شرك في قتله بدنا و أخيرا إلا طلحة و الزبير و عائشة فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة و ألوا عليه الناس و شركهم في ذلك عبد الرحمن بن عوف و ابن مسعود و عمار و الأنصار جميعا قال قد كان ذلك إي و الله إني لأشهد أنك منذ عرفتك في الجاهلية و الإسلام لعلي خلق واحد ما زاد الإسلام فيك قليلا و لا كثيرا و إن علامة ذلك فيك لبينة تلومني على حبي عليا خرج مع علي كل صوام قوام مهاجري و أنصاري كما خرج معك أبناء المنافقين و الطلقاء و العتقاء خدعتهم عن دينهم و خدعوك عن دينك و الله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت و ما خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلوا أنفسهم سخط الله في طاعتك و الله لا أزال أحب عليا له و لرسوله و أبغضك في الله و في رسوله أبدا ما بقيت.

قال معاوية و إني أراك على ضلالك بعد ردوه إلى السجن فردوه فمات في السجن.

بيان فنيكته التنيكت التقيع و التأنيب و بكنه بالحجة أي غلبه و في بعض النسخ فنيكته علي التفتيل من نكب عن الطريق أي عدل أو علي بناء المجرى أي جعله منكوبا و النكية إصابة التوائب و في بعض النسخ فنيكته من الإيكاء و هو تصحيف

٥٢١- كشي: [رجال الكشي] محمد بن مسعود عن علي بن أبي علي الخزاعي عن محمد بن علي العطار عن عمرو بن عبد الغفار عن أبي بكر بن أبي عياش عن عاصم بن أبي النجود عن شهد ذلك أن معاوية حين قدم الكوفة و دخل عليه رجال من أصحاب علي عليه السلام و كان الحسن عليه السلام قد أخذ الأمان لرجال منهم مسمين بأسمائهم و أسماء آبائهم و كان منهم صعصعة فلما دخل عليه صعصعة قال معاوية لصعصعة أما و الله إني كنت لأبغض أن تدخل في أماني قال و أنا و الله أبغض أن أسميك بهذا الاسم ثم سلم عليه بالخلافة قال فقال معاوية إن كنت صادقا فاصعد المنبر فالعن عليا قال فصعد المنبر و حمد الله و أثني عليه ثم قال أيها الناس أتيتكم من عند رجل قدم شره و آخر خيره و إنه أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله فضج أهل المسجد بآمين فلما رجع إليه فأخبره بما قال قال لا و الله ما عنيت غيري أرجع حتى تسميه باسمه فرجع و صعد المنبر ثم قال أيها الناس إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب عليه السلام فالعنوا من لعن علي بن أبي طالب قال فضجوا بآمين قال فلما خبر معاوية قال لا و الله ما عنى غيري أخرجه لا يساكني في بلد فأخرجه^(١).

بيان: لعله أراد أمير المؤمنين أميرهم حقا عليا عليه السلام فإنه كان أمر أصحابه باللعن إذا خافوا القتل أو أراد أميرهم المسلط عليهم جورا و قوله فالعنوا من لعن أوهم أن المراد فالعنوا من لعنه الأمير و بينه بأنه علي و مقصوده ظاهر

٥٢٢- كشي: [رجال الكشي] روي أن الأحنف بن قيس وفد إلى معاوية و جارية بن قدامة^(٢) و الحباب بن يزيد فقال معاوية للأحنف أنت الساعي على أمير المؤمنين عثمان و خاذل أم المؤمنين عائشة و الوارد الماء على علي بصفين فقال يا أمير المؤمنين من ذاك ما أعرف و منه ما أنكر^(٣).

أما أمير المؤمنين عثمان فأتهم معشر قريش حضرموه بالمدينة و الدار منا عنه نازحة و قد حضره المهاجرون و الأنصار بمعزل و كنتم بين خاذل و قاتل.

و أما عائشة فإني خذلتها في طول باع و رحب سرب و ذلك أنني لم أجد في كتاب الله إلا أن تقر في بيتها.

(١) رواه الكشي ح في ترجمة صعصعة تحت الرقم: (١٩) من مختار رجاله ص ٦٥.

(٢) هذا هو الصواب، وها هنا في النسخة المطبوعة من مختار رجال الكشي والأصول الحاكية عنه تصحيف: «حارثة بن قدامة».

(٣) رواه الكشي رضوان الله عليه تحت الرقم: (٢٨) من تلخيص رجاله ص ٨٤ ط النجف.

وأما ورود الماء بصفين فإني وردت حين أردت أن تقطع رقابنا عطشا.

فقام معاوية و تفرق الناس.

ثم أمر معاوية للأحفن بـخمسين ألف درهم ولأصحابه بصله فقال للأحفن حين ودعه حاجتك قال تدر على الناس عطياتهم وأرزاقهم وإن سألت المدد أتاك منا رجال سليمة الطاعة شديدة النكاية وقيل إنه كان يرى رأي العلوية.

ووصل الحباب بثلاثين ألف درهم وكان يرى رأي الأموية فصار الحباب إلى معاوية وقال يا أمير المؤمنين تعطي الأحفن ورأيه خمسين ألف درهم وتعطيني ورأبي ثلاثين ألف درهم فقال يا حباب إني اشتريت بها دينه فقال الحباب يا أمير المؤمنين تشتري مني أيضا ديني فأتمها وأحقه بالأحفن فلم يأت على الحباب أسبوع حتى مات و رد المال بعينه إلى معاوية فقال الفرزدق يري الحباب

أتأكل ميراث الحباب ظلامه	و ميراث حرب جامد لك ذائبه
أبوك و عمي يا معاوية أورثا	تراثا فيختار التراث أقاربه
ولو كان هذا الدين في جاهلية	عرفت من السولى القليل جلائبه
ولو كان هذا الأمر في غير ملككم	لأديسته أو غصص بالماء شاربته
فكم من أب لي يا معاوية لم يكن	أبوك الذى من عبد شمس يقاربته

إيضاح: قوله في طول باع قال السيد الداماد رحمه الله الباع قدر مد اليمين وما بينهما من البدن و بسط اليد بالمال و طول الباع كناية عن المقدرة و الميسرة و الاقتدار و الشوكة قاله الزمخشري في الفائق و الأساس و الفيروز آبادي و ابن الأثير في القاموس و النهاية و قال في الصحاح الرجب بالضم السعة تقول فلان رجب انصدرو و الرجب بالفتح الواسع تقول منه بلد رجب و قال السرب بالفتح الإبل و السرب أيضا الطريق و فلان آمن في سربه بالكسر أي في نفسه و فلان واسع السرب أي رخي البال.

و في المغرب السرب بالفتح في قولهم خلى سربه أي طريقه و منه قوله إذا كان مخلى السرب أي موسعا عليه غير مضيق عليه.

يعني أني لم أخذها و هي محتاجة إلى الانتصار بل خذلتها و هي في طول باع و رجب سرب أي في مندوحة و فسحة عن القتال و تجهيز الجيش بأن تقر في بيتها موقرة مكرمة رحبة الصدر رخيّة البال واسعة السرب لأنها لم تكن مأمورة بالمسير إلى البصرة و تجهيز الجيش و المطالبة بدم عثمان و مقاتلة علي بن أبي طالب على ذلك و لا مضطرة إلى شيء من ذلك بل كانت في سعة عن ذلك كله و مع ذلك فإنها كانت في طول باع من الشوكة و القدرة و اجتماع الجيوش و كثرة الأعوان و الأنصار و العدد و العدد.

و أيضا خذلتها لأنني لم أجِد في كتاب الله تعالى إلا أن تقر في بيتها إذ قال عز من قائل ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أقول و يحتمل أن يكون في طول باع و رجب سرب حالا عن الفاعل أي لم يكن علي حرج في ذلك كما يومئ إليه آخر كلامه رحمه الله.

و قوله جامد لك ذائبه لعله كناية عن أنه محفوظ لك لم يبطل منه شيء مما كان في معرض البطلان و الضياع و لم يتعد إلى الغير.

و الجلائب جمع جلبية و هو ما جلب و عبد جلبب مجلوب و امرأة جلبب من جلببي و جلائب أي عرفت من المولى القليل الأموال و العبيد أنا أو أنت.

قوله أو غصص بالماء شاربه غصص بفتح العين المعجمة و إهمال الصاد المشددة و شاربه بالرفع على الفاعلية و الباء في قوله بالماء للتعدية.

و قال ابن الأثير في النهاية يقال غصصت بالماء أغصص غصصا فأنا غاص و غصان إذا شرفت به أو وقف في حلقك فلم تكذب تسيفه و المعنى لو كان هذا الأمر الذي وقع في غير سلطنتكم لأديت فاعل هذا الفعل و لم يكن يقدر أن يبلغه لضعفه.

٥٢٣- يل: الفضائل لابن شاذان قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه كنت أنا و معاوية بن أبي سفيان بالشام فيبنا نحن ذات يوم إذ نظرنا إلى شيخ وهو مقبل من صدر البرية من ناحية العراق فقال معاوية عرجوا بنا إلى هذا الشيخ لنسأله من أين أقبل وإلى أين يريد وكان مع معاوية أبو الأعور السلمي ولدا معاوية خالد و يزيد وعمرو بن العاص قال فرجنا إليه فقال له معاوية من أين أقبلت يا شيخ وإلى أين تريد فلم يجبه الشيخ فقال له عمرو بن العاص لما لا تجيب أمير المؤمنين فقال الشيخ إن الله جعل التحية غير هذه فقال معاوية صدقت يا شيخ أصبت و أخطأنا و أحسنت و أسأنا السلام عليك يا شيخ فقال الشيخ و عليك السلام^(١).

فقال معاوية ما اسمك يا شيخ فقال اسمي جبل وكان ذلك الشيخ طاعنا في السن بيده شيء من الحديد و وسطه مشدود بشرط من ليف المقل و في رجله نعلان من ليف المقل و عليه كساء قد سقط لحامه و بقي سدانه و قد بانت شراسيف خديه و قد غطت حواجبه على عينيه.

فقال معاوية يا شيخ من أين أقبلت و إلى أين تريد قال أتيت من العراق أريد بيت المقدس قال معاوية كيف تركت العراق قال على الخير و البركة و النفاق قال لعلك أتيت من الكوفة من الغري قال الشيخ و ما الغري قال معاوية الذي فيه أبو تراب قال الشيخ من تعني بذلك و من أبو تراب قال ابن أبي طالب قال له الشيخ أرغم الله أنفك و رض الله فاك و لعن الله أمك و أباك و لم لا تقول الإمام العادل و الغيث الهاطل يعسوب الدين و قاتل المشركين و القاسطين و المارقين و سيف الله المسلول ابن عم الرسول و زوج البتول تاج الفقهاء و كنز الفقراء و خامس أهل العباء و الليث الغالب أبو الحسين علي بن أبي طالب عليه الصلاة و السلام.

فعندها قال معاوية يا شيخ إنني أرى لحكمك و دمك قد خالط لحم علي بن أبي طالب ﷺ و دمه حتى لو مات علي ما أنت فاعل قال لا أتهم في قفده ربي و أجل في بعده حزني و أعلم أن الله لا يميئ سيدي و إمامي حتى يجعل من ولده حجة قائمة إلى يوم القيامة.

فقال يا شيخ هل تركت من بعدك أمرا تفتخر به قال تركت الفرس الأشقر و الحجر و المدر و المنهاج لمن أراد المعراج قال عمرو بن العاص لعله لا يعرفك يا أمير المؤمنين.

٢٤٩
٣٣ فسأله معاوية فقال يا شيخ أتعرفني قال الشيخ و من أنت قال أنا معاوية بن أبي سفيان أنا الشجرة الزكية و الفروع العلية سيد بني أمية فقال له الشيخ بل أنت اللعين على لسان نبيه و في كتابه المبين إن الله قال وَ الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْأَرْوَاقِ وَ الشَّجَرَةُ الْخَبِيثَةِ و العروق المجتثة الخسيسة الذي ظلم نفسه و ربه و قال فيه نبيه الخلافة محرمة على أبي سفيان الزنيم ابن الزنيم ابن أكلة الأكباد القاشي ظلمه في العباد.

فعندها اغتاض معاوية و حنق عليه فرد يده إلى قائم سيفه و هم يقتل الشيخ ثم قال لو لا أن العفو حسن لأخذت رأسك ثم قال أرايت لو كنت فاعلا ذلك قال الشيخ إذا و الله أفوز بالسعادة و تفوز أنت بالشقاوة و قد قتل من هو أشر منك. من هو خير مني و عثمان شر منك.

قال معاوية يا شيخ هل كنت حاضرا يوم الدار قال و ما يوم الدار قال معاوية يوم قتل علي عثمان فقال الشيخ تالله ما قتله و لو فعل ذلك لعلاء بأسيا فحداد و سواعد شداد و كان يكون في ذلك مطيعا لله و لرسوله قال معاوية يا شيخ هل حضرت يوم صفين قال و ما غبت عنها قال كيف كنت فيها قال الشيخ أيمت منك أطفالا و أرملت منك إخوانا و كنت كالليلث أضرب بالسيف تارة و بالرمح أخرى.

قال معاوية هل ضربتني بشيء قط قال الشيخ ضربتك بثلاثة و سبعين سهما فأنا صاحب السهمين اللذين وقعا في بردتك و صاحب السهمين اللذين وقعا في مسجدك و صاحب السهمين اللذين وقعا في عضدك و لو كشفت الآن لأريتك مكانهما.

فقال معاوية يا شيخ هل حضرت يوم الجمل قال و ما يوم الجمل قال معاوية يوم قاتلت عائشة عليا قال و ما غبت عنها قال معاوية يا شيخ الحق كان مع علي أم مع عائشة قال الشيخ بل مع علي قال معاوية ألم يقل الله ﴿وَأَرْوَاجُهُ﴾

أَمَّا أَنَّهُمْ، وَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ الشَّيْخُ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» وَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْتِ يَا عَلِيَّ خَلِيفَتِي عَلَى نِسَوَانِي وَأَهْلِي وَ طَلَاقِهِنَّ بِيَدِكَ أَفَتَرَى فِي ذَلِكَ مَعَهَا حَقٌّ حَتَّى سَفَكْتَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَذْهَبْتَ أَمْوَالَهُمْ فَلَعَنَ اللَّهُ عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَ هُمَا كَامِرَةُ نُوحٍ فِي النَّارِ وَ لِبِشِّ مَثْوَى الْكَافِرِينَ.

٢٥١
قال معاوية يا شيخ ما جعلت لنا شيئا نحتج به عليك فمتى ظلمت الأمة و طغيت عنهم فتاديل الرحمة قال لما صرت أميرها و عمرو بن العاص وزيرها.

قال فاستلقى معاوية على فقاه من الضحك و هو على ظهر فرسه فقال يا شيخ هل من شيء تنقطع به لسانك قال و ما ذا قال عثرون ناقة حمراء محمله عسلا و برا و سمنا و عشرة آلاف درهم تنفقه على عيالك و تستعين بها على زمانك قال الشيخ لست أقبليها قال و لم ذلك قال الشيخ لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول درهم حلال خير من ألف درهم حرام قال معاوية لئن أقمت في دمشق لأضربن عنقك قال ما أنا مقيم معك فيها قال معاوية و لم ذلك قال الشيخ لأن الله تعالى يقول «وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَسْكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ» وَ أَنْتِ أَوَّلُ ظَالِمٍ وَ آخِرُ ظَالِمٍ ثُمَّ تَوَجَّهَ الشَّيْخُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

توضيح: قال الجوهرى التعريب على الشيء الإقامة عليه يقال عرج فلان على المنزل إذا حبس مطيته عليه و أقام و انعرج الشيء انطفأ

٢٥١
٥٢٤- يل فض: [كتاب الروضة] قيل دخل ضرار صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على معاوية بن أبي سفيان بعد وفاته عليه السلام فقال له معاوية يا ضرار صف لي علي بن أبي طالب و أخلاقه المرضية قال ضرار كان والله بعيد المدى شديد القوى يتفجر الإيمان من جوانبه و تنطق الحكمة من لسانه يقول حقا و يحكم فصلا فأقسم لقد شاهدته ليلة في محرابه و قد أرخى الليل سدوله و هو قائم يصلي قابضا على لفته يتململ تلملم السليم و يثن أنين الحزين و يقول يا دنيا أبي تعرضت و إلي تشوقت غري غيري لا حان حينك أجلك قصير و عيشك حقير و قليلك حساب و كثيرك عقاب فقد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي إليك آه من بعد الطريق و قلة الزاد.

قال معاوية كان و الله أمير المؤمنين كذلك و كيف حزنك عليه قال حزن امرأة ذبح ولدها في حجرها قال فلما سمع ذلك معاوية بكى و بكى الحاضرون.

بيان: المدى الغاية أي كان ذاهمة عالية يتوجه إلى تحصيل معالي الأمور و ما يعسر تحصيله على أكثر الخلق.

و يقال نطف الماء ينطف و ينطف إذا قطر قليلا قليلا و السدل جمع السديل و هو ما يسيل و يرخى على الهودج و يقال سلمته الحية أي لدغته و السليم اللديغ و قيل إنما سمي سليما نقولا بالسلامة.

و يقال هو يتململ على فراشه إذا لم يستقر من الوجد و الاستفهام عن تعرضها و تشوقها استفهام إنكار لذلك منها و استحقار لها و استبعاد لموافقتها إياها على ما تريد و تشوف إلى الخير تطلم و من السطح تطاول و نظروا و أشرف و في بعض النسخ بالقاف تشوقت غري غيري أي خداعك و غرورك لا يدخل علي و ليس المراد الأمر بغيره.

و قال الجوهرى حان له أن يفعل كذا يحين حيناً أي آن و حان حينه أي قرب وقته انتهى و هذا دعاء عليها أي لا قرب وقت انخداعي بك و غرورك لي

٢٥٢
٥٢٥- كشف: [كشف الغمة] حضر جماعة عند معاوية و عنده عدي بن حاتم و كان فيهم عبد الله بن الزبير فقالوا يا أمير المؤمنين ذرنا نكلم عديا فقد زعموا أن عنده جوابا فقال إني أحذركموه فقالوا لا عليك دعنا و إياه فقال له ابن الزبير يا أبا طريف متى فقت عيناك قال يوم فر أبوك و قتل شر قتلة و ضربك الأشر على استك فوقعت هاربا من الزحف و أنشد^(١).

(١) رواه الإربلي ح في آخر عنوان «وقعة الجمل» من كتاب كشف الغمة: ج ١ ص ٢٤٤ بيروت.

أما وأبي يا ابن الزبير لو أنسي
وكان أبي في طيء وأبو أبي
ولو رمت شتعي عند عدل قضاؤه
فقال معاوية قد كنت حذرتكموه فأبيتهم

لقتيك يوم الزحف ما رمت لي سخطا
صحيحين لم تنزع عروقهما القبطا
لرمت به يا ابن الزبير مدى شحطا

بيان: قال الجوهري الشحط البعد يقال شحط المزاري بعد وتشحط المقتول بدمه أي اضطرب فيه.

٥٢٦- كشف الحق، للعلامة رحمه الله روى الجمهور أن أروى بنت العرث بن عبد المطلب دخلت على معاوية في خلافته بالشام وهي يومئذ عجوز كبيرة فلما رآها قال مرحبا بك يا خالة قالت كيف أنت يا ابن أختي لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقل بلا بلاء كان منك ولا من أبيك بعد أن كفرتم بما جاء به محمد ﷺ فأتعس الله منكم الجود حتى رد الله الحق إلى أهله وكانت كلمة الله هي العليا ونيينا هو المنصور على كل من ناواه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ فكان أهل البيت أعظم الناس في هذا الدين بلاء وعن أهله غناء وقدرا حتى قبض الله نبيه ومغفورا ذنبه مرفوعة منزلته شريفا عن الله مرضيا فوثب علينا بعده تيم وعدي وبنو أمية فأنت تهتدي بهداهم وتقص لتقصدهم فصرنا بحمد الله فيكم أهل البيت بمنزلة قوم موسى في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وصار سيدنا منكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول يا «إِبْنُ أُمِّ إِنْ السَّوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي» فلم يجمع بعد رسول الله ﷺ شمل ولم يسهل وعت وغايتنا الجنة وغايتكم النار^(١).

٢٥٣
٣٣

فقال لها عمرو بن العاص أيتها العجوز الضالة اقصري من قولك و غضي من طرفك قالت ومن أنت قال أنا عمرو بن العاص قالت يا ابن النابتة اربع على ظلمك وأعض لسان نفسك ما أنت من قريش في لياب حسبها ولا صحيح نسبها ولقد ادعاك خمسة من قريش كلهم يزعم أنك ابنه ولطالما رأيت أمك أيام منى بمكة تكسب الخبيثة وتترن الدراهم من كل عبد عاهر هائج وتسافح عبيدنا فأنت بهم أليق وهم بك أشبه منك تقرر بينهم

٥٢٧- كشف: [كشف الغمة] من كتاب الموفقيات للزبير بن بكار الزبيري حدث عن رجاله قال دخل محفن بن أبي محفن الضبي على معاوية فقال يا معاوية جئتكم من عند ألام العرب وأعياء العرب وأجبن العرب وأبخل العرب قال ومن هو يا أخا بني تميم قال علي بن أبي طالب قال معاوية اسمعوا يا أهل الشام ما يقول أخاكم العراقي فابتدروه أيهم ينزله عليه ويكرمه.

٢٥٤
٣٣

فلما تصدع الناس عنه قال له كيف قلت فأعاد عليه فقال له ويحك يا جاهل كيف يكون ألام العرب وأبوه أبو طالب وجده عبد المطلب وامراته فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وأني يكون أبخل العرب فو الله لو كان له بيتان بيت تبن وبيت تبر لأنفذ تبره قبل تبنه.

وأني يكون أجبن العرب فو الله ما التقت فتتان قط إلا كان فارسهم غير مدافع.

وأني يكون أعياء العرب فو الله ما سن البلاغة لقريش غيره ولما قامت أم محفن عنه ألام وأبخل وأجبن وأعياء ليظرب أمه فو الله لو لا ما تعلم لضربت الذي فيه عيناك فياك عليك لعنة الله والعود إلى مثل هذا.

قال والله أنت أظلم مني فعلى أي شيء قتلته وهذا محله قال علي خاتمي هذا حتى يجوز به أمري قال فحسبك ذلك عوضا من سخط الله وأليم عذابه قال لا يا ابن محفن ولكني أعرف من الله ما جهلت حيث يقول «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ».

٢٥٥
٣٣

٥٢٨- وحدث الزبير عن رجاله قال قدم ابن عباس على معاوية وكان يلبس أدنى ثيابه ويخفض من شأنه لمعرفته أن معاوية كان يكره إظهاره لشأنه وجاء الخبر إلى معاوية بموت الحسن بن علي ﷺ فمسجد شكرا لله تعالى وبان السور في وجهه في حديث طويل ذكره الزبير ذكرت منه موضع الحاجة إليه وأذن للناس وأذن لابن عباس

(١) رواه العلامة ح في آخر المطلب الرابع من كتاب كشف الحق ونهج الصدق ص ٣١٣ ط بيروت وفي متن دلائل الصدق: ج ٣ ص ٢٣٦ ط ١. وليراجع كتاب بلاغات النساء.
ورواه أيضا ابن عبد ربّه تحت عنوان «وفود أروى بنت عبد المطلب» في آخر كتاب الزبرجدة من العقد الفريد. هذا وسيرويه المصنّف ثانية تحت الرقم ٥٢٣. فلاحظ.

بعدهم فدخل فاستنداه وكان قد عرف بسجده فقال له أتدري ما حدث بأهلك قال لا قال فإن أبا محمد رحمه الله توفي فغظم الله أجرك فقال إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله نحسب المصيبة برسول الله ﷺ وعند الله نحسب مصيبتنا بالحسن رحمه الله إنه قد بلغتني سجدتك فلا أظن ذلك إلا لوفاته والله لا يسد جسده حفرتك ولا يزيد انتضاء أجله في عمرك ولطال ما رزينا بأعظم من الحسن ثم جبر الله.

قال معاوية كم كان أبي له قال شأنه أعظم من أن يجهل مولده قال أحسبه ترك صبية صفارا قال كلنا كان صغيرا فكير ثم قال أصبحت سيد أهلك قال أما ما أبى الله أبا عبد الله الحسين بن علي فلا ثم قام وعينه تدمع فقال معاوية لله دره لا والله ما هيجتا قط إلا وجدناه سيدا.

و دخل ابن عباس على معاوية بعد انتضاء العزاء فقال يا أبا العباس أما تدري ما حدث في أهلك قال لا قال هلك أسامة بن زيد فغظم الله أجرك قال إنا لله وإنا إليه راجعون رحم الله أسامة وخرج.

و أتاه بعد أيام وقد عزم على محاقته^(١) فصلى في الجامع يوم الجمعة واجتمع الناس عليه يسألونه عن الحلال والحرام والفقه والتفسير وأموال الإسلام والجاهلية وافتقد معاوية الناس فقيل إنهم مشغولون بابن عباس ولو شاء أن يضربوا معه بمائة ألف سيف قبل الليل لفعل فقال نحن أظلم منه حسبنا عن أهله ومنعناه حاجته ونعينا إليه أحبته انطلقوا فادعوه فأتاه الحاجب فدعاه فقال إنا بنو عبد مناف إذا حضرت الصلاة لم نقم حتى نصلي أصلي إن شاء الله وأتبه فرجع.

وصلى ابن عباس العصر وأتاه فقال حاجتك فما سأله حاجة إلا قضاها وقال أقسمت عليك لما دخلت بيت المال فأخذت حاجتك وإنما أراد أن يعرف أهل الشام ميل ابن عباس إلى الدنيا فعرف ما يريد فقال إن ذلك ليس لي ولا لك فإن أدنت أن أعطي كل ذي حق حقه فعلت قال أقسمت عليك إلا دخلت فأخذت حاجتك فدخل فأخذ برنس خز أحمر يقال أنه كان لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ثم خرج فقال يا أمير المؤمنين بقيت لي حاجة قال ما هي قال علي بن أبي طالب قد عرفت فضله وسابقت وقربته وقد كفاه الموت أحب أن لا يشتم على منابركم قال هيئات يا ابن عباس هذا أمر دين أليس وأليس فعل وفعل فعده ما بينه وبين علي ﷺ فقال ابن عباس أولى لك يا معاوية والموعود القيامة ولكل نبيٍّ مُستَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وتوجه إلى المدينة

٥٢٩- وحدث الزبير عن رجاله عن ابن عباس أن معاوية أقبل عليه وعلى بني هاشم فقال إنكم تريدون أن تستحقوا الخلافة كما استحققت النبوة ولا يجتمعان لأحد حجتكم في الخلافة شبهة على الناس تقولون نحن أهل بيت النبي ﷺ فما بال خلافة النبي في غيرنا وهذه شبهة لأنها تشبه الحق فأما الخلافة فتقلب في أحياء قريش برضى العامة وشورى الخاصة فلم يقل الناس ليت بني هاشم ولونا ولو أن بني هاشم ولونا لكان خيرا لنا في دنيانا وأخرتنا فلا هم حيث اجتمعوا على غيركم تمنوكم ولو زهدتم فيها أمس لم تقاتلوا عليها اليوم. وأما ما زعمت أن لكم ملكا هاشميا ومهديا قائما فالمهدي عيسى ابن مريم ﷺ وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلمه إليه^(٢) ولعمري لئن ملكتموها^(٣) ما راحته عاد وصاعقة ثمود بأهلك للقوم منكم ثم سكت.

فقال له عبد الله بن عباس رضي الله عنه أما قولك إنا نستحق الخلافة بالنبوة فإذا لم نستحقها بها فبم نستحقها. وأما قولك إن الخلافة والنبوة لا يجتمعان لأحد فأين قول الله تعالى «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» فقال معاوية أفنك قد خولطت يا شداد أعطوه ما «فَقَدْ أَتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» فالكتاب النبوة والحكمة السنة والملك الخلافة ونحن آل إبراهيم أمر الله فينا وفيهم واحد والسنة لنا ولهم جارية.

وأما قولك إن حجتنا مشتبهة فوالله لهما أضوأ من الشمس وأنور من نور القمر وإنك لتعلم ذلك ولكن ثني عطفك وصعرك قتلنا أخاك وجدك وأخاه وخالك فلا تبيك على أعظم حائلة وأرواح أهل النار ولا تغضب لدماء أهلها الشرك وضعها.

فأما ترك الناس أن يجتمعوا علينا فما حرموا منا أعظم مما حرمنا منهم وأما قولك إنا زعمنا أن لنا ملكا مهديا

(١) المحاقّة: الخصامة. يقال: حاقت زيدا على كذا: خاصته عليه.

(٢) ومنه أخذ هذا الاختلاف وقول الزور بعض شيعة بني عباس المتلقين لهم في أيامهم المتقربين إليهم بالترهات والأباطيل فافترى على رسول الله ﷺ بأنه قال: الخلافة في ولد عتي العباس إلى أن يسلموها إلى المسيح عيسى بن مريم!!!

(٣) كذا في بعض النسخ، وفي بعض آخر: «لئن ملكتموها...».

فالزعم في كتاب الله شرك قال تعالى ﴿وَرَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾ وكل يشهد أن لنا ملكا و لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله لأمره منا من يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا لا تملكون يوما واحدا إلا ملكنا يومين و لا شهرا إلا ملكنا شهرين و لا حولا إلا ملكنا حولين.

و أما قولك إن المهدي عيسى ابن مريم فإنما ينزل عيسى على الدجال فإذا رآه يذوب كما تذوب الشحمة و الإمام منا رجل يصلي خلفه عيسى ابن مريم و لو شئت سميته.

و أما ربيع عاد و صاعقة ثمود فإنهما كانا عذابا و ملكنا و الحمد لله رحمة

٥٣٠- و حدث الزبير قال حج معاوية فجلس إلى ابن عباس فأعرض عنه ابن عباس فقال لم تعرض عني فوالله إنك لتعلم أنني أحق بالخلافة من ابن عمك قال ابن عباس لم ذاك لأنه كان مسلما و كنت كافرا قال لا و لكن ابن عبي عثمان قتل مظلوما قال ابن عباس و عمر قتل مظلوما قال إن عمر قتله كافر و إن عثمان قتله المسلمون قال ابن عباس ذاك أدهض لحجتك فأسكت معاوية.

٥٣١- و من كتاب معالم العترة، للجنابذي عن ذكوان مولى معاوية قال قال معاوية لا أعلم أحدًا سمي هذين الغلامين ابني رسول الله إلا فعلت و فعلت و لكن قولوا ابني علي^(١).

قال ذكوان فلما كان بعد ذلك أمرني أن أكتب بنيه في الشرف قال فكتبت بنيه و بني بنيه و تركت بني بناته ثم أتيت بالكتاب فنظر فيه فقال ويحك لقد أغفلت كبر بني قتل من قال أما بنو فلانة لابنته بني أما بنو فلانة بني لابنته قال قلت الله أ يكون بنو بناتك بنيك و لا يكون بنو فاطمة بني رسول الله ﷺ قال ما لك قاتلك الله لا يسمعن هذا أحد منك.

توضيح: قال ابن الأثير في النهاية البطر بفتح الباء الهنة التي تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان و إنما ذكرها هنا للاستخفاف به و بنسبه و اللام للتعليل و ما قامت عنه أنه كناية عنه نفسه أليس أليس أي عدد ما صدر عنه ﷺ بالنسبة إليه فقال أليس فعل كذا و أليس فعل كذا و كذا قوله و فعل و فعل و قال الجوهري أولى لك تهديد و وعيد و قال الأصمعي أي قاربه ما يهلكه أي نزل به و قال عطف الرجل جانباه و ثني فلان عني عطفه إذا أعرض عنك و قال الصعر الميل في الخد خاصة و قد صعر خده و صاعر أي أماله من الكبر و منه قوله تعالى ﴿وَلَا تَصْعُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

قوله على أعظم حائلة أي متغيرة بالية و وضعها أي جعلها وضعية غير محترمة و في الصحاح كبر الشيء معظمه و قولهم هو كبر قومهم بالضم أي هو أقدمهم في النسب

٥٣١- بشا: [بشارة المصطفى] محمد بن أحمد بن شهريار عن محمد بن الحسن الخزازي عن علي بن محمد بن بنان عن الحسن بن محمد السكوني عن أحمد بن محمد بن مسروق عن محمد بن دينار الضبي عن عبد الله بن ضحاك^(٢).

عن هشام بن محمد عن أبيه قال اجتمع الطرماح و هشام المرادي و محمد بن عبد الله الحميري عند معاوية بن أبي سفيان فأخرج بدره فوضعهما بين يديه ثم قال يا معشر شعراء العرب قولوا قولكم في علي بن أبي طالب و لا تقولوا إلا الحق و أنا نفي من صخر بن حرب إن أعطيت هذه البدره إلا من قال الحق في علي.

٢٦٠- فقام الطرماح فتكلم و قال في علي و وقع فيه فقال معاوية اجلس فقد عرف الله نيتك و رأى مكانك ثم قام هشام المرادي فقال أيضا و وقع فيه فقال معاوية اجلس مع صاحبك فقد عرف الله مكانكما فقال عمرو بن العاص لمحمد بن عبد الله الحميري وكان خاصا به تكلم و لا تقل إلا الحق ثم قال يا معاوية قد آليت ألا تعطي هذه البدره إلا قائل الحق في علي قال نعم أنا نفي من صخر بن حرب إن أعطيتها منهم إلا من قال الحق في علي فقام محمد بن عبد الله فتكلم ثم قال:

فإن الإلفك من شميم اللثام

بسحق محمد قولوا بسحق

(١) رواه الإربلي ح في ترجمة الإمام الحسن في أواخر عنوان: «السادس في علمه ﷺ»، من كتاب كشف الغمّة: ج ٢ ص ١٧٦.

(٢) رواه الطبري في الجزء الأول من كتاب بشارة المصطفى ص ١٢، ط النجف الأشرف.

ورواه الحوتني عن مصدر آخر في الباب: (٢٨) من السط الأول من كتاب فرائد السطين: ج ١ ص ٣٧٤ ط بيروت.

ورواه العلامة الأميني عنهما وعن رياض العلماء في آخر ترجمة عمرو بن العاص من كتاب القدير: ج ٢ ص ١٧٧، ط بيروت.

أبعد محمد بأبي وأمي
أليس علي أفضل خلق ربي
ولايته هي الإيمان حقا
وطاعة ربنا فيها وفيها
علي إيماننا بأبي وأمي
إمام هدى أتاه الله علما
ولو أني قتلت النفس حبا
يحل النار قوم يفضوه
فلا والله ما تزكو صلاة
أمير المؤمنين بك اعتمادا
برئت من الذي عادى عليا
تناسوا نصبه في يوم خم
برغم الأنف من يشنأ كلامي
وأبرأ من أناس أخروه
علي هزم الأبطال لما
على آل النبي صلاة ربي

فقال معاوية أنت أصدقهم قولا فخذ هذه البدره.

رسول الله ذي الشرف التمام
وأشرف عند تحصيل الأنام
فذرني من أباطيل الكلام
شفاء للقلوب من السقام
أبوالحسن المظهر من حرام
به عرف الحلال من الحرام
له ما كان فيها من أنام
وإن صاموا وصلوا ألف عام
بغير ولاية العدل الإمام
وبالفرر الميامين اعتصامي
وحاربه من أولاد الحرام
من البارئ ومن خير الأنام
علي فضله كالبحر طام
وكان هو المقدم بالمقام
رأوا في كفه ماح الحسام
صلاة بالكمال وبالتمام

بيان: قال في القاموس ابن نفي كغني نفاه أبوه وقال طمى الماء علا وطمى البحر امتلأ.

٥٣٢- يف: (الطرائف) ذكر ابن عبد ربه في كتاب العقد في قصة دارمية الحجونية أن معاوية قال لها أتدريين لم بعث إليك قالت لا يعلم الغيب إلا الله قال بعث إليك لأسألك على م أحببت عليا وأبغضتني واليته وعاديتني قالت له أنفعيني قال لا أعفيك قالت أما إذا أبيت فإني أحببت عليا على عدله في الرعية وقسمته بالسوية وأبغضك على قتالك من هو أولى منك بالأمر وطلبك ما ليس لك بحق واليت عليا على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاية وعلى حبه للمساكين وإعطائه لأهل الدين وعاديتك على سفك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى^(١).

٥٣٣- ومن الكتاب المذكور في وفود أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية أنه قال لها كيف كنت بعدنا فقالت بخير يا أمير المؤمنين لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحية وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقم من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة لك في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ فأتعس الله منكم الجودود وأصعر منكم الخدود ورد الحق إلى أهله ولؤ كره المُشْرِكُونَ وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا هو المنصور فوليتم علينا بعد فأصبحتم تحتجون على سائر الناس بقرابتكم من رسول الله ﷺ ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا منكم وكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون وكان علي بعد نبينا محمد ﷺ بمنزلة هارون من موسى فغايقتا الجنة وغايتم النار^(٢).

بيان: أتسمه أهللكه والجودود جمع الجد وهو البخت

٥٣٤- أقول وجدت في كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أبان بن أبي عياش عنه أنه قال دعا معاوية قراء أهل الشام وقضاتهم فأعطاهم الأموال وبهم في نواحي الشام ومدائنهم يروون الروايات الكاذبة يضعون لهم الأصول الباطلة ويخبرونهم بأن عليا قتل عثمان ويتبرأ من أبي بكر وعمر وأن معاوية يطلب بدم عثمان ومعه أبان بن

(١) رواها السيد ابن طاووس ح في كتاب الطرائف. وقد تقدم ما يرتبط بالحديث الثاني تحت الرقم ٥٢٦. فراجع.

(٢) رواها السيد ابن طاووس ح في كتاب الطرائف. وقد تقدم ما يرتبط بالحديث الثاني تحت الرقم ٥٢٦. فراجع.

عثمان و ولد عثمان حتى استمالوا أهل الشام و اجتمعت كلمتهم و لم يزل معاوية على ذلك عشرين سنة ذلك عمله في جميع أعماله حتى قدم عليه طغاة أهل الشام و أعوان الباطل المنتزلون له بالطعام و الشراب يعطيهم الأموال و يقطعهم القطنان حتى نشأ عليه الصغير و هرم عليه الكبير و هاجر عليه الأعرابي و ترك أهل الشام لعن الشيطان و قالوا لعن علي و قاتل عثمان فاستقر على ذلك جهلة الأمة و اتباع أئمة الضلالة و الدعاة إلى النار ف حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ^(١).

أبان عن سليم قال كان لزياد ابن سمية كاتب يتشيع و كان لي صديقاً قرأني كتابا كتبه معاوية إلى زياد جواب كتابه إليه:

أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني عن العرب من أكرم منهم ومن أهين ومن أقرب ومن أبعد ومن آمن منهم ومن أخطر. وفي رواية أخرى و من أومن منهم و من أخيف و أنا يا أخي أعلم الناس بالعرب انظر إلى هذا الحي من اليمن فأكرمهم في العلانية و أنهم في السر فإني كذلك أصنع بهم أكرمهم في مجالسهم و أهينهم في الخلاء إنهم أسوأ الناس عندي حالا و يكون فضلك و عطاؤك لغيرهم سرا منهم.

و انظر إلى ربيعة بن نزار فأكرم أمراءهم و أمن عامتهم فإن عامتهم تبع لأشرافهم و ساداتهم و انظر إلى مضر فاضرب بعضها ببعض فإن فيهم غلظة وكبرا و نخوة شديدة فإنك إذا فعلت ذلك و ضربت بعضهم ببعض فكاف بعضهم بعضا و لا ترض بالقول منهم دون الفعل و لا بالظن دون اليقين.

و انظر إلى الموالي و من أسلم من الأعاجم فخذهم بسنة عمر بن الخطاب فإن في ذلك خزيهم و ذلهم أن ينكح العرب فيهم و لا ينكحونهم و أن يرثوهم العرب و لا يرثوا العرب و أن تقصر بهم في عطائهم و أرزاقهم و أن يقدموا في المغازي يصلحون الطريق و يقطعون الشجر و لا يؤم أحد منهم العرب في صلاة و لا يتقدم أحد منهم في الصف الأول إذا أحضرت العرب إلا أن يتم الصف و لا تول أحدا منهم ثغرا من ثغور المسلمين و لا مصرا من أمصارهم و لا يلي أحد منهم قضاء المسلمين و لا أحكامهم فإن هذه سنة عمر فيهم و سيرته جزاءه عن أمة محمد و عن بني أمية خاصة أفضل الجزاء.

فلعمري لو لا ما صنع هو و صاحبه و قوتهما و صلاتهما في دين الله لكانا و جميع هذه الأمة لبني هاشم الموالي و لتوارثوا الخلافة واحدا بعد واحد كما يتوارث أهل كسرى و قيصر و لكن الله جل و عز أخرجهما من بني هاشم و صيرها إلى بني تيم بن مرة ثم خرجت إلى عدي بن كعب و ليس في قريش حيان أذل منهما و لا أنذل فأطمعنا فيها و كنا أحق بها منهما و من عقبهما لأن فينا الثروة و العز و نحن أقرب إلى رسول الله ﷺ في الرحم منهما.

ثم نالها صاحبنا عثمان بشورى و رضا من العامة بعد شورى ثلاثة أيام من الستة و نالها من نالها قبله بغير شورى. فلما قتل صاحبنا عثمان مظلوما نلناها به لأن مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً قَدَّ جَعَلَ اللَّهُ لَوْلِيهِ سُلْطَانًا.

ولعمري يا أخي لو كان عمر سن دية العبد نصف دية المولى لكان أقرب إلى التقوى و لو وجدت السبيل إلى ذلك ورجوت أن تقبله العامة لفعلت و لكنني قريب عهد بحرب فأتخوف فرقة الناس و اختلافهم علي و بحسبك ما سنه عمر فيهم و هو خزي لهم و ذل.

وفي رواية أخرى يا أخي لو أن عمر سن دية الموالي على النصف من دية العربي فذلك أقرب للتقوى لما كان للعرب فضل على العجم^(٢) فإذا جاءك كتابي هذا فأذل العجم و أنهم و أقصهم و لا تستعن بأحد منهم و لا تقض لهم حاجة فو الله إنك لابن أبي سفيان خرجت من صلبه و قد كنت حدثتني و أنت يا أخي عندي صدوق إنك قرأت كتاب عمر إلى الأشعري بالبصرة و كنت يومئذ كاتبه و هو عامل بالبصرة و أنت أنذل الناس عنده و أنت يومئذ ذليل النفس تحسب أنك مولى لثقيف و لو كنت تعلم يومئذ يقينا كيقيتك اليوم أنك ابن أبي سفيان لأعظمت نفسك و أنت أن تكون كاتباً لدعي الأشعريين و أنت تعلم و نحن نعلم يقينا أن أبا سفيان كان يحذو حذو أمية بن عبد شمس.

(١) الحديث موجود في كتاب سليم بن قيس ص ١٧٣، ط بيروت.

(٢) وفي نسخة من الكتاب: «لما كان تفضل العرب على العجم [ظ]».

وحدثني ابن أبي المعيط أنك أخبرته أنك قرأت كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري وبعث إليه بحبل طوله خمسة أشبار وقال له أعرض من قبلك من أهل البصرة فمن وجدت من الموالي ومن أسلم من الأعاجم قد بلغ خمسة أشبار فقدمه فاضرب عنقه فشاورك أبو موسى في ذلك فنهته وأمرته أن يراجع فراجه وذهبت أنت بالكتاب إلى عمر وإنما صنعت ما صنعت تصبأ للموالي وأنت يومئذ تحسب أنك ابن عبد ثقيف فلم تزل تلتسم حتى رددته عن رأيه وخوفته فرقة الناس فرجع وقلت له يومئذ وقد عادت أهل هذا البيت أخاف أن يثوروا إلي علي فينهض بهم فيزيل ملكك فكف عن ذلك وما أعلم يا أخي ولد مولود من أبي سفيان أعظم شوماً عليهم منك حين رددت عمر عن رأيه ونهته عنه. وخبرني أن الذي صرفت به عن رأيه في قتلهم أنك قلت إنك سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لتضربنكم الأعاجم على هذا الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءاً.

وقال ليملأن الله أيديكم من الأعاجم وليصيرن أسدا لا يفرون فليضربن أعناقكم وليغلبنكم على فينكم فقال لك وقد سمع ذلك من علي يروي عن رسول الله ﷺ فذلك الذي دعاني إلى الكتاب إلى صاحبك في قتلهم وقد كنت عزمت على أن أكتب إلى عمالي في سائر الأمصار فقلت لعمر لا تفعل يا أمير المؤمنين فإني لست آمن أن يدعوهم علي عليه السلام إلى نصرته وهم كثير وقد علمت شجاعة علي وأهل بيته وعداوته لك ولصاحبك فرددته عن ذلك فأخبرتني أنك لم تردده عن ذلك إلا عصبية وإنك لم ترجع عن رأيه جينا وحدثني أنك ذكرت ذلك لعلني في إمارة عثمان فأخبرك أن أصحاب الرايات السود.

وفي رواية أخرى وخبرني أنك سمعت عليا في إمارة عثمان يقول إن أصحاب الرايات السود التي تقبل من خراسان هم الأعاجم وأنهم الذين يغلبون بني أمية على ملكهم ويقتلونهم تحت كل كوكب.

فلو كنت يا أخي لم ترد عمر عن ذلك لجرت سنة ولاستأصلهم الله وقطع أصلهم وإذا لانتست به الخلفاء بعده ^{٢٦٥}/_{٣٣} حتى لا يبقى منهم شعر ولا ظفر ولا نافع نار فإنهم آفة الدين فما أكثر ما قد سن عمر في هذه الأمة بخلاف سنة رسول الله ﷺ فتابعه الناس عليها وأخذوا بها فتكون هذه مثل واحدة منهن فمنهن تحويله المقام عن الموضع الذي وضع فيه رسول الله ﷺ وصاح رسول الله ﷺ ومده وحين غيره وزاد فيه ونهيه الجنب عن التيمم وأشياء كثيرة شتى أكثر من ألف باب أعظمها وأحبها إلينا وأقربها لأعيننا زيله الخلافة عن بني هاشم وعن أهلها ومعناها لأنها لا تصلح إلا لهم ولا تصلح الأرض إلا بهم فإذا قرأت كتابي هذا فاكتب ما فيه ومزقه.

قال فلما قرأ زيد الكتاب ضرب به الأرض ثم أقبل إلي فقال وليي مما خرجت وفيما دخلت كنت من شيعة آل محمد فدخلت في شيعة آل الشيطان وحزبه وفي شيعته من يكتب مثل هذا الكتاب وإنما والله مثلي كمثل إبليس أبي أن يسجد لآدم كبرا وكفرا وحسدا.

قال سليم فلم أمس حتى نسخت كتابه فلما كان الليل دعا بالكتاب فمزقه وقال لا يطلعن أحد من الناس على ما في هذا الكتاب ولم يعلم أنني نسخته.

ووجدت أيضا في الكتاب المذكور برواية أبان عن سليم أنه قال حدثني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال كنت عند معاوية ومعنا الحسن والحسين صلوات الله عليهما وعنده عبد الله بن عباس فالتفت إلي معاوية فقال يا عبد الله ما أشد تعظيمك للحسن والحسين وما هما بخير منك ولا أبوهما خير من أبيك ولو لا أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ لقلت ما أمك أسماء بنت عميس بدونها.

فقلت والله إنك لقليل العلم بهما وبأبيهما وأمهات بل والله لهما خير مني وأبوهما خير من أبي وأمهات خير من أمي يا معاوية إنك لغافل عما سمعته أنا من رسول الله ﷺ يقول فيهما وفي أبيهما وأمهات ما قد حفظته وعيته ورويته.

قال هات يا ابن جعفر فوالله ما أنت بكذاب ولا متهم فقلت إنه أعظم مما في نفسك قال وإن كان أعظم من أحد وحرأ جميعا فلست أبالي إذا قتل الله صاحبك وفرق جمعك وصار الأمر في أهله فحدثنا فما نبالي ما قتلنا ولا يضرنا ما عددتم.

قلت سمعت رسول الله ﷺ وسئل عن هذه الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ فقال إني رأيت اثني عشر رجلا من أئمة الضلال يصعدون منبري و ينزلون يردون أمتي على أذبارهم القهقري فيهم رجلين من حيين من قريش مختلفين و ثلاثة من بني أمية و سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص و سمعته يقول إن بني أبي العاص إذا بلغوا خمسة عشر رجلا جعلوا كتاب الله دخلا و عباد الله خولا يا معاوية إني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر و أنا بين يديه و عمرو بن أبي سلمة و أسامة بن زيد و سعد بن أبي وقاص و سلمان الفارسي و أبو ذر الغفاري و المقداد و الزبير بن العوام و هو يقول أئست أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقلنا بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا مولاه أولى به من نفسه و ضرب بيده على منكب علي ﷺ اللهم وال من والاه و عاد من عاداه.

أيها الناس أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر و علي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر.

ثم ابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر ثم أعاد فقال يا أيها الناس إذا أنا استشهدت فعلي أولى بكم من أنفسكم فإذا استشهد علي فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم و إذا استشهد الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم فإذا استشهد الحسين فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر.

ثم أقبل إلى علي فقال يا علي إنك ستدركه فأقرته مني السلام فإذا استشهد فابني محمد أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم و ستدركه أنت يا حسين فأقرته مني السلام ثم يكون في عقب محمد رجال واحد بعد واحد و ليس منهم أحد إلا و هو أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر كلهم هادون مهتدون.

فقام علي بن أبي طالب ﷺ و هو يبكي فقال بأبي أنت و أمي يا رسول الله أتقتل قال نعم أهلك شهيدا بالسم و تقتل أنت بالسيف و تخضب لحيتك من دم رأسك و يقتل ابني الحسن بالسم و يقتل ابني الحسين بالسيف يقتله طاع بن طاع دعي ابن دعي.

فقال معاوية يا ابن جعفر لقد تكلمت بعظيم و لئن كان ما تقول حقا لقد هلكت أمة محمد من المهاجرين و الأنصار غيركم أهل البيت و أوليائكم و أنصاركم فقلت و الله إن الذي قلت بحق سمعته من رسول الله ﷺ.

قال معاوية يا حسن و يا حسين و يا ابن عباس ما يقول ابن جعفر فقال ابن عباس إن كنت لا تؤمن بالذي قال فأرسل إلى الذين ساهم فأسألهم عن ذلك.

فأرسل معاوية إلى عمرو بن أبي سلمة و إلى أسامة بن زيد فأسألهما فشهدا أن الذي قال ابن جعفر قد سمعناه من رسول الله ﷺ كما سمعه.

فقال معاوية يا ابن جعفر قد سمعنا في الحسن و الحسين و أبيهما فما سمعت في أمهما و معاوية كالمستهزئ والمنكر فقلت سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس في جنة عدن منزل أشرف و لا أفضل و لا أقرب إلى عرش ربي من منزلي و معي ثلاثة عشر من أهل بيتي أولهم أخي علي و ابنتي فاطمة و ابناي الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا هداة مهتدون أنا المبلغ عن الله و هم المبلغون عني و هم حجج الله على خلقه و شهداؤه في أرضه و خزانه على علمه و معادن حكمه من أطاعهم أطاع الله و من عصاهم فقد عصى الله لا تبقى الأرض طرفة عين إلا ببقائهم و لا تصلح إلا بهم يخبرون الأمة بأمر دينهم حلالهم و حرامهم يدلونهم على رضی ربهم و ينهونهم عن سخطه بأمر واحد و نهى واحد ليس فيهم اختلاف و لا فرقة و لا تنازع يأخذ آخرهم عن أولهم إملائي و خط أخي علي بيده يتوارثونه إلى يوم القيامة أهل الأرض كلهم في غمرة و غفلة و تيهة و حيرة غيرهم و غير شيعتهم و أوليائهم لا يحتاجون إلى أحد من الأمة في شيء من أمر دينهم و الأمة تحتاج إليهم هم الذين عنى الله في كتابه و قرن طاعتهم بطاعته و طاعة رسول الله ﷺ فقال ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فأقبل معاوية على الحسن و الحسين و ابن عباس و الفضل بن عباس و عمرو بن أبي سلمة و أسامة بن زيد فقال كلكم على ما قال ابن جعفر قالوا نعم قال يا بني عبد المطلب إنكم لتدعون أمرا عظيما و تحتجون

بحجج قوية إن كانت حقا وإنكم لتضمرّون على أمر تسرونه والناس عنه في غفلة عمياء وإن كان ما تقولون حقا لقد هلكت الأمة وارتدت عن دينها وتركت عهد نبيها ﷺ غيركم أهل البيت ومن قال يقولكم فأولئك في الناس قليل فقلت يا معاوية إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ويقول ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ويقول ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ويقول نوح ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ يا معاوية المؤمنون في الناس قليل فقال ابن عباس يا معاوية إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ويقول نوح ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ويقول ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يا معاوية المؤمنون في الناس قليل وإن أمر بني إسرائيل أعجب حيث قالت السحرة لفرعون ﴿فَأَفْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا فَأَمَّا بَعْسَى وَصَدْقُهُ وَتَابِعُوهُ فَسَارَ بِهِمْ وَبَن تَبِعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَقْطَعَهُمُ الْبَحْرَ وَأَرَاهُمُ الْأَعْجَابِ وَهُمْ مَصْدُقُونَ بِهِ وَبِالتَّوْرَةِ مَقْرُونٌ لَهُ بِدِينِهِ فَمَرَّ بِهِمْ عَلَى قَوْمٍ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا لَهُمْ فَقَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ثم اتخذوا العجل فعكفوا عليه جميعا غير هارون وأهل بيته وقال لهم السامري هذا الهكم و إله موسى وقال لهم بعد ذلك ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فكان من جوابهم ما قص الله في كتابه ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذَرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ قال موسى رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَجْهِي فَأَفْرَقُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ.

فاحتذت هذه الأمة ذلك المثال سواء وقد كانت لهم فضائل وسوابق مع رسول الله ﷺ ومنازل بينه قريبة منه مقرين بدين محمد والقرآن حتى فارقههم نبيهم ﷺ فاختلفوا وتفرقوا وتحاسدوا وخالفوا إمامهم ولهم حتى لم يبق منهم على ما عاهدوا عليه نبيهم غير صاحبنا الذي هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى ونفر قليل اتقوا الله عز وجل على دينهم وإيمانهم ورجع الآخرون التهقروا على أدبارهم كما فعل أصحاب موسى باتخاذهم العجل وعبادتهم إياه وزعمهم أنه ربهم وإجماعهم عليه غير هارون وولده ونفر قليل من أهل بيته ونبينا ﷺ قد نصب لأمته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم ثم الأئمة واحدا بعد واحد بغدير خم وفي غير موطن واحتج عليهم به وأمر بطاعتهم وأخبرهم أن أولهم علي بن أبي طالب منه بمنزلة هارون من موسى وأنه ولي كل مؤمن من بعده وأنه من كان هو وليه ومن أولى به من نفسه فعلي أولى به وأنه خليفته فيهم وصيه وأن من أطاعه أطاع الله ومن عصاه عصى الله ومن والاه والى الله ومن عاداه عادى الله فأنكروه وجهلوه وتولوا غيره.

يا معاوية أما علمت أن رسول الله حين بعث إلى موته أمر عليهم جعفر بن أبي طالب ﷺ ثم قال إن هلك جعفر فزيد بن حارثة فإن هلك زيد فعيد الله بن ربيعة ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم أنفكان يترك أمته ولا بين لهم خليفته فيهم بعده بلى والله ما تركهم في عمى ولا شبهه بل ركب القوم ما ركبوها بعد نبيهم وكذبوا على رسول الله ﷺ فهلكوا وهلك من شايعهم وضل من تابعهم فبعدا للقوم الظالمين.

فقال معاوية يا ابن عباس إنك لتفوه بعظيم والاجتماع عندنا خير من الاختلاف وقد علمت أن الأمة لم تستقم على صاحبك.

فقال ابن عباس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها وإن هذه الأمة اجتمعت على أمور كثيرة ليس بينها اختلاف ولا منازعة ولا فرقة شهادة إلا لله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ والصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت وأشياء كثيرة من طاعة الله ونهي الله مثل تحريم الزنا والسرقة وقطع الأرحام والكذب والخيانة واختلفت في شيئين أحدهما اختلفت عليه وتفرقت فيه وصارت فرقا يلعن بعضها بعضا ويبرأ بعضها من بعض والثاني لم تقتل عليه ولم تفرق فيه وسع بعضهم فيه لبعض وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما يحدث زعمت أنه ليس في كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ وأما الذي اختلفت فيه وتفرقت وتبرأت بعضها من بعض فالملك والخلافة زعمت أنها أحق بها من أهل بيت نبي الله ﷺ فمن أخذ بما ليس بين أهل القبلة اختلاف ورد علم ما اختلفوا فيه إلى الله سلم ونجا من النار ولم يسأله الله عما أشكل عليه من الخصلتين اللتين اختلف فيهما ومن وقفه الله ومن عليه ونور قلبه وعرفه ولالة الأمر ومعدن العلم أين هو فعرف ذلك كان سعيدا وله وليا وكان نبي الله ﷺ يقول رحم الله عبدا قال حقا فغتم أو سكت فلم يتكلم فلائمة من أهل

بيت النبوة ومعدن الرسالة و منزل الكتاب و مهبط الوحي و مختلف الملائكة لا تصلح إلا فيها لأن الله خصها بها و جعلها أهلها في كتابه و على لسان نبيه ﷺ فالعلم فيهم و هم أهله و هو عندهم كله بحذايره باطنه و ظاهره و محكمه و متشابهه و ناسخه و منسوخه.

يا معاوية إن عمر بن الخطاب أرسلني في إمرته إلى علي بن أبي طالب ﷺ أني أريد أن أكتب القرآن في مصحف فأبعث إلينا ما كتبت من القرآن فقال تضرب و الله عتقي قبل أن تصل إليه قلت و لم قال إن الله يقول ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ يعني لا يتأله كله إلا المطهرون إيانا نحن عني الذين أذهب الله عنا الرجس و طهرنا تطهيرا و قال ﴿وَأَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فنحن الذين اصطفانا الله من عباده و نحن صفوة الله و لنا ضرب الأمانات و علينا نزل الوحي.

٢٧١
٣٣

فغضب عمر و قال إن ابن أبي طالب يحسب أنه ليس عند أحد علم غيره فمن كان يقرأ من القرآن شيئا فليأتنا به فكان إذا جاء رجل بقرآن يقرؤه و معه آخر كتبه و إلا لم يكتبه.

فمن قال يا معاوية إنه ضاع من القرآن شيء فقد كذب هو عند أهله مجموع.

ثم أمر عمر قضاته و ولاته فقال اجتهدوا آراءكم و اتبعوا ما ترون أنه الحق فلم يزل هو و بعض ولاته قد وقعوا في عزيمة فكان علي بن أبي طالب ﷺ يخبرهم بما يحتج به عليهم و كان عماله و قضاته يحكمون في شيء واحد بقضايا مختلفة فيجيزها لهم لأن الله لم يؤته الحكمة و فصل الخطاب و زعم كل صنف من أهل القبلة أنهم معدن العلم و الخلافة دونهم فبالله نستعين على من جردهم حقهم و سن للناس ما يحتج به مثلك عليهم ثم قاموا فخرجوا

بيان: قوله ﷺ و اختلف في شئين كذا في أصل الكتاب و في كتاب الإحتجاج و اختلفوا في سنن اقتتلوا فيها و صاروا فرقا يلعن بعضها بعضا و هي الولاية.

فأما على ما في الأصل فالشيء الآخر إما القرآن كما ذكره بعد أو البراءة من خلفاء الجور و لعنهم و تركه للمصلحة و التقية.

و قوله فمن أخذ المراد بهم المستضعفون فإنهم إذا أخذوا بالمجمع عليه من ولاية الأئمة و محبتهم و لم يتبرأوا من أعدائهم لاختلاف الأمة فيه و لم يقولوا بإمامة الأئمة لذلك و لم يكن لهم قوة في العلم و العقل يمكنهم معرفة ذلك كان يحتمل نجاتهم في الآخرة.

ويؤيده أنه روي في الإحتجاج في سياق هذه الرواية من كلام الحسن ﷺ و روي هذه الكلمات أيضا عنه ﷺ أنه قال إنما الناس ثلاثة مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتم بنا فذلك ناج محب لله ولي.

و ناصب لنا العداوة يتبرأ منا و يلعننا و يستحل دماءنا و يجحد حقنا و يدين الله بالبراءة منا فهذا كافر مشرك فاسق و إنما كفر و أشرك من حيث لا يعلم كما سبوا الله بغير علم كذلك كثيرا يشرك بالله بغير علم.

٢٧٢
٣٣

و رجل أخذ بما لم يختلف فيه و رد علم ما أشكل عليه إلى الله مع ولايتنا و لا يأتم بنا و لا يعادينا و يعرف حقنا فنحن نرجو أن يغفر الله له و يدخله الجنة فهذا مسلم ضعيف انتهى.

وقد أوردت الخبر برواية الإحتجاج في موضع آخر يناسبه و إنما كررنا للاختلاف

٥٣٥- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي الفضل عن أحمد بن عبد العزيز عن علي بن محمد بن سليمان عن أبيه عن ربعي بن عبد الله بن الجارود عن أبيه قال قال معاوية لخالد بن معمر على ما أحببت عليا قال على ثلاث خصال على حلمه إذا غضب و على صدقه إذا قال و على عدله إذا ولي^(١).

٥٣٦- كا: [الكافي] يب: [تهذيب الأحكام] حبيب بن الحسن عن محمد بن عبد الحميد عن بشار عن زيد الشحام عن أبي عبد الله ﷺ قال أخذ نباش في زمن معاوية فقال لأصحابه ما ترون فقالوا نعاقبه فنخلي سبيله فقال رجل من القوم ما هكذا فعل علي بن أبي طالب ﷺ قال فما فعل قال فقال يقطع النباش و قال هو سارق و هناك الموتى^(٢).

(١) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث الثالث من المجلس: (٨) من المجلد الثاني من أماليه ص ٦٠٥ ط بيروت.
(٢) رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في عنوان: «باب حد النباش». في أواسط كتاب الحدود من كتاب الكافي: ج ٧ ص ٢٢٨.

٥٣٧- كتاب الغارات، لإبراهيم بن محمد التقي رفعه قال إن النجاشي الشاعر شرب الخمر في شهر رمضان فحده أمير المؤمنين أقامه في سراويل فضربه ثمانين ثم زاده عشرين سوطا وقال هذا لجراثك على ربك وإفطارك في شهر رمضان فغضب ولحق معاوية.

فدخل طارق بن عبد الله على أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ما كنا نرى أن أهل المعصية والطاعة وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيان في الجزاء حتى رأيت ما كان من صنعك بأخي الحارث فأوغرت صدورنا وشتت أمورنا وحملتنا على الجادة التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار فقال علي عليه السلام «وَأَيُّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» يا أخا بني نهد فهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فأقمنا عليه حدا كان كفرته أن الله تعالى يقول في كتابه «وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَنْ أَنْ قَوْمَ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» فخرج طارق وقيه الأشتر فقال له أنت القاتل لأمر المؤمنين أوغرت صدورنا وشتت أمورنا قال طارق أنا قاتلها قال الأشتر والله ما ذلك كما قلت وإن صدورنا له لسامعة وإن أمورنا له لجامعة قال فغضب طارق وقال ستعلم يا أشتر أنه غير ما قلت فلما جنت الليل همس^(١) هو والنجاشي وذهبا إلى معاوية فلما دخلا عليه نظر معاوية إلى طارق وقال مرحبا بالمورق غصنه والعرق أصله المسود غير المسود^(٢) من رجل كانت منه هفوة ونوبة باتباعه صاحب الفتنة ورأس الضلالة إلى آخر ما قال لعنه الله.

فقال طارق يا معاوية إن المحمود على كل حال رب علا فوق عباداه فهم بمنظر وسميع منه بعث فيهم رسولا منهم لم يكن يتلو من قبله كتابا ولا يخطه بيمينه إذا لَأَرْثَابَ الْمُتَبَلِّغُونَ فعليه السلام من رسول كان بِالْمُؤْمِنِينَ رَحيماً أما بعد فإنا كنا نوضع في رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله مرشدين منارا للهدى ومعلما للدين سلفا لخلف مهتدين وخلفا لسلف مهتدين أهل دين لا دنيا وأهل الآخرة كل الخير فيهم أهل بيوتات وشرف ليسوا بناكثين ولا قاسطين^(٣) فلم تك رغبة من رغب عنهم وعن صحبتهم إلا لمرارة الحق حيث جرعوها ولو عورته حيث سلكوها غلبت عليهم دنيا مؤثرة وهوى متبع وكان أمر الله قدرا مقدورا وقد فارق الإسلام قبلنا جيلة بن الأهم فرارا من الضيم وأنفا من الذلة فلا تفخر يا معاوية أن قد شددنا إليك الرحال وأوضعا نحوك الركاب فتعلم وتتكبر ثم أجلسه معاوية على سريره ودعا له بمقطعات وبرود يضعها عليه ثم أقبل عليه بوجهه يحدثه حتى قام فلما قام خرج طارق فأقبل عليه عمرو بن مرة وعمرو بن صيفي يلومانه في خطبته إياه وفيما عرض لمعاوية فقال طارق لهما والله ما قمت حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها عند إظهار ما أظهر من البغي والعيب والنقص لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله ولمن هو خير منه في العاجلة والآجلة ولقد قمت مقاما عنده أوجب الله علي فيه أن لا أقول إلا حقا فبلغ عليا مقالة طارق فقال لو قتل أخو بني نهد لقتل شهيدا.

وزعم بعض الناس أن طارق بن عبد الله رجع إلى علي عليه السلام ومعه النجاشي.

٥٣٨- كنز الفوائد، للكراجكي عن محمد بن علي بن طالب البلدي عن أبي المفضل الشيباني عن منصور بن الحسن عن محمد بن زكريا بن دينار عن العباس بن بكار عن عبد الواحد بن أبي عمرو الأسدي عن محمد بن السائب عن أبي صالح مولى أم هانئ قال دخل ضرار بن ضمرة الكتاني على معاوية بن أبي سفيان يوما فقال له يا ضرار صف لي عليا فقال أو تعفيني من ذلك قال لا أعفوك قال أما إذ لا بد: فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة على لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يلقب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جنب. كان والله معنا كأحدنا ديننا إذا أتياه ويجيبنا إذا سألناه وكان مع دنوه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فإن تيسم فعن مثل اللؤلؤ النظيم.

(١) همس - على زنة ضرب - : سار بالليل بلا فتور.

(٢) كذا في المصدر المحكي عنه وشرح ابن أبي الحديد، وكان المصنف قد أسقط ما وضعناه بين المعقوفين وكان في ط الكمباني. من البحار هكذا: «مرحبا بالمورق غصنه - إلى أن قال - من رجل كانت منه هفوة...».

(٣) ما بين المعقوفين أخذناه من شرح المختار: (٥٦) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد.

يعظم أهل الدين و يحب المساكين لا يطمع القوي في باطله و لا ييأس الضعيف عن عدله.

أشهد بالله لرأيت في بعض مواقفه و قد أرخى الليل سدوله و غارت نجومه مائلا في محرابه قابضا على لحيته يتململ تملعل السليم و يبكي بكاء الحزين و كأنني أسمعه و هو يقول يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت أم إلي تشوقت هيهات هيهات غري غيري لا حان حينك قد أبنتك ثلاثا عمرك قصير و خيرك حقير و خطرك غير كبير آه آه من قلة الزاد و بعد السفر و وحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته و جعل يستقبلها بكمه و اختنق القوم جميعا بالبكاء و قال هكذا كان أبو الحسن يرحمه الله فكيف وجدك عليه يا ضرار فقال وجد أم واحد ذبح واحدها في حجرها فهي لا يرقى دمعها و لا يسكن حزنها.

٢٧٦
٣٣

فقال معاوية لكن هؤلاء لو فقدوني لما قالوا و لا وجدوا بي شيئا من هذا ثم التفت إلى أصحابه فقال بالله لو اجتمعتم بأسركم هل كنتم تؤدون عني ما أداه هذا الغلام عن صاحبه فيقال إنه قال له عمرو بن العاص الصحابة على قدر صاحب.

٥٣٩- و قال أيضا فيه روي أن معاوية بن أبي سفيان قال إني أحب أن ألقى رجلا قد أتت عليه سن و قد رأى الناس يخبرنا عما رأى قليل له هذا رجل بحضرموت فأرسل إليه فاتاه فقال له ما اسمك فقال أمد قال ابن من قال ابن لبد قال ما أتى عليك من السنين قال ثلاثمائة و ستون سنة قال كذبت ثم تشاغل عنه معاوية ثم أقبل عليه بعد ذلك فقال له ما اسمك قال أمد قال ابن من قال ابن لبد قال ما أتى عليك من السنين قال ستون و ثلاثمائة قال أخبرنا عما رأيت من الأزمان الماضية إلى زماننا هذا من ذاك قال يا أمير المؤمنين و كيف تسأل من يكذب قال إني ما كذبتك و لكن أحببت أعلم كيف عقلك قال يوم شببه يوم و ليلة شببه بليلة يموت ميت و يولد مولود و لو لا من يموت لم تسعهم الأرض و لو لا من يولد لم يبق أحد على وجه الأرض قال فأخبرني هل رأيت هاشما قال نعم رأيت رجلا طولا حسن الوجه يقال إن بين عينيه بركة أو غرة بركة قال فهل رأيت أمية قال نعم رأيت رجلا قصيرا أعمى يقال إن في وجهه أشرا أو شوبا قال فهل رأيت محمدا قال من محمد قال رسول الله ﷺ قال ويحك أفلا فخمته كما فخمه الله فقلت رسول الله ﷺ قال فأخبرني ما كانت صناعتك قال كنت رجلا تاجرا قال فما بلغت في تجارتك قال كنت لا أستر عيبا و لا أرد ربحا.

قال معاوية سألني قال أسألك أن تدخلني الجنة قال ليس ذلك بيدي و لا أقدر عليه قال فأسألك أن ترد علي شبابي قال ليس ذلك بيدي و لا أقدر عليه قال فلا أرى عندك شيئا من أمر الدنيا و لا أمر الآخرة فردني من حيث جئت قال أما هذا فنعم ثم أقبل معاوية على جلسائه فقال لقد أصبح هذا زاهدا فيما أنتم فيه راغبون^(١).

٢٧٧
٣٣

٥٤٠- و روي عن عبد الله بن موهب عن بعض أشياخه أن مسجد الرملة لما حفر أساسه في دهر معاوية بن أبي سفيان انتهى بهم الحفر إلى صخرة فقلعوها فإذا تحتها شاب دهين الرأس موفر الشعر قائم مستقبل القبلة فكلموه فلم يكلمهم فكتب بذلك إلى معاوية قال فخرجنا بالكتاب في خمسة فأتينا معاوية فأخبرناه بذلك و رفعنا إليه الكتاب فأمر أن ترد الصخرة على حاله كما كان

٥٤١- و حدثهم غير واحد أنه لما أجرى معاوية بن أبي سفيان القناة التي في أحد أمر بقبور الشهداء فنشئت فضرِب رجل بمعولة فأصاب إبهام حمزة رضوان الله عليه فيجس الدم من إبهامه فأخرج رطباً ينثني و أخرج عبد الله بن عمرو بن حزام و عمرو بن الجموح و كانا قتل يوم أحد و هم رطاب ينثنون بعد أربعين سنة فدقنا في قبر واحد و كان عمرو بن الجموح أعرج.

فقال أبو سعيد الخدري إنه لشيء لا أمر بعده معروف و لا أنهى عن منكر.

٢٧٨
٣٣

٥٤٢- كتاب الغارات: لإبراهيم الثقفي قال بلغنا أن معاوية قال لهيثم بن الأسود و كان عثمانيا و كانت امرأته علوية الرأي تحب عليا و تكتب بأخبار معاوية في أعنة الخيل فتدفعها بعسكره ﷺ في صفين فقال معاوية يا هيثم أهل العراق كانوا أنصح لعلي أم أهل الشام لي قال أهل العراق قبل أن يضرِبوا بالبلاء كانوا أنصح لصاحبهم من أهل الشام قال و لم ذلك قال لأن القوم ناصحوا علياً ﷺ على الدين و ناصحك أهل الشام على الدنيا و أهل الدين أصبر

وهم أهل بصيرة ونصر وأهل الدنيا أهل يأس وطمع ثم والله ما لبث أهل العراق أن نبذوا الدين وراء ظهورهم ونظروا إلى الدنيا التي في يدك فما أصابها منهم إلا الذي لحق بك^(١).

قال معاوية فما منع الأشعث بن قيس أن يطلب ما قبلنا قال أكرم نفسه أن يكون رأسا في العار وذنبا في الطمع. قال هل كانت امرأتك تكتب بالأخبار إلى علي^{عليه السلام} في أئنة الخيل فتباعد قال نعم.

٥٤٣- وعن محارب بن ساعدة الأيادي قال كنت عند معاوية وعنده أهل الشام ليس فيهم غيرهم إذ قال يا أهل الشام قد عرفتم حبي لكم وسيرتي فيكم وقد بلغكم صنع علي بالعراق وتسويته بين الشريف وبين من لا يعرف قدره فقال رجل منهم لا يهد الله ركنك ولا يعدمك ولدك ولا يرينا فقدك قال فما تقولون في أبي تراب فقال رجل منهم ما أراد ومعاوية ساكت وعنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فتذكروا عليا^{عليه السلام} بغير الحق.

فوثب رجل من آخر المجلس من أهل الكوفة دخل مع القوم فقال يا معاوية تسأل أقواما في طغيانهم يعمهون واختاروا الدنيا على الآخرة والله لو سألهم عن السنة ما أقاموها فكيف يعرفون عليا وفضله أقبل علي أخبرك ثم لا تقدر أن تنكر أنت ولا من عن يمينك يعني عمرا هو والله الرفيع جاره الطويل عماده دمر الله به الفساد وبار به الشرك وضع به الشيطان وأولياءه وضضع به الجور وأظهر به العدل ونطق زعيم الدين وأطاب المورد وأضحى الداجي وانتصر به المظلوم وهدم به بنيان النفاق وانتقم به من الظالمين وأعز به المسلمين كريح رحمة أثارته سبحانه متفرقا بعضها إلى بعض حتى التجم واستحكم فاستغلظ فاشتوى ثم تجاوزت نواتقه وتلألأت بوارقه واسترعد خير مائه فأسقى وأروى عطشانه وتداغت جناحه واستقلت به أركانه واستكثر وابله ودام رزازه وتتابع مهلوله فرويت البلاد واخضرت وأزهرت ذلك علي بن أبي طالب سيد العرب إمام الأمة وأفضلها وأعلمها وأجملها وأحكمها أوضح للناس سيرة الهدى بعد السعي في الردي وهو والله إذا اشتبهت الأمور وهاب الجسور واحمرت الحدق وانبعث القلق وأبرقت البواتر استربط عند ذلك جأشه وعرف بأسه ولا به الجبان الهلوع فنفس كربتة وحمي حمايته مستغن برأيه عن مشورة ذوي الألباب برأي صليب وحلم أريب مجيب للصواب مصيب.

فأسكت القوم جميعا وأمر معاوية بإخراجه فأخرج وهو يقول قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا.

وكان معاوية تعجبه الفصاحة ويصغي للمتكلم حتى يفرغ من كلامه

بيان: قال الجوهري تنقت الغرب من البرأي جذبتة وتنقت المرأة أي كثر ولدها.

وفي القاموس النائق الفائق والرافع والباسط ومن الزناد الواري ومن النوق التي تسرع الحمل ومن الخيل الذي ينفض راحيه انتهى.

والأكثر مناسب كما يظهر بعد التأمل. والخير صوت الماء وتداعى القوم اجتمعوا ورزت السماء صوتت من المطر وكان المهلول بمعنى الهاطل أي المطر المتتابع أو الضعيف الدائم والأريب العاقل وأرب الدهر اشتد

٥٤٤- كشف: [كشف الغمة] من كتاب لطف التدبير لمحمد بن عبد الله الخطيب قال حكى أن معاوية بن أبي سفيان قال لجلسائه بعد الحكومة كيف لنا أن نعلم ما تتول إليه العاقبة في أمرنا قال جلساؤه ما نعلم لذلك وجها قال فأتنا أستخرج علم ذلك من علي صلوات الله عليه فإنه لا يقول الباطل فدعا ثلاثة رجال من ثقافته وقال لهم امضوا حتى تصيروا جميعا من الكوفة على مرحلة ثم تواطوا على أن تنعوني بالكوفة وليكن حديثكم واحدا في ذكر العلة واليوم والوقت وموضع القبر ومن تولى الصلاة عليه وغير ذلك حتى لا تختلفوا في شيء ثم ليدخل أحدكم فليخبر بوفاتي ثم ليدخل الثاني فيخبر بمثل ثم ليدخل الثالث فيخبر بمثل خبر صاحبيه وانظروا ما يقول علي.

فخرجوا كما أمرهم معاوية ثم دخل أحدهم وهو راكب مغذ شاحب فقال له الناس بالكوفة من أين جئت قال من الشام قالوا له ما الخبر قال مات معاوية فأتوا عليا^{عليه السلام} فقالوا جاء رجل راكب من الشام يخبر من موت معاوية فلم يحفل علي

(١) الحديثان موجودات تحت الرقم ٢٠٣ وتاليه من منتخب كتاب الفارات: ج ٢، ص ٥٤٥ - ٥٤٧ ط ١. والحديث الأول رواه ابن أبي الحديد في شرحه على المختار: (٥٦) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٨٠٢ ط ١. الحديث ببيروت.

بذلك ثم دخل الآخر من الغد و هو مغذ فقال له الناس ما الخبر فقال مات معاوية و خبر بمثل ما خبر صاحبه فأثروا علياً فقالوا رجل راكب يخبر بموت معاوية بمثل ما أخبر صاحبه و لم يختلف كلامهما فأمسك علياً.

ثم دخل الآخر في اليوم الثالث فقال الناس ما وراء قال مات معاوية فسألوه عما شاهد فلم يخالف قول صاحبيه فأثروا علياً فقالوا يا أمير المؤمنين صح هذا الخبر هذا راكب ثالث قد خبر بمثل خبر صاحبيه فلما كثروا عليه قال علي صلوات الله عليه كلاً أو تخضب هذه من هذه يعني لحيته من هامته و يتلاعب بها ابن أكلة الأكباد فرجع الخبر بذلك إلى معاوية.

بيان: الإغذاء في السير الإسراع الشاحب المتغير أي كان عليه لون السفر قوله ﷺ و يتلاعب بها أي بالخلافة و الرئاسة.

٥٤٥- إرشاد القلوب، بإسناده إلى أبي جعفر الباقر ﷺ قال بينما أمير المؤمنين ﷺ يتجهز إلى معاوية و يحرض الناس على قتاله إذ اختصم إليه رجلان في فعل فعجل أحدهما في الكلام و زاد فيه فالتفت إليه أمير المؤمنين ﷺ و قال له اخساً فإذا رأسه رأس الكلب فهت من حوله و أقبل الرجل بإصبعه المسبحة يتضرع إلى أمير المؤمنين ﷺ و يسأله الإقالة فنظر إليه و حرك شفتيه فعاد كما كان خلقاً سوياً فوثب إليه بعض أصحابه فقال له يا أمير المؤمنين هذه القدرة لك كما رأينا و أنت تجهز إلى معاوية فما بالك لا تكفيناه ببعض ما أعطاك الله من هذه القدرة فأطرق قليلاً و رفع رأسه إليهم و قال و الذي فلق الحبة و برأ النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة في طول هذه الثياني و الفلوات و الجبال و الأودية حتى أضرب بها صدر معاوية على سريره فأقلبه على أم رأسه فلعغت و لو أقسمت على الله عز و جل أن أوتي به قبل أن أقوم من مجلسي هذا و قبل أن يرتد إلى أحد منكم طرفه فلعغت و لكنا كما وصف الله تعالى في كتابه ﴿عَبَادُ مَكْرُومُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(١).

بيان: قال الجوهري خسأت الكلب خسأت طرده و خسأ الكلب نفسه يتعدى و لا يتعدى

٥٤٦- إرشاد القلوب، بإسناده إلى ميثم التمار قال خطب بنا أمير المؤمنين ﷺ في جامع الكوفة فأطال في خطبته و أعجب الناس تطويلها و حسن وعظها و ترغيبها و ترهيبها و إذ دخل نذير من ناحية الأنبار مستغيثاً يقول الله الله يا أمير المؤمنين في رعيته و شيعته هذه خيل معاوية قد شنت علينا الغارة في سواد الفرات ما بين هيت و الأنبار. فقطع أمير المؤمنين ﷺ الخطبة و قال ويحك بعض خيل معاوية قد دخل الدسكرة التي تلي جدران الأنبار فقتلوا فيها سبع نسوة و سبعة من الأطفال ذكراً و سبعة إناثاً و شهروا بهم و وطئهم بحوافر الخيل و قالوا هذه مراغمة لأبي تراب.

فقام إبراهيم بن الحسن الأزدي بين يدي المنبر فقال يا أمير المؤمنين هذه القدرة التي رأيت بها و أنت على منبرك أن في دارك خيل معاوية بن أكلة الأكباد و ما فعل بشيعتك و لم يعلم بها هذا فلم تغضي عن معاوية؟ فقال له ويحك يا إبراهيم ﴿لَهُلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّتَةٍ وَ يَخْبِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّتَةٍ﴾ فصاح الناس من جوانب المسجد يا أمير المؤمنين فإلى متى يهلك من هلك عن بيته و يحيا من حي عن بيته و شيعتك تهلك فقال لهم لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.

فصاح زيد بن كثير الرمادي و قال يا أمير المؤمنين تقول بالأمس و أنت تجهز إلى معاوية و تحرضنا على قتاله و يحتمك إليك الرجلان في الفعل فتعجل عليك أحدهما في الكلام فتجعل رأسه رأس الكلب فيستجير بك فترده بشراً سوياً و تقول لك ما بال هذه القدرة لا تبلغ معاوية فتكفيناه شره فنقول لنا و فائق الحبة و بارئ النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة صدر معاوية فأقلبه على أم رأسه فلعغت فما بالك لا تفعل ما تريد إلا أن تضعف نفوسنا فنشك فيك فتدخل النار.

فقال أمير المؤمنين ﷺ لأفعلن ذلك و لأعجلته على ابن هند قدمه رجله على منبره فخرجت عن أبواب المسجد و ردها إلى فخذه و قال معاشر الناس أقيموا تاريخ الوقت و أعلموه فقد ضربت برجلي هذه الساعة صدر معاوية فقلبته

عن سريرته على أم رأسه فظن أنه قد أحيط به فصاح يا أمير المؤمنين فأين النظرة فرددت رجلي عنه و توقع الناس ورود الخبر من الشام و علموا أن أمير المؤمنين لا يقول إلا حقا فوردت الأخبار و الكتب بتاريخ تلك الساعة بعينها من ذلك اليوم بعينه أن رجلا جاءت من ناحية الكوفة ممدودة متصلة فدخلت من إيوان معاوية و الناس ينظرون حتى ضربت صدره فقلبت عن سريرته على أم رأسه فصاح يا أمير المؤمنين و أين النظرة و ردت تلك الرجل عنه و علم الناس ما قال أمير المؤمنين عليه السلام حقا.

بيان: قال الفيروز آبادي أغضى أدنى الجفون و على الشيء سكت

٥٤٧هـ بشا: [بشارة المصطفى] الحسن بن الحسين بن بابويه عن عمه محمد بن الحسن عن أبيه الحسين بن الحسين عن عمه أبي جعفر بن بابويه عن الطالقاني عن الجلودي عن المغيرة بن محمد عن رجاء بن أبي سلمة عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عند منصرفه من نهر و ان بلغه أن معاوية يسبه و يعيبه و يقتل أصحابه فقام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ذكر ما أنعم الله على نبيه و عليه ثم قال لو لا آية في كتاب الله ما ذكرت ما أنا ذاكرة في مقامي هذا يقول الله عز و جل ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١).

اللهم لك الحمد على نعمك التي لا تحصى و فضلك الذي لا ينسى.

أيها الناس إنه بلغني ما بلغني و إني أراني قد اقترب أجلي و كأني بكم و قد جهلتم أمري و إني تارك فيكم ما تركه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كتاب الله و عترتي و هي عترة الهادي إلى النجاة خاتم الأنبياء و سيد النجباء و النبي المصطفى.

يا أيها الناس لعلمكم لا تسمعون قائلا يقول مثل قولي بعدي إلا مفتريا أنا أخو رسول الله و ابن عمه و سيف نعمته و عماد نصرته و بأسه و شدته أنا رحي جهنم الدائرة و أضراسها الطاحنة أنا مؤتم البنين و البنات و قابض الأرواح و بأس الله الذي لا يرده عن القوم المجرمين أنا مجدل الأبطال و قاتل الفرسان و مبير من كفر بالرحمن و صهر خير الأنام أنا سيد الأوصياء و وصي خير الأنبياء أنا باب مدينة العلم و خازن علم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و وارثه أنا زوج البتول سيدة نساء العالمين فاطمة الثقية الزكية البرة المهديّة حبيبة حبيب الله و خير بناته و سلالته و ريشانة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سبطاه خير الأسباط و ولداي خير الأولاد هل أحد ينكر ما أقول.

أين مسلمو أهل الكتاب أنا أسمى في الإنجيل إلیا و في التوراة بربها و في الزبور أرى و عند الهند كلبن و عند الروم بطريسا و عند الفرس جبیر و عند الترك تبير و عند الزنج خير و عند الكهنة بوى و عند الحبشة تبريك و عند أمي حيدرة و عند طثري ميمون و عند العرب علي و عند الأرمن فريق و عند أبي زهير.

ألا و إني مخصوص في القرآن بأسماء أحمذروا أن تغلبوا عليها ففضلوا في دينكم يقول الله عز و جل ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢) أنا ذلك الصادق.

وأنأ المؤذن في الدنيا و الآخرة و قال الله تعالى ﴿فَإِذْ نُنَاقِشُ الَّذِينَ هُمْ أَلْفُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أنا ذلك المؤذن و قال ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أنا ذلك الأذان.

وأنأ المحسن يقول الله عز و جل ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وأنأ ذو القلب يقول الله عز و جل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾.

وأنأ الذاكر يقول الله عز و جل ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾.

ونحن أصحاب الأعراف أنا و عمي و أخي و ابن عمي و الله فائق الحجة و النوى لا يلج النار لنا محب و لا يدخل الجنة لنا مبغض يقول الله عز و جل ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ و أنا الصهر يقول الله عز و جل ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَبَعَثَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا﴾.

(١) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه و فسر غريبه في الحديث: (٩) من الباب: (٢٨) من كتاب معاني الأخبار، ص ٥٨، ط ٢.

ورواه الطبري بالسند المذكور ما هنا - عنه في الحديث: (١٨) في الجزء الأول من كتاب بشارة المصطفى ص ١٤، ط النجف.

(٢) هذا هو الصواب، وفي أصلي: «إن الله مع الصادقين». والآية هي الآية: (١١٩) من سورة التوبة: (٩).

وَأَنَا الْأَذُنُ الْوَاعِيَةُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «وَوَيْحِيَا أَذُنُ وَاعِدَةٌ».

وَأَنَا السَّالِمُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ «وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ» وَمِنْ وَلَدِي مُهْدِي هَذِهِ الْأُمَّةِ.

أَلَا وَقَدْ جَعَلْتَ مُحْتَكَمًا بِيَقْضِي يَعْرِفُ الْمُنَافِقُونَ وَبِمَحَبَّتِي أَمْتَحَنُ الْمُؤْمِنُونَ هَذَا عَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَّا إِنَّهُ لَا يَحْبِكُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُكُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ.

وَأَنَا صَاحِبُ لُؤَاءِ رَسُولِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ فَرُطِي وَأَنَا فَرُطُ شِيعَتِي وَاللَّهُ لَا عَطَشَ مُحِبِّي وَلَا خَافَ وَلِييَ أَنَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ وَلِييَ وَحَسَبُ مُحِبِّي أَنْ يُحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ وَحَسَبُ مَبْغِضِي أَنْ يَبْغِضُوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ.

أَلَا وَإِنَّهُ بَلَفْغِي أَنْ مُعَاوِيَةَ سَبَنِي وَلَعَنِي اللَّهُ أَشَدَّ وَطَأْتُكَ عَلَيْهِ وَأَنْزَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ آمِينَ رَبُّ الْعَالَمِينَ رَبُّ إِسْمَاعِيلَ وَبَاعَثَ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

ثُمَّ نَزَلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنْ أَعْوَادِهِ فَمَا عَادَ إِلَيْهَا حَتَّى قَتَلَهُ ابْنُ مَلْجَمٍ لَعْنَةُ اللَّهِ

٥٤٨هـ: كَا: (الكافي) علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله ﷺ قال إن مولى أمير المؤمنين ﷺ سألته ما لا فقال يخرج عطايتي فأقاسك فقل لا أكتفي وخرج إلى معاوية فوصله فكتب إلى أمير المؤمنين ﷺ يخبره بما أصاب من المال فكتب إليه أمير المؤمنين ﷺ أما بعد فإن ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهل بعدك وإنما لك منه ما مهدت لنفسك فأثر نفسك على إصلاح ولدك فإنما أنت جامع لأحد رجلين إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسد بما شئت وإما رجل عمل فيه بمعضية الله فشقي بما جمعت له وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك ولا تبرد له على ظهرك فأرج لمن مضى رحمة الله وثق لمن بقي يرزق الله.^(١)

بيان: قال في النهاية بردلي على فلان حق أي ثبت

٥٤٩هـ: ختنص: (الإختصاص) كتب معاوية إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أما بعد يا علي لأضربنك بشهاب قاطع لا يذكىه الريح ولا يطفئه الماء إذا اهتز وقع وإذا وقع نقب والسلام. فلما قرأ علي ﷺ كتابه دعا بدواة وقرطاس ثم كتب^(٢):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أما بعد يا معاوية فقد كذبت أنا علي بن أبي طالب ﷺ وأنا أبو الحسن والحسين قاتل جدك وعمك وخالك وأبيك وأنا الذي أفنيت قومك في يوم بدر ويوم فتح ويوم أحد وذلك السيف بيدي يحمله ساعدي بجرأة قلبي كما خلفه النبي ﷺ بكف الوصي لم أستبدل بالله ربا وبمحمد نبيا وبالسيف بدلا والسلام على من اتبع الهدى.

ثم طوى الكتاب ودعا الطرماح بن عدي الطائي وكان رجلا مفوها طوالا فقال له خذ كتابي هذا فانطلق به إلى معاوية و رد جوابه فأخذ الطرماح الكتاب ودعا بعصامة فلبسها فوق قلنسوته ثم ركب جملا بازلا تفتقا مشرقا عاليا في الهواء فسار حتى نزل مدينة دمشق فسأل عن قواد معاوية فقبل له من تريد منهم فقال أريد جرولا وجهضا و صلادة و قلادة و سودة و صاعقة و أبا المنايا و أبا الحثوف و أبا الأعور السلمي و عمرو بن العاص و شمر بن ذي الجوشن و الهدى بن محمد بن الأشعث الكندي فقبل إنهم مجتمعون عند باب الخضراء فنزل و عقل بعيره و تركهم حتى اجتمعوا فركب إليهم فلما بصروا به قاموا إليه يهزءون به فقال واحد منهم يا أعرابي عندك خبر من السماء قال نعم جبرائيل في السماء و ملك الموت في الهواء و علي في القفأ فقال له يا أعرابي من أين أقبلت قال من عند النبي النبي إلى المنافق الردي قال له يا أعرابي فما تنزل إلى الأرض حتى تشاورك قال و الله ما في مشاورتك بركة ولا مثلي يشاور أمثالك قالوا يا أعرابي فإنما نكتب إلى يزيد بخبرك و كان يزيد يومئذ ولي عهدهم فكتبوا إليه أما بعد يا يزيد فقد قدم علينا من عند علي بن أبي طالب ﷺ أعرابي له لسان يقول فما يعمل و يكثر فلا يكل و السلام فلما قرأ يزيد الكتاب أمر أن يهول عليه و أن يقام له سباطان بالباب بأيديهم أعمدة الحديد فلما توسطهم الطرماح قال من

(١) رواه ثقة الإسلام الكليني في الحديث: (٢٨) من روضة الكافي ص ٧٢ ورواه السيّد الرضّي في المختار: (٤١٦) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) الحديث موجود في كتاب الاختصاص - المنسوب إلى الشيخ المفيد ح ص ١٣٨، ط ٢، وفي ط النجف ص ١٣٢.

هؤلاء كأنهم زبانية مالك في ضيق المسالك عند تلك الهوالك قالوا أسكت هؤلاء أعدوا ليزيد فلم يلبث أن خرج يزيد فلما نظر إليه قال السلام عليك يا أعرابي قال الله السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ عَلَى ولد أمير المؤمنين قال إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام قال سلامه معي من الكوفة قال إنه يعرض عليك الحوائج قال أما أول حاجتي إليه فنزع روحه من بين جنبيه وأن يقوم من مجلسه حتى يجلس فيه من هو أحق به وأولى منه قال له يا أعرابي فإنا ندخل عليه فما فيك حيلة قال لذلك قدمت فاستأذن له على أبيه.

فلما دخل على معاوية ونظر إلى معاوية والسريير قال السلام عليك أيها الملك قال وما منعك أن تقول يا أمير المؤمنين قال نحن المؤمنون فمن أمرك علينا فقال ناوطني كتابك قال إني لأكره أن أطأ بساطك قال فنأوله ويزيري قال خان الوزير وظلم الأمير قال فنأوله غلامي قال غلام سوء اشتراه مولاه من غير حل واستخدمه في غير طاعة الله قال فما الحيلة يا أعرابي قال ما يحتال مؤمن مثلي لمنافق مثلك قم صاغرا فخذ.

فقام معاوية صاغرا فتناول منه ثم فضا وقراه ثم قال يا أعرابي كيف خلفت عليا قال خلفته والله جلدا حربا ضابطا كريما شجاعا جوادا لم يلق جيشا إلا هزمه ولا قرنا إلا أرواه ولا قصرا إلا هدمه قال فكيف خلفت الحسن والحسين قال خلفتهما صلوات الله عليهما صحيحين فصيحين كريمين شجاعين جوادين شابين طريين يصلحان للدنيا والآخرة قال فكيف خلفت أصحاب علي قال خلفتهم وعلي بينهم كاليد و هم كالنجوم إن أمرهم ابتدروا وإن نهاهم ارتدعوا فقال له يا أعرابي ما أظن بباب علي أحدا أعلم منك قال ويلك استغفر ربك وصم سنة كفارة لما قلت كيف لو رأيت الفصحاء الأدياء النطاء وقعت في بحر علومهم غرقت يا شقي قال الويل لأملك قال بل طوبى لها ولدت مؤمنا يغمر منافقا مثلك قال له يا أعرابي هل لك في جائزة قال أرى استنقاص روحك فكيف لا أرى استنقاص مالك فأمر له بمائة ألف درهم فقال أزيدك يا أعرابي قال أسد يدا أسد أبدا فأمر له بمائة ألف أخرى فقال ثلثها فإن الله فرد ثم ثلثها فقال الآن ما تقول قال أحمد الله وأذكك قال ولم ويلك قال لأنه لم يكن لك ولا لأبيك ميراثا إنما هو من بيت مال المسلمين أعطيتيه.

ثم أقبل معاوية على كاتبه فقال اكتب للأعرابي جوابا فلا طاقة لنا به فكتب أما بعد يا علي فلأوجهن إليك بأربعين حملا من خردل مع كل خردلة ألف مقاتل يشربون الدجلة ويسقون القرات.

فلما نظر الطرماح إلى ما كتب به الكاتب أقبل على معاوية فقال سواء لك يا معاوية فلا أدري أيكما أقل حياء أنت أم كاتبك ويلك لو جمعت الجن والإنس وأهل الزبور والفرقان كانوا لا يقولون بما قلت قال ما كتبته عن أمري قال إن لم يكن كتبه عن أمرك فقد استضعفك في سلطانك وإن كان كتبه بأمرك فقد استحيت لك من الكذب أمن أيهما تعتذر ومن أيهما تعتبر أما إن لعلي صلوات الله عليه ديكا اشتريه أخضر يلتقط الخردل بجيشه فيجمعه في حوصلته قال ومن ذلك يا أعرابي قال ذلك مالك بن الحارث الأشتر.

ثم أخذ الكتاب والجائزة وانطلق به إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فأقبل معاوية على أصحابه فقال نرى لو وجهتكم بأجمعكم في كل ما وجه به صاحبه ما كنتم تؤدون غني عشر عشر ما أدى هذا عن صاحبه.

بيان: الطرماح بكسر الطاء والراء وتشديد الميم وقال الجوهري فاه بالكلام على زنة قال وتفوه لفظ به والمفوه المنطوق وقال بزل البعير فطرنا به أي انشق فهو بازل ذكرنا كان أو أنتى وذلك في السنة التاسعة وربما بزل في السنة الثامنة وقال يقال جمل فتبق إذا افتتق سمناء وفي بعض النسخ بالنون قال الجوهري الفتيق الفحل المكرم وقال الجرجول الحجارة. والجهمضم الضخم الهامة المستدير الوجه والأسد والصلد والصلب الأملس ويحتمل أن تكون تلك أسامي خدمه وأن يكون قال ذلك نزا واستهزاء والسماط بالكسر الصف من الناس والنخل والجملد الصلابة والجلادة تقول منه جلد الرجل بالضم فهو جلد ذكره الجوهري وقال حرب الرجل بالكسر اشتد غضبه ورجل حرب وأسد حرب أسد يدا أسد أي أعط نعمة تكون أبدا سيدا للقوم والأجيد الحسن العنق أو طويله والأسعر هو الذي يعمل باليد اليسرى ويقال أنه أشد شيء رميا.

٥٥٠- أقول وجدت الرواية بخط بعض الأفاضل باختلاف ما فأحببت إيرادها على هذا الوجه أيضا قال قال الشيخ

الأديب أبو بكر بن عبد العزيز البستي بالأسانيد الصحاح إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لما رجع من وقعة الجمل كتب إليه معاوية بن أبي سفيان بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله و ابن عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فقد اتبعت ما يضرك و تركت ما ينفعك و خالفت كتاب الله و سنة رسوله ﷺ و قد انتهى إلي ما فعلت بحواري رسول الله ﷺ طلحة و الزبير و أم المؤمنين عائشة فو الله لأزمنك بشهاب لا تطفئه المياه و لا تزرعه الرياح إذا وقع و قب و إذا وثب و إذا ثقب ثقب و إذا ثقب ثقب فلا تغرنك الجيوش و استعد للحرب فإني ملائيك بجند لا قبل لك بها و السلام.

فلما وصل الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكه و قرأه و دعا بدواة و قرطاس و كتب إليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله و ابن عبده علي بن أبي طالب أخي رسول الله و ابن عمه و وصيه و مغسله و مكفته و قاضي دينه و زوج ابنته البتول و أبي سبطيه الحسن و الحسين إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فإني أفنيت قومك يوم بدر و قتلت عمك و خالك و جدك و السيف الذي قتلته به معي يحمله ساعدي بثبات من صدري و قوة من بدني و نصرة من ربي كما جعله النبي ﷺ في كفي فو الله ما اخترت على الله ربا و لا على الإسلام ديناً و لا على محمد نبياً و لا على السيف بدلاً فيأبلغ من رأيك فاجتهد و لا تقصر فقد استحوذ عليك الشيطان و استفزك الجهل و الطغيان و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ وَ السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى و خشي عواقب الردى.

ثم طوى الكتاب و ختمه و دعا رجلاً من أصحابه يقال له الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي و كان رجلاً جسيماً طويلاً أديباً ليبياً فصيحاً لساناً متكلماً لا يكل لسانه و لا يعيا عن الجواب فغممه بعمامته و دعا له بجمل بازل و وثيق فائق أحر فسوى راحلته و وجهه إلى دمشق فقال له يا طرماح انطلق بكتابي هذا إلى معاوية بن أبي سفيان و خذ الجواب.

فأخذ الطرماح الكتاب و كور بعمامته و ركب مطيته و انطلق حتى دخل دمشق فسأل عن دار الإمارة فلما وصل إلى الباب قال له الحجاب من بغيتك قال أريد أصحاب الأمير أولاً ثم الأمير ثانياً فقالوا له من تريد منهم قال أريد جعشما و جرولاً و مجاشعاً و باقعا و كان أراد أبا الأعور السلمي و أبا هريرة الدوسي و عمرو بن العاص و مروان بن الحكم فقالوا هم بباب الخضراء ينتظرون في بستان.

فانطلق و سار حتى أشرف على ذلك الموضع فإذا قوم ببابه فقالوا جاءنا أعرابي يدوي دوين إلى السماء تعالوا نستهنئ به فلما وقف عليهم قالوا يا أعرابي هل عندك من السماء خبر فقال بلى الله تعالى في السماء و ملك الموت في الهواء و أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في القفاء فاستعدوا لما ينزل عليكم من البلاء يا أهل الشقاوة و الشقاء قالوا من أين أقبلت قال من عند حر تقي نقي زكي مؤمن رضي مرضي فقالوا و أي شيء تريد فقال أريد هذا الدعي الردي المناق المردى الذي تزعمون أنه أميركم فعملوا أنه رسول أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى معاوية فقالوا هو في هذا الوقت مشغول قال بما ذا بوجد أو وعيد قالوا لا و لكنه يشاور أصحابه فيما يليق به غدا قال فسحقاً له و بعداً.

فكتبوا إلى معاوية بخبره أما بعد فقد ورد من عند علي بن أبي طالب رجل أعرابي بدوي فصيح لسن طلق ذلق يتكلم فلا يكل و يطيل فلا يمل فأعد لكلامه جواباً بالغا و لا تكن عنه غافلاً و لا ساهياً و السلام فلما علم الطرماح بذلك أناخ راحلته و نزل عنها و عقلها و جلس مع القوم الذين يتحدثون.

فلما بلغ الخبر إلى معاوية أمر ابنه يزيد أن يخرج و يضرب المصاف على باب داره فخرج يزيد و كان على وجهه أثر ضربة فإذا تكلم كان جهير الصوت فأمر بضرب المصاف ففعلوا ذلك و قالوا للطرماح هل لك أن تدخل على باب أمير المؤمنين فقال لهذا جئت و به أمرت فقام إليه و مشى فلما رأى أصحاب المصاف و عليهم ثياب سود فقال من هؤلاء القوم كأنهم زبانية لمالك على ضيق المسالك فلما دنا من يزيد نظر إليه فقال من هذا الميشوم ابن الميشوم الواسع الحلقوم المضروب على الخرطوم فقالوا مه يا أعرابي ابن الملك يزيد فقال و من يزيد لا زاد الله مزاده و لا بلغه مراده و من أبوه كانا قدما غائضين في بحر الجلافة و اليوم استويا على سرير الخلافة فسمع يزيد ذلك و استشاط و هم يقتله غضباً ثم كره أن يحدث دون إذن أبيه فلم يقتله خوفاً منه و كظم غيظه و خبا ناره و سلم عليه فقال يا أعرابي إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام فقال سلامه معي من الكوفة فقال يزيد سلمي عما شئت فقد أمرني

أمير المؤمنين بقضاء حاجتك فقال حاجتي إليه أن يقوم من مقامه حتى يجلس من هو أولى منه بهذا الأمر قال فما ذا تريد أتفا قال الدخول عليه فأمر برقع الحجاب وأدخله إلى معاوية وصاحبه.

فلما دخل الطرماح وهو متعل قالوا له أخلع نعليك فالتفت يميناً وشمالاً ثم قال هذا رب الواد المقدس فأخلع نعلي فنظر فإذا هو معاوية قاعد على السرير مع قواعده وخاصته ومثل بين يديه خدمه فقال السلام عليك أيها الملك العاصي ف قرب إليه عمرو بن العاص فقال ويحك يا أعرابي ما منعك أن تدعوه بأمر المؤمنين فقال الأعرابي نكلك أمك يا أحق نحن المؤمنون فمن أمره علينا بالخلافة.

فقال معاوية ما معك يا أعرابي فقال كتاب مختم من إمام معصوم فقال ناولنيه قال أكره أن أطأ بساطك قال ناوله وزيرى هذا وأشار إلى عمرو بن العاص فقال هيهات هيهات ظلم الأمير وخان الوزير فقال ناوله ولدي هذا وأشار إلى يزيد فقال ما نرضى بإبليس فكيف بأولاده فقال ناوله مملوكي هذا وأشار إلى غلام له قائم على رأسه فقال الأعرابي مملوك اشتريته من غير حل وتستعمله في غير حق قال ويحك يا أعرابي فما الحيلة وكيف نأخذ الكتاب فقال الأعرابي أن تقوم من مقامك وتأخذ بيدك على غير كره منك فإنه كتاب رجل كريم وسيد عليم وحبر حليم بالمؤمنين رءوف رحيم.

فلما سمع منه معاوية وثب من مكانه وأخذ منه الكتاب بغضب وفكه وقرأه ووضعه تحت ركبتيه ثم قال كيف خلعت أبا الحسن والحسين قال خلعتهم بحمد الله كاليد الطالع حواله أصحابه كالنجوم الثواقب اللوامع إذا أمرهم بأمر ابتدروا إليه وإذا نهامهم عن شيء لم يتجاسروا عليه وهو من بأسه يا معاوية في تجلد بطل شجاع سيد سميع إن لقي جيشاً هزمه وأرداه وإن لقي قرناً سلبه وأفناه وإن لقي عدواً قتله وجزاه.

قال معاوية كيف خلعت الحسن والحسين قال خلعتهما بحمد الله شابين نقيين زكيين عفيفين صحيحين سيدين طيبين فاضلين عاقلين عالمين مصلحين في الدنيا والآخرة.

فسكت معاوية ساعة فقال ما أفصحك يا أعرابي قال لو بلغت باب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لوجدت الأدباء الفضلاء الفقهاء النجباء الأتقياء الأصفياء ولرأيت رجلاً سيماهم في وجوههم من أثر السجود حتى إذا استعرت نار الوغى قدفوا بأنفسهم في تلك الشعل لايسين القلوب على مدارعهم قائمين ليلهم صائمين نهارهم لا تأخذهم في الله ولا في ولي الله علي لومة لائم فإذا أنت يا معاوية رأيتهم على هذه الحال غرقت في بحر عميق لا تنجو من لجته.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية سرا هذا رجل أعرابي بدوي لو أرضيته بالمال لتكلم فيك بخير.

فقال معاوية يا أعرابي ما تقول في الجائزة أتأخذها مني أم لا قال بل أخذها فو الله أنا أريد استقباض روحك من جسدك فكيف باستقباض مالك من خزانتك فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم قال أتحب أن أزيدك قال زد فإنك لا تعطيه من مال أبيك وإن الله تعالى ولي من يزيد قال أعطوه عشرين ألفاً قال الطرماح اجعلها وترا فإن الله تعالى هو الوتر ويحب الوتر قال أعطوه ثلاثين ألفاً فمد الطرماح بصره إلى إirاده فأطأ عليه ساعة فقال يا ملك تستهزئ بي على فراشك فقال لما ذا يا أعرابي قال إنك أمرت لي بجائزة لا أراها ولا تراها فإنها بمنزلة الريح التي تهب من قلل الجبال فأحضر المال ووضع بين يدي الطرماح فلما قبض المال سكت ولم يتكلم بشيء.

فقال عمرو بن العاص يا أعرابي كيف ترى جائزة أمير المؤمنين فقال الأعرابي هذا مال المسلمين من خزانة رب العالمين أخذه عبد من عباد الله الصالحين.

فالتفت معاوية إلى كاتبه وقال اكتب جوابه فو الله لقد أظلمت الدنيا علي وما لي طاقة فأخذ الكاتب القرطاس فكتب. بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وابن عبده معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإني أوجه إليك جنداً من جنود الشام مقدمته بالكوفة وساقته بساحل البحر ولأرمينك بألف حمل من خردل تحت كل خردل ألف مقاتل فإن أطفأت نار الفتنة وسلمت إلينا قتلة عثمان وإلا فلا تفل غال ابن أبي سفيان ولا يغرنك شجاعة أهل العراق واتفاقهم فإن اتفاقهم نفاق فمئلهم كمثل الحمار الناهق يميلون مع كل ناعق والسلام.

فلما نظر الطرماح إلى ما يخرج تحت قلمه قال سبجان الله لا أدري أيكما أكذب أنت بادعائك أم كاتبك فيما كتب

لو اجتمع أهل الشرق والغرب من الجن والإنس لم يقدروا به على ذلك فنظر معاوية فقال والله لقد كتب من غير أمري فقال إن كنت لم تأمره فقد استضعفك وإن كنت أمرته فقد استضعفك.

٢٩٤
٣٣ أو قال إن كتب من تلقاء نفسه فقد خانك وإن أمرته بذلك فأنتما خائنان كاذبان في الدنيا والآخرة ثم قال الطرماح يا معاوية أظنك تهدد البط بالشط.

فدع الوعيد فما وعيدك ضائر
أطسني أجنحة الذباب يضير
والله إن لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لديكا على الصوت عظيم المنقار يلتقط الجيش بخيشومه و يصرفه إلى قانسته ويحطه إلى حوصلته فقال معاوية والله كذلك هو مالك بن الأشتر النخعي ثم قال ارجع بسلام مني.

وفي رواية أخرى خذ المال والكتاب وانصرف فجزاك الله عن صاحبك خيرا فأخذ الطرماح الكتاب وحمل المال وخرج من عنده وركب مطيته و سار.

ثم التفت معاوية إلى أصحابه فقال لو أعطيت جميع ما أملك لرجل منكم لم يؤد عني عشر عشير ما أدى هذا الأعرابي عن صاحبه.

فقال عمرو بن العاص لو أن لك قرابة كقرابة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان معك الحق كما هو معه لأدينا عنك أفضل من ذلك أضعافا مضاعفة فقال معاوية فض الله فاك وقطع شفتيك والله لكلامك علي أشد من كلام الأعرابي ولقد ضاقت علي الدنيا بهذا فيراها.

توضيح: الزعزعة تحريك الرياح لشجرة ونحوها ذكره الفيروز آبادي وقال وقب الظلام دخل و الشمس وقبا وقوبا غابت والوثيق المحكم والمصاف جمع المصف وهو موضع الصف و السמידع بفتح السين والميم بعدها مثناة تحتانية السيد الكريم الشريف الموطأ الأكناف و الشجاع وفي الصحاح ضاره يضوره و يضيره ضورا و ضيرا أي ضره.

٥٥١- أقول نقل من خط الشهيد قدس سره أنه قال قال معاوية لأبي المرقع الهمداني اشم عليا قال بل أشتم شاتمته وظالمه قال أهو مولاك قال و مولاك إن كنت من المسلمين قال فادع عليه قال بل أدعو على من هو دونه قال ما تقول في قاتله قال هو في النار مع من سره ذلك قال من قومك قال الزرق من همدان الذين أسحبوك يوم صفين ٥٥٢- ومن خطه أيضا قال روى أبو عمر الزاهد في كتاب فائت الجمهرة أن رجلا سأل معاوية يوم صفين عن مسألة فقال له سل عليا فإنه أعلم مني قال فقال له الرجل جوابك أحب إلي من جوابه فقال له لقد كرهت رجلا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يغره بالعلم غرا و لقد رأيت عمر إذا أشكل عليه الشيء قال أهاهنا أبو الحسن قم لا أقام الله رجلك ومحا اسمه من الديوان (١).

قال ابن عباس فكنت جالسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءنا الرجل و قد سبقه خبره إلينا فقال يا أمير المؤمنين قد جئتكم مستأمنا فقال له أنت صاحب الكلام أنت تعرف معاوية من أنا فكيف رأيت جواب المتناق قم لا أقام الله رجلك فبقي مذبذبا. وذكر ابن النديم في الفهرست أن هذا أبا عمر كان نهاية في النصب والميل على علي عليه السلام.

باب بدو قصة التحكيم والحكمين و حكمهما بالجور رأي العين

باب ٢١

و قد مر بعض ذلك فيما مضى من قصص صفين.

٥٥٣- قال ابن أبي الحديد قال نصر روى عمر بن سعد عن مجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر أن عليا عليه السلام بعث

(١) للحديث - عدا بعض خصوصياته - مصادر كثيرة وأسانيد يجد الباحث كثيراً منها تحت الرقم: (٤٠١) وتاليه وتعليقهما من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١، ص ٣٦٩ ط ٢.

أربع مائة عليهم شريح بن هانئ ومعه عبد الله بن العباس يصلي بهم ومعهم أبو موسى الأشعري وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربع مائة ثم إنهم خلوا بين الحكمين فكان رأي عبد الله بن قيس في عبد الله بن عمرو بن الخطاب وكان يقول والله إن استطعت لأحيين سنة عمر^(١).

قال نصر وفي حديث محمد بن عبيد الله عن الجراني قال لما أراد أبو موسى المسير قام إليه شريح بن هانئ فأخذ بيده وقال يا أبا موسى إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه ولا يستقاتل قتنته ومهما تفل من شيء عليك أو لك تثبت حقه وتري صحته وإن كان باطلا وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم علي وقد كانت منك تشيطة أيام الكوفة والجمل وإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقينا والرجاء منك يأسا.

فقال أبو موسى ما ينبغي لقوم اتهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلا أو أجر إليهم حقا

وروي المدائني في كتاب صفين قال لما اجتمع أهل العراق على طلب أبي موسى واحضروه للحكيم على كره من علي^{عليه السلام} له أتاه عبد الله بن العباس وعنده وجوه الناس والأشراف فقال له يا أبا موسى إن الناس لم يرضوا بك ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تشارك فيه وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبلك ولكن أهل العراق أبو إلا أن يكون الحكم يمانيا وأما أن معظم أهل الشام يمان وإيم الله إنني لأظن ذلك شرا لك ولنا فإنه قد ضم إليك داهية العرب وليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة فإن تقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك منه وإن يطمع باطله في حقد يدرك حاجته منك.

واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام وأن أباه رأس الأحزاب وأنه يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعه فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهي ويؤجره ما يكره ثم استعمله عثمان برأي عمر وما أكثر ما استعمل ممن لم يدع الخلافة واعلم أن لعمر مع كل شيء يسرك خبيثا يسوءك ومهما نسيت فلا تنس أن عليا^{عليه السلام} بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وأنهابيعة هدى وأنه لم يقاتل إلا العاصين والناكثين.

فقال أبو موسى رحمك الله والله ما لي إمام غير علي وإنني لواقف عند ما رأي وإن حق الله أحب إلي من رضا معاوية وأهل الشام وما أنت وأنا إلا بالله.

وروي البلاذري في كتاب أنساب الأشراف قال قيل لعبد الله بن العباس ما منع عليا أن يبعثك مع عمرو يوم التحكيم قال منعه حاجز القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدة أما والله لو كنت لقعدت على مدارج أنفاسه ناقضا ما أبرم ومبرما ما نقض أظير إذا أسف وأسف إذا طار ولكن سبق قدر وبقي أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لأمر المؤمنين.

قال نصر وفي حديث عمرو بن شمر قال أقبل أبو موسى إلى عمرو فقال يا عمرو هل لك في أمر هو للأمة صلاح ولصلحاء الناس رضا نولي هذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي لم يدخل في شيء من هذه الفتنة ولا في هذه الفرقة قال وكان عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير قريبين يسمعان الكلام فقال عمرو فإني أنت يا أبا موسى عن معاوية فأبى عليه أبو موسى فقال عمرو أأنت تعلم أن عثمان قتل مظلوما ومعاوية ولي عثمان وقد قال الله ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِيسِهِ سُلْطَانًا﴾. ٣٣- الإسراء ثم إن بيت معاوية في قريش ما قد علمت وهو أخو أم حبيبة أم المؤمنين وزوج النبي ﷺ وقد صحبه وهو أحد الصحابة ثم عرض له بالسلطان فقال له إن هو ولي الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قط بمثلها.

فقال أبو موسى اتق الله يا عمرو فإن هذا الأمر ليس على الشرف إنما هو لأهل الدين والفضل مع أني لو كنت أعطيته أفضل قريش شرفا لأعطيته علي بن أبي طالب.

وأما قولك إنه ولي عثمان فإني لم أكن أوليه إياه لنسبة من عثمان وأدع المهاجرين الأولين.

وأما تعريضك لي بالإمرة والسلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه ما وليته ولا كنت أرتشي في الله ولكنك إن شئت أحيينا سنة عمر بن الخطاب. وروي أنه كان يقول غير مرة والله إن استطعت لأحيين اسم عمر بن الخطاب.

(١) رواه ابن أبي الحديد في أواسط شرحه على المختار: (٣٥) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤٤٤ ط الحديث ببيروت.

فقال عمرو بن العاص إن كنت إنما تريد أن تباع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابني عبد الله و أنت تعرف فضله و صلاحه فقال إن ابنك لرجل صدق و لكنك قد غمست في هذه الفتنة.

قال نصر و روي عن النضر بن صالح قال كنت مع شريح بن هانئ في غزوة سجستان فحدثني أن علياً أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص و قال له قل لعمرو إذا لقيته إن علياً يقول لك إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه و إن نقصه و إن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه و إن زاده و الله يا عمرو إنك لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل أبأن أوتيت طمعاً يسيراً صرت لله و لأوليائه عدواً فكان ما أوتيت قد زال عنك ف لا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ حَظِيماً و لا للظالمين ظهيراً أما إني أعلم أن يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك و سوف تمنى أنك لم تظهر لي عداوة و لم تأخذ على حكم الله رشوة.

قال شريح فأبلغته ذلك يوم لقيته فتعمر وجهه و قال متى كنت قابلاً مشورة علي أو منيباً إلى رأيهِ أو معتداً بأمرهِ. فقلت و ما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك و سيد المسلمين بعد نبينهم مشورته لقد كان من هو خير منك أبو بكر و عمر يستشيرانه و يعملان برأيه فقال إن مثلي لا يكلم مثلك فقلت بأي أبويك ترغب عن كلامي بأيك الوشيط أم بأملك النابغة فقام من مكانه و قمت.

قال نصر و روى أبو جناب الكلبي أن عمراً و أباً موسى لما التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدم أباً موسى في الكلام و يقول إنك صحبت رسول الله ﷺ قبلي و أنت أكبر مني سناً فتكلم أنت ثم أتكلم أنا فجعل ذلك سنة و عادة بينهما وإنما كان مكرراً و خديعة و اغتراراً له بأن يقدمه فيبدأ بخلع علي ثم يرى رأيهِ.

قال ابن ديزيل في كتاب صفين أعطاه عمرو صدر المجلس و كان لا يتكلم قبله و أعطاه التقدم في الصلاة و في الطعام لا يأكل حتى يأكل و إذا خاطبه فإنما يخاطبه بأجل الأسماء و يقول له يا صاحب رسول الله حتى أطعمن إليه و ظن أنه لا يقشه فلما انخفضت الزيدة بينهما قال له عمرو أخبرني ما رأيك يا أباً موسى قال أرى أن أخلع هذين الرجلين و نجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون من يشاءون فقال عمرو الرأي و الله ما رأيت.

فأقبلاً إلى الناس و هم مجتمعون فتكلم أبو موسى فحمد الله و أننى عليه ثم قال إن رأيي و رأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة فقال عمرو صدق ثم قال له تقدم يا أباً موسى فتكلم.

فقام أبو موسى ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال ويحك و الله إني لأظنه خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك ليتكلم به ثم تكلم أنت بعده فإنه رجل غدار و لا آمن أن يكون أعطاك الرضا فيما بينك و بينه فإذا قمت به في الناس خالفك و كان أبو موسى رجلاً مغفلاً فقال إياها عنك إنا قد اتفقتا.

فتقدم أبو موسى فحمد الله و أننى عليه ثم قال أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئاً هو أصلح لأمر هؤلاء و لا أئلم لشعثها من أن لا يبين أمورها^(١) و قد اجتمع رأيي و رأي صاحبي على خلع علي و معاوية و أن يستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين يولون أمورهم من أحبوا و إني قد خلعت علياً و معاوية فاستقبلوا أموركم و ولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثم تنحى.

فقام عمرو بن العاص في مقامه فحمد الله و أننى عليه ثم قال إن هذا قد قال ما سمعتم و خلع صاحبه و أنا أخلع صاحبه كما خلعه و أثبت صاحبي معاوية في الخلافة فإنه ولي عثمان و الطالب بدمه و أحق الناس بمقامه.

فقال له أبو موسى ما لك لا وفقك الله قد غدرت و فجرت إنما مثلك كمثل الكلب إن تحل عليه يلتهث و إن تتركه يلتهث.

فقال له عمرو إنما مثلك كمثل الجمار يَحْمِلُ أَشْفَاراً.

و حمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط و حمل ابن لعمرو على شريح فقنعه بالسوط و قام الناس فحجزوا بينهما فكان شريح بعد ذلك يقول ما ندمت على شيء ندامتي أن لا أكون ضربت عمرواً بالسيف بدل السوط لكن أتى الدهر بما أتى به.

(١) كذا في ط الكمباني من الأصل، وفي طبع الحديث ببيروت من شرح ابن أبي الحديد: ج ١، ص ٤٥١: «من أن لا يتباين أمورهما».

و التمس أصحاب علي عليه السلام أبا موسى فركب ناقته و لحق بمكة فكان ابن عباس يقول قبح الله أبا موسى لقد حذرته و هديته إلى الرأي فما عقل و كان أبو موسى يقول لقد حذرني ابن عباس غدرة الفاسق و لكن اطمانت إليه و ظننت أنه لا يؤثر شيئا على نصيحة الأمة

قال نصر و رجع عمرو إلى منزله من دومة الجندل فكتب إلى معاوية

أنتك الخلافة مزقوفة
هنيئا مريئا تقر العيون
تزف إليك زفاف العروس
بأهون من طعنك الدار عينا

إلى آخر الآيات.

فقام سعيد بن قيس الهمداني و قال و الله لو اجتمعنا على الهدى ما زدنا على ما نحن الآن عليه و ما ضلالكما بلانم لنا و ما رجعتما إلا بما بدأتما به و أنا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس.

و قام كردوس بن هانئ مغضبا و أنشد أبياتا في الرضا بخلافة علي عليه السلام و إنكار خلافة معاوية و حكم الحكيمين و تكلم جماعة أخرى بمثل ذلك.

قال نصر و كان علي عليه السلام لما سمع ما خذع به عمرو أبا موسى غمه ذلك و ساءه و خطب الناس و قال:

الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب القادح و الحدث الجليل.

إلى آخر ما سيأتي برواية السيد الرضي رضي الله عنه و قال:

ألا إن هذين الرجلين الذين اخترتموها قد نبذا حكم الكتاب و أحيا ما أمات و اتبع كل واحد منهما هواه و حكم بغير حجة و لا بينة و لا سنة ماضية و اختلفا فيما حكما فكلهما لم يرشد الله فاستعدوا للجهاد و تأهبوا للمسير و أصبحوا في معسكركم يوم كذا^(١).

قال نصر فكان علي عليه السلام بعد الحكومة إذا صلى الغداة و المغرب و فرغ من الصلاة و سلم قال اللهم العن معاوية و عمرا و أبا موسى و حبيب بن مسلمة و عبد الرحمن بن خالد و الضحاک بن قيس و الوليد بن عقبة فبلغ ذلك معاوية فكان إذا صلى لعن عليا و حسنا و حسينا و ابن عباس و قيس بن سعد بن عبادة و الأشتر.

و زاد ابن ديزيل في أصحاب معاوية أبا الأعور السلمي

و روى ابن ديزيل أيضا أن أبا موسى كتب من مكة إلى علي عليه السلام أما بعد فأني قد بلغني أنك تلغني في الصلاة و يؤمن خلفك الجاهلون و إني أقول كما قال موسى عليه السلام رَبِّ بِمَا أَتَعَمْتُ عَلَيْكَ فَلْنَأْكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ

بيان: قال في القاموس الدهاء النكر و جودة الرأي و الأدب و رجل داه و ده و داهية و قال في النهاية أسف الطائر إذا دنا من الأرض و أسف الرجل للأمر إذا قاربه و في الصحاح تمر لونه عند الغضب تغير و في القاموس الوشيظ كأمير الأتباع و الخدم و الأجلاف و لقيف من الناس ليس أصلهم واحدا و هم وشيظ في قومهم حشوفهم و قال غفل عنه غفولا تركه و سها عنه كأغفله و المغفل كمعظم من لا فطنة له و قال أيها بالفتح و بالنصب أمر بالسكوت و قال قنع رأسه بالسوط غشاه بها.

أقول رجعتنا إلى كتاب نصر فوجدنا ما أخرجه ابن أبي الحديد موافقا له في المعنى.

٥٥٤- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له عليه السلام أجاب به أبا موسى الأشعري عن كتاب كتبه إليه من المكان الذي اتعدوا فيه للحكومة و ذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي فإن الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا و نطقوا بالهوى و إني نزلت من هذا الأمر منزلا معجبا اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم فأني أداوي منهم قرحا أخاف أن يعود علقا و ليس رجل فاعلم أحرص على جماعة أمة محمد صلى الله عليه و آله و ألفتها مني أبتغي بذلك حسن الثواب و كرم المآب و سأفي بالذي وأيت على نفسي و إن تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه

(١) وهذا هو المختار: (٣٥) من كتاب نهج البلاغة، وله مصادر كثيرة ذكر بعضها في المختار (٢٥٩) وما قبله من نهج السعادة: ج ٢ ص ٣٥٦ ط

والحديث رواه ابن أبي الحديد في أواخر شرحه على المختار: (٣٥) من نهج البلاغة ج ١، ص ٤٥٤.

فإن الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة وإني لأعبد أن يقول قائل بباطل وإن أقسد أمراً قد أصلحه الله فدع ما لا تعرف فإن شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء والسلام^(١).

قوله ﷺ من حظهم أي من الآخرة. وقوله ﷺ منزلاً.

قال ابن أبي الحديد أي يعجب من رآه أي يجعله متعجباً منه وهذا الكلام شكوى من أصحابه و نصاره من أهل العراق فإنه كان اختلافاً عليهم عليه واضطرابهم شديداً جداً.

والمنزلة والتزول هاهنا مجاز واستعارة والمعنى أنني حصلت في هذا الأمر الذي حصلت فيه على حال معجبة لمن تأملها.

وقال الجوهري العجيب الأمر يتعجب منه وعجبت من كذا وتعجبت بمعنى وأعجبتني هذا الشيء لحسنه وقد أعجب فلان بنفسه فهو معجب بنفسه وبأبائه والاسم العجب بالضم انتهى.

فإني أدأوي منهم قرحاً قال ابن ميثم استعار لفظ القرح لما فسد من حاله باجتماعهم على التحكيم و لفظ المداواة لاجتهاده في إصلاحهم وروي أداري وكذلك استعار لفظ العلق وهو الدم الغليظ لما يخاف من تفاقم أمرهم وقوله فاعلم اعتراض حسن بين ليس وخبرها بالذي وأيت أي وعدت وضمنت من شرط الصلح على ما وقع عليه عن صالح ما فارقنتني عليه أي من وجوب الحكم بكتاب الله وعدم اتباع الهوى والاعتراض بمقارنة الأشرار.

٣٠٥
٣٣

وقال ابن أبي الحديد يجوز أن يكون قوله ﷺ وإن تغيرت من جملة قوله ﷺ فيما بعد فإن الشقي كما تقول إن خالفنتي فإن الشقي من يخالف الحق لكن تعلقه بالسابق أحسن لأنه أدخل في مدح أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كأنه يقول أنا أفي وإن كنت لا تفي والضد يظهر حسن الضد وإني لأعبد أي إني لأتف من أن يقول غيري قولاً باطلاً فكيف لا أتف ذلك أنا من نفسي.

وقال الجوهري قال أبو زيد العبد بالتحريك الغضب والأنف والاسم العبداء مثل الأنفة وقد عبد أي أنف فدع ما لا تعرف أي لا تبين أمرك إلا على اليقين فإن شرار الناس أي لا تصغ إلى أقوال الوشاة فإن الكذب يخالط أقوالهم كثيراً فلا تصدق ما عساه يبلغك غني فإنهم سراع إلى أقاويل السوء

٣٠٦
٣٣

٥٥٥- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن علي بن مالك النحوي عن جعفر بن محمد الحسن بن عيسى بن مهران عن يحيى بن عبد الحميد عن شريك عن عمران بن طفيل عن أبي نجيبة قال سمعت عمار بن ياسر رحمه الله يعاتب أبا موسى الأشعري ويوبخه على تأخره عن علي بن أبي طالب ﷺ وقعوده عن الدخول في بيعته ويقول له يا أبا موسى ما الذي أخرك عن أمير المؤمنين ﷺ فوالله لئن شككت فيه لتخرجن عن الإسلام وأبو موسى يقول له لا تفعل ودع عتابك لي فإنما أنا أخوك فقال له عمار رحمه الله ما أنا لك بأخ سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ليلة العقبة وقد هممت مع القوم بما هممت فقال له أبو موسى أفليس قد استغفر لي قال عمار قد سمعت اللعن ولم أسمع الاستغفار^(٢).

٥٥٦- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلامه ﷺ لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة^(٣):

أيها الناس إنه لم يزل أمرى معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم أنهلك ولقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهاياً وقد أحبيتهم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون.

توضيح: قال الجوهري نهكت التوب بالفتح نهكا لبسته حتى خلق ونهكت من الطعام بالغت في أكله ونهكتة الحمى إذا أجهدهت وأضنته ونقضت لحمه وفيه لغة أخرى نهكتة الحمى تهكه نهكا ونكهة.

(١) رواء السيد الرضي ح في المختار ما قبل الأخير من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواء الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (٦) من الجزء السابع من أماليه: ج ١، ص ١٨٤، ط بيروت.

(٣) رواء السيد الرضي ح في المختار: (٢٠٦) من كتاب نهج البلاغة. ورويناه عن مصادر في المختار: (٢٢٣) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٥٤ ط ١.

قوله ﷺ وترك أي لم يستأصلكم بل فيكم بعد بقية وهي لعدوكم أنهك لأن القتل في أهل الشام كان أشد استحراراً والوهن كان فيهم أظهر.

قوله ﷺ وليس لي أن أحملكم أي لا قدرة لي عليه وإن كان يجب عليكم إطاعتي

٥٥٧- نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين (١).

وكان بدء أمرنا أننا التقينا والقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصدق لرسوله ﷺ ولا يستزيدونا الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء فقلنا تعالوا ندأوي ما لا يدرك اليوم بإطفاء النائرة وتسكين العامة حتى يشتد الأمر ويستجمع فتقوى على وضع الحق في مواضعه فقالوا بل ندأوي بالمكابرة فأبوا حتى جنحت الحرب وركدت وقدت نيرانها وحشت فلما ضرستنا وإياهم وضعت مغالبها فينا وفيهم أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه فأجبناهم إلى ما دعوا وسارعناهم إلى ما طلبوا حتى استبان عليهم الحجة وانقطعت منهم المَعذرة فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة ومن لجح وتمادى فهو الراسك الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه.

توضيح: قوله ﷺ والقوم عطف على الضمير في التيقن.

قوله ﷺ والظاهر أن ربنا واحد قال ابن أبي الحديد لم يحكم لأهل صفين بالإسلام بل بظاهره. ولا نستزيدهم أي لا نطلب منهم زيادة في الإيمان في الظاهر حتى يشتد الأمر أي يستحكم بأن يتمهد قواعد الخلافة.

وقال الجوهري جنوح الليل إقباله وركدت أي دامت وثبتت وقدت كودعت أي اشتعلت وحشت أي استقرت وثبتت وروي واستحشمت وهو أصح ذكره ابن أبي الحديد وقال ومن رواها بالسين المهملة أراد اشتدت وصليت.

وقال الجوهري أحشمت القدر أشبع وقودها وقال الأحسن الشديد الصلب وقد حمس بالكسر.

فلما ضرستنا أي عصفنا بأضراسها ويقال ضرسهم الدهر أي اشتد عليهم والضرس العض بالأضراس ولعل التشديد هاهنا للمبالغة ويقال ضرسته الحرب أي جريته وأحكمته وأنقذت فلانا من الشر واستنقذته رتنقذته وانتقذته خلصته فنقذ كفرح والركس رد الشيء مقلوباً وران الله على قلبه أي طبع وختم وقال الطبرسي في مجمع البيان الدائرة هي الراجعة بخير أو شر ودائرة السوء العذاب والهلاك.

وقال ابن أبي الحديد المصدر والسوء الاسم والدوائر أيضاً الدواهي

٥٥٨- نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية وإن البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودينه وبيديان خلله عند من يعيبه وقد علمت أنك غير مدرك ما قد قضى فواته وقد رام أقوام أمراً بغير الحق فتأولوا على الله فأكذبهم.

فاحذر يوماً يغبط فيه من أحمد عاقبة عمله ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجازبه.

وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله ولسنا إياك أجبناً ولكن أجبننا القرآن إلى حكمه

بيان: يوتغان أي يهلكان وفي بعض النسخ يذيعان أي يظهران سره وبفضحانه وقال الجوهري الخلل فساد في الأمر.

قوله فتأولوا قال الراوندي معناه قد طلب قوم أمر هذه الأمة فتأولوا القرآن كقوله تعالى ﴿وَأُولِي الْأُمُور مِنْكُمْ﴾ فسموا من أنصبه من الأمراء أولي الأمر متحكمين على الله فأكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة ولا يكون الوالي من قبل الله كذلك.

وقال ابن ميثم بغوا على سلطان الله و هي الخلافة الحقّة فجعلوا لخروجهم و بغيتهم تأويلا و هو الطلب بدم عثمان و نحوه من الشبه الباطلة فأكذبهم الله بنصره عليهم و رد مقتضى شبههم و الإكذاب كما يكون بالقول يكون بالفعل.

وقال ابن أبي الحديد في بعض النسخ فتأولوا على الله أي حلفوا أي من أقسم تحجرا و اقتدارا لأفعلن كذا أكذبه الله و لم يبلغه أمه و روي تأولوا على الله أي حرفوا الكلام عن مواضعه و تعلقوا بشبهه في تأويل القرآن انتصارا لمذاهبهم فأكذبهم الله بأن ظهر للمقلاء فساد تأويلاتهم و الأول أصح. قوله ﷺ يغتبط فيه أي يتمنى مثل حاله من أحمد عاقبة عمله أي وجدها محمودة و قياد الدابة ما تقاد به. و قال ابن ميثم كتب ﷺ هذا الكتاب بعد التحكيم أو عند إيجابته للتحكيم.

٥٥٩- شا: [الإرشاد] من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه حين رجع أصحابه عن القتال بصفين لما اغترهم معاوية برفع المصاحف فانصرفوا عن الحرب^(١):

لقد فعلتم فعلة ضعفت من الإسلام قواه وأسقطت منته وأورثت وهنا وذلة لما كنتم الأعلين وخاف عدوكم الاجتياح واستحر بهم القتل ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف ودعوكم إلى ما فيها ليفتؤمكم عنها و يقطعوا الحرب فيما بينكم و بينهم و يتربصوا بكم ريب المنون خديعة و مكيدة فما أنتم إن جامعتوهم على ما أحبوا و أعطيتوهم الذي سألوا إلا مغرورين و ايم الله ما أظنكم بعدها موافقي رشد و لا مصيبي حزم

بيان: المنة بالضم القوة و استحر القتل اشتد ذكرهما الجوهري و قال فتأنت القدر سكنت غلبانها بالماء و فتأنت الرجل غني إذا كسرتة بقول أو غيره و سكنت غضبه و ريب المنون حوادث الدهر و المنون الموت أيضا

٥٦٠- شا: [الإرشاد] ومن كلامه ﷺ بعد كتب صحيفة الموادة و التحكيم وقد اختلف عليه أهل العراق على ذلك فقال: والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت و إذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلا أن يعصى الله بنقض العهد و يتعدى كتابه بحل العقد فقاتلوا حينئذ من ترك أمر الله. وأما الذي أنكرتم على الأكثر من تركه أمري بخط يده في الكتاب و خلاقه ما أنا عليه فليس من أولئك و لا أخافه على ذلك و ليت فيكم مثله اثنين بل ليت فيكم مثله واحدا يرى في عدوكم ما يرى إذا خفت على مؤنتكم و رجرت أن يستقيم لي بعض أودكم و قد نهيتكم عما أتيتم و عصيتموني فكنت أنا و أنتم كما قال أخو هوازن. وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

بيان: قال الجوهري غزية قبيلة قال دريد بن الصمة و ذكر البيت.

٥٦١- بيج: [الخرائج و الجرائح] شا: [الإرشاد] قال أمير المؤمنين ﷺ عند ما رفع أهل الشام المصاحف و شك فريق من أصحابه و لجئوا إلى المسالمة و دعوه إليها^(٢).

ويلكم إن هذه خديعة و ما يريد القوم القرآن لأنهم ليسوا بأهل قرآن فاتقوا الله و امضوا على بصائركم في قتالهم فإن لم تفعلوا تفرقت بكم السبل و ندمتم حيث لا تنفعكم الندامة.

وكان الأمر كما قال و كفر القوم بعد التحكيم و ندموا على ما فرط منهم في الإجابة إليه و تفرق بهم السبل و كان عاقبتهم الدمار.

٥٦٢- قب: [المنابح لابن شهر آشوب] روي في معنى قوله تعالى و مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّبِعُ اللَّهَ عَلَىٰ حَزَبٍ أَنَّهُ كَانَ أَبُو مُوسَىٰ وَ عَمْرُو.

(١) رواه الشيخ المفيد ﷺ في الفصل: (٣٦) من مختار كلام أمير المؤمنين في كتاب الإرشاد ص ١٤٣. وذكره الطبري في ج ٤ من تاريخه ص ٤٠ عن أبي مخنف.

والحديث التالي رواه أيضا في ص ٤٢ منه.

(٢) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الفصل الثاني من فصول إخبار أمير المؤمنين ﷺ عن الغائبات قبل تحققها من كتاب الإرشاد، ص ١٦٥.

وروى ابن مردويه بأسانيده عن سويد بن غفلة أنه قال كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكيمين ضالين ضال من اتبعهما ولا تنفك أموركم تختلف حتى تبعوا حكيمين يضلان ويضل من تبعهما.

قال سويد فقلت أعيذك بالله أن تكون أحدهما قال فخلع قميصه وقال برأني الله من ذلك كما برأني من قميصي. ولما جرى ليلة الهيرير صاحوا يا معاوية هلكت العرب فقال يا عمرو أنفر أو نستأمن قال لنرفع المصاحف على الرماح ونقرأ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ فإن قبلوا حكم القرآن رفعنا الحرب ورافعنا بهم إلى أجل وإن أبا بعضهم إلا القتال فللنا شوكتهم ويقع بينهم الفرقة وأمر بالنداء وأن يصرخ فيهم فللسنا ولستم من المشركين ولا المجمعين على الردة فإن قبلوها ففيها البقاء للفرقتين وللبلدة وإن تدفوها ففيها الفناء وكل بلاء إلى مدة!!

فقال مسعر بن فدكي وزيد بن حصين الطائي والأشعث بن قيس الكندي أحب القوم إلى كتاب الله. فقال أمير المؤمنين ويحكم والله إنهم ما رفعوا المصاحف إلا خديعة ومكيدة حين علوتموهم. وقال خالد بن معمر السدوسي يا أمير المؤمنين أحب الأمور إلينا ما كفيها مئوته وأنشد رفاعة بن شداد البجلي: وإن حكموا بالعدل كانت سلامة وإلا أضرناها بأيوم قماطر

فقصد إليه عشرون ألف رجل يقولون يا علي أحب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا دفنناك برمتك إلى القوم أو نفل بك ما فعلنا بعثمان.

قال فاحفظوا عني مقالتي فإني آمركم بالقتال فإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم قالوا فابعث إلى الأشتر ليأتيك فبعث إليه يزيد بن هاشم السبيعي يدعوه فقال الأشتر إني قد رجوت أن يفتح الله لي لا تعجلني وشددي في القتال. فقالوا حرصه في الحرب فابعث إليه بعزيمة ليأتيك وإلا والله اعتزلناك!!

فقال علي ﷺ يا يزيد عد إليه فقل له عد إلينا فإن الفتنة قد وقعت فسار إليه يزيد وأبلغه مقال علي ﷺ فأقبل الأشتر وهو يقول لأهل العراق يا أهل الذل والوهن أحنن علوتم القوم وعلما أنكم لهم قاهرون فرفعوا لكم المصاحف خديعة ومكرًا. فقالوا قاتلناهم في الله ونترك قتالهم الآن في الله.

فقال أمهلوني ساعة فإني أحسست بالفتح وأيقنت بالظفر قالوا لا قال أمهلوني عدوة فرسي قالوا إنا لسنا نطيعك ولا لصاحبك ونحن نرى المصاحف على رؤوس الرماح ندعى إليها فقال خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبت.

فقام جماعة من بكر بن وائل فقالوا يا أمير المؤمنين إن أجبت القوم أجبننا وإن أبيت أبيتنا. فقال ﷺ نحن أحق من أجاب إلى كتاب الله وإن معاوية وعمروا وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين وقرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالا ورجالا في كلام له.

فقال أهل الشام فإنا قد اخترنا عمروا فقال الأشعث وابن الكواء ومسعر الفدكي وزيد الطائي نحن اخترنا أبا موسى. فقال أمير المؤمنين فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن فقالوا إنه قد كان يحذرنا مما وقعنا فيه فقال أمير المؤمنين إنه ليس بثقة قد فارقتي وقد خذل الناس عني ثم هرب مني حتى أمنت بعد شهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك قالوا والله ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس قال فالأشتر قال الأشعث وهل سعر الحرب غير الأشتر وهل نحن إلا في حكم الأشتر!!!

قال الأعمش حدثني من رأى عليا ﷺ يوم صفين يصفق بيديه ويقول يا عجباً أعصى ويطاع معاوية وقال قد أبيت إلا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما بدا لكم اللهم إني أبرأ إليك من صنيعهم.

وقال الأحنف إذا اخترتم أبا موسى فادفئوا ظهره فقال خريم بن فاتك الأسدي:

لو كان للقوم رأي يرسدون به أهل العراق رموكم بابن عباس

لم يدر ما ضرب أسداس وأخماس

لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن

فلما اجتمعوا كان كاتب علي عليه السلام عبيد الله بن أبي رافع و كاتب معاوية عمير بن عباد الكلبي فكتب عبيد الله هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان فقال عمرو اكتبوا اسمه و اسم أبيه هو أميركم فأما أميرنا فلا.

فقال الأحنف لا تمنع اسم إمارة المؤمنين.

فقال علي عليه السلام الله أكبر سنة بسنة و مثل بمثل و إنني لكاتب يوم الحديبية

وروى أحمد في المسند أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أن يكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقال سهيل بن عمرو هذا كتاب بيننا وبينك فافتحه بما نعرفه و اكتب باسمك اللهم فأمر بمحو ذلك و كتب باسمك اللهم هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو وأهل مكة فقال سهيل لو أجبتك إلى هذا لأفترت لك بالنبوة فقال امحها يا علي فجعل يتلأأ ويأبى فمحاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم و كتب هذا ما اصطلح محمد بن عبد الله بن عبد المطلب و أهل مكة يقول الله في كتابه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وروى محمد بن إسحاق عن بريدة بن سفين عن محمد بن كعب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي فإن لك مثلها تعطيهما وأنت مضطهد.

بيان وإلا أثرناها أي هيجنا الحرب من أثار الغبار بيوم قماطر بضم القاف أي في يوم شديد قال الجوهري يوم قماطر و قماطر أي شديد.

٣١٥
٣٣

٥٦٣-كش: [رجال الكشي] روت بعض العامة عن الحسن البصري قال حدثني الأحنف أن علياً عليه السلام كان يأذن لبني هاشم وكان يأذن لي معهم قال فلما كتب إليه معاوية إن كنت تريد الصلح فامح عنك اسم الخلافة فاستشار بني هاشم فقال له رجل منهم أنزع هذا الاسم الذي نزحه الله قال فإن كفار قریش لما كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم ما كان وكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله أهل مكة كرهوا ذلك و قالوا لو تعلم أنك لرسول الله ما منعناك أن تطوف بالبيت قال فكيف إذا قالوا اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فرضي قال الأحنف فقلت لذلك الرجل كلمة فيها غلظة و قلت لعلي أيها الرجل و الله ما لك ما قال رسول الله إنا ما حابيناك في بيعتنا و لو تعلم أحدا في الأرض اليوم أحق بهذا الأمر منك لباعناه و لقاتلناك معه أقسم بالله إن محوت عنك هذا الاسم الذي دعوت الناس إليه و بايعتهم عليه لا نرجع إليه أبداً.

بيان: انزع هذا الاسم من باب الإفعال أي بعد أو على بناء المجرى من نزع البئر يقال نزعحتني أي أنفدت ما عندي و لعله كان هذا القبيح من القول للتضجر من اضطراب الأمر.

وقراءته بصيغة الماضي على الاستفهام الإنكاري فيكون المرفوع في الأول و المنصوب في الثاني راجعين إلى معاوية بعيدة.

و يمكن أن يكون بالياء الموحدة و الراء المهملة^(١) أي عظمه و أكرمه أو بالياء و الجيم أي أظهره فيكون غلظة الأحنف على القائل الثاني.

٣١٦
٣٣

٥٦٤-ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن محمد بن عمران عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي السري عن هشام عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال لما وقع الاتفاق على كتب القصة بين أمير المؤمنين عليه السلام و بين معاوية بن أبي سفيان حضر عمرو بن العاص في رجال من أهل الشام و عبد الله بن عباس في رجال من أهل العراق فقال أمير المؤمنين عليه السلام للكاتب اكتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان^(٢).

(١) أي: «يرّحه الله» وهكذا أثبت في تاريخ الطبري في حديثه الذي أشرنا إليه.

(٢) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (١٨) من الجزء السابع من أماليه: ج ١، ص ١٩٠، ط بيروت.

ورواه أيضاً الطبري عن أبي مخنف في آخر قضية صفين من تاريخه: ج ٥ ص ٥٢ ط بيروت.

فقال عمرو بن العاص اكتب اسمه واسم أبيه ولا تسمه بإمرة المؤمنين فإنما هو أمير هؤلاء وليس هو بأميرنا. فقال الأخنف بن قيس لا تمح هذا الاسم فإني أتخوف إن محوته لا يرجع إليك أبدا فامتنع أمير المؤمنين عليه السلام من محوه فتراجع الخطاب فيه مليا من النهار فقال الأشعث بن قيس امح هذا الاسم نزحه الله. فقال أمير المؤمنين عليه السلام الله أكبر سنة بسنة ومثل بمثل والله إني لكاكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية وقد أُملي علي هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهل بن عمرو.

فقال له سهل امح رسول الله فإننا لا نقر لك بذلك ولا نشهد لك به اكتب اسمك واسم أبيك فامتنعت من محوه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم امحه يا علي وستدعي في مثلها فتجيب وأنت على مضض فقال عمرو بن العاص سبحان الله ومثل هذا يشبه بذلك ونحن مؤمنون وأولئك كانوا كفارا فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن النابغة ومثي لم تكن للفاسقين وليا وللمسلمين عدوا وهل تشبه إلا أُمك التي دفعت بك فقال عمرو بن العاص لا جرم لا يجمع بيني وبينك مجلس أبدا فقال أمير المؤمنين عليه السلام والله إني لأرجو أن يظهر الله مجلسي منك ومن أشباهك ثم كتب الكتاب وانصرف الناس. ٥٦٥-فس: [تفسير القمي] في قصة الحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي إنك أبيت أن تمحو اسمي من النبوة فوالذي بعثني بالحق نبيا لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد^(١).

فلما كان يوم صفين ورضوا بالحكيم كتب هذا ما اصططح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فقال عمرو بن العاص لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما حاربناك ولكن اكتب هذا ما اصططح عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه صدق الله وصدق رسوله أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك.

بيان: المضض وجع المصيبة

٥٦٦-ل: [الخصال] فيما أجاب به أمير المؤمنين عليه السلام اليهودي السائل عما فيه من خصال الأوصياء قال عليه السلام وأما السادسة يا أبا اليهود فتحكيهم ومحاربة ابن آكلة الأكباد وهو طليق بن طليق معاند لله عز وجل ورسوله وللمؤمنين منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن فتح الله عليه مكة عنوة فأخذت بيعته وبيعة أبيه لي معه في ذلك اليوم وفي ثلاثة مواطن بعده وأبوه بالأمس أول من سلم علي بإمرة المؤمنين وجعل يحثني على النهوض في أخذ حقي من الماضين قبلي يجدد لي بيعته كلما أتاني^(٢).

وأعجب العجب أنه لما رأى ربي تبارك وتعالى قد رد إلي حقي وأقره في معدنه وانقطع طمعه أن يصير في دين الله رابعا وفي أمانة حملناها حاكما كر على العاصي بن العاص فاستماله فقال إليه ثم أقبل به بعد إذ أطمعه مصر وحرام عليه أن يأخذ من الفئء دون قسمه درهما وحرام على الراعي إيصال درهم إليه فوق حقه فأقبل يخطب البلاد بالظلم ويطوها بالغشم فمن بايعه أرضاه ومن خالفه ناواه.

ثم توجه إلي ناكثا علينا مغيرا في البلاد شرقا وغربا ويمينا وشمالا والأنباء تأتييني والأخبار ترد علي بذلك. فأتاني أعور ثقيف فأشار علي أن أوليه البلاد التي هو بها لأداريه بما أوليه عنها وفي الذي أشار به الرأي في أمر الدنيا لو وجدت عند الله عز وجل في توليته لي مخرجا وأصبت لنفسي في ذلك عذرا فأعملت الرأي في ذلك وشاورت من أتى بنصيحته لله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولي وللمؤمنين فكان رأيي في ابن آكلة الأكباد كرايي ينهاني عن توليته ويحذرني أن أدخل في أمر المسلمين يده ولم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضدا فوجهت إليه أبا بجيلة مرة وأخا الأشعرين مرة كلاهما ركن إلي الدنيا وتابع هواه فيما أرضاه فلما لم أره يزداد فيما انتهك من محارم الله إلا تماديا شاورت من معي من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم البدرين والذين ارتضى الله عزوجل أمرهم ورضي عنهم بعد بيعتهم وغيرهم من صلحاء المسلمين والتابعين فكل يوافق رأيي رأني في غزوة ومحاربة ومنعه مما نالت معه يده.

وإني نهضت إليه بأصحابي أنفذ إليه من كل موضع كتبي وأوجه إليه رسلي وأدعوه إلى الرجوع عما هو فيه والدخول فيما فيه الناس معي فكتب إلي يتحكم علي ويتمني علي الأماني ويشترط علي شروطا لا يرضاها الله

(١) رواه علي بن إبراهيم في تفسيره.

(٢) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في الحديث: (٥٨) من باب السبعة من كتاب الخصال: ج ١، ص ٣٦٤ ط ٢.

عز وجل ورسوله ولا المسلمون ويشترط في بعضها أن أدفع إليه أقواما من أصحاب محمد ﷺ أبرارا فيهم عمار بن ياسر وأبن مثل عمار والله لقد رأيتنا مع النبي ﷺ ما يعد منا خمسة إلا كان سادسهم ولا أربعة إلا كان خامسهم اشترط دفعهم إليه ليقتلهم ويصلبهم وانتحل دم عثمان ولعمر الله ما ألّب على عثمان ولا جمع الناس على قتله إلا هو وأشباهه من أهل بيته أغصان الشجرة الملعونة في القرآن.

فلما لم أجب إلى ما اشترط من ذلك كر مستعليا في نفسه بطغيانه وبغيه بحمير لا عقول لهم ولا بصائر فموه لهم أمرا فاتبعوه وأعطاهم من الدنيا ما أمالهم به إليه فتناجزناهم وحاكمتهم إلى الله عز وجل بعد الإغذار والإنذار. فلما لم يزد ذلك إلا تماديا وبغيا لقيناه عبادة الله التي عودنا من النصر على أعدائه وعدونا وراية رسول الله بأيدينا لم يزل الله تبارك وتعالى يقل حزب الشيطان بها حتى يقضي الموت عليه وهو معلم رايات أبيه التي لم أزل أقاتلها مع رسول الله ﷺ في كل المواطن فلم يجد من الموت منجى إلا الهرب فركب فرسه وقلب رايته ولا يدري كيف يحتال.

فاستعان برأي ابن العاص فأشار عليه بإظهار المصاحف ورفعها على الأعلام والدعاء إلى ما فيها وقال إن ابن أبي طالب وحزبه أهل بصائر ورحمة وبقياء قد دعوك إلى كتاب الله أولا وهم مجيبوك إليه آخرأ فأطاعه فيما أشار به عليه إذ رأى أنه لا منجى له من القتل أو الهرب غيره فرفع المصاحف يدعو إلى ما فيها بزعمه.

فمالت إلى المصاحف قلوب من بقي من أصحابي بعد فناء خيارهم وجهدهم في جهاد أعداء الله وأعدائهم على بصائرهم فظنوا أن ابن أكلة الأكباد له الوفاء بما دعا إليه فأصغروا إلى دعوته وأقبلوا بأجمعهم في إجابته فأعلمتهم أن ذلك منه مكر ومن ابن العاص معه وأنهما إلى النكت أقرب منهما إلى الوفاء فلم يقلقوا قولتي ولم يطيعوا أمري وأبوا إلا إجابته كرهت أم هويت شئت أو أبيت حتى أخذ بعضهم يقول لبعض إن لم يفعل فالحقوه بآبن عفان أو ادفعوه إلى ابن هند برمته.

فجهدت علم الله جهدي ولم أدع علة في نفسي إلا بلغتني في أن يخلوني ورأيي فلم يفعلوا وراودتهم على الصبر على مقدار فواق الناقة أو ركضة الفرس فلم يجيبوا ما خلا هذا الشيخ وأوماً بيده إلى الأشر وأصيبة من أهل بيتي فوالله ما منعني أن أمضي على بصيرتي إلا مخافة أن يقتل هذان وأوماً بيده إلى الحسن والحسين فينقطع نسل رسول الله ﷺ وذريته من أمته ومخافة أن يقتل هذا وهذا وأوماً بيده إلى عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهما فإني أعلم لو لا مكاني لم يبق ذلك الموقف فلذلك صبرت على ما أراد القوم مع ما سبق فيه من علم الله عز وجل.

فلما رفعنا عن القوم سيوفنا تحكمو في الأمور وتخبروا الأحكام والآراء وتركوا المصاحف وما دعوا إليه من حكم القرآن وما كنت أحكم في دين الله أحداً إذ كان التحكيم في ذلك الخطأ الذي لا شك فيه ولا امتراء.

فلما أبوا إلا ذلك أردت أن أحكم رجلا من أهل بيتي أو رجلا ممن أَرْضى رأيه وعقله وأثق بنصيحته ومودته دينه وأقبلت لا أسمى أحداً إلا امتنع منه ابن هند ولا أدعوه إلى شيء من الحق إلا أدبر عنه وأقبل ابن هند يسومنا عسفاً وما ذاك إلا باتباع أصحابي له على ذلك.

فلما أبوا إلا غلبتي على التحكيم تبرأت إلى الله عز وجل منهم وفوضت ذلك إليهم فقلدوه أمراً فخدعه ابن العاص خديعة ظهرت في شرق الأرض وغربها وأظهر المخدوع عليها ندما

بيان: قوله ﷺ وفي أمانة حملناها إشارة إلى أن الأمانة في قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ هي الخلافة كما مر وسيأتي وكونه حاكماً أن يكون بمشورته وكون الأمر شورى كما كان يظهر كثيراً وخطب البعير الأرض بيده خطباً ضربها ومنه قيل خطب عشاء وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخطب إذا منشت لا تتوفى شيئا والغشم الظلم ويقال أبقيت على فلان إذا رعبت عليه ورحمته والاسم منه البقية قاله الجوهرى وقال الرمة قطعة من الجبل بالية ومنه قولهم دفع إليه الشيء برمته وأصله أن رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته ويقال سامه خسفاً أي أوردته عليه والعسف الأخذ على غير الطريق والظلم.

٥٦٧-كتاب سليم بن قيس: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحكمين حين بعثهما احكما بكتاب الله و سنة نبيه و إن كان فيهما حز حلقي فإنه من قادها إلى هؤلاء فإن ينتهم أخب^(١).

فقال له رجل من الأنصار و في رواية أخرى فلقبه صديق له من الأنصار فقال ما هذا الانتشار الذي بلغني عنك ما كان أحد من الأمة أضبط للأمر منك فما هذا الاختلاف و الانتشار فقال له علي عليه السلام أنا صاحبك الذي تعرف إلا أنني قد بليت بأخابت من خلق الله أريدهم على الأمر فيأبون فإن تابعتهم على ما يريدون تفرقوا عني
بيان: الحز بالحاء المهملة القطع و القرض فإنه من قادها أي الخلافة.

٥٦٨-نهج: (نهج البلاغة) و من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم^(٢):

الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح و الحدث الجليل و أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ليس معه إله غيره و أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم.

أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة و تعقب و الندامة و قد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري و نخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة و المناذيرين العصاة حتى ارتاب الناصح بتصححه و ضن الزند بقدهه فكنت و إياكم كما قال أخو هوازن.

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحي الغد

بيان: الخطب الأمر العظيم و الفادح الثقيل.

وقال الجوهري المجرب الذي قد جربته الأمور و أحكمته فإن كسرت الرأ جعلته فاعلا إلا أن العرب تكلمت به بالفتح قوله عليه السلام و نخلت أي أخلصت و صفت من نخلت الدقيق بالمنخل قوله عليه السلام لو كان يطاع يطاع هو مثل يضرب لمن خالف ناصحه و أصل المثل أن قصير كان مولى لجذيمة بن الأبرش بعض ملوك العرب و قد كان جذيمة قتل أبا الزبا ملكة الجزيرة فبعث إليه ليتزوج بها خدعة و سألته القدوم عليها فأجابها إلى ذلك و خرج في ألف فارس و خلف باقي جنوده مع ابن أخته و قد كان قصيرا أشار عليه بأن لا يتوجه إليها فلم يقبل فلما قرب الجزيرة استقبلته جنود الزبا بالعدة و لم ير منهم إكراما له فأشار عليه قصير بالرجوع و قال من شأن النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل عليها قتلته فعندها قال قصير لا يطاع لقصير أمر فصار مثلا لكل ناصح عصي.

وقال ابن ميثم و قد يتوهم أن جواب لو هاهنا مقدم و الحق أن جوابها محذوف و التقدير إني أمرتكم و نصحت لكم فلو أظمتوني لفعلتم ما أمرتكم به.

قوله عليه السلام فأبيتم علي آخره في تقدير استثناء لقيض التالي و تقديره لكنكم أبيتم علي إباء المخالفين انتهى. ولعل الأنسب على تقدير الجواب أن يقال لو أظمتوني لما أصابتكم حسرة و ندامة أو لكان حسنا و نحوهما و يحتمل أن يكون لو للتمني فلا يحتاج إلى تقدير جواب على بعض الأقوال.

وقال في القاموس الانتباز التنحي و تحيز كل من الفريقين في الحرب كالمناذبة.

قوله عليه السلام حتى ارتاب الناصح لعله محمول على المبالغة أي لو كان ناصح غيبي لا رتاب.

قوله عليه السلام و ضن الزند بقدهه الزند العود الذي يقدح به النار قيل هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده إذالم يجد لها قابلا عارفا بحقها.

و أخو هوازن هو الدريد بن الصمة و البيت من قصيدة له في الحماسة و قصته أن أخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن فغتم منهم و استاق إبلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال و الله لا أبرح

(١) الحديث موجود في كتاب سليم بن قيس. لكن لم نعر عليه مع مراجعة فهرس الكتاب.

وقريبا منه رواه البلاذري مسندا في الحديث: (٤٠٣) من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٣٣ ط ١.

(٢) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٣٣) من نهج البلاغة.

و للخطبة أسانيد و مصادر كثيرة يجد الباحث بعضها في المختار: (٢٥٩) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٣٥٦ ط ١.

حتى أنحر النقيعة وهي ما ينحر من الذهب قبل القسمة فقال أخوه لا تفعل فإن القوم في طلبك وأبى عليه وأقام ونحر النقيعة وبات فلما أصبح هجم القوم عليه و طعن عبد الله بن الصمة فاستغاث بأخيه دريد فنهذه عنه القوم حتى طعن هو أيضا وصرع وقتل عبد الله وحال الليل بين القوم فنجأ دريد بعد طعنات وجراح فأشد القصيدة ومطابقة المثل للمضرب ظاهرة.

٥٦٩- أقول وجدت في بعض نسخ نهج البلاغة، من خطبة له ﷺ في شأن الحكيمين و ذم أهل الشام^(١)؛

جفاة طغام عبيد أقزام جمعوا من كل أوب و تلقطوا من كل شوب ممن ينبغي أن يفقه و يودب و يعلم و يدرب و يولى عليه و يؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين و الأنصار و لا من الذين تَبَوَّأُوا الدَّارَ.

ألا و إن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبون و إنكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون و إنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول إنها فتنة فقطعوا أوتاركم و شيعوا سيوفكم.

٣٢٤
٣٣

فإن كان صادقا فقد أخطأ بمسيره غير مستكره و إن كان كاذبا فقد لزمته التهمة فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس و خذوا مهل الأيام و حوطوا قواصي الإسلام ألا ترون إلى بلادكم تغزى و إلى صفاتكم ترمى.

بيان: لم يتعرض له الشراح و في القاموس القزم محركة الدناءة و القماءة أو صغر الجسم في الجمال و صغر الأخلاق في الناس و ذال الناس للواحد و الجمع و الذكر و الأنثى و قد يشتى و يجمع و يذكر و يؤنث يقال رجل قزم و رجال أقزام و ككتاب اللثام و ككتف و جبل الصغير الجثة اللثيم لا غناء عنده.

و قال الأوب الطريق و الجهة و الشوب الخلط أي من أخلاط الناس.

قوله ﷺ و يولى علة أي هم من السفهاء الذين ينبغي أن يتولى أمورهم غيرهم من الأولياء و الحكام. و في القاموس شام سيفه يشيمه غمده و استله ضد و قال المهمل و يحرك و المهلة بالضم السكينه و الرفق و مهله تمهيدا لأجله و المهمل بمحركة التقدم في الخير و أمهله أنظره و لعل المعنى اغتتموا المهلة و اشتغلوا بحفظ البلاد القاصية و تغور المسلمين عن غارات الكافرين و المنافقين و لعل رمي الصفاة كناية عن طمعهم فيما لم يكونوا يطمعون قبل ذلك فإن الرمي على الصفاة و هي الحجر الأملس لا يؤثر و قد مر قريب منه في كلامه ﷺ.

باب إخبار النبي ﷺ بقتال الخوارج و كفرهم

باب ٢٢

٥٧٠- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن ابن قولويه عن أبيه عن سعد عن أبي الجوزاء عن ابن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن الحسين بن علي^(٢)؛

٣٢٥
٣٣

عن أمير المؤمنين قال قال رسول الله ﷺ يا علي إن الله تعالى أمرني أن أتخذك أخا و وصيا فأنت أخي و وصيي و خليفتي على أهلي في حياتي و بعد موتي من اتبعك فقد تبعني و من تخلف عنك فقد تخلف عني و من كفر بك فقد كفر بي و من ظلمك فقد ظلمني يا علي أنت مني و أنا منك يا علي لو لا أنت لما قُتِل أهل النهر قال قلت يا رسول الله و من أهل النهر قال قوم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية

بيان: قال في النهاية في حديث الخوارج يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية أي يجوزونه و يخرجونه و يتعدونه كما يمرق السهم الشيء المرمي به و يخرج منه و قد تكرر في الحديث و منه حديث علي ﷺ أمرت بقتال المارقين يعني الخوارج.

(١) الخطبة مذكورة قبل إنتهاء باب الخطب من نهج البلاغة بأربعة أرقام وشرحها ابن أبي الحديد وابن ميثم ح.

(٢) رواه شيخ الطائفة في الحديث: (٤٣) من الجزء السابع من كتاب الأمالي: ج ١، ص ٢٠٣ ط بيروت.

وقال في الرمية بعد ذكر الحديث الرمية الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيها سهمك وقيل هي كل دابة مرمية.

٥٧١- ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن محمد بن جعفر بن ملاس النيمري عن محمد بن إسماعيل بن عليه^(١).

قال وحدثني أبو عيسى جبير بن محمد الدقاق عن عمار بن خالد الواسطي عن إسحاق بن يوسف الأزرق عن الأعمش:

عن عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسول الله ﷺ الخوارج كلاب أهل النار.

٥٧٢- يج: [الخرايج والجرائح] روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قسم يوما قسما فقال رجل من تميم اعدل فقال ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل قيل ضرب عنقه قال لا إن له أصحابا يحقر أحدهم صلاته وصيامه مع صلاتهم وصيامهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية رئيسهم رجل أدعج أحد ثدييه مثل ثدي المرأة^(٢).

قال أبو سعيد إني كنت مع علي حين قتلهم وأنس في القتلى بالنهروان فأتني به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ.

٥٧٣- قب: [المناقب لابن شهر آشوب] تفسير القشيري وإبانة العكبري عن سفيان عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أنه سأل ابن الكواء أمير المؤمنين ﷺ عن قوله تعالى ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ فقال ﷺ إنهم أهل حروراء ثم قال ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ إِلَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ في قتال علي بن أبي طالب ﷺ «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولغائيه فحبطت أعمالهم فلما نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا» بولاية علي ﷺ و«اتخذوا آيات القرآن» «ورسلي» يعني محمدا ﷺ «هزوا» استهزوا بقوله «ألا من كنت مولا فعلي مولا» وأنزل في أصحابه «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا» فقال ابن عباس نزلت في أصحاب الجمل^(٣).

تفسير: الفلكي أبو أمامة قال قال النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ هم الخوارج.

البخاري ومسلم والطبري والثعلبي في كتبهم أن ذا الخويصرة التميمي قال للنبي اعدل بالسوية فقال ويحك إن أنا لم أعدل قد خنت وخسرت فمن يعدل فقال عمر ائذن لي أضرب عنقه فقال دعه فإن له أصحابا وذكر وصفه فنزل ﴿مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾.

مسند أبي يعلى الموصلي وإبانة بن بطة العكبري وعقد ابن عبد ربه الأندلسي وحية أبي نعيم الأصفهاني وزينة أبي حاتم الرازي وكتاب أبي بكر الشيرازي أنه ذكر رجل بين يدي النبي بكثرة العبادة فقال النبي ﷺ لا أعرفه فإذا هو قد طلع فقالوا هو هذا فقال النبي ﷺ أما إني أرى بين عينيه سقعة من الشيطان فلما رآه قال له هل حدثتك نفسك إذ طلعت علينا أنه ليس في القوم أحد مثلك قال نعم ثم دخل المسجد فوقف يصلي.

فقال النبي ﷺ ألا رجل يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعيه وصمد نحوه فرآه راكعا فرجع فقال أقتل رجلا يركع ويقول لا إله إلا الله فقال ﷺ اجلس فلست بصاحبه.

ثم قال ألا رجل يقتله فقام عمر فرآه ساجدا فقال أقتل رجلا يسجد ويقول لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ اجلس فلست بصاحبه قم يا علي فإنك أنت قاتله إن أدركته قمض وانصرف وقال له ما رأيته فقال النبي ﷺ لو قتل لكان أول فتنة وآخرها.

وفي رواية هذا أول قرن يطلع في أمتي لو قتلتموه ما اختلف بعدي اثنان وقال أبي وأنس بن مالك فأنزل الله تعالى ﴿ثَانِي عَظِيمٍ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لُفٍ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُوَ الْقَتْلُ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ بقتاله علي بن أبي طالب ﷺ.

(١) رواه الشيخ الطوسي ح في الحديث: (٣٦) من الجزء (١٧) من أماليه: ج ١، ص ٥٠٠.

(٢) رواه القطب الراوندي ح في كتاب الخرايج.

(٣) ذكره ابن شهر آشوب رفع الله مقامه في أواسط عنوان: «فصل في الحكمين والخوارج» من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٣٦٨ ط النجف.

بيان: قال في النهاية السبعة نوع من السواد مع لون آخر ومنه حديث أبي اليسر أرى في وجهك سبعة من غضب أي تغيرا إلى السواد

و في حديث أم سلمة أنه دخل عليها وعندها جارية بها سبعة فقال إن بها نظرة فاسترقوا لها أي علامة من الشيطان أو ضربة واحدة منه و هي المرة من السفع الأخذ.

و منه حديث ابن مسعود قال لرجل رآه إن بهذا سبعة من الشيطان فقال له الرجل لم أسمع فما قلت فقال أنشدتك الله هل ترى أحدا خيرا منك قال لا قال فلماذا قلت ما قلت جعل ما به من العجب مسا من الجنون

٥٧٤- كشف: [كشف الغمة] ذكر الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث في مسنده المسمى بالسني يرفعه إلى أبي سعيد الخدري و أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال سيكون في أمتي اختلاف و فرقة قوم يحسنون القبيل و يسيئون الفعل يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق طوبى لمن قتلهم و قتلوه يدعون إلى كتاب الله و ليسوا منه في شيء من قاتلهم كان أولى بالله منهم

و نقل مسلم بن حجاج في صحيحه و وافقه أبو داود بسندهما عن زيد بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي عليه السلام قال فقال علي أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء و لا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء و لا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم و هو عليهم لا يجاوز قراءتهم تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبينهم لنكلوا عن العمل و آية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع على عضده مثل حلقة التدي عليه شعرات بيض أفنديهون إلى معاوية و أهل الشام و تتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم و أموالكم و الله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام و أغاروا على سرح الناس فسيروا.

قال سلمة فنزلني زيد بن وهب منزلا منزلا حتى قال مررنا على قطرة فلما التقينا و على الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم ألقوا الرماح و سلوا السيوف من جفونها فإني أخاف أن ينشدوكم كما ناشدوكم أيام حروراء. فرجعوا فوحشوا برماحهم و سلوا السيوف و شجرهم الناس بالرماح قال و قتل بعضهم على بعض و ما أصيب يومئذ من الناس إلا رجلا.

فقال علي عليه السلام التمسوا فيهم المخدج و هو الناقص فلم يجدوه فقام علي عليه السلام بنفسه حتى أتى ناسا و قد قتل بعضهم على بعض قال أخرجه فخرجهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال صدق الله و بلغ رسول الله ﷺ قال فقام إليه عبدة السلماني فقال يا أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو أسمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ قال إي و الله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثا و هو يحلف له

٥٧٥- مد: [العمدة] من الجمع بين الصحيحين من إفراء مسلم مثله^(١).

بيان: أقول رواه أيضا ابن الأثير في جامع الأصول من صحيح مسلم و أبي داود عن زيد بن وهب. لنكلوا عن العمل أي امتنعوا و تركوه انكالا على هذا العمل و ثوابه.

فنزلني زيد بن وهب أي ذكر القصة منزلا منزلا و قال الإربلي رحمه الله يقال وحش الرجل إذا رمى بثوبه و سلاحه مخافة أن يلحق.

و في النهاية أي النبي ﷺ بمخدج أي ناقص الخلق. و التشاجر بالرماح التنازع بها

٥٧٦- كشف: [كشف الغمة] و نقل البخاري و مسلم و مالك في الموطأ أن أبا سعيد الخدري قال أشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ و أشهد أن علي بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم و أنا معه و أمر بذلك الرجل فالتمس فوجد وأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت^(٢).

(١) انظر الحديث (٨٦٢) في الفصل الأخير - وهو فصل [ذكر شيء من الأحداث] بعد رسول الله ﷺ - من كتاب العمدة ص ٢٤٢.

(٢) رواه الإربلي ح في فضائل علي عليه السلام قبيل العنوان المتقدم الذكر أنفاً من كتاب كشف الغمة: ج ١، ص ١٢٩.

ونقل البخاري والنسائي ومسلم وأبو داود في صحاحهم قال سويد بن غفلة قال علي عليه السلام إذا حدثتكم عن رسول الله حديثاً فو الله لأن آخر من السماء لأحب إلي من أن أكذب عليه وفي رواية من أن أقول عليه ما لم يقل وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يقرءون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة. أقول: أورد ابن الأثير الخبرين في جامع الأصول من الأصول المذكورة.

ورواه ابن بطريق في صحيح البخاري بسنتين.

٥٧٧- كشف: [كشف الغمة] ومن مناقب أحمد بن مردويه عن ابن أبي اليسر الأنصاري أبيه قال دخلت على أم المؤمنين عائشة قال فقالت من قتل الخارجية قال قلت قتلهم علي قالت ما يعنني الذي في نفسي على علي أن أقول الحق سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتلهم خير أمتي من بعدي. وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مع الحق والحق مع علي عليه السلام.

ومنه عن مسروق قال دخلت على عائشة فقالت لي من قتل الخوارج فقلت قتلهم علي عليه السلام قال فسكتت قال فقلت يا أم المؤمنين أنشدك بالله وبحق نبيه صلى الله عليه وسلم إن كنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أخبرنيته قال فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هم شر الخلق والخلق يقتلهم خير الخلق والخلق وأعظمهم عند الله تعالى يوم القيامة وسيلة.

ومنه عن مسروق قال قالت لي عائشة يا مسروق إنك من أكرم بني علي وأحبهم إلي فهل عندك علم من المخدج قال قلت نعم قتله علي على نهر يقال لأسفله تماراء وأعلاه النهروان بين أخاقيق و طرفاء قال فقالت فأتني معك بمن يشهد قال فأتيتها بسبعين رجلاً من كل سبع عشرة وكان الناس إذ ذاك أسباعاً فشهدوا عندها أن علياً عليه السلام قتله على نهر يقال لأسفله تماراء وأعلاه النهروان بين أخاقيق و طرفاء قالت لعن الله عمرو بن العاص فإنه كتب إلي أنه قتله على نيل مصر قال قلت يا أم المؤمنين أخبريني أي شيء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هم شر الخلق والخلق يقتلهم خير الخلق والخلق وأقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة.

و منه عن مسروق أيضاً من حديث آخر حيث شهد عندها الشهود فقالت قاتل الله عمرو بن العاص فإنه كتب إلي أنه أصابه بمصر.

قال يزيد بن زياد فحدثني من سمع عائشة وذكر عندها أهل النهر فقالت ما كنت أحب أن يوليها الله إياه قالوا ولم ذلك قالت إني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنهم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي وما كان بيني وبينه إلا ما يكون بين المرأة وأحمانها

و بالإسناد عنه أنها قالت اكتب لي شهادة من شهد مع علي النهروان فكتبت شهادة سبعين ممن شهدوا ثم أتيتها بالكتاب فقلت يا أم المؤمنين لم استشهدت قالت إن عمرو بن العاص أخبر أنه أصابه على نيل مصر.

قال فقلت يا أم المؤمنين أسألك بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم وحق علي إلا ما أخبرني به بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قالت إن تشدني فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هم شر الخلق والخلق يقتلهم خير الخلق والخلق وأقربهم عند الله وسيلة.

وفي حديث آخر عنه أنها سألته فأخبرها أن علياً قتلهم فقالت انظر ما تقول قلت والله لهر قتلهم فقالت مثل ما تقدم وزادت فيه وإجابة دعوة.

وأورده صديقنا العز المحدث الحنبلي الموصلي أيضاً.

وقد ورد هذا عن مسروق عن عائشة بعدة طرق اقتصرنا على ما أوردناه.

توضيح قال الإربلي المصنف رحمه الله الأخاقيق شقوق في الأرض وفي الحديث وقصت به ناقته في أخاقيق جردان وقال الأصمعي إنما هو لخاقيق جمع لحقوق وقال الأزهري هي صحيحة كما جاءت في الحديث أخاقيق.

و ذكر نحوه ابن الأثير في النهاية.

٣٣٤
٣٣

٥٧٨- مد: [العمدة] بإسناده إلى أحمد بن حنبل من مسنده بإسناده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال إن قوما يمعرون من الإسلام كما يمعق السهم من الرمية يقرءون القرآن لا يجوز تراقيهم طوبى لمن قتلهم وقتلوه (١). وبإسناده عن عاصم بن كليب عن أبيه قال كنت جالسا عند علي عليه السلام فقال إني دخلت على رسول الله ﷺ وليس عنده أحد إلا عائشة فقال يا ابن أبي طالب كيف أنت و قوم كذا وكذا قال قلت لله و رسوله أعلم قال قوم يخرجون من المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمعرون من الدين كما يمعق السهم من الرمية فيهم رجل مخدوج اليد كان يديه ثدي حبشية.

وبإسناده عن طارق بن زياد قال سار علي عليه السلام إلى النهروان فقتل الخوارج فقال اطلبوا المخدج فإن النبي ﷺ قال سيجيء قوم يتكلمون بكلمة الحكمة لا يجاوز حلقهم يمعرون من الإسلام كما يمعق السهم من الرمية سيماهم أو فيهم رجل أسود مخدوج اليد في ثديه شعرات سود فإن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس و إن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس. قال ثم إنا وجدنا المخدج فخرنا سجدا و خر علي عليه السلام ساجدا معنا.

وبإسناده عن أبي الوضيء قال شهدت عليا حين قتل أهل النهروان قال التمسوا المخدج فطلبوه في القتلى فقالوا ليس نجده فقال ارجعوا فالتمسوه فو الله ما كذبت و لا كذبت فردد ذلك مرارا كل ذلك يحلف بالله لا كذبت و لا كذبت فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين فاستخرجوه فجيء به فقال أبو الوضيء فكأنني أنظر إليه حبشيا عليه ثديان أحد ثدييه مثل ثدي المرأة عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع.

٣٣٥
٣٣

وبإسناده آخر إلى أبي الوضيء قال كنا غائرين إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب عليه السلام فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاث شذ منا ناس كثير فذكرنا ذلك لعلي عليه السلام فقال لا يهولنكم أمرهم فإنهم سيرجعون فذكر الحديث بطوله و قال فحمد الله علي بن أبي طالب عليه السلام و قال إن خليلي أخبرني أن قائد هؤلاء رجل مخدج اليد على حمة ثديه شعرات كأنهن ذنب اليربوع.

فالتمسوه فلم يجدوه فأتيناه فقلنا لم نجده فجاء علي عليه السلام بنفسه فجعل يقول اقلبوا ذا اقلبوا ذا حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال هو ذا فقال علي عليه السلام الله أكبر و لا ينشكم أخبر من الله قال فجعل الناس يقولون هذا ملك هذا ملك لقول علي عليه السلام.

وبسند آخر عنه أنه قال أما إن خليلي أخبرني أنهم ثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم والثاني له جمع كثير والثالث فيه ضعف.

٥٧٩- مد: [العمدة] من صحيح البخاري بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ و هو يقسم قسما إذا أتاه ذو الخويصرة و هو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل.

فقال ويلك من يعدل إذا لم أعدل قد خبت و خسرت إذا لم أكن أعدل فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه فقال له دعه فإن له أصحابا يحقر أحذكم صلاته مع صلاتهم و صيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمعرون من الدين كما يمعق السهم من الرمية ينظر أحذكم إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه و هو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت و الدم أيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضة تدرر يخرجون على خير فرقة من الإسلام.

قال أبو سعيد الخدري فأشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ و أشهد أن علي بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم و أنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت.

٣٣٦
٣٣

و روي أيضا بإسناده عن أبي سلمة مثله.

بيان: أورد ابن الأثير الخير في جامع الأصول و قال الرصاف العقب الذي يكون فوق مدخل النصل في السهم واحدها رصفة.

وقال في النهاية في حديث الخوارج فينظر في نضيه النضي نصل السهم وقيل هو السهم قبل أن ينحت إذا كان قدحا وهو أولى لأنه قد جاء في الحديث ذكر النصل بعد النضي وقيل هو من السهم ما بين الريش والنصل قالوا سمي نضيا لكثرة البري والنحت فكانه جعل نضوا أي هزى لا وقال القذذ ريش السهم واحدها قذذ.

وفي جامع الأصول الفرث السرجين وما يكون في الكرش.

وفي النهاية في حديث ذي الثدية مثل البضعة تدرر أي ترجرج تجيء وتذهب والأصل تدردر فحذف إحدى التاءين تخفيفا

٥٨٠- مد: [العمدة] من صحيح البخاري بإسناده عن عمرو بن مصعب قال سألت أبي عن قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ قال هم الحرورية لا هم اليهود ولا هم النصارى أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية هم الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَكَانَ سَعْدٌ يَسْمِيهِمُ الْفَاسِقِينَ.

ومن الكتاب المذكور في قول الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ قال كان ابن عمر يراههم شرار خلق الله تعالى وقال أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين وبإسناده أيضا عن ابن عمر قال ذكر الحرورية فقال قال النبي ﷺ يبرقون من الإسلام كما يبرق السهم من الرمية.

٥٨١- مد: [العمدة] من تفسير الثعلبي بإسناده عن أبي الطفيل قال سأل عبد الله بن الكواء عليا ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ قال أنتم يا أهل حروراء ﴿وَهُمْ يُحْسِنُونَ إِلَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أي يظنون بفعلهم أنهم مطيعون محسنون ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾^(١).

وبإسناده أيضا عن عبد الله بن شداد قال وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤوس الحرورية بالشام عند باب حصن دمشق فقال لهم كلاب كلاب مرتين أو ثلاثا شر قتلى يظل السماء وخير قتلى قتلاهم ودمعت عين أبي أمامة قال فقال رجل رأيت قولك لهؤلاء القتلى شر قتلى يظل السماء وخير قتلى قتلاهم أشيء من قبل رأي رأيته أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ قال أليكون من قبل رأي رأيته إني إذا لجريء لو لم أسمع من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ما حدثت به فقال الرجل فإني رأيته دمعت عينك قال هي رحمة رحمتهم كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم ثم قرأ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ إلى قوله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ بُعْدٌ بِإِيمَانِكُمْ﴾ ثم قال أبو أمامة هم الحرورية.

بيان وخير قتلى قتلاهم أي الذين هم قتلوهم.

٥٨٢- مد: [العمدة] ذكر الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَاطِنَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خِيَالًا﴾ بإسناده عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال هم الخوارج^(٢).

٥٨٣- مد: [العمدة] من الجمع بين الصحيحين للحميدي بإسناده عن عبد الله بن أبي رافع أن الحرورية لما خرجت على علي بن أبي طالب ﷺ قالوا لا حكم إلا لله قال علي ﷺ كلمة حق أريد بها باطل إن رسول الله ﷺ وصف لنا ناسا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز تراقبهم وأشار إلى حلقه من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه لحي شاة أو حلمة ثدي^(٣).

فلما قتلهم علي بن أبي طالب ﷺ قال انظروا فظنوا فلم يجدوا شيئا فقال ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثا ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه فقال عبد الله وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي ﷺ فيهم.

(١) انظر تفسير الآية: (١٠٣) من سورة الكهف من تفسير الثعلبي.

(٢) وليراجع تفسير الآية: (١١٨) من سورة آل عمران من تفسير الثعلبي.

(٣) ولهذا الحديث مصادر وقد رواه الخطيب في ترجمة عبيد الله بن أبي رافع تحت الرقم: (٥٤٥٣) تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣٠٥.

ومن الكتاب المذكور من المتفق عليه من البخاري بإسناده عن بشر بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في الحرورية شيئا قال سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية.

و في حديث العوام بن حوشب يليه قوم قبل المشرق محلقة رءوسهم.

٥٨٤- وقال ابن أبي الحديد قد تظاهرت الأخبار حتى بلغت حد التواتر بما وعد الله تعالى قاتلي الخوارج من الثواب على لسان رسول الله ﷺ.

٣٣٩

و في الصحاح المتفق عليها أن رسول الله ﷺ بينا هو يقسم قسما إذ جاءه رجل من بني تميم يدعى ذا الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال: قد عدلت فقال له ثانية اعدل يا محمد فأنك لم فقال ﷺ: وبلك ومن يعدل إذا لم أعدل^(١).

فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ائذن لي أضرب عنقه فقال دعه فسيخرج من ضئضى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر أحدكم إلى نصله فلا يجد شيئا فينظر إلى نضيه فلا يجد شيئا ثم ينظر إلى القذ فكذاك سبق الفرت والدم يخرجون على خير فرقة من الناس يحقر صلاتكم في جنب صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم أيتهم رجل أسود أو قال أدعج مخدج اليد إحدى ثديه كأنها ثدي امرأة أو بضعة تدردر.

و في بعض الصحاح أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وقد غاب الرجل عن عينه قم إلى هذا فاقتله فقام ثم عاد وقال وجدته يصلي فقال لعمر مثل ذلك فعاد وقال وجدته يصلي فقال لعلي مثل ذلك فقال لم أجده فقال رسول الله ﷺ: لو قتل هذا لكان أول فتنة وأخرها أما إنه سيخرج من ضئضى هذا الحديث.

و في بعض الصحاح يقتلهم أولى الفريقين بالحق.

و في مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال قالت لي عائشة إنك من ولدي ومن أحبه إلي فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله علي بن أبي طالب عليه السلام على نهر يقال لأعلاه تماراء ولأسفله النهروان بين لخاقيق و طرفاء قالت ابغني على ذلك بيئة فأقمت رجلا شهدوا عندها بذلك قال فقلت لها سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت من رسول الله ﷺ فيهم قال نعم سمعته يقول إنهم شر الخلق والخليفة يقتلهم خير الخلق والخليفة وأقربهم عند الله وسيلة.

و في كتاب صفين للواقدي عن علي عليه السلام لو لا أن تبطروا فتدعوا العمل لحدثكم بما سبق على لسان رسول الله ﷺ لمن قتل هؤلاء.

٣٤٠

وفيه قال علي عليه السلام سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام قولهم من خير أقوال البرية صلاتهم أكثر من صلاتكم وقراءتهم أكثر من قراءتكم لا يجاوز إيمانهم تراقيهم أو قال حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاقتلهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة

و في كتاب صفين أيضا للمدائني عن مسروق أن عائشة قالت له لما عرفت أن عليا قتل ذا الثدية لعن الله عمرو بن العاص فإنه كتب إلي يخبرني أنه قتله بالإسكندرية إلا أنه ليس يصنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله ﷺ يقول يقتله خير أمتي من بعدي.

٥٨٥- أقول و روي في جامع الأصول تلك الأخبار والأخبار السابقة بأسانيد^(٢).

و روي عن أبي سعيد الخدري قال بعث علي عليه السلام وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهبية في تربتها قسما بين أربعة الأقرع بن حابس وعيينة بن بدر القزاري وعلقمة بن علاثة العامري وزيد بن الخيل الطائي فتغضبت قريش والأنصار فقالوا يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا قال إنما أتألفهم فأقبل رجل غائر العينين نأتي الجبين كثر اللحية مشرف الوجنتين محلول الرأس فقال يا محمد اتق الله قال فمن يطيع الله إذا عصيته أفيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني فقال رجل من القوم أقتله أراه خالد بن الوليد فمنعه فلما ولي قال إن من ضئضى هذا قوما يقرءون القرآن لا

٣٤١

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٦) من نهج البلاغة: ج ١ ص ٤٥٨ ط الحديث ببيروت. وفي ط الحديث بمصر: ج ٢ ص ٢٦٥.

(٢) ذكره ابن الأثير في كتاب الفتن في حرف الفاء في عنوان: «الخوارج» تحت الرقم: (٧٥٤٩) وما بعده من كتاب جامع الأصول: ج ١٠ ص ٩٦ - ٩٣ ط دار الفكر.

يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. و في رواية أخرى قيل ما سيماهم قال سيماهم التحليق أو قال التسبيد فإذا رأيتموهم فأنيموهم.

بيان: قال ابن الأثير في مادة ضاضاً من كتاب النهاية بعد ذكر بعض الخبر الضئضي الأصل يقال ضئضي صدق و ضؤؤ صدق و حكى بعضهم ضئضي بوزن قنديل يريد أنه يخرج من نسله و عقبه. و رواه بعضهم بالصاد المهملة و هو بمعناه.

و قال في حديث الخوارج التسبيد فيهم فاش هو الحلق و استئصال الشعر و قيل هو ترك التدهن و غسل الرأس و قال أنيموهم أي اقتلوه. و يقال نامت الشاة و غيرها إذا ماتت و النائمة الميتة.

أقول الأخبار في ذلك في كتب الخاصة و العامة كثيرة تركناها مخافة الإكثار و التكرار

٥٨٦- كتاب الغارات: لأبراهيم بن محمد الثقفي بإسناده عن أبي عمران الكندي قال قال ابن الكواء لأمر المؤمنين ﷺ من الأخصرون أعمالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا قال كفرة أهل الكتاب فإن أوليهم كانوا في حق فابتدعوا في دينهم فأشركوا بربهم و هم يجتهدون في العبادة يحسبون أنهم على شيء فهم الأخصرون أعمالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا^(١).

ثم رفع صوته و قال و ما أهل النهروان غدا منهم ببعد قال ابن الكواء لا أتبع سواك و لا أسأل غيرك قال إذا كان الأمر إليك فافعل الخير.

٣٤٢
٣٣

باب ٢٣ قتال الخوارج و احتجاجاته صلوات الله عليه

٥٨٧- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج، [نهج البلاغة] روى ابن ديزيل في كتاب صفين عن عبد الرحمن بن زياد عن خالد بن حميد عن عمر مولى غفرة قال لما رجع علي ﷺ من صفين إلى الكوفة أقام الخوارج حتى جموا ثم خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمى حروراء فقتلوا لا حكم إلا لله و لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ألا لا معاوية و عليا أشركا في حكم الله^(٢). فأرسل علي ﷺ إليهم عبد الله بن العباس فنظر في أمرهم و كلمهم ثم رجع إلى علي ﷺ فقال له ما رأيت فقال ابن عباس و الله ما أدري ما هم فقال ﷺ أرأيتهم منافقين فقال و الله ما سيماهم سيما منافقين إن بين أعينهم لأثر السجود و هم يتأولون القرآن.

٣٤٣
٣٣

فقال ﷺ دعوهم ما لم يسفكوا دما أو يغصبوا مالا و أرسل إليهم ما هذا الذي أحدثتم و ما تريدون قالوا نريد أن نخرج نحن و أنت و من كان معنا بصفين ثلاث ليال و نتوب إلى الله من أمر الحكيمين ثم نسير إلى معاوية فنقاتله حتى يحكم الله بيننا و بينه فقال علي ﷺ فهلا قلت هذا حين بعنا الحكيمين و أخذنا منهم العهد و أعطيناهموه ألا قلت هذا حينئذ قالوا كنا قد طالت الحرب علينا و اشتد البأس و كثر الجراح و كل الكراع و السلاح فقال لهم أفحين اشتد البأس عليكم عاهدتم فلما وجدتم الجمام قلت تنقض العهد إن رسول الله كان يفي للمشركين بالعهد أفأمروني بنقضه؟ فمكثوا مكانهم لا يزال الواحد منهم يرجع إلى علي ﷺ و لا يزال الآخر منهم يخرج من عند علي ﷺ فدخل واحد منهم على علي ﷺ بالمسجد و الناس حوله فصاح لا حكم إلا لله و لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ فتلقت الناس فنادى لا حكم إلا لله و لو كره المتلفتون فرجع علي ﷺ رأسه إليه فقال لا حكم إلا لله و لو كره أبو حسن فقال ﷺ إن أبا حسن لا يكره أن يكون الحكم لله ثم قال حكم الله أنتظر فيكم.

٣٤٤
٣٣

(١) وانظر الحديث: (٨٧) من كتاب الغارات: ج ١، ص ١٨٠.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٠) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٤٩٠ ط الحديث ببيروت، وفي ط الحديث بمصر: ج ٢ ص ٣١٠.

فقال له الناس هلا ملت يا أمير المؤمنين على هؤلاء فأفئبتهم فقال إنهم لا يفنون إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة

قال و روى أنس بن عياض المدني عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن جده عليه السلام أن عليا عليه السلام كان يوما يؤم الناس و هو يجهر بالقراءة فجهر ابن الكواء من خلفه **«وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»** فلما جهر ابن الكواء من خلفه بها سكث علي عليه السلام فلما أنهاها ابن الكواء عاد علي عليه السلام فأنم قراءته فلما شرع علي عليه السلام في القراءة أعاد ابن الكواء الجهر بتلك الآية فسكث علي عليه السلام فلم يزال كذلك يسكث هذا و يقرأ ذاك مرارا حتى قرأ علي عليه السلام **«فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ»** فسكث ابن الكواء و عاد علي عليه السلام إلى قراءته.

قال و ذكر الطبري في التاريخ أن عليا عليه السلام لما دخل الكوفة دخلها معه كثير من الخوارج و تخلف منهم بالخيلة و غيرها خلق كثير لم يدخلوها فدخل حرقوص بن زهير السعدي و زرعة بن برج الطائي و هما من رهوس الخوارج على علي عليه السلام فقال له حرقوص تب من خطيئتك و اخرج بنا إلى معاوية نجاهده.

فقال عليه السلام إني كنت نهيت عن الحكومة فأبيتم ثم الآن تجعلوها ذنبا أما إنها ليست بمعصية و لكنها عجز من الرأي و ضعف في التدبير و قد نهيتكم عنه.

فقال له زرعة أما و الله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلكنك بذلك وجه الله و رضوانه.

فقال له علي عليه السلام بؤسا لك ما أشقاك كأنني بك قتيلا تسفي عليك الرياح قال زرعة وددت أنه كان ذلك.

و خرج علي عليه السلام يخطب الناس فصاحوا به من جوانب المسجد:

لا حكم إلا لله و صاح به رجل **«وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»** فقال علي عليه السلام **«فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ»**.

وروى ابن ديزيل في كتاب صفين قال كانت الخوارج في أول ما انصرفت عن رايات علي عليه السلام تهدد الناس قتلا قال فأتت طائفة منهم على النهر إلى جنب قرية فخرج منها رجل مذعورا أخذًا بشيابه فأدركوه فقالوا له أربعتك قال أجل فقالوا قد عرفناك أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال نعم قالوا فما سمعت من أبيك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فحدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال إن فتنة جائية القاعد منها خير من القائم الحديث و قال غيره بل حدثهم أن طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقرءون القرآن صلاتهم أكثر من صلاتكم الحديث.

فغضبوا رأسه فسال دمه في النهر ما اذقر أي ما اختلط بالماء كأنه شراك ثم دعوا بجارية له حبلى فبقروا عما في بطنها.

و قال عزم علي عليه السلام الخروج من الكوفة إلى الحرورية و كان في أصحابه منجم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة و سر على ثلاث ساعات مضين من النهار فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك و أصاب أصحابك أذى و ضر شديد و إن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظهرت و ظفرت و أصبت ما طلبت.

فقال له علي عليه السلام أتدري ما في بطن فرسي هذه أذكر هو أم أنثى قال إن حسبك علمت فقال عليه السلام من صدقك بهذا فقد كذب بالقرآن قال الله تعالى **«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ»** ثم قال عليه السلام إن محمدا صلى الله عليه وآله ما كان يدعي علم ما ادعيت علمه أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها و تصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جل و عز في صرف المكروه عنه و ينبغي للموقن بأمرك أن يوليكم الحمد دون الله جل جلاله لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها و صرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدا و ندا اللهم لا طير إلا طيرك و لا ضير إلا ضيرك و لا إله غيرك.

ثم قال نخالف و نسير في الساعة التي نهيتها عنها ثم أقبل على الناس فقال:

أيها الناس إياكم و التعلّم للنجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر و البحر إنما المنجم كالكاهن و الكاهن كالكافر و الكافر في النار أما و الله إن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخذلك السجن أبدا ما بقيت و لأخرمك العطاء ما كان لي سلطان. ثم سار في الساعة التي نهّاه عنها المنجم فظفر بأهل النهر و ظهر عليهم ثم قال لو لم تسر في الساعة التي نهّاه عنها المنجم لقاتل الناس سار في الساعة التي أمر بها المنجم فظفر و ظهر أما إنه ما كان لمحمد ﷺ منجم و لا لنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى و قيسر أيها الناس توكّلوا على الله و تقوا به فإنه يكفي ممن سواه قال فروى مسلم الضبي عن حبة العرني قال لما انتهينا إليهم رمونا فقلنا لعلي ﷺ يا أمير المؤمنين قد رمونا فقال كفوا ثم رمونا فقال لنا كفوا ثم الثالثة فقال الآن طاب القتال احمّلوا عليهم. و روي أيضا عن قيس بن سعد بن عباد أن عليا ﷺ لما انتهى إليهم قال لهم أريدونا بدم عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله فقال احمّلوا عليهم.

و ذكر أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل أن أول من قال لا حكم إلا لله عز و جل عروة بن حبير^(١) قالها بصفين و قيل أول من قالها يزيد بن عاصم المحاربي قال و كان أميرهم أول ما اعتزلوا ابن الكواء ثم بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي.

و ذكر المدائني في كتاب الخوارج قال لما خرج علي ﷺ إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض حتى انتهى إلى علي فقال البشري يا أمير المؤمنين قال ما بشارك قال إن القوم عبروا النهر لما بلغهم و صولك فأبشّر فقد منحك الله أكتافهم فقال الله أنت رأيتهم قد عبروا قال نعم فأحلفه ثلاث مرات في كلها يقول نعم فقال ﷺ و الله ما عبروا و لن يعبروه و إن مصارعهم لدون النطفة و الذي فلق الحبة و برأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث و لا قصر بوران حتى يقتلهم الله و قد خاب من افتري.

قال ثم أقبل فارس آخر يركض فقال كقول الأول فلم يكثر ﷺ بقوله و جاءت الفرسان كلها تركض و تقول مثل ذلك فقام علي ﷺ فيقال في متن فرسه قال فقال شاب من الناس و الله لأكون قريبا منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان هذا الرمح في عينيه أيدعي علم الغيب؟!

فلما انتهى علي إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم و عرقبوا خيلهم و جثوا على ركبهم و تحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل.

فنزّل ذلك الشاب فقال يا أمير المؤمنين إني كنت شككت فيك أنفا و إني تائب إلى الله و إليك فاغفر لي فقال علي ﷺ إن الله هو الذي يغفر الذنوب فاستغفروا

و ذكر المبرد في الكامل قال لما واقفهم علي ﷺ بالنهروان قال لا تبدهوهم بقتال حتى يبدهوكم فحمل منهم رجل على صف علي ﷺ فقتل منهم ثلاثة فخرج إليه ﷺ فضربه فقتله فلما خالطه سيفه قال يا حبذا الروحة إلى الجنة فقال عبد الله بن وهب و الله ما أدري إلى الجنة أم إلى النار.

فقال رجل منهم من بني سعد إنما حضرت اغترارا بهذا الرجل يعني عبد الله و أراه قد شك و اعتزل عن الحرب بجماعة من الناس.

و مال ألف منهم إلى جهة أبي أيوب الأنصاري و كان على ميمنة علي ﷺ فقال لأصحابه احمّلوا عليهم فو الله لا يقتل منكم عشرة و لا يسلم منهم عشرة فحمل عليهم فطحنهم طحنا و قتل من أصحابه ﷺ تسعة و أفلت من الخوارج ثمانية. و ذكر المبرد و غيره أيضا أن أمير المؤمنين ﷺ لما وجه إليهم عبد الله بن العباس لينظرهم قال لهم ما الذي نعمتم على أمير المؤمنين قالوا له قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان فليتبع بعد إقراره بالكفر نعد إليه. قال ابن عباس ما ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه بشك أن يقر على نفسه بالكفر قالوا إنه أمر بالتحكيم قال إن الله أمر بالتحكيم في قتل صيد فقال ﴿يُحْكَمُ بِهِ ذَرْأُ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ كيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا إنه قد حكم عليه فلم يرض قال إن الحكومة كالإمامة و متى فسق الإمام وجبت معصيته و كذلك الحكمان لما خالفا نبذت

(١) كذا في أصلي. وفي ط الحديث ببيرت من شرح المختار: (٣٦) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: «عروة بن حُبَيْر».

أقاربيلهما فقال بعضهم لبعض اجعلوا احتجاج قريش حجة عليهم فإن هذا من الذين قال الله فيهم ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيثُونَ﴾ وقال جل ثناؤه ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَاءٍ﴾.

وقال المبرد أول من حكم عروة بن أديّة وقيل رجل من بني محارب يقال له سعيد ولم يختلفوا في اجتماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي وإنه امتنع عليهم وأومى إلى غيره فلم يرضوا إلا به فكان إمام القوم وأول سيف سل من سيوف الخوارج سيف عروة بن أديّة وذلك أنه أقبل على الأشعث فقال له ما هذه الدنية يا أشعث وما هذا التحكيم أشطرت أوتق من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والأشعث مول فضرب به عجز يغلته.

وعروة هذا من الذين نجوا من حرب النهروان فلم يزل باقيًا مدة في أيام معاوية حتى أتى به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرًا فسأله عن عثمان وأبي تراب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل في أمر علي عليه السلام مثل ذلك إلى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال له أولك لزنبة وأحرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك.

نأمر به زياد فضرب عنقه ثم دعا مولاة فقال له صف لي أمره قال أظنّ أم أختصر قال بل اختصر قال ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط.

قال وسبب تسميتهم الحرورية أن عليا عليه السلام لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس إياهم كان فيما قال لهم ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم إن هذه مكيدة ووهن لو أنهم قصدوا إلى حكم المصاحف لأتوني وسأوني التحكيم أفتعلمون أن أحدا كان أكره للتحكيم مني قالوا صدقت قال فهل تعلمون أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجيئكم إليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني قالوا اللهم نعم.

قال وكان معهم في ذلك الوقت ابن الكواء قال وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خباب وإنما ذبحوه في الفرقة الثانية بكسرك فقالوا له حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرون بأننا كنا كفرنا ولكن الآن تابون فأقر بمثل ما أقرنا به وتب نهض معك إلى الشام.

فقال أما تعلمون أن الله تعالى قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامرأته فقال سبحانه ﴿فَايَعُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِيهَا﴾ وفي صيد أصيب كأرنب يساوي نصف درهم فقال «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» فقالوا له فإن عمرا لما أبى عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبد الله علي أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت علي بن أبي طالب فقد خلعت نفسك.

فقال لي برسول الله ﷺ أسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا ما كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو وقال له لو أقررت بأنك رسول الله ﷺ ما خالفتك ولكني أقدمك لفضلك فاكتب محمد بن عبد الله فقال لي يا علي امح رسول الله ﷺ قلت لا تشجعني نفسي على محو اسمك من النبوة قال فقفني عليه فمحاه بيده ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم إلي وقال يا علي أما إنك ستسام مثلها فتعطي.

فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم علي ما نسميكم ثم قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء.

وروى أهل السير كافة أن عليا عليه السلام لما طحن القوم طلب ذا الثدية طلبا شديدا وقلب القتلى ظهرا لبطن فلم يقدر عليه فساء ذلك وجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وإنه لفي القوم فلم يزل يتطلبه حتى وجده وهو رجل مخدج اليد كأنها ثدي في صدره.

وروى ابن ديزيل عن الأعشى عن زيد بن وهب قال لما شجرهم علي عليه السلام بالرماح قال اطلبوا ذا الثدية فطلبوا طلبا شديدا حتى وجدوه في وهدة من الأرض تحت ناس من القتلى فأتى به وإذا رجل على يديه مثل سبلات السنور فكبر علي عليه السلام وكبر الناس معه سرورا بذلك.

وروي أيضا عن مسلم الضبي عن حبة العرنى قال كان رجلا أسود منتن الريح له يد كندي المرأة إذا مدت كانت

بطول اليد الأخرى و إذا تركت اجتمعت و تقلصت و صارت كثندي المرأة عليها شعرات مثل شوارب الهرة فلما وجدوه قطعوا يده و نصبوها على رمح ثم جعل علي عليه السلام ينادي صدق الله و بلغ رسوله لم يزل يقول ذلك هو و أصحابه بعد العصر إلى أن غربت الشمس أو كادت .

وروي أيضا أنه قال لما عيل صبر علي عليه السلام في طلب المخدج قال اتوني ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فركبها و اتبعه الناس فرأى القتلى و جعل يقول اقلبوا فيقلبون قتيلًا عن قتيل حتى استخرجه فسجد علي عليه السلام .
و روى كثير من الناس أنه لما دعي بالبغلة قال اتوني بها فإنها هادية فوفقت به على المخدج فأخرجه من تحت قتلى كثيرين .

و روى العوام بن حوشب عن أبيه عن جده يزيد بن رويم قال قال علي عليه السلام يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الندية فلما طحن القوم و رام استخراج ذي الندية فأتبعه أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله و قال اطرح على كل قتيل منهم قصبة فلم أزل كذلك و أنا بين يديه و هو راكب خلفي و الناس يتبعونه حتى بقيت في يدي واحدة فنظرت إليه و إذا وجهه أريد و إذا هو يقول و الله ما كذبت و لا كذبت فإذا خير ماء عند موضع دالية فقال فتش هذا ففتشته فإذا قتيل قد صار في الماء و إذا رجله في يدي فجذبتها و قلت هذه رجل إنسان فنزل عن البغلة مسرعا ف جذب الرجل الأخرى و جرناء حتى صار على التراب فإذا هو المخدج فكبر علي عليه السلام بأعلى صوته ثم سجد فكبر الناس كلهم .

و قد روى كثير من المحدثين أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه يوما إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فقال أبو بكر أنا يا رسول الله قال لا فقال عمر أنا يا رسول الله قال لا بل هو خافض النعل و أشار إلى علي عليه السلام .
و قد روى المحدثون أن رجلا تلا بحضرة علي عليه السلام «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» فقال علي عليه السلام أهل حروراء منهم .

قال الميرد و من شعر أمير المؤمنين الذي لا اختلاف فيه أنه قاله و كان يردده أنهم لما ساموه أن يقر بالكفر و يتوب حتى يسيروا معه إلى الشام . فقال أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله و التفقه في دين الله أرفع كافرا ثم قال :

يا شاهد الله علي فاشهد
من شك في الله فإني مهتدي
أنسي على دين النبي أحمد
يا رب فاجعل في الجنان موردي

وروي أيضا في الكامل أن عليا عليه السلام في أول خروج القوم عليه دعا صعصة بن صوحان العبيدي و قد كان وجهه إليهم زياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن عباس فقال لصعصة بن صوحان بأي القوم رأيتم أشد إطاعة فقال بيزيد بن قيس الأرحبي .

فركب علي عليه السلام إلى الحروراء فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه و أقبل على الناس فقال هذا مقام من قلع فيه قلع إلى يوم القيامة ثم كلمهم و ناشدهم فقالوا إنا أذنبنا ذنبا عظيما بالتحكيم و قد تبنا فتب إلى الله كما تبنا نعدلك فقال علي عليه السلام أنا أستغفر الله من كل ذنب .

فرجعوا و هم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم و رآه ضلالا و قالوا إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع و يجبي المال ثم ينهض بنا إلى الشام .

فأتى الأشعث عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا و الإقامة عليها كافرا . فقال علي عليه السلام فخطب فقال من زعم أنني رجعت عن الحكومة فقد كذب و من رآها ضلالا فقد ضل فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت .

ثم قال ابن أبي الحديد كل فساد كان في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام و كل اضطراب حدث فأصله الأشعث و لو لا محاقة أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الحكومة في هذه المرة لم يكن حرب النهروان و لكان عليه السلام ينهض بهم إلى معاوية و يملك الشام فإنه صلوات الله عليه حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض و المواربة و في المثل النبوي الحرب خدعة و ذلك أنهم قالوا تب إلى الله مما فعلت كما تبنا نهض معك إلى الحرب فقال لهم كلمة مرسلة يقولها الأنبياء و

المعصومون فرضوا بها و عدوها إجابة لهم إلى سؤالهم وصفت له ﷺ نياتهم و استخلص بها ضمايرهم من غير أن تتضمن تلك الكلمة اعترافا بكفر أو ذنب فلم يتركه الأشعث و جاء إليه مستفسرا فأفسد الأمر و نقض ما بدهه ﷺ و عادت الخوارج إلى شبهتها الأولى و هكذا الدول التي تظهر فيها أمارات الزوال يتاح لها أمثال الأشعث من أولي الفساد في الأرض سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا.

ثم قال قال المبرد ثم مضى القوم إلى النهروان و قد كانوا أرادوا المضي إلى المدائن فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا في طريقهم مسلما و نصرانيا فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر و استوصوا بالنصراني و قالوا احفظوا ذمة نبيكم. قال و لقيهم عبد الله بن خباب في عنقه مصحف على حمار و معه امرأته و هي حامل فقالوا له إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا بقتلك فقال لهم ما أحياء القرآن فأحيوه و ما أماته فأميتوه.

فوثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها تورعا.

و عرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله فقالوا هذا فساد في الأرض و أنكروا قتل الخنزير!!

ثم قالوا لابن خباب حدثنا عن أبيك فقال سمعت أبي يقول قال رسول الله ﷺ ستكون بعدي فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يسمي مؤمنا و يصبح كافرا فكن عبد الله المقتول و لا تكن القاتل.

قالوا فما تقول في أبي بكر و عمر فأتني خيرا قالوا فما تقول في علي بعد التحكيم و في عثمان في السنين الست الأخيرة فأتني خيرا قالوا فما تقول في التحكيم و الحكومة قال إن عليا أعلم بالله منكم و أشد توفيا على دينه و أنفذ بصيرة. فقالوا إنك لست بمتبع الهدى إنما تتبع الرجال على إيمانهم ثم قربوه إلى النهر فأضجعوه و ذبحوه.

قال و ساوموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقال هي لكم فقالوا ما كنا لنأخذها إلا بثمان فقال وا عجباه أقتلون مثل عبد الله بن خباب و لا تقبلون جنا نخلة .

وروي أبو عبيدة قال طعن واحد من الخوارج يوم النهروان فمشى في الرمح و هو شاهر سيفه إلى أن وصل إلى طاعنه فقتله و هو يقرأ وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى.

قال استنطقهم علي ﷺ بقتل ابن خباب فأقروا به فقال انفردوا كئاثب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة فتكتبوا كئاثب و أقرت كل كتيبة بما أقرت به الأخرى من قتل ابن خباب و قالوا لنقتلنك كما قتلناه.

فقال و الله لو أقر أهل الدنيا كلهم بقتله هكذا و أنا أقدر على قتلهم لقتلتهم ثم التفت إلى أصحابه فقال شدوا عليهم فأنا أول من يشد عليهم و حمل بذئ الفقار حملة منكرة ثلاث مرات كل حملة يضرب به حتى يعوج منه ثم يخرج فيسويه بركبيته ثم يحمل به حتى أفنأهم .

وروي محمد بن حبيب قال خطب علي ﷺ الخوارج يوم النهر فقال لهم:

نحن أهل بيت النبوة و موضع الرسالة و مختلف الملائكة و عنصر الرحمة و معدن العلم و الحكمة نحن أئمة الحجاز بنا يلحق البطيء و إلينا يرجع التائب أيها الناس إني نذير لكم أن تصبخوا بأهضام هذا الوادي.

إلى آخر ما أورده السيد الرضي رحمه الله في المختار من كتاب نهج البلاغة، الآتي قريبا.

٥٨٨-كتاب الغارات: لإبراهيم بن محمد الثقفي عن إبراهيم بن المبارك و إبراهيم بن العباس عن بكر بن عيسى عن إسماعيل بن خالد البجلي عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو^(١):

عن زر بن حبیش قال سمعت عليا يقول أنا فقات عين الفتنة و لو لا أنا ما قوتل أهل النهروان و لا أصحاب الجمل و لو لا أنني أخشى أن تتكلموا فتدعوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصرا بضالهم عارفا للهدى الذي نحن عليه.

و عن عبيد بن سليمان النخعي عن سعيد الأشعري قال استخلف علي ﷺ حين سار إلى النهروان رجلا من النخع يقال له هاني بن هوزة فكتب إلى علي ﷺ أن غنيا و باهلة فتتوا فدعوا الله عليك أن يظفر بك قال فكتب إليه علي ﷺ أجلبهم عدوك من الكوفة و لا تدع منهم أحدا.

وعن علي بن قادم عن شريك بن عبد الله عن ليث عن أبي يحيى قال سمعت علياً يقول اغدوا خذوا حَقْمَكم مع الناس والله يشهد أنكم تبغضوني وأني أبغضكم.

٥٨٩- نهج: [نهج البلاغة] قال ﷺ: وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهر بؤسا لكم لقد ضركم من غركم قليل له من غرمه يأمر المؤمنين فقال ﷺ الشيطان المضل والأنفس الأمارة بالسوء غرتهم بالأمانى وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم الإظهار فاقترحت بهم النار^(١).

بيان وفسحت أي أوسعت لهم بالرخصة في المعاصي ووعدتهم الإظهار أي أن يظهرهم ويغلبهم علينا.

٥٩٠- نهج: [نهج البلاغة] وقال ﷺ: لما سمع قول الخوارج لا حكم إلا لله كلمة حق يراد بها باطل^(٢).

بيان: قال ابن أبي الحديد قال الله تعالى ﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي إذا أَرَادَ الله شيئاً من أفعاله فلا بد من وقوعه بخلاف غيره من القادرين وتمسكت الخوارج به في إنكارهم عليه ﷺ في القول بالتحكيم مع عدم رضاه ﷺ كما ذكر في السير وأراد الخوارج نفي كل ما يسمى حكماً وهو باطل لأن الله تعالى قد أمضى حكم كثير من المخلوقين في كثير من الشرائع.

٥٩١- نهج: [نهج البلاغة] وسمع ﷺ رجلاً من الحرورية يتهجّد ويقرأ فقال نوم على يقين خير من صلاة في شك^(٣).

٥٩٢- نهج: [نهج البلاغة] ومن خطبة له ﷺ في تخويف أهل النهروان^(٤):

فأنا نذير لكم أن تصبّحوا صرعى بأثناء هذا النهر وبأهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبین معكم قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار.

وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأيتيت علي إباء المخالفين المنايذين حتى صرفت رأيي إلى هواكم وأنتم معاشر إخفاء الهام سفهاء الأحلام ولم آت لأبأ لكم بجرا ولا أردت بكم ضرا

بيان: الأهضام جمع هضم وهو المظمن من الوادي والغائط ما سفلت من الأرض والسلطان الحجة ولعل المراد بالبينّة الحجة الشرعية وبالسلطان الدليل العقلي وقال الجوهر طاح يطوح ويطيح هلك وسقط وكذلك إذا تاه في الأرض وطوحه أي توهه وذهب به هاهنا وهاهنا والمراد بالدار الدنيا واحتبلكم أي أوقفكم في الحبال والمقدار قضاء الله وقدره والهام جمع الهامة وهي الرأس وفختها كناية عن قلة العقل أو عن الطيش وعدم الثبات في الرأي والأحلام جمع حلم بالكسر وهو الأناة والعقل ولا أبأ لك كلمة تستعمل في المدح كثيراً وفي الذم أيضاً وفي معرض التعجب والظاهر هنا الذم أو التعجب والبحر الأمر العظيم والداهية وىروى هجراً وهو الساقط من القول وىروى عراً والعرو المعرفة الإثم.

٥٩٣- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ في الخوارج لما سمع قولهم لا حكم إلا لله قال كلمة حق يراد بها باطل نعم إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون لإمرة وإنه لا بد للناس من أمير ير أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفياء ويقاثل به العدو وتأمين به السيل ويؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستريح بر ويستراح من فاجر^(٥).

وفي رواية أخرى أنه لما سمع تحكيمهم قال حكم الله أنتظر فيكم وقال أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقى وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته.

بيان: قوله ﷺ كلمة حق الظاهر أن المراد بالكلمة قولهم لا حكم إلا لله والباطل الذي أريد بها المعنى

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (٣٢٣) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضی مع زيادات في ذيله في المختار: (٤٠) من كتاب نهج البلاغة.

(٣) رواه السيّد الرضی ح في المختار: (٩٧) من باب قصار نهج البلاغة.

(٤) رواه السيّد قدس الله نفسه في المختار: (٣٦) من نهج البلاغة.

(٥) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (٤٠) من كتاب نهج البلاغة.

الذي قصدوه لا ما يفهم من كلام بعض الشارحين أن دعاء أصحاب معاوية إياكم إلى كتاب الله كلمة حق لكن مقصودهم بها ليس العمل بكتاب الله بل فتوركم عن الحرب وفترق أحوالكم ومعناها الحق حصر الحكم حقيقة فيه سبحانه إذ حكم غيره تعالى إنما يجب متابعتة لأنه حكمه تعالى.

قوله ﷺ وإنه لا بد للناس إلخ قال بعض الشارحين الألفاظ كلها ترجع إلى إمرة الفاجر قال يعمل فيها المؤمن أي ليست بمناعة للمؤمن من العمل ويستمتع فيها الكافر أي يتمتع بمدته و يبلغ الله فيها الأجل لأن إمارة الفاجر كإمارة البر في أن المدة المضروبة فيها تنتهي إلى الأجل الموقت للإنسان.

وقال بعضهم الضمير في إمرته راجع إلى الأمير مطلقا فالإمرة التي يعمل فيها المؤمن الإمرة البرية و التي يستمتع فيها الكافر الإمرة الفاجرة و المراد بعمل المؤمن في إمرة البر عمله على وفق أوامر الله و نواهيهِ و باستمتاع الكافر في إمرة الفاجر انهماكه في اللذات الحاضرة و يبلغ الله فيها الأجل أي في إمرة الأمير سواء كان برا أو فاجرا و فائدتها تذكير العصاة ببلوغ الأجل و تخويفهم به و يؤيد هذا الوجه الرواية الأخرى.

و يمكن أن يكون المعنى أنه لا بد في انتظام أمور المعاش أمير بر أو فاجر ليعمل المؤمن بما يستوجب بهجئات العيم و يتمتع فيها الكافر ليكون حجة عليه و لعله أظهر لفظا و معنى.

قوله ﷺ حتى يستريح كلمة حتى إما لبيان الغاية و المعنى تستمر تلك الحال حتى يستريح البر من الإجراء و هو الظاهر أو مطلقا و يستريح الناس من الفاجر أو مطلقا بالموت أو العزل و فيهما راحة للبر لأن الآخرة خير من الأولى و لا يجري الأمور غالبا على مراده و لا يستلذ كالفاجر بالانهماك في التهوئات و راحة للناس من الفاجر لخلاصهم من جورهِ و إن انتظم به نظام الكل في المعاش.

و إما لترتب الغاية أي حتى يستريح البر من الناس في دولة البر من الأمراء و يستريح الناس مطلقا من بغي بعض الفجار و من الشروز و المكارة في دولة الأمير مطلقا برا كان أو فاجرا و لا ينافي ذلك إصابته المحروه من فاجر أحيانا.

قوله ﷺ حكم الله أنتظر أي جريان القضاء بقتلهم و حلول وقته.

قوله ﷺ إلى أن تنقطع مدته أي مدة دولته أو حياته.

٥٩٤- نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ كلم به الخوارج^(١):

أصايكم حاصب و لا بقي منكم أبر أبعد إيماني بالله و جهادي مع رسول الله ﷺ أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين فأبوا شر مأب و ارجعوا على أثر الأعقاب أما إنكم ستلقون بعدي ذلا شاملا و سيفا قاطعا و أثره يتخذها الظالمون فيكم سنة .

قال السيد رضي الله عنه قوله ﷺ و لا بقي منكم أبر يروى على ثلاثة أوجه أحدها بالراء من قولهم رجل أبر للذي يأبر النخل أي يصلحه.

و يروى آثر و هو الذي يأثر الحديث أي يحكيه و يرويه و هو أصح الوجوه عندي كأنه ﷺ قال و لا بقي منكم مخبر.

و يروى آبر بالراء المعجمة و هو الواثب و الهالك أيضا يقال له آبر

٥٩٥- و قال ﷺ لما عزم على حرب الخوارج و قيل له إنهم قد عبروا جسر النهروان^(٢):

مصارعهم دون النطفة و الله لا يفلت منهم عشرة و لا يهلك منكم عشرة قال رضي رحمه الله يعني بالنطفة ماء النهر و هو أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيرا جما .

(١) رواه السيّد الرضّي في المختار: (٥٨) و (٥٩) من نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضّي في المختار: (٥٨) و (٥٩) من نهج البلاغة.

بيان: روي أنه كلمهم بهذا الكلام لما اعتزلوه و تنادوا من كل ناحية لا حكم إلا الله الحكم لله يا علي لا لك وقالوا بان لنا خطاءنا فرجعنا وتينا فارجع إليه أنت وتب وقال بعضهم اشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى تطيعك والحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء وهي صغار الحصى وإصابة الحاصب كناية عن العذاب وقيل أي أصابكم حجارة من السماء والأوب بالفتح والإياب بالكسر الرجوع والأعقاب مؤخر الأقدام وأثرها بالتحريك علامتها والرجوع على العقب هو التفهري فهو كالتأكيد للسابق قيل هو أمر لهم بالإياب والرجوع إلى الحق من حيث خرجوا منه قهرا كان القاهر يضرب في وجوههم يرددهم على أعقابهم والرجوع هكذا شر الأنواع وقيل هو دعاء عليهم بالذل وانعكاس الحال.

أقول: و يحتمل أن يكون الأمر على التهديد كقوله تعالى ﴿قُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ و الأثرة بالتحريك الاسم من قولك فلان يستأثر على أصحابه أي يختار لنفسه أشياء حسنة و يخص نفسه بها والاستيثار الانفراد بالشيء أو من أثر يؤثر إثارا إذا أعطى أي يفضل الظالمون غيركم عليكم في نصيبكم ويعطونهم دونكم وقيل يجوز أن يكون المراد بالأثرة التمام.

والنهران يفتح النون والراء وجوز تفلث الراء ثلاث قرى أعلى وأوسط وأسفل بين واسط وبغداد. والصرع الطرح على الأرض والمصرع يكون مصدرا وموضعا والمراد هنا مواضع هلاكهم والإفلات والتفلت والافلات التخلص من الشيء فجأة من غير تمكث.

وهذا الخبر من معجزاته عليه المتواترة و روي أنه لما قتل الخوارج وجدوا المفلت منهم تسعة تفرقوا في البلاد وجودوا المقتول من أصحابه عليه ثمانية.

ويمكن أن يكون خفي على القوم مكان واحد من المقتولين أو يكون التعبير بعدم هلاك العشرة للمشاكسة والمناسبة بين القريتين.

٥٩٦- نهج: [تهج البلاغة] و من كلام له عليه لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج فقال له يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تطفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه (١):

أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه سوء و تخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانة بالله تعالى في نيل المحبوب و دفع المكروه. وينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليكَ الحمد دون ربه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع و آمن الضر.

ثم أقبل عليه الناس فقال أيها الناس إياكم و تعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر فإنها تدعو إلى الكهانة المنجم كاللكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا على اسم الله و عونه

٥٩٧- نهج: [تهج البلاغة] و من كلام له عليه و قد قام إليه رجل من أصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد فصفق عليه إحدى يديه على الأخرى ثم قال (٢):

هذا جزء من ترك العقدة أما و الله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فإن استقمتم هديتكم و إن اعوججتم قومتكم و إن أبيتم تداركتكم لكانت الوقتى و لكن بمن و إلى من أريد أن أدوي بكم و أنتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة و هو يعلم أن ضلعها معها.

٣٣٢- اللهم قد ملئت أظباء هذا الداء الدوي و كلت النزعة بأشطان الركي أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرءوا القرآن فأحكموه و هيجوا إلى الجهاد فولهوا للقاح إلى أولادها (٣) و سلبوا السيوف أغمادها و أخذوا بأطراف

(١) رواه السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه في المختار: (٧٧) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيد الرضي قدس الله نفسه في المختار: (١١٩) من كتاب نهج البلاغة.

(٣) كذا في طبع الكمباني من البحار - غير أن كلمة «إلى» كانت محذوفة منها - وفيما عندي من نسخ نهج البلاغة: «فولها و لة اللقاح إلى أولادها». وقد أشار المصنف في شرحه الآتي الآن أن في بعض النسخ الذي كان عنده كانت كذلك.

الأرض زحفاً زحفاً و صفاً صفاً بعض هلك و بعض نجا لا يبشرون بالأحياء و لا يعزون عن الموتى مره العيون من البكاء خصص البطون من الصيام ذيل الشفاء من الدعاء صفر الأنوان من السهر على وجوههم غيرة الخاشعين أولئك إخواني الذاهبون فحق لنا أن نظلماً إليهم و نعض الأيدي على فراقهم.

إن الشيطان يسني لكم طرقه و يريد أن يحل دينكم عقدة عقدة و يعطيكم بالجماعة الفرقة و بالفرقة الفتنة فاصدقوا عن نزعاته و نفثاته و اقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم و اعقلوها على أنفسكم

إيضاح: قوله ﷺ هذا جزء من ترك العقدة أي الرأي و الحزم و قيل مراده ﷺ هذا جزاؤكم حين تركتم الرأي الأصوب فيكون هذا إشارة إلى حيرتهم التي دل عليها قولهم فما ندري أي الأمرين أرشد فيكون ترك العقدة منهم لا منه ﷺ.

و يمكن حمله على ظاهره الألفق بقوله ﷺ بعد ذلك حملتكم على المكروه الخ و لا يلزم خطأه كما توهمه الخوارج بأن يكون المراد كان هذا جزائي حين تركت العقدة أي هذا مما يترتب على ترك العقدة و إن كان تركها اضطراراً لا اختياراً و لا عن فساد رأي كما يدل عليه صريح قوله بعد ذلك و لكن بمن و إلى من فإن ترك الأصل إذا لم يمكن العمل بالأصلح مما لا فساد فيه و لا ريب في عدم إمكان حربه بعد رفعهم المصاحف و افتراق أصحابه.

قوله ﷺ على المكروه أي الحرب إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يُجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرًا﴾ و المكروه مكروه لهم لا له ﷺ.

قوله و إن اعوججت لعل المراد بالاعوجاج اليسير من العصيان لا الإباء المطلق و بالتقويم الإرشاد و التحرير و التشجيع و بالإباء الإساءة المطلق و بالتدراك الاستنجاد بغيرهم من قبائل العرب و أهل الحجاز و خراسان فإن كلهم كانوا من شيعته ﷺ كذا ذكره ابن أبي الحديد.

قوله ﷺ و لكن بمن أي بمن أستعين في هذا الأمر الذي لا بد له من ناصر و معين وإلى من أرجع في ذلك.

قوله ﷺ كناقش الشوكة هذا مثل للعرب لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها معها أي إذا استخرجت الشوكة بمثلها فكما أن الأولى انكسرت في رجلك و بقيت في لحملك كذلك تنكسر الثانية فإن ضلعها بالتحريك أي ميلها معها أي طباع بعضكم يشبه طباع بعض و يميل إليها كما تميل الشوكة إلى مثلها.

و قال ابن الأثير في مادة نقش من النهاية نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه و به سمي المنقاش الذي ينقش به.

و الداء الدوي الشديد من دوي إذا مرض و النزعة جمع نازع و هو الذي يستقي الماء و الشطن هو الحبل و الركي جميع الركبة و هي البئر كأنهم عن المصلحة في قعر بئر عميق و كل ﷺ من جذبهم إليه أو شبه ﷺ و غظه لهم و قلة تأثيره فيهم بمن يستقي من بئر عميقة لأرض واسعة و عجز عن سقيها.

قوله ﷺ فولهوا اللقاح بكسر اللام الإبل الواحدة لقوح و هي الحلوب أي جعلوا اللقاح و الهة إلى أولادها بركوبهم إياها عند خروجهم إلى الجهاد و في بعض النسخ فولهوا وله اللقاح إلى أولادها و الوله إلى الشيء الاشتياق إليه.

و أخذوا بأطراف الأرض أي أخذوا الأرض بأطرافها كما قيل أو أخذوا على الناس بأطراف الأرض أي حصروهم يقال لمن استولى على غيره و ضيق عليه قد أخذ بأطراف الأرض و أخذوا أطرافها من قبيل أخذت بالخطام و الزحف الجيش يزحفون إلى العدو أي يمشون و يكون مصدراً كالصف و نصبهما على الحالية أي زحفاً بعد زحف و صفاً بعد صف في الأطراف أو المصدرية أي يزحفون زحفاً قوله لا يبشرون أي لشدة و لهم إلى الجهاد لا يفرحون ببقاء حبيهم حتى يبشروا به و لا يحزنون لقتل قبيلهم حتى يعزوا به أو لما قطعوا العلائق الدنيوية إذا ولد لأحدهم مولود لم يبشروا به و إذا مات منهم أحد لم يعزوا عنه و الأول أظهر لا سيما على نسخة القليل.

و قال في النهاية المرة مرض في العين لترك الكحل و قال الخمس الجوع و المجاعة و رجل

خصم إذا كان ضامر البطن و ذبل أي قل ماؤه و ذهبت تضارته و قال الجوهرى يقال حق لك أن تفعل أي خليك بك و قال سناء أي فتحه و سهله و يقال صدف عن الأمر أي انصرف عنه و نزغ الشيطان بينهم أي أفسد و أغرى و شغاته و سواسه التي ينفث بها.

٥٩٨- نهج: (نهج البلاغة) و من كلام له عليه السلام قال للبرج بن مسهر الطائي و قد قال له بحيث يسمعه لا حكم إلا لله و كان من الخوارج ^(١).

اسكت قبحك الله يا أترم فو الله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلا شخصك خفيا صوتك حتى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز.

بيان: قبحك الله بالتخفيف و التشديد أي نحاك عن الخير و قيل كسرك يقال قبحت الجوزة أي كسرتها و الثرم سقوط الأسنان و الضنبل الدقيق النحيف الخفي و نعر أي صاح كناية عن ظهور الباطل و قوة أهله و نجم طلع أي طلعت بلا شرف و لا شجاعة و لا قدم بل على غفلة و الماعز واحد المعز من الغنم و هو خلاف الضأن.

٥٩٩- كتاب الغارات: لإبراهيم بن محمد الثقفي عن إسماعيل بن أبان عن عبد الغفار بن القاسم عن المنصور بن عمر عن زر بن حبيش ^(٢).

و عن أحمد بن عمران بن أبي ليلى عن أبيه عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش قال خطب علي بالنهروان فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أيها الناس أما بعد أنا فقات عین الفتنة لم يكن أحد ليجترئ عليها غيري و في حديث ابن أبي ليلى لم يكن ليفقأها أحد غيري و لو لم أكن فيكم ما قوتل أصحاب الجمل و أهل النهروان و أيم الله لو لا أن تتكلموا و تدعوا العمل لحدثكم بما قضى الله على لسان نبيكم صلى الله عليه و آله لمن قاتلهم مبصرًا لفضلناهم عارفاً للهدى الذي نحن عليه.

ثم قال سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عما شئتم سلوني قبل أن تفقدوني إني ميت أو مقتول بل قتلا ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم و ضرب بيده إلى لحيته.

و الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم و بين الساعة و لا عن فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلا نبأكم بناتها و ساتها.

فقام إليه رجل فقال حدثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء.

قال إنكم في زمان إذا سأل سائل فليعقل و إذا سئل مسئول فليثبت.

ألا و إن من ورائكم أمورا أنتكم جلا مزوجا و بلاء مكلحا ملحا و الذي فلق الحبة و برأ النسمة أن لو قد فقدتموني و نزلت بكم كراهية الأمور و حقائق البلاء لقد أطرق كثير من السائلين ^(٣) و فشل كثير من المسئولين و ذلك إذا قلصت حربكم و شمרת عن ساق و كانت الدنيا بلاء عليكم و على أهل بيتي حتى يفتح الله لبقيّة الأبرار ^(٤).

فانصروا أقواما كانوا أصحاب رايات يوم بدر و يوم حنين تنصروا و تؤجروا و لا تسبقوهم فتصرعكم البلية. ^{٣٦٧}
فقام إليه رجل آخر فقال يا أمير المؤمنين حدثنا عن الفتن قال إن الفتنة إذا أقبلت شبهت و إذا أدبرت استقرت يشبهن مقبيلات و يعرفن مديرات إن الفتن تحوم كالرياح يصبن بلدا و يخططن أخرى.

إلا أن خوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية إنها فتنة عمياء مظلمة مطيئة عمت فتنتها و خصت بليتها و أصاب البلاء من أبصر فيها و أخطأ البلاء من عمي عنها يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى تملأ الأرض عدوانا و ظلما و بدعا ألا و إن أول من يضع جبروتها و يكسر عمدها و ينزع أوتادها الله رب العالمين.

(١) رواه السيد الرضی ح في المختار: (١٨٢) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه الثقفي رضوان الله عليه في الحديث الأول من كتاب الغارات.

(٣) ما بين المعقوفين مأخوذ من المختار: (٩٠) من نهج البلاغة، وفيه: «ولو فقدتموني ونزلت بكم كراهية الأمور. وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين...».

(٤) وفي المختار المشار إليه من نهج البلاغة: «وشمرت عن ساق. وضاعت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقيّة الأبرار منكم».

وأيام الله لتجدن بني أمية أرباب سوء لكم بعدي كالناب الضروس تعض بفيها و تخبط بيديها و تضرب برجليها وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا في مصركم إلا تابعا لهم أو غير ضار و لا يزال بلاؤهم بكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا مثل انتصار العبد من ربه إذا رآه أطاعه و إذا توارى عنه شتمه.

وأيام الله لو فرقوكم تحت كل حجر لجمعكم الله لشر يوم لهم.

ألا إن من بعدي جماع شتى ألا إن قبلتكم واحدة و حجكم واحد و عمرتكم واحدة و القلوب مختلفة.

ثم أدخل ﷺ أصابعه بعضها في بعض.

فقام رجل فقال ما هذا يا أمير المؤمنين قال هذا هكذا يقتل هذا هذا و يقتل هذا هذا قطعاً جاهلية ليس فيها هدى ولا علم يرى نحن أهل البيت منها بمنجاة و لسنا فيها بدعة.

فقام رجل فقال يا أمير المؤمنين ما نضع في ذلك الزمان قال انظروا أهل بيت نبيكم فإن لبدوا فالبدوا و إن استصرخوكم فانصروهم تؤجروا و لا تسبقوهم فنصرعكم البلية.

فقام رجل آخر فقال ثم ما يكون بعد هذا يا أمير المؤمنين قال ثم إن الله يفرج الفتن برجل منا أهل البيت كتفريج الأديم بأيي ابن خيرة الإماء يسومهم خسفا و يستقيهم بكأس مصبرة فلا يعطيهم إلا السيف هرجا هرجا يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر ودت قريش عند ذلك بالدنيا و ما فيها لو يروني مقاما واحدا قدر حلب شاة أو جزر جزور لأقبل منهم بعض الذي يرد عليهم حتى تقول قريش لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا فيغيره الله ببني أمية فيجعلهم ملغوين أينما تَقِفُوا أُحِذُوا وَ قَتَلُوا تَقْتِيلًا سَهَّ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَ كُنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا.

بيان: الجبل محركة الأمر العظيم مزوجاً أي مقرونا بمنله و الكلوح العبوس يقال كلع و أكلع و قلصت بالتشديد أي انضمت و اجتمعت و بالتخفيف أي كثرت و تزايدت من قلصت البر إذا ارتفع ماؤها و شمعت عن ساق أي كشفت عن شدة و حام الطائر و غيره حول الشيء دار مطيئة أي مخفية و الناب الناقة المسنة و الضروس السيئة الخلق تعض حالبها و جماع الناس كرمات أخلاطهم من قبائل شتى و كلما تجمع و انضم بعضه إلى بعض و لبد كنصر و فرح أقام و لزق كتفريج الأديم أي الجلد عن اللحم و ابن خيرة الإماء القائم ﷺ يسومهم خسفا أي يولهم ذلاً و كأس مصبرة مزوجة بالصر و في النهاية فيه بين يدي الساعة هرج أي قتال و اختلاط و أصل الهرج الكثرة في الشيء و الاتساع.

أقول: و قد مضى بعض هذه الخطبة مشروحا.

٦٠٠-نهج: [نهج البلاغة] من كلام له ﷺ قاله للخوارج و قد خرج إلى معسكرهم و هم مقيمون على إنكار الحكومة فقال ﷺ أكلكم شهد معنا صفين قالوا منا من شهد و منا من لم يشهد قال ﷺ فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين فرقة و من لم يشهدا فرقة حتى أكلكم كلا بكلامه و نادى الناس فقال أمسكوا عن الكلام و أنصتوا لقولي و أقبلوا بأفئدتكم إلي فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم ﷺ بكلام طويل منه^(١).

ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة و غيلة و مكرا و خديعة إخواننا و أهل دعوتنا استقلونا و استراحوا إلى كتاب الله سبحانه فالرأي القبول منهم و التنفيس عنهم فقلت لكم هذا أمر ظاهره إيمان و باطنه عدوان و أوله رحمة و آخره ندامة فأقيموا على شأنكم و الزموا طريقتكم و عضوا على الجهاد بنواجذكم و لا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أحيب أضل و إن ترك ذل و قد كانت هذه الفعلة و قد رأيتمكم أعطيتموها و الله لئن أبيتها ما وجبت علي فريضتها و لا حملني الله ذنبها و والله إن جئتني إني للمحق الذي يتبع و إن الكتاب لمعي ما فارقت مذ صحبت.

فلقد كنا مع رسول الله ﷺ و إن القتل ليدور بين الآباء و الأبناء و الإخوان و القرابات فما زداد على كل مصيبة و شدة إلا إيمانا و مضيا على الحق و تسليما للأمر و صبرا على مضض الجراح و لكننا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ و الاعوجاج و الشبهة و التأويل فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعنتنا و نتداني بها إلى البقية فيما بيننا رغبنا فيها و أمسكنا عما سواها.

توضيح: قوله ﷺ بكلامه أي بالكلام الذي يليق به. وقال في النهاية فيه نشدتك الله والرحم أي سألتك بالله وبالرحم وقال الجوهري الغيلة بالكسر الخديعة ونفس تنفيسا فرج تفرجها قوله ﷺ أوله رحمة لأنه كان وسيلة إلى حقن الدماء والقلة بالفتح المرة من الفعل والسراد بها الرضا بالحكومة وفريضتها ما وجب بسببها وترتب عليها وإن الكتاب لمعي أي لفظا ومعنى والمضض وجم الصيبة قوله ﷺ إلى البقية أي إلى بقاء ما بقي فيما بيننا من الإسلام كما ذكره ابن ميثم والأظهر عندي أنه من الإبقاء بمعنى الرحم والإشفاق والإصلاح كما في الصحيحة لا تبقى على من تضرع إليها.

وقال في القاموس أنقبت ما بيننا لم أبلغ في فسادة والاسم البقية وأولو بقية ينهون عن الفساد أي إبقاء.

وقال ابن أبي الحديد هذا الكلام ليس يتلو بعضه بعضا ولكنه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدها بالآخر آخر الفصل الأول قوله ﷺ وإن ترك ذل.

وآخر الفصل الثاني قوله على مضض الجراح والفصل الثالث ينتهي آخر الكلام^(٢).

٦٠٢-نهج: [نهج البلاغة] ومن كلامه له ﷺ في التحكيم إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن لم تكن الفريق المتولي عن كتاب الله تعالى وقد قال الله سبحانه «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه ورده إلى الرسول أن تأخذ بسنته فإذا حكم بالصدق في كتاب الله فتحن أحق الناس به وإن حكم بسنة رسول الله فتحن أحق الناس وأولاهم به^(٣).

وأما قولكم لم جعلت بينك وبينهم أجلا في التحكيم فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة ولا يؤخذ بأكتظاظها فتعجل عن تبين الحق وتقاد لأول الغي. إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه وكرهه من الباطل وإن جر إليه فائدة وزاده. فأين يتاه بكم ومن أين أنيتم استعدادا للمسير إلى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون عنه جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق.

ما أنتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر عز يعتصم إليها لبئس حشاش نار الحرب أنتم أف لكم لقد لقيت منكم برحا يوما أناديكم ويوما أناجيكم فلا أحرار صدق عند النداء ولا إخوان ثقة عند النجاء

٦٠٣-ج: [الإحتجاج] قال ﷺ إنا لم نحكم الرجال إلى قوله وتقاد لأول الغي^(٤).

توضيح: قوله ﷺ إنا لم نحكم حاصل الجواب أنا لم نرض بتحكيم الرجلين مطلقا بل على تقدير حكمهما بالصدق في الكتاب والسنة لأن القوم دعونا إلى تحكيم القرآن لا تحكيم الرجلين وإنما رضينا بتحكيم الرجلين لحاجة القرآن إلى الترجمان فالحاكم حقيقة هو القرآن لا الرجلان فإذا خالف الرجلان حكم الكتاب والسنة لم يجب علينا قبول قولهما. مع أن رضاه ﷺ كان اضطرارا كما عرفت مرارا.

قوله ﷺ فإذا حكم بالصدق أي إذا حكم بالصدق في الكتاب والسنة فيجب أن يحكم بخلافتنا لأننا أحق الناس بالكتاب والسنة وإذا حكم بالصدق فيهما فنحن أولى الناس باتباع حكمهما فعدم اتباعنا لعدم حكمهم بالصدق وإلا لاتبعناه وإذا حكم بالصدق فيهما فنحن أحق الناس بهذا الحكم فيجب عليهم اتباع قولنا لا علينا اتباع قولهم.

(١) رواء الطبرسي ح في عنوان: «احتجاجه ﷺ على الخوارج...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٨٥، ط بيروت.

(٢) هذا مختار كلام ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٢١) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٢، ص ٧٩٠ من ط الحديث ببيروت.

(٣) رواء السيد الرضي ح في المختار: (١٢٢) من كتاب نهج البلاغة وما وضعناه بين المعقوفات مأخوذ منه.

(٤) رواء الطبرسي رضوان الله عليه في عنوان: «احتجاجه ﷺ على الخوارج...» من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٨٦، ط بيروت.

والضмир في قوله أحق الناس به عائد إلى الكتاب أو إلى الله أو إلى الحكم وفي قوله أولاهم به إلى الرسول أو إلى الحكم.

قوله ﷺ ليتبين الجاهل أي يظهر للجاهل وجه الحق والتبين يكون لازماً ومتعدياً وبتبنت العالم بدفع الشبهة ويطمن قلبه.

قوله ﷺ ولا يؤخذ بأكظامها معطوف على يتبين.

وقال ابن الأثير في كظم من كتاب النهاية وفي حديث علي بأكظامها هي جمع كظم بالتحريك وهو مخرج النفس من الحلق وأول الغي هو أول شبهة عرضت لهم من رفع المصاحف وكرنه الغم أو أكثرته أي اشتد عليه وبلغ منه المشقة وتاه يتبه فيها تحير وضل أو تكبر أو من أين أتيتم أي هل كنتم أو دخل عليكم الشيطان والشبهة والحيلة وقال الجوهر ي أوزعته بالشيء أغريته به لا يعدلون به أي ليس للجور عندهم عديل ويروى لا يعدلون عنه أي لا يتركونه إلى غيره والجفاء البعد عن الشيء. ونكب عن الطريق يتكب نكبا عدل ما أنتم بوثيقة أي بعروة وثيقة أو بذي وثيقة والوثيقة الثقة وعلق بالشيء كفرح وتعلق به أي نشب واستمسك وزافرة الرجل أنصاره وخاصة والحشاش بضم الحاء وتشديد الشين جمع حاش وهو الموقد للنار وكذلك الحشاش بالكسر والتخفيف وقيل هو ما يحش به النار أي يوقد والبرح الشدة وفي بعض النسخ بالناء وهو الحزن يوما أناديكم أي جهرًا ويوما أناجيكم أي سرا فلا أحرار أي لا تنصرون ولا تحمون ولا إخوان ثقة أي لا تكتمون السر ولا تعملون بلوازم الإخاء.

٦٠٤- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ للخوارج^(١):

فإن أبيتم إلا أن ترعموا أني أخطأت وضللت فلم تضلّون عامة أمة محمد ﷺ بضاللي وتأخذونهم بخطي وتكفرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البراءة والسقم وتخلطون من أذنّب بمن لم يذنب وقد علمتم أن رسول الله ﷺ رجم الزاني ثم صلى عليه ثم ورثه أهله وقتل القاتل وورث ميراثه أهله وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهم من الفيء ونكحوا المسلمات فأخذهم رسول الله ﷺ بذنوبهم وأقام حق الله فيهم ولم يمنهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله.

ثم أنتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه.

وسيهلك في صنفان محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق وخير الناس في حالا النمط الأوسط فالزومه والزموا السواد الأعظم فإن يد الله على الجماعة وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذة من الغنم للذئب.

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وإنما حكم الحكماء ليحيا ما أحيا القرآن ويمينا ما أمات القرآن وإحياءه الاجتماع عليه وإماتته الافتراق عنه فإن جرننا القرآن إليهم اتبعناهم وإن جرهنا إلينا القرآن اتبعونا فلم آت لأبأ لكم بجرا ولا خلتكم عن أمركم ولا لبسته عليكم وإنما اجتمع رأي ملائكم على اختيار رجلين أخذنا عليهم أن لا يتعديا القرآن فتاها عنه وترك الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثنائنا عليهم في الحكومة بالعدل والصمد للحق سوء رأيهما وجور حكمهما.

إيضاح: قوله ﷺ وضللت بكسر اللام وفتحها أقول لما قالت الخوارج لعنهم الله إن الدار دار الكفر لا يجوز الكف عن أحد من أهلها قتلوا الناس حتى الأطفال وقتلوا البهائم وذهبوا إلى تكفير أهل الكيابر مطلقا ولذا أكفروا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ومن تبعه على تصويب التحكيم فلذا احتج ﷺ عليهم بأنه لو كان صاحب الكبيرة كافرا لما صلى عليه رسول الله ﷺ ولا ورثه من المسلم ولا مكنته من نكاح المسلمات ولا قسم عليهم من الفيء ولأخبرجه من إطلاق لفظ الإسلام عليه.

وقوله ﷺ وورث ميراثه يدل ظاهرا على عدم إرث المسلم من الكافر ولعله إزام عليهم.

قوله ﷺ ونكحنا أي السارق والزاني المسلمات ولم يمنعهما رسول الله ﷺ من ذلك.

قوله ﷺ من بين أهله أي أهل الإسلام ومرامي الشيطان طرق الضلال التي يسوق الإنسان إليها بوساوسه وضرب به تيهه أي وجهه إليه من ضربت في الأرض إذا سافرت والباء للتعدية والتهيه بالكسر والفتح الحيرة وبالكسر المفازة يتناه فيها.

وتقييد الغضب بالإفراط لعله لتخصيص أكمل الأفراد بالذكر أو لأن المغضب مطلقا مجاوز عن الحد أو لأن الكلام إخبار عما سيوجد منهم مع أن فيه رعاية الأزواج والتناسب بين الفقرتين.

وقال في النهاية في حديث علي ﷺ خير هذه الأمة النمط الأوسط النمط الطريقة ومن الطرائق والضرب من الضروب يقال ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك الضرب والنمط الجماعة من الناس أمرهم واحد وقال فيه عليكم بالسواد الأعظم أي جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك المنهج المستقيم وقال إن يد الله على الجماعة أي إن الجماعة من أهل الإسلام في كنف الله ويد الله كناية عن الحفظ والدفاع عنهم.

قوله ﷺ إلى هذا الشعر قال ابن ميثم أي مفارقة الجماعة والاستبداد بالرأي وقوله ﷺ ولو كان تحت عماتي كناية عن أقصى القرب من عنايته أي ولو كان ذلك الداعي في هذا الحد من عنايتي به.

وقال ابن أبي الحديد كان شعارهم أن يحلقوا وسط رؤسهم وبقوا الشعر مستديرا حوله كالأكليل وقال ولو كان تحت عماتي أي ولو اعتصم واحتسب بأعظم الأشياء حرمة فلا تكفوا عن قتله.

أقول ويحتمل أن يكون شعارهم قولهم لا حكم إلا لله وأن يكون كنى بقوله تحت عماتي عن نفسه.

قوله ﷺ وإحياء الاجتماع عليه أي ما يحييه القرآن هو الاجتماع عليه وما يميتة هو الافتراق عنه أو إن الاجتماع على القرآن إحياء إذ به يحصل الأثر والفائدة المطلوبة منه والافتراق عنه إماتة له والجر بالضم والفتح الداهية والأمر العظيم والختل الخداع.

قوله ﷺ وإنما اجتمع يظهر منه جوابان عن شبهتهم أحدهما إني ما اخترت التحكيم بل اجتمع رأي ملائكم عليه وقد ظهر أنه ﷺ كان مجبورا في التحكيم.

وثانيهما أنا اشترطنا عليهما في كتاب التحكيم أن لا يتجاوزا حكم القرآن فلما تعديا لم يجب علينا اتباع حكمهما.

والملأ أشرف الناس ورؤسائهم ومقدمهم الذين يرجع إلى قولهم ذكره في النهاية والصدد المقصد.

وسوء رأيها مفعول سبق أو الاستثناء أيضا على التنازع أي ذكرنا أولا أنا إنما تتبع حكمهما إذا لم يختاراسوء الرأي والجور في الحكم.

٦٠٥- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له ﷺ في معنى الحكيمين فأجمع رأي ملائكم على أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يجععا عند القرآن ولا يجاوزاه ويكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه فتأها عنه وترك الحق وهما

ببصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج رأيهما وقد سبق استئناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما والفتنة في أيدينا لأفئنا حين خالفا سبيل الحق وأتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم

إيضاح: قال في النهاية في حديث علي ﷺ فأخذنا عليهما أن يجععا عند القرآن أي يقيما عنده يقال جعجع القوم إذا تناخروا بالجعجاع وهي الأرض والجعجاع أيضا الموضع الضيق الخشن وقال في القاموس التابع محرقة التابع يكون واحدا وجمعا ويجمع على أتباع.

قوله ﷺ والثقة في أيدينا أي أنا على برهان وثقة في أمورنا قوله ﷺ بما لا يعرف أي لا يصدق به.

٦٠٦- نهج: [نهج البلاغة] من وصيته ﷺ لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج لا تخصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصا.

بيان: قوله ﷺ ولكن حاجهم بالسنة قال ابن أبي الحديد كقول النبي ﷺ علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار وغير ذلك من النصوص وقال الجوهر ي يقال ما عنه محيص أي محيد ومهرب.

٦٠٧- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له عليه السلام: وقد أرسل رجلا من أصحابه يعلم له علم قوم من جند الكوفة هموا باللاحق بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلام فلما عاد إليه الرجل قال له أمنوا فقطنوا أم جبنوا فقطنوا فقال: الرجل بل ظعنوا يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام (١).

بعدا لهم كما بعدت ثمود أما لو أشرعت الأسنة إليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم إن الشيطان اليوم قد استقلهم وهو غدا متبرئ منهم ومخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى وصددهم عن الحق وجماعهم في التيه.

بيان: قطن بالمكان أقام وقوله بعدا منصوب على المصدر وهو ضد القرب والهلاك وقوله عليه السلام قد استقلهم في بعض النسخ بالقاف أي حملهم أو اتخذهم قليلا وسهل عليه أمرهم وفي أكثر النسخ بالفاء أي وجدهم فلا لا خير فيهم أو مفلولين منهزمين وفي بعضها استفرهم أي استخفهم وفي بعضها استقبلهم أي قتلهم والمراد بالغد اليوم الذي تصب السيوف على هاماتهم أو يوم القيامة.

وقال الجوهري الركب رد الشيء مقلوبا وارتكس فلان في أمر كان قد نجا منه وجمع الفرس كمنع اعتز فارسه وغلبيه والتية المفازة والضلال.

٦٠٨- ج: [الاحتجاج] روي أن أمير المؤمنين عليه السلام أرسل عبد الله بن عباس إلى الخوارج وكان يبرأى منهم ومسمع يسألهم ما ذا الذي تقوموا عليه فقال لهم ابن عباس ما ذا نقتم على أمير المؤمنين قالوا له في الجواب نقمنا يا ابن العباس على صاحبك خصالا كلها مكفرة موبقة تدعو إلى النار (٢).

أما أولها فإنه محي اسمه من إمرة المؤمنين ثم كتب بينه وبين معاوية فإذا لم يكن أمير المؤمنين فتحن المؤمنين فلسنا نرضى أن يكون أميرنا.

وأما الثانية فإنه شك في نفسه حين قال للحكمين انظرا فإن كان معاوية أحق بها فأثبتاه وإن كنت أولى بها فأثبتاني فإذا هو شك في نفسه فلم يدر أهو المحق أم معاوية فتحن فيه أشد شكا.

والثالثة أنه جعل الحكم إلى غيره وقد كان عندنا أحكم الناس.

والرابعة أنه حكم الرجال في دين الله ولم يكن ذلك إليه.

والخامسة أنه قسم بيننا الكراع والسلاح يوم البصرة ومنعنا النساء والذرية.

والسادسة أنه كان وصيا فضيع الوصية.

قال ابن عباس قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم فأنت أحق بجوابهم فقال نعم ثم قال يا ابن عباس قل لهم لستم ترضون بحكم الله وحكم رسوله قالوا نعم قال أبدا على ما بدأت به في بدء الأمر.

ثم قال كنت أكتب لرسول الله ﷺ الوحي والقضايا والشروط والأمان يوم صالح أبياسيان وسهيل بن عمرو فكتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما اصططح عليه محمد رسول الله ﷺ وأبو سفيان وسهيل بن عمرو.

فقال سهيل إنا لا نعرف الرحمن الرحيم ولا نقر أنك رسول الله ولتنا نحسب ذلك شرفا لك أن تقدم اسمك قبل أسمائنا وإن كنا أسن منك وأبي أسن من أبيك فأمرني رسول الله ﷺ فقال أكتب مكان بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ باسمك اللهم فمحوت ذلك وكتبت باسمك اللهم ومحوت رسول الله وكتبت محمد بن عبد الله فقال لي إنك تدعى إلى مثلها فتجيب وأنت مكروه وهكذا كتبت بيني وبين معاوية وعمرو بن العاص هذا ما اصططح عليه أمير المؤمنين ﷺ ومعاوية وعمرو بن العاص فقالا لقد ظلمناك بأن أقررنا بأنك أمير المؤمنين وقاتلناك ولكن أكتب علي بن أبي طالب فمحوت كما محاه رسول الله ﷺ فإن أبيتم ذلك فقد جحدتم فقالوا هذه لك خرجت منها.

(١) رواه السيّد الرضی رضوان الله عليه في المختار: (١٧٩) من كتاب نهج البلاغة.

وقريبا منه رويته مستندا في المختار: (٢٩٧) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٨٢ ط ١.

(٢) رواه الطبرسي ح في عنوان: «احتجاجه عليه السلام على الخوارج...» من كتاب الاحتجاج: ج ١ ص ١٨٧ ط بيروت.

فقال وأما قولكم إني شككت في نفسي حيث قلت للحكمين انظرا فإن كان معاوية أحق بها مني فأثبتاه فإن ذلك لم يكن شكا مني ولكني أنصفت في القول قال الله تعالى ﴿وَأَنَا أَوْلَىٰ بِمَا كُنتُمْ لَعَنِي هَٰؤُلَاءِ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ولم يكن ذلك شكا وقد علم الله أن نبيه على الحق قالوا وهذه لك.

قال وأما قولكم إني جعلت الحكم إلى غيري وقد كنت عندكم أحكم الناس فهذا رسول الله ﷺ قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة وقد كان أحكم الناس وقد قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فتأسيت برسول الله ﷺ قالوا وهذه لك بحجبتنا.

قال وأما قولكم إني حكمت في دين الله الرجال فما حكمت الرجال وإنما حكمت كلام ربي الذي جعله الله حكما بين أهله وقد حكم الله الرجال في طائر فقال ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ فدماء المسلمين أعظم من دم طائر قالوا وهذه لك بحجبتنا.

قال وأما قولكم إني قسمت يوم البصرة لما أظفرتني الله بأصحاب الجمل الكراع والصلاح ومنعتم النساء والذرية فإني مننت على أهل البصرة كما من رسول الله ﷺ على أهل مكة فإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم ولم نأخذ صغيرا بكبير وبعد فأياكم كان يأخذ عائشة في سهمه قالوا وهذه لك بحجبتنا.

قال وأما قولكم إني كنت وصيا فضيعة الوصية فأنتم كفرتم وقد متم علي وأزلمت الأمر عني وليس على الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم إنما يعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم فيدعون إلى أنفسهم والوصي مدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه وذلك لمن آمن بالله ورسوله ﷺ ولقد قال الله عز ذكره ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إياه ولكن الناس كانوا يكفرون بتركهم البيت لأن الله تعالى نصبه لهم علما وكذلك نصبني علما حيث قال رسول الله ﷺ يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت مني بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي فقالوا وهذه لك بحجبتنا فاذعنوا فرجع بعضهم وبقي منهم أربعة آلاف لم يرجعوا ممن كانوا قعدوا عنه فقاتلهم فقتلهم.

بيان: قوله ﷺ دماء المسلمين لعل المراد أن تحكيم الرجال في الطائر لما كان لجهل الناس والاضطرار للضرورة هنا أشد فالكلام على التنزل فإنه ﷺ منع أولا تحكيم الرجال وقال بعد التسليم لا فساد فيه ويحتمل أن يكون مؤيدا لأول الكلام ردا لشبهة أصحاب معاوية بالمقايسة بالطائر أي لم نحكم الرجال لأن التحكيم إنما ورد في الأمور الجزئية التي لا مفسدة كثيرا فسي الخطأ فيها ولا يمكن مقايسة دماء المسلمين بها فإنه قياس مع الفارق ولكنه بعيد ولا يجري في بعض الأخبار التي وردت بهذا الوجه.

٦٠٩-ب: [قرب الإسناد] البقطيني عن القداح عن جعفر عن أبيه ﷺ أن عليا ﷺ كان يباشر القتال بنفسه وأنه نادى ابنه محمد بن الحنفية يوم النهروان قدم يا بني اللواء فقدم ثم قال قدم يا بني اللواء فقدم ثم وقف فقال له قدم يا بني فتكعك الفتى فقال قدم يا ابن اللخناء ثم جاء علي حتى أخذ منه اللواء فمضى به ما شاء الله ثم أمسك ثم تقدم علي بين يديه فضرب قدما^(١).

إيضاح: قال الجوهري كعكته فتكعك أي حبسته فاحتبس وتكعك أي جبن ورجل كعكع بالضم أي جبان ضعيف وقال لخن السقاء بالكسر أي اتن ومنه قولهم أمة لخناء ويقال اللخناء التي لم تختن وقال مضى قدما لم يعرج ولم ينش.

٦١٠-يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن جعفر بن سليمان الجعفري عن أبيه عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن سعد الخفاف عن الأصعب بن نباتة قال لما وقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ على الخوارج وعظهم وذكرهم وحذرهم القتال قال لهم ما تفعلون مني إلا أنني أول من آمن بالله ورسوله فقالوا أنت كذلك ولكنك حكمت في دين الله أبا موسى الأشعري فقال ﷺ والله ما حكمت مخلوقا وإنما حكمت القرآن ولو لا

أني غلبت على أمري و خولفت في رأيي لما رضيت أن تضع الحرب أوزارها بيني وبين أهل حرب الله حتى أعلني كلمة الله و أنصر دين الله و لو كرّه الجاهلون و الكافرون^(١).

٦١١-ب: [قرب الإسناد] هارون عن ابن صدقة عن جعفر عن أبيه^(٢) أن علياً^(٣) كان يدعو على الخوارج فيقول في دعائه^(٤).

اللهم رب البيت المعمور و السقف المرفوع و البحر المسجور و الكتاب المسطور أسألك الظفر على هؤلاء الذين نبذوا كتابك وراء ظهورهم و فارقوا أمة أحمد^(٥) عتوا عليك.

٦١٢-مد: [العمدة] بإسناده إلى أحمد بن حنبل من مسنده بإسناده عن زيد بن وهب قال قدم على علي^(٦) قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له الجعد بن بعة فقال له اتق الله يا علي فإنك ميت فقال علي^(٧) بل مقتول قتلًا ضربة على هذا يخضب هذه يعني لحيته و رأسه عهد معهود و قضاء مقضي و قد خاب من أفتري و عاتبه في لباسه فقال ما يمنعك أن تلبس فقال ما لك و للباسي هو أبعد من الكبر و أجدر أن يقتدي بي المسلم

٦١٣-ل: [الخصال] في خبر اليهودي السائل أمير المؤمنين عما فيه من خصال الأوصياء قال^(٨).

و أما السابعة يا أبا اليهود فإن رسول الله^(٩) كان عهد إلي أن أقاتل في آخر الزمان من أيامي قوما من أصحابي يصومون النهار و يقومون الليل و يتلون الكتاب يمرقون بخلافهم علي و محاربتهم إياي من الدين مروق السهم من الرمية فيهم ذو الثدي يختم لي يقتلهم بالسعادة.

فلما انصرفت إلى موضعي هذا يعني بعد الحكمين أقبل بعض القوم على بعض باللائمة فيما صاروا إليه من تحكيم الحكمين فلم يجدوا لأنفسهم من ذلك مخرجًا إلا أن قالوا كان ينبغي لأمرنا أن لا يتابع من أخطأ و أن يقضي بحقيقة رأيهم على قتل نفسه و قتل من خالفه منا فقد كفر بمتابعتهم إيانا و طاعته لنا في الخطأ و أحل لنا بذلك قتله و سفك دمه. فتجمعوا على ذلك و خرجوا راكبين رءوسهم ينادون بأعلى أصواتهم لا حكم إلا لله ثم تفرقوا فرقة بالخيلة و أخرى بحروراء و أخرى راكبة رأسها تخبط الأرض شرقا حتى عبرت دجلة فلم تمر بمسلم إلا امتاحتها فمن تابعها استحيته و من خالفها قتلته.

فخرجت إلى الأوليين واحدة بعد أخرى أدعوهم إلى طاعة الله عز و جل و الرجوع إليه فأبى إلا السيف لا يقنعهما غير ذلك فلما أئيت الحيلة فيهما حاكمتهما إلى الله عز و جل فقتل الله هذه و هذه كانوا يا أبا اليهود لو لا ما فعلوا لكانوا ركنًا قويًا و سدا منيعًا فأبى الله إلا ما صاروا إليه.

ثم كتبت إلى الفرقة الثالثة و وجهت رسلي تترى و كانوا من جلة أصحابي و أهل التعبد منهم و الزهد في الدنيا فأبت إلا اتباع أختيها و الاحتذاء على مثالهما و أشرعت في قتل من خالفها من المسلمين و تابعت إلي الإخبار بفعلهم فخرجت حتى قطعت إليهم دجلة أوجه السفراء و النصحاء و أطلب العتبي بجهدى بهذا مرة و بهذا مرة و أومى بيده إلى الأشتر و الأحنف بن قيس و سعيد بن قيس الأرجبي و الأشعث بن قيس الكندي فلما أبوا إلا تلك ركبتهما منهم فقتلهم الله يا أبا اليهود عن آخرهم و هم أربعة آلاف أو يزيدون حتى لم يفلت منهم مخبر^(١٠) فاستخرجت ذا الثدي من قتلاهم بحضرة من ترى له ثدي كندي المرأة ثم التفت^(١١) إلى أصحابها فقال أليس كذلك قالوا بلى يا أمير المؤمنين.

بيان: قال الفيروز آبادي في القاموس جل الشيء و جلاله بضمها معظمه و قوم جلة بالكسر عظماء سادة ذوو أخطار.

٦١٤-يج: [الخرائج والجرائح] روي عن أبي حمزة عن علي بن الحسين^(١٢) عن أبيه قال لما أراد علي^(١٣) أن يسير إلى النهروان استنفر أهل الكوفة و أمرهم أن يعسكروا بالمدائن فتأخر عنه شيث بن ربعي و عمرو بن حريث و الأشعث

(١) رواه الشيخ الصدوق قدس الله نفسه في الحديث: (٦) من الباب: (٣٠) من كتاب التوحيد.

(٢) رواه الحميري ح في الحديث: (٣٧) من كتاب قرب الإسناد، ص ٨.

(٣) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في آخر الحديث: (٥٨) من باب السبعة من كتاب الخصال: ج ١، ص ٣٨١.

(٤) كذا في هذه الرواية و الظاهر أنه من سهو الراوي إذ ورد عن أمير المؤمنين^(١٤) بنحو الاستفاضة أنه قال: «لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل منهم عشرة» و ذكر المؤرخون والمحدثون أنه أفلت منهم تسعة.

بن قيس و جرير بن عبد الله^(١) و قالوا ائذن لنا أياما تتخلف عنك في بعض حوائجنا و تلحق بك فقال لهم قد فعلتموه سواه لكم من مشايخ فو الله ما لكم من حاجة تتخلفون عليها و إني لأعلم ما في قلوبكم و سأبين لكم تريدون أن تبتطوا عني الناس و كأني بكم بالخورق و قد بسطتم سفرتكم للطعام إذ يمر بكم ضب فتأمرون صبيانك فيصيدونه فتخلعون و تبايعونه^(٢).

ثم مضى إلى المدائن و خرج القوم إلى الخورق و هينوا طعاما فبينما هم كذلك على سفرتهم و قد بسطوها إذ مر بهم ضب فأمرؤا صبيانهم فأخذوه و أوثقوه و مسحوا أيديهم على يده كما أخبر علي^{عليه السلام} و أقبلوا على المدائن فقال لهم أمير المؤمنين^{عليه السلام} يَسِّرْ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا لِيُعْظِمَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مع إمامكم الضب الذي بايعتم كأني أنظر إليكم يوم القيامة مع إمامكم و هو يسوقكم إلى النار.

ثم قال لئن كان مع رسول الله^{صلى الله عليه وآله} منافقون فإن معي منافقين أما و الله يا شيب و يا ابن حريث لتقاتلان ابني الحسين هكذا أخبرني رسول الله^{صلى الله عليه وآله}.

٦١٥- ييج: [الخرايج و الجرائع] روي أن عليا^{عليه السلام} لما سار إلى النهروان شك رجل يقال له جندب فقال له علي^{عليه السلام} الزمني و لا تفارقتني فلزمه فلما دنوا من قنطرة النهروان نظر علي^{عليه السلام} قبل زوال الشمس إلى قنبر يؤذنه بالصلاة فنزل و قال اتنني بماء ففقد يتوضأ فأقبل فارس و قال قد عبر القوم فقال أمير المؤمنين^{عليه السلام} ما عبروا و لا يعبرونها و لا يفلت منهم إلا دون العشرة و لا يقتل منهم إلا دون العشرة و الله ما كذبت و لا كذبت.

فتعجب الناس فقال جندب إن صح ما قال علي^{عليه السلام} فلا أحتاج إلى دليل غيره فبينما هم كذلك إذ أقبل فارس فقال يا أمير المؤمنين القوم على ما ذكرت لم يعبروا القنطرة فصلى بالناس الظهر و أمرهم بالمسير إليهم فقال جندب قلت لا يصل إلى القنطرة قبلي أحد فركض فرسي فإذا هم دون القنطرة و قوف فكتت أول من رمى قتلوا كلهم إلا تسعة و قتل من أصحابنا تسعة.

ثم قال علي^{عليه السلام} اطلبوا ذا الندية فطلبوه فلم يجدوه فقال اطلبوا فو الله ما كذبت و لا كذبت ثم قام فركب البغلة نحو قتلى كثير فقال اقبلوها فاستخرجوا ذا الندية فقال الحمد لله الذي عجلك إلى النار.

و قد كان الخوارج خرجوا عليه قبل ذلك بجانب الكوفة في حروراء و كانوا إذ ذاك اثني عشر ألفا قال فخرج إليهم أمير المؤمنين^{عليه السلام} في إزاره و رداه راكبا البغلة فقبل له القوم شاكون في السلاح أخرج إليهم كذلك قال إنه ليس بيوم قتالهم و صار إليهم بحروراء و قال لهم ليس اليوم أو أن قتالكم و ستفترقون حتى تصيروا أربعة آلاف فتخرجون علي في مثل هذا اليوم في مثل هذا الشهر فأخرج إليكم بأصحابي فأقاتلكم حتى لا يبقى منكم إلا دون عشرة و يقتل من أصحابي يومئذ دون عشرة هكذا أخبرني رسول الله^{صلى الله عليه وآله} فلم يبرح من مكانه حتى تبرأ بعضهم من بعض و تفرقوا إلى أن صاروا أربعة آلاف بالنهروان.

٦١٦- ييج: [الخرايج و الجرائع] روي عن جندب بن زهير الأزدي قال لما فارقت الخوارج عليا^{عليه السلام} خرج إليهم و خرجنا معه فانتھينا إلى عسكرهم فإذا لهم دوي كدوي النحل في قراءة القرآن و فيهم أصحاب البرانس و ذوو الفئات فلما رأيت ذلك دخلني شك فتنحيت و نزلت عن فرسي و ركزت رمحي و وضعت ترسي و نثرت عليه درعي و قمت أصلي و أنا أقول في دعائي اللهم إن كان قتال هؤلاء رضا لك فأرني من ذلك ما أعرف به أنه الحق و إن كان لك سخطا فاصرف عني إذ أقبل علي^{عليه السلام} فنزل عن بغلة رسول الله^{صلى الله عليه وآله} و قام يصلي إذ جاءه رجل فقال قطعوا النهر ثم جاء آخر يشتد به دابته فقال قطعوه و ذهبوا.

فقال أمير المؤمنين^{عليه السلام} ما قطعوه و لا يقطعونه و ليقتلن دون النطقة عهد من الله و رسوله^{صلى الله عليه وآله} و قال لي يا جندب ترى التل قلت نعم قال إن رسول الله^{صلى الله عليه وآله} حدثني أنهم يقتلون عنده ثم قال إنا نبعث إليهم رسولا يدعوهم إلى كتاب الله و سنة نبيه فيرشقون وجهه بالنبل و هو مقتول قال فانتھينا إلى القوم فإذا هم في معسكرهم لم يبرحوا و لم

(١) كذا في هذه الرواية. وهذا أيضاً سهو من راوي الحديث إذ جرير بن عبد الله فارق الإمام^{عليه السلام} قبل وقعة صفين ولم يعد إليه إلى أن استشهد الإمام^{عليه السلام}.
(٢) رواه مع التواتر قطب الدين الراوندي ح في كتاب الخرايج.

يترحلوا فنادى الناس و ضمهم ثم أتى الصف و هو يقول من يأخذ هذا المصحف فيمشي به إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى كتاب الله و سنة نبيه و هو مقتول و له الجنة فما أجابه أحد إلا شاب من بني عامر بن صعصعة فلما رأى حداثة سنة قال له ارجع إلى موقفك ثم أعاد فما أجابه أحد إلا ذلك الشاب قال خذه أما إنك مقتول.

فمشى به حتى إذا دنا من القوم حيث يسمعون ناداهم إذ رموا وجهه بالنبل فأقبل علينا و وجهه كالقنفذ فقال علي: دونكم القوم فحملنا عليهم قال جندب ذهب الشك عني و قتلت بكفي ثمانية.

ولما قتل الحرورية قال علي: التمسوا في قتلاهم رجلا مخدوجا حدي يديه مثل ثدي المرأة فطلبوه فلم يجدوه فقام فأمر بهم فقلب بعضهم على بعض فإذا حبشي إحدى عضديه مثل ثدي المرأة عليه شعرات كسبال السنور فكبر وكبر الناس معه و قال هذا شيطان لو لا أن تتكلوا لحدثكم بما أعد الله على لسان نبيكم لمن قاتل هؤلاء.

٦١٧-شا: الإرشاد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج حين رجع إلى الكوفة و هو بظاهرها قبل دخوله إياها بعد حمد الله و الثناء عليه^(١).

اللهم إن هذا مقام من فلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ومن نطف فيه أو عنت فهُوَ فِي الْأَخْزَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا. نشدتم بالله أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم إنهم ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن إني صحتهم و عرفتهم أطفالا و رجالا فكانوا شر أطفال و شر رجال امضوا على حقكم و صدقكم إنما رفعوا القوم لكم هذه المصاحف خديعة و وهنا مكيدة فرددتهم علي رأبي و قلمت لا بل نقبل منهم فقلت لكم اذكروا قولِي لكم و مصيبتكم إياي فلما أبيتهم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحيا ما أحياه القرآن و أن يمينا ما أماته القرآن فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب و إن أبيا فنحن من حكمهما براء.

قال بعض الخوارج فخيرنا أترأه عدلا يحكم الرجال في الدماء فقال عليه السلام إنا لم نحكم الرجال إنما حكمنا القرآن و هذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق و إنما يتكلم به الرجال.

قالوا له فخيرنا عن الأجل الذي جعلته فيما بينك و بينهم!

قال ليتعلم الجاهل و يتثبت العالم و لعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة ادخلوا مصركم رحمكم الله ورحلوا من عند آخرهم.

بيان: قوله عليه السلام كان أولى بالفلج أي من طفر في هذا الحرب و في هذه القضية لاخبار النبي صلى الله عليه وآله يكون القتالين أولى بالحق من المقتولين و غير ذلك مما مر أو المعنى أن حجة أهل الحق تكون أغلب دائما و قال الجوهرى نطف الرجل بالكسر إذا اتهم بريبة و نطف الشيء أيضا فسد و النطف التلطح باليب و قال العنت الإثم و قد عنت الرجل أي أثم و العنت أيضا الوقوع في أمر شاق و قد عنت و اعنته غيره.

٦١٨-ق: (المناقب لابن شهر آشوب) لما دخل أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة جاء إليه زرعة بن البرج الطائي و حرقوص بن زهير التميمي ذو التدية فقال لا حكم إلا لله فقال عليه السلام كلمة حق يراد بها باطل قال حرقوص فتب من خطيئتك و ارجع عن قصتك و اخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال علي عليه السلام قد أردتكم على ذلك فعصيتوني و قد كتبنا بيننا و بين القوم كتابا و شروطا و أعطينا عليها عهودا و موثقا و قد قال الله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ الآية فقال حرقوص ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه فقال علي عليه السلام ما هو بذنب و لكنه عجز من الرأي و ضعف في العقل و قد تقدمت فتهيتكم عنه^(٢).

فقال ابن الكواء الآن صح عندنا أنك لست بإمام و لو كنت إماما لما رجعت فقال علي عليه السلام ويلمك قد رجع رسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبية عن قتال أهل مكة.

(١) رواه الشيخ المفيد في الفصل (٣٨) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإرشاد ص ١٤٤.

(٢) رواه ابن شهر آشوب في آخر عنوان: «في الحكمين والخوارج» من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٣٦٩ ط النجف.

ففارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا لا حكم إلا لله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وكانوا اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة والبصرة وغيرهما ونادى مناديهم أن أمير القتال شيث بن ربعي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستعرضوا الناس وقتلوا عبد الله بن خباب بن الارت وكان عامله على النهروان.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن عباس امض إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه ولما ذا اجتمعوا فلما وصل إليهم قالوا ويلك يا ابن عباس أكفرت بربك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب وخرج خطيبهم عتاب بن الأعور الثعلبي فقال ابن عباس من بني الإسلام فقال الله ورسوله فقال النبي أحكم أموره وبين حدوده أم لا قال بلى قال فالنبي بقي في دار الإسلام أم ارتحل قال بل ارتحل قال فأمر الشرع ارتحلت معه أم بقيت بعده قال بل بقيت قال وهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه قال نعم الذرية والصحابة قال أفعمروها أو خربوها قال بل عمروها قال فالآن هي معمورة أم خراب قال بل خراب قال خربها ذريته أم أمته قال بل أمته قال وأنت من الذرية أو من الأمة قال من الأمة قال أنت من الأمة وخربت دار الإسلام كيف ترجو الجنة وجرى بينهم كلام كثير.

فحضر أمير المؤمنين في مائة رجل فلما قابلهم خرج إليه ابن الكواء في مائة رجل فقال عليه السلام أنشدكم الله هل تعلمون حيث رفعوا المصاحف فقلت من نجيبهم إلى كتاب الله فقلت لكم إني أعلم بالقوم منكم وذكر مقاله إلى أن قال: فلما أبيتهم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكمه وإن أبايا فنحن منه براء.

فقالوا له أخبرنا أترأه عدلا تحكيم الرجال في الدماء فقال إنا لسنا الرجال حكمنا وإنما حكمنا القرآن والقرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال قالوا فأخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم قال ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله يصلح في هذه المدة هذه الأمة.

وجرت بينهم مخاطبات فجعل بعضهم يرجع فأعطى أمير المؤمنين عليه السلام راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري فنأداهم أبو أيوب من جاء إلى هذه الراية أو خرج من بين الجماعة فهو آمن فرجع منهم ثمانية آلاف رجل فأمرهم أمير المؤمنين أن يتميزوا منهم وأقام السابقون على الخلاف وقصدوا إلى نهروان.

فخطب أمير المؤمنين عليه السلام أهل الكوفة واستغفرهم فلم يجيبوه فتمثل:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى
فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ثم استغفرهم فنفر ألفا رجل يقدم عدي بن حاتم وهو يقول:

إلى شر خلق من شراره تحزبوا
وعادوا إله الناس رب المشارق

فوجه أمير المؤمنين عليه السلام نحوهم وكتب إليهم على يدي عبد الله بن أبي عقبة:

والسعيد من سعدت به رغبته والشقي من شقيت به رغبته^(١) وخير الناس خيرهم لنفسه وشر الناس شرهم لنفسه وليس بين الله وبين أحد من خلقه قرابة وكل نفس بما كسبت رهينة.

فلما أتاهم أمير المؤمنين فاستعطفهم أبوا إلا قتاله وتنادوا أن دعوا مخاطبة علي وأصحابه وبارزوا الجنة^(٢) وصاحوا الروح الرواح إلى الجنة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعبئ أصحابه ونهاهم أن يتقدم إليهم أحد.

وكان أول من خرج من الخوارج للبراز أخنس بن العزير الطائي^(٣) وجعل يقول:

ثمانون من حيي جديلة قتلوا
على النهر كانوا يخضبون العواليا

(١) كذا في ط الكياني من كتاب البحار. وفي كتاب مناقب آل أبي طالب في كل الموردين: «رغبته...».

(٢) كذا في أصلي. وفي مناقب آل أبي طالب: «وبأفروا الجنة».

(٣) كذا في أصلي. وفي مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٣٧١: أخنس بن العزير.

يسنادون لا حكم إلا لرئيسنا
هم فارقوا من جار في الله حكمه
فقتله أمير المؤمنين عليه السلام.

حنانيك فاغفر حوبنا و المساويا
فكسل على الرحمن أصبح ثاويا

وخرج عبد الله بن وهب الراسبي يقول:
أنا ابن وهب الراسبي الشاري
حتى تزول دولة الأشرار
وخرج مالك بن الوضاح و قال:

أضرب في القوم لأخذ الثاري
و يرجع الحق إلى الأخيار

إنسي لبائع ما يفنى بباقية
وخرج إلى أمير المؤمنين عليه السلام الوضاح بن الوضاح من جانب و ابن عمه حرقوص من جانب فقتل أمير المؤمنين
الوضاح و ضرب ضربة على رأس الحرقوص فقطعه و وقع رأس سيفه على القرس فشرذ و رجه في الركاب حتى
أوقعه في دولاب خراب فصارت الحروية كرماد اشتدَّت به الرِّيحُ في يَوْمٍ غاصِبٍ.
فكان المقتولون من أصحاب علي عليه السلام روبة بن وبر البجلي و رفاعه بن وائل الأرحبي و الفياض بن خليل الأزدي
وكيسوم بن سلمة الجمحي و حبيب بن عاصم الأزدي إلى تمام تسعة.

ولا أريد لدى الهيجاء تريبصا

وانفلت من الخوارج تسعة كما تقدم ذكره و كان ذلك لتسع خلون من صفر سنة ثمان و ثلاثين.
أبو نعيم الأصفهاني عن سفيان الثوري أن أمير المؤمنين عليه السلام أمر أن يفتش عن المخدج بين القتلى فلم يجده فقال
رجل والله ما هو فيهم فقال عليه السلام و الله ما كذبت و لا كذبت.

تاريخ الطبري و إبانة ابن بطة و سنن أبي داود و مسند أحمد عن عبد الله بن أبي رافع و أبي موسى الوائلي
و جندب و أبي الوضيء و اللفظ له قال قال علي عليه السلام اطلبوا المخدج فقالوا لم نجده فقال و الله ما كذبت و لا كذبت يا
عجلان انتني ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فأثاه بالبعلة فركبها و جال في القتلى ثم قال اطلبوه هاهنا فاستخرجوه من تحت
القتلى في نهر وطين.

٣٩٢
٣٣

وفي رواية أبي نعيم عن سفيان قليل قد أصبناه فسجد لله تعالى فنصبها.
تاريخ القمي أنه رجل أسود عليه شعرات عليه قريطق مخدج اليد إحدى ثديه كئدي المرأة عليه شعيرات مثل ما
يكون على ذنب اليربوع.

وفي مسند موصلي حبشي مثل البعير في منكبه مثل ثدي المرأة فقال صدق الله و رسوله صلى الله عليه وآله.
وفي رواية أبو داود و ابن بطة أنه قال علي عليه السلام من يعرف هذا فلم يعرفه أحد فقال رجل أنا رأيت هذا بالهيرة فقلت
إلى أين تريد فقال إلى هذه و أشار إلى الكوفة و ما لي بها معرفة فقال علي عليه السلام صدق هو من الجن.
وفي رواية أخرى هو من الجن.

وفي رواية أحمد قال أبو الوضيء لا يأتينكم أحد يخبركم من أبوه قال فجعل الناس يقولون هذا ملك هذا ملك هذا
ملك و يقول علي ابن من .

وفي مسند الموصلي في حديث من قال من الناس إنه رآه قبل مصرعه فإنه كاذب .
وفي مسند أحمد بإسناده عن أبي الوضيء أنه قال قال علي عليه السلام أما إن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن هذا
أكبرهم و الثاني له جمع كثير و الثالث فيه ضعف.

إبانة ابن بطة أنه ذكر المقتول بالنهروان فقال سعد بن أبي وقاص هو شيطان الردهة.
زاد أبو يعلى في المسند شيطان ردهة رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب علامة في قوم ظلمة
محمد بن عبد الله الرعيني بإسناده عن علي عليه السلام أنه لما انصرف من صفين خاض الناس في أمر الحكمين فقال
بعض الناس ما يمنع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يأمر بعض أهل بيته فيتكلم فقال للحسن قم يا حسن قتل في هذين
الرجلين عبد الله بن قيس و عمرو بن العاص فقام الحسن فقال:

٣٩٣
٣٣



أيها الناس إنكم قد أكثرتم في أمر عبد الله بن قيس و عمرو بن العاص فإنما بعثا ليحكما بكتاب الله فحكما بالهوى على الكتاب ومن كان هكذا لم يسم حكما ولكنه محكوم عليه وقد أخطأ عبد الله بن قيس في أن أوصى بها إلى عبد الله بن عمر فأخطأ في ذلك في ثلاث خصال في أن أباه لم يرضه لها وفي أنه لم يستأمره وفي أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين تغذوها لمن بعده وإنما الحكومة فرض من الله وقد حكم رسول الله ﷺ سعدا في بني قريظة فحكم فيهم بحكم الله لا شك فيه فنفذ رسول الله ﷺ حكمه ولو خالف ذلك لم يجره ثم جلس.

ثم قال علي رضي الله عنه لعبد الله بن العباس قم فتكلم فقام وقال:

أيها الناس إن للحق أهلا أصابوه بالتوفيق والناس بين راض به وراغب عنه وإنما بعث عبد الله بن قيس بهدى إلى ضلالة وبعث عمرو بن العاص بضلالة إلى الهدى فلما التقيا رجع عبد الله عن هداه وثبت عمرو على ضلالته والله لئن حكما بالكتاب لقد حكما عليه وإن حكما بما اجتمعا عليه معا ما اجتمعا على شيء وإن كانا حكما بما سارا إليه لقد سار عبد الله وإمامه علي وسار عمرو وإمامه معاوية فما بعد هذا من غيب ينتظر ولكنهم سئموا الحرب وأحبوا البقاء ودفعوا البلاء ورجا كل قوم صاحبهم ثم جلس.

٣٩
٣٣

ثم قال لعبد الله بن جعفر قم فتكلم فقام عبد الله وقال:

أيها الناس إن هذا الأمر كان النظر فيه إلى علي والرضا فيه لغيره فجتثم بعبد الله بن قيس فقلتم لا نرضى إلا بهذا فارض به فإنه رضانا وإم الله ما استفدناه علما ولا انتظرنا منه غائبا ولا أملنا ضعفه ولا رجونا به صاحبه ولا أسد بما عملا العراق ولا أصلحا الشام ولا أماتا حق علي ولا أحييا باطل معاوية ولا يذهب الحق رقية راق ولا نفحة شيطان وأنا اليوم لعلي ما كنا عليه أمس وجلس.

نوف البكالي عن أمير المؤمنين أنه نادى بعد الخطبة بأعلى صوته الجهاد الجهاد عباد الله ألا وإني معسكر في يومي هذا فمن أراد الروح إلى الله فليخرج.

قال نوف وعقد للحسين رضي الله عنه في عشرة آلاف ولقيس بن سعد في عشرة آلاف ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف ولغيرهم على أعداد أخر وهو يريد الرجعة إلى صفين فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر.

بيان: قال في النهاية في حديث منصور وجاء الغلام وعليه قرطق أبيض أي قباء وهو تعريب كرتة وقد تضم طاؤه وإبدال القاف من الهاء في الأسماء المعربة كثير ومنه حديث الخوارج كأنني أنظر إليه حبشي عليه قرطقي هو تصغير قرطق

٣٩
٣٣

٦١٩-كشوف: [كشف الغمة] قال ابن طلحة لما عاد أمير المؤمنين من صفين إلى الكوفة بعد إقامة الحكمين أقام ينتظر انقضاء المدة التي بينه وبين معاوية ليرجع إلى مقاتلته والمحاربة إذ انزلت طائفة من خاصة أصحابه في أربعة آلاف فارس وهم العباد والنساک فخرجوا من الكوفة وخالفوا عليا رضي الله عنه وقالوا لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله (١). وانحاز إليهم نيف عن ثمانية آلاف ممن يرى رأيهم فصاروا اثني عشر ألفا وساروا إلى أن نزلوا بحروراء وأمروا عليهم عبد الله بن الكواء.

فدعا علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنه فأرسله إليهم فحادثهم فلم يرتدعوا وقالوا ليخرج إلينا علي بنفسه لنسمع كلامه عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه.

فرجع ابن عباس فأخبره فركب في جماعة ومضى إليهم فركب ابن الكواء في جماعة منهم فواقفه فقال له علي رضي الله عنه يا ابن الكواء إن الكلام كثير فأبرز إلي من أصحابك لأكلمك فقال وأنا آمن من سيفك فقال نعم فخرج إليه في عشرة من أصحابه فقال له علي رضي الله عنه عن الحرب مع معاوية وذكر له رفع المصاحف على الرماح وأمر الحكمين وقال: ألم أقل لكم إن أهل الشام يخدعونكم بها فإن الحرب قد عضتكم فذروني أناجزهم فأبيتهم.

ألم أرد أن أنصب ابن عمي حكما وقلت إنه لا يندخ فأبيتهم إلا أبا موسى وقلتم رضينا به حكما فأجبتكم كارها

(١) رواه الإبريلي ح في آخر عنوان: «فأما حروبه في زمن خلافته...» من كتاب كشف الغمة: ج ١، ص ٢٦٤ ط بيروت.

ولو وجدت في ذلك الوقت أعوانا غيركم لما أجبتمكم وشرطت على الحكيمين بحضوركم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته والسنة الجامعة وإنهما إن لم يفعلا فلا طاعة لهما علي كان ذلك أم لم يكن؟

قال ابن الكواء صدقت قد كان هذا كله فلم لا ترجع الآن إلى حرب القوم فقال حتى تنتضي المدة التي بيننا وبينهم قال ابن الكواء وأنت مجمع على ذلك قال نعم لا يسعني غيره.

فعاد ابن الكواء والعشرة الذين معه إلى أصحاب علي عليه السلام راجعين عن دين الخوارج.

و تفرق الباكون وهم يقولون لا حكم إلا لله وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي و حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية وعسكروا بالنهروان.

وخرج إليهم علي عليه السلام فسار حتى بقي على فرسخين منهم وكاتبهم وراسلهم فلم يرتدعوا فأركب إليهم ابن عباس وقال سلهم ما الذي نغموه وأنا ردك فلا تخف منهم فلما جاءهم ابن عباس قال ما الذي نغمتم من أمير المؤمنين قالوا نعمنا أشياء لو كان حاضرا لكفرناه بها وعلي عليه السلام وراه يسمع ذلك فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين قد سمعت كلامهم وأنت أحق بالجواب.

فتقدم وقال أيها الناس أنا علي بن أبي طالب فتكلموا بما نغمتم علي فقالوا نعمنا عليك أولا إنا قاتلنا بين يديك بالبصرة فلما أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية كيف حل لنا ما في العسكر ولم تحل لنا النساء فقال لهم علي عليه السلام يا هؤلاء إن أهل البصرة قاتلونا وبدعونا بالقتال فلما ظفرتنا اقتسمتم سلب من قاتلكم ومنعتكم من النساء والذرية فإن النساء لم يقاتلن والذرية ولدوا على الفطرة ولم يتركوا ولا ذنب لهم ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من على المشركين فلا تعجبوا إن مننت على المسلمين فلم أسلب نساءهم ولا ذريتهم.

وقالوا نعمنا عليك يوم صفين كونك محوت اسمك من إمرة المؤمنين فإذا لم تكن أميرنا فلا تطيعك ولست أميرنا لنا.

فقال يا هؤلاء إنما اقتديت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين صالح سهيل بن عمرو^(١).

قالوا فإننا نعمنا عليك أنك قلت للحكمين انظرا كتاب الله فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة فإذا كنت شاكيا في نفسك فتنح فيك أشد وأعظم شكا.

فقال عليه السلام إنما أردت بذلك النصفة فإني لو قلت احكما لي وذا معاوية لم يرض ولم يقبل ولو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنصاري نجران لما قدما عليه تعالوا حتى نبتهل واجعل لعنة الله عليكم لم يرضوا ولكن أنصفهم من نفسه كما أمره الله تعالى فقال ﴿فَتَجَبَّلَ الْعَزَّازُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فأنصفهم عن نفسه ففعلت أنا ولم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خدعة أبي موسى.

قالوا فإننا نعمنا عليك أنك حكمت حكما في حق هو لك.

فقال إن رسول الله حكم سعد بن معاذ في بني قريظة و لو شاء لم يفعل وأنا اقتديت به فهل بقي عندكم شيء؟ فسكتوا وصاح جماعة منهم من كل ناحية التوبة التوبة يا أمير المؤمنين واستأمن إليهم ثمانية آلاف وبقي على حربه أربعة آلاف فأمرهم المستأمنين بالاعتزال عنهم في ذلك الوقت وتقدم بأصحابه حتى دنا منهم وتقدم عبد الله بن وهب و ذو الثدية حرقوص وقالا ما نريد بقتالنا إياك إلا وجه الله والدار الآخرة فقال علي عليه السلام هَلْ تُسَبِّحُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا.

ثم التحم القتال بين الفريقين واستعر الحرب بظاهها وأسفرت عن زرقعة صبحها و حمرة ضحاها فتجادلوا و تجادلوا بالسنة رماحها و حداد ظباها فحمل فارس من الخوارج يقال له الأخنس الطائي وكان شهد صفين مع علي فحمل و شق الصفوف يطلب عليا عليه السلام فبدره على علي فقتله فحمل ذو الثدية ليضرب عليا فسبقه علي عليه السلام وضربه ففلق البيضة ورأسه فحمله فرسه و هو لما به فألقاه في آخر المعركة في حرف دالية على شط النهروان و خرج من بعده ابن عمه مالك بن الوضاح و حمل على علي عليه السلام فضربه علي فقتله.

(١) وبعد هذا كان في أصلي: «وقد تقدمت إقصته». وبما أن هذه الجملة من كلام صاحب كشف الغمة - وليست جزءا للقصة والرواية - حذفناها.

وتقدم عبد الله بن وهب الراسبي فصاح يا ابن أبي طالب والله لا تبرح من هذه المعركة أو تأتي على أنفسنا أو تأتي على نفسك فابرز إلي وأبرز إليك وذر الناس جانبا.

فلما سمع علي عليه السلام كلامه تبسم وقال قاتله الله من رجل ما أقل حياؤه أما إنه ليعلم أنني حليف السيف وخدين الرمح ولكنه قد يس من الحياة أو أنه ليطمع طمعا كاذبا ثم حمل علي عليه السلام فضربه علي وقته وألحقه بأصحابه القتلى واختلطوا فلم يكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف فما أفلت منهم إلا تسعة أنفس رجلان هربا إلى خراسان إلى أرض سجستان وبها نسلهما ورجلان صارا إلى بلاد عمان وبها نسلهما ورجلان صارا إلى اليمن وفيها نسلهما وهم الإباضية ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف بالسن والبوازيح وإلى شاطئ الفرات وصار آخر إلى تل موزن.

وغم أصحاب علي عليه السلام غنائم كثيرة وقتل من أصحاب علي عليه السلام تسعة بعدد من سلم من الخوارج وهي من جملة كرامات علي عليه السلام فإنه قال نقتلهم ولا يقتل منا عشرة ولا يسلم منهم عشرة.

فلما قتلوا قال علي عليه السلام التمسوا المخرج فالتمسوه فلم يجدوه فقام علي عليه السلام بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض فقال أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض فكير علي عليه السلام وقال صدق الله وبلغ رسوله.

قال أبو الوضيء فكانني أنظر إليه حبشي عليه قريظ إحدى يديه مثل ثدي المرأة عليها شعرات مثل ذنب اليربوع. وهذا أبو الوضيء هو عباد بن نسيب القيسي تابعي يروي عنه هذا القول أبو داود في سننه كما قال (١).

بيان انخزلت انقطعت وانحاز القوم تركوا مركزهم إلى آخر والخدين الصديق. وقال الفيروز آبادي في القاموس السن جبل بالمدينة وموضع بالري وبلد على دجلة وقال بوازيح بلد قرب تكريت.

٦٢٠- إرشاد القلوب: خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجها إلى داره وقد مضى ربع من الليل ومعه كميل بن زياد وكان من خيار شيعته ومحبيه فوصل في الطريق إلى باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت ويقرأ قوله تعالى «أَمَّنْ هُوَ فَايْتِ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» بصوت شجي حزين فاستحسن كميل ذلك في باطنه وأعجبه حال الرجل من غير أن يقول شيئا فالتفت لصوات الله عليه وآله إليه وقال يا كميل لا تعجبك طنطنة الرجل إنه من أهل النار وسأنبئك فيما بعد فتحير كميل لمكاشفته له على ما في باطنه ولشهادته بدخول النار مع كونه في هذا الأمر وتلك الحالة الحسنة ومضى مدة متطاوله إلى أن آل حال الخوارج إلى ما آل وقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام وكانوا يحفظون القرآن كما أنزل فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى كميل بن زياد وهو واقف بين يديه والسيف في يده يقطر دما وروس أولئك الكفرة الفجرة محلقة على الأرض فوضع رأس السيف على رأس من تلك الرؤوس وقال يا كميل أَمَّنْ هُوَ فَايْتِ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا أَي هُوَ ذلك الشخص الذي كان يقرأ القرآن في تلك الليلة فأعجبك حاله فقبل كميل قدميه واستغفر الله وصلى على مجهول القدر (٢).

٦٢١- فر: [تفسير فرات بن إبراهيم] جعفر بن محمد الفزاري معتنعا عن أبي وائل السهمي قال خرجنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلما انتهينا إلى النهروان قال وكنت شاكيا في قتالهم فضربت بفرسي فأقحمته في أشجار كانت هناك قال قال والله لكانه علم ما في قلبي فأقبل يسير على بغلة النبي صلى الله عليه وآله حتى نزل بتلك الأشجار فنزل فوضع فرشه ثم جلس عليه ثم احتبى بحمائل سيفه فأنأ أراه ولا يراني إذ جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين ما يجلسك فقد عبر القوم النهر قال كذبت لم يعبروا قال فرجع ثم جاء آخر قال يا أمير المؤمنين ما يجلسك فقد عبر القوم النهر و قتلوا فلانا و فلانا قال كذبت لم يعبروا والله لا يعبرون حتى أقتلهم عهد من الله ومن رسوله قال ثم دعا بفرس فركبه فقلت ما رأيت كاليوم والله لئن كان صادقا لأضربن بسيفي حتى ينقطع قال ولما جازني اتبعته فانتبهنا إلى

(١) رواه أبو داود في عنوان: [قتال الخوارج] في آخر كتاب السنة تحت الرقم: (٤٧٦٩) من سننه: ج ٤ ص ٢٤٥ دار الفكر بيروت.

(٢) رواه الديلمي ج في كتاب إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٢٧٦ ط بيروت.

القوم فإذا هم يريدون العبور فشد عليهم رجل يقال له معين أو مغيث فعرض رمحہ على القنطرة فرد القوم ثم إن علياً عليه السلام صاح بالقوم فتفتحوا قال ثم حملوا علينا فانهمزنا وهو واقف ثم التفت إلينا فقال ما هذا ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ قلنا أو ليس إلى الموت نساق قال شدوا الأضراس وأكثروا الدعاء واحملوا على القوم قال ففعلنا فو الله ما انتصف النهار ومنهم أحد يخبر عن أحد^(١).

قال فلما رأى الناس ذلك عجبوا من قوله فقال أيها الناس إن رسول الله ﷺ أخبرني أن في هؤلاء القوم رجلاً مخدج اليد فأقبل يسير حتى انتهينا إلى جوبة قتلى فقال ارفعوهم فرفعناهم فاستخرجنا الرجل فمددنا المخدجة فاستوت مع الصحيحة ثم خليناها فرجعت كما كانت.

فلما رأى الناس قد عجبوا قال أيها الناس إن فيه علامة أخرى في يده الصحيحة في بطن عضده مثل ركب المرأة قال فشفت ثوبا كان عليه بأسناني أنا والأصبع بن نباتة حتى رأيناه كما وصف وأراه الناس

بيان: الجوبة الحفرة

٦٢٢-ك: [الكافي] محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد عن علي بن الحكم عن أنبان بن عثمان عن يحيى بن أبي العلاء عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه و عليه قميص رقيق وحلة فلما نظروا إليه قالوا يا ابن عباس أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس فقال هذا أول ما أخاصمكم فيه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وقال الله عز وجل خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ^(٢).

٦٢٣-ك: [الكافي] العدة عن سهل عن محمد بن عيسى عن صفوان عن يوسف بن إبراهيم قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال إن عبد الله بن العباس لما بعثه أمير المؤمنين إلى الخوارج يوافقهم لبس أفضل ثيابه وتطيب بأطيب طيبه وركب أفضل مراكبه فخرج فوافقهم فقالوا يا ابن عباس بيننا أنت أفضل الناس إذ أتيتنا في لباس الجبابة و مراكبهم فتلا عليهم هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ فالبس وتكمل فإن الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال^(٣).

٦٢٤-تختص: [الإختصاص] محمد بن علي عن محمد بن الحسن عن العكلي الحرمازي عن صالح بن أسود بن صنعان الغنوي عن مسمع بن عبد الله البصري عن رجل قال^(٤):

٤٠٢
٣٣ لما بعث علي بن أبي طالب عليه السلام صمصعة بن صوحان إلى الخوارج قالوا له أرأيت لو كان علي معنا في موضعنا أ تكون معه قال نعم قالوا فأت إذا مقلد عليا دينك ارجع فلا دين لك فقال لهم صمصعة ويلكم ألا أقلد من قلد الله فأحسن التقليد فاضطلع بأمر الله صديقا لم يزل أو لم يكن رسول الله ﷺ إذا اشتدت الحرب قدمه في لهواتها فيطأ صماخها بأخصه ويخمد لهما بحدده مكدودا في ذات الله عنه يعبر رسول الله والمسلمون فأين تصرفون وأين تذهبون وإلى من ترغبون وعن تصدفون عن القمر الباهر والسراج الزاهر و صراط الله المستقيم وسبيل الله المقيم فأتلكم الله أني تؤفكون أفي الصديق الأكبر والغرض الأقصى ترمون طاشت عقولكم وغارت حلومكم وشاht وجوهكم لقد علوتم القلة من الجيل وباعدتم العلة من النهل أتستهدفون أمير المؤمنين عليه السلام وصي رسول الله ﷺ لقد سولت لكم أنفسكم خسرانا مبينا فبعدا وسحقا للكفرة الظالمين عدل بكم عن القصد الشيطان وعمي بكم عن واضح المحجة الحرمان.

(١) رواه فوات بن إبراهيم الكوفي في تفسير الآية: (٦) من سورة الأنفال من تفسيره ص ٥٠ ط ١.

(٢) رواها ثقة الإسلام الكليني ح. ورواها عنه السيّد الجرائي ح في تفسير الآية (٣٢) من سورة الأعراف من تفسير البرهان: ج ٢ ص ١١، ط ٢ وفي ح ٦ و ٧ من كتاب الرزي والتجمل من الكافي ج ٦، ص ٤٤١.

(٣) رواها ثقة الإسلام الكليني ح. ورواها عنه السيّد الجرائي ح في تفسير الآية (٣٢) من سورة الأعراف من تفسير البرهان: ج ٢ ص ١١، ط ٢ وفي ح ٦ و ٧ من كتاب الرزي والتجمل من الكافي ج ٦، ص ٤٤١.

(٤) رواه الشيخ المفيد رضوان الله عليه في أواسط كتاب الاختصاص ص ١٢١.

فقال له عبد الله بن وهب الراسبي نطقت يا ابن صوحان بشقشة بعير و هدرت فأطنبت في الهدير أبلغ صاحبك أنا مقاتلوه على حكم الله و التنزيل فقال عبد الله بن وهب أبياتا قال العكلي الحرمازي و لا أدري أهى له أم لغيره.
كسي تلزموا الحق وحده ونضربكم حتى يكون لنا الحكم
فإن تتبعوا حكم الإله يكن لكم وإذا فبان المشرفية محذم
فقال صعصعة كأنني أنظر إليك يا أخا راسب مرملا بدمائك يحجل الطير بأشلائك لا تجاب لكم داعية و لا تسمع منكم و اعية يستحل ذلك منكم إمام هدى قال الراسبي.

سيعلم اللئث إذا التقينا دور الرحى عليه أو علينا
أبلغ صاحبك أنا غير راجعين عنه أو يقر لله بكفره أو يخرج عن ذنبه فإن الله قابل التوب شديد العقاب و غافر الذنب فإذا فعل ذلك بذلنا المهج!!

فقال صعصعة عند الصباح يحمد القوم السري ثم رجع إلى علي صلوات الله عليه فأخبره بما جرى بينه و بينهم فتمثل علي ﷺ.

أراد رسولي الوقوف فراوحا يدا بيد ثم أسهما لي على السواء
يؤسا للمساكين يا ابن صوحان أما لقد عهد إلي فيهم و إني لصاحبهم و ما كذبت و لا كذبت و إن لهم أن يدور فيه رعى المؤمنين على المارقين فيا ويحها حتفا ما أبعداها من روح الله ثم قال:

إذا الخيل جالت في الفتى وتكشفت عوايب لا يسألن غير طعان
فكرت جميعا ثم فرق بينها سقى رمحه منها بأحمر قان
فتى لا يلاقي القرن إلا بصدره إذا أرعشت أحشاء كل جبان

ثم رفع رأسه و يده إلى السماء و قال اللهم اشهد ثلاثا قد أعذر من أنذر و بك العون و إليك المشتكى و عليك التكلان و إياك ندرأ في نهورهم أبى القوم إلا تماديا في الباطل و يأبى الله إلا الحق فأين يذهب بكم عن حطب جهنم و عن طيب المغنم و أشار إلى أصحابه و قال استعدوا لعدوكم فإنكم غالبوهم بإذن الله ثم قرأ عليهم آخر سورة آل عمران.

بيان: قوله يطاء صماخها بأخمصه الأخص من باطن القدم ما لم يبلغ الأرض و هو كناية عن الاستيلاء على الحرب و إذلال أهلها و لعل المكدود هنا بمعنى الكاد و الطيش الخفة و شاهت و جوهكم قبحت و العل الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعا و النهل محركة أول الشرب و استهدف له دنا منه و انتصب له و سيف حذم قاطع و يقال حجل الطائر كتصر و ضرب إذا نزا في مشيته أو بالخاء المعجمة ثم الجيم قال الجوهري الخجل سوء احتمال الغنى و في الحديث إذا شبعتن خجلتن أي أشرتن و بطرتن انتهى.

قوله عند الصباح يحمد القوم السري قال الميداني يضرب الرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة

٦٢٥- ختص: [الإختصاص] المعلی بن محمد البصري عن بسطام بن مرة عن إسحاق بن حسان عن الهيثم بن واقد عن علي بن الحسن العبدي عن ابن طريف عن ابن نباتة قال أمرنا أمير المؤمنين ﷺ بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد و تخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالهيرة يسمى الخورنق فقالوا تنتزه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا عليا قبل أن يجمع فينا هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب فصادوه فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه فقالوا يا بعلوا هذا أمير المؤمنين فبايعه السبعة و عمرو ثامنهم و ارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة و أمير المؤمنين يخطب و لم يفارق بعضهم بعضا كانوا جميعا حتى نزلوا على باب المسجد^(١).

فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين ﷺ فقال يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ أسر إلي ألف حديث في كل حديث

ألف باب لكل باب ألف مفتاح وإني سمعت الله يقول يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ وإني أقسم لكم بالله ليعثن يوم القيامة ثمانية نفر بإمامهم وهو ضب و لو شئت أن أسميهم فعلت قال فلو رأيت عمرو بن حريث سقط كما تسقط السفة وجيبا.

بيان: الوجيب الاضطراب

٦٢٦- أقول روى الشيخ أحمد بن فهد في المذهب، وغيره في غيره بأسانيدهم عن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال يوم النيروز هو اليوم الذي ظفر فيه أمير المؤمنين عليه السلام بأهل النهروان و قتل ذا الندية (١).

باب ٢٤ باب سائر ما جرى بينه وبين الخوارج سوى وقعة النهروان

٤٠٥ ٣٣- ٦٢٧- نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين وأعتقهم فلما طالبه بالمال خاس به و هرب إلى الشام:

قبح الله مصقلة فعل فعل السادة و فر فرار العبيد فما أنطق مادحة حتى أسكنته و لا صدق واصفه حتى يكته و لو أقام لأخذنا ميسوره و انتظرنا بماله و فوره.

٤٠٦ ٣٣- ٦٢٨- توضيح: قال ابن أبي الحديد في شرح النهج، [نهج البلاغة] روى إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات و وجدته في أصل الكتاب أيضا عن الحارث بن كعب الأزدي عن عمه عبد الله بن قعين (٢) قال كان الخريت بن راشد أحد بني ناجية قد شهد مع علي عليه السلام صفين فجاء إليه عليه السلام بعد انقضاء صفين و بعد تحكيم الحكمين في ثلاثين من أصحابه يمشي بينهم حتى قام بين يديه فقال لا والله لا أطيع أمرك و لا أصلي خلفك و إني غدا لمفارق لك. فقال له علي عليه السلام ثكلتك أمك إذا تنقض عهدك و تعصي ربك و لا تضر إلا نفسك أخبرني لم تفعل ذلك قال لأنك حكمت في الكتاب و ضعفت عن الحق إذ جد الجد و ركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك راد و عليهم ناقم و لكم جميعا مباين!!.

فقال له علي عليه السلام ويحك هلم إلي أدارسك و أنظرك في السنن و أفاتحك أمورا من الحق أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف ما أنت الآن له منكر و تبصر ما أنت الآن عنه غافل و به جاهل فقال الخريت فأنا غاد عليك غدا فقال عليه السلام اغد إلي و لا يستهوينك الشيطان و لا يقتحم بك رأي السوء و لا يستخفنك للجهلات الذين لا يعملون فو الله إن استرشدتني و استصحتني و قبلت مني لأهديك سبيل الرشاد.

فخرج الخريت من عنده منصرفا إلى أهله.

٤٠٧ ٣٣- قال عبد الله بن قعين فعجلت في أثره مسرعا لأنصحته و أستعلم خبره فرأيته رجع إلى أصحابه و قال لهم يا هؤلاء إني قد رأيت أن أفارق هذا الرجل فنصحت ابن عمه و رجعت إلى بيتي فلما أصبحت و ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين عليه السلام و أخبرته خبره فقال عليه السلام دعه فإن قبل الحق و رجع عرفنا له ذلك و قبلناه منه فقلت له يا أمير المؤمنين فلم لا تأخذه الآن فتستوثق منه فقال إنا لو فعلنا هذا بكل من تنهم من الناس ملأنا السجون منهم و لا أراني يسعني الوثوب بالناس و الحبس لهم و عقوبتهم حتى يظهروا لي الخلاف فقال لي سرا اذهب إلى منزل الرجل فاعلم ما فعل فأتيت منزله فإذا ليس في منزله و لا منزل أصحابه داع و لا مجيب.

(١) رواه السيد الرضوي رفع الله مقامه في المختار: (٤٤) من كتاب نهج البلاغة. وله مصادر أخر يجد الباحث بعضها في المختار: (٢٩٩) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٨٦ ط ١.

(٢) كذا في أصلي فيه وما يأتي بعد ذلك، ومثله في كتاب الغارات وشرح ابن أبي الحديد. وفي تاريخ الطبري في جميع الموارد: «عبد الله بن قعيم الأزدي» وفي بعض الموارد لم يذكر لفظ «الأزدي».

فأقبلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام بقصتهم فلما أخبرته عليه السلام قال أبعدهم الله كما بعدت ثمود أما والله لو قد أشرعت لهم الأسنة وصبت على هامهم السيوف لقد ندموا إن الشيطان قد استهواهم وأضلهم وهو غدا متبرئ منهم ومخل عنهم. فقام إليه زياد بن خصفة^(١) فقال يا أمير المؤمنين إنه لو لم يكن من مضرة هؤلاء إلا فراقهم إيانا لم يعظم فقدهم علينا ولتنا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك فائذن لي في اتباعهم حتى نردهم عليك إن شاء الله.

فقال له عليه السلام فأخرج آثارهم رشيدا ثم قال أخرج رحلك الله حتى تنزل دير أبي موسى ثم لا تبرحه حتى يأتيك أمري وسأكتب إلى من حولي من عمالي فيهم فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من العمال أما بعد فإن رجلا لنا عندهم تبعة خرجوا هربا نظنهم خرجوا نحو بلاد البصرة فسل عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك ثم اكتب إلي بما ينتهي إليك عنهم.

فخرج زياد بن خصفة حتى أتى داره وجمع أصحابه وأخذ معه مائة وثلاثين رجلا وخرج حتى أتى دير أبي موسى. وروى بإسناده عن عبد الله بن وال التيمي قال إني لعند أمير المؤمنين عليه السلام إذا بيع^(٢) قد جاءه يسعى بكتاب من قرظة بن كعب الأنصاري وكان أحد عماله يخبره بأن خيلا مرت من قبل الكوفة متوجهة نحو نفر وأن رجلا من دهاقين أسفل الفرات قد أسلم وصلى يقال له زاذان فروخ فلقوه فقالوا له أسلم أنت قال نعم قالوا فما تقول في علي قال أقول إنه أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البشر وصي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا كفرت يا عدو الله ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه بأسيا ففهم وأخذوا معه رجلا من أهل الذمة يهوديا فقالوا خلوا سبيلا هذا لا سبيلا لكم عليه. فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

أما بعد فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة التي مرت بعملك فقتلت البر المسلم وأمن عندهم المخالف المشرك وإن أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلوا كالذين حَسِبُوا أَنَّهُمْ لَنَنْتَهُمْ فَعَمُوا وَصَمُّوا فَاسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَحْشُرُ أَعْمَالَهُمْ فَالْزِمْ عَمَلَكِ وَأَقْبِلْ عَلَى خُرَاجِكَ فَإِنَّكَ كَمَا ذَكَرْتَ فِي طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ وَالسَّلَامُ. وكتب عليه السلام إلى زياد بن خصفة:

أما بعد فقد كنت أمرتك أن تنزل دير أبي موسى حتى يأتيك أمري وذلك أني لم أكن علمت أين توجه القوم وقد بلغني أنهم أخذوا نحو قرية من قرى السواد فاتبع آثارهم وسل عنهم فإنهم قد قتلوا رجلا من أهل السواد مسلما مصليا فإذا أنت لحقت بهم فارددهم إلي فإن أبوا فناجزهم واستعن بالله عليهم فإنهم قد فارقوا الحق وسفكوا الدم الحرام وأخافوا السبيل والسلام.

قال عبد الله بن وال فأخذت الكتاب منه عليه السلام وأنا يومئذ شاب حدث فاستأذنته أن أذهب معه إلى العدو فأذن ودعا لي فأتيت بالكتاب إليه ثم خرجنا حتى أتينا الموضع الذي كانوا فيه فسلنا عنهم فقتل أخذوا نحو المدائن ولحقنا بالمدائن فقال زياد لرئيسهم ما الذي نقت على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا قال لم أرض بصاحبكم إماما ولم أرض بسيرتكم سيرة فرأيت أن أعترل وأكون مع من يدعو إلى الشورى من الناس فإذا اجتمع الناس على رجل هو لجميع الأمة رضا كنت مع الناس.

فقال زياد ويحك وهل يجتمع الناس على رجل يداني عليا عالما بالله وبكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله مع قرابته وسابقته في الإسلام فقال له الخريت هو ما أقول لك فقال زياد فقيم قتلتم الرجل المسلم فقال الخريت ما أنا قتلته إنما قتلته طائفة من أصحابي قال فادفعهم إلينا قال ما إلى ذلك من سبيل قال أو هكذا أنت فاعل قال هو ما تسمع. قال فدعونا أصحابنا ودعا الخريت أصحابه ثم أقتلنا فو الله ما رأيت قتالا مثله منذ خلقتني الله لقد تطاعنا

(١) كذا في كتاب الغارات وشرح ابن أبي الحديد وتاريخ الطبري. وفي طبع الكماني من البحار ما هنا وما يليه جميعا: «ابن خصفة».

(٢) كذا في أصلي من البحار. وفي الغارات وتاريخ الطبري وشرح ابن أبي الحديد: «فُتِحَ».

أقول: هو معرب: «يتك» بمعنى الرسول والبريد، ويعبر عنه أيضا: «يُيام أور» أو «يُيام أور».

بالرماح حتى لم يبق في أيدينا رمح ثم اضطربنا بالسيف حتى انحنت وعقرت عامة خيلنا وخيلهم وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم وقتل منا رجلا من مولى لزياد كانت معه رأيته يدعى سويدا ورجل آخر يدعى واقدا وصرع منهم خمسة نفر وحال الليل بيننا وبينهم فقد والله كرهونا وكرهناهم وهزمونا وهزمناهم وجرح زياد وجرح ثم إنا بتنا في جانب وتنحوا فمكثوا ساعة من أول الليل ثم مضوا فذهبوا وأصبحنا فوجدناهم قد ذهبوا فوالله ما كرهنا ذلك فمضينا حتى أتينا البصرة وبلغنا أنهم أتوا الأهواز فنزلوا في جانب منها وتلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مائتين فأقاموا معهم.

وكتب زياد إلى علي عليه السلام أما بعد فإننا لقينا عدو الله الناجي وأصحابه بالمدائن فدعوناهم إلى الهدى والحق والكلمة السواء فتولوا عن الحق وأخذتهم العيرة بالأنثى وزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْنَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَقصدونا وصدنا صمدهم فافتلنا قتالا شديدا ما بين قائم الظهر إلى أن أذكرت الشمس واستشهد منا رجلا من صالحان وأصيب منهم خمسة نفر وخلصوا لنا المعركة وقد فشت فينا وفيهم الجراح ثم إن القوم لما أدركوا الليل خرجوا من تحتهم متتكرين إلى أرض الأهواز وقد بلغني أنهم نزلوا منها جانبا ونحن بالبصرة ندأوي جراحنا وننتظر أمرك رحمك الله والسلام.

فلما أتاه الكتاب قرأه على الناس فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال أصلحك الله يا أمير المؤمنين إنما كان ينبغي أن يكون مكان كل رجل من هؤلاء الذين بعثتهم في طلبهم عشرة من المسلمين فإذا لحقهم استأصلوا شافتهم وقطعوا دابرهم.

فقال عليه السلام له تجهز يا معقل إليهم وندب معه ألفين من أهل الكوفة فيهم يزيد بن المعقل^(١) وكتب إلى عبد الله بن العباس بالبصرة.

أما بعد فابعت رجلا من قبلك صليبا شجاعا معروفا بالصلاح في ألقى رجل من أهل البصرة فليتبع معقل بن قيس فإذا خرج من أرض البصرة فهو أمير أصحابه حتى يلقي معقلا فإذا لقيه فمعقل أمير الفريقين فليسمع منه وليطعه ولا يخالفه و مر زياد بن خصفة فليقبل إلينا فنعم المرء زياد ونعم القبيل قبيلته^(٢) وكتب عليه السلام إلى زياد:

أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به الناجي وأصحابه الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْنَاهُمْ فَهم حيارى عمهون يَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِبُونَ صُنْعًا وَصفت ما بلغ بك وبهم الأمر فأما أنت وأصحابك سعيكم وعليه جزاؤكم وأسر ثواب الله للمؤمن خير له من الدنيا التي يقتل الجاهلون أنفسهم عليها ف ما عِنْدَكُمْ يَنْقُذُ ﴿وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

و أما عدوكم الذين لقيتم^(٣) فحسبهم خروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلالة و ردهم الحق و جماعهم في التيه فَذَرَهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ وَ دَعِهِمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَقْمَهُونَ فَ أَشْمَعُ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ فَكَأَنَّكَ بِهِمْ عن قليل بين أسير وقيل فأقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين فقد أطعتم وسمعت وأحسنتم البلاء والسلام.

قال و نزل الناجي جانبا من الأهواز واجتمع إليه علوج كثير من أهلها ممن أراد كسر الخراج ومن اللصوص و طائفة أخرى من الأعراب ترى رأيه .

قال إبراهيم و روي عن عبد الله بن قعين قال كنت أنا وأخي كعب في ذلك الجيش مع معقل فلما أراد الخروج أتاه عليه السلام يودعه فقال له يا معقل بن قيس اتق الله ما استطعت فإنها وصية الله للمؤمنين لا تبغ على أهل القبلة ولا تظلم أهل الذمة ولا تتكبر فإن الله لا يحب المتكبرين.

فقال معقل الله المستعان فقال علي عليه السلام هو خير مستعان.

ثم قام معقل فخرج وخرجنا معه حتى نزل الأهواز فأقمنا أياما حتى بعث ابن عباس خالد بن معدان مع جيش البصرة فدخل على صاحبنا وسلم عليه بالإمرة واجتمعا جميعا في عسكر واحد ثم خرجنا إلى الناجي وأصحابه فأخذوا يرتفعون نحو جبال راهمزم يريدون قلعة بها حصينة فلحقناهم و قد دنوا من الجبل فصففنا لهم ثم أقبلنا نحوهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل وعلى ميسرته منجاب بن راشد.

(١) ومثله في شرح نهج البلاغة وتاريخ الكامل لابن الأثير وفي تاريخ الطبري: «يزيد بن المعقل الأزدي».

(٢) كذا في أصلي، في جميع المصادر، «ونعم القبيل قبيله».

(٣) كذا في أصلي وشرح ابن أبي الحديد، وفي تاريخ الطبري: «لقيتموهم».

ووقف الناجي بمن معه من العرب فكانوا ميمنة وجعل أهل البلد والعلوج ومن أراد كسر الخراج وجماعة من الأكراد ميسرة.

و سار فينا معقل يحرضنا ويقول يا عباد الله لا تبدءوا القوم و غصوا الأبصار و أقلوا الكلام و وطنوا أنفسكم على الطعن و الضرب و أبشروا في قتالهم بالأجر العظيم إنما تقاتلون مارقة مرقت و علوجا منعوا الخراج و لصوصا و أكرادا فما تنتظرون فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد.

قال فمر في الصف يكلمهم يقول هذه المقالة حتى إذا مر بالناس كلهم أقبل فوقف وسط الصف في القلب. ونظرنا إليه ما يصنع فحرك رأيتهم تحريكتين ثم حمل في الثالثة و حملنا معه جميعا فو الله ما صبروا لنا ساعة حتى ولو انهزموا و قتلنا سبعين عربيا من بني ناجية و من بعض من اتبعه من العرب و نحو ثلاثمائة من العلوج و الأكراد. و خرج الخريت منهزما حتى لحق بسيف من أسياف البحر و بها جماعة من قومه كثير فما زال يسير فيهم و يدعوهم إلى خلاف علي عليه السلام و يزين لهم فراقه و يخبرهم أن الهدى في حربه و مخالفته حتى اتبعه منهم ناس كثير. و أقام معقل بن قيس بأرض الأهواز و كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح و كنت أنا الذي قدم بالكتاب عليه و كان في الكتاب.

لعبد الله علي أمير المؤمنين من معقل بن قيس بأرض الأهواز و كتب إلى أمير المؤمنين.

لعبد الله علي أمير المؤمنين من معقل بن قيس سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنا لقينا المارقين و قد استظفروا علينا بالمشركين قتلنا منهم ناسا كثيرا و لم نعد فيهم سيرتك لم تقتل منهم مدبرا و لا أسيرا و لم تدفع منهم على جريح و قد نصرك الله و المسلمين و الحمد لله رب العالمين.

قال فلما قدمت بالكتاب على علي عليه السلام قرأه على أصحابه و استشارهم في الرأي فاجتمع رأي عاتمهم على قول واحد قالوا نرى أن نكتب إلى معقل بن قيس يتبع آثارهم و لا يزال في طلبهم حتى يقتلهم أو ينفيهم من أرض الإسلام فإنا لا نأمن أن يفسدوا عليك الناس قال فردني إليه و كتب معي:

أما بعد فالحمد لله على تأييده أوليائه و خذله أعداءه جزاك الله و المسلمين خيرا فقد أحسنتم البلاء و قضيتما ما عليكم فأسأل عن أخي بني ناجية فإن بلغك أنه استقر في بلد من البلدان فسر إليه حتى تقتله أو تنفيه فإنه لم يزل للمسلمين عدوا و للفاسقين وليا و السلام.

قال فأسأل معقل عن مسيره و المكان الذي انتهى إليه فنبئ بمكانه بسيف البحر بفارس و أنه أفسد من قبله من عبد القيس و من والاهم من سائر العرب و كان و قومه قد منعوا الصدقة عام صفين و منعوها في ذلك العام أيضا.

فسار إليهم معقل في ذلك الجيش من أهل الكوفة و البصرة فأخذوا على أرض فارس حتى انتهوا إلى أسياف البحر.

فلما سمع الخريت بمسيره أقبل على من كان معه من أصحابه ممن يرى رأي الخوارج فأسر إليهم أني أرى رأيكم وإن عليا ما كان ينبغي له أن يحكم الرجال في دين الله و قال للآخرين من أصحابه مسرا إليهم إن عليا قد حكم حكما ورضي به فخالف حكمه الذي ارتضاه لنفسه و هذا الرأي الذي خرج عليه من الكوفة و قال لمن يرى منع الصدقة شدوا أيديكم على صدقاتكم ثم صلوا بها أرحامكم و عودوا إن شئتم على فقرانكم فأرضى كل طائفة بضرب من القول.

و كان فيهم نصارى كثير أسلموا فلما رأوا ذلك الاختلاف قالوا و الله لديتنا الذي خرجنا منه خير و أهدى من دين هؤلاء الذين لا ينهائهم دينهم عن سفك الدماء و إخافة السبل فرجعوا إلى دينهم فلقى الخريت أولئك فقال ويحكم إنه لا ينجيكم من القتل إلا الصبر لهؤلاء القوم و لقتالهم أتدرون ما حكم علي فيمن أسلم من النصارى ثم رجع إلى النصرانية لا و الله لا يسمع له قولا و لا يرى له عذرا و لا دعوة و لا يقبل منه توبة و لا يدعو إليها و إن حكمه فيه أن يضرب عنقه ساعة يستمكن منه؟!

فما زال حتى خدعهم فاجتمع إليه ناس كثير و كان منكروا داهيا.

فلما رجع معقل قرأ على أصحابه كتابا من علي عليه السلام فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المسلمين و المؤمنين

والمارقين و النصارى و المرتدين سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و كتابه و البعث بعد الموت و افا بعهد الله و لم يكن من الخائنين أما بعد فإني أدعوكم إلى كتاب الله و سنة نبيه و أن أعمل فيكم بالحق و بما أمر الله تعالى به في كتابه فمن رجع منكم إلى رحله و كف يده و اعتزل هذا المارق الهالك المحارب الذي حارب الله و رسوله و المسلمين و سعى في الأرض فسادا فله الأمان على ماله و دمه و من تابعه على حربنا و الخروج من طاعتنا استعنا بالله عليه و جعلناه بيننا و بينه و كفى بالله وليا و السلام.

قال فأخرج معقل راية أمان فنصبها و قال من أتاهم من الناس فهو آمن إلا الخريت و أصحابه الذين نابذوا أول مرة.

فتفرق عن الخريت كل من كان معه من غير قومه.

و عبأ معقل أصحابه ثم زحف بهم نحوه و قد حضر مع الخريت جميع قومه مسلمهم و نصرانيهم و مانعو الصدقة منهم فجعل مسلميهم مينة و النصارى و مانعي الصدقة ميسرة.

و سار معقل يحرض أصحابه فيما بين المينة و الميسرة و يقول أيها الناس ما تدرون ما سيق إليكم في هذا الموقف من الأجر العظيم إن الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة و ارتدوا عن الإسلام و نكثوا البيعة ظلما و عدوانا إني شهيد لمن قتل منكم بالجنة و من عاش بأن الله يقر عينه بالفتح و الغنيمة.

٤١٥
٣٣

ففعل ذلك حتى مر بالناس أجمعين ثم وقف بالقلب برايته فحملت المينة عليهم ثم الميسرة و ثبتوا لهم و قاتلوا قتالا شديدا ثم حل هو و أصحابه عليهم فصبروا لهم ساعة.

ثم إن النعمان بن صهيان بصر الخريت فحمل عليه فضربه فصرعه عن فرسه ثم نزل إليه و قد جرحه فاختلعا بينهما ضربتين فقتله النعمان و قتل معه في المعركة سبعون و مائة و ذهب الباقيون في الأرض يميننا و شمالا.

و بعث معقل الخيل إلى رحالهم فسبا من أدرك فيها رجالا و نساء و صبيانا ثم نظر فيهم فمن كان مسلما خلاه و أخذ بيعته و خلى سبيل عياله و من كان ارتد عن الإسلام عرض عليه الرجوع إلى الإسلام أو القتل فأسلموا فخلى سبيلهم و سبيل عيالاتهم إلا شيخا منهم نصرانيا أبى فقتله.

و جمع الناس فقال أدوا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة فأخذ من المسلمين عقاليين و عمد إلى النصارى و عيالاتهم فاحتلمهم معه و أقبل المسلمون الذين كانوا معهم يشيعونهم فأمر معقل بردهم فلما ذهبوا لينصرفوا تصايحوا و دعا الرجال و النساء بعضهم إلى بعض قال فلقد رحمتهم رحمة ما رحمتها أحدا قبلهم و لا بعدهم.

و كتب معقل إلى علي عليه السلام أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين عن جنده و عن عدوهم أنا دفعا إلى عدونا بأسيايف البحر فوجدنا بها قبائل ذات حد و عدد و قد جمعوا لنا فدعوناهم إلى الجماعة و الطاعة و إلى حكم الكتاب و السنة و قرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين و رفعنا لهم راية أمان فالت طائفة منهم إلينا و ثبتت طائفة أخرى فقبلنا أمر التي أقبلت و صمدنا إلى التي أدبرت فضرب الله وجوههم و نصرنا عليهم فأما من كان مسلما فإننا مننا عليه و أخذنا بيعته لأمير المؤمنين و أخذنا منهم الصدقة التي كانت عليهم و أما من ارتد فعرضنا عليهم الرجوع إلى الإسلام و إلا قتلناهم فرجعوا إلى الإسلام غير رجل واحد فقتلناه.

٤١٦
٣٣

و أما النصارى فإننا سببناهم و أقبلنا بهم ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذمة كيلا يمنعوا الجزية و لا يجتروا على قتال أهل القبلة و هم للصغار و الذلة أهل رحمك الله يا أمير المؤمنين و أوجب لك جنات النعيم و السلام.

قال ثم أقبل بالأسارى حتى مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني و هو عامل لعلي عليه السلام على أردشيرخره و هم خمس مائة إنسان فيكبى إليه النساء و الصبيان و تصايح الرجال يا أبا الفضل يا حامل الثقل يا مأوى الضعيف و فكاك العناة امنن علينا فاشترنا و أعقتنا.

فقال مصقلة أقسم بالله لأتصدقن عليهم إن الله يجزي المتصدقين فبلغ قوله معقلا فقال و الله لو أعلمه قالها توجعا لهم و وجدا عليهم إزاء علي لضربت عنقه و إن كان في ذلك فناء بني تميم و بكر بن وائل.

ثم إن مصقلة بعث ذهل بن الحارث إلى معقل فقال بعني نصارى بني ناجية فقال أبيعكم بألف ألف درهم فأبى عليه فلم يزل يراوضه حتى باعه إياهم بخمسائة ألف درهم و دفعهم إليه و قال عجل بالمال إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال مصقلة أنا باعته الآن بصدر منه ثم كذلك حتى لا يبقى منه شيء.

و أقبل معقل إلى أمير المؤمنين ﷺ فأخبره بما كان من الأمر فقال أحسنت وأصبت ووقت.

وانتظر علي ﷺ مصقلة أن يبعث بالمال فأبطأ به وبلغ علياً ﷺ أن مصقلة خلى الأسارى ولم يسألهم أن يعينوه في فكك أنفسهم بشيء فقال ما أرى مصقلة إلا قد حمل حمالة ولا أراكم إلا وسترونه عن قريب مبلدحا ثم كتب إليه أما بعد فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف درهم فابعت بها إلي حين يأتيك رسولي وإلا فأقبل إلي حين تنظر في كتابي فإني قد تقدمت إلى رسولي أن لا يدعك ساعة واحدة تقم بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال والسلام.

فلما قرأ كتابه أتاه ﷺ بالكوفة فأقره أياما لم يذكر له شيئا ثم سأله المال فأدى إليه مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي ففر ولحق بمعاوية فلما بلغ ذلك علياً ﷺ قال ما له ترحه الله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر فلو عجز ما زدنا على حبسه فإن وجدنا له شيئا أخذناه وإن لم نجد له مالا تركناه.

ثم سار علي ﷺ إلى داره فهدمها وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعة لعلي ﷺ مناصحا فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى تغلب يقال له حلوان:

أما بعد فإني كلمت معاوية فيك فوعدك الكرامة ومناك الإمارة فأقبل ساعة تلقى رسولي والسلام.

فأخذه مالك بن كعب الأرحبي فسرّح به إلى علي ﷺ فأخذ كتابه فقرأه ثم قدمه فقطع يده فمات وكتب نعيم إلى مصقلة شعرا يتضمن امتناعه وتعبيره .

وحدثني ابن أبي سيف عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال قيل لعلي ﷺ حين هرب مصقلة أردد الذين سبوا ولم يستوف أثمانهم في الرق فقال ليس ذلك في القضاء بحق قد عتقوا إذا اعتقهم الذي اشتراهم وصار مالي ديناً على الذي اشتراهم .

قال إبراهيم وروى عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أنه لما بلغ علياً ﷺ مصاب بني ناجية و قتل صاحبهم قال هوت أمه ما كان أنقص عقله وأجرأه إنه جاءني مرة فقال إن في أصحابك رجلا قد خشيت أن يفارقوك فما ترى فيهم فقلت إني لا آخذ على التهمة ولا أعاقب على الظن ولا أقاتل إلا من خالفني وناصبني وأظهر العداوة لي ثم لست مقاتله حتى أدعوه وأعذر إليه فإن تاب ورجع قبلنا منه وإن أبى إلا الاعتزام على حربنا استعنا بالله عليه وناجزناه فكف عني ما شاء الله حتى جاءني مرة أخرى فقال لي إني خشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب وزيد بن حصين الطائي إني سمعتهم يذكرانك بأشياء لو سمعتهم لم تفارقهما حتى تقتلهم أو توثقهما فلا يزالان بمحبسك أبداً فقلت له إني مستشيرك فيهما فما ذا تأمرني به قال إني أمرك أن تدعوهما فتضرب رقابهما ففعلت أنه لا ورع له ولا عقل فقلت له والله ما أظن لك ورعا ولا عقلا لقد كان ينبغي لك أن تعلم أنني لا أقتل من لم يقاتلني ولم يظاهر لي عداوتيه بالذي كنت أعلمتكمه من رأيي حيث جئتني في المرة الأولى ولقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول لي اتق الله بم تستحل قتلهم ولم يقتلوا أحداً ولم ينادبوك ولم يخرجوا من طاعتك.

توضيح: قوله ﷺ أدركت الشمس لعله كناية عن الغروب أي أدركت مغربها كأنها تطلبه وفي بعض النسخ دلكت وهو أصوب.

قال في القاموس دلكت الشمس دلوكا غربت واصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء والسيف بالكسر ساحل البحر والجمع أسياف. والكر والنكراء والنكارة الدهاء والقفظة يقال رجل نكر كفرح وندب وجنب ومنكر كمكرم أي ذو نكرة والدهى جودة الرأي كالداهى يقال رجل داهية و داه قوله عقالين أي صدقة عامين قال الفيروز أبادي العقال ككتاب زكاة عام من الإبل وقال بلدح ضرب بنفسه الأرض ووعده ولم ينجز العدة.

وقال ابن الأثير في الكامل لما قتل أهل الهروان خرج أشرس بن عوف الشيباني على علي ﷺ بالدمسكرة في مائتين ثم سار إلى الأنبار فوجه إليه علي الأشرس بن حسان في ثلاثمائة فواقعه فقتل الأشرس في ربيع الآخر سنة ثمان و ثلاثين.

ثم خرج هلال بن علقمة من بني تيم الرباب و معه أخوه سجالد فأتى ماسندان فوجه إليه علي عليه السلام معقل بن قيس الرياحي فقتله و قتل أصحابه و هم أكثر من مائتين.

ثم خرج أشهب بن بشر و هو من بجيلة في مائة و ثمانين رجلا فأتى المعركة التي أصيب فيها هلال و أصحابه و صلى عليهم و دفن من قدر عليه منهم فوجه إليه علي عليه السلام جارية بن قدامة السعدي و قيل حجر بن عدي فأقبل إليهم الأشهب فاقتتلوا بجرجرايا فقتل الأشهب و أصحابه.

ثم خرج سعيد بن قفل التيمي في رجب بالبندنجين و معه مائتا رجل فأتى درزنجان و هي من المدائن على فرسخين فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم.

ثم خرج أبو مريم السعدي فأتى شهرزور و أكثر من معه من الموالي و قيل لم يكن معه من العرب غير ستة و أحدهم و اجتمع معه مائتا رجل و قيل أربعمائة و عاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة فأرسل إليهم علي عليه السلام يدعوه إلى بيعته و دخول الكوفة فلم يفعل و قال ليس بيننا غير الحرب فبعث إليهم شريح بن هانئ في سبعائة فحمل الخوار على شريح و أصحابه فانكشفوا و بقي شريح في مائتين فانحاز إلى قرية فتراجع إليه بعض أصحابه و دخل الباقون الكوفة.

فخرج عليه بن نفسه و قدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي فدعاهم جارية إلى طاعة علي و حذرهم القتل فلم يجيبوا و لحقهم علي عليه السلام أيضا فدعاهم فأبوا عليه و على أصحابه فقتلهم أصحاب علي عليه السلام و لم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فآمنهم و كان في الخوارج أربعون رجلا جرحي فأمر علي عليه السلام بإدخالهم الكوفة و مداواتهم حتى براءوا.

باب ٢٥ إبطال مذهب الخوارج و احتجاجات الأئمة عليهم السلام و أصحابهم عليهم السلام

٤٢١ ٣٣ ٦٢٩- قَب: [المناقب لابن شهر آشوب] في حلية الأولياء قال أبو مجر قال علي بن أبي طالب عليه السلام عابوا علي تحكيم الحكمين و قد حكم الله في طائر حكمين^(١).

إبانة أبي عبد الله بن بطة ناظر ابن عباس جماعة الحرورية فقال ما ذا نقتم على أمير المؤمنين قالوا ثلاثا أنه حكم الرجال في دين الله فكفر به و قاتل و لم يغنم و لم يسب و محي اسمه من إمرة المؤمنين.

فقال إن الله حكم رجلا في أمر الله مثل قتل صيد فقال يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ و في الإصلاح بين الزوجين قال وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُؤْا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حُكْمًا مِنْ أَهْلِهَا.

و أما أنه قاتل و لم يسب و لم يغنم أفتسيبون أمكم عائشة ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها فلتن فعلتم لقد كفرتم و هي أمكم و إن قتلتم ليست بأمتا فقد كذبتم لقوله و أَزْوَاجُ أَهْلَائِهِمْ.

و أما أنه محي اسمه من إمرة المؤمنين فقد سمعتم بأن النبي صلى الله عليه وآله أتاه سهيل بن عمرو و أبو سفيان للصلح يوم الحديبية فقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله القصة و الله لرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي و ما خرج من النبوة بذلك.

فقال بعضهم هذا من الذين قال الله تعالى ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ و قال ﴿وَتَنْذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ قال: و رجع منهم خلق كثير.

وناظر عبد الله بن يزيد الإباضي هشام بن الحكم قبل الرشيد فقال هشام إنه لا مسألة للخوارج علينا فقال

(١) رواه ابن شهر آشوب ح في عنوان: «الرد على الخوارج» قبيل العنوان: «فصل في مسائل وأجوبة» من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢٣٢ ط النجف.

الإباضي كيف ذاك قال لأنكم قوم قد اجتمعتم معا على ولاية رجل وتعديله والإقامة بإمامته وفضله ثم فارقتمونا في عداوته والبراءة منه فتحن على إجماعنا وشهادتكم لنا وخلافكم لنا غير قاذح في مذهبنا ودعواكم غير مقبولة علينا إذ الاختلاف لا يقابل بالاتفاق وشهادة الخصم لخصمه مقبولة وشهادته عليه مردودة غير مقبولة.

فقال يحيى بن خالد قد قرب قطعه ولكن جاره شيئا فقال هشام ربما انتهى الكلام إلى حد يغمض ويدق عن الألفهام والإنصاف بالواسطة والواسطة إن كان من أصحابي لم يؤمن عليه العصبية لي وإن كان من أصحابك لم أجبه في الحكم علي وإن كان مخالفا لنا جميعا لم يكن مأمونا علي ولا عليك ولكن يكون رجلا من أصحابي ورجلا من أصحابك فينظران فيما بيننا قال نعم فقال هشام لم يبق معه شيء.

ثم قال إن هؤلاء القوم لم يزالوا معنا على ولاية أمير المؤمنين حتى كان من أمر الحكمين ما كان فاكفروه بالتحكيم و ضلوه بذلك والآن هذا الشيخ قد حكم رجلين مختلفين في مذهبهما أحدهما يكفره والآخر يعدله فإن كان مصيبا في ذلك فأمر المؤمنين أولى بالصواب وإن كان مخطئا فقد أراحنا من نفسه بشهادته بالكفر عليها والنظر في كفره وإيمانه أولى من النظر في إكفاره عليها.

٤٢٣ فاستحسن الرشيد ذلك وأمر له بجائزة.

وقال الطائي للضحك الشاري لما خرج من الكوفة محكما وتسمى بإمرة المؤمنين لم تبرأتم من علي بن أبي طالب واستحلتم قتاله قال لأنه حكم في دين الله قال وكل من حكم في دين الله استحلتم قتله قال نعم قال فأخبرني عن الدين الذي جئت به أناظرك عليه لأدخل فيه معك إن علت حجتك حجتني قال فمن شهد للمصيب بصوابه لا بد لنا من عالم يحكم بيننا قال لقد حكمت يا هذا في الدين الذي جئت به أناظرك فيه قال نعم فأقبل الطائي على أصحابه فقال إن هذا صاحبكم قد حكم في دين الله فشأنكم به فضربوا الضحاك بأسيا فهم

٦٣٠-ق: (المناقب لابن شهر آشوب) لما قيل لأمر المؤمنين في الحكمين شككت قال أنا أولى بأن لا أشك في ديني أم النبي أو قال الله تعالى لرسوله ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

٦٣١-شي: [تفسير العياشي] عن يزيد بن رومان قال دخل نافع بن الأزرق المسجد الحرام والحسين بن علي مع عبد الله بن عباس في الحجر فجلس إليهما ثم قال يا ابن عباس صف لي إلهك الذي تعبد فأنطق ابن عباس طويلا مستبطنًا بقوله فقال له الحسين إلي يا ابن الأزرق المتورط في الضلالة المرتكس في الجهالة أجيبك عما سألت عنه فقال ما إياك سألت فتجيبني فقال له ابن عباس مه سل ابن رسول الله فإنه من أهل بيت النبوة ومعه من الحكمة فقال له صف لي فقال أصفه بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب غير ملزق و بعيد غير متقص يوحد ولا يبعض لا إله إلا هو الكبير المتعال.

قال فبكى ابن الأزرق بكاء شديدا فقال له الحسين ما يبكيك قال بكيت من حسن وصفك قال يا ابن الأزرق إني أخبرتك أنك تكفر أبي وأخي وتكفرني قال له نافع لئن قلت ذلك لقد كنتم الحكام ومعالم الإسلام فلما بدلتهم استبدلنا بكم فقال له الحسين يا ابن الأزرق أسألك عن مسألة فأجبنني عن قول الله لا إله إلا هو ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ إلى قوله ﴿كَانَ هُما﴾ من حفظ فيها قال أبوهما قال فأيهما أفضل أبوهما أم رسول الله و فاطمة قال لا بل رسول الله و فاطمة بنت رسول الله قال فما حفظنا حتى حال بيننا وبين الكفر.

فنهض ابن الأزرق ثم نفذ ثوبه ثم قال قد نبأنا الله عنكم معشر قريش أنتم قوم خصمون

٦٣٢-شي: [تفسير العياشي] عن إمام بن ربعي قال قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين فقال أخبرني عن قول الله ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ قال

أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم وابتدعوا في دينهم فحبطت أعمالهم و ما أهل النهر منهم بعيد^(١).

و عن أبي الطفيل قال منهم أهل النهر و في رواية أخرى عن أبي الطفيل أولئك أهل حروراء و عن عكرمة ٦٣٣-فس: [تفسير القمي] أبي عن ابن محبوب عن الثمالي عن أبي الربيع قال حججت مع أبي جعفر عليه السلام في السنة التي حج فيها هشام بن عبد الملك و كان معه نافع بن الأزرق مولى عمر بن الخطاب فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت و قد اجتمع عليه الناس فقال لهشام يا أمير المؤمنين من هذا الذي تكافأ عليه الناس قال هذا نبي أهل الكوفة هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم أفضل الصلوات و أكمل التحيات فقال نافع لآتينه و لأسأله عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي قال فاذهب إليه فأسأله لعلك تخجله فجاء نافع حتى اتكا على الناس فأشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال يا محمد بن علي إني قرأت التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان و قد عرفت حلالها و حرامها و قد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي فرفع أبو جعفر رأسه فقال سل عما بدا لك قال أخبرني كم كان بين عيسى و محمد من سنة فقال أخبرك بقولك أو بقولي قال أخبرني بالقولين جميعا قال أما في قلبي فخمسمائة سنة و أما قولك فست مائة سنة فقال أخبرني عن قول الله ﴿وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ من ذا الذي سأله محمد و كان بينه و بين عيسى خمسمائة قال فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا﴾ كان من الآيات التي أراها الله محمدا عليه السلام حيث أسرى به إلى بيت المقدس أنه حشر الله الأولين و الآخرين من النبيين و المرسلين ثم أمر جبرائيل عليه السلام فأذن شفعا و أقام شفعا و قال في إقامته حي على خير العمل ثم تقدم محمد عليه السلام فصلى بالقوم فلما انصرف قال الله له سل يا محمد مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ فقال رسول الله للرسول علام تشهدون و ما كنتم تعبدون قالوا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أنك رسول الله أخذت على ذلك عهدونا و موافقينا^(٢).

فقال نافع صدقت يا أبا جعفر فأخبرني عن قول الله تبارك و تعالى ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاءَاتُ﴾ أي أرض تبدل فقال أبو جعفر عليه السلام تبدل أرضنا بخبرة بيضاء يأكلون منها حتى يفرغ الله من حساب الخلائق فقال نافع إنهم عن الأكل لمشغولون فقال أبو جعفر عليه السلام أهم حينئذ أشغل أم و هم في النار فقال نافع بل و هم في النار قال فقد قال الله ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ما شغلهم أليم عذاب النار عن أن دعوا بالطعام فأطعموا الزقوم و دعوا بالشراب فسقوا الحميم!!

فقال صدقت يا ابن رسول الله و بقيت مسألة واحدة فقال و ما هي قال أخبرني عن الله متى كان قال ويسلك أخبرني متى لم يكن حتى أخبرك متى كان سبحانه من لم يزل و لا يزال فردا صمدا لم يتخذ صاحبة و لا ولدًا ثم قال يا نافع أخبرني عما أسألك عنه فقال هات يا أبا جعفر قال ما تقول في أصحاب النهروان فإن قلت إن أمير المؤمنين قتلهم بحق فقد ارتددت أي رجعت إلى الحق و إن قلت إنه قتلهم باطلا فقد كفرت.

قال فولي عنه و هو يقول أنت و الله أعلم الناس حقا حقا.

ثم أتى هشام بن عبد الملك فقال له ما صنعت قال دعني من كلامك هو و الله أعلم الناس حقا حقا و هو ابن رسول الله حقا حقا و يحق لأصحابه أن يتخذوه نبيا.

٦٣٤-ج: [الإحتجاج] عن الثمالي عن أبي الربيع مثله^(٣).

بيان: قال الفيروزآبادي كافأ دافعه.

(١) رواه العياشي ح في تفسير الآية: (١٠٣) من سورة الكهف من تفسيره.

ورواه عنه البحراني في تفسير الآية الكريمة من سورة الكهف من تفسير البرهان: ج ٢ ص ٤٩٥ ط ٣.

(٢) رواه علي بن إبراهيم ح في تفسير الآية: (٥٠) من سورة الأعراف من تفسيره.

ورواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه بسند آخر.

ورواه البحراني عنهما في تفسير الآية: (٥٠) من سورة الأعراف من تفسير البرهان: ج ٢ ص ٢١ ط ٣.

(٣) رواه الطبرسي ح في احتجاجات الإمام الباقر عليه السلام من كتاب الاحتجاج ص ٣٢٥ ط بيروت.

قوله ﷺ فقد كفرت أي لإنكار الخبر المتواتر عن النبي ﷺ أنه أمر أمير المؤمنين ﷺ بقتال الفرق الثلاث و أنه ساهم مارقين.

٦٣٥- ضه: [روضة الواعظين] شا: [الإرشاد] ج: [الإحتجاج] روي أن نافع بن الأزرق جاء إلى محمد بن علي بن الحسين فجلس بين يديه يسأله عن مسائل الحلال والحرام فقال له أبو جعفر ﷺ في عرض كلامه قل لهذه المارقة بما استحللتم فراق أمير المؤمنين ﷺ و قد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته و القرية إلى الله تعالى ينصرته فسيقولون لك إنه حكم في دين الله فقل لهم قد حكم الله تعالى في شريعة نبيه رجلين من خلقه فقال جل اسمه فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا وَ حَكَمَ رسول الله ﷺ سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم فيها بما أمضاه الله تعالى أو ما علمتم أن أمير المؤمنين إنما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن و لا يستعدياه واشترط رد ما خالف القرآن من أحكام الرجال و قال حين قالوا له حكمت على نفسك من حكم عليك فقال ما حكمت مخلوقا و إنما حكمت كتاب الله فإن تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن و اشترط رد ما خالفه لو لا ارتكابه في بدعتهم البهتان فقال نافع بن الأزرق هذا والله كلام لم يمر بمسمعي قط و لا خطر مني ببال و هو الحق إن شاء الله.

٤٢٨
٣٣

باب ما جرى بينه صلوات الله عليه و بين ابن الكواء و أضرابه لعنهم الله و حكم قتال الخوارج

بعده ﷺ

٦٣٦- ع: [علل الشرائع] ابن الوليد عن الصفار عن ابن هاشم عن ابن المغيرة عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه ﷺ قال ذكرت الحرورية عند علي بن أبي طالب ﷺ قال إن خرجوا من جماعة أو على إمام عادل فقاتلوهم إن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فإن لهم في ذلك مقالا^(١).

٤٢٩
٣٣

٦٣٧- فسي: [تفسير القمي] كان علي بن أبي طالب ﷺ يصلي و ابن الكواء خلفه و أمير المؤمنين ﷺ يقرأ فقال ابن الكواء «وَلَقَدْ أَوْجِبَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْطَطَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» فسكت أمير المؤمنين ﷺ حتى سكت ابن الكواء ثم عاد في قراءته حتى فعله ابن الكواء ثلاث مرات فلما كان في الثالثة قال أمير المؤمنين «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَحِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ».

٤٣٠
٣٣

٦٣٨- بيج: [الخرائج و الجرائع] روي أن ابن الكواء قال لعلي ﷺ أين كنت حيث ذكر الله أبا بكر فقال «نَانِي ائْتَيْنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ» فقال ﷺ وملك يا ابن الكواء كنت على فراش رسول الله ﷺ و قد طرح علي ريطته فأقبل علي قريش مع كل رجل منهم هراوة فيها شوكة فلم يصبروا رسول الله ﷺ فأقبلوا علي يضربوني حتى تنفط جسدي و أوثقوني بالحديد و جملوني في بيت و استوثقوا الباب بقفل و جاءوا بعجوز تحرس الباب فسمعت صوتا يقول يا علي فسكن الوجع فلن أجده و سمعت صوتا آخر يقول يا علي فإذا الحديد الذي علي قد تقطع ثم سمعت صوتا يا علي فإذا الباب فتح و خرجت و العجوز لا تعقل^(٢).

بيان: قال في القاموس الربطة كل ملاء غير ذات لفقين كلها نسج واحد و قطعة واحدة أو كل ثوب لين رقيق و الهراوة بالكسر العصا و النفطة الجذري و البثرة.

(١) رواه الشيخ الصدوق ح في الحديث: (٧١) من باب نوادر العلل - وهو الباب الأخير - من كتاب علل الشرائع: ج ٢ ص ٦٠٣.

(٢) وقريبا منه جداً رواه السيد الرضي ح في كتاب الخصائص.

ورواه عنه السيد البحراني في الحديث (٦) من تفسير الآية: (٤١) من سورة التوبة من تفسير البرهاني: ج ٢ ص ١٢٦.

٦٣٩- يب: [تهذيب الأحكام] الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن عليا كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكواء وهو خلفه ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَأَنْصَتَ عَلَيَّ عَلَيْهِ تَعْظِيمًا لِلْقُرْآنِ حَتَّى فَرَعَ مِنَ الْآيَةِ ثُمَّ عَادَ فِي قِرَاءَتِهِ ثُمَّ أَعَادَ ابْنَ الْكَوَاءِ الْآيَةَ فَأَنْصَتَ عَلَيَّ أَيْضًا ثُمَّ قَرَأَ فَأَعَادَ ابْنَ الْكَوَاءِ فَأَنْصَتَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يُسْتَعْجَلُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» ثُمَّ أَمَّ السُّورَةَ ثُمَّ رَكَعَ (١).

٦٤٠- نهج: [نهج البلاغة] من كلام له عليه السلام قال للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض إليه بصره ثم قال له عليه السلام وما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاحقين حائك ابن حائك منافق ابن كافر والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى فما فذاك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وإن امرأ دل على قومه السيف وساق إليهم الحنف لحري أن يعمته الأقرب ولا يأمنه الأبعد (٢).

قال السيد رضي الله عنه يريد أنه أسر في الكفرة مرة وفي الإسلام مرة. وأما قوله دل على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد وكان قومه يسمونه بعد ذلك عرف النار وهو اسم للغادر عندهم.

بيان قال الشراح الكلام الذي اعترضه الأشعث أنه عليه السلام كان يذكر في خطبته أمر الحكيمين فقام رجل من أصحابه وقال له نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا به فما ندري أي الأمرين أرشد فصفق عليه إحدى يديه على الأخرى وقال هذا جزء من ترك العقدة وكان مراده عليه السلام هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم فظن الأشعث أنه عليه السلام أراد هذا جزائي حيث تركت الحزم والرأي.

وقيل كان مراده عليه السلام هذا جزائي حيث وافقتمكم على ما ألزمتوني من التحكيم وكان موافقته عليه السلام لهم خوفا منهم على أن يقتلوه فجهل الأشعث أو تجاهل أن المصلحة قد ترك لأمر أعظم منها فاعترضه. قوله عليه السلام حائك ابن حائك قيل كان الأشعث وأبوه ينسجان برود اليمن.

وقيل إنه كان من أكابر كنده وأبناء ملوكها وإنما عبر عنه عليه السلام بذلك لأنه كان إذا مشى يحرك منكبيه ويفتح بين رجليه وهذه المشية تعرف بالحيكة وعلى هذا فلعل الأقرب أنه كناية عن نقصان عقله. وذكر ابن أبي الحديد (٣) أن أهل اليمن يعيرون بالحيكة وليس هذا مما يخص الأشعث.

وأما التعبير بالحيكة فقيل إنه لنقصان عقولهم وقيل لأنه مظنة الخيانة والكذب.

ويمكن أن يكون المراد بالحيكة نسج الكلام فيكون كناية عن كونه كذابا. كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه ذكر عنده عليه السلام أن الحائك ملعون فقال إنما ذاك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله. قوله عليه السلام أسرك إلى قوله فما فذاك أي ما نجاك من الوقوع فيها مالك ولا حسبك.

ولم يرد الفداء الحقيقي فإن مرادا قتل أباه خرج الأشعث طالبا بدمه فأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير وهذا هو المراد بأسره في الكفر.

وأما أسره في الإسلام فإنه لما قبض رسول الله ﷺ ارتد بحضرموت ومنع أهلها تسليم الصدقة فبعث أبو بكر إليه زياد بن لبيد ثم أرفده بعكرمة بن أبي جهل في جم غفير من المسلمين فقاتلهم الأشعث بقبائل كنده قتالا شديدا فالتجأ بقومه إلى حصنهم وبلغ بهم جهد العطش فبعث إلى زياد يطلب منه الأمان لأهله ولبعض قومه ولم يطلبه لنفسه فلما نزل أسره زياد وبعث به مقيدا إلى أبي بكر فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته أم فروة.

قوله عليه السلام دل على قومه قال ابن ميثم إشارة إلى غدره بقومه فإن الأشعث لما طلب الأمان من زياد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظن الباقون أنه طلبه لجميعهم فنزلوا على ذلك الظن فلما دخل

(١) رواه الشيخ الطوسي ح في الحديث: (٣٩) من «باب أحكام الجماعة» من كتاب الصلاة من التهذيب: ج ٣ ص ٣٦ ط النجف.

(٢) رواه السيد الرضوي رضوان الله عليه في المختار: (١٩) من كتاب نهج البلاغة.

(٣) ذكره وما بعده ابن أبي الحديد في شرح المختار: (١٩) من نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٣٩ ط الحديث ببيروت.

زيد الحصن ذكره الأمان فقال إن الأشعث لم يطلب الأمان إلا لعشرة من قومه فقتل منهم من قتل حتى وافاه كتاب أبي بكر بالكف عنهم وحملهم إليه فحملهم.

وقال ابن أبي الحديد فيما ذكره السيد لم تعرف في التواريخ هذا ولا شبهه وأين كندة والبيامة كندة باليمن والبيامة لبني حنيفة ولا أعلم من نقله أين السيد رضي الله عنه

٦٤١- نهج: [نهج البلاغة] وقال ﷺ لما قتل الخوارج قليل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم فقال ﷺ كلا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء وكلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلايين^(١).

توضيح: القرار والقرارة بالفتح ما قر فيه شيء وسكن والمراد هنا الأرحام ونجم كنصر ظهر وطلع والقرن كناية عن الرئيس وهو في الإنسان موضع قرن الحيوان من رأسه وقطع القرن استئصال رؤسائهم وقتلهم واللصوص بالضم جمع لص مثلثة والسلب الاختلاس.

روي أن جماعة من الخوارج لم يحضروا القتال ولم يظفر بهم أمير المؤمنين ﷺ وأما المفلتون من القتل فانهزم اثنان منهم إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى تل موزن فظهرت بدعهم في البلاد وصاروا نحو من عشرين فرقة.

٤٣٤
٣٣ وكبارها ست الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق وهم أكبر الفرق غلبوا على الأهواز وبعض بلاد فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير.

والنجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي.

والبيهسية أصحاب أبي يهيس هيصم بن جابر وكان بالحجاز وقتل في زمن الوليد.

والعجاردة أصحاب عبد الكريم بن عجرة.

والإباضية أصحاب عبد الله بن إباض قتل في أيام مروان بن محمد.

والثعالبة أصحاب ثعلبة بن عامر.

وتفصيل خرافاتهم مذكور في كتب المقالات.

٦٤٢- نهج: [نهج البلاغة] وقال ﷺ في الخوارج لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه يعني معاوية وأصحابه^(٢).

بيان: لعل المراد لا تقتلوا الخوارج بعدي ما دام ملك معاوية وأضرابه كما يظهر من التعليل وقد كان يسبه ﷺ ويبرأ منه في الجمع والأعياد ولم يكن إنكاره للحق عن شبهة كالخوارج ولم يظهر منهم من الفسوق ما ظهر منه ولم يكن مجتهدا في العبادة وحفظ قوانين الشرع مثلهم فكان أولى بالجهاد.

٦٤٣- نهج: [نهج البلاغة] روي أنه ﷺ كان جالسا في أصحابه إذ مرت به امرأة جميلة فرمها القوم بأبصارهم فقال ﷺ (٣).

إن أبصار هذه الفحول طوامع وإن ذلك سبب هبابها فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أهله فإنما هي امرأة كأمراه. فقال رجل من الخوارج قاتله الله كافرا ما أقفه فوثب القوم ليقتلوه فقال ﷺ رويدا إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب.

بيان: فلمح بصره امتد وعلا ذكره في النهاية وقال هب التيس أي هاج للسفاد يقال هب يهب هيبا وهبابا.

٦٤٤- كتاب الغارات، لإبراهيم بن محمد الثقفي عن زيد بن وهب قال قدم علي عليه السلام وفد من أهل البصرة فيهم رجل من رؤساء الخوارج يقال له الجعد بن نجعة وقال له في لباسه فقال هذا أبعد لي من الكبر وأجدر أن يقتدي

(١) رواه السيد الرضوي رضوان الله عليه في المختار: (٦٠) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيد الرضوي ح في المختار: (٦١) من كتاب نهج البلاغة.

(٣) رواه السيد الرضوي رفع الله مقامه في المختار: (٤٢٠) من باب قصار كلام أمير المؤمنين ﷺ من نهج البلاغة.

بي المسلم فقال له اتق الله فإنك ميت قال ميت بل والله قتلنا ضربة على هذه تخضب هذه قضاء مقضيا و عهدا معهودا وَ قَدْ خَابَ مَنْ أَقْتَرَى.

باب ٢٧ باب ما ظهر من معجزاته بعد رجوعه صلوات الله عليه من قتال الخوارج

٦٤٥- ما: (الأمالي للشيخ الطوسي) المفيد عن علي بن بلال عن إسماعيل بن علي الخزاعي عن أبيه عن عيسى بن حميد الطائي عن أبيه عن علي بن الحسين بن علي بن الحسين عن أبيه قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ^{٤٣٧} (١):
 إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس إنها الزوراء فسيروا و جنبوا عنها فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة فلما أتى موعدا من أرضها قال ما هذه الأرض قيل أرض نجرنا فقال أرض سبخا جنبوا و يمنوا فلما أتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة فقال له يا راهب أنزل هاهنا فقال له الراهب لا تنزل هذه الأرض بهيشك قال و لم قال لأنه لا ينزلها إلا نبي أو وصي نبي بهيشه يقاتل في سبيل الله عز و جل هكذا نجد في كتبنا فقال أمير المؤمنين عليه السلام فأنا وصي سيد الأنبياء و سيد الأوصياء فقال له الراهب فأنت إذن أصلع قرش و وصي محمد عليه السلام فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أنا ذلك فنزل الراهب إليه فقال خذ على شرائع الإسلام إنني وجدت في الإنجيل نعتك و أنك تنزل أرض برائا بيت مريم و أرض عيسى عليه السلام فقال أمير المؤمنين عليه السلام قف و لا تخبرنا بشيء ثم أتى موعدا فقال الكزوا هذا فلكزه برجله عليه السلام فانبجست عين خراة فقال هذه عين مريم التي انبعت لها ثم قال اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعا فكشف فإذا بصخرة بيضاء فقال عليه السلام على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها و صلت هاهنا فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرة و صلى إليها و أقام هناك أربعة أيام يتم الصلاة و جعل الحرم في خيمة من الموضع على دعوة ثم قال أرض برائا بيت مريم عليه السلام هذا الموضع المقدس صلى فيه الأنبياء قال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام و لقد وجدنا أنه صلى فيه إبراهيم قبل عيسى عليه السلام

توضيح: قال الفيروز آبادي في القاموس الزوراء دجلة و بغداد لأن أبوابها الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة و البعيدة من الأراضي و قال الصلح محرقة انحسار شعر مقدم الرأس و قال برائا قرية من نهر الملك أو محلة عتيقة بالجانب الغربي و جامع برائا معروف و الكز الدفع بالكف استعمل هنا مجازا في الضرب بالرجل.

و قال في النهاية فيه و إذا بعين خراة أي كثيرة الجريان.

قوله على دعوة أي مقدار ما يسمع دعاء رجل رجل

٦٤٦- يب: [تهذيب الأحكام] روى جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال صلى بنا علي عليه السلام ببرائا بعد رجوعه من قتال الشراة و نحن زهاء مائة ألف رجل فنزل نصراني من صومعته فقال أين عميد هذا الجيش فقلنا هذا فأقبل إليه فسلم عليه ثم قال يا سيدي أنت نبي قال لا النبي سيدي قد مات قال فأنت وصي نبي قال نعم ثم قال اجلس كيف سألت عن هذا قال إنما بنيت هذه الصومعة من أجل الموضع و هو برائا و قرأت في الكتب المنزلة أنه لا يصلي في هذا الموضع بهذا الجمع إلا نبي أو وصي نبي و قد جئت أن أسلم فأسلم و خرج معنا إلى الكوفة فقال له علي عليه السلام فمن صلى ها هنا قال صلى عيسى ابن مريم و أمه فقال له عليه السلام فأفيدك من صلى هاهنا قال نعم قال الخليل عليه السلام ^{٤٣٩} (٢).

(١) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٤٢) من الجزء (٧) من أماليه: ج ١، ص ٢٠٢ ط بيروت.

ورواه أيضاً ابن شهر آشوب على وجوه في عنوان: «إخباره عليه السلام بالغيب» من مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) رواه الشيخ في التهذيب، ج ٣، ص ٢٦٤، ط النجف.

بيان: قال الجوهرى الشراة الخوارج الواحد شار سوا بذلك لقولهم إنا شربنا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة حين فارقتنا الأئمة الجائرة و قال هم زهاء مائة أي قدر مائة و قال عميد القوم وعمودهم سيدهم.

٦٤٧- كنز: [كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات الظاهرة] محمد بن العباس عن أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن عبد الله بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي المقدم: عن جويرية بن مسهر قال أقبلنا مع أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعد قتل الخوارج حتى إذا صرنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر فنزل أمير المؤمنين عليه السلام و نزل الناس فقال أيها الناس إن هذه أرض ملعونة و قد عذبت من الدهر ثلاث مرات و هي إحدى المؤتفكات و هي أول أرض عبد فيها وثن و إنه لا يحل لنبي و لا وصي نبي أن يصلي بها فأمر الناس فمالوا إلى جنبي الطريق يصلون و ركب بغلة رسول الله فمضى عليها^(١).
قال جويرية فقلت و الله لأتبعن أمير المؤمنين و لأقلدنه صلاتي اليوم قال فمضيت خلفه فو الله ما جزنا جسر سورا حتى غابت الشمس قال فسببت أو همت أن أسبه قال فالتفت و قال جويرية قلت نعم يا أمير المؤمنين قال فنزل ناحية فتوضأ ثم قام فنطق بكلام لا أحسبه إلا بالعبرانية ثم نادى بالصلاة قال فنظرت و الله إلى الشمس قد خرجت من جبلين لها صرير فصلى العصر و صليت معه فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان فالتفت إلي فقال يا جويرية إن الله تبارك و تعالى يقول ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ و إني سألت الله سبحانه باسمه العظيم فرد علي الشمس. أقول: سيأتي تلك الأخبار بأسانيد جمّة في أبواب معجزاته .

باب سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه

باب ٢٨

٦٤٨- ب: [قرب الإسناد] أبو البخترى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام عن مروان بن الحكم قال لما هزمتنا علي بالبصرة رد على الناس أموالهم من أقام بيته أعطاه و من لم يقيم بيته على ذلك حلفه فقال له قائلون يا علي اقسم الفء بيننا و السبي قال فلما كثروا عليه قال أيكم يأخذ أم المؤمنين في سهمه فمضوا^(٢).

٦٤٩- ع: [علل الشرائع] أبي عن سعد عن الحميري عن مسعدة بن زياد عن جعفر عن أبيه عليه السلام مثله^(٣).

٦٥٠- ع: [علل الشرائع] أبي عن سعد عن النهدي عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن زرارة قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول إنما أشار علي عليه السلام بالكف عن عدوه من أجل شيعة لأنه كان يعلم أنه سيظهر عليهم بعده فأحب أن يقتدي به من جاء بعده فيسير فيهم بسيرته و يقتدي بالكف بعده^(٤).

٦٥١- ع: [علل الشرائع] علي بن حاتم عن محمد بن جعفر الرازي عن ابن أبي الخطاب عن ابن بزيع عن يونس عن بكار بن أبي بكر الحضرمي قال سمعت أبا عبد الله يقول لسيرة علي بن أبي طالب عليه السلام في أهل البصرة كانت خيرا لشيعة مما طلعت عليه الشمس أنه علم أن للقوم دولة فلو سباهم سببت شيعة قال قلت فأخبرني عن القائم عليه السلام يسير بسيرته قال لا إنا عليا سار فيهم باليمن لما علم من دولتهم و إن القائم يسير فيهم بخلاف تلك السيرة لأنه لا دولة لهم^(٥).

٦٥٢- ع: [علل الشرائع] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن معروف عن حماد عن حريز عن زرارة^(٦).

(١) تأويل الآيات الباهرة للنجفي في ذيل الآية ٥٢ من سورة الحاقة. ورواه المجلسي ثانية في البحار، ج ٤١، ص ١٦٨ عنه وعن الروضة والفضائل لابن شاذان والصابر والعلل، فراجع. ورواه الراوندي في الخرائج، ص ٢٠٦.

(٢) رواه الحميري ح في الحديث السابع مما رواه عن أبي البخترى في أواسط كتاب قريب الإسناد، ص ٦٢ ط ١.

(٣) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في الحديث: (٦٩) من الباب الأخير من كتاب علل الشرائع: ج ٢ ص ٦٠٣.

(٤) رواه الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في الحديث: (١٢٢) من كتاب علل الشرائع: ج ١، ص ١٤٦.

(٥) رواه الشيخ الصدوق ح في الحديث: (٩) من الباب: (١٢٢) من كتاب علل الشرائع: ج ١، ص ١٥٠.

(٦) رواه الشيخ الصدوق ح في الحديث: (١١) أو ذيل الحديث: (١٠) من كتاب علل الشرائع: ج ١ ص ١٥٠.

عن أبي جعفر عليه السلام قال لو لا أن علياً عليه السلام سار في أهل حربه بالكف عن السبي والغنيمة للقيت شيعة من الناس بلاء عظيماً ثم قال والله لسيرته كانت خيراً لكم مما طلعت عليه الشمس.

٦٥٣-ع: [علل الشرائع] ابن الوليد عن الصغار عن ابن عيسى عن علي بن الحكم عن الربيع بن محمد ^(١):

عن عبد الله بن سليمان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن الناس يروون أن علياً عليه السلام قتل أهل البصرة وترك أموالهم فقال إن دار الشرك يحل ما فيها ودار الإسلام لا يحل ما فيها فقال إن علياً عليه السلام إنما من عليهم كما من رسول الله عليه السلام على أهل مكة وإنما ترك علي عليه السلام أموالهم لأنه كان يعلم أنه سيكون له شيعة وأن دولة الباطل ستظهر عليهم فأراد أن يقتدي به في شيعة وقد رأيت آثار ذلك هوذا يسار في الناس بسيرة علي عليه السلام ولو قتل علي عليه السلام أهل البصرة جميعاً وأخذ أموالهم لكان ذلك له حالاً لكنه من عليهم ليعن على شيعة من بعده.

وقد روي أن الناس اجتمعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة فقالوا يا أمير المؤمنين اقسم بيننا غنائمهم قال أياكم يأخذ أم المؤمنين في سهمه.

٦٥٤-ع: [علل الشرائع] ما أبي عن سعد عن ابن عيسى عن الحسن بن علي فضال عن ثعلبة بن ميمون ^(٢):

عن الحسن بن هارون قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسا فسأله المعلى بن خنيس أسير القائم بخلاف سيره أمير المؤمنين فقال نعم وذلك أن علياً سار فيهم باليمن والكف لأنه علم أن شيعة سيظهر عليهم عدوهم من بعده وأن القائم إذا قام سار فيهم باليسط والسبي وذلك أنه يعلم أن شيعة لن يظفر عليهم من بعده أبداً

٦٥٥-ف: [تحف العقول] سأل يحيى بن أكثم عن علة اختلاف سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في أهل صفين وفي أهل الجمل فكتب أبو الحسن الثالث عليه السلام وأما قولك إن علياً عليه السلام قتل أهل صفين مقلين ومدبرين وأجاز على جريحهم وإنه يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجز على جريح ومن ألقى سلاحه آمنه ومن دخل داره آمنه فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين رضوا بالكف عنهم فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه أعواناً وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام يجمع لهم السلاح الدروع والرماح والسيوف ويسني لهم العطاء ويهيئ لهم الأنزال يعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتلهم فلم يساو بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك ^(٣).

بيان: الأنزال جمع النزل وهو ما يهبط للنزول والحاسر الذي لا مغفر عليه ولا درع

٦٥٦-ق: [المناقب لابن شهر آشوب] في ليلة الهرير لم تكن صلواتهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء عند وقت كل صلاة إلا التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والدعاء فكانت تلك صلواتهم لم يأمرهم بإعادتها ^(٤).

وكان عليه السلام لا يتبع موليه ولا يجيز على جريحهم ولم يسب ذراريهم وكان لا يمنع من مناكحتهم وموارثتهم قال أبو علي الجبائي في كتاب الحكمين الذي روي أنه عليه السلام سبأ قوماً من الخوارج أنهم كانوا قد ارتدوا وتصوروا. وكان عليان المجنون مقيماً بالكوفة وكان قد ألف دكان طحان فإذا اجتمع الصبيان عليه وأذوه يقول قد حمي الوطيس وطاب اللقاء وأنا على بصيرة من أمري ثم يثب ويحمم وينشد:

أرى الحرب لا تزداد إلا تمادياً

أرني سلاحي لا أبأ لك إنسي

ثم يتناول قصبة ليركبها فإذا تناولها يقول

أحتفي كان فيها أو سواها

أشد على الكتيبة لا أبالي

(١) رواه الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في الحديث الأول من الباب: (١٢٣) من كتاب علل الشرائع: ج ١، ص ١٥٤.

(٢) رواه الشيخ الصدوق ح في الباب: (١٥٨) من كتاب علل الشرائع: ج ١، ص ٢١٠.

(٣) رواه الحسن بن علي بن شعبة ح في أجوبة الإمام الهادي عليه السلام وكلمه من كتاب تحف العقول ص ٣٥٩ ط النجف.

(٤) رواه ابن شهر آشوب ح في أواخر عنوان: «فصل في ظالميه ومقاتليه» من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٢٠ ط النجف.

قال فينهزم الصبيان بين يديه فإذا لحق بعضهم يرمي الصبي بنفسه إلى الأرض فيقف عليه و يقول عورة مسلم وحمي مؤمن و لو لا ذلك لتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صفين ثم يقول لأسيرن فيكم سيرة أمير المؤمنين لا أتبع موليا و لا أجيئ على جريح ثم يعود إلى مكانه و يقول:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المستوقد

إيضاح: قال في النهاية في حديث حنين الآن حمي الوطيس الوطيس شبه التنور و قيل هو الضراب في الحرب و قيل هو الوطء الذي يطس الناس أي يدهمهم.

و قال الأصمعي هي حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها.

و لم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي ﷺ و هو من فصيح الكلام عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق انتهى.

والمحممة صوت الفرس و الحنف الموت و الحمي ما يمنع منه أي حرمة المؤمن و قال الجوهري الضرب الرجل الخفيف اللحم قال طرفة أنا الرجل البيت و قال أبو عمرو رجل خشاش بالفتح و هو الماضي من الرجال ثم ذكر البيت أيضا.

٦٥٧-كا: [الكافي] علي عن أبيه عن عمرو بن عثمان عن محمد بن عذافر عن عقبة بن بشير عن عبد الله بن شريك عن أبيه قال لما هزم الناس يوم الجمل قال مير المؤمنين ﷺ لا تتبعوا موليا و لا تجهزوا على جريح و من أغلق بابه فهو آمن^(١). فلما كان يوم صفين قتل المقبل و المدبر و أجاز على الجريح.

فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك هذه سيرتان مختلفتان فقال إن أهل الجمل قتل طلحة و الزبير و إن معاوية قائما بعينه و كان قائدهم.

٦٥٨-كا: [الكافي] العدة عن سهل عن جعفر بن محمد الأشعري عن ابن القداح^(٢):

عن أبي عبد الله ﷺ قال دعا رجل بعض بني هاشم إلى البراز فأبى أن يبارزه فقال له أمير المؤمنين ما منعك أن تبارزه قال كان فارس العرب و خشيت أن يغلبني فقال له أمير المؤمنين فإنه يغى عليك و لو بارزته لغلبته و لو بغى جبل على جبل لهد الباغي.

و قال أبو عبد الله ﷺ إن الحسين بن علي ﷺ دعا رجلا إلى المبارزة فعلم به أمير المؤمنين ﷺ فقال لئن عدت إلى مثل هذا لأعاقبك و لئن دعاك أحد إلى مثله فلم تجبه لأعاقبك أما علمت أنه يغى.

بيان: الهد الهدم الشديد و الكسر و لعله كان لتعليم الغير مع أنه مكروه بدون إذن الإمام كما ذكره الأصحاب و ليس بمحرم.

٦٥٩-كا: [الكافي] علي عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي حمزة عن عقيل الخزاعي أن أمير المؤمنين كان إذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات فيقول تعاهدوا الصلاة و حافظوا عليها و استكثروا منها و تقربوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً و قد علم ذلك الكفار حين سئلوا ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين و قد عرف حقها من طرقها و أكرم بها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع و لا قرعة عين من مال و لا ولد يقول الله عز و جل ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾^(٣).

و كان رسول الله ﷺ منصبا لنفسه بعد البشري له بالجنة من ربه فقال عز و جل ﴿وَأُمِرُّ أَهْلُكَ بِالصَّلَاةِ وَ اضْطُرُّ غَلْبُهَا﴾ و كان يأمر بها أهله و يصبر عليها نفسه.

(١) رواه الكليني رفع الله مقامه في الحديث: (٥) من الباب الذي يلي «باب إعطاء الأمان» من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٣٣. ورواه عنه الشيخ الطوسي ح في باب سيرة الإمام من كتاب التهذيب: ج ٦ ص ١٥٥، ط النجف.

(٢) رواه الكليني قدس الله نفسه في «باب طلب المبارزة» من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٣٥، ط الآخوندی. ورواه أيضا الشيخ الطوسي رضوان الله عليه في الحديث الثاني من باب التوادر من كتاب الجهاد من التهذيب: ج ٦ ص ١٦٩.

(٣) رواه الكليني رضوان الله تعالى عليه في الحديث الأول من الباب: (١٥) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٣٦، ط الآخوندی.

ثم إن الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لأهل الإسلام على أهل الإسلام و من لم يعطها طيب النفس بها يرجو بها من الثواب ما هو أفضل منها فإنه جاهل بالسنة مغبون الأجر ضال العمر طويل الندم يترك أمر الله عز وجل و الرغبة عما عليه صالحوا عباد الله يقول الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تَوَلَّهْ مَا تَوَلَّى﴾ من الأمانة فقد خسر من ليس من أهلها و ضل عمله.

عرضت على السماوات المبنية و الأرض المهاد و الجبال المنصوبة فلا أطول و لا أعرض و لا أعلى و لا أعظم لو امتنع من طول أو عرض أو عظم أو قوة أو عزة امتنع و لكن أشفقن من العقوبة.

ثم إن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام و هو قوام الدين و الأجر فيه عظيم مع العزة و المنعة و هو الكرامة^(١) فيه الحسنات و البشرى بالجنة بعد الشهادة و بالرزق غدا عند الرب و الكرامة يقول الله عز وجل ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

٤٤٨
٣٣

ثم إن الرعب و الخوف من جهاد المستحق للجهاد و المتوازين على الضلال ضلال في الدين و سلب للدنيا مع الذل و الصغار و فيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال يقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ فحافظوا على أمر الله عز وجل في هذه المواطن التي الصبر عليها كرم و سعادة و نجاة في الدنيا و الآخرة من فظيع الهول و المخالفة فإن الله عز وجل لا يعابى العباد مقترفون ليلهم و نهارهم لطف به علما و كل ذلك ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسِي﴾ فاصبروا و صابروا و اسألوا النصر و وطنوا أنفسكم على القتال و اتقوا الله عز وجل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

وفي حديث يزيد بن إسحاق عن أبي صادق قال سمعت عليا صلوات الله عليه يحرض الناس في ثلاثة مواطن الجمل و صفين و يوم النهر يقول:

عباد الله اتقوا الله و غضوا الأبصار و اخفضوا الأصوات و وطنوا أنفسكم على المنازلة و المجادلة و المبارزة و المناضلة و المناذلة و المعانقة و المكادمة و أثبتوا و اذكروا الله كثيرا لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿وَلَا تَنَارَعُوا فَنَفْسُكُمُ وَ تَذْهَبَ رَيْحُكُمْ وَ اضْطُرُّوا إِلَى اللَّهِ مَعَ الضَّائِرِينَ﴾.

٦٦٠-كتاب: صفين لنصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن إسماعيل بن يزيد عن أبي صادق عن الحضرمي مثله و زاد في آخره^(٢).

اللهم ألهمهم الصبر و أنزل عليهم النصر و أعظم لهم الأجر.

٤٤٩
٣٣

٦٦١-الكافي و في حديث عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول^(٣):

لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم فإنكم بحمد الله على حجة و ترككم إياهم حتى يبدؤكم حجة أخرى لكم فإذا هزمتهم فلا تقتلوا لهم مدبرا و لا تيجزوا على جريح و لا تكشفوا عورة و لا تمشوا بقتيل.

بيان: روى ابن أبي الحديد الخبر الثاني من كتاب نصر بن مزاحم عن عمرو بن سعد عن إسماعيل بن يزيد عن أبيه عن أبي صادق:

وروى السيد الرضي رضي الله عنه الحديث الأول في النهج^(٤) هكذا بعد ما ساق أول الخطبة إلى قوله كتابا موقوتا: ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ و إنها تحت الذنوب حت الورق و تطلقها إطلاق الريق.

و شبهاه رسول الله ﷺ بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم و الليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدرن و قد عرف حقها و ساقه إلى قوله:

(١) هذا هو الصواب و في الكافي و البحار (الكثرة). لاحظ بيان المصنف الآتي.

(٢) رواه نصر بن مزاحم المنقري قبيل آخر الجزء الثالث من كتاب صفين ص ٢٠٤ ط مصر:

(٣) وروياه عنه و عن نصر وعن مصادر آخر في المختار: (٤٥) من باب وصايا أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب نهج السعادة ج ٨ ص ٣٤٠ ط ١.

(٤) رواه الكيني ح في الحديث الرابع من الباب: (١٥) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٤١.

(٤) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (١٩٧) من كتاب نهج البلاغة.

وكان رسول الله ﷺ نصبا بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» فكان يأمر بها أهله و يصبر عليها نفسه.

ثم إن الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لأهل الإسلام فمن أعطاها.
وساق الكلام إلى قوله ﷺ:

ولكن أشقن من العقوبة و عقلن ما جهل من هو أضعف منهن و هو الإنسان إنه كان ظلوما جهولا.
إن الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم و نهارهم لطف به خيرا و أحاط به علما أعضاءكم شهوده و جوارحكم جنوده و ضماتركم عيونه و خلواتكم عيانه انتهى.

قوله ﷺ من طرقتها لعله من الطروق بمعنى الإتيان بالليل أي واظب عليها في الليالي و قيل أي جعلها دابة و صنعته من قولهم هذا طريقة رجل أي صنعته.

و لا يخفى ما فيه و لا يبعد أن يكون تصحيف طوق بها على المجهول أي ألزمها كالطوق بقربة أكرم بها على بناء المجهول أيضا.

و في النهج و قد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع و لا قرة عين من ولد و لا مال.

و قال الجوهرى نصب الرجل بالكسر نصبا تعب و أنصبه غيره.

قوله ﷺ على أهل الإسلام الظاهر أنه سقط هنا شيء.

و في النهج قربانا لأهل الإسلام فمن أعطاها طيب النفس بها فإنها تجعل له كفارة و من النار حجازا و وقاية فلا يتبعها أحد نفسه و لا يكثر عليها لهفه فإن من أعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الأجر ضال العمل طويل الندم.

ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها أنها عرضت على السماوات المبنية و الأرضين المدحوة و الجبال ذات الطول المنصوبة فلا أطول و لا أعرض و لا أعلى و لا أعظم منها و لو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لا تمتنع و لكن أشقن من العقوبة إلى آخر ما مر.

قوله ﷺ من الأمانة لعله بيان لسبيل المؤمنين أي المراد بسبيل المؤمنين ولاية أهل البيت ﷺ و هي الأمانة المعروضة و الأصوب ما في و الأصوب هو ما في النهج.

و قال ابن ميثم ذكر كون السماوات مبنية و غيرها تنبيه للإنسان على جرأته على المعاصي و تضييع هذه الأمانة إذ أهل لها و حملها و تعجب منه في ذلك.

و قوله و لو امتنع شيء إلخ إشارة إلى أن امتناعهم لم يكن لعزة و عظمة أجساد و لا استكبار عن الطاعة و إنه لو كان كذلك لكانت أولى بالمخالفة لأعظمية أجرامها بل إنما ذلك عن ضعف و إشفاق من خشية الله و عقلن ما جهل الإنسان.

قيل إن الله تعالى عند خطابها خلق فيها فهما و عقلا و قيل إن إطلاق العقل مجاز في سببه ^(١) و هو الامتناع عن قبول هذه الأمانة.

قوله ﷺ و هو الكرة أي الحملة على العدو و هي نفسها أمر مرغوب فيه أو ليس هو إلا مرة واحدة و حمله فيها سعادة الأبد.

و يمكن أن يقرأ الكرة بالهاء أي هو مكروه للطباع فيكون إشارة إلى قوله تعالى «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ» و لعله أصوب.

و قال الجوهري زحف إليه زحفا مشى و الزحف الجيش يزحفون إلى العدو.

قوله ﷺ لطف به الضمير راجع إلى الموصول في قوله ما العباد مقترفون وكدم الصيد طرده والفشل الجبن.

٦٦٢-نهج: [نهج البلاغة] في حديثه ﷺ أنه شيع جيشا يغزيه فقال أعدبوا عن النساء ما استطعتم^(١).

٤٥٢
٣٣ قال السيد الرضي و معناه اصدفوا عن ذكر النساء و شغل القلب بهن و امتنعوا من المقاربة لهن لأن ذلك يفت في عضد الحمية و يقدح في معاهد العزيمة و يكسر عن العدو و يلفت عن الإبعاد في الغزو و كل من امتنع عن شيء فقد أعذب عنه و العاذب و العذوب الممتنع عن الأكل و الشرب

٦٦٣-كا: [الكافي] أحمد بن محمد الكوفي عن ابن جمهور عن أبيه عن محمد بن سنان عن مفضل بن عمر عن أبي عبد الله ﷺ^(٢).

و عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم عن حريز عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله ﷺ قال قال أمير المؤمنين ﷺ لأصحابه:

إذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام و اذكروا الله عز و جل و لا تولوهم الأدبار فتسخطوا الله تبارك و تعالى و تستوجبوا غضبه و إذا رأيتم من إخوانكم المجروح و من قد نكل به أو من قد طمع عدوكم فيه فقهو بأنفسكم.

٦٦٤-كا: [الكافي] العدة عن سهل عن جعفر بن محمد عن ابن القداح عن أبيه الميمون عن أبي عبد الله ﷺ أن أمير المؤمنين كان إذا أراد القتال قال هذه الدعوات^(٣):

اللهم إنك أعلمت سبيلا من سبيلك جعلت فيه رضاك و نديت إليه أوليائك و جعلته أشرف سبيلك عندك ثوابا و أكرمها لديك مأبآ و أحبا إليك مسلكا ثم اشترت فيه مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَ عدا عليك حقا فاجعلني ممن اشترى فيه منك نفسه ثم وفي لك ببيعة الذي بايعك عليه غير ناكث و لا ناقض عهد و لا ميدل تبديلا بل استيجابا لمحبتك و تقربا به إليك فاجعله خاتمة عملي و صير فيه فناء عمري و ارزقني فيه لك و به مشهدا توجب لي به منك الرضا و تحط به عني الخطايا و تجعلني في الأحياء المرزوقين بأيدي العداة و العصاة تحت لواء الحق و راية الهدى ماضيا على نصرتهم قدما غير مول دبرا و لا محدث شكا.

٤٥٣
٣٣ اللهم و أعوذ بك عند ذلك من الجبن عند موارد الأهوال و من الضعف عند مساورة الأبطال و من الذنب المحبط للأعمال فأحجم من شك أو أمضي بغير يقين فيكون سعيي في تباب و عملي غير مقبول.

بيان: قوله ﷺ و به عطف علي فيه و لعله زيد من النسخ.

وفي كتاب الإقبال و ارزقني فيه لك و بك مشهدا و هو أصوب.

وفي الصحاح قدما بضم الدال لم يعرج و لم ينثن و قال ساوره أي واثبه و قال حجمته فأحجم أي كففته فكف و قال التباب الخسران والهلاك.

٦٦٥-كا: [الكافي] علي عن أبيه عن أحمد البزنطي عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ﷺ قال كان شعارنا يوم صفين يا نصر الله^(٤).

٦٦٦-ع: [علل الشرائع] ابن الوليد عن الصفار عن معاوية بن حكيم عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن يحيى بن أبي العلاء^(٥):

(١) رواه السيّد ح تحت الرقم: (٧) من غريب حكم أمير المؤمنين قبيل المختار: (٢٦١) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في الحديث الخامس من الباب: (١٥) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٤٢.

(٣) رواه ثقة الإسلام الكليني ح في الحديث الأوّل من الباب: (٢٠) من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٤٦. وللحديث مصادر آخر يجدها الباحث في ذيل المختار: (٨٩) وما قبله من باب الدعاء من كتاب نهج السعادة: ج ٦ ص ٢٩٦ و ٣١٢.

(٤) رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في ذيل الحديث الأوّل من باب الشعار من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٤٧ ط الآخوندي.

(٥) رواه الشيخ الصدوق رفع الله مقامه في الحديث: (٧٠) من باب النوادر وهو الباب الأخير من كتاب علل الشرائع: ج ٢ ص ٦٠٣.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان علي لا يقاتل حتى تزول الشمس ويقول تفتح أبواب السماء وتقبل التوبة وينزل النصر ويقول هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقل القتل ويرجع الطالب ويقلت المهزوم.

٦٦٧-كا: [الكافي] علي عن أبيه عن ابن أبي عمير مثله ^(١).

٦٦٨-نهج: [نهج البلاغة] وقال لابنه الحسن عليه السلام لا تدعون إلى مبارزة وإن دعيت إليها فأجب فإن الداعي باغ والباغي مصروع ^(٢).

بيان: مصروع أي مستحق لأن يصرع ويهلك وبعيد من نصر الله سبحانه

٦٦٩-نوادير الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال قال الحسن بن علي عليه السلام كان علي عليه السلام يباشر القتال بنفسه ولا يأخذ السلب ^(٣).

٦٧٠-كا: [الكافي] علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال قال أمير المؤمنين عليه السلام لو لا أن المكر والخديعة في النار لكنت أكرم الناس ^(٤).

٦٧١-كا: [الكافي] علي عن أبيه عن علي بن أسباط عن عمه عن يعقوب بن سالم عن أبي الحسن العبدي عن سعد بن طريف عن ابن نباتة قال قال أمير المؤمنين ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة يا أيها الناس لو لا كراهية الغدر لكنت من أدهي الناس ألا لكل غدره فجرة ولكل فجرة كفره ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار ^(٥).

٦٧٢-نهج: [نهج البلاغة] ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في وقت الحرب وأي امرئ منكم أحسن من نفسه رباطة جاش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلا فليذب عن أخيه بغضل نعدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ^(٦).

إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب إن أكرم الموت القتل والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على الفراش.

و منه:

وكانني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب لا تأخذون حقا ولا تمنعون ضيما قد خليتكم والطريق فالتجاة للمقتمح والهلكة للمتولم.

٦٧٣-و منه قدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام والتوا في أطراف الرماح فإنه أمور للأسنة وعضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب وأميتوا الأصوات فإنه أظرد للفشل ورأيتكم فلا تملوها ولا تخلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون برأياتهم ويكتفونها حفافيتها وراءها وأمامها لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوا.

أجزأ امرؤ قرنه وآسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه.

وإيم الله لئن فررت من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة أنتم لهاميم الهرب والسمام الأعظم إن في الفرار مودة الله والذل اللازم والعار الباقي وإن الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه.

من راع إلى الله كالظمان يرد الماء الجنة تحت أطراف العوالي اليوم تبلى الأخبار والله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم.

(١) رواه الكليني نور الله مرقدته في الحديث: (٥) من «باب وصية رسول الله وأمر المؤمنين عليهم السلام في السرايا» من كتاب الجهاد من الكافي: ج ٥ ص ٢٨.

(٢) رواه السيد الرضي ح في المختار: (٢٣٢) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

(٣) رواه الراوندي ح في نوادره.

(٤) رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في الحديث الأول من «باب المكر والغدر...» من كتاب الإيمان والكفر من أصول الكافي: ج ٢ ص ٣٣٦.

(٥) رواه ثقة الإسلام الكليني ح في الحديث الأخير من «باب المكر والغدر...» من كتاب الإيمان والكفر من أصول الكافي: ج ٢ ص ٣٣٨.

(٦) رواه السيد الرضي رضوان الله عليه في المختار: (١٢١) من كتاب نهج البلاغة.

اللهم فإن ردوا الحق فافضض جماعتهم و شتت كلمتهم و أسلهم بخطاياهم إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم و ضرب يفلق الهام و يطبع العظام و يندر السواعد و الأقدام و حتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر و يرجعوا بالكثائب تقفوها الجانب و حتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس و حتى تدعق الخيول في نواحر أرضهم و بأعنان مساربهم و مسارحهم.

قال الشريف الرضي الدعق الدق أي تدق الخيول بحوافرها أرضهم و نواحر أرضهم متقابلاتها يقال منازل بني فلان تتناحر أي تقابل.

تبيين: قوله ﷺ أحسن من نفسه أي علم ووجد ورباطة الجأش شدة القلب والذب الدفع والتجدة الشجاعة كما يذب عن نفسه أي بنهاية الاهتمام والجدة لجعله مثله أي مثل أخيه في الجبن أو أخاه مثله في الشجاعة والحديث السريع والمقيم للموت الراضي به كما أن الهارب عنه الساخط له أهون من ميتة إما مطلقاً أو عنده ﷺ لما يعلم ما فيه من الدرجات.

وقال النهاية كشيش الأنقى صوت جلدها إذا تحركت وقد كشت تكش وليس صوت فمها لأن ذلك فحيحها ومنه حديث علي ﷺ كأنني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب.

وقال ابن أبي الحديد أي كأنكم لشدة خوفكم واجتماعكم من الجبن كالضباب المجتمعة التي تحك بعضها بعضاً قال الرازي.

كشيش أفعى أجمعت لعض و هي تحك بعضها ببعض

واقترح عقبة أو وهدة رمى بنفسه فيها والتلوم الانتظار والتوقف.

قوله أجزأ أمرؤ قال ابن أبي الحديد من الناس من يجعل هذا أو نحوه أمراً بلفظ الماضي كالمستقبل في قوله تعالى وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ.

ومنهم من قال معنى ذلك هلاً أجزأ فيكون تحضيضاً محذوف الصيغة للعلم بها و أجزأ أي كفي وقرنك مقارنك في القتال ونحوه و آسى أخاه بنفسه بالهزمة أي جعله أسوة لنفسه و يجوز واسيت زيدا بالواو و هي لغة ضعيفة و الموجدة الغضب و السخط قوله ﷺ و الذل اللازم قيل يروى اللازم بالذال المعجمة بمعناه و الرائح المسافر وقت الرواح أو مطلقاً كما قاله الأزهري و يناسب الأول ما مر من أن قتاله ﷺ كان غالباً بعد الزوال.

قوله ﷺ تحت أطراف العوالي يحتمل أن يكون المراد بالعوالي الرماح قال ابن الأثير في النهاية العالية ما يلي السنان من الرمح و الجمع العوالي أو المراد منه السيوف كما يظهر من ابن أبي الحديد فيحتمل أن يكون من علا يعلو إذا ارتفع أي السيوف التي تعلو فوق الرؤوس أو من علوته بالسيوف إذا ضربته به و يؤيده قول النبي ﷺ الجنة تحت ظلال السيوف.

قوله ﷺ تلى الأخبار بالباء الموحدة أي تختبر الأفعال و الأسرار كما قال تعالى ﴿وَنَبْلُؤُا أَخْبَارَكُمْ﴾.

و في بعض النسخ بالباء المثناة التحتانية أي تمتاز الأخبار من الأشرار.

قوله ﷺ إلى لقائهم أي الأعداء لقتالهم و الفض التفريق. و أسبست فلاناً أسلمته إلى الهلكة.

قوله ﷺ طعن دراك أي متتابع يتلو بعضها بعضاً و يخرج منه النسيم أي لسعته و روي النسيم أي طعن يخرق الجوف بحيث يتنفس المطعون من الطعنة و روي القشم بالقاف و الشين المعجمة وهو اللحم و الشحم و الفلق الشق و طاح الشيء سقط أو هلك أو تاء في الأرض و أطاحه غيره و أندره أسقطه.

قال ابن أبي الحديد يمكن أن يفسر النواحر بأمر آخر و هو أن يراد به أفاصي رضهم من قولهم لآخر ليلة من الشهر ناحرة. و قد مر تفسير بعض أجزاء الخطبة في مواضعها.

٦٧٤- نهج: [نهج البلاغة] من وصيته ﷺ لعسكره قبل لقاء العدو بصفين^(١):

لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم فإنكم بحمد الله على حجة و ترككم إياهم حتى يبدؤكم حجة أخرى لكم عليهم فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح.

ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيغير بها وعقبه من بعده.

إيضاح: قال ابن ميثم رحمه الله روي أنه ﷺ كان يوصي أصحابه في كل موطن يلقون العدو فيه بهذه الوصية وزاد في روايته عن نصر بن مزاحم بعد قوله ولا تجهزوا على جريح قوله ولا تكشفوا لهم عورة ولا تمثلوا بقتيل فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترًا ولا تدخلوا دارًا إلا بإذن ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ولا تهيجوا النساء إلى آخر ما مر

قوله ﷺ حجة أخرى قال ابن ميثم وبيان هذه من وجهين أحدهما أنه دخول في حرب الله وحرب رسوله ﷺ لقوله ﷺ يا علي حرك حربي وتحقق سبعهم في الأرض يقتلهم النفس التي حرم الله فتحقق دخولهم في عموم قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ الآية.

وثانيها دخولهم في قوله تعالى ﴿فَمَنْ عَتَدْتُمْ عَلَى كُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمْحُلُ مَا عَتَدْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

قوله ﷺ ولا تصيبوا معوراً قال ابن ميثم أعور الصيد أمكن من نفسه وأعور الفارس ظهر فيه موضع خلل للضرب ثم قال أي لا تصيبوا الذي أمكنتكم الفرصة في قتله بعد انكسار العدو كالمعور من الصيد.

وقال ابن أبي الحديد هو الذي يعتصم منك في الحرب بإظهار عورته لتكف عنه ويجوز أن يكون المعور هنا المريب الذي يظن أنه من القوم وأنه حضر للحرب وليس منهم لعله حضر لأمر آخر.

وقال في النهاية كل عيب و خلل في شيء فهو عورة ومنه حديث علي ﷺ ولا تصيبوا معموراً أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب وإن في قوله ﷺ إن كنا مخففة من المثقلة وكذا في قوله وإن كان والواو في قوله وإنهن للحال والفهر بالكسر الحجر ملأ الكف وقيل مطلقاً والهراوة بالكسر العصا والتناول بهما كناية عن الضرب بهما وقوله ﷺ وعقبه عطف على الضمير المستكن الرفوع في قوله فيغير ولم يؤكد للفصل بقوله بها كقوله تعالى ﴿مَا أَسْرَفْنَا وَلَا يَابُؤُنَا﴾.

٦٧٥- نهج: [نهج البلاغة] وكان يقول ﷺ لأصحابه عند الحرب^(٢):

لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة وأعطوا السيوف حقوقها ووطنوا للجنوب مصارعها واذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي وأميتوا الأصوات فإنه أظرد للفشل.

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا عليه أعواناً أظهره.

بيان: لا تشتدن عليكم أي لا تستصعبوا ولا يشق عليكم فرار بعده رجوع إلى الحرب والجولة الدوران في الحرب والجانل الزائل عن مكانه وهذا حض لهم على أن يكرروا ويعودوا إلى الحرب إن وقعت عليهم كرة أو المعنى إذا رأيتم المصلحة في الفرار لجذب العدو إلى حيث تتمكنوا منه فلا تشتدن عليكم ولا تعدوه عارا.

قوله ﷺ ووطنوا للجنوب مصارعها وفي بعض النسخ ووطنوا بالنون أي اجعلوا مصارع الجنوب ومساقطها وطناً لها أو وطنياً لها أي استعدوا للسقوط على الأرض والقتل والكلام كناية عن العزم على الحرب وعدم الاحتراز عن مفاسدها وقال الجوهرى ذمرت ذمراً حششته.

(١) رواه السيّد الرضی قدس الله نفسه في المختار: (١٤) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضی ح في المختار: (١٦) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

وقال ابن أبي الحديد الطعن الدعسي الذي يحشى به أجواف الأعداء وأصل الدعس الحشو يقال دعست الوعاء أي حشوته.

قوله ﷺ و ضرب طلحفي بكسر الطاء و فتح اللام أي شديد و اللام زائدة و الباء للمبالغة.

و أميتوا الأصوات أي لا تكثروا الصياح و الفشل الفرع و الجين و الضعف.

قوله ﷺ و لكن استسلموا أي اتقادوا خوفا من السيف

٦٧٦-نهج: [نهج البلاغة] و من كلام له ﷺ وصى به شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام^(١):

اتق الله في كل مساء و صباح و خف على نفسك الدنيا الغرور و لا تأمنها على حال و اعلم أنك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهة سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا رادعا و لنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا.

بيان: سمت بك قال ابن أبي الحديد أي أفضت بك و في النهاية فلان يسمو إلى المعالي إذا تطاول إليها و النزوة الوثبة و الحفيظة الغضب و قال الجوهري وقمه أي رده و قال أبو عبيدة أي قهره

٦٧٧- و روى ابن أبي الحديد في شرح النهج، [نهج البلاغة] عن نصر بن مزاحم و وجدته في أصل كتابه أيضا عن عمر بن سعد بإسناده عن عبد الله جندب عن أبيه أن عليا ﷺ كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه فيقول^(٢):

لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فهي حجة أخرى لكم عليهم فإذا قاتلتهم فهزمتهم فلا تقتلوا مدبري ولا تجهزوا على جريح و لا تكشفوا عورة و لا تمثلوا بقتيل فإذا وصلت إلى رجال القوم فلا تهتكوا سرا و لا تدخلوا دارا إلا بأذن و لا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم.

و لا تهيجوا امرأة بأذى^(٣) و إن شتمن أعراضكم و تناولن أمراءكم و صلحاءكم فإنهن ضعاف القوى و الأنفس و العقول و لقد كنا لنؤمر بالكف عنهن و هن مشركات و إن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة و الحديد فيعير بها عقبه من بعده

٦٧٨- و قال ابن ميثم رحمه الله روي أن أمير المؤمنين ﷺ كان إذا اشتد القتال ذكر اسم الله حين يركب ثم يقول الحمد لله على نعمه علينا و فضله العليم سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنْآ إِلَىٰ رَبِّنَا نُمِثِّلُونَ^(٤).

ثم يستقبل القبلة و يرفع يديه و يقول:

اللهم إليك نقلت الأقدام و أفضت القلوب و مدت الأعناق و شخصت الأبصار و أنضيت الأبدان.

اللهم قد صرحمكنون الشنآن و جاشت مارجل الأضغان.

اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا و كثرة عدونا و تشمت أهوانا.

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ.

ثم يقول سيروا على بركة الله ثم يقول:

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله و الله أكبر يا الله يا أحد يا صمد يا رب محمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّخِمنِ الرَّحِيمِ و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اللهم كف عنا أيدي الظالمين. وكان هذا شعاره بصفين.

(١) رواه السيد الرضي ح في المختار: (٥٦) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٤) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٢٦ - الحديث بمصر. ورواه نصر في وقعة صفين ص ٢٠٣.
(٣) هذا هو الصواب الموافق لما رواه الطبري في تاريخه: ج ٤ ص ٦، و الموافق للمختار: (١٤) من باب الكتب من نهج البلاغة، وفي أصلي هنا: «إلا بأذني».

(٤) رواه ابن ميثم في شرح المختار: (١٥) من باب الكتب من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٣٨٥ ط بيروت، وفيه سقط في هذا الموضع منه، بل وفي مواضع آخر من هذه الطبعة.

٦٧٩- نهج: [نهج البلاغة] وكان ﷺ يقول إذا لقي العدو محارباً اللهم إليك أفضت القلوب^(١).

و ساق الدعاء إلى قوله و أنت خير الحاكمين و جعل قوله و نقلت الأقدام بعد قوله و شخصت الأبصار.

بيان: قال الخليل في العين أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه و أصله أنه صار في فضائه.

و قال ابن أبي الحديد أفضت القلوب أي دنت و قربت و يجوز أن يكون أفضت أي بسرّها حذف المفعول انتهى.

و يحتمل أن يكون من أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء أي خرجت إلى فضاء رحمتك بسؤالك.

و شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه و جعل لا يطرف و أنضيت الأبدان أي أهزلت و منه النضو و هو البعير المهزول و صرح أي انكشف. و الشن أن البغضة و جاشت القدر أي غلت و المراحل القدور و تشتت أهوائنا أي تفرق آرائنا و اختلاف أماننا و قال في النهاية فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما و الفاتح الحاكم

باب ٢٩

باب كتب أمير المؤمنين ﷺ و وصاياه إلى عماله و أمراء أجناده

٦٨٠- ف: [تحف العقول] وصيته لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدمته إلى صفين اتق الله في كل ممسى ومصبح و خف على نفسك الغرور ولا تأمنها على حال من البلاء واعلم أنك إن لم تزغ نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهة سمت بك الأهواء إلى كثير من الضر حتى تطعن فكن لنفسك مانعا وازعا عن الظلم والغي والبغي والعدوان^(٢). قد وليتكم هذا الجند فلا تستذلهم و لا تستطل عليهم فإن خيركم أتقاكم تعلم من عالمهم و علم جاهلهم و احلم عن سفيهم فإنك إنما تترك الخير بالعلم و كف الأذى و الجهل.

ثم أوردته ﷺ بكتاب يوصيه فيه و يحذره و هذا نصه.

٦٨١- اعلم أن مقدمة القوم عيونهم و عيون المقدمة طلائعهم فإذا أنت خرجت من بلادك و دوت من عدوك فلا تسأم من توجيه الطلائع في كل ناحية و في بعض الشعاب و الشجر و الخمر و في كل جانب حتى لا يغتركم عدوكم و يكون لكم كمين.

و لا تسير الكتائب و القبائل من لدن الصباح إلى المساء إلا على تعبئة فإن دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة و إذا نزلتم بعد و نزل بكم فليكن معسكركم في إقبال الشراف أو في سفاح الجبال و أثناء الأنهار كي ما تكون لكم رداء و دونكم مرداء و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين. واجعلوا رقباء في صياصي الجبال و بأعلى الشراف و بمنالك الأنهار يرتوون لكم لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن.

و إذا نزلتم فانزلوا جميعا و إذا رحلتم فارحلوا جميعا.

و إذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح و الترسه و اجعلوا رماثكم يلون ترستكم كيلا تصاب لكم غرة و لا تلقى لكم غفلة و احرس عسكرك بنفسك و إياك أن ترقد إلى أن تصيح إلا غرارا أو مضمة ثم ليكن ذلك شأنك و دأبك حتى تنتهي إلى عدوك.

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (١٥) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

ورواه أيضاً في الحديث: (٣) من باب: «مقدار الجزية» في آخر كتاب الزكاة من كتاب الاستبصار ج ٢ ص ٥٣ مما اختار من كلم أمير المؤمنين.

(٢) رواه الحسن بن علي بن شعبة ح في الحديث: (٢١) مما اختار من كلامه ﷺ في كتاب تحف العقول ص ١٣٠. وفي طبع آخر ص ١٩١.

وعليك بالتؤدة في حريك وإياك والعجلة إلا أن تمكنك فرصة وإياك أن تقاتل إلا أن يبدوك أو يأتيك أمرى والسلام عليك ورحمة الله.

بيان: قوله ﷺ حتى تطعن بضم العين أي تكبر من قولهم طعن في السن وقد مضى شرحها وإنما كررنا للاختلاف بين الروايات

٦٨١- يب: [تهذيب الأحكام] سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن إبراهيم بن عمران الشيباني عن يونس بن إبراهيم عن يحيى بن الأشعث الكندي عن مصعب بن يزيد الأنصاري قال استعملني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ على أربعة رساتيق المدائن البهقباذات ونهر شيريا ونهر جوير ونهر الملك وأمرني أن أضع على كل جريب زرع غليظ درهما ونصفا وعلى كل جريب وسط درهما وعلى كل جريب زرع رقيق ثلثي درهم وعلى كل جريب كرم عشرة دراهم وعلى كل جريب نخل عشرة دراهم وعلى كل جريب البساتين التي تجمع النخل والشجر عشرة دراهم وأمرني أن ألقى كل نخل شاذ عن القرى لمارة الطريق وابن السبيل ولا آخذ منه شيئا وأمرني أن أضع على الدهاقين الذين يركبون البراذين و يتختمون بالذهب على كل رجل منهم ثمانية وأربعين درهما وعلى أوساطهم والتجار منهم على كل رجل أربعة وعشرين درهما وعلى سفلتهم و فقرائهم اثني عشر درهما على كل إنسان منهم قال فجيبتها ثمانية عشر ألف ألف درهم في سنة

إيضاح: قال محمد بن إدريس رحمه الله في كتاب السرائر بهر سير بالباء المنقطعة من تحتها نقطة واحدة والسين غير المعجمة هي المدائن والدليل على ذلك أن الراوي قال استعملني على أربعة رساتيق ثم عد خمسة فذكر المدائن ثم ذكر من جملة الخمسة بهر سير فعطف على اللفظ دون المعنى. فإن قيل لا يعطف الشيء على نفسه قلنا إنما عطف على اللفظة دون المعنى وهذا كثير في القرآن والشعر قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكنيبة في المزدحم

فكل هذه الصفات راجعة إلى موصوف واحد وقد عطف بعضها على بعض لاختلاف ألفاظها. ويدل على ما قلناه أيضا ما ذكره أصحاب السير في كتاب صفين قالوا لما سار أمير المؤمنين ﷺ إلى صفين قالوا ثم مضى نحو ساباط حتى انتهى إلى مدينة بهر سير وإذا رجل من أصحابه ينظر إلى آثار كسرى وهو يتمثل بقول ابن عفور السهمي:

جرت الرياح إلى محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال ﷺ أفلا قلت كم تَزَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ كَذَلِكَ وَأَوْزِنْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ الْآيَةِ.

وأما البهقباذات فهي ثلاثة البهقباذ الأعلى وهي ستة طساسيج طسوج بابل و خطرنية والفلوجة العليا والسفلى والنهرين وعين النمر.

والبهقباذ الأوسط أربعة طساسيج طسوج الحبة والبداء و سور إبريسما ونهر الملك وبارسوما. والبهقباذ الأسفل خمسة طساسيج منها طسوج فرات و بارقلي و طسوج السيلحين الذي فيه الخورنق و السدير ذكر ذلك عبد الله بن خردادبه في كتاب الممالك والمسالك^(١).

أقول إنه رحمه الله بنى كلامه على ما نقله من كتاب المقنعة وفيه و البهقباذات مع العطف.

وعلى ما في كتاب التهذيب الظاهر إضافة الرساتيق إلى المدائن فيحتمل أن يكون بهر سير عطفًا على أربعة ويكون البهقباذات بيانًا لأربعة رساتيق المدائن أي استعملني على البهقباذات وعلى بهر سير. وأن يكون معطوفًا على رساتيق أي استعملني على أربعة أشياء أحدها رساتيق المدائن وهي البهقباذات والثاني بهر سير وهكذا.

وأن يكون معطوفًا على البهقباذات إحدى الرساتيق والمحل الذي يجري فيه نهر شيريا ثانيها.

(١) وقريباً منه ذكره الياقوت في كتاب معجم البلدان: ج ١، ص ٥١٦ و ج ٦ ص ١٣١.

ثم اختلف في قراءة يهرسير فقد قرأ ابن إدريس كما عرفت و يؤيده ما نقله و نقلنا أيضا في موضع آخر من كتاب صفين.

و قرأ بعض الأفاضل نهرسير بالنون و السين المهملة و بعضهم نهرشير بالنون و الشين المعجمة و قال هو النهر الذي عمله فرهاد لشيرين و هو من أعمال المدائن و منهم من قرأ يهرشير بالباء و الشين المعجمة أي الممول لأجل اللين و هو بعيد و منهم من قرأ نهرسر بإسقاط الياء من بين المهملين أي النهر الأعلى و كذا اختلف النسخ في نهر جوهر ففي بعضها بالجيم فالواو فالياء المثناة التحتانية فالراء المهملة و في بعضها بإبدال الياء باء موحدة و في بعضها بإبدال الراء نونا و قال الفيروز آبادي الطسوج كسفود الناحية و في النهاية هو استخراج المال من مظانه (١).

٦٨٢- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى أمرائه على الجيوش (٢) (٣).

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالحي أما بعد فإن حقا على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضل ناله و لا طول خص به و أن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده و عطفًا على إخوانه. ألا و أن لكم عندي أن لا احتجز دونكم سرا إلا في حرب و لا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم و لا أؤخر لكم حقا عن محله و لا أقف به دون مقطعه و أن تكونوا عندي في الحق سواء فإذا فعلت ذلك و جبت لله عليكم النعمة و لي عليكم الطاعة و أن لا تنكصوا عن دعوة و لا تفرطوا في صلاح و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك يكن أحد أهون علي ممن اعوج منكم ثم أعظم له العقوبة و لا يجد عندي فيها رخصة فخذوا هذا من أمرانكم و أعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم.

٦٨٣- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الكاتب عن الأجلع عن جندب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن زيد الحماني قال كتب أمير المؤمنين ﷺ إلى أمراء الأجناد و ذكر نحوه و فيه فضل ماله و لا مرتبة اختص بها و فيه فإذا فعلت ذلك و جبت لي عليكم البيعة و لي منكم الطاعة و فيه لم يكن أحد أهون علي ممن خالفني فيه ثم أحل بكم فيه عقوبته و لا تجدوا عندي إلى قولوه أعطوا من أنفسكم هذا يصلح أمركم (٤).

بيان: قال ابن الأثير في مادة سلح من كتاب النهاية المسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو و سموا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة و هي كالنجر و المرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لأن لا يطرقهم على غفلة فإذا رآه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له و جمع المسلح مسالحي.

قوله ﷺ أن لا يغيره أي لا يصير الفضل الذي ناله الوالي و الطول الذي خصه الله به و هو الولاية سببا لتغييره على رعيته بالخروج عن العدل و الجفاء عليهم.

قوله ﷺ أن لا احتجز قال ابن ميثم أي لا أمتنع و قال ابن أبي الحديد أي لا أستتر.

و كلاهما غير موجودين في كلام أهل اللغة و إن كان ما ذكره الجوهري من أنه يقال احتجز الرجل بإزاره أي شد إزاره على وسطه قريبا مما ذكره ابن أبي الحديد لكنه بهذا المعنى غير متعد و كذا استتر كما ذكره في تفسيره و المناسب هو ما ذكره ابن ميثم و إن كان غير موجود في كلامهم.

و استثناء الحرب لأنه خدعة و لا يناسب إقضاء الآراء فيه.

و لا أطوي دونكم أمرا أي أظهركم على كل ما في نفسي مما يحسن إظهاركم عليه فأما الأحكام الشرعية و القضاء على أحد الخصمين فأني لا أعلمكم قبل وقوعها و لا أشاوركم فيها كيلا تنفسد القضية بأن يحتال ذلك الشخص لصرف الحكم عنه و لعدم توقف الحكم على المشاورة.

(١) لم أجد مادة «طسج» في طبعة الحديث ببيروت من كتاب النهاية.

(٢) هذا هو الصواب، وفي ط الكياني من أصلي: «من كلام له ﷺ إلى أمرائه على الجيوش».

(٣) رواه السيد الرضي ح في المختار: (٥٠) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

(٤) رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في الحديث: (٣٣) من الجزء الثامن من أماليه: ج ١، ص ١٣٦، ط ١.

ورويته عن مصدر آخر في المختار: (٨٤) من باب الكتب من كتاب نهج السعادة: ج ٤، ص ٢٢٨، ط ١.

وقال ابن أبي الحديد ثم ذكر أنه لا يؤخر لهم حقاً عن محله يعني العطاء وأنه لا يقف دون مقطعه والحق هاهنا غير العطاء بل الحكم قال زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو سفار أو جلاء

أي متى تعين الحكم حكمت به وقطعت ولا أقف ولا أتجسس انتهى.

ويحتمل تميم الحق في الموضعين أي ما يلزم لكم علي من عطاء أو حكم لا أخره عن محله ولا أقصر في الإتيان به فالوقوف به قبل مقطعه ترك السعي في الإتيان به قبل تمامه.

٦٨٤- نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى عماله على الخراج^(١):

من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج أما بعد فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم نفسه ما يحرزها. واعلموا أن ما كلفتم يسير وأن ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فأصغوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية وكلاء الأمة وسفراء الأئمة ولا تحشموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعملون عليها ولا عبداً.

ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدي به على أهل الإسلام فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكه عليه.

ولا تدخروا أنفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وأبلوا في سبيله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا وأن تنصره مما بلغت قوتنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٤٧٢
٣٣

توضيح: ما يحرزها أي يحفظ نفسه من عذاب الله ما لا عذر في ترك طلبه لأنه نفع عظيم مقدور على تحصيله فالتفريط في طلبه قبيح.

وقال الجوهري السفير الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء. وقال أبو زيد حشمت الرجل وأحشمته بمعنى وهو أن يجلس إليك فتؤذيه وتغضبه وقال ابن الأعرابي حشمته أخجلته وأحشمته أغضبته.

وفي بعض النسخ ولا تحسموا أحداً بالسبب المهمل من الحسم بمعنى القطع والمعاهد الذي وكل من دخل بأمان وقال الجوهري العدا تجاوز الحد والظلم يقال عدا عليه عدواً وعدواً وعداً ظلمه.

وقال ابن الأثير في مادة شوك من كتاب النهاية القتال شدته وحدثه.

قوله ﷺ ولا تدخروا أنفسكم أي لا تمنعوا عن أنفسكم نصيحة وارعوا ما فيه صلاحها.

وفي النهاية الإبلاء الإنعام والإحسان وفي حديث بر الوالدين أبل الله تعالى عذراً في برها أي أعطه وأبلغ العذر فيها إليه والمعنى أحسن فيما بينك وبين الله ببرك إياهما وقال الاصطناع انفعال من الصنعة وهي العطية والكرامة والإحسان.

قوله ﷺ أن نشكره أي اصطنع إلينا لأن نشكره أو جعل شكره بجهدنا ونصره بقوتنا صنعة ومعروفاً عندنا وعندكم.

٦٨٥- نهج: [نهج البلاغة] من كتابه إلى أمرائه في الصلاة أما بعد فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مريض الغنز و صلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان و صلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم و يدفع الحاج و صلوا بهم العشاء حين يتواري الشفق إلى ثلث الليل و صلوا بهم الغداة و الرجل يعرف وجه صاحبه و صلوا بهم صلاة أضعفهم و لا تكونوا فتانين^(٢).

٤٧٣
٣٣

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (٥١) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضی رضي الله تعالى عنه في المختار: (٥٢) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

إيضاح: لعل الابتداء بالظهر لأنها أول ما فرضت من الصلوات حين تفيء أي يزيده ويرجع ظل الشمس بعد غاية نقصانه.

قوله مثل مريض العز أي الأنتى من المعز وهو قريب من القدمين وقت النافلة وهو أول وقت الفضيلة المختص بالظهر لا آخره كما فهمه الراوندي رحمه الله.

قوله والشمس يضاء أي لم تصفر للمغيب وحياتها استعارة لظهورها في الأرض والعضو بالضم والكسر واحد الأعضاء والظرف خير للشمس أو متعلق بصلوا والمراد بقاء جزء معتد به من النهار.

وقال في النهاية فيه أنه دفع من عرفات أي ابتدأ السير ودفع نفسه منها ونحاه أو دفع ناقته وحملها على السير.

والفتان من يفتن الناس عن الدين وإطالة الصلاة مستلزمة لتخلف العاجزين والضعفاء والمضطرين.

٦٨٦-نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها يستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر إلى ما تقضيه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالقلقه وما أيقنت بطيب وجوهه فقل مثله ^(١).

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه.

ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنت من دنياكم تبرأ ولا ادخرت من غنائمها وفرا ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا ولا حزت من أرضها شبرا ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبيرة ولهي في عيني أوهي وأهون من حفصة مقرة ^(٢) بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمته السماء فشححت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله. وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدت تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها وحفرة لوزيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم وإنما هي نفسي أروضا بالتقوى لثأتي أمانة يوم الخوف الأكبر وثبتت على جوانب المزلق.

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمع ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيير الأطعمة ولعل بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشيخ أو أن أبيت مبطانا وحولي بطون غرثي وأكبأ حرى أو أن أكون كما قال القائل

وحسبك داء أن تسببت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القصد

أفتنع من نفسي بأن يقال لي أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها قلقها أو المرسله شغلها تقمها تكثرش من أعلافها وتلهو عما يراد بها أو أترك سدى أو أهمل عابثا أو أجر جبل الضلالة أو اعتسفت طريق الماتهة.

وكأنني بقاتلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان. ألا وإن الشجرة البرية أصلب عودا والروائع الخضرة أرق جلودا والنابتات العذبة أقوى وقودا وأبطأ خمودا. وأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.

والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ولو أمكنت القرص من رقابها لاسرعت إليها. وسأجهد في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد. إليك عني يا دنيا فحبلك على غاريك قد انسللت من مخالبك وأفلت من حباتك واجتنبت الذهاب في مداحضك

(١) رواه السيّد الرضی ح في المختار: (٤٥) من باب الكتب من كتاب نهج البلاغة.

(٢) ما بين المتوفين مأخوذة من نسخة شرحها ابن أبي الحديد - وهو أصح النسخ - وقد سقط من أصلي من ط الكلباني من البحار.

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك ها هم رهائن القبور ومضامين اللحد!!

والله لو كنت شخصا مرثيا وقالبا حسيا لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمانى وأم أقيمتهم في المهادي وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطني دحسك زلق ومن ركب لججك غرق ومن أزرع عن حبالك وفق والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه. اعزبي عني فوالله ولا أسلس لك فتقوديني^(١).

٤٧٦
٣٣

وإيم الله يعينا أستثني فيها بمشية الله لأروض نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما وتقع بالملح مآدوما ولأدعن مقلي كعين ماء نضب معينها مستغرقة دموعها أتمتلي السائمة من رعيها فتترك وتشبع الربيضة من عشها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية.

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها وعركت بجنيها بؤسها وهجرت في الليل غمضا حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم وتجاغت عن مضاجعهم جنوبهم وهمت بذكر ربهم شفاهم وتشتعت بطول استغفارهم ذنوبهم أولئك حزبُ الله أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

فاتق الله يا ابن حنيف وتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك

إيضاح: عثمان بن حنيف هو الذي أخرجه طلحة والزبير من البصرة حين قدماها قوله ﷺ من فتية أهل البصرة قال ابن أبي الحديد أي من فتيتها أو من شبانها وأسحيانها ويروى أن رجلا من قطان البصرة أي سكانها وقال في النهاية المأذبة بضم الدال الطعام يدعى إليه القوم وقد جاءت بفتح الدال أيضا يقال أدب فلان القوم بأدبهم بالكسر أي دعاهم إلى طعامه والأدب الداعي يستطاب لك الألوان يطلب لك طيبها ولذيذها.

وقال الجوهري الجفنة كالقصعة والجمع الجفان والعائل الفقير والجفاء تقيض الصلة والمجفوف المبعد. ثم اعلم أن ظاهر كلامه ﷺ النهي عن إجابة مثل هذه الدعوة من وجهين أحدهما أنه طعام قوم عاناهم مجفوف وغنيهم مدعو فهم من أهل الرياء والسمة وعدم إجابة دعوتهم أولى.

٤٧٧
٣٣

و ثانيهما أنه مما يظن تحريمه فالأولى الاحتراز عن أكله فيمكن أن يكون النهي عاما ومثل تلك الإجابة مكروها أو يكون خاصا بالوالة كما يشعر به قوله ﷺ في كلامه لعاصم بن زياد حيث قال ﷺ له إني لست كانت إن الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس كيلا يتبيخ بالفقير فقره وحينئذ يكون المخاطب بقوله ﷺ ألا وإن إمامكم وقوله وأعينوني هم الولاة فالنهي إما للتحريم أو للتنزيه ولا ينافي الأول قوله ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك فإن الظاهر أنه إشارة إلى الاكتفاء من الثوب بالطمرين ومن الطعم بالقرصين.

وعلى الثاني تكون الكراهة بالنظر إلى الولاة أشد.

ويحتمل أن يكون للأعم من الحرمة والكراهة ويكون لكل من الولاة وغيرهم حكمه فالخطاب عام. ويمكن أن يستفاد من قوله ﷺ يستطاب لك الألوان وجه آخر من النهي وهو المنع من إجابة دعوة المسرفين والمبذرين إما تحريما مع عموم الخطاب أو خصوصه ونظيره النهي للولاة عن أخذ الهدايا ولعله يشعر بذلك قوله يستطاب لك وتنقل إليك أو تنزيها فيكون بالنظر إليهم أشد أو الأعم منهما كما ذكر.

والاحتمالات الأخيرة مبنية على انقسام الإسراف مطلقا إلى المحرم والمكروه.

والقضم الأكل بأطراف الأسنان والظمر بالكسر الثوب الخلق والظمران الإزار والرداء والعشاء. للغداء والعشاء.

وقوله ﷺ بورع واجتهاد الورع اجتناب المحرمات والاجتهاد أداء الواجبات أو الورع يشمل ترك المكروهات أيضا والاجتهاد الإتيان بالسنة الأكيدة أيضا ويمكن أن يكون التنوين فيهما للتقليل أي

٤٧٨
٣٣

بما تستطيعون منها والإعانة على الشفاعة أو على إجراء الأحكام والأدب بين الناس والأول أظهر. وقال الجوهرى التبر من الذهب ما كان غير مضروب فإذا ضرب دنائير فهو عين ولا يقال تبر إلا للذهب وبعضهم يقول للفضة أيضا انتهى.

والوفر المال الكثير والمراد باليالي المندرس وبالطمر ما لم يبلغ ذلك.

وفي نسخة الراوندي بعد ذلك ولا ادخرت من أطوارها شيئا وقدك ينصرف بتأويل الموضع ولا ينصرف بتأويل البلدة أو القرية.

والنفوس الشاحة أبو بكر وعمر وأتباعهم والساخية نفوس أهل البيت عليهم السلام أو من لم يرغب في هذا الغصب ولم يرض به والأول أظهر.

وفي الصحاح مظنة الشيء موضعه وألفه الذي يظن كونه فيه والجمع المظان وقال الجحدث القبر وقال ضغطه يضغطه ضغطا رخمه إلى حائط ونحوه ومنه ضغطة القبر.

وفي بعض النسخ لأضغظها قال ابن أبي الحديد أي جعلها ضاغطة والهزمة المستعديّة ويروى لضغظها والمتراكم المجتمع وإنما هي نفسي كأن الضمير راجع إلى النفس وقيل أي إنما همتي وحاجتي رياضة نفسي ويقال رضت الدابة كفلت أي ذللتها وأدبتها.

والمراد بالمزلق الصراط أو طريق الحق قوله عليه السلام ولو شئت لاهتديت قال ابن أبي الحديد وقد روي ولو شئت لاهتديت إلى هذا العسل المصفى ولباب هذا البر المنقى فضربت هذا بذاك حتى ينضج وقودا ويستحكم معقودا.

والقمع البر قاله الجوهرى.

وقال القز الإبريسم معرب وقال الجشع أشد الحرص وقال الاختيار الاصطفاء وكذلك التخير وقال الميطان الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل. وقال الثرث الجوع وقد غرث بالكسر يغرث وقال الحرة بالكسر العطش ومنه قولهم أشد العطش حرة على قرّة إذا عطش في يوم بارد والحران العطشان والأنتى حرى مثل عطشى.

قوله عليه السلام أو أكون الهزمة للاستفهام والواو للعطف والبيت للحانم الطائي المشهور والبطنة بالكسر هو أن يمتلئ من الطعام امتلاء شديدا والقدر بالكسر سير يقدر من جلد غير مدبوغ والاشتياق إلى القدر لشدة الجوع.

قوله عليه السلام ولا أشاركهم الواو للحال أو العطف على أقنع أو يقال فيحتمل الرفع والنصب.

وقوله عليه السلام أو أكون معطوف على أشاركهم أو على أقنع.

وقال الجوهرى طعام جشِب وجشِب أي غليظ ويقال هو الذي لا آدم معه.

قوله عليه السلام كالهيمة المربوطة إلخ قال ابن ميثم فإن الاشتغال بها إن كان غنيا أشبه المعلوفة في اهتمامه بما يتغلفه من طعامه الحاضر وإن كان فقيرا كان اهتمامه بما يكتسبه كالسائمة والتقمم أكل الشاة ما بين يديها بمقمتها أي شفتها وقيل تتبع القمامة.

قوله عليه السلام تكثرش أي تملأ بها كرشه والكرش بالكسر وككتف لكل مجتر بمنزلة المعدة للإنسان وتلهو عما يراد بها أي من ذبح واستخدام.

وأترك في بعض النسخ بالضم عطفًا على أقنع والنصب عطفًا على يقال أو يشغلني وكذا قوله أهمل وأجر واعتسف وأجر حبل الضلالة أي أجر اتباعي إليها ويحتمل التشبيه بالهيمة التي انقطع مقودها أو تركت سدى والاعتساف العدول عن الطريق والمتاهة محل التيه والضلال والحيرة.

والباء في قد به للتعديّة وفي القاموس النزال بالكسر أن ينزل الفريقان عن إلهما إلى خيلهما فيضاربوا وقد تنازلوا والرتع الاتساع في الخصب وكل خصب مرتع ويظهر من بعض الشراح أنه قرأ الروائع بالياء المشاة التحتانية من راعه بمعنى أعجبه وفيما رأينا من النسخ بالتاء والعذي بكسر العين وسكون الذال الزرع لا تسقيه إلا ماء المطر.

قوله ﷺ كالصنو من الصنو الصنو المثل وأصله أن تطلع النخلتان من عرق واحد وقال النبي ﷺ أنا وعلي من نور واحد.

وفي كثير من النسخ كالضوء من الضوء أي كالضوء الحاصل أو المنعكس من الضوء لكون علمه وكمالاته من النبي ﷺ ولذا كنى الله عن النبي ﷺ في القرآن بالشمس وعنه ﷺ بالقمير والتشبيه بالذراع من العضد لأن العضد أصل للذراع والذراع وسيلة إلى التصرف والبطش بالعضد. وسمى معاوية معكوسا لانعكاس عقيدته و مركوسا لكونه تاركا للفترة الأصلية و يحتمل أن يكون تشبيها له بالبهايم.

و إنما قال ﷺ الشخص والجسم ترجيحاً لجانب البدن أو لكونه تابعا لشهواته البدنية تاركا لمقتضيات روحه وعقله فكانه ليس هذا إلا الجسم المحسوس وقال الجوهرى الركن رد الشيء مقلوبا وَاللَّهُ أَزْكَنُهُمْ بِمَا كَتَبُوا أي ردهم إلى كفرهم قوله ﷺ حتى تخرج المدرّة من بين حب الحصيد قال ابن ميثم أي حتى يخرج معاوية من بين المؤمنين ويخلصهم من وجوده بينهم كما يفعل من يصفى الغلّة.

وقال ابن أبي الحديد كما أن الزراع يجتهدون في إخراج الحجر والمدر والشوك ونحوه من بين الزرع كيلا يفسد مبادئه فيفسد ثمرته^(١).

وفيه نظر لأنه لا معنى لإخراج الطين من الزرع لأن لفظ حب الحصيد لا يفهم منه ذلك^(٢).

وقال الجوهرى الغارب ما بين السنام والعنق ومنه قولهم حبلك على غاربك أي اذهبى حيث شئت وأصله أن الناقة إذا رعت وعليها الخطوم ألقى على غاربها لأنها إذا رأت الخطوم لا يهنؤها شيء.

والانسلا الانطلاق في استخفاء والمخلب كمنبر ظفر كل سبع وأفلت الطائر وغيره تخلص وأفلته غيره والحيائل جمع حباله بالكسر وهي ما يصاد بها من أي شيء كان والمداحض المزلق والمراد هنا مواضع الشبهة وكل ما يؤدي إلى حرام والمداعب من الدعابة وهي المزاح.

وفي النهاية الزخرف في الأصل الذهب وكمال حسن الشيء وقال المضامين جمع مضمون ومضمون الشيء ما احتوى واشتمل ذلك الشيء عليه. والقالب بالفتح قالب الخف ونحوه وما يفرغ فيه الجواهر والكسر اليسر الأحمر حسيا أي مدركا بالحس وفي بعض النسخ جنسيا أي منسوباً إلى جنس من الأجناس الموجودة المشاهدة.

وقال الجوهرى هوى بالفتح يهوى يسقط إلى أسفل والهوى والهواة ما بين الجبلين والصدر بالتحريك الرجوع عن الماء خلاف الورد والمعنى أوردتهم مهالك ليست من محال الصدور والورود ولا يجرى النجاة منها.

ودحضت رجله زلقت ولجة الماء ولجه معظمه وركوبها كناية عن ركوب أهوالها وفتنها أو طلب العلو فيها وأزور عنه عدل وانحرف.

وقال ابن أبي الحديد ضيق المناخ كناية عن شدائد الدنيا كال فقر والمرض والحبوس والسجون ولا يبالي بها لأن كل ذلك حقير في جنب السلامة من فتنة الدنيا كيوم حان انسلاخه أي قرب انقضاؤه ولا أسلس لك أي لا أناقد.

والاستثناء من اليمين بمشيئة الله تعليقه بالمشيئة يقول إن شاء الله وهو مستحب في سائر الأمور وقال ابن الأثير في النهاية هش لهذا الأمر بهش هشاشة إذا فرح بذلك واستبشر وارتاح له وخف وقال نضب الماء غار ونفذ.

وقال الجوهرى ماء معين أي جار أي أبكى حتى لا يبقى في عيني ماء.

وقال ابن أبي الحديد الرعي بكسر الراء الكلاء وقال الجوهرى ربض الغنم مأواها وربوض الغنم

(١) كذا في أصلي المطبوع، وفي النسخة التي عندي من شرح ابن أبي الحديد وشرح ابن ميثم: «كيلا يفسد منابته...».

(٢) هذا آخر ما ذكره المصنف بنحو الإيجاز عن ابن ميثم ح في شرح هذه الفقرة في شرحه على نهج البلاغة: ج ٤ ص ١١٣.

والبقر والفرس والكتب مثل برك الإبل والرييض الغنم برعاتها المجتمعة في مربضها وقال الهجوع النوم ليلا. وقال الهمل بالتحريك الإبل بلا راع يقال إبل همل وهامله ويقال فلان يعرك الأذى بجنبه أي يحتمله ذكره الفيروز آبادي وقال ما اكتحلحت غمضا أي ما تمت والكرى النعاس افترشت أرضها أي اكتفت بها فراشا. وتوسدت كفها أي جعلتها وسادة واكتفت بها مع أنه مستحب والهمهمة الصوت الخفي ويدل على استحباب إخفاء الذكر وتقشعت أي تفرقت وزالت وذهبت كما يتقشع السحاب.

٦٨٧-نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأئيم وأسد به لهأة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما أهملك واخلط الشدة بضغت من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة واخضض للرعية جناحك وأن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتى لا يطعم العظماة في حيفك ولا يئأس الضعفاء من عدلك والسلام^(١).

بيان: الاستظهار الاستعانة والقمع القهر والتذليل والنخوة الكبر والأئيم المذنب.

وقال في النهاية اللهوات جمع لهأة وهي اللحامات في سقف أقصى الفم انتهى ولعله أريد بها هنا الفم مجازا والضغت بالكسر قطعة حشيش مختلطة الرطب باليابس وفي تشبيه اللين بالضغث لطف فإنه لا يكون إلا لينا.

وقال ابن أبي الحديد المراد مزج الشدة بشيء من اللين فاجعلهما كالضغث وفيه بعد.

وقال الجوهرى اعترمت على كذا وعزمت بمعنى والاعتزام لزوم القصد في المشي انتهى ولعل المراد هنا المعنى الثاني إلى أنه مع الاضطرار إلى الشدة ينبغي عدم الإفراط فيه وخضض الجناح كناية عن الرفق أو الحراسة وإلانة الجانب ترك الغلظة والعنف في المعاشرة وآس بينهم أي اجعلهم أسوة وروي وسوا بينهم والمعنى واحد واللحظة المراقبة وقيل النظر بمؤخر العين.

٦٨٨-نهج: [نهج البلاغة] من كتاب له عليه السلام أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئا إلا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما أبرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام^(٢).

بيان: المشغلة كمرحلة ما يشغلك وفي بعض النسخ مشغلة على بناء الإفعال فلو صحت الرواية بطل ما حكم به الأكثر من رداء أشغله واللهج بالشيء الولوع به.

قوله عليه السلام ولو اعتبرت قال ابن أبي الحديد أي لو اعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقيه أن تنفقه في الضلال وطلب الدنيا وتضييعه.

وقال ابن ميثم أي لو اعتبرت بما مضى من القرون الخالية لحفظت ما بقي من السعادة الأخروية أقول قال ابن أبي الحديد قد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب وقال إنه عليه السلام كتبه إلى عمرو بن العاص وفيه زيادة لم يذكرها الرضى.

٦٨٩-نهج: [نهج البلاغة] من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته أما بعد فإنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عما يعجبك فيها لقله ما يصحبك منها وضع عنك هومها لما أيقنت به من فراقها وكن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور أو إلى إيناس إزالته عنه إلى إحشاش^(٣).

(١) رواه السيد الرضى ح في المختار: (٤٦) من باب الكتب من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيد الرضى رضي الله تعالى عنه في المختار: (٤٩) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة، قال: ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا.

(٣) رواه السيد الرضى رفع الله مقامه في المختار: (٦٨) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة. ورويناه عن مصادر كثيرة في المختار الثاني من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب نهج السعادة: ج ٤ ص ٨.

بيان: قوله ﷺ لقلة ما يصحبك منها أي لقلة ما تستفيد من لذتها والانتفاع بها والتعبير بالقلة على سبيل التنزيل أي لأنك لا تصحب منها شيئا وقيل المراد بما يصحبه منها الكفن وقيل القبر.

٦٩٠-نهج: [نهج البلاغة] روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين ﷺ اشترى دارا على عهده بثمانين دينارا فبلغه ذلك واستدعاه وقال له بلغني أنك ابتعت دارا بثمانين دينارا و كتبت كتابا و أشهدت شهدا فقال له شريح قد كان ذلك يا أمير المؤمنين قال فنظر إليه نظر مغضب ثم قال:

يا شريح أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بيتك حتى يخرجك منها شاخصا ويسلمك إلى قبرك خالسا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقتد الثمن من غير حل لك فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا و دار الآخرة أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لك بيتك لك كتابا على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه والنسخة هذه.

هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد أزعج للرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفنانين و خطة الهالكين و تجمع هذه الدار حدد أربعة.

الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات.

والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات.

والحد الثالث ينتهي إلى الهوى المردي.

والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار.

اشترى هذا المغتر بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى ميليل أجسام الملوك و سالب نفوس الجبابرة و مزيل ملك الفراغة مثل كسرى و قيصر و تبع و حمير و من جمع المال على المال فأكثر و من بني و شيد و زخرف و نجد و ادخر و اعتقد و نظر بزعمه للولد إشاخصهم جميعا إلى موقف العرض و الحساب و موضع الثواب و العقاب إذا وقع الأمر بفصل القضاء وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْفَائِزُونَ شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى و سلم من علائق الدنيا. أقول: سيأتي برواية أخرى مع شرحه في أبواب خطبه و مواعظه^(١).

٦٩١-نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيش^(٢):

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباه الخراج و عمال البلاد أما بعد فإني قد سيرت جنودا هي مارة بكم إن شاء الله و قد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى و صرف الشذا و أنا أبرأ إليكم و إلى ذمتكم من معرفة الجيش إلا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبا إلى شعبة فنكلا من تناول منهم ظلما عن ظلمهم و كفوا أيدي سفهائكم عن مضارتهم و التعرض لهم فيما استثنينا منهم و أنا بين أظهر الجيش فارفعوا إلي مظالمكم و ما عراكم مما يغلبكم من أمرهم و ما لا تطيقون دفعه إلا بالله و بي أغیره بمعونة الله.

بيان: يطأ عملهم أي يسرون في أرضهم و البلاد التي تحت عملهم و حكمهم و قال الجوهرى جيبته جبابية و جبوته جباوة جمعته و قال الشذا مقصورا الأذى و الشر قوله و إلى ذمتكم قال ابن أبي الحديد أي اليهود و النصارى الذين يبينكم قال ﷺ من أذى ذمتي فكأنما أذاني.

و قال ابن ميثم أي إلى ذمتكم التي أخذتها من إسارة الجيش فإنه ليس بأمرى من ذلك إلا معرفة جوعة المضطر و المعرفة الإثم و الأمر القبيح المكروه و الأذى و هذا و يدل على أنه يجوز للجائع المضطر من الجيش الأخذ بقدر الشبع.

و قال ابن الأثير في النهاية التنكيل المنع و التحية و أنا بين أظهر الجيش أي أنا قريب منكم و سائر على أثرهم و قال ابن ميثم كناية عن كونه مرجع أمرهم و عراه يعروه غشيه أو قصده و تغيير ما عراهم دفع الظلم عنهم.

(١) رواه المصنف في الباب: (١٢) من كلام أمير المؤمنين ﷺ من كتاب البحار: ج ١٧، ص ٧٧ ط الكمباني، وفي ط الحديث: ج ٧٧ ص ٣٧٧.

(٢) رواه السيد الرضي ح في المختار: (٦٠) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من كتاب نهج البلاغة.

٦٩٢- نهج: [تهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ كتبه لما استخلف إلى أمراء الأجناد أما بعد فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه وأخذوهم بالباطل فاقصدوه^(١).

إيضاح: فاشتروه قال ابن أبي الحديد أي فاشترى الناس الحق منهم بالرشا والأموال أي لم يضعوا الأمور مواضعها ولا لولايات مستحقها وكانت أمورهم تجري على وفق الهوى والأغراض الفاسدة فاشترى الناس منهم الميراث والحقوك كما يشتري السلع بالأموال وروي فاستروهم بالسين المهمل أي اختاروه يقول استريت خيار المال أي اخترته ويكون الضمير عائداً إلى الظلمة لا إلى الناس أي منعوا الناس حقهم من المال واختاروه لأنفسهم واستأثروا به وأخذوهم بالباطل أي حملوهم على الباطل فجاء الخلف من بعد السلف فاقصدوا بآبائهم وأسلانهم في ارتكاب ذلك الباطل ظنا منهم أنه حق لما قد أفوه ونشوا عليه.

وقال ابن ميثم اشتروه أي باعوه وتعرضوا عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَنٍّ بَخْسٍ﴾ وكذلك قوله ﷺ أخذوهم بالباطل فاقصدوه أي اقتدوا بالباطل وسلكوا فيه مسلك من أخذهم به كقوله تعالى ﴿فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدَ﴾ انتهى.

قبل ويحتمل إرجاع الضمير المرفوع في قوله ﷺ اشتروه إلى الناس والمنصوب إلى المنع المذكور في ضمن قوله منعوا أي إنما أهلك من كان قبلكم أن الظالمين منهم تصرفوا في أمورهم وصاروا خلفاء فيهم حكاما بينهم وهو معنى منعهم الحق فرضوا بذلك وتعرضوا به عن الحق وخلفائه فالاشتراء كناية عن الرضا أو استعارة لتعويضهم أو مجاز فيه.

وأما الضمير المنصوب في قوله ﷺ فاقصدوه فيحتمل الإرجاع إلى الأخذ فيكون نظيرا للسابقة أو إلى الباطل.

أقول: وفي بعض النسخ فاقصدوه بالفاء أي أخذوهم بأحكام الجور فأعطوا الفداء ليتخلصوا منهم فالضمير راجع إلى الباطل ولعله أنسب.

٦٩٣- نهج: [تهج البلاغة] وقال ﷺ لزياد ابن أبيه وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاء فيه عن تقديم الخراج^(٢).

استعمل العدل واحذر العسف والحيف فإن العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو إلى السيف

بيان: قال في القاموس عسف السلطان ظلم وفلانا استخدمه والحيف الميل والجور والظلم فيحتمل أن يكون المراد بالحيف الميل إلى بعض الرعايا بالإعزاز والاحترام وتفضيل بعضهم على بعض فإن ذلك يورث العداوة بينهم وعدم طاعة بعضهم للوالي فيكون داعيا إلى القتال.

أو المراد بالعسف الاستخدام كما هو دأب الملوك في استخدام الرعايا وأخذ دوابهم فالحيف بمعنى الظلم أي سائر أنواعه.

وقال ابن أبي الحديد كانت عادة أهل فارس في أيام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملاكهم قبل بيع الثمار على وجه الاستلاف وكان ذلك يجحف بالناس.

٦٩٤- نهج: [تهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى بعض عماله أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك قسوة وغلظة واحتقارا وجفوة فنظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء إن شاء الله^(٣).

(١) رواه السيد الرضي رضوان الله عليه في المختار الأخير من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في آخر نهج البلاغة تحت الرقم: (٤٧٦) من قصار كلام أمير المؤمنين ﷺ.

(٣) رواه السيد الرضي ح في المختار: (٢٠) من باب الكتب من كتاب نهج البلاغة.

وقريبا منه رويناه في المختار: (١٧٢) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من كتاب نهج السعادة: ج ٥ ص ٢٧ ط ١.

بيان: الدهقان بالضم والكسر رئيس القرية وهو معرب والقسوة الصلابة والجفوة تقيض الصلة.

قوله ﷺ فلم أرهم أي لا تقربهم إليك قربا كاملا لشركهم ولا تبعدهم عنك بعدا كاملا لأنهم معاهدون وأهل الذمة فعاملهم بين المعاملتين والجلباب الإزار والرداء أو الملحفة أو المقنعة والطرف بالتحريك الطائفة من الشيء والمداولة المناوبة أي كن قاسيا مرة ولينا أخرى.

٦٩٥-نهج: [تهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى زياد ابن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن العباس على البصرة وعبد الله يومئذ عامل أمير المؤمنين ﷺ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان^(١).

٤٩٠
٣٣ و إني أقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني أنك خنت من في المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر والسلام

إيضاح: قال ابن ميثم زياد هو ابن سمية أم أبي بكرة دعي أبي سفيان وروي أن أول من دعاه ابن أبيه عائشة حين سئلت لمن يدعي وكان كاتب المغيرة بن شعبة ثم كتب لأبي موسى ثم كتب لابن عامر ثم كتب لابن عباس وكان مع علي ﷺ فولاه فارس وكتب إليه معاوية يتهدده فكتب إليه أنتوعندي وبيني وبينك ابن أبي طالب أما والله لئن وصلت إلي لتجدي أحمر ضرابا بالسيف ثم دعاه معاوية أخاه وولاه بعد أمير المؤمنين ﷺ البصرة وأعمالها وجمع له بعد المغيرة بن شعبة العراقيين وكان أول من جمعا له.

وقال الجوهري الكورة المدينة والصقع والصقع الناحية والجمع كور. وقال الفارس الفرس وبلادهم وقال الشدة بالفتح الحملة الواحدة وقال الوفر المال الكثير أي تفرك بأخذ ما أخذت من أموال المسلمين ثقيل الظهر بالأوزار والتبعات وقيل كناية عن الضعف وعدم النهوض لما يحتاج إليه والضئيل الحقيق أي تسلب جاهك بسلب مالك.

٦٩٦-نهج: [تهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى زياد أيضا^(٢).

فدع الإسراف مقتصدا واذكر في اليوم غدا وأمسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك. أترجو أن يؤتيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدقين وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدم والسلام.

٤٩١
٣٣ بيان: الإسراف التبذير وقيل ما أنفق في غير طاعة وقيل مجاوزة القصد والاقتصاد التوسط في الأمور وفي النهاية التمرغ الثقلب في التراب وقال الأرملة المساكين من نساء ورجال ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده أرملة وهو بالنساء أخص وأكثر استعمالا الواحدة أرملة وأرملة فالأرملة الذي ماتت زوجته والأرملة التي مات زوجها سواء كانا غنيين أو فقيرين انتهى وأن يوجب مفعول تطمع.

٦٩٧-نهج: [تهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى قثم بن العباس أما بعد فإن عيني بالمغرب كتب إلي يعلمني أنه وجه إلى الموسم أناس من أهل الشام العمي القلوب الصم الأسماع الكهه الأبصار الذين يلتصمون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين ويشترون عاجلها بأجل الأبرار المتقين ولن يفوز بالخير إلا عامله ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله^(٣).

فأقم على ما في يدك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب والنافع لسلطانك المطيع لإمامه وإياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا.

(١) رواه السيد الرضی ح في المختار: (٢١) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من نهج البلاغة.

(٢) رواه السيد الرضی رضي الله في المختار: (٢٢) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

وقريبا منه رويناه عن مصدرين آخرين في المختار: (١٤٢) وتاليه من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من كتاب نهج السعادة: ج ٥ ص ١٦٥ ط ١.

(٣) رواه السيد الرضی ح في المختار: (٢٣) من باب الكتب من كتاب نهج البلاغة.

وقريبا منه ذكرناه عن مصدر آخر في المختار: (١٥٨) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من كتاب نهج السعادة: ج ٥ ص ٢٩٥ ط ١.

بيان: قال ابن ميثم كان معاوية قد بعث إلى مكة دعاء في السر يدعون إلى طاعته و يثبطون العرب عن نصرته أمير المؤمنين عليه السلام بأنه إما قاتل لعثمان أو خاذل له و ينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم فكتب أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكتاب و قثم بن العباس بن عبد المطلب لم يزل والياً لعلي عليه السلام على مكة حتى قتل علي عليه السلام فاستشهد قثم بسمرقند في زمن معاوية.

و قيل إن الذين بعثهم معاوية كان بعض السرايا التي كان يبعثها للإغارة على أعمال علي عليه السلام.

و العين الجاسوس أي أصحاب أخباره عليه السلام عند معاوية و يسمى الشام مغرباً لأنه من الأقاليم المغربية و الموسم كمجلس الوقت الذي يجتمع فيه الحاج كل سنة و الأكمه الذي يولد أعمى الذين يلتمسون الحق بالباطل قال ابن أبي الحديد أي يطلبون الحق بمناعبة معاوية فإنهم كانوا يظهرون ناموس العبادة و في بعض النسخ يلبسون الحق أي يخلطونه و قوله عليه السلام درها منصوب بدلا من الدنيا و شراؤهم عاجل الدنيا بأجل الأبرار كناية عن استعاضتهم الآخرة بالدنيا و الحازم ذو الحزم الراسخ في الدين و الصليب التشديد و ما يعتذر منه المعصية و الزلّة و قال ابن الأثير في النهاية البطر الطفيان عند النعمة و طول الفناء و قال الفشل الفزع و الجبن و الضعف.

٦٩٨- نهج: [تهج البلاغة] و من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس (١):

أما بعد فإن العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته و يحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شقاء غيظ و لكن إطفاء باطل أو إحياء حق و ليكن سرورك بما قدمت و أسفك على ما خلفت و همك فيما بعد الموت و السلام .

٦٩٩- نهج: [تهج البلاغة] و من كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس و هو عامله على البصرة (٢):

اعلم أن البصرة مهبط إبليس و مغرس الفتن فحادث أهلها بالإحسان و احلل عقدة الخوف من قلوبهم و قد بلغني تنمرك لبني تميم و غفلتكم عليهم و أن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع آخر و إنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية و لا إسلام و إن لهم بنا رحما ماسة و قرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها و مأزورون على قطيعتها.

فاربع أبا العباس رحمك الله فيما جرى على يدك و لسانك من خير و شر فإننا شريكان في ذلك و كن عند صالح ظني بك و لا يفيلن رأيي فيك.

تبیین:

قال ابن ميثم رحمه الله روي أن ابن عباس كان قد أضر ببني تميم حين ولي أمر البصرة من قبل علي عليه السلام للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لأنهم كانوا من شيعة طلحة و الزبير و عائشة فحمل عليهم ابن عباس فأقصاهم و تنكر عليهم و غيرهم بالجمل حتى كان يسميهم شيعة الجمل و أنصار عسكر و هو اسم جمل عائشة و حزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي عليه السلام من بني تميم منهم حارثة (٣) بن قدامة و غيره فكتب بذلك حارثة إلى علي عليه السلام يشكو إليه ابن عباس. فكتب عليه السلام إلى ابن عباس:

أما بعد فإن خير الناس عند الله غدا أعلمهم بطاعته فيما عليه و له و أقواهم بالحق و إن كان مرا ألاً و إنه بالحق قامت السماوات و الأرض فيما بين انعباد قلتكن سريرتك فعلا و ليكن حكمك واحدا و طريقتك مستقيمة.

واعلم أن البصرة مهبط إبليس و مغرس الفتن إلى آخر ما مر قوله.

قوله عليه السلام فيما بين العباد حال عن الحق أو ظرف للقيام لكونه عبارة عما ينفع العباد و يصير سببا لانتظام أمورهم.

(١) رواه السيد الرضي رضوان الله عليه في المختار: (٦٦) من باب الكتب من نهج البلاغة. وقرئاً منه رواه أيضاً في المختار: (٢٢) منه.

(٢) رواه السيد الرضي ح في المختار: (١٨) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

(٣) كذا في أصلي ومثله في طبع بيروت من شرح ابن ميثم: ج ٤ ص ٣٩٥. ولعل الصواب: «جارية» وهو ابن قدامة.

قوله فلنكن سريرتك فعلا أي لا تضرع خلاف ما تفعل ولا تخدع الناس قوله ﷺ و مغرس الفتن قال ابن أبي الحديد أي موضع غرسها و يروى بالعين المهملة و هو الموضع الذي ينزل فيه القوم آخر الليل.

فحدث أهلها أي تهدهم بالإحسان قال في النهاية فيه حادثوا هذه القلوب بذكر الله أي أجلوها و اغسلوا الدرن عنها و تعادوها بذلك كما يحدث السيف بالصفال.

و في الصحاح قال الأصمعي تنمر له أي تنكر له و تغير و أوعده لأن النمر لا يلقاه أبدا إلا متنكر غضبان و تنمرؤا تشبهوا بالنمر لم يرغب لهم نجم أي لم يمت لهم سيد إلا قام آخر مقامه و قال ابن ميثم الوغم الثرة و الأوغام التراث أي لم يهدر لهم دم في جاهلية و لا في إسلام يصفهم بالشجاعة و الحمية فالمصاف محذوف أي لم يسبقوا بشفاء حقد من عدو.

ويحتمل أن يكون المعنى أنهم لم يسبقهم أحد إلى التراث و الأحقاد لشرف نفوسهم بقلة احتمالهم للأذى وذلك لأن المهين الحقير في نفسه لا يكاد يغضب و يحقد بما يفعل به من الأذى وإن غضب في الحال إلا أنه لا يدوم ذلك الغضب ولا يصير حقا أو لم يسبقهم أحد ولم يغلب عليهم بالقهر و البطش. و في وصفهم بذلك إشارة إلى وجه المصلحة في الإحسان إليهم مع نوع من المدح و الاستمالة و الرحم الماسة لاتصالهم عند إلياس بن مضر.

و قال ابن أبي الحديد مأزورون أصله موزورون و لكنه جاء بالهمزة لتحاذي بها همزة مأجورون. قوله ﷺ فاربع أي توقف و تثبت فيما تفعل و المراد بالشر الضرر لا الظلم و إن احتمله.

قوله ﷺ فإنا شريكان هو كالتعليل لحسن أمره له بالتثبت لأنه لما كان واليا من قبله فكل حسنة أو سيئة يحدثها في ولايته فله ﷺ شركة في إحداثها إذ هو السبب البعيد و أبو العباس كنية ابن عباس. و قال الجوهري فال الرأي يفيل فيولة ضعف وأخطأ ورجل فال وفائل أي ضعيف الرأي مخطئ الفراسة.

٧٠٠- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى عبد الله بن عباس و كان ابن عباس يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله ﷺ كانتفاعي بهذا الكلام^(١):

أما بعد فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك و ليكن أسفك على ما فاتك منها و ما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا و ما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت.

بيان: أول الكلام إشارة إلى قوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

و الدرك محركة لحاق الشيء و الوصول إليه بعد طلبه و اسم لم يكن ضمير المرء و الغرض عدم الإكثار في الفرح بالنعم بحيث يؤدي إلى الاغترار بالدنيا و الغفلة عن العقبى و عدم الحزن المفرط في المصيبة بحيث يفضي إلى عدم الرضا بالقضاء و ترك ما يجب أو يستحب فعله.

قوله ﷺ بما نلت من آخرتك أي من أسباب آخرتك و الطاعات التي توجب حصول الدرجات الأخروية و لا تأس أي لا تحزن.

٧٠١- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى أهل البصرة^(٢):

(١) رواه السيّد الرضی ح في المختار: (٢٢) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه الشريف الرضی رضوان الله عليه في المختار: (٢٩) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

وقد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم ما لم تغبوا عنه عفوت عن مجرمكم و رفعت السيف عن مدبركم و قبلت من مقلبكم فإن خطت بكم الأمور المردية و سفه الآراء الجائرة إلى منابذتي و خلافي فما أنا ذا قد قربت جيادي و رحلت ركابي و إن أجاتموني إلى المسير إليكم لأوقع بكم وقعة لا تكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاقق.

مع أنني عارف لذي الطاعة منكم فضله و لذي النصيحة حقه غير متجاوز منهما إلى بريء و لا ناكثا إلى وفي.

إيضاح: الحبل العهد و الميثاق و الأمان و كل ما يتوصل به إلى شيء و انتشاره كناية عن تشتت الآراء أو عدم الثبات على اليهود و قيل أي نشركم حبل الجماعة.

قال الجوهري غيبت عن الشيء و غيبته أيضا أغبى غباوة إذا لم يظن له و غبي على الشيء كذلك إذا لم تعرفه.

قوله ﷺ و قبلت من مقلبكم أي الذي لم يفر و جاء معتذرا.

و قال ابن أبي الحديد خطأ فلان خطوة يخطو و هو مقدار ما بين القدمين فهذا لازم فإن عديته قلت أخطيت بفلان و خطوت به و قد عداه ﷺ بالباء أقول المعنى أن ذهب بكم الأمور المهلكة و السفه محركة خفة الحلم.

و الآراء في بعض النسخ على زنة آجال على القلب و في بعضها على الأصل و الجور العدول عن القصد و قال الجوهري جاد الفرس أي صار رائعا بوجود جودة بالضم فهو جواد للذكر و الأنثى من خيل جياد و أجباد و أجاويد.

و الركاب الإبل التي يركب عليها و الواحدة راحلة و رحلت البعير أرحله رحلا إذا شددت على ظهره الرحل و هو أصغر من القتب و في بعض النسخ بالتشديد.

و أوقعت بهم أي بالغت في قتالهم و الوقعة بالحرب الصدمة بعد الصدمة قوله إلا كلعقة لاقق قال ابن أبي الحديد هو مثل يضرب للشيء الحقيق التافه و روي بضم اللام و هي ما تأخذه الملعقة و في النهاية لقق الأصابع و الصفحة طلع ما عليها من أثر الطعام قوله ﷺ غير متجاوز منهما أي لا أجاوز في العقوبة من المتهم أي الذي ثبت عليه الذنب إلى بريء بأن لا أعاقبه و أعاقب البريء و الناكث من تقض البيعة و الوفي من وفى بها و إنما قال ﷺ ذلك لئلا ينفروا عنه بأسا من عدله و رافته.

٧٠٢- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكة^(١).

أما بعد فأقم للناس الحج و ذكرهم بأيام الله و اجلس لهم العصرين فأنت المستفتي و علم الجاهل و ذاكر العالم. و لا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك و لا حاجب إلا وجهك و لا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها فإنها إن زيدت عن أبوابك في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها.

و انظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذي العيال و المجاعة مصيبا به مواضع المفقر و الخلات و ما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا و مر أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجرا فإن الله سبحانه يقول ﴿سَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ الْبَآدِ﴾ فالعاكف المقيم به و البادي الذي يحج إليه من غير أهله و فقنا الله و إياكم لمحابه و السلام.

بيان: قوله ﷺ بأيام الله أي إنعامه و أيام انتقامه روي ذلك عن أبي عبد الله ﷺ.

و اجلس لهم العصرين قال ابن ميثم لكونهما أطيب الأوقات بالحجاز و قال الجوهري العصران الغداة و العشي و منه سميت صلاة العصر و قال السفير الرسول و المصلح بين القوم إن زيدت أي دفعت و منعت و وردها سؤلها و المجاعة بالفتح الجوع و قال ابن الأثير المفقر جمع فقر على غير قياس كالمشابه و الملامح و يجوز أن يكون جمع مفقر و الخلعة الحاجة و المحاب جمع المحبة بمعنى الحب أي الأعمال المحبوبة.

٧٠٣- نهج: [تهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى عبد الله بن العباس^(١):

أما بعد فإنك لست بسابق أجلك ولا مرزوق ما ليس لك و اعلم بأن الدهر يومان يوم لك و يوم عليك و أن الدنيا دار دول فما كان منها لك أتاك على ضعفك و ما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك .

٧٠٤- نهج: [تهج البلاغة] و من وصية له ﷺ لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة^(٢):

سع الناس بوجهك و مجلسك و حكمك و إياك و الغضب فإنه طيرة من الشيطان و اعلم أن ما قريك من الله يباعدك من النار و ما باعدك من الله يقريك من النار .

بيان: سع الناس أي لا تخصص بعض الناس بشيء من ذلك بل ساوهم فيها و مجلسك أي تقرهم منك في المجلس طيرة من الشيطان في بعض النسخ بفتح الطاء و سكون الياء و في بعضها بكسر الطاء و فتح الياء .

و قال الجوهري في فلان طيرة و طيرورة أي خفة و طيش و الطيرة مثال العتبة و هو ما يتشأ به من الفأل الردي انتهى .

و الأول هنا أظهر و على الثاني فيمكن أن يكون المراد أن ذلك فآل ردي ناش من الشيطان يدل على أن صاحبه بعيد من رحمة الله .

٧٠٥- نهج: [تهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى عبد الله بن العباس^(٣):

أما بعد فإني كنت أشرتلك في أمانتي و جعلتك شاعري و بطانتي و لم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي و موازرتي و أداء الأمانة إلي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب و العدو قد حرب و أمانة الناس قد خزيت و هذه الأمة قد فتكت و شغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقه مع المفارقين و خذلت مع الخاذلين و خنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت و لا الأمانة أذيت و كأنك لم تكن الله تريد بجهاذك و كأنك لم تكن على بينة من ربك و كأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم و تنوي غرتهم عن فيهم فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعرت الكرة و عاجلت الوثبة فاخطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم و أيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كأنك لا أبا لفيرك حدرت على أهل تراثك من أبيك و أمك .

فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أو ما تخاف من نقاش الحساب؟

أيها المعداد كان عندنا من ذوي الألباب كيف تسبيغ شرابا و طعاما و أنت تعلم أنك تأكل حراما و تشرب حراما و تبتاع الإماء و تتكح النساء من مال اليتامى و المساكين و المؤمنين و المجاهدين الذين أفساء الله عليهم هذه الأموال و أحرز بهم هذه البلاد .

فاتق الله و اردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فإنك إن لم تفعل ثم أمكنتني الله منك لأعذرن إلى الله فيك و لأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار .

و والله لو أن الحسن و الحسين فعلا مثل فعلك الذي فعلت ما كانت لهما عندي هواة و لا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما و أزيح الباطل عن مظلمتهما .

و أقسم بالله رب العالمين ما يسرنى أن ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثا لمن بعدي .

فضح رويدا فكأنك قد بلغت المدى و دفنت تحت الثرى و عرضت عليك أعمالك بالمحل الذي يتنادي الظالم فيه بالحرسة و يتمنى المضيع الرجعة فيه و لَأَتَّ جِنَّ مَنَاصٍ .

(١) رواه الشريف الرضي ح في المختار: (٧٢) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيد الرضي رضي الله تعالى عنه في المختار: (٧٧) من باب الكتب من كتاب نهج البلاغة.

(٣) رواه الشريف الرضي رضي الله تعالى عنه في المختار: (٤١) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من كتاب نهج البلاغة.

وقد رويناه عن مصادر في المختار: (١٦٨) من باب الكتب من كتاب نهج السعادة: ج ٥ ص ٣٢٧ ط ١ .

إيضاح: قال ابن أبي الحديد قد اختلف الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب فقال الأكثرون إنه عبد الله بن العباس رحمه الله ورووا في ذلك روايات واستدلوا عليه بألفاظ من ألفاظ الكتاب بقوله أشركتك في أماني وجعلتك بطاني وشعاري وإنه لم يكن في أهلي رجل أوثق منك.

وقوله على ابن عمك قد كذب ثم قال ثانياً قلبت لابن عمك ظهر المجن ثم قال ثالثاً فلا ابن عمك آسيت وقوله لا أباً لغيرك وهذه كلمة لا تقال إلا لمثله فأما غيره من أفناء الناس فإن علياً عليه السلام كان يقول له لا أباً لك.

وقوله أيها المعداد كان عندنا من أولي الألباب.

وقوله والله لو أن الحسن والحسين عليه السلام وهذا يدل على أن المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجري مجراها عنده.

وقد روى أرباب هذا القول أن عبد الله بن عباس كتب إلى علي عليه السلام جواباً عن هذا الكتاب قالوا وكان جوابه.

أما بعد فقد أتاني كتابك تعظم علي ما أصبت من بيت مال البصرة ولعمري إن حقي في بيت المال لأكثر مما أخذت والسلام قالوا فكتب إليه علي عليه السلام:

أما بعد فإن من العجب أن تزين لك نفسك أن لك في بيت مال المسلمين من الحق أكثر مما لرجل من المسلمين فقد أطلحت إن كان تنييك الباطل وادعائك ما لا يكون ينجيك من المأثم ويحل لك المحرم إنك لأنت المهتدي السعيد إذا.

وقد بلغني أنك اتخذت مكة وطناً وضربت بها عطناً تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف تخترهن على عينك وتعطي فيهن مال غيرك.

فارجع هداك الله إلى رشدك وتب إلى الله ربك واخرج إلى المسلمين من أموالهم فمعا قليل تفارق من ألفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الأرض غير موسد ولا م مهد قد فارقت الأحباب وسكنت التراب واجهت الحساب غنيا عما خلفت فقيراً إلى ما قدمت والسلام

قالوا فكتب إليه عبد الله بن العباس أما بعد فإنك قد أكثرت علي ووالله لأن ألقى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلها من ذهبها وعقبانها ولجنيها أحب إلي من أن ألقاه بدم امرئ مسلم والسلام وقال آخرون وهم الأقولون هذا لم يكن ولا فارق عبد الله بن عباس علياً عليه السلام ولا بينه ولا خالفه ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل علي عليه السلام.

قالوا ويدل على ذلك ما رواه أبو الفرج علي بن الحسين الأصهباني من كتابه الذي كتبه إلى معاوية من البصرة لما قتل علي عليه السلام وقد ذكرناه من قبل.

قالوا وكيف يكون ذلك ولم يختدعه معاوية ويجره إلى جهته فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمال أمير المؤمنين علي عليه السلام واستمالهم إليه بالأموال فمالوا وتركوا أمير المؤمنين عليه السلام فما باله و قد علم النبوة التي^(١) حدثت بينهما لم يستمل ابن عباس ولا اجتذبه إلى نفسه وكل من قرأ السير و عرف التواريخ يعرف مشاقبة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علي عليه السلام وما كان يلقاه به من قوارع الكلام وشديد الخصام وما كان يشي به على أمير المؤمنين ويذكر خصائصه وفضائله ويصدع به من مناقبه وآثره فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان به الأمر كذلك بل كانت الحال تكون بالضد مما اشتهر من أمرهما وهذا عندي هو الأمثل والأصوب.

(١) النبوة: الإرتفاع وهنا كناية عن عدم الموافقة يقال: نبا عنه بصره أي تجافاه ولم ينظر إليه ونبا منزله إذا لم توافقه ونبا حد السيف إذا لم يعمل في الضريبة ويقال: لا ينبو عن فلان أي يتقاده له منه طاب ثراه.

و قد قال الراوندي المكتوب إليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن العباس لا عبد الله و ليس ذلك بصحيح فإن عبيد الله كان عامل علي عليه السلام على اليمن و قد ذكرنا قصته مع بسر بن أرطاة فيما تقدم و لم ينقل عنه أنه أخذ مالا و لا فارق طاعة.

و قد أشكل علي أمر هذا الكتاب فإن أنا كذبت النقل و قلت هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام خالفت الرواة فإنهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه و قد ذكر في أكثر كتب السيرة و إن صرفته إلى عبد الله بن العباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين في حياته و بعد وفاته و إن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام الكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله و من بني عمه فأنا في هذا الموضع من المتوقفين انتهى.

و قال ابن ميثم هذا مجرد استبعاد و معلوم أن ابن عباس لم يكن معصوما و علي عليه السلام لم يكن ليراقب في الحق أحدا و لو كان أعز أولاده بل يجب أن تكون الغلظة على الأقرباء في هذا الأمر أشد ثم إن غلظة علي و عتابه لا يوجب مفارقتة إياه و لنرجع إلى الشرح.

قوله عليه السلام كنت أشركك في أمانتي أي جعلتك شريكا في الخلافة التي ائتمنتي الله عليها و الأمانة الثانية ما تعارفه الناس و قال ابن الأثير في النهاية بطانة الرجل صاحب سره و أدخله أمره الذي يشاوره في أحواله.

قد خزيت أي هانت و ذلت و المراد عدم اهتمام الناس بحفظها و قال الجوهرى و قال ابن الأثير النقل نفخ معه أدنى بزاق و هو أكثر من النفث.

و الموساة المشاركة و المساهمة و أصله الهمة قلبت تخفيفا و الموازنة المشاركة في حمل الأثقال و المعاونة في إمضاء الأمور.

و قال في حرب و كلب من النهاية في حديث علي كتب إلى ابن عباس حين أخذ مال البصرة فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب أي اشتد يقال كلب الدهر على أهله إذا ألح عليهم و اشتد و قال و العدو قد حرب أي غضب يقال منه حرب يحرب حربا بالتحريك انتهى.

قد خزيت أي هانت و ذلت و المراد عدم اهتمام الناس بحفظها و قال الجوهرى الفتنك أن يأتي الرجل صاحبه و هو غار حتى يشد عليه فيقتله و قد فتك به يفتك و يفتك على زنة يضرب و ينصر و الفاتك الجريء و قال شجر البلد أي خلا من الناس و في القاموس شغرت الأرض لم يبق أحد يحميها و يضبطها و الشجر البعد و التفرقة.

و قال ابن أبي الحديد أي خلت من الخير.

و قال في قوله عليه السلام قلبت لابن عمك أي كنت معه فصرت عليه و أصل ذلك أن الجيش إذا لقوا العدو كانت ظهور مجاهدكم إلى وجه العدو و بطونهم إلى عسكرهم فإذا فارقوا رئيسهم عكسوا قوله على بيته من ربك أي لم يكن إيمانك عن حجة و برهان و قال الجوهرى شيء شديد بين الشدة و الشدة بالفتح الحملة الواحدة و قد شد عليه في الحرب انتهى.

و الكرة الحملة و العود إلى القتال و قال في النهاية في حديث علي عليه السلام اختطاف الذئب الأزل الأزل في الأصل الصغير الفجر و هو في صفات الذئب الخفيف و قيل هو من قولهم زل زليلا إذا عدي و خص الدامية لأن من طبع الذئب محبة الدم حتى أنه يرى ذئبا داميا فيشب عليه ليأكله.

و في الصحاح المعز من الغنم خلاف الضأن و هو اسم جنس و كذلك المعزى.

قوله رحيب الصدر أي واسعه طيب النفس و قال الجوهرى الإثم الذنب و تأثم أي تخرج عنه و كف و قال حدرت السفينة أي أرسلتها إلى أسفل انتهى.

و أما قوله عليه السلام لا أبا لعيرك فقال في النهاية لا أبا لك أكثر ما يستعمل في معرض المدح أي لا كافي



لك غير نفسك و قد يذكر في معرض الذم كما يقال لا أم لك و قد يذكر في معرض التعجب فدعا للعين انتهى.

فعلى الأول يكون لا أبا لغيرك ذمًا له بمدح غيره و على الثاني مدحا له و تلطفا مع إشعار بالذم و على الثالث يكون إبعادا عن التعجب من سوء فعله تلطفا أو ذمًا له بالتعجب من حسن فعل غيره دون فعله.

و الأنسب بالمقام أن يكون الغرض لا أبا لك للذم فعبر هكذا نوع ملاطفة و قد يقال مثله في الفارسية يقال إن مات عدوك و الغرض إن مت.

و في النهاية فيه من نوقش في الحساب عذب أي من استقصى في محاسبته و حقوق و منه حديث علي عليه السلام يوم يجمع الله الأولين و الآخرين لتقاش الحساب و هو مصدر منه و أصله المناقشة من نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه.

قوله عليه السلام أيها الممدود كان عندنا أدخل لفظه كان تنبيها على أنه لم يبق كذلك فإن الظاهر من الممدود في الحال.

و قيل لعله عليه السلام لم يقل يا من كان عندنا من ذوي الألباب إشعارا بأنه ممدود في الحال أيضا عند الناس منهم و في التعبير بالممدود إشعار بأنه لم يكن قبل ذلك أيضا منهم.

و في الصحاح مكنته الله من الشيء و أمكنته منه بمعنى و في القاموس أعذر أبدى عذرا و أحدث و ثبت له عذرا و بالغ و في النهاية الهواة الرخصة و السكون و المحابة و في الصحاح الهواة الصلح و الميل قوله بإرادة أي بمراد و قال الجوهري زاح أي ذهب و بعد و أزاحه غيره و قال الظلامة و المظلمة ما تطلبه عند الظالم و هو اسم ما أخذ منك و قال الزمخشري في المستقصى صح رويدا أي ترقى في الأمر ولا تعجل وأصله أن الأعراب في باديتها تسير بالظعن فإذا عثرت على لعم من العشب قالت ذلك و غرضها أن ترعى الإبل الضحاء قليلا قليلا وهي سائرة حتى إذا بلغت مقصدها شيعت.

فلما كان من الترفق في هذا توسعوا فقالوا في كل موضع ضح بمعنى ارفق و الأصل ذاك و قال الجوهري قوله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قال الأخفش شبهوا لات بليس و أضمرها فيها اسم الفاعل و قال لا تكون لات إلا مع حين و قد جاء حذف حين في الشعر و قرأ بعضهم و لات حين مناص برفع حين و أضمر الخبر قال أبو عبيد هي لا و التاء إنما زيدت في حين و كذلك في تلان و أوان و إن كتبت مفردة و قال المورج زيدت التاء في لات كما زيدت في ثمت و ربت.

٧٠٦- نهج: [تهج البلاغة] و من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدى و قد خان في بعض ما ولاه من أعماله أما بعد فإن صلاح أهلك غرني منك و ظننت أنك تتبع هدي و تسلك سبيله فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع لهواك انقيادا و لا تبقي لآخرتك عتادا^(١).

أ تعمر دنياك بخراب آخرتك و تصل عشيرتك بقطيعة دينك و لئن كان ما بلغني عنك حقا لجعل أهلك و شمع نعلك خير منك و من كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى به قدر أو يشرك في أمانة أو يؤمن على جباية فأقبل إلي حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله .

قال الشريف الرضي و المنذر بن الجارود هو الذي قال فيه أمير المؤمنين إنه لنظار في عطفه مختال في برديه فقال في شراكه.

إيضاح: الهدى بالفتح السيرة الحسنة فيما رقي بالتشديد أي فيما رفع إلي و أصله أن يكون الإنسان في موضع عال فيرقى إليه شيء و كان العلو هاهنا هو علو الرتبة بين الإمام و الأمير نحو قولهم تعالى باعتبار علو رتبة الأمر على المأمور.

٥٠٦
٣٣

(١) رواه السيّد الرضی ح في المختار: (٧١) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة. وقرئ منه رويناه عن مصدر آخر في المختار: (١١٤) من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب نهج السعادة: ج ٥ ص ٢٢ ط ١.

كذا وذكره ابن أبي الحديد وقال اللام في قوله ﷺ لهواك متعلق بمحذوف دل عليه انقيادا لأن المتعلق من حروف الجر بالمصدر لا يجوز أن يتقدم على المصدر والعناد العدة وقال العرب تضرب المثل بالجمل في الهوان.

وقال ابن ميثم جمل الأهل مما يتمثل به في الهوان وأصله فيما قيل إن الجمل يكون لأبي القبيلة فيصير ميراثا لهم يسوقه كل منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم.

وشسع نعلك قال الجوهري هي التي تشد إلى زمامها وقال ابن أبي الحديد المثل بها في الاستهانة مشهور لا يتنذرها ووطنها الأقدام في التراب.

قوله ﷺ أو يشرك في أمانة قال ابن ميثم الخلفاء أمناء الله في بلاده فمن ولوه من قبلهم فقد أشركوه في أمانتهم.

قوله ﷺ أو يؤمن على جباية قال ابن أبي الحديد أي على استجابة الخراج وجمعه وهذه الرواية التي سمعناها ومن الناس من يرونها خيانة بالخاء المعجمة والنون وهكذا رواها القطب الراوندي ولم يرو الرواية الصحيحة التي ذكرناها نحن وقال على تكون متعلقة بمحذوف أو يؤمن نفسها وهذا بعيد وتكلف.

وقال ابن ميثم أي تؤمن حال خيانتك لأن كلمة على تفيد الحال انتهى.

وأقول يمكن أن يقدر فيه مضاف أي على إزالة خيانة أو يراد بالخيانة المال الذي هو بمعرضها.

قوله ﷺ لنظر في عطفيه أي ينظر كثيرا في جانيبه تارة هكذا وتارة هكذا لإصلاح ثوبه أو إعجابه بنفسه.

وقال ابن أبي الحديد الشراك السير الذي يكون في النعل على ظهر القدم والتفل بالسكون مصدر تفل أي بصبق والتفل محركة البصاق نفسه والمختال إنما يفعل به في شراكه ليذهب عنهما الغبار والوسخ يتفل فيهما فيمسحهما ليعودا كالجديدين.

وقال ابن الأثير التفل نفخ معه أدنى براق وهو أكثر من النفث.

٧٠٧- نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له ﷺ إلى الحارث الهمداني و تسلك بحبل القرآن و انتصحه و أحل حلاله و حرم حرامه و صدق بما سلف من الحق و اعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها فإن بعضها يشبه بعضا و آخرها لاحق بأولها و كلها حائل مقارق^(١).

وعظم اسم الله أن لا تذكره إلا على حق وأكثر ذكر الموت و ما بعد الموت و لا تتمن الموت إلا بشرط وثيق. واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه و يكره لعامة المسلمين و احذر كل عمل يعمل به في السر و يستحيا منه في العلانية و احذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه و لا تجعل عرضك غرضا لنبال القول.

ولا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا و لا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا. واكظم الغيظ و احلم عند الغضب و تجاوز عند القدرة و اصفرح مع الدولة تكن لك العاقبة و استصلح كل نعمة أنعمها الله عليك و لا تضعين نعمة من نعم الله عندك و لير عليك أثر ما أنعم الله به عليك.

واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمه من نفسه و أهله و ماله فإنك ما تقدم من خير يبق لك ذخره و ما تؤخره يكن لغيرك خيره و احذر صحابة من يقبل رأيه و ينكر عمله فإن صاحب معتبر بصاحبه.

و اسكن الأمصار العظام فإنها جماع المسلمين و احذر منازل الغفلة و الجفاء و قلة الأعوان على طاعة الله. وأقصر رأيك على ما يعينك و إياك و مقاعد الأسواق فإنها محاضر الشيطان و معاريض الفتن.

وأكثر أن تنظر إلى من فضلت عليه فإن ذلك من أبواب الشكر و لا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة إلا فاصلا في سبيل الله أو في أمر تعذر به و أطع الله في جمل أمورك فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها.

وخادع نفسك في العبادة و ارفق بها و لا تقهرها و خذ عفوها و نشاطها إلا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فإنه لا بد من قضائها و تعاهدها عند محلها.

(١) رواه الشريف الرضي في المختار: (٦٩) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من نهج البلاغة.

وإياك أن ينزل بك الموت وأنت أبق من ربك في طلب الدنيا.

وإياك و مصاحبة الفساق فإن الشر بالشر ملحق.

ووقر الله و أحبب أحياءه و احذر الغضب فإنه جند عظيم من جنود إبليس و السلام.

إيضاح: قوله ﷺ بحبل القرآن لعل الإضافة بيانية كما قال ﷺ في حديث الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و انتصحه أي عده لك ناصحا فيما أمرك به و نهاك عنه و أحل حلاله أي اعتقده كذلك و عمل به و صدق بما سلف أي صدق بما تضمنه القرآن من أيام الله و مثلاته في الأيام السالفة و النبيين و المرسلين و ما جاءوا به أو بما ظهر لك من حقيقته من الأمور السالفة من ابتداء العالم و حدوثه و بعث النبيين و أحوالهم و غيرها سواء ظهر من الكتاب أو السنة أو البرهان العقلي و كلها حائل أي متغير إلا على حق أي على حق عظيم معتد به من الأموال أو مطلقا مالا أو غيره أو الغرض عدم الحلف على الباطل و لا تتمن الموت أي لا تطلبه إلا مقرونا و مشروطا بأن يكون صلاحك فيه و تدخل الجنة بعده و تكون مغفورا مبرورا و قال ابن أبي الحديد أي إلا و أنت واثق من أعمالك الصالحة أنها تؤديك إلى الجنة و تتفذك من النار و هذا معنى قوله تعالى لليهود ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ انتهى و أقول على هذا لعله يرجع إلى التهي عن تمني الموت مطلقا فإن ذلك الوثوق مما لا يكاد يحصل لأحد سوى الأنبياء و الأئمة ﷺ و لا تجعل عرضك غرضا أي اتق مواضع التهم و الغرض الهدف و النبل السهام العربية و لا واحد له من لفظه و النبال جمع الجمع و الصفح مع الدولة العفو عند الغلبة على الخصم و استصلح كل نعمة أي استمد نعم الله تعالى بشكرها و تضييعها بترك الشكر أو بصرفها في غير مصارفها المشروعة و رؤية أثر النعمة باستعمالها كلبس الفاخر من الثياب و إطعام الطعام و التقدمة من النفس بذلها في الجهاد و إتباعها و أذابتها بالصيام و القيام و من الأهل بيعت الأولاد و الشيرة إلى الجهاد و عدم المبالاة بما أصابهم في سبيل الله و الرضا بقضاء الله في مصائبهم و من المال بإنفاقه في طاعة الله.

وقوله ﷺ وإنك ما تقدم إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ أَوْ أَكْثَرُ﴾ وقال الجوهرى قال رأيه ضعف و رجل قال أي ضعيف الرأي مخطئ القراصة. قوله ﷺ فإن الصاحب معتبر قال ابن ميثم فإنك تقاس بصاحبك و ينسب فملك إلى فعله و لأن الطبع مع الصحة أطوع للقول منه للقول فلو صحبته لشابه فعلك فعله.

وفي القاموس صحبة كسمعة صحابة و يكسر و في الصحاح الجماع ما جمع شيئا يقال الخمر جماع الإثم.

واحذر منازل الغفلة كالقرى و البوادي و كل منزل يكون أهله غافلين عن الله جافين لأوليائه باعدين عن الآداب الحسنة غير معينين على طاعة الله على ما يعينك أي يهيمك.

والمعارض جمع معرض بفتح الميم أو كسرهما و هو محل عروض الشيء و ظهوره قال الجوهرى المعرض ثياب تحلى فيها الجوارى إلا فاصلا أي شاخصا قال تعالى ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْغَيْرُ﴾ أو في أمر تعذر به أي لضرورة تكون عذرا شرعا.

قوله ﷺ في جمل أمورك أي في جملتها وكلها وخادع نفسك أي بأخذ عفوها ونشاطها وترغيبها إلى العبادة بذكر الوعد والوعيد وصحة العباد والنظر إلى أطوارهم الحسنة من غير قهر وجبر حتى يمل ويضجر بل بأن يتلطف لها ولا يحملها فوق طاقتها وقال الجوهرى عفو المال ما يفضل عن النفقة.

فإن الشر بالشر لعل المراد بالشر الثاني صحبة الفاسق وبالأول سوء العاقبة أو بالأول ما تكتسبه النفس من تلك المصاحبة وقيل الشر يقوى بالشر كالنار تقوى بالنار فمخالطتهم جاذبة لك إلى مساعدتهم وفي بعض النسخ ملحق بصيغة اسم الفاعل أي يلحقك الشر بالشر.

٧٠٨- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان^(١):

أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر أمثاله و ابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه و متخوفا عقابه. واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة و إنه لن يفتنيك عن الحق الشيء أبدا.

و من الحق عليك حفظ نفسك و الاحتساب على الرعية بجهدك فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك و السلام.

بيان: قوله ﷺ إذا اختلف هواه كما إذا لم يكن الخصمان عنده سواء بل كان هواه و ميله إلى أحدهما أكثر ظلم و جار.

٥١٢
٣٣

قوله ما تنكر أمثاله أي إذا فعله غيرك.

وابتذل الثوب و غيره امتهانه قاله الجوهري وقال البلية و البلاء و البلوى واحد و الفرغة المرة من الفراغ و قال الجوهري احتسبت عليه كذا إذا أنكرت عليه قاله ابن دريد فإن الذي يصل إليك أي النفع الذي يصل إلى نفسك من الثواب أفضل من الذي يصل إلى رعيته بسببك و هو عدلك و إحسانك.

٧٠٩- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى الأشعث بن قيس عامل آذربيجان^(٢):

و إن عملك ليس لك بطعمة و لكنه في عنقك أمانة و أنت مسترعى لمن فوقك.

ليس لك أن تقتات في رعية و لا تخاطر إلا بوثيقة و في يدك مال من مال الله عز و جل و أنت من خزاني حتى تسلمه إلي و لعلي أن لا أكون شر و لانت لك و السلام.

بيان:

قال ابن ميثم رحمه الله و غيره روي عن الشعبي أنه ﷺ لما قدم الكوفة و كان الأشعث بن قيس على شفر آذربيجان من قبل عثمان فكتب إليه بالبيعة و طالب بمال آذربيجان مع زياد بن مرحب الهمداني و صورة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس أما بعد فلو لا هتات و هتات كن منك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس و لعل آخر أمرك يحمل أوله و بعضها بعضا إن اتقيت الله عز و جل و قد كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك و كان طلحة و الزبير أول من بايعني ثم نقضا بيعتي عن غير حدث و أخرجا عائشة فساروا بها إلى البصرة فصرت إليهم في المهاجرين و الأنصار فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدعاء و أحسنت في البقية و اعلم أن عملك.

٥١٣
٣٣

إلى آخر ما مر و كتب عبيد الله بن أبي رافع في شعبان سنة ست و ثلاثين و روي أنه لما أتاه كتابه ﷺ دعا بفقائه و قال لهم إن علي بن أبي طالب قد أوجسني و هو آخذني بمال آذربيجان على كل حال و أنا لاحق بمعاوية.

فقال له أصحابه الموت خير لك من ذلك تدع مصرك و جماعة قومك فتكون ذنبا لأهل الشام فاستحيا من ذلك و بلغ قوله أهل الكوفة فكتب إليه ﷺ كتابا يوبخه فيه و يأمره بالقدوم عليه و بعث حجر بن عدي فلامه حجر على ذلك و ناشده الله و قال أتدع قومك و أهل مصرك و أمير المؤمنين و تلحق بأهل الشام و لم يزل به حتى أقدمه إلى الكوفة فعرض عليه ﷺ ثقله فوجد فيها مائة ألف درهم و روي أربعمائة ألف درهم فأخذها و كان ذلك بالنخيلة فاستشفع الأشعث بالحسن و الحسين ﷺ و بعبد الله بن جعفر فأطلق له منها ثلاثين ألفا فقال لا يكفيني فقال لست بزانك

(١) رواه السيد الرضائي في المختار: (٥٩) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من نهج البلاغة.
(٢) رواه الشريف الرضائي و رضوان الله عليه في المختار: (٥) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

درهما و ايم الله لو تركتها لكان خيرا لك و ما أظنها تحل لك و لو تيقنت ذلك لما بلغتها من عندي فقال الأشعث خذ من جذعك ما أعطاك.

وأقول الأذربيجان اسم أعجمي غير مصروف والألف مقصورة والذال ساكنة ومنهم من يقول أذربيجان بمد الهمة وضم الذال وسكون الراء.

ولعل المراد بالهانت أي الأمور القبيحة ما كان من ارتداده وموافقته لخلفاء الجور في جورهم أي لو لا تلك الأمور لكنت في هذا الأمر مقدما على غيرك في الفضل والسابقة.

ويحتمل أن يراد بالهانت ما في قلبه من النفاق والحقد والعداوة أي لو لا تلك الأمور لكان ينبغي أن تكون مقدما على غيرك في بيعتي ومتابعتي ولعل آخر أمرك يؤيد الأول أي لعله صدر منك في آخر الأمر أشياء تصير سببا للتجاوز عما صدر منك أولا وبعضها أي بعض أمورك من الخيرات يحمل بعضا أي سائرهما من السيئات والبقية الإبقاء والشفقة وقال في النهاية الطعمة بالضم شبه الرزق والطعمة بالكسر والضم وجه الكسب يقال هو طيب الطعمة وخبيث الطعمة وهي بالكسر خاصة حالة الأكل واسترعاه طلب منه الرعاية أي أنت راع من قبل سلطان هو فوقك.

قوله **فإن** أن تقتات في بعض النسخ بالقاف من القوت يقال قتته فقتات أي رزقته فارتزق وفي بعضها بالقاف والألف من القوت بمعنى السبق يقال تقوت فلان على فلان في كذا وافتات عليه إذا انفرد برأيه في التصرف فيه ولما ضمن معنى التغليب عدي بعلی.

وقال ابن ميثم بالهمزة ولعله منه سهو.

قوله **فإن** لا تخاطر أي ولا أن تخاطر في شيء من الأمور إلا بوثيقة أي لا تقدم على أمر مخوف مما يتعلق بالمال الذي تنو له إلا بعد أن تتوثق لنفسك يقال أخذ فلان بالوثيقة في أمره أي احتاط و يقال خاطر بنفسه أي أشفى بها على خطر.

وقال الزمخشري في المستقصى في قولهم خذ من جذع ما أعطاك هو جذع بن عمرو الغساني أتاه سبطه بن المنذر السليحي يسأله دينارين كان بنو غسان يؤدونهما إتاوة في كل سنة من كل رجل إلى ملوك سلبح فدخل منزله وخرج مشتملا على سيفه فضربه به حتى سكت ثم قال ذلك وامتنعت بعد غسان عن الإتاوة والإتاوة الخراج وقال الفيروز آبادي الجذع هو ابن عمرو الغساني ومنه خذ من جذع ما أعطاك كان غسان تؤدي إلى ملك سلبح دينارين من كل رجل من كل رجل وكان يلي ذلك سبطه بن المنذر السليحي فجاء سبطه يسأله الدينارين فدخل جذع منزله فخرج مشتملا بسيفه فضرب به سبطه حتى برد وقال خذ من جذع ما أعطاك أو أعطى بعض الملوك سيفه رهنًا فلم يأخذه وقال اجعل من كذا في كذا فضربه به وقتله وقال يضرب في اغتنام ما يوجد بخ البخيل وفي الصحاح قال اجعل هذا في كذا من أمك.

٧١٠- نهج: [تهج البلاغة] و من كتاب له **فإن** إلى بعض عماله^(١)؛

أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك و عصيت إمامك و أخزيت أمانتك بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك و أكلت ما تحت يديك فارع إلي حسابك و اعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس.

بيان: وأخزيت أمانتك أي ذللتها وأهنتها أنك جردت الأرض أي أخزيت الضياع وأخذت حاصلها لنفسك يقال جردت الشيء كنصرت أي أقشرتة وأزلت ما عليه ومنه سمي الجراد لأنه يجرد الأرض.

٧١١- نهج: [تهج البلاغة] و من كتاب له **فإن** إلى عمر بن أبي سلمة المحزومي و كان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقى مكانه^(٢)؛

(١) رواه الشريف الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٤٠) من باب الكتب من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيد الرضي ح في المختار: (٤٢) من باب كتب أمير المؤمنين **فإن** من نهج البلاغة.

أما بعد فإني قد وليت النعمان بن العجلان على البحرين و نزعته يدك من غير ذم لك و لا تثريب عليك فلقد أحسنت الولاية و أدت الأمانة فأقبل غير ظنين و لا ملوم و لا متهم و لا مأثوم فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام و أحببت أن تشهده معي فإنك ممن أستظهر به على جهاد العدو و إقامة عمود الدين.

بيان: عمر هو ربيب رسول الله ﷺ أمه أم سلمة. و النعمان هو من الأنصار و قال في الاستيعاب كان لسان الأنصار و شاعرهم و الزرقى كجهني نسبة إلى زريق و التثريب التعيير و الاستقصاء في اللوم و الظنين المتهم و في القاموس أئمه الله في كذا كمنعه و نصره عده عليه إنما فهو مأثوم و الاستظهار الاستعانة

٧١٢- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى مصقلة بن هيرة الشيباني و هو عامله على اردشير خره^(١):

بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك و أغضبت إمامك بلغني أنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم و خيولهم و أريقت عليه دماؤهم فيمن اعتماك من أعراب قومك فو الذي فلق الحبة و برأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن بك علي هوانا و لتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك و لا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالا.

ألا وإن حق من قبلنا و قبلك من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه و يصدرون عنه و السلام.

بيان: اردشيرخره بضم الخاء و تشديد الراء المفتوحة كورة من كور فارس أنك تقسم في بعض النسخ بفتح الهزرة بدلا من أمر و في بعضها بالكسر بتقدير حرف الاستفهام ليلاثم قوله ﷺ إن كنت فعلته و قوله لئن كان ذلك حقا و قال في النهاية اعتمام الشيء يعتامه إذا اختاره و عيمة الشيء بالكسر خياره.

و قال ابن أبي الحديد و روي فيمن اعتماك على القلب و المشهور الصحيح الأول و المعنى قسمة الفيء فيمن اختاروك سيدا لهم لتجدن بك أي لك أو بسبب فعلك و ميزانا منصوب على التمييز و هو كناية عن صغر منزلته و يقال صدرت عن الماء أي رجعت و الاسم الصدر بالتحريك خلاف الورد و فيه تشبيه للفيء بالماء الذي تتعاوره الإبل العطاش .

٧١٣- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى زياد ابن أبيه و قد بلغه أن معاوية قد كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه^(٢).

و قد عرفت أن معاوية كتب إليك يستزل لك و يستغل غريك فاحذره فإنه الشيطان يأتي المرء من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله ليقتحم غفلته و يستلب غرته و قد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتنه من حديث النفس و نزغته من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب و لا يستحق بها إرث و المتعلق بها كالواغل المدفع و النوط المذبذب.

فلما قرأ زياد كتابه قال شهد بها و رب الكعبة و لم تزل في نفسه حتى ادعاه معاوية

قال السيد الرضي رضي الله عنه قوله ﷺ كالواغل المدفع الواغل الذي يهجم على الشرب معهم و ليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا و النوط المذبذب هو الذي يناط برحل الراكب من قعب أو قده أو ما أشبه ذلك فهو أبدا يتقلقل إذا حث ظهره و استعجل سيره.

تبيين:

قال ابن أبي الحديد^(٣) أما زياد فهو زياد بن عبيد فمن الناس من يقول عبيد بن فلان و ينسبه إلى ثقيف

(١) رواه الشريف الرضي رضي الله عنه في المختار: (٤٣) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيد الرضي قدس الله سره في المختار: (٤٤) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ من كتاب نهج البلاغة.

(٣) جميع ما ذكره المصنف ما هنا عن ابن أبي الحديد. هو تلخيص ما رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٤) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٨٠٤ ط الحديث ببيروت.

والأكثر من يقولون إن عبيدا كان عبدا وإنه بقي إلى أيام زياد فابتاعه وأعتقه ونسب زياد إلى غير أبيه لعمول أبيه وللدعوة التي استلحق بها فقيل تارة زياد ابن سمية وهي كانت أمة للحارث بن كلدة الثقفي وكانت تحت عبيد وقيل تارة زياد ابن أبيه وتارة زياد بن أمه ولما استلحق قال له الأكثر زياد بن أبي سفيان لأن الناس مع الملوك ثم روي عن ابن عبد البر والبلاذري والواقدي عن ابن عباس وغيره أن عمر بعث زيادا في إصلاح فساد وقع باليمن فلما رجع خطب عند عمر خطبة لم يسمع مثلها وأبو سفيان حاضر وعليه السلام وعمر بن العاص فقال عمرو لله أبو هذا الغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان إنه لقرشي وإنني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه فقال علي عليه السلام ومن هو قال أنا فقال مهلا يا أبا سفيان فقال أبو سفيان.

أما والله لو لا خوف شخص
لأظهر أمره صخر بن حرب
وقد طالت مجاملتي ثقيفا
يراني يا علي من الأعادي
و لم يخف المقاتلة في زياد
و تسركي فيهم ثمر الفؤاد

عني بقوله لو لا خوف شخص عمر بن الخطاب وفي رواية أخرى قال آتيت أمه في الجاهلية سفاحا فقال علي عليه السلام مه يا أبا سفيان فإن عمر إلى المساء سريع قال وعرف زياد ما دار بينهما فكانت في نفسه.
وفي رواية أخرى قال له عمرو بن العاص فهلا تستلحقه قال أخاف هذا العير الجالس أن يخرق علي إهابي قال و روى المدائني أنه لما كان زمن علي عليه السلام ولي زيادا فارس أو بعض أعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا و جبا خراجها و حماها وعرف ذلك معاوية فكتب إليه:

أما بعد فإنه غرتك قلاع تأوي إليها لئلا كما يأوي الطير إلى وكراها وإيم الله لو لا انتظاري بك ما الله أعلم به
لكان لك مني ما قاله العبد الصالح فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا يَبْلُغُ لَهْمُ بِهَا وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَ هُمْ ضَاغِرُونَ و كتب في
أسفل الكتاب شعرا من جملته.

تنسى أباك و قد شالت نعامته
إذ تخطف الناس و الوالي لهم عمر

فما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس و قال العجب من ابن آكلة الأكباد و رأس النفاق يتهددني و بيني وبينه ابن عمر رسول الله ﷺ و زوج سيدة نساء العالمين و أبو السبطين و صاحب الولاء و المنزلة و الإخاء في مائة ألف من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بإحسان أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إلي لوجدني أحمر مخشا ضرابا بالسيف ثم كتب إلى علي عليه السلام و بعث بكتاب معاوية في كتابه.

فكتب إليه علي عليه السلام أما بعد فإني قد وليتك ما وليتك و أنا أراك لذلك أهلا و إنه قد كانت من أبي سفيان قلت في أيام عمر من أمانتي التيه و كذب النفس لم تستوجب بها ميراثا و لم تستحق بها نسباً و إن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله فاحذره ثم احذره و السلام

قال و روى أبو جعفر محمد بن حبيب رحمه الله قال كان علي عليه السلام قد ولي زيادا قطعة من أعمال فارس و اصطنعه لنفسه فلما قتل علي عليه السلام بقي زياد في عمله و خاف معاوية جانيه و أشفق من ممالاته الحسن بن علي عليه السلام فكتب إليه كتابا يهدده و يوعدده و يدعوه إلى بيعته فأجابه زياد بكتاب أغلظ منه.

فشاور معاوية في ذلك المغيرة بن شعبة فأشار عليه بأن يكتب إليه كتابا يستعطفه فيه و يذهب المغيرة بالكتاب إليه فلما أتاه أرضاه و أخذ منه كتابا يظهر فيه الطاعة بشروط فأعطاه معاوية جميع ما سأله و كتب إليه بخط يده ما وثق به فدخل إليه الشام و قربه و أدناه و أقره على ولايته ثم استعمله على العراق

و قال المدائني لما أراد معاوية استلحاق زياد و قد قدم عليه الشام جمع الناس و صعد المنبر و أصدع زيادا معه على مراقبة تحت مراقبه و حمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إنني قد عرفت شبهنا أهل البيت في زياد فمن كانت عنده شهادة فليقم بها.

فقام ناس فشهدوا أنه ابن أبي سفيان و أنهم سمعوه أقر به قبل موته.

فقام أبو مريم السلولي و كان خمارا في الجاهلية فقال أشهد يا أمير المؤمنين أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف

فأتاني فاشترت له لحما و خرا و طعاما فلما أكل قال يا أبا مريم أصب لي بغيا فخرجت فأتيت بسمية فقلت لها إن أبا سفيان من قد عرفت شرفه و جوده و قد أمرني أن أصيب له بغيا فهل لك فقال نعم يجيء الآن عبيد بغضه و كان راعيا فإذا تعشى و وضع رأسه أتته فرجعت إلى أبي سفيان فأعلمته فلم يلبث أن جاءت تجر ذيلها فدخلت معه فلم تزل عنده حتى أصبحت فقلت له لما انصرفت كيف رأيت صاحبك فقال خير صاحبة لو لا دفر في إبطيها.

فقال زياد من فوق المنبر يا أبا مريم لا تشتم أمهات الرجال فتشتم أمك.

فلما انقضى كلام معاوية و مناشدته قام زياد فحمد الله و أنشئ عليه ثم قال أيها الناس إن معاوية و الشهود قد قالوا ما سمعتم و لست أدري حق هذا من باطله و هو و الشهود أعلم بما قالوا و إنما عبيد أب مبرور و وال مشكور ثم نزل.

انتهى كلام ابن أبي الحديد.

أقول: و إنما أوردت تلك القصص لتعلم أن ما صدر من زياد و ولده لعنة الله عليهما إنما نشأ من تلك الأنساب الخبيثة و تزيد إيماننا و يقينا بأنه لا يفضهم إلا من ولد من الزنا كما تواتر عن أئمة الهدى.

و لنرجع إلى شرح الكتاب قال في النهاية الغرب الحدة و منه غرب السيف و الفل الكسر و القلة التلمة في السيف و منه حديث علي عليه السلام يستغل غربك من الفل الكسر قوله عليه السلام ليقتم غفلته أي ليلج و يهجم عليه و هو غافل جعل اقتحامه إياه اقتحاما للغفلة نفسها.

كذا ذكره ابن أبي الحديد و قال ليس المراد باستلاب الغرة أن يأخذ الغرة لأنه لو كان كذلك لصار ذلك الغافل لبيبا عاقلا و إنما المعنى ما يعينه الناس بقولهم أخذ فلان غفلتي و فعل كذا أي أخذ ما يستدل به على غفلتي كذا انتهى.

وأقول لو كان الإسناد مجازيا كما حمل عليه الفقرة الأولى لم يفد هذا المعنى لأنه يكون حينئذ من قبيل إسناد الشيء إلى الحالة التي المفعول عليها كما يسند إلى الزمان و المكان فيكون المفاد الاستلاب وقت الغرة و الاقتحام وقت الغفلة و إنما نسب إليهما مبالغة لبيان أن علة الاستلاب و الاقتحام لم يكن إلا الغرة و الغفلة فكأنهما وقعا عليهما.

ويمكن أن يكون المفعول محذوفا و يكون الغرة و الغفلة منصوبتين بنزع الخافض أي يقتم عليه في حال غفلته ويستلج ليه في حال غرته.

٥٢١
٣٣

و القلة الأمر الذي يصدر فجأة من غير تدبر و روية و نزع الشيطان بينهم أقسد و عدم ثبوت النسب بها لقول النبي الولد للفراش و للعاهر الحجر.

وفي النهاية الشرب بفتح الشين وسكون الراء الجماعة يشربون الخمر و قال في حديث علي المتعلق بها كالنوط المذبذب أراد ما يناط برجل الراكب من قعب أو غيره فهو أبدا يتحرك إذا حث ظهره أي دابته.

وقال في المستقصى شالت نعمتهم أي تفرقوا و ذهبوا لأن النعمة موصوفة بالخفة و سرعة الذهاب و الهرب و قيل النعمة جماعة القوم و قال الجوهري النعمة الخشية المعترضة على الزنوقين و يقال للقوم إذا ارتحلوا عن منهلهم أو تفرقوا قد شالت نعمتهم و النعمة ما تحت القدم.

٥٢٢
٣٣

٧١٤- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية بن أبي سفيان أما بعد فقد بلغني أن رجلا ممن قبلك يتسللون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم و يذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيا و لك منهم شافيا فرارهم من الهدى و الحق و إضاعهم إلى العمى و الجهل و إنما هم أهل دنيا مقبلون عليها و مهطعون إليها قد عرفوا العدل و رأوه و سمعوه و وعوه و علموا أن الناس عندنا في الحق أسوة فهربوا إلى الأثرة فبعدا لهم و سحقا إنهم و الله لم ينفروا من جور و لم يلحقوا بعدل و إننا لنطمع في هذا الأمر أن يذل الله لنا صعبه و يسهل لنا حزنه إن شاء الله و السلام عليك .

بيان: قوله في معنى قوم أي في شأنهم و أمرهم يتسللون أي يخرجون إلى معاوية هاربين في خفية و استتار قال الفيروزآبادي أنسل و تسلل انطلق في استخفاء و قال الجوهري أنسل من بينهم خرج و تسلل مثله و قال وضع البعير و غيره أي أسرع في سيره و أوضعه راكبه و في النهاية الإطعاع الإسراع في العدو و أهطع إذا مد عنقه و صوب رأسه في الحق أسوة أي لا تفضل بعضهم

على بعض في العطاء كما يفعل معاوية وفي النهاية فيه أنه قال للأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا الأثرة بفتح الهزرة والناء الاسم من أثر يؤثر إثارة إذا أعطى أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفء والاستيثار الأفراد بالشيء والسحق بالضم البعد والحنن من الأرض ضد السهل

٧١٥- نهج: [نهج البلاغة] ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة أما بعد فإن توضيع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر وأبي مثير وإن تعاطيك الغارة على أهل قريسياء وتعطيك مسالحك التي وليناك ليس لها من يمنة ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع فقد صرت جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر لعدو شوكة ولا مغن عن أهل مصره ولا مجز عن أميره^(١).

بيان: قال ابن أبي الحديد كان كميل من صحابة علي عليه السلام وشيعته وخاصته وقتله الحجاج على المذهب فبمن قتل من الشيعة وكان عامل علي عليه السلام على هيت وكان ضعيفا يمر عليه سرايا معاوية بنهب أطراف العراق فلا يردها ويحاول أن يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على أطراف أعمال معاوية مثل قريسياء وما يجري مجراها من القرى التي على الفرات فأنكر عليه ذلك من فعله.

قوله عليه السلام ما ولي على صيغة المعلوم المجرد من وليت الأمر كرضيت ولاية إذا توليته واستبددت به وفي بعض النسخ على صيغة المجهول من التفعيل من قولهم وليته البلد إذا جعلته واليا عليه والتكلف التجشم والتكلف التعريض لما لا يعنيه وكفاه مئوته أي قام بأمره.

قوله عليه السلام متبر قال في النهاية أي مهلك يقال تبره تنبيرا أي كسره وأهلكه والتبار الهلاك وقال التعاطي التناول والجرأة على الشيء من عطا الشيء يعطوه إذا أخذه وتناوله وقريسياء في النسخ بالفتح مقصورا وفي القاموس قريسياء بالكسر ويقصر بلد على الفرات ويقال شعاع أي متفرق وشدة المنكب كناية عن القوة والحمية وهيبة الجانب كناية عن شدة البطش والثغرة الثلمة ولا مجز عن أميره أي كاف ومغن والأصل مجزى بالهمزة خفف

٧١٦- نهج: [نهج البلاغة] ومن حلف كتبه بين اليمن وربيعة نقل من خط هشام بن الكلبي^(٢):

هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وبأديها وربيعة حاضرها وبأديها أنهم على كتاب الله يدعون إليه ويأمرون به ويجيبون من دعا إليه وأمر به لا يشتركون به ثمنا قليلا ولا يرضون به بدلا وأنهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه أنصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا يتقضون عهدهم لمعينة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستئلال قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدتهم وغائبهم وحليمهم وأجاهلهم ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه إن عهد الله كان مستولا وكتب علي بن أبي طالب عليه السلام.

بيان: قال ابن أبي الحديد الحلف العهد وقال اليمن كل من ولده قحطان نحو حمير وعك وجماد وكندة والأزد وغيرهم وربيعة هو ربيعة بن زرار بن معد بن عدنان وهم بكر وتقلب وعبد القيس والحاضر ساكن الحضرة والبادي ساكن البادية أنهم على كتاب الله أي مجتمعون عليه لا يشتركون به ثمنا أي لا يتعوضون عنه بشئ وأنهم يد واحدة أي لا تخالف بينهم وفعلهم فعل واحد وقال الجوهري عتب عليه أي وجد عليه يعتب وتعبت عتبا ومعنبا والاسم المعتبة والمعتبة ولا لمسبة قوم أي لأن إنسانا منهم سب وهجا بعضهم والمسبة والسب الشتم والحليم العاقل بقرينة الجاهل أو ذو الأناة فإن ترك الأناة من الجهل إن عهد الله كان مستولا أي مطلوبا يطلب من العاهد أن لا يضيعه ويغي به أو مستولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه وقيل أي إن صاحب العهد كان مستولا.

وقال ابن ميثم في رواية وكتب علي بن أبي طالب وهي المشهورة عنه وجهها أنه جعل هذه الكنية علما بمنزلة لفظة واحدة لا يتغير إعرابها.

(١) رواه الشريف الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٦١) من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام نهج البلاغة.

(٢) رواه السيد الرضي ح في المختار: (٧٤) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

٧١٧-نهج: [نهج البلاغة] ومن وصية له صلوات الله عليه كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وإنما ذكرنا منها جملا ليعلم أنه ﷺ كان يقيم عماد الحق ويشرع أمثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها وديقتها وجليلها^(١).

انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا تروغن مسلما ولا تتجاذن عليه كارها ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله فإذا قدمت على الحي فانزل بمانئهم من غير أن تخالط أبيائهم ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخذج بالتحية لهم ثم تقول عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه فإن قال قائل لا فلا تراجعهم وإن أنعم لك منعهم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة وإن كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفرعنها ولا تسوأن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرض لما اختار ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرض لما اختار فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فأقبض حق الله منه. فإن استقالك فأقله ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذي صنعت أولا حتى تأخذ حق الله في ماله.

ولا تأخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها إلا ناصحا شفيقا وأمينًا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب.

ثم احذر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به.

فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين قصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدها ركوبا ولا يعدل بين صواحيباتها في ذلك وبينها وليرفه على اللأغب وليستأن بالنقب والظالم وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى يأتينا بها بإذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لتقسمها على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن ذلك أعظم لأجرک وأقرب لرشدك إن شاء الله تعالى .

قوله ﷺ على تقوى الله حال أي مواظبا على التقوى ومعتمدا عليها ولا تروغن عليها وبالتخفيف وفي بعض النسخ بالتشديد والروع الخوف أو شدته يقال رعت فلانا كفلت وروعتها فارتاع.

قوله ولا تتجاذن أي لا تمرن ببيوت المسلمين وهم يكرهون مرورك عليها.

وروي بالخاء المعجمة والراء المهملة أي لا تقسم ماله وتختار أحد القسمين بدون رضا والضمير في عليه راجع إلى مسلما والحي القبيلة ومن عادة العرب أن تكون مياهم بارزة عن بيوتهم.

قوله ﷺ ولا تخذج بالتحية الباء زائدة وفي بعض النسخ بدونها أي لا تنقصها من قولهم خذجت الناقة إذا ألتقت ولدها قبل أوانه وأنعم لك أي قال نعم قوله أو تعسفه أي لا تطلب منه الصدقة عسفا أي جبرا وظلما وأصله الأخذ على غير الطريق وقال الجوهري يقال لا ترهقني لا أرهقك الله أي لا تعسرني ولا أعسرک الله.

قوله ﷺ من ذهب أو فضة أي إذا وجبت عليه زكاة أحد التقدين أو حد من زكاة الغلات نقدا إذا أعطاك القيمة والمراد بالماشية هنا الغنم والبقر وسؤت الرجل أي ساءه ما رأى مني والصدع الشق والعود بالفتح المسن من الإبل والهرمة أيضا المسنة لكنها أكبر من العود والمكسورة التي انكسرت إحدى قوائنها أو ظهرها والمهلوسة المريضة التي قد هلسها المرض وأفنى لحماها والهلأس السل والعوار بفتح العين قد يضم العيب.

قوله ﷺ ولا مجحف أي الذي يسوق المال سوقا عنيفا فيجحف به أي يهلكه أو يذهب بكثير من لحمه ويحتمل أن يكون المراد من يخون فيه ويستلبه واللغوب التعب والإعياء ولغبت على القوم

الغب بالفتح فهما أفسدت عليهما وأحدره أرسله وأوعزت إليه في كذا وكذا أي تقدمت والفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه والمصر حلب ما في الضرع جميعه والفعل كنصر والجهد المشقة يقال جهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها قوله ﷺ وليعدل أي لا يخص بالركوب واحدة بعينها ليكون ذلك أروح لهن وقال الجوهري استأنى به أي انتظر به وقال تقي البعير بالكسر إذا رقت أخفافه وقال الجزري في حديث علي ﷺ وليستان بذات الثقب والظالع أي بذات الجرب والعرجاء. والظلع بالسكون العرج والغدر جمع غدير الماء وليروحها أي يتركها حتى تستريح في الأوقات المناسبة لذلك أو من الرواح ضد الغدو أي يسيرها في ساعات الرواح و يتركها في حر الشمس حتى تستريح والنظاف جمع النطفة وهي الماء الصافي القليل والبدن بالتشديد السمان واحدها بادن والنقي مخ العظم وشحم العين من السمن وأنقت الإبل أي سمنت وصار فيه نقي وكذلك غيرها ذكرها الجوهري.

أقول: أخرجته من الكافي في كتاب أحواله ﷺ بتغيير ما.

٧١٨- ورواه أيضا إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات عن يحيى بن صالح عن الوليد بن عمرو عن عبد الرحمن بن سليمان عن جعفر بن محمد قال بعث علي ﷺ مصدقا من الكوفة إلى باديتها فقال^(١):

عليك يا عبد الله بتقوى الله ولا تؤثرون دنياك على آخرتك وكن حافظا لما اتمنتك عليه راعيا لحق الله حتى تأتي نادي بني فلان فإذا قدمت عليهم فانزل بقناتهم من غير أن تتخالط أبياتهم.

ثم ساق الحديث نحو ما مر إلى قوله ﷺ وأقرب لرشدك فينظر الله إليها وإليك وإلى جهدهك ونصيحتك لمن بعثك وبعث في حاجته فإن رسول الله ﷺ قال ما نظر الله إلى ولي يجهد نفسه لإمامه بالطاعة والنصيحة إلا كان معنا في الرقيق الأعلى .

٧١٩- نهج: [تهج البلاغة] ومن عهد له ﷺ إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة في مثله^(٢):

أمره بتقوى الله في سرائر أموره وخفيات أعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه.

وأمره أن لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسر ومن لم يختلف سره وعلايته وفعله ومقاتله فقد أدى الأمانة وأخلص العبادة وأمره أن لا يجبههم ولا يعصهم ولا يرغب عنهم تفضلا بالأمانة عليهم فإنهم الإخوان في الدين والأعوان على استخراج الحقوق.

وإن لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وأنا موفوك حقا فوفهم حقوقهم وإلا فإنك من أكثر الناس خصوما يوم القيامة وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل.

ومن استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذل وأخزى وإن أعظم الخيانة خيانة الأمانة وأفظع الغش غش الأمانة والسلام.

بيان: قوله ﷺ حيث لا شهيد كأنه إشارة إلى موضع أسرار العمل وإخفاء الأمور وقيل يعني يوم القيامة والشهيد الشاهد والحاضر والوكيل من يفوض إليه الأمور أو الشاهد والحفيظ كما فسر به قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

قوله ﷺ فقد أدى الأمانة أي أمانة الله التي أخذها على العباد في عبادته.

قوله ﷺ أن لا يجبههم قال في النهاية أي لا يواجههم بما يكرهونه وأصل الجبه لقاء الجبهة أو ضربها فلما كان المواجه غيره بالكلام القبيح كالضارب جبهته به سمي ذلك جبهها وقال الجوهري عضه عضها رماء بالهتان وقد أعضه أي جثت بالهتان.

(١) رواه الثقفي ح في الحديث: (٧٦) من كتاب الغارات.

(٢) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٢٦) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

قوله ﷺ و لا يرغب عنهم أي عن مخالطتهم ومعاشرتهم تحقيرا لهم.

وقوله أهل مسكنة منصوب بكونه صفة لشركاء وقيل بدل وبؤسا قال ابن أبي الحديد هو بؤسى على وزن فعلى والبؤس الخضوع وشدة الحاجة.

والمذكور في النسخ بؤسا بالتثنية وكذا صححه الراوندي فيكون انتصابه على المصدر كما يقال سحقا لك وبعدا لك ويقال خصمه أي غلبه في الخصومة والسائلون قيل المراد بهم هنا الرقاب وهم المكاتبون يتعذر عليهم مال الكتابة فيسألون وقيل هم الأسارى وقيل العبيد تحت الشدة والمدفوعون هم الذين عناهم الله بقوله في سبيل الله وهم فقراء الغزاة والمدفوع الفقير لأن كل أحد يكرهه ويدفعه عن نفسه.

وقيل هم الحجيج المنقطع بهم لأنهم دفعوا عن إتمام حجهم أو دفعوا عن العود إلى أهلهم.

وفي بعض النسخ المدفوعون بالقفاف قال في القاموس المدقع كمحسن الملقق بالدعاء وهو التراب.

وأما سهم العاملين فقد ذكره بقوله وأنا موفوك حقك مع أن العامل لا يخاصم نفسه وأقول هذه التكلفات^(١) إنما نحتاج إليها إذا حملنا الكلام على استيفاء الأقسام ولا ضرورة فيه فيمكن أن يكون المراد بالسائلين والمدفوعين أو المدققين الموصوفين بتلك الصفات من أصناف المستحقين للصدقات ورتع كمنع أي أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة.

قوله ﷺ فقد أحل بنفسه قال ابن أبي الحديد أي جعل نفسه محلا للذل والخزي ويروى فقد أحل بنفسه بالخاء المعجمة ولم يذكر الذل والخزي ومعناه جعل نفسه فقيرا يقال خل الرجل إذا افتقر وأحل به وبغيره أي جعله فقيرا ويروى أحل بنفسه بالخاء المهملة ولم يذكر الذل والخزي أي أباح دمه والرواية الأولى أصح لقوله ﷺ بعدها وهو في الآخرة أذل وأخرى قوله ﷺ خيانة الأمة مصدر مضاف إلى المفعول به لأن الساعي إذا خان فقد خان الأمة كلها وكذا إذا غش في الصدقة فقد غش الإمام^(٢).

وجوز بعضهم أن يكون مضافا إلى الفاعل فالمراد حينئذ أن إغماض الأئمة وترك النهي عن مثل تلك الخيانة أظفح الغش فلا يطعم العاملون في الإغماض فيها.

(١) أي تكلف حمل كلام أمير المؤمنين هذا على استيفائه لذكر جميع أصناف المستحقين للصدقات كما ذكره ابن أبي الحديد في شرح كلام الإمام ﷺ.

(٢) إلى هنا يتم كلام ابن أبي الحديد بتلخيص بسيط جدا.



أبواب الأمور والفتن الحادثة بعد الرجوع عن قتال الخوارج

باب ٣٠

باب الفتن الحادثة بمصر وشهادة محمد بن أبي بكر و مالك الأشتر رضي الله عنهما و بعض فضائلهما وأحوالهما وعهود أمير المؤمنين عليه السلام إليها

٥٣٣
٣٣ ٧٢٠- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج، [تهج البلاغة] روى إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات و وافق ما رأيته في أصل كتابه روى بإسناده عن الكلبي أن محمد بن حذيفة هو الذي حرض المصريين على قتل عثمان وندبهم إليه و كان حينئذ بمصر فلما صاروا إلى عثمان و حصروه و ثب هو بمصر على عامل عثمان عليها و هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح فطرده عنها و صلى بالناس فخرج ابن أبي سرح من مصر و قال به صر إلى مصر و نزل على تخوم أرض مصر مما يلي فلسطين و انتظر ما يكون من أمر عثمان فلما وصل إليه خبر قتله لحق بمعاوية.

٥٣٤
٣٣ و ولي علي عليه السلام قيس بن سعد بن عباد مصر و قال له صر إلى مصر فقد وليتها و أخرج إلى ظاهر المدينة و اجمع ثقاتك و من أحببت أن يصحبك حتى تأتي مصر و لك جند فإن ذلك أرعب لعدوك و أعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن و شد على العريب و ارفق بالعامية و الخاصة فإن الرفق يمن.

فقال قيس رحمك الله يا أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت فأما الجند فإني أدعه لك فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك و إن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا لك عدة و لكنني أسير إلى مصر بنفسي و أهل بيتي و أما ما أوصيتني به من الرفق و الإحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك.

قال فخرج قيس في سبعة نفر من أهل بيته حتى دخل مصر فصعد المنبر و أمر بكتاب معه يقرأ على الناس فيه. من عبد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى من بلغه كتابي من المسلمين سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن الله بحسن صنعه و قدره و تدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه و ملائكته و رسله و بعث به أنبياء إلى عباده فكان مما أكرم الله هذه الأمة و خصهم به من الفضل أن بعث محمداً عليه السلام إليهم فعملهم الكتاب و الحكمة و السنة و الفرائض و أدبهم لكيما يهتدوا و جمعهم لكيما لا يتفرقوا و زكاهم لكيما يتطهروا فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه فعليه صلوات الله و سلامه و رحمته و رضوانه.

٥٣٥
٣٣ ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين أحياء السيرة و لم يعدوا السنة ثم توفيا فولي بعدهما من أحدث أحداثاً فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ثم نعموا عليه فغيروا ثم جاءوني فبايعوني و أنا أستهدي الله للهدى و أستعينه على التقوى.

ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله والقيام بحقه والنصح لكم بالغيب واللَّهُ الْمُشْتَدُّ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وقد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً فوازروه وأعينوه على الحق وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصحه نسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جزيلاً ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين.

فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال:

الحمد لله الذي جاء بالحق وأما الباطل وكبت الظالمين أيها الناس إنا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا ﷺ فقوموا وبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن نحن لم نعمل فيكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فلا بيعة لنا عليكم. فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عماله إلا أن قرية منها قد أعظم أهلها قتل عثمان وبها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحارث فبعث إلى قيس أنا لا نأتيك فابعث عمالك فالأرض أرضك ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس.

ووثب مسلمة بن مخلد الأنصاري به فنعى ودعا إلى الطلب بدم عثمان فأرسل إليه قيس ويحك أعلي تبب والله ما أحب أن لي ملك الشام ومصر وأني تقتلك فاحقن دمك فأرسل إليه مسلمة أني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر.

وكان قيس ذا رأي وجزم فبعث إلى الذين اعزلوا أني لا أكرهكم على البيعة ولكني أدعكم وأكف عنكم فهادنهم وهاذن مسلمة بن مخلد وجبى الخراج وليس أحد ينازعه.

٥٣٦
٣٣

قال إبراهيم وخرج علي ﷺ إلى الجمل وقيس على مصر ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه وكان أثقل خلق الله على معاوية لقرب مصر وأعمالها من الشام فكتب معاوية إلى قيس وعلي يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها أو ضربة سوط رأيتموها ضربها أو في شتمه أو تمييزه أحداً أو في استعماله الفتيان من أهله فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يحل لكم بذلك فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجنتم شيئاً إذا فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تغني شيئاً وأما صاحبك فقد استيقنا أنه أغرى الناس به وحملهم على قتله حتى قتلوه وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل وبايعنا على علي في أمرنا هذا ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت ومن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان وسلني من غير هذا تجب مما تحب فإنك لا تسألني من شيء إلا أوتيته وكتب إلي برأيك فيما كتبت إليك والسلام.

فكتب إليه قيس أما بعد فقد وصل إلي كتابك وفهمت الذي ذكرت من أمر عثمان وذلك أمر لم أقاربه وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان ودهم إليه حتى قتلوه وهذا أمر لم أطلع عليه وذكرت لي أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري إن أولى الناس كان في أمره عشيرتي.

وأما ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدمه وما عرضته علي فقد فهمته وهذا أمر لي فيه نظر وفكر وليس هذا مما يعجل إلي مثله وأنا كاف عنك وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٥٣٧
٣٣

فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقارباً مباعداً ولم يأمن أن يكون مخادعاً مكايداً فكتب إليه أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلماً ولم أرك تتباعد فأعدك حرباً أراك كخيل الحرون وليس مثلي من يصانع بالخدائع ولا يخدع بالمكاييد ومعه عدد الرجال وأمنة الخيل فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك وإن أنت لم تفعل ملأت مصر عليك خيلاً ورجالاً والسلام.

فلما قرأ قيس كتابه وعلم أنه لا يقبل منه المدافعة والمطالبة أظهر له ما في نفسه.

فكتب إليه من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيي و الطمع في أن تسمني لا أبأ لفيرك الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر وأقولهم بالحق وأهداهم سبيلا وأقربهم من رسول الله ﷺ وسيلة وتأمري بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وأقولهم بالزور وأضلهم سبيلا وأدناهم^(١) من رسول الله ﷺ وسيلة ولديك قوم ضالون مضلون طواغيت من طواغيت إبليس.

وأما قولك إنك تملأ علي مصر خيلا و رجالا فقلت لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك أنك ذو جد والسلام. فلما أتى معاوية كتاب قيس آيس منه وثقل مكانه عليه وكان أن يكون مكانه غيره أعجب إليه لما يعلم من قوته وبأسه وتجدته فاشتد أمره على معاوية فأظهر للناس أن قيسا قد بايعكم فادعوا الله له و قرأ عليهم كتابه الذي لان فيه وقاربه واختلق كتابا نسبته إلى قيس فقرأه على أهل الشام.

فشاع في الشام كلها أن قيسا صالح معاوية وأت عيون علي ﷺ إليه بذلك فأعظمه وأكبره وتعجب له و دعا ابنه حسنا وحسينا وابنه محمدا وعبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك وقال ما رأيكم فقال عبد الله بن جعفر دع ما يريك إلى ما لا يريك اعزل قيسا من مصر قال علي ﷺ والله إني غير مصدق بهذا على قيس فقال عبد الله اعزله يا أمير المؤمنين فإن كان حقا ما قد قيل لا يعتزلك إن عزلته.

قال فإنهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد وفيه. أما بعد فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله وأعزك إن قبلي رجلا معتزلين سألوني أن أكف عنهم وأدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس وتري و يرون وقد رأيت أن أكف عنهم ولا أعجل بحربهم وأن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله والسلام فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين إنك إن أطعته في تركهم واعتزالهم استسرى الأمر وتفاقت الفتنة وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها ولكن مره بقتالهم فكتب إليه.

أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فناجزهم والسلام. فلما أتى هذا الكتاب قيسا فقرأه لم يتمالك أن كتب إليه:

أما بعد يا أمير المؤمنين فالعجب لك تأمرني بقتال قوم كافين عنك لم يمدوا يدا للفتنة ولا أرضدوا لها فأطعني يا أمير المؤمنين وكف عنهم فإن الرأي تركهم والسلام.

فلما أتاه الكتاب قال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين ابعت محمد بن أبي بكر إلى مصر واعزل قيسا فبلغني والله إن قيسا يقول إن سلطانا لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء والله ما أحب أن لي سلطان الشام مع سلطان مصر وأني قتلت ابن مخلد.

وكان عبد الله أخا محمد لأمه وكان يحب أن يكون له إمرة و سلطان. فاستعمل علي محمد بن أبي بكر على مصر لمحجته له ولهوى عبدالله بن جعفر أخيه فيه وكتب معه كتابا إلى أهل مصر. فسار حتى قدما فقال له قيس ما بال أمير المؤمنين ﷺ ما غيره فغضب و خرج عنها مقبلا إلى المدينة ولم يعض إلى علي ﷺ بالكوفة.

فلما قدم المدينة جاءه حسان بن ثابت شامتا به وكان عثمانيا فقال له نزعك علي بن أبي طالب و قد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر فجزه قيس و قال يا أعمى القلب يا أعمى البصر والله لو لا أن ألقى بيني وبين رهطك حربا لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده ثم إن قيسا و سهل بن حنيف خرجا حتى قدما على علي ﷺ الكوفة فخبيره قيس الخبر و ما كان بمصر فصدقه و شهد مع علي ﷺ بصفين هو و سهل بن حنيف وكان قيس طوالا أطول الناس وأمداهم قامة وكان سناطا^(٢) أصلع شجاعا مجربا مناصحا لعلي ﷺ ولولده ولم يزل على ذلك إلى أن مات.

(١) كذا في أصلي وفي شرح نهج البلاغة: وأدناهم. وفي طبعة سابقة: وأناهم. وفي القارات والطبري: وأبعدهم.
(٢) السناط - بكسر السين وضمه -: الكوسج الذي لا لعية لا أصلا. أو الخفيف العارض ولم يبلغ حد الكوسج أو من لحيته في الذقن وما بالعارض شي.

أقول: هذه الأخبار مختصر مما وجدته في كتاب الغارات و قال فيه:

وكان قيس عاملا لعلي عليه السلام على مصر فجعل معاوية يقول لا تسبوا قيسا فإنه معنا فبلغ ذلك عليا فعزله و أتى المدينة فجعل الناس يغرونه و يقولون له نصحت فعزلك.

فلحق بعلي عليه السلام و بايعه اثنا عشر ألفا على الموت بعد ما أصيب علي عليه السلام و صالح الحسن معاوية^(١) فقال لهم قيس إن شئتم دخلتم فيما دخل فيه الناس فبايعه من معه إلا خيصة الضبي.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال كان قيس بن سعد بن عبادة مع علي بن أبي طالب عليه السلام على مقدمته و معه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم.

أقول: وجدت في بعض الكتب أن عزل قيس عن مصر مما غلب أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه و اضطروه إلى ذلك و لم يكن هذا رأيه كالتحكيم و لعله أظهر و أصوب .

٧٢٠- ثم قال إبراهيم و كان عهد علي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر:

هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر أمره بتقوى الله في السر و العلانية و خوف الله تعالى في المغيب و المشهود.

وأمره باللين على المسلم و الغلظة على الفاجر و بالعدل على أهل الذمة و بالإنصاف للمظلوم و بالشدّة على الظالم و بالعفو عن الناس و بالإحسان ما استطاع و الله يجزي المحسنين و يعذب المجرمين.

وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة و الجماعة فإن لهم في ذلك في العافية و عظم الثوبة ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه و أمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل لا ينتقص و لا يبتدع ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل و إن لم تكن لهم حاجة.

وأمره أن يلين لهم جناحه و أن يواسي بينهم في مجلسه و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده في الحق سواء و أمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالقسط و أن لا يتبع الهوى و أن لا يخاف في الله لومة لائم فإن الله مع من اتقاها و أثر طاعته و أمره على من سواه.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ بكرة شهر رمضان سنة ست و ثلاثين.

أقول: روى الحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول هذا العهد نحو ما ذكر.

ثم قال إبراهيم ثم قام محمد بن أبي بكر خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد فالحمد لله الذي هدانا و إياكم لما اختلف فيه من الحق و بصرنا و إياكم كثيرا مما عمي عنه الجاهلون ألا و إن أمير المؤمنين ولاني أموركم و عهد إلي بما سمعتم و أوصاني بكثير منه مشافهة و لن ألوكم جهدا ما استطعت و ما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت و إليه أنيب فإن يكن ما ترون من أثاري و أعمالي طاعة لله و تقوى فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فإنه هو الهادي إليه و إن رأيتم من ذلك عملا بغير الحق فارفعوه إلي و عاتبوني عليه فإني بذلك أسعد و أنتم بذلك مأجورون و فقتنا الله و إياكم لصالح العمل.

قال و كتب محمد بن أبي بكر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام و هو إذ ذاك بمصر عاملها يسأله جوامع من الحلال و الحرام و السنن و المواعظ فكتب إليه:

لعبد الله أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن رأى أمير المؤمنين أربانا الله و جماعة المسلمين فيه أفضل سرورنا و أملنا فيه أن يكتب لنا كتابا فيه فرائض و أشياء مما يتلى به مثلي من القضاء بين الناس فعل فإن الله يعظم لأمير المؤمنين الأجر و يحسن له الذخر.

فكتب إليه علي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى محمد بن أبي بكر و أهل مصر سلام عليكم فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فقد وصل إلى كتابك فقرأتَه وفهمت ما سألتني عنه فأعجبني اهتمامك بما لا بد منه وما لا يصلح المؤمنين غيره وظننت أن الذي دعاك إليه نية صالحة ورأي غير مدخول ولا خسيس وقد بعثت إليك أبواب الأفضية جامعا لك ولنا قُوَّةُ إِلَهٍ بِاللَّهِ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وكتب إليه بما سأله عنه من القضاء وذكر الموت والحساب وصف الجنة والنار وكتب في الإمامة وكتب في الوضوء وكتب إليه في مواقيت الصلاة وكتب إليه في الركوع والسجود وكتب إليه في الأدب وكتب إليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتب إليه في الاعتكاف وكتب إليه في الزنادقة وكتب إليه في نصراني فجر بمسلمة وكتب إليه في أشياء كثيرة لم نحفظ منها غير هذه الخصال وحدثنا ببعض ما كتب إليه

قال إبراهيم وحدثني يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الأسدي عن الحسن بن إبراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن عباية قال كتب علي صلوات الله عليه إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم كتابا يخاطبهم به و يخاطب محمدا أيضا فيه أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله في سر أمركم وعلايته وعلى أي حال كنتم عليها وليعلم المرء منكم أن الدنيا دار بلاء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فمن استطاع أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى ليفعل فإن الآخرة تبقى والدنيا تغنى رزقنا الله وإياكم تبصرا بصرا لما بصرنا وفهما لما فهمنا حتى لا نقصر فيما أمرنا ولا نتعدى إلى ما نهانا.

واعلم يا محمد أنك وإن كنت محتاجا إلى نصيبك من الدنيا إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج فإن عرض لك أمران أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة ولتعظم رغبتك في الخير وتحسن فيه نيتك فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله فإن رسول الله ﷺ قال حين رجع من تبوك إن بالمدينة لأقواما ما سرتهم من مسير ولا هبطتهم من واد إلا كانوا معكم ما حبسهم إلا المرض يقول كانت لهم نية.

ثم اعلم يا محمد إنني وليتك أعظم أجنادي أهل مصر وإذ وليتك ما وليتك من أمر الناس فإنك محق أن تخاف فيه على نفسك وتحذر فيه على دينك ولو كان ساعة من نهار فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه فافعل فإن في الله خلفا من غيره وليس في شيء غيره خلف منه فاشتد على الظالم ولن لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك وإخوانك والسلام.

وبهذا الإسناد قال كتب علي صلوات الله عليه إلى محمد وأهل مصر:

أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله والعمل بما أنتم عنه مسئولون فأنتم به رهن وأنتم إليه صائرون فإن الله عز وجل يقول ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ وقال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ وقال ﴿فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فاعلموا عباد الله أن الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم والكبير فإن يعذب فنحن الظالمون وإن يغفر ويرحم فهو أرحم الراحمين.

واعلموا أن أقرب ما يكون العبد إلى الرحمة والمغفرة حين ما يعمل بطاعة الله ومناصحته في التوبة فعليكم بتقوى الله عز وجل فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها خير الدنيا وخير الآخرة يقول الله سبحانه ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَذَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

واعلموا عباد الله أن المؤمن يعمل لثلاث:

إما لخير الدنيا فإن الله يثيبه بعمله في الدنيا قال الله ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فمن عمل لله تعالى أعطاه أجره في الدنيا والآخرة وكفاه المهم فيهما وقد قال تعالى ﴿يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة قال الله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى الجنة والزيادة الدنيا.

وإما لخير الآخرة فإن الله يكفر عنه بكل حسنة سيئة يقول ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِينَ﴾ حتى إذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم وأعطوا بكل واحدة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف فهو الذي يقول ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَاباً﴾ ويقول عز وجل ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّغْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ فارغبوا فيه واعملوا به وتحاضوا عليه.

واعلموا عباد الله أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير وآجله شركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم يقول الله عز وجل ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون وشربوا من أفضل ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون وسكنوا بأفضل ما يسكنون وتزوجوا بأفضل ما يتزوجون وركبوا من أفضل ما يركبون أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا وتيقنوا أنهم غدا من جيران الله عز وجل ويتمنون عليه ما يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم لذة أما في هذا ما يشقاق إليه من كان له عقل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلموا عباد الله أنكم إن اتقيتم ربكم وحفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد وذكرتموه بأفضل ما ذكر وشكرتموه بأفضل ما شكر وأخذتم بأفضل الصبر وجاهدتم بأفضل الجهاد وإن كان غيركم أطول صلاة منكم وأكثر صياما إذا كنتم أتقى لله وأنصح لأولياء الله من آل محمد ﷺ وأخشع.

واحذروا عباد الله الموت ونزوله وخذوا له عدته فإنه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شر أبدا أو شر لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلى الجنة من عاملها.

وليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أي المنزلتين يصير إلى الجنة أم إلى النار أعدو هو لله أم ولي له فإن كان وليا فتحت له أبواب الجنة وشرع له طريقها ونظر إلى ما أعد الله عز وجل لأولياته فيها وفرغ من كل شغل ووضع عنه كل ثقل.

وإن كان عدوا لله فتحت له أبواب النار وسهل له طريقها ونظر إلى ما أعد الله فيها لأهلها واستقبل كل مكروه وفارق كل سرور قال تعالى ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَاذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

واعلموا عباد الله أن الموت ليس منه فوت فاحذروه قبل وقوعه وأعدوا له عدته فإنكم طرداء الموت إن أقمتم أخذكم وإن هربتم أدرككم وهو أترم لكم من ظلكم معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات فإنه كفى بالموت واعظا وقد قال رسول الله ﷺ أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات.

واعلموا عباد الله أن ما بعد الموت أشد من الموت لمن لا يغفر الله له ويرحمه واحذروا القبر وضمته وضيقة وظلمته فإنه الذي يتكلم كل يوم يقول أنا بيت التراب وأنا بيت الغربة وأنا بيت الدود والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

إن المسلم إذا مات قالت له الأرض مرحبا وأهلا قد كنت ممن أحب أن تمشي على ظهري فإذا وليتك فستعلم كيف صني بك فيتسع له مد بصره.

وإذا دفن الكافر قالت له الأرض لا مرحبا ولا أهلا قد كنت ممن أبغض أن تمشي على ظهري فإذا وليتك فستعلم كيف صني بك فتتضم عليه حتى تلتقي أضلاعه.

واعلموا أن المعيشة الضنك التي قال الله سبحانه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ هي عذاب القبر وأنه يسلط على الكافر في قبره حيات تسعة وتسعين تتيان عظام تنهش لحمه حتى يبعث لو أن تتيان منها نفخ في الأرض ما أنبتت الزرع ريعها أبدا.

واعلموا عباد الله أن أنفسكم وأجسادكم الرقيقة الناعمة التي يكفيها اليسير من العقاب ضعيفة عن هذا فإن

استطعتم أن ترحموا أنفسكم وأجسادكم عما لا طاقة لكم به ولا صبر عليه فتعملوا بما أحب الله سبحانه وتتركوا ما كره فافعلوا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلموا عباد الله أن ما بعد القبر أشد من القبر يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ويسقط فيه الجنين وتذلل كل مرضعة عما أَرْضعت.

واحذروا يوما عيوسا قطيريا كان شره مستطيرا أما إن شر ذلك اليوم وفزعه استطار حتى فزعت منه الملائكة الذين ليست لهم ذنوب والسبع الشداد والجال الأوتاد والأرضون الهاد وانثقت السماء فهي يومئذ واهية تتغير فكانت زُودَةً كَالْدُهَانِ وتكون الجبال سرايا مهيلًا بعد ما كانت صما صلايا يقول الله سبحانه ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُوعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ فكيف من يعصيه بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن إن لم يغفر الله ويرحم.

واعلموا عباد الله أن ما بعد ذلك اليوم أشد وأدهى على من لم يغفر الله له من ذلك اليوم نار قعرها بعيد وحرا شديد وعذابها جديد ومقامها حديد وشرابها صديد لا يفتر عذابها ولا يموت ساكنها دار ليست لله سبحانه فيها رحمة ولا يسمع فيها دعوة.

واعلموا عباد الله أن مع هذا رحمة الله التي وسعت كل شيء لا تعجز عن العباد جنة عرضها كعرض السماوات والأرض خير لا يكون بعده شر أبدا وشهوة لا تنفد أبدا ولذة لا تفتنى أبدا ومجمع لا يتفرق أبدا قوم قد جاؤوا الرحمن وقام بين أيديهم الغلمان يصحاف من ذهب فيها الفاكهة والريحان.

فقال رجل^(١) يا رسول الله إني أحب الخيل فهل في الجنة خيل قال نعم والذي نفسي بيده إن فيها خيلا من ياقوت أحمر عليها يركبون فتدف بهم خلال ورق الجنة فقال رجل يا رسول الله إني يعجبني الصوت الحسن أفي الجنة الصوت الحسن قال نعم والذي نفسي بيده إن الله ليأمر لمن أحب ذلك منهم بشجر يسمعه صوتا بالتسبيح ما سمعت الأذان بأحسن منه قط.

فقال رجل يا رسول الله ﷺ إني أحب الإبل أفي الجنة إبل قال نعم والذي نفسي بيده إن فيها نجايب من ياقوت أحمر عليها رجال الذهب قد ألحفت بنمارق الديباج يركبون فتزف بهم خلال ورق الجنة وإن فيها صور رجال ونساء يركبون مراكب أهل الجنة فإذا أعجب أحدهم الصورة قال اجعل صورتي مثل هذه الصورة فيجعل صورته عليها وإذا أعجبته صورة المرأة قال رب اجعل صورة فلانة زوجة مثل هذه الصورة فيرجع وقد صارت صورة زوجته على ما انتهى وإن أهل الجنة يزورون الجبار سبحانه في كل جمعة فيكون أقربهم منه على منابر من نور والذين يلونهم على منابر من ياقوت والذين يلونهم على منابر من زبرجد والذين يلونهم على منابر من مسك فيبئنا هم كذلك ينظرون إلى نور الله جل جلاله وينظر الله في وجوههم إذ أقبلت سحابة تغشاهم فتطمر عليهم من النعمة واللذة والسرور والبهجة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه ومع هذا ما هو أفضل منه رضوان الله الأكبر.

أما أنا لو لم نخوف إلا ببعض ما خوفنا به لكنا محقوقين أن يشتد خوفنا مما لا طاقة لنا به ولا صبر لقوتنا عليه وأن يشتد شوقنا إلى ما لا غناء لنا عنه ولا بد لنا منه.

وإن استطعتم عباد الله أن يشتد خوفكم من ربكم ويحسن به ظنكم فافعلوه فإن العبد إنما تكون طاعته على قدر خوفه وإن أحسن الناس لله طاعة أشدهم له خوفا.

وانظر يا محمد صلاتك كيف تصلحها فإنما أنت إمام ينبغي لك أن تتمها وأن تخففها وأن تصلحها لوقتها فإنه ليس من إمام يصلي يقوم فيكون في صلاته وصلاته نقص إلا كان إثم ذلك عليه ولا ينقص ذلك من صلاتهم شيئا. واعلم أن كل شيء من عملك يتبع صلاتك فمن ضيع الصلاة فهو لغيرها أشد تضييعا وضوؤك من تمام الصلاة فأت بها على وجهه فإن الوضوء نصف الإيمان وانظر صلاة الظهر فصلها لوقتها لا تعجل بها عن الوقت لفراغ ولا

(١) وفي هامش هذا المقام من البحار للمصنف كلام هذا نصه:

من قوله ﷺ: «فقال الرجل» إلى قوله: «على ما أشتي» لم يكن في كتاب ابن أبي الحديد، ولعله أسقطه لما فيه من التشويش وعدم الانطباق.

تؤخرها عن الوقت لشغل فإن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن وقت الصلاة فقال النبي ﷺ أتاني جبرئيل فأراني وقت الصلاة فصلى الظهر حين زالت الشمس ثم صلى العصر وهي بيضاء نقية ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الصبح فأغسل بها والنجوم مشتبكة كان النبي ﷺ كذا يصلي قبله فإن استطعت ولا قوة إلا بالله أن تتلزم السنة المعروفة وتسلك الطريق الواضح الذي أخذته ولعلك تقدم عليهم غدا.

ثم انظر ركوعك وسجودك فإن النبي ﷺ كان أتم الناس صلاة وأحفظهم لها وكان إذا ركع قال سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاث مرات. وإذا رفع صلبه قال سمع الله لمن حمده اللهم لك الحمد ملء سماواتك وملء أرضك وملء ما شئت من شيء فإذا سجد قال سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاث مرات.

أسأل الله الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا وإياك ممن يحبه الله ويرضاه حتى يبعثنا على شكره وذكره وحسن عبادته وأداء حقه وعلى كل شيء اختاره لنا في دنيانا وديننا وأولانا وآخرانا وأن يجعلنا من المتقين الذين لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

فإن استطعتم يا أهل مصر ولا قوة إلا بالله أن تصدق أقوالكم أفعالكم وأن يتوافق سركم وعلايتكم ولا تخالف ألسنتكم قلوبكم فافعلوا عصمنا الله وإياكم بالهدى وسلك بنا وبكم المحجة العظمى^(١).

وإياكم دعوة الكذاب ابن هند وتأملوا واعلموا أنه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى وصي النبي ﷺ وعدو النبي جعلنا الله وإياكم ممن يحب ويرضى لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إني لا أخاف على أمتي مؤمنا ولا مشركا أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه وأما المشرك فيخزيه الله بشركه ولكني أخاف عليكم^(٢) كل منافق عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون.

وقد قال النبي ﷺ من سرت له ساءت حسانته سيئاته فذلك المؤمن حقا وقد كان يقول خلصتان لا تجتمعان في منافق حسن سميت ولا فقه في سنة.

واعلم يا محمد إن أفضل الفقه الورع في دين الله والعمل بطاعته أعاننا الله وإياك على شكره وذكره وأداء حقه والعمل بطاعته فعليك بالثقوى في سر أمرك وعلايتك وعلى أي حال كنت عليها جعلنا الله وإياك من المتقين.

أوصيك بسبع هن جوامع الإسلام آخش الله ولا تخش الناس في الله وخير القول ما صدقه العمل ولا تقض في أمر واحد بقضاءين مختلفين فيتناقض أمرك ويزيغ عن الحق وأحب لعامة رعييتك ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك والزم الحجة عند الله فأصلح أحوال رعييتك وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم وانصح لمن استشارك واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم.

وعليك بالصوم وإن رسول الله ﷺ عكف عاما في العشر الأول من شهر رمضان وعكف العام المقبل في العشر الأوسط من شهر رمضان فلما كان العام الثالث رجع من بدر وقضى اعتكافه فنام فرأى في منامه ليلة القدر في العشر الأواخر كأنه يجد^(٣) في ماء وطين فلما استيقظ رجع من ليلته إلى أزواجه وأناس معه من أصحابه ثم إنهم مطروا ليلة ثلاث وعشرين فصلى النبي ﷺ حين أصبح فرأى في وجه النبي ﷺ الطين فلم يزل يكتف في العشر الأواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله.

وقال النبي ﷺ من صام رمضان ثم صام ستة أيام من شوال فكأنما صام السنة جعل الله خلتنا ودنا خلة المتقين وداد المخلصين وجمع ﷻ بيننا وبينكم في دار الرضوان إخواناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

قال إبراهيم حدثني عبد الله بن محمد بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف عن أصحابه أن عليا لما كتب إلى محمد بن أبي بكر هذا الكتاب كان ينظر فيه ويتأدب به فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه.

فقال الوليد بن عقبة وقد رأى إعجابه به مر بهذه الأحاديث أن تحرق فقال معاوية مه فإنه لا رأي لك فقال الوليد

(١) كذا في أصلي، وفي شرح ابن أبي الحديد: «المحجة الوسطى...».

(٢) كذا في الأصل، وفي شرح ابن أبي الحديد: «عليهم». (٣) وفي الفارات ط ١: يسجد.

أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها قال معاوية ويحك أتامرتني أن أحرق علما مثل هذا والله ما سمعت يعلم هو أجمع منه ولا أحكم فقال الوليد إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله فقال لو لا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفنانا لأخذنا عنه ثم سكت هنيئة ثم نظر إلى جلسائه فقال ألا لا نقول إن هذه من كتب علي بن أبي طالب ولكن نقول هذه من كتب أبي بكر كانت عند ابنه محمد ففتحنا نظرا فيها وناخذ منها.

قال فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال إبراهيم فلما بلغ عليا عليه السلام أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد عليه حزنا وروي عن عبد الله بن سلمة قال صلى بنا علي صلوات الله عليه فلما انصرف قال:

لقد عثرت عشرة لا أعتمد سوف أكيس بعدها وأستمر

و أجمع الأمر الشتيت المنتشر

فقلنا ما بالك يا أمير المؤمنين قال إني استعملت محمد بن أبي بكر على مصر فكتب إلي أنه لا علم لي بالسنة فكُتبت إليه كتابا فيه أدب و سنة فقتل وأخذ الكتاب.

قال إبراهيم فلم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئك المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعا لهم فقال يا هؤلاء إما أن تدخلوا في طاعتنا وإما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا إليه أنا لا نفعل فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس فلا تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم ثم كانت وقعة صفين وهم لمحمد هائبون فلما أتاهم خبر معاوية وأهل الشام ثم صار الأمر إلى الحكومة وأن عليا وأهل العراق قد قتلوا عن معاوية والشام إلى عراقهم اجتمعوا على محمد وأظهروا المنايذة له فلما رأى محمد ذلك بعث إليهم ابن جهمان البلوي ومعه يزيد بن الحرث الكتاني فقاتلهم فقتلوهما ثم بعث إليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضا.

و خرج معاوية بن حديج من السكاسك يدعو إلى الطلب بدم عثمان فأجابه القوم وأناس كثير آخرون وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر فبلغ عليا عليه السلام توثيهم عليه فقال ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلناه بالأمس يعني قيس بن سعد أو مالك بن الحارث الأشتر وكان علي حين رجع عن صفين رد الأشتر إلى عمله بالجزيرة وقال لقيس بن سعد أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثم أخرج إلى أذربيجان فكان قيس مقيما على شرطته فلما انقضى أمر الحكومة كتب عليه السلام إلى الأشتر وهو يومئذ بنصيبين كتابا وطلبه

أقول: لما روى المفيد رحمه الله في المجالس ^(١) هذه القصة وهذا الكتاب قريبا مما أورده أخرجه منه لكونه أبسط وأوثق إلا أن في رواية الثقيفي أن بعث الأشتر كان قبل شهادة محمد

٧٢١- قال المفيد أخبرني الكاتب عن الزعفراني عن الثقيفي عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال:

لما ورد الخبر على أمير المؤمنين عليه السلام بمقتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه كتب إلى مالك بن الحارث الأشتر رحمه الله وكان مقيما بنصيبين:

أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقم به نخوة الأئيم وأسد به الثغر المخوف وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر رحمه الله مصر فخرج عليه خوارج وكان حدثا لا علم له بالحروب فاستشهد رحمه الله ^(٢) فاقدم علي للنظر في أمر مصر واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك.

فاستخلف مالك على عمله شبيب بن عامر الأزدي وأقبل حتى ورد على أمير المؤمنين عليه السلام فحدثه حديث مصر وأخبره عن أهلها وقال له ليس لهذا الوجه غيرك فاخرج فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أمرك وأخلط الشدة باللين وارق ما كان الرفق أبلغ واعتزم على الشدة متى لم يغن عنك إلا الشدة.

(١) المعروف بالأمال في ذكر القصة في الحديث: (٤) من المجلس التاسع منه ص ٥٦ ط النجف.

والقصة رواها الطبري من طريق أبي مخنف في حوادث سنة: (٣٨) من تاريخه: ج ٤ ص ٧١.

(٢) جملة: «فاستشهد» أجمعت في الحديث سهواً من الراوي أو الكاتب لقيام القرائن القطعية على أن بعث الأشتر رفع الله مقامه كان قبل استشهاده محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه.

قال فخرج مالك الأشتر فأتى رحله و تهيأ للخروج إلى مصر و قدم أمير المؤمنين أمامه كتابا إلى أهل مصر: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو و أسأله الصلاة على نبيه محمد و آله و إني قد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينال أيام الخوف و لا ينكل عن الأعداء حذر الدوائر من أشد عبيد الله بأسا و أكرمهم حسبا أضر على الفجار من حريق النار و أبعد الناس من دنس أو عار و هو مالك بن الحارث الأشتر لا نابي الضريبة و لا كليل الحد حليم في الحذر زرين في الحرب ذو رأي أصيل و صبر جميل فاسمعوا له و أطيعوا أمره فإن أمركم بالنفير فانفروا و إن أمركم أن تقيموا فاقموا فإنه لا يقدم و لا يحجم إلا بأمرى فقد آثرتكم به على نفسي نصيحة لكم و شدة شكيمة على عدوكم عصمكم الله بالهدى و ثبتكم بالقوى و وقتنا و إياكم لما يحب و يرضى و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

و لما تهيأ مالك الأشتر للرحيل إلى مصر كتب عيون معاوية بالعراق إليه يرفعون خبره فعظم ذلك على معاوية و قد كان طمع في مصر فعلم أن الأشتر إن قدمها فاتته و كان أشد عليه من ابن أبي بكر فبعث إلى دهقان من أهل الخراج بالقلمز أن عليا قد بعث بالأشتر إلى مصر و إن كفتيته سوغتك خراج ناحيتك ما بقيت فاحتل في قتله بما قدرت عليه. ثم جمع معاوية أهل الشام و قال لهم إن عليا قد بعث بالأشتر إلى مصر فهللوا ندعو الله عليه يكفيننا أمره ثم دعا ودعوا معه.

و خرج الأشتر حتى أتى القلمز فاستقبله ذلك الدهقان فسلم عليه و قال أنا رجل من أهل الخراج و لك و لأصحابك علي حق في ارتفاع أرضي فانزل علي أقم بأمرك و أمر أصحابك و علف دوابكم و احتسب بذلك لي من الخراج فنزل عليه الأشتر فأقام له و لأصحابه بما احتاجوا إليه و حمل إليه طعاما دس في جملته عسلا جعل فيه سما فلما شربه الأشتر قتله و مات و بلغ معاوية خبره فجمع أهل الشام و قال لهم أبشرو فإن الله قد أجاب دعاءكم و كفاكم الأشتر و أماته فسروا بذلك و استبشروا به.

و لما بلغ أمير المؤمنين ﷺ وفاة الأشتر جعل يتلهف و يتأسف عليه و يقول لله در مالك لو كان من جبل لكان أعظم أركانه و لو كان من حجر كان صلدا أما و الله ليهدن موتك عالما فعلى مثلك فلتبك البواكي ثم قال إِنَّا لِلَّهِ و إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ و الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر فرحم الله مالكا فقد وفى بعهده و قضى نَحْبَهُ و لقي ربه مع أنا قد وطننا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها أعظم المصيبة.

أقول: و في رواية الثقيفي في كتابه ﷺ إلى الأشتر و هو غلام حدث السن و ليس فيه ذكر شهادة محمد فلا ينافي ما يظهر من روايته أن بعث الأشتر كان قبل شهادته و ما أورده السيد من الاعتذار من محمد لبعث الأشتر يدل على ذلك أيضا و هو أشهر عند أرباب التواريخ و لكن رواية الإختصاص^(١) أيضا مؤيدة لهذه الرواية.

٧٢٢- رجعنا إلى رواية الثقيفي روى بإسناده عن عاصم بن كليب عن أبيه أن معاوية لما بلغه خبر الأشتر بعث رسولا يتبعه إلى مصر و أمره باغتياله فحمل معه مزودين فيهما شراب فاستسقى الأشتر يوما فسقاه من أحدهما فاستسقى يوما آخر فسقاه من الآخر و فيه سم فشربه و مال عنقه فطلب الرجل فقاته^(٢).

و عن مغيرة الضبي أن معاوية دس للأشتر مولى لآل عمر فلم يزل المولى يذكر للأشتر فضل علي و بني هاشم حتى أطمان إليه فقدم الأشتر يوما ثقله و استسقى ماء فسقاه المولى شربة سويق فيها سم فمات.

قال و قد كان معاوية قال لأهل الشام لما دس له مولى عمر ادعوا على الأشتر فدعوا عليه فلما بلغه موته قال ألا ترون كيف استجيب لكم .

و قد روي من بعض الوجوه أن الأشتر قتل بمصر بعد قتال شديد و الصحيح أنه سقي سما فمات قبل أن يبلغ مصر و عن علي بن محمد المدائني أن معاوية أقبل يقول لأهل الشام أيها الناس إن عليا قد وجه الأشتر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكم فكانوا يدعون عليه في دبر كل صلاة و أقبل الذي سقاه السم إلى معاوية فأخبره بهلاك الأشتر فقام

(١) الآتية في الحديث: (٧٣٤) من هذا الباب، ص ٣٠٦.

(٢) رواه مع التوالي الثقيفي في الحديث: (١١٦) وما بعده من كتاب تلخيص الفارات ج ١، ص ٢٦٢، وما بعدها.

معاوية خطيباً فقال أما بعد فإنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان فقطعت إحداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر وقد قطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشتر.

وقال إبراهيم فلما بلغ علياً موت الأشتر قال إنا لله وإنا إليه راجعون وَالْخُذْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أحسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر.

٥٥٦
٣٣

ثم قال رحم الله مالكا فلقد وفى بعهدة وقضى نحبته ولقي ربه مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها من أعظم المصائب.

وعن معاوية الضبي قال لم يزل أمر علياً شديداً حتى مات الأشتر وكان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة. وعن جماعة من أشياخ النخع قالوا دخلنا على أمير المؤمنين عليه السلام حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه ثم قال لله در مالك وما مالك لو كان من جبل لكان قنذاً ولو كان من حجر لكان صلداً أما والله ليهدن موتك عالماً وليفرحن عالماً على مثل مالك فلتبك البواكي وهل مرجو كمالك؟

وهل موجود كمالك قال علقمة بن قيس النخعي فما زال علي يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا وعرف ذلك في وجهه أياماً.

قال إبراهيم وحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني عن رجاله أن محمد بن أبي بكر لما بلغه أن علياً قد وجه الأشتر إلى مصر شق عليه فكتب علياً إليه عند مهلك الأشتر:

أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك ولم أفعل ذلك استبطاء لك عن الجهاد ولا استزادة لك مني في الجدد ولو نزعنا ما حوت يداك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر مثونة عليك وأعجب ولاية إليك إلا أن الرجل الذي كنت وليته مصر كان رجلاً لنا مناصحاً وعلى عدونا شديداً فرحمة الله عليه فقد استكمل أيامه ولاقي حمامه ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب وأحسن له المآب.

فأصحر لعدوك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهلك ويعتك على ما ولاك أعاننا الله وإياك على ما لا ننال إلا برحمته والسلام^(١).

٥٥٧
٣٣

فكتب محمد رحمه الله إلى عبد الله أمير المؤمنين عليه السلام من محمد بن أبي بكر سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فقد انتهى إلي كتاب أمير المؤمنين وفهمته وعرفت ما فيه وليس أحد من الناس أشد على عدو أمير المؤمنين ولا أرق خرجت فعسكرت وأمنت الناس إلا من نصب لنا حرباً وأظهر لنا خلافاً وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه ولاجئ إليه وقائم به والله المستعان على كل حال والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

وعن أبي جهضم الأسدي قال إن أهل الشام لما انصرفوا عن صفين وأتي بمعاوية خبر الحكمين وبايعه أهل الشام بالخلافة لم يزد إلا قوة ولم يكن له هم إلا مصر فدعا عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أرطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد وشرحيل بن السمط وأبا الأعور السلمي وحمزة بن مالك فاستشارهم في ذلك فقال عمرو بن العاص نعم الرأي رأيت في اقتاحتها عزمك وعز أصحابك وذلة عدوك وقال آخرون نرى ما رأى عمرو.

فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري وإلى معاوية خديج الكندي وكانا قد خالفا علياً فدعاهما إلى الطلب بدم عثمان فأجابا وكتب إليه عجل إلينا بخيلك ورجلك فإنا ننصرك ويفتح الله عليك.

فبعث معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف فصار عمرو في الجيش حتى دنا من مصر فاجتمعت إليه العثمانية فأقام وكتب إلى محمد بن أبي بكر:

أما بعد فتتبع عني بدمك يا ابن أخي فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر وإن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك وهم مسلموك لو قد التقت حلقنا البطان فأخرج منها إني لك من الناصحين والسلام.

٥٥٨
٣٣

(١) ورواه السيّد الرضی ح في المختار: (٣٤): من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

ورواه الطبري مع أكثر ما يليه في حوادث سنة: (٣٨) من تاريخه: ج ١، ص ٣٣٩٥، وفي ط: ج ٤ ص ٧٥ وفي ط: ج ٥ ص ٩٦.

قال و بعث عمرو مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه و هو:

أما بعد فإن غيب الظلم و البغي عظيم الويال و إن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النعمة في الدنيا و التبعة الموقفة في الآخرة و ما تعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا و لا أسوأ له عيبا و لا أشد عليه خلافا منك سمعت عليه في الساعين و ساعدت عليه مع المساعدين و سفكت دمه مع السافكين ثم تظن أنني نائم عنك فأنتيت بلدة فتأمر فيها و جل أهلها أنصاري يرون رأيي و يرفعون قولك و يرقبون عليك و قد بعثت إليك قوما حناقا عليك يستسفكون دمك و يتقربون إلى الله عز و جل بجهاذك و قد أعطوا الله عهدا ليقتلك و لو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من أوليائه و أنا أحذرك و أنذرك فإن الله مقيد منك و مقتص لوليه و خليفته بظلمك له و بغيك عليه و وقيعتك فيه و عدوانك يوم الدار عليه تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه و أوداجه و مع هذا إني أكره قتلك و لا أحب أن أتولى ذلك منك و لن يسلمك الله من النعمة أين كنت أبدا فتفتح و انج بنفسك و السلام.

قال فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما و بعث بهما إلى علي عليه السلام و كتب إليه:

أما بعد يا أمير المؤمنين فإن العاصي بن العاص قد نزل أداني مصر و اجتمع عليه من أهل البلد كل من كان يرى رأيهم و هو في جيش جرار و قد رأيت ممن قبلي بعض الفشل فإن كان لك في أرض مصر حاجة فامدني بالأموال و الرجال و السلام عليك و رحمة الله و بركاته.

فكتب إليه أمير المؤمنين رضي الله عنه أما بعد فقد أتاني رسولك بكتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل أداني مصر في جيش جرار و إن من كان على مثل رأيي قد خرج إليه و خرج من كان على رأيي خير لك من إقامته عندك و ذكرت أنك قد رأيت ممن قبلك فشلا فلا تفشل و إن فشلوا حصن قريتك و اضمم إليك شيعتك و أول الحرس في عسكريك^(١) و اندب إلى القوم كناية بن بشر المعروف بالنصيحة و التجربة و البأس و أنا نادب إليك الناس على الصعب و الذلول فاصبر لعدوك و امض على بصيرتك و قاتلهم على نيتك و جاهدهم محتسبا لله سبحانه و إن كان فتتك أقل الفتنتين فإن الله تعالى يعين القليل و يخذل الكثير.

و قد قرأت كتاب الفاجرين المتحابين على المعصية و المتلائين على الضلالة و المرتبتين المرتشين في الحكومة و المتكبرين على أهل الدين الذين استمتعوا بخلافتهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلافتهم فلا يضرنا إرعادهما و إيراقتهم و أجهبها إن كنت لم تجهبها بما هما أهلها فإنك تجد مقالا ما شئت و السلام.

قال فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه:

أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعترف إليك منه و تأمرني بالتخلي عنك كأنك لي ناصح و تخوفني بالحرب كأنك علي شقيق و أنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم و أن يخذلكم الله في الرقعة و أن ينزل بكم الذل و إن تولوا الدبر فإن يكن لكم الأمر في الدنيا فكم و كم لعمرى من ظالم قد نصرتم و كم من مؤمن قد قتلتم و مثلتم به و إلى الله النصير و إليه ترد الأمور و هو أرحم الراحمين و الله الشُّبَّتَانِ عَلَى مَا تَصِفُونَ.

قال و كتب محمد بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه:

أما بعد فقد فهمت كتابك و علمت ما ذكرت و زعمت أنك لا تحب أن يصيبني منك ظفر فأشهد بالله أنك لمن المظليلين و زعمت أنك لي ناصح و أقسم أنك عندي ظنين و زعمت أن أهل البلد قد رفضوني و تدموا على اتباعي فأولئك حزبك و حزب الشيطان الرجيم و حسبنا الله رب العالمين و توكلت على الله العزيز الرحيم رب العرش العظيم.

قال إبراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمد بن أبي بكر في الناس فحمد الله و أثني عليه ثم قال:

أما بعد يا معاشر المسلمين فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمه و يغشون أرض الضلالة^(٢) قد نصبوا لكم العدواة و ساروا إليكم بالجنود فمن أراد الجنة و المغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله انتدبوا رحمكم الله مع كنانة بن بشر و من يجيب معه من كنده^(٣).

(١) كذا في أصلي، وفي شرح ابن أبي الحديد: «وأكد الحرس في عسكريك».

(٢) كذا في أصلي، وفي شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٣١٨ ط بيروت: «ويغشون الضلالة ويستطيون بالجرية قد نصبوا لكم العدواة...».

(٣) جملة: ومن يجيب معه من كنده» غير موجودة في شرح ابن أبي الحديد، وكان في أصلي وُضع عليها علامة ولكن لم تكن واضحة.

ثم ندب معه أئني رجل و تخلف محمد في ألفين و استقبل عمرو بن العاص كنانة و هو على مقدمة محمد فلما دنا عمرو من كنانة سرح إليه الكتاب كتيبة بعد كتيبة فلم تأت كتيبة من كتاب أهل الشام إلا شد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمره ففعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج الكندي فأثاه في مثل الدهم فلما رأى كنانة ذلك الجيش نزل عن فرسه و نزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه و هو يقول ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد رحمه الله.

فلما قتل كنانة أقبل ابن العاص نحو محمد و قد تفرق عنه أصحابه فخرج محمد فمضى في طريق حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها و جاء عمرو بن العاص حتى دخل القسطنطين.

وخرج ابن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق فسألهم هل مر بكم أحد تنكرونه قالوا لا قال أحدهم إني دخلت تلك الخربة فإذا أنا برجل جالس قال ابن حديج هو هو و رب الكعبة فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمد فاستخرجوه و قد كاد يموت عطشا فأقبلوا به نحو القسطنطين.

فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص و كان في جنده فقال لا والله لا يقتل أخي صبرا ابعت إلى معاوية بن حديج فانهه عن قتله.

فأرسل عمرو بن العاصي إلى معاوية أن انتني بمحمد فقال معاوية أقتلتم كنانة بن بشر ابن عمي و أخلي عن محمد هيبات أكفأركم خير من أوليكم أم لكم براءة في الزبر فقال لهم محمد اسقوني قطرة من ماء فقال له ابن حديج لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبدا إنكم منعمت عثمان أن يشرب الماء حتى تقتلوه صائما محرما فسقاه الله من الرحيق المخترم و الله لأقتلك يا ابن أبي بكر و أنت ظمان و يسقيك الله من الحميم و الغسلين.

فقال محمد يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم إليك و لا إلى عثمان إنما ذلك إلى الله يسقي أوليائه و يظمن أعداءه و هم أنت و قرناؤك و من تولاك و توليته و الله لو كان سيفي في يدي ما بلغت مني ما بلغت.

فقال له معاوية بن حديج أتدري ما أصنع بك أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار.

قال إن فعلتم ذلك بي فطال ما فعلتم ذلك بأوليائه الله و إيم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخونني بها بردا و سلا كما جعلها الله على إبراهيم خليله و أن يجعلها عليك و على أوليائك كما جعلها على نمرود و على أوليائه و إني لأرجو أن يحرقك الله و إمامك معاوية و هذا أشار إلى عمرو بن العاص بنار تظلي عليكم كلما حبث زادها الله عليكم سعيرا فقال معاوية بن حديج إني لا أقتلك ظلما إنما أقتلك بعثمان بن عفان قال محمد و ما أنت رجل عيل بالجور و بدل حكم الله و القرآن و قد قال الله عز و جل ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فأولئك هم الظالمون فأولئك هم الفاسقون فنقمنا عليه أشياء عملها فأردناه أن يختلع من عملنا فلم يفعل فقتله من قتله من الناس فغضب ابن حديج فقدمه فضرب عنقه ثم ألقاه في جوف حمار و أحرقه بالنار.

فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا و قتنت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج و قبضت عيال محمد أخيه و ولده إليها فكان القاسم بن محمد في حجرها.

قال و كان ابن حديج ملعونا خبيثا يسب عليا عليه السلام فقد روي عن داود بن أبي عوف قال دخل معاوية بن حديج على الحسن بن علي عليه السلام في مسجد المدينة فقال له الحسن ويحك يا معاوية أنت الذي تسب أمير المؤمنين عليا أما والله لئن رأيته يوم القيامة و لا أظنك تراه لترينه كاشفا عن ساق يضرب وجهه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل. وعن محمد بن عبد الله بن شداد قال حلفت عائشة أن لا تأكل شواء أبدا بعد قتل محمد فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله و ما عثرت قط إلا قالت تعس معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج.

ويروى عن كثير النواء أن أبا بكر خرج في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فرأت أسماء بنت عيسى و هي تحته كان أبا بكر متخضب بالحناء رأسه و لحيته و عليه ثياب بيض فجاءت إلى عائشة فأخبرتها فبكت عائشة و قالت إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر إن خضابه الدم و إن ثيابه أكفانه فدخل النبي صلى الله عليه وسلم و هي كذلك فقال ما أبكها فذكروا الرؤيا فقال صلى الله عليه وسلم ليس كما عبرت عائشة و لكن يرجع أبو بكر صالحا فتحصل منه أسماء بغلام تسميه محمدا يجعله الله غيظا على الكافرين و المنافقين قال فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

و عن الحارث بن كعب عن حبيب بن عبد الله^(١) قال والله إني لعند علي^{عليه السلام} جالسا إذ جاءه عبيد الله بن قعين من قبل محمد بن أبي بكر يستصرخه قبل الوقعة فقام علي^{عليه السلام} فنادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر رسول الله^{صلى الله عليه وآله} فصلى عليه ثم قال:

أما بعد فهذا صريح محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدو من والاه وولي من عادى الله فلا يكون أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم منكم على حَقِّكم فكأنكم بهم قد بدءوكم وإخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر.

عباد الله إن مصر أعظم من الشام خيرا وخيرا أهلا فلا تغلبوا على مصر فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم وكبت لعدوكم اخرجوا إلى الجرعة والجرعة بين الحيرة إلى الكوفة لتتواني هناك كلنا غدا إن شاء الله.

قال فلما كان الغد خرج يشي فزلهما بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع.

فلما كان العشي بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر وهو كئيب حزين فقال:

الحمد لله على ما قضى من أمر و قدر من فعل و ابتلاني بكم أيها الفرقة التي لا تطيع إذا أمرتها و لا تجيب إذا دعوتها لا أبا لغيركم ما ذا تنتظرون بنصركم و الجهاد على حَقِّكم الموت خير من الدل في هذه الدنيا لغير الحق و الله إن جاءني الموت و ليأتيني فلغيرقن بيني و بينكم لتجدنني لصحبتيك قاليا.

أ لا دين يجمعكم ألا حمية تغيظكم ألا تسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم و يشن الغارة عليكم.

أ و ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفأة الطعام الظلمة فيتبعونه على غير عطاء و لا معونة فيجيبونه في السنة المرة و المرتين و الثلاث إلى أي وجه شاء ثم أنا أدعوكم و أنتم أولي النهى و بقية الناس تختلفون و تفترون عني و تعصوني و تخالفون علي؟!

فقام إليه مالك بن كعب الأرحبي فقال يا أمير المؤمنين اندب الناس معي فإنه لا عطر بعد عروس لمثل هذا اليوم كنت أدخر نفسي و إن الأجر لا يأتي إلا بالكره ثم التفت إلى الناس و قال اتقوا الله و أجيئوا إمامكم و انصروا دعوته و قاتلوا عدوكم إنا نسير إليهم يا أمير المؤمنين.

فأمر علي سعدا مولاه أن ينادي ألا سيروا مع مالك بن كعب إلى مصر و كان وجهها مكروها فلم يجتمعوا إليه شهرا فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك فعسكر بظاهر الكوفة و خرج معه علي فنظر فإذا جميع من خرج نحو من ألفين فقال^{عليه السلام} سيروا و الله ما أنتم ما إخالكم تدركون القوم حتى ينقضي أمرهم.

فخرج مالك بهم و سار خمس ليال فقدم الحجاج بن غزية الأنصاري من مصر فأخبره بما عاين من هلاك محمد. و قدم عبد الرحمن بن شبيب و كان عينا لعلي^{عليه السلام} و أخبره أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشر من قبل عمرو بن العاص يتبع بعضه بعضا يفتح مصر و قتل محمد بن أبي بكر و قال يا أمير المؤمنين ما رأيت يوما قط سرورا مثل سرور رأيته بالشام حين أتاهم قتل محمد.

فقال علي^{عليه السلام} أما إن حزنا على قتله على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافا فرد^{عليه السلام} مالكا من الطريق و حزن على محمد حتى روي ذلك فيه و تبين في وجهه و قام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

ألا و إن مصر قد افتتحها الفجرة أولياء الجور و الظلم الذين صدوا عن سبيل الله و بغوا الإسلام عوجا ألا و إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله عليه و عند الله نحتسبه أما و الله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء و يعمل للجزاء و ييقض شكل الفاجر و يحب سميت المؤمن و إني و الله ما ألوم نفسي على تقصير و لا عجز و إني لمقاساة الحرب مجد بصير إني لأؤدم على الحرب و أعرف وجهه وجه الحزم و أقوم بالرأي المصيب فأستصرخكم معلنا و أناديكم مستغيثا فلا تسمعون لي قولا و لا تطيعون لي أمرا حتى تصير الأمور إلى عواقب المساء و أنتم القوم لا يدرك بكم الثأر و لا ينقص بكم الأوتار.

(١) من هنا إلى قوله: (قال المدائني) ذكره الطبري عن أبي مخنف في تاريخه ج ٤ ص ٧٩ وما بعدها. وليلاحظ ما ذكرناه في ذيل المختار (٢٨٥) وما بعده من كتاب نهج السعادة ج ٢ ص ٤٧٢ وما بعدها.

دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فجزجرتهم علي جرجرة الجمل الأسر و تقاتلتم إلى الأرض تقاتل من لا نية له في الجهاد ولا رأي له في اكتساب الأجر ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب ضعيف كاتمًا يُساقون إلى الموت وَ هُمْ يَنْظُرُونَ فَأَفْ لَكُمْ. ثم نزل فدخل رحله.

قال إبراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال كتب علي عليه السلام إلى عبد الله بن العباس وهو على البصرة: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس سلام عليك ورحمة الله وأبركاته أما بعد فإن مصر قد افتتحت وقد استشهد محمد بن أبي بكر وعند الله عز وجل نحسبه وقد كنت أوعزت إلى الناس وتقدمت إليهم في بدء الأمر وأمرتهم بإعانتته قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا وعودا و بدءا فمنهم الآتي كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجا وأن يريحني منهم عاجلا فوالله لو لا طمعي عند لقاء العدو في الشهادة وتوطيني نفسي عند ذلك لأجبت أن لا أبقي مع هؤلاء يوما واحدا عزم الله لنا ولك على تقواه وهذه إني على كل شيء قدير والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ^(١).

قال فكتب إليه عبد الله بن عباس لعبد الله علي أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وأبركاته أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمد بن أبي بكر وأنت سألت ربك أن يجعل لك من رعيك التي ابتليت بها فرجا ومخرجا وأنا أسأل الله أن يعلي كلمتك وأن يأتي بما تحبه عاجلا واعلم أن الله صانع لك ومقر دعوتك وكابت عدوك وأخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما قبضوا ثم نشطوا فارق بهم يا أمير المؤمنين ودارهم ومنهم واستعن بالله عليهم كفاك الله المهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

قال المدائني وروي أن عبد الله بن عباس قدم من البصرة على علي فعزاه بمحمد بن أبي بكر وعن مالك بن الجون الحضرمي أن عليا عليه السلام قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا لقد كنت أردت أن أولي المرقال هاشم بن عتبة مصر فإنه والله لو وليتها لما حلي لابن العاص وأعوانه العرصة ولا قتل إلا وسيفه في يده بلا دم لمحمد فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه ^(٢).

قال المدائني وقيل لعلي عليه السلام لقد جزعت علي محمد بن أبي بكر جزعا شديدا يا أمير المؤمنين فقال وما يمنعني أنه كان لي ربيبا وكان لبني أختي كنت له والدا أعده ولدا.

وروى إبراهيم الثقفي عن رجاله عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال دخل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي وحبّة العرني والحارث الأعور وعبد الله بن سبأ علي أمير المؤمنين بعد ما افتتحت مصر وهو مغموح حزين فقالوا له بين لنا ما قولك في أبي بكر وعمر فقال لهم علي عليه السلام هل فرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي بها قد قتلت أنا مخرج إليكم كتابا أخبركم فيه عما سألتكم وأسألكم أن تحفظوا من حقي ما ضعيت فاقروه علي شيعة وكونوا على الحق أعوانا وهذه نسخة الكتاب ^(٣).

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين السلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإن الله بعث محمدا نذيرا للعالمين وأميننا على التنزيل وشهيدا على هذه الأمة وأنتم معاشر العرب يومئذ على شر دين وفي شر دار منيخون على حجارة خشن وجنادل صم وشوك ميثوث في البلاد تشربون الماء الخبيث وتأكلون الطعام الجشيب وتسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل سبيلكم خائفة والأصنام فيكم منصوبة ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهُمْ مُشْرِكُونَ فمن الله عز وجل عليكم بمحمد ﷺ فبعثه إليكم رسولا من أنفسكم وقال في ما أنزل من كتابه هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا

(١) ورواه السيد رضي رفع الله مقامه في المختار (٣٥) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٢) وقريبا منه رواه السيد رضي رضوان الله عليه في المختار (٦٥) من نهج البلاغة.

(٣) وتقدم في الباب ١٦ ص ١٤٨ كتاب يشبهه فراجع إليه آتية.

وهذا رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار (٦٧) من خطب نهج البلاغة لكن قال: إنه خطب.

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبُرْكَاهُمْ وَبُعَلُّهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ وَقَالَ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ۖ﴾ وَقَالَ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ قَالَ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۖ﴾.

فكان الرسول إليكم من أنفسكم بلسانكم فعلمكم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة وأمركم بصلة أرحامكم وحقق دمانكم وصلاح ذات البين وأن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها وأن توفوا بالعهد ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وأمركم أن تعاطفوا وتباروا وتباشروا وتبادلوا وتراحموا ونهاكم عن التنابذ والتظالم والتحاسد والتباغي والتقاذف وعن شرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان وتقدم إليكم فيما تلا عليكم أن لا تنزوا ولا تبروا ولا تأكلوا أموال التيامي وأن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها ولا تنقضوا في الأرض مُفسِدِينَ ۖ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ.

فكل خير يدني إلى الجنة ويباعد من النار أكرم به وكل شر يدني إلى النار ويباعد من الجنة نهاكم عنه. فلما استكمل مدته من الدنيا توفاه الله إليه سعيدا حميدا فيا لها مصيبة خست الأقربين وعمت جميع المسلمين ما أصبحوا قبلها بمثلها ولن يعاينوا بعدها أختها.

فلما مضى لسبيله ﷺ تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد عن أهل بيته ولا أنهم منحوه عني من بعده فما راغني إلا انتيال الناس على أبي بكر وإجفالهم إليه لبياعوه فامسكت يدي ورأيت أنني أحق بمقام محمد ﷺ وملة محمد ﷺ في الناس بمن تولى الأمر بعده.

فلبثت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام تدعو إلى محق دين الله وملة محمد فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما وهدما يكون المصيبة بهما علي أعظم من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما يتنقش السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاع الباطل وزهق وكانت كلمة الله هي العليا وتُؤَكِّدُ الْكَافِرُونَ.

فتولي أبو بكر تلك الأمور وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا وما طمعت أن لو حدث به حدث وأنا حي أن يرد إلى الأمر الذي بايعته فيه طمع مستيقن ولا يشت منه بأس من لا يجرؤه فلو لا خاصة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنه لا يدفعها عني.

فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعا وأطعنا وناصحنا وتولى عمر الأمر فكان مرضي السيرة ميمون النقيبة حتى إذا احتضر قلت في نفسي لن يعدها عني ليس بدافعها عني فجعلني سادس ستة.

فما كانوا لولاية أحد أشد كراهية منهم لولائي عليهم فكانوا يسمعونني عند وفاة الرسول ﷺ أحاج أبا بكر وأقول يا معشر قريش إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم أما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنة ويدين بدين الحق.

فخشي القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعا واحدا فصرقوا الولاية إلى عثمان وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يسوا أن ينالوها من قبلي ثم قالوا هلم بايع وإلا جاهدنا.

فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا فقال قائلهم يا ابن أبي طالب إنك على هذا الأمر لحريص فقلت إنهم أحرص مني وأبعد أينا أحرص أنا الذي طلبت ترائي وحتى الذي جعلني الله ورسوله أولى به أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه وتحولون بيني وبينه فيهنوا واللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي وأصغوا إنائي وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به منهم فسلبونيهم ثم قالوا إلا أن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه فاصبر كمدا أو مت أسفا وحقا.

فظنرت فإذا ليس معي رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى وتجرعت ريقى على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلمم وعالم للقلب من حز الشغار.

حتى إذا نعمت على عثمان أنيتموه فقتلتموه ثم جثمتوني لتبايعوني فأبيت عليكم وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني وبسطت يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها وأزدحمت علي حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعض أو أنكم قاتلي فقلت بياعنا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك بايعناك لا نفترق ولا تختلف كلمتنا فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي فمن بايع طوعا قبلته منه ومن أبى لم أكرهه وتركته.

فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير ولو أباي ما أكرهتهما كما لم أكره غيرهما فما لبثنا إلا يسيرا حتى بلغني أنهما قد خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلا قد أعطاني الطاعة و سمع لي بالبيعة. فقدمنا على عاملي و خزان بيت مالي و على أهل مصري الذين كلهم على بيعتي و في طاعتي فشتوا كلمتهم و أسدوا جماعتهم ثم وثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدرا و طائفة صبرا و طائفة منهم غضبوا لله و لي فشهروا سيوفهم و ضربوا بها حتى لقوا الله صادقين فو الله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلا واحدا متعمدين لقتله لعل لي به قتل ذلك الجيش بأسره فدع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم و قد أذل الله منهم فُبُعْدُ لِقَؤُمِ الظَّالِمِينَ.

ثم إنني نظرت في أمر أهل الشام فإذا أعراب و أهل طمع جفاة يجتمعون من كل أوب و من كان ينبغي أن يؤدب أو يولي عليه و يؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين و لا الأنصار و لا التابعين بإحسان فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة و الجماعة فأبوا إلا شقاقا و فراقا و نهضوا في وجوه المسلمين ينظّمونهم بالنبل و يشجرونهم بالرماح فهناك نهدت إليهم بالمسلمين فقاتلتهم فلما غضم السلاح و وجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها فأنبأكم أنهم ليسوا بأهل دين و لا قرآن و أنهم رفعوها غدرا و مكيدة و خديعة و وهنا و ضعفا فامضوا على حقكم و قتالكم فأبيت علي و قلت أقبل منهم فإن أجابوا إلي ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق و إن أبوا كان أعظم لحجنتا عليهم.

فقبلت منهم و كفتت عنهم إذ و نيتهم و أبيتم و كان الصلح بينكم و بينهم على رجلين يحييان ما أحيا القرآن و يميئتان ما أمات القرآن فاختلف رأيهما و تفرق حكمهما و نبذا ما في حكم القرآن و خالفا ما في الكتاب فجنبهما السداد و دلاهما في الضلالة فنبذا حكمهما و كانا أهله.

فانخزلت فرقة منا فتركتناهم ما تركونا حتى إذا عثوا في الأرض يقتلون و يفسدون أتيناهم فقلنا ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ثم كتاب الله بينا و بينكم قالوا كلنا قتلهم و كلنا استحل دماءهم و دماءكم و شدت علينا خيلهم و رجالهم فصرعهم الله مصارع الظالمين.

فلما كان ذلك من شأنهم أمرتهم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فقلتم قلت سيوفنا و نفدت نبالنا و نصلت أسنة رماحنا و عاد أكثرها قصدا فارجع بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا فإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا و فارقتنا فإن ذلك أقوى لنا على عدونا.

فأقبلت بكم حتى إذا أظلمت على الكوفة أمرتهم أن تنزلوا بالنخيلة و أن تلزموا معسكركم و أن تضموا قواصمكم و أن توطئوا على الجهاد أنفسكم و لا تكثروا زيارة أبنائكم و نساءكم فإن أهل الحرب المصابروها و أهل التشمير فيها الذين لا ينفادون من سهر ليلهم و لا ظمأ نهارهم و لا خصم بطونهم و لا نصب أبدانهم فنزلت طائفة منكم معي معدرة و دخلت طائفة منكم مصر عاصية فلا من بقي منكم صبر و ثبت و لا من دخل مصر عاد إلي و رجع فنظرت إلى معسكري و ليس فيه خمسون رجلا.

فلما رأيت ما أتيتم دخلت إليكم فلم أقدر إلى أن تخرجوا إلي يومنا هذا. فما تنتظرون أما ترون أطرافكم قد انتقصت و إلى مصركم قد فتحت و إلى شيعتي بها قد قتلت و إلى مسالحكم تعرى و إلى بلادكم تغزى و أتم ذوو عدد كثير و شوكة و بأس فما بالكم لله أنتم من أين تؤتون و ما لكم تسحرون و أنى تؤفكون و لو أعزمتهم و أجمعتم لم تراموا.

ألا إن القوم قد اجتمعوا و تناشبوكم و تناصحوا و أتم قد و نيتهم و تفاشستم و افترقتما ما أتم إن أتممت عندي على هذا بمنقذين فانتهاوا عما نهيتهم و اجمعوا على حقكم و تجردوا لحرب عدوكم قد أبدت الرغبة من الصريح و بين الصبح لذي عينين إنما تقاتلون الطلقاء و أبناء الطلقاء و أولي الجفاء و من أسلم كرها فكان لرسول الله ﷺ أنف الإسلام كله حربا أعداء الله و السنة و القرآن و أهل البدع و الإحداث و من كانت بوائقه تتقى و كان على الإسلام و أهله مخوفا و أكلة الرشا و عبدة الدنيا.

و لقد انتهى إلي أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه و شرط له أن يؤتية أتيّة هي أعظم مما في يده من سلطانه ألا صرفت يد هذا البائع دينه بالدنيا و خزيت أمانة هذا المشتري نصره فاسق غادر بأموال المسلمين.

و إن فيهم من قد شرب فيكم الخمر و جلد الحد يعرف بالفساد في الدين و الفعل السيئ و إن فيهم من لم يسلم حتى رضخ له على الإسلام رضيخة فهؤلاء قادة القوم و من تركت ذكر مساويه من قاداتهم مثل من ذكرت منهم بل هو شر منهم و يود هؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر و الفساد و الكبر و الفجور و التسلط بالجبرية و اتبعوا الهوى و حكموا بغير الحق.

و لأنتم على ما كان فيكم من تواكل و تخاذل خير منهم و أهدى سبيلا فيكم العلماء و الفقهاء النجباء و الحكماء و حملة الكتاب و المتجهجون بالسحار و عمار المساجد بتلاوة القرآن أفلا تسخطون و تهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم و الأشرار الأراذل منكم.

فاسمعوا قلبي هداكم الله إذا قلت و أطيعوا أمري إذا أمرت فو الله لئن أطمعوني لا تغفون و إن عصيتوني لا ترشدون خذوا للحرب أهبتها و أعدوا لها عدتها و أجمعوا إليها فقد شبت نارها و علا شأنها و تجرد لكم فيها الفاسقون كي يعذبوا عباد الله و يطفئوا نور الله ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و المكر و الجفاء بأولى بالجد في غيهم و ضلالهم و باطلهم من أولياء الله أهل البر و الزهادة و الإخبات بالجد في حقهم و طاعة ربهم و مناصحة إمامهم.

٥٧٣
٣٣
إني والله لو لقيتهم فردا و هم ملء الأرض ما باليت و لا استوحشت و إني من ضاللتهم التي هم فيها و الهدى الذي نحن عليه لعلى ثقة و بينة و يقين و بصيرة و إني إلى لقاء ربي لمشتاق و لحسن ثوابه لمنتظر و لكن أسفا يعتريني و حزنا يخامرني من أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها و فجارها فيتخذوا مال الله دولا و عباد الله خولا و الفاسقين حزبا و إيم الله لو لا ذلك لما أكثرت تأنيبكم و تحريضكم و لتركتمك إذ و نيتم و أبيتم حتى ألقاهم بنفسي متى حم لي لقاءهم فو الله إني لعلى الحق و إني للشهادة لمحِب ف «انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» و لا تناقلوا إلى الأرض فتفروا بالخسف و تبوءوا بالذل و يكن نصيبكم الأخسر إن أخوا الحرب اليقظان الأرق من نام لم ينم عنه و من ضعف أودى و من ترك الجهاد في الله كان كالمغبون المهين.

اللهم اجمعنا و إياهم على الهدى و زهدنا و إياهم في الدنيا و اجعل الآخرة لنا و لهم خيرا من الأولى و السلام

توضيح: قوله و المرتشين في بعض النسخ و المرتبين أي المنتظرين المترصدين للحكومة أيهما يأخذها قال الجوهري الربأ المرقية و كذلك الربأ و المرتبأ و ربأت القوم ربثا و ارتبأتهم أي راقبتهم و ذلك إذا كنت لهم طليعة فوق شرف يقال ربأ لنا فلان و ارتبأ إذا اعتان و ربأت الربأة و ارتبأتها أي علوتها قال أبو زيد ربأت الشيء مرابأة إذا حذرته و اتقيته و قال الدهم العدد الكثير.

قوله فإنه لا عطر بعد عروس قال الزمخشري بعد إيراد المثل و يروى لا مخبأ لعطر بعد عروس و أصله أن رجلا أهديت إليه امرأة فوجدها ثقلة فقال لها أين الطيب فقالت خبأته فقال ذلك.

وقيل عروس اسم رجل مات فحملت امرأته أواني العطر فكسرتها على قبره و صبت العطر فوبخها بعض معارفها فقالت ذلك يضرب على الأول في ذم ادخار الشيء وقت الحاجة إليه و على الثاني في الاستغناء عن ادخار الشيء لعدم من يدخر له.

و قال الميداني قال الفضل أول من قال ذلك امرأة من عذرة يقال لها أسماء بنت عبد الله و كان لها زوج من بني عمها يقال لها عروس فمات عنها فتزوجها رجل من قومها يقال له نوفل و كان أغسر أبخر بخيلا دميما فلما أراد أن يظعن بها قالت له لو أذنت لي فرثيت ابن عمي و بكيت عند رسمه فقال افعلني فقالت أبكيك يا عروس الأعراس يا ثعلبا في أهله و أسدا عند البأس مع أشياء ليس يعلمها الناس.

قال وما تلك الأشياء قالت كان عن الهمة غير نعاس ويعمل السيف صبيحات البأس ثم قالت يا عروس الأغر الأزهر الطيب الخيم الكريم المحضر مع أشياء له لا تذكر.

قال وما تلك الأشياء قالت كان عيونا للخنا والمنكر طيب النكهة غير أبخر أبسر غير أعسر.

فعرف الزوج أنها تعرض به فلما رحل بها قال ضمي إليك عطرك ونظر إلى قشوة عطرها مطروحة فقالت لا عطر بعد عروس فذهبت مثلاً يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس.

قوله ﷺ لقد كان ما علمت أي ما دمت علمته وعرفته أو علمت حاله أو صرت عالماً بتنزيله منزلة اللازم.

و يحتمل أن تكون ما موصولة بتقدير الباء أي بالذي علمت منه أو بجعله خير كان والأفعال بعده بدله أو اسم كان والأفعال خبره أي كان الذي علمت منه تلك الصفات والأول لعله أظهر.

وانثال انصب والإجفال الإسراع.

قوله ﷺ فكان مرضي السيرة أي ظاهراً عند الناس وكذا ما مر في وصف أبي بكر و آثار التقية و المصلحة في الخطبة ظاهرة بل الظاهر أنها من إلحاقات المخالفين.

قوله ﷺ فبهتوا في بعض النسخ فهوا أي انتبهوا ولكن لم ينفعهم الانتباه.

وقال الجوهري صغا يصغو ويصغي صغوا أي مال وأصغيت إلى فلان إذا ملت بسمعك نحوه و أصغيت الإناء أملتة يقال فلان مصغي إناءه إذا قصص حقه وقال الكمد الحزن المكتوم وقال جاءوا من كل أوب أي من كل ناحية.

قوله ﷺ أو يولي عليه أي من كان لقلة عقله وسفاهته حرياً لأن يقوم عليه ولي يتولى أموره.

وقال الجوهري نظمت اللؤلؤ أي جمعته في سلك وطعنه فانتظمه أي اختله وقال يقال نصل السهم إذا خرج منه النصل ونصل السهم إذا ثبت نصله في الشيء فلم يخرج وهو من الأضداد ونصلت السهم تنصيلاً زرعت نصله وقال القصيدة بالكسر القطعة من الشيء إذا انكسر والجمع قصد يقال القنا قصد وقد انقصد الرمح ونقصدت الرماح تكسرت.

وقال الفيروز آبادي رمح قصد ككفف وقصيد وإقصار متكسر وقال أطل على الشيء أشرف.

قوله ﷺ وإلى مسالحكم تعرى أي تغوركم خالية عن الرجال والسلاح والصريح اللبن الخالص إذا ذهبت رغوته.

ذكره الجوهري وقال أنف كل شيء أوله وأنف البرد أشده وقال المخامرة المخاطبة وقال حم الشيء أي قدر وأحم أي حان وقته وقال أودى فلان أي هلك فهو مود.

٧٢٣-ج: [الإحتجاج] كتب محمد بن أبي بكر رضي الله عنه إلى معاوية احتجاجاً عليه (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من محمد بن أبي بكر إلى الباغي معاوية بن صخر سلام الله أهل طاعة الله ممن هو أهل دين الله وأهل ولاية الله أما بعد فإن الله بجلاله وسلطانه خلق خلقاً بلا عيب منه ولا ضعف به في قوة ولكنه خلقهم عبيداً فمنهم شقي وسعيد وغوي ورشيد ثم اختارهم على علم منه واصطفى وانتخب منهم محمداً ﷺ واصطفاه لرسالته واتمته على وحيه فدعا إلى سبيل ربه بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

فكان أول من أجاب وأناب وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب ﷺ فصداًه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه كل مكروه وإساده بنفسه في كل خوف وقد رأيتك تساربه وأنت أنت وهو المبرز السابق في كل خير وأنت اللعين بن اللعين لم تزل أنت وأبوك تغيبان لدين الله الغوائل وتجتهدان على إطفاء نور الله تجمعان الجمر على ذلك وتبدلان فيه الأموال وتحالفان عليه القبائل على ذلك مات أبوك وعليه خليفته أنت

(١) رواه الطبرسي ﷺ في أوائل عنوان: «احتجاجه [يعني أمير المؤمنين ﷺ] على معاوية...» من كتاب الاحتجاج ص ١٨٣.

فكيف لك الوليل تعدل عن علي وهو وارث رسول الله ﷺ وصيه وأول الناس له اتباعا وآخرهم به عهدا وأنت عدوه وابن عدوه فتمتع بباطلك ما استطعت وتبدد بآين العاص في غوايتك فكان أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم تستبين لمن تكون العاقبة العليا والسلام على من اتبع الهدى.

فأجابه معاوية إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر سلام على أهل طاعة الله.

أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه مع كلام ألفتته ورفسته لرأيك فيه ذكرت حق علي وقديم سوابقه وقربته من رسول الله ﷺ ونصرته ومواساته إياه في كل خوف وهول وتفضيلك عليا وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك فالحمد لله الذي صرف ذلك عنك وجعله لغيرك.

فقد كنا وأبوك معنا في زمان نبينا محمد ﷺ نرى حق علي لازما لنا وسبقه ميرزا علينا فلما اختار الله لنبينا ﷺ ما عنده وأتم له ما وعده وقبضه إليه ﷺ فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزته حقه وخالفه على ذلك اتفقا ثم دعوا إلى أنفسهم فأبطأ عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم فبايع وسلم لأمرهما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعا على سرهما حتى قضى الله من أمرهما ما قضى.

ثم قام بعدهما ثالثهما يهدي بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وأصحابك حتى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي حتى بلغت ما منه مناكم وكان أبوك مهد مهاده فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك أوله وإن يكن جورا فأبوك سنه ونحن شركاؤه وبهديه أقتدينا.

ولو لا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا عليا ولسلمنا له ولكن رأينا أباك فعل ذلك فأخذنا بمثاله فعب أباك أو دعه والسلام على من تاب وأتاب.

بيان: قوله تبدد بآين العاص التبدد التفرق وتبددوا الشيء اقتسموه حصصا ولا يناسبان المقام إلا بتكلف والأظهر وليمدك ابن العاص كما سيأتي^(١) وزيت عليه عبته والرصف الشد والضم

٧٢٤- ختص: [الإختصاص] كتاب محمد بن أبي بكر رضي الله عنه إلى معاوية من محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولاية الله^(٢).

أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقا بلا عبث منه ولا ضعف في قوة ولا من حاجة به إليهم ولكنه خلقهم عبيدا فجعل منهم غويا وشقيا وسعيدا ثم اختارهم على علمه فاصطفاه وانتجب منهم محمدا ﷺ فانتجبه واصطفاه برسالته وأرسله بوحيه واتمته على أمره وبعثه رسولا مصدقا ودليلا.

فكان أول من أجاب وأتاب وصدق وآمن وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب صدقه بالغيب المكتوم وأثره على كل حميم وقاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف حارب من حاربه وسالم من سالمه ولم يزل بأذلا نفسه في ساعات الخوف والجوع والجد والهزل حتى أظهر الله دعوته وأفلج حجته فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الأزل والهول حتى برز سابقا لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له في فعل وقد رأيتك أيها الغاوي تساميه وأنت أنت وهو هو المبرز السابق في كل حين أول الناس إسلاما وأصدق الناس نية وأطيب الناس ذرية وأفضل الناس زوجة رسول الله ابن عمه وهو وصيه وصفيه وأخوه الشاري نفسه يوم موته وعمه سيد الشهداء يوم أحد وأبوه الذاب عن وجه رسول الله ﷺ وعن حوزته وأنت اللعين بن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان على رسول الله ﷺ الغوائل وتجهدان على إطفاء نور الله وتجمعان عليه الجموع وتؤلبان عليه القبائل وتبذلان فيه المال هلك أبوك على ذلك وعلى ذلك خلفك والشاهد عليك بفعلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب وروس النفاق وأهل الشقاق لرسول الله ﷺ وأهل بيته.

والشاهد لعلي بن أبي طالب ﷺ بفضلته المنير المبين وسبقه القديم أنصاره الذين معه الذين ذكروا بفضلهم في القرآن وأنتى الله عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه كتاب وعصائب من حوله يجالدون بأسياهم.

(١) وفي أنساب الأشراف، ط بيروت، ج ٢، ص ٣٩٥: ولیمدد لك عمرو في غوايتك.
(٢) رواه الشيخ المفيد ح في أواسط كتاب الاختصاص: ص ١٢٦، وفي ط النجف: ص ١١٩.

و يهرقون دماءهم دونه يرون الفضل في اتباعه والشقاء في خلافه فكيف يا لك الوليل تعدل نفسك بعلي وعلي أخو رسول الله ﷺ وصيه وأبو ولده وأول الناس له اتباعا و آخرهم به عهدا يخبره بسره و يشركه في أمره و أنت عدوه و ابن عدوه فتمتع ما استطعت بباطلك و ليمدك ابن العاصي في غوايتك و كان أجلك قد انقضى و كيدك قد وهي ثم تستبين لمن تكون العاقبة العليا و اعلم أنك إنما تكايد ريك الذي قد أمنت كيده في نفسك و آيست من روحه و هو لك بالمرصاد و أنت منه في غرور و بالله و رسوله و أهل رسوله عنك الغناء و السَّلامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

فلما قرأ معاوية كتب إليه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر الزاري على أبيه أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه ما الله أهله من سلطانه و قدرته و ما اصطفى به رسوله مع كلام ألفته و وضعته لرايك فيه تضعيف و لأبيك فيه تعنيف و ذكرت فضل ابن أبي طالب و قديم سوابقه و قرابته لرسول الله ﷺ و نصرت له و مواساته إياه في كل خوف و هول فكان احتجاجك علي و عبيك لي بفضل غيرك لا بفضلك فأحمد ربا صرف ذلك الفضل عنك و جعله لغيرك.

فقد كنا و أبوك معنا في حياة نبينا ﷺ نرى حق ابن أبي طالب لازما لنا و فضله مبرزا علينا حتى اختار الله لنبيه ما عنده فآتم له وعده و أظهر له دعوته و أفلح له حجته ثم قبضه الله إليه فكان أول من ابتزحه حقه أبوك و فاروقه و خالفاه في أمره على ذلك اتفاقا و اتسقا ثم دعوا لبيابعمها و أبطأ عنهما و تكلأ عليهما فهما به الهموم و أرادا به العظيم ثم إنه بايع لهما و سلم فلم يشركاه في أمرهما و لم يطلعاه على سرهما حتى قبضا على ذلك.

ثم قام ثالثهما من بعدهما عثمان بن عفان فاقتدى بهديهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي ويطنما له و أظهر تما له العداوة حتى بلغتما فيه مناكما فخذ حذرک يا ابن أبي بكر فستري وبال أمرک وقس شبرک بفترک فكيف توازي من لا يوازن الجبال حلمه و لا تعب من مهد له أبوك مهاده و طرح لملكه وسادة فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك فيه أول و نحن فيه تبع و إن يكن جورا فأبوك أول من أسس بناء فيهداه اقتدينا و بفعله احتذينا و لو لا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا عليا و لسلمنا إليه و لكن عب أباك بما شئت أو دعه و السلام على من أناب و رجع عن غوايته و تاب

أقول: روى الكتاب و الجواب نصر بن مزاحم في كتاب صفين بأدنى اختلاف أوامنا إلى بعضه ٧٢٥- نهج: إنهج البلاغة | و من كلام له ﷺ لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه و قتل و قد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة و لو وليته إياها لما خلي لهم العرصة و لا أنهز لهم الفرصة بلا ذم لمحمد بن أبي بكر فلقد كان إلي حبيبا و كان لي ربيبا^(١)

بيان: قوله لما قلد أي جعله واليها كان ولايتها فلاة في عنقه لأنه مسئول عن خيرها و شرها و يقال ملكه عليه أي أخذه منه فهرا و استولى عليه و إنهاز الفرصة إما تأكيد لتولية العرصة و المراد بهما تمكين العدو و عدم التدبير في دفعه كما ينبغي أو التولية كناية عن القرار و الإنهاز عن تمكين الأعداء و عدم استحقاق الدم لكون هذا التمكين عن عجزه لا عن التقصير و التواني و كان إلي حبيبا أي كنت أحبه و محبوبه ﷺ لا يستحق الدم و ربيب الرجل ابن امرأته من غيره و أم محمد أسماء بنت عميس كانت عند جعفر بن أبي طالب و هاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله و لما استشهد جعفر تزوجها أبو بكر فولدت له محمدا ثم تزوجها أمير المؤمنين ﷺ و نشأ محمد في حجره و رضع الولاء و التشيع و كان جاريا عنده ﷺ مجرى بعض ولده.

و أما هاشم فهو ابن عتبة بن أبي وقاص و هو المرقال سمي به لأنه كان يرقل في الحرب أي يسرع قتل بصفين رضي الله عنه .

٧٢٦- نهج: إنهج البلاغة | و من كتاب له ﷺ إلى محمد بن أبي بكر فاخض لهما جناحك و أن لهم جانبك و ابسط لهم وجهك و أس بينهم في اللحظة و النظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم و لا ييأس الضعفاء من عدلك

عليهم وإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فإن يعذب فأنتم أظلم وإن يعف فهو أكرم^(١).

واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا يعاجل الدنيا وأجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت فحفظوا من الدنيا بما حظي به المتفرون وأخذوا منها ما أخذت الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرايح أصابوا لذة الدنيا في دنياهم وتيقنوا أنهم جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة.

فاحذروا عباد الله الموت وقربه وأعدوا له عدته فإنه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر أبدا أو شر لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلى الجنة من عاملها ومن أقرب إلى النار من عاملها وإنكم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم وإن فررتهم منه أدرركم وهو أزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم.

فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة. وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وإن أحسن الناس ظنا بالله أشدهم خوفا لله.

واعلم يا محمد بن أبي بكر إني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر فأنتم محققون أن تخالف على نفسك وأن تنافح عن دينك ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر فلا تسخط الله براءء أحد من خلقه فإن في الله خلافا من غيره وليس من الله خلف في غيره صل الصلاة لوقتها الموقت ولا تعجل وقتها لفرار ولا تؤخرها عن وقتها لاستغفال واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك.

ومنه فإنه لا سواء إمام الهدى وإمام الردي وولي النبي وعدو النبي ولقد قال لي رسول الله ﷺ إني لا أخاف على أمتي مؤمنا ولا مشركا أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه وأما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون.

بيان: قوله ﷺ وآس بينهم قال ابن الأثير في مادة آسا من النهاية الأسوة والمؤاسة المساهمة والمشاركة في المعاش والرزق وأصلها الهمة فقلبت واوا تخفيفا ومنه حديث علي ﷺ آس بينهم في اللحظة والنظرة أي اجعل كل واحد منهم أسوة خصمه وقال ابن أبي الحديد نبه بذلك علي وجوب أن يجعلهم أسوة في جميع ما عدا ذلك من العطاء والإنعام والتقريب كقوله تعالى فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُفٍّ.

وقال في قوله ﷺ في حيفك لهم الضمير في لهم راجع إلى رعيته لا إلى العظماة وقد كان سبق ذكرهم في أول الخطبة أي حتى لا يطعم العظماة في أن تتحيف الرعية وتظلمهم وتدفع أموالهم إليهم ويجوز أن يرجع الضمير إلى العظماة أي حتى لا يطعم العظماة في جورك في القسم الذي إنما تفعله لهم ولأجلهم انتهى والحيف يكون بمعنى الميل عن القصد وبمعنى الظلم والثاني بالاول والاول بالثاني أنسب.

قوله ﷺ فأنتم أظلم أي من أن لا تعذبوا أو لا تستحقوا العقاب وإن يعف فهو أكرم من أن لا يعفو أو يستغفر منه العفو.

أو المعنى أنه سبحانه إن عذب فظلمكم أكثر من عذابه ولا يعاقبكم بمقدار الذنب وإن يعف فكرمه أكثر من ذلك العفو ويقدر على أكثر منه وربما يفعل أعظم منه.

وقال ابن أبي الحديد أي أنتم الظالمون كقوله تعالى ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وكقولهم الله أكبر.

وقال ابن ميثم ويحتمل أن يكون قد سمي ما يجازيهم من المذاب ظلما مجازا لمشابهة الظلم في الصورة كما في قوله تعالى فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَصدق إذن اسم التفضيل لا ابتدائهم بالمعصية انتهى.

وقوله سكنوا الدنيا بيان لقوله ذهبوا وقال ابن ميثم وإنما كان ما فعلوا أفضل لأنهم استعملوها على الوجه الذي ينبغي لهم وأمروا باستعمالها عليه وظاهر أن ذلك أفضل الوجوه وهو الأخذ من لذات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم بل يقول إن لذتهم بما استعملوا منها أنهم وأكمل وذلك أن كل ما استعملوه من مأكل ومشروب ومنكوح ومركوب إنما كان عند الحاجة والضرورة وكما كان الحاجة إلى الملذات أنهم كانت اللذة أقوى وأعظم.

أقول: ويحتل أن تكون الأفضلية باعتبار أن المتقين لما كان مصروفهم من الحلال لا يخافون عليه عقابا وغيرهم لما كان ما يتفنون به حراما أو مخلوطا يخشون العقوبة عليه وهذا مما يكدر عيشهم وعامل الجنة من يعمل الأعمال المؤدية إليها وكذا عامل النار والطرداء بضم الطاء وفتح الراء جمع طريد أي يطردكم عن أوطانكم ويخرجكم منها وقال في النهاية فيه كنت أطارد حية أي أخادعها لأصيدها ومنه طراد الصيد.

قوله ﷺ معقود بنواصيك أي ملازم لكم.

قوله ﷺ وإن أحسن الناس ظنا التلازم بينهما لكونهما لازمين للمعرفة فكلما صارت هذه المعرفة أكمل والعلم بجلالته سبحانه أنهم كان حسن الظن والخوف أبلغ.

قوله ﷺ أعظم أجنادي أي عسكري وأعواني وأقاليمي وبلداني قال ابن أبي الحديد يقال للأقاليم والأطراف أجناد.

وقال الجوهرى الجند الأعوان والأنصار والشام خمسة أجناد دمشق وحمص وقنسرين وأردن وفلسطين يقال لكل مدينة منها جند والظاهر هو الأول لقوله أهل مصر فأنت محقق أي حقيق وجدير.

وقال في النهاية المنافحة والمكافحة المدافعة والمضاربة ومنه حديث علي ﷺ في صفين نافحوا بالظي أي قاتلوا بالسيف وأصله أن يقرب أحد المتقاتلين من الآخر بحيث يصل نفع كل واحد منهما إلى صاحبه وهي ريحه ونفسه وقال اللهم أعط كل منفق خلفا أي عوضا.

والمراد بإمام الردي معاوية كقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْخُلُونَ إِلَى النَّارِ﴾ وكذا هو المراد بعدو النبي قال ابن أبي الحديد لأن عدوه ﷺ عدو النبي لقوله ﷺ وعدوك عدوي وعدوي عدو الله ولأن دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من أفعاله وقلبات لسانه.

٧٢٧- كشي: [رجال الكشي] محمد بن مسعود عن علي بن محمد القمي عن أحمد بن محمد بن عيسى عن رجل عن عمر بن عبد العزيز عن جميل بن دراج عن حمزة بن محمد الطيار قال ذكرنا محمد بن أبي بكر عند أبي عبد الله ﷺ فقال أبو عبد الله رحمه الله وصلى عليه قال لأمر المؤمنين ﷺ يوما من الأيام إسقط يدك أبابك فقال أو ما فعلت قال بلى فيسقط يده فقال أشهد أنك إمام مفترض طاعتك وأن أبي في النار فقال أبو عبد الله ﷺ كان النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميس رحمة الله عليها لا من قبل أبيه^(١).

٧٢٨- ختص: [الإختصاص] عن ابن الطيار مثله^(٢).

٧٢٩- كشي: [رجال الكشي] حمدويه بن نصر عن محمد بن عيسى عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة عن أبي جعفر ﷺ أن محمد بن أبي بكر بايع عليا ﷺ على البراءة من أبيه^(٣).

٧٣٠- ختص: [الإختصاص] أحمد بن هارون القامي عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن يزيد عن ابن أبي عمير مثله^(٤).

٧٣١- كشي: [رجال الكشي] حمدويه وإبراهيم عن محمد بن عبد الحميد عن أبي جميلة عن ميسر بن عبد العزيز عن أبي جعفر ﷺ قال بايع محمد بن أبي بكر على البراءة من الثاني.

٧٣٢- كشي: [رجال الكشي] حمدويه عن محمد بن عيسى عن يونس عن موسى بن مصعب عن شعيب عن أبي

(١) رواه أبو عمرو الكشي ح في ترجمة محمد بن أبي بكر تحت الرقم: (١٦) من رجاله ص ٦١ ط النجف.

(٢) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث: (١٢٣) في أوائل كتاب الاختصاص ص ٦٥ ط النجف.

(٣) رواه أبو عمر والكشي ح في ترجمة محمد بن أبي بكر.

(٤) رواه الشيخ المفيد ح في الحديث: (١٢٤) في أوائل كتاب الاختصاص ص ٦٥ ط النجف.

عبد الله ﷺ قال سمعته يقول ما من أهل بيت إلا ومنهم نجيب من أنفسهم وأنجب النجباء من أهل بيت سوء محمد بن أبي بكر^(١).

٧٣٣- ف: [تحف العقول] كتب أمير المؤمنين ﷺ إلى أهل مصر بعد تسيير محمد بن أبي بكر ما هذا مختصره:
من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر سلام عليكم أما بعد فقد وصل إلي كتابك و
فهمت ما سألت عنه وأعجبتني اهتمامك بما لا بد لك منه وما لا يصلح المسلمين غيره وظننت أن الذي أخرج ذلك
منك نية صالحة ورأي غير مدخول.

أما بعد فليكن بتقوى الله في مقامك ومعدك وسرك وعلايتك وإذا قضيت بين الناس فافض لهم جناحك و
لين لهم جانبك وإسبغ لهم وجهك وآس بينهم في اللحظ والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا يأس
الضعفاء من عدلك عليهم وأن تسأل المدعي البينة وعلى المدعى عليه اليمين.

ومن صالح أخاه على صلح فأجز صلحه إلا أن يكون صلحا يحرم حلالا أو يحلل حراما.
و أثر الفقهاء وأهل الصدق والوفاء والحياء والورع على أهل الفجور والكذب والغدر وليكن الصالحون
الأبرار إخوانك والفاجرون الغادرون أعداءك فإن أحب إخواني إلي أكثرهم لله ذكرا وأشدهم منه خوفا وأنا أرجو أن
تكون منهم إن شاء الله.

وإني أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسئولون و عما أنتم إليه صائرون فإن الله قال في كتابه ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ رَهِبَةٌ﴾ وقال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ وقال ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
فعلحكم بتقوى الله فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها من خير الدنيا و
خير الآخرة قال الله ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِذَلِكَ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ ٣٠- التحل اعلما عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الخير وأجله شاركوا أهل الدنيا في
دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم قال الله عز وجل ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الرِّزْقِ﴾ سكنوا الدنيا بأحسن ما سكن فأكلوها بأحسن ما أكلت.

واعلموا عباد الله أنكم إذا اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهلهم فقد عبدتموه بأفضل عبادته وذكرتموه بأفضل ما
ذكر وشكرتموه بأفضل ما شكر وقد أخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم بأفضل الاجتهاد وإن كان غيركم أطول منكم
صلاة وأكثر منكم صياما وصدقة إذ كنتم أنتم أوفى لله وأنصح لأوليائه ومن هو ولي الأمر من آل رسول الله ﷺ.
واحذروا عباد الله الموت وقربه وكربه وسكراته وأعدوا له عدته فإنه يأتي بأمر عظيم بخير لا يكون معه شر
وبشر لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلى الجنة من عاملها وأقرب إلى النار من أهلها فأكثروا ذكر الموت عند ما
تنازعكم إليه أنفسكم فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول أكثروا ذكر هادم اللذات واعلموا أن ما بعد الموت لمن لم
يغفر الله له ويرحمه أشد من الموت.

واعلم يا محمد إني وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر وأنت محقوق أن تخاف على نفسك وأن تحذر فيه
على دينك وإن لم يكن لك إلا ساعة من النهار فإن استطعت أن لا تسخط ربك برضا أحد من خلقه فافعل فإن في
الله خلفا من غيره ولا في شيء خلف من الله.

اشدد على الظالم وخذ على يديه ولن لأهل الخير وقربهم منك واجعلهم بطانتك وإخوانك.
ثم انظر صلاتك كيف هي فإنك إمام وليس من إمام يصلي يقوم فيكون في صلاتهم تقصير إلا كان عليه أوزارهم
ولا ينتقص من صلاتهم شيء ولا يتممها إلا كان له مثل أجورهم ولا ينتقص من أجورهم شيء.
وانظر الوضوء فإنه تمام الصلاة ولا صلاة لمن لا وضوء له واعلم أن كل شيء من عملك تابع لصلاتك واعلم
أنه من ضيع الصلاة فإنه لغير الصلاة من شرائع الإسلام أضيع.

وإن استطعت يا أهل مصر أن يصدق قولكم فعلكم وسركم علانيتكم ولا تخالف ألسنتكم أفعالكم فافعلوا وقد

قال رسول الله ﷺ إني لا أخاف على أمتي مؤمنا ولا مشركا أما المؤمنون فيمنعهم الله بإيمانهم وأما المشرك فيخزيه الله ويقع به بشركه ولكن أخاف عليكم كل منافق حلو اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون ليس به خفاء: وقد قال النبي ﷺ من سرتة حسنة وساءتة سيئاته فذلك المؤمن حقا. وكان يقول ﷺ خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في سنة. واعلم يا محمد بن أبي بكر أن أفضل الفقه الورع في الله والعمل بطاعة الله أعاننا الله وإياك على شكره وذكره وأداء حقه والعمل بطاعته إنه سميع قريب.

واعلم أن الدنيا دار بلاء وفناء والآخرة دار بقاء وجزاء فإن استطعت أن تؤثر ما يبقى على ما يفنى فافعل. رزقنا الله بصر ما بصرنا وفهم ما فهمنا حتى لا نقصر عما أمرنا ولا نتعدى إلى ما نهانا عنه فإنه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فإن عرض لك أمران أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة وإن استطعت أن تعظم رغبتك للخير وتحسن فيه نيتك فافعل فإن الله يعطي العبد على قدر نيته إذا أحب الخير وأهله وإن لم يفعله كان إن شاء الله كمن فعله.

ثم إني أوصيك بتقوى الله ثم بسبع خصال هن جوامع الإسلام تخشى الله ولا تخشى الناس في الله وإن خير القول ما صدقه الفعل ولا تقض في أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك وتزل عن الحق وأحب لعامة رعيته ما تحب لنفسك وأهل بيتك وأكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك والزم الحجة عند الله وأصلح رعيته وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم وأقم وجهك وانصح للمرء المسلم إذا استشارك واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

أقول: سيأتي مع شرحه إن شاء الله بإسناد آخر في باب مواعظه^(١) صلوات الله عليه بتغيير وزيادة وقد مر برواية ابن أبي الحديد أيضا^(٢).

٧٣٤- تختص: [الإختصاص] الحسين بن أحمد العلوي المحمدي وأحمد بن علي بن الحسين بن زنجويه جميعا على حمزة بن القاسم العلوي عن بكر بن عبد الله بن حبيب عن سمرة بن علي عن أبي معاوية الضريز عن مجالد عن الشعبي^(٣). عن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين قال لما جاء علي بن أبي طالب صلوات الله عليه مصاب محمد بن أبي بكر حيث قتلته معاوية بن حديج السكوني بمصر جزع عليه جزعا شديدا وقال ما أخلق مصر أن يذهب آخر الدهر فلوددت أنني وجدت رجلا يصلح لها فوجهته إليها فقلت تجد فقال من قلت الأشر قال ادعه لي فدعوته فكتب له عهده وكتب معه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من علي بن أبي طالب إلى الملأ من المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر فلا حق يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد وجهت إليكم عبدا من عباد الله لا ينأى أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر أشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحرث الأشتر أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا فإنه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة ولا كليل الحد فإن أمركم أن تنفروا فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فاقموا وإن أمركم أن تحجموا فاحجموا فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى وقد أثرتمكم به على نفسي لنصيحتكم لكم وشدة شكميتم على عدوكم عصمكم ربكم بالهدى وثبتكم باليقين.

ثم قال له لا تأخذ على السماوة فإني أخاف عليكم معاوية وأصحابه ولكن الطريق الأعلى في البداية حتى

(١) كذا في أصلي ط الكلباني، وفي كتاب تحف العقول ط بيروت: «فيخزيه الله ويقع».

(٢) وانظر الحديث: (١١) من باب مواعظ أمير المؤمنين ع من ج ١٧، ص ١٠١، ط الكلباني، وفي ط الحديث: ج ٧٧، ص ٣٨٧. للمصنف أن يحقق هذه الأمانة فيني من دون شرح.

(٣) رواه الشيخ المفيد في الحديث: (١٣٥) في أوائل كتاب الاختصاص ص ٧٥ ط النجف، وفي ط طهران، ص ٧٩. وللكتاب مصادر آخر يعيد الباحث كثيرا منها في المختار: (١٢٤) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٥ ص ٥٢ ط ١.

تخرج إلى أيلة^(١) ثم ساحل مع البحر حتى تأتيتها ففعل فلما انتهى إلى أيلة و خرج منها صحبه نافع مولى عثمان بن عفان فخدمه و الطفه حتى أعجبه شأنه فقال ممن أنت قال من أهل المدينة قال من أيهم قال مولى عمر بن الخطاب قال و أين تريد قال مصر قال و ما حاجتك بها قال أريد أن أشبع من الخبز فإننا لا نشبع بالمدينة فرق له الأشر و قال له الزمني فإني سأجيبك بخبز فلزمه حتى بلغ القلزم و هو من مصر على ليلة فنزل على امرأة من جهينة فقالت أي الطعام أعجب بالعراق فأعالجه لكم قال الحيتان الطرية فعالجتها له فأكل و قد كان ظل صائما في يوم حار فأكثر من شرب الماء فجعل لا يروى فأكثر منه حتى نعر يعني انتفخ بطنه من كثرة شربه فقال له نافع إن هذا الطعام الذي أكلت لا يقتل سمه إلا العسل فدعا به من ثقله فلم يوجد قال له نافع هو عندي فأتيك به قال نعم فأتني به فأتني رحله فحاضر شربة من عسل بسم قد كان معه أعده له فأتاه بها فشربها فأخذه الموت من ساعته و انسل نافع في ظلمة الليل فأمر به الأشر أن يطلب فطلب فلم يصب.

قال عبد الله بن جعفر و كان لمعاوية بمصر عين يقال له مسعود بن رجرجة فكتب إلى معاوية بهلاك الأشر فقام معاوية خطيبا في أصحابه فقال إن عليا كان له يمينان قطعت أحدهما بصفين يعني عمارا و الأخرى اليوم إن الأشر مر بأيلة متوجها إلى مصر فصحبه نافع مولى عثمان فخدمه و الطفه حتى أعجبه و اطمأن إليه فلما نزل القلزم حاضر له شربة من عسل فسقاها له فمات ألا و إن لله جنودا من عسل

بيان: قال الجوهرى الأرواق الفساطيط يقال ضرب فلان روقه بموضع كذا إذا نزل به و ضرب خيمته و في الحديث حين ضرب الشيطان روقه و مد أطنايه يقال ألقى فلان عليك أرواقه و شرارته و هو أن يجبه حبا شديدا و قال الساحل شاطئ البحر و قد ساحل القوم إذا أخذوا على الساحل.

قوله حتى نعر في بعض النسخ بالغين المعجمة قال في النهاية نغرت القدر تنغرت غلت و في القاموس نغر من الماء كفرح أكثر و في بعضها بالمهملة من نعر بمعنى صوت و الأول أظهر و لعل ما في الخبر بيان لحاصل المعنى.

٧٣٥- ختن: [الإختصاص] أحمد بن علي عن حمزة بن القاسم العلوي عن بكر بن عبد الله بن حبيب عن سمرة بن علي عن المنهال بن جبير الحميري عن عوانة قال لما جاء هلاك الأشر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام صعد المنبر فخطب الناس ثم قال ألا إن مالك بن الحارث قد قضى نجه و أوفى عهده و لقي ربه فرحم الله مالكا لو كان جبلا لكان فندا و لو كان حجرا لكان صلدا لله مالك و ما مالك و هل قامت النساء عن مثل مالك و هل موجود كمالك قال فلما نزل و دخل القصر أقبل عليه رجال من قريش فقالوا لشد ما جزعت عليه و لقد هلك قال أما و الله هلاكه قد أعز أهل المغرب و أذل أهل المشرق قال و بكى عليه أياما و حزن عليه حزنا شديدا و قال لا أرى مثله بعده أبدا^(٢).

٧٣٦- نهج: [نهج البلاغة] و قال عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر إن حزنا عليه على قدر سرورهم به إلا أنهم نقصوا بغضا و نقصنا حبيبا^(٣).

٧٣٧- و قال عليه السلام و قد جاء نعي الأشر مالك و ما مالك لو كان جبلا لكان فندا و لو كان حجرا لكان صلدا لا يرتقيه الحافر و لا يوفي عليه الطائر^(٤).

قوله عليه السلام الفند هو المنفرد من الجبال.

توضيح قال في النهاية الفند من الجبل أفه الخارج منه و منه حديث علي عليه السلام لو كان جبلا لكان فندا و قيل هو المنفرد من الجبال.

و قال ابن أبي الحديد إنما قال عليه السلام لو كان جبلا لكان فندا لأن الفند قطعة من الجبل طولا و لیس

(١) تقدّم في آخر الحديث الأوّل من هذا الباب، فلاحظ.

(٢) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث: (١٣٦) في أوائل كتاب الاختصاص ص ٨١، وفي طبع التنج: ص ٧٥. وللحديث مصادر جتة بحد الطالب كثيرا منها في ذيل المختار: (٢٨٠) وتواليه من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٦٠ ط ١.

(٣) رواه السيد الرضّي ح في المختار: (٣٢٥) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

(٤) رواه الشريف الرضّي ح في المختار: (٤٤٣) من قصار كلام أمير المؤمنين في كتاب نهج البلاغة.

الفند القطعة من الجبل كيف ما كانت و لذلك قال ﷺ لا يرتقيه الحافر لأن القطعة المأخوذة من الجبل طولاً في دقة لا يسيل للحافر إلى صعودها و لو أخذت عرضاً لأمكن صعودها ثم وصف ﷺ تلك القطعة بالعلو العظيم فقال و لا يوفي عليه الطائر أي لا يصعد عليه يقال أوفى فلان على الجبل أي أشرف.

٧٣٨- كشي: [رجال الكشي] ذكر أنه لما نعي الأشر إلى أمير المؤمنين ﷺ تأوه حزناً ثم قال رحم الله مالكا و ما مالك عز علي به هالكا لو كان صخرًا لكان صلداً و لو كان جبلاً لكان قندا و كأنه قد مني قدا^(١).

٧٣٩- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها^(٢):

و قد بلغتني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك و إنني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد و لا ازديادا لك في الجد و لو نزعنا ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مثونة و أعجب إليك ولاية.

إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً و على عدونا شديداً ناقماً فرحمه الله فلقد استكمل أيامه و لاقى حمامه و نحن عنه راضون أولاه الله رضوانه و ضاعف الثواب له.

فأصحر لعدوك و امض على بصيرتك و شمر لحرب من حاربك و ادعُ إلى سبيل ربك و أكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك و يعنك على ما ينزل بك إن شاء الله .

توضيح: التوجد الحزن و الموجدة الغضب و لعل المراد بها أيضاً هنا الحزن و التسريح الإرسال و الاستبطاء عد الشيء بطيئاً و الجهد بالضم الوسع و الطاقة و بالفتح المشقة و المثونة الثقل و الإعجاب بالشيء عده حسناً و الولاية بالكسر السلطنة و تقول تقمت عليه أمره و نقتم منه كضربت و علمت إذا عتبه و كرهته أشد الكراهة لسوء فعله و استكمل أيامه أي أتم عمره و الحمام ككتاب الموت و قيل قضاء الموت و قدره من قوله حم كذا أي قدر أولاه الله رضوانه أي أوصله إليه و قربه منه و قيل أي أعطاه.

قوله فأصحر لعدوك قال في النهاية أي كن من أمره على أمر واضح منكشف من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء.

و قال ابن أبي الحديد أي أبرز له و لا تستتر عنه في المدينة التي أنت فيها.

و قال ابن ميثم السبب في إرسال هذا الكتاب أن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه كان يضعف عن لقاء العدو و لم يكن في أصحاب علي ﷺ أقوى بأساً في الحرب من الأشتر رحمه الله و كان معاوية بعد وقائع صفين قد تجرد للإغارة على أطراف بلاد المسلمين و قد كانت مصر جعلت طعمة لعمر بن العاص و علم ﷺ أنها لا تتحفظ إلا بالأشتر فكتب له العهد الذي يأتي ذكره و وجهه إليها فبلغه أن محمداً تألم من ذلك ثم إن الأشتر مات قبل وصوله إليها فكتب ﷺ إلى محمد هذا الكتاب و هو يؤذن بإقراره على عمله و استرضائه و تعريفه وجه عذره في تولية الأشتر لعلمه وأنه لم يكن ذلك لموجدة عليه و لا تقصير منه .

٧٤٠- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر بمصر أما بعد فإن مصر قد افتتحت و محمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً و عاملاً كادحاً و سيفاً قاطعاً و ركناً دافعاً و قد كنت حثت الناس على لحاقه و أمرتهم بغياته قبل الوقعة و دعوتهم سرا و جهراً و عوداً و بدءاً فمنهم الآتي كارهاً و منهم المعتل كاذباً و منهم القاعد خاذلاً أسأل الله تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً فو الله لو لا طمعي عند لقايتي عدوي في الشهادة و توطيتي نفسي على المنية لأحببت أن لا أبقي مع هؤلاء يوماً واحداً و لا ألتقي بهم أبداً^(٣).

(١) رواه الكشي رضوان الله عليه في ترجمة مالك الأشتر رفع الله مقامه من رجاله.

(٢) رواه السيد الرضي رضي تعالى عنه في المختار: (٣٤) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٣) رواه الشريف الرضي ح في المختار: (٣٥) من باب الكتب من نهج البلاغة.

إيضاح: استشهد على بناء المجهول أي قتل في سبيل الله و قال في النهاية الاحتساب من الحساب كالاعتداد من العد وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله احتسبه لأن له حينئذ أن يعتد بعمله فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتد به و الاحتساب في الأعمال الصالحات و عند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر و تحصيله بالصبر و التسليم أو باستعمال أنواع البر و القيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثواب المرجو منها و منه الحديث من مات له ولد فاحتسبه أي احتسب الأجر بصره على مصيبته يقال احتسب فلان ابنا له إذا مات كبيرا و افتطره إذا مات صغيرا و معناه اعتد مصيبته به في جملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها انتهى والكسح العمل والسعي قاله الجوهري وقال ركن الشيء جانبه الأقوى وهو يأوي إلى ركن شديد أي عز ومنعه وقال لحقه ولحق به لاحقا بالفتح أي أدركه وقال استغاثي فأغثته والاسم الغياث صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها.

قوله ﷺ و منهم المعتل أي قعد و اعتل بعلة كاذبة قوله ﷺ و لا التقى معطوف على قوله لأحببت أن أبقى كما أن في بعض النسخ بالنصب و في بعضها بالرفع .

(٧٤١- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر رحمه الله (١).

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه و ذهب بحقه ف ضرب لجور سراقده على البر و الفاجر و المقيم و الظاعن فلا معروف يستراح إليه و لا منكر يتناهى عنه.

أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينال أيام الخوف و لا ينكل عن الأعداء ساعات الروع أشد على الفجار من حريق النار و هو مالك بن الحارث أخو مذحج فاستمعوا له و أطيعوا أمره فيما طابق الحق فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة و لا نابي الضريبة فإن أمركم أن تنفروا فأنفروا و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنه لا يقدم و لا يحجم و لا يؤخر و لا يقدم إلا عن أمري و قد أترتكم به على نفسي لنصيحتكم لكم و شدة شكميتكم على عدوكم.

٧٤٢- كتاب الغارات: عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر قال لما هلك الأشتر وجدنا في ثقله رسالة علي إلى أهل مصر و ذكر نحوه و زاد في آخره عصمكم الله بالحق و ثبتكم باليقين و السلام عليكم (٢).

بيان: قوله ﷺ إلى القوم الذين غضبوا لله قال ابن أبي الحديد هذا الفصل يشكل تأويله علي لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان بالعصيان و إذا شهد أمير المؤمنين ﷺ بأنهم غضبوا لله حين عصي الله في أرضه فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان و إتيان المنكر.

ثم أجاب بتأويلات ركيكة لا تقبل الجواب و قال الجوهري كل بيت من كرسف فهو سراق و في القاموس استراح إليه سكن و اطمأن و في النهاية ضبة السيف حده و طرفه و في القاموس الضريبة السيف و حده و الصحاح نبا السيف إذا لم يعمل في الضريبة و قال فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفأ بيا و فلان ذو شكيمة إذا كان لا يتقاد .

٧٤٣- نهج: [نهج البلاغة] و من كتاب له ﷺ إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها (٣).

أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ نذيرا للعالمين و مهيمنا على المرسلين فلما مضى ﷺ تنازع المسلمون الأمر من بعده فو الله ما كان يلقي في روعي و لا يخطر على بالي أن العرب تززع هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته و لا أنهم منحوه عني من بعده فما راعني إلا أنيئال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلما أو هدا تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتشع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل و زهق و اطمأن الدين و تنتهت.

و منه أني و الله لو لقيتهم واحدا و هم طلاع الأرض كلها ما باليت و لا استوحشت و إني من ضلالهم الذي هم

(١) رواه الشريف الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٣٨) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

(٢) رواه القفطي ح في باب خبر مقتل الأشتر، ج ١، ص ٢٦٦، ط ١.

(٣) رواه السيد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٦٢) من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة.

فيه والهدى الذي أنا عليه لعل بصيرة من نفسي و يقين من ربي و إني إلى لقاء الله لمشتاق و لحسن ثوابه لمنتظر راج و لكنني آسى أن يلي هذه الأمة سفهاؤها و فجارها فيتحذوا مال الله دولا و عباده خولا و الصالحين حربا و الفاسقين حزبا فإن منهم الذي شرب فيكم الحرام و جلد حدا في الإسلام و إن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضاخ فلو لا ذلك ما أكثر تأليبكم و جمعكم و تحريضكم و لتركتكم إذ أبيتم و وتيمت.

ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت و إلى أمصاركم قد افتتحت و إلى ممالككم تزوى و إلى بلادكم تغزى انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم و لا تناقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف و تبوءوا بالذل و يكون نصيبكم الأخس إن أخطأ الحرب الأرق و من نام لم ينم عنه و السلام.

توضيح: قوله ﷺ و مهيمنا أي شاهدا على المرسلين يشهد لهم في الآخرة و أصله من آمن غيره من الخوف لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته و قيل هو الرقيب و قيل المؤمن و قيل القائم بأمور الخلق و قيل أصله المؤمن فأبدلت الهاء من الهمزة و هو مفعل من الأمانة و المراد بالأمر الخلافة.

و الروح بالضم القلب أو سواده و قيل الذهن و العقل و أزعجه قلعه عن مكانه و نجاه أي أزاله و لعل الغرض إظهار شناعة هذا الأمر و أنه مما لم يكن يخطر ببال بظاهر الحال فلا ينافي علمه بذلك بإخبار الرسول ﷺ.

قوله ﷺ فما راعني قال ابن أبي الحديد تقول للشيء يفجؤك بغتة ما راعني إلا كذا و الروح بالفتح الفرع كأنه يقول ما أفزعني شيء بعد ذلك السكون الذي كان عندي و الثقة التي أطمأنت إليها إلا وقوع ما وقع من انتيال الناس أي انصياهم من كل وجه كما ينثال التراب على أبي بكر و الاسم كان مذكورا في كتاب الأشتر صريحا و إنما الناس يكتبونه على فلان تذكما من ذكر الاسم.

قوله ﷺ حتى رأيت راجعة الناس أي الطائفة الراجعة من الناس التي قد رجعت عن الإسلام يعني أهل الردة كمسيلمة و سجاح و طليحة بن خويلد.

و يحتمل أن يكون المراد بهم المناققين المجتمعين على أبي بكر فإنهم كانوا يفتنمون فتنة نصير سببا لارتدادهم عن الدين رأسا قوله ﷺ كما يتقشع أي يتفرق و ينكشف.

و تنهنه أي أنزجر عن الاضطراب و الحركة و قال الجوهرى نهنت الرجل عن الشيء فتتهنه أي كففته و زجرته فكف و في النهاية طلاع الأرض ذهباً أي ما يملأها حتى يطلع عنها و يسيل و الاستيحاش ضد الاستيناس و هنا كناية عن الخوف آسى أي أحزن مال الله دولا في الصحاح أن دولا جمع دولة بالضم فيها و في القاموس الدولة انقلاب الزمان و العقبة في المال و يضم أو الضم فيه و الفتح في الحرب أو هما سواء أو الضم في الآخرة و الفتح في الدنيا و الجمع دول مثله و في النهاية كان عباد الله خولا أي خدما و عبيدا يعني أنهم يستخدمونهم و يستعبدونهم.

قوله ﷺ و الصالحين حربا أي عدوا و الفاسقين حزبا أي ناصرا و جندا.

و قال ابن أبي الحديد المراد بمن شرب الخمر الوليد بن عقبة و أما الذي رضخت له على الإسلام الرضاخ فمعناوية و أبوه و أخوه و حكيم بن حزام و سهيل بن عمرو و الحارث بن هشام و غيرهم و هم قوم معروفون لأنهم من المؤلفة قلوبهم الذين رغبوا في الإسلام و الطاعة بجمال و شاء دفعت إليهم للأغراض الدنياوية و الطمع و لم يكن إسلامهم عن أصل و يقين.

و قال القطب الراوندي يعني عمرو بن العاص و ليس بصحيح لأن عمرا لم يسلم بعد الفتح و أصحاب الرضاخ كلهم صونعوا عن الإسلام بغنائم حنين و لعمرى إن إسلام عمرو كان مدخولا أيضا إلا أنه لم يكن عن رضىة و إنما كان لمعنى آخر و الرضىة شيء قليل يعطاه الإنسان يصانع به عن أمر يطلب منه كالأجرة انتهى و التأليب التحريض و التأنيب أشد اللوم. و الونى الضعف و الفتور و إلي ممالككم تزوى أي تفيض و لا تناقلوا بالتشديد و التخفيف معا إشارة إلى قوله تعالى ﴿مَّا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الآية و قال الفيروز آبادي تناقل عنه تباطا و القوم لم ينهضوا للنجدة و قد استنهضوا لها و قال في النهاية الخسف نقصان و الهوان و قال أصل البواء اللزوم و أبوه أي أقر و التزم و أرجع. و قال الأرق هو السهر و رجل أرق إذا سهر لعل

فإن كان السهر من عادته قيل أرق بضم الهمزة والراء وأخو الحرب ملازمه ومن نام لم ينم عنه لأن
العدو لا يغفل عن عدوه.

٧٤٤- نهج: [نهج البلاغة] من عهد ﷺ كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها حين
اضطرب أمر محمد بن أبي بكر رحمه الله وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن^(١).
هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر بجباية خراجها و
جهاد عدوها واستصلاح أهلها و عمارة بلادها.

٦٠٠
٣٣
أمره بتقوى الله وإيثار طاعته و اتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا
يشقى إلا مع جحودها وإضاعته وأن ينصر الله سبحانه بيده و قلبه و لسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره
وإعزاز من أعزه.

و أمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات^(٢) و يزعمها عند الجمحات فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.
ثم اعلم يا مالك أي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور و أن الناس ينظرون من
أمورك في مثل الذي ما كنت^(٣) تنظر فيه من أمور الولاة قبلك و يقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على
الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عبادهم فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك و شح
بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الإنصاف منها أحببت أو كرهت و أشعر قلبك الرحمة للرعية و المحبة
لهم و اللطف بهم و لا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم فإنهم صفنان إما أخ لك في الدين و إما نظير لك في
الخلق^(٤) يفرط منهم الزلل و تعرض لهم العلل و يؤتى على أيديهم في العمد و الخطأ فأعظمهم من عفوك و صفحك
مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه و صفحه فإنك فوقهم و والي الأمر عليك فوقك و الله فوق من ولاك و قد
استكفأك أمرهم و ابتلاك بهم.

و لا تنصب نفسك لحرب الله فإنه لا يدي لك بنقمته و لا غنى بك عن عفوه و رحمته.
و لا تتدمن على عفوه و لا تيجحن بعقوبة و لا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة و لا تقولن إني مؤمر أمر
فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب و منهكة للدين و تقرب من الغير.

٦٠١
٣٣
وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أهبة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله سبحانه فوقك و قدرته منك على ما لا
تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطأمن إليك من طماحك و يكف عنك من غربك و يفيء إليك بما عذب عنك من عقلك.
إياك و مساماة الله في عظمتهم و التشبه به في جبروته فإن الله يذل كل جبار و يهين كل مختال.

أنصف الله و أنصف الناس من نفسك و من خاصة أهلك و من لك فيه هوى من رعيته فإنك إن لا تفعل تظلم و
من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادهم و من خاصمه الله أدحض حجته و كان لله حربا حتى ينزع و يتوب.
و ليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله و تعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله يسمع دعوة المظلومين و هو
للظالمين بالمرصاد و ليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق و أعمها في العدل و أجمعها لرضا الرعية فإن سخط
العامية يحجب برضى الخاصة و إن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة و ليس أحد من الرعية أثقل على الوالي
مثونة في الرخاء و أقل معونة له في البلاء و أكره للإنصاف و أسأل بالإنصاف و أقل شكرا عند الإعطاء و أبطأ عذرا
عن المنع و أضعف صبرا عند ملات الدهر من أهل الخاصة و إنما عمود الدين و جماع المسلمين و العدة للأعداء
العامية من الأمة فليكن صغوك لهم و ميلك معهم.

و ليكن أبعد رعيته منك و أشتأهم عندك أطليهم لمعايب الناس فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها فلا
تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك و الله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت
يستتر الله منك ما تحب ستره من رعيته.

(١) رواه الشريف الرضي قدس الله نفسه في المختار: (٥٣) من باب كتب أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

(٢) وفي نسختين من طبع الحديث من نهج البلاغة: «وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات».

(٣) كذا في متن أصلي، وكتب في هامشه: «في مثل الذي كنت» ولم يشر إلى بدليته.

(٤) وفي بعض النسخ المطبوعة حديثاً: «أو نظير لك في الخلق».

أطلق عن الناس عقدة كل حقد و اقطع عنك سبب كل وتر و تغاب عن كل ما لا يرضح لك^(١) و لا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش و إن تشبهه بالناصحين.

و لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر و لا جبانا يضعفك عن الأمور و لا حريصا يزين لك الشره بالجور فإن البخل و الجبن و الحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك و زيرا و من شركهم في الآثام فلا يكونون لك بطانة فإنهم أعوان الأئمة و إخوان الظلمة و أنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم و نفاذهم و ليس عليه مثل آصارهم و أوزارهم و آثامهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه و لا آثما على إثمه أولئك أخف عليك مئونة و أحسن لك معونة و أحنى عليك عطا و أقل لغيرك ألفا فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك و حفلاتك ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك و أقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعا ذاك من هواك حيث وقع.

و الصق بأهل الورع و الصدق ثم رضهم على أن لا يطروك و لا يبجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو و تدني من الغرة^(٢).

و لا يكونن المحسن و المسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان و تديبا لأهل الإساءة على الإساءة و ألزم كلا منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن وال برعيت من إحسانه إليهم و تخفيفه المئونات عنهم و ترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا و إن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده و إن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده.

و لا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة و اجتمعت بها الألفة و صلحت عليه الرعية و لا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها و الوزر عليك بما نقضت منها.

و أكثر مدارس العلماء و مناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك و إقامة ما استقام به الناس قبلك. واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا غني ببعضها عن بعض فمنها جنود الله. ومنها كتاب العامة و الخاصة.

ومنها قضاة العدل.

ومنها عمال الإنصاف و الرفق.

ومنها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمة و مسلمة الناس.

ومنها التجار و أهل الصناعات.

ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة و المسكنة و كل قد سمي الله له سهمه و وضع على حده و فريضة في كتابه أو سنة نبيه ﷺ عهدا منه عندنا محفوظا.

فالجنود بإذن الله حصون الرعية و زين الولاية و عز الدين و سبل الأمن و ليس تقوم الرعية إلا بهم.

ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به علي في جهادهم^(٣) عدوهم و يعتمدون عليه فيما يصلحهم و يكون من وراء حاجتهم.

ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة و العمال و الكتاب لما يحكمون من المعاهد و يجمعون من المنافع و يؤتمنون عليه من خواص الأمور و عوامها و لا قوام لهم جميعا إلا بالتجار و ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مراقبهم و يقيمونه من أسواقهم و يكتفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم.

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة و المسكنة الذين يحق رفقهم و معونتهم و في الله لكل سعة و لكل على

(١) وفي أصلي بالصاد المهملة. كذا. وانظر بيان الصنف الآتي.

(٢) كذا في أصلي وفي متن ط الحديث من شرح ابن أبي الحديد: «الذي يَقْوُونَ به على جهاد عدوهم».

الوالي حق بقدر ما يصلحه و ليس يخرج الوالي من حقيقة ما أكرم الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله و توطين نفسه على لزوم الحق و الصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

قول من جنودك أنصحهم في نفسك لله و لرسوله و لإمامك أنقاهم جييا و أفضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب و يستريح إلى العذر و يرؤف بالضعفاء و ينبو على الأقوياء و ممن لا يثيره العنف و لا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي المروءات و الأحساب و أهل البيوتات الصالحة و السوابق الحسنة ثم أهل النجدة و الشجاعة و السخاء و الساحة فإنهم جماع من الكرم و شعب من العرف.

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما و لا يتفانقن في نفسك شيء قويتهم به و لا تحقرن لطفا تعاهدتهم به و إن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك و حسن الظن بك و لا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فإن الليسير من لطفك موضعا ينتفعون به و للجسيم موقعا لا يستغنون عنه.

وليكن أثر رءوس جندك عندك من واساهم في معونته و أفضل عليهم من جدته بما يسعهم و يسع من وراءهم من خلوأ أهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك و لا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولادة أمورهم و قلة استتقال دولهم و ترك استبطاء انقطاع مدتهم فافصح في آمالهم و اصل في حسن الثناء عليهم و تعديد ما أبلى ذؤو البلاء منهم فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع و تحرض الناكل إن شاء الله تعالى.

ثم اعراف لكل امرئ منهم ما أبلى و لا تضمن بلاء امرئ إلى غيره و لا تقصرن به دون غاية بلائه و لا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا و لا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما.

و اردد إلي الله و رسوله ما يظلعك من الخطوب و يشتيبه عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه لقوم أجب إرشادهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه و الرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المرفقة.

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعتيك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور و لا يحكمه الخصوم و لا يتمادى في الزلة و لا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه و لا تشرف نفسه على طمع و لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات و أخذهم بالحجج و أقلهم تبرما بمراجعة الخصم و أصبرهم على تكشيف الأمور و أصبرهم عند إيضاح الحكم ممن لا يزدنيه إطرأ و لا يستميله إغراء و أولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه و افسح له في البذل ما يزيح علته و تقل معه حاجته إلى الناس و أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى و تطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك و استعملهم اختيارا و لا تولهم محابة و أثره فإنهما جماع من شعب الجور و الخيانة و تoux منهم أهل التجربة و الحياء من أهل البيوتات الصالحة و القدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقا و أصح أعراضا و أقل في المطامع إشرافا و أبلى في عواقب الأمور نظرا ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم و غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم و حجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك.

ثم تفقد أعمالهم و ابعث العيون من أهل الصدق و الوفاء عليهم فإن تعاهدك في السر لأمرهم حدوة لهم على استعمال الأمانة و الرق بالريعية.

و تحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه و أخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة و وسسته بالخيانة و قلدته عار التهمة. و تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم و لا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج و أهله.

و ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلى من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة و من طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد و أهلها العباد و لم يستقم أمره إلا قليلا فإن شكوا ثقلوا أو علة أو انقطاع شرب أو بآلة

أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أوجف بها عطش خفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يتقن عليك شيء خفت به المونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم فيما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوهم طيبة أنفسهم به فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتي خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع سوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعر.

٦٠٧
٣٣

ثم انظر في حال كتابك قول على أمورك خيرهم وخصص رسالتك التي تدخل فيها مكاييدك وأسراك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملا ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطى منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتضعفهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولعن وليت أمره واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت عنه ألزمت.

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببذنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاها من المبعاد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترءون عليها فإنهم سلم لا تخاف بانقتهم وصلاح لا تخشى غائلته. وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ﷺ منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تحجف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به وعاقب في غير إسراف.

٦٠٨
٣٣

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا احفظ الله ما استحقظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل من قد استرعت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فإنك لا تعذر بتضييع التافه لأحكام الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم. وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكل فأعذر إلى الله تعالى في تأدية حقه إليه.

وتعهد أهل اليتيم وذو الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم وثقوا بصدق موعود الله لهم. واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متمتع ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والأنف^(١) يسيط الله عليك بذلك أكتاف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعطى ما أعطيت هنيئا ومنع في إجمال وإعذار.

ثم أمور من أمور لا يد لك من مباشرتها منها إجابة عمالك بما يعيا عنك كتابك.

ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما تخرج به صدور أعوانك.

وامض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط الله من بدئك في ليلك ونهارك ووف ما تقرب به إلى الله من ذلك كاملا غير ملثوم ولا منقوص بالغا من بدئك ما بلغ.

وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكثرن منفرا ولا مضيعا فإن في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيمًا.

وأما بعد هذا فلا تطولن احتجاجك من رعيك فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل.

وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب.

وإنما أنت أحد رجلين إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أسوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مثونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة.

ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استيثار وتناول وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال^(١).

ولا تقطن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعه ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مئنته على غيرهم فيكون مهناً ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.

و أژم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قربانك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإن مغبة ذلك محمودة.

وإن ظننت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرک واعدل عنك ظنونهم بإصهارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعيك وإعذارا تبلغ فيه حاجتك^(٢) من توفيمهم على الحق.

ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك لك فيه رضى فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن.

وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وأرع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله سبحانه شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخسّن بعهديك ولا تختلن عدوك فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أقضاه بين العباد برحمته وحرما يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه.

ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأکید والتوثقة.

ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإن صبرك على ضيق ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبه لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة

(١) كذا في متن أصلي، وفي هامشه: «فاحسم مؤنة أولئك...».

(٢) ما بين المعقوفين غير موجود في أصلي وإنما أخذناه من عدة نسخ من مطبوعات نهج البلاغة.

من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله.
ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن.
وإن ابتليت بخطي وأفرط عليك سوطك ويدك بعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.
وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء فإن ذلك من أوتق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسن.

وإياك والمن على رعيك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعودك بخلفك فإن المن يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس قال الله سبحانه ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إياك والعجلة بالأمر قبل أوانها أو التساقط فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة والتغابي عما تعني به مما قد وضع للعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك و عما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك المظلوم.

أملك حمية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر هومك بذكر المعاد إلى ربك.
والواجب عليك أن تذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا ﷺ أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكي لا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.
ومن هذا العهد وهو آخره^(١).

وأنأ أسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وإتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة إنإ إليه راغبون والسلام على رسوله وآله كثيرا وسلم تسليما^(٢).

تبیین: قال الجوهري قال الكسائي جبيت الماء في الحوض وجبوت أي جمعته وجبيت الخراج جباية وجبوت جباوة ولا يهزم وأصله الهزم.

وقال الفيروز آبادي في القاموس جبا الخراج كسعى ورمى جبوة وجبا وجباوة جمعه وجباية بكسرها انتهى.

وقال الكيدري الجبوة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة والنصب على البدلية أو على أنه مفعول لقوله ولأه لعل المراد بالخراج هنا كل ما يأخذه الوالي.

قوله ﷺ وأن ينصر الله سبحانه بيده كالجهد بالسيف وضرب من احتاج إليه في النهي عن المنكر مثلاً. والمراد من قوله بقلبه في الاعتقادات والإنكار القلبي للآتي بالمنكرات والعزم على إجراء الأحكام والعبادات.

وتكفله سبحانه بقوله وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَأَمَّا هَٰذَا.

والكسر من النفس كناية عن كفها عن بعض ما تشتهييه وقال الجوهري وزعته أزعجه كففته فاتزع هو أي كف وقال جمع الفرس إذا اعتز فارسه وغلبه والجُمُوح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده وجمع أي أسرع قال أبو عبيد في قوله تعالى ﴿لَوْلُوا إِلَيْهِ هُمْ يَجْمَعُونَ﴾ أي يسرعون

(١) وهذه الجملة: «ومن هذا العهد وهو آخره» لا توجد في بعض نسخ نهج البلاغة.

(٢) وفي النسخة المطبوعة ببيروت من شرح ابن أبي الحديد: «والسلام على رسول الله أو على آله الطيبين الطاهرين» وفي بيروت من شرح ابن ميثم: «والسلام على رسول الله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً».

و قال الدولة بالفتح في الحرب يقال كانت لنا عليهم الدولة و بالضم المال يقال صار الفيء دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا و مرة لهذا و الجمع دولات و دول و قال بعضهم كلناهما تكون في الحرب و المال.

قوله ﷺ إن الناس ينظرون أي كما كنت تمدح قوما من الولاة و تذم قوما كذلك من يسمع أخبارك يمدحك بأفعالك الحسنة و يذمك بأعمالك القبيحة فاحذر أن تكون ممن عاب و يذم.

قوله ﷺ ذخيرة العمل الصالح في بعض النسخ برفع ذخيرة و الإضافة و في بعضها بالنصب على التمييز و رفع العمل الصالح.

قوله ﷺ فيما أحببت و كرهت أي عند الشهوة و الغضب أو في الأفعال و التروك.

قوله ﷺ و أشعر قلبك الرحمة أي جعلها شعاره و اللطف بهم في بعض النسخ بالتحريك و هو الإسلام من لطف كنصر لطفًا بالضم إذا رفق و دنا قال الجوهرى ضري الكلب بالصيد ضراوة أي تعود و كلب ضار و كلبة ضارية و أضراه صاحبه أي عوده و أضراه به أيضا أي أغراه و إما نظير لك أي إنسان مثلك يفرط منهم الزلل أي ليسوا معصومين يقال فرط إليه منه قول أي سيق و العلل الأمراض المعنوية أي أسباب المعاصي و دواعيها.

قوله ﷺ و يؤتى على أيديهم قال ابن أبي الحديد هذا مثل قولك يؤخذ على أيديهم أي يؤدون و يمنعون يقال خذ على يد هذا السفیه و قد حجر الحاكم على فلان و أخذ على يده.

و قال ابن ميثم كناية عن كونهم غير معصومين بل هم ممن يؤتون من قبل العمد و الخطأ و تأتي على أيديهم أوامر الولاة و المؤاخذات فيما يقع منهم من عمد أو خطأ انتهى.

و أقول إن الفعل في قوله يؤتى في بعض النسخ بصيغة الخطاب و في بعضها بصيغة الغيبة فعلى الأول يحتمل أن يكون الغرض بيان احتياجه إليهم و تضرره من ناحيتهم أي تهلك بسبب ما يجري على أيديهم عمدا أو خطأ من قولهم أتى عليه الدهر أي أهلكه و قولهم أتى من جهة كذا إذا أتاه الضرر من تلك الجهة.

و على الثاني الظرف قائم مقام الفاعل أي يهلك الحكام و الولاة أيديهم كناية عن منعهم عن التصرفات و مؤاخذتهم بما عملته أيديهم فيرجع إلى بعض ما مر و يمكن أن يكون القائل مقام الفاعل الضمير الراجع إلى الوالي بقربته المقام فيقول إلى ما أفادته النسخة الأخرى.

أو المعنى أنهم و ربما صدر منهم بعض القبائح بإضلال غيرهم فكأنه جرى فعل المضل بأيديهم فهم مستحقون للصفح عنهم.

قوله ﷺ و قد استكفك الضمير المرفوع راجع إلى الله و إلى الموصول في من و لاك أي طلب منك كفاية أمورهم و امتحنتك بهم.

و نصب النفس لحرب الله كناية عن مبارزته إياه بالمعاصي.

قوله ﷺ لا يدي لك قال ابن أبي الحديد اللام مقحمة و المراد الإضافة و نحوه قوله لا أبأ لك.

و قال ابن ميثم و حذف النون من يدين لمضارعه المضاف و قيل لكثرة الاستعمال.

و قال ابن الأثير في حرف الياء في مادة يد من النهاية فيه قد أخرجت عبادا لي لا يبدان لأحد بقتالهم أي لا قدرة و لا طاقة يقال ما لي بهذا الأمر يد و لا يبدان لأن المباشر و الدفاع إنما يكون باليد فكان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه.

و في بعض النسخ لا يدا لك.

و قال الجوهرى البجح الفرح و قال البادرة الحدة و بدرت منه بوادر غضب أي خطا و سقطات عند ما احتد و البادرة البديهة و المندوحة السعة و التأخير تولية الإمارة يقال هو أمير مؤمر و الإدغال إدخال الفساد و منهكة أي ضعف و سقم و قال الجزري فيه من يكفر الله بلقى الغير أي تغير الحال و انتقالها عن الصلاح إلى الفساد و الغير الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير و قال الأبهة العظمة و المخيلة الكبير و قال الفيروز آبادي طأمن الأمر سكن و قال الطماح ككتاب الشوز و الجماح و قوله إليك متعلق بقوله بطأمن على تضمين معنى القبض أو الجذب و من للتبعية.

و قال الكيدري ضمن بظان معنى يرد فلذا عداه بالي أي يرد إليك سورة غضبك واعتلائك ولا يخليها تتجاوز عنك إلى غيرك وقيل إن إلى يتعلق بطماحك وهو من قولهم طمح بصره إلى الشيء أي ارتفع أي يسكن ذلك بعض نظرك نفسك بعين العجب والكبرياء والغرب بالفتح الحدة وبالكسر البعد وبقي إليك أي يرجع إليك بما بعد عنك من عقلك والمساماة مفاعلة من السمو وهو العلو. قوله ﷺ أنصف الله أي بالقيام بما فرض عليك وأنصف الناس بالقيام بحقوقهم ومعاملتهم بالعدل دون عباده أي فقط أو كان الله هو الحقيق بأن يسمى خصما فإن مخاصمة العباد مضمحلة في جنب مخاصمته وانتقامه.

وقال الجوهرى دحضت حجته دحوضا بطلت وأدحضه الله أبطله وقال أنا حرب لمن حاربنى أي عدو وقال نزع عن الأمور نزوعا انتهى عنها.

أقول: يحتمل أن يكون أداء حقوق الناس إليهم من التوبة أو يكون نزوعه عبارة عن أداء حقوقهم وتوبته عن ندمه فإنه ما دام حاسبا لحقوقهم فهو ظالم فلم يكن تاركا للظلم منتهيا عنه والمرصاد الطريق والموضع يرصد فيه العدو.

وقال في النهاية كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان فهي وسط بين الطرفين وفيه الوالد أوسط أبواب الجنة أي خيرها.

قوله ﷺ لرضا الرعية أي العامة يححف برضى الخاصة أي يبطله ولا يجدي نفعا عند سخط العامة من قولهم أححف به أي ذهب به ولعل المراد بالخاصة أعيان أهل البلد وذو المروءة منهم ومن يلزم الوالي وصار كالصديق له يغتفر أي يستر ولا يضر عند رضا العامة.

قوله ﷺ وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي ثنونة لسؤال المطالب والشفاعات وأقل معونة له في البلاء كوقت الحاجة وعند العزل والنكبة لعدم حصول تمنياتهم وأحف السائل الخ وأقل شكرا عند الإعطاء لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامة وأبطأ عذرا عند المنع أي إن منعهم الوالي ولم يعطهم لم يقبلوا منه عذرا وملمات الدهر نوازله ومصائبه.

قوله ﷺ من أهل الخاصة متعلق بأثقل وما عطف عليه وجماع الشيء مجمعه ومظنته وقال الجوهرى يقال صفوه معك وصفوه معك وصفاه معك أي ميله وفي بعض النسخ صفوه بالفاء أي خالص.

ودك والشئانة مثل الشئانة البغض وإطلاق عقدة الحقد إخراجها من القلب أي لا تحقد على أحد فتكون الجملة التالية كالتفسير لها.

ويحتمل أن يكون المراد إخراج الحقد على نفسه عن قلوب الناس بحسن الخلق أو حقد بعضهم على بعض بالموعظة ونحوها فتكون الجملة التالية مؤسسة.

وقال في النهاية السبب في الأصل الحيل ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء.

وفي الصحاح الوتر بالكسر الفرد والفتح الذحل أي الحقد والعداوة هذه لغة أهل العالية.

فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم.

وأما تميم فبالكسر فيهما وقال تغابى تغافل أي لا تتعرض لأمر لم يتضح لك من أمورهم التي توجب حدا أو تعزيرا أو عتابا وتعيرا والساعي من يسعى إلى الوالي بزم الناس وجرائهم والباء قوله يعدل بك للتعدية والفضل الإحسان.

ويدك الفقر أي يخوفك منه إشارة إلى قوله تعالى ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾.

وقوله بالجور متعلق بالشره فالجور جور المأمور أو بالتزيين فالمراد جور الأمر والشره غلبة الحرص والجور الميل عن القصد.

قوله ﷺ يجمعها سوء الظن أي هو ملزومها أو معنى مشترك بينهما وبطانة الرجل بالكسر صاحب سره ومحل مشورته والواو في قوله وأنت واجد يحتمل العطف والحالية ومنهم متعلق باسم التفضيل مقدم عليه ومن بيان لقوله خير الخلف ويقال رجل نافذ في أمره أي ماض والآصار جمع الإصر بالكسر وهو الذنب والنقل والحنو العطف والشفقة وحفلتك أي مجامعك ومحفل القوم مجتمعهم.

وقوله ﷺ واقعا منصوب على الحالية أي في حال وقوع ذلك القول منه والنصيحة وقلة المساعدة حيث وقع من هواك سواء كان في هوى عظيم أو حقير أو حيث وقع هواك أي سواء كان ما تهواه عظيما أو ليس بعظيم.

و يحتمل أن يريد واقعا ذلك الناصح من هواك ومحبتك حيث وقع أي يجب أن يكون له من هواك موقعا كذا ذكره ابن ميثم.

وقيل يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما يكون منك أي سواء كان ذلك الفعل الصادر عنك مما تهواه هوى عظيما أم لا.

و الأظهر أن المعنى أن الناصح يقول وينصح و يمنع سواء كان علمه موافقا لهواك و رضاك أم لا فقوله حيث وقع أي من الموافقة والمخالفة.

قوله ﷺ والصق على بناء المجرد وفي بعض النسخ على بناء الإفعال أي ألصق نفسك بهم وعلى التقديرين المعنى اجعلهم خاصتك وخلصاءك ثم رضهم أي ربههم وعودهم أن لا يمدحوك في وجهك.

وقال الجوهري البجح الفرح و بجحته أنا تبجيحا فتبجح أي أفرحته وفرح و التوصيف بقوله لم تفعله ليس للتخصيص بل المعنى لا يفرحوك بمدحك بما لم تفعله فإنه باطل كما قال سبحانه ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُخَذَّوْا مِنَّا لَمْ يَقْعُلُوا﴾ والزهو الكبر والفخر والعزة بالعين المهملة والزاي بمعنى القوة والغلبة والشدة أي يفرحك إلى أن يقوى الشيطان ونفسك الأماراة و يغلبا عليك أو إلى أن يقسو قلبك فتغلب الرعية و تغلظهم.

وفي بعض النسخ بالغين المعجمة والراء المهملة أي الغفلة عن الحق والاغترار بالباطل و التزهيد خلاف الترغيب والتدريب التعويد.

قوله ﷺ و أزم كلاً منهم أي فجاز المحسن بالإحسان والمسيء بالإساءة والنصب التعب وهو هنا اغتمامه حذراً من أن يصيبه منهم مكروه أو لا يطيعوه والبلاء يطلق على الخير والشر كما قال تعالى ﴿وَيُؤْتِلُوكُم بِالْأَسَرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَّهُ﴾ والمراد هنا بالأول والثاني والثالث.

وقال الجوهري صدر كل شيء أوله والصلاح ضد الفساد والفعل كدخل و حسن و المنافقة المحادثة وفي الحديث أن الروح الأمين نث في روعي وفي بعض النسخ مثافئة الحكماء بتقديم المثثلة على التون وهي المعاونة.

وقال الراوندي رحمه الله اشتقاقه من ثقة البعير وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استنسخ كأنك ألصقت ثقة ركبته ركبته قوله ﷺ من أهل الذمة. قال ابن ميثم لف ونشر ويحتمل أن يكون بيانا لأهل الخراج فإن للإمام أن يقلل أرض الخراج من سائر المسلمين وأهل الذمة.

والتجار بالضم والتشديد وبالكسر والتخفيف جمع تاجر.

و الصناعة بالكسر حرفه الصانع والضميران في حده و فريضته إما راجعان إلى الله أو إلى كل.

و المراد بالعهد الحكم الخاص بكل منهم.

و قوام الشيء بالكسر ما يقوم به و ينتظم به أمره.

قوله ﷺ ويكون من وراء حاجتهم أي فيما يحتاجون إليه والوراء إما بمعنى الخلف كأنه ظهر لحاجتهم ومحل لاعتمادهم أو بمعنى القدام كما قيل في قوله ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ فكانه يسعى بين يدي حاجتهم لكفاية أمورهم والأول أظهر و يحكمون بصيغة الإفعال.

قوله ﷺ من مرافقهم أي مرافق الرعية أو التجار و ذوي الصناعات أي المرافق الحاصلة بهم و كذلك الضمير في أسواقهم والمرفوع في يكفونهم راجع إلى التجار و ما عطف عليه و كذا ضمير بأيديهم وغيرهم.

وقال الجوهري المرفق من الأمر هو ما ارتفعت به و انتفعت به و قال حق الشيء يحق أي وجب و قال الرفذ العطاء والصلة.



قوله ﷺ وفي الله أي في جوده و عنايته فليعتمدوا على الله في تدبير أمورهم أو في حكمه و شريعته و ما قرر لكل منهم في كتابه و سنة نبيه.

قوله ﷺ بقدر ما يصلحه الضمير راجع إلى الكل وقيل إلى الوالي و هو بعيد.

قوله ﷺ قول من جنودك أي اجعل الوالي على جندك من كان كذلك أتقاهم جيبا أي أظهرهم جيبا أي عفيضا أمينا و يكنى عن العفة و الأمانة بطهارة الجيب لأن الذي يسرق يجعل المسروق في جيبه و هذه الوصية في ولاة الجيش لأجل الغنائم كذا ذكره ابن أبي الحديد.

و قال ابن ميثم ناصح الجيب كناية عن الأمين.

ولعله لم يكن في نسخه لفظه أتقاهم و قال الجوهري رجل ناصح الجيب أمين.

و يحتمل أن يكون المراد بطهارة جيبه أو نصحه كونه محبا للإمام ﷺ غير مبطن لعداوة أو نفاق.

قوله ﷺ و يستريح إلى العذر أي يسكن عند العذر و يعيل إليه فيقبله.

و يحتمل أن يكون من قولهم عذرتة عذرا فيما صنع فالعذر بمعنى قبول العذر.

قوله ﷺ و ينبو على الأقوياء كذا في أكثر النسخ المصححة أي يعلو على الأقوياء و يدفع ظلمهم عن الضعفاء من النبوة و هي الأرض المرتفعة.

و في بعض النسخ عن الأقوياء أي يتجافى و يبعد عنهم و لا يعيل إليهم من قولهم نبأ بصره عن الشيء إذا تجافى عنه.

قوله ﷺ و ممن لا يشير عطف على قوله ممن يبطئ أي لا يكون له علف فيشيره و لو كان له علف بمقتضى طبعه يطفيه بعقله أو أنه لو علف به أحد تحلم و صبر.

ولعل المراد بالإصاق بذوي الأحساب تفويض الولايات و الأمور إليهم أو تفقد أحوالهم و تربيتهم و حفظهم عن الضياع و الحسب بالتحريك ما يعد من المآثر و قيل الشرف الثابت له و لأبائه و السوابق الفضائل التي يسبق لها.

و قال الجوهري النجدة الشجاعة و لاقى فلان نجدة أي شدة. و السماحة بالفتح موافقة الرجل على ما أريد منه أو الجود و العطاء.

قوله ﷺ فإنهم جماع من الكرم أي مجمع من مجامع الكرم أو تلك الصفات من الصفات الجامعة من جملة صفات الكرم و في إثبات ضمير ذوي العقول تجوز كقوله ﴿فَأَنَّهُمْ عُدُوِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ و قال ابن أبي الحديد أي مجمع الكرم و منه الحديث الخمر جماع الإثم و من هاهنا زائدة و إن كان في الإيجاب على مذهب الأخفش.

قوله ﷺ و شعب من العرف أي شعب العرف أي أقسامه و أجزاءه أو من المعروف لأن غيرها أيضا من الكرم و المعروف نحو العدل و الفقه.

قوله ﷺ ثم تفقد من أمورهم أي أمور الجنود أو ذوي الأحساب و من بعده أو الرعية مطلقا و التفقد طلب الشيء عند غيبته.

و قال الجوهري تفاقم الأمر عظم و التاء في داعية للمبالغة^(١).

قوله ﷺ اتكالا على جسيمها أي اعتمادا على تفقد عظيمها و من أساهم أي الجنود من جدته أي غناه و من خولف أهلكهم أي من يخلفونه من أولادهم و أهلهم إلا يحيطهم في أكثر النسخ المصححة بفتح الحاء و تشديد الباء و ليس موجودا فيما ظفرنا به من كتب اللغة بل فيها الحيغة بكسر الحاء و سكون الباء كما في بعض النسخ قال الجوهري الحيغة بالكسر الحياطة و هما من الواو و قد حاطه يحوطه حوطا و حياطة و حيغة أي كلاء و وعاء و مع فلان حيغة لك و لا نقل عليك أي تحزن و تعطف.

و قال ابن أبي الحديد وأكثر الناس يروونها بتشديد الباء و كسرهما و الصحيح بكسر الحاء و تخفيف الباء.

(١) وفي هامش أصلي ها هنا ما لفظه:

قال الكيدري: قيل: هو مستعار من داعية اللبن وهو ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده. من ح.

قوله ﷺ وقلة استئصال دولهم أي بأن كانوا راضين بدولتهم ولا يعدوها ثقيلًا ولا يتمنوا زوالها والاستبطاء عد الشيء بطيئًا.

قوله ﷺ واصل في حسن الثناء عليهم أي كرره حتى كأنك وصلت بعضه ببعض أو واصلهم وتحب إليهم بذلك.

وفي بعض النسخ من حسن وتعديد البلاء كثرة إظهاره وقال في النهاية فيه عسى أن يؤتى هذا من لا يبلى بلاتي أي لا يعمل مثل عملي في الحرب كأنه يريد أفعالاً أختبر فيه و يظهر خيري و شري والهز التحريك و التحييض الترغيب ثم اعرف أي اعلم مقدار بلاء كل امرئ منهم و جاز به ذلك المقدار و لا تقصر به دون غاية بلاته أي بأن تذكر بعضه أو تحفره و لا تجاربه بحسبه.

قوله ﷺ ما يضلحك في بعض النسخ بالضاد وفي بعضها بالظاء و قال ابن الأثير في مادة ضلع من كتاب النهاية فيه أعوذ بك من الكسل و ضلع الدين أي ثقله و الضلع الاعوجاج أي يشقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء و الاعتدال يقال ضلع بالكسر يضلغ ضلعا بالتحريك و ضلع بالفتح يضلغ ضلعا بالتسكين أي مال و من الأول حديث علي ﷺ و اردد إلى الله و رسوله ما يضلحك من الخطوب أي يشقلك.

و قال الظاء في مادة ظلع الظلع بالسكون العرج و ظلموا أي انقصوا و تأخروا لتقصيرهم و أخاف ظلمهم بفتح اللام أي ميلهم عن الحق و ضعف إيمانهم و قيل ذنبهم و أصله داء في قوائم الدابة يغمز منها و رجل ظالع أي مائل و قيل إن المائل بالضاد.

و قال ابن أبي الحديد الرواية الصحيحة بالضاد و إن كان للرواية بالظاء وجه.

قوله ﷺ بسنته الجامعة أي التي تصير أهواءهم و نياتهم بالأخذ بها واحدة و لا يتفرون عن طاعة الله و عبادته.

قوله ﷺ ثم اختر للحكم بين الناس هو وصية في نصب القضاة في نفسك أي اعتقادك و الباء في تضيق به للتعدي و لا يحكمه الخصوم كذا في النسخ المعتبرة على صيغة المجرى إما بالياء أو بالتاء و الذي يظهر من كلام أهل اللغة هو أن محك لازم.

والذي رواه ابن الأثير في النهاية هو تمحكه بضم التاء من باب الإفعال و قال في حديث علي ﷺ لا تضيق به الأمور و لا تمحكه الخصوم قال المحك اللجاج و قد محك يمحك و أمحكه غيره انتهى.

و في بعض النسخ يمحكه على بناء التفعيل.

و قال ابن ميثم في شرح قوله ممن لا يمحكه الخصوم أي لا يغلبه على الحق باللجاج و قيل ذلك كناية عن يرتضيه الخصوم فلا تلاجه و يقبل منه بأول قوله.

قوله ﷺ و لا يتمادى في الزلة أي لا يستمر في الخطأ بل يرجع بعد ظهور الحق و قال الجوهري الحصر العي يقال حصر الرجل يحصر حصرا مثل تعب تعبًا و الحصر أيضا ضيق الصدر يقال حصرت صدورهم و كل من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصر عنه و حصرت الرجل فهو محصور أي حبسته و حصره و حبسته و حصره العدو يحصرونه إذا ضيقوا عليه انتهى والمعنى لا يضيق صدره و لا يشكل عليه الرجوع إلى الحق إلى معرفته و لا يحبس نفسه عنه و التبرم التضجر و الملأل أي لا يمل من معاودة الكلام رجاء ظهور الحق و أصرهم أقطعهم و أمضاهم.

و قال الجوهري زها و ازددها استخفه و تهاون به و منه قولهم فلان لا يزدهي بخديعة و الإطراء المدح و الإغراء التهرير.

قوله ﷺ ثم أكثر تعاهد قضائه أي ابحت و استخبر ما يقضي و يحكم به هل هو موافق للحق ثم أمره بأن يفرض له عطاء و اسعا يملأ عينه و يتعفف به عن الرشوة و قال الجوهري زاح الشيء يزيح زيحًا أي بعد و ذهب و أزحت علته فزاحت.

و قال ابن ميثم ما في قوله ما يزيح علته يحتمل أن يكون بدلًا من البذل و أن يكون مفعولًا لفعل محذوف دل عليه البذل أي فتبدل له ما يزيح علته و أن يكون مفعولًا لقوله أفسح ففسح و سح له ما يكفيه من المال أو في معنى مصدر أفسح أي أفسح له فسحا يزيل علته انتهى.

والاغتتيال في الأصل أن تقتل رجلا خدعة وها هنا كناية عن ذم الناس له وتقييح ذكره عند الوالي حتى ينحرف عنه.

قوله ﷺ قد كان أسيرا أي في زمن من تقدم من الخلفاء.

قوله ﷺ والعمال هم المنصوبون لجباية الخراج والجزية والصدقات فاستعملهم اختيارا في بعض النسخ بالمشاة أي انصب من عمالك من كان مختارا عندك والاختيار الاصطفاة أو من تختاره بعد التأمل والتفكر وفي بعضها بالموحدة أي بعد اختبارك وامتحانك لهم.

وقال الجوهرى حباه يحويه أي أعطاه.

وقال ابن أبي الحديد أي لا تولهم محابة لهم أو لمن يشفع لهم ولا أثره وإنعاما عليهم.

وقال في القاموس حباه محابة وحياه نصره واختصه ومال إليه فإنهما أي المحابة والأثرة كما هو مصرح به في بعض النسخ بدل الضمير وفي بعض النسخ فإنهم والتوخي التحري والقصد قاله الجوهرى.

وقال القدم واحد الأقدام والقدم السابقة في الأمر يقال لفلان قدم صدق أي أثره حسنة وقال الفيروز آبادي فالقدم بمعنى الرجل مؤنثة وقول الجوهرى القدم واحد الأقدام سهو صوابه واحدة.

وقال في النهاية الأغراض جمع العرض وهو موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان في نفسه أو في سلفه أو من يلزمه أمره وقيل هو جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويحامي عنه أن ينتقص ويلب وقال ابن قتيبة عرض الرجل نفسه وبدنه لا غير.

وقال ابن أبي الحديد الإشراف شدة الحرص على الشيء.

قوله ﷺ ما تحت أيديهم أي من أموال المسلمين مما أمروا بجبايتها أو ثلموا أمانتك كناية عن الخيانة والتلمة الخلل في الحائط وغيره.

قوله ﷺ وابتع العيون أي من يراقبهم ويطلع عليهم. والعين الجاسوس والديبان حدوة لهم أي باعث ومحرض لهم والحدو في الأصل سوق الإبل والغناء لها.

قوله ﷺ وتحفظ من الأعوان أي من خيانة أعوان الولاة أو أعوانك في ذكر أحوال العمال بأغراضهم الفاسدة أو الأعوان هم الحاضرون عنده الذين يبعثهم إلى المواضع القريبة وضمير بها راجع إلى الخيانة.

واكتفيت جزاء الشرط وأخذ بما أصاب من عمله استعادة ما أخذه خيانة وقال الجوهرى وسمته وسمما وسمه إذا أثرت فيه بسمه وكى والهاء عوض عن الواو وقلدته عار التهمة أي جعلت العار كالقلادة في عنقه.

قوله ﷺ لأن ذلك أي الخراج أو استجلابه فإن شكوا ثقلا أي ثقل الخراج المضروب عليهم أو ثقل وطأة العامل أو علة كالجراد والبرد ونحوهما والشرب بالكسر الحظ من الماء وقال الجوهرى والجزري يقال لا تبلك عندي بالة أي لا يصيبك مني ندى ولا خير.

وقال ابن ميثم الباللة القليل من الماء تبل به الأرض وقال أحالت الأرض تغيرت عما كانت عليه من الاستواء فلا تنبت زرعها ولا أثمرت نخلها.

وقال ابن أبي الحديد أو بالة يعني المطر.

وقال في النهاية حالت الناقة وأحالت إذا حملت عاما ولم تحمل عاما وقال في الحديث إنه جعل على كل جريب عامر أو غامر درهما وقفيزا العامر ما لم يزرع مما يحتمل الزراعة من الأرض سمي غامرا لأن الماء يغمره فهو والغامر فاعل بمعنى مفعول انتهى.

قوله ﷺ أو أجحف بها أي ذهب به والمعنى أتلّفها عطش بأن لا يكفيها الماء الموجود في الشرب أو لتقصير أو مانع حسن نياتهم أي صفاء باطنهم وميلهم بالقلوب وفي بعض النسخ ثنائهم واستفاضة العدل انتشاره.

وقوله معتمدا حال من ضمير خفت أي قاصدا والإجمام الترفيه.

و قوله و الثقة النسخ متفقة على جرها فيكون معطوفا على قوله أو إجمامك.

و قال ابن ميثم فضل نصب بالمفعول من معتمدا و الثقة معطوف على المفعول المذكور و لعله قرأ بالنصب.

قوله ﷺ فر بما حدث من الأمور كاحتياجك إلى مساعدة مال يقسطونه عليهم قرضا لك أو معونة محضة و الإعواز الفقر.

قوله ﷺ على الجمع أي جمع المال لأنفسهم أو للسلطان و سوء ظنهم بالبقاء أي الإبقاء على العمل لخوف الغزل أو يظنون طول البقاء و ينسون الموت و الزوال أي بالبقاء.

و في النهاية العبر جمع عبرة و هي كالموعظة مما يتعظ به الإنسان و يعمل به و يعتبر ليستدل به على غيره.

قوله ﷺ قول على أمورك لعل المراد بها ما يكون لها نهاية الاختصاص بالوالي من الأمور الكلية دون الجزئية المتعلقة بالقرى و نحو ذلك فالمراد بخيرهم خير كتاب الوالي.

و يمكن أن يراد بها مطلق أموره فالضمير في خيرهم عائد إلى مطلق الكتاب و الأول أظهر.

قوله ﷺ مكابذك أي تدابيرك الخفية و المعنى اجعل رسائلك المذكورة مخصوصة بمن كان منهم أشد جمعا للأخلاق الصالحة كالعلم بوجوه الآراء المصلحة و الوفاء و النصيحة و الأمانة و غيره. و البطر الطغيان عند النعمة.

قوله ﷺ و لا تقصر به أي لا تجعله الغفلة مقصرا و قوله و فيما لعله معطوف على قوله عن إيراد يأخذ لك كالخراج أو المكاتيب التي تكون حجة لك و يعطى منك كسهام الجند أو المكاتيب التي تكون حجة لغيرك.

قوله ﷺ و لا يضعف أي إن عقد لك عقدا قواه وأحكمه وإن عقد خصومك عليك عقدا اجتهد في إدخال ما يمكن به حله و نقضه عند الحاجة فالمراد بالإطلاق إما ترك التقيد أو حل العقد.

و في بعض النسخ لا يعجز بصيغة الإفعال أي لا يعجزك.

واستئمانك أي ميل قلبك إليه قال الجوهري استئمان إليه أي سكن إليه و اطمأن.

قوله ﷺ فإن الرجال يتعرضون قال ابن أبي الحديد و يروى يتعرفون أي يجعلون أنفسهم بحيث تعرف بالمحاسن يتصنعهم فاعمد لأحسنهم كان أي اقصد لمن كان في زمن الصالحين قلبك أحسنهم. قوله ﷺ و لمن وليت أمره أي لإمامك.

قوله ﷺ و اجعل لرأس كل أمر قال ابن أبي الحديد نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف و الأعداء و الآخر لأجوبة عمال السواد و الآخر لخاصته و نفقائه.

قوله ﷺ لا يقهرها كبيرها أي لا يعجز عن القيام بحقه و لا يتشتت عليه أي لا يتفرق لكثرة و ضميرا كبيرها و كثيرها راجعان إلى الأمور.

قوله ﷺ أئزمته أي يأخذك الله و الإمام يتغافل.

قوله ﷺ ثم استوص قال ابن أبي الحديد أي أوص نحو قر في المكان و استقر يقول استوص بالتجار خيرا أي أوص نفسك بذلك و منه قول النبي ﷺ استوصوا بالنساء خيرا و مفعولا استوص و أوص هاهنا محذوفان للمعلم بهما.

و يجوز أن يكون معنى استوص أي اقبل الوصية مني بهم و أوص بهم أنت غيرك.

و المضطرب يعني المسافرين و الضرب السير في الأرض قال الله تعالى ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

قوله ﷺ و المترقب يبدنه أي أهل الصنائع فإنهم يتكلفون نفع الناس و نفع أنفسهم بتجشم العمل و إتعاب البدن و المرافق ما يتنفع بها و المطارح المواضع البعيدة قال الجوهري الطرح بالتحريك المكان البعيد و حيث قال ابن أبي الحديد و يروى يحذف الواو أي من مكان لا يجتمع الناس لمواضع تلك المنافع منه و لا يجترعون عليها فيه كالبحار و الجبال و نحوهما.

و الضمير في مواضعها و عليها يعود إلى المنافع.

قوله ﷺ فإنهم سلم أي ولو أسلم و صلح لا يتخوف منهم إفساد في دولة ولا خيانة في مال و الباتقة الداهية و قيل الظلم. و الغائلة الشر و حواشي البلاد أطرافها و الشح البخل أو الحرص و الحكر الجمع و الإمسك و الاحتكار الحبس انتظارا للغلاء و سيأتي أحكام الاحتكار في محلها.

و قال في القاموس تحكم في الأمر جار فيه حكمه و قال البياعة بالكسر السلعة و الجمع بياعات و لفظ و عيب في بعض النسخ مذكور بالرفع عطفًا على باب و في بعضها بالجر عطفًا على مضرة و سمح بكذا سمحا بالفتح أي جاد و أعطى أو وافق على ما أريد منه و المراد هنا إما ترك البخس في المكيال و الميزان فالمراد بقوله بموازين عدل عدم النقص في أصل الميزان و يحتمل التأكيد.

أو المراد بالسبح إعطاء الراجح قليلا أو الرفق بالمشتري و ترك الخشونة على الاستحباب و إن كان الظاهر الوجوب و قارفه أي قاربه و خالطه. و المراد بالتنكيل و المعاقبة في غير إسراف التعزير على قدر المصلحة.

قوله ﷺ ثم الله الله أي اذكر الله و اتقه و الحيلة الحذق في تدبير الأمور و أهل البؤسى لفظ أهل غير موجود في أكثر النسخ. و البؤسى مصدر كالنعمى و هي شدة الحاجة فلا يصح عطفه على المساكين و المحتاجين إلا بتقدير و أما الزمنى فهو جمع زمن فيكون معطوفاً على أهل البؤسى لا البؤسى و سيأتي تفسير القانع و المعتر و احفظ لله أي اعمل بما أمر الله به في حقهم أو اعمل بما أمرك به من ذلك لله.

و قال في النهاية الصوافي الأملاك و الأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا و لا وارث لها واحدها صافية. قال الأزهرى يقال للضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته الصوافي و به أخذ من قرأ فاذكروا اسم الله عليها صوافي أي خالصة لله تعالى انتهى.

و لعل المراد بالقسم من بيت المال في قوله ﷺ و اجعل لهم قسما من بيت ممالك هو السهم المعروف لهم من الزكوات و الأخماس و بالقسم من غلات الصوافي ما يكفيهم لسد خلتهم من خاصة الإمام ﷺ من الفيء و الأنفال تبرعا و يحتمل شموله لبيت المال أيضا.

و المراد بالأقصى من بعد من بلد والي و قيل من بعد من جهة الأنساب و الأسباب منه و قيل أي لا تصرف ما كان من الصوافي في بعض البلاد على مساكين ذلك البلد خاصة فإن لغيرهم فيها مثل حقهم و كل قد استرعت حقه أي أمرك الله برعاية حقه.

قوله ﷺ و لا يشغلنك عنهم نظر أي تفكر في أمر آخر و اهتمام به و في بعض النسخ بطر بالباء و الطاء المهملة أي مرح و طغيان. و التافه الحقيير.

قوله لأحكامك في أكثر النسخ بفتح الهمزة و يمكن أن يقرأ بالكسر و لعله أنسب كما لا يخفى و الأشخاص الإخراج و لا تصغر خذك لهم أي لا تمل وجهك عن الناس تكبرا ممن تقتحمه العيون أي تزدريه و تحقره و تحقر بالتخفيف و كسر القاف أي تستحقره و في بعض النسخ على التفعيل ففرغ لأولئك فتتك أي عين لرفع أمورهم إليك رجلا من أهل الخشية لله و التواضع لهم أو لله أو الخشية لله و التواضع للإمام أو لك ثم اعمل فيهم أي اعمل بما أمر الله به بحيث تكون ذا عذر عنده إذا سالك عن فعلك بهم.

قوله ﷺ و تعهد أهل البيت و ذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له قال الجوهري الرقق محركة الضعف و رجل رقيق أي ضعيف و قال ابن ميثم أي المشايخ الذين بلغوا في الشيخوخة إلى أن رق جلددهم ثم ضعف حالهم عن النهوض فلا حيلة لهم.

و قال الكيديرى أي الذين بلغوا في السن غاية يرق لهم و يرحم عليهم و لا ينصب نفسه أي حياء أو ثقة بالله.

قوله ﷺ و العاقبة في بعض النسخ بالقاف و الباء الموحدة. و في بعضها بالقاف و الباء المثناة فصبروا أنفسهم بالتخفيف و التشديد.

قال في النهاية أصل الصبر الحبس و قال تعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

و قال الفيروز آبادي صبره طلب منه أن يصبر.

قوله ﷺ قسما أي من أوقاتك تفرغ لهم فيه شخصك أي لا تشغل فيه بسائر الأشغال وتعد عنهم جندك أي تتهاهم عن التعرض لهم والدخول في أمورهم والأحراس جمع حارس أي الحفظة وقال في النهاية شرط السلطان نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده والشرطة أول طائفة من الجيش تشهد الواقعة.

وأیضا قال ابن الأثير في مادة تتع من النهاية فيه حتى يؤخذ للضعيف حقه غير متمتع بفتح التاء أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه يقال تتعته فتتتع وغير منصوب لأنه حال من الضعيف انتهى. قوله ﷺ لن تقدس أي لن تظهر عن العيوب والنقائص وهو على المجهول من التفعيل والمعلوم من الفعل والخرق الجهل وكذلك العي أي تحمل عنهم ولا تعاتبهم والضيق التضييق عليهم في الأمور أو البخل أو ضيق الصدر بما يرد من الأمور أو العجز والأنف بالتحريك الامتناع من الشيء استكبارا والكف بالتحريك الجانب والناحية والإعطاء الهنيء ما لم يكن مشوبا باليمن والأذى ونحو ذلك ويقال أجملت الصنيعة عند فلان وأجمل في صنيعة ذكره الجوهري وأعذر أي أبدى عذره. وقوله أمور مبتدأ خبره محذوف أي هناك أمور وفي الصحاح وعبي إذا لم يهتد لوجهه والعبي خلاف البيان وقد عي في منطقته وعبي أيضا وقال مكان حرج وحرج أي ضيق وقد حرج صدره يخرج حرجا.

قوله ﷺ بالغا من بدئك أي وإن أتعبك ذلك تعباً كثيراً.

قوله ﷺ فلا تكونن مفرا أي بالتطويل الذي يوجب نفرة الناس ولا مضيعا بالتأخير عن أوقات الفضيلة والتقصير في الآداب والتعليل للأول.

وقوله ﷺ وكن بالمؤمنين رحيما من تمة الحديث النبوي ﷺ أو من كلامه ﷺ ورجع ابن أبي الحديد الثاني قوله ﷺ من الضيق أي البخل أو ضيق الخلق أو غيرهما مما تقدم وقلة علم أي سبب لها والاحتجاب منهم الضمير للوالة أي الناشئ منهم أو للرعية فمن بمعنى عن وضمير عنهم للوالة قطعا وكذا ضمير عندهم أي يصير سببا لأن يتوهموا كبير الأمور بتسويل الأعوان وأصحاب الأغراض صغيرا وكذا العكس ما توارى عنه الناس أي استتر والضمير في عنه راجع إلى الولي وفي به إلى ما ومن الأمور بيان له.

قوله ﷺ وليست على الحق سمات أي ليست على الحق والباطل من الكلام علامات يعرفان بها بمجرد السماع فلا بد من التجسس حتى يتميزا.

وفي النهاية أسدى وأولى وأعطى بمعنى والمظلمة ما تطلبه من الظالم وهو اسم ما أخذ منك والاستيثار الاستبداد بالأمور والتطاوّل الترفع والحامة الخاصة وحامة الرجل أقرباؤه وفي النهاية الأقطاع يكون تمليكا وغير تمليك وفي الصحاح أقطعه أقطعه قطعة أي طائفة من أرض الخراج وفي القاموس القطيعة محال بغداد قطعها المنصور أناسا من أعيان دولته.

قوله ﷺ ولا يطمعن فاعله ضمير أحد المتقدم.

والعقدة بالضم الضيقة والعقار الذي اعتقده صاحبه ملكا والعقدة المكان الكثير الشجر أو النخل كذا في كتب اللغة.

وقال ابن ميثم اعتقد الضيعة اقتناها وقال ابن أبي الحديد اعتقدت عقدة أي ادخرت ذخيرة. ولم نجد لها في كلام أهل اللغة ولا يخفى عدم مناسبة ما ذكره ابن أبي الحديد وقال في النهاية كل أمر يأتيك من غير تعب فهو هنيء ولك المهنة والمهنة.

قوله ﷺ وكن في ذلك قال ابن ميثم الواو في وكن للحال وكذا واقعا حال.

أقول: وفي الأول نظر والحاصل ألزم الحق كل من لزم عليه أي حق كان من ظلامة أو حد أو قصاص وعلى أي امرئ كان من قربائك وخواصك وابتغ عاقبته أي عاقبة ذلك الإلزام.

وفي القاموس الغب بالكسر عاقبة الشيء كالمغبة بالفتح.

قوله ﷺ فأصحر لهم أي أظهر لهم عذرك يقال أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء وأصحر به إذا أخرجه وأعدل عنك في بعض النسخ بقطع الألف على بناء الإفعال وفي بعضها بالوصل على بناء

المجرد فعلى الأول من عدل بمعنى حاد و على الثاني من عدله أي نجاه فإن في ذلك إغذارا أي إظهارا للعذر والدعة الخفض و سعة العيش و الهاء عوض عن الواو. و مقاربة العدو إظهاره المودة و طلبه الصلح و يتغفل أي يطلب غفلتك و الحزم الأخذ في الأمر بالثقة و اتهام حسن الظن ترك العمل بمقتضاه. و في النهاية العقد البيعة المعقودة و قال حاطه يحوطه حفظه و صانه. قوله ﷺ و اجعل نفسك جنة أي لا تغدر و لو ذهبت نفسك. فإنه ليس من فرائض الله شيء.

قال ابن أبي الحديد شيء اسم ليس و جاز ذلك و إن كان نكرة لاعتداده على النفي و لأن الجار و المجرور قبله في موضع الحال كالصفة فتخصص بذلك و قرب من المعرفة و الناس مبتدأ و أشد خبره و هذه الجملة المركبة من مبتدأ و خبر في موضع رفع لأنها صفة شيء. و أما خبر المبتدأ الذي هو شيء فمحذوف و تقديره في الوجود كما حذف الخبر في قولنا لا إله إلا الله. و يمكن أيضا أن يكون من فرائض الله في موضع رفع لأنه خبر المبتدأ و قد تقدم عليه و يكون موضع الناس و ما بعده رفعا لأنه صفة المبتدأ الذي هو شيء كما قلناه أولا و ليس يمتنع أيضا أن يكون من فرائض الله منصوب الموضع لأنه حال و يكون موضع الناس أشد رفعا لأنه خبر المبتدأ الذي هو شيء.

قوله ﷺ و قد لزم ذلك أي لزم المشركون مع شركهم الوفاء بالعهود و صار ذلك سنة لهم فالمسلمون أولى بالزوم و الوفاء. قوله ﷺ لما استولبوا أي عدوا عواقب الغدر وبالا.

قال في النهاية الوبال في الأصل الثقل و المكروه و استولبوا المدينة أي استوخموها و قال فيه إني لأخيس بالعهود أي لا أنقضه يقال خاس بعهده يخيس و خاس بوعده إذا أخلفه و قال خنته يخنته خدعه و راوغه.

و قال ابن ميثم أفضاه بسطه و استفاض الماء سال و قال في القاموس فضا المكان فضاء و فضا اتسع و المنعة بالتحريك العز و قد يسكن.

قوله ﷺ و حريما يسكنون إلى منعته و يستفيضون إلى جواره^(١) قال ابن أبي الحديد إلى هاهنا متعلق بمحذوف كقوله تعالى ﴿فِي تَشَعُّاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي مرسلًا إليه أي جعل الله ذمته أمنا ينتشرون في طلب جوانجهم ساكنين إلى جواره و في الصحاح الدغل بالتحريك الفساد يقال قد أدغل في الأمر إذا أدخل فيه ما يخالفه و يفسده و قال المدالسة كالمخادعة.

قوله ﷺ تجوز فيه العلل أي يتطرق إليه التأويلات و المعاذير و في النهاية اللحن الميل عن جهة الاستقامة يقال لحن فلان إذا قلت له قولاً يفهمه و يخفى على غيره لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم.

والمعنى لا تنقض العهود و المواثيق تمسكا بالتأويلات أو لا تقبل من الخصم ذلك و يحتمل الأعم. و الانفساخ في بعض النسخ بالخاء المعجمة من الفسخ وهو النقض وفي بعضها بالمهملة وهو الاتساع.

قوله ﷺ لا تسبقل فيها أي لا تكون لك إقالة في الدنيا و لا في الآخرة.

قوله ﷺ و انقطاع مدة كمدة العمر و السلطنة و سعة العيش و ينقله أي إلى غيرك و القود القصاص و الوكر الضرب بجمع الكف أو مطلقا و المعنى أنه قد يؤدي أمثالها إلى القتل. و قال الجوهري:

طمح بصره إلى الشيء ارتفع و كل مرتفع فهو طامح و أطمح فلان بصره رفعه و المعنى لا يمنعك كبر السلطنة عن أداء الدية و ظاهره ثبوت الدية في الخطأ في إقامة التعزير مطلقا و اختلف فيه

٦٣٥
٣٣

٦٣٦
٣٣

الأصحاب فقيل لا يضمن مطلقاً. وقيل يضمن في بيت المال إذا كان الحد للناس فلو كان لله لم يضمن وقد يقال الخلاف إنما هو في التعزير فإن تقديره منوط بالاجتهاد لا الحد فإنه مقدر وسيأتي تمام الكلام فيه في محله.

وأعجب فلان بنفسه على بناء المفعول إذا ترفع و سر بما رأى من نفسه وأطريت فلانا مدحته بأحسن ما فيه وقيل جاوزت الحد في مدحه.

قوله ﷺ من أوثق فرص الشيطان في نفسه أي اعتماد الشيطان في الإضلال يزعمه على هذا النوع من الفرصة أشد من اعتماده على سائر الأنواع والمحق الإبطال والتزيد في الحديث الكذب والمراد هنا أن تعطي أحداً واحداً فنقول أعطيته عشرة أو التساقط فيها قال ابن أبي الحديد هذا عبارة عن النهي عن الحرص والجشع قال الشنفرى

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

وهذا أخذه من قول الجوهري تساقط على الشيء أي ألقى نفسه عليه إلا أنه عداه بعلى كما ترى وحينئذ لا يكون مقابلاً للفقرة الأولى بل عيناها ولا يخلو عن بعد بقرينة ما بعدها والظاهر أن التساقط في الأمر التقصير والتكاسل فيها كما ذكره ابن ميثم.

وقال الفيروزآبادي التكرار التغير عن حال تسرك إلى حال تكرها والاسم التكرير.

وقال الجوهري استوضحت الشيء إذا وضعت يدك على عينك تنظر هل تراه واستوضحه الأمر إذا سألته أن يوضحه لك انتهى.

فعلى ما في بعض النسخ من بناء المجهول فالمعنى واضح أي إذا تأملت فيها واستعملته وتيقنته وفي بعضها على بناء المعلوم.

وقال ابن أبي الحديد أي وضحت وانكشفت ولم أجده في كلام أهل اللغة.

قوله ﷺ والتغابي عما تعني به أي التغافل عما تفعله خواصك أو مطلقاً من الأمور المنكرة فإنك تقصد به و تؤخذ منك للمظلوم و تعاقب عليه مما قد وضح للعيون لعل تخصيص هذا النوع لكونه أشنع أو لأنه لا ينبغي للوالي تجسس العيوب والمعاصي الخفية.

وقال ابن ميثم أي التغافل عما يجب العلم والعناية به من حقوق الناس المأخوذة ظلماً مما قد وضح للعيون إهمالك انتهى.

ولا يخفى أنه إنما يستقيم تفسير ابن ميثم إذا كان يعني بصيغة المذكر الغائب لا بالخطاب كما فيما عندنا من النسخ.

ومأخوذ منك لغيرك أي تعاقب عليه مع أنك لم تنتفع به بل انتفع به غيرك ويمكن أن يكون المراد بالغير المظلوم وعما قليل أي مجاوزاً عن زمان قليل وما زائدة أو نكرة موصوفة ينتصف منك أي ينتقم بالعدل.

وقال في النهاية في حديث معقل بن يسار فحمني من ذلك أنفاً يقال أنف من الشيء أي أنفاً أنفاً إذا كرهه وشرفت نفسه عنه وأراد به هاهنا أخذته الحمية من الغيرة والغضب وقيل هو أنفاً بسكون النون للمضو أي اشتد غضبه وغيظه من طريق الكناية كما يقال للمتيغظ ورم أنفه.

والسورة الحدة والشدة والإضافة للمبالغة.

والسطوة الصولة.

وبالبادرة من الكلام الذي يسبق من الإنسان في الغضب.

والأثر بالتحريك اسم من أثرت الحديث أي نقلته.

رستوتقت أي استحكمت وتسرع إلى الأمر عجل على إعطاء كل رغبة.

قال ابن أبي الحديد الرغبة مصدر رغب في كذا كأنه قال القادر على إعطاء كل سؤال أي كل سائل ما سألته وروي وكل رغبته أي ما يرغب فيه من الإقامة على العذر ولعل المعنى على الجواب الواضح في كل ما سألنا الله عنه من حقوقه وحقوق خلقه وصاحب العذر بهذا المعنى لا يكون مذنباً.

و قال ابن ميثم يحتمل أن يكون العذر اسماً من الإعذار إلى الله وهو المبالغة في الإتيان بأوامره فكانه قال من الإقامة على المبالغة إليه في أداء أوامره انتهى.

وفي كون العذر اسماً من أعذر كما ذكره إشكال و تمام النعمة عطف على قوله ما فيه أي لتمام نعمته علي و تضاعف كرامته لدي و توفيقنا للأعمال الصالحة التي نستوجبها بها.

كذا قيل و الأظهر أنه عطف على حسن الثناء.

و إنما اكتفينا بهذا القدر من البيان إثاراً للاختصار و إلا فالمجلدات لا تفي بشرحه

٧٤٥- جش: [الفهرست للنجاشي] ابن نوح عن علي بن الحسين بن سفيان عن علي بن أحمد بن علي بن حاتم عن عباد بن يعقوب عن عمرو بن ثابت عن جابر قال سمعت السبيعي ذكر ذلك عن صعصعة قال لما بعث ﷺ مالكا الأشرع واليا على أهل مصر كتب إليهم^(١):

من عبد الله أمير المؤمنين إلى نفر من المسلمين سلام عليكم إني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبدا من عبيد الله لا ينال أيام الخوف و لا ينكل عن الأعداء حراز الدوائر لا ناكل من قدم و لا واهن في عزم من أشد عباد الله بأسا و أكرمهم حسبا أضر على الكفار من حريق النار و أبعد الناس من دنس أو عار و هو مالك بن الحرث أخا مذحج حسام صارم لا نابي الضريبة و لا كليل الحد عليم في الجد رزين في الحرب ذو رأي أصيل و صبر جميل فاسمعوا له و أطيعوا أمره فإن أكرمكم بالنفر فانفروا و إن أكرمكم أن تقيموا فأقيموا فإنه لا يقدم و لا يحجم إلا بأمري و قد أتركتكم به على نفسي لنصيحتكم لكم و شدة شكيمة على عدوكم عصمكم الله بالتقوى و زينكم بالمغفرة و وقفنا و إياكم لما يحب و يرضى و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

بيان: قوله ﷺ حراز الدوائر في أكثر النسخ بالحاء المهملة ثم الراء المهملة ثم المعجمة أي الحارس في الدوائر أو جلاها من قولهم أحرز إذا حازه و الدائرة الغلبة بالنصر و الظفر و في بعضها بالجيم و المهملتين و هو أنسب و في بعضها بالجيم ثم المعجمة ثم المهملة و هو أيضا مناسب أي القتال في الدوائر.

٧٤٦- و روى هذا المکتوب التقي رحمه الله في كتاب الغارات، عن الشعبي عن صعصعة و فيه حذار الدوائر و هو أظهر و فيه و هو مالك بن الحرث الأشرع حسام صارم لا نابي الضريبة و لا كليل الحد حليم في السلم رزين في الحرب إلى قوله و قد أتركتكم به على نفسي نصيحة لكم و شدة شكيمة على عدوكم عصمكم الله بالهدى و ثبتكم بالتقوى و وقفنا^(٢).

باب ٣١ سائر ما جرى من الفتن من غارات أصحاب معاوية على أعمال أمير المؤمنين ﷺ و تشاغل أصحابه عن نصرته و فرار بعضهم إلى معاوية و شكايته عنهم و بعض النوادر

٧٤٧- قال عبد الحميد بن أبي الحديد إن قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمان، يعظمون قتله، لم يكن لهم نظام و لا رأس، فبايعوا علي بن أبي طالب على ما في أنفسهم، و عامل علي بن أبي طالب على صنعاء يومئذ عبيد الله بن العباس، و عامله على الجند سعيد بن نمران. فلما اختلف الناس على علي بالعراق، و قتل محمد بن أبي بكر بمصر، و كثرت غارات أهل

(١) رواه النجاشي ح في ترجمة صعصعة بن صوحان.

واللهديث مصادر كثيرة يجد الباحث كثيراً منها في ذيل المختار: (١٧٤) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٥ ص ٥٢ ط ١.

(٢) رواه إبراهيم التقي ح في الحديث: (١٧٤) من كتاب الغارات كما في تلخيصه: ج ١، ص ٢٦٠.

الشام، تكلّموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان، ومنعوا الصّدقات، وأظهروا الخلاف. فكتب عبيد الله وسعيد ذلك إلى أمير المؤمنين، فلما وصل كتابهما ساء عليّاً وأغضبته وكتب إليهما^(١):

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران سلام الله عليكما، فإنّي أحمد إليكما الله الذي لا إله إلّا هو.

أما بعد فإنّه أتاني كتابكما تذكران فيه خروج هذه الخارجة، وتعظّمان من شأنها صغيرا، وتكثران من عددها قليلا، وقد علمت أنّ [نخب. خ] أفتدتكما، وصفر أنفسكما، وتباب رأيكما، وسوء تدبيركما، هو الذي أفسد عليكما من لم يكن عليكما فاسدا، وجزّأ عليكما من كان عن لقائكما جباناً، فإذا قدم رسولي عليكما، فامضيا إلى القوم حتّى تقرأ عليهم كتابي إليهم، وتدعوهم إلى حظّهم وتقوى ربّهم، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم، وإن حاربوا استعنا بالله عليهم ونايذناهم على سواء، إنّ الله لنا يخبّي الخائبيين.

فكتب إليهم:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين، إلى من شاقّ وغدر من أهل الجند وصنعا:

أما بعد فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، الذي لا يعقّب له حكم، ولا يردّ له قضاء، ولا يردّ بأشبهه عن القوم المجرّمين. [أما بعد فقد. خ] بلغني تحرّبكُم وشقاقكم وإعراضكم عن دينكم، بعد الطاعة وإعطاء البيعة والألفة، فسألت أهل الدين الخالص، والورع الصادق، واللّبّ الراجح، عن بدء مخرجكم، وما نويتم به وما أحشمكم له^(٢)، فحدّثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيء منه عن ذرا ميينا، ولا مقالا جميلا، ولا حجة ظاهرة، فإذا أتاكم رسولي فتفرّقوا وانصرفوا إلى رجالكم أعف عنكم، واتقوا الله وارجعوا إلى الطاعة، وأصغح عن جاهلكم، وأحفظ عن قاصيكم، وأقوم فيكم بالقسط، وأعمل فيكم بحكم الكتاب. فإن لم تفعلوا، فاستعدوا لقدم جيش جمّ الفرسان، عظيم الأركان، يقصد لمن طغا وعصى فتطحنوا كطحن الرّحى فمن أحسن قلنّسيه، ومن أشاء فعَلنّها ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. وإلّا فلا يحمد حامد إلّا ربه، ولا يلوم لائم إلّا نفسه، والسلام عليكم ورحمة الله.

و وجه الكتاب مع رجل من همدان قدّم عليهم الكتاب فلم يجيبوه إلى خير، فرجع فأخبره.

و كتبت تلك العصابة إلى معاوية يخبرونه بما جرى، وبطاعتهم [له]. فلما قدّم كتابهم، دعا معاوية بسر بن أرطاة العامري ويقال ابن أبي أرطاة وكان قاسي القلب، فظاً، سفاكا للدماء، لا رافة عنده ولا رحمة، وأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتّى ينتهي إلى اليمن، وقال له لا تنزل على بلد أهلهم على طاعة عليّ، إلّا بسطت عليهم لسانك، حتّى يروا أنّهم لا نجاه لهم وأنك محيط بهم، ثم اكف عنهم، وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبي فاقته، واقتل شيعة عليّ حيث كانوا.

وفي رواية أخرى، بعث بسرا في ثلاثة آلاف وقال سر حتّى تمرّ بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف من مررت به، و انهب أموال كلّ من أصبت له مالا ممّن لم يكن في طاعتنا، فإذا دخلت المدينة فأرهم أنك تريد أنفسهم، وأخبرهم أنّه لا براءة لهم عندك ولا عذر، حتّى إذا ظلّوا أنك موقع بهم، فاكف عنهم، ثم سر حتّى تدخل مكة، ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب النّاس عنك فيما بين مكة والمدينة، واجعلها شردات، حتّى تأتي صنعا والجند، فإن لنا بهما شيعة، وقد جاءني كتابهم.

فسار بسر حتّى أتى المدينة، وصعد المنبر وهدّهم وأوعدهم، وبعد الشفاعة أخذ منهم البيعة لمعاوية، وجعل عليها أبا هريرة، وأحرق دورا كثيرة.

و خرج إلى مكة، فلما قرب منها هرب قثم بن العباس عامل عليّ عليها، ودخلها بسر فشتّم أهل مكة وأنّبهم، ثم خرج عنها واستعمل عليها شيعة بن عثمان، وأخذ فيها سليمان وداود ابني عبيد الله بن العباس فذبحهما، وقتل فيما بين مكة والمدينة رجالا وأخذ أموالا.

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٢٥) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٢٧٩، ط الحديثة ببيروت، وفي ط الحديثة بمصر: ج ٢، ص ١.

(٢) كذا في أصلي، وفي طبع بيروت من شرح المختار: (٢٥) من نهج البلاغة من ج ١، ص ٢٨٠ لابن أبي الحديد: «عن بدء مخرجكم...».

ثم خرج من مكة وكان يسير و يفسد في البلاد، حتى أتى صنعاء، و هرب منها عبيد الله و سعيد، فدخلها و قتل فيها ناسا كثيرا، و كان هكذا يفسد في البلاد.

فندب علي عليه السلام أصحابه ليبحث سرية في أثر بسر فتتأقلا، و أجابه جارية بن قدامة، فبعثه في ألفين، فشخص إلى البصرة، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم يمن، و سأل عن بسر فقيل أخذ على بلاد بني تميم، فقال أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم.

و بلغ سبرا مسير جارية فانهدر إلى اليمامة، و أعذ جارية السير، ما يلتفت إلى مدينة مر بها، و لا أهل حصن، و لا يعرج على شيء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد، فيأمر أصحابه بمواساته. أو يسقط بعير رجل، أو تحفى دابته، فيأمر أصحابه بأن يعقبوه، حتى انتهى إلى أرض اليمن، فهربت شيعة عثمان، حتى لحقوا بالجبال، و أتبعهم شيعة علي عليه السلام، و تداعت عليهم من كل جانب، و أصابوا منهم.

و مر [جارية] نحو بسر، و بسر يفر من جهة إلى جهة، حتى أخرجه من أعمال علي عليه السلام كلها. فلما فعل ذلك به، أقام جارية بحرس نحو من شهر، حتى استراح و أراح أصحابه.

و وثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية، لسوء سيرته و فظاظته و ظلمه و غشمه. و أصاب بنو تميم ثقلا من ثقله في بلادهم.

فلما رجع بسر إلى معاوية قال أحمد الله يا أمير المؤمنين، إني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهبا و جاثيا، لم ينكب رجل منهم نكبة. فقال معاوية الله فعل ذلك لا أنت. و كان الذي قتل بسر في وجهه ذلك، ثلاثين ألفا، و حرّق قوما بالنار.

قال و دعا علي عليه السلام على بسر فقال اللهم إن بسر باع دينه بالدنيا، و انتهك محارمك، و كانت طاعة مخلوق فاجر، أثر عنده من طاعتك، اللهم فلا تمته حتى تسلبه عقله، و لا توجب له رحمتك، و لا ساعة من النهار. اللهم العن بسر و عمرا و معاوية، و ليحلّ عليهم غضبك، و لتنزّل بهم نعمتك، و ليصحبهم بأسك و رجرك الذي لا ترده عن القوم المجرمين.

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيرا، حتى وسوس و ذهب عقله. و كان يهذي بالسيف و يقول أعطوني سيفاً أقتل به. لا يزال يردد ذلك حتى اتّخذ له سيفاً من خشب، و كانوا يدنون منه المرفقة، فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات.

بيان: [قال ابن الأثير] في [مادة «نخب من»] النهاية فيه «بنس العون على الذين قلب نخب، و بطن رغيب».

النخب الجبان الذي لا فؤاد له.

و قيل الفاسد العقل.

قوله عليه السلام «لا يعقب له حكم» تضمين لقوله تعالى «لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ».

وقال البيضاوي أي لا رادّ له. وحقيقته الذي يعقب الشيء، بالإبطال. ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفو غريمه للاقتضاء. انتهى.

وأحششت الرجل أغضبته.

قوله عليه السلام «و أحفظ عن قاصيكم» أي أدب و أدفع عن حريم من بعد و غاب.

قال في القاموس المحافظة الذب عن المحارم. و الحفيظة الحمية و الغضب. و قال قصي عنه بعد، فهو قصي و قاص.

«و السّردات» لم يذكر في اللغة هذا الجمع و الشرد التفريق. و في بعض النسخ «سروات» [و هو] جمع سراة. [و هو] الطريق، أي وسطه. كناية عن جعلها خرابا خالية عن أهلها. و قال في القاموس الجند بالتحريك بلد باليمن. و قال أرمّلوا، أي نفذ زادهم. و قال الحفا رقة القدم. و الخفّ و الحافر. حفي يحفى حفاً فهو حفّ و حاف. و قال أعقب زيد عمرا ركبا بالنوبة. و قال تداعى العدو أنفل.

أقول و ذكر الثقي في كتاب الغارات مفصل القصص التي أوردناها محملة^(١).

و روي عن الوليد بن هشام، قال خرج بسر من مكة، و استعمل عليها شيبة بن عثمان، ثم مضى يريد اليمن، فلما جاوز مكة رجع قثم بن العباس إلى مكة فغلب عليها.

وكان بسر إذا قرب من منزل، تقدم رجل من أصحابه حتى يأتي أهل الماء فيسلم فيقول ما تقولون في هذا المقتول بالأمس عثمان فإن قالوا قتل مظلوما، لم يعرض لهم. و إن قالوا كان مستوجبا للقتل، قال ضعوا السلاح فيهم. فلم يزل على ذلك حتى دخل صنعاء. فهرب منه عبيد الله بن العباس، و كان واليا علي^{عليه السلام} عليها، و استخلف عمر بن أراكة فأخذه بسر، فضرب عنقه. و أخذ ابني عبيد الله فذبحهما على درج صنعاء، و ذبح في آثارهما مائة شيخ من أبناء فارس. و ذلك أن الغلامين كانا في منزل أم النعمان بنت بزرج، امرأة من الأبناء.

و بإسناده عن الكلبي و لوط بن يحيى، أن ابن قيس قدم على علي^{عليه السلام} فأخبره بخروج بسر، فندب علي^{عليه السلام} الناس فتأقلا عنه، فقال:

أ تريدون أن أخرج بنفسي في كتيبة تتبع كتيبة في الفياقي و الجبال ذهب و الله منكم أولو النهى و الفضل، الذين كانوا يدعون فيجيبون، و يؤمرون فيطيعون، لقد هممت أن أخرج عنكم، فلا أطلب بنصركم ما اختلف الجديدان.

فقام جارية بن قدامة فقال أنا أكفيهمك يا أمير المؤمنين، فقال إله أمير المؤمنين^{عليه السلام} [أنت لعمرى ليمون النقيبة، حسن النية، صالح العشرة. و ندب معه ألفين، و قال بعضهم ألفا و أمره أن يأتي بالبصرة و يضم إليه مثلهم.

فشخص جارية، و خرج معه [علي^{عليه السلام}] يشيعه، فلما ودَّعه قال:

أتق الله الذي إليه تصير، و لا تحقر مسلما و لا معاهدا، و لا تغصبن مالا و لا ولدا و لا دابة، و إن حفيت و ترجلت، و صل الصلاة لوقتها.

فقدم جارية البصرة، و ضم إليه مثل الذي معه، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن. و لم يغصب أحدا، و لم يقتل أحدا إلا قوما ارتدوا باليمن، فقتلهم و حرَّقهم، و سأل عن طريق بسر، فقالوا أخذ على بلاد بني تميم، فقال أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم. فانصرف جارية فأقام بحرس.

قال إبراهيم و من حديث الكوفيين عن نمير بن ولة عن أبي الوداك قال قدم زرارة بن قيس فخير عليا^{عليه السلام} بالقدمة التي خرج فيها بسر، فصعد المنبر فحمد الله و أننى عليه، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس إن أول فرقتكم، و بدء نقصكم، ذهاب أولي النهى و أهل الرأي منكم، الذين كانوا يلقون فيصدقون، و يقولون فيعدلون، و يدعون فيجيبون، و أنا و الله قد دعوتكم عودا و بدءا و سزا و جهارا و في الليل و النهار، و الغدو و الأصال، فما يزيدكم دعائي إلا فرارا و إدبارا. أما تنتفكم العظة و الدعاة إلى الهدى و الحكمة و إني لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم، و لكني و الله لا أصلحكم بفساد نفسي، و لكن أمهلوني قليلا، فكأنكم و الله بامرئ قد جاءكم، يحرمكم و يعدبكم، فيعدبهم الله كما يعدبكم.

إن من ذل المسلمين و هلاك الدين، أن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل و الأشرار فيجواب، و أدعوكم و أنتم الأفضلون الأخيار، و تدافعون، ما هذا بقول المتقين^(٢).

إن بسر بن أبي أرتاة وجه إلى الحجاز، و ما بسر لعنه الله لينتدب إليه منكم عصابة حتى تردوه عن سننه، فأنما خرج في ستمائة أو يزيدون.

قال فأسكت القوم مليا لا ينطقون.

فقال ما لكم مخرسون لا تكلمون.

(١) رواها الثقي في الحديث: (٢٤٠) وما بعده من تلخيص كتاب الغارات: ج ١، ص ٥٨٠.

والحديث التالي رواه تحت الرقم: (٢٥٩) ص ٦٢٠.

(٢) وقرئ منه منه جداً رواه أيضاً البلاذري في الحديث (٤٩٨) من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٤٥٨ ط ١. ورواه أيضاً الشيخ المفيد^{رحمته الله}، في الفصل (٤٠) مما اختار من كلام أمير المؤمنين في كتاب الإرشاد، ص ١٤٥، ط النجف.

فذكر عن الحارث بن حصيرة، عن مسافر بن عفيف، قال قام أبو بردة بن عوف الأزدي، فقال إن سرت يا أمير المؤمنين، سرنا معك فقال اللهم ما لكم ما سدّتم لمقال الرشد [أ] في مثل هذا ينبغي لي أن أخرج إنمّا يخرج في مثل هذا، رجل مَن ترضون من فرسانكم وشجعانكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق الناس، ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى في فلوات وشغف الجبال، هذا والله الرأي السوء. والله لو لا رجائي الشهادة عند لقائهم، لو قد حم لي لقاءهم، لقرّبت ركابي، ثم لشخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال، فوالله إن فراقكم لراحة للنفس والبدن^(١).

فقام إليه جارية بن قدامة السعدي رحمه الله، فقال يا أمير المؤمنين، لا أعدمتنا الله نفسك، ولا أرانا فراقك، إنا لهؤلاء القوم، فسرحني إليهم.

قال فتجهّز فإنك ما علمت ميمون النقية.

وقام إليه وهب بن مسعود الخثعمي فقال أنا أنتدب إليهم يا أمير المؤمنين، قال فانتدب بارك الله فيك. فنزل (عليه السلام) عن المنبر] ودعا جارية فأمره أن يسير إلى البصرة. فخرج منها في ألفين، وندب مع الخثعمي من الكوفة ألفين [و] قال لهما أخرجا في طلب بسر حتى تلتحقا، [و] أنمّا لحقمتاه فتأجزاه، فإذا التقيتما، فجارية على الناس. فخرجا في طلب بسر، والتقيا بأرض الحجاز، فذهبا في طلب بسر.

وعن الحارث بن حصيرة، عن عبد الرحمن بن عبيد قال لما بلغ علياً دخول بسر الحجاز، وقتله ابني عبيد الله بن العباس، وقتل عبد الله بن عبد المدان ومالك بن عبد الله، بعثني بكتاب في إثر جارية بن قدامة، قبل أن يبلغه أن يسرا ظهر على صنعاء وأخرج عبيد الله منها وابن نمران، فخرجت بالكتاب حتى لحقت بجارية فضّته فإذا فيه.

أما بعد، فإنني بعثتك في وجهك الذي وجهت له، وقد أوصيتك بتقوى الله، وتقوى ربنا جماع كل خير، ورأس كل أمر، وترك أن أسّي لك الأشياء بأعيانها، وإنّي أفسرها حتى تعرفها، سر على بركة الله، حتى تلقى عدوك، ولا تحتقر من خلق الله أحداً، ولا تسخرنّ بغيراً ولا حماراً، وإن ترجلت وحبست، ولا تستأثرنّ على أهل المياه بمياههم، ولا تشترين من مياههم إلّا بطيب أنفسهم، ولا تسي مسلماً ولا مسلمة، ولا تظلم معاهداً ولا معاهدة، و صل الصلاة لوقتها، واذكر الله بالليل والنهار، واحملوا راجلكم، وتأسوا على ذات أيديكم وأغد السير حتى تلتحق بعدوك فتجلبهم عن بلاد اليمن وتردهم صاغرين إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته^(٢).

وعن فضيل بن خديج قال كان وائل بن حجر عند عليّ بالكوفة، وكان يرى رأي عثمان، فاستأذن علياً ليذهب إلى بلاده، ثم يرجع إليه عن قريب، فخرج إلى بلاد قومه وكان عظيم الشأن فيهم، وكان الناس بها أحزاباً، فشيعة ترى رأي عثمان، وأخرى ترى رأي عليّ. فكان وائل هناك، حتى دخل بسر صنعاء، فكتب إليه:

أما بعد، فإن شيعة عثمان ببلادنا شطر أهلها، فاقدم علينا فإنّه ليس بحضرموت رجل يردك عنها فأقبل إليها بسر بمن معه حتى دخلها، فزعم أن وائلاً استقبل بسرًا، فأعطاه عشرة آلاف، وأنه كلمه في حضرموت. فقال له ما تريد قال أريد أن أقتل ربع حضرموت. قال إن كنت تريد ذلك فاقتل عبد الله بن ثوبة لرجل فيهم، كان من المقالوة العظام. وكان له عدوا، في رأيه مخالفاً. فجاء بسر حتى أحاط بحصنه، وكان بناء معجلاً لم ير في ذلك الزمان مثله، فدعاه إليه فنزل، وكان للقتل أمناً، فلما نزل، قال اضربوا عنقه. قال له أتريد قتلي قال نعم. قال فدعني أتوضأ وأصلي ركعتين. قال افعل ما أحببت. فاغتسل وتوضأ، وليس ثياباً بيضاء، وصلى ركعتين، ثم قال اللهم إنك عالم بأمرى. فقدم فضرب عنقه وأخذ ماله.

وبلغ علياً، مظاهرة وائل بن حجر شيعة عثمان، على شيعته، ومكاتبته بسرًا، فحيس ولديه عنده.

وعن عبد الرحمن بن عبيد، أن جارية أغذ السير في طلب بسر، ما يلتفت إلى مدينة مر بها، ولا أهل حصن، حتى

(١) ورواه الشريف الرضي (ع)، مع زيادة جيّدة في المختار (١١٩) من نهج البلاغة.

(٢) وقريباً منه جداً رواه يعقوبي في أواخر سيرة أمير المؤمنين (ع) من تاريخه: ج ٢، ص ١٧٥، وفي ط ج ٢، ص ١٨٧. وفيه: «ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة». وفي الغارات: ولا تسب.

انتهى إلى بلاد اليمن، فهربت شيعة عثمان فلاحقوا بالجال، و اتبعه عند ذلك شيعة عليّ و تداعت عليهم من كلّ جانب وأصابوا منهم.

وخرج جارية في أثر القوم، و ترك المدائن أن يدخلها، و مضى نحو بسر. فمضى بسر من حضرموت حين بلغه أنّ الجيش إقدأقبل و أخذ طريقا على الجوف، و ترك الطريق الذي أقبل منه. و بلغ ذلك جارية فاتّبعه حتّى أخرجه من اليمن كلّها، و واقعه في أرض الحجاز، فلما فعل ذلك به، أقام بحرس نحواً من شهر، حتى استراح و أراح أصحابه، و سأل عن بسر فقبل أنّه بمكة فسار نحوه.

ووثب الناس بسر حين انصرف لسوء سيرته، و اجتنبه الناس بيماء الطريق، و قرّ الناس عنه لغشمه و ظلمه. و أقبل جارية حتى دخل مكة، و خرج بسر منها يعضي قبل اليمامة، فقام جارية على منبر مكة، و قال: يا بعم معاوية قالوا أكرهنا. قال أخاف أن يكونوا من الذين قال الله فيهم ﴿وَإِذَا قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤْنَ﴾ قوموا فبايعوا. قالوا لمن نبايع رحمك الله، و قد هلك أمير المؤمنين ﷺ، و لا ندري ما صنع الناس بعد قال و ما عسى أن يصنعوا، إلّا أن يبايعوا للحسن بن عليّ، قوموا فبايعوا. ثم اجتمعت عليه شيعة عليّ فبايعوا.

وخرج منها و دخل المدينة، و قد اصطالحوا على أبي هريرة يصليّ بالناس، فلما بلغهم مجيء جارية، توارى أبو هريرة. فجاء جارية و صعد المنبر، و حمد الله و أثني عليه، و ذكر رسول الله ﷺ فصلىّ عليه، ثم قال: أيّها الناس إن عليّاً يوم ولد و يوم توفاه الله، و يوم يبعث حيّاً، كان عبداً من عباد الله الصالحين، عاش بقدر، و مات بأجل. فلا يهنا الشامتون، هلك سيّد المسلمين، و أفضل المهاجرين، و ابن عمّ النبي ﷺ، أما و الذي لا إله إلّا هو، لو أعلم الشامت منكم، لتقرّبت إلى الله عزّ و جلّ بسفك دمه، و تعجيله إلى النار، قوموا فبايعوا الحسن بن عليّ. فقام الناس فبايعوا. و أقام يومه ذلك، ثم غدا منها منصرفاً إلى الكوفة، و غدا أبو هريرة يصليّ بالناس، و رجع بسر فأخذ على طريق السماوة حتى أتى الشام. قال و أقبل جارية، حتى دخل على الحسن بن عليّ ﷺ، فضرب على يده فبايعه و عزّاه. و قال ما يجلسك سر يرحمك الله إلى عدوك قبل أن يسار إليك.

فقال لو كان الناس كلّهم مثلك، سرت بهم.

و عن القاسم بن الوليد، أنّ عبيد الله بن العباس، و سعيد بن نمران، قدما على عليّ ﷺ، و كان عبيد الله عامله على صنعاء. و سعيد عامله على الجند، خرجا هاربين من بسر، و أصاب [بسر] ابني عبيد الله، لم يدركا الحنث، فقتلها. فال و كان أمير المؤمنين يجلس كلّ يوم في موضع من المسجد الأعظم، يستحبّ به بعد الغداة إلى طلوع الشمس، فلما طنعت، نهض إلى المنبر، فضرب بإصبعيه على راحته و هو يقول ما هي إلّا الكوفة أقبضها و أبسطها [ثم أنشد]:
لعمر أبيك الخير يا عمرو أنّي
على وضر من ذا الإناء قليل

و من حديث بعضهم أنّه قال إن لم تكوني إلّا أنت تهبّ أعاصيرك، فقبّحك الله.

ثم قال أيّها الناس ألا إنّ بسرا قد أطلع اليمن و هذا عبيد الله بن العباس، و سعيد بن نمران، قدما عليّ هاربين، و لا أرى هؤلاء إلّا ظاهرين عليكم لاجتماعهم على باطلهم، و تفوّككم عن حقّكم، و طاعتهم لإمامهم، و معصيتكم لإمامكم، و أداءهم الأمانة إلى أصحابهم، و خيانتكم إياي، وليّت فلانا فخان و غدر، و احتمل فيء المسلمين إلى مكة، و وليّت فلانا فخان و غدر، و فعل مثلها، فصرت لا آتمنكم على علاقة سوط.

و إن نديتكم إلى السّير إلى عدوكم في الصّيف، قلتم أمهلنا ينسلخ الحرّ عنا، و إن نديتكم في الشتاء، قلتم أمهلنا ينسلخ القرّ عنا.

اللهم إني قد مللتهم و ملّوني، و سئمتهم و سئمتوني، فأبدلني بهم من هو خير لي منهم، و أبدلهم بي من هو شرّ لهم مني. اللهم أمث قلوبهم ميت الملح في الماء^(١).

و عن عبد الله بن الحارث بن سليمان عن أبيه قال قال عليّ ﷺ:

(١) و قريباً منه جداً، رواه الشريف الرضيّ ﷺ في المختار: (٢٤) من كتاب نهج البلاغة.

لا أرى هؤلاء القوم إلّا ظاهرين عليكم بتفرّقكم عن حقّكم، واجتماعهم على باطلهم، فإذا كان عليكم إمام يعدل في الرعيّة، ويقسم بالسويّة، فاسمعوا له وأطيعوا فإنّ الناس لا يصلحهم إلّا إمام برّ أو فاجر. فإن كان برّاً فللراعي والرعيّة، وإن كان فاجراً عبد المؤمن ربه فيها، وعمل فيها الفاجر إلى أجله.

[ألا] وإنيكم ستعرضون بعدي على سيّي والبراءة منّي، فمن سيّتي فهو في حلّ من سيّي، ولا يتبرأ مني، فإنّ ديني الإسلام.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي، أنّ الناس تلاقوا وتلاوموا، ومشت الشيعة بعضها إلى بعض، ولقي أشراف الناس بعضهم بعضاً، فدخلوا على عليّ عليه السلام، فقالوا يا أمير المؤمنين، اختر منّا رجلاً، ثم ابعث معه إلى هذا الرجل جنداً، حتى يكفّيك أمره، ومرنا بأمرك فيما سوى ذلك، فإنّك لن ترى منّا شيئاً تكرهه ما صحتنا. قال فإنّي قد بعثت رجلاً إلى هذا الرجل، لا يرجع أبداً حتى يقتل أحدهما صاحبه، أو ينفيه، ولكن استقيموا لي فيما أمركم به، وأدعوكم إليه من غزو الشام وأهله.

فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني، فقال يا أمير المؤمنين، واللّه لو أمرتنا بالمسير إلى قسطنطينية، روميّة، مشاة، حفاة، على غير عطاء ولا قوة، ما خالفتك أنا ولا رجل من قومي. قال فصدقتكم جزاكم الله خيراً.

ثم قام زياد بن حفصة، ووعلة بن مخدوع [و] قالوا نحن شيعتك يا أمير المؤمنين، التي لا تعصيك، ولا تخالفك، فقال أجل أنتم كذلك. فتجهّزوا إلى غزو الشام.

فقال الناس سمعاً وطاعة.

فدعا [أمير المؤمنين] معقل بن قيس الرياحي، وسرّحه في حشر الناس من السواد إلى الكوفة، [فخرج معقل لإنفاذ أمره]، وامتل ما أمره به، ثم كرّ راجعاً إلى الكوفة، ولم يصل إليها حتى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام (١).

قال وروي أنّه اجتمع ذات يوم بسر وعبيد الله بن العباس عند معاوية، فقال ابن عباس لمعاوية أنت أمرت هذا القاطع البعيد الرحم، القليل الرحم بقتل ابني فقال معاوية ما أمرته ولا هويت. فضضب بسر، ورمى بسيفه وقال قدّلتني هذا السيف، وقلت اخبط به الناس، حتى إذا بلغت من ذلك، قلت ما هويت، ولا أمرت. فقال معاوية خذ سيفك، إنك لعاجز حين تلقي سيفك بين يدي رجل من بني عبد مناف، [و] قد قتلت ابنه. فقال ابن عباس أراني كنت قاتله بهما فقال ابن لعبيد الله ما كنّا نقتل بهما إلّا يزيد وعبيد الله ابني معاوية، فضحك معاوية وقال ما ذنب يزيد وعبد الله.

بيان: قال الجوهري النقيب النفس. يقال فلان ميمون النقيبة. إذا كان مبارك النفس. [و] قال ابن السكيت إذا كان ميمون الأمر، ينجح فيما حاول ويظفر. وقال ثعلب إذا كان ميمون المشورة. انتهى.

وراغ الثعلب روعاً ذهب يئنة ويسرة في سرعة وخديعة.

وسخره تسخيراً أكلفه عملاً بلا أجره وكذلك تسخره.

والإغذاذ في السير الإسراع. وتداغت الحيطان للخراب. أي تهدمت.

٧٤٨- وقال ابن أبي الحديد كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ عليه السلام، حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم به: لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من عقيل بن أبي طالب سلام الله عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو: أنا بعد، فإنّ الله جارك من كلّ سوء، وعاصمك من كلّ مكروه، وعلى كلّ حال. إنّي خرجت إلى مكّة معتمراً، فقلت عبد الله بن سعد بن أبي سرح، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم. فقلت إلى أين يا أبناء الشانين، أبعاوية تلحقون عداوة والله منكم قديماً، غير مستنكر، تريدون بها إطفاء نور الله، وتبديل أمره. فأسمعني القوم، وأسمعهم.

(١) الحديث رواه البلاذري بسياق أجود مما هنا في الحديث: (٥١٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من أنساب الأشراف: ج ١، ص ٤٣٤، وفي ط ١: ج ٢ ص ٤٧٧.

فلما قدمت مكة، سمعت أهلها يتحدثون أَنَّ الضحَّاك بن قيس، أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالها ما شاء، ثم انكفأ راجعاً سالماً. فأفَّ لحياء^(١) في دهر جرأ عليك الضحَّاك، و ما الضحَّاك فقع بقرقر، وقد توهمت حيث بلغني ذلك، أَنَّ شيعتك و أنصارك خذلوك، فاكْتُب إليَّ يا ابن أُمِّي برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحمَّلت إليك ببني أخيك و ولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، و متنا معك إذا متَّ، فوالله ما أحبُّ أن أبقي في الدنيا بعدك فواقا، و أقسم بالأعزِّ الأجلِّ، أن عيشاً نعيشه بعدك في الحياة، لغير هنيء و لا مريء و لا نجيع و السَّلام عليك و رحمة الله و بركاته.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّخْفَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عليَّ أمير المؤمنين، إلى عقيل بن أبي طالب، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أمّا بعد، كلَّنا الله و إيَّاك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنَّه حَمِيدٌ مَّجِيدٌ. قد وصل إليَّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدِي، تذكرك فيه أنَّك لقيت عبد الله ابن [سعد بن] أبي سرح، مقبلاً من «قديد» في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء، متوجَّهين إلى جهة الغرب، و إن ابن أبي سرح، طال ما كاد الله و رسوله و كتابه، و صدَّ عن سبيله و بغاها عوجاً، فدع ابن أبي سرح، و دع عنك قريشا و خَلْهم و تركاضهم في الضلال و تجوالهم في الشقاق.

ألا و إنَّ العرب قد اجتمعت على حرب أخيك اليوم، اجتماعها على حرب النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقَّه، و جحدوا فضله و بادءوه العداوة، و نصبوا له الحرب، و جهدوا عليه كلَّ الجهد، و جرَّوا إليه جيش الأحزاب. اللهم فاجز قريشا عتْيَ الجوازي فقد قطعت رحمي، و تظاهرت عليَّ، و دفعتنني عن حقِّي، و سلبتنني سلطان ابن أُمِّي، و سلَّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول، و سابقتني في الإسلام، إلَّا أن يدَّعي مدَّع ما لا أعرفه، و لا أظنَّ الله يعرفه، و الحمد لله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحَّاك على أهل الحيرة، فهو أقلُّ و أدلُّ من أن يلمَّ بها، أو يدنو منها، و لكنَّه قد كان أقبل في جريدة خيل، فأخذ على السماء، حتى مر بواقصة و شراف و الطلْقَطَانَة، فما والى ذلك الصَّعَق^(٢)، فوجَّهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك قرَّ هارباً، فأتبعوه، فلحقوه ببعض الطريق، و قد أمعن، و كان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوش القتال قليلاً كلاً و لا، فلم يصبر لوقع المشرفية، و ولَّى هارباً، و قتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، بعد ما أخذ منه بالمخنق، فلا يابلاً ما نجا.

و أمّا ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه فإنَّ رأيي جهاد المحلِّين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس معي عزة، و لا تفرِّقهم عتْيَ وحشة لأتْي محق، و الله مع المحقِّ. و الله ما أكره الموت على الحقِّ، و ما الخير كلَّه إلَّا بعد الموت، لمن كان محقّاً.

و أمّا ما عرضت به مسيرك إليَّ ببنيك و بني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فوالله ما أحبُّ أن تهلكوا معي إن هلكت، و لا تحسبن ابن أُمِّك و إن أسلمه الناس متخشعاً، و لا متضرَّعاً، إنَّه لكما قال أخو بني سليم فإن تسأليني كيف أنت فإبتي
يغرَّ عليَّ أن ترى بي كآبة
صبور على ريب الزَّمان صليب
فيشتم عاد أو يساء حبيب

٧٤٩- أقول روى السيّد رضي الله عنه في النهج، بعض هذا الكتاب هكذا^(٣):

فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك، شرَّ هارباً، و تكص نادماً. فلحقوه ببعض الطريق، و قد طلَّقت الشمس للإياب، فاقْتَلَوْا شيئاً كلاً و لا، فما كان إلَّا كموقف ساعة، حتَّى نجا جريضاً، بعد ما أخذ منه بالمخنق، و لم يبق منه غير الرَّمَق، فلا يابلاً ما نجا.

فدع عنك قريشا و تركاضهم في الضلال، و تجوالهم في الشقاق، و جماعهم في التَّيه، فإنَّهم قد أجمعوا على

(١) هذا هو الصواب المذكور في غير واحد من المصادر.

(٢) لعلَّ هذا هو الصواب، وفي أصلي: «إلى الصَّعَق».

(٣) رواه الشريف الرضي رحمته الله في المختار: (٣٦) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

حربي، كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي. فجزت قريشا عتي الجوازي فقد قطعوا رحمي، و سلبوني سلطان ابن أُمي.

وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال، فإن رأيي قتال المحلّين حتّى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرّقهم عتي وحشة، ولا تحسّين ابن أبيك و لو أسلمه الناس متضرّعا متخشّعا، ولا مقررا للظّيم واهنا، ولا سلس الزّمام للقائد ولا وطني الظّهر للرّاكب المقتد، ولكنّه كما قال أخو بني سليم، ثم ذكر البيتين.

بيان: قوله «فقع بقرقر» لعلّه خبر «إنّ»^(١)، وقوله «وما الضّحّاك» معترضة.

وقال الجوهري الفقع ضرب من الكماة. وكذلك الفقع بالكسر. ويشبه به الرجل الذليل فيقال هو فقع قرقر لأنّ الدّوابّ تنجّله بأرجلها. قال النّابغة يهجو النعمان بن المنذر.

حدّثوني بني الشّقيقة
ما يمنع فقعا بقرقر أن يزولا

وقال القرقر القاع الأمّلس. والفواق بالفتح والضم ما بين الحلبيين من الوقت. والتركاض والتجوال بفتح التاء فيهما مبالغتان في الركض والجولان. والركض تحريك الرجل، وركضت الفرس برجلي حتّثته لبعدها، ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا. والواو فيهما يشبه أن يكون بمعنى مع، ويحتمل العاطفة.

واستمار لفظ الجمّاح، باعتبار كثرة خلافهم للحقّ، وحركاتهم في تيه الجهل، والخروج عن طريق العدل، من قولهم جمّح الفرس إذا اعتزّز راكمه و غلبه. ويحتمل أن يكون من جمّح، بمعنى أسرع كما ذكره الجوهري.

وقوله ﷺ «فجزت قريشا عني الجوازي»، الجوازي جمع جازية، أي جزت قريشا عني بما صنعت كلّ خصلة من نكبة، أو شدّة، أو مصيبة، أي جعل الله هذه الدّواهي كلّها، جزاء قريش بما صنعت.

وقال ابن أبي الحديد «سلطان ابن أُمي» يعني به الخلافة، وابن أمّه، هو رسول الله ﷺ لأنّهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن مخزوم، أمّ عبد الله وأبي طالب، ولم يقل سلطان ابن أبي، لأنّ غير أبي طالب من الأعمام، تشركه في النسبة إلى عبد المطلب.

وقال الراوندي يعني نفسه لأنّه ابن أمّ نفسه، ولا يخفى ما فيه.

وقيل لأنّ فاطمة بنت أسد كانت تربي رسول الله ﷺ حين كفله أبو طالب، فهي كالأمّ له.

ويحتمل أن يكون المراد «سلطان أخي» مجازا ومبالغة في تأكّد الأخوة التي جرت بينه وبين النبي ﷺ وإشارة إلى حديث المنزلة، وقوله تعالى حكاية عن هارون «يا ابن أُمّ إنّ السّفوم اشتّعتفوني» وقد مرّ بعض ما يؤيّد هذا الوجه.

واقصة موضع بطريق الكوفة، واسم مواضع أخرى. وشراف كقطام موضع وماء لبني أسد أو جبل عال، وكرباب ماء. والقطاط والقططاة والتقطط موضع الأصرة بالكوفة، كانت سجن النعمان بن المنذر.

إقوله ﷺ [«فما والى ذلك» أي قاربه. ويقال أمعن الفرس، أي تباعد في عدوه. وقال الجوهري تطفيل الشّمس ميّها للغروب. والطفل بالتحريك بعد العصر إذا طفلت الشّمس للغروب. والإياب الرجوع، أي الرجوع إلى ما كانت عليه في اللّيلة التي قبلها. وقال الجوهري أبت الشّمس لغة في غابت، وتفسير الراوندي بالزوال بعيد.

وقال الجوهري المناوشة في القتال، وذلك إذا تدانى الفريقان. والتناوش التناول.

قوله ﷺ «شيئا كلا ولا» قال ابن أبي الحديد أي شيئا قليلا كلا شيء. وموضع «كلا ولا». نصب لأنّه صفة «شيئا»، وهي كلمة يقال لما يستقصّر جدا. والمعروف عند أهل اللغة «كلا وذا»، قال ابن هاني المغربي.

وأُسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا وذا

(١) بناء على ما كان في أصل المصنّف أعلى الله مقامه، والظاهر أنّه من سهو الكاتب أو الراوي والصواب الموافقة لمصادر وثيقة: «فأنت لحياة...».

وفي شعر الكميت:

كلا وكذا [تغميضة ثم هجتم

لدى حين أن كانوا إلى النوم أقرا]

وقد رويت في نهج البلاغة كذلك، إلّا أن في أكثر النسخ «كلا ولا»، ومن الناس من يرويه «كلا ولا» وهي حرف أجري مجرى «ليس»، ولا يجيء إلّا مع حين، إلّا أن يحذف في شعر. ومن الرواة من يرويه «كلا ولاي». ولاي. فعل معناه أبطأ.

وقال ابن ميثم قوله ﷺ «كلا ولا»، تشبيه بالقليل السريع الفناء، وذلك لأنّ «لا ولا» لفظان قصيران قليلان في المسموع، واستشهد بقول ابن هاني.

أقول ويحتمل أن يكون المعنى شيئا كلا شيء، وليس بلا شيء، أو يكون العطف للتأكيد. والموقف هنا مصدر.

والمشرقية بالفتح سيوف نسبت إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب.

وفي النهاية الجرض بالتحريك أن تبلغ الروح الحلق. والإنسان جريض. وفي الصحاح الجرض بالتحريك الرّيق يَغْضُ به، يقال جرض بريقه ابتلع ريقه على همّ وحزن بالجهد. والجريض الغضة. ومات فلان جريضا أي مغموما.

وقال خنقه وأخنقه وخنّقه، وموضعه من العنق، مختنق. يقال بلغ منه المختنق، وأخذت بمختنقه وخنقه أي حلقه.

وقال ابن ميثم «لأيا» مصدر، والعامل محذوف. وما مصدرية في موضع الفاعل، والتقدير فلأيا لأيا نجاؤه، أي عسر وأبطأ. وقوله «بلاي» أي مقرونا بلأي، أي شدة بعد شدة.

وقال الكيدري «ما» زائدة. وتقدير الكلام فنجا لأيا، أي صاحب لأي، أي في حال كونه صاحب جهد ومشقة متلبسة بمثلها، أي نجا في حال تضاعف الشدائد.

وقال الراوندي نصب «لأيا» على الظرف. وتفيد ما الزائدة في الكلام إبهاما، أي بعد شدة وإبطاء ونجا. قوله ﷺ «قتال المحلّين» أي البغاة. قال الجوهري أحلّ، أي خرج إلى الحلّ، أو من ميثاق كان عليه، ومنه قول زهير:

[جعلنا القنان عن يمين وحمى وحمى]

وكم بالقنان من محلّ ومحرم

وقال أسلمه، أي خذله.

قوله ﷺ «و لا مقرّا للصّيم» أي راضيا بالظلم، صابرا عليه. والسلس السهل، اللين المنقاد. «و لا وطى الظهر» أي متهيبا للركوب. ومقتعد البعير راكبه. والصليب الشديد.

٧٥٠- أقول روى ابن أبي الحديد من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي، كما رأيته في أصل كتابه، روى بإسناده عن جندب الأزدي، عن أبيه قال أوّل غارة كانت بالعراق، غارة الضخّاك بن قيس، بعد الحكمين، وقبل قتال النهروان وذلك أنّ معاوية لما بلغه أنّ عليّاً ﷺ بعد واقعة الحكمين، تحمّل إليه مقيلا هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكرا، وبعث إلى كور الشام، فصاح بها [فيها «خ ل»] إنّ عليّاً قد سار إليكم. وكتب إليهم نسخة واحدة، فقرئت على الناس أمّا بعد، فإنّا كنّا كتبنا بيننا وبين عليّ كتابا، وشرطنا فيه شروطا، وحكمنا رجلين يحكمان علينا وعليه بحكم الكتاب، لا يعدوانه، وجعلنا عهد الله وميثاقه على من نكث العهد، ولم يعض الحكم، وإنّ حكمي الذي كنت حكمته أثبتني، وإنّ حكمه خلعه، وقد أقبل إليكم ظالما. «فَنَنْ نَكْتُ قَانِنَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» تجهّزوا للحرب، بأحسن الجهاز، وأعدّوا آلة القتال، وأقبلوا خفافا وثقالا وكسالى ونشاطا، يسرنا الله وإياكم لصالح الأعمال.

فاجتمع إليه ناس من كلّ كورة، وأرادوا المسير إلى صفّين، فاستشارهم فاختلّفوا في ذلك، فمكثوا يعجلون الرأي يومين أو ثلاثة، حتى قدمت عليهم عيونهم، أنّ عليّاً ﷺ اختلف عليه أصحابه، ففارقته منه فرقة أنكرت أمر الحكومة، وأنّه قد رجع عنكم إليهم، فكثّر الناس سرورا لانصرافه عنهم، وما ألقى من الخلاف بينهم.

فلم يزل معاوية معسكرا في مكانه، حتّى جاء الخبر أنّ عليّاً ﷺ، قد قتل أولئك الخوارج، وأنّه أراد بعد قتلهم أن يقبل إليه بالناس، وأنّهم استنظروه ودافعوه، فسرّ بذلك هو ومن قبله من الناس.

و عن عبد الرحمن بن مسعدة قال جاءنا كتاب عمارة بن عقبة بن أبي معيط من الكوفة، و نحن معسكرون مع معاوية نتخوف أن يفرغ عليّ من خارجته، ثم يقبل إلينا، و كان في كتابه أما بعد فإنّ عليّاً خرج عليه عليه أصحابه و نساكهم، فخرج إليهم فقتلهم، و قد فسد عليه جنده و أهل مصره، و وقعت بينهم العداوة و تفرقوا أشدّ الفرقة، فأحببت إعلامك. و السّلام.

قال قرأه [معاوية] على أخيه و على أبي الأعور، ثم نظر إلى أخيه الوليد بن عقبة و قال لقد رضي أخوك أن يكون لنا عينا. قال فضحك الوليد و قال إنّ في ذلك أيضا لنفعا.

فبعد ذلك دعا معاوية الضّحّاك بن قيس الفهري، و قال له سر حتى تمرّ بناحية الكوفة، و ترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ، فأغر عليه، و إن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليهما، و إذا أصيحت في بلدة، فأمس في أخرى، و لا تقيمنّ لخيّل بلغك عنها أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف.

فأقبل الضّحّاك لنهب الأموال، و قتل من لقي من الأعراب، حتّى مرّ بالثعلبية فأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عيسى بن مسعود الذهلي و هو ابن أخي عبد الله بن مسعود فقتله في طريق الحاجّ، عند القطقطانة، و قتل معه ناسا من أصحابه.

فصعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر و قال:

يا أهل الكوفة اخرجوا إلى [العبد] الصالح عمرو بن عيسى و إلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف، اخرجوا فقاتلوا عدوكم، و امنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

فردّوا عليه ردّا ضعيفا و رأى منهم عجزا و فشلا فقال:

و الله لوددت أنّ لي بكل مائة منكم رجلا منهم، و يحكم اخرجوا معي، ثم فرّوا عني ما بدا لكم، فو الله ما أكره لقاء ربّي على نيتي و بصيرتي، و في ذلك روح لي عظيم، و فرج من مناجاتكم و معاناتكم و مقاساتكم و مداراتكم، مثل ما تدارى البكار العمدة، و الثياب المتهترئة، كلّما خيطت من جانب، تهتكت على صاحبها من جانب آخر.

ثم نزل، فخرج يمشي حتّى بلغ الغرّين، ثم دعا حجر بن عدي الكندي فعقد له راية على أربعة آلاف، فخرج حجر حتّى مرّ بالسماوة و هي أرض كلب، فلقي بها إمرا القيس بن عدي بن أوس الكلبي، و هم أصحاب الحسين بن علي عليه السلام، فكانوا أدّاءه في الطريق، و على المياه، فلم يزل مغدّا في إثر الضّحّاك، حتّى لقيه بناحية تدمر فواقعه فافتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الضّحّاك تسعة عشر رجلا، و قتل من أصحاب حجر رجلا، و حجز الليل بينهم، فمضى الضّحّاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له و لأصحابه أثرا، فكتب عقيل هذا الكتاب إليه عليه السلام في إثر هذه الواقعة.

٧٥١- و قال ابن أبي الحديد أيضا ذكر صاحب كتاب الغارات، أن النعمان بن بشير قدم هو و أبو هريرة على علي عليه السلام عند معاوية، بعد أبي مسلم الخولاني، يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية، ليقيدهم بعثمان. و إنما أراد أن يشهدا له عليه أهل الشام بذلك، و أن يظهرأ عذره، فلما أتيا، و أدّيا الرسالة، قال للنعمان حدثني عنك أنّت أهدى من قومك سبيلا يعني الانتصار. قال لا. قال فكل قومك قد اتبعني، إلّا شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة، فتكون أنت من الشّذاذ فقال النعمان أصلحك الله، إنّما جئت لأكون معك، و قد طمعت أن يجري الله تعالى بينكما صلحا، فإذا كان غير ذلك رأيك، فأبّي ملازمك^(١).

فأقام النعمان، و لحق أبو هريرة بالشام. و فر النعمان بعد أشهر منه عليه السلام إلى الشام، فأخذه في الطريق مالك بن كعب الأرحبي، و كان عامل علي عليه السلام بعين التمر، فتضرّع و استشفع [له قرظة عند مالك بن كعب] حتّى خلّى سبيله، و قدم على معاوية و خبر بما لقي و لم يزل معه.

(١) رواه إبراهيم الثقفي رحمه الله في الحديث: (١٦٣) من كتاب الغارات ص ٤٤٥ ط ١.

ورواه عنه أبي الحديد في شرحه على المختار: (٣٩) من كتاب نهج البلاغة: ج ١، ص ٤٨٤، ط الحديثية ببيروت، وفي ط الحديثية بمصر: ج ٢، ص ٣٠٣.

فلما غزى الضحّاك بن قيس أرض العراق، بعث معاوية النعمان مع ألفي رجل وأوصاه أن يستجنب المدن والجماعات، وأن لا يغير على مسلحة، وأن يجعل الرجوع، فأقبل النعمان حتّى دنا من عين التمر وبها مالك، ومع مالك ألف رجل، وقد أذن لهم فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلّا مائة أو نحوها، فكتب مالك إلى عليّ عليه السلام، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة المنسر من مناسر أهل الشام، إذا أظّل عليكم انجحرتم في بيوتكم وأغلقت أبوابكم، انجاز الضيعة في جحرها، والضيع في وجارها، الذليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل، أتّ لكم، لقد لقيت منكم ترحا ويحكم يوما أناجيكم، ويوما أناديكم، فلا أحرار عند النداء^(١)، ولا إخوان صدق عند اللقاء، أنا والله منيت بكم، صمّ لا تسمعون، بكم لا تقولون، عمي لا تبصرون فالحمد لله ربّ العالمين، ويحكم اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيك، فإنّ النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير، فانفضوا إلى إخوانكم لعلّ الله يقطع بكم من الكافرين طرفا.

ثم نزل.

فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم، فأمرهم أن ينفضوا ويحتوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئا. واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة أو دونها فقام عليه فقال:

ألا إني منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجب إذا دعوت، لا أبا لكم، ما تنتظرون بنصركم ربكم أما دين يجمعكم ولا حمية تحمّشكم أقوم فيكم مستصرخا، وأناديكم متفوتًا، فلا تسمعون لي قولا، ولا تطيعون لي أمرا، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثار، ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر، و تقاتلتم تناقل النضو الأدبر، ثم خرج إليّ منكم جنيد متذائب كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون.

ثم نزل فدخل منزله.

فقام عدي بن حاتم فقال هذا والله الخذلان، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين عليه السلام. ثم دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين إنّ معي من طي ألف رجل لا يعصوني، فإن شئت أن أسير بهم سرت. قال ما كنت لأعرض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس، ولكن اخرج إلى النخيلة وعسكر بهم. فخرج [عدي] فعسكر وفرض عليّ لكل رجل منهم سبعمائة. فاجتمع إليه ألف فارس، عدا طيّا أصحاب عدي. وورد عليه الخبر بهزيمة النعمان ونصرة مالك.

وروى عبد الله بن جوزة الأزدي قال كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان، وهو في ألفين و ما نحن إلّا مائة فقال لنا قاتلوهم في القرية واجعلوا الجدر في ظهوركم، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، واعلموا أنّ الله تعالى ينصر العشرة على المائة، والمائة على الألف، والقليل على الكثير. ثم قال إنّ أقرب من هاهنا إلينا من شيعة أمير المؤمنين قرظة بن كعب، ومخنف بن سليم، فاركض إليهما فأعلمهما حالنا، و قل لهما فلينصرنا.

فمررت بقرظة فاستصرخته، فقال إنّما أنا صاحب خراج، وليس عندي من أغنيته به فمضيت إلى مخنف، فسرح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلا، و قاتل مالك وأصحابه، النعمان وأصحابه إلى العصر، فأتيناه وقد كسر هو وأصحابه جفون سيوفهم، واستقبلوا الموت، فلو أبطأنا منهم هلكوا، فما هو إلّا أن رأنا أهل الشام وقد أقبلنا عليهم، أخذوا ينكصون عنهم ويرتفعون، ورأنا مالك وأصحابه، فشدوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية، فاستعرضناهم فصرعنا منهم رجلا ثلاثة، فظنّ القوم أنّ لنا مددا، وحال الليل بيننا وبينهم، فانصرفوا إلى أرضهم. وكتب مالك إلى عليّ أمّا بعد، فإنّه نزل بنا النعمان بن بشير في جمع من أهل الشام كالظاهر علينا، وكان عظم أصحابي متفرقين، وكنا للذي كان منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجلا مصلتين، فقاتلناهم حتى المساء، واستصرخنا مخنف بن سليم، فبعث إلينا رجلا من شيعة أمير المؤمنين وولده، فنعم الفتى، ونعم الأنصار كانوا، فحملنا على عدونا وشدنا عليهم، فأنزل الله علينا نصره، وهزم عدوه، وأعزّ جنده، والحمد لله ربّ العالمين، والسلام على أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

وعن أبي الطَّيْلِ قال، قال عليٌّ عليه السلام يا أهل الكوفة دخلت إليكم وليس لي سوط إلَّا الدرة، فرفعتوني إلى السوط، ثم رفعتوني إلى الحجارة، أو قال الحديد، أليسكم الله شيعا، وأذاق بعضكم بأس بعض، فمن فاز بكم فقد فاز بالقدح الأخيب.

و عن أبي صالح الحنفي قال رأيت عليًّا عليه السلام يخطب، و قد وضع المصحف على رأسه، حتَّى رأيت الورق يتقعقع على رأسه قال، فقال اللهم قد منعوني ما فيه، فأعطني ما فيه، اللهم قد أبغضتهم و أبغضوني، و مللتهم و ملّوني و حملوني على غير خلقي و طبيعتي و أخلاق لم تكن تعرف لي.

اللهم فأبدلني بهم خيرا منهم، و أبدلهم بي شرا متي. اللهم أمت قلوبهم ميث الملح في الماء.

و عن سعد بن إبراهيم عن ابن أبي رافع قال رأيت عليًّا عليه السلام قد ازدحموا عليه حتَّى أدما رجله، فقال اللهم قد كرهتهم و كرهوني، فأرحني منهم، و أرحهم مني.

وروى محمد بن فرات الجرمي، عن زيد بن علي عليه السلام قال قال علي عليه السلام في هذه الخطبة:

أيها الناس إني دعوتكم إلى الحق فتولّيت عني و ضربتكم بالدرة فأعيتوني. أما إنّه سيليككم بعدي ولا يرضون منكم بذلك حتّى يعذبونكم بالسياط و الحديد، فأما أنا فلا أعذبكم بهما، إنّه من عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة، و آية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمين حتّى يحلّ بين أظهركم، فأخذ العمال و عمّال العمال رجل يقال له يوسف بن عمر، و يقوم عند ذلك رجل ممّا أهل البيت فانصروه، فانه داع إلى الحق.

قال فكان الناس يتحدّثون أنّ ذلك الرجل هو زيد عليه السلام^(١).

بيان: أحشته أي أغضبه، و المستصرخ المستصر. و المتغوّث القاتل و اغوثاه. و الشار الدم و الطلب به، و قاتل حميك. ذكره الفيروز آبادي.

و البجررة صوت يرده البعير في حنجرته، و أكثر ما يكون ذلك عند الإعياء و التعب. و السرر داء يأخذ البعير في سرته، يقال منه جمل أسرّ. و النضو البعير المهزول. و الأدير الذي به دبر وهي القروح في ظهره. و الجنيد تصغير الجند.

و قال السيّد الرضّي رضي الله عنه «متذائب» أي مضطرب، من قولهم تذايبت الريح أي اضطرب هبوبها، و منه سبي الذئب لاضطراب مشيه.

أقول: أورد السيّد في النهج قوله عليه السلام «ألا إني منيت إلى قوله وَ هُمْ يَنْظُرُونَ»^(٢).

٧٥٢- و قال ابن أبي الحديد نقلا من كتاب الغارات، لإبراهيم بن محمد الثقفي و وجدته في أصل كتابه أيضا روى بإسناده عن عمرو بن محصن أنّ معاوية لما أصاب محمد بن أبي بكر بمصر، بعث عبد الله بن عامر الحضرمي إلى أهل البصرة ليدعوهم إلى نفسه، و إلى الطلب بدم عثمان، فلما أتاهم و قرأ عليهم كتاب معاوية اختلّفوا، فبعضهم ردّوا، و أكثرهم قبلوا و أطاعوا. و كان الأمير يومئذ بالبصرة، زياد بن عبيد، قد استخلفه عبد الله بن العباس، و ذهب إلى علي عليه السلام يعزّيه عن محمد بن أبي بكر، فلما رأى زياد إقبال الناس على ابن الحضرمي، استجار من الأزدي و نزل فيهم، و كتب إلى ابن عباس و أخبره بما جرى فرفع ابن عباس ذلك إلى علي عليه السلام، و شاع في الناس بالكوفة ما كان من ذلك، و اختلف أصحابه عليه السلام فيمن يعينه إليهم حميّة فقال عليه السلام:

تناهوا أيها الناس، و ليردعكم الإسلام و وقاره عن التباغي و التهاوي، و لتجتمع كلمتكم، و الزموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، و كلمة الإخلاص التي هي قوام الدين، و حجة الله على الكافرين، و اذكّروا إذ كنتم قليلا مشركين متباغضين متفرقين قالف بينكم بالإسلام، فكثرتم و اجتمعتم و تحاببتم، فلا تفرقوا بعد إذ اجتمعتم، و لا تباغضوا بعد إذ تحاببتم، و إذا رأيتم الناس و بينهم النائرة و قد تداعوا إلى العشائر و القبائل فاقصدوا لهامهم و وجوههم بسيوفكم، حتّى يفرغوا إلى الله و كتابه و سنّة نبيّه، فأما تلك الحميّة فإنّها من خطوات الشياطين فانهوا عنها لا أبا لكم تفلحوا و تنجحوا.

(١) رواه الثقفي في الحديث (١٦٥) من كتاب الغارات ص ٤٥٨، ورواه عنه ابن أبي الحديد في آخر المختار: (٣٩) من نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضّي في المختار: (٣٩) من نهج البلاغة وأوله: «شئت بمن لا يطع إذا أمرت، ولا يجب إذا دعوت...».

ثم قال ابن أبي الحديد و روى الواقي أن علياً عليه السلام استفر بني تميم أتياما، لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي، و يرد عادية بني تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد فخطبهم و قال:

ليس من العجب أن ينصرني الأزد و يخذلني مضر. و أعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي، و خلاف تميم البصرة علي، و أن أستجد بطائفة منهم ما يشخص إلي أحد منها فيدعوه إلى الرشاد، فإن أجابت و إلّا فالمنابذة و الحرب. فكأنّي أخطب صما بكما لا يفقهون حوارا، و لا يجيبون نداء، كل ذلك جنبا عن البأس و حباً للحياة.

[و] لقد كنّا^(١) مع رسول الله ﷺ، نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّا إيمانا و تسليما، و مضيا على اللقم، و صبرا على مضض الألم، و جدّا في جهاد العدو.

و لقد كان الرجل منا و الآخر من عدونا يتصاولان يتصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا و مرة لعدونا منا. فلما رأى الله صدقنا، أنزل بعدونا الكعب، و أنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقيا جرانه، و متبونا أوطانه. و لعمرى لو كنّا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، و لا اخضر للإيمان עוד. و إيم الله لتحليلتها دما، و لتتبعها ندما.

قال فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي، فقال أنا إن شاء الله أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب، فأتكفل لك بقتل ابن الحضرمي، أو إخراجة عن البصرة.

فأمره بالتهيب للشخص، فشخص حتى قدم البصرة.

رجعنا إلى رواية الثقيفي، قال إبراهيم فلما قدمها دخل على زياد و هو بالأهواز مقيم، فرحب به و أجلسه إلى جانبه، فأخبره بما قال له علي عليه السلام، و إنّه ليكلّمه إذ جاءه كتاب من علي فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله أمير المؤمنين، علي إلى زياد بن عبيد سلام عليك، أما بعد، فإني قد بعثت أعين بن ضبيعة ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، فأربح ما يكون منه، فإن فعل و بلغ من ذلك ما يظن به، و كان في ذلك تفریق تلك الأبراش، فهو ما نحب، و إن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق و العصيان، فانهذ بمن أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم، فإن ظفرت فهو ما ظننت، و إلّا فطاولهم و ماظلمهم، فكان كتاب المسلمين قد أطلت عليك، فقتل الله الظالمين المفسدين، و نصر المؤمنين المحقّين و السلام^(٢).

فلما قرأه زياد، أقرأه أعين بن ضبيعة فقال له إني لأرجو أن تكفي هذا الأمر إن شاء الله.

ثم خرج من عنده فأتى رحله، فجمع إليه رجلا من قومه، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال يا قوم على ما ذا تقتلون أنفسكم، و تهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء و الأشرار و إني و الله ما جئتكم حتّى عبأت إليكم الجنود، فإن تبنوا إلى الحق نقبل منكم، و نكف عنكم، و إن أبيتم فهو و الله استيصالكم و يواركم.

فقالوا بل نسمع و نطيع فقال انهضوا اليوم على بركة الله، فنهض بهم على جماعة ابن الحضرمي، فخرجوا إليه فصافوه، و واقفهم عامّة يومه ينashدهم الله و يقول يا قوم لا تنكثوا بيعتكم، و لا تخالفوا إمامكم، و لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا، فقد رأيتم و جرّتم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيعتكم و خلافكم. فكفوا عنه، و هم في ذلك يشتمونه.

فانصرف عنهم و هو منهم منتصف فلما آوى إلى رحله، تبعه عشرة نفر يظنّ الناس أنّهم خوارج، فضرّبه بأسيا فهم و هو على فراشه، لا يظنّ أنّ الذي كان يكون، فخرج يشتدّ عريانا فلحقوه في الطريق فقتلوه.

فكتب زياد إلى علي عليه السلام ما وقع. و كتب إني أرى أن تبعث إليهم جارية بن قدامة، فإنّه نافذ البصرة، و مطاع العشيّة، شديد على عدو أمير المؤمنين عليه السلام، فلما قرأ الكتاب، دعا جارية فقال يا ابن قدامة تمنع الأزد عن عاملي و بيت مالي و تشاقتني مضر و تباذني، و بنا ابتدأها الله بالكرامة، و عزّها الهدى، و تدعو إلى المعشر الذين حادوا الله و رسوله و أرادوا إطفاء نور الله سبحانه حتى علت كلمته عليهم و أهلك الكافرين.

(١) من قوله ﷺ: «ولقد كنّا - إلى قوله - ولتتبعنا ندما» رواه السيّد الرضّي عليه السلام في المختار: (٥٥) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) قريبا منه رواه السيّد الرضّي رفع الله مقامه في المختار: (٤) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

فروى إبراهيم بإسناده عن كعب بن قعين قال خرجت مع جارية من الكوفة في خمسين رجلا من بني تميم، و ما كان فيهم يعاني غيري، وكنت شديد التشيع، فقلت لجارية إن شئت كنت معك، وإن شئت ملت إلى قومي. فقال بل سر معي، فوالله لوددت أن الطير والبهايم تنصرتني عليهم فضلا عن الإنس. فلما دخلنا البصرة، بدأ يزيد فحرب به وأجلسه إلى جانبه، و نجاه ساعة و ساء له ثم خرج فقام في الأزد فقال جزاكم الله من حي خيرا، ثم قرأ عليهم و على غيرهم كتاب أمير المؤمنين فإذا فيه:

من عبد الله أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم، أما بعد، فإن الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البينة، و لا يأخذ المذنب عند أول وهلة، و لكنه يقبل التوبة، و يستدبر الأناة، و يرضى بالإنيابة، ليكون أعظم للحجة، و أبلغ في العذرة.

وقد كان من شقاق جلكم أيها الناس، ما استحقتكم أن تعاقبوا عليه، فغفوت عن مجرمكم، و رفعت السيف عن مدبركم و قبلت من مقبلكم، و أخذت بيعتكم، فإن تفوا ببيعتي و تقبلوا نصيحتي و تستقيموا على طاعتي، أعمل فيكم بالكتاب و قصد الحق، و أقيم فيكم سبيل الهدى فوالله ما أعلم أن واليا بعد محمد ﷺ أعلم بذلك مني، و لا أعمل. أقول قولي هذا صادقا غير دأَمَ لمن مضى، و لا منتقضا لأعمالهم.

و إن خطت بكم الأهواء المردية، و سفه الرأي الجائر إلى منابذتي تريدون خلافي، فهذا أنا ذا قربت جيادي، و رحلت ركايب. و ايم الله لئن ألجأتوني إلى المسير إليكم، لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل عندها إلّا كلعقة لاقق، و إني لظان إن شاء الله أن لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا.

و قد قدّمت هذا الكتاب حجة عليكم، و ليس أكتب إليكم من بعده كتابا إن أنتم استغششتهم نصيحتي، و نابذتم رسولي، حتى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء الله و السلام.

فلما قرئ الكتاب على الناس، قام صبرة بن شيمان فقال سمعنا و أطعنا و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم سلم. إن فكيت. يا جارية قومك بقومك فذاك، و إن أحببت أن تنصرك نصرناك.

و قام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك، فلم يأذن [جارية] لأحد أن يسير معه و مضى نحو بني تميم و كلمهم فلم يجيبوه، و خرج منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه، فأرسل إلى زياد و الأزد يستصرخهم [و] يأمرهم أن يسيروا إليه فسارت الأزد بزياد.

وخرج إليهم ابن الحضرمي فاقتلوا ساعة، و اقتتل شريك بن الأعور الحارثي، و كان من شيعة عليّ ﷺ و صديقا لجارية [فقال له ألا أقاتل معك عدوك فقال بلى. فقاتلهم. فما لبث بنو تميم أن هزمهم و اضطروهم إلى دار سنبل السعدي، فحصره ابن الحضرمي فيها، و أحاط جارية و زياد بالدار و قال جارية عليّ بالنار. فقالت الأزد لسنّا من الحريق في شيء، و هم قومك و أنت أعلم. فحرق جارية الدار عليهم، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلا أحدهم عبد الرحمن بن عثمان القرشي. و سارت الأزد بزياد حتى أوطئوا قصر الإمارة و معه بيت المال، و قالت له هل بقي علينا من جوارك شيء. قال لا. فانصرفوا عنه.

و كتب زياد إلى أمير المؤمنين ﷺ أما بعد، فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع ابن الحضرمي بمن نصره، و أعانته من الأزد ففضّه و اضطّره إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله بينهم، فقتل ابن الحضرمي و أصحابه، منهم من أحرق، و منهم من ألقي عليه جدار، و منهم من هدم عليه البيت من أعلاه، و منهم من قتل بالسيف، و سلم منهم نفر ثابوا و تابوا فصفع عنهم و بعدا لمن عصى و غوى، و السلام على أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته.

فلما وصل الكتاب قرأه ﷺ على الناس فسرّ بذلك و سرّ أصحابه و أثنى على جارية و على الأزد و ذمّ البصرة فقال إنها أول القرى خرابا، إما غرقا و إما حرقا، حتى يبقى مسجدها كجوجوة سفينة^(١).

(١) وهذا الذيل قد تقدّم عن مصادر آخر.

والحديث رواه النقيّ تحت الرقم: (١٤٩) وما بعده من كتاب الغارات ج ١، ص ٤٠٢ - ٤١٠ ط ١.

٧٥٣- نهج: و من كلام له ﷺ لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، و كان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين و أعقهم فلما طالبه بالمال خاس به و هرب إلى الشام قُبِحَ الله مصقلة، فعل فعل السادة و فرّ فرار العبيد، فما أنطق مادحه حتى أسكنه، و لا صدق و اصفه حتى بكنه، و لو أقام لأخذنا مسوره و انتظرنا له وفوره^(١).

بيان:

أقول: قد مضى هذا الكلام و مضت قصته في أبواب أحوال الخوارج. و قال الشراح بنو ناجية ينسبون أنفسهم إلى قريش، و قريش تدفعهم عنه و ينسبونهم إلى ناجية، و هي أمهم، و قد عدّوا من المبغضين لعليّ ﷺ. واختلف^(٢) الرواية في سببهم، ففي بعضها أنه لما انتضى أمر الجمل دخل أهل البصرة في الطاعة غير بني ناجية، فبعث إليهم عليّ ﷺ رجلا من الصحابة في خيل ليقاتلهم، فأتاهم و قال لهم ما لكم عسكركم و قد دخل في الطاعة غيركم فافترقوا ثلاث فرق:

فرقة قالوا كنّا نصارى فأسلمنا و نبايع، فأمرهم فاعتزلوا.

و فرقة قالوا كنّا نصارى فلم نسلم و خرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا، قهرونا فأخرجونا كرها فخرجنا معهم فهزموا، فنحن ندخل فيما دخل الناس فيه، و نعطيكم الجزية كما أعطيتناهم. فقال اعتزلوا، فاعتزلوا.

و فرقة قالوا كنّا نصارى فأسلمنا و لم يعجبنا الإسلام فرجعنا فنعطيك الجزية كالنصارى. فقال لهم توبوا و ارجعوا إلى الإسلام، فأبوا، فقاتل مقاتلهم و سبي ذراريهم، فقدم بهم على أمير المؤمنين ﷺ.

و في بعضها أن الأمير من قبل عليّ ﷺ كان معقل بن قيس، و لما انتضى أمر الحرب لم يقتل من المرتدين من بني ناجية إلّا رجلا واحدا و رجع الباقون إلى الإسلام، و استرقّ من النصارى منهم الذين ساعدوا في الحرب و شهروا السيف على جيش الإمام، ثم أقبل بالأسارى حتى مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني، و هو عامل لعليّ ﷺ على أردشير خرة، و هم خمسمائة إنسان، فبكت إليه النساء و الصبيان، و تصايح الرجال و سألو أن يشتريهم و يعتقهم، فابتاعهم بخمسمائة ألف درهم. فأرسل إليه أمير المؤمنين أبا حرة الحنفي ليأخذ منه المال، فأدّى إليه مائتي ألف درهم و عجز عن الباقي فهرب إلى معاوية. فقيل له ﷺ اردد الأسارى في الرق. فقال ليس ذلك في القضاء بحق، قد عتقوا إذ أعقهم الذي اشتراهم، و صار مالي دينا عليه.

أقول فعلى الرواية الأولى كانوا من المرتدين عن الإسلام و لا يجوز سبي ذراريهم عندنا و عند الجمهور أيضا، إلّا أن أبا حنيفة قال بجواز استرقاق المرأة المرتدة إذا لحقت بدار الحرب.

و أيضا ما فيها من أنه قدّم بالأسارى إلى عليّ ﷺ، يخالف المشهور من اشتراء مصقلة عن عرض الطريق و قد قال بعض الأصحاب بجواز سبي البيعة، إلّا أن الظاهر أنه مع إظهار الكفر و الارتداد لا يبقى حكم البيعة. و الصحيح ما في الرواية الثانية من أن الأسارى كانت من النصارى.

[قوله] «و خاس به» أي غدر و خاف. و خاس بالوعد أي أخلف. «و قبّحه الله» أي نحاه عن الخير. و السادة جمع السيّد و يطلق على الرّب و المالك و الشريف و الفاضل و الكريم و الحليم و متحمّل الأذى من قومه و الرئيس و المقدم. قوله ﷺ «حتى أسكنه» قيل كلمة «حتى» تحتمل أن تكون بمعنى اللّام، أي أنه لم ينطق مادحه ليقصد إسكاته بهربه، فإن إسكاته لو قصد لا يتصوّر إلّا بعد إنطاقه، و هو لم يتم فعله الذي يطلب به إنطاق مادحه، فكيف يقصد إسكاته بهربه و يحتمل أن يكون المراد أنه لسرعة إتباعه الفضيلة بالذيلة، كأنه جمع بين غايتين متنافيتين.

و التبيكت التقرّيع و التعنيف و التوبيخ و استقبال الرجل بما يكره.

و الميسور ما يتسرّ. و قيل هو مصدر على مفعول. و قيل الغنى السعة. و الوفور بالضم مصدر و فر المال، ككرم «و

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (٤٤) من كتاب نهج البلاغة.
وللکلام مصادر أخر يجد الباحث بعضها في ذيل المختار: (٢٩٩) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٨٧ ط ١.
(٢) هكذا في الأصل، و الصحيح: و اختلفت.

وعد، أي تمّ وزاد. وفي بعض النسخ موفوره» وهو الشيء التام، أي انتظرنا حصول الموفور في يده. والغرض دفع
عذره في الهرب وهو توهم التشديد عليه.

٧٥٤- نهج: من خطبة له (١):

اللهم أيمّا عبد من عبادك سمع مقالنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة، فأبى بعد
سمعه لها إلّا النكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإنّا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة، و
نستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسمواتك، ثم أنت بعد، المغني عن نصره والأخذ له بذنبه.

بيان: قال ابن ميثم هذا الفصل من خطبة كان يستنهض الله بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام، قاله
بعد تقاعد أكثرهم عن معاوية.

و «ما» في «أيمّا» زائدة مؤكدة. وفي وصف المقالة بالعادلة لتوسع. والنكوص الرجوع قهقري.
«فإنّا نستشهدك» أي نسألك أن تشهد عليه. «ثم أنت بعد» أي بعد تلك الشهادة عليه.

٧٥٥- نهج: من كلام له (٢) يحث فيه أصحابه على الجهاد:

والله مستأديكم شكره، وموّرّتكُم أمره، ومهلكم في مضمار ممدود لتتنازعا سيقه. فشدوا عقد المآزر، و
اطبوا فضول الخواصر لا تجتمع عزيمة ووليمة ما أنقض التوم لعزائم اليوم، وأمحي الظلم لتذاكير الهمم.

توضيح: الاستبداء طلب الأداء. والأمر هو الملك والغلبة، كما قال تعالى «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» الآية.

و المضمار مدة تضيير الفرس وموضعه. وفتر بالميدان أيضا. والمراد مدة التكليف والحياة أو
دار الدنيا. والسبق بالفتح كما في النسخ المصدر. وبالتحريك ما يتراهن عليه. والصّمر راجع إليه
سبحانه كالسوابق، أو إلى المضمار.

والعقد جمع العقدة بالضم، وهي موضع العقد. قال ابن أبي الحديد أي شروا عن ساق الاجتهاد. ويقال
لمن يوصى بالجد والتشمير اشد عقد إزارك. لأنّه إذا شدّها كان أبعد من العثار وأسرع للمشي.

وقوله «واطبوا فضول الخواصر» نهي عن كثرة الأكل، لأنّ الكثير الأكل لا يطوي فضول خواصره،
والقليل الأكل يأكل في بعضها ويطوي بعضها. انتهى.

وقيل من شرع في أمر بجد واجتهاد يطوي ما فضل من أزراره، ويلتف بقدميه في خاصرته، و
يجعله محكما فيها. فهذه أيضا كناية عن الجد والاجتهاد.

وقال الكيدري وجدت في نسخة صحيحة «اطبوا فضول الخواصر». والطرشق والقطع، أي اقطعوا
من ثيابكم ما فضل ويزاد على بدنكم. وهو كناية عن المبالغة في التشمير عن ساق الجد. انتهى.

والوليمة طعام العرس أو كلّ طعام صنع لدعوة، والمعنى إنّ العزيمة الجازمة تنافي الاشتغال
بالملاذ، ولا تنال المطالب الجليلة إلّا بركوب المشاق.

و «ما أنقض التوم لعزائم اليوم» كثيرا ما يعزم الإنسان في النهار على المسير والارتحال في الليلة
المستقبلية لتقريب المنزل، فإذا جاء الليل نام واستراح وشقّ عليه القيام، أي ففاته ما عزم عليه من
السير، أو المراد فوت ما عزم عليه من مهمات الأمور في يومه بنوم الليلة التي قبله.

«والتذاكير» جمع التذكار بالفتح، وهو الذكر والحفظ للشيء. والمعنى ما أكثر ما بهمّ الإنسان و
يعزم على السير بالليل، فإذا أدركته ظلمة الليل، نام وما إلى الراحة ونسي ما عزم عليه، فأنمحي
واضحّل ما همته.

(١) رواه السيّد الرضی في المختار: (٢١٠) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه الشريف الرضی في المختار الأخير من باب خطب نهج البلاغة.

٧٥٦-٧٥٧-كتاب الغارات لإبراهيم النخعي عن محمد بن إسماعيل، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن أبي الوداك أن علي بن أبي طالب عليه السلام لما فرغ من حرب الخوارج، قام في الناس بنهروان خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال^(١):

أما بعد، فإن الله قد أحسن بكم وأحسن نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام. فقاموا إليه فقالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبأنا، وكلت سيوفنا، ونصلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً، أرجع بنا إلى مصرنا نستعد بأحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من هلك منا، فإنه أقوى لنا على عدونا. وكان الذي ولي كلام الناس يومئذ الأشعث بن قيس.

وعن إبراهيم بن العباس عن ابن المبارك الجبلي عن عيسى بن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن أنه قال سمعت علياً عليه السلام يقول ونحن بمسكن يا معشر المهاجرين «أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ» (المائدة) فبكوا (فتلكنوا «خ ل») وقالوا البرد شديد. وكان غزاتهم في البرد. فقال إن القوم يجدون البرد كما تجدون. قال فلم يفعلوا وأبوا، فلما رأى ذلك منهم قال أف لكم، إنها سنة جرت عليكم.

وسمعت أصحابنا عن أبي عوانة عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن قال قال علي عليه السلام «يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ» فاعتلوا عليه فقال أف لكم، إنها سنة جرت.

٤٧
٣٤

وعن إبراهيم بن العباس عن ابن المبارك عن بكر بن عيسى عن عمر بن عمير الهجري عن طارق بن شهاب إن علياً عليه السلام انصرف من حرب النهروان، حتى إذا كان في بعض الطريق نادى في الناس فاجتمعوا، فحمد الله وأثنى عليه ورغبهم في الجهاد ودعاهم إلى المسير إلى الشام من وجهه ذلك، فأبوا وشكوا البرد والجراحات، وكان أهل النهروان قد أكثروا الجراحات في الناس.

فقال إن عدوكم يألمون كما تألمون، ويجدون البرد كما تجدون فأعيوه وأبوا، فلما رأى كراهيتهم، رجع إلى الكوفة وأقام بها أياماً وتفرق عنه ناس كثير من أصحابه، فمنهم من أقام يرى رأي الخوارج، ومنهم من أقام شاكاً في أمرهم.

وعن محمد بن إسماعيل عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير بن وعلة عن أبي الوداك قال لما أكره علي الناس على المسير إلى الشام أقبل بهم حتى نزل النخيلة، وأمر الناس أن ينزلوا معسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلوا زيارة آبائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم.

وبهذا الإسناد عن أبي الوداك أن الناس [أ] قاموا بالنخيلة مع علي عليه السلام أياماً، ثم أخذوا يتسللون ويدخلون مصر. فنزل وما معه من الناس إلّا رجال من وجوههم قليل، وترك المعسكر خالياً، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر فلما رأى ذلك دخل الكوفة في استنفاره الناس^(٢).

٤٨
٣٤

وعن محمد بن إسماعيل عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير العبسي قال مرّ علي عليه السلام على الشغار من همدان فاستقبله قوم فقالوا أقتلت المسلمين بغير جرم، وداهنت في أمر الله، وطلبت الملك، وحكمت الرجال في دين الله لا حكم إلّا لله. فقال عليه السلام حكم الله في رقابكم، ما يحبس أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم، إنّي ميت أو مقتول، بل قتل، ثم جاء حتى دخل القصر.

وعن إبراهيم بن قادم عن شريك عن شعيب بن غرقدة عن المستظل بن حصين قال، قال علي عليه السلام يا أهل الكوفة، والله لتجدن ولتقاتلن على طاعته، أو ليسوستكم قوم أنتم أقرب إلى الحقّ منهم فليعدّبتكم وليعذبّتهم الله.

(١) رواه النخعي عليه السلام في الحديث (٦ - ٢٠) من كتاب الغارات: ج ١.
وكثيراً منها رواه ابن أبي الحديد - نقلاً عن نصر بن مزاحم - في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ١٧٩، وفي ط الحديفة ببيروت: ج ١، ص ٤١٠، وفي ط مصر: ج ٢، ص ١٩٣.
(٢) قوله (في استنفاره الناس) هو عنوان لما يتلوه في الأصل من الأحاديث.

وعن محمد بن إسماعيل عن يزيد بن معدل^(١) عن ابن وعلة عن أبي الوداك قال لما تفرّق الناس عن عليّ بالنخيلة ودخل الكوفة، جعل يستفهمهم على جهاد أهل الشام حتى بطلت الحرب تلك السنة.

وعن زيد بن وهب أنّ عليّاً^(٢) قال للناس وهو أوّل كلام له بعد النهروان وأمر الخوارج التي كانت فقال: يا أيّها الناس استعدّوا إلى عدوّ في جهادهم القربة من الله، وطلب الوسيلة إليه، حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، و موزعين بالكبر والجور، لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكّعون في غمرة الضلال، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على الله وكفّوا بالله وكفّوا بالله نصيراً. قال فلم ينفروا ولم ينتشروا، فتركهم أيّاماً حتى أيس من أن يفعلوا، ودعاهم وسهم وجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يبتطهم، فمنهم المعتلّ ومنهم المنكر وأقلّهم النشيط، فقام فيهم ثانية فقال:

عباد الله ما لكم إن أمرتكم أن تنفروا اثاقلتم إلى الأرض أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ثَوَاباً وبالذلّ والهوان من العزّ خلفاً وكلّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة، يرتج عليكم [حواري] فتبكون^(٣)، فكان قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون، وكان أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون، لله أنتم إنا أسود الشرى في الدّعة، ونعالب روَاعِة حين تدعون، ما أنتم بركن يضال به ولا زوافر عزّ يعتصم إليها.

لعمركم ليش حشاش نار الحرب أنتم. إنكم تكادون ولا تكيدون، وتنقص أطرافكم ولا تتحاشون، ولا ينأ عنكم وأنتم في غفلة ساهون. إن أخوا الحرب البقطان، أودى من غفل، ويأتي الذلّ من وادع، غلب المتخاذلون والمغلوب مقهور ومسلوب.

أما بعد، فإنّ لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق، فأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أمركم.

وأما حقّكم^(٣) عليّ فالنصيحة لكم ما صحتكم، والتوفير عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلموا، فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره، وترجعوا إلى ما أحبّ تنالوا ما تحبّون وتدركو ما تأملون.

وعن الفضل بن دكين عن أبي عاصم الثقفي عن أبي عون الثقفي قال جاءت امرأة من بني عَمِيس [عيس «خ»] وعليّ^(٤) على المنبر فقالت يا أمير المؤمنين ثلاث بلبلن القلوب [عليك] قال وما هنّ قالت رضاؤك بالقضيّة، وأخذك بالدينّة، وجزعك عند البليّة. قال ويحك إنما أنت امرأة، انطلقني فاجلسي على ذلك. قالت لا والله ما من جلوس إلّا في ظلال السيوف.

وبإسناده عن بكر بن عيسى أنّ عليّاً^(٥) كان يخطب الناس ويحضّهم على المسير إلى معاوية وأهل الشام، فجعلوا يتفرّقون عنه، ويتناقلون عليه ويعتلّون بالبرد مرّة وبالحرّ أخرى.

وبإسناده عن [قيس بن] أبي حازم قال سمعت عليّاً^(٦) يقول: يا معشر المسلمين، يا أبناء المهاجرين انفروا إلى أئمة الكفر وبقية الأحزاب وأولياء الشيطان، انفروا إلى من يقاتل على دم حتال الخطايا!!!!

فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً. قال إبراهيم وحدثنا بهذا الكلام من قول أمير المؤمنين^(٧) غير واحد من العلماء.

وعن إسماعيل بن أبان الأزدي عن عمرو بن شمر عن جابر عن رفيع عن فرقد البجلي قال سمعت عليّاً^(٨) يقول لا ترون يا معاشر أهل الكوفة والله لقد ضربتكم بالذرة التي أعظ بها السفهاء فما أراكم تنتهون، ولقد ضربتكم بالسيّاط التي أقيم بها الحدود فما أراكم ترعون، فما بقي إلّا سيفي، وإني لأعلم الذي يقوّمكم بإذن الله، ولكني لا أحبّ أن آتي تلك منكم.

(١) كذا في أصلي، وفي الفارات: زيد بن معد النمرى.

(٢) كذا في الأصل المطبوع عدا ما وضعناه بين المعقوفين. وفي المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: «يُرتج عليكم حواري تَتَمَهَّوْنَ». وفي الأصل المطبوع: فتبكون.

(٣) هذا هو الظاهر من السياق، وفي أصلي: «وإنّ حقّكم عليّ...».

و العجب منكم و من أهل الشام، إن أميرهم يعصي الله و هم يطيعونه، و إن أميركم يطيع الله و أنتم تعصونه!
 إن قلت لكم انفروا إلى عدوكم إني أيام الحرّ، قلت هذه حمارة القيظ^(١). و إذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشتاء
 قلت الحرّ يمنعا. أفترّون عدوكم لا يجدون الحرّ كما تجدونه و لكنكم أشبهتم قوما قال لهم رسول الله ﷺ انفروا في
 سبيل الله فقال كبارهم لا تفرّوا في الحرّ. فقال الله لنبيه «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ».
 و الله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، و لو صبيت الدنيا بحذافيرها على الكافر
 ما أحبّني و ذلك أنّه قضى فأنقضى على لسان النبي الأمي «أنّه لا يبغضك مؤمن و لا يحبك كافر» و قدّ خاب من
 حَمَلٍ ظُلْمًا و افترى^(٢).

يا معاشر أهل الكوفة، و الله لتصيرنّ على قتال عدوكم، أو لیسطن الله عليكم قوما أنتم أولى بالحق منهم،
 فليعذبنكم و ليعذبهم الله بأيديكم أو بما شاء من عنده. أَمَن قَتْلُهُ بالسيف تحيدون إلى مَوتَةٍ على الفراش فاشهدوا
 أني سمعت رسول الله ﷺ يقول [«موتة على الفراش أشدّ من ضربة ألف سيف أخبرني به جبرائيل» فهذا جبرائيل
 يخبر رسول الله ﷺ بما تسمعون.

و عن محرز بن هشام عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي قال كان أشرف أهل الكوفة غاشين لعلّي، و كان
 هوامم مع معاوية و ذلك أنّ عليّاً كان لا يعطي أحدا من الفتي أكثر من حقّه، و كان معاوية جعل الشرف في العطاء
 ألّفي درهم.

و عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أنّ أهل دومة الجندل من كلب لم يكونوا في طاعة عليّ و لا معاوية، و
 قالوا نكون على حالنا حتى يجتمع الناس على إمام. قال فذكرهم معاوية مرّة فبعث إليهم مسلم بن عقبة فسألهم
 الصدقة و حاصرهم، فبلغ ذلك عليّاً فبعث إلى مالك بن كعب فقال استعمل على «عين التمر» رجلا و أقبل إليّ.
 فولّاه عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي و أقبل إلى عليّ ففسّرحه في ألف فارس، فما شعر مسلم بن عقبة إلّا
 و مالك بن كعب إلى جنبه نازلا، فتوافقا قليلا ثم اقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل، حتى إذا كان من الغد صلّى مسلم بأصحابه ثم
 انصرف، و قام مالك ابن كعب إلى دومة الجندل يدعومهم إلى الصلح عشرا فلم يفعلوا، فرجع إلى عليّ.

و بإسناده عن أبي الكنود عن سفيان بن عوف العامدي قال دعاني معاوية فقال إني باعثك في جيش كثيف فالزم
 لي جانب الفرات حتى تمرّ بهيت فتقطعها، فإن وجدت بها جندا فأغر عليهم، و إلّا فامض حتى تغير على الأنبار، فإن
 لم تجد بها جندا فامض حتى تغير على المدائن، ثم أقبل إليّ و اتق أن تقرب الكوفة، و اعلم أنّك إن أغرت على أهل
 الأنبار و أهل المدائن، فكأنك أغرت على الكوفة، إنّ هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق تهرب قلوبهم، و تجزئ
 كلّ من كان له فينا هوى منهم، و يرى فراقهم، و تدعو إلينا كلّ من كان يخاف الدوائر، و خزّب كلّ ما مررت به، و
 اقتل كلّ من لقيت من ليس هو على رأيك، و حرب^(٣) الأموال فإنّه شبيه بالقتل و هو أوجب للقلوب.

قال فخرجت من عنده و عسكرت، و قام معاوية و ندب الناس إلى ذلك، فما مرّت بي ثلاثة حتى خرجت في
 سنة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفرات فأسرعت السّير حتى مررت بهيت، فبلغهم أنّي قد غشيتهم فقطعوا الفرات،
 فمررت بها و ما بها عريب^(٤). كأنّها لم تحل قطّ فوطنتها حتى مررت بصندوداء، فتنافروا فلم ألق بها أحدا، فمضيت
 حتى أفتّحت الأنبار و قد أنذروا بي، فخرج إليّ صاحب المسلحة فوقف لي، فلم أقدم عليه حتى أخذت غلمانا من أهل
 القرية فقلت لهم خيرونّي كم بالأنبار من أصحاب عليّ قالوا عدّة رجال المسلحة خمسمائة، و لكنهم قد تبدّوا و
 رجعوا إلى الكوفة و لا تدري الذي يكون فيها قد يكون ماتني رجل. قال فنزلت فكتبت أصحابي كتابا، ثم أخذت
 أبغتهم إليه كتبية بعد كتبية، فيقاتلونهم و الله و يصيرون لهم و يطاردونهم في الأزقة فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم

(١) ما بين المعقوفين أخذناه من المختار: (٢٧) من نهج البلاغة.

(٢) ورواه أيضاً السيّد الرضّي في المختار: (٤٣) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

وانظر المختار: (٣٧٧) من نهج السعادة: ج ٢.

(٣) هذا هو الصواب، يقال: «حرب زيد عمراً حرباً» - على زنة نصر - سلبه ماله وتركه بلا شيء.

فعمرو حريب. وفي أصلي: «وخرّب الأموال». وفي الغارات: وأحرب.

(٤) يقال: ما بالدار مغرب أو عريب أي ما فيها أحد.

نحوا من مائتين ثم أتبعتهم الخيل، فلما مشى إليهم الرجال وحملت عليهم الخيل فلم يكن إلّا قليلا حتى تفرّقوا و قتل صاحبهم في رجال من أصحابه، فأتيته في نيف و ثلاثين رجلا فحملنا ما كان في الأنبار من أموال أهلها ثم انصرفت، فو الله ما غزوت غزوة أسلم و لا أقرّ للعيون و لا أسرّ للنفوس منها، و بلغني و الله أنّها أفزعت الناس. فلما أتيت معاوية فحدّثته الحديث على وجهه قال كنت و الله عند ظني بك. قال فو الله ما لبثنا إلّا يسيرا حتى رأيت رجال أهل العراق يأتون على الإبل هرابا من قبل عليّ عليه السلام.

و عن جندب بن غفيل قال و الله إنّي لفي جند الأنبار مع أنس بن حسان البكري، إذ صبحنا سفيان في كتاب تلعب الأبصار منها، فهاولنا و الله، و علصنا إذ رأيناهم أنّه ليس لنا بهم طاقة و لا يد، فخرج إليهم صاحبنا و قد تفرّقنا، فلم يلقيهم نصفا و لم يكن لنا بهم طاقة. و أيم الله لقد قاتلناهم ثم إنهم و الله هزمونا، فنزل صاحبنا و هو يتلو فيمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما يدّأوا يتديّلا ثم قال لنا من كان لا يريد لقاء الله و لا يطيب نفسا بالموت فليخرج عن القرية ما دما تقاتلهم فإنّ قتالنا إليّاهم شاغل لهم عن طلب هارب، و من أراد ما عند الله ف ما عند الله خير للأنبار.

ثم نزل في ثلاثين رجلا قال فهمت و الله بالنزول معه ثم إنّ نفسي أبت و استقدم هو و أصحابي فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله، فلما قتلوا أقبلنا منهمذين.

و بإسناده عن محمد بن مخنف أنّ سفيان بن عوف لما أغار على الأنبار قدم عالج من أهلها على عليّ عليه السلام فأخبره الخير فصعد المنبر فقال:

أيّها الناس إنّ أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار، و هو مغتر لا يظنّ ما كان فاختار ما عند الله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم، فإن أصبتم منهم طرفا أنكلتموهم عن العراق أبدا ما بقوا.

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلّموا أو يتكلّم متكلّم منهم بخير، فلما رأى صمتهم على ما في أنفسهم، خرج يمشي رجلا حتى أتى النخيلة، و الناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من الأشراف فقالوا ارجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك. فقال ما تكفونني و لا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله فرجع و هو واجم كتيب.

و دعا سعيد بن مسلم الهمداني فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف و قال اتبع هذا الجيش حتى تخرجهم من أرض العراق. فخرج على شاطئ الفرات في طلبه حتى إذا بلغ عانات، سرّح سعيد أمامه هانيّ بن الخطاب الهمداني فأتبع آثارهم حتى بلغ أداني أرض قنسرين و قد فاتوه ثم انصرف.

قال فلبث عليّ عليه السلام ترى فيه الكآبة و الحزن حتى قدم سعيد، فكتب كتابا و كان في تلك الأيام غليلا، فلم يطق القيام في الناس بكلّ ما أراد من القول، فجلس بباب السّدة التي تصل إلى المسجد و معه الحسن و الحسين و عبد الله بن جعفر، فدعا سعيدا مولاه فدفع الكتاب إليه، فأمره أن يقرأه على الناس، فقام سعيد حيث يسمع عليّ عليه السلام قراءته، و ما يرّد عليه الناس، ثم قرأ الكتاب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّخْنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي من المسلمين سلام عليكم. أمّا بعد، ف الحمد لله ربّ العالمين و سلام على الرّسولين، و لا شريك لله الأحد القيوم، و صلوات الله على محمّد و السّلام عليه في العالمين.

أمّا بعد، فإنّي قد عاتبتكم في رشدكم حتى سمعت، و واجعتوني بالهزم من قولكم حتى برمت هزءا من القول لا يعاد به، و خطلا لا يعزّ أهله، و لو وجدت بدّا من خطابكم و العتاب إليكم ما فعلت. و هذا كتابي يقرأ عليكم فردّوا خيرا و افعلوه، و ما أظنّ أن تفعل و الله المّشعّان.

أيّها الناس إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة.. إلى آخر ما مرّ و سيأتي بروايات مختلفة.

ثم قال فقام إليه رجل من الأزد يقال له حبيب بن عفيف أخذ بيد ابن أخ [له] يقال له عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف، فأقبل يمشي حتى استقبل أمير المؤمنين عليه السلام بباب السّدة، ثم جثا على ركبتيه و قال يا أمير المؤمنين، ها أنا ذا

لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنا بأمرك، فوالله لننفذن له ولو حال دون ذلك شوك الهراس وجرم الغضا حتى ننفذ أمرك أو نموت دونه فدعا لهما بخير وقال لهما أين تبلغان بارك الله عليكما ممّا تريد.

ثم أمر الحارث الأعور فنادى في الناس أين من يشري نفسه لرّبه، و يبيع ديناه بآخرتة، أصبحوا غدا بالرحبة إن شاء الله، و لا يحضرنا إلا صادق النّية في المسير معنا و الجهاد لعدوّنا. فأصبح بالرحبة نحو من ثلاثمائة، فلما عرضهم قال لو كانوا ألفا كان لي فيهم رأي.

قال و أتاها قوم يعتذرون و تخلف آخرون، فقال و جاء المعدّرون و تخلف المكذّبون.

قال و مكث ﷺ أياما باديا حزنه، شديد الكآبة، ثم إنّه نادى في الناس فاجتمعوا، فقام خطيبا فحمد الله و أنشئ عليه ثم قال:

أما بعد، أيها الناس فوالله لأهل مصركم في الأمصار، أكثر من الأنصار في العرب.

و ساق الحديث إلى آخر ما سيأتي برواية ابن الشيخ في مجالسه عن ربيعة بن ناجد [في أواخر هذا الباب].

و عن أبي مسلم قال سمعت علياً ﷺ يقول لو لا بقية المسلمين لهلكتم^(١).

و عن إسماعيل بن رجا الزبيدي أنّ علياً ﷺ خطبهم بعد هذا الكلام فقال بعد أن حمد الله و أنشئ عليه:

أيها الناس المجتمعة أبدانهم المتفرقة أهواؤهم، ما عزّ من دعاكم و لا استراح من قاساكم. كلامكم يوهن الصمّ الصلاب، و فعلكم يطعم فيكم عدوكم. إن قلت لكم سيروا إليهم في الحر. قلت أمهلنا ينسلخ عتّا الحرّ. و إن قلت لكم سيروا إليهم في الشتاء. قلت حتّى ينسلخ عتّا البرد. فعل ذي الدين المطول، من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب أصبحت لا أصدق قولكم، و لا أطعم في نصركم، فرّق الله بيني و بينكم أيّ دار بعد داركم تمنعون و مع أيّ إمام بعدي تقاتلون أما إنكم ستلقون بعدي أثرة تتخذها عليكم الضلّال سنة، فخر يدخل في بيوتكم، و سيف قاطع، و تمنون عند ذلك أنكم رأيتموني و قاتلتهم معي و قتلتم دوني و كأنّ قد.

و عن بكر بن عيسى أنّهم لما أغاروا بالسواد، قام عليّ ﷺ فخطب إليهم فقال أيّها الناس ما هذا فوالله إن كان ليدفع عن القرية بالسبعة نفر من المؤمنين تكون فيها.

و عن ثعلبة بن يزيد الحماني أنّه قال بينما أنا في السوق إذ سمعت مناديا ينادي الصّلاة جامعة، فجتأ أهرو و الناس يهرعون، فدخلت الرحبة فإذا عليّ ﷺ على منبر من طين مجصّص و هو غضبان، قد بلغه أنّ ناسا قد أغاروا بالسّواد، فسمعتة يقول أما و ربّ السماء و الأرض ثم ربّ السماء و الأرض، إنّه لعهد النبي ﷺ أنّ الأمة ستفدر بي. و عن المسيّب بن نجبة الفزاري أنّه قال سمعت علياً ﷺ يقول إنّي قد خشيت أن يدال هؤلاء القوم عليكم بطاعتهم إمامهم و معصيتكم إمامكم، و بأدائهم الأمانة و خيانتكم، و بصلاحهم في أرضهم و فسادكم في أرضكم، و باجتماعهم على باطلهم و تفرّقكم عن حقّكم حتّى تطول دولتهم و حتّى لا يدعو الله محرّما إلّا استحلّوه، حتّى لا يبقى بيت وبر و لا بيت مدر إلّا دخله جورهم و ظلمهم حتّى يقوم الباكيان، باك يبكي لدينه و باك يبكي لديناه، و حتّى لا يكون منكم إلّا نافع لهم أو غير ضارّ بهم و حتّى يكون نصرة أحدكم منهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه و إذا غاب سيّده، فإن آتاكم الله بالعافية فاقبلوا و إن ابتلاك فاصبروا فإنّ العاقبة للمتّين.

و عن يحيى بن صالح عن أصحابه أنّ علياً ﷺ ندب الناس عند ما أغاروا على نواحي السّواد، فانتدب لذلك شرطة الخميس، فبعث إليهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ثمّ وجههم فساروا حتّى وردوا تخوم الشام، وكتب عليّ ﷺ إلى معاوية:

إنك زعمت أنّ الذي دعاك إلى ما فعلت الطّلب بدم عثمان، فما أبعد قولك من فعلك. ويحك، و ما ذنب أهل الذّمة في قتل ابن عفّان و بأيّ شيء تستحل أخذ فيء المسلمين فانزع و لا تفعل و احذر عاقبة البغي و الجور. و إنّما مثلي و مثلك كما قال بلعاء لدرديد بن الصمة.

ماضي الجنان بمن تسرع مولع

مهلا درديد عن التسرع إنني

ماض على رغم العداة سميدع
يوما دريد فكلّ هذا يصنع
فتكون حيث ترى الهوان وتسمع

مهلا دريد عن السفاهة إنسي
مهلا دريد لا تكن لاقيتني
وإذا أهانك معشر أكرمهم

فأجابه معاوية أما بعد، فإنّ الله أدخلني في أمر عزلك عنه نائيا عن الحق، فقلت منه أفضل أملي، فأنا الخليفة المجموع عليه و لم تصب مثلي و مثلك، إنّا مثلي و مثلك كما قال بقاء حين صولح على دم أخيه ثم نكت فعتقه قومه فأنشأ يقول:

و قالت أما بيني و بينك من بلس
و ما أهلك الحانن و القدح الضرس^(١)
و لست بمرض بالدنيّة و الوكس
فما تأمرني بالهموم إذا أمسي

ألا أدنستنا من تدلّلها ملس
و قالت ألا تسعى فتدرك ما مضى
أ تأمرني سعد و ليث و جندع^(٢)
يقولون خذ وكسا^(٣) و صالح عشيّرة

قال جندب بن عبد الله الوائلي كان عليّ عليه السلام يقول أما إنكم ستلقون بعدي ثلثا ذلا شاملا، و سيفا قاتلا، و أثره يتخذها الظالمون عليكم سنة، فستذكرونني عند تلك الحالات فتتمون لو رأيتموني و نصرتوني و أهرقتم دماءكم دون دمي فلا يبعد الله إلّا من ظلم.

وكان جندب بعد ذلك إذا رأى شيئا مما يكرهه قال لا يبعد الله إلّا من ظلم.

وعن عمرو بن قعين^(٤) قال دعا معاوية يزيد بن شجرة الزهاوي فقال إني مسرّ إليك سرّا فلا تطلعنّ على سرّي أحدا حتى تخرج من أهل الشام كلّها، إني باعثك إلى أهل الله و إلى حرم الله و أهلي و عشيرتي و يبضي التي انفلتت عني، و فيها جلّ من قتل عثمان و سفك دمه، فسر على بركة الله حتى تنزل مكة فإنّك الآن تلاقي الناس هناك بالموسم، فادع الناس إلى طاعتنا و اتّباعنا فإن أجابوك فاكف عنهم و اقبل منهم، و إن أدبروا عنك فنادهم و ناجهم و لا تقاثلهم حتّى تبلغهم أني قد أمرتك أن تبلغ عني، فإنهم الأصل و العشيرة و إني لاستيقانهم محبّ و لاستيصالهم كاره ثم صلّ بالناس و تولّ أمر الموسم.

فقال له يزيد إنك وجهتي إلى قوم الله و مجمع الصالحين، فإن رضيت أن أسير إليهم و أعمل فيهم برأيي و بما أرجو أن يجمعك الله و إياهم به سرت إليهم، و إن كان لا يرضيك عني إلّا الغشم و تجريد السيّف و إخافة البري، و ردّ العذرة فلست بصاحب ما هناك، فاطلب لهذا الأمر غيري.

فقال له سر راشدا فقد رضيت برأيك و بسيرتك، و كان رجلا ناسكا يتألّه و كان عثمانيا و كان ممن شهد مع معاوية صفين.

فخرج [ابن شجرة] من دمشق مسرعا و قال اللهم إن كنت قضيت أن يكون بين هذا الجيش الذي وجهت، و بين أهل حرمك الذي وجهت إليه قتال فاكفنيه، فإني لست أعظم قتال من شرك في قتل عثمان خليفتك المظلوم و لا قتال من خذله و لكني أعظم القتال في حرمك الذي حرمت.

فخرج يسير و قدّم أمامه الحارث بن نمير، فأقبلوا حتّى مرّوا بوادي القرى ثم أخذوا على الجحفة ثم مضوا حتّى قدّموا مكة في عشر ذي الحجة.

و عن عيّاس بن [سهل بن] سعد الأنصاري قال لما سمع قثم بن العباس بدوهم منه قبل أن يفضلوا من الجحفة و كان عاملا لعليّ عليه السلام على مكة، فقام في أهل مكة و ذلك في سنة تسع و ثلاثين، فحمد الله و أثنى عليه و دعاهم إلى الجهاد و قال:

يَبْئَا لي ما في أنفسكم و لا تغرّوني. فسكت القوم مليا فقال قد بيّنت لي ما في أنفسكم. فذهب لينزل فقام شبيبة

(١) في الغارات: العانن. وهو جمع عاني: الأسير. والقدح: الأكل في الشجر و الأسنان وغيرها. والفرس: اشتداد الزمان.

(٢) وفي الأصل: وحذح.

(٣) الوكس: النقصان والخسة. وفي الغارات: «عقلا». والعقل الدية. وفيها أيضاً: يأمروني.

(٤) رواه الطفيّ في كتاب الغارات بعنوان: غارة يزيد بن شجرة الزهاوي، وفيه: عن جابر بن عمرو بن قعين.

بن عثمان فقال رحمك الله أيها الأمير لا يقيح فينا أمرك ونحن على طاعتنا وبيعتنا وأنت أميرنا وابن عمّ خليفتنا فإن تدعنا نجيبك فيما أطقنا ونقدر عليه.

فقرَّب [قثم] دوابه وحمل متاعه وأراد التنحي من مكة، فأثاه أبو سعيد الخدري وقال ما أردت قال قد حدث هذا الأمر الذي بلغك وليس معي جند أمتنع به، فرأيت أن أعزل عن مكة فإن يأتي جند أقاتل بهم، وإلا كنت قد تنحيت بدمي. قال له أي لم أخرج من المدينة حتى قدم علينا حاج أهل العراق وتجّارهم يخبرون أن الناس بالكوفة قد ندبوا إليك مع معقل بن قيس الرياحي. قال هيهات هيهات يا أبا سعيد إلى ذلك ما يعيش أولادنا. فقال له أبو سعيد رحمك الله فما عذرك عند ابن عمك، وما عذرك عند العرب انتهزت قبل أن تطعن وتضرب فقال يا أبا سعيد إنك لا تهزم عدوك ولا تمنع حريمك بالمواعيد والأمانى اقرأ كتاب صاحبي فقرأه أبو سعيد فإذا فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى قثم بن العباس سلام عليك. أما بعد، فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ يخبرني أنّه قد وجّه إلى الموسم ناس من العرب، من العمي القلوب، الصّمّ الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلبسون الحقّ بالباطل، ويطيعون المخلوقين في معصية الخالق، ويجلبون الدنيا بالدين، ويتمنون على الله جوار الأبرار، وإنّه لا يفوز بالخير إلّا عامله، ولا يجزى بالسّيئ إلّا فاعله.

وقد وجهت إليكم جمعا من المسلمين ذوي بسالة ونجدة مع الحسيب الصليب الورع التقّي معقل بن قيس الرياحي، وقد أمرته باتباعهم وقصّ آثارهم حتى ينفيهم من أرض الحجاز. قم على ما في يديك مما إليك مقام الصليب الحازم المانع سلطانه الناصح للأمة، ولا يبلغني عنك وهن ولا خور وما تعتذر منه، وطّن نفسك على الصبر في البأساء والضراء، ولا تكوننّ فشلا ولا طائشا ولا رعيديا والسلام.

فلما قرأ أبو سعيد الكتاب قال قثم ما ينفعني من هذا الكتاب وقد سمعت بأن قد سبقت خيلهم خيله وهل يأتي جيشه حتّى ينقضي أمر الموسم كلّهُ؟

فقال له أبو سعيد إنك إن أجهدت نفسك في مناصحة إمامك خرجت من اللاتمة، وقضيت الذي عليك من الحقّ، فإنّ القوم قد قدموا وأنت في الحرم، والحرم حرم الله.

فأقام قثم وجاء يزيد بن شجرة حتّى دخل مكة، ثم أمر مناديا فنادى في الناس ألا إنّ الناس كلّهم آمنون، إلّا من عرض لنا في علمنا وسلطاننا وذلك قبل التروية بيوم.

فلما كان ذلك مشيت قريش والأتصار ومن شهد الموسم من الصّحابة وصلحاء الناس فيما بينهما وسألتهما أن يصطلحا، فكلاهما سرّه ذلك الصلح، فأما قثم فإنّه لم يبق بأهل مكة ولا رأى أنّهم يناصرونه، وأما يزيد فكان رجلا متنسكا وكان يكره أن يكون منه في الحرم شرّ.

وعن عمرو بن محسن قال قام يزيد بن شجرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أهل الحرم ومن حضره فإنّي وجهت إليكم لأصلي بكم وأجمع وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقد رأيت والي هذه البلدة كره الصلّة معنا ونحن للصلّة معه كارهون فإن شاء اعتزلنا الصلّة بالناس واعتزلها وتركنا أهل مكة يختارون لأنفسهم من أحبوا حتّى يصلي بهم فإن أبي فأنا أب وأب والذي لا إله غيره لو شئت لصليت بالناس وأخذته حتّى أُرده إلى الشام وما معه من يمنعه ولكن والله ما أحبّ أن أستحلّ حرمة هذا البلد الحرام.

قال ثم إنّ يزيد بن شجرة أتى أبا سعيد الخدري فقال رحمك الله الق هذا الرجل فقل له لا أب لغيرك اعتزل الصلّة بالناس واعتزلها ودع أهل مكة يختاروا لأنفسهم فوالله لو أشاء لبعثت وإياهم ولكن والله ما يحملني على ما تسمع إلا رضوان الله واحترام الحرم فإنّ ذلك أقرب للتقوى وخير في العاقبة. قال له أبو سعيد ما رأيت من أهل المغرب أصوب مقالا ولا أحسن رأيا منك.

فانطلق أبو سعيد إلى قثم فقال ألا ترى ما أحسن ما صنع الله لك وذكر له ذلك فاعتزلا الصلّة واختار الناس شبيهة بن عثمان فصلّى بهم.

فلما قضى الناس حجتهم رجع يزيد إلى الشام، وأقبلت خيل علي عليه السلام فأخبروا بعود أهل الشام، فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القرى، فظفروا بنفر منهم وأخذوهم أسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا إلى أمير المؤمنين، ففادى بهم أسارى كانت له عند معاوية^(١).

وقال إبراهيم قال أمير المؤمنين عليه السلام لأهل الكوفة:

ما أرى هؤلاء القوم يعني أهل الشام إلّا ظاهرين عليكم، قالوا تعلم بما ذا يا أمير المؤمنين قال أرى أمورهم قد غلت، وأرى نيرانكم قد خبت، وأراهم جاذبين وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبه طائعين وأراكم لي عاصين.

وأيّم الله لئن ظهروا عليكم لتجدنهم أرباب سوء من بعدي، كأنّي أنظر إليهم قد شاركوكم في بلادكم وحملوا إلى بلادهم فينكم.

وكانّي أنظر إليكم يكش بعضكم على بعض كشيش الضباب، لا تمنعون حقاً ولا تمنعون لله حرمة، وكانّي أنظر إليهم يقتلون قراءكم، وكانّي بهم يحرمونكم ويحبسونكم ويدنون أهل الشام دونكم، فإذا رأيتم الحرمان والأثرة وقع السيف، تندمتم وتحرّنتم على تفریطكم في جهادكم، وتذكرتم ما فيه من الحفظ حين لا ينفعكم التذكّار. وعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال سمعت علياً عليه السلام يقول ما لقي أحد من الناس ما لقيت. ثم بكى.

توضيح في النهاية فيه «كان في جوفي شوكة الهراس» هو شجر أو بقل ذو شوك. وفي القاموس الهراس كسحاب شجر شائك ثمره كالنقي. انتهى.

[قوله عليه السلام] «وكان قد» هذا من قبيل الاكتفاء أي وكان قد وقع هذا الأمر عن قريب. والسّميدع بالفتح السّيد الموطوء الأكثاف. ذكره الجوهري. وقال ضرست السهم إذا أعجمته. والوكس النقص قوله «إلى ذلك ما يعيش أولادنا» هذا استنباط للجيش أي يأتي المدد بعد أن قتلنا وأولادنا.

٧٥٨- نهج: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله تعالى لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنّة الوثيقة. فمن تركه ألبسه الله لباس الذلّ، وشمله البلاء، ودثّ بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالإسداد، وأدبل الحقّ منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع التّصف^(٢).

ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قطّ في عقر دارهم إلّا ذلّوا. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شتّت عليكم الغارات، وملكتم عليكم الأوطان. هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها.

ولقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلاندها ورعائها، ما تمنّعت منه إلّا بالاسترجاع والاسترحام، ثمّ انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم. فلو أنّ امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً.

فيا عجبا عجبا، والله يميّت القلب، ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم فحبها لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا يغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله فيكم وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ، قلتم هذه حجارة القيظ أمهلنا يستيخ عتّا الحرّ. وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صيّارة القَرّ أمهلنا ينسلخ عتّا البرد. كلّ هذا فرار من الحرّ والقَرّ، فإذا كنتم من الحرّ والبرد تغزون، فأنتم والله من السّيف أقرّ.

يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال، لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفة. والله جرّت ندماً وأعقبت دماً.

(١) وقصة يزيد بن شجرة ذكرها أيضاً البلاذري - ولكن أوجز مما هنا - في الحديث: (٥٠٢) من ترجمة أمير المؤمنين من كتاب أنساب الأشراف، ج ١، ص ٤٢٤ من المخطوطة، وفي ط ١ ج ٢، ص ٤٦١.
(٢) رواه السيّد الرضوي رحمه الله في المختار: (٢٧) من كتاب نهج البلاغة.

قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قبحا، و شحنتم صدري غيظا، و جرّعتوني نغب التهمام أنفاسا، و أفسدتم علي رأيي بالعصيان و الخذلان، حتّى قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب.
لله أبوهم، و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا، و أقدم فيها مقاما مني و لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، فما أنا ذا قد ذرّفت على السّتين، و لكّته لا رأي لمن لا يطاع.

٧٥٩-كا: أحمد بن محمد بن سعيد عن جعفر بن عبد الله العلوي و أحمد بن محمد الكوفي عن علي بن العباس عن إسماعيل بن إسحاق، جميعا عن فرج بن قرة عن مسعدة بن صدقة عن ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عنه رضي الله عنه مثله ^(١).

بيان:

قال ابن ميثم و غيره هذه الخطبة مشهورة، ذكرها أبو العباس المبرد و غيره ^(٢)، و السّبب المشهور لها، أنّه ورد عليه علاج من الأنبار فأخبره أن سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل معاوية إلى الأنبار، و قتل عامله حسان بن حسان البكري، فصدّد عليه السلام المنبر و خطب الناس و قال:

إِنَّ أَخَاكُمْ الْبَكْرِي قَدْ أَصِيبَ بِالْأَنْبَارِ فَاتَدَبُوا إِلَيْهِمْ حَتَّى تَلَاقَوْهُمْ، فَإِنْ أَصِيبَ مِنْهُمْ طَرَفًا أَنْكَلْتُمُوهُمْ عَنِ الْعِرَاقِ أَبَدًا مَا بَقُوا. ثُمَّ سَكَتَ رَجَاءً أَنْ يَجِيبُوهُ بِشَيْءٍ، فَلَمَّا رَأَى صَمْتَهُمْ نَزَلَ وَ خَرَجَ يَمْشِي رَاجِلًا حَتَّى أَتَى النَّخِيلَةَ وَ النَّاسُ يَمْشُونَ خَلْفَهُ، حَتَّى أَحَاطَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَ قَالُوا تَرْجِعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ نَحْنُ نَكْفِيكَ.
فَقَالَ مَا تَكْفُونِي وَ لَا تَكْفُونَ أَنْفُسَكُمْ. فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى رَدُّوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ.

فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية آلاف في طلب سفيان، فخرج حتى انتهى إلى أداني أرض قُتَيرين ورجع.
و كان عليه السلام في ذلك الوقت عليلًا لا يقوى على القيام في الناس بما يريد من القول، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد و معه الحسن و الحسين عليهما السلام و عبد الله بن جعفر، و دعا سعيدا مولاة فدفع إليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة، و أمره أن يقرأه على الناس بحيث يسمع و يسمعه.

و في رواية المبرّد أنّه لما انتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار و قتل حسان، خرج مغضبا يجرّ رداءه حتى أتى النخيلة و معه الناس و رقي رباوة من الأرض، فحمد الله و أثنى عليه و صلى على النبي صلى الله عليه و آله و سلم ثم ذكر الخطبة.

ولنرجع إلى الشرح و البيان:

قوله عليه السلام «باب من أبواب الجنة» روي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال للجنة باب يقال له باب المجاهدين، يمشون إليه فإذا هو مفتوح و هم متقلّدون بسببهم و الجمع في الموقف و الملائكة ترحب بهم.
و في الكافي «لخاصة أوليائه، و سوغهم كرامة منه لهم، و نعمة ذخرها، و الجهاد لباس التقوى»
فقوله عليه السلام «نعمة» عطف على «باب» أو على «كرامة».

قوله عليه السلام «و هو لباس التقوى» أي به يتقى في الدنيا من غلبة الأعداء، و في الآخرة من النار، أو هو يدفع المضارّ عن التقوى و يحرسها، أو عن أهلها يحذف المضار، و كونه تأويلا لقوله تعالى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ يحتاج إلى تكلف ما. «و درع الله» أي درع جعلها الله لحفظ عياده. و المراد درع الحديد و هي مؤنثة و قد تذكّر. و «الحصينة» الواقية. و الجنة بالضم. كلّ ما وقاك و استترت به. و الوثيقة المحكمة.

«فمن تركه» في الكافي «رغبة عنه» أي كراهة له بغير علّة.

إقوله عليه السلام «لباس الذلّ» الإضافة للبيان.

قوله عليه السلام «و شمله البلاء» ربما يقرأ بالتاء و هي كساء يغطي به، و الفعل أظهر كما هو المضبوط.
قوله عليه السلام «و ديت بالصغار» أي ذلّ كما مرّ الصغار الذلّ و الضيم. و القماء ممدودا الذلّ و الصغار.
ورواه الراوندي مقصورا و هو غير معروف. و في الكافي «القماء».

(١) رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في الحديث (٦) من الباب (١١) من كتاب الجهاد في الكافي ج ٥ ص ٤.

(٢) ذكرها المبرّد في أوائل كتاب الكامل ص ١٩، ولها مصادر آخر، مسندة في المختار: (٣١٢) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٥٤٠.

قوله ﷺ «و ضرب على قلبه بالإسداد» قال الفيروز آبادي و ضربت عليه بالسداد سَدَّت عليه الطرق، و عَمِيت عليه مَذاهِبه. و في بعض النسخ «بالإسهاب»، يقال أسهب الرجل على البناء للمفعول إذا ذهب عقله من أذى يلحقه.

«و أدبل الحقّ منه» أي يغلب الحقّ عليه فيصيبه الوسايل لترك الحقّ كقوله ﷺ في الصحيفة [السجّادية] «أدل لنا و لا تدلّ منا». و الإدالة الغلبة. و الباء في قوله بتضييع الجهاد للسهبة.

و قال في [مادة خسف من] النهاية في حديث عليّ ﷺ «من ترك الجهاد أبسه الله الذلّ و سيم الخسف».

الخسف نقصان و الهوان و أصله أن تحبس الدابة على غير علف، ثم استعير موضع الهوان. و سيم كلف و ألزم.

«و منع النصف» أي لا يتمكن من الانتصاف و الانتقام.

و عقر الشيء أصله و وسطه. و تواكل القوم اتكل بعضهم بعضا و ترك الأمر إليه.

و تخاذلوا، أي خذل بعضهم بعضا.

[قوله ﷺ]

«و شتّت» أي فرقت. قال ابن أبي الحديد ما كان من ذلك متفرقا نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة فهو بالشتين المعجمة، و ما كان إرسالا غير متفرق فبالسين المهملة.

و كلمة «على» في «ملكتم عليكم» تفيد الاستعلاء بالقهر و الغلبة، أي أخذوا الأوطان منكم بالقهر. «و أخو غامد» هو سفيان بن عوف الغامدي.

«و الأنبار» بلد قديم من بلاد العراق.

و حسان من أصحابه ﷺ كان و الياء عليه.

و المسالح جمع المسلحة و هي الحدود التي يرتب فيها ذوو الأسلحة لدفع العدو كالغفر.

و الحجل بكسر الحاء و فتحها الخلخال. و القلب بالضم السوار المصمت. و الرعاث جمع رعثة يفتح الراء و سكن العين و فتحها و هي القرط. و الرعاث أيضا ضرب من الحلي و الخرز.

و الاسترجاع قول أبنا لله و أبنا إليه راجعون و قيل ترديد الصوت في البكاء. و الاسترحام مناشدة الرحم، أي قول أنشدك الله و الرحم. و قيل طلب الرحم و هو بعيد.

قوله ﷺ «وافرين» أي تامين، يقال وفر الشيء أي تمّ. و وفرت الشيء أي أتممته. و في رواية المبرّد «موفورين» بمعناه. و الكلم الجراحة.

قوله ﷺ «فيا عجبا» أصله يا عجبي، أي احضر هذا أوانك. «و عجبا» منصوب بالمصدرية، أي أيها الناس، تعجبوا منهم عجبا. و القسم معترض بين الصفة و الموصوف. «و الترح» محرّكة ضدّ الفرح.

«و حمارة القيط» بتشديد الزاء شدة حرّه و ربّما خففت للضرورة في الشعر. «و صبرة الشتاء» بتشديد الزاء شدة برده.

و في القاموس تسخّ الحرّ قتر و سكن كسيخ تسييخا. و الحلوم جمع الحلم بالكسر و هو الإناء و العقل.

و «ربات الحجال» النساء، أي صواحبها أو اللاتي ربين فيها.

و في بعض النسخ ينصب «الحلوم و العقول» ففي الكلام تقدير، أي يا ذوي حلوم الأطفال، و ذوي عقول النساء. و في بعضها بضمها أي حلومكم حلوم الأطفال، و عقولكم عقول النساء.

قوله ﷺ «معرفة» يمكن أن يكون فعله محذوفا، أي عرفتمكم معرفة. «أعقب ذما» أي ذمي أياكم أو أياها. و في بعض النسخ «سدما» و هو بالتحريك الهم أو مع ندم أو غيظ. و «مقاتلة الله» كناية عن اللعن و الإبعاد. و «القبح» الصديد بلام.

قوله ﷺ «و شحنتم» أي ملأتم. و «النفب» جمع نغبة و هي الجرعة. و «التهمام» بفتح التاء الهم. «أنفاسا» أي جرعة جرعة.

قوله ﷺ «لله أبوه» كلمة مدح، ولعلها استعملت هنا للتعجب. و «المراس» بالكسر العلاج. والضمائر الثلاثة للحرب وهي مؤنثة وقد ذكر.

قوله ﷺ «ذرفت» بتشديد الراء أي زدت.

[٧٦٠-نهج:] و من خطبة له ﷺ (١)؛

أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أحوالهم كلامكم يوحي الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتُم حيدي حياد. ما عزّت دعوة من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم. أعاليل بأضاليل دفاع ذي الدين المطول. لا يمنع الضيم الذليل، و لا يدرك الحق إلّا بالجدّ.

أي دار بعد داركم تمنعون و مع أي إمام بعدي تقاتلون المغرور و الله من غررتموه و من فاز بكم [فقد] فاز [و] الله بالسهم الأخيب، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

أصبحت و الله لا أصدّق قولكم، و لا أطمع في نصركم، و لا أوعد العدو بكم.

ما بالكُم ما دواؤكم ما طبّكم القوم رجال أمثالكم. أقولا بغير علم و غفلة من غير ورع و طمعا في غير حقّ

٧٦١-شا: [و] من كلامه ﷺ في استبطاء من قعد عن نصرته (٢)؛

أيها الناس المجتمعة أبدانهم [و] ساق الخطبة الشريفة إلى قوله و فعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب.

ثم ساقها إلى قوله «سألتموني التأخير دفاع ذي الدين».

ثم ساق الكلام إلى قوله «أطمع في نصرتكُم فرق الله بيني و بينكم، و أبدلني بكم من هو خير لي منكم.

و الله لوددت أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلا من بني فراس بن غنم، صرف الدينار بالدرهم.

بيان: قال الشراح لما سمع معاوية اختلاف الناس على عليّ ﷺ، و تفرّقهم عنه، و قتله من قتل من الخوارج، بعث الصحّاح بن قيس في أربعة آلاف و أوعز إليه بالنّهب و الغارة، فأقبل [الصحّاح] يقتل و ينهب حتّى مرّ بالتمليّة و أغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، و قتل عمرو بن عيسى بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ، و قتل معه ناسا من أصحابه، فلما بلغ ذلك عليّا ﷺ، استصرخ أصحابه و استشارهم إلى لقاء العدو، فلتكئوا و رأى منهم فشلا، فخطبهم بهذه الخطبة.

والوهي الضّعف، و هي الحجر و السّقاء كوفي أي انشقّ. و أوهاء شقّه. و الصمّ و الصلاب من أوصاف الحجارة. و الصخرة الصّماء التي ليس فيها صدع و لا خرق. و «كيت وكيت» كناية عن القول.

قوله ﷺ «حيدي حياد» قال ابن أبي الحديد هي كلمة يقولها الهارب الفارّ، و هي نظير قولهم فيحي فياح أي اتّسعي.

و قال ابن ميثم حياد اسم للغارة، و المعنى اعدلي عنّا أيّتها الحرب.

و يحتمل أن يكون حياد من أسماء الأفعال كنزال فيكون قد أمر بالتّسحيّ مرّتين بلفظين مختلفين.

أقول قسم السيّد الرّضي رحمه الله صيغة «فعال» المنيّ إلى أربعة أقسام، و عدّ منها ما كانت صفة للمؤثّ غير لازمة للنداء، و عدّ من هذا القسم «حياد و فياح» و قال [معني] حيدي حياد أي ارجعي يا راجعة. و جعل حذف حرف النّداء عن «حياد» و أمثالها دليلا على أنّها أعلام للأجناس، و حينئذ لا يكون «حياد» اسما للغارة و لا بمعنى الأمر، و هي و أمثالها مبنية على الكسر.

و العزة الغلبة و الشّدة و في الإسناد إلى الدّعوة توسّع.

[قوله ﷺ] «و لا استراح» أي ما وجد الراحة. و «قاساه» كابه. و الباء في قوله ﷺ «بأضاليل» متعلّقة ب «أعاليل» أي يتعلّلون بالأضاليل التي لا جدوى لها.

و قال ابن ميثم رحمه الله «أعاليل و أضاليل» جمع أعلال و أضلال، و هما جمع علّة اسم ما يتعلّل به

(١) رواه السيّد الرّضي رفع الله مقامه في المختار: (٢٩) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الفصل (٤١) ما اختار من كلام أمير المؤمنين ﷺ في كتاب الإرشاد، ص ١٤٦.

من مرض وغيره. وصلة اسم الضلال وهو خبر مبتدأ محذوف، أي إذا دعوتكم إلى القتال تعلتكم، وهي أعالي باطلة صلة عن سبيل الله. قوله «دفاع» قال ابن ميثم يحتمل أن يكون تشبيها لدفاعهم بدفاع ذي الدين المطول، فيكون منصوبا بحذف الجار.

و يحتمل أن يكون استعارة لدفاعهم ليكون مرفوعا.

و «المطول» كثير المطال، وهو تطويل الوعد وتسويفه. و «الضيم» الظلم.

قوله «أي دار بعد داركم» أي دار الإسلام أو العراق، أي إذا أخرجكم العدو عن دياركم و مساكنتكم فمن أي دار أو في أي دار تمنعونهم؟

و في بعض النسخ «تمنعون» على التفعّل بحذف إحدى التاءين، أي بأي دار تنتفعون.

[قوله «المغرور» أي الكامل الغرور. أو ليس المغرور إلّا من غرّرتموه. والتعبير عن الابتلاء بهم بالفوز على التهكم.

و قال ابن ميثم و «الأخيب» أشدّ خيبة وهي الحرمان. و «السهم الأخيب» التي لا غنم لها في الميسر، كالثلاثة المسماة بالأوغاد، أو التي فيها غرم، كالثي لم تخرج حتى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم وخيبة. و يكون إطلاق الفوز على حصولها مجازا من باب إطلاق أحد الضدين على الآخر.

و «الأفوق» السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه. و «الناصل» الذي لا فصل فيه. و الإبعاد الوعيد في الشر غالبا كالوعد والعدة في الخير. و عدم الإبعاد إمّا لعدم الطمع في نصرهم، أو لعدم خوف العدو منهم. و البال الحال و الشأن.

قوله «ما طيكم» أي ما علاجكم. و قيل أي ما عادتكم. قوله «أقولا بغير علم» نصب المصادر بالأفعال المقدّرة وقولهم بغير علم [هو] قولهم «إنّا نفعل بالخصوم كذا وكذا» مع أنّه لم يكن في قولهم إرادة الحرب، أو دعواهم الإيمان والطاعة مع عدم الإطاعة، فكأنهم لا يدعون بما يقولون. و في بعض النسخ «أقولاً بغير عمل» وهو أظهر. و «غفلة» أي عتّا يصلحكم. «من غير ورع» يحجزكم عن محارم الله و ينهكم عن الغفلة.

و في بعض النسخ «وعفّة من غير ورع، وطعما في غير حق» [و] لعلّه «كان علم أنّ سبب تسويف بعضهم [هو] طمعهم في أن يعطيهم زيادة على ما يستحقّونه كما فعل معاوية والخلفاء قبله.

٧٦٢-نهج: [و] من خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام أفّ لكم لقد سئمت عتابكم. أرضيت بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا و بالذلّ من العزّ خلفا إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، و من الذهول في سكرة. يرتج عليكم حوارى فتعمهون فكأنّ قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بقلّة سجنيس اللّياي، و ما أنتم بركن يعال بكم و لا زوافر عزّ يفتقر إليكم. ما أنتم إلّا كابل ضلّ رعاتها، فكلمّا جمعت من جانب انتشرت من آخر^(١).

لبش لعمر الله سعر نار الحرب أنتم تكادون و لا تكيدون، و تنتقص أطرافكم فلا تمتعضون. لا ينأى عنكم و أنتم في غفلة ساهون [لاهن «خ»] غلب و الله المتخادلون.

وايم الله، إنّي لأظنّ بكم أن لو حمس الوغى، واستحزّ الموت، قد انفرجت عن ابن أبي طالب انفراج الرأس من الجسد. والله إن امرأ يمكن عدوّه من نفسه، يعرق لحمه، و يهشم عظمه، و يفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، أنت فكّن ذاك إن شئت، فأنا أنا فو الله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة يطير منه فراش الهام، و تطيح السواعد و الأقدام، و يتقلّ الله بعد ذلك ما يشاء.

أيها الناس إن لي عليكم حقّا، و لكم عليّ حقّ.

فأما حقكم [عليّ] فالنصيحة لكم، و توفير فينكم عليكم، و تعليمكم كيلا تجهلوا، و تأديبكم كيما تعلموا [تعلموا «خ»].

(١) رواه السيّد الرضیّ عليه السلام في المختار: (٣٤) من نهج البلاغة.

وأما حقّي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والتّصحيح في المشهد والمعيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم. بيان: روي أنّه ﷺ خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج، بالنهروان فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فإنّ الله تعالى قد أحسن نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام. فقالوا له قد نفدت نبالنا، وكلّت سيوفنا، ارجع بنا إلى مصرنا لنصلح عدّتنا، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك ممّا لنستعين به.

فأجابهم ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾. فتلكّوا عليه وقالوا إنّ البرد شديد. فقال [لهم] إنّهم يجدون البرد كما تجدون، ثمّ تلا قوله تعالى ﴿فَالْوَايَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا مُعِدُونٌ﴾.

فقام ناس منهم واعتذروا بكثرة الجراح في الناس، وطلبوا [منه] أن يرجع بهم إلى الكوفة أيتاما ثمّ يخرج [بهم]. فرجع بهم غير راض [بما اقترحوا] وأنزلهم النخيلة، وأمرهم أن يلزموا معسكرهم، وقلّوا زيارة أهلهم، فلم يقبلوا ودخلوا الكوفة حتّى لم يبق معه إلّا قليل، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب النّاس فقال:

أيّها النّاس استعدوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، قوم حياري عن الحقّ لا يبصرونه، موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به، وجفاة عن الكتاب، نكب عن الدّين، يعمهون في الطغيان، ويتسكعون في غمرة الضلالة، فأعدّوا لهم ما استلّغتم من قوّةٍ ومن رباطٍ أخيلٍ، وتولّوا على الله وكفّوا بالله وركبوا. فتركهم أيتاما ثمّ خطبهم بهذه الخطبة^(١).

و «أف» بالضمّ والتّشديد والتّثنية كلمة تضجّر وتكرّه، ولغاتا أربعون، منها كسر الفاء كما في بعض النّسخ.

و [وقوله ﷺ] «عوضا» و «خلفا» نصيبها على التّمييز. ودوران أعينهم إمّا للخوف من العدو، أو للحيرة والتّردّد بين مخالفته ﷺ والإقدام على الحرب، وفي كليهما خطر عندهم.

و الغمرة الشّدة. وغمرات الموت سكراته الّتي يغمر فيها العقل. و السكر بالفتح ضدّ الصّحو، و الاسم بالضمّ، و سكرة الموت شدّة وغشيته. و في الكلام إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَقْظِرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾.

«يرتج عليكم حواري» أي يغلق عليكم محاورتي ومخاطبتي. والألس الجنون واختلاط العقل. يقال السّ فهو مألوس.

[و] «سجيس اللّيلي» كلمة يقال للأبد، تقول لا أفعله سجيس اللّيلي، أي أبدا. [و] «يمال بكم» أي يستند إليكم و يمال بكم إلى العدو، أو الباء بمعنى إلى.

و زوافر الرجل أنصاره و عشيرته. و زفرت الحمل حملته. و [الفة «زوافر» في أكثر النسخ بالجرّ عطفًا على المجرور. و في بعضها بالتّصّب عطفًا على الظّرف.

و الإبل اسم للجمع. [و] «ضلّ رعاتها» أي ضاع و فقد من يعلم حالها والحيلة في جمعها، أو لم يهتد من يرهاها إلى طريق جمعها.

«لبّس لعمر الله» اللّام جواب القسم، و التكرير للتأكيد، و العمر بالفتح العمر هو قسم ببقاء الله. و السعر اسم جمع لساعر، و إيسار النّار و سورها إيقادها.

و الامتاعاض الضّرب. و «إيم» مخفّف أيمن. و هو جمع يمين، أي إيم الله قسمي. و «حمس» كفرح اشتدّ. و «الوغي» الأصوات والجلية، و منه قيل للحرب وغي. و «استحزّ الموت» أي اشتدّ و كثر.

[وقوله ﷺ] «قد انفرجت» أي تفرّقت، و انفراج الرأس مثل لشدة التّفوّق.

قيل أوّل من تكلم به أكثم بن ضيفي في وصيّة له [لبنيه قال] يا بني لا تتفرّجوا عند الشدائد انفراج الرأس فإنكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ.

و في معناه أقوال:

الأول قال ابن دريد معناه أنَّ الرأس إذا انفرج عند البدن لا يعود إليه.

الثاني قال المفضل الرأس اسم رجل تنسب إليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الرأس، وفيها تباع الخمر، وهذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد فُضرب به المثل.

الثالث قال بعضهم معناه أنَّ الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض، كان بعيداً عن الالتئام والعود إلى الصحة.

الرابع قيل معناه انفرجتم عني رأساً. و ردَّ بآن «رأساً» لا يعرف.

الخامس قيل المعنى انفراج رأس من أدنى رأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه.

السادس قيل الرأس الرجل العزيز لأنَّ الأعراء لا يبالون بمفارقة أحد.

السابع معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع، فأبته في غاية الشدة [و] نحوه قوله ﷺ في موضع آخر «انفراج المرأة عن قبلها». و بعده واضح.

وعرق اللحم كضر أكله ولم يبق منه على العظم شيئاً. وهشم العظم كضرب كسره. و فريت الشيء قطعت. و «الجوانح» الأضلاع التي تحت الترائب، وهي ممَّا يلي الصدر كالصلوع ممَّا يلي الظهر. «و ما ضمت عليه» هو القلب. و المذكورات كنايةات عن النهب والأسر والاستتصال وأنواع الضرر.

قوله ﷺ «فكن ذاك إن شئت» قال ابن أبي الحديد خاطب من يمكن عدوه من نفسه خطاباً عاماً، لكن الزواية وردت بأنه ﷺ خاطب بذلك الأشعث بن قيس، فإنه قال لعليّ ﷺ حين [كان] يولم الناس على تقاعدهم [عنه] «هلاً فعلت فعل ابن عَمَّان». فقال «إن فعل ابن عَمَّان مخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه، إن أرمأمكن عدوه من نفسه، يهشم عظمه، ويفري جلده لضعيف رأيه، مأفون عقله، فكن ذاك إن أحببت. فأما أنا فدون أن أعطي ذاك ضرب بالمشرفة» إلى آخر الفصل. انتهى.

أقول سبأتي تمام القول برواية المفيد.

[قوله ﷺ] «فأما أنا فوالله» الظاهر أنَّ خبر «أنا» الجملة التي خبرها «دون»، و المبتدأ [هو قوله] «ضرب». و [قوله] «ذلك» إشارة إلى تمكين العدو، أو فعل ما فعله عثمان.

و المشرفة بفتح الميم والراء سيوف منسوبة إلى مشارف اليمن. و فراش الهام العظام الرقيقة تلي القحف. و طاح يطيح أي سقط. و أوزعه بالشيء أغراه. و سكع كمنع و فرح مشى مشياً متعسفاً لا يدري أين يأخذ من بلاد الله و تحرير كتنسكع.

[قوله ﷺ «كيلا تجهلوا» أي [كي لا] يتقوا على الجهالة.

٧٦٣-٧٦٤-نهج: و من كلام له ﷺ في ذم أصحابه:

كم أداريكم كما تداري البكار العمدة، و الثياب المتداعية، كلِّما حيصت من جانب، تهتكت من أخرى. أكلِّما أظلم عليكم منسر من مناسر أهل الشام، أغلق كلَّ رجل منكم بابه، و انجر انجحار الضبة في جحرها، و الضبع في وجارها، الذليل و الله من نصرتموه، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

إنكم و الله لكثير في الباحات، قليل تحت الزايات. و إني لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم، و لكنِّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي، أضرع الله خدودكم، و أتسع جدودكم، لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، و لا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق.

وقال ﷺ في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ملكتي عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما ذا لقيت من أمثك من الأود والدِّد. فقال «ادع عليهم». فقلت أبدلني الله بهم خيراً لي منهم، و أبدلهم بي شراً لهم منِّي.

قال السيّد [الرضي] رضي الله عنه يعني ﷺ ب «الأود» الاعوجاج، و ب «الدِّد» الخصام. و هذا من أفصح الكلام.

إيضاح البكار بالكسر، جمع بكر بالفتح، و هو الفتى من الإبل. و العمدة بكسر الميم من العمد [و هو] الورم و الدبر. و قيل العمدة التي كسرها ثقل حملها. و قيل التي قد انشدخت أسنمتها من داخل

و ظاهرها صحيح. و الثَّيَاب المتداعية الخلقة التي تنخرق، فكأنه يدعو الباقي إلى الانخراق. و خاص الثَّوب يحوصه حوصا خاطه. و تهتكت أي تخزقت. و «أُظِّلْ عليكم» أي أُقْبِلْ إليكم و دنا منكم. و في بعض النسخ «[أُظِّلْ عليكم]» بالمهملة أي أشرف.

و المنسر كمجلس و كمئبر القطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكثير. و الجحر بالضم كل شيء يحفره السَّيَّاح و الهوامْ لأنفسها. و جحر الضَّب كمنع أي دخله. و جحره غيره أدخله فانجحر و تجحّر و كذلك أجحره. و الضَّب مؤنثة و جاحرها بالكسر جحرها.

و الأفوق المكسور فوق و التَّاصل الزَّوع النصل. و الباحة الساحة. و الراية العلم. و الأود بالتحريك العوج.

و المراد يصلحهم إقامة مراسم السَّياسة [فيهم] من القتل و التعذيب و الحيل و التدابير المخالفة لأمر الله تعالى.

و الضراعة الدَّلّ و الاستكانة. و التَّعَس الهلاك و الانحطاط. و الجدُّ البخت و الحظّ و الغرض. الدعاء عليهم بالخزي و الخيبة.

قوله ﷺ «لا تعرفون الحق» المراد بالحق إمّا أوامر الله تعالى، أو أمور الآخرة. و بالباطل زخارف الدُّنيا. أو الحق متابعتة ﷺ و نصره. و الباطل عصيانه و ترك نصرته. أو الحق الدلائل الدَّالة على فرض طاعته، و الباطل الشَّبه الفاسدة، كشبهتهم في خطر قتال أهل القبلة.

و[المراد ب] المعرفة إمّا العلم أو العمل بما يقتضيه من نصره الحق و إنكار المنكر. و السحرة بالضم السحر الأعلى. وملك العين كناية عن غلبة التَّوَم. و«سنح لي» أي رأيت في المنام، أو مرّ بي معترضا. و بناء التفضيل في [قوله ﷺ] «شرا» على اعتقاد القوم، فإنهم لما لم يطيعوه حق الطاعة، فكأنهم زعموا فيه شرا.

٧٦٥-نهج: من كلام له ﷺ «و لئن أمهل الله الظَّالم، فلن يفوت أخذه، و هو له بالمرصاد على مجاز طريقه، و بموضع الشَّجَا من مساع ريقه»^(١).

أما و الذي نفسي بيده، ليطهرون هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، و لكن لإسراعتهم إلى باطل صاحبهم، و إبطائكم عن حقي.

و لقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، و أصبحت أخاف ظلم رعيتي.

استفترتكم للجهاد فلم تتفروا، و أسمعتمكم فلم تسمعوا، و دعوتكم سراً و جهراً فلم تستجيبوا، و نصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كفتاب و عبيد كأرباب أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، و أعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، و أحكمكم على جهاد أهل البغي فما أتى على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبا، ترجعون إلى مجالسكم و تتخادعون عن مواعظكم، أقومكم غدوة و ترجعون إلّي عشية كظهر الحنية [الحية «خ»] عجز المقوم و أعضل المقوم. أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم صاحبكم يطيع الله و أنتم تعصونه، و صاحب أهل الشام يعصي الله و هم يطيعونه لوددت و الله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الديّار بالدرهم، فأخذ منّي عشرة منكم و أعطاني رجلا منهم.

يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث و انتنين صمّ ذوو أسماع، و بكم ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللّقاء و لا إخوان ثقة عند البلاء.

تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلّما جمعت من جانب تفرّقت من جانب [آخر]، و الله لكأنّي بكم فيما إخال لو حمس الوغي، و حمي الضراب قد انفرجت عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها. و إنّي لعلى بيّنة من ربّي، و منهج من نبّيي، و إنّي لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطا.

انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا مستهم، و اتَّبِعُوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، و إن نهضوا فانهضوا، و لا تسبقوهم فضّلوا، و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا.

لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحدا منكم يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعنا غربا، [و] قد باتوا سجدًا وقيامًا، يراوحن بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله سبحانه هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، و مادوا كما يعبد الشجر يوم الزيع العاصف، خوفا من العقاب، ورجاء الثواب.

بيان: [قوله ﷺ] «فلن يفوت» المفعول محذوف أي فلن يفوته. و الأخذ التناول و العقوبة. و المرصاد الطريق يرصد بها. و الشجا ما ينشب في الحلق من عظم و غيره، و موضع الشجا هو الحلق. و مساع ريقه موضع إساغته. و ساع الشراب سهل مدخله في الحلق. و سغت الشراب بتعدى و لا يتعدى.

و هذا الكلام منه ﷺ [إما تهديد لأهل الشام أو لأصحابه، كما سيأتي من نسبة الظلم إليهم. و ظهر عليه عليه و راعي القوم من ولي عليهم. و الاستنفار. الاستنجاد و الاستنصار أو طلب النفور و الإسراع إلى القتال.

قوله ﷺ «و عبيد كآرباب» أي أخلاقكم أخلاق العبيد من الخلاف و النفاق و دناءة الأنفس، و فيكم مع ذلك كبر السادات و تيههم و عدم إطاعتهم، أو حكمكم حكم العبيد في وجوب الإطاعة و تأبون عنها كالسادة. و هذا أنسب بالفقرة السابقة.

و «أيادي سبا» مثل يضرب للمتفرقين، و أصله قوله تعالى عن أهل سبا ﴿وَمَرْفَأُهُمْ كُلٌّ مُمْرَقيٌّ وَ سِيا مَهْمُوزٌ يصرف و لا يصرف، و يمدّ و لا يمدّ، و هو بلدة «بليقيس» و لقب ابن يشجب بن يعرب يقال ذهبوا أيدي سبا و أيادي سبا البلاء ساكنة و كذلك الألف هكذا نقل المثل أي متفرقين، و هما اسمان جعلوا واحدا، مثل معديكرب ضرب المثل بهم لأنهم لما غرق مكانهم و ذهب جثثاتهم تبددوا في البلاد، و لهم قصّة غريبة مذكورة في كتب الأمثال.

قوله ﷺ «و تتخادعون» المخادعة هي الاستغفال عن المصلحة، أي إذا رجعت عن مجلس الوعظ أخذ كل منكم يستغفل صاحبه و يشغله بالأحاديث، و إن لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة. كذا ذكره ابن ميثم.

و قال ابن أبي الحديد تتخادعون عن مواعظكم أي تمسكون عن الاتعاض من قولهم كان فلان يعطي ثم خدع أي أسك و أفلح. و يجوز أن يريد تتلونون و تختلفون في قبول الوعظ من قولهم خلق فلان خلق خادع أي متلون. و سوق خادعة أي متلوثة مختلفة.

و لا يجوز أن يراد المعنى المشهور منها، لأنه إنما يقال فلان يتخادع فلانا إذا كان يريد أن يتخدع له و ليس بمنخدع في الحقيقة، و هذا لا يناسب المقام.

و الحنية على فعلية القوس، أي ترجعون [إلي] معوجا كاعوجاج ظهر القوس و أعضل و أشكل، و كأن غيبة عقولهم كناية عن تركهم العمل بما تقتضيه، أو عن ذهائهم.

قوله ﷺ «منيت» أي ابتليت. و إنما لم يجمع الخمس لكون الثلاث من جنس، و الاثنتين من [جنس] آخر أو لأن الثلاث إيجابية دون الاثنتين. و الحرّ خلاف العبد و الخيار من كل شيء. و اللقاء ملاقات الأحياء أو العدو.

و قوله ﷺ [«تربت أيديكم» كلمة يدعى على الإنسان بها أي لا أصبتم خيرا. و أصل «ترب» أصابه التراب، فكأنه يدعى عليه بأن يفتر.

و قال [ابن الأثير] في «مادة «ترب» من كتاب [النهاية هذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، و لا وقوع الأمر بها، كما يقولون قاتله الله. و قيل معنى لله درك. قال و كثيرا ترد للرب ألفاظ ظاهرها الذمّ و إنما يريدون بها المدح، كقولهم لا أب لك، و لا أم لك. و هو أتم. و لا أرض لك. و نحو ذلك.

و قال المطرزي في قولهم «كأنّي بك تنحط» الأصل كأنّي أبصرك تنحط ثم حذف الفعل و زيدت الباء. و يحتمل أن يكون الباء متملقا بملتصق و نحوه، نحو «به داء» أو بمعنى في.

وخال الشيء: يخاله أي ظنه. وتقول خلت إخال بالكسر وبالفتح. لغة بني أسد كما في النسخ، و«ما» مصدرية، أي في ظني. وحسن كفرح أي اشتد. وحمي كرضي اشتد حره. وانفجرتهم تفرقتهم. قال ابن ميثم شبه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها ليرجعوا إلى الأنفة. وتسليم المرأة قبلها وانفراجها عنه إما وقت الولادة، أو وقت الطعان. قوله [ع] «ألفظه» كأنه إشارة إلى أن الضلال غالب على الهدى، فيحتاج السالك إلى النقاط طريق الهدى من بين طرق الضلالة. وفي بعض النسخ «ألفظه لفظا» أي أبيضه بيانا. والسمت الجهة والطريق وهيئة أهل الخير.

«فإن ليدوا» أي قعدوا عن طلب الخلافة والجهاد ولزموا البيوت فتابعوهم، وإن قاموا بها فانصروهم، يقال لبد الشيء بالأرض كنصر أي التصق بها. [وقوله ع] «ولا تسبقوهم» أي ما لم يأمرؤكم به. «ولا تتأخروا عنهم» أي لا تخالفوهم فيما يأمرؤكم به. [وقوله ع] «يراهون» أي يسجدون بالجهة مرة وبالخدود أخرى، ووقوفهم على مثل الجمر [وهو] جمع جمره وهي النار المتقدة كناية عن قلقهم واضطرابهم من خوف المعاد. و«المعزى» بالكسر خلاف الضأن كالمعز. والمراد ب«بين أعينهم» جباههم مجازا. [و] «هملت» أي سالت. و«مادوا» أي تحرّكوا واضطربوا.

٧٦٦-نهج: و من كلام له [ع] في ذم [العصاة من] أصحابه^(١):

أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيّتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أهملتم [أهملتم] خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم [أجبتهم] «خ ل» إلى مشاقّة نكصتم، لا أبأ لغيركم ما تنتظرون بنصركم، والجهاد على حَقِّكم!

الموت أو الذلّ لكم فو الله لئن جاء يومي ولأيتني ليفرقن بيني وبينكم، وأنا لصحبتيكم قال، وبكم غير كثير. لله أنتم أما دين يجمعكم، ولا محمية تشدّكم أو ليس عجا أن معاوية يدعو الجفأة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم وأنتم تريكة الإسلام وبقية الناس إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتفرّقون عني وتختلفون عليّ إنّه لا يخرج إليكم من أمري رضي فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه، وإن أحب ما أنا لاق إليّ الموت.

قد دارستكم الكتاب، و فاتحتكم الحجاج، وعزّفتكم ما أنكرتم، وسوّغتمكم ما مجبتم، لو كان الأعمى يلحظ، أو لتائم يستيقظ وأقرب يقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية، ومؤدّبهم ابن النابغة

توضيح [وقوله ع] «على ما قضى من أمر» قيل الأمر أعم من أن يكون فعلا، ولما كان القدر هو تفصيل القضاء وإيجاد الأشياء على وقته، قال «وقدر من فعل». والابتلاء الامتحان. وأمهله أي رفق به وأخره.

وفي بعض النسخ «[إن] أهملتم» أي تركتم، «خضتم» أي في الضلالة والأهواء الباطلة. [و] «خرتم» بالخاء من الخور بمعنى الضعف. أو من خوار الثور بمعنى الصياح. و يروى «[جرتم]» بالجيم، أي عدلتم عن الحق أو عن الحرب فرارا.

قوله [ع] «أجبتهم» قال ابن أبي الحديد بالهمزة الساكنة بعد الجيم المكسورة، أي ألجئتم قال تعالى «فأجاءها المخاض». وفي بعض النسخ «أجبتهم» على بناء المعلوم بالباء.

و المشاقّة المقاطعة والمصارمة. والنكوص الرجوع إلى ما وراء.

قوله [ع] «لا أبأ لغيركم» قال ابن ميثم أصله لا أب والألف مزيدة، إما لاستثقال توالي أربع حركات، أو لأنهم قصدوا الإضافة وأتوا باللام للتأكيد. وفي الدعاء بالذلّ لغيرهم نوع تلطف لهم.

قوله [ع] «الموت أو الذلّ» في أكثر النسخ برفعهما، وفي بعضها بالنصب. قال ابن أبي الحديد [و هذا] دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، كأنه شرع داعيا عليهم بالفناء الكلّي وهو الموت، ثم

استدرك فقال أو الذل لأنه نظير الموت، ولقد أجيب دعاؤه بالدعوة الثانية، فإن شيعته ذلوا بعده في الأيام الأموية.

أقول: هذا على الرفع ظاهر، وأما على النصب فيحتمل الدعاء أيضا بتقدير أرجو أو أطلب، و يحتمل الاستفهام، أي أنتظرون الموت؟

وقيل ^(١) في قوله ﷺ «و ليأتيني» حشوة لطيفة بين الكلام لأن لفظة «إن» أكثر ما تستعمل لما لا يعلم حصوله، فأتى بعدها بما يرد ما تقتضيه من الشك في إتيان الموت، وأشعر بأن الموضوع موضع «إذا»، والقالي المبغض.

قوله ﷺ «غير كثير» أي لستم سبب كثرة أعواني.

وقوله ﷺ [«لله أنتم» من قيل لله أبوك، ولعله هنا للتعجب على سبيل الذم، ويحتمل المدح تلطفاً. وارتفاع قوله «دين» بفعل مقدر يفسرها الفعل المذكور بعده. وشذت النصل حدته. والطماع أراذل الناس الواحد والجمع سواء.

ومعونة الجند شيء يسير من المال يعطيهم الوالي لترميم أسلحتهم وإصلاح دوابهم سوى العطاء المفروض في كل شهر كما قيل ^(٢). ومنشأ تعجبه ﷺ أمور:

أحدها أن الداعي لهم معاوية، ولهؤلاء أمير المؤمنين، وكيف يساوي عاقل بينهما؟

وثانيها أن المدعو هناك الجفافة الطغام مع خلوصهم غالبا عن الحمية والمروءة، وهاهنا أصحاب الذين هم تريكة الإسلام.

وثالثها أن أصحاب معاوية يتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأصحابه ﷺ لا يجيبونه إلى المعونة والعطاء، فإن معاوية إنما كان يعطي رؤساء القبائل الأموال الجلييلة، ولا يعطي الجند على وجه العطاء والمعونة شيئا، وهم كانوا يطيعون الرؤساء للحمية أو العطايا من هؤلاء لهم.

والتركة بيضة النعامة تركها في مجتمعا، أي أنتم خلف الإسلام وبقية، كالبیضة التي تركها النعامة. وقوله ﷺ [«إلى المعونة» متعلق ب «قوله» «أدعوكم».

قوله ﷺ «لا يخرج إليكم» أي إنكم لا تقبلون مما أقول لكم شيئا، سواء كان مما يرضيكم أو مما يسخطكم. «وإلى» متعلق بقوله «أحب». و درس الكتاب كنصر و ضرب أي قرأ قوله «دارستكم الكتاب» أي قرأته عليكم للتعليم، و قرأتهم علي للتعلم.

قوله ﷺ «و فاتحتكم» أي حاكمتكم بالمحاجة والمجادلة. و ساع الشراب في الحلق أي دخل بسهولة. و مجتته من في أي رميت به أي بينت لكم الأمور الدينية ما كنتم تتكرونها بأرائكم، و أعطيتكم من العطايا ما كنتم محرومين منها.

وكلمة «لو» في قوله ﷺ «لو كان» للتمني أو الجزاء محذوف.

وقوله ﷺ «و أقرب بقوم» بصيغة التعجب، أي ما أقربهم إلى الجهل. وقوله ﷺ «قائدهم معاوية» صفة لقوم، فصل بين الصفة والموصوف بالجار والمجرور، وهو مجوز. وورد مثله في الكلام المجيد.

٧٦٧- نهج: من خطبة له ﷺ عباد الله، إنكم و ما تأملون من هذه الدنيا أثواب مؤجلون، و مدينون مقتضون، أجل منقوص، و عمل محفوظ، فرب دائب مضجع و رب كادح خاسر ^(٣).

و قد أصبحت في زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إديارا، و الشر فيه إلّا إقبالا، و الشيطان في هلاك الناس إلّا طمعا، فهذا أوان قويت عذته، و عمت مكيدته، و أمكنت فريسته.

اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلّا فقيرا يكابد فقرا، أو غنيا بدّل نعمة الله كفرا، أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا، أو متمردا كأن بأذنه عن سمع المواعظ وقرا.

(١) القاتل في الموردين هو كمال الدين ابن ميثم الجرائني في شرحه على الكلام من شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ ط بيروت.

(٢) القاتل في الموردين هو كمال الدين ابن ميثم الجرائني في شرحه على الكلام من شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ ط بيروت.

(٣) رواء الشريف الرضي ﷺ في المختار: (١٢٧) من كتاب نهج البلاغة.

أين خياركم و صلاحكم و أين أحراركم و سماحكم و أين المتورعون في مكاسبهم، و المتترهون في مذاهبهم ليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدينية و العاجلة المنقصة و هل خلقتم إلّا في حالة لا تلتقي بذهم الشفان استصغارا لقدركم، و ذهابا عن ذكرهم فأثا لله و إنا إليه راجعون.

ظهر الفساد فلا منكر مغتبر، و لا زاجر مزدجر.

أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه، و تكونوا أعز أوليائه عنده هيهات لا يخدع الله عن جنته، و لا تنال مرضاته إلّا بطاعته.

لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له، و الناهين عن المنكر العاملين به.

بيان: الأنبياء جمع نوى و هو الضيف. [و] «مؤجلون» أي مؤخرون إلى وقت معلوم. و «المدين» المديون. و «المقتضون». جمع مقتضى على بناء المفعول.

[قوله ﷺ] «أجل منقوص» أي أجلكم أجل منقوص يوما بعد يوم، و لحظة فلحظة، و عملكم عمل محفوظ عند الله.

٩٠
٣٤

و الدائب المجتهد ذو الجدّ و التعب. و «الكادح» الساعي. و «أمكن» أي أمكنته. يقال أمكنتي الأمر أي سهل و تيسر. و كادبه مكابدة أي قاساه و تحمّل المشاق فيه.

و ذكره في هذا المقام، إمّا لأنّ الغرض بيان ما سبق من إدار الخير و إقبال الشرّ و عموم الضلال و مقاساة الفقراء بيان للأولين، فالخير و الشرّ يعان الدينويين و الأخروييين. و إمّا لأنّ شيوع الفقر لمنع الحقوق الواجبة، أو المراد بمكابدة الفقر ترك الصبر عليه و هو أيضا من المنكرات.

[قوله ﷺ] «بذلّ نعمة الله» أي الغنى. أو ولايته ﷺ. و التخصيص لشدة إنكارهم لقوتهم أو الأعمّ. و الوفّر المال الكثير.

و قوله [ﷺ] «بحقّ الله» متعلّق ب [قوله] «البخل» أي يعدّ بخله بحقّ الله توفير المال و الزيادة فيه. و الوقّر ثقل الأذن.

«أين أحراركم» أي الذين أعتقوا من رقّ الشهوات. و التورّع، مبالغة في الورع. و التترّه التباعّد عن القبيح. و ظعن كمنع أي سار و ارتحل. و أنقص الله عليه العيش و نغصه كذره و الحثالة الرّديء من كل شيء.

[قوله ﷺ] «لا تلتقي بذهم» أي إنهم أحقر من أن يشتغل الإنسان بذهمهم لأنّه لا بدّ من الذمّ من إطباق إحدى الشفتين على الأخرى و «ذهابا» أي ترعّفا يقال فلان ذهب بنفسه عن كذا، أي رفعها عنه.

«و لا زاجر مزدجر» أي من يزجر غيره عن القبائح و تمتنع نفسه أيضا عنها.

[قوله] «في دار قدسه» أي الجنّة لأنّ أهلها يقدّسونه تعالى و هم منزّهون عن العيوب. و مجاورة الله سكنون تلك الدار المنسوبة إليه سبحانه تشريفا. و قربه مجاورة رحمته.

٩١
٣٤

«هيهات» أي بعد ما تريدون. «لا يخدع الله عن جنته» أي لا يمكن أخذها منه تعالى بالخدعة. و المرضاة الرضا.

و آخر الكلام يدلّ على اشتراط الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر بالعمل بهما، و سيأتي الكلام فيه في محله إن شاء الله. و لعلّ غرضه ﷺ التعريض بالسابقين الغاصبين.

٧٦٨-نهج: [و] من خطبة له ﷺ أرسله داعيا إلى الحقّ، و شاهداه على الخلق فيلغّ رسالات ربّه غير وان و لا مقصّر، و جاهد في الله أعداءه غير واهن و لا معدّر، [فهو] إمام من اتقى، و بصر من اهتدى^(١).

[و] منها و لو تعلمون ما أعلم ممّا طوي عنكم غيبه، إذا لخرجتم إلى الصدقات تبكون على أعمالكم، و تلتدمون

على أنفسكم، و لتركتم أموالكم لا حارس لها و لا خالف عليها و لهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها. ولكنكم نسيتم ما ذكرتم، و أمنت ما حذرت، فناه عنكم رأيكم و تشتت عليكم أمركم.

لوددت أن الله فرق بيني و بينكم، و ألحقني بمن هو أحق بي منكم، قوم و الله يامين الرأي، مراجيع الحلم، مقابيل بالحق، متاريك للبغي مضوا قدما على الطريقة، و أوجفوا على المحبة، فظفروا بالعقبى الدائمة و الكرامة الباردة.

أما و الله ليسلطن عليكم غلام تقيف، الذيال الميال، يأكل خضرتكم، و يذيب شحمتكم، إيه أبا وذحة قال السيد رحمه الله الذحة الخنفساء، و هذا القول يومئ به إلى الحجاج و له مع الذحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

توضيح الواني الفاتر الكال، و الواهن الضعيف، و المعذر الذي يعتذر من تفسيره من غير عذر كما قال تعالى ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ (١).

قوله ﷺ «ما طوي عنكم» أي كنتم و أخفي. و قال ابن الأثير في مادة «صعد» من كتاب النهاية [و] فيه «إياكم و القعود بالصعدات» هي الطرق، وهي جمع سعد و صعد جمع صعيد كطريق و طرق و طرقات.

و قيل جمع صعدة كظلمة، وهي فناء باب الدار و ممر الناس بين يديه. و منه الحديث «و لخرجتكم إلى الصعدات تجارون إلى الله».

و قال ابن أبي الحديد الصعيد التراب. و يقال وجه الأرض. و الجمع سعد و صعدات.

و [قال الفيروز آبادي] في القاموس الصعيد التراب أو وجه الأرض، و الجمع سعد و صعدات، و الطريق، و منه «إياكم و القعود بالصعدات»، و القبر. انتهى.

فالمعنى خرجتم عن البيوت و تركتم الاستراحة و الجلوس على الفرش، للطلق و الانزعاج، و جلستم في الطريق أو على التراب أو لزامتم القبور.

و الالتدام ضرب النساء وجوههن في التباحة.

قوله ﷺ «و لا خالف» أي و لا مستخلف عليها.

قوله ﷺ «و لهمت» قال ابن أبي الحديد أي أذابته و أنحلته من [قولهم] هممت الشحم أي أذنبته.

و يروى «و لأهمت» و هو أصح من [قولهم] أهمتي الأمر أي أحزنني.

و فيه نظر لأن «هم» أيضا يكون بمعنى «أهم». قال [الفيروز آبادي] في القاموس همّ الأمر همّا حزنه، كاهمه فاهتم انتهى. و كلمة [«كل» منصوب على المفعولية و الفاعل [لفظة] «نفسه». و يقال تاه فلان يتيه، إذا تحير و ضل. و تاه يتوه أي هلك و اضطرب عقله. و تشتت أي تفرق.

و المراد بمن هو أحق به ﷺ [هو] رسول الله ﷺ و حمزة و جعفر، و من لم يفارق الحق من الصحابة.

و المراجع الحكماء. و قال الجوهرى راجحته فرجحته أي كنت أرزن منه، و منه قوم مراجيع الحلم. انتهى.

و المقابيل جمع مقوال أي حسن القول أو كثيره. و المتاريك جمع متراك أي كثير الترك.

قوله ﷺ «مضوا قدما» بالضم و بضمتين أي متقدمين لا ينشون. و «أوجفوا» أي أسرعوا. و «الكرامة الباردة» [هي] التي ليس فيها حرّ تعب، و لا مشقة حرب.

و «الذيال» هو الذي يجزّ ذيله على الأرض تبخترا، يقال ذال فلان و تذيل أي تبختر. و «الميال» الظالم.

قوله ﷺ «يأكل خضرتكم» أي يستأصل أموالكم. و «الخضرة» بفتح الخاء و كسر الضاد الزرع و البقلة الخضراء و العنص. و إذابة الشحمة مثله كما قيل و المراد تعذيب الأبدان.

قوله ﷺ «إيه أبا وذحة» إيه كلمة استزادة أي زد و هات.

و قال ابن أبي الحديد في قول السيد «الوذحة الخنفساء»:

أقول لم أسمع هذا من شيخ من أهل اللغة، ولا وجدته في كتاب من كتب اللغة، والمشهور أن الودح [هو] ما يتعلق بأذنان الشاة من أبقارها فيجف.

ثم إن المفسرين بعد رضي رضي الله عنه قالوا في قصة هذا الخنفساء وجوها:

منها أن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها، فعادت، ثم طردها فعدت، فأخذها بيده فقصصه فقصصا، ورمت يده منه وربما كانت فيه حنفة. قتله الله تعالى بأهون خلقه، كما قتل عمرو بن كنعان بالبقعة.

ومنها أن الحجاج كان إذا رأى خنفساء، يأمر بإبعادها ويقول هذه وذرة من ودح الشيطان، تشبيها بالبعرة المعلقة بذنب الشاة.

ومنها أنه قد رأى خنفساوات مجتمعات، فقال وا عجباً لمن يقول إن الله خلق هذه. قيل فمن خلقها أيها الأمير قال الشيطان. إن ربكم لأعظم شأناً من أن يخلق هذه الودح. قالوا فجمعها على «فعل» كبذنة وبدن، فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه.

ومنها أن الحجاج كان متفارقاً أي ذا أبنية، وكان يمسك الخنفساء حتى ليسفي بحركتها في الموضع حكاكه. وقالوا ولا يكون صاحب هذا الداء إلّا شائناً مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام. قالوا ولنا نقول كل مبغض فيه هذا الداء، بل إنقول كل من فيه هذا الداء فهو مبغض.

قالوا وقد روى أبو عمر الزاهد ولم يكن من رجال الشيعة في أماليه وأحاديثه عن السياري، عن أبي خزيمة الكاتب قال ما فتشنا أحداً فيه هذا الداء، إلّا وجدناه ناصيباً.

قال أبو عمر وأخبرني العطار عن رجاله، قالوا سئل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن هذا الصنف من الناس، فقال لهم رحم منكوسة، يوتي ولا يأتي. وما كانت هذه الخصلة في ولي الله تعالى أبداً قط، ولا تكون أبداً وإنما كانت في الفساق والكفار والناصب للطاهرين.

وكان أبو جهل بن هشام المخزومي من القوم، وكان أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قالوا ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر يا مصفر استنه. [ثم قال ابن أبي الحديد] ويغلب على ظني أنه عليه السلام [أراد] معنى آخر، وذلك أن عادة العرب أن تكفي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنة التعظيم، وإذا أرادت تحقيره [كثنته] بما يستحقق ويستهان به، وكقولهم في كنية يزيد بن معاوية لعنه الله أبو زنة، يعنون القرد. وكقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاري المحدث أبو الفار. وكقولهم للطفيلي أبو لقمة. وكقولهم لعبد الملك أبو الذبان لبخره. وكقول ابن بسام لبعض الرؤساء:

فأنت لعمرى أبو جعفر و لكننا نحذف الفاء منه

وقال أيضاً:

لنسيم درن الثوب نظيف القصب والقدر

أبو النتن أبو الدفر أبو البعر أبو الجعر

فلنجاسته بالذنوب والمعاصي، كناه أمير المؤمنين عليه السلام أبا وذحة.

ويمكن أن يكتبه بذلك لدمايته في نفسه، وحقارة منظره، وتشويه خلقته، فإنه كان دميماً قصيراً سخيفاً، أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين، مجدور الوجه أصعب الرأس، فكناه بأحقر الأشياء وهو البعرة.

وقد روى قوم [هذه اللفظة بصيغة أخرى، قالوا] [إيه أبا وذجة] قالوا [هي] واحدة الأوداج كناه بذلك لأنه كان قتلاً يقطع الأوداج بالسيف.

ورواه قوم «أبا وحر» [بالراء المهملة] وهي دويبة تشبه الحرباء قصير الظهر، شبهه بها.

[ثم قال ابن أبي الحديد] وهذا وما قبله ضعيف ^(١).

وأقول الذبان بكسر الذال وتشديد الباء جمع الذباب، ومن عادته أن يجلس على المنتين. والقعب

بافتتح القدر الضخم. والدفر بالمهملة ثم الفاء التثنية والذَّل. وبالقاف مصدر دقر كفرح. إذا امتلأ من الطعام. والجعفر بالفتح ما ييس من العذرة في المعجز أي الذبر.

٧٦٩- نهج: [و] من كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد، فسكنوا مليا، فقال عليه السلام ما بالكم أمخرسون أنتم^(١)

فقال قوم منهم يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك!

فقال عليه السلام [ما بالكم لا سددمت لرشد ولا هديتم لقصد أفى مثل هذا ينبغي لي أن أخرج وإنا يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وحبابة الخراج والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المسلمين [المطالبين «ل»] ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى، أتقلقل تقلقل القدر في الجفير الفارغ، وإنا أنا قطب الرحي تدور عليّ، وأنا بمكاني، فإذا فارقت استجار مدارها، واضطرب ثفالها، هذا لعمر الله الرأي السوء.

والله لو لا رجائي الشهادة عند لقائي العدو لو قد حمّ لي لقاءه لقربت ركابي، ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال. [طغائين عتّابين حيّادين رّواغين]. إته لا غناء في كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم. لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها إلّا هالك، من استقام فإلى الجنة ومن زلّ فإلى النار.

٩٧
٣٤

[بيان: قال ابن أبي الحديد [و هذا كلام] قاله أمير المؤمنين عليه السلام، في بعض غارات أهل الشام على أطراف العراق، عند انقضاء أمر صفين والتّهوران.

قوله «مليّا» أي ساعة طويلة. [و] قوله عليه السلام «لا سددمت» بالتخفيف والتشديد دعاء عليهم بعدم السداد والاستقامة لما فيه رشدهم وصلاحهم. والقصد من الأمور المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط.

والشّجاعة جمع شجاع. وفي بعض النسخ «شجعانكم» وهو بالضم والكسر جمع شجاع. والبأس الشّجاعة. والكتيبة القطعة العظيمة من الجيش. والتقلقل التحرك. والقدر بالكسر السهم. والجفير الكنانة. وقيل وعاء السهام أوسع من الكنانة.

والفرض [من هذا التشبيه، في اضطراب الحال والانفصال عن الجنود والأعوان، بالقدر الذي لا يكون حوله قدام تمنعه من التقلقل ولا يستقرّ في مكانه.

« واستجار مدارها» أي اضطرب. والمدار هنا مصدر. كذا ذكره ابن أبي الحديد، ولم نجد هذا المعنى في اللغة. [و] قال الجوهري المستحير سحاب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه، فالأنسب أن يكون [كلامه عليه السلام] كناية عن الوقوف عن الحركة.

و الثفال الجلد الذي يوضع عليه الرحي ليسقط عليه الدقيق ويسمى الحجر الأسفل من حجري الرحي أيضا ثفالاً، ولعله أنسب.

٩٨
٣٤

قوله عليه السلام «لو قد حمّ لي» على [بناء] المجهول أي قضى وقدر. والركاب الإبل التي يسار عليها. وشخص المسافرين خروجه. والاختلاف التردّد. ويحتمل [أيضا] المخالفة. والغناء بالفتح والمدّ النفع. [قوله عليه السلام] «لا يهلك عليها» أي كائنا عليها أو سببها. والطريق يذكّر ويؤنث. [و قوله] «من استقام» أي اعتزل ولزم الطريق الواضح. «و من زلّ» أي زلق وعدل عن الطريق.

نهج من خطبة له عليه السلام^(٢).

أيها الناس إنّنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يعدّ فيه المحسن مسيئا، ويزداد الظالم فيه عتوا، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عتّا جعلنا، ولا نخوف قارعة حتّى تحلّ بنا، فالتّاس على أربعة أصناف.

منهم من لا يمتنع الفساد في الأرض، إلّا مهانة نفسه وكلاله حدّه ونضيض وفره.

(١) رواه الشريف الرضي عليه السلام في المختار: (١١٨) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٣٢) من نهج البلاغة.

و منهم المصلت بسيفه و المعلن بشره [بشره «خ»] و المجلب بخيله و رجله، قد أشرط نفسه و أوبق دينه لحطام ينتهزه، أو مقبب يقوده، أو منبر يفرعه، و لبس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا، و مما لك عند الله عوضا. و منهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، و لا يطلب الآخرة بعمل الدنيا. قد طأمن من شخصه، و قارب من خطوه، و شمر من ثوبه، و زخرف من نفسه للأمانة، و اتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية. و منهم من أقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه، و انقطاع سببه، فقصرته الحال على [عن «خ»] حاله، فتحلّى باسم القناعة و تزين بلباس أهل الزهادة، و ليس من ذلك في مراح و لا مقدى.

و بقي رجال غصّ أبصارهم ذكر المرجع، و أراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد ناد، و خائف مقموع، و ساكت مكعوم، و داح مخلص، و ثكلان موع، قد أحملتهم التقية، و شملتهم الذلة. فهم في بحر أجاج، أفواهم ضامرة و قلوبهم قرحة، قد وعظوا حتى ملوا، و قهروا حتى ذلوا، و قتلوا حتى قلوا. فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم من حثالة القرظ و قراصة الجمل، و اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، و ارفضوها ذميمة فأنها قد رفضت من كان أشغف به منكم.

[بيان] عند عن الطريق كنصر عدل و مال. و العنود فعول بمعنى فاعل. و قيل مفاعل. و الزمن اسم لقليل الوقت و كثيره. و قيل الشديد بمعنى البخل.

و في بعض النسخ «و زمن كنود» و هو الكفور. و قيل اللوام. و وصف الزمان بتلك الأوصاف توصيف لأهله.

وعد المحسن مسيئا، إما لعدم الإذعان بالحق، أو لحملهم الأفعال الجميلة على المحامل القبيحة، كزعم العابد مرثيا. و العتو الاستكبار و مجاوزة الحد.

قوله ﷺ «لا تنتفع» التعبير بلفظ المتكلم مع الغير، من قبيل «إياك أعني و اسمعي يا جارة» و عدم الانتفاع بالعلم لترك العمل، و عدم السؤال لعدم العلم بفضل مع عدم الرغبة في العمل به.

و القارعة الخطب العظيم و الداهية. و مهانة النفس حقارتها. [مشتقة] من «مهن» أو «هان». و كل حد السيف و غيره، إذا وقف عن القلع.

[قوله ﷺ] «و نضيض وفره» أي قلّة ماله. و هذا القسم هم المريدون للدنيا غير القادرين عليها. و المجلب اسم فاعل من أجلب عليهم أي تجمع و تألب. و كذلك إذا صاح به و استحثّه. و أجليه أي أعانه. و الرجل جمع راجل.

«قد أشرط نفسه» أي هيأها و أعدها للفساد في الأرض. و الحطام المال و أصله ما تكسر من البيس. و الانتهاز الاختلاس و الاستلاب بقدر الإمكان. و المقنب بكسر الميم و فتح النون الجمع من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. [و] «يفرعه» أي يعلوه.

و عمل الدنيا ما يفعله المكلف فيها أو ما يصير بانضمام القرية و التوصل به إلى الطاعة طاعة. «و قد طأمن» أي خفض. و يقال طأمن منه أي سكنه. «و قارب من خطوه» أي لم يسرع و مشى رويدا. «و شمر» [من ثوبه] أي قصر ثوبه أو رفعه إظهارا لمتابعة السنة. «و زخرف» أي زين نفسه [للأمانة، أي لأن يجعله أمينا على أموالهم و أعراضهم و يحتمل تعلقه بالآخر و بالجميع. و قوله ﷺ] «و اتخذ ستر الله» أي التقوى و العمل بشرائع الدين، فإن الله حرّم تتبع عورات من ظاهره الصلاح و ذكر عيوبه.

قال الكيدري في كتاب المضاف و المنسوب ستر الله الإسلام، و الشيب. و الكعبة، و ضمائز صدور الناس. يعني جعل ظاهر الإسلام و ما يجته صدره، بحيث لا يطلع عليه مخلوق وسيلة و طريقا إلى معصية الله. انتهى.

و أقول يحتمل أن يكون المراد أنه اتخذ ستر الله على عيوبه، حيث لم يفضحه و لم يطلع الناس على بواطنه، ذريعة إلى أن يخدع الناس.

و الضئولة الحقارة. و السبب الحبل، و ما يتوصل به إلى غيره. و المراح المكان الذي تأوي إليه



الماشية في الليل. والمغدى ما تأوي إليه بالغداة ولعل المعنى ليس يومه كيومهم في الصوم وغيره، ولا ليله كليلهم في العبادات.

و المرجع بكسر الجيم مصدر أو اسم مكان، والمراد به من إليه مصير العباد أو القيامة أو الرجوع إليهما.

أو المراد من قوله ﷺ «غَضَّ أبصارهم ذكر المرجع هو غَضَّ البصر عن المعاصي، أو الأعمَّ لخشوعهم، أو للحياء، أو غَضَّهم أبصار قلوبهم عمَّا سوى الله.

و الشريد الطريق. و التَّادُّ المنفرد والمراد به المتوحَّش من الناس الذاهب في الأرض، إمَّا لعدم صبره على رؤية المنكرات، أو لكثرة أذى الظالمين في الأوطان لأنكاره المنكر وأشباه ذلك.

و قمع ضربه بالمقعة وقهره وذلك. و المكموم الَّذي لا يمكنه الكلام، كأنَّ شدَّ فوه من النقيَّة بالكمام الذي يجعل في فم البعير عند الهياج. و النكل الحزن على فقد الأقارب.

و لعلَّ المعنى أنَّ بعضهم ترك الأوطان أو مجامع الناس لما ذكر، و بعضهم لم يترك ذلك، و ينكر منكرا ثمَّ يخاف مما يجري عليه بعد ذلك، و منهم من هو بينهم و لا يتهاهم نقيَّة و معرض عنهم و مشتغل بالدعاء، و منهم من هو بينهم بالضرورة و يرى أعمالهم و لا يؤثر نهيهم فيهم، فهو كالشكَّان الموجع. و خمل ذكره و صوته خفي.

[قوله ﷺ] «فهم في بحر أجاج» كناية عن عدم استمتاعهم بالدنيا، كالسايح في ماء مالح، فإنَّه لا يمكنه التروي منه و شربه و إن بلغ غاية العطش.

[قوله ﷺ] «أفواههم ضامرة» بالزاي المعجمة، أي ساكنة. أو بالراء المهملة كناية عن صومهم و عدم أكلهم من المحرَّمات و الشبهات.

قال الكيدري أي سائرة خفيَّة من الضمير. و يروى بالزاي أي مشدودة بالسكوت.

«و قلوبهم قرحة» لكثرة المنكرات مع عدم تمكُّنهم من إنكارها، أو خوفهم من الله أو من الناس.

و «القرض» ورق السلم يدبغ به. و حثالته ما يسقط منه. و «الحلم» المَقْصُ يجزَّ به أوبار الإبل. و قراضته ما يسقط من قرضه و قطعه.

[قوله ﷺ] «و ارفضوها ذميمة» أي اتركوا ما حاله الحقارة. و الذمامة. و الشفغ الحب الشديد.

٧٧٠- نهج: من خطبة له (١).

إنَّ الوفاء توأم الصدِّق، و لا أعلم جنة أوقى منه، و لا يغدر من علم كيف المرجع.

و لقد أصبحنا في زمان قد اتَّخذ أكثر أهله الغدر كيسا، و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة.

ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة، و دونه مانع من أمر الله و نهيهِ فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، و ينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين.

بيان: الوفاء لزوم العهد و البقاء عليه كما ينبغي و يكون في الأفعال و الأقوال. و الصدِّق يعمُّ العهد و غيره فيبينهما عموم من وجه.

و قد يقال الوفاء في الإنشاء [خاصَّة] الصدِّق في الأخبار، و لا يجتمعان.

و يرده صادق الوعد و إن كان مجازا، و المراد تلازمهما غالبا مع تشاركهما في الفضل، و ترتَّب الآثار الحسنة.

و «المرجع» مصدر، أي الرجوع إلى الله. أو اسم مكان. و الكيس الفطنة و الذكاء. و الضمير في «فيه» راجع إلى الزمان أو الغدر.

و «الحول القلب» هو الذي كثر تحوُّله و تقلُّبه في الأمور و جرَّ بها و عرف وجوها. و الوجه الجهة. و الضمير في [قوله] «دونه» يعود إليه أي قبل الوصول إليه. أو إلى «الحول» أي أمامه. و في بعض النسخ «دونها» فيعود إلى الحيلة.

١٠٢
٣٤

١٠٣
٣٤

«رأي عين» أي رؤية معاينة فهو منصوب على المصدر من [قوله] «يدع» بتقدير موصوف أي يتركها تركاً معانياً غير ناش عن غفلة، أو [منصوب] على الحالية أي حال كونها مربية له. وجوز بعضهم في قوله تعالى ﴿يَرْوَاهُمْ مَثَلَهُمْ زَايِ الْعَيْنِ﴾ [١٣- آل عمران ١٣] أن يكون ظرف مكان. والحريجة الترحج، وهو الترحز من الحرج والإثم. وقيل الحريجة التقوى.

٧٧١- نهج: من كلام له ﷺ في ذم أهل العراق أما بعد يا أهل العراق^(١):

فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلماً أتمت أملتصت ومات قيّمها، و طال تأيّمها و ورثها أبعدھا. أما والله ما أتيتكم اختياراً، ولكن جئت إليكم سوقاً. ولقد بلغني أنكم تقولون «عليّ يكذب»، قاتلكم الله فعلى من أكذب أعلى الله فأنا أول من آمن به أم على نبيّه فأنا أول من صدقه!

كلّا والله، ولكنّها لهجة غيتم عنها ولم تكونوا من أهلها، ويل أمّه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء وتغلّثن نَبَاهُ بَعْدَ جِن. توضيح: «أملتصت» ألقت ولدها ميتاً. والملاص معتادته. وقيّم المرأة زوجها لأنّه يقوم بأمرها. و تأيّم المرأة خلوها من الزوج.

و [قوله ﷺ] «[و ورثها] أبعدھا» أي من لم يكن له قرابة الولد ونحوه. والتشبيه بالمرأة الموصوفة لأنهم تحملوا مشاق الحرب، فلما قرب الظفر رضا بالتحكيم و حرموا الظفر، و صار بعضهم خوارج و بعضهم شكّاكا. والمراد بالسوق الاضطرابي، كأنّ القضاء ساقه ﷺ إليهم، فإنّه خرج لقتال أهل الجمل، و احتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة، و اتّصلت تلك الفتن بفتنة أهل الشام، فاضطرّ إلى المقام بينهم. و في بعض النسخ «و لا جنتكم شوقاً».

و «قاتلكم الله» أي قتلكم الله أو لعنكم الله. و «كلّا» للردع و الإنكار. أو بمعنى حقّاً. و اللهجة اللسان، و يتجوز بها عن الكلام. و المراد إمّا لهجته ﷺ أي [إن] ما أخبركم به أمور غابت عقولكم الضعيفة عن إدراكها و لستم أهلاً لفهمها.

أو لهجة رسول الله ﷺ أي سمعت كلامه ﷺ و لم تسمعه و لو سمعتموه لم تكونوا من أهله. و الويل حلول الشر [أو] كلمة عذاب، أو واد في جهنّم. و إضافته إلى الأمّ، دعاء عليها بأن تصاب بأولادها، من قبيل «نكلته أمّه». و الضمير [في] «أمّه» راجع إلى المكذب. و قيل [الضمير راجع] إلى ما دلّ عليه الكلام من العلم الذي خصّه به الرسول ﷺ. و يقال هذه الكلمة قد تطلق للتعجب و الاستعظام، يقال ويل أمّه فارساً، و مرادهم التعظيم و المدح.

و «كيلا» انتصب لأنّه مصدر في موضع الحال أو تمييز أي أنا أكيل لكم العلم و الحكمة كيلا، و لا أطلب لذلك ثمناً لو وجدت حاملاً للعلم.

و قيل الكلمة تستعمل للترحم و التعجب، و الضمير راجع إلى الجاهل المكذب، فالمفاد الترحم عليهم لجهلهم، أو التعجب من قوّة جهلهم، أو من كثرة كيله للحكم عليهم مع إغراضهم عنها. و قال [ابن الأثير في مادة «ويل» من كتاب] النهاية قد يرد الويل بمعنى التعجب. و منه الحديث «ويل أمّه مسعر حرب» تعجباً من شجاعته و جرأته و إقدامه، و منه حديث عليّ ﷺ «و يلمّه كيلا بغير ثمن لو أنّ له وعاء» أي يكيل العلوم الجمة بلا عوض، إلّا أنّه لا يصادف واعياً.

و قيل «وي» كلمة مفردة. و «لأمّه» أيضاً كلمة مفردة [و هي كلمة تفجع و تعجب، و حذفت الهمزة من «أمّه» تخفيفاً، و ألقيت حركتها على اللام، و ينصب ما بعدها على التمييز. انتهى]. و الحين بالكسر الدهر أو وقت مهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر، و المعنى لتعلمن شجرة تكذيبكم و إغراضكم عمّا بيّن لكم، و أنّي صادق فيما أقول.

٧٧٢- نهج: من خطبة له ﷺ^(٢):

(١) رواه الشريف الرضي رضي الله تعالى عنه في المختار: (٦٩) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٨٦) من كتاب نهج البلاغة.

أما بعد، فَإِنَّ اللَّهَ سبحانه لم يقصم جباري دهر قطَّ إِلَّا بعد تمهيل و رخاء. و لم يجبر عظم أحد من الأمم، إِلَّا بعد أزل و بلاء. و في دون ما استقبلتم من خطب [عتب «خ»] و استديرتم من خطب [خصب «خ»] معتبر، و ما كلَّ ذي قلب بليب، و لا كلَّ ذي سمع بسميع، و لا كلَّ ذي ناظر ببصير.

فيا عجباً و ما لي لا أعجب من خطب هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصون أثر نبي و لا يقتدون بعمل وصي، و لا يؤمنون بغيب، و لا يعقون عن عيب يعملون في الشبهات و يسرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، و المنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، و تعويلهم في المبهمات على آرائهم، كأنَّ كلَّ امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى يعرى وثيقاً و أسباب محكمات.

بيان: القصم الكسر. و التمهيل التأخير و كذلك الإرجاء و الرِّخاء سعة العيش. و الجبر إصلاح الكسر [و هو هنا] كتابة عن دفع الجبارين و الظالمين.

[قوله] «و في دون» أي [في] أقل من ذلك. و الأزل بالفتح الضيق و الشدة.

[قوله] «ما استقبلتم من خطب» أي شأن و أمر و داهية. و روي «من عتب» أي مشقة. قيل يعني ما لا قوه في مستقبل زمانهم من الشيب و ولادة السوء و تنكّر الوقت.

«و ما استديرتم من خطب» يعني ما تقدّم من الحروب و الوقائع التي قضوها. و يروى من «خصب» و هو رخاء العيش. فيمكن أن يراد بالأمور المستقبلية و المستديرة جميعاً المواضي باعتبارين.

قوله ﴿لَا يَغْفُونَ﴾ «لا يغفون» في النسخ بالتشديد من العفة، فالمراد باليبس عيوب أنفسهم، و في بعضها بالتخفيف فالمراد عيوب غيرهم.

[قوله] ﴿يَعْمَلُونَ﴾ «يعملون» في الشبهات [لفظة] «في» بمعنى الباء، أو فيه توسّع.

قوله ﴿الْمَعْرُوفَ فِيهِمْ﴾ «المعروف فيهم» ما عرفوا» أي يعقلهم و أهوائهم.

[و قوله] ﴿قَدْ أَخَذْنَا﴾ «قد أخذ منها» الضمير راجع إلى النفس أو إلى المبهمات و المعضلات.

٧٧٣- نهج: من خطبة له عليه في خطاب أصحابه (١)؛

و قد بلغت من كرامة الله منزلة، تكرم بها إمامكم، و توصل بها جيرانكم، و يفضلكم من لا فضل لكم عليه و لا يدلكم عنده، و يهابكم من لا يخاف لكم سطوة و لا لكم عليه إمرة، و قد ترون عهد الله منقوضة فلا تغضبون، و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون. و كانت أمور الله عليكم ترد و عنكم تصدر و إليكم ترجع، فمكثتم الظلمة من منزلتكم، و ألقيتهم إليهم أزمتمكم، و أسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات و يسرون في الشهوات. و ايم الله لو فرّقوكم تحت كلِّ كوكب، لجمعكم الله لشرِّ يوم لهم.

بيان: الوصل ضد القطع و الهجران. [و المراد من قوله] «جيرانكم» أي أهل الذمة و المعاهدين، و يحتمل المجاورين في المسكن.

قوله ﴿مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ﴾ كتعظيم الروم و الحيشة مسلمي العرب.

قوله ﴿مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً﴾ كالملوك في أقاصي البلاد، لما شاع و ذاع من أنهم قوم صالحون، إذا دعوا الله استجاب لهم، و ينصرهم بملائكته كما قيل.

قوله ﴿وَأَنْتُمْ الْوَاوُ لِلْحَالِ﴾ و الذمة العهد و الأمان و الضمان و الحرمة و الحق.

و أنف كفرح استنكف. و الغرض توبيخهم على تركهم إنكار المنكرات.

و المراد بنقض اليهود ما ظهر من الناكثين و الفاسطين و المارقين و غيرهم من نقض البيعة و قتل المسلمين و الإغارة عليهم، و لا ريب أنَّ السكوت عن إنكار تلك المنكرات مع الاستنكاف عن نقض ذمم الآباء، يدلُّ على أنَّ عهد الله أضعف عندهم من عهد آبائهم، و هو في حدِّ الكفر.

[قوله] ﴿وَأَنْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرُدُّ﴾ أي و أنتم المخاطبون بالأوامر و النواهي، أو كنتم قبل ذلك في أيام الرسول ﷺ موارد أمور الله و مصادرها، مطيعين له منكرين للمنكرات.

و كأنَّ المراد بالورود، السؤال. و بالصدور، الجواب، و بالرجوع، التحاكم.

و يمكن تعميم الورد و الصدور، فالمراد بالرجوع، رجوع النفع و الصّر في الدارين. و قيل أي كانت أمور الله عليكم ترد أي تعليمي لكم، و عنكم تصدر إلى من تعلمونه أيّاها، ثم إليكم ترجع بأن يتعلمها بنوكم و إخوانكم منهم.

[قوله ﷺ] «لشّر يوم» أي يوم ظهور المسودة، أو خروج المهدي ﷺ. و الجمع في الرجعة، أو المراد جمع صنفهم.

٧٧٤- نهج: [و] من خطبة لم ﷺ (١)؛

١٠٩
٣٤

و لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ أنّي لم أرد على الله سبحانه و لا على رسوله ساعة قطّ و لقد واسيته [أسيته «خ»] في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، و تتأخر الأقدام، نجدة أكرمني الله بها.

و لقد قبض رسول الله ﷺ و إنّ رأسه لعلى صدري، و قد سالت نفسه في كفي، فأمرتها على وجهي. و لقد وليت غسله ﷺ و الملائكة أعواني، فضجّت الدار و الأفنية، ملأ يهبط و ملأ يعرج، و ما فارقت سمعي هينة منهم، يصلون عليه حتّى واريئه في ضريحه.

فمن ذا أحقّ به منّي حيا و ميتا، فانفذوا على بصائرهم، و لتصدق نياتكم في جهاد عدوكم، فوالذي لا إله إلّا هو، إنّني لعلى جادة الحقّ، و إنهم لعلى مزلّة الباطل. أقول ما تسمعون و أستغفر الله [العظيم «خ»] لي و لكم.

بيان: استحفظته الشّيء أودعته عنده و سألته أن يحفظه. و «المستحفظون» على بناء المفعول المطلعون على أسرار الرسول و سيرته، الصادقون في الشهادة الذي لم يغيروا و لم يبذلوا للأغراض الدنيويّة.

و قال ابن أبي الحديد الظاهر أنّه ﷺ يومئ في قوله «لم أرد على الله...» إلى أمور وقعت عن غيره. ثم ذكر أمورا كثيرة من مخالفات عمر و معارضاته لرسول الله ﷺ.

و [أيضا] قال [ابن أبي الحديد] في [شرح] قوله ﷺ «و لقد أسيته بنفسي» يقال واسيته، بالهمزة أفصح. و هذا مما اختصّ ﷺ بفضيلته غير مدافع، ثبت معه يوم أحد. و فرّ الناس، و ثبت معه يوم حنين و فرّ الناس، و ثبت يوم خيبر حتّى فتحها و فرّ من كان بعث بها قبله. انتهى.

و قال الجوهري نكص ينكص [من باب ضرب] و ينكص [من باب نصر رجع] و «نجدة» منصوب على المصدر لفعل محذوف و هي الشجاعة.

١١٠
٣٤

[قوله ﷺ] «و إنّ رأسه لعلى صدري» قيل لعلّه أسنده إلى صدره عند اشتداد علته، أو كان رأسه ﷺ على ركبته، فيكون رأسه في صدره عند إكبابه عليه.

وقد يقال المراد بسيلان النفس، هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس.

وقيل أراد بنفسه دمه. يقال إنّ رسول الله قاء عند وفاته دما يسيرا، و أنّ عليا مسح بذلك وجهه. و لا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز أن يخصّص دم الرسول ﷺ.

والضحيج الصباح عند المكروه و الجزع. و الهمينة الكلام الخفي لا يفهم. و الصلاة تحتل الحقيقة والدعاء.

وانتصاب قوله «حيا و ميتا» بالحالية عن الضمير المجرور في [قوله] «به»، لا عن الضمير في «منّي» كما لا يخفى.

قوله «فانفذوا» أي أسرعوا إلى الجهاد على بصيرة منكم. و المزلّة الموضع الذي يزلّ فيه الإنسان كالزلزلة.

٧٧٥- نهج: [و] من له كلام ﷺ (٢)؛

أيّاها [أيتها «خ»] النفوس المختلفة، و القلوب المتشّنة الشاهدة أبدانهم، و الغائبة عنهم عقولهم، أطأركم على الحقّ و أنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوة الأسد، هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم أعوجاج الحقّ.

(١) رواه السيّد الرضّي رضوان الله عليه في المختار: (١٩٥) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه الشريف الرضّي رفع الله مقامه في المختار: (١٢٩) من كلام أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تعلم أَنَّهُ لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، و لا التماس شيء من فضول الحطام و لكن نلرد المعالم من دينك، و نظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك و تقام المعطلة من حدودك.
اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ من أَناب، و سمع و أَجاب، لم يسبقني بالصلاة إِلَّا رسول الله ﷺ و قد علمتم أَنَّهُ لا ينبغي أن يكون على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمامة المسلمين البخل فتكون في أموالهم نهمته، و لا الجاهل فضلهم بجعله، و لا الجافي فيقطعهم بجفائه، و لا الحائف للذَّول فيتخذ قوما دون قوم، و لا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق بها دون المقاطع، و لا المعطل للسنة فيهلك الأمة.

بيان: «العائبة عنهم عقولهم» غيبة العقول عن أربابها، أبلغ في الدلالة من غيبتها عمن اعتبر الشهود بالنسبة إليه.

«أظأركم» أي أعطفكم. يقال ظأرت الناقة إذا عطف على ولد غيرها.

وقال الجوهري المعز من الغنم خلاف الضأن، وهو اسم جنس، وكذلك المعزى. والوعوة الصوت.
قوله ﷺ «هيهات» قال ابن أبي الحديد يفسره الناس بمعنى هيهات أن أطلعكم مضيقين و مؤزرين سرار العدل و السرار آخر ليلة من الشهر، و تكون مظلمة، و يمكن أن يفسر بوجه آخر، و هو أن يكون السرار بمعنى السرور و هو خطوط مضيقية في الجبهة و هو نص أهل اللغة على أَنَّهُ يجوز فيه السرار^(١). قالوا و يجمع السرار على أسرة. و يقولون برقت أسرة وجهه، فالمعنى هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل و يبرق وجهه!

و يمكن أن ينصب «سرار» على الظرفية، و يكون التقدير هيهات أن أطلع بكم الحق زمان استسارره و استخفائه، فيكون قد حذف المفعول و حذفه كثير.

وقال الكيدير سرار الشهر و سرره آخر ليلة منه. و السرار المسارة من السر. و جمع سرر الكتف و الجبهة و «سرار العدل» أي في سرار [العدل] فحذف حرف الجر و وصل الفعل.

وقيل أي هيهات أن أظهر بمعونتكم ما خفي و استسر من أعمار العدل و أنواره انتهى.

[أقول] و لعل المراد ب «الذي كان» [هو] الرغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع. و «لم يكن» ناقصة، و «كان» تامة. و المنافسة المغالبة في الشيء. و «الحطام» ما تكسر من البس، و هو كناية عن متاع الدنيا. و المراد بفضوله زخارفها و زينتها و ما لا يحتاج إليه منها. و معالم الدين الآثار التي يهتدى بها. و الإنابة الرجوع.

قوله ﷺ «نهمته» أي حرصه و جشعه على أموال رعيته.

و من رواه «نهمة» بالتحريك فهي إفراط الشهوة في الطعام. و الجفاء خلاف البر و الصلة، و رجل جافي الخلقة و الخلق أي منقبض غليظ.

[قوله ﷺ] «فيقطعهم» أي عن الوصول إليه أو عن حاجاتهم أو بعضهم عن بعض لتفرقهم. و الأوّل أظهر و إن لم يكن يذكره أحد.

قوله ﷺ «و لا الحائف» بالحاء المهملة من الحيف و هو الظلم و الجور.

و الدول بضمّ الدال المهملة جمع الدولة بالضم و هي اسم المال المتداول، قال الله تعالى ﴿كَئِن لَّا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي إذا لم يقسم الإمام بالسوية، و يخصّ بالمال بعضهم دون بعض، فيتخذ قوما دون قوم فيفرق المسلمين.

و روي «الخائف» بالمعجمة. و الدول بكسر الدال جمع دولة بالفتح و هي الغلبة أي من يخاف دول الأيام و تقلّب الدهور، فيتخذ قوما يتوقع نفهم في دنياه، و يقو بهم و يضعف آخرين.

قوله ﷺ «دون المقاطع» أي يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه، بأن يحكم بالحق بل يحكم بالباطل، أو يسوّف الحكم حتّى يضطر المحقّ و يرضى بالصلح، فيذهب بعض حقه. و يحتمل أن يكون «دون» بمعنى «غير» أي يقف في غير مقطعه.

(١) كذا في أصلي. وفي شرح ابن أبي الحديد: «وقد نص أهل اللغة على أَنَّهُ يجوز فيها: سرور و برار» قالوا: و يجمع سرار على أسرة مثل حمار وأحمرة...»

وقال ابن أبي الحديد فإن قلت أفترأى عني بهذا قوما بأعيانهم قلت الإمامية تزعم أنه رمز بالجفاء و العصبية لقوم دون قوم إلى عمر. و رمز بالجهل إلى من كان قبله. و رمز بتعطيل السنة إلى عثمان و معاوية. انتهى.

و الأظهر أن المراد بالبخيل [هو] عثمان. لما هو المعلوم من أكله أموال المسلمين و لما مر منه عليه السلام في [الخطبة] الشقشقية. و [المراد] ب «الجاهل» جميعهم. و ب «الجافي» عمر كما مر [أيضا] في [الخطبة] الشقشقية. و ب «الحائف للدول» عمر و عثمان كما هو المعلوم من سيرتهما. و ب «المعطل» للسنة أيضا جميعهم.

٧٧٦-نهج: [و] من خطبة له عليه السلام (١):

ليتأس صغيركم بكبيركم. و ليرؤف كبيركم بصغيركم. و لا تكونوا كجفأة الجاهلية. لا في الدين يتفقّهون. و لا عن الله يعقلون. كقيض بيض في أوحاح يكون كسره وزرا. و يخرج حضائها شرا.

[و] منها افترقوا بعد ألفتهم. و تشنّوا عن أصلهم. فمنهم أخذ بفضن أينما مال مال معه. على أن الله تعالى سيجمعهم لشر يوم لبني أمية. كما تجتمع قزع الخريف. يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب. ثم يفتح الله لهم أبوابا يسيلون من مستأثرهم كسيل الجنتين. حيث لم تسلم عليه قارة. و لم تثبت له أكمة. و لم يرّد سنه رصّ طود. و لا حداب أرض. يذعدهم الله في بطون أوديته. ثم يسلكهم ينابيع في الأرض. يأخذ بهم من قوم حقوق قوم. و يمكن قوم في ديارهم قوم.

و ايم الله ليدوبن ما في أيديهم بعد العلو و التمكن. كما تذوب الألية على النار.

أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق. و لم تهنوا عن توهين الباطل. لم يطعم فيكم من ليس مثلكم. و لم يقو من قوي عليكم. لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل. و لعمرى ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافا بما خلّفتم الحق وراء ظهوركم. و قطعتم الأذنى و وصلتم الأبعد.

واعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم. سلك بكم منهاج الرسول. و كفيتم مئونة الاعتساف. و نبذتم النفل الفادح عن الأعناق.

إيضاح: [لزم] تأسي الصغير بالكبير. لأنه أكثر تجربة و أحزم.

و قال الكيدري أي ليتأس من صغر منزلته في العلم و العمل بمن له متانة فيهما. و ليرحم كل من له جاه و منزلة في الدنيا بالمال و القوة كل من دونه.

و «القيض» بالفتح قشرة البيض العليا اليابسة. و قيل التي خرج ما فيها من فرخ أو ماء. و في بعض النسخ «كبيض هيض» أي كسر. و الأداحي جمع الأدهي بالضم. و قد يكسر و هو الموضع الذي تبيض فيه النعامة و تفرخ. و هو أفعال من دحوت لأنها تدحوه برجلها أي تبسطه. ثم تبيض فيه وليس للنعام عش.

وقال ابن أبي الحديد وجه الشبه. أنه إن كسرها كاسر أثم لأنه يظنّ بيض القطة. و إن لم يكسر. يخرج حضائها شرا. إذ يخرج أفعى قاتلا. و استعار لفظ الأداحي للأعشاش مجازا لأن الأداحي لا يكون إلّا للنعام.

و قال ابن ميثم نهام أن يشبهوا جفأة الجاهلية في عدم تفقّهم في الدين. فيشبهون إذا بيض الأفاعي في أعشاشها. و وجه الشبه أنه إن كسره كاسر أثم لتأذي الحيوان به. فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفأة الجاهلية. لا يحلّ أذاهم لحرمة الإسلام. و إن أهملوا و تركوا على الجهل. خرجوا شياطين.

و الحضان بالكسر مصدر. حضن الطائر بيضه إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه. و هو مرفوع بالفاعلية. قوله عليه السلام «افترقوا...» يذكر حال أصحابه و شيعته.

و قال ابن أبي الحديد الأخذ بالفضن من تمسك بعده عليه السلام بذرية الرسول عليه السلام و تقدير الكلام و منهم من لا يكون كذلك.

ثم ذكر ﷺ أن الفريقين يجتمعان لشرب يوم. و «القرع» جمع قرعة وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاما، و الركام ما كُف من السحاب. و «مستشارهم» موضع ثوراهم و هيجانهم.

و الجنتان هما اللتان ذكرهما الله في القرآن في قصة أهل سبأ. و القارة الجبل الصغير. و الأكمة الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله، و هو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا. و «سننه» طريقه. و طود مرصوص أي جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض. و الحداب جمع حدة و هي الروابي و النجاد. و الذعذعة التفريق و لعلمها كناية عن اختفائهم بين الناس، ثم إظهارهم بالإعانة و التأييد. و المراد بالقوم ثانيا آل الرسول ﷺ و هو إشارة إلى ظهور بني عباس و انقراض بني أمية. و قوله ﷺ «وأيام الله ليدوين ما في أيديهم» يحتمل أن يكون إشارة إلى ذهاب ملك بني أمية أو بني العباس.

وتاه في الأرض ذهب متحيرا، و المتاه مصدر. و المراد بالأدنى نفسه ﷺ، و بالأبعد من تقدم عليه. و (المراد ب) الداعي هو ﷺ أو القائم ﷺ. و الاعتساف سلوك غير الطريق. و فدحه الدين أثقله. و المراد بالثقل الفادح الإثم و العذاب في الآخرة أو الأعم.

٧٧٧- نهج: [و] من خطبة له ﷺ أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة، و لم يكن ليحترئ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيبتها و اشتد كلبها^(١).

فأسألوني قبل أن تفقدوني، فو الذي نفسي بيده لا تسألوني^(٢) عن شيء فيما بينكم و بين الساعة، و لا عن فئة تهدي مائة و تضل مائة، إلا أنبأتكم بناقته و قائدها و سائقها، و مناخ ركبها و محط رحالها، و من يقتل من أهلها قتل و من يموت منهم موتا.

و لو قد فقدتوني و نزلت بكم «خ» [كرائه الأمور و حوازب الخطوب، لأطرق كثير من السائلين، و فشل كثير من المسؤولين، و ذلك إذا قلصت حركم، و شرعت عن ساق، و ضاقت [و كانت «خ»] الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون معه أيام البلاء عليكم، حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم^(٣).

ألا إن الفتن إذا أبليت شبّهت، و إذا أوبرت تبهت، ينكرن مقبلات و يعرفن مديرات، يحمن حوم الرياح يصبن بلدا و يخطئن بلدا.

ألا [و] إن أخوف الفتن عندي عليكم، فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة، عمت خطتها، و خصت بليتها، و أصاب البلاء من أبصر فيها، و أخطأ البلاء من عمي عنها. و أيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي، كالثأب الضروس، تعذب بغيها، و تخبط بيدها، و تزبن برجلها، و تمنع دُرّها. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعا لهم، أو غير ضائر بهم. و لا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا مثل انتصار العيد من ربّه، و الصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنهم شوها مخشية، و قطعا جاهلية، ليس فيها منار هدى و لا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة، و لسا فيها بدعاة.

ثم يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم، بمن يسومهم خسفا، و يسوقهم عنفا، و يسقيهم بكأس مصيرة لا يعطيهم إلا السيف، و لا يحلّسهم إلا الخوف، فعند ذلك تودّ قريش بالدنيا و ما فيها لو يروني [يرونني «خ»] مقاما واحدا، و لو قدر جزر جزور، لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطوني.

إيضاح: قال ابن أبي الحديد^(٤) هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة، و هي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها علي بعد انقضاء أمر التَّهْرَوان، و فيها الفاظ لم يوردها الرّضي رحمه الله. ثم ذكر بعض الألفاظ المتروكة منها:

(١) رواه الشريف الرضي رحمه الله في المختار: (٩٢) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) وفي وسط السطر من أصلي نقلا عن بعض النسخ: «ولا تسألوني...».

(٣) وفي وسط الأسطر من أصلي نقلا عن نسخة من نهج البلاغة: «وكانت الدنيا عليكم ضيقا...».

(٤) ذكره ابن أبي الحديد في أواخر شرحه للكلام وهو المختار: (٩٢) من نهج البلاغة: ج ٧ ص ٥٧ ط الحديث بمصر، وفي ط الحديث ببيروت: ج ٢ ص ٦١٤.

قوله ﷺ «و لم يكن ليحتري عليها غيري، و لو لم أك فيكم ما قوتل أهل الجمل و النهروان. و ايم الله لو لأن تتكلموا فتدعوا العمل، لحدتكم بما قضى الله عز و جل على لسان نبيكم ﷺ لمن قاتلهم مبصر الفضائلهم، عارفا للهدى الذي نحن عليه.

سلوني قبل أن تفقدوني، فأتى ميت عن قريب أو مقتول، بل قتلا. ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم هذه و ضرب ﷺ] بيده على لحيته.

و منها في ذكر بني أمية يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى يملأ الأرض عدوانا و ظلما و بدعا، إلى أن يضع الله عز و جل جبروتها، و يكسر عمدها، و ينزع أوتادها. ألا و إنكم مدركوها، فانصروا قوما كانوا أصحاب رايات بدر و حين توجروا، و لا تمالئوا عليهم عدوهم، فيصير عليهم البلية و يحل بكم النعمة^(١).

و منها إذا مثل انتصار العبد من مولاه، إذا رآه أطاعه، و إذا توارى عنه شتمه. و ايم الله لو فرقوكم تحت كل حجر لجمعكم الله لشرب يوم لهم.

و منها فانظروا أهل بيت نبيكم فإن ليدوا فاليدوا، و إن استنصروكم فانصروهم، فليفرجن الله [الفتنه] برجل منا أهل البيت. بأبي ابن خيرة الإمام، لا يعطيهم إلا السيف هرجا هرجا، موضوعا على عاتقه ثمانية أشهر، حتى تقول قريش^(٢) لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا. يغريه الله ببني أمية، حتى يجعلهم حطاما و رفاتا «مَلُوءِينَ أُيُنْمَا تُقْفُوا أَخَذُوا وَ قَتَلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا»^(٣).

ثم قال [ابن أبي الحديد] فإن قيل فمن هذا الرجل الموعود به قيل أما الإمامية فيزعمون أنه إمامهم الثاني عشر، وأنه ابن أمة اسمها نرجس.

و أما أصحابنا، فيزعمون أنه فاطمي يولد في مستقبل الزمان، لأم ولد و ليس بموجود الآن.

فإن قيل فمن يكون من بني أمية في ذلك الوقت موجودا حتى ينتقم منهم؟

قيل أما الإمامية فتقول بالرجعة، و يزعمون أنه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أمية و غيرهم، إذا ظهر إمامهم المنتظر، وأنه يقطع أيدي أقوام و أرجلهم، و يسمل عيون بعضهم و يصلب قوما آخرين، و ينتقم من أعداء آل محمد ﷺ المتقدمين [منهم] و المتأخرين.

و أما أصحابنا فيزعمون أنه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلا من ولد فاطمة عليها السلام يستولي على السفيناني و أشياءه من بني أمية^(٤).

ثم قال فإن قيل لما ذُخِرَ أهل الجمل و أهل النهروان بالذكر، و لم يذكر [أهل] صفين قيل لأن الشبهة كانت في أهل الجمل و أهل النهروان ظاهرة الالتباس، أما أهل الجمل [ف] لحسن ظنهم بطلحة و الزبير، و كون عائشة زوجة الرسول ﷺ معهم.

و أما أهل النهروان، فكانوا أهل قرآن و عبادة و اجتهاد، و عزوف عن الدنيا، و هم كانوا قراء العراق و زهادها.

و أما معاوية، فكان فاسقا مشهورا بقلّة الدين و الانحراف عن الإسلام، و كذلك ناصره و مظاهره على أمره، عمرو بن العاص و من أتبعهما من طغام أهل الشام و أجلافهم و جهال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافيا في جواز قتالهم و محاربتهم، انتهى.

قوله ﷺ «فأنا فقات» يقال فقات العين أي شققها أو قلعتها بشحمها، أو أدخلت الإصبع فيها. و فقا عين الفتنة كسر ثورانها، و حذف المضاف أي عين أهلها بعيد.

و عدم اجترأه غيره ﷺ على إطفاء تلك الفتنة لأن الناس كانوا يهابون قتال أهل القبلة، و يقولون كيف نقاتل من يؤذّن كأذاننا و يصلي بصلاتنا؟

(١) كذا في أصلي المطبوع و في شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٦١٤ ط بيروت: فتصرعكم البلية و تحل بكم النعمة.
(٢) هذا هو الضراب المذكور في شرح ابن أبي الحديد، و في أصلي «موضوعاً على عاتقه يمانية حتى تقول قريش:....».

(٣) ما بين القوسين المزدوجين مقتبس من الآية: (٦١) من سورة الأحزاب: ٣٣.

(٤) هذا محصل ما أفاده ابن أبي الحديد و ليس نصّ كلامه.

الفهييب الظلمة و تموجها و عمومها و شمولها، تشبيها لها بالبحر. و الكلب بالتحريك داء يعرض الإنسان من عض الكلب، و العطش. و المراد شرها و أذاها.

و الفنة الطائفة و الجماعة [و] لا واحد لها من لفظها. و ناعقها الداعي لها. أو إليها. و المناخ بضم الميم موضع الإناخة. و الركاب الإبل التي يسار عليها. و الواحدة راحلة و الرحل بالفتح كل شيء يعد للرحيل. و حططت الرحل أنزلته عن الإبل. و المحط اسم مكان. و قيل هو و المناخ مصدران. و الكربة النازلة و كرائه الأمور المصائب التي تكرهها النفوس. و الحوازب جمع حازب. و هو الأمر الشديد، و حزه أمر اشتد عليه و دهمه. و الخطب بالفتح الشأن و الحال و الأمر الذي تقع فيه المخاطبة. و الإطراق السكوت، و إطراق السائل لصعوبة الأمر و شدته [عليه] حتى أنه يهتث عن السؤال و يتحير كيف يسأل. و الفشل الجبن و الضعف.

قوله ﷺ «و ذلك» أي التزلزل و الإطراق و الفشل. و «قلصت» بالتشديد أي اجتمعت و انضمت... و الحرب إذا كانت في موضع واحد يكون أشد و أصعب و يكون التشديد للمبالغة. و هي بالتخفيف بمعنى ارتفعت فالمراد شدتها و كثرتها.

و يقال [هي] بالتشديد بمعنى استمرت في المضي. و يقال قلص قميصه فقلص تقليصا أي شمر. لازم [و] متعد.

و في بعض النسخ «قلصت حربكم عن ساق» بدون كلمة «شمرت». و يروى «إذا قلصت عن حربكم» بالتخفيف أي إذا انكشف كرائه الأمور و حوازب الخطوب عن حربكم. و «شمرت عن ساق» أي كشفت عن شدة و مشقة كما قيل في قوله تعالى «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». و قيل كشف الساق مثل في اشتداد الأمر و صعوبة الخطب. و أصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب.

و قيل يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ أي عن أصل الأمر و حقيقته بحيث يصير عيانا. و يحتمل أن يكون الغرض تشبيه الحرب بالمجد في أمر، فإن الإنسان إذا جد في السعي شمر عن ساقه و رفع ثوبه لئلا يمنعه. و استطالة الأيام عدّها طويلة. و يوم البؤس و الشدة يطول على الإنسان. و لعل المراد ببقية الأبرار، أولادهم و إن لم يكونوا أبرارا في أنفسهم، إن كان [الكلام] إشارة إلى دولة بني العباس. و أظهر أنه ﷺ [أراد القائم ﷺ].

قوله ﷺ «شبهت» على المعلوم أي جعلت نفسها أو الأمور الباطلة شبيهة بالحق. أو على إبناء المجهول أي أشكل أمرها و التبس على الناس.

قوله ﷺ «نهبت» أي أيقظت القوم من النوم، و أظهرت بطلانها عليهم.

«ينكرون» أي لا يعرف حالهن. و حام الطائر حول الماء إذا طاف و دار لينزل عليه.

و قوله ﷺ [«حوم الرياح» أي كحومها.

و الخطبة بالضم شبه القصة و الأمر و الخطب. و عموم خطة تلك البلية لكونها رئاسة عامة و سلطنة شاملة. و خصوص البلية لكون حظ أهل البيت ﷺ و شيعتهم منها أوفر.

و إصابة البلاء من أبصر فيها، لحزن المبصر من مشاهدة أفعالهم الشنيعة، و قصدهم إيذاء بأنواع الأذى بخلاف الجاهل المتقاد لهم.

و يطلق الرب على المالك و السيد و المدير و المرتب و المنعم.

و الباب الناقة المسنة. و الضروس السيئة الخلق تعض حالها. و عذم الفرس كضرب إذا أكل بجفاء أو عض. و خطب البعير إذا ضرب بيده الأرض شديدا. و الزين الدفع. و زينت الناقة إذا ضربت بفئنت رجلاها عند الحلب. و الذر اللبن. و يقال لكل خير على التوشع.

قوله ﷺ «لا يزالون بكم» أي لا يزالون يؤذونكم بأنواع الأذى حتى لا يبقى منكم إلا من ينفعهم في مقاصدهم، أو لا يضرهم بإتيان المنكرات عليهم. و الضائر المضر. و الانتصار الانتقام. و صاحب التابع. و المستصحب المتبوع. و الغرض إما نفي إمكان الانتصار، أو إثبات انتصار الأعداء

والمقهورين، كالغبية والذم مع الأمن من الوصول إلى المغتاب. والشوها القبيحة. والمخشية المخوفة. والجاهلية الحالة التي كانت العرب عليها قبل الإسلام. والمنجاة موضع النجاة. والغرض خلاصهم من لحوق الآتاء والمتابعة في الدعوة إلى الباطل. لا الخلاص من الآذية. والأديم الجلد. ووجه الشبه انكشاف الجلد عما تحته من اللحم. ويحتمل أن يكون المراد بالأديم، الجلد الذي يلف الإنسان فيه للتعذيب لأنه يضغطة شديدا إذا جف وفي تفرجه راحة.

و يسومهم أي يكلفهم ويلزمهم. والخسف النقصان والذل والهوان. والمصريّة الممزوجة بالصر المر. وقيل أي المملوءة إلى أصبارها، أي جوانبها. والحلس بالكسر كساء رقيق يكسى على ظهر البعير تحت البرذعة. وأحلس البعير أبسه الحلس.

ويحتمل أن يكون من الحلس الذي يبسط تحت حرّ الثياب، إشعارا بأنهم في بيوتهم أيضا خائفون. وهو إشارة إلى ظهور دولة بني العباس. والجزور الناقة التي تجزر.

قوله ﷺ «ما أطلب اليوم بعضه» أي الطاعة والالتقاء، أي يتمنون أن يروني فيطيعوني إطاعة كاملة، وقد رضى منهم اليوم بأن يطيعوني إطاعة ناقصة فلم يقبلوا.

وقد روي في [كتب] السير أن مروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية، قال يوم الزاب لما شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بإزائه في صف خراسان لوددت أن علي بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلا من هذا الفتى. ويحتمل أن يكون التمني عند قيام القائم ﷺ.

٧٧٨- نهج: [و] من كلام له ﷺ (١).

فلا أموال بذلتوها للذي رزقها، ولا أنفس خاطرت بها للذي خلقها، تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده، فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم، وانقطاعكم عن أوصل إخوانكم.

بيان: انتصاب [قوله] «أموال» بفعل مقدّر دلّ عليه «بذلتوها» وكذلك «أنفس». وخاطر فلان بنفسه وبماله أي ألغاهما في الهلكة. «تكرمون بالله» أي يعزّكم الناس بأنكم أهل طاعة الله. «ولا تكرمون الله» أي لا تطيعونه في الإحسان إلى عباده، أو [في] إجراء أحكامه بينهم.

٧٧٩- نهج: من خطبة له ﷺ (٢).

روي عن نوف البكالي قال خطبنا [ب] هذه الخطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) [و] هو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحامل سيفه ليف [من ليف «خ»] وفي رجليه نعلان من ليف، وكان جبينه ثفتة بعير فقال:

الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه، ونثّر برهانه، ونوامي فضله وامتثانه، حمدا يكون لحقه قضاء، ولشكره أداء، وإلى ثوابه مقربا، ولحسن مزیده موجبا.

ونستعين به استعانة راج لفضله مؤتمل لفعله، واثق بدفعه، معترف له بالطول، مدعن له بالعمل والقول. ونؤمن به إيمان من رجاء موقنا، وأناب إليه مؤمنا، وخنع له مدعنا وأخلص له موخدا، وعظمه مجبدا، ولاذ به راغبا مجتهدا.

لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركا، ولم يلد فيكون موروثا هالكا، ولم يتقدّمه وقت ولا زمان، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم.

فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطّدت بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات غير متلكّئات ولا مبطنات، ولو لا إقرارهنّ بالربوبية وإذعانهنّ بالطوعية، لما جعلهنّ موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه.

(١) رواه السيّد الرضی قدّس الله روحه في المختار: (١١٥) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه الشريف الرضی رضي الله تعالى عنه في المختار: (١٨٠) من كتاب نهج البلاغة.

جعل نجومها أعلاما يستدلّ به الحيران في مختلف فجاج الأقطار.

لم يمنع ضوء نورها ادلهام سجع الليل المظلم، ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع في السماوات من تلالؤ نور القمر.

فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج، ولا ليل ساج في بقاع الأرضين المتطأطئات، ولا في يفاع السّفع المتجارات، وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء، وانهدطال السّماء.

ويعلم مسقط القطرة ومقرّها، ومسحب الدّرة ومجرّها، وما يكفي البعوضة من قوتها، وما تحمل الأنتى في بطنها. والحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسيّ أو عرش أو سماء أو أرض أو جانّ أو إنس. لا يدرك بوهم، ولا يقدر بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحذّ بأين، ولا يوصف بالأزواج، ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالنّاس، الذي كلّم موسى تكليما وأراه من آياته عظيما، بلا جوارح ولا أدوات، ولا نطق ولا لهوات.

بل إن كنت صادقا أيّها المتكلّف لو صف ربّك فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين، في حجرات القدس مرجّحين، متوهّة عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين.

وإنما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات، ومن ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء. ١٢٦/٣٤

فلا إله إلّا هو، أضاء بنوره كلّ ظلام، وأظلم بظلمته كل نور.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرّياش، وأسبغ عليكم المعاش، ولو أنّ أحدا يجد إلى البقاء سلما، أو لدفع الموت سبيلا، لكان ذلك سليمان بن داود الذي سخر له ملك الجنّ والإنس مع التّوبة، وعظيم الرّزقة، فلمّا استوفى طعمته، واستكمل مدّته، رمته قسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الدّيار منه خالية، والمساكن معطّلة ورثها قوم آخرون.

وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة أين الفراعنة وأبناء الفراعنة أين أصحاب مدائن الرّسّ الذين قتلوا النّبيّين وأطفئوا سنن المرسلين وأحيا سنن الجبارين أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوف وعسكروا العساكر ومدّوا المدائن.

[و] منها قد ليس للحكمة جنتها، وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها، والمعرفة بها، والتّفرّع لها، وهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها، فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، وضرب بعسيب ذنبه وألصق الأرض بجرائنه بقيّة من بقايا حجّته، خليفة من خلايف أنبيائه.

ثم قال ﷺ أيّها النّاس إنّي قد بنّيت لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء أممهم، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدّبكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوكم بالزّواج فلم تستوثقوا، لله أنتم أتمتوقعون إماما غيري يظا بكم الطريق ويرشدكم السّبيل؟

ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلا، وأقبل منها ما كان مدبرا، وأزعم الرّحال عباد الله الأخيار، وباعوا قليلا من الدّنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى.

ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصقّين أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص، ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوقاهم أجورهم، وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم. ١٢٧/٣٤

أين إخواني الذين ركبو الطريق ومضوا على الحقّ أين عمار وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برءوسهم إلى الفجرة؟

قال [نوف] ثمّ ضرب يده إلى لحيته وأطال البكاء، ثمّ قال ﷺ:

أوه على إخواني الذين تلاوا القرآن فأحكموه وتدبّروا الفرض فأقاموه وأحيا السنّة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، وثقوا بالقائد فاتبعوا.

ثم نادى بأعلى صوته.

الجهاد الجهاد عباد الله ألا وإني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الزواج إلى الله فليخرج [فليبرح «خ»].
قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد رحمه الله في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري [في] عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صقين، فما دارت الجمعة حتى ضربه ملعون ابن ملجم، لعنه الله، فتراجعت العساكر. فكثرت كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كل مكان.

تبيين: قد مر شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد، وقال [ابن الأثير] في [كتاب] النهاية الرياش والريش ما ظهر من اللباس. وقيل الرياش جمع الريش، ويقع الرياش على الخصب والمعاش والمال المستفاد.

و«أسخ» أي أكمل وأوسع. والمعاش والمعيشة مكسب الإنسان الذي يعيش به. والسلم كسكر ما يرتقى عليه. واستعمل هنا في الوسيلة.

وكون النبوة والرفعة أي القرب والمنزلة من الوسائل إلى البقاء، لاستجابة الدعاء منهما، فهما مظنتان للتوصل إلى البقاء في الباطن، كما أن السلطنة الكاملة مظنة لأن تكون وسيلة إليه في الظاهر. والطعمة الرزق المقدّر. والقسي جمع القوس. والنبل سهام العربية. لا واحد من لفظها.

وقال ابن أبي الحديد نبال الموت أسبابه. والإضافة البيانية للمبالغة بعيدة.

والمعلقة أولاد عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. والفراغة ملوك مصر. وقد مضى ذكر أصحاب الرأس.

وعسكروا [العساكر] أي جمعوها. ومدنوا المدائن أي بنوها.

قوله عليه السلام «قد لبس للحكمة جنتها» إشارة إلى القائم عليه السلام كما ذكره ابن أبي الحديد نقلاً عن الإمامية.

و«التفرغ لها» أي عن العلائق والشواغل.

قوله عليه السلام «ضالته» إشارة إلى قوله عليه السلام «الحكمة ضالة المؤمن».

قوله عليه السلام «فهو مغترب» أي هذا الشخص يخفي نفسه ويخملها إذا ظهر الفسق والجور واغترب الإسلام باغتراب العدل والصلاح، وهو إشارة إلى غيبة القائم عليه السلام.

وقال [ابن الأثير] في [مادة] «ذنب» من كتاب [النهاية] في حديث علي عليه السلام أنه ذكر فتنة فقال «إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه»^(١) أي فارق أهل الفتنة وضرب في الأرض ذاهبا في أهل دينه وأتباعه الذين يتبعونه على رأيه وهم الأذئاب.

وقال الزمخشري الضرب بالذنب هاهنا مثل للإقامة والثبات، يعني يثبت هو ومن يتبعه على الدين.

وقال الفيروز آبادي العسيب عظم الذنب أو منبت الشعر منه، والبعر إذا أعيا وتأذى ضرب بعسيب ذنبه.

والصاق الأرض بجرانه كناية عن ضعف الإسلام وقلة نفعه، فإن البعير أقل ما يكون نفعه حال بروكه. وجران البعير صدره أو مقدم عنقه. وبث الخبر نشره. والحداء سوق الإبل والغناء لها.

قوله عليه السلام «واستوتقوا» استجمعوا وانضموا. و«الزواجر» النواهي والإبعادات. «يطأ بكم الطريق» أي يذهب بكم في سبيل الحق.

قوله «ما كان مقبلاً» أي الهدى والرشاد الذي كان في أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو في أيام خلافته عليه السلام، فيكون إشارة إلى قرب ارتحاله من دار الفناء.

و[المراد من قوله] «ما كان مدبراً» الضلال والفساد. و«أزمع الأمر» أي عزم عليه. والترحال بالفتح مبالغة في الرحلة.

وكلمة «ما» في [قوله عليه السلام] «ما ضر» نافية، ويحتمل الاستفهام [أيضاً] على الإنكار. والفاعل [هو] قوله [«أن لا يكونوا»].

(١) وهذا رواه أيضاً الهروي في مادة «ذنب» من كتاب غريب الحديث.

ورواه أيضاً السيد الرضي في المختار الأول من غريب كلام أمير المؤمنين بعد المختار (٢٦٠) من قصار كلام أمير المؤمنين من نهج البلاغة.

وإساعة الغصص هنا كناية عن كثرة الآلام ومشاهدة المنكرات، بحيث صار تجزّع الغصص عادة لهم، أو عن الرضا بقضاء الله، والغصة ما يعترض في الحلق، والرقق بالفتح والتحريك الكدر من الماء. وعمار هو ابن ياسر المعروف وقد مرّ فضله. وابن التيهان بالياء المنقوطة باثنتين تحتها، المشددة المكسورة، وقبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها، ذكره ابن أبي الحديد وجوز فتح الياء أيضا. والمضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة وفتح التاء وكسرهما معا. وفي القاموس وتيهان وتيهان مشددة الياء ويكسر، وهو أبو الهيثم واسمه مالك. وقال ابن أبي الحديد الصحيح أنه أدرك صفين شهدها مع علي عليه السلام... وقيل توفي في زمن الرسول ﷺ.

وذو الشهادتين هو خزيمة بن ثابت وقصته مشهورة، يكنى أبا عماره، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، وشهد صفين مع علي عليه السلام، فلما قتل عمار قاتل حتى قتل. قوله عليه السلام «تعاقدوا» أي جعلوا الموت بينهم عقدا. أو تابعوا على الموت وروي «تعاقدوا». «وأبرد بروسهم» [مأخوذ] من البريد أي أرسل للبشارة بها. و «الفجرة» أمراء عسكر الشام. و «أوه» ساكنة الواو مكسورة الهاء كلمة شكوى وتوجع، وربما قلبوا الواو ألفا، فقالوا آه من كذا، وآه على كذا. وربما شدد الواو وكسروها وسكنوا الهاء، فقالوا آوه من كذا. وربما حذفوا الهاء مع التشديد وكسروا الواو، فقالوا أو من كذا بالمد. وقد يقولون آوه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء، لتطويل الصوت بالشكاية. وربما أدخلوا فيه التاء تارة يمدونه، فيقولون أوتاه و أوتاه، والاسم منه الآهة بالمد. ذكره الجوهري وابن أبي الحديد.

وإحكامه [أي القرآن] تلاوته كما ينبغي مع رعاية المحسنات، والتدبر في معانيه والعمل بمقتضاه. وأراد عليه السلام بالقائد نفسه. والروح إلى الله الذهاب إلى الفوز برضائه، أو إلى لقائه بالشهادة. وقيس هو من أصحاب رسول الله ﷺ، كان شجاعا جوادا من كبار شيعة علي عليه السلام، شهد حروبه كلها. وأبوه سعد بن عباد، كان رئيس الخزرج، ولم يبايع أبا بكر، ومات على عدم البيعة. و المشهور أنهم قتلوه لذلك، وأحالوا قتله على الجن، وافتروا شعرا من قبل الجن كما مرّ. وأبو أيوب هو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجار، شهد العقبة وبدرًا وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهدته كلها، وكان على مقدمته يوم النهروان. والاختطاف أخذك الشيء بسرعة. والمراد هنا إما الأخذ بالذهب والقتل والإذلال، أو الإغواء والإضلال.

٧٨٠ ما: جماعة عن محمد بن عمران المرزباني، عن محمد بن موسى عن محمد بن سهل عن هشام عن أبي مخنف عن ابن حصيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله الأزدي قال^(١):

قام علي بن أبي طالب عليه السلام في الناس، ليستفرهم إلى أهل الشام، وذلك بعد انتضاء المدة التي كانت بينه وبينهم، وقد شنّ معاوية على بلاد المسلمين الغارات، فاستفرهم في الرغبة في الجهاد والرهبة فلم ينقروا، فأضجره ذلك، فقال: يا أيها الناس المجتمعة أبدأهم المختلفة أهواؤهم ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم. كلامكم يوهن الصمّ الصلاب، وتناقلكم عن طاعتي يطعم فيكم عدوكم [المراتب]. إذا أمرتكم قلت «كيت وكيت وعسى» أعاليل بأباطيل وتساؤوني التأخير، دفاع ذي الدين المطول.

هيهات هيهات لا يدفع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلّا بالجدّ والصبر. أي دار بعد داركم تمنعون ومع أيّ إمام بعدي تقاثلون المغرور والله من غرتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب.

أصبحت لا أطعم في نصرتكم، ولا أصدق قولكم، فوّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم. أما إنكم ستلقون بعدي ذلا شاملا، وسيفا قاطعا، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة، يفرق جماعتكم، وتبكي عيونكم، وتمنّون عمّا قليل أنكم رأيتموني فنصرتوني، وستعرفون ما أقول لكم عمّا قليل، ولا يبعد الله إلّا من ظلم.

قال فكان جندب لا يذكر هذا الحديث إلّا بكى، وقال صدق والله أمير المؤمنين، قد شملنا الدّلّ وأبناه الأثرة، و لا يبعد الله إلّا من ظلم.

٧٨١- شاج: روي أنّه لما عزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية، قال بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ^(١):

اتقوا الله عباد الله وأطيعوه وأطيعوا إمامكم، فإنّ الرعيّة الصّالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإنّ الرعيّة الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر.

وقد أصبح معاوية غاصبا لما في يديه من حقّي، ناكثا لبيعتي، طاعنا في دين الله عزّ وجلّ.

١٣٣
٣٤ و قد علمت أنّها المسلمون ما فعل الناس بالأمس، فجتعنوني راغبين إليّ في أمركم، حتّى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني، فالتويت عليكم لأبلى ما عندكم، فراودتموني القول مرارا، ورادتكم، وتداكنتم عليّ تذاك الإبل الهيم على حياضها، حرصا على بيعتي، حتّى خفت أن يقتل بعضكم بعضا، فلمّا رأيت ذلك منكم، رأيت في أمركم وأمري، و قلت إن أنا لم أجهم إلى القيام بأمرهم، لم يصيبوا أحدا منهم يقوم فيهم مقامي، و يعدل فيهم عدلي. و قلت والله لأليّنهم و هم يعلمون حقّي و فضلي، أحبّ إليّ من أن يلوني و لا يعرفون حقّي و فضلي. فبسطت يدي فبايعتموني يا معاشر المسلمين، و فيكم المهاجرون و الأنصار و التابعون بإحسان، و أخذت عليكم عهد بيعتي و واجب صفقتي [و] عهد الله و ميثاقه. و أشدّ ما أخذ على النّبیین من عهد و ميثاق لتقرّن لي^(٢)، و لتسمعن لأمري، و لتطيعوني و تناصحوني، و تقاتلون معي كلّ باغ عليّ، أو مارق إن مرق. فبايعتم لي بذلك جميعا، و أخذت عليكم عهد الله و ميثاقه و ذمّة الله و ذمّة رسوله، فأجبتوني إلى ذلك، و أشهدت الله عليكم، و أشهدت بعضكم على بعض. فقمتم فيكم بكتاب الله و سنّة نبيّه ﷺ. فالعجب من معاوية بن أبي سفيان ينازعني الخلافة، و يجحدني الإمامة، و يزعم أنّه أحقّ بها منّي، جرأة منه على الله و رسوله ﷺ، بغير حقّ له فيها، و لا حجة. و لم يبايعه المهاجرون، و لا سلّم له الانتصار و المسلمون.

١٣٤
٣٤ يا معاشر المهاجرين و الأنصار و جماعة من سمع كلامي أما أوجبتم لي على أنفسكم الطاعة أما بايعتموني على الرغبة أما أخذت عليكم العهد بالقبول لقولي أما بيعتي لكم يومئذ أؤكد من بيعة أبي بكر و عمر فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتّى مضيا، و نقض عليّ و لم يوف لي أما يجب عليكم نصحي و يلزمكم أمري أما تعلمون أنّ بيعتي تلزم الشاهد منكم و الغائب فما بال معاوية و أصحابه طاعنون في بيعتي و لم لم يفوا لي و أنا في قرابتي و سابقتي و صهري، أولى بالأمر ممن تقدّمني أما سمعتم قول رسول الله ﷺ يوم الغدير في ولايتي و موالاتي.

فاتقوا الله أنّها المسلمون و تحاثوا على جهاد معاوية القاسط الناكث و أصحابه القاسطين، [و] اسمعوا ما أتلو عليكم من كتاب الله المنزل على نبيّه المرسل لتتّعظوا، فإنّه و الله عظة لكم. فانتفعوا بمواعظ الله و ازددجروا عن معاصي الله، فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيّه ﷺ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنِيتُمْ عَلَيْكُمْ الْغَنَالُ أَنْ تَقَاتِلُوا قَالُوا وَ بَلْنَا أَلَا تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ آبَائِنَا فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُولَدْ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ بِنَهَرٍ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

أنّها النّاس إنّ لكم في هذه الآيات عبرة لتعلموا أنّ الله جعل الخلافة و الإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم، و أنّه فضل طالوت و قدّمه على الجماعة باصفاته، إيّاه، و زاده بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ. فهل تجدون الله اصطفى بني أميّة على بني هاشم، و زاد معاوية عليّ بسطة في العلم و الجسم؟

فاتقوا الله عباد الله و جاهدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعضيائكم له، قال الله سبحانه «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) رواه الشيخ المفيد على الله مقامه في الفصل: (٣٠) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه في كتاب الإرشاد، ص ١٣٩، ط النجف.

ورواه أيضا الطبرسي في كتاب الاحتجاج ج ١، ص ١٧٢، ط بيروت.

(٢) كذا في ط الكمباني من أصلي، وفي ط النجف من كتاب الإرشاد: «تَقَرَّنْ لِي...».

مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْنِاؤْا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

وَ قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجْنِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ نَعْلَمُونَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَذْيٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ تَحَاتُّوا عَلَى الْجِهَادِ مَعَ إِمَامِكُمْ. فلو كان لي بكم عصابة بعدد أهل بدر، إذا أمرتهم أطاعوني، وإذا استهضتهم نهضوا معي، لاستغفيت بهم عن كثير منكم، و أسرعت النهوض إلى حرب معاوية و أصحابه، فإنه الجهاد المفروض.

بيان: إِنَّمَا أوردته في هذا الباب لأنه بالنهوض الثاني أنسب منه بالأول، وإن احتمله.

٧٨٢- شاح: [و] من كلامه عليه السلام يجري مجرى الاحتجاج، مشتملا على التوبيخ لأصحابه على تناقضهم لقتال معاوية، والتفديد، متضمنا للوم و الوعيد^(١)!

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي اسْتَفْتَرْتُكُمْ لِهَذَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَلَمْ تَنْفَرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، شَهِدُوا كَالْقَيْبِ.

أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها، و أعظمكم بالموعظة البالغة فتنفرون عنها، كأنكم خُمُرٌ مُسْتَفْتَرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ وَ أَحْكَمَكُم عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْجَوْرِ فَمَا أَتَى عَلَى آخِرِ قَوْلِي، حَتَّى أُرَاكُمْ مُسْتَفْرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ تَتَرَبَّعُونَ حَلَقًا، تَضْرِبُونَ الْأَمْثَالَ، وَ تَنْشُدُونَ الْأَشْعَارَ، وَ تَجَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ، حَتَّى إِذَا تَفَرَّقْتُمْ، تَسْأَلُونَ عَنِ الْأَشْعَارِ جَهْلَةً مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، وَ غَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ، وَ تَتَبَعًا مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ. وَ نَسِيْتُمُ الْحَرْبَ وَ الْإِسْتِعْدَادَ لَهَا، فَأَصْبَحَتْ قُلُوبُكُمْ فَارِغَةً مِنْ ذِكْرِهَا، شَغَلْتُمُوهَا بِالْأَعَالِيلِ وَ الْأَصَالِيلِ.

فالعجب كل العجب و كيف لا أعجب من اجتماع قوم على باطلهم و تناذلكم عن حقكم.

يا أهل الكوفة أنتم كأمّ مجالد، حملت فأملصت، فمات قِيمَها، و طال أَمَيَها و ورثها أبعدُها.

و الذي فلق الحبة و برأ النُسمَة، إنَّ من ورانكم الأُور الأُدبر جهنم الدنيا، لا يبقِي و لا يذر.

و من بعده التَّهاس القَرَّاس، الجموع المنوع، ثم ليتوارثكم من بني أُمَيَّة عِدَّة، ما الآخر [منهم] بأرأف بكم من الأول، ما خلا رجلا واحدا [منهم] بلاء قضاء الله على هذه الأُمَّة، لا محالة كائن.

يقتلون خياركم، و يستعيدون أرذلكم، و يستخرجون كنوزكم و ذخائركم من جوف حجالكم، نعمة بما ضيعتم من أُمُوركم و صلاح أنفسكم و دينكم.

يا أهل الكوفة أخبركم بما يكون قبل أن يكون، لتكونوا منه على حذر، و لتذروا به من اتَّعَظَ و اعتبر. كَاتِي بكم تقولون إن عليا يكذب كما قالت قريش لَنَبِيِّها و سَيِّدِها نَبِيَّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَبِيبِ اللَّهِ ﷺ.

فيا ويلكم، فعلى من أكذب أعلى الله فأنا أوَّل من عبد الله و وحده، أم على رسول الله ﷺ فأنا أوَّل من آمن به و صدَّقه و نصره. كلَّا و لكنها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء.

والذي فلق الحبة و برأ النُسمَة، لتعلمن نَهاها بَعْدَ جِنِّ، وذلك إذا صَرَّيْكُمْ إِلَيْهَا جهلكم، و لا ينفعكم عندها علمكم، فقيحا لَكُمْ يا أَشْيَاءَ الرِّجَالِ وَ لا رجال، حلوم الأطفال و عقول رِبَاتِ الْحِجَالِ.

أما و الله أَيُّها الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهْوَائُهُم ما أَعَزَّ اللَّهُ نصر من دَعَاكُمْ، و لا استراح قلب من قاساكم، و لا قَوَّتْ عَيْنٌ مِنْ آوَاكُمْ. كلامكم يوهي الصَّم الصَّلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب.

(١) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٤٦) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٤٨. ورواه أيضاً الطبرسي في كتاب الاحتجاج ص ١٧٣.

يا ويحكم، أي دار بعد داركم تمنعون و مع أي إمام بعدي تقاتلون والمغرور والله من غررتموه، و من فاز بكم فاز بالسهم الأخبب.

أصبحت لا أطعم في نصركم، و لا أصدق قولكم. فرّق الله بيني وبينكم، و أعقبني بكم من هو خير لي منكم، و أعقبكم بي من هو شرّ لكم متي.

إمامكم يطيع الله و أنتم تعصونه، و إمام أهل الشام يعصي الله و هم يطيعونه. و الله لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم و أعطاني واحدا منهم و الله لوددت أنني لم أعرفكم، و لم تعرفوني، فأنها معرفة جرّت ندما.

لقد ورّيتم صدري غيظا، و أفسدتم عليّ أمري بالخذلان و العصيان، حتى لقد قالت قريش إنّ عليا رجل شجاع [و] لكن لا علم له بالحروب. لله درهم هل كان فيهم أحد أطول لها مراسا متي و أشد لها مقاساة لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، ثم ها أنا قد ذرّفت على السّتين، و لكن لا أمر لمن لا يطاع.

أما والله لوددت أن ربّي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، و إنّ النّية لترصدني، فما يمنع أشقاها أن يخضبها و نزل الله عليه رأسه و لحيته عهدا عهده إلى النّبي الأمي ﷺ. وَ قَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ، و نجا من اتقى وَ صدّق بِالْحُسْنَى.

١٣٨
٣٤

يا أهل الكوفة قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلا و نهارا، و سراً و إعلانا، و قلت لكم اغزوه قبل أن يغزوكم فإنّه ما غزي قوم في عقر دارهم إلّا ذلوا. فتواكلتم و تخاذلتم، و ثقل عليكم قولي، و استصعب عليكم أمري، وَ اتَّخَذْتُمُوهُ زَوَاءً كُمْ ظُهُرِيّاً حَتَّى شَتَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتِ، و ظهرت فيكم الفواحش و المنكرات، تسيكم و تصبحكم كما فعل بأهل المثلث من قبلكم، حيث أخبر الله عزّ و جلّ عن الجبابرة العتاة الطّغاة، و المستضعفين الغواة في قوله تعالى ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(١).

أما و الذي فلق الحبة و برأ التّسمة لقد حلّ بكم الذي توعدون.

عائبتكم يا أهل الكوفة بمواظ القرآن فلم أنتفع بكم، و أدبتكم بالدرة فلم تستقيموا لي^(٢)، و عاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعوا. و لقد علمت أنّ الذي يصلحكم هو السيف، و ما كنت متحرّيا صلاحكم بفساد نفسي، و لكن سيسلّط عليكم سلطان صعب، لا يورق كبيركم، و لا يرحم صغيركم، و لا يكرم عالمكم، و لا يقسم الفتي بالسّوية بينكم، و ليضربنكم و ليدلنكم، و ليجزنكم في المغازي، و يقطعنّ سيلكم، و ليحبجنكم على بابه حتى يأكل قويكم ضعيفكم، ثم لا يبعد الله إلّا من ظلم. و قلّ ما أدبر شيء فأقبل، إنّي لأظننكم على فترة، و ما عليّ إلّا النصّح لكم.

يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث و اثنتين صمّ ذوو أسماع، و بكم ذوو ألسن، و عمي ذوو أبصار. لا إخوان صدق عند اللّقاء، و لا إخوان ثقة عند البلاء.

اللّهم إنّي قد ملتهنّ و ملّوني، و ستمتهنّ و ستموني. اللّهم لا ترض عنهم أميرا، و لا ترضهم عن أمير، و أمث قلوبهم كإمات الملح في الماء.

١٣٩
٣٤

أما و الله لو [كنت] أجد بدا من كلامكم و مراسلتكم ما فعلت. و لقد عائبتكم في رشدكم حتّى شممت الحياة، [و] أنتم في كلّ ذلك ترجعون بالهزم من القول، فرارا من الحقّ، و إلحادا إلى الباطل^(٣) الذي لا يعزّ الله بأهله الدين، و إنّي لأعلم بكم أنّكم لا تزيدوني غير تخسير.

كلّما أمرتكم بجهاد عدوّكم اناقلتم إلى الأرض، و سألتوني التأخير دفاع ذي الدّين المطول. إن قلت لكم في

(١) و الآية الكريمة قد وردت في ثلاث سور من القرآن المجيد في الآية: (٤٩) من سورة البقرة، و في الآية (١٤١) من سورة الأعراف، و في الآية: (٦) من سورة إبراهيم.

(٢) في النسخة الخطيّة: «و أدبتكم بالدرة فلم أنتفع بكم، و أدبتكم بالدرة فلم تستقيموا لي» الظاهر أنّه خطأ من الناسخ، و الصحيح ما أثبتناه في المتن، و هو مطابق لرواية الاحتجاج.

(٣) كذا في أصلي من البحار، و مثله في طبع النجف من كتاب الإرشاد، و لعل الصواب: «وإخلاداً إلى الباطل...».

القيظ سيروا. قلت الحرّ شديد. وإن قلت لكم سيروا في البرد. قلت الحرّ شديد. كلّ ذلك فرارا عن الحرب إذا كنتم عن الحرّ والبرد تعجزون، فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز. ف إنا لله وإنا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة قد أتاني الصريح يخبرني أنّ ابن غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلا في أربعة آلاف. فأغار عليهم كما يغار على الرّوم والخز، فقتل بها عاملي ابن حسان، وقتل معه رجالا صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوأ الله لهم جنّات التّعيم، وإنّه أباحها.

وقد بلغني أنّ العصبة من أهل الشام، كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فيهتكون سترها، ويأخذون القناع من رأسها، والخرص من أذنّها، والأرضاح من يديها وجليها وعضيها، والخلخال والمزتر عن سوقها، فما تمتنع إنّما بالاسترجاع والتّداء «يا للمسلمين» فلا يغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر، فلو أنّ مؤمنات من دون هذا أسفا، ما كان عندي ملوما بل كان عندي بارا محسنا.

وآعجا كلّ العجب من تطافر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقّكم قد صرتم غرضا يرمي ولا ترمون، وتغزون ولا تغزون، ويعصون الله وتضرون، فترت يا أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب.

بيان: التّفنيد اللّوم وتضعيف الرأي. والقسورة الأسد. وقال الجوهري أملت المرأة بولدها أي أسقطته. ونهس اللحم أخذه بمقدّم الأسنان. ونهس الحيّة لسعها. وفرس الأسد فريسته دقّ عنقها. والمراد بالنّهباس الفراس، إمّا هشام بن عبد الملك لاشتهاره بالخب، أو سليمان بن عبد الملك، فإنّه الذي قبضت له الخلافة بعد وفاة الحجاج بقليل. والأوّل أنسب.

والمراد بالرجل الواحد [هو] عمر بن عبد العزيز.

قوله ﷺ «لو كنّها لهجة خدعة» أي إذا قلت لكم سأظفر على الخصم إن شاء الله، فليس هذا من الكذب، بل هو كما مرّ وكذا أشباهه من مصالح الحرب وغيره.

ويحتمل إرجاع ضمير «لكنّها» إلى ما ذكره من نسبته ﷺ إلى الكذب، خصوصا على نسخة «أغنياء» بالون، أي ما ذكرتم لهجة خدعتم فيها من الشيطان. ولم تكن لكم حاجة إلى ذكرها.

وفي الصحاح وهي السّقاء يهي وهي إذا انخرق وأنشّق. وفيه وري القيق جوفه يريه وريا أكله والاسم الوري بالتحريك. وورى الجرح سائرته تورية أصابه الوري. والمراس الممارسة والمعالجة. ورصده رقبه. والترصد الترقّب.

قوله ﷺ «تسميكم وتصحبكم» لعلّ الضمير المستتر فيهما راجع إلى الفواحش والمنكرات أي يأتيكم إمّا صباحا أو مساء عقوبات تلك المنكرات كما فعل بمن قبلكم.

أو الكاف اسمي أي يأتيكم مثل ما فعل بهم. أو قبله تقدير أي يأتيكم عقوبته كما فعل بهم.

أو الضميران راجعان إلى شئ الغارات وظهور الفواحش والمنكرات، ويكون المراد ظهورها من المخالفين فيهم فهذه عقوبة أعمالهم.

قوله ﷺ «وليجهزكم» أي يهيئكم جيّرا. وفي بعض النسخ «وليجهزكم». وفي بعضها «وليجهزكم» وتجير الجيش أن تحبسهم في أرض العدو ولا تغفلهم من التفرّج. وتجسّروا أي تحبسوا.

وقوله ﷺ [«وليحببكم» ضمن معنى القيام فعدي ب «على».

قوله ﷺ «إن قلت لكم في القيظ» [كذا في كتاب الإحتجاج] وفي [كتاب] الإرشاد «إذا قلت لكم انفروا في الشتاء. قلت هذا أوان قرّ وصر. وإن قلت لكم انفروا في الصيف. قلت هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم الحرّ عتّا كلّ ذلك فرارا عن الجنة. [و] إذا كنتم عن الحرّ والبرد... إلى آخر الكلام.

قوله ﷺ «قد أتاني الصريح» [كذا في أكثر النسخ بالخاء المعجمة، وهو الرجل الخالص النسب. وكلّ خالص صريح.

والأظهر أنّه بالخاء المعجمة كما في [كتاب] الإرشاد أي المستغيث أي من يطلب الإغاثة والمدد لدفع ظلمهم.

و العصبية من الرجال بالضّمّ ما بين العشرة إلى الأربعين. و في القاموس الخرص بالضّمّ و يكسر حلقة الذهب و الفضة أو حلقة القرط أو الحلقة الصغيرة من الحلي. و في النهاية [الخرص بالضّمّ و الكسر] الحلقة الصغيرة من الحلي و هو من حلي الأذن.
و [أيضاً] قال [ابن الأثير] فيه «أنّ يهودياً قتل جارية على أوضاع لها» هي نوع من الحلي يعمل من الفضة سمّيت بها لبيابها، واحدها وضح.
وقد أوردنا شرح بعض الفقرات في الروايات الأخر.

٧٨٣- مع: الطالقاني عن الجوهري عن الجلودي و هشام بن عليّ معا عن ابن عائشة، بإسناد ذكره أنّ علياً [عليه السلام] انتهى إليه أنّ خيلاً لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له يقال له حسان بن حسان. فخرج مضطرباً يجرّ ثوبه حتّى أتى النخيلة، و أتبعه الناس فرقي رباوة من الأرض، فحمد الله و أتى عليه و صلى على نبيّه [صلى الله عليه و آله] ثم قال^(١):

أما بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه، و هو لبّاسُ التّقوى، و درع الله الحصينة، و جنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، و سيماء الخسف، و ديّث بالصغار.

و قد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً و نهاراً و سرّاً و إعلاناً، و قلت لكم اغزّوهم من قبل أن يغزّوكم، فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قطّ في عقر ديارهم، إلّا ذلّوا، فتواكلتم و تخاذلتُم و ثقل عليكم قولي، و اتّخذتُموه و زاءكم ظهرياً حتّى شئت عليكم الغارات.

هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، و قتلوا حسان بن حسان و رجالاً منهم كثيراً و نساء، و الذي نفسي بيده لقد بلغني أنّه كان [الرجل من أهل الشام]^(٢) يدخل على المرأة المسلمة و المعاهدة فينتزع أحجالهما و رعهما، ثمّ انصرفوا موفورين لم يكلم أحد منهم كلماً. فلو أنّ امرأة مسلماً مات من دون هذا أسفاً، ما كان عندي فيه ملوماً، بل كان عندي به جديراً.

يا عجباً كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم و فشلهم عن حقّكم! إذا قلت لكم اغزّوهم في الشتاء، قلتُم هذا أوان قرّ و صرّ. و إن قلت لكم اغزّوهم في الصيف، قلتُم هذه حمارة القيظ، أنظرنّا ينصرم الحرّ عتاً. فإذا أنتم من الحرّ و البرد تفرون، فأنتم و الله من السيف أقرّ.

يا أشباه الرجال و لا رجال و يا طعام الأحلام و يا عقول ربّات الجبال.
و الله لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان، و لقد ملأتم جوفي غيظاً حتّى قالت قريش إنّ ابن أبي طالب شجاع و لكن لا رأي له في الحرب.

لله درهم و من ذا يكون أعلم بها و أشدّ لها مراساً منّي فوالله لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و لقد نيّفت اليوم على السّتين، و لكن لا رأي لمن لا يطاع. يقولها ثلاثاً.

فقام إليه رجل و معه أخوه فقال يا أمير المؤمنين أنا و أخي هذا كما قال الله عزّ و جلّ حكاية عن موسى «رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي» فمرنا بأمرك، فوالله لنتنهيّن إليه و لو حال بيننا و بينه جمر الغضا و شوك القتاد. فدعا له بخير ثمّ قال و أين تقعان مما أريد ثمّ نزل [عليه السلام].

قال الصدوق رضي الله عنه تفسير قال المبرد سيماء الخسف تأويله علامة [الخسف] قال الله عزّ و جلّ «بِسْمِائِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ» وقال الله عزّ و جلّ «يُعَرِّفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِائِهِمْ» وقال الله عزّ و جلّ «يُعَذِّبُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» أي معلّمين. وقوله «ديّث بالصغار» تأويل ذلك يقال للبعير إذ ذلّته الرياضة بغير مديث أي مذلل. وقوله «في عقر ديارهم» أي في أصل ديارهم. والعقر الأصل. و من ثمّ يقال لفلان عقار أي أصل مال.

(١) رواه الشيخ الصدوق [عليه السلام] في الباب: (٣٤٦) - وهو باب معاني الألفاظ التي ذكرها أمير المؤمنين في خطبته بالنخيلة - من كتاب معاني الأخبار: ج ٢ ص ٣٠٩.

(٢) ما بين المعرفين زيادة متناً مأخوذة من مصادر آخر منها المختار: (٢٧) من كتاب نهج البلاغة كما أنّ جملة: «والذي نفسي بيده» في هذا الحديث من وهم الرواة ولا مورد لها هنا.

وقوله «تواكلتم» هو مشتق من وكلت الأمر اليك و وكلته إلي إذا لم يتولّه أحد دون صاحبه. ولكن أحوال به كل واحد على الآخر. ومن ذلك قول الحطينة: أمور إذا واكلتها لا تواكلوا.

وقوله «واتخذتموه وراءكم ظهرياً» أي لم تلتفتوا إليه. يقال في المثل لا تجعل حاجتي منك بظهري أي لا تطرحها غير ناظر إليها.

وقوله «حتى شئت عليكم الغارات» يعني صبت. يقال شنت الماء على رأسه أي صبته. ومن كلام العرب فلما لقي فلان فلانا شنته بالسيف أي صبه عليه صبا.

وقوله «هذا أخو غامد» فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية بن بني غامد بن نصر من الأزد.

وقوله «فينتزع أحجالهما» يعني الخلاخيل، واحدها حجل، ومن ذلك قيل للدابة محجلة. ويقال للقيد حجل لأنه يقع في ذلك الموضع.

و [أما] قوله «ورعتهما» فهي الشنوف واحدها رعثة، وجمعها رعاث و جمع الجمع رعث.

وقوله «ثم انصرفوا موفورين» من الوفر أي لم ينل أحد منهم بأن يرزأ في بدن ولا مال. يقال فلان موفور، وفلان ذو وفر أي ذو مال، ويكون موفورا في بدنه.

وقوله «لم يكلم أحد منهم كلمة» أي لم يخدش أحد منهم خدشا، وكل جرح صغير أو كبير فهو كلم.

وقوله «مات من دون هذا أسفا» يقول تحسرا، وقد يكون الأسف الغضب، قال الله عز وجل ﴿فَلَمَّا أَتَقْنَا نَبَأْنَا أَنفُسَنَا بِمَا كَبَّرْنَا بِهِمْ﴾. والأسف يكون الأجير، ويكون الأسير.

وقوله «من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم» أي من تعاونهم وتظاهروا بهم.

وقوله «وفشلكم من حقم» يقال فشل فلان عن كذا إذا هابه فنكل عنه وامتنع من المضي فيه.

وقوله «قلتم هذا أوان قز وصر» فالصر شدة البرد، قال الله عز وجل ﴿كَمَلَّ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ﴾.

وقوله «هذه حمارة القيظ» فالقيظ الصيف، وحمارته اشتداد حره.

بيان: قوله «و جمع الجمع رعث». [قال ابن أثير] في مادة «رعث» من كتاب [النهاية الرعاث القرطه وهي من حلي الأذن، واحدها رعثة رعته و جنسها الرعث.

أقول: قد مر شرح باقي الفقرات، في رواية أخرى.

٧٨٤- ما: قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

الموت طالب و مطلوب، لا يعجزه المقيم، ولا يفوته الهارب، فقدّموا و لا تتكلموا، فإنه ليس عن الموت محيص، إنكم إن لم تقتلوا تموتوا. والذي نفس علي بيده، لألف ضربة بالسيف على الرأس، أهن من موت على فراش.

٧٨٥- ما: المفيد عن الثمار عن محمد بن الحسين عن أبي نعيم، عن صالح بن عبد الله عن هشام عن أبي مخنف عن الأعمش، عن أبي إسحاق السبيعي عن الأصمعي بن نباته رحمه الله، قال إن أمير المؤمنين (عليه السلام) [خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، و صلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال (٢):

أيها الناس اسمعوا مقالتي و عوا كلامي، إن الخلاء من التجبر، و النخوة من التكبر، و إن الشيطان عدو حاضر يعدكم الباطل.

ألا إن المسلم أخو المسلم، فلا تباينوا و لا تخاذلوا، فإن شراع الدين واحدة، و سبله قاصدة، من أخذ بها لحق، و من تركها مرق و من فارقه محق. ليس المسلم بالخائن إذا اتّمن، و لا بالمخلف إذا وعد، و لا بالكاذب إذا نطق. نحن أهل بيت الرحمة، و قولنا الحق، و فعلنا القسط، و منّا خاتم النبيين، و فينا قادة الإسلام و أمناء الكتاب،

(١) رواه شيخ الطائفة - مع آخر عنه (عليه السلام) - في الحديث: (٢٨) وما حوله من الجزء الأول من أماليه: ج ١، ص ٢٢. وللكتاب مصادر كثيرة يجد الباحث بعضها في ذيل المختار: (٩٥) من كتاب نهج السعادة ج ١، ص ٣١١ ط ٢.

(٢) رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٣) من الجزء الأول من أماليه ص ٩ ط بيروت. ورواه الشيخ المفيد (عليه السلام) في المجلس: (٢٧) من أماليه ص ١٤٥.

ورواه ابن أبي الحديد - نقلاً عن الغارات - في آخر شرحه على المختار: (٢٧) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٣٨ ط الحديقة ببيروت.

ندعوكم إلى الله ورسوله، وإلى جهاد عدوه والشدة في أمره وابتغاء رضوانه، وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الغني لأهله.

١١٧
٣٤

ألا وإن [من] أعجب العجب أن معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن عاص السهمي، يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما وإني والله لم أخالف رسول الله ﷺ قط ولم أعصه في أمر قط أقيه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائض، بقوة أكرمني الله بها فله الحمد.

ولقد قبض النبي ﷺ وإن رأسه في حجري، ولقد وليت غسله، وأغسله بيدي، وتلقاه الملائكة المقربون.

وايم الله، ما اختلفت أمة بعد نبيها إن ظهر أهل باطلها على حقها، إن شاء الله.

قال فقام عمار بن ياسر رحمة الله عليه فقال أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أن الأمة لم تستقم عليه. فترق الناس وقد نفذت بصائرهم.

٧٨٦- ما: المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقيفي، عن محمد بن إسماعيل عن زيد بن المعدل عن يحيى بن صالح الطيالسي عن إسماعيل بن زياد عن ربيعة بن ناجد قال لما وجه معاوية بن أبي سفيان ابن عوف الغامدي إلى الأنبار إلى الغارة، بعثه في ستة آلاف فارس، فأغار على «هيت» و«الأنبار» وقتل المسلمين وسبي الحريم وعرض الناس على البراءة من أمير المؤمنين ﷺ، استنفر أمير المؤمنين ﷺ الناس وقد كانوا تقاعدوا عنه واجتمعوا على خذلانه، وأمر مناديه في الناس فاجتمعوا فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: (١)

١٤٨
٣٤

أما بعد أيها الناس فوالله لأهل مصركم في الأمصار، أكثر في العرب من الأنصار. وما كان يوم عاهدوا رسول الله ﷺ أن ينعوه ومن معه من المهاجرين، حتى يبلغ رسالات الله إلّا قبيلتان، صغير مولدهما، ما هما بأقدم العرب ميلاداً، ولا بأكثرهم عدداً، فلما أوا رسول الله ﷺ ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة. فتجردوا للدين، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبال، وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحزن وأهل السهل، قنات الدين، وتصبروا تحت أحلاس الجلال، حتى دانت لرسول الله ﷺ العرب، ورأى فيهم قوة العين قبل أن يقبضه الله إليه. فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب.

فقام إليه رجل آدم طوال فقال ما أنت كمحمد، ولا نحن كأولئك الذين ذكرت، فلا تكلفنا ما لا طاقة لنا به.

فقال أمير المؤمنين ﷺ اخساً [أحسن «خ»] مستمعاً تحسن إجابة، ثلثتكم الفواكل ما تزيدوني إلّا غماً، هل أخبرتكم أني مثل محمد أو أنكم مثل أنصاره وإنما ضربت [لكم] مثلاً، وأنا [كنت] أرجو أن تأتوا بهم.

ثم قام رجل آخر وقال ما أحوج أمير المؤمنين ومن معه إلى أصحاب النهروان. ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغظوا.

فقام رجل فقال بأعلى صوته استبان فقد الأشتير على أهل العراق، أن لو كان حياً لقلّ اللغظ، ولعلم كل امرئ ما يقول.

فقال لهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه هيتكم الهوابل، لأننا أوجب عليكم حقاً من الأشتير، و هل للأشتير عليكم من الحق إنّا حقّ المسلم على المسلم و غضب فنزل.

١٤٩
٣٤

فقام حجر بن عديّ وسعيد بن قيس فقال لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين، مرنا بأمرك نتبعه، فوالله العظيم ما يعظم جزعنا على أموالنا أن تفرّق، ولا على عشائرتنا أن تقتل في طاعتك.

فقال لهم تجهّزوا للمسير إلى عدوتنا.

ثم دخل ﷺ منزله، ودخل عليه وجوه أصحابه فقال لهم أشيروا عليّ برجل صليب ناصح يحشر الناس من السواد.

فقال سعيد بن قيس عليك يا أمير المؤمنين بالناصح الأريب [و] الشجاع الصليب معقل بن قيس التميمي. قال نعم.

ثم دعاه فوجهه و سار [معقل] و لم يعد حتى أصيب أمير المؤمنين ﷺ.

بيان: المراد بالقبيلتين الأوس والخزرج. وقال الجوهري تجرّد للأمر جدّ فيه.

قوله ﷺ «و تصبروا تحت أحلاس الجلال» أي صبروا صبراً شديداً على ملازمة القتال. [قال ابن

الأثير] في [مادة «جلس» من كتاب [النهاية «كونوا أحلاس بيوتكم» أي الزموها. وفيه «نحن أحلاس الخيل» يريدون لزومهم ظهورها. واستحلستنا الخوف أي لم تفارقه.

وفي بعض النسخ «تحت حماس الجلاء» [قال الفيروز آبادي] في القاموس حمس كفرح اشتد و صلب في الدين. والقتال والحمس الأمكنة الصلبة، والأحمس الشجاع كالحميس. والحمس الصوت. والآدم من الناس الأسمر. والطوال بالضم الطويل.

قوله ﴿وَإِذَا خَاسَا أَيُّهُمْ﴾ أي ابعد، يقال خسأت الكلب خسا طردته. وخسا الكلب بنفسه. يتعدى ولا يتعدى. و«مستمعا» على بناء الفاعل.

وفي بعض النسخ «أحسن» بالحاء المهملة والنون. و«مستمعا» بفتح الميم مصدر. واللفظ بالتحريك الصوت والجلبة وهبلته أمه ثكلته.

٧٨٧- شا: [و] من كلامه صلوات الله عليه حين نقض معاوية العهد، وبعث بالضحاك بن قيس للغارة على أهل العراق، فلقى عمرو بن عيسى بن مسعود فقتله وقتل ناسا معه من أصحابه، وذلك بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال (١): يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح وإلى جيش لكم قد أصيب منه طرف. اخرجوا فقاتلوا عدوكم، وامنوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

قال فردوا عليه ردًا ضعيفا، ورأى منهم عجزا وفشلا فقال والله لوددت أن لي بكل ثمانية منكم رجلا منهم ويحكم اخرجوا معي ثم فرّوا عني إن بدا لكم، فو الله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة، والقياب المتهترة، كلما خيطت من جانب، تهتكت من جانب على صاحبها.

بيان: قال الجوهري الطرف بالتحريك الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء.

و [قوله ﴿وَإِذَا خَاسَا أَيُّهُمْ﴾] «المتهترة» في بعض النسخ بالناء المثناة قال [الفيروز آبادي] في القاموس الهتر مرق العرض. وبالكسر السقط من الكلام. وهتره الكبير يهتره [جعله خرفا وأفدعه عقله].

وفي بعضها [«المهيرة»] [بالباء الموحدة من قولهم «هيرة» قطعه قطعًا كبيرًا وهو أنسب. ويحتمل الباء من قولهم هار البناء هدمه، فهار وتهور وتهير وإنهار، وهو أنسب بما في بعض الروايات مكانه من المتداعية.

٧٨٨- شا: [و] من كلامه ﴿وَإِذَا خَاسَا أَيُّهُمْ﴾ في استنفار القوم واستبطانهم عن الجهاد، وقد بلغه مسير بسر بن أرطاة إلى اليمن (٢). أما بعد أيها الناس فإن أول رفثكم وبدء تنقضكم، ذهاب أولي النهى وأهل الرأي منكم، الذين كانوا يلقون فيصدقون، ويقولون فيعدلون، ويدعون فيجيئون. وإني والله قد دعوتكم عودا وبداء، وسرا وجهرا، وفي الليل والنهار، والغدو والآصال، [ف] ما يزيدكم دعائي إلّا فرارا وإدبارا. أما يعظكم [تفنعكم «خ»] العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة! وإني لعالم بما يصلحكم ويقم لي أودكم، ولكني والله لا أصلحكم بفساد نفسي. ولكن أمهلوني قليلا فكاتكم والله بامرئ قد جاءكم، يحرمكم ويعذبكم. فيعذبه الله كما يعذبكم.

إن من ذل المسلمين وهلاك الدين، أن ابن [ظ] أبي سفيان يدعو الأردال فيجواب، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون. ما هذا فعل المتقين!

بيان: «أول رفثكم» في أكثر النسخ بالفاء والثاء المثناة وهو الفحش من القول. ولا يناسب كثيرا. ويحتمل الثاء [المثناة الفوقانية] من قولهم «رفته يرفته [من باب ضرب ونصر] كسره ودقه. و [رفت الشيء] انكسر وانددق. و [رفت الحبل] انقطع. لازم ومتعد.

وفي بعض النسخ بالقاف والثاء وهو أظهر أي ضعفكم وقلتكم، ومراوغا الثعلب وروغانه مشهوران.

(١) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الفصل: (٣٨) من مختار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد ص ١٤٥ ط النجف.

(٢) رواه الشيخ المفيد قدس الله نفسه في الفصل: ٣٩ وما بعد مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٤٥ - ١٤٨ ط النجف.

٧٨٩- شا: [و] من كلامه صلوات الله عليه في هذا المعنى، بعد حمد الله و الثناء عليه ما أظن هؤلاء القوم يعني أهل الشام إلا ظاهرين عليكم. فقالوا له بما ذا يا أمير المؤمنين فقال أرى أمورهم قد علت، و نيرانكم قد خبت، و أراهم جذين، و أراكم وائين، و أراهم مجتمعين، و أراكم متفرقين، و أراهم لصاحبيهم مطيعين، و أراكم لي عاصين^(١).
أم و الله لئن ظهروا عليكم لتجذبنهم أرباب سوء من بعدي لكم.

لكأني أنظر إليهم و قد شاركوكم في بلادكم، و حملوا إلى بلادهم فينكم. و كأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب، و لا تأخذون حقاً و لا تمنعون لله من حرمة.

و كأني أنظر إليهم يقتلون صالحكم، و يخيفون قراءكم، و يحرمونكم و يحجبونكم و يدنون الناس دونكم. فلو قد رأيت الحرمان و الأثرة و وقع السيوف و نزول الخوف، لقد ندمتم و حسرتكم على تفريطكم في جهادكم، و تذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض و العافية، حين لا ينفعكم التذكار.

بيان: قال الجوهري كشيش الأنفى صوتها من جلدها لا من فمها، و قد كشت تكش. و قال الحسرة أشد التلهف على الشيء الفائت، تقول منه حسر على الشيء بالكسر يحسر حسرا و حسرة فهو حسيّر.

٧٩٠- شا: [و] من كلامه ﷺ لما نقض معاوية بن أبي سفيان شرط الموادة، و أقبل يشن الغارات على أهل العراق، فقال بعد أن حمد الله و أننى عليه^(٢):

ما لمعاوية قاتله الله لقد أرادني على أمر عظيم، أراد أن أفعل كما يفعل فأكون قد هتكت ذمتي و نقضت عهدي، فيتخذها عليّ حجة، فيكون عليّ شينا إلى يوم القيامة كلما ذكرت. فإن قيل له أنت بدأت، قال ما عملت و لا أمرت. فمن قاتل يقول صدق. و من قاتل يقول كذب.

١٥٣
٣٤ أم و الله إن الله لذو أناة و حلم عظيم، لقد حلم عن كثير من فراغة الأولين، و عاقب فراغة، فإن يمهل الله فلم يفته، و هو له بالمرصاد على مجاز طريقه، فليضع ما بدا له فإنما غير غادرين بذمتنا، و لا ناقضين لعهدنا، و لا مروّعين لمسلم و لا معاهد حتى ينقضي شرط الموادة بيننا إن شاء الله تعالى.

٧٩١- شا: و من كلامه ﷺ في مقام آخر^(٣).

الحمد لله و سلام على رسول الله ﷺ.

أما بعد، فإن رسول الله رضيني لنفسه أخا، و اختصني له وزيرا.

أيها الناس أنا أنف الهدى و عيناه، فلا تستوحشوا من طريق الهدى لقلة من يغشاه من زعم أن قاتلي مؤمن فقد قتلني. ألا و إن لكل دم ثائرا يوما، و إن الثائر في دماننا و الحاكم في حق نفسه و حق ذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل، [هو] الذي لا يعجزه ما طلب، و لا يفوته ما هرب، و سيعلم الذين ظلموا أيّ مقلبٍ ينقلبون.
و أقسم بالله الذي فلق الحبة و برأ النسيمة، لتنتحرن عليها يا بني أمية، و لتعرفنّها في أيدي غيركم و دار عدوكم عتّا قليل، و ستعلمن نبأه بعد حين.

١٥٤
٣٤ بيان: قال الجوهري انتحرو الرجل أي نحر نفسه. و في المثل سرق السارق فانتحر. و انتحرو القوم على الشيء إذا تشاحوا عليه و تناحروا في القتال [تقاتلوا مستميتين].

٧٩٢- شا: و من كلامه ﷺ في معنى ما تقدم:

يا أهل الكوفة خذوا أهبتكم لجهاد عدوكم معاوية و أشياعه. فقالوا يا أمير المؤمنين أمهلنا يذهب عتّا القرّ. فقال:

(١) رواه الشيخ المفيد قدس الله نفسه في الفصل: ٣٩ و ما بعده مما اختار من كلام أمير المؤمنين ﷺ من كتاب الإرشاد، ص ١٤٥ - ١٤٨ ط النجف.

(٢) رواه الشيخ المفيد قدس الله نفسه في الفصل: ٣٩ و ما بعده مما اختار من كلام أمير المؤمنين ﷺ من كتاب الإرشاد، ص ١٤٥ - ١٤٨ ط النجف.

(٣) رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٤٣) مما اختار من كلام أمير المؤمنين ﷺ في كتاب الإرشاد، ص ١٤٧.
وكان في ط الكباني لفظ «نهج» بدل «شا».

أما والله الذي فلق الحية وبرأ النسمة، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس بأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لطاعتهم معاوية ومعتصمكم لي.

والله لقد أصبحت الأمم كلها تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أنا أخاف ظلم رعيتي!

لقد استعملت منكم رجلا فخانوا وغدروا، ولقد جمع بعضهم ما ائتمنته عليه من فيء المسلمين، فحملة إلى معاوية. و آخر حملة إلى منزله تهاونا بالقرآن، و جرأة على الرحمن، حتى أتني لو ائتمنت أحدكم على علاقة سوط لخان^(١)، ولقد أعيتموني.

ثم رفع ﷺ يده إلى السماء وقال:

اللَّهُمَّ إِنِّي سَمْتُ الحِياةَ بينَ ظَهْراني هؤلاءِ القومِ، و تبرَّمتِ الأملُ، فأنتَ لي صاحبي حتى أستريحَ منهم و يستريحوا مِنِّي، و لن يفلحوا بعدي.

بيان: تاح له الشيء و أتيح له الشيء أي قدَّر له. ذكره الجوهري.

و المراد بالصاحب ملك الموت. عبَّر كذلك لأظهار الاشتياق إلى الموت. ويحتمل [أنه] أراد النبي ﷺ، أو [أراد] ابن ملجم لعنه الله، فالمراد بصاحبي من قدَّر لقتلي.

٧٩٣- شا: روى مسعدة بن صدقة قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ يقول^(٢):

خطب الناس أمير المؤمنين ﷺ بالكوفة فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أنا سيد الشَّيبِ، و في سَنَةٍ من أيوب، و سيجمع الله لي أهلي كما جمع ليعقوب شمله، و ذلك إذا استدار الفلك، و قلتُم مات أو هلك.

ألا فاستشعروا قبلها بالصبر و بوءوا إلى الله بالذنوب، فقد نبذتم قدسكم، و أطفأتم مصابيحكم، و قدَّدتم هدايتكم من لا يملك لنفسه و لا لكم سمعا و لا بصرا، ضعف و الله الطالب و المطلوب.

هذا و لو لم تتواكلا أمركم، و لم تتخاذلوا عن نصرة الحق بينكم، و لم تهنوا عن توهين الباطل، لم يتشجع عليكم من ليس مثلكم، و لم يقو من قوي عليكم، و لا هضم الطاعة و أزواؤها عن أهلها فيكم.

تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى.

و بحق أقول لضعفكم عليكم التَّيه من بعدي باضطهادكم ولدي، ضعف ما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى.

و بحق قد استكملتم نهلا، و امتلأتم عللا^(٣) من سلطان الشجرة الملعونة في القرآن. لقد اجتمعتم على ناعق ضلال، و لأجبتُم الباطل ركضا، ثم لغادرتُم داعي الحق، و قطعتم الأدنى من أهل بدر، و وصلتم الأبعد من أبناء حرب. ألا و لو ذاب ما في أيديهم.

لقد دنا التَّحْيِصُ للجزاء، و كشف الغطاء، و انقضت المدَّة، و أزف الوعد، و بدا لكم النَّجْم من قبل المشرق، و أشرق لكم قمركم كملاء شهره، و كليلة تمَّ فإذا استبان ذلك، فراجعوا التَّوبَةَ، و خالفوا الحوبة، و اعلموا أنَّكم إن أطفعتُم طالع المشرق سلك بكم منهاج رسول الله ﷺ فتداويتم من الصَّمم، و استشفيتُم من البكم، و كفيتم مَوْنَةَ التَّعَسُّف و الطَّلَب، و نبذتم الثَّقْلَ الفادح عن الأعناق. فلا يبعد الله إلَّا من أبي الرَّحْمَةِ، و فارق العصمة، و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

٧٩٤- جا: الكاتب عن الرَّعْفَانِي عن الثَّقَفِي عن محمد بن إسماعيل، عن زيد ابن المعدَّل عن يحيى بن صالح عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله الأزدي قال سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يقول لأصحابه، و قد استنفرهم أَيْامًا إلى الجهاد فلم ينفروا^(٤):

(١) وكتب في أصلي فوق كلمة: «خان» نقلًا عن نسخة من مصدره: «خانني».

(٢) رواه الشيخ المفيد في الفصل (٥١) مما اختار من كلام أمير المؤمنين ﷺ في كتاب الإرشاد ص ١٥٤.

(٣) كذا في أصلي، وفي ط النجف من كتاب الإرشاد: «فلو قد استكملتم نهلاً و امتلأتم عللاً...».

(٤) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في المجلس: (١٨) من أماليه.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ اسْتَفْتَرَكُم فَلَمْ تَنْفَرُوا، وَنَصَحْتُ لَكُم فَلَمْ تَقْبَلُوا، فَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ كَأَغْيَابٍ^(١) وَصَمَّ ذَوُو أَسْمَاعٍ. أَتَلُو عَلَيْكُمُ الْحِكْمَةَ، وَأَعْظَمَكُم بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَأَحْكَمَكُم عَلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمِ الْبَاقِينَ، فَمَا أَتَى عَلَى آخِرِ مَنْطِقِي حَتَّى أَرَاكُم مَفْتَرِقِينَ أَيَادِي سَبَا، فَإِذَا أَنَا كَفَفْتُ عَنْكُمُ عِدَّتِي إِلَى مَجَالِسِكُمُ حُلُقًا عَزِيزِينَ تَضْرِبُونَ الْأَمْثَالَ وَتَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ وَتَسْأَلُونَ عَنِ الْأَخْبَارِ، قَدْ نَسِيتُمُ الْإِسْتِعْدَادَ لِلْحَرْبِ وَشَغَلْتُمُ قُلُوبَكُمْ بِالْأَبْطَالِ.

تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ أَغْرَاوُ الْقَوْمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَغْزِيَكُمْ فَوَ اللَّهُ مَا غَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دِيَارِهِمْ إِلَّا ذُلًّا.

وَإِيمَ اللَّهِ مَا أَرَاكُم تَفْعَلُونَ حَتَّى يَفْعَلُوا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُهُمْ عَلَى نَيْتِي وَبَصِيرَتِي فَاسْتَرَحْتُ مِنْ مَقَاسَاتِكُمْ، فَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَابِلِ جِمَّةٍ أَضَلَّ رَاعِيَهَا، فَكَلَّمَا صَمَّتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ.

وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ لَوْ حَمَسَ الْوَعَا وَأَحَمَّ الْبَأْسُ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ، وَانْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قَبْلِهَا. فَقَامَ إِلَيْهِ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَلَّا فَعَلْتَ كَمَا فَعَلَ ابْنُ عَفَّانَ فَقَالَ لَهُ ﷺ يَا عَرَفَ النَّارِ وَيْلَكَ إِنَّ فَعَلَ ابْنُ عَفَّانَ لَمُخْرَآةٍ عَلَى مَنْ لَا دِينَ لَهُ وَلَا حِجَّةَ مَعَهُ، فَكَيْفَ وَأَنَا عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي [وَ] الْحَقِّ فِي يَدِي وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرًا يُمْكِنُ عُدُوهُ مِنْ نَفْسِهِ، يَخْذَعُ لِحِمِّهِ وَيَهْشِمُ عِظْمَهُ وَيَفْرِى جِلْدَهُ وَيَسْفِكُ دَمَهُ، لَضَعِيفٌ مَا صَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ كَذَلِكَ إِنْ أَحْبَبْتَ، فَأَمَّا أَنَا فَدُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبَ الْمَشْرِفِيِّ، يَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ، وَتَطِيحُ مِنْهُ الْأَكْفُفُ وَالْمَعَاصِمُ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ مَا شَاءَ.

فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ، صَاحِبُ مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَسْمَعَ مِنْ كَانَتْ لَهُ أَذُنٌ وَاعِيَةٌ وَقَلْبٌ حَفِيفٌ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَكُمْ بِكَرَامَةٍ لَمْ يَقْبَلُوهَا حَقَّ قَبُولِهَا، إِنَّهُ نَزَلَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ، يَفْقَهُكُمْ فِي الدِّينِ، وَيَدْعُوَكُمْ إِلَى جِهَادِ الْمُحَلِّينَ، فَكَأَنَّكُمْ صَمٌّ لَا تَسْمَعُونَ، أَوْ عَلَى قُلُوبِكُمْ غُلْفٌ، مَطْبُوعٌ عَلَيْهَا، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ.

أَفَلَا تَسْتَحْيُونَ عِبَادَ اللَّهِ أَلَيْسَ إِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِالْجُورِ وَالْعُدْوَانِ أَمْسَ قَدْ شَمَلَ الْبِلَاءُ وَشَاعَ فِي الْبِلَادِ، فَذُو حَقٍّ مَحْرُومٌ وَمَلُطُومٌ وَجْهُهُ وَمَوْطَأٌ بَطْنُهُ، وَمَلَقَى بِالْعَرَاءِ تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِيرُ، لَا يَكُنُّهُ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ وَصَهْرُ الشَّمْسِ وَالضَّحَى، إِلَّا الْأَثْوَابُ الْهَامِدَةُ وَبُيُوتُ الشُّعْرِ الْبَالِيَةُ، حَتَّى جَاءَكُمْ اللَّهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَصَدَقَ بِالْحَقِّ، وَنَشَرَ الْعَدْلَ، وَعَمِلَ بِمَا فِي الْكِتَابِ.

يَا قَوْمَ فَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَلَا تَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، اشْهَدُوا السُّيُوفَ، وَاسْتَعِدُّوا لْجِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَإِذَا دُعِيتُمْ فَأَجِيبُوا، وَإِذَا أَمَرْتُمْ فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَ مَا قُلْتُمْ فَلْيَكُنْ مَا أَمَرْتُمْ عَلَيْهِ تَكُونُوا بِذَلِكَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

٧٩٥- كتاب الغارات بإسناده إلى جندب مثله^(٢).

بيان: الحلق بفتح الحاء وكسرهما وفتح اللام جمع حلقة. وقال الجوهري العزة الفرقة من الناس، والهاء عوض من الباء، والجمع عزى على [وزن] فعل. وعزون وعزون أيضا بالضم ومنه قوله تعالى ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾^(٣) قال الأصمعي يقال في الدار عزون أي أنصاف من الناس. [وقوله ﷺ] «أَضَلَّ رَاعِيَهَا» في بعض النسخ «ضَلَّ». [قال الجوهري في الصحاح] قال ابن السكيت أضللت بعيري إذا ذهب منك. وضللت المسجد والدار إذا لم تعرف موضعها. وفي الحديث «لعلِّي أضلَّ الله». يريد أضلَّ عنه أي أخفى عليه. وقال حمّ الشيء وأحمّ قدر وأحمّ أمر أي أهمله. وأحمّ خرّوجنا أي دنا. وفي سائر الروايات «وحمي البأس».

وقوله ﷺ «يا عرف النار» لعله ﷺ شبهه بعرف الديك، لكونه رأسا فيما يوجب دخول النار، أو المعنى أنك من القوم الذين يتبادرون دخول النار من غير روية، كقوله تعالى «وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا».

(١) كذا في النسخة، ومثله في الأمالي، وفي سائر المصادر: كفتاب. وهو الصواب.

(٢) رواه الفقه في الحديث: (١٧٩) من كتاب الغارات على ما في تلخيصه ص ٤٩٣ ط ١.

(٣) المعارج: آية ٧٠.

وقال [الفيروز آبادي] في القاموس خذ اللحم وما لا صلاحة فيه كمنع خرزه وقطعه في مواضع
وقال صهرته الشمس كمنع صهرته.

والشيء أذابه. والصهر بالفتح الحار. واضطهر واضهار تلاًلاً ظهره من حرّ الشمس. وقال الصّحّ
بالكسر الشمس وضوؤها، والبراز من الأرض وما أصابته الشمس. وقال الهمود الموت وتقطع
الثوب من طول الطي. والهامد البالي المسود المتغير.

٧٩٦- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام وقد توارت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه
على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران، لما غلب عليهما بسر بن أرطاة، فقام عليه السلام إلى المنبر ضجراً
بشاكل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم [له] في الرأي فقال ^(١):

ما هي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها، إن لم تكوني إلّا أنت تهبّ أعاصيرك فقبحك الله. وتمثّل [يقول الشاعر]:
لعمري أليك الخير يا عمرو إنني على وضر من ذا الإناء قليل

[ثم قال عليه السلام]:

أنبتت يسراً قد أطلع اليمن، وإني والله لأظنّ أنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفزّكم
عن حقّكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحقّ وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، و
بصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو اتبعت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته!

اللهم إني قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئمونني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني.
اللهم مثّ قلوبهم كإمات الملح في الماء.

أما والله لوددت أنّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم، [ثمّ تمثّل عليه السلام]

هنالك لو دعوت أذاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

ثمّ نزل عليه السلام من المنبر.

قال السيّد [الرضي] رضي الله عنه الأرمية جمع «رمي» وهو السحاب. والحميم هاهنا وقت الصيف، وإنّما خصّ
الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنّه أشدّ جفولاً وأسرع خفوقاً، لأنّه لا ماء فيه وإنّما يكون السحاب ثقيل السير،
لامتلائه بالماء. وذلك لا يكون في الأكثر إلّا في زمان الشتاء. [وإنّما] أراد [الشاعر] وصفهم بالسرعة إذا دعوا، و
الإغاثة إذا استغيثوا، والدليل عليه، قوله «هنالك لو دعوت أذاك منهم».

بيان: قوله عليه السلام «ما هي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها» أي ما مملكتي إلّا الكوفة أنصرفت فيها كما
يتصرف الإنسان في ثوبه يقبضه ويبسطه.

والكلام في معرض التحقير، أي ما أصنع بتصرفي فيها مع حقارتها.
ويحتمل أن يكون المراد عدم التمكن التام من التصرف فيها لنفاق أهلها، كمن لا يقدر على لبس
ثوب بل على قبضه وبسطه.

أو المراد بالبسط بثّ أهلها للقتال عند طاعتهم. وبالقبض الاقتصار على ضبطهم عند المخالفة.

[و] [الخطاب] في قوله عليه السلام «[إن لم تكوني إلّا أنت]» التفات.

قوله عليه السلام «تهبّ أعاصيرك» الجملة في موضع الحال، وخبر «كان» محذوف. ولفظ الأعاصير على
حقيقته، فإنّ الكوفة معروفة بهبوب الإعصار فيها.

ويحتمل أن يكون مستعاراً لآراء أهلها المختلفة، والتقدير إن لم تكوني إلّا أنت عدّة لي وجنّة ألقى
بها العدو، وحظاً من الملك والخلافة مع ما فيك من المذام، فقبّحاً لك وبعداً.

ويمكن أن يقدر المستثنى منه حالاً، أي إن لم تكوني على حال إلّا أن تهبّ فيك الأعاصير دون أن
يكون فيك من يستعان به على العدو.

و الإعصار ريح تهت و تمتد من الأرض كالعمود نحو السماء. و قيل [هو] كل ريح فيها العصار. و هو الغبار الشديد. و الوضر بفتح الضاد الدرن الباقي في الإبناء بعد الأكل. و يستعار لكل بقية من شيء بقل الانتفاع بها. و استعار بلفظ الإبناء للدنيا و بلفظ الوضر للقليل لما فيها لحقارتها.

و روي «من ذي الآلاء» فأنما أراد أني على بقية من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الآلاء. مع عدم انتفاعه بشيء آخر فإن الآلاء كسحاب. [«و سبأ» غير مهموز] شجر حسن المنظر مَرّ الطعم.

قوله «قد أطلع اليمن» أي غلبها و غزاها و أغار عليها. من الإطّاع وهو الإشراف من مكان عال.

قوله «سيدالون منكم» أي يغلبونكم و يكون لهم الدولة عليكم.

ولعل التفرّق عن الحقّ و معصية الإمام واحد، أتى بهما تأكيداً.

وقيل المراد بالحقّ الذي تفرّقوا عنه [هو] تصرّفهم في الفياء و الغنائم و غيرها بإذن الإمام. و أداء الأمانة الوفاء بالعهد و البيعة أو مطلقاً. و الصلاح في البلاد ترك التعرّض للناس و تهيج الفتن. و القعب القدح الضخم.

قوله «أن يذهب بعلاقته» الضمير المستتر راجع إلى الأحّد [في قوله «فلو ائتمنت أحّدكم»] و الباء للتعدية. أو إلى «القعب» و الباء بمعنى مع.

و قوله «خيراً منهم و شراً مني» صيغة أفعّل فيه بمنزلتها في قوله تعالى «أَ ذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَسَنَةُ الْخُلْدِ» (١) على سبيل التّنزّل أو التّهكم، أو أريد بالصيغة أصل الصفة بدون تفضيل.

و لعلّ المراد بقوله «خيراً منهم» قوم صالحون ينصرونه و يوقفون لطاعته، أو ما بعد الموت من مراقة النبي ﷺ و غيره من الأنبياء ﷺ. و تمثيه ﷺ لفوارس [من فراس بن غنم ربما يؤيد الوجه الأول].

و يروى أنّ اليوم الذي دعا فيه ﷺ ولد الحجاج. و روي أنّه ولد بعد ذلك بمدة يسيرة. و فعل الحجاج بأهل الكوفة مشهور. و يقال ماث زيد الملح في الماء أي أذابه.

قوله «لوددت أنّ لي بكم» إلى قوله «هناك لو دعوت أتاك منهم» [البيت لأبي جندب الهذلي. و بنو فراس حيّ مشهور بالشجاعة. و الجفول الإسراع. و الخفوق العجلة].

٧٩٧- نهج: و قال ﷺ لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار، فخرج بنفسه ماشياً حتّى أتى النخيلة فأدركه الناس، و قالوا (٢):

يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم.

فقال ﷺ و الله لا تكفوني أنفسكم فكيف تكفوني غيركم إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، و إنّي اليوم لأشكو حيف رعيتي، كأتّي المقود و هم القادة، أو الموزوع و هم الوزعة.

ولما قال ﷺ هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب تقدّم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما «إنّي لأملك إلّا نفسي و أخي، فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين ننفذ له». فقال ﷺ [و أين تقعان ممّا أريد بيان: وزعه يزع كفّه و منعه].

٧٩٨- ٧٩٩- كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد التقفي بإسناده عن عمارة بن عمير أنّه قال (٣):

كان لعليّ ﷺ صديق يكتي بأبي مريم من أهل المدينة، فلما سمع بتشتت الناس عليه أتاه، فلما رآه [عليّ ﷺ] قال أبو مريم قال نعم. قال ما جاء بك قال إنّي لم أتك لحاجة. و لكتي [كنت] أراك لو و لك أمر هذه الأمة أجزأته. قال يا

(١) الفرقان: ٢٥.

(٢) رواه السيّد الرضّي رفع الله مقامه في المختار: (٢٦١) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٣) رواها التقفي ﷺ في الحديث: (٣٤) و (٣٨) من تلخيص كتاب الغارات: ج ١، ص ٦٨ و ٧٠ ط ١.

و الحديث الأوّل رواه أيضاً يعقوبي في سيرة أمير المؤمنين ﷺ من تاريخه: ج ٢ ص ١٨٠.

ورواه ابن ديزيل بسند آخر في كتاب صفين، كما رواه عنه ابن أبي الحديد في أواخر شرح السختار: (٤٢) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٥٦٥.

وللحديث الثاني أيضاً مصادر. ورواه أيضاً المدائني كما في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ١، ص ٤١٣ و

أبا مريم إني صاحبك الذي عهدت، و لكنني منيت بأخبث قوم على وجه الأرض أدعوه إلى الأمر [الصائب] فلا يتبعوني، فإذا تابعتهم على ما يريدون تفرقوا عني.

وعن فضيل بن جعد عن مولى الأشتر قال شكنا علي عليه السلام إلى الأشتر فرار الناس إلى معاوية، فقال الأشتر يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة، وأهل الكوفة، والرأي واحد، وقد اختلفوا بعد و تعادوا، وضعت التوبة، و قلّ العدل، و أنت تأخذهم بالعدل، و تعمل فيهم بالحق، و تنصف الوضع من الشريف، و ليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضع، فضج طائفة ممن معك على الحق إذا عثوا به، و اغتصموا من العدل إذ صاروا فيه، و صارت صنائع معاوية عند أهل الغنى و الشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، و قلّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب، و أكثرهم من يجتري الحق و يستمرئ الباطل و يؤثر الدنيا^(١). فإن تيدل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الناس، و تصفو نصيحتهم، و تستنزل ودهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين و كتب عدوك، و قضّ جمعهم، و هن كيدهم و شتت أمرهم، إنه بنا يعملون خبيث.

فأجابه علي عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه و قال:

أما ما ذكرت من عملنا و سيرتنا بالعدل فإن الله يقول ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ و أنا من أكون مقصرا فيما ذكرت أخوف.

و أما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، و لم يلجئوا إلى عدل، و لم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم، كان قد فارقوها، و ليسألني يوم القيامة ألدنيا أرادوا أم لله عملوا؟ و أما ما ذكرت من بذر الأموال و اصطناع الرجال، فإننا لا يسعنا أن نوتي أمرا من الفياء أكثر من حقه، و قد قال الله و قوله الحق ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

و [قد] بعث [الله] محمدا صلى الله عليه و آله وحده فكثره بعد القلة، و أعزّ فتنه بعد الذلة، و إن يرد الله [أن] يولينا هذا الأمر، يذل لنا صعبه و يسهل لنا حزنه و أنا قابل من رأيك ما كان لله [فيه] رضا، و أنت من أعز أصحابي و أوثقهم في نفسي و أنصحهم عندي.

٨٠٠- كنز الكراحيكي روي أن هذه الأبيات لأمر المؤمنين عليه السلام^(٢)

أخذتكم درعا حصينا لتدفعوا	سهام العدى عني فكنتم نصالها
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي	ذماما فكونوا لا عليها و لا لها
قفوا موقف المعذور عني بجانب	و خلوا نبالي للسدى و نبالها

باب ٣٢ علة عدم تغيير أمير المؤمنين عليه السلام بعض البدع في زمانه

٨٠١- ج: عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال سمعت رسول الله يقول كيف أنتم إذا ألبستم الفتنة، ينشأ فيها الوليد، و يهرم فيها الكبير، و تجري الناس عليها حتى يتخذوها سنة، فإذا غير منها شيء قيل أتى الناس بمنكر غيرت السنة^(٣).

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٤١٣. وفي ط الكيماي من البحار: «يجتري الحق ويستمرئ الباطل...».

(٢) رواد العلامة الكراحيكي في كنز القوائد.

(٣) رواد الطبرسي في أواخر احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام - قبيل احتجاجات الإمام الحسن - من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ٢٦٣ ط بيروت.

ثم تشتد البلية، وتنشأ فيها الذرية، وتدقهم الفتن كما تدق النار الحطب، وكما تدق الرحى بقلها. يتفقه الناس لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة.

ثم أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، ومعه ناس من أهل بيته وخاص من شيعته، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

لقد عملت [عمل «خ»] الولاة قبلي بأمر عظمة، خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لذلك، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها التي كانت عليها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرق عني جندي حتى أبقي وحدي إلا قليلا من شيعتي الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.

أ رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى المكان الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، ورددت فذك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله ومدّه إلى ما كان، وأمضيت قطائع كان رسول الله صلى الله عليه وآله أقطعها لناس مستئين، ورددت دار جعفر بن أبي طالب إلى ورثته وهدمتها [وأخرجها] من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله، ورددت قضاء كل من قضى بجور، وسيي ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت ديوان العطاء، وأعطيت كما كان يعطي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء!

والله لقد أمرت الناس أن لا يجمعوا [لا يجتمعوا «خ»] في شهر رمضان إلا في فريضة، فنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل دوني، وسيفه معي أتقي به في الإسلام وأهله^(١) غيّر سنة عمر ونهى أن يصلى في شهر رمضان في جماعة، حتى خفت أن يثور بي ناحية عسكري ما لقيت هذه الأمة من أئمة الضلالة والدعاة إلى النار.

وأعظم من ذلك، سهم ذوي القربى الذين قال الله تبارك وتعالى [في حقهم] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ نحن والله عنى بذوي القربى الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه صلى الله عليه وآله، ولم يجعل لنا في الصدقة نصيبا، أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه، وأكرمنا أن يعطينا أوساخ أيدي الناس.

فقال له رجل إني سمعت من سلمان وأبي ذر الغفاري والمقداد، أشياء من تفسير القرآن والرواية عن النبي صلى الله عليه وآله، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله [و] أنتم تخالفونهم وتزعمون أن ذلك باطل، أفترى الناس يكذبون متعمدين على نبي الله صلى الله عليه وآله ويفسرون القرآن بأرائهم؟

قال فأقبل [إليه أمير المؤمنين عليه السلام] فقال له قد سألت فافهم الجواب: إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا وهما، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حي، حتى قام خطيبا فقال «أنها الناس قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأتم ولا يتحرّج في أن يكذب على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا «صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وراه وسمع منه ولف عنه» و يأخذون [فيأخذون «خ»] بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك وصفهم بما وصفهم به لك.

ثم بقوا بعده صلى الله عليه وآله ففترّبوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا وإنما الناس مع الطلوك والدنيا إلّا من عصمه الله. فهذا أحد الأربعة.

[وثاني الأربعة] رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه ولم يتعمد كذبا، وهو في

(١) كذا في أصلي المطبوع، وفي ط بيروت من كتاب الاحتجاج: «أنعي الإسلام وأهله» ويأتي في بيان المصنف في ذيل الحديث أن في نسخة: «وينعي الإسلام».

يديه يرويه و يعمل به و يقول «أنا سمعت من رسول الله ﷺ». فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه، و لو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئا يأمر به ثم نهى [رسول الله] عنه و هو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثم أمر به و هو لا يعلم، فحفظ المنسوخ و لم يحفظ الناسخ. فلو علم أنه منسوخ لرفضه، و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على الله و لا على رسوله، ميفض للكذب خوفا لله و تعظيما لرسول الله ﷺ و لم يهجم به، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه، و لم يزد فيه و لم ينقص منه، و حفظ الناسخ فعمل به و حفظ المنسوخ فجنب عنه، و عرف الخاص و العام فوضع كل شيء موضعه، و عرف المتشابه و المحكم.

وقد يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان، فكلام خاص و كلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به، و لا ما عنى به رسول الله ﷺ فيحمله السامع و يوجهه على غير معرفة بمعناه و لا ما قصد به و ما خرج من أجله. و ليس كل أصحاب رسول الله ﷺ يسألوه و يستفهمه، حتى إن كانوا ليحيون أن يجيء الأعرابي أو الطاري فيسأله ﷺ حتى يسمعا كلامه و كان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه و حفظته.

فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم و عللهم في رواياتهم.

بيان: قد مر شرح آخر الخبر و سياأتي شرح أوله.

قوله ﷺ «أنفي به الإسلام» في بعض النسخ «بنى الإسلام» [والتعني خبر الموت أي كان ينادي مظهراته مات الإسلام و أهله بتغيير سنة عمر.

٨٠٢- شيء عن حريز عن بعض أصحابنا عن أحدهما قال لما كان أمير المؤمنين [عليه السلام] في الكوفة أتاه الناس فقالوا اجعل لنا إماما يؤمنا في [شهر] رمضان. فقال لا. و نهام أن يجتمعوا فيه، فلما أمسوا جعلوا يقولون أبكوا في رمضان و ارضاناه.

فأتاه الحارث الأعور في أناس فقال يا أمير المؤمنين ضج الناس و كرهوا قولك. فقال ﷺ دعوهم و ما يريدون ليصلي بهم من شاءوا. ثم قال «فمن يتبع سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نضلله جهنم و ساءت مصيرا»

٨٠٣- جا: الكاتب عن الزعفراني عن الثقفني عن يوسف بن كليب عن معاوية بن هشام عن الصباح بن يحيى المزني عن الحارث بن حصيرة قال حدثني جماعة من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ أنه قال يوما ادعوا [إلي] غنيا و باهلة و حيا آخر قد ستهام فليأخذوا عطاياهم، فو الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما لهم في الإسلام نصيب، و إني شاهد منزلي^(١) عند الحوض و عند المقام المحمود، أنهم أعداء لي في الدنيا و الآخرة [و] لأخذن غنيا أخذا يضطر باهلة^(٢). و لئن ثبتت قدماي لأردن قباتل إلى قباتل، و قباتل إلى قباتل، و لأبهجن ستين قبيلة ما لها في الإسلام نصيب.

بيان: البهرج الباطل. و بهرجه أي جعل دمه هذرا.

٨٠٤- كا: ثقة الإسلام الكليني في [كتاب] الروضة [عن] علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عيش عن سليم بن قيس الهلالي قال خطب أمير المؤمنين ﷺ فحمد الله و أثنى عليه ثم صلى على النبي ﷺ قال^(٣):

ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خلتان اتباع الهوى، و طول الأمل. أما اتباع الهوى فيصده عن الحق.

و أما طول الأمل فينسي الآخرة.

ألا و إن الدنيا قد ترحلت مدبرة، و إن الآخرة قد ترحلت مقبلة، و لكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء

(١) وفي الأصل: ومتولي. ومثله في بعض نسخ المجالس. وفي الغارات والأمال في منزلي.

(٢) مجالس الشيخ المفيد المسمى بالأمال: المجلس ٤٠ ح ٥.

ورواه الشيخ الطوسي حريفاً في أواخر الجزء الرابع من أماله: ج ١، ص ١١٦ ورواه الثقفني في الغارات ٢٠/١.

(٣) رواد ثقة الإسلام الكليني في الحديث: (٢١) من كتاب الروضة من الكافي: ج ٨ ص ٥٨ الأخوندي.

الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فَإِنَّ اليوم عمل ولا حساب، وإنْ غدا حساب ولا عمل.

وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع، وأحكام تتبدع، يخالف فيها حكم الله، يتوَلَّى فيها رجال رجالا.

ألا إِنَّ الحقَّ لو خُصَّ لم يكن اختلاف، ولو أَنَّ الباطل خُصَّ لم يخف على ذي حجب، لكنَّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث، فيمزجان فيجتمعان فيجلبان معا، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى، إِنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول كيف أنتم إذا ألبستم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة، فإذا غيّر منها شيء قيل قد غيَّرت السنة وأتى الناس منكرا.

ثم تشتد البلية وتسيب الذرية وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب، وكما تدق الزحى بفقالها، ويتفقهون لغير الله، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة.

ثم أقبل ﷺ | بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته، فقال:

قد عملت^(١) الولاية قبلي أعمالا خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين لخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنة، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله ﷺ لتفرق عني جندي، حتى أبقي وحدي أو [مع] قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز ذكره وسنة رسول الله ﷺ.

أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم ﷺ فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ ورددت فذلك إلى ورثة فاطمة ﷺ، ورددت صاع رسول الله ﷺ كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر ﷺ إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن، واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأحكام، وسببت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله ﷺ يعطي بالسوية، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء، وألّيت المساحة وسوّيت بين المناكح، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عز وجل وفرضه، ورددت مسجد رسول الله ﷺ إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح فيه من الأبواب وفتحت ما سد منه، وحرمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل مع رسول الله ﷺ في مسجده ممن كان رسول الله ﷺ أخرجه، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله ﷺ ممن كان رسول الله ﷺ أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبایا فارس و سائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إذا لتفرقوا عتي.

والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي «يا أهل الإسلام غيَّرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعا».

ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري!

ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار!

[وإلا] أعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عز وجل «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنَجَّى الْجَفَّانِ» فنحن والله عنى بذى القربى الذي قرنا الله بنفسه وبرسوله، فقال «فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» فينا [خ مئا] خاصة «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ». «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ» في ظلم آل محمد «إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن ظلمهم، رحمة منه لنا، وغنى أغنانا الله به وصلى به نبيه ﷺ، ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيبا، أكرم الله رسوله ﷺ، وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أساخ الناس، فكذبوا الله وكذبوا رسوله وجحدوا كتاب الله الناطق بحقا، ومنعونا فرضا فرضه الله لنا. ما لقي أهل بيت نبي من أمته ما لقيته بعد نبينا^(٢) والله المستعان على من ظلمنا، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العظيم!

تبیین: أقول وجدت في أصل كتاب سليم مثله.

قوله عليه السلام [إن أخوف] لفظ «أخوف» مشتق من المبني للمفعول على خلاف القياس كأشهر.

قوله عليه السلام [قد ترحلت] قال الفيروز آبادي ارتحل القوم عن المكان انتقلوا أكثر حلا. شبه انتقضاء العمر في الدنيا شيئا فشيئا، و نقص لذاتها بترحلها وإدبارها وقرب الموت يوما فيوما بترحل الآخرة وإقبالها.

قوله عليه السلام [اليوم] عمل [قال ابن ميثم لفظ «عمل» قائم مقام الخبر، من قبيل استعمال المضاف إليه مقام المضاف أي اليوم يوم عمل، أو وقت عمل.

قوله عليه السلام [إنما بدء وقوع الفتن] إلى آخره قد أورد الكليني رحمه الله، في كتاب العقل [من الكافي] هذا الجزء من الخبر بسند صحيح عن [الإمام] الباقر عليه السلام وفيه «أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تتدع، يخالف فيها كتاب الله».

قوله عليه السلام [من هذا ضغت] الضغت مل الكف من الشجر والحشيش والسماريخ.

قوله عليه السلام [فيجليان] وفي كتاب العقل [من الكافي] «فيجيان معا، فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى» وهو أظهر. وعلى ما في هذا الخبر، لعل المراد نجا الذين قال الله فيهم سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى، أي سبقت لهم في علم الله وقضائه ومشيتته، الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة، أو البشرى بالجنة، أو العاقبة الحسنى.

قوله عليه السلام [لبستم] كذا في بعض النسخ وهو الظاهر وفي بعضها «ألبستم» على بناء المجهول من الأفعال وهو أظهر. وفي أكثره «ألبستم» فيحتمل المعلوم والمجهول بتكلف، إما لفظا وإما معنى. قوله عليه السلام [يربو فيها الصغير] قال الفيروز آبادي ربا [المال] ربوا كعلوا زاد ونما. والغرض بيان كثرة امتدادها.

قوله عليه السلام [و قد أتى الناس منكرا] لعله داخل تحت القول ويحتمل العدم.

قوله عليه السلام [و كما تدق الرحي بنقالها] في أكثر النسخ بالقاف ولعله تصحيف. والظاهر الفاء، قال الجزري وفي حديث علي «تدقهم الفتن دق الرحي بنقالها» الثفال بالكسر جلدة تسبسط تحت رحي اليد، ليقع عليها الدقيق ويسمى الحجر الأسفل ثفالا بها، والمعنى أنها تدقهم دق الرحي بالحب إذا كانت مثقلة، ولا تنقل إلا عند الطحن.

وقال الفيروز آبادي وقول زهير «فنعركم عرك الرحي بنقالها» أي على ثفالها، أي حال كونها طاحنة لأنهم لا يفلونها إلا إذا طحنت انتهى.

وعلى ما في أكثر النسخ، لعل المراد مع ثفالها أي إذا كانت معها ما ينقلها من الحبوب، فيكون أيضا كناية عن كونها طاحنة.

قوله عليه السلام [أو قليل] أي أو يبقى معي قليل.

قوله عليه السلام [لو أمرت بمقام إبراهيم] إشارة إلى ما فعله عمر من تغيير المقام عن الموضع الذي وضع فيه رسول الله ﷺ، إلى موضع كان فيه في الجاهلية. [وقد] رواه الخاصة والعامة كما مر في بدعه.

قوله عليه السلام [ونزعت نساء] إلخ كالمطلقات ثلاثا في مجلس واحد وغيرها مما خالفوا فيه حكم الله. «وسبيت ذراري بن تغلب» لأن عمر رفع عنهم الجزية كما مر في بدعه، فهم ليسوا بأهل ذمة فيحل سبي ذراريهم.

قوله عليه السلام [و محوت دواوين العطايا] أي التي بنيت على التفضيل بين المسلمين في زمن الثلاثة.

قوله عليه السلام [و لم أجعلها دولة] قال الجزري في حديث أشراط الساعة «إذا كان المغنم دولا» [هي] جمع دولة بالضم، وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم.

قوله عليه السلام [هو أقيت المساحة] إشارة إلى ما عدّه الخاصة والعامة من بدع عمر، أنه قال ينبغي أن يجعل مكان هذا العشر ونصف العشر دراهم، نأخذها من أرباب الأملاك، فبعث إلى البلدان من

مسح على أهلها فألزمهم الخراج، فأخذ من العراق وما يليها ما كان أخذهم منهم ملوك الفرس على كل جريب درهم واحد، و قفيزاً من أصناف الحبوب، وأخذ من مصر ونواحيها ديناراً وإردبا عن مساحة جريب، كما كان يأخذ منهم ملوك الإسكندرية.

وقد روى البغوي في [كتاب] شرح السنة وغيره من علمائهم عن النبي ﷺ أنه قال منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مذهباً ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها.

والإردب لأهل مصر أربعة وستون مناً وفسره أكثرهم بأنه قد محاذ ذلك شريعة الإسلام. وكان أول بلد مسحه عمر بلد الكوفة، وقد مرّ الكلام فيه في باب بدع عمر.

[قوله ﷺ] «و سَوِّيت بين المناكح» بأن يزوّج الشريف والوضيع كما فعله رسول الله ﷺ، وزوّج بنت عمّه مقدادا، وعمر نهى عن تزويج الموالى والعجم كما في بعض الروايات.

[قوله ﷺ] «وأمرت بإحلال المتعتين» أي متعة النساء ومتعة الحجّ اللّتين حرّمهما عمر. و «خمس تكبيرات» أي لا أربعة كما ابتدعه العامة ونسبوه إلى عمر كما مرّ.

[قوله ﷺ] «وألزمت الناس» إلخ. يدلّ ظاهره على وجوب الجهر بالبسملة مطلقاً، وإن أمكن حمله على تأكد الاستحباب.

[قوله ﷺ] «و أخرجت» إلخ الكلام يحتمل أن يكون المراد إخراج جسدي المعلومين الذين دفنوا في بيته بغير إذن، مع أن النبي ﷺ لم يأذن لهما لخوطة في مسجده، وإدخال جسد فاطمة رضي الله عنها ودفنها عند النبي ﷺ، أو رفع الجدار من بين قبريهما.

ويحتمل أن يكون المراد، إدخال من كان ملازماً لمسجد رسول الله ﷺ في حياته، كعمّار وأضرابه، وإخراج من أخرجه الرسول ﷺ من المطرودين. ويمكن [أن يكون] تأكيداً لما مر من فتح الأبواب وسدّها.

[قوله ﷺ] «و رددت أهل نجران إلى مواضعهم» لم أظفر إلى الآن بكيفية إخراجهم وسببه وبمن أخرجهم.

[قوله ﷺ] «و رددت سيايا فارس» لعل المراد الاسترداد ممن اصطفاهم أو أخذ زائداً من حظّه.

[وقوله ﷺ] «ما لقيت» كلام مستأنف للتعجب. و [قوله] «أعطيت» رجوع إلى الكلام السابق ولعلّ التأخير من الرواية. وفي رواية الإحتجاج «و أعظم من ذلك» كما مرّ وهو أظهر.

[قوله] إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ هَذِهِ مِنْ تَسْمَةِ آيَةِ الْخَمْسِ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَافُتِ الْجَفْعَانِ وَاللّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال البيضاوي [جملة] «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ» متعلّق بمحذوف دلّ عليه [قوله] «وَاعْلَمُوا» أي إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ فاعلموا أنّه جعل الخمس لهؤلاء، فسلموا إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية، فإنّ العلم المتعلّق بالعمل إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنّه مقصود بالعرض، والمقصود بالذات هو العمل. «وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا» محمد من الآيات والملائكة والنصر «يَوْمَ الْفُرْقَانِ» يوم بدر فإنّه فرق فيه بين الحق والباطل «يَوْمَ التَّفَافُتِ الْجَفْعَانِ» المسلمون والكفار.

أقول: لعل نزول حكم الخمس كان في غزاة بدر و [قوله] «وَمَا أُنْزِلْنَا» إشارة إليه كما يظهر من بعض الأخبار. وفسر ﷺ «ذي القربى» بالأئمة كما دلّت عليه الأخبار المستفيضة، وعليه انعقد إجماع الشيعة.

[قوله] «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً» هذه تسمة لآية أخرى ورد [ت] في فيهم ﷺ حيث قال تعالى «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ فِيهِ أَى الْفِيءِ الَّذِي هُوَ حَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ الْإِمَامِ ﷺ. دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» [الدولة بالضم ما يتداوله الأغنياء و تدور بينهم كما كان في الجاهلية.

[قوله ﷺ] «رحمة لنا» أي فقرّر الخمس والفيء لنا رحمة منه لنا، وليغنيانا بهما أو يساه أيدى الناس.

لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء.

بيان: المداحض المزلق. واستواء القدمين كناية عن تمكّنه ﷺ من إجراء الأحكام الشرعية على وجوها لآله ﷺ لم يتمكن من تغيير بعض ما كان في أيام الخلفاء كما عرفت.

٨٠٦- كا: محمد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل القمي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة رفعه قال مرّ أمير المؤمنين برجل يصلي الضحى في مسجد الكوفة، فغمز جنبه بالدرة وقال نحررت صلاة الأوابين نحررك الله قال فأتركها قال فقال أرايت الذي ينهى عبدا إذا صلى (٢).
فقال أبو عبد الله ﷺ وكفى بإنكار عليّ نهيا.

بيان: «أرايت الذي» أي أقول أتركها، فتقول أنت وأمثالك مثل هذا أو قال ذلك تقية.

٨٠٧- يب: علي بن الحسن بن فضال عن أحمد بن الحسن عن عمرو بن سعيد المدائني عن مصدق بن صدقة عن عمار عن أبي عبد الله ﷺ قال سألت عن الصلاة في [شهر] رمضان في المساجد (٣).

قال لما قدم أمير المؤمنين ﷺ الكوفة أمر الحسن بن عليّ أن ينادي في الناس لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى في الناس الحسن بن عليّ بما أمره به أمير المؤمنين ﷺ، فلما سمع الناس مقالة الحسن بن عليّ ﷺ، صاحوا واءعوا واءعوا. فلما رجع إلى أمير المؤمنين ﷺ قال له ما هذا الصوت فقال يا أمير المؤمنين الناس يصيحون واءعوا واءعوا فقال أمير المؤمنين قل لهم صلوا.

٨٠٨- كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي:

عن مخول بن إبراهيم عن إسرائيل عن عاصم بن سليمان عن محمد بن سيرين عن شريح قال بعث إليّ عليّ ﷺ أن اقضي بما كنت أقضي [سابقا] حتى يجتمع أمر الناس.

باب ٣٣ نادر ما وقع في أيام خلافة ﷺ و جوامع خطبه و نوادرها

٨٠٩- كا: علي بن الحسن المؤدّب عن البرقي، وأحمد بن محمد عن علي بن الحسن التيمي، جميعا عن إسماعيل بن مهران عن عبد الله بن الحارث عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال خطب أمير المؤمنين ﷺ الناس بصفتين، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ ثم قال (٤):

أما بعد، فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقا بولاية أمركم و منزلي التي أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، والحقّ أجمل الأشياء في التواصف، وأوسعها في التناصف، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه لكان ذلك لله عزّ وجلّ خالصة دون خلقه، لقد رتبه على عباده، ولعدله في كلّ ما جرت عليه ضروب [صروف «خ»] قضائه، ولكن جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل كفّارهم عليه بحسن الثواب تفضلا منه [وتظولا بكرمه] وتوسعا بما هو من المزيّد له أهلا. ثمّ جعل من حقوقه حقوقا فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافى في وجوها، ويوجب بعضها بعضا، ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض.

(١) رواه السيّد الرضويّ ﷺ في المختار: (٢٧٢) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي: ج ٣ ص ٤٥٢ في الحديث ٨ من باب تقديم نوافل صلاة الضحى.

(٣) رواه الشيخ الطوسي في كتاب التهذيب: ج ٣ ص ٧٠ في الحديث: (٣٠) من كتاب فضل شهر رمضان...

(٤) رواه ثقة الإسلام الكليني ﷺ في الحديث: (٥٥٠) من كتاب الروضة من الكافي: ج ٨ ص ٣٥٢.

وروي عنه في المختار: (٢٠٣) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ١٧٧، ط ١.

فأعظم ممّا افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق، حقّ الوالي على الرعية وحقّ الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله عزّ وجلّ لكلّ على كلّ، فجعلها نظام أفنتهم، وعزّا لدينهم، وقواما لسير الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاية، ولا تصلح الولاية إلّا باستقامة الرعية.

فإذا أدّت الرعية إلى الوالي حقّه وأدّى إليها الوالي كذلك، عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرّت على أذلالها السنن، وصلاح بذلك الزّمان وطاب بها العيش، وطمع في بقاء الدّولة، ويستطامع الأغداء.

وإذا غلبت الرعية على واليهم، وعلا الوالي الرعية اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت مطالع الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت معالم السنن، فعمل بالهوى، وعطّلت الآثار وأكثر علل النفوس، ولا يستوحش لجسيم حدّ عطّل، ولا لعظيم باطل أثّل، فهناك تذلل الأبرار وتعزّ الأشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات الله عزّ وجلّ عند العباد.

فهلمّ أيّها الناس إلى التعاون على طاعة الله عزّ وجلّ، والقيام بعدله والوفاء بعهده، والإنصاف له في جميع حقّه، فإنّه ليس العباد إلى شيء أحوجّ منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التّعاون عليه، وليس أحد وإن اشتدّت على رضا الله حرصه وطال في العمل اجتهاده، ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله، ولكن من واجب حقوق الله عزّ وجلّ على العباد النّصيحة له بمبلغ جهدهم، والتّعاون على إقامة الحقّ بينهم.

١٨٥
٣٤

وليس امرؤ وإن عظمت في الحقّ منزلته وجسمت في الحقّ فضيلته بمستغن عن أن يعاون على ما حمّله الله عزّ وجلّ من حقّه، ولا امرؤ مع ذلك خسأت به الأمور واقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه، وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر من ذلك حاجة، وكلّ في الحاجة إلى الله عزّ وجلّ شرع سواء.

فأجابه رجل من عسكره لا يدري من هو، ويقال إنّه لم ير في عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده، فقام وأحسن الثناء على الله عزّ وجلّ بما أبلّاهم وأعطاهم من واجب حقّه عليهم، والإقرار [له] بما ذكر من تصرف الحالات به وبهم.

ثمّ قال أنت أميرنا ونحن رعيّتك، بك أخرجنا الله عزّ وجلّ من الدّل، وبإعزازك أطلق عباده من الغل^(١)، فاختار علينا فأمض اختيارك، واثمر فأمض ائتمارك، فإنّك القائد المصدّق، والحاكم الموفق، والملك المخوّل، لا نستحلّ في شيء معصيتك، ولا نقيس علما بعلمك، يعظم عندنا في ذلك خطرک، ويجلّ عنه في أنفسنا فضلك.

فأجابه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال [إن من حقّ من عظم جلال الله في نفسه، وجل موضعه من قلبه، أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه، وإنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعم الله عليه ولطف إحسانه إليه، فإنّه لم تعظم نعم الله على أحد إلّا زاد حقّ الله عليه عظما.

١٨٦
٣٤

وإنّ من أسخف حالات الولاية عند صالح الناس أن يظنّ بهم حبّ الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر. وقد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك [لي] لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة والكبرياء، وربما استعجلي الثناء بعد البلاء، فلا تتنوا عليّ بجمل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليك من البقيّة في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بدّ من إمضاها، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحقّقوا منّي بما يتحقّق به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استغفالا في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنّه من استنقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه.

فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي، فإنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره، يملك ممّا لا تملك من أنفسنا، وأخرجنا ممّا كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى.

فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل، فقال أنت أهل ما قلت، والله فوق ما قلته، فيلاؤه عندنا ما لا يكفر، وقد حمّلك الله تبارك وتعالى رعايتنا، وتلك سياسة أمّورنا، فأصبحت علما الذي نهتدي به، وإماما الذي نتقدي به، وأمرک كلّه رشد، وقولك كلّه أدب. قد قرّرت بك في الحياة أعيننا، وامتألت من سرور بك قلوبنا، وتحيّرت من صفة ما فيك

من بارع الفضل عقولنا، ولسنا نقول لك أيها الإمام الصالح تزكية لك، ولا تجاوز القصد في الثناء عليك، ولن يكن في أنفسنا طعن على يقينك، أو غش في دينك فتخوف أن تكون أحدثت بنعمة الله تبارك وتعالى تجبراً، أو دخلك كبر، ولكنا نقول لك ما قلنا تقرباً إلى الله عز وجل بتوقيرك، وتوسّعاً بتفضيلك، وشكراً بإعظام أمرك، فانظر لنفسك ولنا وآمر الله على نفسك وعلينا، فنحن طوع فيما أمرتنا، نقاد من الأمور مع ذلك فيما ينفعنا.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال وأنا أستشهدكم عند الله على نفسي لعلمكم فيما وليت به من أموركم، وعما قليل يجمعني وإياكم الموقف بين يديه، والسؤال عما كنّا فيه، ثم يشهد بعضنا على بعض، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً، فإن الله عز وجل لا يخفي عليه خافية، ولا يجوز عنده إلا مناصحة الصدور في جميع الأمور.

فأجابه الرجل و يقال لم ير الرجل بعد كلامه هذا لأمر المؤمنين عليه السلام فأجابه، وقد عال الذي في صدره فقال و البكاء يقطع منطقته، وغصص الشجا تكسر صوته إعظاماً لخطر مرزئته وحشته من كون فجيعته فحمد الله وأثنى عليه، ثم شكّا إليه هول ما أشقى عليه من الخطر العظيم والذلّ الطويل في فساد زمانه و انقلاب حدّه و انقطاع ما كان من دولته، ثم نصب المسألة إلى الله عز وجل بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجّع وحسن الثناء فقال:

يا ربّائي العباد و يا سكن البلاد أين يقع قولنا من فضلك و أين يبلغ وصفنا من فعلك و أتى نبليح حقيقة حسن ثنائك أو نحصي جميل بلاتك و كيف و بك جرت نعم الله علينا، و على يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا ألم تكن لذّلّ الدليل ملاذاً و للعصاة الكفّار إخواناً^(١) فمن إلّا بأهل بيتك و بك أخرجنا الله عز وجل من فظاعة تلك الخطرات، أو بمن فرّج عنا غمرات الكربات أو بمن إلّا بكم أظهر الله معالم ديننا و استصلح ما كان فسد من دنيانا، حتّى استبان بعد الجور ذكرنا، و قرّت من رخاء العيش أعيننا لمّا و ليّتنا بالإحسان جهدك، و وفيت لنا بجميع عهدك، فكنت شاهد من غاب ممّا و خلف أهل البيت لنا، و كنت عزّ ضعائنا و ثمال فقرائنا و عماد عظامتنا، يجمعنا من الأمور عدلك، و يتّسع لنا في الحقّ تأنيك، فكنت لنا أنسا إذا رأيناك، و سكنا إذا ذكرناك. فأبى الخيرات لم تفعل و أبى الصالحات لم تعمل!

ولو أنّ الأمر الذي نخاف عليك منه يبلغ تحريكه جهدنا و تقوى لمدافعتة طاقتنا، أو يجوز الفداء عنك عنه بأنفسنا و بمن نفديه النفوس من أبنائنا، لقدّمنا أنفسنا و أبناءنا قبلك، و لأخطرناها و قلّ خطرناها دونك، و لقصنا بجهدنا في محاولة من حاولك، و في مدافعة من ناوك و لكنّه سلطان لا يحاول، و عزّ لا يزاوّل، و ربّ لا يغالب، فإن بمنن علينا بعافيتك، و يترحم علينا ببقائك، و يتحنّن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامة منك لنا و بقاء منك بين أظهرنا، نحدّث الله عز وجل بذلك شكراً نعظمه، و ذكراً نديمه، و نقسم أنصاف أموالنا صدقات، و أنصاف رقيقنا عتقاء، و نحدث له تواضعا في أنفسنا، و نخشع في جميع أمورنا.

و إن يعض بك إلى الجنان، و يجري عليك حتم سبيله، فقير متهم فيك قضاؤه، و لا مدفوع عنك بلاؤه، و لا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأنّ اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه، و لكنا نبكي من غير إثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلاً، و للذين و الدنيا أكلياً، فلا نرى لك خلفاً نشكو إليه، و لا نظيراً نأمله و لا نقيمه.

تبیین: أقول: أورد السيّد الرضی [في المختار (٢١٦) من باب الخطب من] النهج بعض هذا السؤال و الجواب، و أسقط أكثرها، و سنشير إلى بعض الاختلافات.

قوله عليه السلام «بولاية أمركم» أي لي عليكم حقّ الطاعة لأنّ الله جعلني وإلها عليكم متولياً لأمركم، و لأنّه أنزلني منكم منزلة عظيمة هي منزلة الإمامة و السلطنة و وجوب الطاعة.

قوله عليه السلام «و الحقّ أجمل الأشياء في التواصف» أي وصفه جميل و ذكره حسن. يقال تواصفوا الشيء أي وصفه بعضهم بعضاً.

و في بعض النسخ «التراصف» بالراء المهملة. و التراصف تنزيه الحجارة بعضها ببعض أي [الحقّ] أحسن الأشياء في إحكام الأمور و إنقاذها.

«و أوسعها في التناصف» أي إذا أنصف الناس بعضهم بعضاً، فالحقّ يسعه و يحتمله، و لا يقع للناس في العمل بالحقّ ضيق.

و في نهج البلاغة «فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيّقها في التناصف» أي إذا أخذ الناس في وصف الحقّ وبيانها، كان لهم في ذلك مجال واسع، لسهولة على التستهم. وإذا حضر التناصف بينهم فطلب منهم، ضاق عليهم المجال، لشدة العمل بالحقّ وصعوبة الإنصاف.

قوله ﷺ «صروف قضائه» أي أنواعه المتغيرة المتوالية. وفي بعض النسخ «ضروب قضائه» [وهو] بمعناه والحاصل أنّه لو كان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره ولم يجعل له على نفسه، لكان هو سبحانه أولى بذلك وعلى الأولوية بوجهين:

الأول القدرة.

فإنّ غيره تعالى لو فعل ذلك لم يطرعه أحد، واللّه تعالى قادر على جبرهم وقهرهم.

و الثاني إنّّه لو لم يجزهم على أعمالهم وكلّفهم بها لكان عادلاً لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبده أبداً الدهر لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها.

فالمراد من أول الكلام أنّه سبحانه جعل لكلّ أحد على غيره حقّاً حتّى على نفسه.

أمّا الحقّ المفروض على الناس فبمقتضى الاستحقاق، وأمّا ما أجرى على نفسه، فللوفاء بالوعد مع لزوم الوعد عليه.

فظهر جريان الحقّ على كلّ أحد وإن اختلف الجهة والاعتبار.

قوله ﷺ «و جعل كفّارتهم عليه حسن ثواب» لعلّ المراد بالكفّارة الجزاء العظيم لستره عملهم، حيث لم يكن له في جنبه قدر، فكأنّه قد محاه وستره.

[و] في أكثر النسخ «يحسن الثواب» فيحتمل أيضاً أن يكون المراد بها ما يقع منهم لتدارك سيئاتهم، كالتوبة وسائر الكفّارات أي أوجب قبول كفّارتهم وتوبتهم على نفسه مع حسن الثواب بأن يشيهم على ذلك أيضاً.

١٩٠
٣٤

ولا يبعد أن يكون [لفظ «كفّارتهم»] تصحيف كفاءتهم بالهمز [ة].

و في النهج «و جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله».

قوله ﷺ «ثمّ جعل من حقوقه» هذا كالمقدمة لما يريد أن يبيّنه من كون حقّه عليهم واجباً من قبل اللّه تعالى، وهو حقّ من حقوقه ليكون أدعى لهم على أدائه. وبيّن أنّ حقوق الخلق بعضهم على بعض هي من حقّ اللّه تعالى، من حيث إنّ حقّه على عباده هو الطاعة، وأداء تلك الحقوق طاعات اللّه، كحقّ الوالد على ولده وبالعكس، وحقّ الزوج على الزوجة وبالعكس، وحقّ الوالي على الرعية وبالعكس.

قوله ﷺ «فجعلها تتكافأ في وجوها» أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثلها، فحقّ الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثلها، وهو العدل فيهم وحسن السيرة.

وله ﷺ «و لا يستوجب بعضها إلّا ببعض» كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة.

قوله ﷺ «فريضة فرضها الله» بالتصّب على الحالّة أو بإضمار فعل، أو بالرفع ليكون خبر مبتدأ محذوف.

وقوله ﷺ «نظاماً لأنفسهم» فإنّها سبب اجتماعهم وبها يقهرون أعداءهم ويعزّون أولياءهم.

قوله ﷺ «و قواماً» أي بها يقوم جريان الحقّ فيهم وبينهم.

قوله ﷺ «عزّ الحقّ» أي غلب.

قوله ﷺ «و اعتدلت معالم العدل» أي مظانّه، أو العلامات التي نصبت في طريق العدل لسلوكه، أو الأحكام التي يعلم بها العدل.

قوله ﷺ «على أدلّالها» قال الفيروزآبادي ذلّ الطريق بالكسر محجته. وأمور اللّه جارية على أدلّالها أي طريق [على] مجاريها [هو] جمع ذلّ بالكسر.

قوله ﷺ «و كثر الإدغال» [هو] بكسر الهمزة. والإدغال [هو] أن يدخل في الشيء ما ليس منه، و هو الإدباع والتلييس. أو بفتحها [هو] جمع الدغل بالتحريك [هو] الفساد.

١٩١
٣٤

قوله ﴿عَلِلَ النَّفُوسَ﴾ أي أمراضها بملكات سوء كالفلّ والحسد والعداوة ونحوها. وقيل وجوه ارتكاباتها للمنكرات، فتأتي من كلّ منكر بوجه وعلّة وأني فاسد.
قوله ﴿أَتْلُ﴾ يقال مال مؤثّل ومجد مؤثّل أي مجموع ذو أصل، وأتلة الشيء أصله^(١). ذكره الجزري. وفي النهج «[و لا لعظيم باطل] فعل».
قوله ﴿تَبَعَاتِ اللَّهَ﴾ قال [الخليل] في [كتاب] العين التبعة اسم للشيء الذي لك فيه بغية شبه ظلامة ونحوها.

قوله «فهلهم أيها الناس» قال الجوهري هلم يا رجل يفتح الميم بمعنى تعال، قال الخليل أصله «لَمْ» من قولهم لَمْ الله شعثه أي جمعه كأنه أراد لَمْ نفسك إلينا أي اقرب. و«ها» للتنبيه. وإنما حذف ألفها لكثرة الاستعمال، وجعلها اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث في لغة أهل الحجاز.
قوله ﴿حَقِيقَةً مَا أَعْطَى اللَّهَ مِنَ الْحَقِّ أَهْلَهُ﴾ أي جزء ما أعطى الله أهل الحق من الدين المبين، و سائر ما هداهم الله تعالى إليه بأن يكون المراد بالحقيقة الجزء مجازا، أو يكون في الكلام تقدير مضاف أي حقيقة جزء ما أعطي من الحق، أو يكون المراد بالبلوغ إليها كونه بإزائها ومكافاة لها. وقيل المراد بحقيقة ما أعطى الله شكر نعمة هدايته تعالى إلى دين الحق.
وفي النهج «حقيقة ما الله أهله من الطاعة له». وفي بعض النسخ القديمة من الكتاب «حقيقة ما الحق من الله أهله».

قوله ﴿النَّصِيحَةَ لَهُ﴾ أي لله أو للإمام، أو نصيحة بعضهم لبعض لله تعالى بأن لا يكون الظرف صلة. وفي النهج «النصيحة بمبلغ [جهدهم]» بدون الصلة وهو يؤيد الأخير.
قال الجزري [في مادة نصح] من كتاب النهاية [النصيحة في اللغة الخلوص، يقال نصحته و نصحت له].

ومعنى نصيحة الله صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته.

[ومعنى] النصيحة لكتاب الله هو التصديق به والعمل بما فيه.

ونصيحة رسول الله ﷺ، التصديق بنبوته ورسالته والافتقار لما أمر به ونهى عنه.

[ومعنى] نصيحة الأئمة أن يطيعهم في الحق، و نصيحة عامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم.
قوله ﴿و لا لامرئ مع ذلك﴾ كأنه راجع إلى ما حمل الله على الوالي، أو إلى الوالي الذي أشير إليه سابقا أي لا يجوز، أو لا بد لامرئ، أو لا استغناء لامرئ مع الوالي، أو مع كون واليه مكلفا بالجهاد وغيره من أمور الدين، وإن كان لذلك المرء ضعيفا محقرا بدون أن يعين على إقامة الدين ويعينه الناس أو الوالي عليه.

وفي النهج «ولا امرئ وإن صغرت النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه». وهو الظاهر.

قوله ﴿خَسَأَتْ بِهِ الْأُمُورُ﴾ يقال خَسَأَتِ الْكَلْبُ خَسْأً طردته. وخسأ الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدي. ذكره الجوهري. فيجوز أن يكون هنا استعمل غير متعدي بنفسه قد عدّي بالباء أي طردته الأمور. أو يكون الباء للسببية أي بعدت بسببه الأمور.

وفي بعض النسخ «حبست به الأمور» وعلى التقادير المراد أنه يكون بحيث لا يتمشى أمر من أموره، ولا ينفع سعيه في تحصيل شيء من الأمور.

و«اقتحمته العين» أي احتقرته. وكلمة «ما» في قوله «ما أن يعين» زائدة.

قوله ﴿وَأَهْلُ الْفَضِيلَةِ فِي الْحَالِ﴾ المراد بهم الأئمة والولاة والأمراء والعلماء، وكذا أهل النعم العظام فإنهم لكونهم مكلفين بعبادة الأمور كالجهد في سبيل الله وإقامة الحدود والشرائع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى إعانة الخلق أحوج.

(١) كذا في مادة «أتل» من كتاب النهاية طبع دار الفكر ببغروت، وفي طبع الكمباني من البحار هكذا: «واثل وأتلة الشيء»: أصله وزكاه. ذكره الجزري.

و يحتمل أن يكون المراد بأهل الفضيلة العلماء، فإنهم محتاجون فيما حمل عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أعوان، ولا أقل إلى من يؤمر وينهى.

و [المراد] بأهل النعم أصحاب الأموال، لأن ما حمل عليهم من الحقوق أكثر، كأداء الأخماس والصدقات، وهم محتاجون إلى الفقير القابل لها، وإلى الشهود وإلى غيرهم والأول أظهر.

«قوله ﷺ» «و كل في الحاجة إلى الله شرع سواء» بيان لقوله شرع، وتأكيده، وإنما ذكر ذلك لنفا يتوهم أنهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضاً عن ربهم جلّ وعزّ، بل هو الموفق والمعين لهم في جميع أمورهم، ولا يستغنون بشيء عن الله عزّ وجلّ، وإنما كلفهم بذلك ليختبر طاعتهم و يشيهم على ذلك، واقتضت حكمته البالغة أن يجري الأشياء بأسبابها، وهو المسبّب لها والقادر على إمضائها بلا سبب. قوله «فأجابه رجل» الظاهر أنه كان الخضر ﷺ وقد جاء في مواطن كثيرة وكلمه ﷺ لا تمام الحجة على الحاضرين، وقد أتى بعد وفاته ﷺ وقام على باب داره وبكى وأبكى و خاطبه ﷺ بأمثال تلك الكلمات و خرج و غاب عن الناس.

قوله ﷺ «و الإقرار» الظاهر أنه معطوف على النّاء أي أقر إقراراً حسناً بأشياء ذكرها ذلك لرجل، و لم يذكره ﷺ اختصاراً أو تقيّة من تغيّر حالاته من استيلاء أئمة الجور عليه و مظلوميته و تغيّر أحوال رعيته من تقصيرهم في حقّه، و عدم قيامهم بما يحقّ من طاعته و القيام بخدمته.

و يمكن أن يكون الواو بمعنى مع، و يحتمل عطفه على [قوله] «واجب حقّه».

قوله «من الغلّ» أي أغلال الشرك و المعاصي. و في بعض النسخ القديمة «أطلق عتاً رهائن الغلّ» أي ما يوجب أغلال القيامة.

قوله [ﷺ] «و أئتمر» أي اقبل ما أمرك الله به فأمضه علينا.

قوله «و الملك المخول» أي المملّك الذي أعطاك الله الإمرة علينا وجعلنا خدمك و تبعك.

قوله ﷺ «لا نستحلّ في شيء من معصيتك» لعلّه عدّي ب «في» لتضمين معنى الدخول. أو المعنى لا نستحلّ في شيء شيئاً من معصيتك.

و في بعض النسخ القديمة «لا يستحلّ في شيء من معصيتك». و هو أظهر.

قوله «في ذلك» أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليلية، و يحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من إطااعته ﷺ. و الخطر القدر و المنزلة.

قوله «و يجلّ عنه» يحتمل إرجاع الضمير إلى القياس أي فضلك أجلّ في أنفسنا من أن يقاس بفضل أحد. و يمكن إرجاعه إلى العلم فتكون كلمة «عن» تعليلية كما في قوله تعالى «و ما نحزّ بناركي إلهتنا عن قولك» أي يجلّ و يعظم بسبب ذلك في أنفسنا فضلك.

قوله ﷺ «من عظم جلال الله» إمّا على التعليل بنصب «جلال الله»، أو بالتخفيف برفعه يعني من حقّ من عظم جلال الله في نفسه و جلّ موضعه في قلبه، أن يصغر عنده كلّ ما سوى الله تعالى، لما ظهر له من جلال الله، و أنّ أحقّ من كان كذلك أئمة الحقّ عليهم السّلام، لعظم نعم الله و كمال معرفتهم بجلال ربّهم، فحقّ الله تعالى عليهم أعظم منه على غيرهم، فينبغي أن يصغر عندهم أنفسهم فلا يحويّوا الفخر و الإطراء في المدح، أو يجب أن يضمحلّ في جنب جلال الله عندهم غيره تعالى، فلا يكون غير منظورا لهم في أعمالهم ليطلبوا رضى الناس بعدوهم.

قوله ﷺ «و إن من أسخف» السخف رقة العيش و رقة العقل. و السخافة رقة كلّ شيء. أي أضعف حالات الولاة عند الرعيّة أن يكونوا متهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة.

قوله ﷺ «إني أحبّ الإطراء» أي مجاوزة الحدّ في المدح و المبالغة فيه.

قوله ﷺ «انحطاطا له سبحانه» أي تواضعا له تعالى.

و في بعض النسخ القديمة «و لو كنت أحبّ أن يقال [لي] ذلك، لتناهيت له أغنانا الله و إياكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاطف و حسن النّاء». و التناهي قبول النهي. و الضمير في «له» راجع إلى الله تعالى.

وفي النهج كما في النسخ المشهورة قوله ﷺ «فرما استحلّ الناس» يقال استحلّ أي وجده حلوًا. قال ابن ميثم رحمه الله هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أتى عليه فكأنه يقول وأنت معدود في ذلك حيث رأيته أجاهد في الله، وأحسّ الناس على ذلك، ومن عادة الناس أن يستحلوا الشئ عند أن يبلوا بلاء حسنًا في جهاد أو غيره من سائر الطاعات.

ثم أجاب ﷺ [عن هذا العذر في نفسه بقوله «فلا تتنوا عليّ بجميل ثناء» أي لا تتنوا عليّ لأجل ما ترونه مِنِّي من طاعة الله، فإنّ ذلك إمّا هو إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ لم أفرغ بعد من أدائها وهي حقوق نعمه وفرائضه التي لا بد من المضي فيها.

وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجهاها الله [عليّ لكم] من النصيحة في الدين والإرشاد إلى الطريق الأفضل، والتعليم لكيفية سلوكه.

ثم قال [و في خط الرضي رحمه الله «من التقيّة» بالتاء والمعنى فإنّ الذي أفعله من طاعة الله، إمّا هو إخراج لنفسي إلى الله وإليكم من تقيّة الخلق^(١) فيما يجلب عليّ من الحقوق، إذ كان ﷺ إمّا بعيد الله لله غير ملتفت في شيء من عبادته، وأداء واجب حقّه إلى أحد سواء خوفًا منه أو رغبة إليه.

أو المراد بها التقيّة التي كان يعملها في زمن الخلفاء الثلاثة وتركها في أيام خلافته، وكأنّه قال لم أفعل شيئًا إلّا وهو أداء حقّ واجب عليّ، وإذا كان كذلك، فكيف أستحقّ أن يبنى عليّ لأجل إتيان الواجب بثناء جميل وأقابل بهذا التعظيم [و] هذا من باب التواضع منه ﷺ [و تعليم كيفية، وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل إليه. انتهى.

وقال ابن أبي الحديد معنى قوله «لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم» أي لاعترافي بين يدي الله و بمحضر منكم أنّ عليّ حقوقًا في إياتكم ورناستي لم أقم بها بعد وأرجو من الله القيام بها. انتهى [كلام ابن أبي الحديد].

فكأنّه جعل قوله ﷺ «لإخراجي» تعليلًا لترك الشئ لا مثني عليه ولا يخفي بعده.

ثم أعلم أنّه يحتمل أن يكون المراد بـ «البقيّة» الإبقاء والترحّم كما قال تعالى «أولوا بَقِيَّةَ يَهُوَنَ عَنْ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ» أي إخراجي نفسي من أن أبقى وأترحم مداهنة في حقوق لم أفرغ من أدائها. قال الفيروز آبادي وأبقيت ما بيننا لم أبلغ في كلّ فساد. والاسم منه البقيّة و «أولوا بَقِيَّةَ يَهُوَنَ عَنْ الْفُسَادِ» أي إبقاء أو فهم.

قوله ﷺ «و لا تحفظوا عنيّ بما يتحفّظ به عند أهل البادرة» البادرة الحدة والكلام الذي يسبق من الإنسان في الغضب أي لا تتنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدة من الملوك خوفًا من سطوتهم، أو لا تحتشموا مِنِّي كما يحتشم من السلاطين والأمراء، كنترك المسارّة والحديث إجلالًا وخوفًا منهم، وترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم.

قوله ﷺ «بالمصانعة» أي الرشوة والمداراة.

قوله ﷺ «كان العمل بهما أثقل عليه» شأن الولاية العمل بالعدل والحق، أو أنتم تعلمون أنّه لا يتقل عليّ العمل بهما.

قوله ﷺ «بفوق أن أخطئ» هذا من [باب] الانقطاع إلى الله والتواضع الباعث لهم على الانسباط معه بقول الحقّ، وعدّ نفسه من المقصّرين في مقام العبوديّة، والإقرار بأنّ عصمته من نعمه تعالى عليه، وليس اعترافًا بعدم العصمة كما توهم، بل ليست العصمة إلّا ذلك. فإمّا هي أن يعصم الله العبد عن ارتكاب المعاصي، وقد أشار ﷺ إليه بقوله «إلّا أن يكفي الله»، وهذا مثل قول يوسف ﷺ «و ما أبرئ نفسي إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلّا ما رزقني ربّي» إلخ.

قوله ﷺ «ما هو أملك به» أي العصمة من الخطأ فإنّه تعالى أقدر على ذلك للعبد من العبد لنفسه.

قوله ﷺ «مما كنّا فيه» أي من الجهالة وعدم العلم والمعرفة والكمالات التي يسرها الله تعالى لنا ببعثة الرسول ﷺ.

قال ابن أبي الحديد ليس هذا إشارة إلى خاص نفسه ﷺ، لأنه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من أئمة الناس فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسعاً. ويجوز أن يكون معناها لو لا لطف الله تعالى بعبدة محمد ﷺ لكنت أنا وغيري على مذهب الأسلاف. انتهى.

قوله ﷺ «فبلاؤه عندنا ما لا يكفر» أي نعمه عندنا وافرة بحيث لا نستطيع كفرها وسترها، أو لا يجوز كفرها، وترك شكرها.

قوله ﷺ «سياسة أمورنا» [يقال] سست الرعية سياسة أمرتها ونهيتها. و«العلم» بالتحريك ما ينصب في الطريق ليهتدي به السائرون.

قوله «من يارع الفضل» قال الفيروز آبادي يرع [فلان] ويثلك براعة فاق أصحابه في العلم وغيره، أو تم في كل جمال وفضيلة، فهو يارع وهي بارعة.

قوله «و لم يكن» على المجهول من [قولهم] كننت الشيء سترته. أو بفتح الياء وكسر الكاف من [قولهم] وكن الطائر يبيضه يكنه [على زنة وعد] إذا حضنه.

وفي بعض النسخ «لم يكن»، وفي النسخة القديمة «لن يكون».

قوله «و توسعاً» أي في الفضل والثواب.

قوله «مع ذلك» أي مع طاعتنا لك أي نفس الطاعة أمر مرغوب فيه ومع ذلك موجب لحصول ما ينفعنا وما هو خير لنا في دنيانا وآخرتنا.

قوله «إلاً مناصحة الصدور» أي خلوصها عن غشّ النفاق بأن يطوي فيه ما يظهر خلافه، أو نصح الإخوان نصحا يكون في الصدر لا بمحض اللسان.

قوله «و قد عال الذي في صدره» يقال عالني الشيء أي غلبني. و عال أمرهم اشتدّ.

قوله ﷺ «وغصص الشجا» الغصة بالضم ما اعترض في الحلق. وكذا الشجا والشجو همم والحرز.

قوله ﷺ «لخطر مرزئته» الخطر بالتحريك القدر والمنزلة والإشراف على الهلاك. والمرزنة المصيبة، وكذا الفجعية وكونها أي وقوعها وحصولها والضميران راجعان إلى أمير المؤمنين ﷺ. و القائل كان عالماً يقرب أو أن شهادته ﷺ فلذا كان يندب ويتفجع. وإرجاعهما إلى القائل بعيد.

قوله ﷺ «أشفي» أي أشرف عليه. والضمير في قوله «إليه» راجع إلى الله تعالى.

قوله ﷺ «و انقلاب جذء» الجذ البخت. و التفجع التوجع في المصيبة أي سأل الله دفع هذا البلاء الذي قد ظن وقوعه عنه ﷺ مع التفجع والتضرع.

قوله «يا رباني العباد» قال الجزري الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون [للمبالغة].

وقيل هو من الرب بمعنى التربية لأنهم كانوا يربون المتعلمين بصغارها وكبارها^(١).

و الرباني العالم الراسخ في العلم والدين. أو الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى. وقيل العالم العامل المعلم.

قوله «و يا سكن البلاد» السكن بالتحريك كل ما يسكن إليه.

قوله «و بك جرت نعم الله علينا» أي بجهدك ومساعدك الجميلة لترويج الدين وتشديد الإسلام في زمن الرسول ﷺ وبعده.

قوله ﷺ «و للعصاة الكفار إخوانا» أي كنت تعاشر من يعصيك ويكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقة منك عليهم.

أو المراد الشفقة على الكفار والعصاة والاهتمام في هدايتهم.

ويحتمل أن يكون المراد المنافقين الذين كانوا في عسكره وكان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع.

وقيل المراد بالإخوان الخوان الذي يؤكل عليه، فإنه لغة فيه كما ذكره الجزري. ولا يخفى بعده.

(١) كذا في أصلي من ط الكمباني، وفي ط بيروت في مادة: «رب» من كتاب النهاية: «كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها».

وفي النسخة القديمة «ألم تكن» بصيغة المتكلم، وحينئذ فالمراد بالفقرة الأولى أنه كان ينزل بنا ذلك كل دليل أي كنا نذل بكل ذلّه و هو أن. وهو أظهر وألصق بقول «فبمن».

قوله ﷺ «من فظاعة تلك الخطرات» أي شناعتها وشدتها.

قوله ﷺ [«بعد الحور» قال الجوهري (و في الأثر «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أي من نقصان بعد الزيادة. وفي بعض النسخ [«بالجور»] بالجيم.

قوله ﷺ «وئمال قرفتنا» قال الجزري الشمال بالكسر الملجأ والغياث. وقيل هو المطعم في الشدة.

قوله ﷺ [«يجمعنا من الأمور عدلك» أي هو سبب اجتماعنا وعدم تفرقنا في جميع الأمور، أو من بين سائر الأمور، أو هو سبب لانظام أمورنا، أو عدلك يحيط بجميعنا في جميع الأمور.

قوله ﷺ «و يتسع لنا في الحق تأنيك» أي صار مداراتك وتأنيك وعدم مبادرتك في الحكم علينا بما نستحقه سببا لوسعة الحق علينا، وعدم تضيق الأمر بنا.

قوله ﷺ «ليبلغ تحريكه» أي تغييره و صرفه. وفي النسخة القديمة «تحويله».

قوله «و لا خطرناها» أي جعلناها في معرض المخاطرة والهلاك. أو صيرناها خطرا و رهنا و عوضا لك.

قال الجزري [و] فيه «فإن الجنة لا خطر لها» أي لا عوض لها ولا مثل. والخطر بالتحريك في الأصل الرهن وما يخاطر عليه. ومثل الشيء وعدله. ولا يقال إلا في الشيء الذي له قدر ومزية، ومنه الحديث «لا رجل يخاطر بنفسه وماله» أي يلقيهما في الهلكة بالجهاد.

ومن حديث النعمان [بن مقرن يوم نهاوند] «إن هولا يعني المجوس قد أخطروا لكم رثّة ومتاعا وأخطرتم لهم الإسلام» المعنى أنهم قد شرطوا لكم ذلك وجعلوه رهنا من جانبهم، وجعلتم رهنكم دينكم.

قوله ﷺ «حاولك» أي قصدك. قوله «من ناواك» أي عاداك. قوله «و لكتّه» أي الرب تعالى. قوله «و عزّ» أي ذو عزّ و غلبة. و «زاوله» أي حاوله و طالبه.

وهذه إشارة إلى أنّ تلك الأمور بقضاء الله وتقديره، والمبالغة في دفعها في حكم مغالبة الله في تقديراته. وقد سبق تحقيق القضاء والقدر في كتاب العدل.

قوله «نعظمه» الضمير في قوله «نعظمه» و «نديمه» راجعان إلى الشكر والذكر. [و] قوله «بلاء» يحتمل النعمة أيضا.

قوله «ما عنده» هو خبر «إن»، ويحتمل أن يكون الخبر محذوفا أي خير لك، والمعنى أنه لا تختلف قلوبنا بل تتفق على أنّ الله اختار لك بامضاءك النعيم والراحة الدائمة، على ما كنت فيه من المشقة والجهد والعناء.

قوله «من غير إثم» أي لا نأثم على البكاء عليك فإنه من أفضل الطاعات، أو لا نقول ما يوجب الإثم.

قوله «لمزّ» متعلّق بقوله [«البكاء» و «أن يعود» بدل اشتغال له أي نيكى لتبدل عزّ هذا السلطان ذلا.

قوله «أكيل» الأكيل يكون بمعنى المأكول، وبمعنى الأكل. والمراد هنا الثاني أي نيكى لتبدل هذا السلطان الحقّ بسلطنة الجور فيكون أكلا للدين والدنيا.

وفي بعض النسخ «لعن الله هذا الشيطان» فلا يكون مرجع الإشارة سلطنته ﷺ، بل جنسها الشامل للباطل أيضا أي لعن الله السلطنة التي لا تكون صاحبها.

ويحتمل أن يكون اللعن مستعملا في أصل معنا لغة، وهو الإبعاد أي أبعد الله هذا السلطان عن أن يعود ذليلا. ولا يخفى بعده.

قوله «و لا نرى لك خلفا» أي من بين السلاطين لخروج السلطنة عن أهل البيت [ﷺ].

٨١٠-كا: عليّ بن إبراهيم عن أبيه و محمد بن علي، جميعا عن إسماعيل بن مهران و أحمد بن محمد بن أحمد عن علي بن الحسن التيمي، و علي بن الحسين عن أحمد بن محمد بن خالد، جميعا عن إسماعيل بن مهران عن المنذر بن جيفر عن الحكم بن ظهير عن عبد الله بن حريز العدي. عن الأصمغ بن نباتة قال^(١):
أتى أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عمر و ولد أبي بكر و سعد بن أبي وقاص يطلبون منه التفضيل لهم، فصعد المنبر و مال الناس إليه فقال:

الحمد لله و لي الحمد و منتهى الكرم، لا تدرکه الصفات و لا يحدّ باللغات و لا يعرف بالغايات. ٢٠٤
٣٤
و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمداً رسول الله نبي الهدى و موضع التقوى و رسول الرب الأعلى، جاء الحق من عند الحق لينذر بالقرآن المبين و البرهان المستنير فصنع بالكتاب المبين و مضى على ما مضت عليه الرسل الأوّلون.

أمّا بعد أيّها النّاس فلا تقولنّ رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتخذوا الغفار و فجروا الأنهار و ركبوأ أفره الدّواب و لبسوا ألين الثّياب فصار ذلك عليهم عارا و شناراً إن لم يغفر لهم الغفّار إذا منعتم ما كانوا فيه يخوضون، و صيرتهم إلى ما يستوجبون فيفقدون ذلك فيسألون «ظلمنا ابن أبي طالب و حرمانا و منعنا حقوقنا». قاله عليهم المستعان. من استقبل قبلنا و أكل ذبيحتنا و آمن بنبيّنا و شهد شهادتنا و دخل في ديننا، أجرنا عليه حكم القرآن بحدود الإسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلّا بالتقوى.

و ألا و إنّ للممتّين عند الله أفضل الثّواب و أحسن الجزاء و المآب، لم يجعل الله تبارك و تعالى الدنيا للممتّين ثواباً، و ما عند الله خيرٌ لِلْأَبْرَارِ.

انظروا أهل دين الله فيما أصبتم في كتاب الله، و تركتم عند رسول الله صلى الله عليه وآله و جاهدتم به في ذات الله، أحسب أم ينسب أم يعمل أم بطاعة أم زهاده و فيما أصحتم فيه راغبين.

فسارعوا إلى منازلكم رحمكم الله، التي أمرتم بعمارها العامرة التي لا تخرب و الباقية التي لا تنفد، التي دعاكم (الله) إليها و حضّمكم عليها و رغّبكم فيها، و جعل الثّواب عندها.

فاستمّوا نعم الله عزّ ذكره بالتسليم لقضائه، و الشكر على نعمائه، فمن لم يرض بهذا فليس ممّا و لا إلينا، و إنّ الحاكم يحكم بكتاب الله و لا خشية عليه من ذلك، أولئك هم الْمُفْلِحُونَ. ٢٠٥
٣٤

وفي نسخة (من كتاب الكافي) «و لا وحشة و أولئك لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

وقال عليه السلام:

وقد عاتبتكم بدّرّي التي أعاتب بها أهلي فلم تبالوا، و ضربتكم بسوطي الذي أقيم به حدود ربّي فلم ترعوا، تريدون أن أضربكم بسيفي أمّا إنّي أعلم الذي تريدون و يقيم أودكم، ولكن لا أشري صلاحكم بفساد نفسي، بل يسلّط الله عليكم قوما فينتقم لي منكم، فلا دنيا استمتعتم بها و لا آخرة صرتم إليها، فبعدا و سحقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ.

إيضاح: قوله «ولد أبي بكر» هو عبد الرحمن.

قوله عليه السلام «ولي الحمد» أي الأولى به، أو المتولّي لحمد نفسه كما ينبغي له بإيجاد ما يدلّ على كماله و اتصافه بجميع المحامد، و بتلقين ما يستحقّه من الحمد أنبياءه و حججه عليه السلام و إلهام محبّيه و توفيقهم للحمد.

إقوله عليه السلام «و منتهى الكرم» أي ينتهي إليه كلّ جود و كرم لآته موجد النّعم و الموفّق ليزلها، أو هو المتصف بأعلى مراتب الكرم و المولى بجلال النّعم. و يحتمل أن يكون الكرم بمعنى الكرامة و الجلالة على الوجهين السابقين.

قوله عليه السلام «لا تدرکه الصفات» أي توصيفات الواصفين أو صفات المخلوقين.

قوله ﷺ [فلا يعرف بالغايات] أي بالنهايات والحدود الجسمانية، أو بالحدود العقلية، إذ حقيقة كل شيء، وكنهه حده ونهايته.

أو ليس له نهاية لا في وجوده ولا في علمه ولا في قدرته، وكذا سائر صفاته. أو لا يعرف بما هو غاية أفكار المتفكرين.

قوله ﷺ [فصدع بالكتاب المبين] قال الفيروز آبادي [في شرح] قوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي شق جماعتهم بالتوحيد، أو أجهز بالقرآن، أو أظهر أو أحكم بالحق وأفضل بالامر، أو أقصد بما تؤمر، أو أفرق به بين الحق والباطل.

قوله ﷺ [فلا تقول رجال] الظاهر أن قوله «رجال» فاعل [لقول] «لا تقول» وما ذكر بعده إلى قوله «و يقولون» صفات تلك الرجال، وقوله «ظلمنا ابن أبي طالب» مقول القول، وقوله «يقولون» تأكيد للقول المذكور في أول الكلام [و] إنما أتى به لكثرة الفاصلة بين العامل والمعمول.

و يحتمل أن يكون مقول القول محذوفا يدل عليه قوله «ظلمنا ابن أبي طالب».

وقيل مفعوله محذوف تقدير الكلام فلا تقول ما قلتم من طلب التفضيل وغيره رجال كانت الدنيا غمرتهم في زمن الخلفاء الثلاثة إذا منعهم ما كانوا يأخذون وأعطيتهم ما يستوجبون، فيصرفون ما أعطيتهم ويسألون الزيادة عليه ويقولون ظلمنا ابن أبي طالب. انتهى.

أقول: لا يخفى أن ما ذكرناه أظهر.

وفي بعض النسخ «رجالا» بالنصب، ولعل فيه حينئذ حذف أي لا تقول أنتم نعتقد أو تتولي رجلا صفتهم كذا وكذا، ولعله كان «لا تقولون» فصحف.

قوله ﷺ [أفره الدواب] يقال دابة فارهة أي نشيطة قوية نفيسة. و «الشار» العيب والعار.

قوله ﷺ [ألا وإن للمتقين] أي ليس الكرم عند الله إلّا بالتقوى، وجزاء التقوى ليس إلّا في العقبى، ولم يجعل الله جزاء عملهم التفضيل في عطايا الدنيا.

قوله ﷺ [فاظنوا أهل دين الله] أي يا أهل دين الله كذا في النسخ المصححة، وفي بعضها «إلى أهل» والمراد بقوله «فيما أصبتم في كتاب الله» [من] نعت الأنبياء والأولياء الذين ذكرهم الله في القرآن، أو مواعيده الصادقة على الأعمال الصالحة. وقوله «تركتم عند رسول الله» صفاته الحسنة و صفات أصحابه وما كان يرتضيه ﷺ من ذلك، أو ضمان الرسول لهم المنوبات على الصالحات، كأنه ودعية لهم عنده صلى عليه وآله.

قوله ﷺ [وجاهدتم به] أي بسببه وهو ما رأيتم من فضله وكماله، أو ما سمعتم من المنوبات عليه.

قوله ﷺ [أحبسب أم ينسب] أي لم تكن تلك الأمور بالحسب والنسب بل بالعمل والطاعة والزهادة.

قوله ﷺ [و فيما أصبحتم] أي انظروا فيما أصبحتم راغبين فيه هل يشبه ما رأيتم وعهدتم مما تقدم ذكره، أو انظروا أيهما أصلح لأن يرغب فيه.

قوله ﷺ [«و جعل الثواب عندها» كلمة «عن» لعلها بمعنى «من» للتبعض. أو قوله «التي» بدل اشتمال للمنازل، والمراد بها الأعمال التي توصل إليها، ولا يبعد أن يكون في الأصل «و التي» أو «بالتى» فصحف. [قوله ﷺ] «و لا خشية عليه من ذلك» أي لا يخشى على.

الحاكم العدل أي الإمام أن يترك حكم الله ولا يجوز أن يظن ذلك به، أو لا يخشى الحاكم بسبب العمل بحكم الله من أحد، أو أن يكون معاقبا بذلك عند الله. وعلى نسخة «و لا وحشة» المعنى أنه إذا عمل الحاكم بحكم الله لا يستوحش من مفارقة رعيته عنه بسبب ذلك.

قوله ﷺ [«بدرتي» الدرة بالكسر التي يضرب بها. ويظهر من الخبر أن السوط أكبر وأشد منها. والارعاء الانزجار عن الفحيع. وقيل الندم على الشيء والانصراف عنه وتركه. والأود بالتحريك الموج.

قوله ﷺ «بفساد نفسي» أي لا أطلب صلاحكم بالظلم وبما لم يأمرني به ربّي فأكون قد أصلحتكم بإفساد نفسي. و «سحقا» أي بعدا.

٨١١- كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي عن محمد بن عبد الله بن عثمان عن علي بن أبي سيف [المدائني] عن أبي حباب عن ربيعة و عمارة قالا إِنْ طائفة من أصحاب علي عليه السلام مشوا إليه فقالوا يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال و فضل هؤلاء الأشراف من العرب و قريش على الموالي و العجم و من تخاف خلافة من الناس و فراره قال و إنما قالوا له ذلك للذي كان معاوية يصنع بمن آتاه فقال لهم علي عليه السلام: أ تأمروني أن أطلب القصر بالجور و الله لا أفعل ما طلعت شمس و ما لاح في السماء نجم، و الله لو كان مالهم لي لواسيت بينهم، فكيف و ما هي إلّا أموالهم؟! قال ثم أزم طويلًا ساكنًا ثم قال:

من كان له مال فآياه و الفساد فإن إعطاء المال في غير حقّه تبيذير و إسراف، و هو ذكر لصاحبه في الناس و يضعه عند الله، و لم يضع رجل ماله في غير حقّه و عند غير أهله إلّا حرّمه الله شكرهم و كان لغيره و دّمهم، فإن بقي معه من يوده و يظهر له البشر فإنما هو ملق و كذب، و إنما ينوي أن ينال من صاحبه مثل الذي كان يأتي إليه من قبل، فإن زلت بصاحبه التعل فاحتاج إلى معونته و مكافأته فشر خليل و أثم خدين.

و من صنع المعروف فيما آتاه الله، فليصل به القرابة، و ليحسن فيه الضيافة، و ليفك به العاني، و ليعن به الغارم و ابن السبيل و الفقراء و المهاجرين، و ليصبر نفسه على التّوابع و الخطوب^(١) فإن الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدّنيا و درك فضائل الآخرة.

٨١٢- نهج: [و] قال عليه السلام في خطبة [له]:^(٢)

فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون و بينكم عترة نبيكم و هم أئمة الحق و السنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن و ردوهم و ورود الهمم العطاش.

٢١٠
٣٤ أيها الناس خذوها من خاتم النبيين ﷺ، إنّه يموت من يموت ممّا و ليس بميت و يبلى من يبلى ممّا و ليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحقّ فيما تنكرون، و اعذروا من لا حجة لكم عليه و أنا هو، ألم أعمل فيكم بالنقل الأكبر و أترك فيكم الثقل الأصغر و ركزت فيكم راية الإيمان، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام، و ألبستكم العافية من عدلي، و فرشتكم المعروف من قلبي و فعلي، و أريتكم كرائم الأخلاق من نفسي فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، و لا يتغلغل إليه الفكر.

بيان: تاه فلان تحيّر. و العمه التردد على وجه التحيّر. و الواو في قوله «و بينكم» للحال. و الأئمة جمع زمام و هو المقود أي هم القادة للحقّ يدور معهم حيثما داروا.

[قوله عليه السلام] «و السنة الصّدق» أي هم كاللسان للصدق لا يتكلّم إلّا بهم، أو هم المتكلّمون به و لا يظهر إلّا منهم.

[قوله عليه السلام] «فأنزلوهم» أي أنزلوا العترة في صدوركم و قلوبكم بالتعظيم و الانقياد لأوامرهم و نواهيهم و التمسك بهم بأحسن المنازل التي تنزلون القرآن، أو بأحسن المنازل التي يدلّ عليها القرآن.

[قوله عليه السلام] «و ردوهم» من الورود و هو الحضور عند الماء للشرب. و «الهمم» الإبل العطاش.

قوله عليه السلام «و اعذروا» قال ابن ميثم طلب عليه السلام منهم العذر فيما يصيبهم و يلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم في إطاعته عليه السلام.

قوله عليه السلام «فيما لا يدرك» أي فيما ذكر لهم من خصائص العترة الطاهرة و فضلها أي أمرنا صعب لا تهتدي إليه العقول [الساذجة]. و التغلغل الدخول.

٨١٣- نهج: [و من كلام له عليه السلام]:^(٣)

(١) هذا هو الظاهر الوارد في غير واحد من مصادر الكلام، وفي طبع الكمباني من البحار: «على الثواب و الحقوق...» و التوابع: جمع النابتة: العويصة الطارئة في أيام الحياة.

(٢) رواه السيّد الرضّي عليه السلام في المختار: (٨٥) من كتاب نهج البلاغة.

(٣) رواه السيّد الرضّي رضوان الله عليه في المختار: (١٥٧) من نهج البلاغة.

ولقد أحسنت جواركم، وأحطت بجهدي من ورائكم، وأعتقكم من ربك الذَّلَّ وحلق الضيم، شكرا منِّي للبرِّ القليل، وإطراقا عما أدركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير.

بيان: الإحاطة من وراء [هو] دفع من يريدكم بشرَّ لأنَّ العدوَّ الغالب يكون من وراء المحارب. و الحلق بالتحريك وكعب جمع حلقة. والضميم الظلم. وأطرق أي سكت وأرعى عينيه إلى الأرض. وإطراقه ﷺ عن المنكر الكثير وسكوته عنه لعدم تأثير النهي، أو لانجراره إلى ما هو أعظم منه.

٨١٤- نهج: [و] من خطبة له ﷺ (١)؛

اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا، واتخذهم له أشراكا، فباض و فرخ في صدورهم، و دبَّ و درج في حجورهم، فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم، فركب بهم الزَّلل، و زَيَّن لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، و نطق بالباطل على لسانه.

بيان: ملاك الأمر بالكسر ما يقوم به. و الأشرار إما جمع شريك أي عدَّهم [الشيطان] من شركائه في إضلال النَّاس. أو جمع شرك بالتحريك أي جعلهم حبايل لاصطياد الخلق. «فباض و فرخ» كناية عن طول مكثه للوسوسة في صدورهم. و الدب المشي الضعيف، و الدرَج أقوى منه و هما كنايةتان عن تربيتهم الباطل و ملازمة الشيطان لهم حتى صار كالوالدين. و الزلل في الأعمال و الخطل في الأقوال.

و الباء في [قوله] «ركب بهم» للتعدية. و الضمير في «سلطانه» راجع إلى «من» أي من شاركه الشيطان فيما جعله الله لهم من السلطان على الأعمال و الأقوال. أو إلى «الشيطان» أي كأنهم الأصل في سلطانه و قدرته على الإضلال.

٨١٥- نهج: [و] من خطبة له ﷺ [في الملاحم] (٢)؛

ألا بأبي و أمي من عدَّة أسماؤهم في السماء معروفة و في الأرض مجهولة. ألا فتوقَّعوا ما يكون من إدبار أموركم و انقطاع وصلكم، و استعمال صفاركم ذاك، حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حلَّة.

ذاك حيث يكون المعطي أعظم أجرا من المعطي.

ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة و النعيم و تحلفون من غير اضطرار و تكذبون من غير إحراج.

ذاك إذا عَضَّكم البلاء كما يعَضُّ القتب غارب البعير.

ما أطول هذا العناء و أبعد هذا الرجاء!

أيُّها الناس ألقوا هذه الأزمَّة الَّتِي تحمل ظهورها الأثقال من أيديكم، و لا تصدَّعوا على سلطانكم فتذمُّوا غِبَّ فعالكم، و لا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة، و أميطوا عن سنتها و خلَّوْا قصد السَّبِيل لها، فقد لعمرى يهلك في لهبها المؤمن و يسلم فيها غير المسلم.

إنَّما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة، يستضيء به من ولجها، فاسمعوا أيُّها النَّاس و عوا و أحضروا آذان قلوبكم تفهموا!

إيضاح: قال ابن أبي الحديد قالت الإمامية هذه العدَّة هم الأئمة الأحد عشر من ولده ﷺ.

و قال غيرهم إنَّه عنى الأبدال الذين هم أولياء الله. انتهى.

[أقول] و ظاهر أن ذكر انتظار فرج الشيعة كما اعترف به بعد هذا لا ارتباط له بحكاية الأبدال.

و أمَّا كون أسماؤهم في الأرض مجهولة، فلملَّ المراد به أنَّ أكثر النَّاس لا يعرفون قدرهم و منزلتهم، فلا ينافي معرفة الخواص لهم و إن كانوا أيضا لا يعرفونهم حقَّ معرفتهم.

(١) رواه السيّد الرضويّ ﷺ في المختار السابع من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضويّ ﷺ في المختار: (١٨٥) من كتاب نهج البلاغة.

أو أراد به جهالة أسمائهم في وقت إيراد [هذا] الكلام، و التخصيص في الاحتمال الأخير أقل منه في الأول.

قوله ﷺ «و انقطاع وصلكم» جمع وصلة أي تفرّق أموركم المنتظمة. و المراد باستعمال الصغار تقديمهم على المشايخ و أرباب التجارب في الأعمال و الولايات.

قوله ﷺ «حيث يكون المعطى» على بناء المجهول «أعظم أجرا من المعطى» على بناء الفاعل لأن أكثر الأموال في ذلك الزمان يكون من الحرام، و أيضا لا يعطونها على الوجه المأمور به [بل للأغراض الفاسدة].

و أما المعطى فلما كان فقيرا يأخذ المال لسدّ خلته، لا يلزمه البحث عن المال و حلّه و حرمة فكان أعظم أجرا من المعطى.

و قيل لأن صاحب المال لما كان بصرفه في أغلب الأحوال في الفساد، فإذا أخذه الفقير فقد فوت عليه صرفه في القبايح، فقد كفّه بأخذ المال من ارتكاب القبيح. و لا يخلو من بعد.

و النعمة بالفتح غضارة العيش. و في بعض النسخ أي الخفض و الدعة و المال.

قوله ﷺ «من غير إخراج» أي من غير اضطراب إلى الكذب. و روي بالواو.

قوله ﷺ «إذا عضّكم البلاء» يقال عضّ اللقمة كسمع و منع أي أمسكها بأسنانه و عضّ بصاحبه أي لزمه. و عضّ الزمان و الحرب شدّتهما. و القتب بالتحريك معروف. و الغارب ما بين العنق و السنام.

و قال ابن أبي الحديد هذا الكلام غير متصل بما قبله كما هو عادة الرضي، و قد [كان ﷺ] ذكر بين ذلك ما ينال من شيعة من البؤس و القنوط و مشقة انتظار الفرج. و قوله ﷺ «ما أطول هذا العناء و أبعد هذا الرجاء» حكاية كلام شيعة ﷺ انتهى. فيكون المراد بالرجاء رجاء ظهور القائم ﷺ.

و قال ابن ميثم و يحتمل أن يكون الكلام متصلا و يكون قوله ﷺ «ما أطول هذا العناء» كلاما مستأنفا في معنى التوبيخ لهم على إعراضهم عنه و إقبالهم على الدنيا و إتناهبهم أنفسهم في طلبها، و تنفير لهم عنها بذكر طول العناء في طلبها و بعد الرجاء لما يرجى منها.

قوله ﷺ «ألقوا» أي ألقوا من أيديكم أزمّة الآراء الفاسدة و الأعمال الكاسدة التي هي كالنوق و المراكب في حمل التبعات و الآثام.

«و لا تصدّعوا» أي لا تفرّقوا. و السلطان الأمير و الإمام. و غبّ كل شيء عاقبته. و فور نار الفتنة و هجها و غلبانها.

«و أميطوا» أي تنحّوا. و السنن الطريقة.

قوله ﷺ «و خلّوا» أي دعوها تسلك طريقها و لا تتعرّضوا لها تكونوا حبطا لنارها.

٨١٦- نهج: [و من خطبة له ﷺ] الحمد لله الناشر في الخلق فضله، و الباسط فيهم بالجوّد يده، نحمده في جميع أموره، و نستعينه على رعاية حقوقه، و نشهد أن لا إله غيره، و أنّ محمدا عبده و رسوله أرسله بأمره صادعا و بذكرة ناطقا، فأدى أمينا و مضى رشيدا و خلّف فينا راية الحق، من تقدّمها مرق و من تخلف عنها زهق، و من لزمها لحق^(١).

دليلها مكيت الكلام بطيء القيام سريع إذا قام، فإذا أنتم أنتم له رقابكم و أشرتم إليه بأصابعكم جاءه الموت فذهب به، فليتمم بعده ما شاء الله حتّى يطلع الله لكم من يجمعكم و يضمّ نشركم. فلا تطمعوا في غير مقبل، و لا تيأسوا من مدبر، فإنّ المدبر عسى أن تزلّ إحدى قائمتيه و تثبت الأخرى فترجعا حتّى تثبتا جميعا.

ألا و إنّ مثل آل محمّد ﷺ كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، و أراكم ما كنتم تأملون.

توضيح: النّشر التفريق و البسط، و بسط اليد كناية عن العطاء. و قيل اليد هنا النعمة في جميع أموره أي ما صدر منه من النعم و البلايا. و رعاية حقوق الله شكره و طاعته.

بقوله ﷺ [«بأمره صادعا» أي مظهرها مجاهرا. والرشد إصابة الصواب. وقيل الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه. و راية الحق الثقلان المخلفان. و مرق السهم من الرمية إذا خرج عن الرمي به. و المراد هنا خروج من تقدمها و لم يعتد بها من الدين. و زهق الشيء كمنع بطل و هلك. و اللّحوق إصابة الحق.

و أراد بالدليل نفسه ﷺ. و الضمير راجع إلى الـراية. [و] مكثت الكلام أي بطئته أي لا يتكلم من غير روية. و بطيء القيام كناية عن ترك العجلة و الطيش. و إلانة الرقاب كناية عن الإطاعة. و الإشارة بالأصابع [كناية عن التعظيم و الإجلال.

قال ابن أبي الحديد نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعا عليه من الشهر الذي قتل ﷺ فيه. اجتمع له مائة ألف سيف، و أخرج مقدّمته يريد الشام، فضربه اللعين و انقضت تلك الجموع كالغيم فقدت رعائنها.

و أشار [ﷺ] بمن يجمعهم إلى المهدي ﷺ. و النشر المنشور التفرّق.

قوله ﷺ [«فلا تطعموا» أي من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممن هو أهله، فلا تطعموا فيه فإنّ ذلك لاختلال بعض شرائط الطلب، كما كان شأن أكثر أنمتنا ﷺ.

و قيل أراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر، فإنّه لا يجوز الطعم في أن يكون أميرا لكم.

و في بعض النسخ [«فلا تطعنوا في عين» أي من أقبل على هذا الأمر من أهل البيت فلا تدفعوه عما يريد.

و قوله [ﷺ] [«و لا تياسوا» أي من أدبر عن طلب الخلافة ممن هو أهل لها فلا تياسوا من عوده و إقباله على الطلب، فإنّ إداره يكون لفقد بعض الشروط كقلة الناصر.

و زوال إحدى القائمتين كناية عن اختلال بعض الشروط، و ثبات الأخرى [كناية] عن وجود بعضها.

و قوله [«فيرجعان حتّى يثبتا» كناية] عن استكمال الشرائط، و لا ينافي النهي عن الإياس النهي عن الطمع لأنّ عدم اليأس هو التجويز، و الطمع فوق التجويز. أو لأنّ النهي عن الطمع في حال عدم الشروط و الإعراض عن الطلب لذلك و النهي عن الإياس لجواز حصول الشرائط.

و قيل [في تفسير قوله ﷺ] [«و لا تياسوا من مدبر» أي إذا ذهب من بينكم إمام و خلفه إمام آخر فاضطرب أمره، فلا تشكوا فيه، فإنّ المضطرب الأمر سينتظم أموره. و حينئذ يكون قوله ﷺ [«ألا إن مثل آل محمد ﷺ» كالبيان لهذا.

بقوله ﷺ] [«إذا خوى نجم» أي مال للمغيب. و الصنائع جمع صنعة و هي الإحسان أي لا تياسوا عسى أن يأتي الله بالفرج عن قريب و المتحقّق الوقوع قريب و إن كان بعيدا.

و يمكن أن يكون [أراد] إراءة المخاطبين ما يأملون في الرجعة.

٨١٧- نهج: [و] من خطبة له ﷺ (١).

أيّها الغافلون غير المغفول عنهم، و التاركون المأخوذ منهم ما لي أراكم عن الله ذاهبين و إلى غيره راغبين كأنكم نعم أراح بها ساتم إلى مرعى وبى و مشرب دوى، [و] إمّا هو كالمعلوقة للمدى، لا تعرف ما ذا يراد بها، إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها و شيعها أمرها.

و الله لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه لفعلت و لكن أخاف أن تكفروا في برسول الله ﷺ، ألا و إتّي مفضيه إلى الخاصّة ممن يؤمن ذلك منه.

و الذي بعثه بالحق و اصطفاه على الخلق، ما أنطق إلّا صادقاً، و لقد عهد إليّ بذلك كلّ و بمهلك من يهلك و منجي من ينجو و مآل هذا الأمر، و ما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلّا أفرغه في أذني و أفضى به إليّ.

أَيُّهَا النَّاسُ و اللّٰهُ لَا أَحْتَكُمُ عَلَى طَاعَةِ إِيَّاهُ وَ أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَ لَا أَنهَاجُكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ إِيَّاهُ وَ أَنْتَاهِي قِبَلِكُمْ عَنْهَا.

بيان: [قوله ﷺ] «أَيُّهَا الْغَائِلُونَ» الظاهر أنّ الخطاب لعامة المكلّفين أي الذين غفلوا عمّا يراد بهم و منهم، [و هم] غير المغفول عنهم، فإنّ أعمالهم محفوظة مكتوبة.

[قوله] «والتاركون» أي لما أمروا به المأخوذ منهم بانتقاص أعمارهم وقواهم واستلاب أحبّاهم وأموالهم.

و الذهاب عن اللّٰه التوجه إلى غيره و الإعراض عن جنباه. و التّمسّك بالتّحرك جمع لا واحد له من لفظه و أكثر ما يقع على الإبل.

[قوله ﷺ] «أَرَأَيْتُمْ إِيَّاهُ سَائِمٌ» شبههم بالنعم التي تتبع نعماً أخرى. سائمة أي راعية. و إنّما قال ذلك لأنّها إذا تبعّت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل التي يسيماها راعيها.

و ما يظهر من كلام ابن ميثم من أنّ السائم بمعنى الراعي، ففيه ما لا يخفى. و المرعى الوبيء ذو الوباء و المرض، و أصله الهمز. و الدّوي ذو الدّاء، و الأصل في الدويّ، دويّ بالتخفيف و لكنّه شدّد للزّدواج. قال الجوهري رجل ذو بكسر الواو أي فاسد الجوف من داء. و المدى بالضمّ جمع مديّة و هي السكين.

قوله ﷺ «تَحَسَّبْ يَوْمَهَا» أي تظنّ أنّ ذلك العلف كما هو حاصل لها في هذا اليوم حاصل لها أبداً، أو نظرها مقصور على يومها تحسب أنّه دهرها. «و شبعها أمرها» أي تظنّ انحصار شأنها وأمّرها في الشّبع.

قوله ﷺ «و اللّٰهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَ» قال ابن أبي الحديد [و] هذا كقول المسيح ﷺ «وَأَنْتُمْ كُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْرَجُونَ فِي بُيُوتِكُمْ»^(١) [و لكن] قال ﷺ إِيَّاهُ أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْغُلُوفَ فِي أَمْرِي، وَ أَنْ تَفْضُلُونِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوا فِي الْإِلَهِيَّةِ كَمَا ادَّعَتْ النَّصَارَى ذَلِكَ فِي الْمَسِيحِ ﷺ لَمَّا أَخْبَرَهُم بِالْأُمُورِ الْغَائِبَةِ.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: [و مع كتمانهم ﷺ فقد كفر [فيه] كثير منهم، و ادّعوا فيه النّبوة، و أنّه شريك الرسول في الرّسالة و أنّه هو الرسول، و لكنّ الملك غلط، و أنّه هو الذي بعث محمداً ﷺ، و ادّعوا فيه الحلول و الاتحاد.

ويحتمل أن يكون كفرهم فيه بإسناد التقصير إليه ﷺ في إظهار شأنه و جلالته.

والمهلك بفتح اللام و كسرهما يحتمل المصدر و اسم الزمان و المكان.

والمعاد بالهلاک إمّا الموت و القتل أو الضلال و الشقاء. و كذلك النجاة.

والمعاد بالأمر بالخلافة أو الدين و ملك الإسلام، و مآله انتهاءه بظهور القائم ﷺ و ما يكون في آخر الزمان. و أفرغه كفرّغه صبه.

٨١٨-نهج: [و] من خطبة له ﷺ (٢):

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَ لَا يَدْعِي نَبُوَّةَ وَ لَا وَحْيًا، فَقَاتَلَ بَعْنَ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنَاجِتِهِمْ، وَ يَبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ. يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَ يَقِفُ الْكَسِيرُ فَيَقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْحَقَهُ غَايَتُهُ، إِيَّاهُ هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنَاجِتَهُمْ، وَ بَوَاهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رِحَاهُمْ، وَ اسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ. وَ أَيْمَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّيْتُ بِحَذَافِيرِهَا، وَ اسْتَوْسَقْتُ فِي قِيَادِهَا، مَا ضَعُفْتُ وَ لَا جِنْتُ، وَ لَا خُنْتُ وَ لَا وَهَنْتُ. وَ أَيْمَ اللَّهِ لَأُبْقِرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أَخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصَرَتِهِ.

بيان: المنجاة مصدر أو اسم مكان. «و يبادر بهم الساعة» أي يسارع إلى هدايتهم و إرشادهم حذراً من أن ينزل بهم الساعة فتدركه على الضلالة.

والحسير المعبي. وإقامته ﷺ على الحسير والكسير ومراقبته من تزلزل عقائده، ليدفع شبهه حتى يبلغه الغاية التي خلق لأجلها، إلا من لم يكن قابلاً للهداية.

ومنهم من حمله على ظاهره من شفقتهم ﷺ على الضعفاء في الأسفار والغزوات.

[قوله ﷺ] «حتى أراهم منجاتهم» أي نجاتهم أو محلّ نجاتهم. ومحلّتهم منزلهم وغاية سفرهم الصوري أو المعنوي.

واستدار الرّحى واستقامة القناة، كناية عن انتظام الأمر كما مرّ. والسّاقعة جمع سائق، والصّير لغير مذكور [لفظاً] والمراد الجاهلية، شبهها ﷺ بكتيبة مصادفة لكتيبة الإسلام فهزمها.

وفي القاموس الحذوق كصفور الجانب كالحذافر والشرى والجمع الكثير. وأخذ بحذافيره بأسره. أو بجوانبه أو بأغاليه. والحذافير المتهيئون للحرب. واشدد حذافيرك تهياً. واستوسقت أي اجتمعت وانتظمت يعني الملة الإسلامية أو الدعوة أو ما يجري هذا المجرى أي لما ولّت الجاهلية استوسقت هذه في قيادها كالإبل المقودة إلى أعطانها.

ويحتمل عوده إلى الجاهلية أي تولّت بحذافيرها واجتمعت تحت ظلّ المقادة. والبقرة الشقّ. والخاصرة ما بين أسفل الأضلاع وعظم الورك، شبه عليه السّلام الباطل بحيوان ابتلع الحقّ.

٨١٩- نهج: [و من كلام له (١)]:

تالله لقد علمت تبليغ الرسالات وإتمام العداات وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضيء الأمر. ألا وإن شرائع الدّين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق و غنم، ومن وقف عنها ضلّ و ندم. اعملوا يوم تذخر له الدّخائر، و تبلى فيه السّرائر، و من لا ينفعه حاضر لثبّ فعازبه عنه أعجز و غائبه أعوز. و اتقوا ناراً حرها شديد، و قعرها بعيد و حليتها حديد و شرابها صديد.

ألا وإن اللسان الصّالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده.

بيان: قال ابن أبي الحديد [قوله] «لقد علمت تبليغ الرسالات» إشارة إلى قوله تعالى ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَلَا يَخْشَوْنَ إِلَّا اللَّهَ﴾ وإلى قول النّبي ﷺ في قصّة براءة «لا يؤدّي عني أنا أو رجل مني»، وأنّه علم مواعيد رسول الله ﷺ التي وعد بها وإنجازها، فعنها ما هو وعد لواحد من النّاس نحو أن يقول سأعطيك كذا.

ومنها ما هو وعد بأمر سيحدث، كأخبار الملاجم والأمر المتجدّدة. وفيه إشارة إلى قول تعالى ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وإلى قول النّبي ﷺ في حقّه ﷺ «قاضي ديني ومنجز عدااتي» وأنّه علم تمام الكلمات وهو تأويل القرآن و بيانه الذي يتم به.

وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَوَعَدْتُكَ رَجُلًا نَقِيًّا وَكَانَ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾. وإلى قول النّبي ﷺ [إله] «اللهم اهد قلبه وثبّت لسانه».

ولعلّ أراد بـ «أبواب الحكم» بالضمّ أو «الحكم» بكسر الحاء وفتح الكاف على اختلاف النسخ الأحكام الشرعية. وبـ «ضيء الأمر» العقائد العقلية أو بالعكس.

وقال ابن ميثم لعلّ المراد بـ «شرائع الدين وسبله» أهل البيت ﷺ فإنّ أقوالهم في الدين واحدة خالية عن الاختلاف.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد معناه الظاهر، ويكون الغرض نفي الاختلاف في الأحكام بالآراء والمقاييس، ويظهر منه بطلان إمامة غير أهل البيت كما لا يخفى.

قوله ﷺ «و من لا ينفعه» فيه وجوه:

الأول أنّ من لم يعتبر في حياته بلبّيه فأولى بأن لا ينتفع بعد الموت.

الثاني أن المراد من لم يعمل بما فهم وحكم به عقله وقت إمكان العمل، فأحرى أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته، بل لا يورثه إلاً ندامة وحسرة.

الثالث أن المراد من لم يكن له من نفسه واعظ و زاجر ولم يعمل بما فهم وعقل، فأحرى بأن لا يرتدع من الفحش بعقل غيره و موعظته له.

و «اللسان الصالح» الذكر الجميل. و «من لا يحمده» وارثه الذي لا يعد ذلك الإبراث فضلاً و نعمة. ٨٢٠-نهج: [و] من خطبته [ب] المعروفة بالقاصعة^(١):

٢٢٣
٣٤

ألا و إنكم قد نفضتم أيديكم من جبل الطاعة، و تلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية، و إن الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من جبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلها و يأوون إلى كنفها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة لآنها أرجح من كل ثمن و أجل من كل خطر.

و اعلموا أنكم قد صرتم بعد الهجرة أعرابا، و بعد الموالاة أحرابا، ما تعلقون من الإسلام إلاً باسمه، و لا تعرفون من الإيمان إلاً رسمه، تقولون «النار و لا العار»، كأنكم تريدون أن تكفونوا الإسلام على وجه انتهاكا لحريمه، و نقضا لميثاقه الذي وضعه الله لكم، حرما في أرضه و أمنا بين خلقه.

و إنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثم لا جبرئيل و لا ميكائيل و لا مهاجرون و لا أنصار ينصرونكم إلاً المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم.

و إن عندكم الأمثال من بأس الله و قوارعه و أيامه و وقائعه، فلا تستبطنوا وعيده جهلا بأخذه، و تهاونا ببطشه، و يأسا من بأسه.

فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاً لتركهم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فلعن السفهاء لركوب المعاصي، و العلماء لترك التناهي.

ألا و قد قطعتم قيد الإسلام، و عطّمت حدوده و أمّمت أحكامه.

ألا و قد أمرني الله بقتال أهل البغي و التثكث و الفساد في الأرض، فأما التآكون فقد قاتلت، و أما القاسطون فقد جاهدت، و أما المارقون فقد دوخت، و أما شيطان الزهدة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه و رجة صدره، و بقيت بقيّة من أهل البغي، و لئن أذن الله في الكرة عليهم لأدبيلنّ منهم إلاً ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّرا.

٢٢٤
٣٤

أنا وضعت [في الصغرا] بكلاكل العرب و كسرت نواجم قرون ربيعة و مضر.

و قد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة و المنزلة الخصيصة، وضعني في حجره و أنا وليد، يضمنني إلى صدره و يكتفني في فراشه و يمسنني جسده و يشمنني عرفه، و كان يعضغ الشيء ثم يلقمنيه، و ما وجد لي كذبة في قول و لا خطلة [خطيئة «خ»] في فعل.

أقول: قد مضى تمامها مع شرحها في آخر المجلد الخامس.

٨٢١-نهج: [و] من كلام: له ﷺ (٢).

ألا و إن اللسان بضعة من الإنسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، و لا يهمله النطق إذا اتسع، و إن لأمرء الكلام، و فينا تنشبت عروقه، و علينا تهذلت غصونه.

و اعلموا رحمكم الله أنكم في زمان، القاتل فيه بالحق قليل، و اللسان عن الصدق قليل، و اللآزم للحق ذليل، أهله معتكفون على العصيان، مصطلحون على الإدهان، قتاهم عارم، و شائبهم آثم، و عالمهم منافق، و قارئهم ماذق، لا يعظم صغيرهم كبيرهم، و لا يعول غنيهم فقيرهم.

بيان: قال ابن أبي الحديد [هذا الكلام] قاله ﷺ في واقعة اقتضت ذلك، و هي أنه أمر ابن أخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوما، فصعد المنبر فحصر و لم يستطع الكلام، فقام أمير المؤمنين ﷺ فتسّم ذروة المنبر، فخطب خطبة طويلة هذه الكلمات منها.

(١) رواه السيّد الرضّي في أواخر الخطبة القاصعة: المختار: (١٩٢) من كتاب نهج البلاغة، ورواها في شرح أبي الحديد تحت الرقم: (٢٢٣٨).

(٢) رواه السيّد الرضّي ﷺ في المختار: (٢٢٣) من كتاب نهج البلاغة.

والبضة القطعة من اللحم. والضمير في قوله ﷺ «يسعده» و«يمهله» للسان، وفي قوله «امتنع» و«اتسع» للإنسان.

والمعنى أن اللسان لما كان آلة للإنسان يتصرف بتصرفه إياه، فإذا امتنع الإنسان عن الكلام لشاغل أو صارف، لم يسعد اللسان القول ولم يواته، وإذا دعاه الداعي إلى الكلام وحضره واتسع الإنسان له، لم يمهل التطق بل يسارع إليه.

ويحتمل أن يعود الضمير في «امتنع» إلى القول، وفي «اتسع» إلى التطق أي فلا يسعد القول اللسان إذا امتنع القول من الإنسان ولم يحضره لوهم أو نحوه، أوجب حصره وعيّه ولم يمهل التطق إذا اتسع عليه وحضره (١).

ويحتمل أن يكون الضمير في «يسعده» و«يمهله» راجعا إلى الإنسان، وفي قوله «امتنع» و«اتسع» إلى اللسان أي إذا امتنع اللسان لعدم جرة فلا يسعد القول الإنسان، وإذا اتسع لم يمهل التطق الإنسان. والأول أظهر.

ونشب الشيء في الشيء بالكسر أي علق وأنشبه أنا فيه أي أعلفته فانتشب. ذكره الجوهري. والمراد بعروقه أصوله ومواده، كالعلم بالمعاني والملكات الفاضلة. وغصونه فروع وأغصانه وآثاره. وتهدكت أغصان الشجرة أي تدلت.

قوله ﷺ «معتفون على العصيان» أي ملازمون [لها] من قولهم عكف على الشيء أي حبس نفسه عليه، ومنه الاعتكاف. والاصطلاح افتعال من الصلح. والادهان القول باللسان بمقتضى مصلحة حالهم دون الاتفاق في القلوب، أو بمعنى الغش. والرامة شراسة الخلق والبطر والفساد وقلة الأدب. قوله ﷺ «و شائبهم أثم» أي لجهلهم وغفلتهم شاب في الإثم.

قوله ﷺ «مماذق» أي غير مخلص كما ذكره الجوهري. و«عاله» أي كفله وقام بأمره وأنفق عليه. ٨٢٢-نهج: [و] من خطبة له ﷺ (٢).

وأستعينه على مدارح الشيطان ومزاجه والاعتصام من حباله ومخاتله. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفته، لا يوازي فضله، ولا يجبر وقده، أضاعت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية، والناس يستحلون الحريم ويستذلون الحكيم، يحيون على فترة ويموتون على كفره.

ثم إنكم معشر العرب أغراض بلایا قد اقتربت، فاتقوا سكرات النعمة، واحذروا بوائق النعمة، وتنبهوا في قتام العسوة، واعوجاج الفتنة عند طلوع جنبها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومدار رحاها، تبدأ في مدارج خفيّة، وتؤول إلى فظاعة جليّة، شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام، تتوارثها الظلمة بالعهود، أولهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأولهم، يتنافسون في دنيا دنيّة، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيترايلون بالبقضاء ويتلاعنون عند اللقاء.

ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف والقاصمة الرجوف، فتزيغ قلوب بعد استقامه، وتضلّ رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلبس الآراء عند نجومها. من أشرف لها قصته، ومن سعى فيها حطمت، يتكادمون فيها تكادم الحر في العانة، قد اضطرب معقود الحبل، وومي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة، وتدقّ أهل البدو بمسحليها، وترضهم بكلكلها. يضيع في غبارها الوجدان، ويهلك في طريقها الزكبان، ترد بمرّ القضاء، وتحلب عبيط الدماء، وتلثم منار الدّين، وتنقض عقد اليقين. تهرب منها الأكياس، وتدبرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تقطع فيها الأرجام، ويفارق عليها الإسلام، برئتها سقيم، وطاقنها مقيم.

[و] منها:

بين قتيل مطلول، وخائف مستجير، يختلون بعقد الأيمان، ويغرور الإيمان، فلا تكونوا أنصاب الفتن وأعلام البدع،

(١) من قوله: «والمعنى...» إلى هنا أخذناه من شرح نهج البلاغة لكمال الدين ابن ميثم. إذ كان في أصلي من طبع الكباني من البحار تكرار ونقص.

(٢) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (١٥٠) من كتاب نهج البلاغة.

والزمو ما عقد عليه جبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة، وأقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين، واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان، ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام، فإنكم بعين من حرم عليكم المعصية وسهل لكم سبيل الطاعة.

توضيح: «مداخر الشيطان» الأمور التي يدحر ويطردها الشيطان، و«مزاخره» الأمور التي يزجر بها، و«حبالته» مكايده التي يضل بها البشر، و«مخاتله» الأمور التي يختل بها بالكسر أي يخدع بها. [قوله ﷺ] «لا يوازي» أي لا يساوي، والأصل فيه الهزمة كما قيل، «و الجهالة الغالبة» بالباء الموحدة وفي بعض النسخ بالتشخ بالمشنة من الغلاء وهو الارتفاع أو من الغلو وهو مجاوزة الحد، والجفوة غلظ الطبع، والوصف للمبالغة.

[وقوله] «و الناس» الواو للحال، والحريم حرمات الله التي يجب احترامها ومحرماته، وقال ابن الأثير في النهاية الفترة ما بين الرسولين، وأصابني على فترة أي في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات، والكفرة المرة من الكفريات، والمعشر الجماعة، والغرض الهدف، و سكرات النعمة ما تحدثه النعم عند أربابها من الغفلة المشابهة للسكر، والبواقي الدواهي، والتثبت التوقف وترك اقتحام الأمر، والقائم بالفتح الغبار، والعشو ركوب الأمر على غير بيان ووضوح، يروى «و تبيتوا» كما قرئ في الآية.

و كنى ﷺ عن ظهور المستور المخفي منها بقوله «عند طلوع جنينها و ظهور كمينها»، والجنين الولد ما دام في البطن، والكمين الجماعة المختفية في الحرب، والمدار مصدر والمكان بعيد، و انتصاب قطبها ومدار رحاها كناية عن انتظام أمرها، والمدرجة المذهب والمسلك أي إنها تكون ابتداء بيسيرة ثم تصير كثيرة، والشباب بالكسر نشاط الفرس ورفع يديه جميعا، وفي بعض النسخ [ذكره] بالفتح، والسلم الحجارة أي أربابها يمرحون في أول الأمر كما يمرح الغلام، ثم يؤول إلى أن يعقب فيهم أو في الإسلام آثار كآثار الحجارة في الأبدان، فيحتل أن يكون [هذا] التفسير لسابقه، أو يكون المراد أنها في الدنيا كنشاط الغلام و ما أعقبها في الآخرة كآثار السلام.

[قوله ﷺ] «توارها الظلمة بالمهود» الظرف متعلق بالفعل أي توارثهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت ﷺ وغضب حقهم، أو [هو متعلق ب] [قوله] «الظلمة» أي الذين ظلموا عهد الله وتركوه، و«يتكالبون» أي يتواءمون، و«الريحة» المنتنة من [قولهم] أراحت [الجيفة] إذا ظهر ريحها، أو من أراح البعير إذا مات.

قوله ﷺ «و عن قليل» أي بعد قليل من الزمان يتبرأ التابع [من المتبوع].

قال ابن أبي الحديد ذلك التبرؤ في القيامة كما ورد في الكتاب العزيز، أما تبرؤ التابع من المتبوع [فقد] قال تعالى «فأولوا صلوا عتلاً بل لم تكن ندعوا من قبل شيئا».

وأما تبرؤ القائد من المقود أي المتبوع من التابع فقال تعالى «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا، وإما الأعم» كما دل عليه قوله ﷺ «فيتزايلون...» فقال تعالى «يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا».

وقوله ﷺ «يتزايلون» أي يفترقون، وطالع الفتنة مقدماتها، وسمائها رجوا فاشدة الاضطراب فيها، ولما ذكر ﷺ رغبتهم في الدنيا وتكالبهم، أراد أن يذكر ما يؤكد التعجب من فعلهم، فأتى بجملته معترضة بين الكلامين فقال «و عن قليل يتبرأ التابع... إلخ»، ثم عاد إلى نظام الكلام فقال «ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف».

وقال ابن ميثم أشار ﷺ إلى منافستهم في الدنيا في إثارة تلك الفتن، ثم أخبر عن انقضائها عن قليل وكنى عن ذلك بتبرؤ التابع من المتبوع.

قيل [وكان] ذلك التبرؤ عند ظهور الدولة العباسية، فإن المادة جارية بتبرؤ الناس عن الولاة المعزولين، خصوصا ممن تولّى عزل أولئك أو قتلهم فيتباينون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء.

[ثم] قال [ابن ميثم] وقوله ﷺ «ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف» [إشارة إلى فتنة التتار، إذ الدائرة فيهم كانت على العرب.

[ثم] قال وقال بعض الشارحين ذلك إشارة إلى الملحمة الكائنة في آخر الزمان، كفتنة الدجال، ووصفها بالرجوف كناية عن اضطراب الناس، أو أمر الإسلام فيها. و [كُنَى] بقصمها عن هلاك الخلق فيها تشبيها لها بالرجل الشجاع الكثير الزحف إلى أقرانه أي يمشي إليهم قدما.

ونجم الشيء ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع. قوله ﷺ «من أشرف لها» أي صادمها وقابلها. «و من سعى فيها» أي في تسكينها وإطفائها. و الحطم الكسر. و التكادم التعاض بأدنى الفم. و العانة القطيع من حمر الوحش، و لعل المراد مغالبة مثيري تلك الفتنة بعضهم لبعض، أو مغالبتهم لغيرهم. و معقود الحبل قواعد التي كلفوا بها.

و في إسناد العمى إلى وجه الأمر تجوز. و الغيظ القلّة و النقص. و المسحل كمنبر السوهان أو المنحت أي يفعل بهم ما يفعل بالحديد أو الخشب.

و الرضّ الدق. و الكلكل الصدر. و الوجدان جمع واحد أي من كان يسير وحده فإنه يهلك فيها بالكلية، و إذا كانوا جماعة فهم يضلّون في طريقها فيهلكون.

و لفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة أهلها أي إذا أراد القليل من الناس دفعها هلكوا في غبارها من دون أن يدخلوا في غمارها، و أمّا الركبان و هم الكثير من الناس فإنهم يهلكون في طريقها و عند الخوض فيها.

و يجوز أن يكون الوجدان جمع أوحّد أي يضلّ في غبار هذه الفتنة و شبيها فضلاء عصرها، لغموض الشبهة و استيلاء الباطل و يكون الركبان كناية عن أهل القوة، فهلاك أهل العلم بالضلال، و هلاك أهل القوة بالقتل. و مرّ القضاء الهلاك و الاستئصال و البلايا الصعبة. و عبيط الدماء الطري الخالص منها. و تتلم أي تكسر. [و] منار الدين أي أعلامه.

[قوله ﷺ] «مرعاد مبرا» أي ذات رعد و برق تشبيها بالسحاب. أو ذات وعيد و تهديد من [قولهم] رعد الرجل و برق إذا أوعد و تهدّد.

و يحتمل أن يكون [أراد من] الرعد صوت السلاح و [من] البرق ضوءه.

وقال [ابن الأثير] في النهاية الساق في اللغة الأمر الشديد و كشف الساق مثل في شدة الأمر، و أصله من كشف الإنسان عن ساقه و تشميره إذا وقع في أمر شديد.

قوله «بريئها» أي من يعدّ نفسه بريئا سالما من المعاصي أو الآفات، أو من كان سالما بالنسبة إلى سائر الناس فهو أيضا مبتلى بها، أو المعنى أنّ من لم يكن مائلا إلى المعاصي أو أحبّ الخلاص من شرورها لا يمكنه ذلك.

قوله ﷺ «و ظاعنها مقيم» أي لا يمكنه الخروج عنها. أو من اعتقد أنّه متخلّف عنها فهو داخل فيها لكثرة الشبه و عموم الضلالة.

قوله ﷺ «مطلول» أي مهرد لا يطلب به. [و] «يختلون» أي يخدعون. [و قوله] «بعقد الأيمان» [إيّا] بصيغة المصدر أو كسر بصيغة الجمع.

و [قوله ﷺ] «يختلون» في بعض النسخ على بناء المجهول، فيكون إخبارا عن حال المخدوعين الذي يختلهم غيرهم بالأيمان المعقودة بينهم، أو باليهود الذي يشدّونها بمسح أيمانهم.

و في بعض النسخ على بناء المعلوم فيكون إخبارا من أهل ذلك الزمان جميعا، أو الخادعين الخائنين منهم. و «برور الإيمان» أي بالإيمان الذي يظهره الخادعون لهؤلاء الموصوفين فيفرونهم بالمواعيد الكاذبة، أو الذي يظهره هؤلاء الموصوفون فيفرون الناس به على التّسختين.

قوله ﷺ «أصاب الفتن» [الأصبا] جمع نصب و هو بالفتح أو التحريك العلم أو بمعنى الغاية و الحدّ و منه أيضا أصبا الحرّ.

وفي بعض النسخ [أنصار الفتن] بالراء.

قوله ﷺ «أو الزموا» ما عقد عليه حبل الجماعة» أي القوانين التي ينظم بها اجتماع الناس على الحق. وهي التي بنيت عليها أركان الطاعة.

[قوله ﷺ] «أو اقدموا على الله مظلومين» أي كونوا راضين بالمظلومية أو لا تظلموا الناس وإن استلزم ترك الظلم مظلوميتكم.

و «مدارج الشيطان» مذهب و مسالكه. «ومهايط العدوان» المواضع التي يهبط هو وصاحبه فيها. واللعق جمع لعقة بالضم، وهي اسم لما تأخذه الملعقة. واللعقة بالفتح المرة منه. فنبه ﷺ باللعق على قلتها بالنسبة إلى متاع الآخرة، أو المراد لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير. قوله ﷺ «فإنكم» بعين من حرم» أي بعلمه كقوله تعالى ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^(١).

٨٢٣- نهج: [و] من خطبة له ﷺ (٢).

فيبت محمداً ﷺ بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقرؤا به إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذا أنكروه.

فتجلى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطواته، وكيف محق من محق بالمثلثات واحتصد من احتصد [و] اختصد من اختصد «خ» بالنقطة.

وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان، ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حُرف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذ وأهله مفتيان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد، لا يؤويهما مؤو، فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومهمهم وليسا معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا.

واجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلّا اسمه ولا يعرفون إلّا خطه وزبره.

ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثله، وسوّوا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة. وإنما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم، حتى نزل بهم الموعود الذي تردّ عنه المعذرة، وترفّع عنه التوبة، وتحل معه القارعة والنقمة.

أيها الناس إنه من استصح الله وفق، ومن اتخذ قوله دليلاً هدياً للتي هي أقوم، فإن جار الله آمن وعدوه خائف. وإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم، فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمت أن يتواضعوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له، فلا تنفروا من الحق نفار الضحيج من الأجرب والباري من ذي السم. واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه.

فالتمسوا ذلك من عند أهل فائهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منقظهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، [فهو] بينهم شاهد صادق وصامت ناطق.

بيان: «أحكمه» أثنه. وقيل في قوله تعالى ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾^(٣) أي أحفظت من فساد المعنى وركاكنه.

ويمكن أن يكون المراد بالإقرار باللسان، وبالإنبات بالتصديق بالقلب.

[قوله ﷺ] «فتجلى لهم» أي ظهر و انكشف، وربما يفسر الكتاب هنا بعالم الإيجاد. و المحق النقض، و المحو و الإبطال. و المثلث العقوبات.

قوله ﷺ «و احتصد [من احتصد]» في بعض النسخ بالمهملتين في الموضعين من الحصاد و هو قطع الزرع و النبات فهو كناية عن استئصالهم.

و في بعضها بالمعجمتين من [قولهم] اختضد البعير أي خطمه ليذلّ. و الأول أظهر. و البوار الهلاك و كساد السوق.

و تلاوة الكتاب إما بمعنى قراءته، أو متابعته فإنّ من اتّبع غيره يقال تلاه. و التحريف بالثاني أنسب. و يقال تناساه إذا أرى من نفسه أنّه نسيه. و نفى الشيء أي نحاه أو جرده. و الطرد الإبعاد. و أهل الكتاب [هم] أئمة الدين و أتباعهم العالون بالكتاب العالون به.

قوله ﷺ «لأنّ الضلالة» أي ضلالتهم مضادة لهدى الكتاب فلم يجتمعوا حقيقة و إن اجتمعوا ظاهرا. و الزبر بالفتح الكتابة و بالكسر الكتاب.

قوله ﷺ «ومن قبل» أي من قبل ذلك الزمان وإن كان بعده ﷺ. «ما مثلوا» بالتخفيف و التشديد أي نكّلوا.

والظرف أعني قوله «على الله» متعلّق بالفريّة، و يحتمل تعلّقه بالصدق. و المراد بتغيّب آجالهم نسيانهم إياها و ترك استعدادهم لها و لما بعدها. و الموعود الموت فإنّه لا تقبل فيه معذرة و عند نزوله [لا تقبل] توبة.

«و القارعة» المصيبة التي تفرع أي تلقى بشدّة و قوّة.

قوله ﷺ «من استنصح الله» قال [ابن الأثير] في النهاية أي اتّخذها ناصحا. انتهى.

و الاعتقاد بكونه تعالى ناصحا و أنّه لا يريد للعبد إلّا ما هو خير له، يوجب التوفيق بالرغبة في العمل بكلّ ما أمر [به] و الانتهاء عمّا نهى عنه.

قوله ﷺ «لئليّ هي أقوم» أي للحالة و الطريقة التي اتّباعها و سلوكها أقوم.

[قوله ﷺ] «فإنّ جار الله [أمّن]» أي من أجاره الله أو من كان قريبا منه.

و في بعض النسخ «عظمته» و «قدرته» بالنصب، فكلمة «ما» فيها زائدة.

قوله ﷺ «حتّى تعرفوا الذي تركه» الغرض منه و مما بعده التنفير من أئمة الضلال و التنبيه على وجوب البراءة منهم.

[قوله ﷺ] «فإنّهم عيش العلم» أي أسباب لحياته.

قوله ﷺ «و صمّهم عن منطقهم» فإنّ لصمّهم وقتا و هيئة و حالة تكون قرائن دالّة على حسن منطقهم لو نطقوا.

قوله ﷺ «و لا يختلفون» أي لا يخالف بعضهم بعضا فيكون البعض مخالفا للآخر.

[قوله ﷺ] «فهو بينهم» الضمير راجع إلى الدين. [و معنى قوله] «شاهد صادق» أي يأخذون بما حكم به و دلّ عليه.

[قوله ﷺ] «و صامت» لأنّه لا ينطق في الظاهر [بنفسه و إمّا هو] ناطق بلسان أهله و العالم به.

٨٢٤- نهج: [و] من خطبة له ﷺ (١)؛

حتّى بعث الله محمداً ﷺ شهيدا و بشيرا و نذيرا، خير البرية طفلا و أنجبها كهلا، أظهر المطهرين شيمة و أجود المستطرين ديمة.

فما حلّولت لكم الدّنيا في لذّتها، و لا تمكّنت من رضاع أخلافها، إلّا من بعد [ما] صادفتموها جانلا خطامها، قلّقا

وضيئها. قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود، وحلالها بعيدا غير موجود، وصادفتوها والله ظلا ممدودا إلى أجل معدود، فالأرض لكم شاغرة، وأيديكم فيها مبسوطة، وأيدي القادة عنكم مكفوفة، وسيوفكم عليها مسلطة، وسيوفهم عنكم مقبوضة.

ألا وإن لكل دم ثائرا، ولكل حق طالبا، وإن الثائر في دماننا كالحاكم في حق نفسه، وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب.

فأقسم بالله يا بني أمية، عما قليل لتعرفنني في أيدي غيركم وفي دار عدوكم.

ألا إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه، ألا إن أسمع الأسماع ما وعى التذكير وقيله.

أيها الناس استصبحوا من شلعة مصباح واعظ متعظ، وامتاحوا من صفو عين قد روتت من الكدر.

عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم ولا تنقادوا لأهوائكم، فإن النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار، ينقل الردى على ظهره من موضع لرأي يحدثه بعد رأي، يريد أن يلصق ما لا يلتصق ويقرّب ما لا يتقارب.

فالله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم، ولا من ينقض برأيه ما قد أبرم لكم.

إنه ليس على الإمام إلّا ما حث من أمر ربّه، الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنّة، وإقامة الحدود على مستحقّيها، وإصدار السهمان على أهلها.

فبادروا العلم من قبل تصويح نبتة، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله، وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي.

بيان: [قوله ﷺ] «شهيذا» أي على أوصيائه وأئمة وعلى الأنبياء وأمههم. والكهل من جاوز الثلاثين. وقيل من بلغ الأربعين. وقيل من جاوز أربعا وثلاثين إلى إحدى وخمسين. والشيمة بالكسر الطليعة والجبلة. والجود بالفتح المطر الغزير. والديمة بالكسر المطر الدائم في سكون. واحلولى الشيء صار حلوا ضد المرّ. والرضاع بالفتح مصدر رضع الصبي أمّه بالكسر أي امتصّ ثديها. والأخلاف جمع خلف بالكسر وهو حلقة ضرع الناقة، أو الضرع لكل ذات خفّ وظلف. والجملتان كتابتان عن انتفاعهم وتمتّعهم بالدنيا. وصادفته أي وجدته. والجائل الدائر المتحرّك والذي يذهب ويحيى. وخطام البعير بالكسر الحبل الذي يقاد به. والقلق المتحرّك الذي لا يستقرّ في مكانه. والوضين بطن منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرجل على البعير^(١)، كالحزام للسرّج.

والفرض عدم تمكّنهم من الانتفاع بالدنيا وصعوبتها عليهم وعدم اتقيادها لهم، كما يستصعب الناقة على راكبيها إذا كانت جائلة الخطام ليس زمامها في يد راكبيها، قلقه الوضين لا يثبت رحلها تحت راكبيها.

ويحتمل أن يكون كناية عن استقلال الدنيا واستبدادها في غرور الناس، وإقبالها على أهلها من غير أن يزرعها ويمتتها أحد.

والسدر المخضود الذي انتشت أغصانه من كثرة الحمل. أو الذي قطع شوكه ونزع. وهو كناية عن أكلهم الحرام برغبة كاملة وميل شديد.

والظلّ الممدود الدائم الذي لا تنسخه الشمس. وشغرت الأرض كمنعت أي لم يبق بها أحد يحبسها ويضبطها. وبلدة شاغرة برجلها إذا لم تمنع من غارة أحد.

[وقال ابن الأثير في مادة «شجر» من] النهاية قيل الشجر البعد. وقيل الاتساع ومنه حديث عليّ عليه السلام «قبل أن تشجر برجلها فتنة تطأ في خطامها». وحديثه الآخر «فالأرض لكم شاغرة» أي واسعة.

والقادة ولاة الأمر المستحقّون للإمرة والرياسة.

(١) وهكذا فسره ابن الأثير في مادة «وضّن» من كتاب النهاية قال: [و] في حديث عليّ «إنك قلّق الوضين» أراد أنه سريع الحركة. يصفه بالخفة وقلة الثبات كالحزام إذا كان رخواً.

وتسلط السيوف إشارة إلى واقعة الحسين عليه السلام وما كان من بني أمية وغيرهم من القتل و سفك الدماء. و النار طلب الدم.

والمراد بكونه هنا كالحاكم في حق نفسه استيفاءه الحق بنفسه من غير افتقار إلى بيته وحكم حاكم. والضمير في قوله «تعرفنّها» راجع إلى الإمارة، أو إلى الدنيا كالضمان المتقدمة، وهو إخبار بانتقال الدولة عن بني أمية إلى بني العباس.

والطرف بالفتح نظر العين، يطلق على الواحد وغيره. ونفوذ في الخير رؤية المحاسن وأتباعها. وعى الحديث كرمى أي حفظه وتدرّبه. والامتيّاح نزول البئر وملأ الدلو منها. والترويق التصفية. والمراد بـ «الواعظ» و «العين» [خ «ل»] نفسه صلوات الله عليه. و ركن كعلم ونصر ومنع مال. الهوى إرادة النفس. والشفا شفير الشيء وجانبه. والجرف بالضم وبضمين ما تجرّفته السيول أكلته من الأرض. و الهار الساقط الضعيف. والردى جمع رداة بالفتح فيهما وهي الصخرة أي هو في تعب دائما. و فسر هنا بالهلاك أيضا.

والصاق ما لا يلتصق وتقريب ما لا يتقارب إثبات الباطل بحجج باطلة. وأشكاه أزال شكايته. والشجو الهم والحزن. وأبزم الأمر أي أحكمه. وأحكم [الحبل أي جعله طاقين ثم فتلّه. والفرض النهي عن أتباع إمام لا يقدر على كشف المعضلات وحلّ المشكلات في المعاش والمعاد لقلّة البصيرة.

وفي بعض النسخ «و من ينقض» بدون «لا» فالمعنى لا تتبعوا من ينقض برأيه الفاسد ما أحكمه الشرع. والسهمان بالضم جمع سهم وهو الحظّ والنصيب وإصالتها إليهم. و صوّح النبات أي يبس و تشقّق أو جفّ أعلاه. وهو كناية عن ذهاب رونق العلم أو اختفاؤه أو مغلوبيته. والمستشار مصدر بمعنى الاستشارة وهي الإنهاض والتهيج.

و الترتيب بين الأمر بالتناهي لا بين النهي والتناهي. ولا يبعد حمله على ظاهر.

٨٢٥- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام و هي من خطب الملاحم ^(١).

الحمد لله المتجليّ لخلقه بخلقه، الظاهر لقلوبهم بحجّته، خلق الخلق من غير روية، إذ كانت الرويات لا تليق بذوي الضمان، وليس بذوي ضمير في نفسه.

خرق علمه باطن غيب السترات وأحاط بغموض عقائد السريرات.

[و] منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله:

اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء وذوابة العلياء وسرة البطحاء ومصايح الظلمة وينابيع الحكمة. [و] منها طبيب دوائر بطبه، قد أحكم مراحمه، وأحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، و آذان صم، و ألسنة بكم، متّبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة. لم يستضيئوا بأضواء الحكمة و لم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة، فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية. قد انجابت السرائر لأهل البصائر، ووضعت محجة الحقّ لخابطها، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة لمتموسمها.

ما لي أراكم أشباحا بلا أرواح وأرواحا بلا أشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا بلا أرباح وأيقاظا نوما وشهودا غيبا وناظرة عيياء و سامعة صماء و ناطقة بكماء.

راية ضلالة قد قامت على قطبها، و تفرّقت بشعبها، تكليكم بصاعها و تخبطكم بباعها، فائدها خارج من الملة على الصلة، فلا يبقى يومئذ منكم إلّا ثغالة كنفالة القدر، أو نفاضة كنفاسة العكم، تعركم عرك الأديم، و تدوسكم دوس الحصيد، و تستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب!

(١) رواه الشريف الرضي رفع الله مقامه في المختار: (١٠٦) من كتاب نهج البلاغة.

أين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن أين تؤتون و أتى تؤفكون ف لكل أجل كتاب، ولكل غيبة إياب، فاستمعوا من ربانيكم، وأحضره قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم، و ليصدق رائد أهله، و ليجمع شمله، و ليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة و قرفه قرف الصمغة.

فعد ذلك أخذ الباطل مأخذه و ركب الجهل مراكيه، وعظمت الطآغية و قلت الدآعية، و صال الدهر صيال السبع العقور، و هدر فنيق الباطل بعد كظوم، و تواخى الناس على الفجور، و تهاجروا على الدين، و تحابوا على الكذب، و تباغضوا على الصدق.

فإذا كان ذلك كان الولد غيظا، و المطر قيضا، و تفيض اللثام فيضا، و تفيض الكرام غيضا.

وكان أهل ذلك الزمان ذئابا، وسلاطينه سباعا، وأوساطه أكالا، و فقراؤه أمواتا، و غار الصدق و فاض الكذب، واستعملت المودة باللسان، و تشاجر الناس بالقلوب، و صار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، و لبس الإسلام لبس القرو مقلوباً.

تبيين: الملحمة هي الحرب أو الواقعة العظيمة فيها. وموضع القتال مأخوذ من اشتباك الناس فيها كاشتباك لحمة التوب بالسدى. وقيل إهي مأخوذة من اللحم. والتجلى الانكشاف. والخلق الثاني يحتمل المصدر والمخلوق. والروية التفكير. والمراد بالضمير إما القلب أو ما يضر من الصور.

قوله ﷺ «في نفسه» أي كائن في نفسه أو في حد ذاته إذا تأمل فيه متأمل بنظر صحيح والفاض من الأرض المطمئن. و من الكلام وغيره خلاف الواضح. و المشكاة كوة غير نافذة يجعل فيها المصباح، أو عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، أو القنديل. و الذؤابة بالضّم مهموزا الناصية أو منبتها من الرأس. و العلياء بالفتح والمذكّل مكان مشرف، و السماء، و رأس الجبل. و سرّة البطحاء وسطها تشبيها بسرة الإنسان. و البطحاء و الأبطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

قبل استعار ﷺ الشجرة لصف الأنبياء ﷺ و فروعها أشخاصهم و ثمرتها العلوم و الكمالات. و مشكاة الضياء لآل إبراهيم ﷺ، و ذؤابة العلياء لقريش، و سرّة البطحاء لمكة، و المصاييح و البنايع هم الأنبياء ﷺ.

و المراد بالطبيب نفسه ﷺ. و الدوران بالطب إتيان المرضى و تتبّعهم، فهو تعريض للأصحاب بقعودهم عمّا يجب عليهم. أو المراد بيان كمال الطبيب، فإنّ الدوّار أكثر تجربة من غيره كما قيل.

و المرهم طلاء لين يطلى به الجرح مشتق من الرهمة بالكسر و هي المطر الضعيف و إحكامها إتقانها و منعها عن الفساد. و الوسم أثر الكي و الميسم بالكسر المكواة. و أحماها أي أسخنها و لعلّ إحكام المراهم إشارة إلى البشارة بالتواب، أو الأمر بالمعروف. و إجماء المواسم إشارة إلى الإنذار من العقاب، أو النهي عن المنكر و إقامة الحدود.

و قدح بالزند كمنع رام الإبراء به و استخراج النار منه. و الزند بالفتح العود الذي يقدح به النار. و ثقبت النار انقذت. و ثقّب الكواكب أضاء. و الفاسية الشديدة و الغليظة.

و انجابت السحابة انكشفت. و المراد بالسرائر، ما أضمره المعاندون للحق في قلوبهم من إطفاء نور الله و هدم أركان الشريعة.

و قيل إشارة إلى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية و لأهل البصائر من استيلاء بني أمية و عموم ظلمهم. أو انكشاف أسرار الشريعة لأهلها.

و الخابط السائر على غير هدى و لعلّ المراد أنّ ضلالهم ليس لخفاء الحق، بل للإصرار على الشقاوة و النفاق.

و سفر الصبح و أسفر أضاء و أشرق. و أسفرت المرأة كشفت عن وجهها.

و المراد بإسفار الساعة و ظهور العلامة قرب القيامة بعدم بقاء نبي ينتظر بعثته، و ظهور الفتن و الوقائع التي هي من أسرارها. و الشيخ بالتحريك سواد الإنسان و غيره تراه من بعيد.

و المراد بكونهم أشباحا بلا أرواح تشبيهم بالجمادات و الأموات في عدم الانتفاع بالعقل، و عدم تأثير المواعظ فيهم كما قال تعالى ﴿كَانَهُمْ حُسْبًى مُسَدَّةً﴾.

و أمّا كونهم أرواحا بلا أشباح فقلل المراد بيان نقصهم لأنّ الروح بلا جسد ناقصة عاطلة عن الأعمال.

وقيل إشارة إلى خفتهم وطيشتهم في الأفعال.

وقيل المراد أن منهم من هو كالجماد والأموات، ومنهم من له عقل وفهم ولكن لا قوة له على الحرب، فالجميع عاطلون عما يراد بهم.

وقيل المراد أنهم إذا خافوا ذهلت عقولهم وطارأت ألبابهم، فكانوا كأجسام بلا أرواح، وإذا آمنوا تركوا الاهتمام بأمورهم كأنهم أرواح لا تعلق لهم بالأجسام.

والنسك العبادة أي ليست عبادتهم مقرونة بالإخلاص وعلى الوجه المأمور به ومع الشرائط المعتمدة، فإن منها معرفة الإمام وطاعته، وكونهم تجاراً بلا أرباح لعدم ترتب الثواب على أعمالهم. وقوله ﴿رَبِّهِ﴾ «رأية ضلالة» منقطع عما قبله النقطه السيد [الرضي] رضي الله عنه من كلامه ﴿يَعْلَمُ﴾ على عادته، وكأنه إشارة إلى ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفيناني وغيره.

والقطب حديدية تدور عليها الرحي، وملاك الأمر ومداره وسيد القوم، وقيامها على قطبها كناية عن انتظام أمرها وتفرق شعبيها عن انتشار فتنها في الآفاق وتولد فتن آخرعتها.

وقيل ليس التفرق للرأية نفسها، بل لنصارها وأصحابها. وحذف المضاف، ومعنى تفرقهم أنهم يدعون إلى تلك الدعوة المخصوصة في بلاد متفرقة.

[قوله ﴿وَتَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا﴾ أي تأخذهم للإهلاك زمرة زمرة، كالكيال يأخذ ما يكيله جملة جملة. أو يقهرهم أربابها على الدخول في أمرهم، ويتلاعبون بكم يرفعونكم ويضعونكم كما يفعل كيال البر بها إذا كاله بصاعه.

أو تكيل لكم بصاعها على حذف اللام كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ﴾ أي تحملكم على دينها ودعوتها، وتعاملكم بما يعامل به من استجاب لها أو تفرز لكم من فتنها شيئاً ويصل إلى كل منكم نصيب منها.

والخبط بالفتح ضرب الشجر بالعصى لينتثر ورقها، وخبط البعير الأرض بيده خطاً أي ضربها. والكلام على الوجهين يفيد الذلة والانتقار.

والقيام على الضلة الإصرار على الضلال. وثقالة القدر بالضم ما ثقل فيه من الطيخ، وهي كناية عن الأراذل ومن لا ذكر له بين الناس لعدم الاعتداد بقتلهم. والنفاضة بالضم ما سقط من النفض. والعكم بالكسر العدل، ونمط تجعل فيه المرأة ذخيراً.

[و] قال [ابن الأثير] في مادة «عكم» من [النهاية] العكوم الأحمال التي تكون فيها الأمثلة وغيرها، واحدها عكم بالكسر، ومنه حديث عليّ ﴿نفاضة كنفاضة العكم﴾. انتهى. والمراد بها ما يبقى في العدل بعد التخلية من غبار أو بقية زاد لا يعاب بها فتنفض.

وعركه كنصره دلّكه وحكّه. والأديم الجلد أو المدبوغ منه. وداس الرجل الحنطة دقّها ليخرج الحب من السنبّل. والحصيد الزرع المقطوع. واستخلصه لنفسه أي استخصه. والغرض تخصيص المؤمنين بالقتل والأذى. والبطينة السمينة. والهزيل ضد السمين.

قوله ﴿أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ﴾ الباء في الموضعين للتعديّة. والمذاهب الطرق والعقائد وإسناد الإذهاب إليها على التجوّز للمبالغة.

وتاء يتيه تيه بالفتح والكسر أي تحير وضلّ. والغبه الظلمة والشديد السواد من الليل. والكواذب الأماني الباطلة والأوهام الفاسدة.

قوله ﴿يَنْبَغُ﴾ [و] من أين تؤتون على بناء المجهول أي من أي جهة وطريق يأتيكم من يضلّكم من الشياطين أو تلك الأمراض «وَأَنَّى تَوْفُكُونَ» أي أنى تصرفون عن قصد السبيل وأين تذهبون!

قوله ﴿فَإِنْ لَكُمْ أَجَلٌ كِتَابٌ﴾ أي لكلّ أمد ووقت حكم مكتوب على العباد. والإياب بالكسر الرجوع.

قيل هذا الكلام منقطع عما قبله. وقيل تهديد بالإشارة إلى قرب الموت، وأنهم معرض أن يأخذهم على غفلة.

و الزباني منسوب إلى الرب، و فسر بالمثاله العارف بالله، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله، أو العالم المعلم، و المراد نفسه ﷺ . و إحضار القلب الإقبال التام إلى كلامه و مواظبه.

قوله ﷺ «إن هتف بكم» بكسر الهمة و في بعض النسخ بالفتح أي لهاتفه بكم و هو الصياح. و الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء و مساقط الغيث، و في المثل «لا يكذب الزائد أهله». و لعل المراد بالرائد نفسه ﷺ أي وظيفتي و شأني الصدق فيما أخبركم به مما تردون عليه من الأمور المستقبلية في الدنيا و الآخرة، كما أن وظيفتكم الاستماع و إحضار القلب. و الشغل ما تشغلت من الأمر و المراد به الأفكار و العزائم أي يجب على التوجه إلى نصحكم و تذكيركم بقلب فارغ عن الوسواس و الشواغل، و إقبال تام على هدايتكم. و يحتمل أن يراد بالشغل من تفرق من القوم في فيافي الضلالة. و الفاعل في [قوله] «فلن» هو الرائد.

و قيل المراد بالرائد الفكر لكونه مبعوثا من قبل النفس في طلب مرعاها و ماء حياتها من العلوم و سائر الكمالات، فكنتى به عنه و أهله هو النفس، فكأنه ﷺ قال فلتصدق أفكاركم و متخيلاتكم نفوسكم، و صدقها إياها تصرفها على حسب إشارة العقل بلا مشاركة الهوى. أو المراد بالرائد أشخاص من حضر عنده، فإن كلا منهم له أهل و قبيلة يرجع إليهم، فأمرهم أن يصدقهم بتبليغ ما سمع على الوجه الذي ينبغي و النصيحة و الدعوة إليه. و قوله ﷺ [«و ليجمع شمله» أي ما تفرق و تشعب من خواطره في أمور الدنيا و مهماتها. «و ليحضر ذهنه» أي يوجهه إلى ما أقول. انتهى.

و الفلق الشق. و الخرزة بالتحريك الجواهر. «و قرفه قرف الصمغة» أي قشره كما تقشر الصمغة من عود الشجرة و تقلع لأنها إذا قلعتم لم يبق لها أثر، و هذا مثل، و المعنى أوضح لكم أمر الفتن أو طريق الحق بإيضاحا تاما، فأظهر لكم باطن الأمر كما يرى باطن الخرزة بعد شققها، و لا أذخر عنكم شيئا بل ألقى الأمر بكليته إليكم.

قوله ﷺ «فعند ذلك» قيل هو متصل بقوله «من بين هزيل الحب»، فيكون التشويش من السيد رضي الله عنه. و يمكن أن يكون إشارة إلى كلام آخر سقط من البين. [قوله ﷺ] «و أخذ الشيء مأخذه» أي تمكن و استحكم. و الطاغية مصدر بمعنى الطغيان أو صفة محذوف أي الفئة الطاغية. و كذا الداعية تحتل الوجهين. و في بعض النسخ «الزاعية» بالراء المهملة.

و الفنيق الفحل من الإبل «و هدر» رد صوته في حنجرته في غير شقشقة. و الكظوم الإمساك و السكوت.

و كون الولد غيظا لكثرة العقوق أو لاشتغال كل امرئ بنفسه، فيتمنى أن لا يكون له ولد. و المطر قبضا بالضاد المعجمة أي كثيرا. قيل إنه من علامات تلك الشرور أو من أشرط الساعة. و قيل إنه أيضا من الشرور إذا جاوز الحد. و في بعض النسخ بالطاء المعجمة و هو صميم الصيف و هو المطابق لما في النهاية، قال و منه حديث أشرط الساعة «أن يكون الولد غيضا و المطر قبضا» لأن المطر إنما يراد للنبات و برد الهواء، و القبط ضد ذلك انتهى. و حينئذ يحتمل أن يكون المراد تبدل المطر بشدة الحر و قلة المطر، أو كثرته في الصيف دون الربيع و الشتاء. أو المراد أنه يصير سببا لاشتداد الحر لكثرته في الصيف، إذ تتور به الأبخرة و يفسد الهواء، أو يصير على خلاف العادة سببا لشدة الحر.

«و تفيض اللثام» أي تكثر. و «تفيض الكرام» أي تقل. [قوله ﷺ] «و أهل ذلك الزمان» أي أكابره. «أكالا» بالضم و التشديد جمع آكل. و قال بعض الشارحين روي «أكالا» بفتح الهمة و تخفيف الكاف يقال ما ذقت أكالا أي طعاما.

وقال لم ينقل هذا إلّا في النفي، فالأجود الرواية الأخرى وهي «آكالا» بمدّ الهزمة على أفعال جمع أكل وهو ما أكل، وقد روي «آكالا» بضمّ الهزمة على فعال. وقالوا إنّه جمع أكل للمأكل كعرق وعراق، إلّا أنّه شاذّ أي صار أوساط الناس طعمة للولاة وأصحاب السلاطين كالفريسة للأسد. وغار الماء ذهب في الأرض. وفاض أي كثر حتّى سال. وفي بعض النسخ «و فار الكذب». قوله ﷺ «و صار الفسوق نسبا» أي يحصل أنسابهم من الزنا. وقيل أي يصير الفاسق صديقا للفاسق حتّى يكون ذلك كالنسب بينهم.

وأما لبسهم الإسلام لبس الفرو فالظاهر أنّ المراد به تبديل شرائع الإسلام وقلب أحكامه، أو إظهار النيات الحسنة والأفعال الحسنة وإطان خلافها.

وقيل وجه القلب، أنّه لما كان الغرض الأصلي من الإسلام أن يكون باطنا ينتفع به القلب و يظهر به منفعة، فقلّب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم، فأشبهه قلوبهم له لبس الفرو، إذ كان أصله أن يكون حمله ظاهرا لمنفعة الحيوان الذي هو لباسه، فاستعمله الناس مقلوبا.

٨٢٦-نهج: [و] خطبة له ﷺ (١)؛

أمين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نعمته. أيها الناس إنّ أختّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه (٢). فإن شغب شاغب استعبت، فإن أبي قوتل. ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى تحضرها عامّة الناس ما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثمّ ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار.

آلّا وإني أقاتل رجلين رجلا ادّعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه. أوصيكم بتقوى الله، فإنّه خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الأمور عند الله، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم إلّا أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحق، فامضوا لما تؤمرون به وقفوا لما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتّى تبيّنوا فإنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه غيرا.

آلا وإنّ هذه الدّنيا التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها وأصبحت تفضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم إليه. آلا وإنّها ليست بباقية لكم ولا بتقوى عليها، وهي وإن غرّتكم منها فقد حذرتكم شرّها، فدعوا غرورها لتحذيرها، وأطماعها لتخويفها، وسابقوا فيها إلى الدّار التي دعيتم إليها، وانصرفوا بقلوبكم عنها، ولا يخبّن أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها، واستموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه.

آلا وإنّه لا يضرّكم تضييع دينكم شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم. آلا وإنّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإياكم الصبر.

إيضاح: قوله ﷺ «هذا الأمر» أي الخلافة. «أقواهم عليه» أي أحسنهم سياسة وأشجعهم، و [هذا] يدلّ على عدم جواز إمامة المفضل لا سيّما مع قوله ﷺ «فان شغب... إلى آخره». والشغب بالتسكين تهيج الشر. والمراد بالاستعتاب طلب الرجوع بالمراسلة والكلام ونحوهما. قوله ﷺ «لئن كانت الإمامة» قال ابن أبي الحديد هذا تصريح بصحة مذهب أصحابنا في أنّ الاختيار طريق إلى الإمامة، وبطل قول الإمامية من دعوى النقص، وأنّه لا طريق إلى الإمامة سوى النقص. انتهى.

[أقول] وفيه نظر. أمّا أوّلا فلاه ﷺ [إنما احتجّ عليهم بالإجماع، إلزامهم لا تفاهتهم على العمل به في خلافة أبي بكر وأخويه، وعدم تمسكه بالنقص لعلهم ﷺ بعدم التفاهتهم إليه. كيف وقد أعرضوا

(١) رواه الشريف الرضّي رفع الله مقامه في المختار: (١٧٢) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) كذا في متن طبع الكمباني من البحار، وذكر في هامشه نقلًا عن نسخة من نهج البلاغة: «وأعلمهم» ومثل ما في الهامش في شرح ابن أبي الحديد. ولكن المستفاد من شرح ابن ميثم ﷺ أنّه كان في نسخة من نهج البلاغة: «وأعلمهم» بتقديم الميم على اللام.

عنه في أول الأمر مع قرب العهد بالرسول ﷺ و سماعهم عنه. و أما ثانيا فلائنه ﷺ لم يتعرض للنص نفيًا وإثباتًا، فكيف يكون مطلا لما ادّعاء الإمامية من النصّ والعجب أنه جعل هذا تصريحًا يكون الاختيار طريقًا إلى الإمامة ونفي الدلالة في قوله ﷺ «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ...» على نفي إمامة المفضول مع قوله ﷺ «فإن أبي قوتل». مع أنه لم يصرح بأن الإمامة تنعقد بالاختيار، بل قال إنها لا تتوقف على حضور عامة الناس، ولا ريب في ذلك نعم يدل بالمفهوم عليه وهذا نتيجة منه ﷺ.

ولا يخفى على من تتبع سيره ﷺ أنه لم يمكنه إنكار خلافتهم والقدح فيها صريحا في المجامع، فلذا عبّر بكلام موهم لذلك.

قوله ﷺ «وأهلها يحكمون» وإن كان موهملًا أيضًا، لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقاء بالإمامة.

ولا يخفى على المتأمل أن ما مهد ﷺ أولًا بقوله «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَقْوَامُهُمْ» يشعر بأن عدم صحة رجوع الشاهد واختيار الغائب، إنما هو في صورة الاتفاق على الأحقّ دون غيره، فتأمل.

قوله ﷺ «رجلا ادعى» كمن ادعى الخلافة. «و آخر منع» كمن لا يطيع الإمام أو يمنع حقوق الله. «و خير عواقب الأمور» عاقبة كل شيء آخره. و التقوى خير ما ختم به العمل في الدنيا أو عاقبتها خير العواقب.

و قوله ﷺ «هذا العلم» بكسر العين أو بالتحريك كما في بعض النسخ، فعلى الأول:

المعنى أنه لا يعلم وجوب قتال أهل القبلة و موقعه و شرائطه.

و على الثاني إشارة إلى حرب أهل القبلة والقيام به. و يحتمل على بعد أن يراد به الإمامة المشار إليها بقوله «أحقّ الناس بهذا الأمر» فيكون إشارة إلى بطلان خلافة غير أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحقّ.

قال ابن أبي الحديد و ذلك لأنّ المسلمين عظم عددهم حرب أهل القبلة و أكبروه. و من أقدم منهم عليه أقدم مع خوف و حذر. قال الشافعي لو لا علي ﷺ لما علم شيء من أحكام أهل البغي.

قوله ﷺ «فإن لنا» قال ابن ميثم أي إنّ لنا مع كل أمر تتكرره تغييرا أي قوة على التغيير. إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر، فلا تتسرّعوا إلى إنكار أمر نفعله حتى تسألوا عن فائدته، فإنه يمكن أن يكون إنكاركم لعدم علمكم بوجهه.

[و] قال ابن أبي الحديد أي لست كعثمان أصبر على ارتكاب ما أنهى عنه، بل أغير كلما ينكره المسلمون و يقتضي الحال و الشرع تغييره. انتهى.

و يمكن أن يكون المعنى أنّ لنا مع كل أمر تتكرره تغييرا أي ما يغيّر إنكاركم و يمنعكم عنه من البراهين الساطعة أو الأعمّ منها، و من السيوف القاطعة إن لم تتفعك البراهين.

و في ذكر إغضاب الدنيا توبيخ لأهلها بالرغبة في شيء لا يراعي حقهم كما قال ﷺ «رغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس». و غرور الدنيا بتزيين الزخارف لأهلها و إغفالهم عن الفناء و تحذيرها بما أراهم من الفناء و فراق الأحبة و نحو ذلك. و الدار التي دعوا إليها هي الجنة.

قوله ﷺ «و لا يخبث أحدكم» الخبث بالخاء المعجمة ضرب من البكاء دون الانتخاب. و أصله خروج الصوت من الأنف كالحنين من الفم. و يروى بالمهملة أيضا، و إضافته إلى الأمة لأنّ الإمام كثيرا ما يبكين و يسمع الحنين منهم، و الحرّة تأف من البكاء و الحنين.

و زواه عنه صرفه و قبضه. و في بعض النسخ «ما زوي عنه» أي عن أحدكم و لعلّه أظهر. و الصبر على الطاعة حسب النفس عليها كقوله تعالى ﴿وَ أَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾، أو عدم الجزع من شدتها أو من البلايا إطاعة لله، و على أي حال هو من الشكر الموجب للمزيد فيه يطلب تمام النعمة. و «من» في قوله «من كتابه» بيان ل «ما».

و القائمة واحدة قوائم الدواب. و قائمة السيف مقبضه. و لعل المراد بقائمة الدين أصوله و ما يقرب منها، و يحتمل أن تكون الإضافة بيانية، فإنّ الدين بمنزلة القائمة لأُمور الدنيا و الآخرة.

أرسله على حين فَرَّةٍ مِنَ الرُّسُلِ، و طول هجعة من الأمم، و اعتزام من الفتن، و انتشار من الأمور و تَلَطُّ من الحروب، [و] الدُّنْيَا كاسفة التُّور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، و إياس من ثمرها، و اغوارار من مائها، قد درست أعلام الهدى، و ظهرت أعلام الردى، فهي متجهمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، و طعامها الجيفة، و شعارها الخوف، و دثارها السيِّف.

فاعتبروا عباد الله و اذكروا تيك الَّتِي آباؤكم و إخوانكم بها مرتنون و عليها محاسبون، و لعمرى ما تقادمت بكم و لا بهم اليهود، و لا خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب و القرون، و ما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم بعيد. و الله ما أسعكم الرسول ﷺ شيئاً إلَّا و ها أنا ذا اليوم مسمعكموه، و ما أسعاكم اليوم بدون أسعاكم بالأمس، و لا شئت لهم الأبصار و جعلت لهم الأفتدة في ذلك الأوان إلَّا و قد أعطيتم مثلها في هذا الزمان.

و الله ما بصرتم بعدهم شيئاً جهلوه، و لا أصفيتم به و حرموه، و لقد نزلت بكم البليَّة جائلاً خطامها، رخوا بطانها، فلا يفرنكم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنما هو ظلٌ مدود إلى أجل معدود.

بيان: «فترة [من الرسل] الفترة [بين الرسل انقطاع الوحي و الرسالة. و الهجعة النوم من الليل أو من أوله. و المراد نوم غفلة الأمم. و الاعتزام العزم، كأن الفتنة مصممة للفساد و الهرج. و الاعتزام أيضاً لزوم القصد في المشي، فالمعنى أنها مقتصدة في مشيها لاطمئنانها و أمنها.

و يروى «و اعترام من الفتن» [براء المهمله أي كثرة [من الفتن.]. و يروى «[و] اعتراض» من اعترض الفرس في الطريق إذا مشى عرضاً.

و التَلَطُّي التلَّهَّب. و في إضافة الكسف إلى التور توسع. و غار الماء ذهب و كذا اغوارره ذهابه في الأرض. و التجهُّم العبوس.

و طعامها الجيفة أي الحرام لأنهم كانوا يأخذونه بالنهب و الغارات. أو الميتة لأنهم لم يكونوا يذبحون الحيوانات، و لما كان الخوف باطناً شبهه بالشعار و السيِّف ظاهراً شبهه بالذئار. و «تيك» إشارة إلى الدنيا أو أعمالهم القبيحة و «الأحقاب» جمع حَقَب بضمَّين و هو الدهر.

«و الله ما بصرت» لَمَّا بَيَّنَّ ﷺ أَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ الْهَدَايَةَ لِلسَّابِقِينَ أَكْمَلَ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ وَ لَا الْقَابِلِ قَطُّ عَذْرُ الْحَاضِرِينَ مِنْ هَذِهِ، وَ كَانَ مَظَنَّةُ أَنْ يَدَّعِي مَدْعٍ مِنْهُمْ الْعِلْمَ بِأَمْرِ يَقْتَضِي الْعُدُولَ عَنْ الْمَتَابَعَةِ لِيَعْلَمَ بِهِ آبَاؤُهُمْ، دَفَعَ ﷺ ذَلِكَ التَّوَهُّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ.

والصَّفَى ما يصفه الرئيس من المعنم لنفسه قبل القسمة. و لعل المراد بالبليَّة فتنة معاوية.

وقوله ﷺ «جائلاً خطامها» كناية عن خطرها و صعوبة حالها [بالنسبة إلى] من ركن إليها و ركنها، أو عن كونها مالكة لأمرها، فَإِنَّ الْبَعِيرَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ يَقُودِهِ يَجُولُ خَطَامُهُ وَ الْخَطَامُ الزَّمَامُ. وَ الْبَطَانُ الْحِزَامُ الَّتِي تَجْعَلُ تَحْتَ بَطْنِ الْبَعِيرِ، رَخَاوَتُهَا مُسْتَلَزِمَةٌ لَصُعُوبَةِ رُكُوبِهَا.

وتشبيه الدنيا و زخارفها بالظِّل لعدم تأصله في الوجود و لكونه زائلاً بسرعة.

و الأجل مدَّة العمر. و وصفها بالمعدود باعتبار أجزاءه و كونه منتهى غاية المدَّ على تقدير مضاف أي مدود إلى انقضاء أجل معدود.

ويحتمل أن يكون المراد بالأجل غاية العمر. و وصفه بالمعدود على المجاز.

٨٢٨- بف: محمد بن محمد النيسابوري، بإسناد متصل إلى جعفر بن محمد الصادق ﷺ عن أبيه عن جدِّه ﷺ أن علياً كان في حلقة من رجال قريش ينشدون الأشعار و يتفاخرون حتَّى بلغوا إلى أمير المؤمنين ﷺ فقالوا قل يا أمير المؤمنين فقد قال أصحابك. فقال أمير المؤمنين ﷺ (٢).

وبنا أقام دعائم الإسلام
وأعزَّنَا بالنصر والإقدام

اللَّهِ وَقَتْنَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ
وَبَنَا أَعَزَّ نَبِيِّهِ وَكِتَابِهِ

(١) رواه السيّد الرضی رفع الله مقامه في المختار: (٨٧) من كتاب نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد ابن طاووس رفع الله مقامه في الحديث ١٢٧ من كتاب الطرائف ص ١٩.

في كل معركة تطير سيوفنا
يستأننا جبريل في أبياتنا
فنكون أول مستحلّ حلّه
نحن الخيار من البرية كلّها
الخاضون غمار كلّ كربة
إنّا لنمنع من أردنا منعه
فقالوا يا أبا الحسن ما تركت لنا شيئاً نقوله^(١).

فيها الجمّاجم عن فراش الهام
بفرائض الإسلام والأحكام
ومحرّم لكّه كلّ حرام
وإمامها وإمام كلّ إمام
والضامنون حوادث الأيّام
ونوجود بال معروف والإنعام

بيان: الأبيات موجودة في الديوان و زاد بعد السابع:

والمبرمون قوى الأمور بعزّة
و[زاد] بعد الأخير:

وتردّ عادية الخميس سيوفنا
والدعامة بالكسر عماد البيت. وفراش الرأس عظام دقاق تلي القحف. وفي الديوان «فراخ الهام». وقال
[الجوهري] في [كتاب] الصحاح، وقول الفرزدق.
ومصمّة تفأى فراخ الجمّاجم
ويوم جعلنا البيض فيه لعامر

«يعني به الدماغ. [و بدل قوله] «يتأننا» [ورد في الديوان يزورنا]. [و بدل قوله] «و إمامها»
[ورد في الديوان «و نظامها و زمام كلّ زمام»] [و بدل قوله «الخاضون غمار...» ورد في الديوان]
«الخاضون غمرات كل كربة»

٢٥٦
٣٤

والقوى جمع القوة وهي الطاقة من الجبل. والمرير من الحبال ما لطف وطال واشتدّ قتله. والجمع
المرائر. والعادية الظلم والشرّ. وفي بعض النسخ [الغادية] بالمعجمة وهي سحابة تنشأ سحاباً. و
الأصيد الملك. والقمقام السيد.

٨٢٩- تختص: أحمد بن محمد بن عيسى عن عمر بن عبد العزيز عن غير واحد [من أصحابنا] منهم بكار بن كردم و
عيسى بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قالوا سمعناه يقول جاءت امرأة متتعبة وأمير المؤمنين عليه السلام على المنبر، وقد
قتل أخاها وأباها فقالت هذا قاتل الأحبة. فنظر إليها أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا سلفع يا جريّة يا بذية يا متكبرة، يا التي
لا تحيض كما تحيض النساء، يا التي على منها شيء بين مدلى^(٢).

فمضت [المرأة] وتبعها عمرو بن حريث وكان عثمانياً فقال يا أيتها المرأة إنّنا لا نزال نسمعنا [عليّ] العجائب، ما
ندري حقّها من باطلها، وهذه داري فادخلي فإنّ لي أمّهات أولاد حتّى ينظرن حقّاً ما قال أم باطلا وأب لك شيئاً.
فدخلت [المرأة بيت عمرو] فأمر أمّهات أولاده فنظرن إليها، فإذا شيء على ركبها مدلى فقالت يا ويلها أطلع منها
علي بن أبي طالب على شيء لم تطلع [عليه] إلّا أمّي أو قابلي. قال وهب لها عمرو بن حريث شيئاً.

بيان: إنّما قالت المرأة «يا ويلتي أطلع منّي» فغيّره [الصادق] عليه السلام ذلك لئلا ينسب إلى نفسه الويل
وما يستهجن، وقد مرّ مثله مراراً وسيأتي الخبر في إخباره عليه السلام بالغائبات.

٢٥٧
٣٤

٨٣٠- تختص: اليقطيني وإبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حماد عن الحارث بن حصيرة عن ابن نباتة قال كنت
وقفاً على أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وهو يعطي العطاء في المسجد، إذ جاءت امرأة فقالت يا أمير المؤمنين أعطيت
العطاء جميع الأحياء ما خلا هذا الحيّ من مراد لم تعطهم شيئاً فقال [لها] اسكتي يا جريّة يا بذية يا سلفع يا سلقلق
يا من لا تحيض كما تحيض النساء^(٣)!

(١) هذا هو الظاهر، وفي أصلي من البحار «ما تركت شيئاً إلّا نقوله».

(٢) رواها الشيخ المفيد قبل وصايا لقمان إلى ولده في أواخر كتاب الاختصاص ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ط النجف. وروى نحوها فزاد بن إبراهيم
الكوفي في تفسيره بسندين.

(٣) رواها الشيخ المفيد قبل وصايا لقمان إلى ولده في أواخر كتاب الاختصاص ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ط النجف. وروى نحوها فزاد بن إبراهيم

قال فولّت فخرجت من المسجد فتبعها عمرو بن حريث فقال لها أيتها المرأة قد قال عليّ فيك ما قال أقصدك عليك فقالت والله ما كذب وإن كل ما رماني به لفيّ وما أطلع عليّ أحد إلّا الله الذي خلقتني وأمي التي ولدتني. فرجع عمرو بن حريث فقال يا أمير المؤمنين تبعت المرأة فسألته عتّا رميتها به في بدنّها، فأقرّت بذلك كلّهُ، فمن أين علمت ذلك فقال ﷺ [إن رسول الله ﷺ علّمني ألف باب من الحلال والحرام، يفتح [من] كلّ باب ألف باب، حتّى علمت المنايا والصايا وفصل الخطاب وحتّى علمت المذكرات من النساء، والمؤثّنين من الرجال.

٨٣١- ختص: عباد بن سليمان عن محمد بن سليمان عن أبيه عن هارون بن الجهم عن ابن طريف عن أبي جعفر ﷺ قال (١): بينا أمير المؤمنين ﷺ يوما جالسا في المسجد وأصحابه حوله، فأتاه رجل من شيعته فقال له يا أمير المؤمنين إنّ الله يعلم أتّي أديته بولايتك وأحبك في السرّ كما أحبك في العلانية، وتولّك في السرّ كما تولّك في العلانية.

فقال له أمير المؤمنين ﷺ صدقت، أما للفرق فاتخذ جلبابا، فإنّ الفقر أسرع إلى شيعة من السيل إلى قرار الوادي! قال فولّي الرجل وهو يبكي فرحا لقول أمير المؤمنين ﷺ [له] «صدقت» قال وكان هناك رجل من الخوارج صاحب له قريبا من أمير المؤمنين، فقال أحدهما الله إنّ رأيت كالיום قطّ إنّهُ أتاه رجل فقال له إنّني أحبك فقال له صدقت. فقال له الآخر ما أنكرت من ذلك أيجد بدا من أن إذا قيل [له] «إنّي أحبك» أن يقول صدقت أتعلم أنّي أحبّه فقال لا. قال فأنّا أقوم فأقول له مثل ما قال له الرجل فيردّ عليّ مثل ما ردّ عليه. قال نعم. فقام الرجل فقال له مثل مقالة الرجل الأوّل، فنظر [أمير المؤمنين] إليه مليّا ثم قال كذبت لا والله ما تحبّني ولا أحبّيتني [يوما] (٢).

قال فبكي الخارجي ثم قال يا أمير المؤمنين تستقبلني بهذا وقد علم الله خلافه أبسط يدك أباعك. فقال عليّ على ما ذا قال عليّ ما عمل به أبو بكر وعمر. قال فمدّ يده فقال له اصفق لعن الله الاثنين والله لكأنّي بك قد قتلت على ضلال ووطي وجهك دوابّ العراق ولا يعرفك قومك. قال فلم يلبث أن خرج عليه أهل النهروان وخرج الرجل معهم فقتل.

٨٣٢- كتاب سليم بن قيس، عن أبيان عنه أنّه قال صعد أمير المؤمنين ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيّها الناس أنا الذي فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليحترئ عليها غيري. وإيم الله لو لم أكن فيكم لما قوتل أهل الجمل، ولا أهل صفّين، ولا أهل النهروان. وإيم الله لو لا أن تتكلوا وتدعوا العمل، لحدّثكم بما قضى الله على لسان نبيّه [محمّد] ﷺ لمن قاتلهم مستبصرًا في ضلالتهم، عارفا بالهدى الذي نحن عليه.

ثم قال سلوني عتّا شتمت قبل أن تفقدوني، فوالله إنّني بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض. أنا يعسوب المؤمنين، وأوّل السابقين، وإمام المتّقين، وخاتم الوصيّين، ووارث النبيّين وخليفة ربّ العالمين. أنا ديان الناس يوم القيامة، وقسيم الله بين أهل الجنة والنار. وأنا الصديق الأكبر، والفاروق الذي أفرّق بين الحقّ والباطل، وإنّ عندي علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، وما من آية نزلت إلّا وقد علمت فيما نزلت وعلى من نزلت.

أيّها الناس إنّهُ وشيك أن تفقدوني، إنّني مفارقكم، وإنّي ميت أو مقتول، ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها؟! وفي رواية أخرى ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من دم هذا يعني لحيته من دم رأسه.

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وفي نسخة أخرى والذي نفسي بيده لا تسألوني عن فئة تبلغ ثلاثمائة فما فوقها مما بينكم وبين قيام الساعة، إلّا أنبأتكم بساتها وقائدها وناعقها، وبخواب العرصات، متى تخرب، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة.

فقام رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن البلايا.

الكوفي في تفسيره بسندين.

(١) رواه الشيخ المفيد قدس الله نفسه - مع حديثين آخرين في عنه - قبيل وصايا لقمان في أواخر كتاب الاختصاص ص ٣٠٧ من النجف.

(٢) وفي الاختصاص: ولا أحبّك.

فقال [عليه السلام] إذا سأل سائل فليعقل، و إذا سئل [مستول] فليثبت^(١)، إن من ورائكم أمورا ملتجة مججلة، وبلاء مكلحا مبلحا.

و الذي فلق الحية وبرأ النسمة، لو قد فقدتموني و نزلت عرائم الأمور و حقائق البلاء، لقد أطرقت كثير من السائلين، و اشتغل كثير من المسؤولين و في نسخة أخرى و فشل كثير من المسؤولين و ذلك إذا ظهرت حربكم و نصلت عن ناب، و قامت على ساق، و صارت الدنيا بلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار.

فقال رجل يا أمير المؤمنين حدثنا عن الفتن.

فقال ﷺ إن الفتن إذا أقبلت شبت و في رواية أخرى اشتبت و إذا أدبرت أسفرت. و إن الفتن لها موج كموج البحر، و إعصار كأعصار الريح، تصيب بلدا و تخطئ الآخر.

فانظروا أقواما كانوا أصحاب رايات يوم بدر، فانصروهم تنصروا و توجروا و تعذبوا.

ألا [و] إن أخوف الفتن عليكم عندي فتنة بني أمية، [ف] إنها فتنة عمياء و صماء، مطبقة مظلمة عمت فتنها و خست بلبتها، أصاب البلاء من أبصر فيها، و أخطأ البلاء من عمي عنها، أهل باطلها ظاهرون على [أهل] حقها، يملئون الأرض بدعا و ظلما و جورا و أول من يضع جبروتها و يكسر عمودها، و ينزع أوتادها، الله رب العالمين و قاصم الجبارين.

٢٦١
٣٤ ألا [و] إنكم ستجدون بني أمية أرباب سوء بعدي، كالثاب الضروس تعض بفيها، و تخبط بسيديها، و تضرب برجليها، و تمنع درها.

وايم الله لا تزال فتنهم حتى لا يكون نصرة أحدكم لنفسه إلا كنصرة العبد لنفسه من سيده، إذا غاب سيده، و إذا حضر أطاعه.

و في رواية أخرى يسبه في نفسه. و في رواية و ايم الله لو شردوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم.

فقال الرجل فهل من جماعة يا أمير المؤمنين بعد ذلك!

قال إنها ستكونون جماعة شتى، عطاؤكم و حجكم و أسفاركم [واحدة] و القلوب مختلفة.

قال واحد [منهم] كيف تختلف القلوب قال هكذا و شبك بين أصابعه ثم قال يقتل هذا هذا، و هذا هذا، هرجا هرجا و يبقى طعاما، جاهلية ليس فيها منار هدى، و لا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة و لسا فيها بدعة.

٢٦٢
٣٤ قال [الرجل] فما أصنع في ذلك الزمان يا أمير المؤمنين قال انصروا أهل بيت نبيكم، فإن لبدوا فالدوا و إن استنصروكم فانصروهم تنصروا و تعذبوا، فإنهم لن يخرجوكم من هدى و لن يدعوكم إلى ردى، و لا تسبقوهم بالتقدم فيصرعكم البلاء و تشمت بكم الأعداء.

قال [الرجل] فما يكون بعد ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال يفرج الله البلاء برجل من أهل بيتي كانفراج الأديم من بيته، ثم يرفعون إلى من يسومهم خسفا و يسقيهم بكأس مصبرة، لا يعطيهم و لا يقبل منهم إلا السيف هرجا هرجا، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر، حتى تود قريش بالدينا و ما فيها أن يروني في مقام واحد، فأعطيه و أخذ منهم بعض ما قد منعوني و أقبل عنهم بعض ما يرد عليهم حتى يقولوا ما هذا من قريش، لو كان هذا من قريش و من ولد فاطمة لرحمنا. و يغريه الله ببني أمية فجعلهم [الله] « ملغونين أينما تفرأ أخذوا و قتلوا تقتيلا شئة الله في الذين خلأوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا ».

أما بعد فإنه لا بد من رحي تطحن ضلالة، فإذا طحنت قامت على قطيها، ألا و إن طاحت روقا، و إن روقها حذا و على الله فلها^(٢). ألا و إني و أبرار عترتي و أطاب أرومتي أحلم الناس صغارا و أعلمهم كبارا، معنا راية الحق و الهدى، من سبقها مرق، و من خذلها محق و من لزمها الحق. و في رواية أخرى و من لزمها سبق.

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما روياه في المختار: (٢٧٦) من نهج السعادة، و ما بين الصغرفين أيضاً مأخوذ منه، و في أصلي من طبع الكنباني من البحار: «وإذا سأل فليثبت...».

(٢) وقرئاً منه روياه مستنداً عن مصدر آخر في صدر المختار: (٨٠) من القسم الثاني من باب خطب نهج السعادة: ج ٣ ص ٢٩٨.

إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَمًا وَمِنْ حُكْمِ اللَّهِ صَادِقٌ قِيلْنَا، وَمِنْ قَوْلِ الصَّادِقِ سَمِعْنَا، فَإِنْ تَتَّبَعُونَا تَهْتَدُوا بِبَصَائِرِنَا، وَإِنْ تَتَّبَعُوا عَنَّا يَعْذِبَكُمُ اللَّهُ بِأَيْدِينَا أَوْ بِمَا شَاءَ.

نَحْنُ أَفْقُ الْإِسْلَامِ بِنَا يَلْحَقُ الْمِطْطَىٰ وَإِلَيْنَا يَرْجِعُ التَّائِبُ.

وَاللَّهُ لَوْ لَا أَنْ تَسْتَعْجِلُوا وَيَتَأَخَّرَ الْحَقُّ، لِنَبَاتِكُمْ بِمَا يَكُونُ فِي شِبَابِ الْعَرَبِ وَالْمَوَالِي، فَلَا تَسْأَلُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدَ الْعِلْمِ قَبْلَ إِيَّانِهِ، وَلَا تَسْأَلُوهُمْ الْمَالَ عَلَى الْعَسْرِ فَتُخْلَوْهُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ الْبَخْلُ.

وَكُونُوا أَحْلَاسَ الْبُيُوتِ وَلَا تَكُونُوا عَجَلًا بَذْرًا، [و] كُونُوا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ تَعْرِفُوا بِهِ وَتَتَعَارَفُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ وَجَعَلَ بَيْنَهُمُ الْفَضَائِلَ بِعِلْمِهِ، وَجَعَلَ مِنْهُ عِبَادًا اخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ لِيَحْتَجَّ بِهِمْ عَلَى خَلْقِهِ، فَجَعَلَ عَلَامَةً مِنْ أَكْرَمِهِمْ طَاعَتَهُ، وَعَلَامَةً مِنْ أَهَانَهُمْ مَعْصِيَتَهُ، وَجَعَلَ ثَوَابَ أَهْلِ طَاعَتِهِ النَّصْرَةَ فِي وَجْهِهِ فِي دَارِ الْأَمْنِ وَالْخُلْدِ الَّذِي لَا يَرُوعُ أَهْلُهُ، وَجَعَلَ عُقُوبَةَ مَعْصِيَتِهِ نَارًا تَأْجُجُ لِقُضْبِهِ، [وَ] مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ بِنَا بَيْنَ اللَّهِ الْكَذِبِ، وَبِنَا يَفْرَجُ اللَّهُ الزَّمَانَ الْكَلْبَ، وَبِنَا يَنْزِعُ اللَّهُ رَبِي الذِّلَّ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَبِنَا يَفْتَحُ اللَّهُ وَبِنَا يَخْتَمُ اللَّهُ.

فَاعْتَبِرُوا بِنَا وَبَعْدُونَا وَبِهْدَانَا وَبِهِدَاهُمْ وَبَسِيرَتَنَا وَسِيرَتَهُمْ وَمَنْيَتَنَا وَمَنْيَتَهُمْ، يَمُوتُونَ بِالْذَّالِ وَالْقِرْحِ وَالدَّبِيلَةِ، وَنُمُوتُ بِالْبَطْنِ وَالْقَتْلِ وَالشَّهَادَةِ وَبِمَا شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ التَفْتُ إِلَى بَنِيهِ فَقَالَ يَا بَنِي لَيْبِ صَغَارِكُمْ كِبَارِكُمْ، وَلِيَرْحَمَ كِبَارِكُمْ صَغَارِكُمْ، وَلَا تَكُونُوا أَمْثَالَ السَّفَهَاءِ الْجَفَاءِ الْجَهَالِ الَّذِي لَا يَعْطُونَ فِي اللَّهِ الْيَقِينَ، كَقَبْضِ بِيضٍ فِي أَدَاخٍ ^(١)، أَلَا وَبِحِجِّ الْفَرَاخِ فَرَاخُ آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ خَلْفِ مُسْتَخْلَفٍ عَتْرِيفٍ مُتَرَفٍ، يَقْتُلُ خَلْفِي وَخَلْفُ الْخَلْفِ بَعْدِي.

أَمَّا وَاللَّهُ لَقَدْ عَلِمْتَ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَتَنْجِيزَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ ^(٢)، وَفَتْحَ لِي الْأَسْبَابِ، وَأَجْرِي لِي السَّحَابِ، وَنَظَرْتَ فِي الْمُلُكُوتِ، لَمْ يَعْزِبْ عَنِّي شَيْءٌ فَاتٍ وَلَمْ يَفْتِنِي مَا سَبَقَنِي، وَلَمْ يَشْرِكْنِي أَحَدٌ فِيمَا أَشْهَدُنِي رَبِّي، أَقُومُ بِهِ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُادُ، وَبِي يَتِمُّ اللَّهُ مَوْعِدُهُ وَيَكْمُلُ كَلِمَاتُهُ.

وَأَنَا النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَالْإِسْلَامُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ بِهِ عَلَيَّ وَأَذَلَّ بِهِ مِنْكِبِي. وَلَيْسَ إِمَامًا إِلَّا وَهُوَ عَارِفٌ بِأَهْلِ وَلَايَتِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ».

ثُمَّ نَزَلَ [عَنِ الْمُنْبِرِ] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالطَّاهِرِينَ الْأَخْيَارَ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

٨٣٣- كِتَابُ الْغَارَاتِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّقِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ عِنْدَ عَبْدِ الْغَفَّارِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ زُرَّ بْنِ حَبِيشٍ قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَخْطُبُ ^(٣).

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنِ الْمُنْهَالِ عَنْ زُرَّ بْنِ حَبِيشٍ، قَالَ خَطَبَ عَلِيٌّ عليه السلام بِالنَّهْرُوانِ [..].

وَسَاقُ الْحَدِيثِ نَحْوُ حَدِيثِ سَلِيمٍ إِلَى قَوْلِهِ «وَلَوْ لَمْ تَجِدْ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا».

بَيَانٌ: قَوْلُهُ [..] «أَمُورًا مُلْتَبِجَةً» قَالَ الْجَوْهَرِيُّ التَّبَجُّتِ الْأَصْوَاتُ اخْتَلَطَتْ. وَلَجِبَتْ السَّفِينَةُ خَاضَتْ اللَّجَّةَ. وَالتَّجُّ الْبَحْرُ التَّجَاجَا [اضْطَرَبَ وَهَاجَ وَغَمَرَ].

وَفِي بَعْضِ النُّسخِ «مُلْتَبِجَةً» بِأَلْيَاءِ الْمُوحَّدَةِ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ لَجِبَتْ بِهِ الْأَرْضُ إِذَا جَلَدَتْ بِهِ الْأَرْضُ [وَصَرَعَتْهُ]. وَقَالَ الْجَلْجَلُ وَاحِدُ الْجَلَالِ، وَصَوْتُهُ الْجَلْجَلَةُ وَصَوْتُ الرِّعْدِ أَيْضًا، وَالْمَجْلَجَلُ النَّسْحَابُ الَّذِي فِيهِ صَوْتُ الرِّعْدِ. وَجَلْجَلْتُ الشَّيْءَ إِذَا حَرَكْتَهُ بِيَدِكَ. وَتَجَلْجَلْتُ أَيْ سَاخَ فِيهَا وَدَخَلَ. وَتَجَلْجَلْتُ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ أَيْ تَضَعُضْتُ.

(١) وَاقْرَبِيًّا مِنْهَا - مِنْ قَوْلِهِ: «يَا بَنِي لَيْبٍ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ» - رَوَيْنَاهُ مُسْنَدًا عَنْ مُصَدِّرَيْنِ آخَرَيْنِ فِي الْمُخْتَارِ: (٣٨٦) مِنْ نَهْجِ السَّعَادَةِ: ج ٢ ص ٧٣٧.

(٢) وَمِثْلُهُ حَرْفِيًّا رَوَاهُ السَّيِّدُ الرَّضِيُّ عليه السلام فِي الْمُخْتَارِ: (١٦٤) مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، وَابْنُ الْأَثِيرِ ذَكَرَهُ فِي مَادَّةِ «قَبْضٍ» مِنْ كِتَابِ النِّهَايَةِ. وَمِنْ قَوْلِهِ: «الْأَدَاخِ» إِلَى آخِرِهِ ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي مَادَّةِ «دَخَا» مِنَ النِّهَايَةِ.

(٣) وَالْحَدِيثُ قَدْ تَقَدَّمَ حَرْفِيًّا - إِلَى قَوْلِهِ: «وَلَوْ لَمْ تَجِدْ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» - تَحْتَ الرِّقْمِ: (٦٠٠) فِي ص ٦٠٦ مِنْ طِ الْكَبَائِنِ.

وقال الفيروز آبادي كَلَحَ كَمَنَعَتْ تَكْشَرُ فِي عُبُوسٍ كَتْلَحَ وَأَكْلَحَ، وَدَهْرٌ كَالِحٌ شَدِيدٌ. وَقَالَ بَلَحَ الرَّجُلُ بَلَوْحًا أَعْيَا كَلَحَ [تَبْلِيحًا] وَ[بَلَحَ] الْمَاءُ ذَهَبَ. وَالْبُلُوحُ الْبُتْرُ الذَّاهِبَةُ الْمَاءَ وَبَلَحَتْ خِفَارَتُهُ إِذَا لَمْ تَفْ. وَالْبَالِحُ الْأَرْضُ لَا تَنْبِتُ شَيْئًا.

قوله «وَنَصَلَتْ» أَي خَرَجَتْ كَاشِفًا عَنْ نَابٍ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ نَصَلَ الْحَافِرُ خَرَجَتْ عَنْ مَوْضِعِهِ. وَفِي بَعْضِ النُّسخِ «وَقَلَصَتْ» بِالْتَخْفِيفِ أَوْ التَّشْدِيدِ، يُقَالُ قَلَصَ الشَّيْءُ ارْتَفَعَ وَقَلَصَ وَتَقَلَّصَ كَلَهَ، بِمَعْنَى انْقَضَى وَانْزَوَى. يُقَالُ قَلَصَتْ شَقَّتْهُ أَي انْزَوَتْ. وَقَالَ الْفَيْرُوزِآبَادِيُّ فِي الْقَامُوسِ هَرَجَ النَّاسُ يَهْرَجُونَ وَقَعُوا فِي فِتْنَةٍ وَاجْتِلَاطٍ وَكُتِلَ.

[قوله ﷺ] «وَأِنْ لَطَحْنَهَا رَوْقًا» أَي حَسَنًا وَإِعْجَابًا. «وَأِنْ رَوْقَهَا حَدَّهَا» أَي إِذَا صَارَتْ [الدُّنْيَا] بِحَيْثُ أُعْجِبَتْ النَّاسَ فَهُوَ نَهَائِهَا وَوَقْتُ انْقِضَائِهَا. «وَلَا زَمَ عَلَى اللَّهِ فَلَهَا» أَي كَسَرَهَا. وَالأُرُومَةُ كَالْأَكُولَةِ وَقَدْ تَضَمَّ الْأَصْلُ. وَ«الْبَذَرُ» بِضَمِّينِ جَمْعُ الْبَذُورِ وَهُوَ الَّذِي يَزْبِغُ الْأَسْرَارَ. وَالنُّضْرَةُ الْحَسَنُ وَالرُّوْنِقُ [وَالْكَلَامُ] إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى «تَتَرَفُّفٌ فِي وُجُوهِهِمْ نُضْرَةُ النَّعِيمِ».

قوله [ﷺ] «لَا يَرُوعُ أَهْلُهُ» أَي لَا يَفْزَعُ وَلَا يَخَافُ. وَفِي بَعْضِ النُّسخِ [لَا يَرُوعُ] بِالْفَعْلِ الْمَعْجَمَةِ أَي لَا يَحِيدُ وَلَا يَمِيلُ أَهْلُهَا عَنْهَا.

وَقَالَ [ابْنُ الْأَثِيرِ] فِي النِّهَايَةِ الدَّبِيلَةُ خِرَاجٌ وَدَمَلٌ كَبِيرٌ تَظْهَرُ فِي الْجُوفِ فَتَقْتُلُ صَاحِبَهَا غَالِبًا. وَ[أَيْضًا] قَالَ [ابْنُ الْأَثِيرِ] فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ ﷺ «لَا تَكُونُوا كَقَبِيضٍ بَيِضٍ فِي أَدْحَاقٍ يَكُونُ كَسَرُهَا وَزَرَاوُ يَخْرُجُ حَضَائِهَا شِرًّا». الْقَبِيضُ قَشْرُ الْبَيْضِ. وَالأَدْحَاقِي جَمْعُ الأَدْحَى وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تَبْيِضُ فِيهِ النِّعَامَةُ وَتَفْرُخُ، وَهُوَ أَفْعُولٌ مِنْ «دَحَوْتُ» لِأَنَّهَا تَدَحُوهُ بِرَجُلِهَا أَي تَبْسُطُهُ ثُمَّ تَبْيِضُ فِيهِ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ «وَبِح» كَلِمَةٌ رَحْمَةٌ وَ«وَيْلٌ» كَلِمَةٌ عَذَابٌ.

وَقَالَ الْيَزِيدِيُّ هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ تَقُولُ وَيْحٌ لَزِيدٌ وَوَيْلٌ لَزِيدٍ تَرْفَعُهُمَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ. وَقَالَ الْخَلْفُ الْقَرْنُ بَعْدَ الْقَرْنِ، وَالْخَلْفُ مَا جَاءَ مِنْ بَعْدٍ يُقَالُ هُوَ خَلْفُ سَوْءٍ مِنْ أَيْبِهِ وَخَلْفُ صَدَقٍ مِنْ أَيْبِهِ بِالتَّحْرِيكِ إِذَا قَامَ مَقَامَهُ. وَقَالَ هُمَا سَوَاءٌ مِنْهُمْ مَنْ يَحْرُكُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْكُنُ فِيهِمَا جَمِيعًا. وَالْخَلْفُ أَيْضًا مَا اسْتَخْلَفْتَهُ مِنْ شَيْءٍ. وَيُقَالُ الْقَوْمُ خَلْفَةُ أَي يَخْتَلِفُونَ. أَقُولُ الْمَرَادُ بِالْخَلْفِ إِمَّا مَعَاوِيَةَ أَوْ يَزِيدَ. وَقَالَ [الْجَوْهَرِيُّ] فِي الصَّحَاحِ رَجُلٌ عَتْرِيفٌ أَوْ عَتْرِوْفٌ أَي خَبِيثٌ فَاجِرٌ جَرِيءٌ مَاضٍ. وَقَالَ أَتَرَفْتَهُ النِّعْمَةَ أَطْفَعْتَهُ.

[قوله ﷺ] «وَأَذَلَّ بِهِ مَنَكِييَ» لَعَلَّهُ كَنَائَةٌ عَنْ كَثْرَةِ الْحَمْلِ وَثِقَلِهِ. أَوْ الْمَعْنَى أَنْ مَعَ تِلْكَ الْفَضَائِلِ رَفَعَ التَّكَبُّرَ وَالتَّرَفُّعَ عَنِّي.

٨٣٤- يَحْيَى: رَوَى عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نَابَتَةَ قَالَ دَخَلْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي جَامِعِ الْكُوفَةِ، فَإِذَا بِجَمٍّ غَفِيرٍ وَمَعَهُمْ عَبْدُ أَسْوَدَ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْعَبْدُ سَارِقٌ. فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ أَسَارِقُ أَنْتَ يَا غَلَامُ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً أَسَارِقُ أَنْتَ يَا غَلَامُ فَقَالَ نَعَمْ يَا مَوْلَايَ. فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ ﷺ إِنَّ قَلْبَهَا ثَالِثَةٌ قَطَعْتَ يَمِينَكَ فَقَالَ أَسَارِقُ أَنْتَ يَا غَلَامُ قَالَ نَعَمْ يَا مَوْلَايَ^(١).

فَأَمَرَ الْإِمَامُ بِقَطْعِ يَمِينِهِ فَقَطَعَتْ، فَأَخَذَهَا بِشِمَالِهِ وَهِيَ تَقْطُرُ دَمًا، فَلَقِيَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ وَكَانَ يَشْنَأُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ٧ فَقَالَ لَهُ مِنْ قَطْعِ يَمِينِكَ قَالَ قَطَعَ يَعْنِي الْأَنْزَعَ الْبَطِينُ، وَبَابُ الْيَقِينِ، وَحَبِلَ اللَّهُ الْمُتَيْنِ، وَالشَّافِعُ يَوْمَ الدِّينِ الْمُصَلِّيَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ.

(١) هَذِهِ الرَّوَايَةُ لَمْ أَجِدْهَا فِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ الْكَامِلَةِ مِنَ الْغُرَانِجِ، وَلَكِنْ فِيهَا نَحْوُهُ وَتَبْلِيغُصِ فِي ح ١٩ مِنْ نَصْلِ أَعْلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ رَوَى الْبُلْذُرِيُّ مَا بِمَعْنَاهُ بِاخْتِصَارٍ جَدًّا مُسْتَدًّا فِي الْحَدِيثِ: (١٦٨) مِنْ تَرْجُمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ مِنْ كِتَابِ أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ: ج ١، ص ٣٢٧. وَفِي طَبْرِيقِ بَيْرُوتَ: ج ٢ ص ١٥٦، ط ١.

قطع يميني إمام التقى، وابن عم المصطفى، شقيق النبي المجتبى، ليث الثرى غيث الورى، حنف العدى، و مفتاح الندى، ومصباح الدجى.

قطع يميني إمام الحق، وسيد الخلق، [و] فاروق الدين، وسيد العابدين وإمام المتقين، وخير المهتدين، وأفضل السابقين، و حجة الله على الخلق أجمعين.

قطع يميني إمام حظي بدرى أحدي مكى مدني أبطحي هاشمي قرشي أريحي مولوي طالبي جري قوي لودعي الولي الوصي.

قطع يميني داعي باب خير، و قاتل مرحب و من كفر، و أفضل من حج و اعتمر، و هلل و كبر، و صام و أفطر، و حلق و نحر.

قطع يميني شجاع جري، جواد سخي، بهلول شريف الأصل [الأصول «خ»] ابن عم الرسول، و زوج البتول و سيف الله المسلول، المردود له الشمس عند الأفول.

قطع يميني صاحب القبلتين، الضارب بالسيقين، الطاعن بالرمحين، [و] وارث المشعرين، الذي لم يشرك بالله طرفة عين، أسمع كل ذي كفن، و أقصع كل ذي شفتين، أبو السيدين الحسن و الحسين.

قطع يميني عين المشارق و المغارب، تاج لثوي بن غالب، أسد الله الغالب، علي بن أبي طالب عليه من الصلوات أفضلها و من التحيات أكملها.

فلما فرغ الغلام عن الثناء و مضى لسبيله، دخل عبد الله بن الكواء على الإمام عليه السلام فقال له السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له أمير المؤمنين السلام على من اتبع الهدى و خشي عواقب الردى. فقال له [ابن الكواء] يا أبا الحسين قطعت يمين غلام أسود و سمعته يشني عليك بكل جميل. فقال و ما سمعته يقول قال كذا و كذا. و أعاد عليه جميع ما قال الغلام.

فقال الإمام لولديه الحسن و الحسين امضيا و أتاني بالعبد. فمضيا في طلبه في كندة فقالا له أجب أمير المؤمنين يا غلام، فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال له قطعت يمينك و أنت تنثني علي بما قد بلغني فقال يا أمير المؤمنين ما قطعها إلا بحق واجب أوجبه الله و رسوله. فقال الإمام أعطني الكف فأخذ الإمام الكف و غطاه بالرداء، و كبر و صلى ركعتين، و تكلم بكلمات و سمعته يقول في آخر دعائه آمين رب العالمين. و ركبه على الزند و قال لأصحابه اكشفوا الرداء عن الكف. فكشفوا الرداء عن الكف و إذا الكف على الزند باذن الله.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام ألم أقل لك يا ابن الكواء إن لنا محبين لو قطعنا الواحد منهم إربا إربا ما ازدادوا إلا حبا، ولنا مبغضين لو ألقاهم الغسل ما ازدادوا إلا بغضا، و هكذا من يحبنا ينال شفاعتنا يوم القيامة.

بيان: الشرى طريق في [بادية] سلمى كثير الأسد. و الحظي ذو الخطوة و هي المنزل و المكانة. و الأريحي الواسع الخلق. و اللودعي الظريف الحديد الفؤاد. و البهلول من الرجال الضحاك.

٨٣٥- ييج: روي أن خارجيا اختصم في رجل آخر إلى علي عليه السلام فحكم بينهما، فقال الخارجي لا عدلت في القضية. فقال عليه السلام أخساً يا عدو الله. فاستحال [الخارجي] كلباً و طار ثيابه في الهواء، فجعل يبصص و تدمع عيناه فرق له و دعا له، فأعاده إلى حال الإنسانية و ترجعت من الهواء ثيابه، فقال علي عليه السلام إن آصف وصي سليمان قد صنع نحوه فقضى الله عنه [بقوله] «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يروى إليك طرفك» أيما أكرم على الله نبيكم أم سليمان قالوا نبيتنا^(١).

ف قيل له ما حاجتك في قتال معاوية إلى الأنصار قال إنما أدعو هؤلاء لثبوت الحجة و كمال المحنة، و لو أذن لي في الدعاء بهلاكه لما تأخر.

باب فيه ذكر أصحاب النبي ﷺ وأمر المؤمنين ﷺ الذين كانوا على الحق ولم يفارقوا أمر المؤمنين ﷺ وذكر بعض المخالفين والمنافقين زائداً على ما أوردنا هـ في كتاب أحوال النبي ﷺ وكتاب أحوال أمير المؤمنين ﷺ.

٨٣٦- ختنص: عن أبي عبد الله ﷺ قال كانوا شرطة الخميس ستة آلاف رجل أنصاره [١].

٢٧١
٣٤
٢٧٢
٣٤

٨٣٧- ختنص: محمد بن الحسين عن محمد بن جعفر عن أحمد بن أبي عبد الله قال قال علي بن الحكم أصحاب أمير المؤمنين الذين قال لهم تشرطوا فانا أشارككم على الجنة ولست أشارككم على ذهب ولا فضة، إن نبينا فيما مضى قال لأصحابه «تشرطوا فإني لست أشارككم إلا على الجنة» (وهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وأبو سنان وأبو عمرو الأنصاريان وسهل البصري وعثمان ابن حنيف الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري) (٢).

ومن أصفاء أصحابه عمرو بن الحمق الخزاعي عربي وميثم التمار وهو ميثم بن يحيى مولى ورشيد الهجري وحبیب بن مظهر الأسدي ومحمد بن أبي بكر.

ومن أوليائه العلم الأزدي وسويد بن غفلة الجعفي والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني وأبو عبد الله الجدلي وأبو يحيى حكيم بن سعد الحنفي.

وكان من شرطة الخميس أبو الرضي عبد الله بن يحيى الحضرمي (٣) [و] سليم بن قيس الهلالي [و] عبيدة السلماني المرادي عربي.

ومن خواصه تميم بن حذيم الناجي.

وقد شهد مع علي ﷺ [حروبه] قنبر مولى علي بن أبي طالب [و] أبو فاختة مولى بني هاشم [و] عبيد الله بن أبي رافع وكان كاتبه.

بيان: اختلف في تصحيح اسم والد تميم فقيل حذيم بالحاء المهملة والذال المعجمة. وقيل بالحاء المعجمة والزاي. وقيل بالحاء المهملة المكسورة والذال المعجمة الساكنة والياء المفتوحة. وذكره الجوهرى [في الصحاح بالحاء المهملة المفتوحة والذال المعجمة الساكنة واللام المفتوحة وقال إنه من التابعين. وكذا صححه أكثر العامة في كتبهم.

٢٧٣
٣٤

٨٣٨- ختنص: عبيد بن نضلة الخزاعي [قال] روي عن ابن الأعمش أنه قال لأبيه علي من قرأت القرآن قال علي يحيى بن الوثاب، وقرأ يحيى على عبيد بن نضلة كل يوم آية ففرغ من القرآن [في] سبع وأربعين سنة (٤).

٨٣٩- ختنص: يحيى بن وثاب كان مستقيماً (٥).

٨٤٠- ختنص: أبو أحичة واسمه عمرو بن محصن أصيب بصفين وهو الذي جهز أمير المؤمنين بمائة ألف درهم في مسيره إلى الجمل (٦).

(١) رواها الشيخ المفيد في الحديث الثالث من كتاب الاختصاص ص ٢ ط ٣.

(٢) رواها الشيخ المفيد في الحديث الثالث من كتاب الاختصاص ص ٢ ط ٣.

(٣) كذا في الأصل الحاكي والمحكي عنه، والفتاوى: «عبد الله بن نجى الحضرمي» وهو من رجال النسائي وأبي داود وابن ماجه مترجم في كتاب تهذيب التهذيب: ج ٦ ص ٥٥، وفي كامل ابن عدي: ج ٤ ص ١٥٤٨.

(٤) رواها الشيخ المفيد في الحديث: (٨) وتاليه من كتاب الاختصاص ص ٣.

(٥) رواها الشيخ المفيد في الحديث الثالث من كتاب الاختصاص ص ٢ ط ٣.

(٦) رواها الشيخ المفيد في الحديث الثالث من كتاب الاختصاص ص ٢ ط ٣.

٨٤١- ختص: جعفر بن الحسين المؤمن عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن ابن فضال عن ثعلبة عن زرارة^(١).

عن أبي جعفر قال قال أمير المؤمنين خلقت الأرض لسبعة، بهم يرزقون وبهم ينصرون وبهم يمحطون، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة. وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول وأنا إمامهم وهم الذي صلوا على فاطمة عليها السلام.

٨٤٢- ختص: أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه عن محمد بن الحسين عن الحسن بن محبوب عن الحارث قال قال سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله عليه السلام فلم يزل يسأله حتى قال فهلك الناس إذا فقال إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون قلت أهل الشرق والغرب قال إنها فتحت على الضلال، إي والله هلكوا إلا ثلاثة سلمان الفارسي وأبو ذر والمقداد ولحقهم عمار وأبو سنان الأنصاري وحذيفة وأبو عمرة فصاروا سبعة^(٢).

٨٤٣- ختص: عذة بن أصحابنا عن ابن الوليد عن الصفار عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن مثنى بن الوليد عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام قال ارتد الناس بعد النبي إلا ثلاثة نفر المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي، ثم إن الناس عرفوا ولحقوا بعد^(٣).

٨٤٤- ختص: [في] ذكر السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام:

حدثنا جعفر بن الحسين عن محمد بن جعفر المؤدب قال الأركان الأربعة سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار هؤلاء [من] الصحابة.

ومن التابعين أويس القرني، الذي يشفع في مثل ربيعة ومضر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وذكر جعفر بن الحسين أنه كان من أمير المؤمنين بمنزلة سلمان من رسول الله صلى الله عليه وآله [ورشيد الهجري،] [ورمى الثمار،] [وكميل بن زياد النخعي،] [وقنبر مولى أمير المؤمنين،] [ومحمد بن أبي بكر،] [ومزرع مولى أمير المؤمنين،] [وعبد الله بن نجى^(٤)]. قال له أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل «أبشر يا ابن نجى فأتت وأبوك من شرطة الخميس، سأكم الله به في السماء.» [وجندب بن زهير العامري،] [وبنو عامر شعبة علي على الوجه،] [وحبيب بن مظهر الأسدي،] [والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني،] [ومالك بن الحارث الأشتر،] [والعلم الأزدى،] [وأبو عبد الله الجدلي،] [وجويرية بن مسهر العدي.

٨٤٥- ختص: محمد بن الحسن عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى عن النضر بن سويد عن حماد بن عمار عن أبي عبد الله قال ما بقي أحد بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله إلا وقد جال جولة إلا المقداد، فإن قلبه كان مثل زبر الحديد^(٥).

٨٤٦- ختص: ابن الوليد عن الصفار عن علي بن سليمان الرازي^(٦).

وحدثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن سعد بن علي بن سليمان عن علي بن أسباط بن سالم عن أبيه قال قال أبو الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد «أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله الذين لم ينتفضوا العهد ومضوا عليه» فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر.

قال ثم ينادي [المنادي] «أين حواري علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبد الله رسول الله» فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى الثمار مولى بني أسد، وأويس القرني.

قال ثم ينادي المنادي «أين حواري الحسن بن علي [ابن فاطمة بنت محمد رسول الله] فيقوم سفيان بن أبي ليلى الهمداني، وحذيفة بن أسيد الغفاري.

(١) رواها الشيخ المفيد في الحديث الثالث من كتاب الاختصاص ص ٢ ط ٣.

(٢) رواه وما بعده الشيخ المفيد رضوان الله عليه في الحديث (١٠) وما بعده من كتاب الاختصاص ص ٤.

(٣) رواه الشيخ المفيد في الحديث: (١٣) من كتاب الاختصاص ص ٥.

(٤) هذا هو الصواب فيه وفي التالي، وفي الأصل الحاكم والمحكي عنه: «عبد الله بن يحيى».

(٥) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث: (٢٠) من كتاب الاختصاص ص ٨ ط النجف.

(٦) رواه الشيخ المفيد في الحديث: (١٠٤) في عنوان: «حديث موسى بن جعفر» في أوائل كتاب الاختصاص ص ٥٥ ط النجف.

قال ثم ينادي [المنادي] «أين حواري الحسين بن علي» فيقوم كل من استشهد معه و لم يتخلف عنه.

ثم ينادي «أين حواري علي بن الحسين عليه السلام» فيقوم جبير بن مطعم، و يحيى ابن أمّ الطويل، و أبو خالد الكابلي، و سعيد بن المسيّب.

ثم ينادي «أين حواري محمد بن علي و حواري جعفر بن محمد» فيقوم عبد الله بن شريك العامري، و زوارة بن أعين، و بريد بن معاوية العجلي، و محمد بن مسلم الثقفي، و ليث بن البخري المرادي، و عبد الله بن أبي عفور، و عامر بن عبد الله بن خراعة، و حجر بن زائدة، و حرمان بن أعين.

ثم ينادي سائر الشيعة مع سائر الأئمة صلوات الله عليهم يوم القيامة.

فهؤلاء أول الشيعة الذين يدخلون الفردوس و هؤلاء أول السابقين و أول المقرّبين و أول المحبّورين.

٨٤٧- ختص: جعفر بن الحسين عن محمد بن جعفر المؤدّب عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه رفعه قال قال عمرو بن الحق الخزاعي لأمر المؤمنين عليهم السلام و الله ما جئتكم لمال من الدنيا تعطينها، و لا لاتماس السلطان ترفع به ذكري [ما جئتكم] إلّا لأنك ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، و أولى الناس بالناس، و زوج فاطمة سيّدة نساء العالمين، و أبو الذرّيّة التي بقيت لرسول الله صلى الله عليه وآله، و أعظم سهما للإسلام من المهاجرين و الأنصار. و الله لو كلّفنتي نقل الجبال الرواسي و نزح البحور الطوامي أبدا حتّى يأتي عليّ يومي، و في يدي سيفي أهزّ به عدوك و أقوي به وليك، و يعليّ به الله كمبك و يفلج به حجّتك، ما ظننت أنّي أدّيت من حقك كلّ الحقّ الذي يجب لك عليّ^(١).

فقال أمير المؤمنين عليه السلام اللهم نور قلبه و اهده إلى الصراط المستقيم، ليت أنّ في شيعتي مائة مثلك.

بيان: طما الماء ارتفع و ملأ النهر. قوله «أهزّ به» [يقال] هزّرت الشيء هزّا فاهتزّ أي حرّكته فتحرّك. و في بعض النسخ «أهزم» و هو أظهر. و قال [الفيروزآبادي] في القاموس الكعب الشرف و المجد و رجل عالي الكعب شريف.

٨٤٨- ختص: أحمد بن هارون و جعفر بن محمد بن قولويه و جماعة عن عليّ بن الحسين عن عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن الحسن عن أحمد بن النضر عن صباح عن الحارث بن الحصريّة عن صخر بن الحكم الفزاري، عمّن حدّثه أنّه سمع عمرو بن الحق يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه سمع رسول الله في المسجد الحرام أو في مسجد المدينة، يقول يا عمرو هل لك في أن أريك آية الجنّة يأكل الطّعام و يشرب الشراب و يمشي في الأسواق و آية النار يأكل الطّعام و يشرب الشراب و يمشي في الأسواق فقلت نعم بأبي أنت و أمّي فأرانيها. فأقبل عليّ صلى الله عليه وآله يمشي حتّى سلم و جلس، فقال [النبّي] يا عمرو هذا و قومه آية الجنّة. ثمّ أقبل معاوية حتّى سلّم فجلس، فقال [النبّي] يا عمرو هذا و قومه آية النار.

[ثم قال] و ذكر [عمرو] بدء إسلامه [و] أنّه كان في إبل لأهله، و كانوا أهل عهد لرسول الله، و أنّ أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مروا به و قد بعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله في بعث فقالوا يا رسول الله ما معنا زاد و لا نهتدي الطريق فقال إنكم ستلقون رجلا صبيح الوجه يطعمكم من الطّعام، و يستقيكم من الشراب و يهديكم الطريق [و] هو من أهل الجنّة.

[قال عمرو] فأقبلوا حتّى انتهوا إليّ من آخر النهار، و أمرت فتيتاني فتحروا جزورا و حملوا [إلى القوم] من اللبن، فبات القوم يطعمون من اللحم ما شاءوا، و يسقون من اللبن ثمّ أصبحوا فقلت ما أنتم بمنطلقين حتّى تطعموا و تشربوا فقال رجل منهم و ضحك إلى صاحبه فقلت و ممّ ضحكت فقال أبشر ببشرى الله و رسوله، فقلت و ما ذاك قال قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الفجّ و أخبرنا أنّه ليس لنا زاد و لا هداية الطريقة فقال ستلقون رجلا صبيح الوجه يطعمكم من الطّعام و يستقيكم من الشراب و يدلكم على الطريق [و هو] من أهل الجنّة، فلم نلق من يوافق نعت رسول الله صلى الله عليه وآله غيرك.

(١) رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث: (٢٨) من كتاب الاختصاص ص ١٥، وفي ط النجف ص ١١. ورواه أيضاً نصر بن مزاحم في أواسط الجزء الثاني من كتاب صغين ص ١٠٣، ط مصر، و تقدم رواية المصنّف عنه في هذا الكتاب ص ٤٧٥ ط الكمباني.

قال [عمرو] فركبت معهم وأرشدتهم إلى الطريق، ثم انصرفت إلى فتيتاني وأوصيتهن ببليلى ثم سرت كما أنا إلى رسول الله ﷺ حتى بايعت وأسلمت، وأخذت لنفسي ولقومي أماناً من رسول الله ﷺ أنا آمنون على أموالنا ودمائنا إذ شهدنا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقمنا الصلاة وآتيناه الزكاة وأقمنا بسهم الله ورسوله قال فإذا فعلتم ذلك فأنتم آمنون على أموالكم ودمائكم، لكم بذلك ذمة الله ورسوله لا نعتدي عليكم في مال ولا دم. [ثم قال عمرو] فأقمت مع رسول الله ﷺ ما أقمت، وغزوت معه غزوات وقبض الله ورسوله.

قال [و] كان عمرو بن الحق الخزاعي شيعة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما صار الأمر إلى معاوية انحاز إلى شهر زور من الموصل.

وكتب إليه معاوية أما بعد فإن الله أظفأ النائرة وأحمد الفتنة وجعل العاقبة للمتقين، ولست بأبعد أصحابك همة ولا أشدهم في سوء الأثر صنعا، كلهم قد أسهل بطاعتي وسارع إلى الدخول في أمري، وقد بطأ بك ما بطأ فادخل فيما دخل فيه [الناس] يمع عنك سالف ذنوبك ونحي دائر حسناتك، ولعلي لا أكون لك دون من كان قبلي إن أبقيت وأثقيت وفيت وأحسنست، فاقدم عليّ أماناً في ذمة الله وذمة رسوله، محفوفاً من حسد القلوب وإحن الصدور وكفى بالله شهيداً.

فلم يقدم عليه عمرو بن الحق، فبعث إليه من قتله وجاء برأسه [إليه] فبعث به [معاوية] إلى امرأته [وهي في سجنه] فوضع في حجرها فقالت سترتموه عني طويلاً وأهديتموه إليّ قتيلاً فأهلاً وسهلاً من هدية غير قالية ولا بمقلية، بلغ أيها الرسول عني معاوية ما أقول طلب الله بدمه، وعجل له الويل من نعمة، فقد أتى أمراً قريباً وقتل برأ تقياً، فأبلغ أيها الرسول معاوية ما قلت.

فبلغ الرسول [معاوية] ما قالت، فبعث إليها فقال لها أنت القاتلة ما قلت نعم غير ناكلة عنه ولا معتذرة منه. قال لها اخرجي من بلادي. قالت أفعل فوالله ما هو لي بوطن ولا أحنّ فيها إلى سجن، ولقد طال بها سهري واشتهر بها عبري وكثر فيها ديني من غير ما قرّرت به عيني.

فقال عبد الله بن أبي سرح الكاتب^(١) يا أمير المؤمنين إنهما منافقة فألحقها بزوجها. فنظرت إليه فقالت يا من بين لحييه كجثمان الضفدع ألا قتلت من أنعمك خلعا وأصفاك بكساء، إنما المارق المنافق من قال بغير الصواب، واتخذ العباد كالأرباب، فأنزل كفره في الكتاب.

فأوماً معاوية إلى العاجب بإخراجها فقالت وا عجبا من ابن هند يشير إليّ ببنايه ويعنني نوافذ لسانه، أما والله لأبقرته بكلام عتيد كنوافذ الحديد، أو ما أنا بأمنة بنت الرشيد [ظ الرشيد].

بيان: قوله «أسهل بطاعتي» أي رفع عن نفسه الشدة، يقال أسهل القوم أي صاروا إلى السهل. وفي بعض النسخ «استهل» أي رفع صوته أو صار إليها فرحاً من قولهم استهل فرحاً.

والجثمان الجسد. وأصفيه بالشيء آثرته به. والكساء بالضم جمع الكسوة. وفي بعض النسخ «و أعطاك كيساً» أي كيس الدراهم. ولعلها أرادت زوجها.

٨٤٩- ختص: الأصعب بن نباتة كان من شرطة الخميس وكان فاضلاً^(٢).

حدثنا جعفر بن الحسين عند محمد بن جعفر المؤدّب عن البرقي عن صالح بن أبي حماد عن ابن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن الأصعب بن نباتة، قال قلت للأصعب ما كان منزلة هذا الرجل فيكم فقال ما أدري ما تقول إلا أن سويونا [كانت] على عواتقنا، ومن أوماً إليه ضربناه.

٨٥٠- ختص: محمد بن الحسن الشاذلي عن سعد بن محمد بن أحمد عن محمد بن إسماعيل عن جعفر بن محمد بن الهيثم، عن علي بن الحسين الفزاري عن آدم التمار الحضرمي عن ابن طريف عن ابن نباتة، قال أنبت أمير

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في كتاب الاختصاص ط النجف، وفي أصليها هنا تصحيح.

(٢) رواه الشيخ المفيد مع الحديث التالي - وحديث آخر في الموضوع لم يذكره المصنف ها هنا - في الحديث: (١١١) وما بعده من كتاب الاختصاص ص ٦٠ ط النجف.

المؤمنين ﷺ لأسلم عليه فجلست أنتظره، فخرج إلي فقمعت إليه فسلمت عليه، فضرب على كفي ثم شبك أصابعه في أصابعي ثم قال يا أصبغ بن نباتة قلت ليبيك وسعديك يا أمير المؤمنين. فقال إن ولينا ولي الله. فإذا مات ولي الله كان من الله بالرفيق الأعلى، وسقاه من نهر أبرد من الثلج وأحلى من الشهد وألين من الزبد. فقلت بأبي أنت وأمي وإن كان مذنباً فقال نعم وإن كان مذنباً، أما تقرأ القرآن ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١).

يا أصبغ إن ولينا لو لقي الله و عليه من الذنوب مثل زبد البحر و مثل عدد الرمل لغفرها الله له إن شاء الله تعالى.

٨٥١- كشي: محمد بن قولويه و الحسين بن حسن بن بندار القميان، عن سعد عن الخشاب عن اليقطيني عن ابن أسباط عن عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله يقول كان مع أمير المؤمنين خمسة نفر من قرشي، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية (٢).

فأما الخمسة فمحمد بن أبي بكر رحمة الله عليه، أخته النجاة من قبل أمه أسماء بنت عميس، و كان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، و كان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، و كان أمير المؤمنين ﷺ خاله و هو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك. فقال له جعدة لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك و محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة و الخامس سلف أمير المؤمنين ابن أبي العاص بن ربيعة، و هو صهر النبي ﷺ (و هو) أبو الربيع.

٨٥٢- ختص: ابن قولويه عن أبيه عن سعد مثله.

بيان: [قال الفيروز آبادي] في القاموس السلف ككبد، و كبد من الرجال زوج أخت امرأته، و بينهما أسلوفة صهر، و قد تسالفا و هما سلفان أي متزاولا الأختين. انتهى.

الظاهر أن ضمير «هو» راجع إلى أبي العاص، فإنه كان زوج زينب و اسمه القاسم بن ربيع و أبو الربيع كنية لابن أبي أبي العاص.

و المراد بسلف إما مطلق المصاهرة فإن أمانة بنت أبي العاص كانت عند أمير المؤمنين ﷺ، أو كان عنده أيضاً أخت إحدى زوجاته ﷺ، أو كان ابن سلف فسقط الابن من التناخ.

٨٥٣- كشي: حمدويه و إبراهيم ابنا نصير عن أيوب عن صفوان عن معاوية بن عمار و غير واحد، عن أبي عبد الله ﷺ قال كان عمار بن ياسر و محمد بن أبي بكر لا يرضيان أن يعصى الله عز و جل (٣).

٨٥٤- كشي: نصر بن الصباح عن إسحاق بن محمد البصري عن أمير بن علي، عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال كان أمير المؤمنين يقول إن المحامدة تأتي أن يعصى عز و جل. قلت و من المحامدة قال محمد بن جعفر، و محمد بن أبي بكر، و محمد بن أبي حذيفة، و محمد بن أمير المؤمنين ابن الحنفية رحمهم الله (٤).

أما محمد بن أبي حذيفة [ف] هو ابن عتبة بن ربيعة، و هو ابن خال معاوية.

٨٥٥- كشي: محمد بن مسعود عن علي بن الحسن بن عباس بن عامر عن أبان بن عثمان عن زرارة عن أبي جعفر ﷺ أن المهدي مولى عثمان أتى فبايع أمير المؤمنين علياً و محمد بن أبي بكر جالس، [ف] قال أبايك على أن الأمر كان لك أولاً و أبراً من فلان و فلان، فبايعه (٥).

٨٥٦- أقول: وجدت في كتاب سليم بن قيس الهلالي أنه قال أبان بن أبي عيش أبو الطفيل عامر بن وائلة كان صاحب رسول الله و كان من خيار أصحاب علي ﷺ (٦).

(١) رواه الكشي ﷺ في الحديث الأول من ترجمة محمد بن أبي بكر تحت الرقم: (١٦) من رجاله ص ٦٠ ط النجف.

(٢) رواه الشيخ المفيد ﷺ مع أحاديث أخرى غير مذكور هنا. في عنوان: «محمد بن أبي بكر» في الحديث: (١٢٥) من كتاب الاختصاص ص ٦٥.

(٣) رواه الكشي ﷺ في الحديث الثاني من ترجمة محمد بن أبي بكر تحت الرقم: (١٦) من رجاله ص ٦٠.

(٤) رواه الكشي ﷺ في الحديث الأول من ترجمة محمد بن أبي حذيفة تحت الرقم: (٢٠) من رجاله ص ٦٦ ط النجف.

(٥) رواه الكشي ﷺ في ترجمة المهدي مولى عثمان تحت الرقم: (٤٣) من رجاله ص ٩٦ ط النجف.

(٦) الحديث المذكور في كتاب سليم بن قيس ﷺ.

٨٥٧- نهج: [و] قال ﷺ لعبد الله بن العباس وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيَه لك أن تشير عليّ وأرى فإذا عصيتك فأطعني^(١).

بيان: قال ابن ميثم روي أنه أشار عليه عند انصرافه من مكة حاجًا، وقد بايعه الناس فقال يا أمير المؤمنين إن هذا أمر عظيم يخاف غوائل الناس فيه، فاكتب لطلحة بولاية البصرة وللزبير بولاية الكوفة، واكتب إلى معاوية وذكره القرابة والصلة وأقرّه على ولاية الشام حتى يبايعك، فإن بايعك وجرى على سنّتك وطاعة الله فاتركه على حاله، وإن خالفك فادعه إلى المدينة وأبدله بغيره ولا تموج بحار الفتنة. فقال ﷺ:

معاذ الله أن أفسد ديني بدنيا غيري ولك يا ابن عباس أن تشير إلى آخر الكلام.

٨٥٨- نهج: [و] قال ﷺ وقد توفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة مرجعه من صفين وكان من أحب الناس إليه لو أحبتي جبل لتهافت^(٢).

[قال السيد الرضي] ومعنى ذلك أنّ المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلّا بالأتقاء الأبرار والمصطفين الأخيار. وهذا مثل قوله [ﷺ] «من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلبابا». وقد تؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره.

بيان: التهافت التساقط قطعة قطعة، والتأويل الآخر الذي ذكره السيد رحمه الله، لعله هو ما ذكره ابن ميثم قال أبو عبيد الله [ﷺ] لم يرد الفقر في الدنيا وإنما أراد الفقر يوم القيامة أي فليعدّ لذلك ما يجده من الثواب والتقرب إلى الله تعالى والرّقة لديه.

٨٥٩- نهج: [و] من خبر ضرار بن ضمرة الضّبابي عند دخوله على معاوية ومساءته له عن أمير المؤمنين قال^(٣): فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يستعمل تملل السليم، ويكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا يا دنيا إليك عني، أبي تعرّضت أم إليّ تشوّقت لا حان حينك هيهات غزي غيري، لا حاجة لي فيك وقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير. آه من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد وخشونة المضجع.

بيان: قد مرّ الخبر برواية أخرى.

[و] «هيهات» أي بعد ما تطلين منّي. وخطر الرجل قدره ومنزلته. «وأملك حقير» أي ما يؤمّل منك وفيك.

٨٦٠- نهج: [و] قال ﷺ في ذكر خيّاب بن الأثر^(٤).

يرحم الله خيّابا، فلقد أسلم راغبا، وهاجر طائعا، وعاش مجاهدا.

بيان: قال ابن أبي الحديد خيّاب [كان] من فقراء المسلمين وخيارهم، وكان في الجاهلية قينا يعمل السيوف، وهو قديم إسلام. قيل إنّه كان سادس سنة. وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، وهو معدود في المعبّدين في الله سألّه عمر في أيام خلافته ما لقيت من أهل مكّة فقال انظر إلى ظهري. فنظر فقال ما رأيت كالיום ظهر رجل! شهد مع عليّ ﷺ صفّين ونهروان، وصلى ﷺ عليه.

وكان سنّه يوم مات ثلاثا وسبعين سنة، ودفن بظهر الكوفة وهو أوّل من دفن بظهر الكوفة.

٨٦١- نهج: [و] قال ﷺ في الذين اعتزلوا القتال معه:

خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل.

(١) رواه السيّد الرضيّ في المختار: (٣٢١) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضيّ في المختار: (١١١) من قصار كلام أمير المؤمنين من نهج البلاغة.

(٣) رواه السيّد الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (٧٧) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

(٤) رواه الشريف الرضيّ في المختار: (٤٣) من باب قصار كلام أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

بيان: قال ابن أبي الحديد هم عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة، وأنس بن مالك، وجماعة غيرهم.

[ثم قال] وقد ذكر شيخنا أبو الحسين في [كتاب] الغرر أن أمير المؤمنين لما دعاهم إلى القتال معه واعتذروا أنه قال لهم أنتكروا هذه البيعة قالوا لا ولكننا لا نقاتل. فقال ﷺ إذا بايعتم فقد قاتلتم.

٨٦٢-٨٩٣- نهج: [و] قال ﷺ^(١):

ما كل مفتون يعاتب.

بيان: قال ابن أبي الحديد قالها لسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، لما امتعنا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل.

أقول هذا غير ثابت، ثم إن الكلام يحتمل وجهين:

الأول أنه ليس كل مفتون مستحقا للعتاب، إذ يمكن أن يكون سبب فتنته ما لم يكن باختياره.

والثاني أن يكون المراد [أن] بعض المفتونين لا يعاتبون لعدم نفع الخطاب فيهم.

و [أيضا] قال [ابن أبي الحديد] في موضع آخر من الشرح^(٢) روى أبو يوسف قال قال أبو حنيفة الصحابة كلهم عدول، ما عدا رجلا، ثم عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك.

قال وروي عن عليّ ﷺ أنه قال أكذب الناس على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي.

قال وروي أنه يوم وصل إلى مروان رأس الحسين ﷺ بالمدينة، وهو يومئذ أميرها، صعد المنبر وخطب ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي ﷺ وقال يا محمد يوم بيوم بدر.

قال وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين، أن عدّة من الصحابة والتابعين كانوا منحرفين عن عليّ ﷺ، كاتمين لمتاعبه حبا للدنيا، منهم أنس بن مالك، ناشد عليّ ﷺ في الرحبة، أياكم سمع رسول الله ﷺ يقول «من كنت مولاه فعليّ مولاه». فقام اثنا عشر رجلا فشهدوا بها. وأنس بن مالك لم يقم، فقال له [عليّ] يا أنس ما يمنعك أن تشهد فلقد حضرته فقال يا أمير المؤمنين كبرت سنّي ونسيت فدعا عليه ببرص لا تغطيّ العمامة فابتلي [أنس] به.

[قال] وكان ممن أنكر ذلك اليوم زيد بن أرقم، فدعا عليه بالعمى فكفّ بصره.

قالوا وكان الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي يبغيضانه، وهدم علي دار جرير.

وروى أبو بكر الهذلي عن الزهري عن عبيد الله بن عدي [الأخير] قال قام الأشعث إلى عليّ ﷺ فقال إن الناس زعموا أن رسول الله ﷺ عهد إليك عهدا لم يعهده إلى غيرك.

فقال [عليّ ﷺ] إنّه عهد إلي ما في قرب سفي، لم يعهد إلى غيري ذلك فقال الأشعث هذه إن قلتها فهي عليك لا لك، دعها ترحل عنك.

فقال [عليّ ﷺ] { وما علمك بما عليّ ممّا لي مناقق بن كافر، حائك بن حائك، أنّي لأجد منك بنة الغزل }^(٣).

وروى يحيى البرمكي عن الأعمش أن جريرا والأشعث خرجا إلى الجبان بالكوفة، فمرّ بهما ضبّ يعدو وهما في ذمّ عليّ ﷺ، فنادياه يا أبا حسل هلّم يدك نبايعك بالخلافة. فبلغ عليّا ﷺ قولهما فقال إنهما يحشران يوم القيامة وإمامها ضبّ.

وكان أبو مسعود الأنصاري منحرفا عنه.

وكان كعب الأحبار منحرفا عنه، وكان [عليّ ﷺ] يقول إنّه الكذاب.

وكان الثّعمان بن بشير الأنصاري من المنحرفين عنه وكان من أمراء يزيد.

(١) رواهما السيّد الرضويّ رفع الله مقامه في المختار: (١٥) و (١٨) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) ذكره ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٧٤ ط الحديث بمصر. وفي ط الحديث ببغداد: ج ١ ص ٧٩٠.

(٣) هذا هو الظاهر الموجود في شرح المختار: (٥٦) من خطب نهج البلاغة وفي طبع الكمباني من أصلي: «إنّي لأخذ منك نبذ الغزل».

وفي ط الحديث بمصر من شرح ابن أبي الحديد: «تية الغزل».

وقد روي أَن عمران بن الحصين كان من المنحرفين [عنه] وَأَنَّ علياً سَيَّرَهُ إِلَى المدائن.
ومن الناس من يجعل عمران في الشيعة.

وكان سمرة بن جندب من شرطة زياد [ابن سَمِيَّة أَيَّامَ كَانِ زِيَادَ عَامِلًا لِمَعَاوِيَةَ].

وروي وأصل مولى ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن آبائه [ع] قال كان لسمرة بن جندب نخل في بستان رجل من الأنصار فيؤذيه، فشكا الأنصاري ذلك إلى رسول الله ﷺ، فبعث إلى سمرة ودعا فقال له بع نخلك هذا وخذ ثمنه. قال لا أفعل قال فخذ نخلا مكان نخلك. قال لا أفعله. قال فاشتر منه بستانه. قال لا أفعل قال فاترك لي هذا النخل و لك الجنة. قال لا أفعل [ف] قال ﷺ للأنصاري اذهب فاقطع نخله، فَإِنَّهُ لَا حَقَّ لَهُ فِيهِ.
قال و كان سمرة أَيَّامَ مسير الحسين [ع] إلى الكوفة على شرطة ابن زياد، و كان يحرض الناس على الخروج إلى الحسين و قتاله.

ومن المبغضين له عبد الله بن الزبير، وكان عليّ يقول ما زال الزبير منّا أهل البيت، حتّى نشأ ابنه عبد الله فأفسده.
و كان يبيغض بني هاشم، و يلعن و يسبّ عليا و روى [إبراهيم] صاحب كتاب الغارات ^(١) عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله قال ذكر المغيرة بن شعبة عند عليّ ﷺ و جدّه مع معاوية فقال و ما المغيرة إلّا ما كان إسلامه لفجرة و غدرة غدراها بنفر من قومه، فهرب فأتى النبي ﷺ كالعائذ بالإسلام، و الله ما رأى عليه أحد منذ ادّعى الإسلام خضوعا و لا خشوعا ألا و إِنَّهُ كاتِئَةٌ مِنْ تَقِيْفٍ فَرَاعَنَتْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَجَانِبُونَ الْحَقَّ، و يوقدون نيران الحرب، و يوازرون الظالمين.

ألا إِنَّ تَقِيْفًا قَوْمٌ غَدَرَ لَا يُوْفُونَ بِالْعَهْدِ، يَبْغِضُونَ الْعَرَبَ، كَاتِبَهُمْ لَيْسُوا مِنْهُمْ، و إِنَّ الصَّالِحَ فِي تَقِيْفٍ لَغَرِيبٌ.
وقال شيخنا أبو القاسم البلخي من المعلوم أَن الوليد بن عقبة كان يبيغض عليا و يشتمه، و أَنَّهُ الَّذِي لَاحَاهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ و نابذه و قال له أَنَا أَثْبِتُ مِنْكَ جَنَانًا و أَحَدُ سَنَانَا فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ﷺ اسْكُتْ يَا فَاسِقُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كُنَّ كَانًا فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ فكان لا يعرف في حياة رسول الله ﷺ إلّا بالوليد الفاسق، و سمّاه الله في آية أخرى فاسقا و هو قوله تعالى ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ و كان يبيغض رسول الله ﷺ، و أبوه عقبة بن أبي معيط، هو العدو الأزرق بمكة، و كان يؤذي رسول الله ﷺ.

وروي إبراهيم أَن مَمْنُ فَارَقَ عَلِيًّا ﷺ، يَزِيدُ بِحِجَّةِ التَّمِيمِ، و كان ﷺ استعمله على الرّي فكسر الخراج، و احتجبه لنفسه، فحبسه عليّ ﷺ و جعل معه سعدا مولا، فقرب يزيد ركانيه و سعد نائم، و التحق بمعاوية، و كتب إلى العراق شعرا يذمّ فيه عليا ﷺ، و يخبره أَنَّهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، فدعا [ع] عليه [و] قال لأصحابه عقب الصلاة ارفعوا أيديكم فادعوا عليه. [فدعا عليه] و أَمَّنْ أَصْحَابُهُ.

قال أبو الصلت التميمي [و] كان دعاؤه عليه اللهم إِنَّ يَزِيدَ بْنَ حِجَّةٍ هَرَبَ بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ، و لحق بالقوم الفاسقين، فاكفنا مكروه و كيده و اجزه جزاء الظالمين.

[قال] و رفع القوم أيديهم يؤمنون عليه [و كان في المسجد عفاق. بن شرحبيل بن أبي رهم التميمي شيخا كبيرا و كان يعدّ من شهد على جبر بن عديّ حتّى قتله معاوية، فقال عفاق على من يدعو القوم قالوا على يزيد بن حجة. فقال تربت أيديكم أعلى أشرفنا تدعون فقاموا إليه فضربوه حتى كاد [أَن] يهلك، و قام زياد بن خصفة و كان من شيعة علي فقال دعوا لي ابن عتيّ. فقال عليّ ﷺ دعوا للرجل ابن عمّه. فتركه الناس، فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد و جعل يمشي معه [و] يمسح التراب عن وجهه و عفاق يقول و الله لا أَحْبَبُكُمْ مَا سَعَيْتَ و مشيت، و الله لا أَحْبَبُكُمْ مَا اخْتَلَفَتِ الذُّرَّةُ وَ الْحَرَّةُ. و زياد يقول [له] ذَلِكَ أَضْرُّ لَكَ ذَلِكَ شَرُّ لَكَ ^(٢).

وَمَمْنُ فَارَقَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَسْعُودٍ التَّقْفِي.

و منهم النجاشي الشاعِر.

(١) رواه التقفي في الحديث: (١٩٠) من تلخيص كتاب الغارات ص ١٦ ط ١.
(٢) ما بين المقوفين مأخوذ من شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٨٥ ط مصر.

أوسب مفارقة النجاشي أنه شرب الخمر بالكوفة في أول يوم من شهر رمضان، فأتى به علياً، فأقامه في سراويل فضربه ثمانين ثم زاده عشرين، فقال يا أمير المؤمنين أما الحد قد عرفته فما هذه العلاوة. قال لجرأتك على الله وإفطارك في شهر رمضان، فغضب و لحق بمعاوية و هجا عليا.

٢٩٢
٣٤

و قال صاحب كتاب الغارات إن علياً لما حد النجاشي غضب اليمانية، فدخل طارق بن عبد الله عليه فقال يا أمير المؤمنين ما كنت أرى أن أهل المعصية والطاعة، وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيان في الجزاء، حتى رأينا ما كان من صنعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورنا، وشتت أمورنا، وحملتنا على الجادة التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار. فقال [علي] ﴿وَأَيْنَمَا لَكُمُ الْبَصِيرَةُ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(١) يا أخا نهد و هل هو إلّا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فأقمنا عليه حداً كان كفارته إن الله تعالى يقول ﴿وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَيْءٌ أَنْ قُومَ عَلَى الْآثِغِدْلُوا اغْدُلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فلما جته الليل همس هو و النجاشي إلى معاوية.

قال [إبراهيم] و من المقارنين لعليّ أخوه عقيل. قدم [عقيل] على [أخيه] أمير المؤمنين ﷺ [بالكوفة يسترفده، فعرض عليه عطاه فقال [عقيل] إنما أريد من بيت المال. فلما صلى عليّ الجمعة قال له [يا عقيل] ما تقول في من خان هؤلاء أجمعين قال يشس الرجل قال فإنك أمرتني أن أخونهم و أعطيك.

فلما خرج [عقيل] من عنده شخص إلى معاوية، فأمر له [معاوية] يوم قدومه بمائة ألف درهم، و قال له يا أبا يزيد أنا خير لك أم علي قال [عقيل] وجدت علياً أنظر لنفسه منك، و وجدتك أنظر لي منك لنفسك.

وقال معاوية لعقيل إن فيكم يا بني هاشم للينا. قال أجل إن فينا للينا من غير ضعف، و عزاً من غير عنف، و إن لينكم يا معاوية غدر، و سلمكم كفر. فقال معاوية و لا كل هذا يا أبا يزيد. [ف] قال عقيل

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع و ما علم الإنسان إلّا ليعلمنا

إن السفاهة طيش من خلافتكم لا قدس الله أخلاق الصلّاعينا

فأراد معاوية أن يقطع كلامه فقال ما معنى (طه) قال نحن أهله و علينا نزل، لا على أبيك و لا على أهل بيتك. (طه) بالعبرانية يا رجل.

٢٩٣
٣٤

وقال له الوليد غلبك أخوك على الثروة قال نعم، و سبقتني و إياك إلى الجنة.

وقال معاوية يوماً و عنده عمرو بن العاص و قد أقبل عقيل لأضحكتك من عقيل. فلما سلم [عقيل] قال معاوية مرحبا برجل عمه أبو لهب. قال عقيل و أهلا بمن عمته حمالة الحطب في جديها خيل من مسد. لأن امرأة أبي لهب أم جميل بنت حرب. [ف] قال معاوية يا أبا يزيد ما ظنك بعثك أبي لهب قال [عقيل] إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشا عمّتك حمالة الحطب، أفناكح في النار خير أم منكوح قال كلاهما شرّ سواء و الله.

وممن فارقه حنظلة الكاتب، و وائل بن حجر الحضرمي.

وروي أن ثلاثة من أهل البصرة كانوا يتواصلون على بغض عليّ ﷺ، [و هم] مطرف بن عبد الله، و العلاء بن زياد و عبد الله بن شقيق.

وروي صاحب كتاب الغارات بإسناده عن أبي فاختة قال كنت عند عليّ فأتاه رجل عليه زي السفر، فقال يا أمير المؤمنين إني أتيتك من بلد ما رأيت لك بها محباً. قال من أين أتيت قال من البصرة. قال أما إنهم لو استطاعوا أن يحبوني لأحبوني، و إني و شيعتي في ميثاق الله لا يزداد فينا رجل و لا ينقص إلى يوم القيامة.

وروي أبوغشان البصري قال بنى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي بن أبي طالب ﷺ والواقعة فيه، مسجد بني عدي، و مسجد بني مجاشع، و مسجد كان في العلافين على وجه البصرة، و مسجد في الأزد.

و ممن قال فيه أنه يبغض علياً و يذمه الحسن بن أبي الحسن البصري [أبو سعيد] روى [عنه] حماد بن سلمة أنه قال لو كان عليّ يأكل الحشف بالمدينة، لكان خيراً له مما دخل فيه.

٢٩٤
٣٤

وروي أنه كان من المخذلين عن نصرته.

وروا عنه أن علياً رآه وهو يتوضأ للصلاة، وكان ذا وسوسة، فصَبَّ على أعضائه ماء كثيراً، فقال له أرقت ماء كثيراً يا حسن. فقال له ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر. قال أو ساءك ذلك قال نعم. قال فلا زلت مسوءاً قال فما زال عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات.

ثم قال ابن أبي الحديد| فأما أصحابنا فإنهم يدفعون ذلك عنه ويقولون إنه كان من محبيه و المعظمين له. وروي له أبان بن عتياش قال سألت الحسن البصري عن علي، فقال ما أقول فيه، كانت له السابقة و الفضل و العلم و الحكمة و الفقه و الرأي و الصحة و البلاء و النجدة و الزهد و القضاء و القرابة، إن علياً كان في أمره علياً فرحم الله علياً و صلى عليه. فقلت يا إياي سعيد أنقول صلى الله عليه لغير النبي ﷺ فقال ترحم على المسلمين إذا ذكروا، و صلى على النبي و آله، و علي خير آله. فقلت أهو خير من حمزة و جعفر قال نعم. قلت (هو) خير من فاطمة و ابنها قال نعم و الله، إنه خير من آل محمد كلهم، و من يشك أنه خير منهم وقد قال رسول الله ﷺ «و أبوهما خير منهما» و لم يجر عليه اسم شرك و لا شرب خمر و قد قال رسول الله ﷺ لفاطمة «و جتكت خير أمتي». فلو كان في أمته خير منه لاستثناه.

ولقد آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه و آخى بين علي و نفسه، فرسول الله خير الناس نفساً و خيراً لهم أختاً. فقلت يا إياي سعيد فما هذا الذي يقال عنك أنك قتله في علي فقال يا ابن أخي أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، و لو لا ذلك لسال بي الخشب.

٢٩٥
٣٤

وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي و وجدته أيضاً في كتاب الغارات^(١):

وقد كان بالكوفة من فقهاءنا من يعادي علياً و يبغضه مع غلبة التشيع على الكوفة. فمنهم مروة الهمداني.

فروي أنه قيل لمروة كيف تخلفت عن علي فإ | قال سبقنا بحسناته و أثقلنا بسيئاته. ومنهم الأسود بن يزيد، و مسروق بن الأجدع.

وروي أن مسروقاً رجع عن ذلك.

ومنهم شريح القاضي و قد روي أنه طرد من الكوفة و بعثه ﷺ إلى «بانتقيا» شهرين يقضي بين اليهود.

ومنهم أبو وائل شقيق بن سلمة كان عثمانياً يقع في علي ﷺ. و يقال إنه كان يرى رأي الخوارج.

ومن المبغضين [لعلي ﷺ] أبو بردة بن أبي موسى الأشعري [فإنه ورث البغض عن كلاله].

ومن المنحرفين عنه ﷺ أبو عبد الرحمن السلمي.

ومنهم قيس بن أبي حازم، و سعيد بن المسيب، و الزهري، و عروة بن الزبير.

وكان زيد بن ثابت عثمانياً يحرض الناس على سبه ﷺ.

٢٩٦
٣٤

وكان المكحول من المبغضين له ﷺ، و كذا حماد بن زيد.

أقول: قد بسط [التقفي] الكلام في كتاب الغارات في عد هؤلاء الأشقياء و بيان أحوالهم، و روى عن عطاء بن السائب قال قال رجل لأبي عبد الرحمن السلمي أنشدك بالله [إنا أن] تخبرني [بما أسألك عنه، فسكت] فلما أكد عليه [قال نعم] قال بالله [عليك] هل أبغضت علياً [إنا يوم قسم المال في أهل الكوفة فلم يصلك و لا أهل بيتك منه بشيء]^(٢) قال أما إذ أنشدتني بالله فكان ذلك.

وقال بعث أسامة بن زيد إلى علي ﷺ أن ابعت إلي بطائني فو الله [إنك] لتعلم أنك لو كنت في قم أسد لدخلت معك.

(١) ذكره وما بعده في الحديث: (٢١٢) وما بعده من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٥٨ - ٥٦٧.

(٢) الحديث موجود تحت الرقم: (٢١٨) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٦٧ ط ١.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٨٠٨.

فكتب إليه [علي] إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَمَنْ جَاهَدَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ هَذَا مَالِي بِالْمَدِينَةِ فَأَصَبَ مِنْهُ مَا شِئْتُ^(١).

ثم ذكر رواية تدلُّ على أَنَّ عروة بن الزبير و الزهري كانا ينالان من علي عليه السلام فنهاهما عنه علي بن الحسين^(٢).

و عن أبي داود الهمداني قال شهدت سعيد بن المسيَّب و أقبل عمر بن علي بن أبي طالب فقال له سعيد يا ابن أخي ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله ﷺ كما يفعل إخوانك و بنو عمك فقال عمر يا ابن المسيَّب أكلما دخلت المسجد فأجنيء فأشهدك. فقال سعيد ما أحبُّ أَنْ تغضب، سمعت والدك علياً يقول و الله إن لي من الله مقاما هو خير لبي عبد المطلب ممّا على الأرض من شيء.

قال عمر سمعت والدي يقول ما كلمة حكمة في قلب منافق يخرج من الدنيا حتّى يتكلّم بها. [فقال سعيد يا ابن أخي جعلتني منافقا] فقال [عمر] ذلك ما أقول لك. قال ثم انصرف.

ثم قال ابن أبي الحديد و قال شيخنا أبو جعفر الإسكافي كان أهل البصرة كلهم يبغيضونه قاطبة، و كانت قريش كلّها على خلافه، و كان جمهور الخلق مع بني أمية.

و روى عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال سمعت علياً عليه السلام و هو يقول ما لقي أحد من الناس ما لقيت ثم بكى علي عليه السلام^(٣).

و روى أبو عمرو النهدي قال سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول ما بمكة و المدينة عشرون رجلا يحبّان^(٤).

قال و روى ابن هلال الثقفى في كتاب الغارات عن زكريّا بن يحيى العطار عن فضيل عن محمد بن علي قال لما قال علي:

«سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة و تهدي مائة، إلّا أنيأتكم بناعقها و ساقعها».

فقام إليه رجل فقال أخبرني كم في رأسي و لحيتي من طاقة شعرا!

فقال [علي] و الله لقد حدثني خليلي، أنّ على كلّ طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك، و أنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، و أنّ في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله ﷺ و كان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا يحبو و هو سنان بن أنس النخعي^(٥).

و روى الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالي عن أبي إسحاق السبيعي عن سويد بن غفلة أنّ علياً عليه السلام خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره فقال يا أمير المؤمنين إني مرت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات فاستقر له. فقال عليه السلام و الله ما مات و لا يموت حتّى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمّاد [جَمَّار «خ»].

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمّاد، و إني لك شيعة و محبّ. فقال [علي] أنت حبيب بن حمّاد قال نعم. قال له ثانية الله إنك لحبيب بن حمّاد [جَمَّار «خ»]. فقال إي و الله. قال أما و الله إنك لحاملها و لتحملنها، و لتدخلن بها من هذا الباب. و أشار إلى باب القيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت فوالله ما مت حتّى رأيت ابن زياد و قد بعث عمر بن سعد إلى [حرب] الحسين عليه السلام، و جعل خالد بن عرفطة [من رجال صحاح أهل السنة] على مقدّمته، و حبيب بن حمّاد صاحب رايته، فدخل بها من باب القيل^(٦).

وروى محمد بن جبلة الخياط عن عكرمة عن يزيد الأحمسي أنّ علياً عليه السلام كان جالسا في مسجد الكوفة و بين يديه قوم، منهم عمرو بن حريث، إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تعرف، فوقفت فقالت لعلي عليه السلام يا من قتل الرجال و سفك

(١) وهذا مذكور في الحديث: (٢٢٧) من منتخب كتاب الغارات ص ٥٧٦ ط ١.

(٢) ذكره الثقفى في الحديث: (٢٢٨) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٥٧ ط ١.

(٣) منتخب كتاب الغارات ص ٥٨٣.

(٤) الحديث موجود تحت الرقم: (٢٢٥) من منتخب كتاب الغارات ص ٥٧٣ ط ١.

(٥) وقربا منه جداً أيضاً الشيخ المفيد في أخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن الغيب من كتاب الإرشاد ص ١٧٤، ط النجف.

وهذا ما بعده رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٧) من نهج البلاغة ج ١، ص ٤٧٥ ط الحديقة ببيروت، وفي ط الحديقة بمصر: ج ٢ ص ٢٨٨.

(٦) والحديث رواه الشيخ المفيد عليه السلام مسنداً في عنوان: «جهات علوم الأئمة» في أواسط كتاب الاختصاص ص ٢٧٣.

ورواه أيضاً في أخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن الغيب من كتاب الإرشاد، ص ١٧٣، ط النجف.

الدماء وأيتم الصبيان وأرمل النساء فقال علي عليه السلام وإنها لهي هذه السلققة الجلعة المجعة، وإنها لهي هذه شبيهة الرجال والنساء التي ما رأت دما قط.

فولت المرأة هاربة منكسة رأسها، فاتبعها عمرو بن حريث، فلما صارت بالرحبة قال لها والله لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتى أحب لك وأكسوك. فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكت وسألته أن لا يكشفها وقالت أنا والله كما قال، لي ركب الرجال، وأنني كأنني الرجال، وما رأيت دما قط. فتركها وأخرجها.

ثم جاء (عمرو) إلى علي عليه السلام فأخبره فقال إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخبرني بالمتبردين علي من الرجال، و المتبردات من النساء إلى أن تقوم الساعة^(١).

قال ابن أبي الحديد السلقق السليطة، وهو الذئب. والجلعة المجعة البذية اللسان. والركب منبت العانة. و روى عثمان بن سعيد عن يحيى التيمي عن الأعمش عن إسماعيل ابن رجاة قال قام أعشى باهلة وهو غلام يومئذ حدث إلى علي عليه السلام، وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة فقال علي عليه السلام إن كنت أنما فيما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف. ثم سكت.

٣٠٠
٣٤

فقالوا ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين!

قال غلام يملك بلدتكم هذه، لا يترك لله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه. فقالوا كم يملك يا أمير المؤمنين قال عشرين إن بلغها قالوا فيقتل قتلا أم يموت موتا قال بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يتقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاة فو الله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة وقد أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج، فقرعه وبيّحه واستنشد شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في هذا المجلس.

و روى محمد بن علي الصواف عن الحسين بن سفيان عن أبيه عن شهير [شمير «خ»] بن سدير الأزدي قال قال علي لعمر بن الحمق الخزاعي أين نزلت يا عمرو قال في قومي. قال لا تنزلن فيهم أفأنزل في بني كنانة جيراننا قال لا. قال أفأنزل في ثقيف قال فما تصنع بالمعرة والمجرة قال وما هما قال عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفة، أحدهما على تميم وبكر بن وائل، فقلما يفلت منه أحد، ويأتي العنق الآخر فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة، فقل ما يصيب منهم. إنما هو يدخل الدار فيحرق البيت والبيتين. قال فأين أنزل قال في بني عمرو بن عامر من الأزد. قال فقال قوم حضروا هذا الكلام ما نراه إلا كاهنا يتحدّث بحديث الكهنة.

٣٠١
٣٤

فقال يا عمرو إنك لمقتول بعدي، وإن رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك، أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك، إلا هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنهم يسلموك ولن يخذلوك.

قال فو الله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في أحياء العرب خائفا مذعورا، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام. وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد و روى إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبة العرنى قال كان جويرية بن مسهر العبدي صالحا، وكان لعلي صديقا، وكان علي عليه السلام يحبه، ونظر يوما إليه وهو يسير، فناده يا جويرية الحق بي فأبى إذا رأيتك هويتك.

قال إسماعيل بن أبان فحدثني الصباح عن مسلم عن حبة العرنى قال سرنا مع علي عليه السلام يوما، فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيدا، فناده يا جويرية الحق بي لا أيا لك ألا تعلم أتني أهواك وأحبك قال فركض (جويرية) نحوه فقال له إني محدّثك بأمر فاحفظها. [قال حبة] ثم اشتركا في الحديث سرا، فقال له جويرية يا أمير المؤمنين أنا رجل نسي. فقال أنا أعيد عليك الحديث لتحفظه، ثم قال في آخر ما حدثه إياه يا جويرية أحب حبيبا ما أحبنا فإذا أبغضنا فابغضه، وأبغض بغضنا ما أبغضنا فإذا أحبنا فأحبّه.

(١) وقرباً منه رواه الشيخ المفيد رحمه الله بأسانيد في أواخر كتاب الاختصاص ص ٢٩٦ - ٣٠٠ ط النجف.

قال فكان ناس ممن يشك في أمر علي عليه السلام يقولون أترأه جعل جوريرة وصيته كما يدعي هو من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال [حبة] يقولون ذلك لشدة اختصاصه به حتى دخل على علي عليه السلام يوما، وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه، فناداه جوريرة أيها النائم استيقظ فلتضربن على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك. قال فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال وأحدثك يا جوريرة بأمرك، أما والذي نفسي بيده، لتعلنن إلى العتل الزنيم فليقطعن يدك ورجلك، ويصلبنك تحت جذع كافر.

٣٠٢
٣١

قال فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جوريرة، فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن بني معكير وكان جذعا طويلا فصلبه على جذع قصير إلى جانبه.

وروى إبراهيم في كتاب الغارات عن أحمد بن الحسن الهيثمي قال كان ميثم التمار مولى علي عليه السلام عبدا لامرأة من بني أسد، فاشتره علي عليه السلام وأعتقه فقال له ما اسمك قال سالم. فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أن اسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم. قال صدق الله ورسوله وصدقت، هو اسمي قال فارجع إلى اسمك ودع سالما فنحن نكتيك به. فكانه أبا سالم.

قال: وقد كان أطلععه علي عليه السلام على علم كثير وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك فيشك فيه قوم من أهل الكوفة، وينسبون عليا عليه السلام إلى المخرفة والإيهام والتدليس، حتى قال له يوما بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشاك والمخلص يا ميثم إنك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفكك دما حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث، طعنت بحربة فيقضي عليك، فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشية وأقربهم من المطهرة يعني الأرض ولأرتبك النخلة التي تصلب على جذعها، ثم أراها إياها بعد ذلك بيومين، فكان ميثم يأتيها فيصلي عندها فيقول بوركنت من نخلة، لك خلقت، ولي نبت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي عليه السلام حتى قطعت، فكان يرصد جذعها ويتعاهده ويتدرد إليه ويصره. وكان يلقى عمرو بن حريث فيقول إني مجاورك فأحسن جوارِي، فلا يعلم عمرو ما يريد. فيقول له أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم.

٣٠٣
٣٢

أقول ثم ذكر قصة شهادته نحو ما سنذكره في باب أحواله رحمه الله.

ثم قال قال إبراهيم [و] حدثني إبراهيم بن العباس عن مبارك البجلي عن أبي بكر بن عياش، عن مجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال كنت عند زياد وقد أتني برشيد الهجري، وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام، فقال له زياد ما قال لك خليلك أنا فاعلون بك قال تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني. فقال زياد أما والله لأكذبن حديثه، خلّوا سبيله فلما أراد أن يخرج قال ردّوه، لا نجد لك شيئا أصلح مما قال صاحبك، إنك لن تزال تبغي لنا سوءا إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلم، فقال اصلبوه خنقا في عنقه. فقال رشيد وقد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلنتموه. فقال زياد اقطعوا لسانه. فلما أخرجوا لسانه [ليقطع] قال نفّسوا عني حتى أتكم كلمة واحدة. فنّفّسوا عنه فقال والله هذا تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه.

وروى أبو داود الطيالسي عن سليمان بن زريق عن عبد العزيز بن صهيب قال حدثني أبو العالية قال حدثني مزروع صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام، إنه قال ليقبلن جيش حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم.

قال أبو العالية قلت فإنيك لتحدثني [بالغيب فقال [مزروع] احفظ ما أقول لك فأنا حدثني به الثقة علي بن أبي طالب عليه السلام.

[قال] وحدثني أيضا شيئا آخر، [قال لتؤخذن فلتقتلن وتصلبن بين شرفتين من شرف المسجد.

[قال أبو العالية] فقلت له إنك لتحدثني بالغيب فقال احفظ ما أقول لك.

٣٠٤
٣٣

قال أبو العالية فوالله ما أتت علينا جمعة حتى أخذ مزروع، فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد.

وروى محمد بن موسى العنزي قال كان مالك بن ضمرة الرواسي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن استبطن من جهته علما كثيرا، وكان أيضا قد صحب أبا ذر فأخذ من علمه، وكان يقول في أيام بني أمية اللهم لا تجعلني شر

الثلاثة. فيقال له و ما الثلاثة فيقول رجل يرمى به من فوق طمار، و رجل تقطع يده و رجلاه و يصلب، و رجل يموت على فراشه.

فكان من الناس من يهزأ به و يقول هو من أكاذيب أبي تراب. قال فكان الذي رمي به من طمار هاني بن عروة، و الذي قطع و صلب رشيد الهجري، و مات مالك على فراشه.

و قال ابن أبي الحديد و روى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدى عن ربيعة بن مالك السعدي قال أتيت حذيفة بن اليمان فقلت يا أبا عبد الله إن الناس ليحدثون عن علي بن أبي طالب و مناقبه فيقول لهم أهل البصرة إنكم لتفرتون في تزييف هذا الرجل. فهل أنت محدثي حديث عنه أذكره للناس فقال [حذيفة] يا ربيعة و ما الذي تسألني عن علي و ما الذي أحدثك به عنه و الذي نفس حذيفة بيده، لو وضع جميع أعمال أمة محمد ﷺ في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمدا ﷺ إلى يوم الناس هذا، و وضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها.

فقال ربيعة هذا المدح الذي لا يقام له و لا يقعد و لا يحمل، إنني لأظنه إسرافا يا أبا عبد الله. فقال حذيفة يا لكع و كان لا يحمل و أين كان المسلمون يوم الخندق و قد عبر إليهم عمرو و أصحابه، فملكهم الهلع و الجزع، و دعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علي ﷺ فقتله؟

و الذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من أعمال أمة محمد ﷺ إلى هذا اليوم و إلى أن تقوم الساعة^(١).
توضيح: [قوله] «إنني لأخذ منك» لعله استفهام إنكاري أي إنني لا أحتاج إلى فضول علمك و ثمرات رأيك، شبهها بما ينبذ من فضول الغزل عند الحياكة لمناسبة كون الملعون حائكا.

و قال الجوهري الهمس الصوت الخفي. و همس الأقدام أخفى ما يكون من صوت القدم. و قال الرمة قطعة من الجبل بالية و منه قولهم «دفع إلي الشيء برمته». و أصله أن رجلا دفع إلى رجل بعيرا يحبل في عنقه، فقبل ذلك لكل من دفع شيئا يحملته. و قال عنتل الرجل عنتله و اعتله إذا جذبته جذبا عنيفا، و العتل الجافي الغليظ. و قال الزنيم المستلحق في قوم ليس منهم [و] لا يحتاج إليه و قيل هو اللثيم الذي يعرف بلوؤه.

قوله «تحت جذع كافر» بالإضافة و يحتمل التوضيف. قال [الفيروز آبادي] في القاموس الكافر من الأرض ما بعد عن الناس. و الكفر الخشبة الغليظة القصيرة. و الأول أظهر.

و قال [الجواهري] في الصحاح الطمار المكان المرتفع. و قال التفرغ مدح الإنسان و هو حي. و قيل مدحه بباطل أو حق.

٣٠٦
٣٤ ٨٩٤- نهج: [و] قال ﷺ لعنار بن ياسر و قد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما دعه يا عتار فإنه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربته الدنيا [و] على عمد لبس على نفسه، ليجعل الشبهات عاذرا لسلطانه^(٢).

بيان: السقطة العثرة و الزلة.

٨٩٥- نهج: [و] قال ﷺ للأشعث بن قيس معزّايا إن صبرت صبر الأكارم، إلّا سلوت سلو البهائم^(٣).

بيان: سلاه و سلاعه سلوا و سلوانسيه فتسلى، و المعنى إن صبرت عند المصيبة و رضيت بقضاء الله. كنت من الأكارم و الأفاضل و فزت بالثواب، و إن لم تصبر فلا محالة تنسى المصيبة و تترك الجزع بعد زمان كالبهائم، فإنها تنسى ما يصيبها بعد ذهاب ألمها و لا ثواب لها.

(١) و هذا المعنى قد رواه الحافظ الحسكاني بأسانيد في تفسير الآية: (٢٥) من سورة الأحزاب في الحديث: (٦٣٤) و ما بعده من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٥.
ورواه أيضا عن مصادر العلامة الأميني ﷺ في الفدير: ج ٧ ص ٢٠٦ ط بيروت.
(٢) رواه الشريف الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٤٠٥) من قصار كلام أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة. و للكلام مصادر أخر يجد الباحث بعضها في المختار: (٧٨) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٢٥٦.
(٣) رواه السيد الرضي ﷺ في المختار: (٤١٤) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

٨٩٦-كا: أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار، و محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعا عن صفوان بن يحيى عن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال إن الرجل كان في القبيلة من شيعة علي عليه السلام، فيكون زينها أذاهم للأمانة، و أقضاهم للحقوق و أصدقهم، إليه وصاياهم و ودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول من مثل فلان إنه لأذانا للأمانة و أصدقنا للحديث^(١).

٨٩٧-نهج: [و] قال عليه السلام يهلك في رجلان محب غال و مبغض قال^(٢).

بيان: قلاه أي كرهه وأبغضه. وهو يشمل المخالفين أيضا لأن تقديم غيره عليه بغض له.

٨٩٨-٨٩٩-كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي عن يوسف بن كليب السعدي عن معاوية بن هشام عن الصباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن أصحابه عن علي عليه السلام أنه قال ادعوا لي غنيا و باهلة و حيا آخر قد ستمهم فليأخذوا عطاياهم، فو الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما لهم في الإسلام نصيب، و إني لشاهد لهم في منزلي عند الحوض و عند المقام المحمود أنهم أعدائي في الدنيا و الآخرة^(٣).

ولئن ثبت قدمي لأردن قبائل إلى قبائل و قبائل إلى قبائل، و لأهجرن ستن قبيلة ما لهم في الإسلام نصيب.

و عن يوسف بن كليب عن يحيى بن سالم عن عمرو بن عمير عن أبيه عنه عليه السلام مثله.

٩٠٠-نهج: [و] في حديثه عليه السلام^(٤):

هذا الخطيب الشحشع.

قال السيد [الرضي] رحمه الله يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها، و كلّ ماض في كلام أو سير فهو شحشع، و الشحشع في غير هذا الموضع البخيل الممسك.

بيان: قال ابن أبي الحديد هذه الكلمة قالها عليه السلام [لصعصعة بن صوحان، و كفى له فخرا أن يشني له

علي عليه السلام بالمهارة و فصاحة اللسان، و كان صعصعة من أفصح الناس، ذكر ذلك شيخنا أبو عثمان.

٩٠١-نهج: [و] من كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة و هو من شيعته، و ذلك إنه قدم عليه في خلافته يطلب منه

ملا فقال عليه السلام إن هذا المال ليس لي و لا لك، و إنما هو في المسلمين و جلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، و إلّا فجنة أيديهم لا تكون لغير أئوهم^(٥).

بيان: جلب أسيافهم بالتحريك ما اجتلبته أسيافهم و ساقته إليهم.

٩٠٢-نهج: [و] هنا بحضرته عليه السلام رجل رجلا بغلام ولد له فقال ليهنك الفارس. فقال عليه السلام لا تقل ذاك و لكن قل

شكرت الواهب، و بورك لك في الموهوب، و بلغ أشده، و رزقت برّه^(٦).

بيان: «شكرت الواهب» جملة دعائية أي رزقك الله شكره. و الأشد القوة و فتر بما بين ثمانين

عشر إلى ثلاثين.

٩٠٣-نهج: [و] بنى رجل من عماله عليه السلام بناء فخما فقال [علي عليه السلام]^(٧).

أطلعت الورق رءوسها. إن البناء ليصف لك الغنى.

بيان: قال الجوهرى رجل فخم أي عظيم القدر. و قال الورق الدراهم المضروبة.

(١) رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في ذيل الحديث الأخير من الباب الأوّل من كتاب العشرة من أصول الكافي: ج ٢ ص ٦٦٦.

(٢) رواه السيد الرضى عليه السلام في المختار: (١١٧) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

(٣) رواه مع التالي إبراهيم بن محمد الثقفي عليه السلام في الحديث: (٥) من كتاب الغارات ص ٢٠.

ورواه عنه شيخ الطائفة بسنده عن الثقفي في أواخر الجزء الرابع من كتاب الأمالي ص ١٧٢، و في ط بيروت ص ١١٦.

وليلاحظ ما تقدم عن المصنف في هذا المجلد ص ٧٠٤ ط الكماني.

(٤) رواه الشريف الرضى في المختار الثاني من غريب كلام أمير المؤمنين عليه السلام المذكور بعد المختار: (٢٦٠) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٥) رواه السيد الرضى عليه السلام و رضوان الله عليه في المختار: (٢٣٠) من كتاب نهج البلاغة.

(٦) رواه السيد الرضى عليه السلام في المختار: (٣٥٤) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٧) رواه الشريف الرضى عليه السلام و رضوان الله عليه في المختار: (٣٥٥) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

٩٠٤- نهج: [و] قال ﷺ و قد عزى الأشعث بن قيس عن ابن له^(١):

يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم، وإن تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف.
يا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك وأنت مأزور.
[يا أشعث ابنك سرّك وهو بلاء و فتنة، و حزنك و هو ثواب و رحمة.

٣١٠
٣٤

بيان: «إن تحزن» ظاهره جواز الحزن، ولا ينافي كونه مأزورا على الجزع، فإنّ الحزن غير الجزع.
وقال الشيخ رضي رحمه الله قولهم «في الله من كل ما فات خلف» أي في أظفانه.
وقال الجوهرى الوزر الإثم و الثقل قال الأخفش تقول منه وزر يوزر، و وزر يزر، و وزر يوزر،
فهو موزور. و إمّا قال في الحديث «مأزورات» لمكان «مأجورات»، و لو أفرّد لقال موزورات.
[و قوله «سرّك» أي الولد. و كونه فتنة لقوله تعالى «إِنَّمَا أَثْوَالُكُمْ وَ أُولَاكُمْ فِتْنَةٌ».

٩٠٥- بيح: روي أنّ عليّاً قال يوما لو وجدت رجلا ثقة لبعثت معه بمال إلى المدائن إلى شيعتي. فقال رجل في نفسه لآتيته و لأقولنّ أنا أذهب بالمال فهو يثق بي، فإذا أخذته أخذت طريق الشام إلى معاوية، فجاء إلى عليّ ﷺ فقال يا أمير المؤمنين أنا أذهب بالمال، فرفع رأسه إليّ و قال إليك عني تأخذ طريق الشام إلى معاوية^(٢).

٩٠٦- نهج: [و] قيل إنّ الحارث بن حوط أتاها ﷺ فقال أتراني [أظنّ أنّ] أصحاب الجمل كانوا على ضلالة فقال ﷺ يا حارث إنك نظرت تحتك و لم تنظر فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحقّ فتعرف أهله، و لم تعرف الباطل فتعرف من أتاها^(٣).
فقال الحارث فإني أعترل مع سعد بن مالك و عبد الله بن عمر، فقال ﷺ إنّ سعدا و عبد الله لم ينصرا الحقّ و لم يخذلا الباطل.

٣١١
٣٤

بيان: قال الراوندي الصحيح «ابن حوط» بالحاء المهملة المفتوحة و [وجدت] بسخط الرضي بالمعجمة المضمومة. و [قوله] «يا حار» في بعض النسخ بضمّ الراء و في بعضها بكسرهما.

[قوله ﷺ] «نظرت تحتك» أي إلى الأمر الظاهر الذي يستولي عليه فكرك و نظرك و هو خطّة قتال أهل القبلة، و لم تنظر إلى الأمر العالي الذي هو فوق نظرك من وجوب قتالهم لبغهم على الإمام العادل.
و قيل أي نظرت في أعمال الناكثين من أصحاب الجمل المتمسكين بظاهر الإسلام الذين هو دونك في المرتبة لبغهم، فاعتزرت بشبهتهم و لم تنظر إلى من هو فوقك و هو إمامك الواجب الطاعة و من تبعه من المهاجرين و الأنصار.

و قيل نظره تحته كناية عن نظره إلى باطل شبهتهم المكتسبة عن محبة الدنيا التي هي الخيبة، و نظره فوقه كناية عن نظره إلى الحقّ و تلقّيه من الله.

و سعد بن مالك هو ابن أبي وقاص.

[قوله ﷺ] «و لم يخذلا الباطل» أي ما سعيّا في محق الباطل، و ليس يعني بالخذلان عدم المساعدة.

و قيل هو من قولهم «خذلت الوحشية» إذا قامت على ولدها أي لم يقيما عليه و لم ينصراه.

٣١٢
٣٤

٩٠٧-٩٠٨- كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد التقفي بإسناده عن زاذان قال انطلقت مع قبر إلى عليّ ﷺ فقال قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيثة. قال فما هو قال قم معي فقام فانطلق إلى بيته فإذا باسنة مملوءة جامات من ذهب و فضة فقال يا أمير المؤمنين إنك لا تترك شيئا إلّا قسمته فأذخرت هذا لك. قال عليّ ﷺ لقد أحببت أن تدخل بيتي نارا كثيرة فسل سيفه فضر بها فانتشرت من بين إناء مقطوع نصفه أو ثلثه، ثمّ قال اقسموه بالحصص. ففعلوا [علي] يقول:

(١) رواه الشريف الرضي رضي الله تعالى عنه في المختار: (٢٩١) من قصاص كلام أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

(٢) رواه قطب الدين الراوندي رحمه الله في كتاب الخرائج ١٩٥/١ الباب الثاني ح ٣١ من معجزات أمير المؤمنين.

(٣) رواه السيّد الرضي قدس الله نفسه في المختار: (٢٦٢) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

و قد تقدم برواية شيخ الطائفة مسنداً تحت الرقم: (١٦٠) في الباب (٤) ص ٤٤١ ط الكمباني.

إذ كَلَّ جان يده إلى فيه

هذا جنائي و خياره فيه

[ثم قال] يا بيضاء و يا صفراء غري غيري!

قال و في البيت مساك و إير فقال اقسما هذا فقالوا لا حاجة لنا فيه قال و كان يأخذ من كلّ عامل مما يعمل و الذي نفسي بيده لتأخذن شرّه مع خيره^(١).

و عن حبيب بن أبي ثابت أنّه قال قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعليّ عليه السلام يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فو الله ما عندي [نفقة] إلّا أن أبيع بعض علوفي. قال له لا و الله ما أجد لك شيئا إلّا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك.

بيان: «فإذا باسنة» كذا في نسخ [كتاب] الفارات. و [قال] الفيروزآبادي في القاموس الباسنة جوالق غليظ من مشاقة الكنان. انتهى.

و يحتمل أن يكون «فإذا بأشنة» بالشين المعجمة جمع الشنّ [و هي القرية].

و في رواية ابن أبي الحديد «فإذا بفرارة» و هي الجوالق. و المساك جمع مسك بالتحريك و هي الأسورة و الخلاخل من القرون و العاج. و في رواية ابن أبي الحديد « [و في البيت مسك^(٢)] » وهو أظهر.

و العلوقة الناقة أو الشاة تعلفها و لا ترسلها فترعى. و في بعض النسخ «علوقي» بالفتح و هو ما يعلق به الإنسان كناية عن الثياب، و اسم لنوع من الناقة أيضا. و في رواية ابن أبي الحديد «إلّا أن أبيع ذاتي».

٩٠٩- ينج: روي أنّ الأشعث بن قيس استأذن على عليّ عليه السلام فردّه قنبر، فأدعى أنفه فخرج عليّ عليه السلام و قال:

ما ذاك يا أشعث أما و الله لو بعدت ثقيف مررت لأشعرت شعيرات استك قال و من غلام ثقيف قال غلام يليهم لا يبقى بيت من العرب إلّا أدخلهم الذلّ. قال كم يلي قال عشرين إن بلغها.

[ثم] قال الراوي و لي الحجاج سنة خمس و سبعين و مات سنة خمس و تسعين.

٩١٠- ينج: و روى جميع بن عمير قال^(٣):

أتهم عليّ عليه السلام رجلا يقال له العيزار برفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك و جحد فقال لتحلف بالله إنك ما فعلت قال نعم، و بدر يحلف. فقال [له علي] إن كنت كاذبا فأعمى الله بصرك.

[قال] فما دارت الجمعة حتّى أخرج أعمى يقاد، قد أعمى الله بصره.

٩١١- ما: جماعة عن أبي المفضل عن محمد بن القاسم بن زكريا عن عباد بن يعقوب، عن مطر بن أرقم عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن صفوان بن قبيصة، عن الحارث بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال^(٤):

قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه، و زيد [بن ثابت] ذو ذؤابتين يلعب مع الغلمان، و قرأت سائر أو قال بقية القرآن على خير هذه الأمة، و أقضاهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب.

٩١٢- ما: جماعة عن أبي المفضل عن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز عن شريح بن يونس، عن هشام بن بشير عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن نافع:

أنّ أبا موسى [الأشعري] عاد الحسن بن عليّ عليه السلام، فقال عليّ عليه السلام:

أما إنّه لا يمنعا ما في أنفسنا عليك أن نحدّثك بما سمعنا [سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم] قال إنّه من عاد مريضا شيعة سبعون ألف ملك، كلّهم يستغفر له إن كان مصبّحا حتّى يمسي، و إن كان ممسيا حتّى يصبح، و كان له خريف في الجنة.

(١) كذا في الأصل المطبوع، و في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد ط بيروت «ومسال» و مثله في الفارات ط دار الأضواء و معناه (المخطط الكبير) وهو أنسب للإبر.

(٢) هذا هو الصواب فيه و ما قبله، و في أصلي في الموردين «قال».

(٣) رواه قطب الدين الراوندي عليه السلام في كتاب الخرائج ج ١ ص ٢٠٧ ح ٤٨ من باب معجزات أمير المؤمنين.

(٤) رواه شيخ الطوسي رفع الله مقامه في أواخر الجزء (١٣) من أماليه: ج ١ ص ٣٩٧ ط بيروت.

و ليلاحظ الحديث: (١٠٥٧) و تواليه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٣٢ ط ٢.

بعث عليٌّ إلى لييد بن عطارد التميمي ليجاء به، فمَرَّ الذي أخذه إلى أمير المؤمنين [بمجلس من مجالس بني أسد وفيه نعيم بن دجاجة، فقام نعيم فخلَص الرجل، فأتوا أمير المؤمنين] فقالوا أخذنا الرجل فمررنا به على نعيم بن دجاجة فخلَصه وكان نعيم من شرطة الخميس فقال عليٌّ بنعيم. [فأتى به] فأمر به أن يضرب ضرباً مبرحاً، فلما ولّوا به إلى السجن قال يا أمير المؤمنين إن المقام معك لذٌّ وإن فراقك كفر. قال إنَّه لكذلك قال نعم. قال خلّوا سبيله.

و عن الفضل بن دكين عن الحسن بن حيّ عن ابن أبي ليلى قال إنَّ علياً رزق شريحاً القاضي خمس مائة^(١). و عن إسماعيل بن أبان عن عمرو بن شمر عن سالم الجعفي عن الشعبي قال وجد عليٌّ درعاً له عند نصراني فجاء به إلى شريح يخاصمه إليه، [فلما نظر إليه] ذهب يتنحى، فقال مكانك. وجلس إلى جنبه وقال يا شريح أما لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلّا معه، ولكنّه نصراني، وقال رسول الله ﷺ إذا كنتم وإياهم في طريق فآلجئوهم إلى مضائقهم، وصغروا بهم كما صغّر الله بهم في غير أن تظلموا.

ثم قال عليٌّ إنَّ هذه درعي لم أبع ولم أهب. فقال النصراني ما الدرع إلّا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت شريح إلى عليٍّ فقال يا أمير المؤمنين هل من بيّنة قال لا. فقضى بها [شريحاً للنصراني].

[فأخذه النصراني] ففشى هنيئة ثم أقبل، فقال أما أنا فأشهد أنّ هذه أحكام النبيين، [أمير المؤمنين] يمشي إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين. قال أما إذا أسلمت فهي لك وحمله على فرس.

قال الشعبي فأخبرني من رآه يقاتل مع عليٍّ الخوارج بالنهروان.

و عن أبي عمرو الكندي قال كنّا ذات يوم عند عليٍّ فوافق الناس منه طيب نفس ومزاج، فقالوا يا أمير المؤمنين حدّثنا عن أصحابك. قال عن أيّ أصحابي تسألونني قالوا عن أصحاب محمد ﷺ. قال كلّ أصحاب محمد ﷺ أصحابي، فعن أيّهم تسألونني قالوا عن الذين رأيناك تلطفهم بذكرك وبالصلاة عليهم دون القوم. قال عن أيّهم قالوا حدّثنا عن عبد الله بن مسعود قال قرأ القرآن و علم السنّة وكفى بذلك. قالوا فو الله ما درينا بقوله «وكفى بذلك» كفى بقراءة القرآن و علم السنّة أم كفى بعبد الله.

قال قلنا حدّثنا عن أبي ذرٍّ. قال كان يكثر السؤال فيعطى ويمنع، وكان شحيحاً حريصاً على دينه، حريصاً على العلم الجزم، قد ملئ في وعاء له حتّى امتلأ وعاؤه علماً عجز فيه. قال فو الله ما درينا بقوله «عجز فيه» أعجز عن كشفه ما كان عنده أو عجز عن مسألته.

قلنا حدّثنا عن حذيفة بن اليمان قال علم أسماء المنافقين، وسأل عن المعضلات حين غفل [غيره] عنها، ولو سأله لوجدوه بها عالماً.

قالوا فحدّثنا عن سلمان الفارسي قال من لكم بمثل لقمان الحكيم وذلك امرؤ منّا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأوّل وأدرك العلم الآخر، وقرأ الكتاب الأوّل وقرأ الكتاب الآخر بحر لا ينزف.

قلنا فحدّثنا عن عمار بن عمار قال ذلك امرؤ خالط الله الإيمان بلحمه ودمه وشعره وبشره حيث زال [الحق] زال معه، ولا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً.

قلنا فحدّثنا عن نفسك قال مهلاً، نهانا الله عن التزكية. [ف] قال له رجل فإنّ الله يقول ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال فإني أحدث بنعمة ربّي.

كنت والله إذا سألت أعطيت، وإذا سكّت ابتديت، وإنّ تحت الجوانح منّي علماً جماً فاسألوني.

فقام إليه ابن الكواء. فسأله عن مسائل أوردناها في محالّها [من هذا الكتاب].

وعن النعمان بن سعد قال رأيت علياً على المنبر يقول أين الثمودي فطلع الأشعث فأخذ كفّاً من الحصا وضرب وجهه فأدماه، وانجفل وانجفل الناس معه ويقول ترحا لهذا الوجه ترحا لهذا الوجه.

بيان: الترح ضدّ الفرح. والهلاك والانقطاع.

و في [كتاب] الغارات عن عبيد بن عبد الله الأسدي، قال كنت جالسا يوم الجمعة و عليّ ﷺ يخطب على منبر من آجر، و ابن صوحان جالس فجاء الأشعث فقال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهك فغضب [عليّ ﷺ] فقال [عصصة] ليبيّن اليوم من أمر العرب ما كان يخفى فقال عليّ ﷺ من يعذرني عن هؤلاء الضيافة، يقبل أحدهم يتقلب على حشاياه، و يهجر قوم لذكر الله، فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين. والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد سمعت محمداً ﷺ يقول ليضربنكم والله على الذين عودا كما ضربتموه عليه بدءا.

قال مغيرة كان عليّ ﷺ أميل إلى الموالي و ألطف بهم، [و] كان عمر أشدّ تباعدا منهم.

بيان: قال الجزري في [مادة «حمر» من كتاب النهاية] حديث عليّ ﷺ (١) «غلبتنا عليك هذه الحمراء». يعنون العجم و الروم. و العرب تستمي الموالي الحمراء.

و [أيضا] قال [الجزري] في [مادة «حشى» و «ضيطة»] و في حديث عليّ ﷺ «من يعذرني من هؤلاء الضيافة يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه» الضيافة هم الضخام الذين لا غناء عندهم. الواحد ضيطار، و الياء زائدة. و الحشايا القرش واحدا حشية بالتشديد. انتهى.

أقول «يهجر» على التفعيل بمعنى السير في الهجرة، قال [ابن الأنثير] في النهاية [و] منه حديث زيد بن عروة «هل مهجر كمن قال» أي هل من سار في الهجرة كمن نام في القائلة

٣٢٠
٣٤

٩١٨-نهج: [و] قال ﷺ لكتابه عبيد الله بن أبي رافع ألق دواتك، و أطل جلفه قلمك، و فرج بين السطور، و قرمط بين الحروف، فإنّ ذلك أجدر بصياحة الخط (٢).

بيان: قال الجوهري لاقت الدواة تليق أي لصقت. و لقتها أنا يتعدى و لا يتعدى فهي مليقة إذا أصلحت مدادها، و ألقتها إلقاء لغة فيه. و قال الجلف القشر يقال جلفت الطين عن رأس الدنّ أجلفه بالضم. و جلفت الشيء قطعته و استأصلته.

و قال ابن أبي الحديد الجلفة هيئة فتحة القلم، و أصله القشر.

٩١٩-نهج: [و] قال أمير المؤمنين ﷺ (٣).

يأتي على الناس زمان، لا يبقى فيهم من القرآن إلّا رسمه، و من الإسلام إلّا اسمه، مساجدهم يومئذ عامرة من البناء، خراب من الهدى، سكانها و عمّارها شر أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، و إليهم تأوي الخطيئة. يردون من شدّ عنها فيها، و يسوقون من تأخر عنها إليها، يقول الله سبحانه «فيها حلفت لأبعثنّ على أولئك فتنة أترك الحكيم فيها حيران». و قد فعل، و نحن نستقبل الله عثرة القفلة.

بيان: [قوله ﷺ] «إلّا رسمه» أي كتابته دون العمل به و تلاوته كما ينبغي. و قيل رسم القرآن تلاوته و هو أثره.

٣٢١
٣٤

[قوله ﷺ] «و إليهم تأوي» كناية عن شدّة ملازمتهم لها، أو عن رجوع أئامها إليهم، لكونهم سبب شيوعها في الناس و الضمان المؤنثة إمّا راجعة إلى الفتنة أو الخطيئة.

و قيل ينبغي أن يكون [ﷺ] قد قال هذا الكلام في أيام خلافته لأنّها كانت أيام السيف المسلّط على أهل الضلال من المسلمين، و كذلك ما بعثه الله عزّ و جلّ على بني أمية و أتباعهم من سيوف بني هاشم، بعد انتقاله ﷺ [إلى الله]، و على هذا ينبغي أن يحمل قوله ﷺ «و قد فعل» على دنوّ وقوع الفعل، أو أنّه قضى في علم الله و قدر حصّا.

أو يكون قوله ﷺ «يأتي على الناس زمان» بمعنى أنّ مثل ذلك من الأمور الممكنة التي تجري على الخلق، و إن كان قد وقع.

(١) هكذا في الأصل و الأظهر أن يكون: في حديث الأشعث لعليّ - ﷺ - لأنّ القائل: «غلبتنا هذه الحمراء على وجهك» هو الأشعث.

(٢) رواه السيّد الرضّي رفع الله مقامه في المختار (٣١٥) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

(٣) رواه الشريف الرضّي في المختار: (٣٦٩) من قصار كلام أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

و يمكن أن يكون إخباراً عن وقوع الأمور في آخر الزمان، و يحمل قوله «و قد فعل» على أحد الوجهين، و يكون الحكم بدونه مثل قوله تعالى «أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» [١-القدر ٥٤].

٩٢٠- [نهج:] و قال ﷺ غالب بن صعصعة أبي الفرزدق في كلام دار بينهما - (١):

ما فعلت إبلك الكثيرة فقال دَعَذَعْتُهَا الْحَقُّوْ يَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ . فقال ﷺ ذَاكَ أَحْمَدُ سَبَلَهَا .

بيان: «ما فعلت إبلك» أي كيف تلفت (أو ما شأنها هل هي على حالها، أم طرأت عليها الزيادة و النقصان) . [و] «دَعَذَعْتُهَا الْحَقُّوْ» أي فَرَقْتُهَا الْمَصَارِفَ الضَّرُورِيَّةَ مِنَ الزَّكَاةِ وَ الْجِهَادِ وَ نَوَائِبِ الْقَبِيلَةِ وَ أَمَثَلِهَا . [و قوله ﷺ] «أَحْمَدُ [سَبَلَهَا]» مِنَ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ .

٩٢١-٩٤١- كتاب الغارات بإسناده عن علي بن النعمان قال قال علي ﷺ (٢):

لئن ملكت لأرميته بالحجارة . يعني المغيرة [بن شعبة] و كان ينتقص علياً ﷺ .

و عن جندب بن عبد الله قال ذكر المغيرة بن شعبة عند علي ﷺ فقال و ما المغيرة إنما كان سبب إسلامه لفجرة و غدره لمطمئنين إليها ركبها منهم فهرب، فأتى النبي ﷺ كالعائذ بالإسلام و الله ما رأى [أحد] عليه من أذعاء الإسلام خضوع و لا خشوع.

ألا و إنه كان من ثقيف فراعته يجانبون الحق و يسعرون نيران الحرب و يوازرون الظالمين.

ألا لَأَنَّ ثَقِيفًا قَوْمَ غَدْرٍ لَا يُوْفُونَ بِعَهْدٍ، يَبْغِضُونَ الْعَرَبَ، كَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْهُمْ وَ لَرَّبِّ صَالِحٌ قَدْ كَانَ فِيهِمْ مِنْهُمْ عُرُوَّةٌ بِنِ مَسْعُودٍ وَ أَبُو عَيْبِدٍ بِنِ مَسْعُودٍ . وَأَمَّا الْوَلِيدُ (٣) بِنِ عَقْبَةَ فَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَاسِقًا، وَ هُوَ أَحَدُ الصَّبِيَّةِ الَّذِينَ بَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّارِ وَ [قد] قَالَ شِعْرًا يَرِدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ حَيْثُ قَالَ فِي عَلِيٍّ ﷺ «إِنْ تَوَلَّوْهُ تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًا يَسْلُكُ بِكُمْ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ» قَالَ [الوليد في ردِّ هذا القول]:

فإن يك قد ضل البعير بحمله فلم يك مهديًا و لا كان هاديًا

فهو من مبغضي علي ﷺ و أعدائه و أعداء النبي ﷺ لَأَنَّ أَبَاهُ قَتَلَهُ النَّبِيَّ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ صَبْرًا يَوْمَ بَدْرٍ بِالْصَّفَاءِ . وَ عَنِ مَغِيرَةَ الضَّبِيِّ قَالَ مَرَّ نَاسٌ بِالْحَسَنِ بِنِ عَلِيٍّ ﷺ وَ هُمْ يَرِيدُونَ عِيَادَةَ الْوَلِيدِ بِنِ عَقْبَةَ، وَ هُوَ فِي عِلَّةٍ شَدِيدَةٍ، فَأَتَاهُ الْحَسَنُ ﷺ مَعَهُمْ عَائِدًا، فَقَالَ لِلْحَسَنِ ﷺ «أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنِي وَ بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ، إِلَّا مَا كَانَ بَيْنِي وَ بَيْنَ أَبِيكَ» يَقُولُ أَي لَا أَتُوبُ مِنْهُ (٤).

قال إبراهيم ولحق بمعاوية يزيد بن حجة، و وائل بن حجر الحضرمي، و مصقلة بن هبيرة الشيباني، و التقعاق بن شور، و طارق بن عبد الله، و النجاشي الشاعر.

وكان أصحابه لما نزل بقلوبهم من الفتنة و البلاء و الركون إلى الدنيا، يغدرون و يختانون مال الخراج و يهربون إلى معاوية.

و عن الأعمش قال كان علي ﷺ يولّهم الولاية و الأعمال فيأخذون [ما يقدرون عليه من الأموال] و يهربون إلى معاوية، منهم المنذر بن الجارود العبدي.

قال كان علي ﷺ ولى المنذر بن الجارود فارسا فاحتاز مالا من الخراج. قال [وكان المال أربع مائة ألف درهم، فحبسه علي ﷺ فشنع فيه صعصعة بن صوحان إليه ﷺ، و قام بأمره و خلصه، و كان صعصعة من مناصحيه ﷺ].

قال الأسود بن قيس جاء علي بن أبي طالب ﷺ عائدا صعصعة فدخل عليه فقال له يا صعصعة لا تجعل عيادتي إليك أبهة على قومك. فقال لا و الله يا أمير المؤمنين، و لكن نعمة و شكرًا. فقال له علي ﷺ إن كنت ما علمت لخفيف المنة عظيم المعونة. فقال صعصعة و أنت و الله يا أمير المؤمنين ما علمت بكتاب الله لعليم، و إن الله في صدرك لعظيم، و إنك بالمؤمنين لرءوف رحيم (٥).

(١) رواه السيّد الرضی رضوان الله عليه في المختار: (٤٤٦) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) رواه وما بعده التقي في الحديث: (١٨٩) وما يليه من كتاب الغارات ص ٥١٨ - ٥٨١ ج ١. وقد تقدّم الثاني تحت الرقم ٨٨٢.

(٣) وهذا من كلام التقي صاحب الغارات. (٤) ولراجع ترجمة الإمام الحسن من تاريخ يعقوبي.

(٥) ورواه أيضاً البلاذري في الحديث: (١٨٣) من ترجمة أمير المؤمنين ﷺ من كتاب أنساب الأشراف: ج ١، ص ٢٢٩. وفي ج ٢ ص ١٦٣.

ومنهم يزيد بن حجية.

أقول وذكر أحواله وأحوال جماعة من الفارّين الخاذلين، أوردنا [سابقاً] أحوالهم برواية ابن أبي الحديد عنه وعن غيره^(١).

ثم قال [صاحب الغارات] ومنهم الهجّج عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود الثقفي شهد مع عليٍّ رضي الله عنه صفين، وكان في أوّل أمره مع معاوية ثم صار إلى علي ثم رجع بعد إلى معاوية سّاه عليّ الهجّج. و الهجّج الطويل. ومنهم القعقاع بن شور، حدّثنا جرير بن عبد الحميد عن [أبي] إسحاق الشيباني قال قال عليّ رضي الله عنه تسألوني المال وقد استعملت القعقاع بن شور على كسكر، فأصدق امرأته بمائة ألف و أيم الله لو كان كفواً [لها] ما أصدقها ذلك وعن ميسرة قال قال عليّ رضي الله عنه قاتلوا أهل الشام مع كلّ إمام بعدي.

٣٢٤
٣٤

وعن الواقدي قال إنّ عمرو بن ثابت الذي روى عن أبي أيّوب حديث «سنة أيتام من شوال» كان يركب بالشام في القرى، فإذا دخل قرية جمع أهلها ثم يقول أيّها الناس إنّ عليّ بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً، أراد أن ينقّر برسول الله صلى الله عليه وآله عليه ليلة العقبة فآلعهوه. قال فيلعهن أهل تلك القرى ثم يسير إلى الأخرى، فيأمرهم بمثل ذلك.

وعن الحسن بن الحرّ قال لقيت مكحولاً فإذا هو مملوء بغضا لعليّ رضي الله عنه، فلم أزل به حتّى لآن أو سكن. وعن محمد بن عبد الله بن قارب قال إنّني عند معاوية لجالس إذ جاء أبو موسى فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال [معاوية] و عليك السلام. فلمّا تولّى قال و الله لا يلي عليّ اثنين حتّى يموت. وكان أبو بكره [نفع بن الحارث] لمّا قدم عليّ رضي الله عنه البصرة لقي الحسن بن أبي الحسن، و هو متوجّه نحو عليّ رضي الله عنه فقال [له] إلى أين قال إلى عليّ رضي الله عنه. قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ستكون بعدي فتنة النائم فيها خير من القاعد، و القاعد فيها خير من القائم.

[قال الحسن] فلزمت بيتي، فلمّا كان بعد لقيت جابر بن عبد الله و أبا سعيد فقالوا أين كنت. فحدّثتهم بما قال أبو بكره فقالوا لعن الله أبو بكره إنّما قال النبي صلى الله عليه وآله [ذلك] لأبي موسى «تكون بعدي فتنة أنت فيها نائم خير منك قاعد، و أنت فيها قاعد خير منك ساع».

٣٢٦
٣٤

و قال لمّا دخل معاوية الكوفة دخل أبو هريرة المسجد، فكان يحدث و يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و قال أبو القاسم و قال خليلي.

فجاء شاب من الأنصار يتخطّى الناس حتّى دنا منه، فقال يا أبا هريرة حديث أسألك عنه فإن كنت سمعته من النبي صلى الله عليه وآله حدّثني، أنشدك بالله [أ] سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لعليّ «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه» قال أبو هريرة نعم و الذي لا إله إلّا هو لسمعته من النبي صلى الله عليه وآله عليه يقول لعليّ «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه». فقال له الفتى لقد و الله واليت عدوه و عاديت وليّه. [قال] فتناول بعض الناس الشاب بالحصى، و خرج أبو هريرة فلم يعد إلى المسجد حتّى خرج من الكوفة.

باب النوادر

باب ٣٥

٩٤٢- كنز الفوائد للكرجكي: [قال] حدّثني الشريف أبو الحسن طاهر بن موسى الحسيني عن ميمون بن حمزة الحسيني قال رأيت المعرّ المغربي، و قد أتني به إلى الشريف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل سنة عشر و ثلاثمائة و أدخل إلى داره و معه خمسة رجال أغلقت الدار و ازدحم الناس، و حرصت في الوصول إلى الباب فما قدرت لكثرة الزحام فرأيت بعض غلمان الشريف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل و هما قنبر و فرخ و عزّتهما أنّي أشتهي أن أنظره

٣٢٧
٣٤

فقلا لي در إلى باب الحمام بحيث لا يدري بك. فصرّت إليه ففتحا لي سراً ودخلت وأغلقت الباب، وحصلت في مسلخ الحمام فإذا قد فرش له ليدخل الحمام فجلست يسيراً فإذا به قد دخل، وهو رجل نحيف الجسم، ربع من الرجال، خفيف العارضين، آدم اللون، إلى القصر [أقرب] ما هو، أسود الشعر يقدر الإنسان أن له نحواً من الأربعين سنة، وفي صدغيه أثر كأنه [أثر] ضربة، فلما تمكّن من الجلوس والنفر معه وأراد خلع ثيابه قلت له ما هذه الضربة فقال أردت أن أناول مولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام السوط يوم النهروان فقص الفرس رأسه فضرني بالآلام وكان حديدا فشجّني ^(١).

فقلت له أدخلت هذه البلدة قديماً فقال نعم وكان موضع جامعكم السفلائي مبصلة وفيه بشر. فقلت هؤلاء أصحابك فقال [هم] ولدي ولدي. ثم دخل الحمام فجلست حتى خرج ولبس ثيابه، فرأيت عنقه قد ابيضّت، فقلت له [أ] كان بها صباغ قال لا ولكن إذا جعت ابيضّت وإذا شبت اسودّت فقلت قم [و] ادخل الدار حتى تأكل. فدخل الباب.

٩٤٣- وروى الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه حجّ في تلك السنة وفيها حجّ نصر القشوري صاحب المقتدر قال فدخلت مدينة الرسول عليه السلام وأصبحت فيها قافلة البصريين وفيها أبو بكر محمد بن علي البادراني، ومعه رجل من أهل المغرب يذكر أنه رأى أصحاب رسول الله عليه السلام، وازدحم عليه الناس وجعلوا يتمسّحون به وكادوا يقتلونه. قال فأمر عتي أبو القاسم طاهر بن يحيى فتياه وغلماناً أن يفرّجوا عنه ففعلوا، ودخلوا به إلى دار ابن سهل اللطفي، وكان طاهر يسكنها، وأذن للناس فدخلوا، وكان معه خمسة رجال ذكر أنّهم أولاده وأولاده، فيهم شيخ له ثياب وثمانون سنة، فسأناه عنه فقال هذا ابني. [وكان فيهم] اثنان [أخراهم لكل واحد منهما ستون سنة أو خمسون سنة، وآخر له سبعون سنة فقال هذا ابن ابني. وفيهم] آخر له ستة عشر سنة فقال هذا ابن ابن ابني، ولم يكن له أصغر منه، وكان إذا رأيته قلت هذا ابن ثلاثين أو أربعين سنة، أسود الرأس واللحية، شابّ نحيف الجسم، آدم، ربع القامة وخفيف العارضين، هو إلى القصر أقرب، واسمه علي بن عثمان بن الخطاب.

٣٢٩- فمما سمعت من حديثه الذي حدّث الناس به أنّه قال خرجت من بلدي أنا وأبي وعمي نريد الوفود على رسول الله عليه السلام، وكنا مشاة في قافلة، فانقطعنا عن الناس، واشتدّ بنا العطش وعدمنا الماء، وزاد بأبي وعمي الضعف فأقعدتهما إلى جانب شجرة ومضيت أتمسّس لهما ماء فوجدت عينا حسنة وفيها ماء صاف في غاية البرد والطيبة، فشربت حتى ارتويت، ثم نهضت لأتي بأبي وعمي إلى العين فوجدت أحدهما قد مات فتركته بحاله، وأخذت الآخر ومضيت في طلب العين، فاجتهدت إلى أن أراها فلم أرها ولا عرفت موضعها، وزاد العطش به حتى مات، فحرصت في أمره حتى واريته، وعدت إلى الآخر فواريته أيضاً. وسرت وحدي إلى أن انتهيت إلى الطريق ولحقت بالناس ودخلت المدينة، وكان دخولي إليها في اليوم الذي قبض فيه رسول الله عليه السلام، فرأيت الناس منصرفين من دفنه فكانت أعظم الحسرات دخلت بقلبي، ووافي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فحدّثته حديثي فأخذهني وأقمت معه مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وفي أيام خلافته حتى قتله عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة.

قال ولما حصر عثمان بن عفّان في داره، دعاني ودفع إلي كتاباً ونجياً وأمرني بالخروج إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان علي عليه السلام غائباً بـ«ينبع» في ضياعه وأمواله، فأخذت الكتاب وركبت النجيب وسرت حتى إذا كنت بموضع يقال له جنان أبي عباية، سمعت قرأنا فإذا أمير المؤمنين عليه السلام [يقراء] «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» قال فلما نظر إليّ قال يا أبا الدنيا ما وراءك قلت هذا كتاب عثمان فقرأه فإذا فيه فإن كنت مأكولاً فكن خير أكل

فلما قرأه قال سرسرس. فدخلنا المدينة ساعة قتل عثمان، فمال أمير المؤمنين عليه السلام إلى حديقة بني التّجار، وعلم الناس بمكانه فجاءوا إليه ركضاً وقد كانوا عازمين على أن يبايعوا طلحة، فلما نظروا إليه ارفضوا من طلحة

ارفراض الغنم يشدّ عليها السيم. فبايعه طلحة و الزبير فتابع المهاجرون و الأنصار يبايعونه، فأقمت معه أخدمه. و حضرت معه صفين أو قال التهران فكنت عن يمينه إذ سقط السوط من يده، فانكببت لآخذه و أرفعه إليه، و كان لجام دابته حديدا مدمجا فشبجني هذه الشجة فدعاني أمير المؤمنين ﷺ فتغل فيها و أخذ حفنة من تراب فتركها عليها، فو الله ما وجدت ألما و لا وجعا، ثم أقمت معه حتى قتل ﷺ. و صحبت الحسن (بن عليّ) حتى ضرب بالسباط و حمل إلى المدائن، و لم أزل معه بالمدينة حتى مات مسموما، سمته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي (لعنة الله عليهما). ثم خرجت مع الحسين ﷺ بكرة بلاء، و قتل ﷺ فهربت بديني، و أنا مقيم بالمغرب أنتظر خروج المهدي، و ظهور عيسى ابن مريم ﷺ.

قال الشريف أبو محمد حسن بن محمد الحسيني و مما رأيت من هذا الشيخ علي بن عثمان، و هو إذ ذاك في دار عمي طاهر بن يحيى و يحدث أحاديثه، و بدء خروجه إذ نظرت إلى عنقه فראيتها قد احمرت ثم ابيضت، فجعلت أنظر إلى ذلك لأنه لم يكن في لحيته و لا رأسه و لا عنقه بياض، فنظر إليّ (و أنا) أنظر إليه فقال ما ترون إن هذا يصيبني إذا جعت فإذا شبع رجعت إلى سوادها، فدعا عمي بطعام فأخرج من داره ثلاث موائد فوضعت بين يديه، و كنت أنا ممن جلس معه عليها و جلس عمي معه، فكان يأكل و يلقيه فأكل أكل شاب و عمي يحلف عليه، و أنا أنظر إلى عنقه تسود حتى عادت إلى سوادها و شبع.

٩٤٤-٩٥٨. ثم قال (الكرجكي) و حدثني القاضي أسد بن إبراهيم السلمي و الحسين بن محمد الصيرفي، جميعا عن محمد بن محمد المعروف بالمفيد عن علي بن عثمان المعروف بأبي الدنيا الأشج المعمر قال سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول كلمة الحق ضالة المؤمن، حيث وجدها فهو أحق بها. وبهذا الإسناد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أحب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، و أبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما.

وبالإسناد قال قال رسول الله ﷺ طوبى لمن رآني أو رأى من رآني أو رأى من رأى من رآني. وبالإسناد إلى أمير المؤمنين قال عهد إلى النبي الأمي أنه لا يحبك إلّا مؤمن و لا يبغضك إلّا منافق. وبالإسناد قال قال علي (عليه السلام) في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا و ثلاث في الآخرة. فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه، و يقطع الرزق، و يسرع الفناء. وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب عزّ و جلّ، و سوء الحساب، و الدخول في النار. وبالإسناد قال قال رسول الله ﷺ من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

٣٣٢
٣٤. وبالإسناد قال قال رسول الله ﷺ لا تتخذوا قبوري عيدا، و لا تتخذوا قبوركم مساجد، و لا بيوتكم قبورا، و صلوا عليّ حيث كنتم فإنّ صلاتكم تبلغني و تسليمكم يبلغني.

وبالإسناد عن علي (عليه السلام) قال ما رمدت و لا صدعت منذ دفع إلي رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر. وبالإسناد عن أمير المؤمنين ﷺ قال من جلس في مجلسه ينتظر الصلاة فهو في صلاة، و صلّت عليه الملائكة، و صلاتهم عليه اللهم اغفر له اللهم ارحمه. وبالإسناد قال كان رسول الله ﷺ لا يحجبه و لا يحجزه عن قراءة القرآن إلّا الجنابة. وبالإسناد قال قال رسول الله ﷺ الحرب خدعة.

(١) و للحديث أسانيد و مصادر كثيرة جداً و قد رواه بهذا السند أبو نعيم الأصبهاني كما في الباب (٤٠) من السمت الأول من كتاب فرائد السطين: ج ١، ص ١٩٨. و رواه أيضا الحافظ الحسكاني بما يشترك مع هذا السند و بأسانيد أخرى كثيرة في تفسير الآية: (١٢) من سورة الحاقة من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٧١ ط ١.

وبالإسناد قال قضى رسول الله ﷺ في الدين قبل الوصية، وأنتم تقرأون «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ»، وَإِنْ أَعْيَانِ بَنِي الْأُمِّ يَتَوَارَثُونَ دُونَ بَنِي الْعَلَّتِ، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه.
قال أبو بكر المعروف بالمفيد رأيت أثر الشجرة في وجهه [حينما لقيته] وقال أخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بحديثي وقصتي في سفري وموت أبي وعمي والعين التي شربتها منها وحدي فقال هذه عين لم يشرب منها أحد إلا عثر عمرا طويلا، فأبشر، ما كنت لتجدها بعد شربك منها.

قال أبو بكر وسألت عن الأشج أوقاما من أهل بلده فقالوا هو مشهور عندنا بطول العمر، يحدثنا بذلك عن آبائهم عن أجدادهم.

فأما الأحاديث التي رواها عن الأشج أبو محمد الحسن بن محمد الحسيني مما لم يروه أبو بكر محمد بن أحمد الجرجاني فهي:

قال الشريف أبو محمد حدثني علي بن عثمان المعروف بالأشج [قال] حدثني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ من أحب أهل اليمن فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني. قال وحدثني أمير المؤمنين عليه السلام قال قال لي رسول الله ﷺ أنا وأنت يا علي أبوا هذا الخلق، فمن عفا فعليه لعنة الله، أمّن يا علي فقلت آمين يا رسول الله.

وقال يا علي أنا وأنت أجيرا هذا الخلق، فمن منعنا أجزنا فعليه لعنة الله، أمّن يا علي. [قلت آمين يا رسول الله].
[و قال يا علي أنا وأنت موليا هذا الخلق، فمن جحدنا ولاءنا وأكرنا حقنا فعليه لعنة الله، أمّن يا علي. فقلت آمين يا رسول الله.

بيان: قوله «مدّجبا» أي دخل بعضه في بعض. وفي بعض النسخ «مزججا». يقال أزوججت الرمح أي جعلته له زجا. وزججت المرأة حاجبها دققت وطولته.

قوله ﷺ «لا تتخذوا قري عيدا» أي عادة بكثرة الزيارة أو جمعا للأموال. وفي سائر الروايات «مسجدا» وهو الظاهر.

٩٥٩-٩٨٠- وقال ابن أبي الحديد ففي شرح النهج روى جعفر بن سليمان عن أبي هارون العبيدي عن أبي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله ﷺ يوما لعلي ما يلقى بعده من العنت فأطال، فقال له علي ﷺ أنشدك الله والرحم يا رسول الله لما دعوت الله أن يقبضني إليه قبلك فقال كيف أسأله في أجل مؤجل. قال يا رسول الله فعلام أقاتل من أمرتني بقتاله قال على الحدث في الدين^(١).

وروى الأعمش عن عمار الدهني عن أبي صالح الحنفي عن علي عليه السلام قال قال لنا يوما لقد رأيت الليلة رسول الله في المنام فشكوت إليه ما لقيت حتى بكيت، فقال لي انظر. [فانظرت] فإذا جلاميد، وإذا رجلا مصدّان قال الأعمش هما معاوية وعمرو بن العاص قال فجعلت أرضخ رءوسهما ثم تعود، ثم أرضخ رءوسهما ثم تعود حتى انتهت.

وروى قيس بن الربيع عن يحيى بن هانئ المرادي عن رجل من قومه يقال له زياد بن فلان قال كنت في بيت مع علي عليه السلام ونحن شيعته وخواصه، فالتفت [علي] فلم ينكر متا أحدا فقال:

إن هؤلاء سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكم. فقال رجل منا وأنت حي يا أمير المؤمنين قال أعاذني الله من ذلك. فالتفت فإذا واحد يبكي فقال له يا ابن الحمقاء أتريد بالذات في الدنيا الدراجات في الآخرة إنما وعد الله الصابرين:

وروى زرارة بن أعين عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال كان علي عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزل معقبا إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس، فيعلمهم الفقه والقرآن. وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوما فمرّ برجل فرماه بكلمة هجر قال ولم يسمه محمد بن علي فرجع عوده

على يده حتى صعد المنبر، وأمر فنودي الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إنّه ليس شيء أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولا شيء أبغض إلى الله ولا أعمّ ضرراً من جهل إمام وخرقه.

ألا وإنّه من لم يكن له من نفسه واعظ، لم يكن له من الله حافظ.

ألا وإنّه من أنصف من نفسه، لم يزد الله إلّا عزّاً.

ألا وإنّ الذلّ في طاعة الله أقرب إلى الله من التعزّز في معصيته.

ثم قال أين المتكلم أنفاً. فلم يستطع الإنكار فقال ها أنا ذا يا أمير المؤمنين. فقال أما إنّي لو أشاء لقلت. فقال أو تغفو وتصفح فأنّت أهل لذلك. فقال عفوت و صفحت.

ف قيل لمحمد بن علي عليه السلام ما أراد أن يقول. قال أراد أن ينسبه.

و روى زرارة أيضاً قال قيل لجعفر بن محمد عليه السلام إنّ قوماً هانوا ينتقصون علياً عليه السلام. فقال بهم ينتقصونه لا أباً لهم و هل فيه موضع تقيصه و الله ما عرض لعلي عليه السلام أمران قطّ كلاهما لله طاعة إلّا عمل بأشدهما و أشقهما عليه و لقد كان يعمل العمل كأنّه قائم بين الجنّة و النار، ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له، و ينظر إلى عقاب هؤلاء فينتهي له، و إن كان ليقوم إلى الصلاة فإذا قال ﴿وَجْهَتُ وَجْهِي﴾ تغيّر لونه حتّى [كان] يعرف ذلك في لونه.

ولقد أعتق ألف عبد من كدّ يده، يرقق فيه جبينه و يحفي فيه كفه. و لقد بشرّ بعين نبت في ماله مثل عنق الجزور فقال بشرّ الوارث، ثم جعلها صدقة على الفقراء و المساكين و ابن السبيل إلى أن يرث الله الأرض و من عليها. ليصرف الله النار عن وجهه.

و روى القنّاد عن أبي مريم الأنصاري عن علي عليه السلام قال لا يحبّني كافر و لا ولد زنا.

قال و روى أبو غسان النهدي قال دخل قوم من الشيعة على علي في الرّجبة و هو على حصير خلق فقال [لهم] ما جاء بكم قالوا حيّك يا أمير المؤمنين. قال أما إنّه من أحبّني رأيّني حيث يحبّ أن يراني، و من أبغضني رأيّني حيث يكره أن يراني.

ثم قال ما عبد الله أحد قبلي إلّا نبّيته، و لقد هجم أبو طالب علينا و أنا و هو ساجدان فقال أو فعلتموها ثم قال لي و أنا غلام ويحك، انصر ابن عمّك، ويحك لا تخذله. و جعل يحثّني على مؤازرته و مكانفته.

و روى جابر الجعفي عن علي عليه السلام قال من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ عدّة للبلاء.

و روى أبو الأحوص عن أبي حنّان عن علي عليه السلام [أنّه] قال يهلك فيّ رجلان محبّ غال، و مبغض قال.

و روى حمّاد بن صالح، عن أيّوب عن أبي كهّمس عن علي عليه السلام قال:

يهلك فيّ ثلاثة النّاعن، و المستمع المقرّ، و حامل الوزر، و هو الملك المترف الذي يتقرّب إليه بلعني، و يبرأ عنده من ديني، و ينتقص عنده حسبي، و إنّما حسبي حسب رسول الله ﷺ و ديني دينه.

و ينجو فيّ ثلاثة من أحبّتي، و من أحبّ محبّتي، و من عادى عدويّ.

فمن أشرب قلبه بغضي، أو ألّب عليّ، أو تنقّضني، فليعلم أنّ الله عدوه و جبرئيل، و أنّ الله عدوّ للكافرين.

و روى أبو صادق عن ربيعة بن ناجد عن علي عليه السلام قال:

قال لي رسول الله ﷺ إنّ فيك لشبيهاً من عيسى ابن مريم، أحبّته النصارى حتّى أنزلته بالمنزلة التي ليست له، و أبغضته اليهود حتّى بهتت أمّه.

قال [ابن أبي الحديد] و روى شيخنا أبو القاسم البلخي عن سلمة بن كهيل عن المسيّب بن نجبة قال بينا علي عليه السلام يخطب إذ قام أعرابي فصاح و امّظلمته فاستدناه علي عليه السلام فلما دنا [منه] قال [له] إنّما لك مظلمة واحدة، و أنا قد ظلمت عدد المدر و الورب.

قال و في رواية عبّاد بن يعقوب أنّه دعاه فقال له ويحك و أنا و الله مظلوم، هات فلندع على من ظلمنا.

وروى سدير الصيرفي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال اشتكى علي شكاية فعاده أبو بكر و عمر، و خرجا من عنده فاتيا النبي صلى الله عليه وآله فسألهما من أين جئتما قالوا عدنا عليا. قال كيف رأيتماه قالوا رأيناه لما به. فقال كلاً إنّه لن يموت حتى يتوسّع غدرا و بغيا، و ليكوننّ في هذه الأمّة عبرة يعتبر به الناس من بعدي. و روى عثمان بن سعيد عن عبد الله الغنوي، أنّ علياً عليه السلام خطب بالرحبة فقال: أيّها الناس إنكم قد أبيتم إلّا أن أقولها فو ربّ السماء والأرض إنّ من عهد النبي الأمي عليه السلام [إلّا] «أنّ الأمّة ستغدر بك بعدي».

وروى هشيم بن بشير عن إبراهيم بن سالم مثله.

وروى أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه ^(١).

و روى أبو جعفر الإسكافي أيضا أنّ النبي صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام فوجد عليّاً نائماً فذهبت تنبّهه فقال دعيه فربّ سهر له بعدي طويل، و ربّ جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة. فبكت [فاطمة] فقال لا تبكي فإنكما معي و في موقف الكرامة عندي.

و روى الناس كافّة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له هذا وليّ و أنا وليّه، عاديت من عاداه و سالمته من سالمه، أو نحو هذا اللفظ.

و روى محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن زيد بن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام عدوك عدوّي، و عدوّي عدوّ الله عزّ و جلّ.

وروى يونس بن خباب عن أنس بن مالك قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله و عليّ بن أبي طالب معنا، فمررنا بحديقة فقال علي يا رسول الله ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة فقال إنّ حديقتك في الجنة أحسن منها. حتّى مررنا بسبع حدائق يقول عليّ عليه السلام ما قاله، و يجيبه رسول الله صلى الله عليه وآله بما أجابه.

ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقف فوقنّا [حول]، و وضع رأسه على رأس عليّ عليه السلام و بكى. فقال ما يبكيك يا رسول الله قال ضغائن في صدور قوم لا يدونها لك حتّى يقدوني فقال يا رسول الله أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم قال بل تصبر. قال فإن صبرت قال تلاقي جهدا. قال أفي سلامة من ديني قال نعم قال فإذا لا أبالي. و روى جابر الجعفي عن محمد بن علي عليه السلام قال قال علي عليه السلام:

ما رأيت مذ بعث الله محمداً رءاء، لقد أخافتني قریش صغيراً، و أنصبتني كبيراً، حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت الطامة الكبرى، و الله المُسْتَعْنَانُ عَلَى ما تَصِفُون.

٩٨١-٩٨٢- و من كتاب الغارات قال:

روى محمد بن إسماعيل البجلي عن عمرو بن موسى عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال قال عليّ عليه السلام على المنبر:

ما أحد جرت عليه المواسي إلّا و قد أنزل الله فيه قرآناً. فقام إليه رجل من مبغضيه فقال له فما أنزل الله تعالى فيك فقام الناس إليه يضربونه فقال دعوه، أنقرأ سورة هود قال نعم. فقرأ عليّ عليه السلام ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلَوْهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ ثمّ قال «الذي كان على يتيّة من ربّه» محمد صلى الله عليه وآله، الشاهد الذي يتلوه أنا ^(٢).

و روى عثمان بن سعيد عن عبد الله بن بكير عن حكيم بن جبير قال خطب عليّ عليه السلام فقال في أثناء خطبته: أنا عبد الله و أخو رسوله، لا يقولها أحد قبلي و لا بعدي إلّا كذاب. ورثت نبيّ الرحمة، و نكحت سيّدة نساء هذه الأمّة، و أنا خاتم الوصيّين.

(١) ولذيل هذا الحديث أيضاً أسانيد ومصادر. وقد رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٨ و ٩) من الجزء (١٧) من أماليه ص ٤٨٨.
(٢) وهذا رواه أيضاً عن الغارات ابن أبي الحديد في آخر شرحه على المختار: (٧٠) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٣٥٤ الطبعة الحديثة ببيروت. وللحديث - بعد بعض خصوصياته - أسانيد ومصادر يجد الباحث أكثرها في تفسير الآية الكريمة في الحديث: (٣٧٢) وما بعده من كتاب شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٧٥ ط ١.

فقال رجل من عيس من لا يحسن أن يقول مثل هذا فلم يرجع إلى أهله حتى جنّ وصرع. فسألوه هل رأيتم به عرضاً قبل هذا قالوا وما رأينا به قبل هذا عرضاً^(١).

و روى عثمان بن سعيد عن شريك بن عبد الله قال لما بلغ علياً الناس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النبي [إياه] و تفضيله عليه الناس قال:

أُشَدُّ الله من بقي ممن لقي رسول الله ﷺ، و سمع مقالته في يوم غدِير خَمٍّ إلّا قام فتشهد بما سمع. فقام سِتَّةٌ ممن عن يمينه من أصحاب رسول الله ﷺ [و شهدوا] أنّهم سمعوه يقول ذلك اليوم و هو رافع بيد علي من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، و أحب من أحبه، و أبغض من أبغضه.

٩٨٣- نهج: [و] قال أمير المؤمنين ﷺ^(٢):

نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، و إليها يرجع الغالي.

بيان: النمرقة وسادة صغيرة، و ربما سموا الطنفسة التي فوق الرجل نمرقة.

قال ابن أبي الحديد و المعنى أنّ آل محمد ﷺ هم الأمر الأوسط بين الطرفين المذمومين، فكلّ من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم، و كلّ من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم.

و استعار لفظ النمرقة لهذا المعنى من قولهم ركب فلان من الأمر منكرًا، و قد ارتكب الرأي الفلاني، فكأنّ ما يراه الإنسان مذهبا يرجع إليه، يكون كالركاب و الجالس عليه.

و يجوز أن يكون لفظ «الوسطى» يراد به الفضلى، يقال هذه هي الطريقة الوسطى، و الخليفة الوسطى أي الفضلى، و منه قوله تعالى «قَالَ أَوْسَطُهُمْ» و منه «جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا».

و قال ابن ميثم وجه الاستعارة، أنّ أئمة الحقّ مستند للخلق في تدبير معاشهم و معادهم. انتهى.

و يمكن أن يقال لما كان الصدر في النمارق المصفوفة هي الوسطى، فلذا وصفها بها.

٩٨٤-٩٨٥- نهج: [و] قال علي ﷺ^(٣):

ما شككت في الحقّ مذ أريتّه.

و قال ﷺ ما كذبت و لا كذبت، و لا ضللت و لا ضلّ بي.

٩٨٦- نهج: [و] قال علي ﷺ^(٤):

لا يعاب المرء بتأخير حقّه، إلّا يعاب من أخذ ما ليس له.

بيان: قال ابن أبي الحديد لعلّ هذه الكلمة قالها في جواب سائل سأله لم أخّرت المطالبة لحقّك من الإمامة فقال ﷺ لا يعاب المرء بتأخير استيفاء حقّه. و لما كان حقّ الإمامة غير مختصّ به لأنّ مصالح المسلمين كانت منوطّة بها فلا بدّ من إضرار في الكلام أي إذا كان هناك مانع من طلبه. انتهى.

و يمكن حمله على الحقوق الخالصة كالاستقام و نحوه و استرداد ذك و مثله.

٩٨٧- نهج: [و] سئل ﷺ عن قريش فقال^(٥):

(١) ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في أوائل شرحه على المختار: (٣٦) من نهج البلاغة ج ١، ص ٤٧٣ ط الحديثه ببيروت. وقرئاً منه رواه النسائي في الحديث (٦٧) من كتاب خصائص أمير المؤمنين ص ١٣٥، وقد رواه أيضاً الشيخ المفيد في آخر مناقب أمير المؤمنين ﷺ من كتاب الإرشاد، ص ١٨٥، ط التجف. ولاحظ عنوان: «غير الله ما لهم» من مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٦٦، ط التجف.

(٢) رواه الشريف الرضي قدس الله روحه في المختار: (١٠٩) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

(٣) رواه مع التالي السيّد الرضي في المختار: (١٨٤ - ١٨٥) من باب قصار كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة.

(٤) رواه الشريف الرضي في المختار: (١٦٦) من قصار كلام أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

(٥) رواه السيّد الرضي ﷺ في المختار: (١٢٠) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

أَمَا بَنُو مَخْزُومٍ فَرِيحَانَةُ قَرِيشٍ، تَحَبَّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَالنِّكَاحَ فِي نِسَانِهِمْ، وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدَهَا رَأْيَا وَ أَمْنَهَا لَهَا وَرَاءَ ظَهْرِهَا، وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لَهَا فِي أَيْدِينَا، وَ أَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنَفْسِنَا، وَ هُمْ أَكْثَرُ وَ أَمَكْرُ وَ أَنْكَرُ، وَ نَحْنُ أَفْصَحُ وَ أَتَّصَحُّ وَ أَصْبَحُ.

بيان: قال ابن ميثم فلان بعيد الرأي، إذا كان يرى المصلحة من بعيد لقوة رأيه، و [قوله ﷺ] و «أمنها لما وراء ظهورها» كناية عن حميتهم.

و [قال ابن الأثير] في النهاية النكر بالضم الدهاء و الأمر المنكر.

[قوله ﷺ] «أصبح» أي أحسن وجوها و أجمل، و ألقى للناس بالطلاقة و البشر.

٩٨٨- نهج: [و] قال ﷺ و قد رئي عليه إزار خلق مرفوع قليل له في ذلك فقال^(١):

يخشع له القلب، و تذلل به النفس، و تذلل به النفس و يقتدي به المؤمنون.

٩٨٩- نهج: [و مدحه قوم في وجهه فقال^(٢):

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ، وَ اغْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ.

٩٩٠- و قال ﷺ لرجل أفرط في الثناء عليه و كان له متها^(٣):

أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَ فَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ.

٩٩١- و قال ﷺ يهلك في رجلان محب مطر، و باهت مفتر.

إقال السيد الرضي رحمه الله و هذا مثل قوله ﷺ يهلك في اثنان محب غال، و مبغض قال.

٩٩٢- نهج: و قال ﷺ:

لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسِيفِي هَذَا عَلَى أَنْ يَبْغُضَنِي مَا أَبْغُضَنِي، وَ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمَنَافِقِ عَلَى أَنْ يَحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وَ ذَلِكَ إِنَّهُ قَضَى فَاثْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِنَّهُ قَالَ لَا يَبْغُضُكَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يَحِبُّكَ مَنَافِقٌ.

بيان: الخيشوم أقصى الأنف، و الجمّة المكان الذي يجتمع فيه الماء

٩٩٣- دعوات الزاويدي عن ربيعة بن كعب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك

فالتزموا عليّ ابن أبي طالب^(٤).

و منه في كلام أبي جعفر ﷺ و قد سأله حمران عما أصيب به أمير المؤمنين و الحسن و الحسين ﷺ من قتل الطواغيت إيّاهم و الظفر بهم حتّى قتلوا و غلبوا و قال ﷺ و لو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله و إظهار الطواغيت عليهم سألو الله دفع ذلك عنهم لدفع (الله ذلك عنهم) ثم كان انتضاء مدّة الطواغيت و ذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتيدّد و ما كان الذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه و لا لعقوبة من معصية خالفوا الله فيها و لكن لمنازل و كرامة أراد (الله) أن يبلغهم إيّاها فلا يذهب بك المذاهب فيهم.

و منه قال لما نزل أمير المؤمنين الثّوروان سأل عن جميل بن بصير كاتب [أ] نوشيروان فقيل إنّ بعد حيّ يرزق فأمر بإحضاره فلما حضر وجد حواسه كلّها سالمة إلّا البصر، و [وجد] ذهنه صافيا و قريحته تامّة فسأله كيف ينبغي للإنسان يا جميل أن يكون قال يجب أن يكون قليل الصديق كثير العدو. قال أبدعت يا جميل فقد أجمع الناس على أنّ كثرة الأصدقاء أولى. فقال ليس الأمر على ما ظنّوا فإنّ الأصدقاء إذا كفّروا السعي في حاجة الإنسان لم ينهضوا بها كما يجب و ينبغي و المثل فيه [هو قولهم] «من كثرة المأجحين غرقت السفينة» فقال أمير المؤمنين قد امتحنت هذا فوجدته صوابا فما منفعة كثرة الأعداء فقال إنّ الأعداء إذا كفّروا يكون الإنسان أبدا متحرّزا متحفّظا أن ينطق بما يؤخذ عليه أو تبذر منه زلّة يؤخذ عليها فيكون أبدا على هذه الحالة سليما من الخطايا و الزلل. فاستحسن ذلك [منه] أمير المؤمنين ﷺ.

(١) رواه مع التالين - الشريف الرضي ﷺ في المختار: (٨٣) و ١٠٠ و (١٠٣) من باب قصار كلام أمير المؤمنين و نهج البلاغة.

(٢) رواه - مع ذيله - السيد الرضي ﷺ في المختار: (٤٦٩) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٣) رواه الشريف الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٤٥) من قصار كلام أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة.

و قريباً منه رواه الشيخ الطوسي مستنداً في الحديث: (٣) من الجزء (٨) من أماليه ص ٢٩.

(٤) غير موجودة في النسخة المطبوعة من الدعوات، و قد جعلها المحقّق من المستدركات على النسخة أخذاً من البحار.

٩٩٤-نهج: [و] سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أشعر الشعراء فقال إن القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عن قصبتها فإن كان ولا بد فالملك الضليل^(١).

قال السيد الرضائي رحمه الله يريد من قوله «الملك الضليل» إمرأ القيس.

٩٩٥-أقول: قال ابن أبي الحديد إقرأت في أمالي ابن دريد قال أخبرني الجرهمي عن ابن المهلب عن ابن الكلبي عن شداد بن إبراهيم عن عبيد الله بن الحسن العنبري^(٢) عن ابن عرادة قال كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعيش الناس في شهر رمضان اللحم ولا يتعشى معهم فإذا فرغوا خطبهم وعظهم فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم فلما فرغوا خطبهم عليه السلام وقال في خطبته أعلموا أن ملاك أمركم الدين وعصمتكم القوى وزينتكم الأدب وحصون أعراضكم الحلم^(٣).

ثم قال قل يا أبا الأسود فيما كنتم تفيضون فيه أي الشعراء أشعر فقال يا أمير المؤمنين (أشعر الشعراء) الذي يقول

و لقد أغتدي يدافع ركني
مخلط مزيل معن مفن
أعرجي ذو مسيعة إضريح
منفخ مطرح سبوح خروج

يعني أبا دواد الأيادي. فقال عليه السلام ليس به. قالوا فمن يا أمير المؤمنين فقال لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معا علمنا من السابق منهم ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة. قيل من هو يا أمير المؤمنين قال هو الملك الضليل ذو القروح. قيل إمرؤ القيس يا أمير المؤمنين قال هو.

قيل فأخبرنا عن ليلة القدر قال ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها ولست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظرا لكم لآتة لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله انتهوا رحمكم الله.

ثم قال [و] قال ابن دريد لما فرغ من الخير إضريح ينيق في عدوه. وقيل واسع الصدر. ومنع يخرج الصيد من مواضعه. ومطرح يطرح بصره. وخروج سابق. [و] الغاية بالغين المعجزة الراجعة [و] الميعة أول جري الفرس. [و] قيل الجري بعد الجري انتهى.

أقول الحلبة بالفتح الخيل تجمع للسباق من كل أوب ولا تخرج من وجه واحد. وقصة السبق هي التي تنصب لبحرهما السابق من القوم في الرهان. والضليل كقيدل مبالغة في الضلال. ولعل المعنى أنهم لم يندشوا في أمر واحد وزمان واحد حتى يعرف أيهما أسبق وأكمل.

أو أن الشعر ليس مقصورا على فن واحد ولا لطائفة [و] لا منحصرة في نوع حتى يكون للتفضيل حد معين.

٩٩٦-نهج: و قال عليه السلام أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار^(٤).

قال السيد رحمه الله ومعنى ذلك أن المؤمنين يتبعوني والفجار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها.

٩٩٧-نهج: [و] قيل له عليه السلام بأي شيء غلبت الأقران فقال ما لقيت أحدا إلّا أعانني على نفسه^(٥).

قال السيد الرضائي رحمه الله يومئ عليه السلام إلى تمكن هيئته في القلوب.

٩٩٨-نهج: [و] قال عليه السلام لابنه محمد يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستد بالله منه فإن الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت^(٦).

(١) رواه السيد الرضائي رضوان الله عليه في المختار: (٤٦١) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد، وفي أصلي من ط الكلباني: «الضهري».

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٦١) من نهج البلاغة من شرحه ج ٥ ص ٨٣٨ ط الحديث ببيروت، وفي ط مصر ج ٢٠ ص ١٥٣.

(٤) رواه السيد الرضائي في المختار: (٣١٦) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

ورواه السيوطي - مع حديثين آخرين في معناه - في الحديث: من مسند علي من جمع الجوامع ص ٣١.

وقريبا منه رواه شيخ الطائفة مسنداً في الحديث: (٧٣) من الجزء (١٢) من أماليه ج ١ ص ٣٦٣ ط بيروت.

(٥) رواه السيد الرضائي في المختار: (٣١٨) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٦) رواه الشريف الرضي في المختار: (٣١٩) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

٩٩٩-كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي بإسناده عن الضحّاك بن مزاحم عن عليّ رضي الله عنه قال:

كان خليلي رسول الله ﷺ لا يحبس شيئاً لغد، وكان أبو بكر يفعل [كذلك]، وقد رأى عمر في ذلك أن دُونَ الدواوين، وأخر المال إلى السنة.

وَأَنَا، فَأَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ خَلِيلِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

قال وكان عليّ رضي الله عنه يعطيهم من الجمعة إلى الجمعة، وكان [عند ما يعطيهم] يقول:

هَذَا جَنَانِي وَخِيارِهِ فِيهِ إِذْ كَسَلَ جَانُ يَدِهِ إِلَى فِيهِ

وبأسانيد عن مجمع التَّيْمِيّ أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه كَانَ يَنْزَحُ بَيْتَ الْمَالِ ثُمَّ يَتَنَقَّلُ فِيهِ، وَيَقُولُ أَشْهَدُ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنِّي لَمْ أَحْبَسْ فِيكَ الْمَالَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. ٣٤٩/٣٤

وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال أتى علياً رضي الله عنه مال من أصبهان فقسّمه، فوجد فيه رغيفاً، فكسره سبع كسرات، ثم جعل على كلّ جزء منه كسرة ثم دعا أمراء الأسباع فأقرع بينهم أيّهم يعطيه أولاً. وكانت [قبائل] الكوفة يومئذ أسباعاً. وعن عبدالرحمن بن عجلان، عن حمّاد قال كان عليّ رضي الله عنه يقسم فينا الأبرار، يصرفه صرراً الحرف والكمون وكذا وكذا^(١).

وعن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه أَنَّ دَهْقَانَ بَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه بَثُوبَ دِيْبَاجٍ مَنْسُوجٍ بِالذَّهَبِ، فَابْتَاعَهُ مِنْهُ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ إِلَى الْعَطَاءِ.

وعن يزيد بن محجن التَّيْمِيّ قَالَ أَخْرَجَ عَلِيٌّ رضي الله عنه سَيْفًا لَهُ فَقَالَ: ٣٥٠/٣٤

مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي هَذَا مَتْنِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مَعِيَ ثَمَنَ إِزَارٍ لَمَا بَعْتَهُ.

وعن أبي رَجَاءٍ أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه أَخْرَجَ سَيْفًا لَهُ إِلَى السُّوقِ فَقَالَ:

مَنْ يَشْتَرِي مَتْنِي هَذَا فَلَوْ كَانَ مَعِيَ ثَمَنُ إِزَارٍ لَمَا بَعْتَهُ.

قال أبو رَجَاءٍ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا أَبِيعُكَ إِزَارًا وَأَنْتَ تَكْتُمُهُ إِلَى عَطَانِكَ، فَبِعْتَهُ إِزَارًا إِلَى عَطَانِهِ، فَلَمَّا قَبِضَ عَطَاءَهُ أَعْطَانِي حَقِّي.

وعن أبي إسحاق الهمداني أَنَّ أَمْرَأَتَيْنِ أَتَتَا عَلِيًّا رضي الله عنه عِنْدَ الْقِسْمَةِ، إِحْدَاهُمَا مِنَ الْعَرَبِ، وَالْأُخْرَى مِنَ الْمَوَالِي، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدَةٍ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ دِرْهَمًا وَكِرًا مِنَ الطَّعَامِ، فَقَالَتِ الْعَرَبِيَّةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَمْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ وَهَذِهِ أَمْرَأَةٌ مِنَ الْعَجَمِ!

فَقَالَ رضي الله عنه وَاللَّهِ لَا أَجِدُ لَبْنِي إِسْمَاعِيلَ فِي هَذَا الْفِيءِ فَضْلًا عَنْ بَنِي إِسْحَاقَ^(٢).

وعن يوسف بن كليب عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، عن معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد قال ما اعتلج على عليّ رضي الله عنه أَمْرَانِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ بِأَشَدِّهِمَا، وَ مَا زَالَ عِنْدَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا عَمَلْتُ يَدَهُ، يُوْتِي بِهِ [إِلَيْهِ] مِنَ الْمَدِينَةِ، وَإِنْ كَانَ لِيَأْخُذَ السُّوقَ فَيَجْعَلُهُ فِي الْجِرَابِ ثُمَّ يَخْتَمُ عَلَيْهِ، مَخَافَةَ أَنْ يَزَادَ فِيهِ مِنْ غَيْرِهِ. ٣٥١/٣٤

وَمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَزْهَدَ مِنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه؟^(٣)!

وعن أبي سويد بن الحارث قال أَمَرَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَمَلًا لِمَنْ فَصَنَعُوا لِلنَّاسِ طَعَامًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ صَنَعُوا خَمْسًا وَعَشْرِينَ جَفْنَةً.

وعن هارون بن مسلم البجلي عن أبيه قال أَعْطَى عَلِيٌّ النَّاسَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ ثَلَاثَةَ أَعْطِيَةٍ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ خَرَاةٌ أَصْفَهَانِ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ اغْدُوا فَخُذُوا، فَوَ اللَّهُ مَا أَنَا لَكُمْ بِخَازِنٍ.

(١) وهذا رواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٤ ط الحديث ببيروت.

(٢) ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٥ ط الحديث ببيروت.

ورواه البلاذري بسياق أحسن في الحديث: (١٣٦) من ترجمة أمير المؤمنين رضي الله عنه من أنساب الأشراف: ج ٢، ص ١٤١، ط ١.

(٣) ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٦ ط بيروت.

ثم أمر ببيت المال فكس و نضح، فصلّى فيه ركعتين ثم قال يا دنيا غري غيري.

ثم خرج فإذا هو بحبال على باب المسجد فقال ما هذه الحبال فقيل جيء بها من أرض كسرى. فقال أقسموها بين المسلمين. فكأنهم ازدروها فتقضها بعضهم فإذا هي كتان يعمل، فتأسقوا [فتناسقوا «خ ل»] فيها فبلغ الحبل من آخر النهار دراهم.

٣٥٢
٣٤

وعن سفيان بن عيينة عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال فرض عليّ ﷺ لمن قرأ القرآن ألفين قال وكان أبي ممن قرأ القرآن.

وعن إبراهيم بن يحيى الثوري عن أبي إسحاق بن مهران عن سابق البربري قال رأيت علياً ﷺ أسس مسجد الكوفة إلى قريب من طاق الزيتين قدر شبر شبر.

قال و رأيت المغيس وهو [من] خص^(١) وكان الناس يفرجون ويخرجون منه فبناه عليّ بالصمص والآخر قال فسمعه وهو يقول

ألا ترانسي كيّسا مكيسا بنيت بعد نافع مخلصا

و عن الحسين بن هاشم عن أبي عثمان الدوري عن أبي إسحاق السبيعي قال كنت على عتق أبي يوم الجمعة و أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يخطب و هو يتروّج بكفه فقلت يا أبة أمير المؤمنين يجد الحرّ فقال لا يجد حرا ولا بردا، و لكته غسل قميصه و هو رطب و لا له غيره فهو يتروّج به^(٢).

و عن إبراهيم بن ميمون عن عليّ بن عباس عن أبي إسحاق قال رفعني أبي فرأيت علياً ﷺ، أبيض الرأس واللحية، عريض ما بين المنكبين.

٣٥٣
٣٤

وبأسناده عن عباد بن عبد الله قال كان عليّ يخطب على منبر من آجر.

و عن عدي بن ثابت قال أتى عليّ ﷺ بقالودج فأبى أن يأكله^(٣).

و عن صالح أن جدّه أتت علياً ﷺ و معه تمر يحمله، فسلمت [عليه] و قالت أعطني هذا التمر أحمله. قال أبو العيال أحقّ بحمله. قالت و قال لي ألا تأكلين منه قلت لا أريده. قالت فانطلق به إلى منزله، ثم رجع و هو مرتد بتلك الملحفة و فيها قشور التمر، فصلّى بالناس فيها الجمعة^(٤).

و عن جعفر بن محمد ﷺ قال أتى أمير المؤمنين ﷺ بخبيص فأبى أن يأكله، قالوا [أ] تحرّمه قال لا، و لكنني أخشى أن تتوق إليه نفسي، ثم تلا ﴿أَذْهَبْنِمُ طَبَيِّاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾^(٥).

و عن بعض أصحاب عليّ ﷺ أنّه قيل له كم تصدّق، ألا تمسك قال:

إي والله، لو أعلم أنّ الله قبل منّي فرضا واحدا لأمسكت، و لكنّي و الله ما أدري أقبل الله منّي شيئا أم لا و عن عبد الله بن الحسن قال أعتق عليّ ﷺ ألف أهل بيت بما مجلت فيه يدها و عرقت [فيه] جبينه^(٦).

٣٥٤
٣٤

و عن جعفر بن محمد ﷺ قال أعتق عليّ ﷺ ألف مملوك مما عملت يدها، و إن كان عندكم إنّما حلواه التمر و اللبن و ثيابه الكرابيس.

و تزوّج ﷺ ليلى، فجعل له حجلة فهتكها و قال أحبّ أهلي إليّ ما هم فيه^(٧).

(١) كذا في الحديث: (٦٣) من ترجمة أمير المؤمنين ﷺ من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١١٦، ط ١. وفي أصلي: المجلس. ومثله في البيت التالي.

(٢) وقريبا منه رواه أبو الفرج في ترجمة أمير المؤمنين ﷺ من كتاب مقاتل الطالبين ص ٢٧.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد ص ١٣١، وفي الحديث (١٧) من باب فضائل علي من كتاب الفضائل ص ١٥، ط ١.

ورواه أيضا أبو نعيم في ترجمة أمير المؤمنين ﷺ من كتاب حلية الأولياء: ج ١، ص ٨١.

(٤) وقريبا منه رواه عبد الله بن أحمد في الحديث: (٣٩) من فضائل علي ﷺ من كتاب الفضائل ص ٢٧، ط ١.

(٥) وانظر الحديث (١٨) و (٣٣) من فضائل علي ﷺ من كتاب الفضائل ص ١٦، و ٢٤ وترجمته ﷺ من حلية الأولياء: ج ١، ص ٨١.

ورواه المفيد في الأمالي، المجلس السادس عشر عن صاحب الغارات عن أحمد بن شمر بن عبد الله بن ميمون المكي عن جعفر...

(٦) ورواه مع التالي ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١ ص ١٦٦ ط الحديث ببيروت.

(٧) وفي الغارات: حسب أهل علي ما هم فيه، وفي البحار: أحب أهلي على ما فيه.

و عن قدامة بن عتاب قال كان علي عليه السلام ضخم البطن، ضخم مشاشة المنكبين، ضخم عضلة الذراع، دقيق مستدقها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقها.

ورأيت يخطبنا في يوم من أيام الشتاء، عليه قميص قهز، وإزار، فأناه آت فقال له يا أمير المؤمنين أدرك بني تميم قد ضربتها بكر بن وائل بالكناسة. فقال ها ثم أقبل في خطبته، ثم أقبل آخر فقال مثل ذلك. فقال ها ثم أناه الثالث والرابع، ثم قال أدرك بكر بن وائل قد ضربتها بنو تميم بالكناسة. فقال الآن صدقتني عن بكرك، يا شداد أدرك بكر بن وائل و بني تميم [فذهب] فأفرع بينهم^(١).

بيان: قال [الفيروزآبادي] في القاموس الجرف ببس الحماط [و هو الشجر والعشب]. وقال الكمون كننور حب معروف. وقال القهز [بفتح القاف] و يكسر ثياب من صوف أحمر كالمرعزي و ربما يخالطه الحرير. و قال فرع بين القوم حجز وكف وأصلح.

ثم قال الثقفى [و] روى جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال ابتاع علي عليه السلام قميصا سنبلانيا بأربعة دراهم، ثم دعا الغياط فمد كم القميص فقطع ما جاوز الأصابع^(٢).

و عن عبد الله بن أبي الهذيل قال رأيت عليا و عليه قميص له إذا مدّه بلغ أطراف أصابعه، وإذا تقبض، تقبض حتى تكون إلى نصف ساعده^(٣).

و عن أبي الأشعث العنزي عن أبيه قال رأيت عليا و قد اغتسل في الفرات يوم الجمعة، ثم ابتاع قميص كرايس بثلاثة دراهم، فوصلى بالناس فيه الجمعة و ما حنط جربانه بعد^(٤).

و عن بكر بن عيسى قال كان علي عليه السلام يقول:

يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير رحلي و راحلي و غلامي فأنا خائن.

و كانت نفقته تأتية من غلته بالمدينة من «ينبع»، و كان يطعم الناس الخبز و اللحم و يأكل من الثريد بالزيت^(٥) و يكلها بالتمر من العجوة، و كان ذلك طعامه.

و زعموا أنه كان يقسم ما في بيت المال، فلا يأتي الجمعة و في بيت المال شيء، و [كان] يأمر ببيت المال في كل عشية خميس فينضح بالماء ثم يصلّي فيه ركعتين.

و زعموا أنه كان يقول و يضع يده على بطنه و الذي فلق الحبة و برأ النسمه، لا تنطوي ثمليتي على قلة من خيانة، و لأخرجن منها خميصا.

بيان: قال [الفيروزآبادي] في القاموس الثميلة كسفينة البقية من الطعام و الشراب في البطن. و الثميلة ما يكون فيه الطعام و الشراب في الجوف.

و[قال ابن الأثير] في النهاية في حديث الحجاج «فسر إليها منظوي الثميلة» المعنى سر إليها مخففا.

١٠٠٠-١٠١٩- كتاب الغارات بإسناده عن سعيد بن المسيّب أنّ رجلا بالشام يقال له ابن الخيري، وجد مع امرأته رجلا فقتله، فرفع ذلك إلى معاوية، فكتب إلى بعض أصحاب علي عليه السلام يسأله [فساله] فقال علي عليه السلام:

إنّ هذا شيء ما كان قبلنا، فأخبره أنّ معاوية كتب إليه. فقال عليه السلام إن لم يجئ بأربعة شهداء يشهدون به أقيد به^(٦).

(١) وقرئاً منه رواه البلاذري في الحديث: (١٩٥) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٦٨، ط ١.

(٢) وهذا هو الحديث: (٥٦) من منتخب الغارات ص ٩٥ ط ١.

وليلاحظ عنوان: «لباس علي» من ترجمته عليه السلام من كتاب الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٩.

(٣) وهذا هو الحديث: (٥٧) من تلخيص كتاب الغارات ص ٩٦ ط ١.

وليراجع عنوان: «لباس علي» من الطبقات الكبرى: ج ٣...

ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا القرشي كما رواه بسند عنه الخوارزمي في الفصل العاشر من مناقبه ص ٦٦.

(٤) وهذا هو الحديث: (٥٨) من كتاب تلخيص الغارات ص ٩٧.

(٥) إلى هنا رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة ج ١، ص ٤١٥ ط الحديث ببيروت.

وهذا هو الحديث: (٣٥) من كتاب الغارات - أو تلخيصه - ص ٦٨، وليلاحظ الحديث: (٤٥) منه ص ٨٥.

(٦) وهذا هو الحديث: (٩٤) من كتاب الغارات ص ١٩٠، ط ١، وقد أورده المصنف أيضاً نقلاً عن الغارات في هذا الكتاب في ج ٢٤ ص ٤٣.

وعن أبي حمزة قال: بينما عليّ ذات يوم إذ أقبل [إليه] رجل فقال من أين أقبل الرجل قال من أهل العراق. قال من أيّ العراق قال من البصرة. قال أما إنّها أوّل القرى خراباً، إما غرقاً وإما حرقاً، حتّى يبقى بيت مالها و مسجدُها جَوْجُو سفينة، فأين منزلك منها فقال الرجل مكان كذا. قال عليك بصواحبها عليك بصواحبها^(١).
و عن شرحبيل عن عليّ عليه السلام قال:

كيف بكم و إمارة الصبيان من قريش قوم يكونون في آخر الزمان، يتخذون المال دولة، و يقتلون الرجال. فقال الأوس بن حجر الثمالي إذا تقاتلهم و كتاب الله. قال كذبت و كتاب الله^(٢).

و عن الحسن بن بكر البجلي عن أبيه قال كُنّا عند عليّ عليه السلام في الرحبة، فأقبل رهط فسلموا فلما رآهم عليّ عليه السلام أنكرهم فقال أمن أهل الشام أنتم، أم من أهل الجزيرة قالوا بل من أهل الشام، مات أبونا و ترك مالا كثيرا و ترك أولادا رجالا و نساء، و ترك فينا خنثى له حياء كحياء المرأة، و ذكر كذكر الرجل، فأراد الميراث كرجل فأبيناه عليه.

٣٥٨
٣٤

فقال عليه السلام فأين كنتم عن معاوية فقالوا قد أتيناها فلم يدر ما يقضي بيننا.
فنظر عليّ عليه السلام يميناً و شمالاً و قال لعن الله قوما يرضون بقضائنا و يطعنون علينا في ديننا، انطلقوا بصاحبه فانظروا إلى مسيل البول، فإن خرج من ذكره فله ميراث الرجل، و إن خرج من غير ذلك فوزّوه مع النساء. [قال] فبال من ذكره، فوزّوه كميراث الرجل منهم^(٣).

و عن ابن عباس (عن عليّ عليه السلام) قال أوّل هلاك أهل الأرض قريش و ربيعة.
قالوا و كيف قال أمّا قريش فيهلكها الملك، و أمّا ربيعة فتهلكها الحمة^(٤).
و يحذف الإسناد قال قال عليّ عليه السلام أما و الله ما قاتلت إلّا مخافة أن ينزو فيها تيس من بني أميّة فيتلاعب بدين الله^(٥).
و عن زرّ بن حبیش قال سمعت علياً عليه السلام يقول:

والذي فلق الحبة و برأ النسمة إنّه لعهد إليّ النبي ﷺ، أنّه لا يحبّك إلّا مؤمن، و لا يبغضك إلّا منافق.
و عن حبة العرنى عن عليّ عليه السلام قال:

٣٥٩
٣٤

إنّ الله أخذ ميثاق كلّ مؤمن على حثي، و أخذ ميثاق كلّ منافق على بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبّني.
و عن فرات بن أحنف قال إنّ علياً عليه السلام خطب فقال:
يا معشر الناس، أنا أنف الهدى و عيناه و أشار إلى وجهه.
يا معشر الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله، فإنّ الناس [قد] اجتمعوا على مائدة، شبعها قصير، و جوعها طويل، و الله المُسْتَعَانُ.

يا معشر الناس إنّما يجمع الناس الرضا و السخط، ألا و إنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فأصابهم العذاب برضاهم بعقرها قال الله تعالى ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَهُ﴾ فقال لهم نبيّ الله عن قول الله ﴿نَاقَةُ اللَّهِ وَ سُقْيَاهَا فَكَذَّبُوه فَعَقَرُوهَا﴾.

يا معشر الناس ألا فمن سئل عن قاتلي فرغم أنّه مؤمن فقد قتلني.

يا معشر الناس من سلك الطريق ورد الماء.

يا معشر الناس ألا أخبركم بحاجبي الضلالة، تبدو مخازيها في آخر الزمان.

٣٦٠
٣٤

ورواه أيضاً النوري عليه السلام في باب القصص من كتاب المستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٢٥٩.

(١) وهذا هو الحديث: (٩٥) من كتاب الفارات ص ١٩٠. وفيه: بصواحبها.

(٢) وهذا هو الحديث: (٩٦) من كتاب الفارات ص ١٩٠. (٣) وهذا هو الحديث: (٩٧) من كتاب الفارات ص ١٩٢.

(٤) وهذا هو الحديث: (٩٨) من كتاب الفارات ص ١٩٤.

(٥) وهذا هو الحديث: (٩٩) من كتاب الفارات ص ١٩٤.

ورواه البلاذري مسنداً في الحديث: (٣٧) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٠٣، ط ١.

وعن أبي عقيل عن علي عليه السلام قال اختلفت النصارى على كذا وكذا، واختلفت اليهود على كذا وكذا، ولا أراكم إبتها الأمة إلّا مستخلفون كما اختلفوا، وتزيدون عليهم فرقة، ألا وإن الفرق كلّها ضالة إلّا أنا ومن تبعني وعن الحسن بن علي عن أبيه عليه السلام قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول يرد علي أهل بيتي ومن أحبهم من أمّتي هكذا وقرن بين السبابتين ليس بينهما فضل^(١)

وعن أبي الجحّاف عن رجل قد سمّاه قال دخلوا على علي عليه السلام وهو في الرحبة وهو على سرير قصير [ف] قال ما جاء بكم قالوا حبّك وحدثك يا أمير المؤمنين. قال والله قالوا والله. قال أما إنّه من أحبّتي يراني حيث يحبّ أن يراني، ومن أبغضني رآني حيث يبغض أن يراني.

ثم قال ما عبد الله أحد قبلي مع نيّته، إنّ أبا طالب هجم عليّ وعلى النبي صلى الله عليه وآله وأنا وهو ساجدان ثم قال فعملتموها فأخذ يحثّني على نصرته وعلى معونته وعن حبّة عن علي عليه السلام قال لو صمت الدهر كلّه وقمت الليل كلّه، وقتلت بين الركن والمقام، بعثك الله مع هواك بالغا ما بلغ، إنّ في حبّة ففي حبّة، وإن في نار ففي نار^(٢). وقال عليه السلام [من أحبّ أهل البيت فليستعدّ عدّة للبلاء.

وقال عليه السلام] يهلك في محبّ مفرط، ومبغض مفرط. وقال عليه السلام [يهلك في ثلاثة وينجو في ثلاثة يهلك اللاعن، والمستمع المقرّ، والحامل للوزر، و[هو] الملك المترف [الذي] يتقرّب إليه بلعني، ويبرأ عنده من ديني، وينتقص عنده حسبي، وإنما حسبي حسب النبي صلى الله عليه وآله وديني دينه.

وينجو في ثلاثة المحبّ الموالي، والمعادي من عاداني، والمحبّ من أحبّتي، فإذا أحبّتي عبد أحبّ محبّي وأبغض مبغضني وشايعني، فليمتحن الرجل قلبه، إنّ الله لم يجعل لرجل من قلوبين في جوفه فيحبّ بهذا ويبغض بهذا، فمن أشرب قلبه حبّ غيرنا فألب علينا فليعلم أنّ الله عدوّه وجبريل وميكال، فإنّ الله عدوّ للكافرين^(٣). وعن ربيعة بن ناجد عن علي عليه السلام قال دعاني النبي صلى الله عليه وآله فقال لي يا علي إنّ فيك من عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتّى بهتوا أمّه، وأحبّته النصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له وقال علي عليه السلام إنّ يهلك في محبّ مطر يقرظني بما ليس في، ومبغض مفرط يحمله شنّ أي على أن يبهتني.

ألا وإني لست نبيا ولا يوحى إلي، ولكن أعمل بكتاب الله ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة فحقّ عليكم طاعتي فيما أحببتكم وفيما كرهتم، وما أمرتكم به أو غيري من معصية الله فلا طاعة في المعصية، الطاعة في المعروف الطاعة في المعروف [قالها] ثلاثا.

١٠٢٠-١٠٢٢. ما المفيد عن إبراهيم بن الحسن بن الجمهور عن أبي بكر المفيد الجرجاني عن أبي الدنيا المعمر المغربي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال عهد إلي مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لا يحبّني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق زنديق^(٤).

وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لما نزلت ﴿وَوَعِيَهَا أَذُنٌ وَأَعْيَتْ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله سألت ربّي أن يجعلها أذنك يا علي^(٥).

وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ما رمدت عيني ولا صدعت منذ سلّم رسول الله صلى الله عليه وآله إلي راية خير^(٦).

(١) وهذا هو الحديث: (٢٣٩) من تلخيص كتاب الفارات ص ٥٨٧ ط ١.
وقد ذكرناه عن مصدر آخر أو مصادر آخر - في ما اخترناه من كلام الإمام الحسن عليه السلام.
(٢) هذا الحديث مع التوالي رواها التفتي في الحديث: (٢٤١ - ٢٤٥) من كتاب الفارات ص ٥٨٨ - ٥٩٠. وللأحاديث مصادر أخرى.
(٣) اقتباس من الآية: (٩٨) من سورة البقرة: «من كان عدوّاً لله ولما كنّه ورسله وجبريل وميكال فإنّ الله عدوّ للكافرين».
(٤) هذا الحديث - ما عدا لفظة «زنديق» - متواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام.
أيضاً رواه الشيخ الطوسي بسند آخر في الحديث: (٣) من الجزء العاشر من أماليه ص ٢٦٤.
(٥) وللحديث مصادر وأسانيد كثيرة جداً يجد الباحث أكثرها في تفسير الآية الكريمة من كتاب شواهد التنزيل.
(٦) ورواه أيضاً ابن عساکر بأسانيد في الحديث: (٢٦٦) وما حوله من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١، ص ٢٢٢ ط ٢.

فائدة مهمة شافية وافية في دفع شبه الفرقه الطاغية الغاوية

اعلم [أنه] قد اختلف المسلمون في أنه هل كان يسوع للنبي ﷺ الاجتهاد فيما لا نص فيه أم لا؟ ثم على تقدير الجواز، هل كان مقصورا على أمور الدنيا و ما لا تعلق لها بالدين أم يتعدى إلى غيرها و على تقدير التعدي، هل يخص الحروب أم يتجاوزها؟

٣٦٤
٣٤

ثم القائلون بالجواز اختلفوا في الوقوع، فأنبت طائفة و منعه آخرون و توقّف قوم. ثم القائلون بالوقوع، اختلفوا في أنه هل كان يجوز عليه الخطأ في الاجتهاد أم لا و على الجواز، هل يقرّ على خطئه أم يردّ عنه؟

فذهب إلى كلّ فريق إلّا إقراره على الخطأ، فإنّ الظاهر من كلامهم أنه لم يقل به أحد و جعلوا ردّه عن الخطأ وجه الفرق بينه و بين سائر المجتهدين.

و قد ادّعى العلّامة في شرحه لمختصر ابن العاجب الإجماع على أنه لا يقرّ على الخطأ، و يظهر من كلام الآمدي و بعض شراح صحيح مسلم أيضا ذلك.

فاختار الجبائي و أبو هاشم أنه ﷺ لم يتعبّد في الشّرعيات بالاجتهاد، و لم يقع منه فيها، و كان متعبّدا به في الحروب.

و حكي عن الشافعي و أحمد بن حنبل و أبي يوسف تعبده به مطلقا. و ذهب طائفة و منهم القاضي عبد الجبار و أبو الحسين البصري إلى أنه يجوز ذلك من غير قطع به. و نفاه أصحابنا قاطبة رضوان الله عليهم رأسا، و لم يجوزوه في أمور الدين و الدّنيا أصلا. ثم لا يخفى أنّ جواز الاجتهاد و وقوعه منه ﷺ لا يستلزم جواز مخالفته، إذ يجوز أن يكون في أحكامه ما أدّى إليه اجتهاده، و مع ذلك لا يجوز لأحد خلافه لايجاب الله تعالى طاعته مطلقا.

و نظير ذلك أنّ الأئمة يجوز أن تجتمع على حكم بالاجتهاد، و مع ذلك لا يسع أحد مخالفتها أصلا عندهم، و المجتهد في فروع الأحكام يحكم باجتهاده و لا يسوغ لمقلّده مخالفته، و إن جاز عليه الخطأ في حكمه.

و لما كان المعقل الحصين للمخالفين في دفع المطاعن عن أثمتهم المضلين التمسك بجواز مخالفة الرسول الأمين ﷺ، كما فعلوا ذلك في مخالفتهم له في تجهيز جيش أسامة و غيرها، أردنا أن نختم هذا المجلّد المشتمل على مطاعنهم بما يدلّ على فساد أحد الأمرين أعني جواز الاجتهاد عليه ﷺ، أو وقوعه منه، و جواز مخالفته في شيء من أحكامه و إن كان عن اجتهاد، لاستلزام كلّ منهما ما هو المقصود، و التوكّل في جميع الأمور على الرّبّ الودود. فنقول يدلّ على ذلك وجوه:

٣٦٥
٣٤

الأوّل قوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ نفى سبحانه كون نطقه ﷺ عن الهوى، و حصره في كونه وحيا، و لو كان بعض أقواله عن اجتهاد لما صحّ الحصر.

و لو قلنا بكون الهوى متناولا لاجتهاد بقرينة المقابلة، لاقتضائها كون المراد بالهوى ما ليس بوحى و الاجتهاد ليس بوحى لدلّ الجزء الأوّل على المدعى أيضا.

و أورد عليه بأنّ المراد بالآية نفى ما كانوا يقولونه في القرآن أنه افتراه، فانتفى العموم، و لئن سلّمنا فلا نسلم أنه ينفي الاجتهاد لأنّه إذا كان متعبّدا بالاجتهاد بالوحى، لم يكن نطقه عن الهوى، بل كان قولاً عن الوحى.

و الجواب عن الأوّل أنّ الآية غير معلوم نزولها في ردّ قولهم المذكور، فلا يجوز تخصيص القرآن به، و إنّما يجوز [التخصيص] بالمعلوم و ما في حكمه، و لو سلّم فخصوص السّبب لا يخصّص العموم كما هو المشهور، و لا دليل من الخارج على التخصيص.

و عن الثاني من وجوه.

منها أنّهم يقابلون الوحى بالاجتهاد في كثير من كلامهم.

ومنها أَنَّ الوحي هو الكلام الذي يسمع بسرعة، وليس الاجتهاد كذلك، وإنما يستند حجتيه إلى الوحي، والمستند إلى الوحي في أمر غير الوحي، والدليل عليه صحة التقسيم بأن يقال أهو وحي أم مستنتب من الوحي ومستند إليه وقد قال سبحانه ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحِي﴾ وقد اعترف البيضاوي بما ذكرنا حيث قال بعد نقل الجواب وفيه نظر لأن ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي.

ومنها أَنَّ نخصص الكلام باجتهاد يجوز فيه الخطأ، ولا تنازع الآن في اجتهاد يؤمن معه الخطأ ولا يجوز مخالفته، ويكون من قبيل القاطع، ولا يتعلّق غرضنا في هذا المقام بأن النبي ﷺ هل يقول ما يقوله عن الوحي النازل بخصوص كل قول أو يقول من طريق عام، يأخذه عن ضابطة كلية لا يأتيها الباطل من بين يديها ومن خلفها؟ فنقول قال الله تبارك وتعالى ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ وقد اتفق المفسرون على أَنَّ الآية مسوقة لنفي الضلال وإثبات الوحي، إنما هو لنفي الضلال المذكور في الآية، والضلال لا يختص بالأصول، بل يكون في الفروع في جميع أقسام الأحكام، وإلّا لم يكن لاستدلال القوم على حجّة الإجماع في الفروع حتّى الحروب والولايات بما روي عن النبي ﷺ من قوله «لا تجتمع أمّتي على الضلالة». وما يحذو حذوه معنى.

فقد ثبت إذن أَنَّ الوحي لا يتناول اجتهادا يجوز الخطأ فيه، وإلّا لم يلزم من كونه وحيا نفي الضلال عنه كما هو المقصود، وهذا القدر يكفي، ويدلّ عليه ما روي أنّه ﷺ نزل منزلا ف قيل [له] إن كان ذلك عن وحي فالسمع والطاعة، وإن كان عن رأي فليس ذلك بمنزل مكيدة، والمشهور أَنَّ المنزل كان ب «بدر»، والقائل [هو] حباب بن المنذر. فدلّ ذلك على أَنَّ الوحي لا يجوز فيه الخطأ، وقد قرره النبي ﷺ، ولم يسمع بأحد يطعن على قائل هذا القول ويقول تقسيمه هذا باطل.

وأي ملازمة بين كونه وحيا، وجوب السمع والطاعة، لا في زمن الصحابة ولا في زمن التابعين إلى عصرنا هذا، مع تركز ذلك النقل في كتب السير والتواريخ، وفي كتب الأصول في مقام الاستدلال على مسائل من الاجتهاد المتعلقة بالنبي ﷺ؟

ولو لا أَنَّ الوحي لا يجوز فيه الخطأ ولا يطلق شرعا على ما لا يؤمن معه الغلط، ويجوز مخالفته، لاستحال عادة أن لا ينكر أحد على هذا القول، ولا يقدح فيه، مع توفر الدواعي على القدح والردّ عليه، حيث استدلّ به على محلّ النزاع في مسائل كثيرة قد طال الخصام فيها، وذلك مما يقطع به في عادات الناس، خصوصا الممارسين لمباحث الحجاج والنظر ومسائل الخلاف، وقد رأيناهم يركبون تأويلات بعيدة وتكلفات باردة، فأين كانوا عن القدح المذكور؟ وبالجملة، ما ذكرناه دليل على أنّهم علموا صحة ذلك التقسيم، إمّا بتقرير النبي ﷺ، أو بدليل آخر، فلا يتوهم أَنَّ ما ذكرناه ثانيا راجع إلى الأول.

[الوجه] الثاني قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَبْغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾.

والمراد، قضاء رسول الله ﷺ، ونسبته إليه تعالى للتنبيه على أَنَّ قضاءه ﷺ قضاء الله كما ذكره المفسرون، وكلّ ما قاله النبي ﷺ ولو بالاجتهاد، فمّا قضى به، فلا يجوز العدول عنه ومخالفته، وتخصيص الخيرة بما يكون بمجرد التشهي لا عن اجتهاد، وكذا المعصية لا وجه له، وإنما هو مجرد تشهي التأويل، والانصراف عن الظاهر، ومعصية لسنّة الأخذ بظواهر الكتاب والسنة بلا قرينة تقتضيه وشاهد يشهد له.

[الوجه] الثالث قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ تقريره أَنَّ المسألة الخلافية بين الأئمة يصدق عليها أنّها ما شجر بينهم فيجب في كلّ مسألة خلافية أن يحكموه ﷺ، ويرجع إلى قوله ويسلموا ويركعوا إليه، ومخالفته ﷺ بالاجتهاد ضدّ ذلك.

فظهر أَنَّ المسألة الخلافية، لا يجوز مخالفة ما يظهر من قوله ﷺ فيها، سواء كان بالاجتهاد أو غيره، والمسائل الإجماعية وما لم يسبق إليه أحد بنفي أو إثبات أولى من ذلك.

أَمَّا الإجماعية فظاهر، وأما ما لم يسبق إليه أحد فلا نأتباعه إذا وجب فيما تحقق قوله طائفة من المسلمين وشبهة شرعية بخلافه، ولم يمنع ذلك من وجوب اتباعه، ففيما لا يتحقق فيه ذلك الذي يتوهم مانعا أولى.
وأيضا لا قائل بالفصل، فإن الأمة بين قائل بجواز مخالفته في الخلافات وغيرها، وبين ناف له فيهما جميعا.
وبهذا يندفع توهم أن قوله ﷺ، ربما كان مآجا جمع على خلافه على أنه قبل الإجماع على خلافه، كان مما لم يسبق إليه قول بنفي ولا إثبات، أو كان مما وقع فيه الخلاف.

فإن قلت هاهنا احتمال آخر ذهب إليه جماعة، وهو أن يخطئ ﷺ وينبئه بالوحي على خطئه وما ذكرت لا ينفيه. قلنا هذا لا ينفع فيما نحن فيه، فإن الغرض أنه ﷺ لا يجوز مخالفته والعدول عن قوله بالاجتهاد، وأما أن ينبئه بالوحي عليه، فكلام لا يسمن ولا يغني من جوع في جواز إبطال قوله ﷺ، وتخطئه رأيه وتصحيح ما صنعه جماعة من أصحابه خلافا لأمره، وردا عليه حكمه فيما لا وحي يدل على خطئه، بل قرره الله تعالى وأضاء على رأيه.

[الوجه الرابع قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مفهوم الشرط إن لا تتبّعوني لا يحبكم الله ولا يغفر لكم ذنوبكم، وما كان موجبا لعدم محبة الله وعدم مغفرة الذنوب، كان حراما. فإن قلت كل ما هو مستحب كان موجبا لمحبة الله، وربما كان سببا للمغفرة أيضا، ويصح استعمال الشرط فيه ويكون مفهومه حينئذ إن لا تفعلوه تفوت المحبة المترتبة عليه، والمغفرة المسيّبة منه، فلا يدل على الوجوب.

قلنا أولا إن رجحان الاتّباع كاف لنا، فإن من لا يجوز الاجتهاد عليه ﷺ، يجعل أمره واجبا ما دام لم يدل دليل آخر على خلافه أقوى منه، ومن يجوزّه يجعل تركه ومخالفته واجبا أو مندوبا أو مباحا حسب ما أدّى إليه اجتهاده، ولا يجعل اتّباع أمره مندوبا أيضا في أكثر الأمور.

فالقول بأن اتّباع أمره مندوب لا محالة، خلاف الإجماع المركّب.

وثانيا إن مفهوم الشرط يقتضي انتفاء الجزاء مطلقا، لا الجزاء المقيد بالشرط المقارن له، وإلا لم يصح الاستدلال بمفهوم الشرط في شيء من المواضع.

ولا يتوهم أن الأمر بالاتّباع مطلق لا عام، فيصير حينئذ حاصل المفهوم إن لا تتبّعوني في شيء لا يحبكم الله أصلا، لا [أن المفهوم] إن لا تتبّعوني ولو في أمر واحد لا يحبكم الله لأن الاتفاق مآ ومن الخصم حاصل على أن المراد به الأمر بالاتّباع في جميع الأوامر، ولهذا استدلوا به في مسألة التأسي. فتدبر.

[الوجه الخامس قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وجه الدلالة أمور.

أ-ها أمره تعالى بالأخذ بما أمر به الرسول ﷺ.

وثانيها أمره [تعالى] بالانتهاء عما نهى عنه، فإن كان نهى عن خلاف ما أمر به فذاك، وإلا فالأمر بالشيء، نهى عن ضده عند أكثر علماء الأصول، وفي النهي بعكس الأمر.

وثالثها تعقيب الكلام بالوعيد الشديد والعقاب العظيم.

وأيضا [في] أمره بالتقوى بعد ذلك، إشعار بأن الأخذ والانتهاؤ المذكورين هما التقوى، وأن تاركه مسلوب عنه اسم التقوى مع [أن] النصوص الدالة على الأمر به وحرمة تركه أدلّة على الوجوب.

السادس قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وجه الدلالة أنه متى كان قول الرسول ﷺ موجودا، ثم قدّمنا اجتهادنا عليه لزم التقدّم بين يدي الله ورسوله.

وقد دلّت صحاح أخبارهم على أن الآية نزلت في ممرأة أبي بكر وعمر، في تأمير الأقرع بن حابس والتقعاق بن معبد، وقد كان ما تنازعا فيه من الأمور المتعلقة بالحروف، ولم يكن سبق من رسول الله ﷺ فيه أمر، وإنما أشار كل واحد من الرجلين لما رأى في تأميره من المصلحة بزعمه، وإذا كان مثل ذلك من التقديم المنهي عنه الموجب تنويح الظاهر من سياق الآية، فالأمر في الاجتهاد فيما سبق فيه أمر منه ﷺ، وكان أشدّ تعلّقا بالدين أولى وأظهر.

[الوجه السابع قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وجه الدلالة أنه متى كان قول الرسول ﷺ موجودا، ثم قدّمنا اجتهادنا عليه لزم التقدّم بين يدي الله ورسوله.

وَالرُّسُولِ، وَالرَّدَّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعْنَاهُ إِذَا التَّرَقُّفَ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ حُكْمَهُ بِنَصِّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى مَا هُوَ الْحَقُّ، أَوْ الْمَرَادُ بِهِ الْقِيَاسُ عَلَى الْحُكْمِ الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَ عَلَى التَّقْدِيرِ الْأَوَّلِ يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ الْقِيَاسِ مُطْلَقًا، وَ عَلَى الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ الْقِيَاسِ فِيمَا وَجَدَ فِيهِ نَصٌّ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى مَا شَرَحَ فِي التَّفَاسِيرِ. وَ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ يَبْطُلُ الْقِيَاسُ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ وَ إِذَا بَطَلَ الْقِيَاسُ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ لَمْ يَجَزِ الْعَمَلُ بِهِ فِيمَا وَجَدَ فِيهِ نَصٌّ مِنَ الرُّسُولِ ﷺ، لَمْ يَجَزِ الْجَاهِدُ وَالْعَمَلُ بِهِ مَخَالَفَةً لِقَوْلِ الرُّسُولِ ﷺ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ قَالَ بِعَدَمِ جَوَازِهِ بِالْقِيَاسِ، قَالَ بِعَدَمِ جَوَازِهِ مُطْلَقًا.

عَلَى أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مُتَنَازَعٍ فِيهِ، سَوَاءٌ كَانَ مِمَّا يُوْخِذُ حُكْمَ طَرَفِي النِّزَاعِ، أَوْ أَحَدَهُمَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ حُكْمٌ فِيهَا بِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَرْجَعَ فِيهِ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَحْكُمُ بِأَحَدِ الطَّرَفَيْنِ، فَعِنْدَ مَخَالَفَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْجَاهِدِ وَلَوْ بِالِاسْتِنْبَاطِ الطَّنِّيِّ مِنَ النَّصِّ، يَصْدُقُ أَنَّهُ مِمَّا يَجِبُ الرَّجُوعُ فِيهِ إِلَى النَّصِّ، فَلَا يَجُوزُ الْجَاهِدُ عَلَى خِلَافِهِ. بَقِيَ الْكَلَامُ فِي أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ إِجْمَاعِيَّةً فَلَا يَصْدُقُ أَنَّهَا مُتَنَازَعٌ فِيهَا، أَوْ كَانَتْ مِمَّا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ قَوْلُ وَالْجَوَابُ عَنْهَا قَدْ سَبَقَ فِي تَقْرِيرِ الْاسْتِدْلَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الْآيَةَ.

الثَّامِنُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودُهُمْ عَلَى صَدِّهِمْ عَنِ الرُّسُولِ ﷺ مُطْلَقًا، قَدْ لَمْ عَلَى أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ مِمَّنْ كَانَ وَ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ مَذْمُومًا غَيْرَ سَانِعٍ، فَلَا يَجُوزُ مَخَالَفَتُهُ فِي شَيْءٍ لَأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الصَّدِّ.

التَّاسِعُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قَالُوا تَقْرِيرُهُ أَنَّ إِرْسَالَ الرُّسُولِ لِمَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِيُطَاعَ، كَانَ مِنْ لَمْ يَطْعُهُ وَ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِهِ لَمْ يَقْبَلْ رِسَالَتَهُ، وَ مِنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ كَافِرًا مُسْتَوْجِبًا لِلْقَتْلِ.

و هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُمْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ فَهَمُوا مِنْهُ عُمُومُ الْإِطَاعَةِ فِي جَمِيعِ الْأَوَامِرِ، بِمَعْنَى أَنَّ الْإِرْسَالَ لِلِإِطَاعَةِ فِي جَمِيعِ الْأَوَامِرِ وَ النِّوَاهِي لَا يَجُوزُ أَنْ يَخَالَفَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ إِعْلَامِ أَنَّ الْغَرَضَ مِنَ الْإِرْسَالِ هُوَ الْإِطَاعَةُ، إِبْجَابُ الْإِطَاعَةِ عَلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، لَا مَجَرَّدَ أَنَّ الْغَرَضَ هُوَ الْإِطَاعَةُ.

وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ إِنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ يُوْهِمُ الْعُمُومَ، وَ لَعَلَّهُمْ إِذَا فَهَمُوا ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُضَارَعَةَ تَفِيدُ الْاسْتِمْرَارَ الزَّمَانِي، وَ لَا قَاتِلَ بِأَنَّ إِطَاعَةَ النَّبِيِّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَاجِبٌ وَ إِنْ لَمْ يَجِبْ فِي جَمِيعِ الْأَوَامِرِ، لَكِنْ ذَلِكَ لَا يُوْجِبُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرَ اللَّفْظِ ذَلِكَ، وَ إِنَّمَا يَسْتَلْزِمُ وَجُوبَ الْإِطَاعَةِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ فِي الْوَاقِعِ.

أَوْ يَقَالُ نَزَلَ الْأَوَامِرُ الْجَزْئِيَّةُ مَنْزِلَةً فِي أَجْزَاءِ الزَّمَانِ. فَأُرِيدُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى عُمُومِ الثَّانِي عُمُومِ الْأَوَّلِ، كَمَا أَنَّهُ يُرَادُ بِالْإِدْوَامِ وَ الْإِبْدِيَّةِ عُمُومُ الْأَفْرَادِ وَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَبْعِيضِ الْأَوْقَاتِ تَبْعِيضُ الْأَفْرَادِ.

و فِيهِ أَنَّ ذَلِكَ مُجَازٌ غَيْرُ ظَاهِرٍ، وَ دَعْوَى ظَهْرِهِ بَعِيدٌ. وَ التَّحْقِيقُ أَنَّ الطَّاعَةَ ضِدَّ الْمَعْصِيَةِ، وَ الْمَعْصِيَةُ الْمُضَافَةُ إِلَى الْأَمْرِ تَصْدُقُ بِمَخَالَفَتِهِ وَ لَوْ مِنْ وَجْهِ، وَ الْمُضَافَةُ إِلَى الشَّخْصِ الْأَمْرُ تَصْدُقُ بِمَخَالَفَةِ أَمْرٍ وَاحِدٍ مِنْ أَوَامِرِهِ، فَالطَّاعَةُ لِلْأَمْرِ هُوَ عَدَمُ مَخَالَفَتِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَ لِلشَّخْصِ الْأَمْرُ هُوَ عَدَمُ مَخَالَفَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَوَامِرِهِ، وَ لِهَذَا كَانُوا يَكْتَفُونَ فِي إِعْطَاءِ الْقِيَادَةِ لِلْأَمْرَاءِ وَ التَّسْلِيمِ لَهُمْ بِأَنَّهُ سَامِعُونَ لَكَ مَطِيعُونَ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّيٍّ لِمَطْلُوقِ الطَّاعَةِ. وَ قَوْلُهُمْ أَطْعَمَاهُ فِي الْأَمْرِ الْفُلَانِي دُونَ غَيْرِهِ، مُجَازٌ خِلَافَ الظَّاهِرِ.

وَ يُؤَيِّدُهُ أَنَّهُمْ اسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾. وَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ عَلَى مَسْأَلَةِ النَّاسِي، وَ لَوْ لَا الْعُمُومُ لَمْ يَصِحَّ هَذَا الْاسْتِدْلَالُ.

الْعَاشِرُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَفَاتٍ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وَ تَقْرِيرُ الْاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى نَمَطِ الْاسْتِدْلَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. كَمَا سَبَقَ إِنْ الْوَجْهِ الْأَوَّلُ.

الْحَادِي عَشَرَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَ لَا يَكُنْ لِي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وَ تَقْرِيرُهُ مَا عَلِمَ سَابِقًا.

الثَّانِي عَشَرَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ﴾ دَلَّ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ الرُّسُولِ فِي أَيِّ أَمْرٍ كَانَ سَبَبٌ لِلْكَوْنِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ، وَ لَوْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَخْطُئًا فِي اجْتِهَادِهِ وَ

علم ذلك، لم يكن طاعته في ذلك الأمر سببا لما ذكر، فدلّ على عدم الخطأ في الاجتهاد.

الثالث عشر قوله تعالى ﴿أَتُوبُنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ دلّ على أنّ المأثور عن الأنبياء الأولين لا يحتمل الخطأ، وإلا لم يكن بين إتيانهم بالأثارة وعدمه فرق.

و يمكن المناقشة [فيه] بوجهين:

الأول أنّ لا نسلم أنّه يدلّ على عدم الخطأ في الأثارة، وإنّما يدلّ على عدم الصدق بدونها يعني أنّهم لا يقدرون على الإتيان بالأثارة الدالّة على الشرك، و ما لم يأتوا بها لا يكونون صادقين في دعواهم لأنّ ذلك ليس مما يعلم بالعقل المحض، فإن علم، فإنّما يعلم بالنقل، و لا نقل هاهنا، و لا ينافي هذا أن لا يكفي النقل المذكور في الشرك. و الثاني أنّ ذلك من الأصول، و نحن لا نخالف في عدم جواز مخالفة النبي فيما قاله في أصول الدين، وإنّما نجوز مخالفته في الفروع.

و كلتاها خلاف الظاهر فلا ينافي التمسك بظاهره.

الرابع عشر الآيات الدالّة على النهي عن اتّباع الظنّ و الاقتصاد على العلم، و قول النبي ﷺ معلوم أنّه حكم الله و لو ظاهرا، و يجوز اتّباعه بل يجب، و اجتهاد الأمة إذا كان مخالفا له، ليس بمعلوم أنّه يجوز اتّباعه لتحقّق الخلاف في ذلك، فمخالفته ترك للمعلوم الواجب المأمور، باتّباعه بالمظنون المنهي عن اتّباعه.

الخامس عشر قوله تعالى ﴿مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ غَلِيظًا وَجْهَ الاستدلال أنّ من عرف اللسان لا يرتاب في أنّ مفاد الآية هو أنّ طاعة الرسول ﷺ ليس إلّا طاعة الله عزّ و جلّ، فكما أنّ من خالف نصّ الله سبحانه بالاجتهاد ضالّ غاو، فكذلك من خالفه ﷺ بالاجتهاد، و من جوز مخالفته. لآته يقول عن اجتهاد لزمه القول باجتهاده تعالى و جواز مخالفته.

و قد فسّر الله تعالى ضدّ الطاعة في الآية التالية لهذه الآية بإضمار غير ما يقول ﷺ، قال سبحانه ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ غُذِيكَ بَيَّنْتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَبَيِّنُ مَا يُلْبِثُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ و قد استدللّ الفخر الرازي في التفسير بهذه الآية على عصمته ﷺ في جميع أقواله و أفعاله ثم قال: [و] قال الشافعي في باب فرض طاعة الرسول ﷺ إنّ قوله تعالى ﴿مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ يدلّ على أنّ كلّ تكليف كلّف الله عباده في باب الوضوء و الصلاة و الزكاة و الصوم و الحجّ و سائر الأبواب في القرآن، و لم يكن ذلك التكليف ميّنا في القرآن، فحينئذ لا سبيل إلى القيام بتلك التكاليف إلّا ببيان الرسول ﷺ، و إذا كان الأمر كذلك لزم القول بأنّ طاعة الرسول عين طاعة الله، هذا كلام الشافعي. انتهى.

و لا يخفى أنّ في هذه الكلمات اعترافا بأنّ الاجتهاد بخلاف أمره ﷺ قطعي البطلان، و اجتهاد بخلاف أمر الله عزّ و جلّ، فلو فرضنا تعبدّه ﷺ بالاجتهاد، لم يجز مخالفته على حال من الأحوال.

السادس عشر قوله تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاهُمْ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

جعل عامة المفسرين الضمير راجعا إلى الرسول ﷺ.

و قول أبي بكر الرازي إنّّه راجع إلى الله سبحانه، لا عبرة به، على أنّه لو صحّ لكان بناء الكلام على ادّعاء أنّ مخالفة أمره مخالفته سبحانه، حتّى تتلاءم أجزاء الآية، و حينئذ يتمّ المقصود بوجه أتمّ.

و إذا كان مخالفة أمره ﷺ موضعا للحدّ عن الفتنة و العذاب الأليم، ظهر فساد الاجتهاد في خلافه. أمّا إذا جعل موافقة الأمر عبارة عن الاعتراف بكون ذلك الأمر حقّا واجب القبول على ما زعمه البعض، فظاهر.

و أمّا إذا جعل بمعنى الإتيان بما أمر به على وجهه، فلاّنه إذا كان مخالفة أمره بهذا المعنى مظنة للعذاب و الفتنة، كان الاجتهاد بخلاف ما أمر به باطلا، و هو المدعى.

[الوجه] السابع عشر الأوامر المطلقة في إيجاب طاعة الرسول ﷺ مفردة و مقرونة بإيجاب طاعة الله سبحانه كقوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ و قوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا

الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» وهي في الكتاب الكريم أكثر من عشرين موضعا، والاجتهاد بخلاف أمره ﷺ تصويب لمخالفة أمر الله عز وجل في إيجاب طاعة رسوله ﷺ، وبطلانه واضح، وإفادة أمثال تلك الأوامر للعموم قد تبين في الأدلة السابقة.

الثامن عشر مما يدل على بطلان الاجتهاد على الوجه الذي يجوز مخالفته، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وعمر كانا يقولان بَأَنَّ حكمهما ربما كان خطأ، وربما كان صوابا، و يلتزمان من الصحابة وسائر من حضرهما أن ينتهوها على الخطأ، ولا يقرروا ولا يدهنوا، ولقد كانت المداخنة من القوم في شأنهما والإغضاء على خطئهما أقل بالنسبة إليه ﷺ، و الاحتشام منهم لهما دون الاحتشام له ﷺ، وتوهم تحتم الصواب وجوب الصحة في قوله تعالى وفعله ﷺ أكثر، لا سيما بعد ما تقرّر وتكرّر أَنَّهُ ﷺ لا يفعل عن شهوة، ولا يقول عن هوى، وإِنَّمَا كلامه ﷺ حكم، ونطقه فصل، وقوله عدل، وشهدت له بذلك الآيات المنزلّة والسور المتلوّة، ولم يكن التوهم في شأنهما بهذه المثابة ولا لهما هذه الأسباب والدواعي، كيف وفي حقّه ﷺ نزل ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ونهى عن معصيته وأوعد على مشاقته ومحاqqته، ولا شيء من ذلك فيهما ولا لهما، فكان النبي ﷺ أحق وأحرى بأن ينته على أَنَّ قوله ربما يباين الصواب، ويخطئ من إصابة الحق، وكيف أهمل ﷺ طول هذه المدة المديدة وأضاع في تلك الأزمنة المتطاولة أَنْ يَحْتَبِ أَمْتُهُ اتِّبَاعَ الْبَاطِلِ، ويحذرهم الاقتداء بغير الحق، ويصونهم عن الإصرار على ما لا ينبغي ويخالف حكم الله، وقد وفق له أبو بكر وعمر واهتديا إليه السبيل.

ولو قال قائل إِنَّ هذا التنبيه والإيماء كان أولى ولم يكن واجبا، كان الدليل قائما والحبّة مستقيمة أيضا، لأن ترك النبي ﷺ هذا الأولى والأليق والشفقة على الأمّة والنظر لها، واختصاصهما بهذه المنزلة وانفرادهما بهذه الفضيلة وإصرارهما على هذا القول الذي يبروه الناس في معرض مدحهما ويعدونه من فضائلهما، مما تأباه القرينة السليمة، أفلا قال ﷺ إِنَّمَا أَنَا مُتْلِكٌ مَّخْطُئٌ وَأَصِيبُ، كما أكل وأشرب وأمشي في الأسواق.

ومن علم عادته وتتبع سيرته ﷺ لم يشك في ريب ولم يختلج شك في أَنَّهُ لو كان ما قالوا مما له مساغ في طريق الصدق، لم يهمل النبي ﷺ أمره، ولا أغفل عن أَنْ يهدي الناس إليه، لكنّ الإنصاف ارتحل من البين، والعصية أرخت سدول الغشاوة على العين.

[الوجه] التاسع عشر مما يدل على ذلك احتجاج أبي بكر على الأنصار يوم السقيفة كما روه بقوله «الأنتم من قریش». وتسليم الأنصار الأمر إليه، وانكسارهم بذلك عن سورتهم، فما بالهم لم يقولوا حجته بأن يقولوا أي دليل في هذا لك وقد علمت أَنَّهُ ﷺ ربما يقول القول عن رأي واجتهاد وطال ما أخطأ ورجع فلا حجة في ذلك ولا يصلح خصوصا فيما يتعلق بالولاية والزعامة، فَإِنَّهُ قَلَّمَا يَكُونُ عَنْ وَحْيٍ سَمَاوِيٍّ وَتَنْزِيلٍ إِلَهِيٍّ، مع شدّتهم في أمرهم وصيتهم فيما بينهم بأن شدّوا على أيديكم ولا تملّكوا أمركم أهدا. حتّى أَنَّ حُبَّابًا كَانَ قَدْ قَبِضَ عَلَى قَبِيْعَةِ سَيْفِهِ، وَكَانَ سَعْدٌ طَوَّلَ حَيَاتِهِ يَعْتَرِضُ وَيَصْرُحُ بِبُطْلَانِ أَمْرِهِمَا وَيَلْمَحُ بِالْتَكَلُّبِ وَالدَّوَانِ إِلَيْهِمَا وَيَتَلَطَّى كَبْدَهُ عَلَيْهِمَا، وَجَمِيعُ الْأَنْصَارِ كَانَ شَأْنُهُمْ ذَلِكَ وَحَالُهُمْ هَذَا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، وَمَا قَالُوا فِي هَذَا الْبَابِ وَحَفِظَ عَنْهُمْ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثَرِ مَشْهُورٌ، وَفِي السِّيرِ وَالتَّوَارِيخِ مَذْكُورٌ. وكيف غفلوا عن هذا التوهين القوي لحجّتهم هب أتهم عن آخرهم أخذتهم الغرّة، وغشيتهم الغفلة في أَوَّلِ الْوَهْلَةِ وَبَادِي الْأَمْرِ، فَهَلْأَ اسْتَدْرَكُوا ثَانِيَا وَاحْتَجَّزُوا مَرَّةً أُخْرَى.

العشرون قول أبي بكر «أقول في الكلالة برأيي، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمَنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريان». فإن كان رسول الله ﷺ أسوة أبي بكر في جواز الخطأ عليه، لم يكن لهذه التبرئة والتنزيه وجه.

الحادي والعشرون ما روي عن ابن مسعود أَنَّهُ قَالَ فِي الْمَوْضِعِ «أقول فيها برأيي، فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمَنِّي ومن الشيطان».

وهذا التفصيل قاطع للشركة، وهاتان الروايتان مشهورتان، وأوردهما العلماء في كتب الأصول واستدلوا بهما على مسائل من أحكام الاجتهاد، ومن جملتها كتاب الأحكام للآمدی.

الثاني والعشرون قول عمر بن الخطّاب «أيكم يرضى أن يتقدّم قديمين قدّمهما رسول الله» أو ما في معناه كما سبق. وقوله [الآخر] «رضيك لأمر ديننا أفلا نرضاك لأمر دينانا».

ولا يخفى أنَّ الصلاة إمَّا من الأحكام والأمور التي يجوز فيها الاجتهاد ويحتمل الخطأ، أو ممَّا يكون بوحى إلهي لا بدَّ منه.

فعلى الأوَّل لا وجه للاستدلال به لأنَّ لهم حينئذ أن يقولوا نحن قد اجتهدنا ورأينا أنَّ الصواب في ضدَّ ما فعله ﷺ، وأنَّ الأوفق بالمصلحة خلاف ما رآه، ولا يتمتع ذلك عليه ولا ترضى بذلك، وأيَّ استبعاد في هذا الرضا وإمَّا يصحُّ هذا الاستبعاد فيما لا يجوز فيه الخطأ ولا يتطرَّق إليه البطلان.

ولئن قيل إنَّ الغالب عليه الصواب وإن جاز الخطأ أحياناً، وما يغلب عليه الصواب ينبغي أن يحترز ويحتجب تركه، والمركز في العقول التباعد عن مخالفة مثله لأنَّ الخطأ مظنون فيها.

قلنا إمَّا أن يكون الأنصار نازعت أبا بكر وادَّعت الإمامة لنفسها بدون متمسك واجتهاد، أو رآته كذلك وقالت ما قالت عن شبهة تعتقدها دليلاً أو تظنُّها حجةً، والأوَّل مما لا يقدم عليه مثل الأنصار الَّذِينَ أَوْزَا وَنَصَرُوا، وهم كبار الصحابة وأعلام المسلمين وخيار الناس وأعيان أهل الدين، [و] كيف يقدم مثلهم على هذا الفسق الواضح أفلا كان في الأئمة من يطعن عليهم بالفسق والعصيان ولو كان، لنقل إلينا وهذا النوع من الاستدلال قد شاع بين القوم التمسك به.

٣٧٩
٣٤

و أيضاً أجمعت الأئمة إجماعاً مركباً على أنَّ كلَّ من قال في الإمامة بالرأي، ودان فيها بالاجتهاد فاسق، أو أنَّهم أتوا بأفضل عبادة وأثبوا وإن لم يصيبوا.

وأما أنَّ بعضهم أصاب الحقَّ واليقين وآخرون فسقوا عن الدين، فمفني إجماعاً، فتعيَّن أن يكون الأنصار ومن يحذو حذوها قالت ما قالت عن شبهة، فكان الواجب على عمر أن يتمسك برجحان اجتهاده ﷺ على اجتهادهم بواحد من الوجوه التي تصلح للترجيح من الأمور المقررة في الأصول.

وعلى الثاني، كان عليه أن يثبت بدليل أنَّه صادر عن الوحي لا عن الاجتهاد، ويأتي بحجة تعيَّن كونه من أحد القسمين دون الآخر.

و أيضاً لا معنى لقياس ما يجوز فيه الاجتهاد ويسوغ عليه الخطأ، كأمر الإمامة والرياسة على ما يجب استناده إلى الوحي والتوقيف، وكيف شبَّه أحدهما بالآخر مع هذا الفارق الجلي الواضح.

الثالث والعشرون قول عمر حين قال بعض المرتابين في جيش أسامة لرسول الله ﷺ «أؤمِّر علينا هذا الشاب الحدث ونحن جلة مشيخة قريش» دعني يا رسول الله أضرب عنقه فقد ناقض.

وهذا يدلُّ على أنَّه يلزم بمجرد مخالفة النبي ﷺ النفاق والكفر، ولا يجوز مخالفته ﷺ، سواء كان قوله عن اجتهاد أو لا، وسواء كان في الولايات والحروب أو غيرهما، وإلَّا فمن أين يلزم نفاقه وكفره ويحلُّ ضرب عنقه؟! وكيف قرَّره ﷺ على هذا الرأي الفاسد والزعم الباطل ولم ينكر هو عليه ولا أحد من الصحابة والتابعين وأين

٣٨٠
٣٤

كان أعداؤه المتبعون لعثراته وزلاته، الطالبون لخطاياهم وأغلاطه عن هذا الخطأ الظاهر؟!

وكيف لم يطعن الفقهاء عليه طول هذه المدة ولم يعترض عليه حتَّى أنَّ الذين كانوا على رأي الروافض في الصدر الأوَّل عطشى الأكباد لأدنى هفوة من هفواته، كهشام بن الحكم، ومحمد بن النعمان الأحول، وغيرهم ممن عرفوا بهذه الخصلة وعدّوا من أصحاب المقالات والنحل، لم يطعنوا عليه هذا الطعن مع حرصهم على الإزراء به، ولوعهم على تشهير مساويه ومثالبه ولو لا أنَّ هذا كان في الزمن السالف إجماعياً غير مختلف فيه ما أغضوا عليه ولا تغافلوا عنه.

وإنَّ ما ذكرناه أقوى في باب العادات، والمعلوم من أحوال الناس من جميع ما يذكرونه في هذا النمط ويستدلُّون عليه بها، وإنَّما هذا القول البديع والإفك المقتري، شهادة زور وأمانى غرور اختلقها جماعة من المتأخِّرين، تروجها لبعض ما ينتحلونه، و ترميها لأفعال شيوخهم وأئمَّتهم، وهيهات هيهات وأتى لهم بذلك وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون؟

الرابع والعشرون قول عمر أيضاً يوم بدر حين قال أبو حذيفة في بعض ما كلَّم به النبي ﷺ، وقد كان ﷺ يوصي أن لا يقتل أحد من بني هاشم لأنَّهم استكروها ولم يخرجوا طائعين [فقال أبو حذيفة] «أقتل أباءنا وإخواننا

٣٨١
٣٤

ونترك بني هاشم فلو أتى لقيت عمَّ النبي لأضربن خياشمه بالسيف حيث قال [عمر] «إِنَّ أبا حذيفة قد نافق». واستناره النَّبِيُّ ﷺ بقوله «دعني أضرب عنق هذا المنافق». ولم ينكر النَّبِيُّ ﷺ على عمر قوله، ولو كان الأمر على ما زعموه لكان الحري بالهادي المهدي الراشد المرشد المبعوث للدلالة والهداية أن يقول له أتى رابطته زعمت بين إنكار قولي وبين النفاق. بل هو طاعة لله، فإن كان صواباً فله أجران. وإلاً فأجر واحد، خصوصاً في الحروب وتديبر أمر الجيوش والمغازي، سيما يوم بدر الذي كان المسلمون فيه في غاية القلَّة ونهاية الضعف، ولم يشتدَّ ساعد الإسلام بعد، وكانت إثارة الإحْنِ مجلبة للمحن، فلو لا أن عمر كان مصيباً في ذلك لما تغافل عنه النَّبِيُّ ﷺ ولم يعتذر بأنَّه يحبُّ الله ورسوله، ولم يذهب في إصلاح ما بدا منه في الظاهر إلى أمر الباطن، ومن المعلوم أن الظاهر إذا لم يفسد، لم يجز العدول في جواب قذح القاذح فيه إلى أن باطنه على خلاف ما يومه ظاهره، فإن ذلك كلام من يسلم من خصمه صحة مقدماته التي ادَّعاه، ولكن ذلك القدر لا يكفي في المطلوب، بل العمدة أمر الباطن وهو ملاك الأمر.

ولو كان الأمر كما زعمه القوم لكان النَّبِيُّ ﷺ يقول صادعاً بالحق أن لا غائلة في قول أبي حذيفة ولا قذح، وإنَّما ذلك أسوة سائر الكلمات التي يسوغ لكل أحد أن يكلمني، ولو لم يكن عبادة فلا أقلَّ من أن يكون مباحاً، ولم يكن يعرض بأمر باطنه وصحة عقيدته، ولا يحيل على أمر غير ظاهر للناس خفي عن الأبصار.

الخامس والعشرون أن الناس اجتمعوا على عثمان زارين عليه طاعتين فيه بمخالفته رسول الله ﷺ والعدول عن سنته، وعدَّوا عليه أمورا، فلو جاز لأحد أن يخالفه بالاجتهاد لكان لعثمان أن يجيب خصمه بذلك وينظرهم عليه، أو يرشدهم إليه، وما رأيناه فعل ذلك مع كثرة المواقف التي واقفه فيها كما مرَّ بعضها، ولو فعل لنقل إلينا، ولقد كان كثير من الصحابة الذين طعنوا عليه واجهوه بما يسوؤه، وعبوه حين غابوا، وزجروه إذ حضروا عنده، ولم يعتل هو بأنَّه اجتهدت ورأيت أنَّ الصواب في خلاف ما قاله وفعله، وقد علمت أنَّه كثيرا ما كان يقول شيئا ويخالفه الناس لخطي في رأيه، وإنا قالنا أنا اليوم إمام القوم أولى منهم بذلك، ولو ساء ما قلتم، استحال أن يتغافل عنه عثمان أو يغفل هو وأتباعه والمصححون لما فعله في عصره، ولو احتجَّ واعتلَّ بذلك، استحال في العادة أن لا ينقل إلينا ولم ينقل.

[الوجه] السادس والعشرون أنَّه لما كلمَ عثمان أبا بكر وعمر في ردِّ الحكم، أغظَّ له القول وزبراه وقال له عمر يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني أن أدخله والله لو أدخلته لم آمن أن يقول قاتل غير عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لئن أشقَّ بانتئين كما تشقُّ الآلَّة وهو خوص المقلَّ أحبُّ إليَّ من أن أخالف لرسول الله صلى الله عليه وآله عليه أمرا، وإياك يا ابن عَقَّان أن تعاودني فيه بعد اليوم.

ولو جاز مخالفته بالاجتهاد، لم يكن لعمر أن يرذِّ قول عثمان ويدفعه بأنَّه مخالفة الرسول ﷺ، وأنَّ شقَّه بانتئين أحبُّ إليه منها، بل كان ينبغي أن ينظره ويحجَّه بطريق الاجتهاد وسنَّة النظر ومراعاة المصالح والمفاسد، ويرى عثمان وجه خطئه، وأنَّه في أيِّ موضع من مقدمات الاجتهاد وقعت له الغفلة وحصل منه الإهمال، وما نراه فعل هو ذلك ولا أبو بكر.

السابع والعشرون قول عمر بعد ما سمع الخير في دية الجنين «لو لم نسع لقضينا فيه بغير هذا». وروي أنَّه قال «تقضي فيه برأينا». فدلَّ على أنَّه كان يترك الرأي بخير الواحد، ولم ينكر على عمر أحد قوله و كان يرى التفاوت في دية الأصابع، فرجع عن رأيه بخبر عمرو بن حزم، أنَّ في كلِّ إصبع عشرة. الثامن والعشرون حديث أبي الدرداء حيث روى نهي رسول الله ﷺ عن بيع أواني الذهب والفضة بأكثر من وزنها. فقال معاوية لا أرى بذلك بأسا.

فقال أبو الدرداء من يعذرني من معاوية أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه لا أساكنك بأرض أبدا. دلَّ كلام [أبي الدرداء هذا] على أنَّ مقابلة النصِّ بالرأي غير مشروع، ولم يخصَّص في إنكاره بالأحكام، بل أطلقه بحيث يتناول الحروب وغيرها، ولو كان هناك فرق بين خير وخير ورأي ورأي، لما صحَّ له الإطلاق. التاسع والعشرون أنَّ عمر كان يرى أنَّ الدية للورثة ولم يملكها الزوج فلا تراث الزوجة منها، فأخبر أنَّ الرسول ﷺ أمر بتوريثه منها، وهو خبر الضحاك بن سفيان بأنَّه كتب النَّبِيُّ ﷺ بتوريثها من الدية.

قال الآمدي ترك [عمر] اجتهاده في منع ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الواحد و قال أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأصلوا كثيرا.

و هذا، وإن كان مورده الميراث إلا أن فحوى الكلام هجر الرأي بخبر الواحد مطلقا، و هذه الأخبار مما استدل به العلماء في كتب الأصول على أحكام خبر الواحد.

الثلاثون ما روي أن عمر جاء رسولا إلى أبي بكر من قبل أعيان الجيش، فاستأذنه في رجوع أسامة متعللا بأن معه من وجوه الناس، و لا نأمن على خليفة رسول الله ﷺ و حرمة و حرم المسلمين أن يتخطفهم المشركون حول المدينة. فقال أبو بكر لو تخطفني الكلاب و الذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ.

و لما أدى إليه [عمر] رسالة الأنصار و سألهم أن يوكل عليهم أحدا أقدم سنا من أسامة وثب من مكانه و كان جالسا و أخذ بلحية عمر بن الخطاب فجزها و قال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله و تأمرني أن أنزعه. وقد كان وجه المصلحة فيما رآه واجتهادهم ظاهرا، فلو لا أن مخالفة النبي ﷺ بالاجتهاد غير سائغ لما ساع لأبي بكر أن يجيبه بالرد من عرض الخلافة عليه أولا، و أفضى بها إليه أخيرا و أن يزري بقدره و يستخف به و يستهزئ ذلك الاستهزاء الذي لا يفعله الجلف الجافي بسوقي ساقط المحل.

و كيف ساع له أن يأخذ بلحيته الكثيفة و يخاطبه بالثكل و الويل و هو غير مستحق لذلك، سوى أنه تحلل رسالة كلها أجر و ثواب، و جلها صدق و صواب بزعمهم، و قد صدرت عن اجتهاد جماعة من المسلمين هم ذروة الأمر و سنامه و أساس الإسلام و قوامه؟

و هل يغضب ذو الدين على الحاكم طاعة جماعة من المسلمين و عبادتهم، و يفعل فعل من لا صبر له، و استشاط غيظا و تلهب غضبا، فلو لا أن الأمر بمخالفة النبي ﷺ و لو كان عن اجتهاد كان فظيحا شنيعا لما ظهر منه ذلك الصنيع مع اتفاق كان بينهما في النفاذ و اتحادهما في الإلحاح و اجتماعهما على ترويح الباطن؟ و هذا آخر ما أردنا إيراده من الأدلة في هذا الباب و فيها كفاية لأولي الألباب.

و لنشر إلى بعض شبه المخالفين:

الأولى قوله سبحانه ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ قالوا عاتبه على الإذن [لمن أراد أن يتخلف عنه] و العتاب لا يكون إلا عن خطأ و الخطأ لا يكون في الوحي بل في الاجتهاد و قال ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ و العفو لا يكون إلا عن ذنب.

و الجواب عنه أما أولا فبأن قد روينا عن أهل بيت العصمة ﷺ كما مر مرارا أن القرآن نزل ب [طريقة قولهم] «إياك أعني و اسمعي يا جارة»، و هي مروية في كتبهم أيضا عن ابن عباس، [و] في معناها عن طرقتنا أخبار كثيرة، فلعل ذلك كان بإشارة الأصحاب الذين تقول فيهم ما تقول، و نزلت الآية عتابا لهم و ردا عليهم لقلة نصيحهم و سوء صنيعهم.

و قد مر في هذا الكتاب أشياءها من قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿لَئِنْ أَسْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَمَلُكَ﴾ و قوله سبحانه مخاطبا لميسى ﷺ ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ و للتعريض باب عريض، فلا يستبعد كون المراد بالآية المذكورة تعريضا و توبيخا لمن حمله ﷺ على الإذن و ألجأه إليه و صنع ما انقلب معه المصلحة عن وجهها و انعكس أمرها و انحصرت في الإذن إلى غير ذلك.

ثم تقول لهؤلاء القوم لا يخلو النبي ﷺ في إذنه لهم من جهة الخطأ في الاجتهاد من أن يكون أنما أو تاركا للأولى، أو لا هذا و لا هذا، بل إما مثابا مأجورا أو فاعلا مباحا و الأول خلاف الإجماع، و لم يظهر قائل بالثاني أيضا بل المشهور هو الثالث.

فإن كان استعمل لفظ العفو و المعاتبة معه ﷺ، من جهة أنه ترك الأولى، فقد خرجنا و هؤلاء الخصوم رأسا برأس، فإن المشهور عند أصحابنا الإمامية حمل هذه الآية و أمثالها على ترك الأولى بدون أن يكون خطأ في الاجتهاد، بل يكون تعذرا ترك الأولى عندهم، كما يحملون خطيئة آدم ﷺ مع ما وقع عليها من المعاتبات و غيرها على ترك الأولى، فلا ترجيح معهم.

وإن كان من جهة الخطأ في الاجتهاد بدون أن يكون هناك ترك للأولى، بل إما أن يكون فعل مباحا أو أتى بنافلة وعمل بمندوب وأطاع الله فيما أمره به وأقام وظيفة عبادته، فلينصفوا حينئذ من أنفسهم، ولينظر اللبيب في أنه هل يكون استعمال لفظ العفو وإيقاع المعاتبة في صورة ترك الأولى عددا أحسن موقعا أم استعماله في خطأ وقع أثناء الاجتهاد مع أنه لم يفعل فعلا مرجوحا بل إما مباحا، ولعل من له أدنى حظ من الإدراك لا يرتاب في أن تأويل الإمامة أقرب بمراتب وأولى بدرجات كثرة.

٣٨٦
٣٤

ومما ينبغي أن يعلم أن قوله ﷺ وإذنه لهم من حيث إنّه قول وحكم لا يوصف بأنه ترك الأولى لأن الحكم من حيث إنّه حكم كان أمرا مطابقا للواقع من جملة أحكامه ﷺ، فكان القعود لهم جائزا بحسب الواقع، وإما كان ترك الأولى في إظهاره لهم وعدم منعهم من القعود.

و يحتمل أن يقال لم يكن قعودهم جائزا في الواقع، بل كان الواجب عليهم أن يخرجوا إلى الجهاد، لكن كان الأولى له أن يمنعهم ولا يأذن لهم.

ولا استبعاد في أن يكون قعودهم محرّما وإذنه ﷺ بحسب ما يظهر منه من الأعذار ويتعلّلون بالعلل جائزا، فربّ أمر كان في الواقع حراما والإذن فيه من حيث الظاهر جائزا، كما سيأتي أن أمير المؤمنين ﷺ، سلم من شهد عليه شاهدان بالسرقة إليهما ليقطعه فأرسله وقرأ، مع أن قطعه كان محرّما عليهما، وأن النبي ﷺ أذن لأهل الذمة أن يقرّوا على مذهبهم، ويستمرّوا على دينهم مع أنه محرّم عليهم.

و أذن لعثمان في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، مع أنه كان على عثمان أن لا يستأذنه ﷺ وأن لا يؤمّنه. وأذن أمير المؤمنين ﷺ إل طلحة والزبير في الخروج إلى العمرة، مع أنه كان يعلم أنه محرّم عليهما وكان يتظاهر بذلك. غاية ما في الباب، أن يكون عدم الإذن فيما نحن فيه أولى، وإذنه تركا للأولى، فإذا جاز أن يكون الإذن في المحرّم جائزا فأولى أن يكون تركا للأولى.

٣٨٧
٣٤

الشبهة الثانية قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبْذَرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قالوا لو لا أنه أخطأ في أخذ الفدية لما عوتب على ذلك.

وقد يقال إن مدلول هذه الآية نهي عن الأسر وقد وقع الأسر بلا شبهة. وأيضا قد أمر بالقتل والأسر ضده، وقد روي أن عمر بن الخطاب دخل على رسول الله فإذا هو وأبو بكر يبيكان فقال يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت. فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة (أو أشار) بشجرة قريبة منه. والبكاء ونزول العذاب قريبا دليلان على الخطأ.

وهذا أقصى ما قالوه في تقرير هذه الشبهة فنقول (في جواب هذه الشبهة):

أما الأسر فلعله كان منهيّا عنه ولم يأمر رسول الله ﷺ أحدا، وإما أمر بالقتل فخالفوه على ما ذكره السيّد المرتضى) رضي الله عنه في كتاب تنزيه الأنبياء.

ويرد على ذلك أن أمير المؤمنين أسر عمرو بن أبي سفيان أخا معاوية على ما جاءت به الرواية، وأشار ﷺ إليه في كتابه إلى معاوية، فلو كان الأسر منهيّا عنه لم يفعله علي ﷺ.

ويمكن أن يكون الأسر (في الواقع) منهيّا عنه بالنسبة إلى كلّ أحد مقيّدا بالغاية المذكورة في الآية، وإذا انتهى الرجل إلى الغاية صحّ منه الأسر، وقد كان عليّ أخن في الأرض حتى أنّه قتل ما يقرب من نصف عدد القتلى، وغيره ما كان بلغ معشار ما بلغ صلوات الله عليه.

أو يقال لعلّ الإثنان كانا حاصلين أسر علي ﷺ من أسر ولم يكن حاصلين أسر غيره.

وقد قال السيّد المرتضى قدس سرّه إنهم لما تباعدوا عن العرش وعن مرأته ﷺ، أسروا من أسروا من المشركين بغير علمه ﷺ ولا يبعد أن يكون هو ﷺ لم يأمر حتى في الكفار وانهزموا وتباعدوا وانتهى الأمر إلى آخره ووضعت الحرب أوزارها، فحينئذ أسر من أسر.

٣٨٨
٣٤

ويمكن أن يكون هذا الأسر مستثنى من العام لحكمة تعلّقت به، وقد افتكوا به رجلا من الأنصار، وكان حبسه

أبو سفيان بابنه وكان الغرض من الأسر هو هذا، والقرينة على أن مثله مخصوص من العام أن التبويخ في الآية تعلّق بإرادة الدنيا وخطاها وأعراضها، ولو لم يكن المقصود من الأسر العرض الأدنى والنصيب الأخس والمطلب الأركس لم يكن داخلا في النهي.

و اعلم أن حديث الأسر وكونه منهياً عنه ساقط فيما نحن فيه من الاجتهاد وكونه واقعا على وجه الخطأ، وإنما يتّجه التمسك به في نفي العصمة، فإن القائل بأن الاجتهاد وقع خطأ، لا يقول بأنه وقع مخالفة للنص وعلى وجه المعصية حتى يكون مما يستحق عليه العذاب العظيم والذي يتمسك به في معصية النبي ﷺ لا يقول بأنه وقع على سبيل الخطأ في الاجتهاد.

ويمكن أن يتّجه بأن النهي إنما حصل بهذه الآية ولم يكن نهياً صريحاً سابقاً كيف والاتفاق حاصل على أنه لم يكن هناك نهى ونص.

وأما الأمر بالقتل في قوله تعالى ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَغْنَانِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ فالمراد به الكثرة لا محالة، لا عموم [ضرب] أعناق الكفار بلا خلاف، فالقتل المدلول عليه بالآية لا ينافي الأسر.

ومما يدل على أن المراد به الكثرة، هذه الآية، فإنها كالمفسرة لتلك، وكذلك قوله تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْبَتْتُمُوهُمْ فَسُدُّوا أَلْوْفَاقَ﴾.

فلعلّهم علم المراد قبل نزول هاتين الآيتين أو بوحدة منهما أو بغيرهما، فقد ظهر أن القتل المأمور به هو الإثخان فيه والإكثار منه وهذا غير صريح في النهي عن الأسر.

ولما دلّ الدليل على عدم صدور المعصية منه ﷺ، تعيّن الحمل على ذلك. وقد حصل التبويخ له ﷺ والعتاب في هذه الآية ولا وجه له حينئذ سوى أنه اجتهد وأخطأ في الاجتهاد.

وهذا تقريره على وجه ينطبق على ما نحن فيه.

وأنت خبير بأن الخطأ في الاجتهاد إما أن يكون ناشئاً عن تفریط وتقصير يعدّ ذنباً ومعصية، أو لا، بل يقع موجبا للثواب ومقتضياً للأجر الجميل، وعلى الأول فقد بطل استدلاله، إذ لو كان ذنب لا محالة لازماً فأي دلالة في الآية على الاجتهاد والخطأ فيه.

وعلى الثاني، لم يصح ترتّب العقاب على الفعل المندوب لا محالة، الموجب للأجر والثواب، ولا قائل بأن المخطئ في الاجتهاد تارك للأولى غير مستحق للثواب، ولا بأنه مع عدم تفریطه مستحق للعقاب إنّ شذمة قليلة لا يعبأ بهم، ولم يبق أحد منهم على أن الكلام معهم هو الكلام على الاحتمال الأول.

وقول الفخر الرازي إن الخطأ في الاجتهاد وإن كان حسنة، إنّ أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فلذلك حسن ترتّب العقاب عليه، فيه نظر لأنّه بعد تسليم صحة ترتّب العقاب على الحسنة بناء على أن هاهنا ما هو أحسن منها، فلم لا يجوز أن لا يكون هاهنا خطأ في الاجتهاد بل أصاب في اجتهاد وعلم الحسن والأحسن، واختار الحسن على علم منه. أفترى أنه يمتنع من النبي ﷺ ترك الأحسن والعمل بالحسن، إذا كان علمهما وميز بينهما وإنما لا يمتنع إذا لم يعلمهما وحسبهما متساويين، فلا توجب الأصلح والأحسن على الله سبحانه وتوجه على النبي ﷺ.

وقد زعمت أن ترك الأحسن، والعمل بالحسن مما تكرر منه ﷺ، فقد رويتم أنه ﷺ عبس في وجه ابن أم مكتوم فعاتبه الله على ذلك، كما مرّ، وعندكم أنه محمول على ترك الأفضل أو الصغيرة.

ورويتم أيضاً أنه ﷺ حرّم مارية [القطيعة] على نفسه، وعند أصحاب هذا القائل أنه ﷺ أذنب وأن قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إيماء على العفو عن هذه الزلّة، وأن قوله تعالى ﴿لَقَدْ نَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ وأمره بالاستغفار في قوله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾^(١) وما روي أنه ﷺ كان يستغفر في اليوم واللييلة سبعين مرّة، محمول على الذنب. أو على ترك الأفضل والأولى.

(١) في الآية: (٥٥) من سورة غافر: (٤٠) ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وفي الآية: (١٩) من سورة محمد: (٤٧): ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

ونظائر ذلك كثيرا، فما الذي كان باعثا على أن الله تعالى خالف عادته في ترك التكبر عليه، وبهذا يعلم أن هذا العتاب والإنكار ليس مبنيا على ترك الأحسن، سواء أنشئ عن اجتهاد أو غيره.

وبما ذكرنا، يعلم جواب عن قولهم إنه ﷺ كان مأمورا بالقتل والأسر ضده وليس لأحد أن يقول إن الأمر تناول حال الحرب وما بعده، ولو كان بغير اختيار النبي ﷺ، فلا ريب في أن إبقاءهم بعد الحرب كان باختياره، وهو مناف للأمر بالقتل لأننا نقول الأمر بالقتل كان مقيدا بحال المحاربة كما هو المتبادر من قوله تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ فإن الظاهر من الأمر بضرب الرقاب وقت اللقاء وهو حال الحرب، ولا يستى ما بعد الحرب وحصول الأسرى مكتوفين بأيدي الخصوم وتبدد شملهم وزوال فتنتهم عن مراكزهم، لقاء.

وأيا المتبادر من مثل هذه العبارة حدثان ذلك الفعل وفواتحه، لا وأخاره، وإن دام على أن ضرب الأطراف الذي فسر به ضرب البنان غير معهود من صاحب الشرع في الأسير، فإنه يجري مجرى المثلة، وإنما يجوز وقت التحام الحرب وحين المسابقة.

وربما قيل إن الأسر أضيف إلى النبي حيث قال عز من قائل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَشْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ ولو لا أن الأسر وقع بأمره وإذنه، ما كان يضاف إليه ﷺ.

وأجاب عنه السيد المرتضى رضي الله عنه بأن الأصحاب إنما أسروهم ليكونوا في يده ﷺ، فهم أسراؤه ﷺ ومضافون إليه وإن كان لم يأمرهم بأسرهم. انتهى.

ونظيره قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ مع أن المطلق لغير العدة كان عبد الله بن عمر، ولم يأمره ﷺ بذلك الطلاق، وقد أضيف إليه الطلاق وحض بالخطاب.

ومما يدل على أن إبقاء الأسرى لم يكن إثما، ما روى الواقدي عن علي ﷺ أنه كان يحدث ويقول أتى جبرئيل النبي ﷺ يوم بدر فخيرته في الأسرى بين أن يضرب أعناقهم، أو يأخذ منهم الفداء ويستشهد من المسلمين في قابل عدتهم، فدعا رسول الله أصحابه وقال هذا جبرئيل يختاركم في الأسرى بين أن يضرب أعناقهم، أو تؤخذ منهم الفدية ويستشهد منكم قابلا عدتهم بأحد.

قالوا بل نأخذ الفدية ونستعين بها ويستشهد منا من يدخل الجنة، فقبل منهم الفداء، وقتل من المسلمين قابلا عدتهم. وطعن من طعن في هذا الحديث بأنه ينافي العتاب على أخذ الفداء من باب الطعن بالمجهول على المعلوم. مع أن ابن حجر ذكر في شرحه لصحيح البخاري أن الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم روه عن علي ﷺ بإسناد صحيح.

ويدل عليه أيضا، أن إبقاء الأسرى قد كان بإذنه وما كان يسع المرءوس، إذا أذن الرئيس وأمر أن يخالف ويختار، [لا سيما في مثل هذا الخطب الجليل والشأن العظيم، خصوصا بعد ما أبرم مرائر أمر أتباعه وطاعته، وأوعد على معصيته في الكتاب الكريم، فكانت التبعة على الأذن المطاع والأمر الواجب الاتباع، وكان هو المستحق لتوجه العتاب والتقريع ولم يقع الأمر كذلك، بل خصوا بالعتاب والتهديد دونه ﷺ، وغاية الأمر أن يعصه ﷺ معهم، وكذلك استشارة النبي ﷺ أصحابه في أمر الأسارى وأخذ الفداء منهم، دليل على أنه لم يكن النص تناوله، ولو كان خاصا أو عاما تناوله، فكيف غفل النبي ﷺ عنه مع طول مدة المشورة والبحث عن أمرهم حتى روي أن أبا بكر وعمر كلهما متتايبين متعاقبين مرارا عديدة، وأن النبي ﷺ دخل خيمته ثم بعد أمة خرج واستأنف أمر المشورة، وكان الناس يخوضون في كلامهما ويقول قائل القول ما قال أبو بكر. وقائل القول ما قال عمر.

وروا أنه تمثل لهما بالملائكة وحالهم وحال عدة من الأنبياء ﷺ، وتلا عدة من الآيات أفلم يخطر بباله تلك الآية النازلة في الواقعة التي هو بصدها. وتذكر الآيات النازلة في شأن الأنبياء ﷺ ووقائعهم، حتى تمثل بها لأبي بكر وعمر. وكيف لم يذكر أبو بكر هذه الآية حتى يتوقف مما كان فيه ويرتدع عن استبقاء الأسارى وما الذي دهم الخاضعين في كلامهما، حتى ضربوا صفحا عن ذكر الآية التي أهمهم أمر ما نزلت فيه؟

ثم هلم إلى عمر وذهوله عن الآية، مع أن له فيها غرضا عظيما وحظا جسيما لشدة ولوعه بقتل الأسرى، خصوصا بني هاشم، لا سيما عباسا وعقيلًا حتى صرح باسمهما وعين القاتل لهما.

و بعد اللتيا والتي، لو كان استبقاؤهم باجتهاد غفلة عن النص، و ذهولا عن أمر الله تعالى، كان المجتهد فيه مثابا و مأجورا، و لم يتوجه العتاب، إلى آخر ما علمت.

وَأَمَّا أَخْذُ الْفِدَاءِ، فَلَا يَتِمُّ الْكَلَامُ فِيهِ إِلَّا بِأَنْ يَبْتَغَى أَنْ الْعِتَابَ وَالتَّهْدِيدَ وَقَعَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَمْنُوعٌ، بَلْ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الْأَسْرِ الَّذِي فَعَلَهُ الْمُحَارِبُونَ بِدُونِ إِذْنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ غَرَضُهُمْ مِنَ الْأَسْرِ عَرْضُ الدُّنْيَا وَكَسْبُ الْمَالِ عَلَى مَا دُلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ. وَأَيْضًا أَخْذُ الْفِدَاءِ، كَانَ لِلتَّقْوَى عَلَى الْجِهَادِ. عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الرِّوَايَةُ وَهُوَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَالْذَّمُّ وَالْعِتَابُ، إِنَّمَا تَوَجَّهَ بِالْآيَةِ إِلَى مَنْ كَانَ يَرِيدُ عَرْضَ الدُّنْيَا، فَظَهَرَ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْأَخْذِ وَقَعَ، وَبِمَا سِوَاهُ تَعَلَّقَ كَمَا قُلْنَا أَنَّ الذَّمَّ وَقَعَ عَلَى فِعْلِ الْأَصْحَابِ الْمُحَارِبِينَ، وَلَعَلَّ غَرَضَهُمْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِالْحَطَامِ الدُّنْيَوِيِّ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْوَعِيدَ وَالْعِتَابَ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَخْذِ الْفِدَاءِ ثَانِيًا، الرِّوَايَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي دُخُولِ عَمْرِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّ الْعَذَابَ أَضْيَفَ فِيهَا إِلَى الْأَصْحَابِ، وَالبُكَاءُ كَانَ عَلَيْهِمْ، وَ لَمْ يَذْكُرْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ فِي الْبُكَاءِ وَالْعَذَابِ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ الْآذَنُ الْأَمْرُ لَهُمْ، وَ لَا خَيْرَ لَهُمْ مَعَ أَمْرِهِ فَمَا لِلْعَذَابِ وَلَهُمْ.

نَعَمْ لَوْ كَانَ يَنْزِلُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً لَكَانَ لَهُ وَجْهٌ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَشِيرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَذَا الرَّأْيِ وَالْمَزِينِ لَهُ. وَمُفْهُومُ الِاسْتِثْنَاءِ الْمَذْكُورِ فِي رَوَايَتِهِمُ الْآخَرَى، حَيْثُ قَالَ «لَوْ نَزَلَ الْعَذَابُ لَمَّا نَجَا مِنْهُ إِلَّا عَمْرٌ». يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَتَنَاوَلُهُ ﷺ، فَبَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ نَوْعٌ مِنَ التَّنَافِي.

وَمِنْ ذَلِكَ ظَهَرَ أَنَّ الرِّوَايَةَ بِأَنْ تَكُونَ دَلِيلًا عَلَى نَقِيضِ مَدْعَاهُمْ، أَوْلَى مِنْهَا بِأَنْ تَكُونَ دَلِيلًا لَهُمْ، وَ لَوْ صَحَّ الْبُكَاءُ، لَكَانَ رَحْمَةً عَلَيْهِمْ لَمَّا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَسْرِ الْوَاقِعَ مِنْهُمْ.

وَمِنْهُ هَاهُنَا ظَهَرَ أَنَّ بَيْنَ مَا تَضَمَّنَتْهُ الرِّوَايَةُ مِنْ تَخْصِيسِ الْبُكَاءِ فِي الْعَذَابِ بِهِمْ وَجَعَلِهِ بَازَاءَ أَخْذِ الْفِدَاءِ تَنَافِيًا. وَقَوْلُ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ «أَنَّ بُكَاءَهُ ﷺ كَانَ لَخَطِئِهِ فِي الْاجْتِهَادِ، وَحَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سِتِّاتِ الْمُقَرَّبِينَ» فِيهِ نَظَرٌ مِنْ وَجْهَيْنِ. الْأَوَّلُ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلْبُكَاءِ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَةِ وَ مَا يَوْجِبُ الثَّوَابَ.

وَالثَّانِي أَنَّهُ لَا وَجْهَ لِبُكَاءِهِ ﷺ عَلَى الْأَصْحَابِ لَخَطِئِ نَفْسِهِ، وَ هَلْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا يَبْكِي عَلَى غَيْرِهِ لَذَنْبِ نَفْسِهِ فَهَذَا فِي غَايَةِ الظَّرَافَةِ.

وَلَا يَتَوَهَّمُ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَّقَ فِي الْآيَةِ عَلَى الْأَخْذِ لَا عَلَى الْأَسْرِ لِأَنَّ الْأَخْذَ يَسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَ لَا يَخْتَصُّ بِمَا يُؤْخَذُ، إِلَّا إِذَا وَصَلَ بِكَلِمَةِ «مَنْ» الْجَارَةِ، وَ لَا صِلَةَ فِي الْآيَةِ [الْكُرِيمَةِ].

وَلِنَكْتَفِ مِنْ رَدِّ شِبْهِهِمْ بِمَا تَعَلَّقَ بِهِاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الشَّرِيفَتَيْنِ، فَإِنَّهُمَا عَمْدَةٌ تَمَسُّكُوهَا بِهِ.

وَأَمَّا مَا تَمَسَّكُوا بِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ، فَجَوَابُهَا أَظْهَرَ مِنْ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَهَا مَا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَنَا، وَ نَجَنَ فِي نَفْسَةٍ مِنْ رَدِّهَا وَ مَنَعَ صَحَّتْهَا.

باب آخر نادر في ذكر ما روي عن أمير المؤمنين ﷺ من الأشعار المناسبة لهذا المجلد^(١) وقد مر بعضها في الأبواب السابقة

باب ٣٦

١- منها في الشكاية [من أهل الزمان ومعاصريه]:

وَقَلَّ الصَّدَقُ وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ

تَغَيَّرَتِ الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ

(١) ولتحقيق صدور تلك الأبيات عن أمير المؤمنين ﷺ أو عدم ثبوت الصدور، وأن أيًا منها من إنشائه عليه، وأيًا منها مما تمثّل به عليه، يراجع الباب السادس من كتاب نهج السعادة، وسيمثل للطبع إن شاء الله تعالى.



وأسلمني الزمان إلى صديق
سيغنيه الذي أغناه عني
وليس بدائتم أبدا نعيم
وكلّ مودة لكّه تصفو
إذا أنكرت عهدا من حميم
وكلّ جراحة فلها دواء
وربّ أخ وفيت له وفيّ
يديمون المودة ما رأوني
أخلاء إذا استغثيت عنهم
وإن غيّبت عن أحد قلاني
إذا ما رأس أهل البيت ولّي

بيان: الرعاء: الحفظ والرعاية. والثراء كثرة المال والولد وغيرهما. وإنكار العهد عدم معرفته أي
تغيره. والحميم القريب نسباً. وقوله «وفي» بالجرّ صفة لأخ. والقلّ البغض. [و] قوله «بما فيه
اكتفاء» أي في العقوبة.
والمراد بـ «رأس أهل البيت» نفسه ﷺ، أو النبيّ ﷺ.

٣٩٦
٣٤

و منها في بيان شجاعته ﷺ في غزاة بدر
ضربنا غواة الناس عنه تكراً
ولما أتانا بالهedy كان كلّنا
نصرنا رسول الله لما تدابروا

بيان: [لفظة] «ولما» في الأوّل حرف نفي وفيما بعده للشرط. وإضافة «القص» إلى «السبيل» من
قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف. يقال طريق قصد وقاصد إذا أدّك إلى المطلوب. وثاب الرّجل
رجع و ثاب الناس اجتمعوا وجاءوا.

أقول [ذكر] في الديوان أنّها لغزوة بدر، ولعلّها بغزوة أحد و حينئذ أنسب كما لا يخفى.
و منها يومئ إلى الشكوى:

٣٩٧
٣٤

فلو كانت الدنيا تنال بقطنة
ولكنّا الأرزاق حظّ وقسمة
و منها في مثله
ليس البليّة في أيّامنا عجا
و منها في نحوه:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذهاب
يفشون بينهم المودة والصفاء

بيان: ختله وخاتله أي خدعه. والمواربة وقد يهزم المخادعة.

ومنها في شبهه:

علمي غزير وأخلاقي مهذّبة
لو رمت ألف عدوّ كنت واجدهم
و من تهذّب يشقى في تهذّبه
و لو طلبت صديقا ما ظفرت به

بيان: الغزارة الكثرة. و تهذيب الأخلاق تصفيتها و تخليصها عما يضيّعها. و [معنى] قوله ﴿بَشَقَى﴾ أي يتعب. و الرّوم الطلب.

ومنها في تعبير الوليد بن المغيرة:

يسهّدني بالعظيم الوليد	فقلت أنا ابن أبي طالب
أنا ابن المبجل بالأبطحين	و بالبيت من سلفي غالب
فلا تحسبني أخاف الوليد	و لا أكني منه بالهائب
فيا بن المغيرة إنّي امرؤ	سموح الأنامل بالقاضب
طويل اللسان على الشّائنين	قصير اللسان على الصّاحب
خسرتم بتكذيبكم للرسول	تعيبون ما ليس بالعائب
وكذبتموه بوحى السّماء	فلعنة الله على الكاذب

بيان: الأبطح مسيل واسع فيه حصى صغار.

٣٩٨
٣٤

و قيل أريد بالأبطحين أبطح مكّة و أبطح المدينة الذي يقال له وادي العقيق. و وجه تبجيل أبي طالب بالمدينة، أنّ سلمى أمّ عبد المطلب كانت منها.

و إنّما خصّ من أسلافه و أجداده غالبا تفوّلا بالغلبة. و القاضب السيف القاطع أي توجد أنامله بأعمال السيوف القاطعة. و الشّائنون المبعضون. [و قوله] «ما ليس بالعائب» أي خلقا لا يصير سببا لعيب صاحبه.

ومنها خطابا لأبي لهب:

أبا لهب تبتّ يدك أبا لهب	و صخرة بنت الحرب حمالة الحطب
خذلت نبيّ الله قاطع رحمه	فكنت كمن باع السلامة بالعطب
لخوف أبي جهل فأصبحت تابعا	له و كذلك الرأس يستتبع الذّنب
فأصبح ذاك الأمر عارا يسهله	عليك حجيح البيت في موسم العرب
ولو لان بعض الأعداء محمد	لحانى ذوهه بالرماح و بالقضب
ولن تشملوه أو يصرّع حوله	رجال ملاء بالحروب ذوو حسب

بيان: التّباب خسران يؤدّي إلى الهلاك. و اليدان إمّا بمعناها أو كناية عن النفس كقوله تعالى ﴿وَلَا تُفْلَحُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. أو عن النفس و البدن أو عن الدّنيا و الآخرة. و «صخرة»، عطف على «يدك». و يحتمل العطف على محلّ الضمير أيضا. و «قاطع» حال عن ضمير الخطاب. و العطب بالتحريك الهلاك. و «ذاك» إشارة إلى تبعه لأبي جهل. و يقال هلت الدقيق في الجراب أي صبيته من غير كيل، و كلّ شيء أرسلته إرسالا من رمل أو تراب أو طعام أو نحوه. قلت هلته أهله هिला فانها أي جرى و انصبّ. و لعلّه إشارة إلى رمي الحاجّ إليه بالأحجار عند مرورهم عليه، أو قراءتهم هذه السورة في المواسم. و «عن بعض» متعلّق بـ «لان» بتضمين معنى الإعراض، أو «عن» للتعليل. و لحوت العصا ألحوا قشرتها. و كذلك لحيت العصا ألحيا لحيا و لحيت الرجل ألحاه لحيا لمتة.

٣٩٩
٣٤

و قال الجوهري سيف قاضب و قضيب أي قطع و الجمع قواضب و قضب، و كأنّ الضمير في «ذوه» راجع إلى البعض و يحتمل إرجاعه إلى محمد ﷺ. أو «يصرّع» أو بمعنى إلّا أن أو إلى أن. و الصرّع السقوط على الأرض. و الملاء جمع المليء و هو الثقة المعتمد عليه في الأمر.

ومنها خطابا لمعاوية.

سيكفيني العليك وحدٌ سيفي
وأُسمر من رماح الخطّ لدن
أذود به الكتبية كلّ يوم
وحولي معشر كرموا وطابوا
ولا ينحون من حذر المنايا
فدع عنك التّهذّد واصل نارا

بيان: الأسمر الرمح. والخطّ موضع باليمامة تنسب إليه الرماح لأنها تحمل من بلاد الهند. فتقوم به. واللدن اللّين من كل شيء. و غراب الفأس بالكسر حدّها.

قوله ﴿أَنْ لَا يَعْابَا﴾ أي لئلا يعاب. والنهاب جمع النهب. «و لا ينحون» بالحاء المهملة أي لا يقصدون. والتّهذّد التخويف. وصلى الكافر النار قاسى حرّها. وصلى النار دخل فيها. وصليت الرجل نارا إذا أدخلته النار.

ومنها مخاطبا له أيضا.

أنا علي وأعلى الناس في النسب
قل للذي غرّه مَنّي ملاطفة
هَبّت عليك رياح الموت سافية

بيان: روي أنّه ﷺ أنشد تلك الأبيات بعد انتضاء المحرّم [من العام] وإرادة الشروع ثانيا في القتال. قوله ﴿قل للذي﴾ أي قل للذي يحبّني للطفي لا تتوّع من أهل الزمان أن يعرفوا فضلي، فإنّ التّاس لا يميّزون بين أوراق الفضة ودنانير الذهب.

أو المعنى قل لمعاوية الذي غرّه مَنّي ملاطفة بتأخير الحرب في المحرّم، أنّي لا أترك الحرب حتّى أميّز بين المؤمن والمنافق.

وسفت الريح التراب ذرّته. و حربه حربا كطلبه طلبا سلب ماله.

١١- فيما أجاب به بعض الأعداء في صغين

إبّاي تدعو في الوغا يا ابن الأرب
من يحطه منه الحمام ينسرب
أن لست في الحرب العوان بالأدب

بيان: الوغا الحرب. والأرب بالتحريك والكسر الحاجة ويستعمل في الاحتياط. والخطو بوزن العلو تحريك الشيء من الأول.

والحمام بالكسر الموت. والانسراب الجريان. والعوان من الحروب ما قوتل فيها مرّة بعد أخرى. «و عن قليل» أي بعد زمان قليل. و [قوله] «غير شك» صفة لمقدّر وهو يقينا.

و منها تهديدا لمعاوية و جنوده

أبى الله إلّا أنّ صغين دارنا
إلى أن تموتوا أو نموت و ما لنا

بيان: بالضمّ والسكون أيضا طرف السماء. و [قال الجوهرى] في الصحاح حومة القتال معظمه.

و منها في مدح أصحابه في تلك المحاربة

يا أيّها السائل عن أصحابي
أنبئك عنهم غير ما تكذّاب
صبر لدى الهيجا و الضراب

إن كنت تبغي خبر الصواب
بأسّتهم أو عية الكتاب
فسل بذاك معشر الأحزاب

بيان: «غير ما تكذاب» [الفتة] «ما» زائدة والتكذاب بالفتح الكذب.

ومنها في مثله:

ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم
هم حفظوا غيبي كما كنت حافظا
بنو الحرب لم تتعد بهم أمهاتهم
و أبائهم آباء صدق فأنجبوا

بيان: حفظ الغيب للشخص أن لا تفعل في غيبته ما يكرهه. و ضمير «مثلها» راجع إلى المحافظة.

قوله عنه: «لم تتعد» قال الشارح [هذا] دعاء [إلهم] أي لا تتعد أمهاتهم بآثمتهم.

أقول: ويحتمل أن يكون من المقاعد من النساء. و هي التي تعدت عن الولد و الحيض. ذكره الجوهري.

والأظهر أنه خبر وليس بدعاء و الباء للتعدية. و المعنى لم تصر أمهاتهم سببا لقعودهم عن الحرب لدناءتهن. فيناسب المصراع الثاني.

و [أيضا] قال [الجوهري] أنجب ولد نجيبا. و امرأة منجبة و منجاب تلد النجباء.

ومنها في مدح قبائل من عسكره:

الأزد سيفي على الأعداء كلهم
قوم إذا فاجئوا أوفوا و إن غلبوا
قوم لبؤسهم في كل معترك
البيض فوق رؤوس تحتها اليلب
البيض تضحك و الأجال تنتحب
و أي يوم من الأيام ليس لهم
الأزد أزيد من يمشي على قدم
و الأوس و الخزرج القوم الذين هم
يا معشر الأزد أنتم معشر أنف
وفيتهم و وفاء العهد شيمتكم
إذا غضبتهم يهاب الخلق سطوتكم
يا معشر الأزد إني من جميعكم راض
لن تياس الأزد من روح و مغفرة
طبتم حديثا كما قد طاب أولكم
و الأزد جرثومة إن سوبقوا سبقوا
أو كوثروا كثروا أو صوبروا صبروا
صفوا فأصفاهم المولى ولايته
هينون لينون خلقا في مجالسهم
الغيث إما رضوا من دون نائلهم
أندى الأنعام أكفا حين تسألهم
وأي جمع كثير لا تفرقه
والله يجزيهم عما أتوا و حبوا

بيان: الأزد أبو حيي من اليمن. و الإبقاء الوفاء بالعهد. و الإشراف على الشيء. و إعطاء الحق وأياها.

وقال الجوهري جمع الفرس اعتز فارسه و غلبه. و جمعت المرأة زوجها و هو خروجها من بيته

إلى أهلها قبل أن يطلّتها. وجمع أسرع. والمعترك معركة الحرب. والبيض الرقاق السيوف الرقيقة. والداودية الدروع المنسوبة إليه ﷺ.

قوله «سلبوا» أي أخذوها في الحرب من الأعادي. وقال الجوهري اليلب الدروع اليمانية كانت تتخذ من الجلود بعضها إلى بعض. ويقال اليلب كل ما كان من جنس الجلود ولم يكن من الحديد. وقال يقال رماح رواعف لما يقطر منها الدم أو لتقدمها في الطعن. وقوله «وما وهبوا» على المجهول كما صحّحه الشارح أو على المعلوم أي أعطوا أزيد مما عهدوا وعدوا من الإيثار والإفضال.

و [قال الزمخشري] في الأساس هو أنف قومه وهم أنف الناس [أي سادتهم] قال الحطّينة قوم هم الأنف والأذنان غيرهم

و [قال الجوهري] في الصحاح روضة أنف بالضم أي لم يرعها أحد. وكأس أنف إذا لم يشرب بها قبل ذلك. وأنف من الشيء يأنف أنفا وأنفة استنكف. يقال ما رأيت أحماً أنفاً ولا أنف من فلان. والحقب جمع الحقة بالكسر وهي السنون. و «قديم» مفعول فيه أي زماناً قديماً. [و] «طبتهم حديثاً» أي جديداً. والجروثة بالضم الأصل. ذكره الجوهري وقال ساهمته قارعتة فسهمت أسهمه بالفتح صفوا أي من الفسّ والباطل.

[قوله] «فأصفاهم المولى ولايته» أي أعطاهم الله محبته أو أخلص لهم كلّ محبٍ محبته. أو أخلص الله لهم محبته إياهم أو محبتهم له. قال الجوهري أصفيت الودّ أخلصته له وأصفيته بالشيء أثرته به. وقال شيء هين على فاعل أي سهل. و «هين» مخفف، وقوم هينون لينون. وقال عراني هذا الأمر واعتراني إذا غشيك. وقال الصخب الصباح والجلبة.

و [اللفظة] «ما» في [قوله] «إن ما [رضوا]» زائدة كما في قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا تَذَهَبُ بِكَ﴾. والنائل العطاء، والمعنى أنهم إن رضوا فجودهم بحيث يعدّ الغيث أدون وأقلّ من عطائهم. و «يوماً» مفعول فيه لقوله «غضبوا». والتدّى الجود وفلان أندى من فلان إذا كان أكثر خيراً منه. ويقال فلان رابط الجأش أي يربط نفسه عن الفرار لشجاعته.

وندبوا على بناء المفعول من قولهم ندبه لأمر فانتدب له أي دعاه له فأجاب. ذكره الجوهري وقال [أيضاً] الندب بالتحريك الخطر. وتقول رمينا ندباً أي رشقاً. والندب، أيضاً الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد.

وقال الفيروز آبادي الندب بالتحريك الرشق والخطر، وقبيلة منها بشر بن حرب ومحمد بن عبد الرحمن. وقال غسان أبو قبيلة باليمن منهم ملوك غسان، وماء بين رمع وزبيدة من نزل من الأزرد فشرّب منه ستي غسان ومن لم يشرب فلا انتهى إليه.

وقال الشّارح الواو في «والندب» بمعنى مع. وفيه نظر. وقوله «من صالح» بيان ل «ما» أي وما كسبوا من صالح وما عطف على ما.

ومنها مخاطبا لعثمان:

فكيف بهذا والمشيرون غيب

وإن كنت بالشورى ملكت أموره

فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وإن كنت بالقربى حجبت خصيمه

بيان: قال الشارح قوله ﷺ «والمشيرون غيب» إشارة إلى ما قاله الحافظ إسماعيل من أن طلحة كان غائباً، ولما دفن عمر قعد عثمان وعلي والزبير وعبد الرحمن وسعد يتشاورون. فأشار عثمان على عبد الرحمن بالدخول في الأمر فأبى وقال لست بالذي أنا فكم على هذا الأمر. فإن شتمت اخترت لكم منكم واحداً. فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن. فأقبل الناس كلهم إليه فأخذ يتشاور حتى جاء في الليلة الثالثة إلى باب المسور بن مخرمة بعد هوى من الليل، فضرب الباب وقال ادع لي الزبير وسعداً. فجاءا وشاورهما. ثم أرسل إلى عثمان فدعاه فتاجاه حتى فرق بينهما المؤذن. فلما صلبوا الصبح اجتمعوا وأرسل عبد الرحمن إلى من حضر من المهاجرين والأنصار وأمرأه الأجناد فبايع عثمان وبايعوه.

وأقول هذا إن ثبت أن الخطاب كان لثمان كما ذكره الشارح، وإلا فيمكن أن يكون الخطاب لأبي بكر، فالمراد بالمشيرين بنو هاشم وأتباعهم.
وقوله «وإن كنت بالقربي» إلخ بهذا أنسب، لما عرفت أنهم احتجوا على الأنصار بالقرابة وقد مر مثل هذا الكلام منه عليه السلام في الشر.

ومنها في تهديد من اجترأ عليه في الوغا:

يا جامعا لشملة ساعاته
ارجع فإني عند مختلف القنا

بيان: «و دنت» معطوف على «جامعا» كقوله تعالى ﴿فَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَعَلَ اللَّيْلُ سَكَنًا﴾.

ومنها في استئذان القتال من النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

هل يدفع الدرع الحصين منية
إنسي لأعلم أن كل مجتمّع
يا أيها الداعي التّذير و من به
أطلق فديتك لابن عمك أمره
فالمرت حقّ و المنية شربة

بيان: «الرواكد» الثوابت «فبادر الزّكوات» أي بادر ابن عمك ما يوجب زكاة النفوس وطهارتها من الذنوب و ذمائم الأخلاق.

ومنها خطابا لفاطمة عند توجهه إلى قتال المشركين:

قربّي ذا الفقار فاطم مّتي
قربّي الصّارم الحسام فإني
ورد اليوم ناصحا ينذر الناس
و ردوا مسرعين يبعفون قتلي
و خراب الأوطان و قتل الناس
سوف أرضي المليك بالضرب ما عشت
من ظهور الإسلام أو يأتي الموت

بيان: يوم الهياج بالكسر يوم القتال. و الصارم بكسر الراء و الحسام بالضم السيف القاطع.

و قال الشارح الهياج جمع الهائج، و هو الفحل يشتهي الضارب. و [قوله] «ناصحا» مفعول [قوله] «ورد» و الواو في قوله «و أيك» للقسّم أو عطف على ضمير المتكلم في [قوله] «قتلي» على مذهب من جوّزه. و «خراب» معطوف على «قتلي» [قوله] «أصبح لاج» أي ملتجنا إلى. و الشخب السيلان. و الودجان عرقان في العنق. و «من» بياينة أو ابتدائية و لا يخفى توجيهها على اللبيب.

ومنها في الشكوى [إمن] يتظاهر بالخلّة و يبطن الخلاف:

كلّ خليل لي خالته
فكلهم أروغ من ثعلب

بيان: الواضحة الأسنان التي تبدو عن الصّحك.

و منها [ما أنشده] عند بناء مسجد المدينة

لا يستوي من يعمر المساجدا
يدأب فيها قائما و قاعدا

و من يرى عن القبار حائدا

ومنها في عرض الإيمان على سيد الأئمة:

يا شاهد [الله] عليّ فاشهد
من شك في الدين فأني مهتدي

٢٣- ومنها في الاعتذار من قتل من قتلهم من قریش:

قریش بددتا بالعداوة أولا
بأفواههم و البيض بالبيض تلتقي
و خطية قد سقت سمهية
فقلنا لهم لا تبعثوا الحرب و اسلموا
فقالوا كفرنا بالذي قال إنه
فقتلته و الله أفضل قرية

إنسي على دين النبي أحمد
يا رب فاجعل في الجنان موردي

و جاءت لتطفئ نور رب محمد
بأيديهم من كل غضب مهتد
أسستها قد حودت بمحدد
و قيثوا إلى دين المبارك أحمد
يوعدنا بالحكم و الحشر في غد
إلى ربنا البر العظيم المجد

بيان: «بدت» من البدو، أو من المهموز. و الغضب السيف القاطع. و المهتد السيف المطبوع من حديد الهند. و تثقيف الرماح تسويتها. ذكره الجوهري و قال الاسمهرار الصلابة و الشدة. و السمهرية القناة الصلبة. و يقال [هي] منسوبة إلى سمهر اسم رجل كان يقوم الرماح يقال رمح سمهري و رماح سمهرية. و محادثة السيف جلاؤه. و السلم بالتحريك الخلوص. و أظهر أنه من السلامة أو السلام بمعنى الصلح. و الفيء الرجوع. و القتلة بالكسر القتل.

ومنها خطابا لسعيد بن سلمة المخزومي:

إن الذي سمك السماء بقدره
بعث الذي لا مثله فيما مضى
فاعلم بأنك ميت و محاسب
أقبل إلى الإسلام إنك جاهل
و اللآث و الهجرات فاهجر إنني
بيان: الهجرات الهذيانا.

حتى علا في عرشه فتوحدا
يدعى برأفته النبي محمدا
فإلى متى تبغي الضلالة و الردى
و تجتنب العزى و ربك فاعبدا
أخشى عليك عذاب يوم سرمد

معهم ربيت و سبطاه هما ولدي
و فاطم زوجتي لا قول ذي فند
من الضلالة و الإشراك و النكد
البر بالعبد و الباقي بلا أمد

بيان: القند ضعف الرأي من هرم. و النكد بالتحريك أيضا الشدة.

ومنها في المفخرة:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي
جدي و جد رسول الله متحد
صدقته و جميع الناس في ظلم
فالحمد لله فردا لا شريك له

ومنها [ما] قاله عند قربه من البصرة:

و إني قد حللت بدار قوم
هم إن يظفروا بي يقتلونني
ومنها مخاطبا لابنه محمد [ابن الحنفية] في حرب الجمل:
اطعن بها طعن أبيك تحمد

هم الأعداء و الأكباد سود
و إن قتلوا فليس لهم خلود

لا خير في حرب إذا لم توقد

بالشرقي و القنا المسدد

بيان: الضمير في [قوله] «توقد» راجع إلى الحرب قال تعالى ﴿كُلُّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ و الشرقي بالفتح السيف المنسوب إلى مشارف الشام.

ومنها مخاطبا للأشعث [بن قيس الكندي] في صفين.

و الزواح على الحاجات و البكر

اصبر على تعب الإدلاج و السهر

لا تضجرون ولا يعجزك مطلبها
إتسي وجدت وفي الأيام تجربة
وقل من جد في أمر يطالبه

فالتج يتلف بين العجز والضعف
للسبر عاقبة محمودة الأثر
فاستصحب الصبر إلاً فاز بالظفر

بيان: روي أن الأشعث بن قيس دخل عليه بصفين وهو قائم يصلي ظهره فقال قلت يا أمير المؤمنين أدهوب بالليل [و] دهب بالنهار [قال] فأنسل من صلاته وهو يقول هذه الأبيات. و الإدلاج السير بالليل. و البكر جمع البكرة.

ومنها في الشكاية عن أهل الزمان:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وبقيت في خلف يزيّن بعضهم
سلكوا بنيات الطريق فأصبحوا

و المنكرون لكل أمر منكرو
بعضاً ليدفع معور عن معور
مستنكبين عن الطريق الأكبر

بيان: الإعوام الريبة. و مكان معور [أي] يخاف فيه القطع. و العورة كلما يستحي منه. و بنيات الطريق الطرق الصغيرة المنشعبة من الجادة.

ومنها في [بيان] حسن خلقه ﷺ:

أريد بذاكم أن يهشوا لطلعتي
و أن يمنحوني في المجالس ودهم
بيان: بذاكم أي بالمزاج. و الهاشمة الارتياح و الخفة للمعروف. و الطلعة الرؤية.

و أن يكتروا بعدي الدعاء على قبري
و إن كنت عنهم غائباً أحسنوا ذكرى
بيان: بذاكم أي بالمزاج. و الهاشمة الارتياح و الخفة للمعروف. و الطلعة الرؤية.

ومنها في ذم بعض أهل زمانه ﷺ:

ما فيك خير ولا مير يعدّله
فإن بقيت فلا ترجى لمكرمة

قضيت منك لبياناتي وأوطاري
و إن هلكت فمذموماً إلى النار

بيان: قال الجوهري الميرة الطعام يمتاره الإنسان. و قد مار أهله يميزهم ميرا. و منه قولهم ما عندهم خير ولا مير. و اللبانة و الوطر الحاجة.

و منها مخاطباً لبعض أزواجه ﷺ:

إلى كم يكون العذل في كل ليلة
رويدك إن الدهر فيه كفاية

لما لا تملّين القطيعة و الهجرا
لتفريق ذات البيت فانتظري الدهرا

بيان: العذل الملامة. و قال شارح [الديوان] التلمية إيقاد النار بلا حطب. و لم أره فيما عندنا من كتب اللغة، و يمكن أن يكون من الإبلاء بمعنى الإمهال و التأخير، أو من الملل و الأخير أظهر. و رويدك اسم فعل بمعنى أهمل.

ومنها في ذكر هجرة النبي ﷺ و ميته ﷺ على فراشه، رواه أبو جعفر الطوسي وغيره^(١):

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصا
رسول إليه الخلق إذ مكروا به
و بت أراعهم متى ينشرونني
و بات رسول الله في الغار آمناً
أقام ثلاثاً ثم دمت قلائص
أردت به نصر الإله تبطلا

و من طاف بالبيت العتيق و بالعجر
فنجاه ذو الطول الكريم من المكر
و قد وطئت نفسي على القتل و الأسر
موثى و في حفظ الإله و في ستر
قلائص يفرين الحصا أينما تفري
و أضمرت حتى أوسد في قبري

(١) رواه الشيخ الطوسي في أول الجزء (١٦) من أماليه: ج ١، ص ٤٥٨ ط بيروت.

ورواه أيضاً الحاكم النيسابوري في كتاب الهجرة من كتاب المستدرک: ج ٣ ص ٤.

ورواه أيضاً الحاكم الحسكاني في الحديث: (١٤١) من كتاب شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٠٢، ط ١.

بيان: نشرت الخشبة أنشرها إذا قطعتها بالمنشار. والنشر البسط والتفريق. والقלוص الناقطة الشابة. وجمعه قلص [على زنة عتق] وجمعه فلانص. والفري القطع. و«فري» يحتمل الخطاب، و الشارح حملة على الغيبة وأرجع الضمير إلى «الفلانص». والتبثل الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى.

و روى [المبيضي] في [شرح] الديوان عن عبد الله بن شريك عن أبيه أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام إنَّ علي باب المسجد قوما يزعمون أنَّ ربههم فدعاهم فقال ويلكم إنما أنا عبد الله مثلكم آكل الطعام وأشرب الشراب، فاتقوا الله وارجعوا.

فأتوه في اليوم الثاني والثالث فقالوا مثل ذلك، فقال لهم والله إن تبتم وإلَّا قتلتكم أخبث قتلة. فدعا قنبر و أتى بقدوم فحفر لهم أخدودا بين باب المسجد والقصر، فدعا بالطحب فطرحه و النار فيه و قال إني طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا فكدف بهم فيها حتى احترقوا.

و قال بعض أصحابنا لم يحرقهم و إنما ادَّخَن عليهم ثم قال عليه السلام

أوقدت ناري و دعوت قنبرا

لما رأيت الأمر أمرا منكرا

و قنبر يحطم حطما منكرا

ثم احترقت حفرا و حفرا

ومنها في مدح أهل البيت عليهم السلام:

و نحن أفخرهم بيتا إذا فخروا
و ناصروا الدين و المنصور من نصروا
كما به تشهد البطحاء و المدر
نادى بذلك ركن البيت و الحجر

قد يعلم الناس أننا خيرهم نسبا
رهط النبي و هم مأوى كرامته
و الأرض تعلم أننا خير ساكنها
و البيت ذو الستر لو شاءوا يحدثهم

بيان: لعل المراد من علم الأرض علمها على تقدير الحياة، أو المراد أهل الأرض. و شهادة البطحاء و أمثالها أيضا بلسان الحال أو أهلها.

ومنها في الفخر وإظهار المكارم:

بمعركة يوما فبأنبي أميرها
ومكلمة لباتها ونحورها
وتندق منها في الصدور صدورها

إذا اجتمعت عليا معد و مذبح
مسلمة أكفال خيلي في الرغا
حرام على أرماحتنا طعن مدبر

بيان: معد بالفتح أبو العرب. و مذبح بفتح الميم و الذال المعجمة و تقديم الحاء على الجيم أبو قبيلة. و الأكفال جمع الكفل. و الغرض أننا لا نفر في الحرب و لا نتبع المدير.

ومنه في مثله، وروي أنه قالها لما يوبع من قبله بالخلافة:

وإنسي على ترك الغموض قدير
تعامى وأغضى المرء وهو بصير
وليس علينا في المقال أمير
وإنسي بأخلاق الجميع خبير

أغمض عيني عن أمور كثيرة
وما من عى أغضي ولكن ربما
وأمسكت عن أشياء لو شئت قلته
أصبر نفسي في اجتهادي وطاقتي

ومنه في الشكاية ممن خان و خالفه من قريش و غيرهم:

فلا وربك ما برؤوا ولا ظفروا
بذات ودقين لا يعفو لها أثر
ذل الحياة فقد خانوا و قد غدروا
أهلا و لا شيعة في الدين إذ فجروا
وماكروني في الأعداء إذ مكروا
ما لم يلاق أبو بكر و لا عمر

تلکم قريش تمناني لتقتلني
فإن بقيت فرهن ذمتي لهم
وإن هلكت فبأنبي سوف أورثهم
إنما بقيت فبأنبي لست متخذا
قد بايعوني ولم يوفوا ببيعتهم
وناصبوني في حرب مضرمة

بيان: في بعض النسخ رواه أبو عمرو بن العلاء، وابن درستويه، وقال بعد البيتين الأولين «قال أبو عثمان المازني لم يصح عندنا [أنه] تكلم بشيء من الشعر إلا هذين البيتين».

قلت هذا القول منه لا يدل على أنه لم يصح أصلاً [حتى عند غيره]، وقد يصح عند غيره أشياء لا تخصي. ثم قال «و زاد غيرهما. ثم ذكر باقي الأبيات».

و«تمنى» أصله تمنى، أو قوله «ما برؤا» ما غلبوا. وفي بعض النسخ [ذكرت اللفظة] بالراء المهملة، والرهن بمعنى المفعول [أي المرهون]، والذمة ما يذم الرجل على إضاعته من عهد، والودق المطر.

وفي [كتاب] الأساس «حرب ذات ودقين» شهت بسحابة ذات مطرتين شديتين.

وقال الجوهري ذات ودقين الداهية أي [الداهية] ذات وجهتين كأنها جاءت من وجهين. وأصل «إما» إن ما.

ومنه بعد قتل طلحة والزبير:

أشكوا إليك عجري و بجري
و معشرا أعشوا علي بصري
إنني قتلت مضري بمضري
جدعت أنفي و قتلت معشري

بيان: قال [ابن الأثير] نقلاً عن الهروي [في مادة «بجر» من كتاب] النهاية في حديث علي عليه السلام «أشكوا إلى الله عجري و بجري» أي همومي وأحزاني، وأصل العجرة نفخة في الظهر، فإذا كانت في السرة فهي بجرة.

وقيل العجر العروق المتعقدة في الظهر، والبحر العروق المتعقدة في البطن، ثم نقلاً إلى الهموم والأحزان، أراد أنه يشكو إلى الله أموره كلها ما ظهر منها وما بطن.

والإغشاء الستر، ومضر قبيلة أبوهم مضر بن نزار بن معد بن عدنان، والجدع بالdal المهملة قطع الأنف.

ومنه خطابا لابن العاص في [معركة] صفين:

يا عجباً لقد رأيت منكراً
كذباً على الله يشيب الشعر
يسترق السمع و يغشي البصرا

ما كان يرضى أحمد لو خبراً
أن تعدلوا وصيّه و الأبرأ
شاني النبي و اللعين الأخزرا
كلاهما بجنده قد عسكرا
قد باع هذا دينه إذ فجرأ
بملك مصر إن أصابا ظفرا

من ذا بدنيا يبيعه قد خسرا

يا ذا الذي يطلب منّي الوترا
إن كنت تبغي أن تزور القبرا
حقاً و تصلى بعد ذاك الجمرا
أسعطك اليوم ذعافا صبرا
لا تحسبني يا ابن عاص عسرا
سل بي بدرا ثم سل بي خيبرا

كانت قریش يوم بدر جزرا

إني إذا ما الحرب يوما حضرا
أضمرت ناري و دعوت قنبرا
قدم لوائني لا تؤخر حذرا
لن ينفع الحاذر ما قد حذرا
و لا أخا الحيلة عتاً قدراً
إن الحذار لا يرد القدرا
لما رأيت الموت موتاً أحمرأ
دعوت همدان وادعوا حميراً^(١)
لو أن عندي يوم حربي جعفرأ
أو حمزة الليث الهمام الأزهراً^(٢)

(١) كذا في أصلي من طبع الكمباني من البحار، وفي كتاب صفين: «عبأت همدان وعبروا حميراً».

(٢) كذا في طبع الكمباني من البحار، وفي كتاب صفين:

لو أن عندي يوم حربي جعفرأ أو حمزة الليث الهمام الأزهراً

رأت قريش نجم ليل ظهر^(١)

أقول روى الأبيات نصر بن مزاحم في كتاب صفين و زاد بعد قوله «و ادعوا حميرا»

حيي يمان يعظمون الخطرا
قل لابن حرب لا تدبّ الخمر
و سل بنا بدرا معا و خبيرا
كانت قريش يوم بدر جزرا

بيان: «الأبتر الشامي» هو عمرو بن العاص. «و اللعين الأخزر» معاوية. و الأخزر الضيق العين. أو الذي ينظر بعوخر العين.

و قال الشارح الأبتر معاوية. و الأخزر [هو] عمرو.

و هو ينافي ما ذكره الخاص و العام أن قوله [تعالى] «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ». نزل في عمرو. و الوتر الجنابة. و الإسقاط صبّ الدواء في الأنف. و الذعاف السمّ. و موت ذعاف أي سريع. و الصبر المرّ. و قال الجوهري جزر السباع اللحم الذي تأكله يقال تركوهم جزرا بالتحريك إذا قتلوهم. [قوله ﷺ] «أضمرت ناري» أي نار الغضب. و [قال الجوهري] في الصحاح موت أحمر بوصف بالشدّة. قوله ﷺ «رأت قريش» أي يصير عليهم اليوم ليلا لشدّة الأمر.

ومنه في الشكوى:

صبرت على مرّ الأمور كراهة و أبقيت في ذاك الصّباب من الأمر

الصّابة بالضمّ البقية من الماء و الجمع صباب [أو صبابات] و هو كناية عن الخلافة و ما أصابه منها. و في بعض النسخ [الصّباب بالضاد المعجمة و هي سحابة تغشي الأرض كالذّخان. فتكون كناية عن] لحقه و بقي عليه من الشدائد و المحن.

ومنه خطابا لأصحابه في صفين:

دبّوا ديبب النمل قد آن الظفر
لا تنكروا فالحرب ترمي بالشر
إنا جميعا أهل صبر لا خور

بيان: الخور بالتحريك الضعف.

ومنه شكاية عن حيلة [عمرو] بن العاص في التحكيم:

لقد عجزت عجز من لا يقدر
أرفع من ذيلي ما كان يجزّ
و منه في الشكاية عن قلّة الأنيس الموافق
الحمد لكّـه حمدا لا شريك له
لم يسبق لي مونس فيؤنسني
فاعتزل الناس ما استطعت و لا
فالعبد يرجو ما ليس يدركه

بيان: الفلّس ظلمة آخر الليل.

ومنه في المغامرة:

أتحسب أولاد الجاهالة أنسا
فسائل بني بدر إذا ما لقيتهم
و إنّا أناس لا نرى الحرب سبة
على الخيل لسنّا مثلهم في الفوارس
بقتلي ذوي الأقران يوم التمارس
و لا ننثني عند الرماح المداعس

(١) الأبيات المذكورة في وسط الجزء الأوّل من كتاب صفين ص ٤٣ ط مصر. بمغايرة في بعض النفاظ.

و هذا رسول الله كاليد بيننا
فما قيل فينا بعدها من مقالة

به كشف الله العدا بالتناكس
فما غادرت منا جديدا للابس

بيان: «بنو البدر» من حضرها. وتمارسوا في الحرب تضاربوا. والسبة بالضم عار يسب به.
والمدعاس الرمح الذي لا ينتهي. والمدعس الرمح يدعس به. «بالتناكس» أي باقلاق رايتهم أو
بانهزام.

قوله ﷺ «فما غادرت» يحتمل أن يكون المراد عدم رضاه بما ذكره فيه الغالون أي ما ذكره أبلى
ثيابنا وأذهب عزنا.

أو يكون إشارة إلى ما ذكره القالون الميغضون ولعله أظهر.

و يحتمل أن يكون خبر الموصول محذوفا أي لا حاجة لنا فيها و [يكون] ضمير «غادرت» راجعا
إلى ما ذكره ﷺ من المناقب أي لم تترك جديدا لم تأت به إلينا.

أو المعنى أن بعد تحقق تلك المناقب لا يتفجع غاصبينا وأعداءنا ما قالوا فينا من المثالب لأن يلبسوا
بسبنا ثوبا جديدا من الخلافة.

ومنه في المفارقة وإظهار الشجاعة:

السيف والخنجر ريحاننا
شرابنا من دم أعدائنا

أفّ على النرجس والآس
وكأسنا جمجمة الرأس

٤٢١
٣٤

إني أنا الليث الهزبر الأشوش
إذ الحروب أقبلت تضرس

والأسد المستأسد المعرس
واختلفت عند النزال الأنفس

ما هاب من وقع الرماح الأشرس

بيان: قال الأصمعي الليث دابة مثل الحرباء يتعرض للراكب وينسب إلى بلدة «عفرين» بكسر
العين وتشديد الراء، وفي المثل هو أشجع من ليث عفرين. و يحتمل أن يكون هو المراد هنا فإن
التأسيس أولى. والهزبر الأسد. والشوش بالتحريك النظر بمؤخر العين تكبرا وتغيظا. ذكره
الجوهري وقال استأسد اجتراً عليه. وقال التعريس نزول القوم في السفر من آخر الليل يقفون فيه
وقفة للاستراحة ثم يتحلون. والعريس والعريسة مأوى الأسد. وضرسته الحرب تضريسا أي
جرئته وأحكمته. ووقع الحديد صوته. ورجل أشرس أي عسر شديد الخلاف أو جريء على
القتال. والأشرس الأسد.

ومنه في بناء سجن بالقصب:

ألا تراني كئيسا مكيسا

بنيت بعد نافع مخيسا

حصنا حصينا وأميناً كئيسا

بيان: المكيس [بكسر الياء] من يجعل غيره كئيسا. و [قال الفيروز آبادي] في القاموس المخيس
كمظم ومحدث السجن. و سجن بناء علي ﷺ. وكان أولا جعله من قصب و سمّاه ناعفا فنتقه
للصوص. ثم ذكر الأبيات وفيه «بابا حصينا»^(١).

و قال الجوهري [في الصحاح] خيسه تخيسا أي ذلّه. ومنه المخيس وهو اسم سجن كان بالعراق
أي موضع التذليل.

٤٢٢
٣٤

ومنه رسالة إلى [عمرو] بن العاص:

لأصبحن العاصي ابن العاصي
مستحقين حلق الدلاص

سبعين ألفا عاقدي النواصي
قد جنبا الخيل مع القلاص

آساد غيل حين لا مناص

(١) هذا هو الصواب الموافق للقاموس. وفي طبع النكساني من البحار: «باب حصينة».

بيان: قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين^(١) لما بلغ عمرو بن العاص مسيرة^(٢) إلى الشام قال:
لا تحسبني يا علي غافلا
بجمعي العام وجمعي قابلا

فأجابه [علي] بهذه الأبيات.

و يقال صحبتهم أي أنبتهم به صباحا. و عقد النواصي كناية عن الاهتمام في الحرب. و استحقبه أي
احتمله. و الحلق بالفتح جمع الحلقة. و قال الجوهري الدليص و الدلاص اللين البراق يقال درع
دلاص و أدرع دلاص. و قال الغيل بالكسر الأجمة و موضع الأسد قيل [هو] مثل «خيس». و
قال المناص الملجأ و المفز.

و منه في الاحتجاج على الخصوم:

إذا ميز الصّاح من المراض
كما عرف السّواد من البياض
و قاضينا الإله فنعم قاض

لنا ما تدعون بغير حق
عرفتم حقنا فجدتموه
كتاب الله شاهدنا عليكم
وفيه [و منه خ ل] أنه كتب معاوية إليه^(٣):

و الله لا تغلب فيما قد قضى

لا تفسدنّ سابق إحسان مضى
فأجابه [علي]^(٤):

فأثبت أصادفك و سفي منتضى
و الله لا يسبر شيئا نقضا

إن كنت ذا علم بما الله قضى
والله لا يرجع شيء قد مضى
و منه في المفاخرة:

لسنا كمن قصر أو أفرطا

نحن نوؤم النمط الأوسطا
و منه في الشكوى:

في الناس لم يبق إلّا اليأس و الجزع
فأله أكرم من يرجى و يتبع

مات الوفاء فلا رقد و لا طمع
فاصبر على ثقة بالله و ارض به
و منه في التذلل [إلى الله تعالى]:

و رحمة ربّي من ذنوبي أوسع
و لكنّي في رحمة الله أطمع
و إن تكن الأخرى فما كنت أصنع
و إني له عبد أقّرّ و أخضع

ذنوبي إن فكّرت فيها كثيرة
فما طمعي في صالح قد عملته
فإن يك غفران فذاك برحمة
مليكي و معبودي و ربّي و حافظي
و منه في وصف قتل الأغشتم:

فخرّ منجدا في الأرض مصروعا
حتّى سما بحسامه ترويعا
ما كان يوما في الحروب جزوعا
فأنا عليّ للإله مطيعا

أودى بأغشتم دهر كان يأمله
قد كان يكثر في الكلام تسميعا
فعلوته مني بضربة فاتك
من كان ينكر فضلتنا و سنا

بيان: أودى هلك. و الباء للتعديّة. و التسميع التشنيع. و الترويع التخويف. و الفاتك الجريء
الشجاع. و السنا الرفعة.

و منه في إظهار الشوكة و القوّة:

(١) رواه نصر بن مزاحم في أوائل الجزء الثالث من كتاب صفين ص ٦٣١ ط مصر.
(٢) كذا في أصلي. وفي طبع مصر من كتاب صفين: «القنابل». وهي جمع «قنبل وقنبلة»: جماعة الناس أو الغيل.

هل يقرع الصخر من ماء و من مطر
أنسا عليّ أبو السبطين مقتدر

هل يلحق الريح بالآمال و الطمع
على العدة غداة الروح و الزمع

بيان: «هل يقرع الصخر» أي لا يؤثر الماء و المطر في الحجر الصلب. و الغرض النهي عن الطمع فيما لا يتيسر ولا تقدر عليه. و الريح الغلبة والقوة. و يحتمل معناه المعروف. و الزمع بالتحريك الدهش.

و منه في التلهّف عن قتل أنصاره:

يا لهف نفسي قتلت ربّية
سمعتها كانت بها الوقية
فما بها نقص و لا وضية
كانت قديما عصبة منية
و مرّة أنسابها وليعة

ربّية السامعة المطيعة
بين محاني سوقها المبيعة
ولا الأمور الرثة الشنية
ترجو ثواب الله بالصنية
قالعة أصواتها رفيعة

ليست كأصوات بني الخضيعة

دعا حكيم دعوة سمّية
نال بها المنزلة الرفيعة

من غير ما بطل و لا خديعة
في الشرف العالي من الدّسّية

بيان: ربّية أبو قبيلة. و المحاني المعاطف. و سوق الحرب حومة القتال. و المبيعة موضع البيع. و الرّثة بالكسر السقط من متاع البيت. و مرّة أبو قبيلة من قيس. و هو مفعول «دعا».

و الولع الكذب. و القلع بالفتح كون القدم غير ثابت عند المصارعة. و رقعة أي هجاء. و الخضيعة صوت بطن لذاته. و حكيم هو ابن جبلة الذي [قتل في محاربته طلحة و الزبير] قتل ب «المريد»^(١).

قوله [«سمّية» أي مستمعة. و البطل بالضمّ البطلان. و الدّسّية العطية.

و منه في الرضا:

ما لي على قوت فائت أسف
ما قدر الله لي فليس له
فالحمد لله لا شريك له
أنا راض بالعسر و اليسار فما

و لا تراني عليه ألتف
عني إلى من سواي منصرف
ما لي قوت و همتي الشرف
تدخلني ذلة و لا صلف

بيان: الصلف مجاوزة قدر الظرف و الادّعاء فوق ذلك تكبرا.

و منه في [قصة] قتل كعب بن الأشرف و إجلاء بني النضير

عرفت و من يعتدل يعرف
عن الكلم الصدق يأتي بها
رسائل يدرسن في المؤمنين
فأصبح أحمد فينا عزيزا
فيا أيّها الموعدوه سفاها
ألستم تخافون أدنى العذاب
فإن تصرعوا تحت أسياقنا
غداة رأى الله طغيانه
فأنزل جبريل في قتله
فدسّ الرسول رسولا له

و أيسقنت حقّا و لم أصدف
من الله ذي الرأفة الأرف
بهنّ اصطفى أحمد المصطفى
عزيز المقامة و الموقف
و لم يأت جورا و لم يعنف
و ما آمن الله كالأخوف
كمصرع كعب أبي الأشرف
و أعرض كالجمل الأخيف
بوحي إلى عبده الملطف
بأبيض ذي ظبية مرهف

(١) هذا هو الصواب و في أصلي: «الرّدة» و المراد هو موضع بالبصرة قتل فيه حكيم بن جبلة في محاربته مع جند طلحة و الزبير.

فنباتت عيون له معلولات
فقالوا لأحمد ذرنا قليلا
فخلّاهم ثم قال اظعنوا
و أجلي النضير إلى غربة
إلى أذرعات رادفا هم

بيان: «يأتي بها» أي النبي ﷺ. و «سفاها» تمييز أو حال. و الجنف الميل أي الجمل الكثير الميل عن القصد.

قوله «فإن تصرعوا» جزء الشرط محذوف أي لا نتقمنا منكم و لم يكن بعيدا. و «غداة» بفتح التاء مضاف إلى الجملة. و قيل [المراد من] الوحي [هو] قوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ يُشْسِ الْمِهَادُ﴾.

و الدسّ الإرسال خفية. و الرسول [هو] محمد بن مسلمة الذي بعثه النبي ﷺ لقتل كعب غيلة. و قد مرّت القصة في المجلد السادس.

«متى ينع» على بناء المجهول من النعي و هو خير الموت. و ضمير «لها» راجع إلى العيون و الإسناد فيه و في «المعولات» على المجاز و ذرّفت عينه سال منها الدمع. و «الأنف» جمع الأنف. و «الأذرعات» بفتح الهمزة و كسر الراء موضع بالشام. و الرداف جمع الرديف. و الدبر جراحة تحدث في ظهر البعير و جنبه. و الأعصف المهزول.

ومنه في هرب غطريف بن جشم:

يا لهف نفسي على الغطريف
أفلت من ضرب له خفيف

بيان: البأس الشدة في الحرب. و الريف بالكسر أرض فيها زرع و خصب أي كان مدعيا لغاية الشجاعة و الكرم. و الطريف في النسب الكثير الآباء إلى الجد الأكبر. و قال الشارح أي ما جدّه غير كريم أو بينه و بين جدّه الكريم آباء كثيرة.

ومنه في إظهار الشوق إلى الكوفة:

يا حبّذا سيف بأرض الكوفة^(١)
يسلطها جمانا المعلوفة

بيان: السيف بالكسر ساحل البحر.

و [قال ابن الأثير] في [مادة «عرف» من كتاب] النهاية العرف الريح الطيبة و منه حديث علي رضي الله عنه «حبّذا أرض الكوفة أرض سواء سهلة معروفة» أي طيبة العرف. و قولهم «عم صباحا» كلمة تحية كأنّه محذوف [منه حرف] ، من «نعم ينعم» بالكسر كما يقال كل من «أكل يأكل» فحذف النون و الألف تخفيفا.

ومنه في الرضا [بما قسم الله و قدره له]:

رضيت بما قسم الله لي
لقد أحسن الله فيما مضى

و منه في الفخر بالعلم:

علمي معي أينما قد كنت يتبعني
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي

قلبي وعاء له لا جوف صندوق
أو كنت في السوق كان العلم في السوق

(١) كذا في أصلي. و الأبيات ذكرناها عن مصدر آخر في حرف الفاء مما جمعنا من أبيات أمير المؤمنين رضي الله عنه في الباب السادس من نهج السعادة وفيه.

ومنه في الشكاية عن الرفقاء:

من الناس هل من صديق صدوق
صديق صدوق وبيض الأنوق

تفرّبت أسأل من عن لي
فقالوا عزيزان لا يوجدان

بيان: الأنوق [كعبور] الرخمة و في المثل «أعزّ من يبيض الأنوق» لأنّه يحرزها فلا يكاد يظفر بها لأنّ أوكارها في رؤوس الجبال و الأماكن الصعبة البعيدة.

٤٢٩
٣٤

ومنه في مثله:

زمان عقوق لا زمان حقوق
وكلّ صديق فيه غير صدوق

تراب على رأس الزمان فإنّه
فكلّ رفيق فيه غير موافق

ومنه في سبب بغض الأعداء:

و لا لنا من خلقنا طريقا

ما تركت بدر لنا صديقا

ومنه خطابا لموسى بن حازم العكّي في الحرب:

كأسا زعافا مزجت زعافا
أقدّ هاما وأقط ساقا

دونكها مترعة دهاقا
إنّا لقوم ما ترى ما لاقي

بيان: دونكها أي خذها والضمير راجع إلى الكأس لأنّه مؤنّث سماعي. و أترعه ملأه. و الدهاق الممتلئة. و زعفه زعفا قتله مكانه و سمّ زعاف بالضم [أي مهلك من ساعته]. الزعاف بالضم الماء المزوج بالملح الشديد الملوحة. و القدّ القطع طولاً. و القطّ القطع عرضاً.

ومنه في إخباره [عليه السلام] بالأمر الخفي:

٤٣٠
٣٤

و عهدا ليس بالعهد الوثيق

أرى حربا مغيّبة و سلما

بيان: قال الشارح أمر أمير المؤمنين [عليه السلام] حريث بن راشد قبل [وقعة] صفّين على الأهواز و جميع هذه المصادر خال عن تأمير أمير المؤمنين خزيّتا على مدينة الأهواز، فما ذكره شارح الديوان لم يعلم من أين أخذه. ولما رجع [عليه السلام] [من صفّين] بغى وتمرّد، فبعث [عليه السلام] إليه معقل بن قيس، فقتله وأسر جماعة من بني ناجية خرجوا معه، ففداهم مصقلة بن هبيرة بخمس مائة ألف درهم فلما عجز [من أدائه] هرب إلى معاوية، فأمر [أمير المؤمنين] [عليه السلام] بتخريب بيته فظهرت فيه أسلحة فأنشد [عليه السلام] هذا البيت.

ومنه في مثله:

و حبلا ليس بالحبل الوثيق

أرى أمرا تنقّص عرّواته

ومنه [في] تعيير معاوية في بناء مسجد بناء دمشق:

وأنت بسحمد الله غير موقّ
جرت مثلا للخائن المصدّق
لك الويل لا تزني ولا تصدّقني

سمعتك تبني مسجدا من خيانة^(١)
كمطعمة الرّمان مما زنت به
فقال لها أهل البصيرة والتقى

ومنه في مدح أصحابه:

٤٣١
٣٤

جعلوا الصدور لها مسالك
فوق القلوب لأجل ذلك

قومي إذا اشتبك القنا
اللّـباسون دروعهم

لنا علم و للأعداء مال
و إنّ العلم باق لا يزال

و منه [في] الرضا بما رزقه الله من العلم
رضينا قسمة الجبّار فينا
فإنّ المال يغني عن قريب

ومنه في إظهار الكرم:

وداري متناخ لمن قد نزل
أقدم ما عندنا حاضر
فأما الكريم فراض به

وزادي مباح لمن قد أكل
وإن لم يكن غير خبز و خل
وأما اللئيم فذاك الويل

بيان: الويل بالتحريك الوبال وهو أمر يخاف ضرره.

ومنه في إظهار المكارم:

إنني امرؤ بالله عزّي كلّه
فإذا اصطنعت صنعة أتبعته
وإذا يصاحبني رفيق مرمل
وإذا دعيت لكربة فرجتها
وإذا يصيح بي الصريخ لحادث
وأعدّ جاري من عيالي إنّه
وحفظته في أهله و عياله

ورث المكارم آخري من أوّلي
بصنيعة أخرى وإن لم أسأل
أثرته بالزاد حتّى يمتلي
وإذا دعيت لغدرة لم أفعل
واقبته مثل الشهاب المشعل
اختار من بين المنازل منزلي
بستعاهد متّي ولما أسعل

بيان: أرمل القوم نفذ زادهم. والصريخ المستغيث والمغيث، وأريد به هنا الأول. والتمعال هنا كناية عن الكراهة يقال أغضك السعال فأخذك السعال.

ومنه في [بيان] فضائله ﷺ مخاطبا للحارث الهمداني: (١)

يا حار همدان من يمت يرني
يعرفني طرفه وأعرفه
وأنت عند الصراط معترضي
أقول للتأّر حين توقف لله
ذريسه لا تقربيه إنّ له
أسقيك من بارد على ظمإ
قول علي لحارث عجب

من مؤمن أو منافق قبلا
بسنعته واسمه وما فعلا
فلا تخف عثرة ولا زلا
عرض ذريه لا تقربي الرجال
حبلا بحيل الوصي متصلا
تخاله في الحلاوة العسلا
كم ثم أعجوبة له جملا

بيان: «حار» مرخّم حارث. وأريته قبلا بالفتح أو الضمّ أي مقابلة و عيانا. «جملا» أي مجملات أو جملة جملة.

ومنه في ردّ منجّم أراد إرشاده ﷺ:

خوفني منجّم آخر خيل
فقلت دعني من أكاذيب الحيل
أرفع عن نفسي أفانين الدول

تراجع المربّع في بيت حمل
المشتري عندي سواء و زحل
بسخالقي و رازقي عزّ و جلّ

بيان: الخيل فساد العقل.

ومنه في إظهار أنّ الخلافة حقّه مخاطبا لأبي بكر:

روي أبو الجيش المظفر البلخي بإسناده قال جاء علي ﷺ و أبو بكر في المسجد فقال ﷺ:
تعلّم أبا بكر و لا تك جاهلا
و أنّ رسول الله أوصى بحقه
و لا تبخسنّه حقّه و اردد الوري

بأنّ عليا خير حاف و ناعل
و أكّد فيه قوله بالفضائل
إليه فإنّ الله أصدق قائل

(١) والصواب أن معنى ومضون هذه الأبيات لأخير المؤمنين ﷺ قاله للحارث الهمداني رفع الله مقامه، وأما النظم فهو للسيد إسماعيل العميري ﷺ، نظم ما قاله أمير المؤمنين نثرا للحارث الأعور تفهّمه الله برحمته.

ومنه في إظهار الشجاعة:

أنا الصقر الذي حدثت عنه
وقاسيت الحروب أنا ابن سيع
فلم تدع السيوف لنا عدوا

عتاق الطير تنجدل انجدالا
فلما شبت أفنيت الرجال
ولم يدع السخاء لديّ مالا

بيان: قال الجوهري عتاق الطير [يكسر العين] الجوارح منها. والانجدال السقوط من طعنة أو ضربة.
وقوله [عنه] [عنه] متعلق ب [قوله] «حدثت» و «الانجدال» معا أو بأحدهما و يقدر للآخر. [و في قوله] «أنا ابن سيع» الواو مقدر للحال.
واحتمل الشارح أن يكون السبع مصدر [قولهم] «سبع الذئب الغنم» [من باب «منع» و «نصر»] أي افترسها.

ولعله لقراءته «شئت» بالهمزة كما صرح به، و أظهر أنه [«شبت»] بالباء كما في بعض النسخ من الشبب.

ومنه في مثله:

صيد الملوك أرناب و ثعالب
صيدي الفوارس في اللقاء و إني
بيان: الفضنفر الأسد.

و إذا ركبت فصيدي الأبطال
عند الوغا لفضنفر قتال

ومنه في إظهار حبّ النبيّ و نصره و ذمّ أعدائه:

إنّ عبدا أطاع ربّا جليلا
فصلاة الإله تسترى عليه
إنّ ضرب العدة بالسيف يرضي
ليس من كان قاصدا مستقيما
حسبي الله عصمة لأموري

و قفا الداعي النبيّ الرسولا
في دجى الليل بكرة و أصيلا
سيّدا قادرا و يشفي غليلا
مثل من كان هاويا و ذليلا
و حبيبي محمد لي خليلا

بيان: قوله [عنه] [«هاويا» أي ساقطا في الآخرة في النار. و في بعض النسخ «هاديا و دليلا»
بالمهملة أي ليس الهادي و المكمل كالمهتدي و المسترشد.

ومنه في مثله:

روي أنّ رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه و ترك عليا عليه السلام [لم يؤاخ بينه و بين أحد] فقال له في ذلك فقال أنا
اخترتك لنفسى، أنت أخي و أنا أخوك في الدنيا و الآخرة. فبكى علي عليه السلام و قال

هدانا به الرحمن من غمة الجهل
لمن أنتمى معه إلى الفرع و الأصل
و أنعشني بالعلّ منه و بالنهل
و من نجله نجلي و من بنته أهلي
دعاني و آخاني و بيّن من فضلي
لإحسان ما أوليت يا خاتم الرسل

أفبك بنفسى أيها المصطفى الذي
وتفديك حوبائي و ما قدر مهجتي
و من كان لي مذكت طفلا و يافعا
و من جدّه جدّي و من عمّه أبي
و من حين آخى بين من كان حاضرا
لك الفضل إنّي ما حييت لشاكر

بيان: الحوبا بالفتح النفس. و الفرع الأولاد و الأحفاد. و الأصل الآباء و الأجداد أي أولادي
أولاده و آبائي أبأؤه. و أيفع [الغلام] ارتفع فهو يافع و العلّ الشرب الثاني. و النهل الشرب الأول فإنّ
الابل تسقى في أول الورد فتزد إلى العطن ثم تسقى الثانية فتزد إلى المرعى. و النجل النسل.

ومنه عند قرب حرب الجمل:

قد طال ليلى والحزين موكل
والناس تعرفهم أمور جمّة

لحذار يوم عاجل و مؤجل
مرّ مذاقتها كقطع الحنظل

فتن تحلّ بهم وهنّ سوارع

فتن إذا نزلت بساحة أمة

بيان: حاق به الأمر نزل. ولم أره متعدّياً. والتَّهَلُّ الإخلاص في الدعاء.

ومنه في الشكاية عن طلحة والزبير:

إنّ يومي من الزبير ومن

ظلماني و لم يكن علم الله

طلحة فيما يسوءني لطويل

إلى الظلم لي لخلق سبيل

بيان: قال الشارح [قوله ﷺ] «علم الله» قسم و التقدير لم يكن لي سبيل إلى الظلم لخلق.

أقول و يحتمل أن يكون المعنى أنّه لم يكن حينئذ لأحد [من الخلق] سبيل إلى ظلمي [و] هما أسسا للناس ذلك.

ومنه مخاطبا لمعاوية:

ألا من ذا يبلّغ ما أقول

ألا أبلغ معاوية بن صخر

و ناطحت الأكمار من رجال

هم نصروا النبي و هم أجابوا

نبيا جالد الأصحاب عنه

فدنت له و دان أبوك كرها

مضى فنكصتما لما توارى

إذا ما الحرب أهدب عارضها

فيوشك أن يجول الخيل يوما

فإنّ القول يبلغه الرسول

لقد حاولت لو نفع الحويل

هم الهام الذين لهم أصول

رسول الله إذ خذل الرسول

و ناب الحرب ليس له فلول

سبيل الغيّ عندكما سبيل

على الأعقاب غيّا طويل

و أبرق عارض منها مخيل

عليك و أنت منجدل قتيل

بيان: قال الجوهري حاولت الشيء أي أردته. و الاسم الحويل. و هامة القوم رئيسهم. و الأصل الحسب. و الفلول الكسور.

و قال الفيروزآبادي الهيدب السحاب المتدلّي، أو ذيله. و هذب الشجر كفرح طال أغصانه و تدلّت كأهدبت. و قال العارض السحاب المعترض في الأفق. و أبرق السحاب ظهر منه البرق. و السحابة المخيلة بفتح الميم و كسر الخاء التي تحسبها ماطرة. و المنجدل الصريع.

[ثم] قال [شارح الديوان] فأجاب معاوية:

لا تحسبنّي يا علي غافلا

و المشمخرّ و القنا الذوابلا

فأجابه [علي ﷺ]:

أصبحت ذا حقّ تمنّي الباطلا

أصبحت أنت يا ابن هند جاهلا

تسعين ألفا رامحا و نابلا

بالحقّ و الحقّ يزيع الباطلا

لأوردنّ الكوفة القنابلا

في عامنا هذا و عاما قابلا

لأوردنّ شامك الصواهلا

لأرمينّ منكم الكواهلا

يزدحمون الحزن و السواهلا

هذا لك العام و ذرني قابلا

بيان: القنبلة طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. و اشمخرّ [الشيء] طال. و المشمخرّ الجبل العالي. و «تمنّي» ماض أو مضارع بحذف التاء. و الصاهل الفرس الذي له سهيل.

و [قال الزمخشري] في [كتاب] الأساس هو كافل أهله و كاهلهم [أي] هو الذي يعتمدونه. شبه بالكاهل واحد الكواهل. و النابل من النبل و هو السهم.

ومنه في وصف أصحابه صلوات الله عليه:

كأساد غيل و أشبال خيس

غداة الخميس ببيض صقال

تجيد الضراب و حَزَّ الرقاب
تأكيد الكذوب و تخزي الهيوب
أمام العقاب غداة النزال
و تسوي كعوب دماء القذال

بيان: الغيل والخيس بكسرهما موضع الأسد. والشبل بالكسر ولده. والحز القطع. والعقاب العلم الضخم. واسم راية رسول الله ﷺ. والقذال جماع مؤخر الرأس.

ومنه في مدح عبد العزيز بن الحارث:

شريت بأمر لا يطلق حفيظة
جزاك إله الناس خيرا فقد وقت
حباء و إخوان الحفيظ قليل
يسذاك بفضل ما هناك جزيل

بيان: روي أنه قالها حين أحاط عسكر الشام بطائفة من أصحابه فنادى ﷺ [ألا هل من رجل يشري نفسه لله و يبيع ديناه بأخرته!

فأجابه عبد العزيز و دخل في غمار الناس و حارب حتى وصل إلى أصحابه ﷺ و قال لهم يقول لكم أمير المؤمنين ﷺ كبروا و هلكوا فما نحن قد و افيناكم إن شاء الله. و صار ذلك سبب الفتح و الظفر كما مر^(١).
والحفيظة الغضب و الحمية و هي مفعول «شريت» أو المفعول مقدر أي نفسك.

ومنه في الضجر و الشكوى (من تحامل الطغاة على أهل التقوى):
وروي أنه أنشدهما يوم استشهد عمار [بن ياسر] رضي الله عنه:

أراك مصرا بالذين أحسبهم
ألا أيها الموت الذي ليس تاركي
أرحمني فقد أنسيت كل خليل
كأنك تنحو نحوهم بسديل

و منه في كثرة قتلى أهل الشام:

كأين تركنا في دمشق و أهلها
و غانية صاد الرماح خليلها
من أشمط موتور و شمطاء شاكل
و أضحت بعيد اليوم إحدى الأرامل
تبكي على بعل لها راح غازيا
و نحن أناس لا تصيد رماحنا
إذا ما طعنا القوم غير المقاتل

أقول روي نصر بن مزاحم في كتاب صفين^(٢) عن عمرو بن شمر قال لما صدر [علي] ﷺ من صفين أنشأ يقول [..] و ذكر الأبيات.

بيان: الشمط بياض لشعر الرأس يخالط سواده. و الرجل أشمط و المرأة شمطاء. و الموتور الذي قتل له قتيل و لم يدرك بدمه. و الغانية الجارية التي غنيت بزوجها أو التي غنيت بحسنها و جمالها عن الزينة. و القفول الرجوع عن السفر.

و قال في الديوان و منه في الشكوى عن اندراس معالم الإسلام:

ليبك على الإسلام من كان باكيا
لقد ذهب الإسلام إلّا بقية
فقد تركت أركانه و معالمه
قليل من الناس الذي هو لازمه

و منه قال جاءت إليه ﷺ امرأة تشكو زوجها فقالت

زوجي كريم يبغض المحارما
و يصبح الدهر لدينا صائما
يقطع ليلا قاعدا و قائما
و قد خشيت أن يكون آثما

لأنه يصبح لي مراغما

أجابه زوجها:

لا أصبح الدهر بهن هائما
و لا أكون بالنساء ناعاما

(١) وانظر تفصيل القضية في أواسط الجزء الخامس من كتاب صفين ص ٣٠٨ ط مصر. و تقدم في هذا الكتاب في ص ٣٩٠ ط الكلباني.

(٢) رواء نصر في أواسط الجزء الثامن - وهو الجزء الأخير - من كتاب صفين ص ٥٣٢.

بَلْ أَصْلَى قَاعِدَا وَ قَائِمَا

يَا لَيْتَنِي نَجُوتَ مِنْهَا سَالِمَا

فَأَجَابَهُمَا ﷺ حَاكِمَا بَيْنَهُمَا:

لَكَ الصَّلَاةُ قَاعِدَا وَ قَائِمَا

و رَابِعُ تَصَبُّحٍ فِيهِ طَاعِمَا

مَا لَكَ أَنْ تَمْسُكَهَا مِرَاغِمَا

مَهْلًا فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِيهَا آثِمَا

ثَلَاثَةَ تَصَبُّحٍ فِيهَا صَائِمَا

و لَيْلَةً تَخْلُو لَدَيْهَا نَاعِمَا

تَوْضِيح: المِرَاغِمَةُ المَغَاصِبَةُ. وَ الهِيَامُ كَالْجَنُونِ مِنَ الْعَشَقِ. وَ مَهْلًا أَيُّ أَهْلٍ.

وَمِنْهُ فِي الشُّكُورِ:

عَمُومٌ عَجَزَ وَ هَمَّتْ الْكَرَمُ

أَوْ نَالِ عَزَّ الْقَنُوعُ بِالْقَسَمِ

أَصْبَحْتَ بَيْنَ الْهَمُومِ وَ الْهَمَمِ

طَرِبُوا لِمَنْ نَالَ قَدْرَ هَمَّتْ

و مِنْهُ فِي الْمَفَاخِرَةِ وَ إِظْهَارِ الْفَضَائِلِ:

قَالَ [شَارِحُ الدِّيَوَانِ] ذَكَرَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاحِدِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ اجْتَمَعَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَ عُمَرُ، وَ عَثْمَانُ، وَ طَلْحَةُ، وَ الزَّيْبِرُ، وَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَ عَتَارُ، وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَ أَبُو ذَرٍّ، وَ الْمُقَدَّادُ، وَ سُلَيْمَانُ، وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَجَلَسُوا وَ أَخَذُوا فِي مَنَاقِبِهِمْ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيٌّ ﷺ فَسَأَلَهُمْ فِيمَ أَنْتُمْ قَالُوا نَتَذَكَّرُ مَنَاقِبَنَا مِمَّا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: اسْمَعُوا مِنِّي ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ هَذِهِ الْأَيَّاتُ:

مَنْ الْإِسْلَامُ يَفْضُلُ كُلَّ سَهْمٍ

عَلَيْهِ اللَّهُ صَلَّى وَ ابْنُ عَتِي

إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ عَرَبٍ وَ عَجَمٍ

وَ جَبَّارٍ مِنَ الْكُفَّارِ ضَخَمٍ

وَ أَوْجِبَ طَاعَتِي فَرَضًا بَعَزَمٍ

كَذَاكَ أَنَا أَخُوهُ وَ ذَاكَ اسْمِي

وَ أَخْبِرْهُمْ بِهِ بِغَدِيرِ خَمٍّ

وَ إِسْلَامِي وَ سَابِقَتِي وَ رَحْمِي

لِمَنْ يَلْقَى إِلَهَهُ غَدَا بِظُلْمِي

لِجَاهِدِ طَاعَتِي وَ مَرِيدِ هَضْمِي

يُرِيدُ عِدَاوَتِي مِنْ غَيْرِ جَرْمِي

لَقَدْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ بِأَنْ سَهْمِي

وَ أَحْمَدُ النَّبِيِّ أَخِي وَ صَهْرِي

وَ إِنِّي قَائِدٌ لِلنَّاسِ طَرًّا

وَ قَاتِلٌ كُلِّ صَنْدِيدٍ رَئِيسٍ

وَ فِي الْقُرْآنِ أَلْزَمَهُمْ وَ لَاتِي

كَمَا هَارُونَ مِنْ مُوسَى أَخُوهُ

لِذَاكَ أَقَامَنِي لَهُمْ إِمَامَا

فَمَنْ مَتَكَّمٍ يَعَادِلُنِي بِسَهْمِي

فَوَيْلٌ لِمَنْ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ

وَوَيْلٌ لِمَنْ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ

وَوَيْلٌ لِلَّذِي يَشْقَى سَفَاهَا

وَمِنْهُ فِي الشُّكَايَةِ:

فَرَضَ الْكِتَابُ وَ نَالُوا كُلَّ مَا حَرَمَا

كَالدُّلُوعِ عَلِقَتْ التَّكْرِيبُ وَ الْوُذُمَا

وَ لَا رَعَوْا بَعْدَهُ إِلَّا وَ لَا ذَمَّا

خَلَفْتُ قَوْمِي وَ كَانُوا أُمَّةً أَمَّا

أَطْلُبُ الْعُذْرَ مِنْ قَوْمِي وَإِنْ جَهِلُوا

حَبِلَ الْإِسَامَةُ لِي مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَنَا

فَإِنِّي نَسِيتُهُ كَانُوا ذَوِي وَرَعٍ

لَوْ كَانَ لِي جَائِزًا سَرَحَانُ أَمْرِهِمْ

بَيَان: قَالَ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي [فِي «مَادَّةِ كَرْبِ» مِنْ الْقَامُوسِ] الْكَرْبُ بِالتَّحْرِيكِ الْحَبْلُ يَشْدُ فِي وَسْطِ الْعِرَاقِيِّ لِبَلِي الْمَاءِ فَلَا يَغْفُ الْحَبْلُ الْكَبِيرُ، وَ قَدْ كَرِبَ الدُّلُوعُ وَ أَكْرَبَهَا وَ كَرَّيَهَا.

وَ قَالَ [أَيْضًا] الْوُذُمُ مَحْرَكَةُ السُّيُورِ بَيْنَ أَذَانِ الدُّلُوعِ. وَ الْإِلُّ بِالْكَسْرِ الْعَهْدُ. وَ «سَرَحَانُ» مُصَدَّرٌ مِنْ [قَوْلِهِمْ] سَرَحَ الْمَاشِيَةِ. وَ هُوَ إِسْرَافُهَا لِلرَّعْيِ. وَ تَسْرِيحُ الْمَرْأَةِ تَطْلِيْقُهَا. وَ الْأَمُّ بِالتَّحْرِيكِ الشَّيْءُ الْبَسِيرُ. وَ أَخَذَتْ ذَلِكَ مِنْ أَمِّ أَيٍّ مِنْ قَرَبٍ وَ دَارَهُ أُمُّ دَارِي أَيٍّ مَقَابِلَتَهَا. وَ قُرِئَ [أَمَّا] بِضَمِّ الْهَمْزَةِ أَيْضًا أَيَّ فَرْقًا مُخْتَلَفَةً.

وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ غَطْرِيفُ بْنُ جِشْمٍ «إِنِّي غَطْرِيفُ نَعَمُ وَ ابْنُ جِشْمٍ» إِلَى آخِرِ الْأَيَّاتِ فَأَجَابَهُ ﷺ.

أنا على المرتجى دون العلم
أنصر خير الناس مجدا وكرم
إنّي سأشفي صدره وأنقم
فأثبت لحاك الله يا سرّ قدم
مرتهن للحين موف بالذمم
نبي صدق راحما و قد علم
فهو بدين الله والحقّ معتمص
فسوف تلقى حرّ نار تضطرم
تحلّ فيها ثم توهى كالحمم.

بيان: العلم الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق و علم الجيش. و الحين بالفتح الهلاك.
وقال الجوهري قولهم لحاه الله أي فبحه و لعنه. و رجل قدم بكسر الدال أي يتقدّم. و قدم بالتحريك أي شجاع. و كعنب الرجل له مرتبة في الخير. و الحمم بالضم الفحم و كلّ ما احترق من النار.
ومنه مخاطبا للزبير في [حرب] الجمل:

لا تعجلنّ و اسمعن كلامي
إذ المنايا أقبلت خيامي
ببائل مؤلّل حسام
بيان: [قال الجوهري] في الصحاح ألّت الشيء تألّلا حدّدت طرفه.

ومنه خطابا لمعاوية:

أما و الله إنّ الظلم شوم
إلى ديّان يوم الدين نمضي
ستعلم في الحساب إذا التقينا
ستنقطع اللذاذة عن أناس
لأمر ما تصرّفت الليالي
سل الأيّام عن أمم تقصّت
تروم الخلد في دار المنايا
تنام و لم تنم عنك المنايا
لهوت عن الفناء و أنت تفنى
تموت غدا و أنت قريح عين

بيان: العضة بالضمّ الداهية. و العوم السباحة

ومنه حاكيا قتله بعض المناققين:

ضربته بالسيف وسط الهامة
فبتكت من جسمه عظامه
أنا علي صاحب الصمصامة
أخو نبيّ الله ذو العلامة
أنت أخي و معدن الكرامة

بيان: قال الجوهري الشفرة بالفتح السكين العظيم. و شفرة السيف أيضا حدّه. و الهضم القطع. و التبتيك التفتيح. و الصمصامة السيف القاطع الذي لا يشني. و [المراد من] العلامة [هنا] خاتم النبوة.

ومنه في مرثية أكارم أصحابه:

جزى الله خيرا عصبة أيّ عصبة
شقيق و عبيد الله منهم و معبد
و عسرة لا ينأى فقد كان فارسا
إذا اختلف الأبطال و اشتكت القنا
حسان الوجوه صرعوا حول هاشم
و نهان و ابننا هاشم ذي المكارم
إذا الحرب هاجت بالقنا و الصوارم
و كان حديث القوم ضرب الجماجم

بيان: هاشم هو ابن عتبة [الزهري الصحابي] المرقال. وشقيق [هو] ابن ثور العبدى. وعبد الله [هو] ابن بديل بن ورقاء [الصحابي] الخزاعي.

ومنه مرتجزا في صَين:

ما علّتي وأنا جلد حازم
وعن يميني مذبح القمام
القلب حولي مضر الجماعم
والأزد من بعد لنا دعائم

و في يميني ذو غرار صارم
وعن يساري وائل الخضارم
وأقبلت همدان والأكارم
والحق في الناس قديم دائم

بيان: قال الجوهري العلّة حدث يشغل صاحبه عن وجهه. وقال [أيضا] الفرارن شفتا السيف وكلّ شيء له حدّ فحدّه غزاره. والقمام السيّد. والعدد الكثير. وائل اسم قبيلة. وخضمم الكثير العطاء. والقلب وسط الجيش. وجماعم العرب القبائل التي تجمع البطون فينسب إليها دونهم.

ومنه في ذمّ بعض القبائل:

وأبعد من حلم وأقرب من خنا
موالي أباد شرّ من وطأ الحصا
فما سبقوا قوما بوتر ولا دم
ولا قام منهم قائم في جماعة

وأخمد نيرانا وأحمل أنجما
موالي قيس لا أنوف ولا فما
ولا تقضوا وترا ولا أدركوا دما
ليحمل ضيما أو ليدفع مغرما

بيان: الخنا الفحش. وقوله ﴿لا أنوف ولا فما﴾ أي ليس فيهم الرياسة والفصاحة. والمغرم ما يلزم أدائه.

ومنه تحسرا على قتل أعيان قبيلة شبام:

وصحت على شبام فلم تجيني
ومنه في الشكاية والتّصير:

تَنَكَّر لي دهري و لم يدر أنّي
فظلّ يريني الخطب كيف اعتداؤه

أعزّ و روعات الخطوب تهون
و بتّ أريه الصبر كيف يكون

بيان: التّنكّر التّغيير. ومنه في التأذّب عن أحوال الزمان وتحصيل التجارب

الدهر أذهني واليأس أغناني
وأحكممتني من الأيّام تجربة
ومنه في الشكاية عن أهل النفاق:

هذا زمان ليس إخوانه
إخوانه كلّهم ظالم
يلقاك بالبشر وفي قلبه
حتّى إذا ما غبت عن عينه
هذا زمان هكذا أهله
يا أيّها المرء كن منفردا

يا أيّها المرء بإخوان
لهم لسانان و وجهان
داء يواريه بكتمان
رماك بالزور و بهتان
بالودّ لا يصدقك اثنان
دهرك لا تأنس بإنسان

ومنه [ما] روي أنّه عَزَى [به] عمر بن الخطاب بابن له توقّي فقال:

إنّا نعرّيك لا أنا على ثقة
فلا المعزّي بياق بعد ميته

بيان: [قوله] «لا أنا» بالفتح أي لا نعرّيك لكوننا على ثقة من حياتنا بعده.

ومنه في الشكاية عن منافقي زمانه صلوات الله عليه:

لو لا الذين لهم ورد يقومونا
تدكدكت أرضكم من تحتكم سحرا

و آخرين لهم سرد يصومونا
لأتكم قوم سوء لا تطيعونا

بيان: قال الجوهري سردت الصوم تابعته. وقال تدكدكت الجبال أي صارت دكاوات وهي رواب من طين.

ومنه في نفي تأثير النجوم:

أتاني يهذدني بالنجوم
ذنوبي أخاف فأما النجوم

وما هو من شره كائن
فلأت من شرها آمن

ومنه في المفخرة:

نحن الكرام بنو الكرام
إننا إذا قعد اللئام

و طفلنا في المهد يكنى
على بساط العز قمنا

بيان: التكنية في المهد علامة الشرف أو بيان لاستحبابها. والمراد بالقيام التهيؤ للجهاد و سائر العبادات.

وقال عبد الله بن وهب الراسبي [رئيس الخوارج] في النهروان:

أضربكم و لا أرى أبا الحسن
فأجابه [علي] صلوات الله عليه

ذاك الذي ضلّ إلى الدنيا ركن
و المتمني أن يرى أبا الحسن

يا أيها المشرك يا من افتتن

و المتمني أن يرى أبا الحسن

إليّ فانظر أيتنا يلقي الغبن

بيان: الغبن بالفتح [فسكون الباء المخدوعة] في البيع [أو الشراء]. و بالتحريك [الضعف] في الرأي.

ومنه خطابا للنبي ﷺ و إظهارا للإخلاص له:

يا أكرم الخلق على الله
محمّد المختار مهما أتى
فانذب له حيدر لا غيره
ترى عماد الكفر من سيفه
هل العدى إلّا ذئاب عوت
سيهزم الجمع على عقبه

و المصطفى بالشرف الباهي
من محدث مستنقع ناهي
فليس بالفر و لا اللاهي
منكسا باطله واهي
مع كلّ ناس نفسه ساهي
بحيدر و النصر لله

بيان: الباهي [مأخوذ] من البهاء وهو الحسن. واستنقع الأمر وجده فظيعا. والفر بالضم وبضمين الذي لم يجرب الأمور. والعقب بالنسكين لغة في العقب [بالتحريك].

ومنه افتخارا بالمناقب و الفضائل:

أنا للفرخ أليها و بنفسي أتقيها
لن ترى في حومة الهيجاء لي فيها شبيها
ولي القسرة إن قام شريف يستميتها
ولي الفخر على الناس بعربي و بنيتها
لي مقامات بيدر حين حار الناس فيها
وأنا الحامل للراية حقّا أحوتها
وإذا ضرّم حربا أحمد قدّميتها
وأنا المسقي كأسا لذة الأنفس فيها

نعمة من سامك السبع بما قد خصنيها
و لي السبقة في الإسلام طفلا و وجيها
زقني بالعلم زقا فيه قد صرت فقيها
ثم فخري برسول الله إذ زوجنيها
و بأحد و حنين لي صلوات تليها
و أنا القاتل عمرا حين حار الناس تيتها
و إذا نادى رسول الله نحوي قلت إيهي
هبة الله فمن مثلي في الدنيا شبيها

بيان: ضمير «أليها» مبهم يفسره «نعمة» وهي النبي ﷺ.

[قوله] «و بنفسي ألقيتها» أي أجعل نفسي وقاية لتلك النعمة. و «سامك السبع» [أي] رافع سبع سموات. و زق الطائر الفرخ يزقه [على زنة «مد» و بابه] أي أطعمه بفيه. و «إيها» كلمة استزادة.

ومنه إظهارا للشجاعة:

أنا مذ كنت صبيا ثابت القلب جريا
يا سباع البرّ ريفي و كلي ذا اللحم نيا

بيان: [قال الجوهري] في الصحاح رافت الماشية رعت الريف وهي أرض فيها زرع و خصب.

٤٥٠
٣٤

وقال بعض الأعادي خطابا لعسكره ﷺ.

أضربكم و لو أرى عليا
فأجابه صلوات الله عليه

يا أَيْهَذَا المِيتِغِي عليا
قد كنت عن لقائه غنيا

ومنه في تخويف بعض الكفار:

زُيُفَ رسول الله في يميني
و كلّ من بارزني يجيني
محمد و عن سبيل الديني
و في يساري قاطع الوتين
أضربه بالسيف عن قريني
هذا قليل عن طلاب عين

بيان: الوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

[و قوله] «يجيني» أمر غائب، قال [الشيخ] الرضّي رحمه الله جاز في النظم حذف لام الأمر في فعل غير الفاعل نحو «محمد تقد نفسك كل نفس».

و أجاز الفراء حذفها في التثنية نحو قل له يفعل قال تعالى ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ و القرين المصاحب. و طلاب بالكسر جمع طالب مثل جياح و جائع. كذا قال الشارح، و المعروف في جمعه [أي جمع طالب] طلبا بالضمّ و التشديد فيمكن أن يكون التخفيف [هاهنا] للضرورة أو يكون [طلاب] بالكسر مصدر «طالبه مطالبة و طلبا» إذا طالبه بحق. و العين بالكسر جمع الأعين أي الواسع العين.

و منه في تهديد بعض الأشرار:

٤٥١
٣٤

اليوم أبلو حسبي و ديني
بصارم تحمله يميني
عند اللقاء أحمي به عريني

بيان: العرين مأوى الأسد.

وكان نقش سيفه ﷺ:

أسد على أسد يطول بصارم
عضب يمان في يمين يمان

بيان: قال الشارح [قوله] «في يمين يمان» يدل على أن البيت من غيره ﷺ، و لعلّ السيف انتقل إليه ﷺ من رجل من أهل اليمن و كان هذا البيت مكتوبا عليه.

و يحتمل أن يكون ﷺ نقش هذا البيت على سيفه في عاشر الهجرة، حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن فعل ذلك تودّدا إليهم.

أو يقرأ «يمان» بضمّ الياء أي صاحب اليمن كعظام و عقام بمعنى عظيم و عقيم انتهى.

وأقول يمكن أن يكون النسبة إلى اليمن باعتبار كمال الإيمان كما ورد في الخبر أن الإيمان يمان و الحكمة يمانية.

وقال الجزري [في مادة «يمن»] في شرح هذا الخبر [في كتاب النهاية] إنما قال ذلك لأن الإيمان

بدأ من مكة وهي من تهامة من أرض اليمن ولهذا يقال الكعبة اليمانية انتهى.
[قال المصنّف] و يظهر منه [أي من كلام الجزري] توجيه آخر أيضا كما لا يخفى.

ومنه [ما أنشده] في [وقعة] الجمل مخاطبا لابن الحنفية [محمد ابنه] رضي الله عنه
اقحم فلن تنالك الأسنة
ومنه تمنيا للعدم خوفا من عذاب الله تعالى وتذللا له

ليت أمسي لم تلدني
ليتي كنت حشيا

بيان: البهم جمع بهمة وهي أولاد الضأن.

ومنه في الشكوى عن [أهل الزمان]:

عجبا للزمان في حالتيه
رب يوم بكيت منه فلما
ومنه ترغيبا في التهجّد:

يا نفس قومي فقد قام الورى
و أنت يا عين دعي عتي الكرى
إن ينم الناس فذو العرش يرى
عند الصباح يحمد القوم السرى

بيان: الكرى النعاس. و السرى بالضم السير بالليل. والمثل معروف.

قد وفق الله تعالى للفرار من هذا المجلد من كتاب بحار الأنوار، الموسوم بكتاب الفتن، على يدي مؤلفه الفقير
الخاسر القاصر ابن محمد تقي محمد باقر ختم الله له بالحسن، في سلخ شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة إحدى
وتسعين بعد الألف الهجرية.

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيد المرسلين محمد وعترته الأكرمين، و لعنة الله على أعدائهم أجمعين
إلى يوم الدين.



المجلد الثامن (قسم الثاني من كتاب الفتن والحج)

أبواب ما جرى بعد قتل عثمان من الفتن والوقائع والحروب وغيرها

- باب ١ بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وما جرى بعدها من نكت الناكثين إلى غزوة الجمل ٣
- باب ٢ باب احتجاج أم سلمة رضي الله عنها على عائشة ومنعها عن الخروج ٦٤
- باب ٣ باب ورود البصرة ووقعة الجمل وما وقع فيها من الاحتجاج ٧٣
- باب ٤ احتجاجه عليه السلام على أهل البصرة وغيرهم بعد انقضاء الحرب وخطبه عليه السلام عند ذلك ٩٥
- باب ٥ باب أحوال عائشة بعد الجمل ١١٣
- باب ٦ باب نهي الله تعالى ورسوله عليه السلام عائشة عن مقاتلة علي عليه السلام وإخبار النبي عليه السلام إياها بذلك ١١٨
- باب ٧ باب أمر الله ورسوله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وكل من قاتل عليا صلوات الله عليه وفي بيان عقاب الناكثين ١٢٢
- باب ٨ باب حكم من حارب عليا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ١٣٣
- باب ٩ باب احتجاجات الأئمة عليهم السلام وأصحابهم على الذين أنكروا على أمير المؤمنين صلوات الله عليه حروبه ١٤٣
- باب ١٠ باب خروجه صلوات الله عليه من البصرة وقدمه الكوفة إلى خروجه إلى الشام ١٤٦
- باب ١١ باب بغى معاوية وامتناع أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن تأميره وتوجهه إلى الشام للقاءه إلى ابتداء غزوات صفين ١٥٢
- باب ١٢ باب جمل ما وقع بصفين من المحاربات والاحتجاجات إلى التحكيم ١٨٤
- باب ١٣ باب شهادة عمار رضي الله عنه وظهور بغى الفئة الباغية بعد ما كان أبين من الشمس الضاحية وشهادة غيره من أتباع الأئمة الهادية ٢٥٨
- باب ١٤ باب ما ظهر من إعجازه عليه السلام في بلاد صفين وسائر ما وقع فيها من النوادر ٢٧١
- باب ١٥ باب ما جرى بين معاوية وعمرو بن العاص في التحامل على علي عليه السلام ٢٧٥
- باب ١٦ باب كتبه عليه السلام إلى معاوية واحتجاجاته عليه ومراسلاته إليه وإلى أصحابه ٢٧٨
- باب ١٧ باب ما ورد في معاوية وعمرو بن العاص وأوليائهما وقد مضى بعضها في باب مثالب بني أمية ٣٢٣
- باب ١٨ باب ما جرى بينه عليه السلام وبين عمرو بن العاص لعنه الله وبعض أحواله ٣٤٤
- باب ١٩ باب نادر ٣٤٩
- باب ٢٠ باب نوادر الاحتجاج على معاوية ٣٥٣
- باب ٢١ باب بدو قصة التحكيم والحكمين وحكمهما بالجور رأي العين ٣٧٦

باب ٢٢ باب إخبار النبي ﷺ بقتال الخوارج وكفرهم	٣٨٨
باب ٢٣ باب قتال الخوارج واحتجاجاته صلوات الله عليه	٣٩٥
باب ٢٤ باب سائر ما جرى بينه وبين الخوارج سوى وقعة النهروان	٤٢٢
باب ٢٥ باب إبطال مذهب الخوارج واحتجاجات الأئمة عليهم السلام وأصحابهم عليهم السلام	٤٢٨
باب ٢٦ باب ما جرى بينه صلوات الله عليه وبين ابن الكواء وأضرابه لعنهم الله وحكم قتال الخوارج بعده عليه السلام	٤٣١
باب ٢٧ باب ما ظهر من معجزاته بعد رجوعه صلوات الله عليه من قتال الخوارج	٤٣٤
باب ٢٨ باب سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه	٤٣٥
باب ٢٩ باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام وصاياه إلى عماله وأمرأه أجناده	٤٤٥

أبواب الأمور والفتن الحادثة بعد الرجوع عن قتال الخوارج

باب ٣٠ باب الفتن الحادثة بمصر وشهادة محمد بن أبي بكر ومالك الأشتر رضي الله عنهما وبعض فضائلهما وأحوالهما وعهود أمير المؤمنين عليه السلام إليهما	٤٧٥
باب ٣١ سائر ما جرى من الفتن من غارات أصحاب معاوية على أعمال أمير المؤمنين عليه السلام وتناقل أصحابه عن نصرته وفرار بعضهم إلى معاوية وشكايتهم عنهم وبعض النوادر	٥٢١
باب ٣٢ علة عدم تغيير أمير المؤمنين عليه السلام بعض البدع في زمانه	٥٨٧
باب ٣٣ باب نوادر ما وقع في أيام خلافته عليه السلام وجوامع خطبه ونوادرها	٥٩٣
باب ٣٤ باب فيه ذكر أصحاب النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام الذين كانوا على الحق ولم يفارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وذكر بعض المخالفين والمنافقين زائداً على ما أوردنا في كتاب أحوال النبي ﷺ وكتاب أحوال أمير المؤمنين عليه السلام	٦٣٠
باب ٣٥ باب النوادر	٦٥٠
باب ٣٦ باب آخر نادر في ذكر ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من الأشعار المناسبة لهذا المجلد وقد مر بعضها في الأبواب السابقة	٦٧٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة

احياء الكتب الإسلامية

ايران قم المقدسه ارم ٤ پلاك ١٣٥

٠٠٩٨٢٥١ ٧٧١٩٦٥٧ - ٠٠٩٨٢٥١ ٢٩٣٦٣٥٢

٢٠٠٠ عدد

٣٣٠/٠٠٠ تومان

٩٧٨-٩٦٤-٢٥٩٢-٣٦٤

٩٧٨-٩٦٤-٢٥٩٢-٥٧٩

جواد رحمتی

روح الله گلستانی

♦ بحار الانوار ج ٨/٢

◇ تأليف علامه مجلسي

♦ انتشارات نور وحي

◇ چاپخانه دفتر تبليغات

♦ چاپ اول ١٣٨٨

◇ قيمت دوره

♦ شايلك دوره

◇ شايلك

♦ صفحه آرا

◇ ناظر چاپ

مجلسي، محمد باقر بن محمد تقی، ١٠٣٧-١١١١ ق.

[بحار الانوار]

بحار الانوار الجامعة الدرر اخبار الانمة الاطهار عليه السلام / تأليف

محمد باقر مجلسي؛ تحقيق مؤسسه احياء الكتب الاسلاميه -

قم: نور وحي، ١٤٣٠ ق. = ١٣٨٨ ج ٨/٢

- (دوره) 4 - 36 - 2592 - 978 - ISBN

- (شايلك) 9 - 57 - 2592 - 978 - ISBN

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما

کتابنامه، مندرجات: ج ٨/٢، الفتن والمحن.

١. احاديث شيعه قرن ١٢ ق. الف. موسسه احياء الكتب الاسلاميه.

ب. عنوان

٢٩٧/٢١٢

BP ١٣٦/ م ٣١٣٨٨

